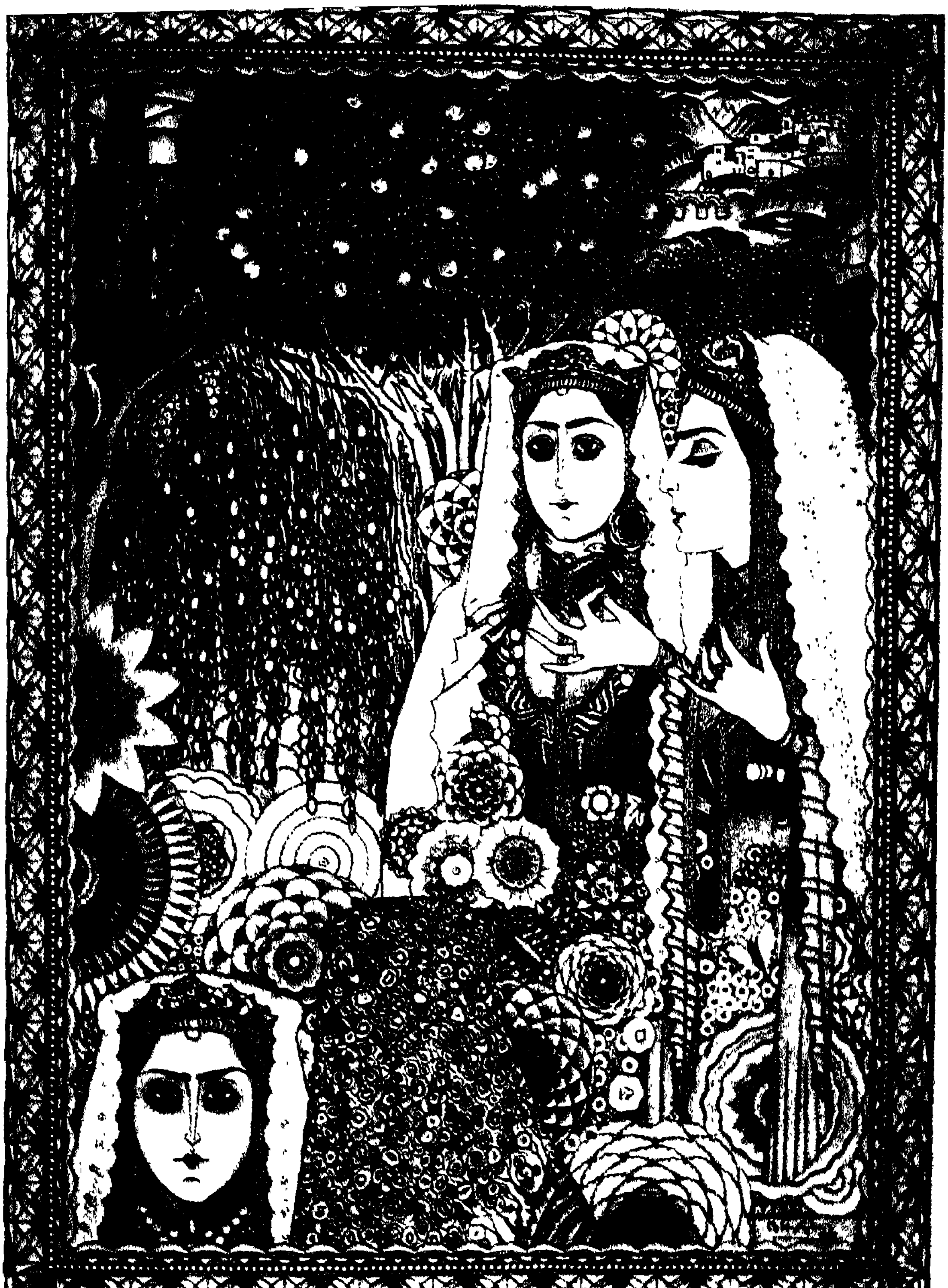
ذو القعدة ١٤٠٨ هـ - يوليو (تموز) ١٩٨٨ م

العربي



المدينة المحرمة تتفتح على العالم !



"نساء من أخاليتسكي"
لوحة للفنان الأرمني
تاكور كوجيان

العدد ٣٥٦ السنة الحادية والثلاثون يوليو ١٩٨٨

العربي

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI
Issue No. 356 July 1988, P.O. Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب : ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقياً : "العربي" - الكويت - تلكس MITR.44041KT
تلفون فكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الاشتراكات: ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب : ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

أدب وفنون :

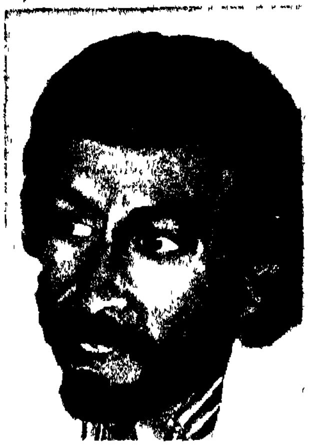


النباتات الطبية والعطرية في الوطن العربي ١٥٢



جيبوتي : حيرة اللسان والمكان ! ص ١٣٢

منتدى العربي :



وجها لوجه :
علي فرزات ص ٩٦

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

في قلب بكين عاصمة ربع سكان العالم نجد نفسك في عمق الصورة كلها : الصين باتساعها وازدحام سكانها الألف والمائتين من ملايين البشر . المدينة المحرمة بدأت تنفتح على العالم .

[طالع التفاصيل ص ٦٨]

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

ما زالت « العـربـي » تجتهد لتنقل إليك الجديد في عالم الثقافة والأدب والطب والعلوم ، وكلما زادت ثقتك في مجلتك زادت الأعباء الملقاة على عاتق هيئة التحرير ، ورسائل القراء التي تصل إلينا بالعشرات إن لم نقل بالمئات يوميا نتعلم منها ونستفيد كثيرا وهي تؤكد لنا أننا سائرون في الطريق الصحيح لتقديم المعرفة والثقافة والعلوم بشكل جيد مقبول لدى معظم القراء

في هذا العدد نواصل المسيرة ، فنقدم لك من الفكر الإسلامي ما ينير ويهدي ، ومن الفكر العربي ما يطرح التساؤلات ، ويقترح الحلول ، ومن الموضوعات الخفيفة ما يعظ ويسلي

فقد كتب لك الدكتور محمد فاروق النبهان عن التجديد في الفكر الإسلامي ، وكتب لك الدكتور محمد جابر الأنصاري عن الوحدة الإقليمية التي تشهد وقائعها في المغرب العربي وفي الخليج العربي ، ولعلك قد لاحظت أيضا أن ما بدأنا تقديمه منذ العدد الماضي في « واحة العربـي » قد عززناه في هذا العدد بمجموعة من الموضوعات الطريفة الجديدة ، مثل مقال الإيقاع للكاتب الساحر خالد القشطيني كما كتب لك الدكتور جاك شاهين أستاذ الإعلام في إحدى الجامعات الأمريكية عن صورة العربي في الأفلام الأمريكية وقدم لك الدكتور عبدالوهاب جومد من أوراقه صورا من « مواقف إنسانية » مؤثرة

وفي باب الاستطلاعات أخذتك « العربـي » في هذا العدد إلى بكين المدينة و« الصين » الدولة التي انفتحت على العالم فما هي نتائج هذا الانفتاح ؟

الاستطلاع الآخر ذهبت فيه « العربـي » إلى جمهورية جيبوتي الدولة رقم (٢٢) في جامعة الدول العربية ، ورصدت بالصورة والكلمة التطورات التي حدثت في هذه الدولة الفتية ، وخاصة أن « العربـي » قد زارتها قبل حصولها على الاستقلال سنة ١٩٧٧ فما الجديد في هذه الدولة ذات الموقع الاستراتيجي بالغ الخطورة ؟

وفي العلم والطب احتوى هذا العدد على باقة متنوعة من الموضوعات ، منها مقال النباتات الطبية والعطرية في الوطن العربي ، ومقال آخر عن « تكنولوجية » العالم الثالث ، وما كتبه الدكتور سامي محمود علي عن العجز الجسماني ، وهل آن الأوان لنقول له وداعا ؟

ومقال عن الأطفال وبعض مشكلاتهم النفسية ، وموضوعه « نزعة السرقة عند الأطفال » فما هي أسبابها ؟ هذا بعض ما يحتويه عددنا الذي بين يديك

نتمنى لك قراءة ممتعة ، شيقة ، مفيدة ، وإجازة صيف طيبة وإلى اللقـاء .

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

لعبة الخبراء

ينقل عن جورج بومبيدو رئيس الجمهورية الفرنسية الأسبق قول طريف مفاده « أن هناك ثلاثة طرق إذا سلكها السياسي أدت الى دماره ، الأول هو مطاردته للنساء ، وهو أكثر الطرق متعة ! والثاني هو لعب القمار وهو أسرع الطرق مفعولا ، والثالث هو الاعتماد على الخبراء وهو أكثر الطرق تأثيراً » .

قد يظهر هذا القول شبح ابتسامة على شفاهنا ، ولكن الحقيقة أن الخبراء أصبحوا جزءاً من الحياة الحديثة . فالبحث عن الخبرة ، ووجود أشخاص يطلبونها ، وآخرين يقدمونها ، أصبح اليوم على جميع المستويات ضرورة ملحة في جميع البلدان على اختلاف مستوياتها من التقدم ، واختلاف اجتهاداتها الاقتصادية والسياسية .

إلا أن موضوع الخبرة والخبراء ، وطريقة عملهم وعلاقاتهم بصاحب العمل ، وديناميكية العمل بينهم وبين المستفيدين من الخبرة التي يقدمونها ، أو بينهم وبين المنفذين للخبرة التي يقترحونها . كل ذلك موضوع جديد قلما تشير إليه الكتابات العربية ، وما هو متوافر منه باللغات الأخرى محدود .

إغفال هذا الموضوع في مدارسنا وجامعاتنا ، بل إغفاله في وسائل إعلامنا ، قضية ملفتة للنظر ، على الرغم من أهمية دور الخبراء في الحياة

هل الخبراء نعمة أو نقمة في الدولة الحديثة؟



السياسية الحديثة . سواء أكانوا خبراء في الاجتماع والادارة وما حولها ، أو خبراء تقنيين (فنيين) .

ومما يلفت نظرنا في هذا المقام كتاب ممتع كتبه « جاي بنفينست » خصه بعنوان ملفت للنظر هو « الأساليب السياسية للخبراء » - وهو أقرب ما يصفه عنوانه باللغة الانكليزية - عرض فيه بشكل مشوق ما سميته سابقاً « لعبة الخبراء » . كيف بدأت هذه اللعبة ؟ ولماذا نحتاج للخبراء ؟ وما هي طرقهم في تقديم الخبرة - الطرق السوية وغير السوية أيضاً ؟

• بداية اللعبة ؟

بعد قراءة الكتاب تبين لي أن هذا الموضوع الجاد المشوق يحتاج الى فهم على قاعدة خبرتنا وثقافتنا العربية ، فلقد عانينا في الوطن العربي سلباً من « لعبة الخبراء » وكثير من كتاباتنا في هذا الموضوع تنصب على (سوء النصيحة من الخبرة الأجنبية) في حين أن الكتاب الذي أشير اليه يتحدث عن موضوع الخبراء كمهنة .

الخبرة - خاصة الخبرة الأجنبية - لها سمعة سيئة عندنا نحن العرب ،

من المسؤول عندما يُبنى حمام سباحة ساخن في بلاد لا تقل الحرارة فيها عن ثلاثين درجة مئوية؟

ومعظم هذه السمعة السيئة ملونة بلون كثيف من الموقف السياسي وعلاقة المسيطر بالمسيطر عليه . لذلك نجد هناك نفوراً طبيعياً من الخبرة الأجنبية بمعناها الخارجي وهناك في بعض الأقطار العربية « خبرة عربية » أي خبراء عرب من أقطار عربية أخرى ، لكن حتى هذه لا تنجو من بعض (الشك) .

وإذا كانت قضية الخبراء الأجانب والخبراء من غير أهل البلاد تضيف على موضوع لعبة الخبراء غموضاً وإثارة ، فإن الخبرة الوطنية (المحلية) لها أيضاً مشكلاتها

ففي بعض أقطارنا يبدو للبعض أن هناك تناقضاً في المفاهيم بين الخبرة الخارجية والمحلية وهذا البعض في ذهنه أن الخبرة لابد أن تكون بالضرورة (أجنبية) .

من هنا نجد أن الموضوع - بالنسبة لنا على الأقل - أكثر تعقيداً مما يمكن أن يتناوله كتاب عربي يتصدى لفكرة الخبراء من منظور أكاديمي بارد

تعقد هذه المشكلة لدينا له طابع البيئة الثقافية ، فالنظر بعين الشك للخبرة والخبراء (الأجانب) وبدرجة أقل الى غير المحليين له ما يبرره علميا ، لأن هذه الخبرة تعرف على وجه اليقين موضوعها بشكله النظري القانوني أو الاجتماعي أو التقني ، ولكنها لا تعرف البيئة الاجتماعية والسياسية التي سوف تنفذ فيها في وقت لاحق اقتراحاتها . وتقل الفروق نسبيا في حالة الخبرة التقنية ، وتزيد بل وتتسع في حالة الخبرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، أي كل ما يتعلق بسلوك الانسان .

وهناك أمثلة كثيرة يمكن ضربها في هذا المقام ، خاصة في بعض أقطار الوطن العربي ، التي شهدت في السنوات الأخيرة مشروعات تنموية متسارعة

فلقد قرأنا عن المباني التي ترتفع عشرات الطوابق من أجل الإسكان ولا يسكنها أحد ، حيث أن الناس لم يتعودوا في تلك المجتمعات على السكنى في عمارات مرتفعة ، بل تعودوا على السكن في وحدات صغيرة من المباني .

كما قرأنا عن حمام السباحة الساخن في بلاد لا تهبط درجة حرارتها صيفاً أو شتاء عن ثلاثين درجة على الأقل ، أو المصانع التي ينفذها الخبراء وتقذف بمخلفاتها الضارة في نهر يستخدم الأهالي مياهه منذ آلاف السنين للشرب !

وتختفي المظاهر السلبية للخبرة ولا تظهر للعين في مواقع أخرى ، ولكنها لا تقل خطورة ، فالخبرة القانونية أو الادارية التي تنقل من مجتمع كثيف السكان الى مجتمع قليل السكان ، تنقل التعقيدات من هذا المجتمع إلى ذاك ، ويعاني المواطنون إحباطا في إنجاز معاملاتهم أو قص حلاقاتهم من جراء هذه التعقيدات التي لم يكونوا يعانون منها من قبل ، وذلك ينطبق أيضاً على الخبرة

المنقولة في التعليم والتدريب وطرق البناء وحتى طرق علاج المرضى

على الرغم من كل سلبيات الخبرة والخبراء بعيداً عن البيئة الثقافية والاجتماعية ـ أو قل في عدم فهم البيئة الثقافية والاجتماعية ـ إلا أن الخبرة والخبراء من مظاهر وضروريات العصر ، فكيف ؟ ولماذا ؟

● ضــــرورة لا بـد منـها :

لماذا الخبرة والخبراء ضرورة لابد منها ؟ الجواب عن ذلك بديهي . ففي العقود الأخيرة من القرن العشرين أصبح الايمان بالعقل والعقلانية إيماناً لا يتزعزع لدى غالبية الناس ، هذا الايمان يهيمن على الأعمال الادارية في المؤسسات الخاصة والعامة في كثير من الدول ولقد أصبح الإيمان بالتخطيط ووجود حلول علمية للمشكلات التي يصادفها الانسان ـ وهما أهم مجال يسرح فيه الخبراء ويمرحون ـ ظاهرة العصر ، فإن كان من المفروغ منه معرفتنا الأكيدة بأن هناك تخطيطا ، ومركزيا أيضا ، في الدول الاشتراكية وشبه الاشتراكية ، فإن البعض قد يفاجأ حين يعلم بأن هناك نوعاً من التخطيط في الدول الرأسمالية ، فحتى في الولايات المتحدة هناك أجهزة للتخطيط ولجان تخطيطية تعد أعمالها سلفا . بل أصبح هناك مؤسسات رسمية حكومية عملها التخطيط والاستعانة بالخبراء في المجالات المختلفة .

وإذا ابتعدنا عن القطاع الحكومي في الدول الرأسمالية ، فإن القطاع الخاص ـ في المؤسسات الكبيرة والمتوسطة ـ يتبنى في الولايات المتحدة اليوم وفي غيرها ، سياسة تخطيطية منظمة ، بل تقوم هذه المؤسسات بتعيين طواقم كاملة من الخبراء والمختصين والباحثين يقدمون المشورة للادارة التي تشرف على شؤون المؤسسة

وهذا ينطبق على معظم الدول الرأسمالية والدول النامية

الحاجة الى التخطيط بمعناه الواسع هي حاجة الى الخبراء ، ولكن وجود الخبراء أوسع من مجرد مجال التخطيط ، فالأسس التي تقوم عليها النظم الاقتصادية الحديثة تستند الى العقلانية والقياس وتنظيم التفسير والتحليل ، بل أصبح استخدام العلم هو الأسلوب العالمي المسيطر على الأفكار السياسية . فلا يوجد سياسي في العالم اليوم ، في بلد صغير أو كبير ، مهم أو هامشي ، ليس لديه مجموعة من الخبراء يستعين بهم في الأمور التي تواجهه أو تواجه إدارته إن كان في الحكم . بل أصبحت علاقة الخبراء بهذا السياسي مجال حديث في وسائل الاعلام ، كما حدث مع الرئيس الامريكي الحالي رونالد ريجين مع أكثر من خبير ، وكما يحدث مع السيدة مرجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية وكثير من أمثالهما .

التكنوقراطيون أصبحوا يسيرون الدول والمجتمعات الحديثة

لقد قدر لهذا العصر أن يصبح عصر السيطرة (التكنوقراطية) حيث أصبح التحكم العقلي والمطالب الفنية الأساسية يحل محل العلوم والأساليب السياسية القديمة بل وحتى محل الأيديولجيات .

وهكذا أصبح (التكنوقراطيون) أي الفنيون الاداريون (الخبراء) ، سواء كانوا منفذين أو مخططين ظاهرين أو خلف الكواليس قابعين ، أصبحوا يسيرون الدول والمجتمعات الحديثة . وأصبح لطموحاتهم وخلفياتهم السياسية وفهمهم للظروف السياسية أو عدم فهمهم لها وعلاقتهم بالمسئول أو صاحب العمل - سواء كان رئيس دولة أو وزيراً أو مدير بلدية أو مدير إدارة أو صاحب مصنع أو مؤسسة أو أي شخص مسئول يطلب الخبرة - تأثير على اتخاد القرار الذي قد يستفيد منه آلاف المواطنين أو يتضررون .

صاحب العمل اليوم - أي صاحب عمل سواء كان سياسياً أو صاحب مؤسسة - ليس حرا في اتخاد القرار ، فصاحب العمل أو الرئيس أو المدير أصبح يعتمد اعتماداً كلياً على دقة المعلومات التي يزوده بها الخبراء ، حتى أصبح من المؤكد أن صاحب العمل الذي لا يتصف بالحكمة هو صاحب العمل الذي لا تحدى معه نصيحة الخبراء ، على الرغم من مقولة سوميدو الساحرة التي بدأنا بها حديثنا !

ولكن الاستدراك يجب أن يوضح أن « صاحب العمل » عليه أن يعرف كيف يستفيد استفاده صحيحة من الخبرة المقدمة له ، بل كيف يختار خبراءه ويوجههم ، وهي معادلة ذات وجهين ، فإن لم يستطع صاحب العمل أن يستفيد من الخبرة خسر ، وان هو لم يحدد سلطة هؤلاء الخبراء مما يقودهم الى درجة لا يستطيع معها بعد ذلك السيطرة عليهم . لذلك فإن توزيع الأدوار بين صاحب العمل أو الرئيس أو المدير (طالب الخبرة) وبين الخبير والخبراء يجب أن تحدد بدقة

• أساليب وطرق

إن الدور الرئيسي في أي مؤسسة يجب أن يضطلع به صاحب العمل أو رئيس المؤسسة وهو عادة ما يكون سياسياً أو مديراً إدارياً في حاجة الى المشورة وطلب النصح . وأحياناً يكون هذا الدور لمجموعة من الناس كمجلس إدارة أو مجلس وزراء ، أو مجلس بلدي ، يأخذ هؤلاء على عاتقهم تأليف لجان للتخطيط وتعيين أشخاص للمشورة

وفي المقام الثاني يأتي دور الخبير ، صاحب الرأي ، الرجل المفكر ، وهو يعمل عادة مع عدد من المحترفين ، وقد يكون عمله في وزارة الدفاع أو في مؤسسة لانتاج الألكترونيات أو في المكاتب التمهيدية لرئيس الدولة ، ولكن



طبيعة عمل هؤلاء الخبراء متشابهة ، فإن لهم اهتمامات بحل المشاكل ويغريهم دائماً وضع تصورات لمواجهة المستقبل ، ولديهم رصيد محترم من الخبرات - كل في مجاله - وطريقتهم في العمل تشمل الاعتماد على مجموعات الأبحاث المتداخلة ، ولكن طبيعة احترافهم لعملهم تحتمل الأيديولجية السياسية ، فهم ناجحون في عملهم متى كان لديهم وعي سياسي بما يحيط بهم، ولكنهم إن فقدوا هذا البعد (السياسي) أصبحوا بيروقراطيين عديمي النفع .

الخبراء بهذا المعنى أناس يبتكرون صوراً لما يجب أن تكون عليه الأمور في المستقبل بعض هذه الصور قابلة للتنفيذ ، بل ويتم تنفيذها فعلا ، وبعضها الآخر لا ترى طريقها الى النور

والخبراء يختلفون عن المصلحين الاجتماعيين المثاليين ، فهم لا يقومون بوضع خطط - كما يفعل بعض المصلحين المثاليين - تافهة أو مثالية يصعب تطبيقها ، ولا تصلح إلا لتبرير فشل صاحب العمل، بل هم يضعون خططاً وتصورات نابعة من حاجات حقيقية يواجهها صاحب القرار .

فالخبراء إذن يمارسون سلطة خاصة في أنظمة الحكم والدول اليوم ليس من السهل تحديدها ، ولكن من الخطورة تجاهلها فهم بطرقهم البارعة والذكية يستطيعون التخلص من القيود (الرسمية) المفروضة عليهم للتأثير على القرار السياسي

الخبراء الأذكياء لا يأخذون بالحسبان رئيس العمل أو القيادة أياً كان شكلها أثناء تقديم المشورة والخبرة ، بل يهتمون أيضاً بفئتين من الناس : الفئة

الخبراء يمارسون سلطة ليس من السهل تحديدها ومن الخطورة تجاهلها

الأولى هم المشرفون على عملية التنفيد ـ ما دون الرئيس ـ كالبيروقراطيين والمنفذين ، أما الفئة الأخرى فهي جمهور المنتفعين أو المستفيدين من عمل المؤسسة أو الخبرة المقدمة ، تلك المجموعة من الناس التي قد تتأثر حياتهم والأهداف التي يسعون لتحقيقها بمخططات الخبراء

هاتان الفئتان تكونان أحياناً مؤيدتين مسالمتين لمخططات الخبراء ، وأحيانا أخرى مقاومتين عنيدتين حسب نظرتيهما الى الأمور ومستوى فهمهما لها أو تأثيرها عليهما

ولكن للخبراء اليد العليا في كثير من الأوقات ضد هذه المقاومة ، فهم يوهمون صاحب القرار ـ حقاً أو باطلا ـ بأن معلوماتهم تكذب ما يشعر به المنفذون أو المستفيدون ، وأن هناك أسراراً وأنظمة وميزانيات وتقنيها ونتائج قد لا يراها المستفيدون الآن ، وكلما توحدت كلمة الخبراء في ذلك ، كلما قرب صاحب القرار من تصديقهم

● بين الشك واليقين :

يزداد نفوذ الخبراء من خلال طبيعة التطورات التي تشهدها المجتمعات الحديثة ، فالتطورات التقنية الحديثة والمتسارعة تجعل سريرة الانسان تنطوي على شك دائم بوجود أشياء أخرى في هذا العالم مازالت مجهولة ويمكن اكتشافها ولن يفعل ذلك إلا الخبراء ، فالهاتف المتلفز ونقل الصور والوثائق من خلال الهاتف على سبيل المثال تجعل لدى الانسان الاستعداد للتصديق بإمكانية التقاط الأحاديث عن بعد ، أو بث الاشارات التلفازية الى مجال أوسع ، أو اكتشاف مواد مضادة للرصاص والبارود ، أو علاج قرحة المعدة بدواء سائل ، أو استخراج المياه العزيزة من باطن الصحراء الى سطحها . هذا المجهول والمرغوب الذي قد يكون ممكناً هو الذي يجعل من سوق الخبراء سوقاً رائجة وطالما ظل التغير التقني مستمراً ستظل هناك حاجة للخبراء للاستعانة بهم في استكشاف المستقبل ، لمعرفة الذي ما يزال خافياً ، أو استباق الزمن في اكتشافه

ولكن هل يؤدي ذلك الاستباق للزمن الى اليقين ؟

النظر بعين الشك إلى الخبرة والخبراء له تبريره العلمي :



التناقض غير محسوم بين الخبرة ذات الدافع السياسي والخبرة المحايدة

ليس بالضرورة ، فبجانب دراسة الخبراء وتحليلهم وتوجهاتهم التي تبدو (عقلانية) ، هناك عامل إنساني فعندما تثار أزمة ويتولد في النفوس الكثير من الشك في إمكانية التغلب على تلك الأزمة ، يصبح واجب الخبراء البحث عن مخارج لهذه الأزمة ، وليس بالضرورة أن تكون تلك المخارج عقلانية بحتة ، إلا أن مقدار القوة التي يتمتع بها هؤلاء الخبراء ، وثقة الناس بهم ، يمكنهم من أن يحموا من التشكوك التي تراود الناس كما أنهم يصبحون موضع ثقة الناس بالقدر الذي يبحثون فيه في التخفيف من شكوكهم

هنا تتدخل الطبيعة البشرية ، فالحقيقة بالنسبة لكثير من الناس هي المصلحة أو هي الأمل ولقد ثارت مثلا قضية مياه النيل في مصر ونقصانها وخطورة هذا النقص على المجتمع المصري برمته ، وكانت هناك وجهات نظر لخبرات مختلفة ، ومال الناس ـ في هذه الأزمة ـ لتصديق وجهة نظر الخبراء المتفائلة ، بدليل أن الناس قد نسوا مناقشة القضية

يقوم الخبراء بإقناع المسئولين والجمهور بوجهة نظرهم بعمليتين : الأولى تبريرية ، والثانية مكتبية . فالعملية التبريرية هي أسلوب يتبعه الخبراء لاقناع كل من حولهم بأن الدافع لما يتخذونه من قرارات هو « الضرورة الفنية » التي تمليها اعتبارات فكرية وعقلية وتقنية ، على الرغم من أن الأمر قد لا يكون كذلك . أما العملية المكتبيه فهي إيحاء الخبراء لصاحب العمل بأن ما يقومون به يجب أن يبقى سريا ، للاستفادة من الوقت وتجنب المفاجئات وهما عمليتان متناقضتان ، إذ أنهما تفقدان الخبراء حيادهما المطلوب .

● خبرة محايدة أم سياسية ؟

من التناقضات الرئيسية وغير المحلولة ـ حتى الآن ـ موقف الخبراء الذين يفترض من جهة أن يقدموا تحليلات تتسم بالنزاهة والحياد والموضوعية ، ومن جهة أخرى أن يتلاءموا مع ما تفرضه السياسة من بعد عن الموضوعية والنزاهة في كثير من الأحيان ، أو بتعبير آخر ما تفرضه السياسة من تعايش مع الواقع ؟

يحل هذا التناقض عن طريق القول بأن تحليلات الخبراء يجب أن تكون نزيهة وموضوعية ، أو على الأقل يجب أن تبدو كذلك ، ولكن استخدام هذه التحليلات يمكن أن يتم بأساليب سياسية ! وهذه العلاقة على الرغم من هذا التبرير الذي يبدو منطقياً مازالت غير محسومة .

العلاقة غير المحسومة تعرض مفهوم الخبرة لأحد مشاكله . فيقع بعض الخبراء في خطأ الاعتقاد بأنه مادام التخطيط أو التحليل السياسي أصبح سياسياً وفنياً في نفس الوقت ، فلا تثريب على الخبير إن هو أسقط القناع عن

وجهه وقام بدور فني وسياسي معاً . أو بمعنى آخر أن يصبح عمله أكثر ميلا الى السياسة وأقل ميلاً الى عمل الخبير . هذا النوع من الخبراء لا يتمتعون بوعي سياسي . فلابد للخبير أن يعي دائماً التمييز بين البحث الواقعي وبين الطريقة التي يساهم بها في الصياغة السياسية والتخطيطية ، لأنه إن كان على الخبراء أن يلعبوا دوراً سياسياً فإنه سيكون من واجبهم أن لا ينقلوا لأرباب العمل المعلومات الفنية فقط بل والأفكار والآراء السياسية ، وهذا تداخل يفسد مهمتهم

إن مهمة الخبراء تقتضي الربط بين ما تتطلع إليه المؤسسات التي يعملون بها من مردود ، وبين ما تحتاجه هذه المؤسسات من عطاء ، أي ما هي أهدافها ، وكيف يمكن لها أن تحقق هذه الأهداف . فهم ليسوا سياسيين بالمعنى الحرفي للكلمة ، ولكنهم يعرفون المسار السياسي في البلد الذي يخدمون فيه ، ويعززون هذا المسار ويسددونه واضعين أعينهم على المستقبل .

إن الخبراء يختلفون عن السياسيين في أمرين ، الأول أنهم ليسوا مجبرين بالضرورة أن يخفوا الحقائق غير المرغوب فيها عن الجمهور كما يفعل السياسيون أحيانا ، وإن أخفوها فترة فإن التنافس بينهم سوف يظهرها والأمر الثاني أنهم يهتمون بالأهداف والمحصلات النهائية لا المظاهر الخارجية ، حتى لو كانت هذه الأهداف لا تحقق مستوى عال من إجماع الرأي العام كما يشترط السياسيون

● كيف يكسب الخبراء الثقة ؟

في بعض المجتمعات يصبح للخبراء نفوذ أقوى من السياسيين . وعلى الرغم من أن صاحب العمل عندما يشعر بحاجته الى خبير يستعين بمشورته ، فإنه يحاول أن يظل هذا الخبير تحت إشرافه المباشر ، أو يستعين بأكثر من خبير ، كي يدب بينهم الخلاف ، فليس هناك أسهل من السيطرة على مجموعة من المختلفين إلا أن هناك أربعة مصادر أساسية يستمد الخبراء منها قوتهم ونفوذهم .

أولا . سهولة الوصول الى مراكز القوة سواء كان رب العمل رئيس جمهورية أو رئيس محكمة ، فلن يستعصي على الخبراء الوصول اليه ، وليس هناك ريب في أن بعض أبواب هؤلاء المسئولين قد لا تكون مفتوحة دائماً ، ومهما بلغت أساليب (رب العمل) من إبعاد الخبراء فهو لا يستطيع الاستغناء عنهم ولا عن نصائحهم ، ولا يستطيع أن يهمل قراءة التقارير التي يكتبونها ويغتنم الخبراء الأذكياء هذه الفرصة ويستغلونها أفضل استغلال ، ويعطون رب العمل خلال نصف الساعة المتاح حين يستدعيهم لمقابلته ، معلومات



تحتاج الى نصف عام من طالب نشيط لهضمها ، مركزين على الأخطاء الأساسية والواضحة .

إمكانية الوصول الى مراكز القوة تتيح لهؤلاء الخبراء سلعة سياسية يمكن مقايضتها بخدمات أخرى في المجتمع .

ثانيا : الخبراء يتعاملون في سلعة نادرة هي المعرفة ، ولا نعني بالمعرفة هنا مجرد توافر المعلومات التي تصل الى الخبراء بحكم مهنتهم ، ولكن المعلومات التي يستطيعون الحصول عليها بجهودهم الخاصة ، ثم يقومون باستخلاص بعض النتائج منها . وحيث أن معلومات الخبراء تعتبر سلعة سياسية فهي إذن قابلة للمقايضة مع السياسيين ، وعن طريق ذلك يسعون للتأثير في السياسة العامة للدولة

ثالثاً : تشكيل التحالفات . **فبعض** الخبراء ليسوا على دراية كافية بالأساليب السياسية ، فهم يهملون المفيدين ، ولا يهتمون بأخذ رأي المنتفعين ، ويحصرون اهتمامهم بصاحب العمل . إلا أن هناك فئة أخرى من الخبراء يتقدمون خطوة على من سبق ذكرهم هؤلاء يهتمون بعملية التعبئة ، فهم يعرفون سلفاً من الذي سوف يدعم توصياتهم ، كما أنهم يهتمون بالمنتفعين ، ويسعون لدعم توصياتهم وإذا ما نجح الخبراء في استقطاب عدد من المفيدين والمنتفعين الى اقتراحاتهم زادت أهميتهم في نظر صاحب العمل وعلا شأنهم . فتشكيل التحالفات وكسب المؤيدين يزيد من قوة الخبراء .

رابعاً . يدرك الخبراء جميعاً أن اختلافهم في الرأي يعطي الفرصة لصاحب العمل لاهمال توصياتهم ، لذلك فإنهم يعمدون الى تشكيل مؤسسات مهمتها جمع المعلومات المتفق عليها وتنسيقها سعياً للخروج برأي واحد جماعي ومتفق عليه . هذه المؤسسات تحتكر المعلومات ويصبح الخبراء محتكرين للمعلومات الحيوية ، فهي إذن جماعات تتمتع بالقوة التي يمنحها الاحتكار للمحتكرين

ما سبق هو مجموعة من الأفكار الرئيسية التي تضمنها الكتاب الذي عرضناه وموضوعها حيوي مازال يحتاج الى المزيد من الكشف والدراسة . ولكن الخبرة تمر بأزمة خلقتها هي نفسها ، فبدلا من أن يتجه الخبراء لحل مشكلات المجتمع وإيجاد طرق بديلة ورخيصة لتلمس مسارات التقدم للبشرية ، اتجه الخبراء للتفكير في وسائل كبح منتقديهم ، ومحاربة الآراء المخالفة لآرائهم وعلى الرغم من دورهم الاجتماعي الجديد الغامض على الكثيرين ، إلا أن الخبراء يشكلون مجموعات التحدي الأكثر حداثة في المجتمعات المعاصرة

فهل نستمع الى آرائهم ؟ □

محمد الرميحي

الأرجوحة الأولى

شعر: [illegible] *



سقطت دمعة من فمي
وأنا تائه في دروب السفر
[illegible] فوق شجر
أحمل الجرح في الصدر [illegible]
وتر
وأني لعصفورة ترسم الحلم
أرجوحةً للقمرْ
لا عيونُك تأتي ولا الحلمُ من
دمعي يختصر
ليس لي غيرَ جرحي سراجاً
يكسر عتم الليالي
وقلبي ورود تنام بغصنِ شجرْ
فأنا لحن أغنيةٍ تعبت من
ليالي السهر
وأنا وردة ذبلت في الحقائبِ
بين شِفاه الزمانِ
على طرقاتِ السفرْ
سقطت دمعةٌ من فمي
وأنا تائهٌ في دروب السفر
لا عيونك تأتي ولا الحلمُ من
دمعي يختصرْ

---

* شاعر من القطر السوري ـ حمص

منهج التجديد
في الفكر الإسلامي

بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

الأمة التي ترفض التجديد ، ولا تمارس حقها فيه ، تلغي ذاتها ، وتضعف من إمكاناتها الفكرية ، وترضى لنفسها أن تكون عالة على أجيال سابقة أو لاحقة . تلك هي رؤية الكاتب حول منهج التجديد في الفكر الإسلامي ، كأداة للتواصل ، استمرارا للبقاء والصمود في وجه التطورات المستحدثة .

كلمة التجديد تعني تكوين طروف الاستمرارية ، وتجديد الفكر يعني استمرارية الايمان بصلاحية ذلك الفكر ، لكي يكون أداة لتوجيه الانسان وهدايته ، ومن هذا المنطلق يكون التجديد مطلبا ملحا ، لأنه يمثل العلاقة بين الانسان والفكر ، فإذا توقفت عوامل التواصل بين الانسان والفكر جمد الفكر وتراجع دوره .

والتجديد هو أداة التواصل ، لأنه يعطي للفكرة بعدها الزمني ، عن طريق ربط تلك الفكرة بالرؤية المتجددة التي تمنحها القدرة على الاستمرار والبقاء والصمود في وجه التطورات المستحدثة التي يفرضها الواقع الجديد ، وتألفها الأجيال اللاحقة

ولا أظن أننا بحاجة الى إقامة الدليل على أهمية التجديد بالنسبة للفكر ، فالتجديد هو وسيلة الاستمرار ، لأن العقل البشري من حقه أن يباشر مسؤولياته في فهم الظواهر الانسانية ، وأن يفسرها بما يراه ويعتقده ، وهو يمارس بذلك صلاحيات مشروعة ، وليس من الانصاف أن ينكر جيل سابق على جيل لاحق حقه في ممارسة رؤيته المتجددة لقضاياه الفكرية ، لأن الإنكار لا يلغي ذلك الحق ، ولا يوقف ممارسة الانسان له بطريقة اعتيادية من غير تكلف أو تجاوز

والفكر الاسلامي لا يختلف عن الفكر الانساني من حيث قابليته للتجديد ، ومن حيث خصائصه الانسانية ، إلا أنه يختلف عنه في جوانب خاصة ، تكفل له الاستمرارية وسلامة المنطلق ، ويبرز ذلك الجانب المتميز في الفكر الاسلامي من خلال ما يمتاز به من خصائص ذاتية وغايات إنسانية

أما الخصائص الذاتية فتتمثل فيما يلي

أولا : إلهي المصدر وهذه الخاصة تكفل للفكر الاسلامي أن يكون في منأى عن المصالح والأهواء ، لأن التوجيه الالهي تكفّل للفكر أن يكون أصيلا في تكوينه ، إنسانيا في غاياته ، أخلاقيا في مواقعه ، لا يضل ولا ينحار ولا توجهه مصالح الأقوياء ، ولا تعبث به عواطف أهل الأهواء ، يحكم في البشر ، ويرسم لهم طريق السلامة ، لكي تكون المجتمع في أمن واستقرار

ثانيا الثبات والاستمرار وهذه الخاصة تكفل للفكر الاسلامي أن يكون معبرا عن معنى التواصل والتكامل بين الأجيال المتلاحقة ، بحيث يكون الجيل اللاحق مؤتمنا على مبررات الأجيال التي سبقته ، مضيفا إليها رؤيته المتجددة ، لكي يكون صيغة هذا الفكر في متناول الجيل اللاحق

ثالثا أخلاقية الأهداف وهذه خاصة واضحة ، نجدها في كل حكم من الأحكام ، وفي كل موقف من المواقف ، ولا يمكن للفكر الاسلامي أن يتجاوز هذا المنهج الأخلاقي الذي يعبر عن أصالة الفكر الاسلامي كفكر يستمد أصوله من نصوص معتمدة ، لا تقبل النسخ والإهمال ، لأنها نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية

أما الغايات الانسانية للفكر الاسلامي فتتمثل بما يلي

أولا تنظيم المجتمع ورقيه وهذه غاية نجد ما يؤكدها من خلال تتبعنا الدقيق للأحكام الشرعية التي اتسعت في تنظيمها للحياة الانسانية ، بطريقة يسرت على الانسان أمره ، لكيلا يضيع في متاهات التردد ، باحثا عن الطريق الموصل إلى العدل والحق والفضيلة

ثانيا محاربة الاسطورة في مجال العقيدة وذلك لأن الفكر أداة للهداية ، ومن أبرز غاياته تحرير الانسان من الخرافة والأسطورة ، بطريقة حادة ، لكي يشعر عندئذ بإنسانيته التي أكرمها الله بنور العقل وهدايته

هذه مبادىء أساسية ، لا تخضع للتجديد أو التغيير ، لأنها منطلقات أساسية ، تحمي الانسان من الانحراف ، وتبعده عن مواطن الزلل

وبعد ذلك يبتدىء دور العقل ، وهو أداة التكليف بممارسة حقه في النظر والفكر ، في حدود ما انيط به من تفسير لنصوص أو تأويل في فهمها في إطار الضوابط المنصوص عليها التي يدركها الحس السليم ، ويعترف بها المنطق السديد

والتجديد أمر لا خيار فيه ، وهو مطلب عقلي واجتماعي ، لأن العقل يتطلع إليه لممارسة حق مشروع ، والمجتمع يتطلع إليه لترويده بالرأي الذي يحقق له المصالح المشروعة التي أقر الاسلام بها في مبادئه الأساسية

وتبرز مبررات التجديد في العوامل التالية

أولا التطور المستمر في طبيعة الحياة الاجتماعية وهذا أمر شاهد ومسلم به ، ولا مجال لإنكاره ، لأن الحياة كالنهر المتدفق بالحياة المتجددة ، ولا يمكن أن تتوقف الحياة ، ومهمة الفكر أن يواكب مسيرة الانسان ، لكي يكون معبرا عن تصوراته الفكرية ، النابعة من الرؤية الزمنية لقضايا الانسان واهتمامه ، والذين يرفضون التجديد ينكرون واقعا قائما متمثلا في أجيال متلاحقة ، تتجدد قضاياها ، وتتجدد معها رؤيتها الفكرية

ثانيا قابلية النصوص التشريعية للفهم المتجدد وهذا مبدأ لا خلاف فيه ، فالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة تقبلان التفسير والتأويل ، وليس من حق أي جيل أن يختص بهذا التفسير والتأويل مدعيا في ذلك حقا خاصا ، يمارسه دون غيره ، فالأجيال المتلاحقة سواء في حقها المشروع في التفسير والرأي ، والخطاب الشرعي متجدد في كل عصر ، وهو خطاب لكل مكلف ، ومن حق المكلف أن يقرأ الخطاب ، فإذا توفرت فيه القدرة على الفهم والتفسير التأويل فهو مكلف به ، ولا عذر له في تقليد يحاكي به عوام الناس ممن تنقصهم الكفاءة والقدرة

ثالثا ضرورة مواكبة الفكر الإسلامي لحاجات الانسان وذلك لأن الفكر غايته الانسان ، ولا

يجور لهذا الفكر أن يكون معرولا عن قصايـا دلك الانسان ، فإن رصي لنفسه بالعرلة فقـد حكم على نفسه بالحمود والتراحع ، والفكر الاسـلامي يملك كل قابليات النماء ، وهدا منهج استحدمه أسلافنا في عصر النهصة والتقـدم بدكـاء وشجاعـة ، وتصدوا لأداء دورهم في إثـراء الفكر الاسـلامي عن طريق الاحتهاد الدي أقره الاسلام ودعـا اليه ، ولا يمكن لأحـد أن ينكر أهميـة الاحتهـاد في تـاريـخ الفكـر الاسلامي ، وفي تكوين أهل المدارس الفكرية التي أغنت الفكر الاسلامي بتراث حالد ، سيظل معلمة مصيئة في تاريخ أمتنا

معايير التجديد

يخصع التجديد في مجال الفكر التشريعي لصوابط صرورية ، تعطي لدلك التجديد شرعيته ، وتمنعه من أن يكون تحديـد انحراف يقـود إليه عقـل غير متبصـر ، وهـوى نفس لم تبلغ رشـدهـا وكمـالهـا الأحلاقي ، ووسيلة التحديد في الفكر التشريعي هي الاحتهاد الملترم بالصوابط الشـرعية ، وهـو احتهاد مشـروع وصروري ، ولا مبـرر لمن توافـرت فيـه شروطه في أن يتقاعس عنه ، كسلا أو ورعا ، وليس من الورع في شيء أن يتحلى المحتهد عن مسؤولياته الفكرية .

وتتمثل معايير الاحتهاد المشروع بما يلي

أولا عدم الاحلال بالنصوص الثابتة ودلك لأن الفكر الاسلامي يختلف في خصائصه عن الفكر الوصعي من حيث المصادر ، فالفكر الوصعي فكر بشـري ، يخصع للعقـول المحردة ، ولـلاحتهادات الفكرية من غير صوابط أو قيود ، بحلاف الفكـر الاسـلامي فهو فكـر ملتزم بمصـادره الأسـاسيـة ، لا يتحاورها بـرأي ، ولا يناقضهـا باحتهـاد ، فإن تحاورها أو تنكر لها فقد صفته الاسلامية ، وأصبح خاصعا لما يخصع له الفكر الوصعي من قابليات الخطأ والالغاء والتحيز والحيف ، وتعتبر الدلالة اللغويـة هي معيار التفسير والتوضيح ، فما أفادتـه الدلالـة اللغوية عن طريق القطع والجرم يدحل صمن حكم النصوص القاطعة ، وما أفادته الدلالة اللغوية عن طريق الظن حصع لقواعد الاحتهاد ، وتثبت الدلالة اللغوية للكلمـة العربيـة عن طريق النقـل المتواتـر والاستعمال المتكرر ، كما تثبت عن طريق الاستنباط العقلي المؤكد بـالنقل عن علماء اللغـة أو استعمالهم للألفاظ اللغوية ، واحتلف العلماء في حكم إثبـات المعاني اللغوية عن طريق القياس ، والرأي الراجح أن القياس اللغوي يحتاج إلى إثبات استعمال العرب له وقبولهم به ، لكيلا يتحكم العقل في المعاني اللغوية بطريقة تعسفية

وتخصع النصوص التشريعية الثـابتة في تـوضيح دلالاتها الشرعية لقواعد التفسير المقررة ، وأهم تلك القواعد ما يلي

الأول الالترام بالمعنى اللغوي الذي أقره علماء اللغـة ، مع مـراعاة المصـطلحـات الشـرعيـة التي أحرجها المشرع من معناها اللغوي العـام إلى معنى خاص دل عليه النص عن طريق أدلة قطعية ، وهدا التغيير في معاني المصطلحات الأسماء لا يخرج الكلمة عن معناها الأصلي ، لأن التصرف في اللفظ العربي أمر مألوف في اللغة العربية ، وقد جرى العرف على تخصيص بعض الأسماء للدلالة عـلى المعاني القـريبة منها

الثاني تحديد علاقة اللفظ بالمعنى المستفاد منه ، عن طـريق مـراعـاة القـواعـد المقـررة عنـد علماء الأصول ، بحيث يكون استعمال اللفظ معبرا عن معنى أراده الشرع ، وكلما كانت العـلاقة واضحـة وظـاهرة بـين اللفظ والمعنى كـانت مهمـة المجتهـد أيسر ، وفي ظل الوصوح تضيق دائرة الاحتهاد ، إلا أن اتساع الدلالة اللفظية على المعاني الشرعية يساعد عـلى نمو حـركة الاجتهـاد وازدهار الـرأي واتسـاع الفروع الفقهية

ثـانيا احتـرام القواعـد الاحتهاديـة وتعتبـر القواعد الاحتهادية من أهم صـوابط الفكر ، لكي يكون أصيلا من منطلقاته ، لا يزيغ ولا يضل عن غاياتـه ، والاجتهاد هـو الجهد العقـلي الذي يبـذله المحتهـد في استنبـاط حكم من دليله ، وهـو أداة التواصل بين النصوص الثابتة والمصالح المتجددة .

وتتسع دائرة الاحتهاد لكي تشمل المواطن التالية

١ - القضايا التي لم ينص عليها القران والسنة ، وهدا هو الموطن الأوسع لحركة الاحتهاد ، لأن القضايا الحديدة متكاثرة ، ويفرضها الواقع الاحتماعي والاقتصادي ، والنصوص محدودة ، والوقائع متحددة ، والوسائل إلى تحقيق المقاصد ليست واحدة .

٢ - النصوص التي وردت في إطار الظنية في ثبوتها أو دلالتها ، وهنا يتصدى الاحتهاد للبحث عن صحة السند من حلال دراسة دلك السند وطرق روايته ، أو يتصدى الاحتهاد للبحث في تفسير تلك النصوص بما يؤدي إلى وضوح الدلالة على المعاني المرادة منها

أداة تنظيم ومنهج للحياة

والتحديد عن طريق الاحتهاد هو التحديد الأصيل الذي لا يحور الحلاف فيه ، لأن منهج الاحتهاد مقرر ومعترف به ، وفي الوقت الذي لا يباشر أهل الاختصاص والكفاءة واجبهم في إبداء الرأي في القضايا الاحتهادية فإنما يسهمون بطريقة مباشرة في إقصاء الشريعة عن أداء دورها الاحتماعي كأداة للتنظيم وكمنهج للحياة الانسانية ، وهم في هذا يسهمون في عزلة الفكر الاسلامي وضعفه وجموده ، لأن الفكر ينمو بالجهد البشري

وادعاء الورع في أمر الاحتهاد لا يعتبر مبررا للتهرب من المسؤولية في إبداء الرأي والتعبير عن موقف الاسلام من القضايا الشائكة والمستحدثة التي تواحه المجتمعات الاسلامية اليوم ، وليس من الورع في شيء أن يمسك العلماء عن الاحتهاد ، تهيبا وخشية ، فالمسؤولية تفرض على أهل الاختصاص أن يتصدوا للاحتهاد ، لكي تؤدي الشريعة الاسلامية دورها في تنظيم حياة المجتمعات الاسلامية

وهناك قاعدتان لاستحداث الأحكام الشرعية هما

القاعدة الأولى القياس

تقوم على أساس الحاق المسكوت عن حكمه بالمنصوص عليه عند مشاركة المسكوت عنه للمنصوص في علة الحكم ، وكلما كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنصوص عليه كانت العلاقة القياسية أولى وأظهر ، وأحيانا لا يكون الالحاق ظاهرا بين الأصل والفرع ، لتعدد المعاني التي تجمع بينهما ، مما يجعل القياس معقدا وصعبا ، وهنا تبرز الحاجة الى البحث عن العلة التي تعتبر من أهم ضوابط القياس ، لأن الشرع ينيط الحكم بوصف لا يصعب على العقل البشري إدراكه ، مما يدخل ضمن المقاصد الشرعية المتضمنة لجلب نفع أو دفع ضرر مما أقر الشرع الحنيف اعتباره ، وقد أفاض علماء الأصول في بحث الوصف المناسب ، لكي يكون علة في القاعدة القياسية ، واشترطوا فيه أن يكون ظاهرا ومنضبطا ومتعديا ، وألا يكون مما ألغى الشارع اعتباره

القاعدة الثانية المصالح المرسلة

وتقوم على أساس حرص الشرائع على تحقيق مصالح الخلق المتمثلة في جلب المصالح ودرء المفاسد ، وتنقسم المصالح إلى قسمين

- مصالح معتبرة في نظر الشرع ، وتتفاوت بحسب أهميتها للانسان ، فمنها الضروري ، ومنها الحاجي ، ومنها التكميلي ، وجاء اعتبار هذه المصالح للمحافظة على النفس والعقل والمال والعرض

- مصالح ملغاة في نظر الشرع ، وجاءت نصوص تلغي اعتبار تلك المصالح ، لوجود اعتبارات أكثر أهمية بالنسبة للانسان ، فمصلحة المرابي ملغاة ، ومصلحة المحتكر ملغاة ، ومصلحة شارب الخمر ملغاة ، ومصلحة السارق ملغاة وسبب إلغاء هذه المصالح ما يترتب عليها من أضرار بحق المجتمع كله

والمراد بالمصالح المرسلة هي المصالح التي لم يذكر فيها نص بالاعتبار أو الالغاء ، وتركت للمجتمع ، لكي يقرر فيها حكماء الأمة وعقلاؤها التنظيم الذي يحفظ الحقوق ويصون الحريات

والتجديد لا يعني الخروج عن دائرة الأحكام الشرعية ، لأن ذلك التجديد يحمل معنى الهدم للقيم

الأصيلة لهذه الأمة ، وهو أداة للفوضى والاضطراب ، وكل تجديد يتجاوز النصوص الثابتة أو يتنكر لها محكوم عليه بالفشل

أما التجديد الذي ندعو اليه فهو اعتماد المنهج الأصولي الصحيح في تفسير النصوص وتأويلها ، وهو منهج يشجع الرأي ، وينكر التقليد والجمود ، والأمة التي ترفض التجديد ولا تمارس حقها فيه تلغي ذاتها ، وتضعف من إمكاناتها الفكرية ، وترضى لنفسها أن تكون عالة على أجيال سابقة أو لاحقة

وإذا كان منهج الاجتهاد الفقهي يشجع الرأي ، ويناط بالعقل البشري أن يتحمل مسؤوليته كاملة في ميدان التفسير أو في ميدان الاجتهاد فإن التجديد في ميادين الفكر الانساني أمر طبيعي ومنطقي ، لأن العقول البشرية مكلفة بأن تمارس إنسانيتها من خلال ما تفكر فيه

اتجاهات التجديد

لقد حمل تاريخنا الطويل مواكب متلاحقة من دعاة التجديد ، وكان لفكرهم دور رائد في مواصلة العطاء وتصحيح المسيرة ، سواء في ميدان العقيدة أو في ميدان الفكر والتشريع ، ولم يضق صدر الاسلام بهؤلاء ، وإنما ضاق صدره بما أثقل كاهل الفكر الاسلامي من انحراف وجمود وتقليد ، حتى أننا أصبحنا نعطي للتاريخ قداسة ، وللتراث عصمة ، وهذا منهج لا يستقيم مع منهج الاسلام الذي يرفض القداسة والعصمة ، ويجعل أمر الفكر في موطن رعاية العلماء المؤتمنين على مواصلة العطاء ، لكي تظل شعلة الفكر متوهجة ملهمة ، تنير الطريق ، وتعبر المسالك أمام قوافل المؤمنين برسالة الاسلام

إن الفكر لا ينمو بالتقليد ، وسيادة منهج التقليد في مجال الفكر مؤشر واضح على تخلف الأمة ، وعجزها عن العطاء ، والتجديد لا يعني التعبير ، وانما يعني الاصالة المتميزة التي تطبع الفكر بطابع عصره ، لكي يكون وليدا شرعيا للمجتمع ، يحمل قسمات ذلك المجتمع ، ولا يمكن لمجتمع حي أن يتخلى عن مسؤوليته في إبداء رأيه فيما يواجهه من قضايا فكرية

والفكر الاسلامي يملك إمكانات التجديد المستمر ، لأن النصوص الشرعية التي تعتبر مصادر أساسية للفكر الاسلامي أناطت بالعقل البشري مسؤوليات جسيمة ، واطمأنت الى سلامة اختياراته ، ووضعت له قواعد وضوابط لكي تكون رحلته في البحث والاستنتاج والاستنباط محكومة بمؤشرات الوقاية من الخطأ والضلال ، مطوقة بكل أسباب السلامة

والانسان هو أداة التجديد ، وهو الغاية من كل تجديد ، والتجديد مؤشر على نضج الممارسة العقلية ، وتحمّل الانسان لمسؤوليته في التعبير عن تجربته الذاتية ورؤيته المتجددة لقضايا عصره ، فإذا مارس الانسان هذا الحق المشروع بحرية وشجاعة كان مؤهلا لحمل المسؤولية ، وإن تقاعس عن ممارسة هذا الحق لجهل أو عجز أو خوف كان جديدا بأن يكون في مؤخرة الصفوف

وإن مجتمعنا الاسلامي اليوم مطالب بأن يتصدى لقضاياه الفكرية ، مؤكدا في ذلك أصالة الفكر الاسلامي وتميزه بخصائص ذاتية وإنسانية

وإذا لم يتصد علماؤنا ـ وهم رموز الحياة الفكرية في مجتمعاتنا المعاصرة ـ لتحمل مسؤولياتهم في الإعراب عن آرائهم الفكرية ، في القضايا المطروحة على مجتمعنا ، فإن من المؤكد أن عصر التراجع والتخلف سيمتد وسيطول ، وسيبحث مجتمعنا بعد أن يفقد أمله عن البدائل الفكرية المتزاحمة التي نراها في كل يوم وهي بدائل لن تسهم في رقي مجتمعنا ، ولا في ازدهار فكره ، لأن الفكر الدخيل ليس كالفكر الأصيل في قدراته على مخاطبة شعبنا ، وعلى تلمس مشاكلنا

وسيظل منهج التجديد في مجال الفكر الاسلامي هو الأمل الذي لا خيار لنا في تجاوزه ، لأن مجتمعنا ضاق بليل الظلام ، ويتطلع إلى مشاعل التجديد التي ستضيء ذلك الليل ، وتطارد ظلامه الدامس ، لكي يطل من خلف الأفق البعيد ذلك النور الخافت الذي يحمل في يديه بشرى عهد جديد ، يتصدى فيه فكرنا الاسلامي لكل التحديات الفكرية المعاصرة □

كثير من الكتاب والمفكرين العرب ، يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون لها كتابة ونضالا ، لكن أي وحدة هي المقصودة ؟

هناك أشكال عديدة مقترحة ، وهناك تطبيقات عديدة في أشكال الوحدة على الصعيد العالمي

فإلى أي شكل يميل الكاتب ؟ وما هي الاجتهادات التي يتضمنها مقاله ؟

إشكالية الوحدة الإقليمية في الفكر العربي الوحدوي

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

من « الحلقات المفقودة » في الفكر العربي الوحدوي حلقة « الوحدة الجغرافية الطبيعية » التي يمكن أن تقوم بين عدة أقطار عربية متجاورة ، يجمعها إقليم جغرافي عربي واحد

إن هذه الفكرة عندما تطرح تثير مشاعر قلق وحذر في أوساط الوحدويين العرب ، وأوساط العرب بعامة ، وتتم المسارعة الى التذكير بمحاذيرها ، قبل النظر بهدوء وتجرد في جانبها الايجابي ، وفي إمكاناتها المحتملة لخدمة حركة الوحدة العربية ككل على المدى البعيد ، ويتجه الرد عليها سريعا الى طرح بديل « الوحدة العربية الشاملة » ، كأنما يقوم تناقض وتعارض بين الفكرين

طروحات قديمة

والواقع أن الطريقة التي طرح بها انطون سعادة مؤسس الحزب القومي السوري فكرة الوحدة الجغرافية لإقليم سوريا الكبرى (بلاد الشام) في الثلاثينيات كان لها أثر كبير في خلق هذا الشعور بالتناقض بين فكرة الوحدة الجغرافية الطبيعية لأي إقليم عربي ، وبين فكرة الوحدة العربية الشاملة من المحيط الى الخليج

فقد طرح سعادة الوحدة الطبيعية السورية فكرة نقيضة للوحدة العربية ، من منطلق العداء والاستصغار للعرب ، ومن منطلق الزعم بأن الأمة « السورية » التي يتحدث عنها في تصوره أمة متفوقة حضاريا وسلاليا على العرب وعلى غيرهم ، وأنه لا

يقوم بينها وبينهم رباط قومي واحد*

ثم إنه رسم لهذه الوحدة المتخيلة في تفكيره حدودا « استمرارية » للأقطار العربية المجاورة التي استبعدها من مفهومه

فكما نص « المبدأ الخامس » لدستور حزبه الذي تبلور بين ١٩٣٤ ـ ١٩٣٧ فإن « الوطن السوري » القومي يمتد « من جبال طوروس في الشمال الى قناة السويس في الجنوب ، شاملا شبه جزيرة سيناء ، وخليج العقبة ، ومن البحر السوري في الغرب (يقصد البحر الأبيض المتوسط !) الى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة »

فسعادة يقتطع سيناء من مصر ، ويصل الى عمق أراضي العراق وقد تصدى المفكرون القوميون العرب لهذا المفهوم في حينه ، وأبان ساطع الحصري أن سعادة أخطأ في أبسط مبادىء الجغرافيا الطبيعية عندما تحدث عن « التقاء الصحراء بدجلة » ، في حين أن الصحراء لا تلتقي بدجلة في أي مكان كان ، لأن الفرات يقع في غرب دجلة ، فالصحراء التي يشير إليها (الزعيم) تلتقي بالفرات لا بدجلة ، وذلك خلط جغرافي غريب ، يخالف الدقة العلمية التي يجب أن تلازم البحث والتفكير (ساطع الحصري ، دفاع عن العروبة ، ط ٢ ، ص ٤٨ ـ ٤٩)

ولتفادي هذا الخطأ قام سعادة بإعادة تعريف وطنه القومي على النحو التالي « الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي تمتد من جبال طوروس في الشمال الغربي وجبال البختياري في الشمال الشرقي الى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب ، ومن البحر السوري في الغرب ، شاملة جزيرة قبرص ، الى قوس الصحراء العربية ، وخليج العجم في الشرق ، ويعبر عنها بلفظ عام الهلال الخصيب ونجمته قبرص »

هنا أضيف العراق برمته الى « الوطن القومي » ، وحاول سعادة التعبير عن المفهوم الجغرافي الجديد ، بدمج كلمتي سوريا والعراق في كلمة واحدة هي حسب نحته سوراقيا !!

ويلاحظ التعمد في إضافة جزيرة قبرص الى حدود تلك « الوحدة » ، لكونها أقرب بقعة غير عربية يمكن اضافتها ، فلا يعود « الوطن السوري » هو الوطن السوري العربي الأصيل الذي عرفه العرب في تاريخهم ، ويعرفونه جيدا في حاضرهم

والمعروف أن الحزب القومي السوري في تحولاته في العقود الأخيرة قد صحح الكثير من مفاهيم سعادة عن العروبة ، وتواتر حديثه عن « كتلة عربية متقاربة » ، تقوم بين الأقاليم الجغرافية العربية الأربعة ، بما فيها الاقليم الطبيعي لسوريا الكبرى ، غير أن الأثر الذي تركه الصراع بين سعادة ومفكري العروبة ـ وكان صراعا مريرا في الواقع ـ كان له دور كبير في إحاطة فكرة « الوحدة الجغرافية الطبيعية » في الفكر العربي الوحدوي بمشاعر مترسبة من الريبة والحذر الشديد

ومما زاد الطين « بلّة » أن السياسة البريطانية الاستعمارية في المشرق العربي طرحت في الفترة نفسها تقريبا فكرة توحيد « الهلال الخصيب » ، وذلك لاحتواء النفوذ الفرنسي في سوريا ، ولمواجهة حركة توحيد أقطار الجزيرة العربية التي قادها الملك عبد العزيز آل سعود ، بوضع حاجز سياسي إقليمي ، يفصل بلاد الشام عن بلاد الجزيرة العربية ، ويمنع مواصلة توحيدهما ، كما يشكل كتلة عربية مشرقية شمالية ، تواجه الثقل المصري في آسيا العربية

كل هذه الاعتبارات أبعدت فكرة الوحدة الجغرافية الطبيعية في الوطن العربي عن إطارها الموضوعي المجرد الذي يمكن أن تعالج من خلاله ، وحفزت الوحدويين العرب لمقاومتها ، خاصة في أقطار الهلال الخصيب نفسها التي طرحت فيها الفكرة ، ثم في سائر الأقطار العربية

غير أنه بعد تعثر محاولات الوحدة العربية الشاملة

---

* وكان سعادة يعكس بهذه النزعة تأثره بالنزعة الهتلرية المتصاعدة عندئذ

التي لا تأخذ باعتبارها قاعدة التقارب الطبيعي والحوار الجماهيري ، كالمحاولة التي بدأت بوحدة مصر وسوريا ثم الحاق اليمن بها ، وبتوحيد القيادة السياسية ، بعد ذلك بين مصر والعراق في الستينيات. بعد مثل هذه المحاولات المتباعدة وغيرها والتي لم تتبلور في نمو قاعدة وحدوية مستمرة ثابتة ، فإنه لابد من إعادة الفكر والنظر لاستكشاف وسائل أخرى لتحقيق الوحدة العربية.

الوحدة والفترة الراهنة

ويبدو « مدخل » التقارب فالتوحيد الطبيعي الجماهيري القائم على وحدة الحوار ووحدة الإقليم من أفضل البدائل العملية والواقعية المطروحة في الفترة التاريخية الراهنة من تاريخ العرب ، وتاريخ هذا العصر ، على أن يكون واضحا في الأذهان منذ البداية ، وجليا في النوايا والأعمال،أن ذلك يمثل خطوة مرحلية ـ وإن تكن طويلة الأمد ـ لتحقيق الوحدة العربية الشاملة في النهاية ، ودون أن يتحد التوحيد الاقليمي الطبيعي أي طابع مناف لمبادىء الأخوة العربية ، والتكافل العربي ، بأي شكل من الأشكال ، معنويا أو ماديا ، ظاهرا أو باطنا.

إن عملية الوحدة الشاملة في منطقة حساسة كالمنطقة العربية التي تقع في قلب العالم استراتيجيا ، تمثل حدثا انقلابيا خطيرا في السياسة الدولية والتوازن الدولي ، بحيث تستعدي على الفور كل القوى الكبرى في العالم ، وتدفعها الى محاربتها وإجهاضها. وليس صدفة أن مختلف هذه القوى من الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفياتي ، الى أوروبا تقف من حركة الوحدة العربية الشاملة موقفا حذرا للغاية ، ظاهرا أو باطنا ، وكانت سياستها منذ بداية العصر الحديث تستند الى مبدأ محاربة أي محاولة لبناء قاعدة وحدوية شاملة في المنطقة العربية.

فقد أجهضت القوى الأوروبية في القرن التاسع عشر محاولة محمد علي الكبير لتوحيد المنطقة العربية ، انطلاقا من القاعدة المصرية ، وكان تدخلها العسكري المكشوف لتحقيق هذا الاجهاض أوضح من أن يحتاج الى دليل (عام ١٨٣٩/ ١٨٤٠)

ثم أجهضت بريطانيا وفرنسا محاولة الشريف حسين والقيادة الهاشمية من بعده في توحيد اسيا العربية ، أو أي قسم مهم منها ، على الرغم من كل الوعود التي قدمتها بريطانيا بهذا الصدد ، وعلى الرغم من كل المراعاة التي أبداها الشريف لمتطلبات السياسة البريطانية. وكانت معاهدة سايكس ـ بيكو بين بريطانيا وفرنسا عنوانا صارخا « للفيتو » الدولي الموضوع على تحقيق الوحدة العربية الشاملة بشكل مباشر.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين ، وعلى الرغم من حدوث متغيرات كثيرة ، كانت ضربة الخامس من حزيران ١٩٦٧ للقاعدة الوحدوية المصرية ـ وهي ضربة حظط لها بعناية في محافل دولية عديدة ، عربية وشرقية على حد سواء ـ آخر الاجهاضات ـ ولن تكون الأخيرة ـ لأي محاولة عربية من محاولات الوحدة الشاملة.

ويجب ألا يكون لدينا أي وهم بأن المعسكر السوفياتي أكثر تعاطفا أو تفهما لآمال العرب الوحدوية ، فموقف الشيوعية العربية المحلية من وحدة مصر وسوريا ، ومن فكرة انضمام العراق بعد ثورة تموز ١٩٥٨ الى دولة الوحدة ، موقف معروف ، وأشهر من أن يعرّف ، كما أن العلاقات بين القيادة الناصرية والقيادة السوفياتية لم تصبح قط أكثر توترا مما كانت عليه أيام الوحدة المصرية السورية ، وفي أثناء توجهات العراق للاقتراب من تلك الوحدة.

هذا بينما سارع السوفيات والشيوعية المحلية لدعم الكثير من التوجهات الانقلابية المعارضة للتيار الوحدوي ، لذلك فموقف الشرق والغرب يتساوى ، على الرغم من كل التناقضات بينهما ، من حركة الوحدة العربية الفورية الشاملة ، وآثارها الانقلابية على المسرح الدولي.

أضف الى ذلك أن وجود مركز واحد رئيس أو قاعدة واحدة رئيسية لمحاولات الوحدة العربية يستنفر جميع القوى المعادية لها ، لتوجيه ضربة

قاصمة لذلك المركز الوحيد ، كي تتبعثر حبات العقد العربي ، وتتناثر ، وتصبح هباء بلا رابطة متبقية تربطها ، مثلما حدث عندما صربت القوى الكبرى القاعدة المصرية ، وأنهكتها ، وطوقتها ، وعزلتها في أكثر من مرحلة تاريخية ، منذ محمد علي الى عبد الناصر وآثار الضربة الأخيرة مازال العرب يعانون منها الى اليوم ، ويعملون على التخفيف منها بمختلف السبل ، من أجل عودة مصر للعرب ، وعودة العرب لمصر ومصر العربية نفسها تدرك أنها لو عادت سريعا قاعدة أساسية للتوحيد العربي فإنها ستتعرض من جديد للضغط الدولي ، وليس خافيا أن « ضوابط » عديدة قد فرضت على عملية التفاعل المفتوح المطلق بين مصر ومحيطها العربي ، لمنع أي انطلاقة عربية شاملة

أما إذا تعددت مراكز التوحيد العربي بين الأقاليم العربية في مشرق ومغرب ، فإنه سيكون أصعب على القوى المعادية أن تضرب جميع هذه المراكز التوحيدية دفعة واحدة

تدرج وحدوي

كما أن التوحيد الطبيعي الجغرافي المتدرج بطبيعته ، المستند الى وشائج الجوار ، وتلاحم الأرض ، وتداخل المصالح ، ينمو بتريث ـ لكن برسوخ وثبات ـ دون أن يحدث تغييرات مفاجئة تستنفر ضده القوى المعادية ، حتى إذا تنامت الوحدات الطبيعية في الأقاليم العربية على المدى المتوسط ، أمكن النظر في التقريب بينها ضمن (فدرالية) مرنة أوسع على المدى الأبعد ، وعلى هذا المدى سيستحيل على القوى الكبرى المعادية للوحدة العربية أن تفكك هذه الوحدات المتنامية المترسخة كلها دفعة واحدة ، أو تمنع تقاربها الى مالا نهاية

كما أن التقريب بين أربع وحدات طبيعية عربية في الأقاليم العربية الأربعة التي يتكون منها الوطن العربي الكبير ، سيكون أسهل مما لا يقاس من محاولة تجميع عشرين كيانا عربيا متفرقا ، كما هو الحال في الوقت الحاضر

وأيا كان الأمر فإن طرح هذا التصور اليوم ليس من قبيل الافتراض النظري المحض ، فقد استمرت رابطة مجلس التعاون لدول الخليج العربية في اقليمها العربي وتنامت وتنشط دول المغرب العربي الكبير لإقامة رابطة توحيدية فيما بينها ، بينما تستمر خطط التقريب بين شطري اليمن ، وإعادة التقريب بين شمال وادي النيل وجنوبه

« فيا وطني الكبير ، هل تسمع النفير ؟ »
بلحن آخر مغاير ، أقل « رومانسية » هذه المرة !
ولنا عودة لترديد هذا اللحن □



■ لو كل كلب عوى ألقمته حجرا: لأصبح الصخر مثقالا بدينار. (شعر عربي)
■ حمار يحملك ، خير من حصان يرميك على الأرض . (مثل عربي)
■ المقيد بالسلاسل مع الأحبة خير من الطليق مع الأعادي في البستان .
(مثل فارسي)
■ الابتسامة عنوان الشعور ، والشعور عنوان الانسانية ، ولو أن الشيطان ابتسم لما طرد من الجنة . (برناردشو)
■ الارادة التي لا تنثني تعلو على كل شيء حتى على الدهر . (شاتو بريان)
■ عندما يخطيء رامي السهام هدفه ، ينظر لنفسه ليعرف لماذا أخطأ ، وهكذا دائما . إذا أردتم الوصول الى هدفكم ، فأصلحوا أنفسكم . (روكفلر)

قراءة في انتفاضة ابريل السودانية

عرافة الفيروز

شعر : محي الدين فارس *

وكانَ الفجرُ في رحمِ الدُّجى ماءً بلا جسدٍ ،
وقالوا لامخاضَ له ،
ولاطلقَ ،
فلا تتوقعوا رؤياه إلا بعدَ بعدَ غدٍ ،
وقد لايلمسُ المرساةَ حتى آخرِ الأبدِ ،
فَمَنْ في خارجِ المنفى
كَمَنْ في داخلِ المنفى ،
لأنَّ السجنَ في أعماقِنا .. تحتْ أفاعيهِ ،
وكادَ يموتُ ،
كادَ يموتُ
حتى بارقِ الأملِ
وَظَلَّ الليلُ تحملُنا مراكبُهُ على عَجَلِ
إلى جبانةٍ ضاقتْ وراءَ السهلِ والجَبَلِ
وكان الشارعُ المسكونُ بالعَسَسِ الخرافيِّ
وبالمطرِ الوبائيِّ
وبالموتِ الفُجائيِّ
وبالنَّمرِ الزجاجيِّ
يبثُ عيونَهُ فينا ، ويوغلُ في الطَّويَّاتِ ،
ويرصدُ هَمْسَنَا « اللاهمسَ » في كلِّ المحطَّاتِ ،
ويبن سرادقِ الأحزانِ يُصغي للوشاياتِ
نسيرُ ، فكلُّ منعطفٍ متاريسٌ مِنَ الظلمة
وافقٌ ما بِهِ نجمة
نصيخ ، وليس غيرُ الصمتِ يَكْنِسُ وَجهَ شارعِنَا
وغيرُ الريحِ مجهدة حناجرُها
مجندلة هوادِجُها
ونخلٌ حَنَّ للتقليحِ
ما طَافَتْ به غيمة
ولكنَّا
طَفَوْنَا بعدَ ما كُنَّا
وراءَ القاعِ تحتَ الموجِ واللجة
فإنَّ خُيولَنَا صهلتْ بقلبِ الغابِ محتجة
وصاحَ الناسُ كلُ الناسِ
مندهشين مَنْ أنتم ؟
أما كنتم ؟
وكان سرادقُ الأحزان والمأتم
وليلٌ ماله مرسى طويلٌ .. أبكمٌ ، أبكم !!
فكيف خرجتمو من ذلك السرداب
كَسَّرْتمْ أضلعَ ذلك القمقم ؟
وقد حارتْ
وضاقتْ أعينُ العدساتِ

---

* شاعر وكاتب من القطر السوداني

كيف تَلُمُّ ذاك السيلَ
ملءَ الشارع الغضبانِ لم يَرْحَمْ
أَجَلْ مَنْ نحن ؟
نحنُ عيالُ « تهراقا » ،
وصوتُ « مِهيرَةَ » (١) السمرا ،

و « ودْ حَبُوبَةَ »(٢) الأعظم
ونحن سيوفُ « مهدي (٣) الله »
في « شيكانَ » (٤) في « كَرَرِي » (٥)
نصونُ عروضَنا بالدم !!
وأمسي الآمِرُ الناهي بلا دارٍ ، ولا وطنٍ
طريداً يلعنُ الأحزاب ، خلفَ خرائبِ الزمنِ
أَجَلْ مَنْ نحن ؟

نحنُ عراقةُ الفيروزِ ، نحنُ قصيدة الزمَنِ
فيا ابريلُ
يا ابريلُ
ياشهرَ البطولاتِ
شَممْنا فيك عِزَّتَنا

« وصَنْدَلَ » بجدنا المَرْشُوشِ فوق مجامرِ الأفقِ
وأغلَقْنا أمَام شراسةِ التنينِ
كلَّ نوافذِ الغَسَقِ
فراقِبْ مضجعَ الأنهارِ إنْ نَامَتْ
لكي تَصْحُوَ ،
كي تَغْسِلَ بالنورِ روابيها
وكُنْ للغابة العذراءِ واليها
تَأمَّلْ وَجْهَهَا المَكْسُوَّ بالأعشابِ
حَرِّكْ دغلَها المخبوءَ تحتَ الظِّلِّ
قس أقصى أقاصيها
فسقفُ الليلِ قد يمطرُ سجيلاً
وقد يخفي وراءَ الغيمِ
مَنْ يغزو مراسيها
كُنِ الآتي من الأغوارِ ، أغوارِ مآسيها
وكُنْ تاجَ الدمِ الوهاجِ مصباحَ دياجيها
وقُلْ « ياعازَةَ » الشماء (٦) ، يا أُمَ البطولاتِ
أتيْتُكِ في يدي الحناءِ « والجرْتِكْ » (٧)
أنادي الثأرَ يا أماه في « قيسانَ » « والكرْمُلْ »

(١) مهيرة بنت عبود احدى البطلات الشهيرات
(٢) ود حبوبه : قائد الحلاوين ١٩٠٨
(٣) مهدي الله بكسر الدال دون تشديد الياء الامام المهدي
(٤) معركة عظيمة انتصر فيها جيش المهدي على جيش هكس باشا
(٥) كردي . معركة هزم فيها جيش الخليفة عبد الله بعد أن أبلى بلاء حسنا
(٦) اشارة الى أغنية « عازة في هواك » للفنان الخالد خليل فرح وهي ترمز الى السودان
(٧) الجرتك . بكسر الجيم والتاء وسكون الراء والكاف طقس من الطقوس النوبية القديمة امتزج بالطقوس الافريقية « القناع والطوطم والجرتك » ما يزال حتى الآن من طقوس الاعراس معتقدا مركوزا في العقول الباطنة للناس كمانع للارواح الشريرة وما يسمى بالكبسة وشق الامراض النفسية .

مواقف إنسانية

الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس

بقلم : الدكتور عبدالوهاب حومد

قال حكيم حبر الحياة وعركته تجاربها : « ومعظم النار من مستصغر الشرر » . وقد علمتنا الدنيا حقيقة هذه الحكمة ، ولكن قل من يأخذها مأخذ الجد في سلوكه حين تأخذه العزة بالإثم ، ويفقد القدرة على التحكم بأعصابه ، فما هو الشرر ؟ وما هي النار التي يتحدث عنها الكاتب في هذا المقال ؟



لو ساءل المرء نفسه عن أسباب كثير من الجرائم التي تقلق المجتمع وترهق المحاكم وتنشر البغضاء والشحناء بين الناس لوجد أن المأساة تكمن في ضيق الصدور وعدم التسامح ، ولكن المروءة لم تعدم كبراء في نفوسهم قالوا لانفعالاتهم موتي بغيظك في مواقف إنسانية تخرج السيطرة فيها عن طاقة الحصفاء

ترتبط وقائع هذه الجرائم بحادثة من القصص الأندلسي قرأتها في طفولتي المبكرة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، يوم جلا العثمانيون عن بلدي حلب ، ودخلتها قوات الانتداب الفرنسية

القراءة الرشيدة

في تلك الفترة تشجع والدي وأخرجني من كتاب الحي حيث كنا نحفظ القرآن الكريم بطريقة التعليم الجماعية ، ويتلو الشيخ آية عطرة بصوت منغم ونعيدها على طريقته مع انحناء الجسم إلى الأمام والوراء في حركات رتيبة ، دون أن يفسر لنا آية أو يطلعنا على روعة سورة ، وأرسلني إلى « المدرسة العالمية » وكانت نظرة أهل الحي إلى « مدرسة الدولة » هذه لا تشجع الآباء على إرسال أولادهم إليها ، فقد كان على التلاميذ أن يرتدوا بدلة زرقاء ، ويعتمروا بطربوش أحمر له « شرابة » سوداء ، تلتاح من خلفه كلما اهتز الرأس ، ثم إنها كانت تعلمهم اللغة الفرنسية والجغرافيا ، وهذه بدع غريبة على ما ألفوه عن « العَالِم » الذي كان يتفقه في المدرسة الدينية « الخسروية » ، ثم يتم « علمه » في أروقة الأزهر الشريف

ولم يكن بين أيدي التلاميذ من كتب عربية آنذاك إلا ما كان يصلنا من مصر ، مستوردا مع قوالب السكر ورز رشيد « أبو غبرة »

وكان أحلى هذه الكتب منظرا وأعذبها مخبرا كتاب « القراءة الرشيدة » ، فقد قرأنا فيه قصة ألهبت خيالي الغض ، وحفرت في زوايا ذاكرتي مكانا لها ، استقرت فيه دون أن تتمكن الأحداث وغير الدهر من أن تنال منها وكان مسرحها إحدى مدن الأندلس المسلمة ، يوم كانت راية الإسلام ترفرف خفاقة على ذراها ، تنشر في الدنيا قواعد الدين وأركان الأخلاق

الشرر !

وذات مساء وقد انقضت ثلاثون عاما على أيام « القراءة الرشيدة » وقصتها الممتعة دخل عليّ شيخ يحف به الوقار من كل جوانبه ليوكلني بتمثيل جانب الادعاء المدني في جريمة قتل وقعت الى الشمال من « حلب ذات البساتين » كما وصفها شاعرها البحتري ، وفي قلب الانعطاف الكبير الخيّر لنهر الفرات الخالد ، بعد اندفاعه من الجبال التركية إلى السهول السورية ، ففي تلك السهول المعطاءة حيث ينمو الخير مع البركة كان « أفندي » حلبي يمتلك مزرعة ، ورثها إقطاعا عن آبائه ، وكان على جانب جيد من الثقافة وحلاوة المعشر ، وفهم صحيح لما يجب أن تكون عليه العلاقات بين المالك والفلاح ، مما حببه إلى وسطه وجيرانه وكانت تدير له المزرعة أسرة جاء بها من خارج المنطقة ، عرفت فيما بعد بطرقها في الأمانة ، وتشددها في قيامها بما تحتاج إليه هذه الجنة من رعاية وسهر وكد ونصب ، وكان سهلا على كل عين أن ترى ما كانت عليه من نظرة أخاذة ، وتنظيم بديع ، يميزها عما حولها من مزارع تملكها



قبيلة بدوية ، استقرت فيها بعد أن تخلت عن حياة البداوة والتنقل في فيافي الأرض بحثا عن ماء وانتجاعا لكلأ

وكان فصل الربيع يبشر أهل المنطقة بالحصب ورغد العيش في أجواء دافئة من التواد وحرارة حسن الجوار حين سقطت المصيبة على الرءوس دون أن يتوقعها أحد ، فانتشر الحزن في السهل كله ، وعم القلق ، وتحركت عقارب الفتن وحب الانتقام

ففي صباح أحد الأيام رافق الفتى ابن شيخ القبيلة راعي شياه أبيه في منطقة رعي محمية ، وكان الفتى في تسياره المتكاسل يطلق أنغام نايه بين الحقول المزهرة ، فيحيل إليه كأن كل ما حوله وما فوقه وتحت قدميه يتمايل من أثر النشوة في أعصابه ، وكانت الفراشات المتراقصة بألوانها المثيرة تنقض على الأزهار المخضلة بدموع الصباح لتمتص رحيقها الفواح ، وتناجيه بالفتنة ، فيلح على الناي نفحا وتصفيحا ، ويطرب الناي من دغدغة أنفاسه ، فيتلوى حنانا وعذوبة ، حتى تلبسته النشوة العامرة ، وزينت له الدنيا حلم يقظة وعرسا للطبيعة أقامته على خلفية من موسيقا وزهور وخضرة وفراشات وشياه

النار !

وفي غمرة السكرة تخطت الشياه تخوم مزرعة « الأفندي » ، وتوغلت فيها بعيدا ، وكانت تقضم ذؤابات الأشتال المنتصبة ، وتدوس بغير رحمة العراس الطرية القصيرة واستيقظ الفتى وراعيه على صوت رجل يسوق مواشيها إلى زريبته ، وهو يهدد ويتوعد ، وكان محتملا أن تجد المشكلة حلا لها باعتذار ، ولكنه اندفع وراء الوكيل يشتمه ويتهجم عليه ، وتطور الموقف بسرعة غير منطقية إلى مصاربة بالأيدي والحجارة ، ولمعت السكين في يد الوكيل تحت ضوء الشمس ، ثم غابت في قلب الفتى ، فوقع على الأرض وهو يتلوى كالعصفور الذبيح ، وخشي الراعي أن يلحق بصاحبه ، فأطلق ساقيه للريح باتجاه ذويه ، حتى إذا أصبح مسموع الصوت أرسل الاستغاثة ، وأعلن نبأ الفجيعة بصورة تستفز الحصيف وتراكض من سمع بالنبأ إلى حيث وقعت الفاجعة ، لعلهم يدركون الفتى وهو حي ، ويقتصون من الفاعل على حق كان أو على باطل

وكان أسرعهم شابا كان يحمل فأسا فأدرك الوكيل على مشارف بيته غير أن الوكيل تمكن منه ، واقتاده إلى كوخ حصين وسكينه على رقبته ، ثم أغلق الباب ، ووقف يترقب تطور الأمور

وتحسس الذين لبوا النداء من رجال القبيلة جثة الفتى فلم يشعروا بأي نبض للحياة فيها ، فعلموا أنه قتل ، وأن الاقتصاص من القاتل هو أول ما يجب عليهم أن يفعلوه ، وتلك عادتهم التي درجوا عليها وتوارثوها كابرا عن كابر ، وظلوا يقيمون « عدالتهم » الخاصة باللجوء إلى الثأر برغم أنف الدستور والقوانين المرعية ، ثم إنهم ما كانوا يثقون بعدالة تتنقل فيها الدعوى من بداية إلى استئناف إلى نقض ، ويتمتع القضاة فيها بحق التمسك بالشك لصالح المتهم ، ومنح الأسباب المخففة وعدم الاطمئنان إلى الأدلة المقدمة ، وهي عدالة إن بدأت فلا يعرف أحد متى تنتهي

وأحاط رجال القبيلة بالكوخ مهددين متوعدين ، ولكن القاتل بصرهم بما ينتظر الرهينة من مصير محتوم إن هم احترقوا عليه الجدران ، أو هشموا الباب ، وكانوا على ثقة بأنه لن يتردد في القضاء عليه حين تصبح حياته مهددة

الشهامة في أجلى صورها

وفي هذه الأثناء كانت سيارة « لاندروفر » تخب في السهول الخضراء ، قادمة من شرق مضارب القرية ، وكان فيها رجل وامرأة يختلفان في ملابسهما عن ملابس أصحاب المنطقة من الأصل البدوي ، ولفت انتباه الرجل ما رآه عن بعد من تحرك غير عادي ، فقدر أن في الجو شيئا غامضا لم يستبن كنهه ، ومن باب الحذر ، وربما بدافع من شفافية الغريزة اتجه إلى مضافة الشيخ ، فأحسن الشيخ استقبالهما على عادة شيوخ القبائل ودعا لهما بطعام ، وجلس إليهما يؤاكلهما ويؤانسهما ، ولكنه نهض فجأة حين ارتفعت

أمام منزله جلبة ، امتزج فيها صراخ الرجال بعويل النساء ، ليرى الأمر ، وعلم أن ولده لقي ربه مقتولا ، وأن قاتله هو أخ شقيق لضيفه ، ولو كان رحلا كسائر الرحال لأشرع سلاحه وأخد بثأره ، وهذا في أعرافهم حق من حقوقه الشرعية ، وبدون تردد يقمع عريزة الأبوة ، ويعرص كرامته للمهانة . ولقد أشرع سلاحه فعلا ، ولكنه صوبه إلى وحوه دويه ليبعدهم عن داره ويحمي ضيفه من عدوانهم ، وناشدوه بحقوق البنوة وشرف القبيلة أن يسلمهم الرحل . فأقسم انه سيمرع ما في بندقيته من رصاص في صدر كل من يقترب منه

وحين أدركوا أنه جاد فيما يقول أتوه بجثة ابنه ومددوها أمامه ، ولكن منظر الحثة لم يزده إلا تصميما على حماية صيفه ، باعتبارهما في حماه وتحت حمايته ، ثم إن أيديهما لم تلطخ بدم ابنه ، والله سبحانه شرع في كتابه بأنه « وَلا تَزِرُ وازرة وزر أُخْرى » وارتأى دووه ألا يريدوا في إنهاك أعصابه ، فتركوه لشهامته وعناده

وفي المساء أدرك أن الطريق أصبحت آمنة ، فأحرج ضيفيه إلى سيارتهما وركب معهما وبندقيته في يده ، واتجه الركب على طريق محفوفة بالخوف والمفاحأة حتى إذا أدرك الشيخ أن صيفيه أصبحا في مأمن أمر السائق بالتوقف ، ونزل من السيارة ، ونصحه بأن يسرع في ابتعاده ، لأن حمايته لهما تتوقف حين يبتعدان عن المدى المجدي لرصاصته ، وانطلق الرحل بسيارته مذعورا ، خشية أن يمزق الرصاص حسده ، ولكن لم يكن في نية الوالد الثاكل أن يناله منه صر

وحكمت المحكمة

وحضر رجال الأمن بعد طول انتظار ، ومن مألوف سلوكهم ألا يجدهم المرء حين حاجته إليهم ، فاستسلم لهم القاتل ، وبذلك أنقذت حياته كما أنقذت حياة رهينة ، واقتيد إلى حيث تحاسبه عدالة الدولة على ما ارتكبه .

وفي محكمة الجنايات دافع عن نفسه بأنه كان ضحية عدوان ليس لمرتكبه ما يبرره ، فاضطر إلى « ممارسة حق قضت بها ضرورة حالّة لدفع تعرض غير محقق ولا مثار عن النفس أو الملك أو نفس الغير أو ملكه » (كما تقول المادة ١٨٣ من قانون العقوبات)

ولم تدهب المحكمة هذا المذهب لأنها لم تجد أن أركان الدفاع المشروع متحققة ، غير أنها أخذت لصالح المتهم بعذر الاستفزاز الناشيء « عن سورة غضب شديد ناتج عن عمل غير محق وعلى جانب من الخطورة أتاه المجني عليه » (كما تقول المادة ٢٤٢ عقوبات) ، وعاقبته بموحب المادة ٢٤١ فقضت عليه بالحبس ثلاث سنوات

وكان أول من ارتاح للحكم الأب الثاكل ، ولقد أعرب لي عن امتنانه من حكمة القضاء وعدله ، فيما كانت الدموع تسيل سحا على لحيته البيضاء ، فقد عرف حقيقة الظروف التي تم فيها مقتل ابنه ، وأنه البادىء بالشر ، ومن الانصاف أن يتحملوا قسطهم من المسئولية هذا الشيخ القوي الشكيمة يشعر بعزة تفوق شعوره الحزين بفقد ولده ، ويعرب عن اغتباطه على أن الله سبحانه أعانه يوم الواقعة وبعدها ليكون في المستوى الأخلاقي الذي ظهر فيه ، من ضبط للنفس وصبر على المكروه . وعادت بي الذاكرة إلى ذلك الأب الأندلسي الذي قرأت قصته وأنا طفل في كتاب « القراءة الرشيدة » ، فقد كان يستضيف أصحابا له على الطعام في بيته ، حين أخبره أهله بموت ولد له كان مريضا ، فأوعز إلى كل من في الدار بالامتناع عن البكاء والعويل ، وعاد إلى ضيوفه يؤانسهم ويؤاكلهم ، إلى أن انصرفوا دون أن يشعر أحد منهم بما حل بالبيت وأهله من مأساة ، وبعد أن شيعهم بإكرام أطلق لعينيه عنانهما ترسلان الدموع على هواهما .

ومع ذلك فقد ظلت للأعرابي حرمة أقوى في نفسي مما تركته فيها فجيعة الوالد الأندلسي على الرغم مما بين الاثنين من أواصر القربى في المروءة والطاقة على الاحتمال ، ذلك أنه ارتفع بإسلامه إلى أن يصبح أمة في الشهامة والرجولة ، ومثلا فريدا في قدرته على ضبط النفس والتحكم في الغيظ والانفعالات □

قبيلة بدوية ، استقرت فيها بعد أن تحللت عن حياة البداوة والتنقل في فيافي الأرض بحثا عن ماء وانتجاعا لكلأ

وكان فصل الربيع يبشر أهل المنطقة بالخصب ورغد العيش في أجواء دافئة من التواد وحرارة حسن الجوار حين سقطت المصيبة على الرءوس دون أن يتوقعها أحد ، فانتشر الحزن في السهل كله ، وعم القلق ، وتحركت عقارب الفتن وحب الانتقام

ففي صباح أحد الأيام رافق الفتى ابن شيخ القبيلة راعي شياه أبيه في منطقة رعي محمية ، وكان الفتى في تسياره المتكاسل يطلق أنغام نايه بين الحقول المزهرة ، فيحيل إليه كأن كل ما حوله وما فوقه وتحت قدميه يتمايل من أثر النشوة في أعصابه ، وكانت الفراشات المتراقصة بألوانها المثيرة تنقض على الأزهار المخضلة بدموع الصباح لتمتص رحيقها الفواح ، وتناجيه بالفتنة ، فيلح على الناي نفحا وتنفيخا ، ويطرب الناي من دغدغة أنفاسه ، فيتلوى حنانا وعذوبة ، حتى تلبسته النشوة العامرة ، وريثت له الدنيا حلم يقظة وعرسا للطبيعة أقامته على حلقية من موسيقا وزهور وخضرة وفراشات وشياه

النار !

وفي غمرة السكرة تخطت الشياه تخوم مزرعة « الأفندي » ، وتوغلت فيها بعيدا ، وكانت تقصم ذؤابات الأشتال المنتصبة ، وتدوس بغير رحمة العراس الطرية القصيرة . واستيقظ الفتى وراعيه على صوت رجل يسوق مواشيهما إلى زريبته ، وهو يهدد ويتوعد ، وكان محتملا أن تجد المشكلة حلا لها باعتذار ، ولكنه اندفع وراء الوكيل يشتمه ويتهجم عليه ، وتطور الموقف بسرعة غير منطقية إلى مضاربة بالأيدي والحجارة ، ولمعت السكين في يد الوكيل تحت ضوء الشمس ، ثم غابت في قلب الفتى ، فوقع على الأرض وهو يتلوى كالعصفور الذبيح ، وخشي الراعي أن يلحق بصاحبه ، فأطلق ساقيه للريح باتجاه دويه ، حتى إذا أصبح مسموع الصوت أرسل الاستغاثة ، وأعلن نبأ الفجيعة بصورة تستفز الحصيف . وتراكض من سمع بالنبأ إلى حيث وقعت الفاجعة ، لعلهم يدركون الفتى وهو حي ، ويقتصون من الفاعل على حق كان أو على باطل

وكان أسرعهم شابا كان يحمل فأسا فأدرك الوكيل على مشارف بيته غير أن الوكيل تمكن منه ، واقتاده إلى كوخ حصين وسكينه على رقبته ، ثم أغلق الباب ، ووقف يترقب تطور الأمور

وتحسس الذين لبوا النداء من رجال القبيلة جثة الفتى فلم يشعروا بأي نبض للحياة فيها ، فعلموا أنه قتل ، وأن الاقتصاص من القاتل هو أول ما يجب عليهم أن يفعلوه ، وتلك عادتهم التي درجوا عليها وتوارثوها كابرا عن كابر ، وظلوا يقيمون « عدالتهم » الخاصة باللجوء إلى الثأر برغم أنف الدستور والقوانين المرعية ، ثم إنهم ما كانوا يثقون بعدالة تتنقل فيها الدعوى من بداية إلى استئناف إلى نقض ، ويتمتع القضاة فيها بحق التمسك بالشك لصالح المتهم ، ومسح الأسباب المخففة وعدم الاطمئنان إلى الأدلة المقدمة ، وهي عدالة إن بدأت فلا يعرف أحد متى تنتهي

وأحاط رجال القبيلة بالكوخ مهددين متوعدين ، ولكن القاتل بصرهم بما ينتظر الرهينة من مصير محتوم إن هم احترقوا عليه الجدران ، أو هشموا الباب ، وكانوا على ثقة بأنه لن يتردد في القضاء عليه حين تصبح حياته مهددة

الشهامة في أجلى صورها

وفي هذه الأثناء كانت سيارة « لاندروفر » تخب في السهول الخضراء ، قادمة من شرق مضارب القرية ، وكان فيها رجل وامرأة يحتلفان في ملابسهما عن ملابس أصحاب المنطقة من الأصل البدوي ، ولفت انتباه الرجل ما رآه عن بعد من تحرك غير عادي ، فقدر أن في الجو شيئا غامضا لم يستبن كنهه ، ومن باب الحذر ، وربما بدافع من شفافية الغريزة اتجه إلى مضافة الشيخ ، فأحسن الشيخ استقبالهما على عادة شيوخ القبائل ودعا لهما بطعام ، وجلس إليهما يؤاكلهما ويؤانسهما ، ولكنه نهض فجأة حين ارتفعت

أمام منزله جلبة ، امتزج فيها صراخ الرجال بعويل النساء ، ليرى الأمر ، وعلم أن ولده لقي ربه مقتولا ، وأن قاتله هو أخ شقيق لضيفه ، ولو كان رجلا كسائر الرجال لأشرع سلاحه وأخذ بثأره ، وهذا في أعرافهم حق من حقوقه الشرعية . وبدون تردد يقمع غريزة الأبوة ، ويعرض كرامته للمهانة . ولقد أشرع سلاحه فعلا ، ولكنه صوبه إلى وجوه ذويه ليبعدهم عن داره ويحمي ضيفه من عدوانهم ، وناشدوه بحقوق البنوة وشرف القبيلة أن يسلمهم الرجل ، فأقسم انه سيفرغ ما في بندقيته من رصاص في صدر كل من يقترب منه

وحين أدركوا أنه جاد فيما يقول أتوه بجثة ابنه ومددوها أمامه ، ولكن منظر الجثة لم يرده إلا تصميما على حماية ضيفه ، باعتبارهما في حماه وتحت حمايته ، ثم إن أيديهما لم تلطخ بدم ابنه ، والله سبحانه شرع في كتابه بأنه « وَلا تَزِرُ وازرة وزر أُخْرى » وارتأى ذووه ألا يريدوا في إيلام أعصابه ، فتركوه لشهامته وعناده

وفي المساء أدرك أن الطريق أصبحت آمنة ، فأخرج ضيفيه إلى سيارتها وركب معهما وبندقيته في يده ، واتجه الركب على طريق محفوفة بالخوف والمفاجأة حتى إذا أدرك الشيخ أن ضيفيه أصبحا في مأمن أمر السائق بالتوقف ، ونزل من السيارة ، ونصحه بأن يسرع في ابتعاده ، لأن حمايته لهما تتوقف حين يبتعدان عن المدى المجدي لرصاصته ، وانطلق الرجل بسيارته مذعورا ، خشية أن يمزق الرصاص جسده ، ولكن لم يكن في نية الوالد الثاكل أن ينالهما منه ضرر

وحكمت المحكمة

وحضر رجال الأمن بعد طول انتظار ، ومن مألوف سلوكهم ألا يجدهم المرء حين حاجته إليهم ، فاستسلم لهم القاتل ، وبذلك أنقذت حياته كما أنقذت حياة رهينة ، واقتيد إلى حيث تحاسبه عدالة الدولة على ما ارتكبه .

وفي محكمة الجنايات دافع عن نفسه بأنه كان ضحية عدوان ليس لمرتكبه ما يبرره ، فاضطر إلى « ممارسة حق قضت بها ضرورة حالّة لدفع تعرض غير محقق ولا مثار عن النفس أو الملك أو نفس الغير أو ملكه » (كما تقول المادة ١٨٣ من قانون العقوبات)

ولم تذهب المحكمة هذا المذهب لأنها لم تجد أن أركان الدفاع المشروع متحققة ، غير أنها أخذت لصالح المتهم بعذر الاستفزاز الناشيء « عن سورة غضب شديد ناتج عن عمل غير محق وعلى جانب من الخطورة أتاه المجني عليه » (كما تقول المادة ٢٤٢ عقوبات) ، وعاقبته بموجب المادة ٢٤١ فقضت عليه بالحبس ثلاث سنوات

وكان أول من ارتاح للحكم الأب الثاكل ، ولقد أعرب لي عن امتنانه من حكمة القضاء وعدله ، فيما كانت الدموع تسيل سحا على لحيته البيضاء ، فقد عرف حقيقة الظروف التي تم فيها مقتل ابنه ، وأنه البادىء بالشر ، ومن الانصاف أن يتحملوا قسطهم من المسئولية هذا الشيخ القوي الشكيمة يشعر بعزة تفوق شعوره الحزين بفقد ولده ، ويعرب عن اغتباطه على أن الله سبحانه أعانه يوم الواقعة وبعدها ليكون في المستوى الأخلاقي الذي ظهر فيه ، من ضبط للنفس وصبر على المكروه وعادت بي الذاكرة إلى ذلك الأب الأندلسي الذي قرأت قصته وأنا طفل في كتاب « القراءة الرشيدة » ، فقد كان يستضيف أصحابا له على الطعام في بيته ، حين أخبره أهله بموت ولد له كان مريضا ، فأوعز إلى كل من في الدار بالامتناع عن البكاء والعويل ، وعاد إلى ضيوفه يؤانسهم ويؤاكلهم ، إلى أن انصرفوا دون أن يشعر أحد منهم بما حل بالبيت وأهله من مأساة ، وبعد أن شيعهم بإكرام أطلق لعينيه عنانهما ترسلان الدموع على هواهما

ومع ذلك فقد ظلت للأعرابي حرمة أقوى في نفسي مما تركته فيها فجيعة الوالد الأندلسي على الرغم مما بين الاثنين من أواصر القربى في المروءة والطاقة على الاحتمال ، ذلك أنه ارتفع بإسلامه إلى أن يصبح أمة في الشهامة والرجولة ، ومثلا فريدا في قدرته على ضبط النفس والتحكم في الغيظ والانفعالات □

اقـرأ
في العدد القادم من

العربي

أغسطس ١٩٨٨

استطلاعات

الحرمان الشريفان
يسعان جميع المسلمين
سليمان مظهر

"ناخودكا" السوفيتية
.. الصدفة التي أنقذت "أميركا"!
سليمان الشيخ

- نموذج عربي في "نظرية الوحدة الطبيعية"
د. محمد جابر الأنصاري
- حقيقة موقف الإسلام من الشعر!
د. مصطفى رجب
- الفكاهة .. طب نفسي
د. عبدالحميد يونس
- بدون المناقير .. ماذا كانت ستفعل الطيور؟
عبدالرحمن مريافي
- الكمبيوتر .. في جيله الخامس
د. علي زين العابدين
- التدريب والتعليم التطبيقي في الكويت
ريم الكيلاني

كتاب الشهر:

- رؤية سوفيتية للأدب العربي
د. نوفل نيوف

وجهاً لوجه:

- د. سعدالدين إبراهيم
- د. محمد حافظ دياب

واقرأ أيضاً للكتاب:
د. محمد الرميحي - علي الجندي - الشريف خاطر - د. غسان خاحت
د. أحمد مختار عمر - خالد عباس - د. مصطفى النير - محمود بيومي



بين

ابن ماجد وفاسكو دا غاما

أشهر رواية خاطئة في التاريخ البحري !

بقلم . حسن صالح شهاب *

شهاب الدين أحمد بن ماجد

أشهر ملاح عرفه المحيط الهندي في القرن الخامس عشر الميلادي على الاطلاق

وهو من ابناء (جلفار) بالخليج العربي .

* باحث وكاتب علمي ، صدر له كتاب « فن الملاحة عند العرب » ونال به جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي سنة ١٩٨٤

موقع جلفار ـ كما حدده الربان منصور الحارحي، شرق (رأس الخيمة) إحدى الامارات العربية المتحدة، وفي حلفار يقول ابن ماحد في قصيدته « الليعة في قياس سهيل والرامح »

رعى الله حلّفار ومنْ قدْ نشاها
وأسْقى ثراها واكفٌ متتابعٌ
بها من أسود البحر كلّ محرب
وفارسٌ بحر للشدائد بارعْ

وفي حلّفار أيضا فرع في سنة ٨٦٦ هـ من نظم « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » وهي من أشهر أراجيزه وأطولها

تمت في شهر الحج في حلفار
أوطان أسد البحر في الأقطار



يوم الغدير أبْرك الأيام
إذ خُصّ بالاحسان والصيام
وكان في الهجرة يا مولايةْ
ست وستون وثمان مايةْ

وقد نظمها ـ كما قال ـ في أيام الشباب، وجملة أبياتها ألف واثنان وثمانون بيتا

حملتها ألف وثمانون أتتْ
تزيد بيتين لذلك قد وفتْ

أكثر من ستين عاما في البحر :

يقول ابن ماحد إنه فرغ من تأليف « كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد » في سنة ٨٩٥ هـ، وبعد أن قضى في البحر نحو خمسين عاما فإذا افترضنا أنه بدأ العمل في السفن الشراعية وهو صبي صغير السن، كما جرت العادة غالبا في سلك العمل بالسفن الشراعية العربية، وأن هذه السن كانت على أعلى تقدير أربعة عشر عاما، فإن عمره في سنة ٨٩٥ هـ أربعة وستون عاما تقريبا، وعليه يحتمل أن يكون ميلاده قبل سنة ٨٦١ هـ أو بعدها بنحو سنتين أوثلاث وسنة ٨٩٥ هـ تقابل ١٤٨٩ م تقريبا، فيكون عمره إذن عندما نجح (فاسكو داغاما) في سنة ١٤٩٧ م في الوصول إلى الهند حوالي ثلاثة وسبعين عاما وبعد هذا التاريخ بأكثر من ست سنوات نظم أرجوزته المشهورة « السفالية »

فهل بقي حتى هذه السن المتقدمة من عمره يقود المراكب في عرض المحيط ؟ وهل هو حقا الذي دل (داغاما) على طريق الهند ؟

رواية النهر والي.

قال قطب الدين النهر والي في كتابه « البرق اليماني في الفتح العثماني » « وقع في أول القرن العاشر (الهجري) من الحوادث الفوادح النوادر دخول الفرتقال اللعين، من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار

الهـند » وكـانـوا قبـل ذلـك يهلكـون في بحر الظلمات ، في مكـان كثير الأمـواج ، لا تسير سفائنهم وتتكسر ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجـد ، صاحبـه كبير الفرنج وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره »

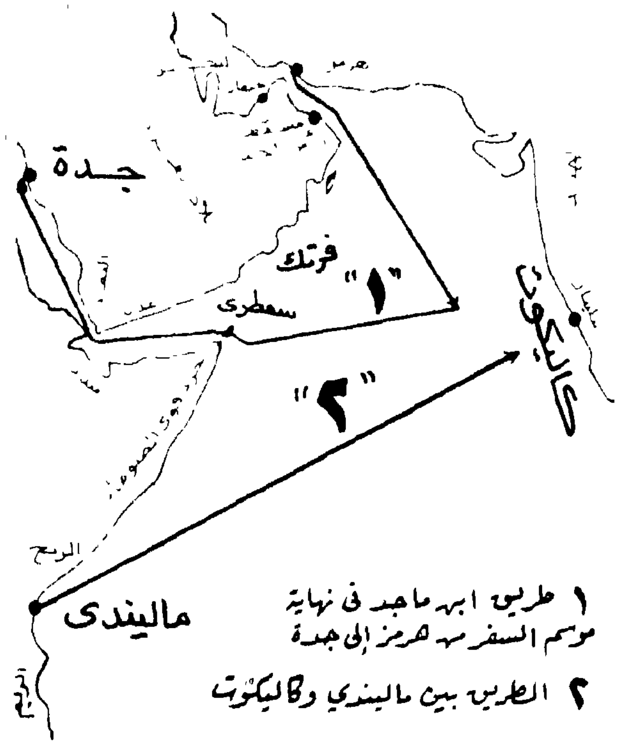
وباستثناء « البرق اليماني » لا تذكر جميع المصادر العربية التي عاصر أصحابها ابن ماجد أوالنهروالي أن ابن ماجد هو الذي دل البرتغاليين على طريق الهند ، كما أن النهروالي نفسه لم يعاصر ابن ماجد ، فقد ولد بعد قدوم (داغاما) إلى بحر الهند بنحو أربع عشرة سنة وعاش في الفترة (١٥١١ ـ ١٥٨٢ م)

فساد هذه الرواية .

أول ما يؤخذ على قصة النهروالي هذه أن ابن ماجد كان ـ كما رأينا ـ في العقد الثامن من عمره حينما وصل (داغاما) إلى سواحل شرق إفريقية الجنوبية ، ومن المستبعد ـ في رأينا ـ أن يبقى حتى هذا السن من عمره ـ وهو حاج الحرمين الشريفين ـ مدمنا على شرب الخمرة ، أما في أيام شبابه فكان كما ذكر في كتاب « الفوائد » يشربها في مجالس الأنس والطرب في النادر . قال وكذلك بعض الأشياء يصلحه المزج كالراح ، كما قال مصنف الكتاب في بعض أشعاره الفائقة في الراح في عصر الشباب شعرا

صفـراء سـاطعـة كـالنـار لم أرهـا
في الكـأس إلا نـفتْ همّي وأحـزاني
أصلحتـهـا بقـراح المـاء من حـذر
وكـيـف تـصـلـحُ أمْـواه لـنـيـران

ثانيا لم يشر ابن ماجد في أرجوزته « السفالية » التي نظمها ـ كما قلنا ـ بعد وصول البرتغاليين إلى الهند إلى أنه عرف (داغاما) ، وأرشده إلى طريق الهند ، وهو الـذي نراه في جمـع أراجيزه وقصائده وفي كتابه « الفوائد » يذكر ـ متبجحا ـ كل ما اخترعه وابتدعه في فن الملاحة ، صغيرا كان أم كبيرا ، بل إنه خص قصيدته « الذهبية » باختراعاته ـ حسب تعبيره ـ في علم البحر ، وفي « الفوائد » يقول مفتخرا إنه قاد مراكب من الهند إلى جدة ، في غير مواسم السفر ، وسلك بها طرقا غير الطرق المألوفة لـدى بحارة زمانه ، إحدى تلك السفن لشخص ذكر أن اسمه صدقة الحلبي المعروف بالمحمودي ، وكان قد عزم عـلى السفـر إلى بنجـالـه (بـنجـلاديش) من (كاليكوت) بالمليبار بساحل الهند الغربي ، فحصل على حمولة وركاب إلى جدة ، فسافر به في آخر أيام موسم السفر من الهند إلى الحجاز . وقال إنه لم يدخل مرسى جدة « إلا بعد مشقة عظيمة » ، وسافر ذات مرة بمركب عبد الرحمن بن الشيخ علي الحموي من هرمز إلى جدة ، وسلك به طريقا بعيدة عن شاطئ بلاد العرب الجنوبي ، بسبب عدم ملاءمة الريح



خريطة الطريق إلى ماليندي

لنسير في الطريق المعتادة ، واستدار من خلف جزيرة سقطرى ، وخرج من الفتحة التي بينها وبين رأس جردفوي إلى خليج عدن ، ثم دخل باب المندب وسار في البحر الأحمر إلى جدة . وقال إن الناس تعجبوا من وصوله إلى جدة في غير أيام الموسم المألوف لدى تجارة زمانه من العرب وأصحو

ولعل شهرة ابن ماجد بالمقدرة والجرأة على السير في غير المواسم والطرق المألوفة لدى التجارة هي التي جعلت الناس يلفقون له تلك الحكاية الأسطورية التي رواها صاحب « البرق اليماني » .

ثالثا : في أرجوزة « السفالية » يحدث ابن ماجد بدء الافرنج « البرتغال » ، ويقص علينا خبر وصولهم إلى سواحل شرق إفريقية والهند ، وغرق بعض سفنهم في مياه موزمبيق ، ولم يشر إطلاقا إلى أنه اتصل بهم وعاشرهم .

رَكَبوا بها الافرنج على الموسم
في عيد ميكائيل بالتوهم
قام عليهم موجُ تلك الروس
في سفالة بقى معكوس
واستقلبت أدقالُهم في الماء
والسفنُ فوق الماء يا أحيائي

يقول إن الافرنج ساروا دون خبرة سابقة في مياه سفالة ، في نهاية موسم السفر فيها ، فقابلهم الموج المعهود عند تلك الرؤوس - رؤوس ساحل سفالة - فانقلبت سفنهم في الماء رأسا على عقب . أدقالها في الماء وهياكلها فوقه . وقال

جازتها في عام تسعمايه
مراكبُ الافرنج يا أحبابهْ
تحوز في عامين كاملين
فيها ومالوا الهند بالتقين
ورجعوا من هندهم للرنج
في هذه الطريق للإفرنج

والناس تضرب فيهم الظنونا
ذا حاكم او سارق مجنونا
ياليت شعري ما يكون منهم
والناس معجبين من أمرهم

يقول عبرت المياه التي حول طرف جنوب إفريقية ، في عام تسعمائة ، مراكب الافرنج بما يحوي نحو سفر عامين كاملين من بلاد الافرنج ، ثم مالوا إلى الهند . ومن الهند رجعوا إلى الزنج ، أي سواحل شرق إفريقية ، في نفس الطريق التي سلكوها إلى الهند . وقال بعدا

وجا لكاليكوت خذ ذي الفائدهْ
لعام تسع مايه وستّ زائدهْ
وباع فيها واشترى وحكّم
والسامري برْطله وظلم
وصار فيها مبغض الاسلام
والناس في خوف واهتمام

وفي سنة تسع مائة وست جاء - يعني الافرنجي - إلى كاليكوت ، أشهر مراسي المليبار ، والسامري سلطان كاليكوت رشاه وظلمه

السفر من مالبندي إلى الهند

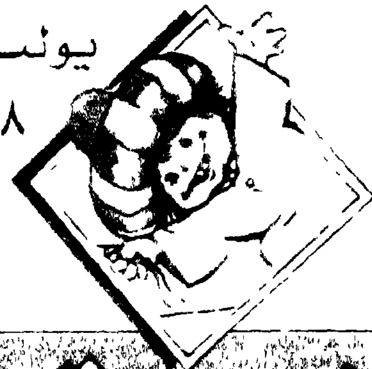
وبعد فإن السفر إلى الهند من مالبندي التي انطلق منها (داغاما) إلى الهند - وهي بساحل كينيا - لم يكن صعبا على المراكب الشراعية أيام ابن ماجد . ذلك لأن الطريق البحرية بينهما تمتد بين الجنوب الغربي والشمال الشرقي ، ومثل هذه الطريق وكذلك الطرق الممتدة بين الشمال والجنوب ، أو الممتدة بين الجنوب الشرقي والشمال الغربي ، كلها طرق كان يسهل على الربابنة السير فيها ومعرفة مسافاتها ، بخلاف الطرق المستقيمة الممتدة بين الشرق والغرب ، مثل الطريق من ساحل الصومال الشرقي إلى المليبار ، وهي طريق بين ساحلين متقابلين شرقا وغربا ، فهذه كان يصعب عليهم السفر فيها ومعرفة مسافاتها الصحيحة □

صدر العدد الجديد

العربي الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

يوليو ١٩٨٨



رئيس التحرير: د. محمد الرميحي

يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين



في هذا العدد

- في ضيافة الطائر الحديدي "استطلاع"
- مقبرة الأفيال "قصة بالرسوم"
- حلب الشهباء .. "مدن لها تاريخ"
- سميراميس "مسلسل تاريخي"
- وردة الرمال "من أساطير الشعوب"
- يوم فطام الأشبال



إضافة للأبواب الثابتة

- اسلاميات
- كمبيوتر
- ٨ صفحات لأخيك الصغير واختك الصغيرة
- دائرة معارف العربي الصغير



نتيجة مسابقة العدد ٢٨

أرقام

بقلم · محمود المراغي

سكرتيرتك "كمبيوتر" !

ما زال العقل الالكتروني « الكمبيوتر » ينافس الانسان ويحتل مكانه ويتفوق عليه ويغزوه حتى في مهنه

وما زال استخدام هذه العقول التي تعمل بالأمر ، وتحتفظ بالسحر يثير الجدل بين مؤيد ومعارض

لقد انتقلت الفكرة من حالتها الأولية كاختراع آلي صممه عالم إنجليزي في منتصف القرن الماضي الى اختراع بالكهرباء صممته جامعة أمريكية إبان الحرب العالمية الثانية ، واستخدمه سرا الجيش الامريكي حينذاك ولكن خلال اربعين عاما فقط أصبحت استخداماته تمتد من المصنع ، الى المكتب ، والبنك ، ومجالات الطب ، والهندسة ، وعلوم الفضاء ، والطيران،وتسالي الأطفال ، وحسابات ربة البيت المنزلية ! وتنوعت الأحجام والأشكال ابتداء من الساعة الرقمية التي تحملها اليد الى أضخم « كمبيوتر » عرفته البشرية وأنتجته عام ١٩٨٧ ليقوم بـ (٢٥٠) مليون عملية حسابية في الثانية الواحدة

خلال تلك الرحلة صدق القول بأنه ليس مجرد « حاسب آلي » لكنه « عقل ألكتروني » يتلقى الاشارات فيطيع ، ويقوم بمجموعة من العمليات ذات الطابع الذهني

النتيجة بالأرقام

تقول دراسة لمعهد التحليل الاقتصادي بنيويورك إن موظفي الأعمال الكتابية من سكرتارية ، واختزال ، وآلة كاتبة كانوا يمثلون (١٨) بالمائة من القوى العاملة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ ، فأصبحوا يمثلون (٣ / ٣) بالمائة عام ١٩٨٧

هبطت النسبة الى نحو السدس في سبع سنوات فقط فأصبح السؤال وماذا بعد ؟ لقد زحف « الكمبيوتر » من عالم الحساب البسيط الى عالم العقل الخالص ، ومن عالم تخزين المعلومات الى التعامل معها وحل تشابكاتها وتقديم الحلول لما تثيره من معضلات انتقل من الأرض الى الفضاء ، ومن المصنع ، الى البيت والمكتب ، وفي الدائرة الأخيرة أصاب هذه الفئة التي التصقت بالمديرين وهي مهنة السكرتيرة التي كان عليها أن تكون ذاكرة المدير ، ومنسقة أوقاته ، وحافظ أسراره ومعلوماته ، وكان عليها أن تكون في استقبال مكالماته الهاتفية وفي خدمته عندما يطلب ملفا أو بيانا عاجلا و كل ذلك أصبح العقل الألكتروني قادرا على انتاجه بكفاءة أكبر ، وفي وقت أسرع ، وأصبحت السكرتيرة الواحدة قادرة على أن تخدم

ثلاثة أو أربعة مديرين بدلا من أن يستخدم المدير ثلاث أو أربع سكرتيرات سقط الرباط « شبه الشخصي » الذي طالما احتضنت به العلاقة بين المهنتين مهنة المدير ، ومهنة السكرتير . أو السكرتيرة تقدم عنصر الكفاءة وتراجع العنصر الانساني وحسابات « مزاج سيادة المدير » وعاداته اليومية في احتساء القهوة ، ومطالعة أهم ما تنشره الصحف !

أصبح « الكمبيوتر » منافسا للحسناء التي طالما أظهرتها الأفلام العربية كساعد أيمن يقف الى جوار المدير كما تقف الى جواره روحه في المنزل

وأصبح « الكمبيوتر » منافسا لهذا الحشد الجرار من الموظفين الذين كانت مهمتهم جمع الأوراق ، وتنظيمها ، والعناية بها والتعامل معها عندما تصبح في حجم التل ، او في دائرة التاريخ بل إن هؤلاء الموظفين ، يعودوا بحاجة لأن يعدوا كتابة خطاب سبق ان وجهوه لجهة ما ، أو يعدوا ورقة تماما خطا يريدون تصحيحه ولم يصبحوا بحاجة الى وسيط يطلبون من خلاله ، أو يرسلون عن طريقه ما لديهم لذوي او الاماكن الجغرافية البعيدة أصبحت الآلة الكاتبة الحديثة ذات السعر المحدود قادرة على تخزين المعلومات ، والخطابات ، واعادة طبعها وتصحيح أخطائها . وأصبحت العقول الألكترونية قادرة على الارسال والاستقبال !

المديرون في خطر !

لكن هذا التقدم الهائل لم يشمل مهنة السكرتارية ، أو الاعمال الادارية المساعدة وحدها لكنه بدأ يمتد لدائرة الأعلى

دائرة الادارة واتخاذ القرارات واصبح السؤال في دوائر المديرين.هل يشغل « الكمبيوتر » أيضا مقعد المدير ؟ والجواب معدد الجوانب

يقولون في علم الادارة إن القرارات تمر بعدة مراحل تبدأ بجمع المعلومات حول المشكلة المثارة ، وتصور الحلول البديلة ، واختيار حل منها ثم قياس ردود الفعل المتوقعة

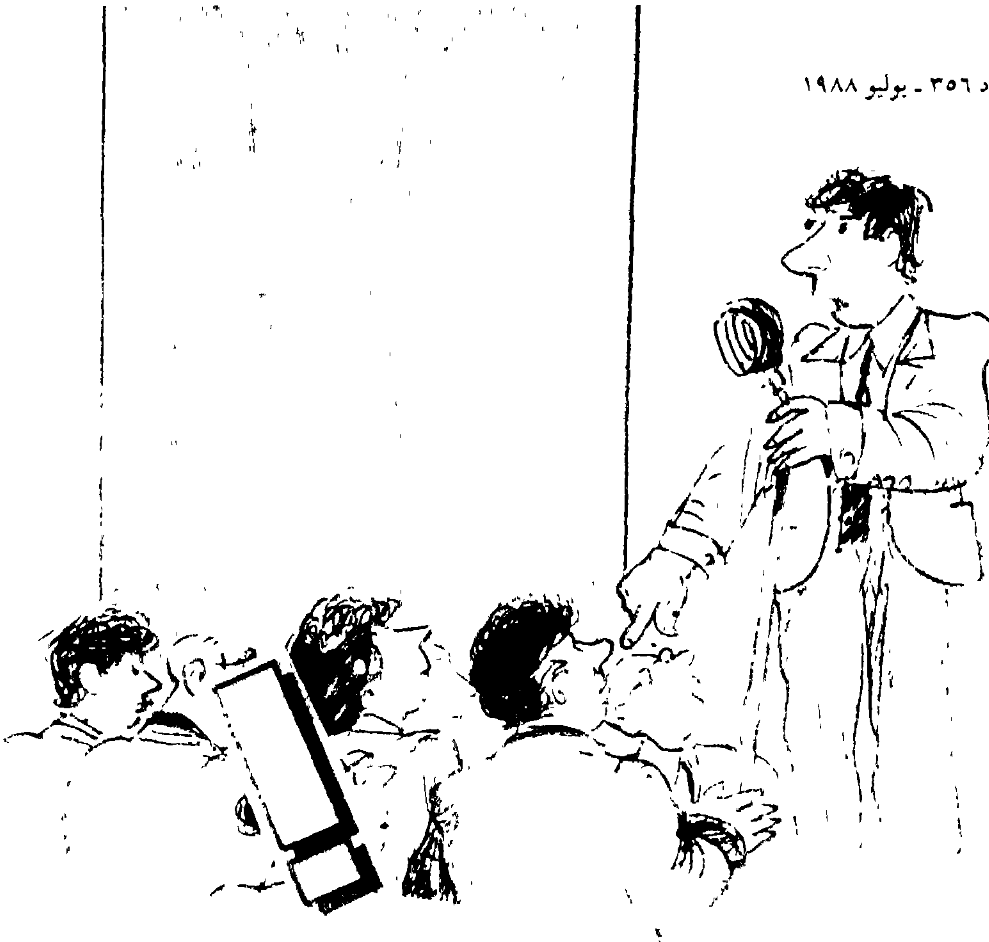
ويقول علم « الكمبيوتر » ـ اذا جاز التعبير ـ أن هذه المراحل الأربع لاتخاذ القرار يستطيع أن يؤديها العقل الآلي ببراعة أكثر اذا تم تلقينه بالمعلومات وطرق العمل المناسبة ، وبمعنى آخر فانه يمكن انتاج قرارات « سابقة التجهيز » واذا كانت علوم الادارة تقول ان القرار (مبدأ) يسعى الأخذ به في كل الحالات المماثلة فان هذا هو ما يؤديه « الكمبيوتر » بالتحديد ، حيث تغيب العواطف والانفعالات

وبمعنى آخر فان العقل الآلي يستطيع ان يكون معاونا للادارة العليا ، وأن يضع خبرة أكفأ المديرين واكبر العلماء في خدمة المدير الصغير « وعلى شريط ممغنط » ، وبالتالي فإن اختزال العمليات التي تقوم بها الادارة العليا وسرعة انجازها يتيحان مستقبلا لاستخدام العقل الألكتروني ، ومما يتيح فرصة لانحصار عدد المديرين ، أو انحصار ما يقدمونه من وقت للعمل

ولكن سوف يبقى دائما ما يسمى بالعوامل غير المحسوبة التي لا يستطيع التعامل معها العقل الآلي وخاصة في قرارات الحرب والسياسة ، مثال ذلك حرب أكتوبر التي حيرت عقول أمريكا و « اسرائيل » ان تتوقعها رغم وفرة المعلومات

سيبقى دائما ما هو « خارج الحساب » ، لكن سيتزايد يوما بعد يوم ما يدخل دائرة الحساب الآلي والبشري وهو ما يمثل خطرا يجتاح قمة السلم الوظيفي في المجتمعات المديرين ☐

■ إذا أردت أن تسعد رجلا فلا تعمل على زيادة ثروته ولكن حاول أن تقلل من رغباته .
سنيكا



... لاحتلاف التناسب بين الواقع ... الفنون لأنها

... رقي واحد ... الفنون ... وتمازجها تحدثنا

هذا ...

... عاد النص عند مستقبل ، يرتبط من ناحيته بالواقع المادي ، ويتصل من الناحية الاخرى بالخيال ، فهو يأخذ من كل منهما ... والنص الجميل هو الذي يجمع بين الواقع والخيال بنسبة معقولة ، فلا يفرط في الواقع ... في الخيال ، لأن الإفراط في الواقع يجعل النص يميل الى المادة وهذا ما يسيء إليه إذ انه يقلل من رهافته وروحانيته كما أن المبالغة في التخييل تجعل النص بعيدا عن المعقول ، نائيا عن التصور والفهم ، ومن خير إذن للنص أن يكون متوسطا بين الحالتين ، فيه من الواقع ما يكفيه ، ومن الخيال ما يعينه وينطلق منه ومن الثابت لدينا أن الشعر أعلى الفنون رتبة ، وأسماها قدرة ، لأنه يضم الى عنصر الواقع والخيال عنصرا آخر يجعله أهم من غيره وهو عنصر الفكر ، فالشعر مزيج من الخيال والواقع والفكر ، وهو بهذه العناصر الثلاثة يتفوق على الفنون الأخرى التي لا تدخل الفكر في كيانها ، ولا تضم العقل الى وجودها وقارىء الشعر يستمتع بالخيال الشعري

ويطرب للواقع فيه ، وهو واقع لمسته يد الشاعر ، فجعلته رشيقا مقبولا ، قد جفت ماديته ورهفت حقيقته ، ثم إنه يفهم ما يقرأ ، فيشارك العقل الحواس الأخرى متعتها لتعيش النفس في جو مشبع جميل ، هو ما يسمى بالابداع الشعري ، بينما المستمع الى الموسيقا يكتفي بالمتعة الشعورية والخيال الحساس ، أما العقل والفكر فلا دخل لهما بالنغم ، بل لعل النغم أبعد ما يكون عن عالم العقل ، كما يعبر عن ذلك المازني الكاتب المعروف في قصيدة من قصائده حين يقول فيها

عـنـي خـمـسـا شـجـيـاً فـرحـا
يـطلقُ الأوصـال من قيـد الحجـا

إنه يشترط أن يكون النغم داعيا الى الانطلاق من قيد العقل (الحجا) ، لأن الطرب الذي يملك الروح عن طريق الاحساس المرهف من أولى مراياه أن يريح المرء من التفكير الذي يكون في أغلب الأحيان جادا متصلا بالواقع بعيدا عن الخيال ، وربما كان هذا الواقع مؤلما محزنا

معنى الطرب

وقد يتساءل بعض المتسائلين عن معنى الطرب أو كنهه ، وهو سؤال محرج حقا ، لأن التعريف في أصله قضية عقلية فكرية ، والطرب غير خاضع للفكر ، ومن هنا فإن تعريفه غير ممكن ، إنه إحساس وشعور يؤثران في الأعصاب عن طريق انسجام الأصوات انسجاما فنيا ، يدل على قدرة المبدع ، سواء أكان هذا المبدع مغنيا أم عازفا أم ملحنا ، ولعل أقرب تعريف الى الصحة في موضوع الطرب والنشوة ، بل لعل هذا التعريف الذي نقدمه الآن أصدق تعريف تعرض لتفسير الطرب وتعليله ، وهو الذي جاء على لسان شاعر المعاني الأول في التاريخ العربي ، أعني به أبا تمام ، فلقد كان في رحلة من رحلاته في خراسان ، فداهمه الشتاء بثلجه وزمهريره ، حتى امتنع عليه الرجوع الى بغداد ، وكان في المكان الذي عاش فيه هناك مكتبة عامرة ، أخذ يطلع عليها ، فصنع مختاراته الشهيرة (ديوان الحماسة) ، ودعي الى سهرة فيها غناء وطرب ، فسمع مغنية فارسية ذات صوت جميل ، والنغم الفارسي كما لا يخفى أقرب أنواع النغم الى الغناء العربي ، وغنت المطربة الرائعة كلاما فارسيا ، لم يفهم منه الشاعر حرفا ، إذ كان يجهل الفارسية ، لكنه مع ذلك طرب طربا عجيبا ، أقامه وأقعده ، بل أخرجه عن وقاره ، وفي اليوم الثاني نظم قصيدته التي يقول فيها

أيـا سـهـرى بـبـلـدة أبـرشـهـر
حـمـدت الىّ نـومـي في سـواهـا

الى أن يقول في وصف الطرب الذي أبدعت به المغنية

ولم أفـهـم مـعـانـيـهـا ولـكـن
ورتْ كبـدي فلم أجهـل شجـاهـا

إنه لم يفهم ما قالته المطربة ، لكنه أدرك شجوها وطربها ، وأحس بكل نأمة أو نغمة ندت عنها إذن فإن الاحساس بالنغم والتأثر بالطرب والنشوة لا يحتاجان الى الفهم ، لأن الفهم في حالة الغناء يتعلق بمعاني الألفاظ ، وهو أمر يتعلق بالشعر أكثر مما يتعلق بالطرب ، فالشعر مادته اللفظ ، وإطاره الكلمات ، بينما الطرب أداته الصوت ، ووعاؤه اللحن الذي يستقر فيه الصوت ، وإليك هذه اللوحة الكاملة التي أبدع في رسمها الشاعر العظيم ابن الرومي ، وهي تصف غناء مغنية مشهورة في عصره اسمها (وحيد) ، إنها لوحة تعبر عن إحساس السامع الشاعر بالطرب الذي فاضت به حنجرة المغنية ، وهو إحساس لا علاقة له بالعمل الفكري الذي يتناول القضايا العقلية ، ولا يتعرض للتأثر الذي يمليه الإحساس ، يقول ابن الرومي

مـد في شـأو صـوتهـا نفس كـاف
كـأنـفـاس عـاشـقيـهـا مـديـد
وأرقّ الـدلال والـغـنـج مـنـه
وبـراه الـشـجـا فـكـاد يـبـيـد
فـتـراه يمـوت طـورا ويحـيـا
مـسـتـلذّا بـسـيـطه والمـديـد
تـتـغـنـى كـأنها لا تـغـنـي
من سكـون الأوصـال وهي تجيـد



اهي شيء لا تسأم العين منه
أم لها كل ساعة تجديد

إنه يصف الصوت وعمله في السمع أو الحس كله ، فهو رقيق عنج ، يؤثر فيه الشجو ، حتى يخاله السامع قد سكت ، وهو يموت ثم يحيا ، فكأن المغنية صامتة وهي تغني ، ثم إذا نظرت إليها لم تجد في وجهها لمحة تدل على أنها تغني ، إنها شيء لذيذ ، لا تسأم منه العين ولا الأذن ، فكأنها أو كأن فيها يتجدد كل ساعة أو كل لحظة

هذا هو الطرب الذي يسمع ويحس ويشعر به ، لكنه يبقى مجهول الكنه ، بعيدا عن التفسير والتعليل ، في حين أن الشعر إحساس وشعور وفهم يخضع للتعليل والتدليل ، لأنه متصل بالعقل والفهم والإدراك

العين والإحساس

ولو أخذت فنّ الرسم لوجدت أنه يؤثر في المرء عن طريق الإحساس الذي تنقله العين التي ترى فتعجب ، وينتقل هذا الإعجاب الى الرائي الذي تأخذه النشوة مما يرى ، ويملكه الطرب لما يراه من إبداع في تناسق الألوان وتناسب الخطوط ، ويعجب أشد العجب لهذه الحياة التي انسكبت في الصورة ، مع أن الصورة قطعة من القماش أو الخشب أو انها قطعة من حائط في دار أو معبد ولا يمكن أن يسأل سائل عن كل هذا ، لأن هذا السؤال سيلقى نفس الجواب الذي يلقاه السائل عن الطرب الموسيقي ، وقد يكون السؤال من أين جاءت هذه الحركة التي تشاهدها في الكثير من رسوم العظماء ؟ لقد صرخ مايكل أنجلو في التمثال الذي أبدع نحته بملء صوته تكلم ، تكلم لأن الحياة دبّت في الحجر فلم يبق على الحجر إلا أن يتكلم كما يتكلم كل من يمتلك الحياة من مخلوقات الله ، ولو نظر الإنسان مليا في بعض الصور وأطال النظر لحدثته نفسه بأن العين تتحرك ، وبأن الصورة تتنفس ، كأنها الإنسان العادي فبماذا نعلل هذا ؟ إنه شيء من غرائب فن الرسم عند عباقرة هذا الفن

مميزات الشعر

وللشعر ميزات أخرى كثيرة يختلف فيها عن الفنون الأخرى كالموسيقا والرسم والنحت ، فإن اللفظة الشاعرة لها قوة تزيد كثيرا على قوة اللمحة اللونية في الرسم أو النغمة الصوتية في الموسيقا أو اللفتة الأخاذة في حجر النحت ، إذ إنها تنقلك الى عالم جديد ، يصوره لك الشاعر ، فيختصر بها الزمن ، ويقصر المدى ، ويقنعك بما لا تقنع به إذا أنت اكتفيت بالاعتماد على العقل ، وأهملت الخيال الشعري ، يقول بدوي الجبل يصف جمال فتاة

أعجب بها
أسـماء لاسـمك فـتـنـة
بـوركـت مـوصـوفـا ووصـفـا
حـرت الـسـلاف بـه فـرحـت
أعـلّه حـرفـا فـحـرفـا

إن الفتنة التي جلبت الشاعر قد استحالت الى سائل يجري مع الخمرة ، فأصبح يترشفها رشفة رشفة ، ويرشف معها حروف اسمها مع كل رشفة ، إنه كلام لا ينطبق على العقل ، لكنه ينطبق على الفهم الشعري الذي مارجه الخيال فحسّنه ورقق ، حتى حوّل الجماد الى سائل ، ومن الغريب أن هذا المزيج كله من الخيال والواقع والفكر يتقبله قارىء الشعر ، ويجد فيه لذة يمكن أن تسميها « اللذة الشعرية » التي لا تعدلها لذة ، ولو أردت تصوير هذا المزيج في صورة ذات ألوان ، أو في حجر ذي أبعاد ، أو في مخروط ذي لفتات وأعضاء فإنك لا يمكن أن تصل الى نتيجة ، لأن الوسيلة التي تؤدي المعاني المتشابكة في الشعر أقوى وأدق

فالشعر إذن أوسع مجالا من بقية الفنون الأخرى ، وإن بيتا واحدا من شاعر عبقري يخلق للقارىء عالما كاملا ، كهذا البيت الذي أحمل فيه الشاعر شوقي الحركة التي تبدو جامدة في تمثال نهضة مصر الذي صنعه مختار نابغة النحت المصري ، فقد رمز للنهضة المصرية بفتاة جميلة ، قد أمسكت بأبي الهول رمز مصر أيضا ، وأرادت أن توقفه ، وقد نحت الفنان هذه الفكرة فجعل أبا الهول كالمقعي يريد أن يقوم ، كما يحاول الرجل القيام ، وعبّر الشاعر الملهم عن كل هذه الفكرة المركبة بهذا القول

تعـالـوا نـرى كيف سـوى الصفـاة
فـتـاة تـلـمـلم سـربـالهـا
دنت من أبي الهـول مشي الـرءوم
الى مـقـعـد هـاج بـلبـالهـا
وقـالـت تحـرك فـهـم الجـمـاد
كـأن الجـمـاد وعـى قـالهـا

إن هذا التعبير الرائع (فهم الجماد) تاريخ كامل لنهضة مصر ، ووصف رائع للتمثال ، وإنه لوصف يعجز عنه كل فن ماعدا الشعر الذي هو سيد الفنون جميعا □ .

الدولار

● يقول الدكتور حازم الببلاوي في بحث له عن الدولار : إن استخدام الدولار بدأ في الولايات المتحدة الأمريكية مع قانون العملات الذي صدر في عام ١٧٩٢ في عهد توماس جيفرسون ، وقد أخذ الدولار تسميته هذه من عملة اسبانية كانت متداولة بكثرة في المستعمرات الأسبانية في أمريكا قبل الاستقلال

وقد بدأ الدولار في سنة ١٧٩٢ على أساس قاعدة المعدنين التي كانت شائعة بين الدول في ذلك الوقت ، وبخاصة في فرنسا ، فكان الدولار يعادل ٣٧١,٢٥ جراما من الفضة الخالصة ، أو ٢٤,٧٥ جراما من الذهب الخالص

ومع ما أظهرته قاعدة المعدنين من صعوبات أصبح الدولار اعتباراً من عام ١٨٧٣ على أساس الذهب وحده في ظل قاعدة الذهب .

وقد خفض الدولار بعد الأزمة العالمية في سنة ١٩٢٩ ، فأصبح يعادل ١٣,٧١ جراما من الذهب في ١٩٣٤ ، وبذلك أصبح ثمن الأوقية من الذهب يعادل ٣٥ دولارا ، وقد بقي هذا السعر للدولار مستمرا حتى عام ١٩٦٨ ، حين بدأت سلسلة من التخفيضات

قراءة نقدية لكتاب

الموت يضحك

مجموعة قصصية من تأليف محمد المخزنجي

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

في أوائل الثمانينات قدم « يوسف ادريس » إحدى مفاجآته للحياة الأدبية في مصر ، لم تكن المفاجأة قصة أو مسرحية أو كتابا من كتبه ، بل كانت هذه المرة كاتبا شابا اسمه محمد المخزنجي ، فاز في مسابقة للقصة القصيرة ، كان يحكمها يوسف ادريس ، ومثل يوسف ادريس كان الكاتب الشاب طبيبا (يستكمل الآن دراسته العليا في الطب النفسي في الاتحاد السوفيتي) .

لعل الذين تابعوا المجموعة القصصية الأولى والثانية لمحمد المخزنجي لاحظوا أنه على الرغم من تأثر الكاتب الشاب ببعض ملامح الطريقة الادريسية في أسلوب القص ، إلا أنه يمتلك رؤية خاصة به ، وملامح فنية مميزة ، كانت تبرز بقوة منذ قصصه الأولى حتى آخر قصة في مجموعته الثانية وهي بعنوان « رشق السكين » التي صدرت عام ١٩٨٤ في مختارات فصول

لعلهم لاحظوا مثلا أن قصصه قصيرة جدا ، لكن ذلك لايعني أنها تقدم حصاد النظرة الخاطفة ، أو الانطباع السريع،بل هي تقدم لنا حصاد تأمل نفسي وفكري نافذ ، في لحظة نادرة من تلك اللحظات التي يكون فيها السلوك البشري مفعما بالدلالات والإيحاءات

إنه يختار هذه اللحظة بحنكة صياد ، لايمتلك سوى طلقة واحدة ، ليصطاد طائرا من نوع فريد ، يصطاده حيا ، وغالبا ما تأتي هذه اللحظة عبر موقف يعرف الكاتب كيف ينسج خيوطه بمهارة فائقة ، حتى لاندري هل هذا الموقف من صناعة الكاتب ، أم أن الكاتب واحد من الموعودين دائما بأن تقع عيونهم المدربة الخبيرة على مثل هذه المواقف التي قد نمر بها كل يوم دون أن نلتفت إلى ما تزخر به من ثروات وإمكانات . ولعلهم لاحظوا أيضا أن قصصه القصيرة جدا ، إنما هي ثمرة لتلك الدقة الهائلة

باستخدام اللغة والأساليب والصور الفنية . وأنها تكاد تقترب من القصيدة أو اللوحة الفنية ، وأن الحركة في مثل هذه القصص أو اللوحات تتمثل في تقابل الخطوط أو تقاطعها أو تشابكها أو في حوار الصور والألوان والأفكار والحركات ، وتناغم الحركات والتفاصيل

هذه اللحظة

ما زلت اذكر قصته القصيرة جدا بعنوان « هذه اللحظة » التي يفتتح بها مجموعة « رشق السكين » ؛ لاحظ دلالة العناوين) المقدمة بلسان الراوي ، (حين انقطع التيار الكهربائي فجأة أثناء سيره في الشارع ، فساد الظلام ، واحتجبت وجوه المارة وعيونهم التي كانت تراه ويراها ، وشعر على نحو خارق بأنه هو وربما الدنيا من حوله يولدان من جديد في سكينة هذا الظلام الذي حل فجأة ، وبأن شيئا في داخله ، وربما شخصا اخر في داخله هو الذي أطلق من فمه هذه الدندنة ، حين أحس على جبينه بنداوة نسيم ذلك المساء الرقيق ، وحين سلست الدندنات انبثقت في فضاء الروح مقاطع أغنية حلوة بعيدة ، ظنها قد ماتت في نفسه من قديم ، وحين اكتشف أن أحد لايراقبه تمادى في الغناء ، مستعدا لأن يخفت من صوته حين يقترب من أحد أشباح المارة ، لكن هيبته خجلى حولت إلى دهشة حين تناهى إلى سمعه غناء الأشباح الخجلى التي تمر به في الشارع ، وتلاقت في ظلام تلك الليلة تلك العوالم الداخلية الخفية لهؤلاء الناس ، وهم جميعا يطلقون أغانيهم الحبيسة المفعمة بالشجو والشجن التي انبثقت من مثواها العميق حين حل الظلام فجأة في هذه اللحظة

البطل هو الموقف

لعل القراء لاحظوا في ضوء النموذج الذي قدمناه أن البطل الحقيقي في قصص محمد المخزنجي هو الموقف وليس الشخصية ، وأن الدراما في قصصه تنبع من ذلك الموقف ، أعني من تأثيره على الشخصية ، وليس العكس ، فالشخصية في قصة « هذه اللحظة يمكن أن تحل محلها أي شخصية أخرى دون أن يتغير شيء في القصة ، وأن الحركة الدرامية في قصصه ناعمة تنبع من تقابل العناصر الفنية في القصة ، أو تشابكها أو تناقضها ، فما الجديد الذي يقدمه لنا الكاتب محمد المخزنجي في مجموعته الثالثة « الموت يضحك » ؟

سمات عامة

في هذه المجموعة نلاحظ أن القصص التي كانت في معظمها قصيرة جدا ، وتقترب من اللوحة أو القصيدة تميل هنا إلى شيء من الطول ، وتقترب



بذلك من بناء القصة القصيرة المعروف ، دون أن تفقد لغتها وما فيها من تكثيف وشفافية

ونلاحظ أن الموقف - وليس الشخصية - مازال هو البطل في كل قصص المجموعة ، لكن هذا الموقف الذي كان في قصصه السابقة يتحرك على مساحات واسعة ، سواء في المجتمع أو في الحياة إلى الحد الذي جعل الكاتب في مجموعة « رشق السكين » يجمع قصصه أو لوحاته القصصية تحت عناوين تشير إلى مجالات متعددة مثل « حيوانات وطيور » ، و « ملامح شتوية » ، و « في المقهى » و « في الميناء » ، إلخ ، هذا الموقف نجده في مجموعة « الموت

يفصحك ، حين يركز على « لحظة المواجهة بين قوى الحياة وقوى الموت » . ففي كل قصص هذه المجموعة يجد الكاتب يتسرب بطرق مختلفة ، ومن زوايا متعددة من تلك اللحظة النادرة التي تسقط فيها أقنعة الحياة أو أقنعة الموت ، فنرى الوجوه المتعددة لقوى الحياة ، والوجوه المتعددة لقوى الموت في لحظة المواجهة تلك

قد يلوح في بعض هذه اللحظات أن قوى الموت هي التي تنتصر أو تسود ، وقد يلوح أن قوى الحياة هي التي تبقى في النهاية وتستمر ، لكن النظرة المتأنية تكشف ان الكاتب لا يسعى إلى تسجيل نصر أو هزيمة ، بل إلى الكشف عن تجليات الحياة التي ترتدي أحيانا اقنعة الموت ، أو تجليات الموت الذي يرتدي احيانا أقنعة الحياة ، وأنه لايكشف لنا الا عن الحياة الحقة التي قد يكون الاقتراب الشديد من الموت هو السبيل الوحيد لمطالعة وجهها الكريم النبيل . وأن الموت الذي يكتب لنا عنه هو فقدان الحياة هذا المعنى ، ولو كنا مازلنا نعيش ونأكل ونسمن كدجاج « هذه المزرعة » ، ونسير ونتناسل ، لماذا في هذه المرة يبعدنا الحديث عن فن الكاتب في الحديث عن النص ؟!

دم الغزال

نبدأ هذه المرة بالحديث عن اخر قصة في المجموعة بعنوان « دم الغزال » ، ربما لأنها من أكمل قصص المجموعة في الدلالة على رؤية الكاتب للحظة المواجهة بين قوى الحياة وقوى الموت ، ولأنها تمرح على نحو بارع بين دراما القصة والوصف الشعري ، فضلا عن طولها النسبي (٧ صفحات) من القطع المتوسط ، وتحليل هذه القصة يضع أيدينا على خصائص فن الكاتب في هذه المجموعة

« ابراهيم » جندي في سرية منوط بها حراسة الغزلان التي تعيش في محمية طبيعية ، اسمها الوادي الريان ، لكنه هذه المرة يركب سيارة « اللاندروفر » بجوار السائق وبيده بندقيته ، ليصطاد غزالة من المحمية ، تكون شواء على مائدة القائد الذي يستقبل اليوم قائده الأعلى الذي يزور المحمية ، ويفكر ابراهيم بضمير مثقل بأن حماة المحمية يهبونها ، ولم يجرؤ على معارضة قائده . فهل يخفف من شعوره بالذنب وبالضعف أن يخطط لصيد الغزالة دون أن يطلق عليها رصاصة واحدة ؟ « يدفعها من الوادي الريان حيث تعيش إلى الوادي العطشان ، حيث تسهل المطاردة ، وماذا تفعل غزالة في ساقها أمام وحش الحديد ، سوى أن يستبد بها الانهاك بعد حين ، فتقف عاجزة لاهثة ، لينزل هو من السيارة ويمسك بقرنيها ، ويسحبها إلى العربة ثم إلى المعسكر »

هكذا كان يفكر ابراهيم وهو يقطع الطريق إلى الوادي الريان ، حيث ينتشر العشب الأخضر الذي تعيش عليه الأرانب والغزلان ، ومن حولها تعيش الذئاب والثعالب التي تتعدى بالأرانب والغزلان ، وتحط أسراب الطيور المهاجرة قليلا للراحة ، وفي لحظات الشبع الحيواني يبدو الريان واحة تسكنها سلسلة من الكائنات الأليفة المتوادة

لكن هذه الواحة التي يبدو فيها كل شيء هادئا ومتناغما يدب فيها الروع مع ظهور السيارة ،

ليست المشكلة إذن في أعماق ابراهيم هي مجرد اصطياد غزالة قد تقع فريسة لأي ذئب متربص ، بل هي أولا في صمته أمام قائده ، وهي ثانيا في شعوره بأنه بسيارته يقتحم عالما متناغما ، ويفسد انسجامه حتى بنوع القتل الذي يفرضه عليه ، ومع ذلك فكل شيء يتم كما خطط ابراهيم ترتبك الغزالة أمام مفاجأتها بوجود السيارة ، فترتكب أول أخطائها بالاندفاع الى الوادي العطشان

المطاردة

وتبدأ المطاردة العزالة لم تكن تجري ، بل كانت تطير وقد بدت لابراهيم كأنها صورة حلمية ، فأطراف قوائم الغزالة لاتكاد تلمس سطح الرمال الحريرية المتماوجة ، بل تغمزها غمزا خاطفا ، تتضام في نقطة واحدة يتقوس أعلاها جسم الغزالة قوسا ساحر المرونة ، كأنما يصوب نحو السماء سهما غير مرئي ، عمرة وينطلق السهم لا ، بل ينطلق القوس نفسه ، ينفتح جسم الغزالة طائرا في الهواء ،

إلى الأمام ، إلى الأمام في انفساح الوادي ، وعبر المعطفات بين التلال (الحياة في لحظة المواجهة مع الموت تطلق أروع امكاناتها ، ومرونة الحياة تكاد تهزأ بالية وحش الحديد) ويحس ابراهيم كأن العزالة تلطمه كلما انفتح جسمها طائرا في الهواء ، وتضيف إهانة الى لطمة القائد ، وحين تضيق المسافة بين السيارة والعزالة تصفع الرمال المتناثرة من أطراف العزالة وجه ابراهيم ، الطبيعة نفسها تمعن في إهانته ، وتصير المطاردة جنونا ، يدفع بابراهيم إلى أول خرق للعهد الذي قطعه على نفسه ألا يستخدم السلاح ، فيقرر أن يطلق واحدة لاتقتلها ، ولكن لتوقف هذا الجنون ، طلقه طاشت ، وطلقة اصابت ، لكن لم تخلف سوى اهترارة عابرة في مسار الركض الطليق ، ثم عاد التحاسن للمسار ، ثم اشتعلت الحرب أو الجنون ، على الركبة سركت الطلقات حتى برى هذا الجزء من الساق وهو ينفصل فيصرخ ابراهيم صرخة المعلول الذي لاحت له فشة ، وما لبثت القشة أن عرقت ، وصارت الحلمية الوحيدة تعمل عمل الاثنين. لافارق يكاد يذكر ، إلا أن الركض قد نحور مساره قليلا ، صار قوسا ، وفي انحناءة القوس كانت السيارة تميل لملاحقة القوس ، تميل إلى الحد الذي كاد يؤدي إلى انقلابها ، إلى الحد الذي كاد يميت الموت الكاسح ، ويدفع بابراهيم إلى التفكير في إصابة العزالة في مقتل قبل أن تقتله ، لكن قبل أن يفعلها ابراهيم قطعت العزالة قوس ركضها بانعطافة حادة ، ودخلت في فوهة أقرب كهف صادفها ، ثم وقفت وكأنها حشرت في الفوهة .

اعتقد ابراهيم أن المعركة قد انتهت ، ولم يبق أمامه سوى أن ينزل ليحدث العزالة من الساق الوحيدة التي بقيت لها ، ودهل ابراهيم حين اقترب من العزالة ، حين رأى أن ما تبقى من الجزء المقطوع من الساق لم ينزف ، وكأن الطلقات الملتهبة كانت تكوي حيث كانت تقطع ، لكن ذهول ابراهيم الأعظم كان حين حاول أن يسحب الغزالة إلى الخلف فلم تنسحب ، حينئذ فقط أدرك أن العزالة لم تنحشر في فوهة الكهف ، لكنها توقفت ، بإرادتها توقفت ، لاشك كانت أمامها هنيهة ، أمام عزيزة الحياة فيها هنيهة للاختيار ، بمواصلة الهروب إلى الخلف ، لكنها اتخذت قرارها الأعظم بأن تتوقف ، فلماذا توقفت ؟

هل سمع ابراهيم صوتا لاشك فيه لسعار ذئاب تختفي داخل الكهف ؟ الذئاب إذن هي التي أوقفت العزالة حيث يسهل عليه أن يسحبها الآن إلى الخلف ، لكن الذئاب نفسها بسعارها المحموم أوقفته كذلك ، ووضع أصابعه على الزناد ، وبدأ هو يرى مثلما رأت العزالة التماع العيون الذئبية ، والتماع الأنياب يأتيه من ظلام الكهف ، وراح الجزء الظاهر من العزالة في فوهة الكهف يهتز ويرتعش ويسكن تبعا لتأجج السعار وخفوته ، ثم رأى خطوطا من الدماء تأتي إليه من داخل الكهف ، من بين أقدام العزالة الثلاثة الباقية »

هل يمكن هنا أن نتحدث عن انتصار للموت على الحياة ؟

ومن الذي انتصر ، ومن الذي انهزم ؟ أسئلة كلها أصبحت أمام هذه التجربة لاتعني الكثير ، لكن يبقى السؤال الذي ربما يعني شيئا لماذا اتخذت العزالة ، أو فلنقل لماذا اتخذت عزيزة الحياة في العزالة قرارها بالتوقف ، ولم تحاول الرجوع إلى الخلف وقد كانت أمامها ربما هنيهة قصيرة ؟ هل نقول لأنها أدركت بشيء من الرضا الغامض أنه لم يبق هناك شيء لم تقدمه ، وأن هذا هو كل شيء ، أن تقدم الحياة ، كل إمكاناتها ؟ ربما كانت المسألة أننا لاندرك كل هذه الامكانات المبهرة إلا حين نقترب قربا شديدا من الموت أحيانا ، فيصبح بعده الرجوع مستحيلا !

أمام بوابات القمح

في هذه القصة يقرر مجموعة من الأطفال أن يقتلوا طفلة ، كانت وما تزال تلعب معهم ، طفلة جميلة اسمها رمرم ، لكن تنفيذ القتل يقودهم إلى اكتشاف حياة جديدة رائعة .

والمسألة أنهم وهم جميعا من أبناء الفقراء في المدينة يجبرهم دووهم على أن يذهبوا بقلل الماء إلى حيث

تقف السيارات التي تحمل (أحولة) القمح أمام مخازن القمح ، حيث يحتاج سائقو الشاحنات والحمالون إلى جرعة ماء بارد ، يقدمها الاطفال مقابل حفنة من القمح المتسرب من (الأحولة) ، يملؤون بها أكياسهم ، ويتحول هذا الواجب الثقيل إلى لعبة حين يتسابق الأطفال إلى تحميل قللهم ، وسرح مائها بماء الورد ، ليفوزوا بالمزيد من القمح .

لكنهم ذات يوم يكتشفون فجأة أن الوحيدة التي تفوز في هذه المسابقة هي رمرم ، فأيدي العمال الظماى لا تشير إلا إلى (قلة) رمرم ، (لاحظ دلالة الاسم) .

فماذا صار (قلة) رمرم عن (قللهم) ؟ وهكذا يبدو أن رمرم هي التي تقطع ارزاقهم ، وتضعهم في موقف الخائب أمام ذويهم ، فيقررون سباطة قتلها ،

ويحمل أحدهم سكينا والاخر هراوة ، وفي المساء يترصدون بها تحت السلم ، ويجري كل شيء كما خططوا له ، يطرحون رمرم أرضا ، وتحيط بها أيديهم وأجسادهم ، وبدلا من أن يقتلوا رمرم فإنهم يكتشفونها ، بل يكتشفون أنفسهم ، فالأيدي ترتعش ، والسكين تسقط ، والهراوة تنفلت من يد صاحبها التي أصبحت تكتفي بالإمساك بذراع رمرم ، حتى عندما دفعتهم رمرم بعيدا عنها ، وأصبح بمقدورها أن تهرب لم تفعل ، بل ظلت نائمة كأنما قد مسها هي ايضا شيء من ذلك السحر الذائب في الأيدي والارجل ، الذي يتدفق مع الدماء في العروق ، فيجف الريق ، وترتعش الأحداق .

ويسرع النص هنا تعود فكرة القتل إلى اكتشاف منابع جديدة للحياة ، وكأن التسرب الشديد الذي يصنعه العلاقة بين القاتل والقتيل يتسم على نحو غامض القرب الشديد الذي يصنعه العلاقة بين جسدين إنهم يكتشفون في تلك الليلة الاجابة عن سؤالهم لماذا كان العمال يشيرون الى (قلة) رمرم ؟ ولم يعودوا يحقدون عليها ، بل تمنوا ان يكونوا مكان العمال ، ليقدموا لرمرم كل شيء يطلبه ، حتى لو كان قمحهم !

الأسوار

خمسة رجال هم الان خلف الأسوار ، قبل أيام نجح هؤلاء الخمسة في تحريك المظاهرات الحاشدة ، ضد قوى السلطة في البلاد ، كانوا هم القوة العظمى ، فالجماهير تأتمر بكلمة من أحدهم ، بنظرة عين ، أو باشارة من يد

وحين تم القبض عليهم وعزلهم عن مصدر قوتهم ، بدوا لأول وهلة كأنهم لم يفقدوا شيئا من قوتهم ، فالناس يحيئون لزيارتهم ، وناس لايعرفونهم يقفون خلف الأسوار بانتظار اللحظة التي يسمح فيها للمساجين بفسحة قصيرة ، فيطل عليهم هؤلاء الخمسة من أعلى السلم الموصلة إلى فناء السجن.في البداية كان الناس يجيئون بلا مناسبة ، ثم أصبحوا يجيئون في المناسبات وحدها ، ثم أصبحوا لايجيئون وهكذا يواجه هؤلاء الخمسة الذين كانوا يصيحون بالحياة معنى من معاني الموت ، « إن طول الخرج يغري بالتناسي » ، يصبح هذا المقطع أغنيتهم المفضلة ، فهل تدبل في داخلهم قوى الحياة أمام مواجهة هذه الصورة من صور الموت ؟ الزمن العزلة تلك هي بعض أقنعة الموت ، وربما أخطرها ، الفعل الجسور الفائق ينسى ، القضية تنسى ! ينسى الناس أمام دبيب الزمن البطيء الذي لايترك أثرا لكن هل ينسون هم ؟ يصبح الخروج إلى نفس المكان الذي كانوا يلوحون منه للجماهير خارج الاسوار في وقت الفسحة اليومية لعبتهم المفضلة وعزاءهم الوحيد . فالأطفال الذين يمرون في نفس الوقت للذهاب إلى « استاد » الكرة يحلو لهم أن يلوحوا للمساجين الذين يطلون عليهم من وراء الأسوار ويأخذ هذا التلويح للاطفال معنى رمزيا ، فيصبح تلويحا للغد . وحتى عندما يهطل المطر ويبدو أنه من الصعب أن يخرج الأطفال في مثل هذا الوقت فإن المساجين الخمسة لايتخلفون عن الخروج والوقوف في نفس المكان ونفس الموعد ، ليستقبلوا الأمطار على وجوههم . فالمطر نفسه وعد بشيء قد يتحقق

في هذه القصة تتبارى قوى الحياة وقوى الموت داخل الأسوار وخارجها

تنويعات على لحن واحد

تقدم بقية قصص المجموعة تنويعات مختلفة حول لحظة المواجهة بين قوى الحياة وقوى الموت ، ففي قصة « هذه المزرعة » يقدم لنا الكاتب من خلال عيني عضو لجنة تقصي الحقائق إحدى مزارع الدجاج الحديثة ، بطريقة تبدو فيها المزرعة كأنها صورة رمزية للمجتمع الحديث الذي يقوده جنون الاستهلاك . ومع أن عضو اللجنة يبحث عن دليل إدانة لصاحب المزرعة الذي تشير قرائن كثيرة على أنه ينمي مزرعته بطرق غير مشروعة ، فإنه يجد مزرعة حديثة تنمو بلغة الأرقام ، وتنتظم بمنطق الآلة ، وتلتزم بالتعليمات الموجودة بجميع اللغات في أدلة المزارع . لكن الطواف داخل المزرعة وأسلوب حياة الدواجن في أقفاصها ، وطريقة أكلها وشربها والعاملين فيها ، يترك لدى القارىء شعورا مريرا وساحرا بأن هذه المزرعة ربما هي مدينته ، وربما تسرب هذا الشعور أيضا إلى عضو لجنة تقصي الحقائق فاندفع في جنون محطما كل الأقفاص التي تعيش فيها الدواجن ، لكنه يفاجأ بأن دجاجة واحدة من دجاج المزرعة لا تتحرك لمغادرة قفصها،أكان هذا هو الدليل الذي يبحث عنه حين ساوره الشك أو ساورك - عزيزي القارىء - في حقيقة هذه المزرعة ؟

في هذه القصة نلوح أن الحياة في هذه المزرعة أو فلنقل في هذه المدينة هي على الرغم من - كل تسمية - ليست سوى احد أقنعة الموت .

عودة إلى البداية

اذا كنا قد بدأنا رحلة هذه القراءة التحليلية لبعض قصص هذه المجموعة من اخر قصة فيها فليس مجرد صدفة ان نختتم هذه القراءة بالحديث عن أول قصة فيها . وهي بعنوان « الفئران »

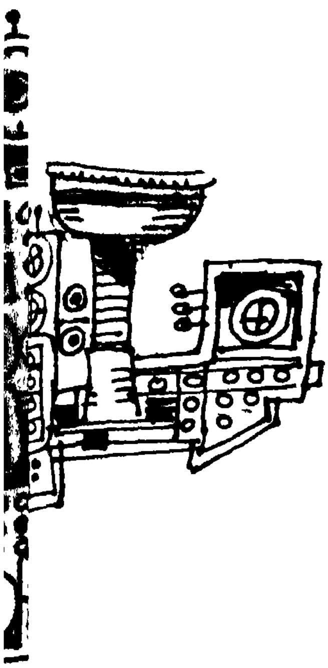
فهذه القصة تكاد تنتمي إلى النوع السائد في قصص المجموعتين الأولى والثانية للكاتب ، مع أنها أيضا تدور حول نوع من المواجهة بين قوى الحياة والموت ، وهي الفكرة المحورية في مجموعتنا هذه

إلا أن قصة « الفئران » لاتقدم لحظة مواجهة بالمعنى الدقيق للمواجهة ، بل تقدم نوعا من المقابلة الصامتة الصارخة في الوقت نفسه بين مشهدين أحدهما بمثابة الاطار والاخر بمثابة الصورة . مشهد الإطار نرى فيه الطبيعة في لحظات ماقبل الغروب ، والمشهد داخل أسوار أحد المصحات العقلية ، حيث تنمو أشجار الكافور والباسياسا والتوت ، وحيث تفرش الظلال والأزهار والثمار المتساقطة الطرقات الممتدة بين عنابر المرضى وحدائق المستشفى ، وحيث تغرد طيور قد لانراها ، لكن صوتها الشجي يبث في جوانب الاطار حياة رقيقة نابضة

في داخل هذا الإطار الذي يضج بالحياة والجمال تتحرك مجموعة من البشر ، مرضى وممرض وممرضة ، عجوزان يدفعان أمامهما عربة يد عليها جثة امرأة مغطاة بملاءة بيضاء تسقط عليها أزهار البانسيانا ، فتبدو كأنها نقشت توا بألوان بهيجة . من خلال ثرثرة العجوزين الواهنة نعرف أشياء عن مأساة صاحبة الجثة التي ينقلانها إلى حجرة العزل ، بل عن مآسي المرضى جميعا . القصة هنا تقترب من القصيدة أو اللوحة . ولاشيء يحدث هنا سوى هذا التقابل الأليم ، بين طبيعة غنية وجميلة وبشر مهاسين وبائسين . والكلمات التي تتساقط في وهن من شفاه عجوزين على شفا الهلاك ، تبدو كأنها اصابع واهنة تشير في ضعف إلى حدود المأساة التي تجري خارج أسوار المستشفى ، وتدفع بضحاياها إلى هذا المكان ، حيث تضج الطبيعة بالحياة ، بينما الأحياء موتى أو في طريقهم إلى الموت

وهكذا في هذه القصة كما في غيرها نجد هذا التناسق الرائع بين مادة التجربة وبين شكلها ، سواء أكانت تقترب من عالم القصة أم من عالم القصيدة □

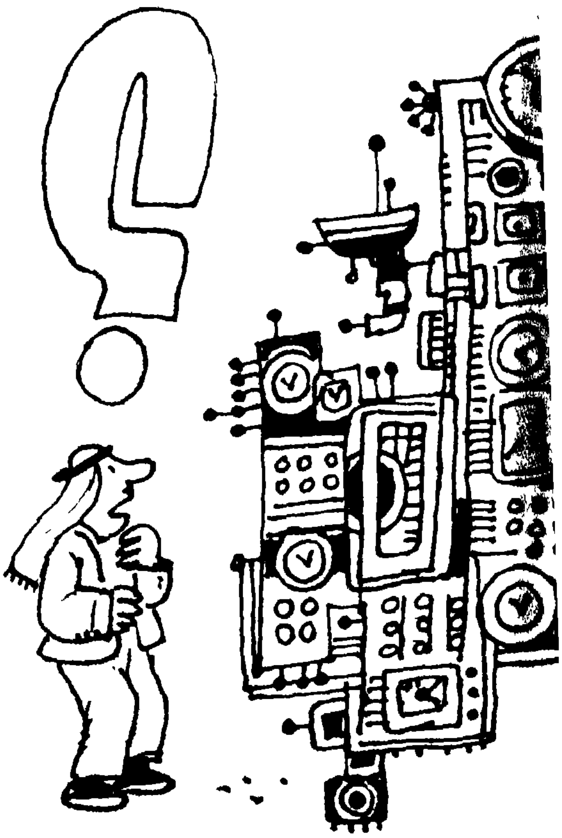
تكنولوجيا.. للعالم الثالث!



بقلم : الدكتور سمير رضوان

أصبحت العلوم الطبيعية والبحوث العلمية ذات صبغة عالمية ، وأصبح من الخطأ الحديث عن علم للدول المتقدمة وعلم للعالم الثالث ، بل هو علم واحد ، لكن أسلوب استثمار المعارف العلمية في حل مشاكل البشر ـ أي ما اصطلح على تسميته « تكنولوجيا » ـ يختلف باختلاف طبائع الشعوب ونوعيات مشاكلها ومدى تعمق المعارف العلمية لديها ، ومن ثم وجب أن نفرق بين « تكنولوجيا » للعالم المتقدم « وتكنولوجيا » للعالم الثالث .

لن يحقق العالم الثالث النجاح المأمول في حل مشاكله ـ وهي كثيرة ـ وفي الفكاك من شباك التبعية الاقتصادية والسياسية للعالم المتقدم ، طالما هو يصر ألا يعتمد إلا على « التكنولوجيا » المتقدمة في التنمية ، فهذه « التكنولوجيا » هي نتاج لفكر باحثين ، مشاكل شعوبهم تختلف بالضرورة في طبيعتها عن مشاكل العالم الثالث الأساسية ، فضلا عن أن الخبرة التي تيسرت لعلماء العالم الثالث لاتؤهلهم بعد لاستيعاب الكثير من أنماط « التكنولوجيا » المتقدمة ، ولا لملاحقة التطور السريع في مجالاتها المختلفة . والطريق الذي لا طريق سواه هو أن يشرع العالم الثالث جادا في تبني « تكنولوجيا » خاصة به ، من نتاج فكره ، تتلاءم مع نوعيات مشاكله ، « تكنولوجيا » ليست بالضرورة عالية ، بل ينبغي أن تكون بالضرورة متواضعة ، يكتسب من خلالها الخبرة درجة درجة وأمام العالم الثالث فرصة لم تكن متاحة للعالم الصناعي عندما بدأ ، فرصة بأن يتعلم من أخطاء هذا العالم ، وأن يتحاشى الوقوع فيها قدر المستطاع



« التكنولوجيا » المتقدمه و المتواضعة

« التكنولوجيا » المتقدمة « والتكنولوجيا » المتواصعة تعبيران دارجان في دول الغرب الصناعية . يقصد بالأول « التكنولوجيا » الشديدة التعقيد التي تتطلب خبرة حاصة ومستوى رفيعاً من الدراية العلمية . لا تتوفران إلا لدول قليلة . أما « التكنولوجيا » المتواصعة فتعتمد على معارف علمية شائعة . لا تتطلب إلا قدرا متواضعا من الخبرة ولا يخفى على أحد مقدار التطور الذي بلغته « التكنولوجيا » المتقدمة في الدول المتقدمة ـ خاصة ونحن ستورد نتاجها ـ فنرى آثارها في السيارات التي نقودها ، وفي التلفار وأحهزة الاستماع ، كما أن اثارها في مطابخنا ومصانعنا وحامعاتنا وما إلى دلك وكثيرا ما نحلط بين « التكنولوجيا » ونتاج « التكنولوجيا » ، فنسي أو نتناسى أن « التكنولوجيا » فكر ومعرفة ، وليست الة أو جهارا ، وربما استطعنا شراء الآلة أو الجهار ، أما الفكر والمعرفة فيكتسبان ، ولا مجال على الاطلاق لشرائها ولقد بلغت « تكنولوجيا » الغرب المتقدمة ما بلغته بالبحث العلمي المتعمق الدائم التطور ، وتتقدم « التكنولوجيا » في العالم الصناعي بقدر ما تتقدم العلوم الأساسية . إذ أن « التكنولوجيا » والعلم في الواقع وجهان لعملة واحدة والسبب الأساسي الذي يكمن في عجز العالم الثالث عن مجاراة العالم الصناعي في تقدمه « التكنولوجي » يكمن في تخلفه في مجال البحوث الأساسية لأسباب عديدة ، منها أن مثل هذه البحوث تتطلب أموالا لاطاقة لميزانيات معظم دول العالم الثالث باعتمادها ، ومنها عدم اقتناع أولي الأمر والنهي في معظم هذه الدول اقتناعا حادا بجدوى تمويل البحوث الأساسية وقد كان نهرو العظيم أحد الاستثناءات القليلة من هذه القاعدة الأخيرة ، إذ كان اقتناعه المطلق بجدوى البحوث العلمية الأساسية هو القاعدة التي بنت عليها الهند اليوم نهضة لولاها لقاست أضعاف أضعاف ما تقاسي فعلا من مشاكل ، إلا أن « ما لا يدرك كله لاينبغي أن يترك حله » ، فما دام مستوى البحث العلمي الأساسي في العالم الثالث مازال متواضعا يتحتم أن تكون لهذا العالم « تكنولوجيا » متواضعة خاصة به ، ولسنا بحاجة لأن نذكر بأن لاعلم الغرب ولا « تكنولوجيته » قد ولدا عملاقين ومن أعجب المفارقات في عالمنا الثالث ـ وكم فيه من مفارقات ـ أنه غالبا ما يسعى إلى القفز مباشرة إلى « تكنولوجيا » متقدمة ، تتجاوز طاقاته العلمية المتواضعة ، فلا يعدو حينئذ أن يبتاع نتاج هذه «التكنولوجيا » ، ويعتقد أنه بذلك قد امتلكها ، وذلك على الرغم من أن عالمنا الثالث قد حقق نجاحا منقطع النظير في المحاولات النادرة التي تصدى لها ، وأثبت خلالها

بجدارة أن « التكنولوجيا » المتواضعة المعتمدة على المعارف العلمية البسيطة لاتقل أهمية بالنسبة له عن « التكنولوجيا » المتقدمة لانها تصلح لظروفه وقدراته ـ على الأقل ـ في المرحلة الحالية. لكن هذا لايعني محاكاة العلم المتطور « والتكنولوجيا » المتقدمة بل هي دعوة إلى الصعود إليهما بالوسيلة المنطقية . وذلك بأن نضع أرجلنا على الدرجة الأولى للسلم لنصعده درجة درجة ، مكتسبين خبرة وراء خبرة . كما أنها ليست دعوة إلى مقاطعة نتاج « التكنولوجيا » المتقدمة وهو أمر يخرج عن موضوع هذه المقالة على أي حال

ليس «بالتكنولوجيا» يتقدم الانسان

من الخطأ الظن أن التقدم لايتأتى إلا بالتكنولوجيا المتقدمة ، فواقع الأمر أن أنماطا لاحصر لها من « التكنولوجيا » ـ حتى في الدول المتقدمة صناعيا ـ هي من النوع المتواضع ، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر « تكنولوجية » تحويل الطاقة « الميكانيكية » من الرياح إلى طاقة كهربية باستخدام مراوح بسيطة وحرة متواضعة دون ما حاجة إلى الات وتجهيزات معقدة. وهناك في العالم اليوم نحو ١٦,٠٠٠ محطة لهذا الغرض ، قدرتها نحو ١١٠٠ ميجاوات ، معظمها أنشيء في أكثر دول العالم تقدما ، ونقصد بها الولايات المتحده الامريكية ، وثمة دولة أخرى متقدمة هي المانيا الغربية ، افتتحت يوم ٢٤ / ٨/ ١٩٨٧ أول محطة من هذا النوع في مقاطعة «شليزفيج هولشتين» على شاطىء بحر الشمال ، وتتكون هذه المحطة من ٣٠ مروحة متوسطة الحجم ، مثبتة على ابراج مرتفعة ، طاقتها معا ميجاوات واحد ، وتنتج من الكهرباء ما يغطي احتياجات ٤٠٠ منزل كامل ، تستهلك جميعها في حدود مليون كيلووات / ساعة ، وقد بلغت تكاليف هذه المحطة نحو خمسة ملايين مارك الماني. ثم إن المسئولين الألمان كانوا قد خططوا لإنجاز ١٤٠ محطة حتى نهاية ١٩٨٧ ، ١٠٠ منها في المانيا ، و ٤٠ في دول أخرى من دول العالم الثالث. ويتوقع المسئولون أن تغطى مثل هذه « التكنولوجيا » المتواضعة نحو ٢.٥ ٪ من مجموع الطاقة التي تستهلكها المانيا مع حلول عام ٢٠٠٠ . وأود فيما يلي أن أتناول بإيجاز أربع محاولات رائعة ، أثبتت دول العالم الثالث خلالها أنها قادرة من خلال التفكير الأصيل المبتكر أن تستثمر « تكنولوجيا » متواضعة في تحقيق ما يشبه المعجزات

هذا الشهيد الفلسطيني وآلته الطائرة

لاشك أن القاريء مازال يذكر بإعجاب قصة الشهيد الفلسطيني الطائر الذي عبر الحدود الفلسطينية اللبنانية الحصنة بطائرة شراعية مصنوعة من مواد أولية بسيطة ، وذلك على وجه التحديد يوم الخميس ٢٦/ ١١/ ١٩٨٧. فقد فوجيء الجنود «الإسرائيليون» بالبطل الذي ظنوا أن الأرض قد انشقت عنه ، فوجئوا به يمطرهم بوابل من الرصاص والقنابل ليقتل منهم ستة ويجرح ثمانية اخرين قبل ان يسلم روحه الطاهرة إلى بارئها. وقد اعترفت القيادة «الاسرائيلية» بعجز أجهزة الرادار المتطورة عن رصد هذه الطائرة الشراعية البسيطة اثناء عبورها ، ولقد استحوذت هذه الواقعة على اهتمام الرأي العام والمسئولين في الخارج ، وفي الدول الصديقة « لاسرائيل » على وجه الخصوص ، إذ أن معنى ما حدث أعمق من أن يمر كما تمر أية حادثة عادية ،

ففكرة استخدام طائرة شراعية فكرة رائدة في الحرب ، لم تخطر على بال أحد ، وعلى الرغم من بساطتها الفائقة فقد حققت مراد من ابتكرها على أكمل وجه. ولابد أن نذكر هنا أن كثيرا من دول العالم الثالث الأخرى قد شرعت في الأونة الأخيرة إلى اللجوء إلى أساليب غير تقليدية ، وابتكرت خلالها مواد مفرقعة وما إليها باستخدام تجهيزات بدائية للغاية ، وقد استخدمتها بنجاح في حروبها ضد دول أقوى منها ، وقد أسهبت صحف الغرب في الكتابة عن هذه الأساليب وحذرت من هذه « التكنولوجيا » الحربية المتواضعة ومن خطرها في المستقبل. ولو أن الشهيد الفلسطيني البطل كان قد استخدم في عبور الحدود أحدث ما أنتجه سلاح الطيران الامريكي من

مقاتلات لما استحوذت الواقعة على اهتمام أحد على الاطلاق . فقيمة هذه الحادثة إذن تكمن في أصالة فكرتها وملاءمة أسلوب تنفيذها لواقع الحال

قهر الساتر الرملي

وتذكرنا قصة الشهيد الطائر بواقعة تشبهها في أصالة فكرتها ، وإن اختلفت عنها في الأسلوب حدثت هذه الواقعة في أوائل حرب ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ على الحدود المصرية ضد نفس العدو « الاسرائيلي » . وأقصد بها واقعة شق الساتر الرملي الذي كانت القوات « الاسرائيلية » قد تجشمت الكثير من العنت في بنائه كجزء من خط بارليف الحصين على طول قناة السويس وكان هناك إجماع على أن هذا الساتر الرملي لاسبيل لاختراقه أبدا ، إذ يستحيل حتى على أعتى القنابل نسفه . لكن الحدي الطل أعمل فيه سلاحا لم يخطر على بال أحد من قبل ، سلاح في غاية البساطة ، بيد أنه هو السلاح الوحيد الملائم لقهر هذا العائق الجبار ولم يكن ذلك السلاح سوى تيارات قوية من مياه القناة ، ضخت في خراطيم لتندفع بقوة محسوبة من قبل ، فتشق طريقا في جبل الرمل ، كما تشق السكين الزبد

ولقد أذهلت الفكرة الرائدة العالم حينما سمع بها ، ولعلها كانت من أكثر إنجازات العسكرية المصرية استحواذا على إعجاب الخبراء العربيين ، وكم كتبت الصحف الالمانية عن سذاجة خبراء الري المصريين الذين جاءوا إلى المانيا ليتعاقدوا على مضخات مياه ذات قوة غير معهودة ، وكانوا على استعداد حتى لدفع تكاليفها الباهظة على الرغم من أن مضخات أقل قوة من المعاقد عليها ـ وأقل تكلفة بالطبع ـ كانت تكفي تماما لأعمال الري ، كما قيل ساعتها لهم . ولم يكن أحد يعلم أن المشترى ليس هندسة الري بوزارة الزراعة المصرية ، وإنما كان سلاح المهندسين بالجيش المصري ، كما شاع فيما بعد ، كما لم يكن أحد يعلم أن المضخات العملاقة كانت ستحند لمهمة أسمى وأعظم من مهمة الري ، ولقد حلت على الوجوه في الغرب بعد ذلك علامات الدهشة والاعجاب بدلا من ابتسامات السخرية والاستهزاء ، ومرة أخرى كان السر في عظمة الفكرة هو أصالتها وبساطتها وملاءمتها الكاملة للمجال الذي استخدمت فيه بأسلوب مبتكر لم يسبق لأحد استعماله

انتاج البيوغاز في اسيا

ومن استخدام « التكنولوجيا » المتواضعة في المجالات العسكرية إلى استخدامها في مجال توفير الطاقة والمصدر الرئيسي للطاقة في العالم اليوم هو النفط ، ويتكون النفط من خليط من مواد تعرف كيميائيا بالهيدروكربونات ، إذ تتكون جميعها من سلاسل أو حلقات من ذرات الكربون التي تتصل بها ذرات الهيدروجين ، وكلاهما من العناصر القابلة للاشتعال ، وهنا تكمن قيمة المركبات كمصادر للطاقة ، أي كوقود والهيدروكربونات ذوات السلاسل الكربونية القصيرة غازية وليست سائلة ، على أن كلتا الصورتين تصلح كوقود ممتاز ، ويستخدم الغاز كما هو معروف أساسا في مواقد الطهي في المنازل وأبسط الهيدروكربونات الغازية تركيبا هو الميثان ، إذ تقتصر السلسلة الكربونية فيه على ذرة كربون واحدة تتصل بها أربع ذرات من الهيدروجين ، وهو أحد المكونات الاساسية للغاز الذي يستخدم كوقود في المنازل ، وقد أثبتت البحوث البيولوجية أن معظم هذا الغاز تنتجه أنواع معينة من بكتيريا لاهوائية ، وهذا على غير ما كان يعتقد إلى عهد غير بعيد ، من أن معظم الميثان في الطبيعة ذو أصل حفري وتدل الحسابات الدقيقة على أن نحو ٨٠ / من مجموع الميثان في جو الأرض ناتج عن النشاط البكتيري ، ولا يمثل الميثان المصاحب للنفط إلا نحو ٢٠ / فقط . وتصنع هذه الأنواع البكتيرية اللاهوائية غاز الميثان كمنتج ثانوي لعمليات بيوكيميائية تحصل من خلالها على الطاقة اللازمة لشتى وظائفها الحيوية حيث تستثمر هذه البكتيريا غاز ثاني اكسيد الكربون المتوافر في البيئات المختلفة لتؤكسد به غاز الهيدروجين الذي تنتجه أنواع أخرى

من البكتيريا اللاهوائية للطاقة اللازمة لها من هذه الأكسدة التي يتولد عنها غاز الميثان. وعادة ما تستوطن بكتيريا الميثان البيئات الرديئة التهوية مثل الأرض المغمورة بالماء والمستنقعات، ومن هنا جاءت تسمية الغاز باسم «غاز المستنقعات». وتعتبر المعدة الأولى للحيوان المجتر من أكثر البيئات ملاءمة لبكتيريا الميثان وللميكروبات الأخرى التي تنتج ثاني اكسيد الكربون والهيدروجين. لذلك فغاز الميثان مكون أساسي لكميات الغازات الكبيرة التي تطلقها الحيوانات المجترة من أبقار وخراف وغيرها طوال اليوم. كما أن مخلفات هذه الحيوانات تحتوي على أعداد كبيرة من بكتيريا الميثان. ومن هنا فكر الباحثون في إمكان تجميع مخلفات الحيوانات المجترة فور إفرازها في مستودعات خاصة. وخلطها بالماء مع مخلفات أخرى تصلح مادة أولية لانتاج الميثان. بهدف توفير هذا الغاز كوقود من خلال عملية تخمر بسيطة. وقد نجح العلماء في مسعاهم، وأطلقوا على الغاز اسم «البيوغاز» إشارة إلى مصدره الحيوي. وقد استحوذت هذه النتائج على اهتمام العلماء في كل من الهند وباكستان على وجه الخصوص. وهما ـ كما هو معروف ـ دولتان اسيويتان تفتقران إلى مصادر للطاقة. وقد استثمرت هذه المعارف العلمية لانتاج البيوغاز كوقود للمنازل. من خلال «بيوتكنولوجيا» متواضعة للغاية. إذ تجمع مخلفات الحيوانات في حفرة بجوار المنزل. وتغلق بإحكام. وتزود بين الحين والآخر بالماء والمخلفات العشبية الغنية بالسليولوز. فيتولد البيوغاز الذي يمر مباشرة من خلال أنابيب موصلة الى المواقد داخل المنازل. ولولا هذه «التكنولوجيا» المتواضعة لعانت قطاعات كبيرة من الشعبين الهندي والباكستاني معاناة حقيقية من أجل الحصول على الوقود اللازم للطهي في المنازل.

حشرة مرض النوم

نجحت مؤخرا مجموعة من الباحثين في أفريقيا في السيطرة على وباء من أخطر أوبئتها التي ظلت تهدد الثروة الحيوانية فيها جيلا بعد جيل. وقصة السيطرة على هذا الوباء بجهود ذاتية مخلصة ومن خلال «تكنولوجيا» افريقية صرفة، تستحق أن نطيل التوقف عندها بعض الشيء.

تنقل حشرة تسي تسي للأحياء الراقية عدوى تتسبب فيها يعرف بمرض النوم. والمسبب المباشر لهذا المرض هو بلازموديوم (حيوان وحيد الخلية) من قبيل البلازموديوم الذي تنقله أنواع من البعوض، وتسبب به مرض الملاريا. وتستوطن حشرة تسي تسي افريقيا عند خط الاستواء. والاخطار التي تتهدد الانسان من مرض النوم ليست كبيرة. إضافة إلى أن هناك الآن مجموعة من الأدوية الممتازة لعلاج الانسان المصاب. أما خطر هذا المرض على بعض الحيوانات فهو عظيم. إذ غالبا ما يفضي إلى نفوق هذه الحيوانات. ومن الجدير بالذكر أن الحيوانات ذات الأصل الافريقي تتحمل المرض ولا تموت بسببه. اما الحيوانات الدخيلة على افريقيا ـ أي التي لم تكن مستوطنة فيها أصلا ـ فهي التي تموت غالبا عند الإصابة. ومن ضمن هذه الحيوانات البقر والخراف. وهي تمثل المصدر الاساسي للحوم في غذاء البشر اليوم. كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن الثروة الحيوانية في افريقيا كان يمكن أن تضاهي في وفرتها ثروة الولايات المتحدة لولا هذا الوباء اللعين. ولدول أفريقيا المتاخمة لخط الاستواء تاريخ طويل مع حشرة تسي تسي. فكم من حملة شنت ضد هذه الحشرة، استخدم فيها كل جديد من مبيدات الحشرات، لكنها جميعا باءت بالفشل، بل وخلفت تأثيرات سيئة على البيئة التي تلوثت كثيرا، ومازالت هذه الدول تعاني من آثار المبيد المعروف باسم (د د ت) المحظور استعماله اليوم وكان قد استخدم لمكافحة حشرة تسي تسي دون نجاح يذكر. وكانت مضادات الحشرات تذاب في زيت خاص وترش من الجو بالطائرات أو من على الأرض. وكانت الطريقتان محفوفتين بمشاكل عديدة، حيث كان لابد من ضمان وصول رذاذ المبيد إلى كل حشرة على حدة، وهذا أمر كان يستحيل تحقيقه خاصة أن هذه الحشرة لاتتناول طعاما إلا مرة

واحدة كل عدة أيام . والحشرات التي كانت تنجو من كل مبيد كانت تزداد حصانتها ضده . وعند استخدام الطائرات كان لابد من الرش من ارتفاع لايتجاوز عشرات قليلة من الأمتار ، وذلك كي لاتبدد الريح رذاذ المبيد . ولهذا الطيران المتخصص مخاطره . كذلك كان للرش من على سطح الأرض مشاكله هو أيضا ، إذ لابد من رش الحشرة وهي ساكنة لاتطير . وهي لاتسكن إلا أثناء الظهيرة الشديدة الحرارة ، حيث تحط على جذوع الأشجار في الجوانب الظليلة منها ولكي تكون المقاومة مجدية كان على العامل أن يمارسها في جو خانق لايطاق طويلا . ومن هنا فكر الباحثون في زيمبابوي بضرورة ابتكار أسلوب غير تقليدي لمقاومة حشرة تسي تسي طوال العام وتحت أية ظروف مناخية . وكانت نقطة الانطلاق للوصول إلى مثل هذا الأسلوب هي محاولة الرد على تساؤل بسيط كيف تتعرف الحشرة على ضحيتها من الحيوانات ؟ لابد أن الضحية تفرز مادة مميزة لها تجذب الحشرة . فلو امكن التعرف على هذه المادة وإنتاجها صناعيا لأمكن جذب الحشرة بها إلى حيث يمكن القضاء عليها ، دون الحاجة إلى ملاحقتها بمبيدات الحشرات كما كان متبعا . واقتضى الرد على هذا التساؤل البسيط إجراء مجموعة من الدراسات الحقلية أيدت صدق النظرية السابقة كان من ضمن التجارب مثلا أن جمعوا أبقارا في كهف حفروه تحت سطح الأرض . وغطوه كي لاترى الحشرة الحيوانات . وتركوا فتحات ضيقة لتنفذ منها روائح الحيوانات إلى الخارج . ولاحظوا أن الحشرات تتكدس عند الفتحات ، وأن أعداد الحشرات كانت تتناسب طرديا مع أعداد الأبقار في الحفرة . كما لاحظوا أن الحشرات تتكدس عند أنف البقرة لاعند مؤخرتها فاستنتجوا من ذلك أن المادة التي تجذب الحشرات ربما كانت موجودة في الغازات التي تزفرها البقرة . فجمعوا هذه الغازات وحللوها كيميائيا بأسلوب يعرف « بالكروماتوجرافيا » الغازية ، وتعرفوا على ثلاثة مكونات أساسية ، هي الخل وثاني أكسيد الكربون ومادة تعرف باسم اوكتانول كما أثبتت هذه الدراسات الحقلية البسيطة أن لاشكل الحيوان ولا عمره ولا جنسه لها أي دور في اجتذاب الحشرة ، إنما تجتذبها رائحة الاوكتانول والخل فحسب كما أثبتت الدراسات أن الحشرة تخاف الإنسان ، وتهرب منه ، لذلك كان لابد لأية مصيدة يراد لها اصطياد هذه الحشرات أولا من أن تكون مشبعة بالاوكتانول والخل كطعم للذبابة ، وثانيا أن تحتوي على مصاد للحشرة فتاك يقتلها ، وثالثا لابد من ابتعاد العنصر البشري من جوار المصائد ، كي لايدفعها بعيدا عن الشراك وقد صمم الدارسون بعد ذلك مصيدة من ثلاثة أجزاء ، مادتها قماش من نوع معين ، يشبع الجزء الأوسط منها بالاوكتانول والخل ومبيد الحشرات ، ثم تنصب مستقبلة اتجاه الريح . ونجحت هذه المصيدة البدائية نجاحا هائلا في اجتذاب حشرة تسي تسي من على بعد بلغ نحو عشرة كيلو مترات لقتلها وبقيت جميع الأبقار في المناطق التي بها مصائد في صحة وعافية ، ونشأت نتيجة لهذه الدراسات صناعة أولية في رودويسيا وفي كثير من الدول الافريقية الأخرى المتاخمة لها تنتج المصائد البدائية ، وقد أصبحت اليوم تستخدم منها عشرات الألوف ، وأثبتت أنها عظيمة الجدوى في حماية الأبقار والخراف في افريقيا من مرض النوم القاتل □

■ قيل إن يوسف الصديق عندما أسند اليه فرعون ادارة خزائن الغلال في مصر كان يجوع ويأكل من خبز الشعير . . فقيل له : « أتجوع وفي يدك خزائن الأرض ؟ » فقال : « أخاف أن أشبع فأنسى الجائع »

واحة العربي

في الصميم :

- في العالم مأساتان اثنتان فقط ، إحداهما هي عدم حصول المرء على ما

- قبل الزواج كان لي ست نظريات في موضوع تربية الأولاد ، والآن لي ستة أولاد ، وليس لي أي نظرية .

لورد روتشتر

- هناك طرق ثلاث لجلب الدمار والخراب : النساء ، والمقامرة ، واستدعاء الخبراء .

جورج بومبيدو

- لو كانت الصراحة هي القانون الأساسي في الزواج لامتلأ العالم بالعوانس .

ميشال اوديار

- لكثرة الامتحانات التي تقدمت إليها توصلت إلى قناعة بأن تفوق الفاحص الكبير سببه وجوده في الجهة المناسبة من الطاولة .

ادوار هريو

ظرفاء العرب



قدم أحد مدعي كتابة الشعر شعرا إلى الشاعر أحمد الصافي النجفي الذي قال له هذا الشعر مكسور الوزن ، فقال له المتشاعر إنك لا تفهم يا أستاذ ، لأن الشعر يجب أن يقرأه صاحبه ، حتى إذا كان قصيرا مد له « نفسه » ، وإذا كان طويلا قطع نفسه

فقال النجفي أدعو الله أن يكون شعرك طويلا دائما

فسأله لماذا ؟

فرد النجفي حتى تقطع نفسك ؟

■ ■ ■

عرف عن « محمود حجازي » شقيق الشيخ « سلامة حجازي » أنه قليلا ما يصحو من سكره ، فأمر الشيخ سلامة بمنعه من دخول المسرح ما دام مخمورا ، ولما قابله بعد ذلك قال له من أنت حتى تمنعني ؟ ألا تعلم أني أشرف منك ؟

فأنا شقيق الشيخ سلامة حجازي ، أما أنت فشقيق رجل قلما يصحو من سكره

■ ■ ■

* الشيء المؤقت أي عمل تلتحق به الفتاة بانتظار الزواج

* الحب من أول نظرة · أعظم شيء لتوفير الوقت

* الخطوبة الفرصة الأخيرة للرجل لكي ينجو قبل توقيع الحكم عليه بالسجن المؤبد .

* الزواج : إعلان الحرب

* الطلاق : إعلان السلام .

من القلب

حارس حديقة الحيوانات للسيدة صاحبة الكلب انتهي يا سيدتي، فإن كلبك يتجه نحو الأسد

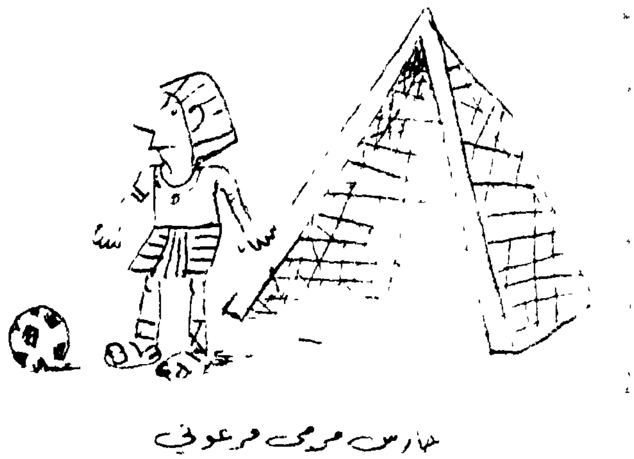
لا تخف، فإنه لا يعض

... تكون انا ...

... أمام بيتها ... سيص بعد اليوم

الأول ... ماذا ... تحضر مراسم دفنه ؟

الثاني : إني أعرفه جيداً. فهو لن يحضر مراسم دفني



ضحكات عالمية

تغيب الروائي « جاك لندن » ذات ليلة عن بيته، فانزعجت زوجته، إلى درجة انها أرسلت إلى خمسة من اصدقائه برقية تقول فيها : جاك لم يعد للبيت، هل تمضي الليلة معك ؟

وبعد إرسال البرقيات بقليل وصل « جاك لندن » متأخرا، وبعد ذلك بقليل وصلت ردود البرقيات الخمس التي أجابت كلها على استفسار الزوجة بكلمة « نعم ».



أرسل برناردشو برقية إلى « كورنواليا ونسر سكبير » بمناسبة افتتاح الموسم الثاني لعرض مسرحيتها (كانديدا) يقول فيها « رائعة ، ممتازة » ، فردت عليه ببرقية قالت فيها « غير جديرة بثنائك هذا » ، فرد عليها « كنت أعني الرواية » ، فردت عليه « وأنا أيضا »

أسس الكاتب الانجليزي (هـ . ج ويلز) مع صديقه « هنلي » جريدة لم تصادف رواجا ، حيث لم يزد عدد المشتركين عن شخص واحد . وبينما كانا يطلان من نافذة مكتبهما ذات يوم رأيا موكب جنازة ، فقال ويلز لهنلي . أرجو ألا تكون هذه جنازة صديقنا اليتيم



الخواء

قصة بقلم : دلال حاتم *

ثمانية عشر أسبوعا مرت وأنا في رقدتي هذه ، مكَوم على نفسي فوق المقعد ، تحيط بي الوسائد من كل جهة ، حتى لا أنزلق مثل أخطبوط أخرج إلى اليابسة من الماء .

ثمانية عشر أسبوعاً وأنا جالس في نفس المكان ، أنظر عبر النافذة إلى الشارع ، أراقب المارة والسيارات بعينين زائغتين ، أحاول أن أفكر فلا أستطيع . وكيف يستطيع رجل أن يفكر وقد فقد

---

* كاتبة وقاصة من القطر العربي السوري .


نصرالدين

دماغه ؟ أعيش كأني لا أعيش ، فالانسان يعيش إذا كان يتنفس ويأكل ، ويشرب ، ويحب ، ويكره ، ويقبل على الحياة ساعيا من أجل المستقبل أما أنا فلا أمارس شيئا من هذا ، أنام وأصحو ، بل أغمض عيني وأفتحهما في نفس المكان . أنظر حولي فلا أرى إلّا الجدران ، أحاول أن أسمع ضجيج أولادي فلا يتناهى إلي أي صوت ، اذا دخل أحدهم الغرفة لا يزيد إحساسي به عن الاحساس بشبح أو خيال . تدخل زوجتي الغرفة ، تضع وجهها مقابل وجهي ، وتتكلم بفمها ويديها ، تحاول أن تفهمني شيئا ، وعندما تفشل تنحدر دمعة من عينيها ، ويطبق الصمت على في الغرفة ، أمضي ساعات وحدي ثم تدخل زوجتي من جديد ، تحمل بيد حبة دواء وبالأخرى كأس ماء ، وتمسك رأسي بيدها وتسنده إلى صدرها ، وتدفع حبة الدواء في حلقي وتقرب كأس الماء

تندلق جزء من الماء في حلقي ويتبعه الباقي لكن على ثيابي ، فتسرطم زوجتي ، وتتفوه بأشياء وهي تجفف الماء بمنشفة ، وقبل أن تخرج من الغرفة ترفع عينيها وتنظر إلى السقف ، ربما تدعو لي بالشفاء أو تدعو علي بالموت لأريح وأستريح ، تصفق الباب خلفها بعنف ، فلا أحرك ساكنا لأنني لا أسمع ، وتتكوم أطرافي وأعوم في ملكوت الصمت

كيف حدث هذا ؟

قبل ثمانية عشر أسبوعا كنت مثل حصان بري . أصحو مع الفجر لأغادر دفء الفراش ، وأسرع إلى السوق لأشتري ما أستطيع شراءه ، وأعود بما اشتريت إلى البيت

أتناول لقمتين على الماشي ، وأكرع كأس الشاي دفعة واحدة ، وأسرع إلى الوظيفة وأظل منكبا على الأوراق حتى نهاية الدوام ، وأنا عائد إلى البيت ، أحمل معي ما لم أستطع حمله صباحا أحد أفراد أسرتي في انتظاري ، أنظر بفرح إلى الأصابع التي تمتد إلى الطعام وتمسحه في لحظة ، وأستريح قليلا ثم أتجه إلى الباب

تلحق بي زوجتي ، ترجوني كما تفعل كل يوم أن أنتبه وألا أتأخر ، تخبرني بعينيها سأحمل الأولاد ينامون مبكرين ، فأصحك ، وأنزل إلى العمل الاضافي ، وأعود في آخر الليل محطما من الجلوس وراء المقود ، ومن مشاهدة زبائن آخر الليل ، وأضع حصتي من الغلة على (الكومودينو) ، وأندس في الفراش أحاول أن أغفو ، فيملأ أنفي عبق بيتي وزوجتي تتظاهر بالنوم وتقول لي بلهجة تمثيلية انتظرتك طويلا ، هل أسخن لك الطعام ؟ وأجيبها كما أفعل كل يوم أنامي لست جائعا وأقاوم النوم قليلا ثم أغفو حتى الفجر لأصحو مسرعا إلى السوق من جديد

في مطلع شبابي ، كانت لي أحلام واسعة ، أحيانا كنت أتصور نفسي ممثلا مرموقا أقف على خشبة المسرح ، وعيون النظارة تلاحق انفعالاتي وجهي وحركات يدي ، كنت أغمض عيني وأتصور نفسي أغني للمشاهدين وأسمع دوي تصفيقهم ، وأحيانا أتصور نفسي شاعرا أقف وراء الميكروفون وألهب عواطف المستمعين

لم تأت أحلامي من الفراغ . فقد كنت عضوا بارزا في فرقة المدرسة المسرحية ، وخطيبا في المناسبات الوطنية والقومية ، وكنت لا أمل القراءة . وكانت أحلامي تكبر معي يوما بعد يوم

وأنا أستلم شهادتي الجامعية خيل إلي أن العالم كله سيفتح ذراعيه لي ، فحملت أحلامي وانطلقت أبحث عن عمل ، بحثت كثيرا ، كابرت عاندت ، أخيرا وبعد نضال طويل استسلمت ، ووضعت أحلامي وشهادتي الجامعية جانبا ، وقبلت بوظيفة متواضعة على أساس الثانوية العامة ، اقتنعت أو أقنعت نفسي بمقولة والدي .

« شيء أفضل من لا شيء »

ورغم حبي للانطلاق كنت سعيدا وأنا أضع يدي في أول قيد حديدي ، وتوالت القيود لقد قاوم الحصان البري طويلا ثم استؤنس ، ولم يبق من ذلك الحصان البري إلا قدرته على الجري بلا حدود ، لقد انكفأت أحلامي على نفسها ، ذبلت وانزوت خلف الكتب التي علاها الغبار ، وهي تنتظر لحظة و

أطلقها فيها من سجنها

كيف حدث هذا ؟ كيف تحول الحصان البري إلى هلام يتكوم على بعضه ؟ اذكر ما حدث وكأنه حدث توا . أفقت صباح يوم على برد يتسرب إلى ظهري ، فمددت يدي أبحث عن روحي فلم أجدها إلى جانبي . نظرت إلى الساعة . كانت تشير إلى التاسعة ، وجلست في السرير مرتاعا على الرغم من أن اليوم يوم عطلة . وانزلت ساقي من السرير وبحثت عن خفي المنزلي ، ودسست رجلي في أحدهما وحاولت أن أقف ، واطلقت صرخة مدوية وسقطت على الأرض

وحملني أهلي إلى الأطباء ، وداخوا بين العيادات ومختبرات التحليل وصور الأشعة . كشف عني الأطباء من مختلف الاختصاصات . صار لي عند كل واحد منهم إضبارة تحمل قصة حياتي منذ تكويني إلى اللحظة التي زرت فيها الطبيب . عشرات التحاليل للدم والبول . ومنظار المعدة والأمعاء ، وصور إشعاعية للصدر ، وصور ملونة لمسار البول ، وتصوير محوري طبقي من قمة الرأس إلى أسفل القدم ، لكن علتي التي أشكو منها لم تكتشفها التحاليل ولا صور الأشعة

بدأ الأمر بأن نسلت مني عظامي . نسلت أولا عظام فخذي . ثم نسل مني عمودي الفقري . كيف حدث هذا . لا أدري . كنت أنام وأصحو لأكتشف أن شيئا قد سرق مني . نسلت عظامي عظمة عظمة . كأن قوة رهيبة شفطتها . ثم نسلت أمعائي ومعدتي . وتوقفت عن تناول الطعام . وصارت اللقمة تسقط مباشرة إلى أسفل جوفي . وأسمع صوت ارتطامها بقاعه

ثم تسللت من رءوس أصابعي أسلاك كثيرة حمراء وزرقاء ، ثخينة ورقيقة . صحت مستنجدا بالطبيب ، إنها شراييني وأوردتي ، قال الطبيب بهدوء . لا بأس لا بأس ، أحسست برغبة في البصق ، فبصقت رئتي ، وحاولت أن ابتلعهما من جديد ، وأعدهما إلى مكانهما فلم أستطع ، كانتا كبيرتين جدا . فاستغربت كيف وسعهما صدري طيلة هذه السنوات

حاول الطبيب طمأنتي عندما سألته عن مرضي . وفكر طويلا ، كأنه ينبش في ذاكرته بحثا عن اسم المرض . فصحت به . أشعر بخواء عجيب . فقد تحول جسدي كله إلى كيس من الجلد لا يحوي شيئا

وقفز شيء بحجم الجوزة من فمي . كان ذلك الشيء حنجرتي . وفقدت القدرة على النطق ، وسمعت صوت الطبيب يقول لزوجتي

آسف يا سيدتي ، إن زوجك مصاب بالخواء ، مرض نادر ، لكن لله الحمد أنه مرض غير معد ، ولا يصيب إلا أشخاصا مرهفين وشديدي الحساسية ، سأكتب لك اسم حبوب مهدئة ، إنها ليست علاجا ، لكنها تساعد على استقرار حالته ووقف التدهور

ثمانية عشر أسبوعا وأنا على هذه الحال ، لا أضحك ولا أبكي ، ولا أحزن ولا أفرح ولا أحب ولا أكره ، ولا أنام ولا أصحو ، ولا آكل ولا أشرب

خواء من الخارج وخواء من الداخل ، شيء وحيد فقط ، صغير بحجم الذرة ، يقبع في مكان ما داخل جمجمتي الفارغة ، يساعدني على التماسك ويمنحني نبضا خافتا من الأمل □

آمال يقلصها الزمن

● يقول جالر فريتش : في سن الثامنة عشرة يفكر المرء في إصلاح العالم ، وفي سن الثلاثين يفكر في إصلاح وطنه ، وفي الأربعين يفكر في إصلاح منطقته ، وفي الخمسين يفكر في إصلاح بلده . أما في الستين فيفكر في إصلاح نفسه فقط

لذة العفو

شعر :
محمد مصطفى البسيوني *



لستَ مأموناً علَى حِفظِ الهوَى
بعْدَ أنْ خُنْتَ عهودي مرّتَينْ

مرةً كذّبْتُ ظنّي ، عندما
كان ظنّي ويقيني بَينَ بَينْ

وأنا الآنَ يَقينٌ سَاطِعٌ
رغم أنّي لَمْ أرِدْ عَيْناً بِعينْ

إنّ قُرْباً في خِدَاعٍ ظَالِمٌ
عِنْد شرعِ الحبِّ ، خيرٌ منْهُ بيْنْ

أيْن منْ قلْبي قلْبٌ عَابثٌ
أيْن منّي أنْت ؟ بَلْ أيْن وأيْن ؟

ليْس منْ في عشْقه جمُّ الغنَى
مثْل مَنْ في عشْقه صفْرُ اليدْين

بيْد أنّي لمْ يزلْ في خافِقِي
منْ هوى الأمْس بقايا خفْقتيْن

فإذا عاهدْتني ثالثةً
فتعلّمْ منْ خصالي خصلتيْن

لذّة العفو ، وترويض الهوى
فافتح الصّفْحة ، واطْو الصّفْحتيْن

* كاتب وشاعر من القطر المصري

الإيقاع

طاقة السحر.. وجسر العبور!

بقلم : خالد القشطيني

هناك شيء مشترك بين كل الشعوب والأمم ، سواء كانت متحضرة أو بدائية ، يتمثل في اشتراكها بالتعامل مع الإيقاع فنيا ، ومن ثم تأثيره عليها ، وإدخاله في الكثير من نشاطات حياتها . فهل مازال الأمر كما كان ؟ وما التغيرات التي دخلت في هذا المجال ؟

قلما نتصفح مجلة أدبية في هذه الأيام دون أن نجد مناقشة بشأن الشعر الحر والشعر العمودي الوزن والقافية ، القديم والحديث ، وسرعان ما نجد المناقشة تتحول إلى ملاسنة ، ثم إلى مشاتمة أيمكن لنا أن نناقش هذا الموضوع من زاوية العلم ، ونترك الشعر والشعراء جانبا إلى حين ؟

بتبسيط النقاش إلى أجزائه الأساسية نجد أنه يدور حول عنصر واحد هو الإيقاع ، إنه يتضمن الوزن والقافية ، وأكثر منها أيضا ، فهناك إيقاع في الأفكار والصيغ وبأبسط معانيه يتحول إلى فكرة التكرار ، أو إعادة العنصر الفني (التفعيلة والقافية في الشعر ، الشكل الهندسي في التصوير ، الضربة في الموسيقا الحركة في الرقص) بشكل حسابي منتظم ضمن أبعاد زمنية أو مكانية مقررة

عنصر قديم

يعتبر الإيقاع أقدم عنصر في اكتشفه الإنسان ، ونجد نماذج تشكيلية منه في رسوم إنسان العصر الجليدي في الكهوف ، في الأشكال المكررة للحيوان ، وفي الزخرفة القائمة على التكرار أيضا ، وذلك ضمن مسافات ، وفي أحجام متشابهة ونجد نفس الشيء في رسوم المواكب لمصر القديمة . وإذا كان الإنسان القديم قد مارس أي موسيقا أو شعر ، فمن المؤكد أنه اعتمد فيهما على الإيقاع ، وهذا ما

تفعله القبائل المتوحشة في كل العالم . وهذا ما نفعله في طفولتنا أيضا . وقد تحول الإيقاع بنمو الحضارة إلى التناظر . وهو تطابق جانبين من العمل الواحد كصدر البيت الشعري وعجزه . وجانب اليمين والشمال في العمارة . ووصل التناظر الايقاعي إلى روعته في معابد الإغريق وزخرفة العرب . وظل الإيقاع يكون البنية الأساسية لكل الأعمال الفنية ، حتى عهد النهضة الاوروبية في القرن الخامس عشر . وفي القرن الرابع ق . م . شغل فلاسفة اليونان في معالجة موضوع الإيقاع فقسمه « ارستوكسنوس » إلى الايقاع الكلامي والنغمي والحركي . وتعرض أرسطو لعلاقة الإيقاع بالوزن دون أن يستطيع الفصل بينهما بوضوح .

[illegible] أعطى الايقاع هذه الأهمية والشمول مجموعة من الشعوب [illegible] من الهنود الحمر [illegible] الاسكيمو إلى الصينيين واليابانيين . [illegible] أن نجد [illegible] لوحة هذا الشمول الفطري .

[illegible] الأولى التي نواجهها هي [illegible] أول نشاط في [illegible] الطفل . [illegible] رحلة إلى نوم رغيد ، [illegible] الأم ضربات إيقاعية على السرير أو على جسمه أو [illegible] حشيته [illegible] فارعة . الأم البارعة هي الأم التي تضبط إيقاع ضرباتها فتنتم [illegible] والأم الخائبة هي الأم التي تسيء التوقيت [illegible] بعد أسابيع من الولادة ، يبتسم ويقهقه عندما تعني به أو تتلو عليه نتفة من قوافي الطفولة التي [illegible] تعني الكثير . [illegible] وزن وقافية [illegible] فلماذا [illegible]

[illegible] العلاقة بين الإيقاع الفني والنبض [illegible] في عدة ظواهر . فمن المعروف أن الاحتدام العاطفي والفرح الشديد والإثارة تؤدي إلى تسارع وعنف في ضربات القلب . وعلى غرار ذلك نجد الشعراء والموسيقيين يتشبثون بإيقاع سريع وأوزان قصيرة

حامل الهوى تعبٌ يستخفّه الطربُ

مثال واحد عابر ويعكس ذلك تهبط ضربات القلب وتقل سرعتها في حالات الحزن والكآبة والعيبوبة والموت البطيء . وعبّر الموسيقي « ماهلر » خير تعبير عن ذلك (وكان يعاني من مرض قلب مميت) في خاتمة سمفونيته التاسعة التي مثل فيها اقتراب موته بتلك الضربات الطويلة البطيئة المتقطعة . وانتهت حياة « ماهلر » بانتهاء كتابة السمفونية ، وتوفي قبل أن يسمعها . ومراثي الشعر العربي معروفة بأبياتها الطويلة البطيئة . وفي كل اللغات يتكلم الناس عن النبض الموسيقي وضربات النغم ، ويمكن أن نقول أن الحسابات الموسيقية وضربات الرقص هي في الواقع تطوير وترتيب لمسافات النبض القلبي .

في عالم البصر والفنون

لكن إذا صحت هذه العلاقة في عالم الاصوات ، فكيف يمكن أن نفسر ظاهرة الإيقاع في عالم البصر والفنون التشكيلية ؟ من الممكن تفسير ذلك بالرجوع إلى قدرة الانسان على تحويل المدركات الحسية من حاسة إلى أخرى . وتحدث أبسط عمليات هذا التحويل بين عالمي الشعر والموسيقا ، عندما يعزف الملحنون القصيدة ، وينظم الشعراء النغم . ويحول الرسامون القطعة الموسيقية إلى لوحة ، مثلما يلحن الموسيقيون نغما يصور منظرا أو لوحة أو قصة أو مسرحية . وفي هذه القدرة على التحويل ، يتحول الايقاع الصوتي إلى إيقاع بصري . ومن الشائع أن نقول إن هذه موسيقا تصويرية ، وهذه صورة راقصة أو شعرية .

بيد أن الموضوع يتجاوز هذا النطاق الضيق ومن الغريب أن نلاحظ أن معظم نشاطات الإنسان التي يتوقف عليها بقاء النوع وتطوره نشاطات إيقاعية أو تتصل بالإيقاع ، ومن ذلك العملية الجنسية والتنفس والمشي والركض . ولما كان الصيد مهنة الإنسان الأولى ، فلابد أنها خلدت في لاشعور النوع البشري الأصوات الإيقاعية لوقع حوافر الخيل والغزلان والماشية . إذ جلس الإنسان الأول يقنصها ، ويصغي إلى أصواتها التي تبشره بـ [illegible]

والبقاء وكثيرا ما استوحى الفنانون تلك الهواجس ، فامتزجت إيقاعاتها في أعمالهم كما فعل الموسيقي « شوبرت » عندما استقى « مارشاته » الشهيرة من أصوات خبب الخيل وقد لحن كل الموسيقيين موسيقا المارش (السير) على أساس خطوات الجند في مسيراتهم ، وذلك بسرعات وتراكيب تلائم الحالة التي يريدها الملحن

قوة سحرية

نمضي فنوسع دائرة البحث لننتقل إلى العالم الكوني « الكورموزي » ، سرعان ما لاحظ الإنسان بعد عمليات الصيد والزرع ، وفي لحظات راحته وتأمله ، كيف يتحرك هذا الكون الذي يحيط بإيقاع منتظم ، كتناوب الليل والنهار ، وتناقص القمر وتزايده ، ومد البحر وجزره ، وتعاقب الفصول ، ودوران النجوم والأفلاك

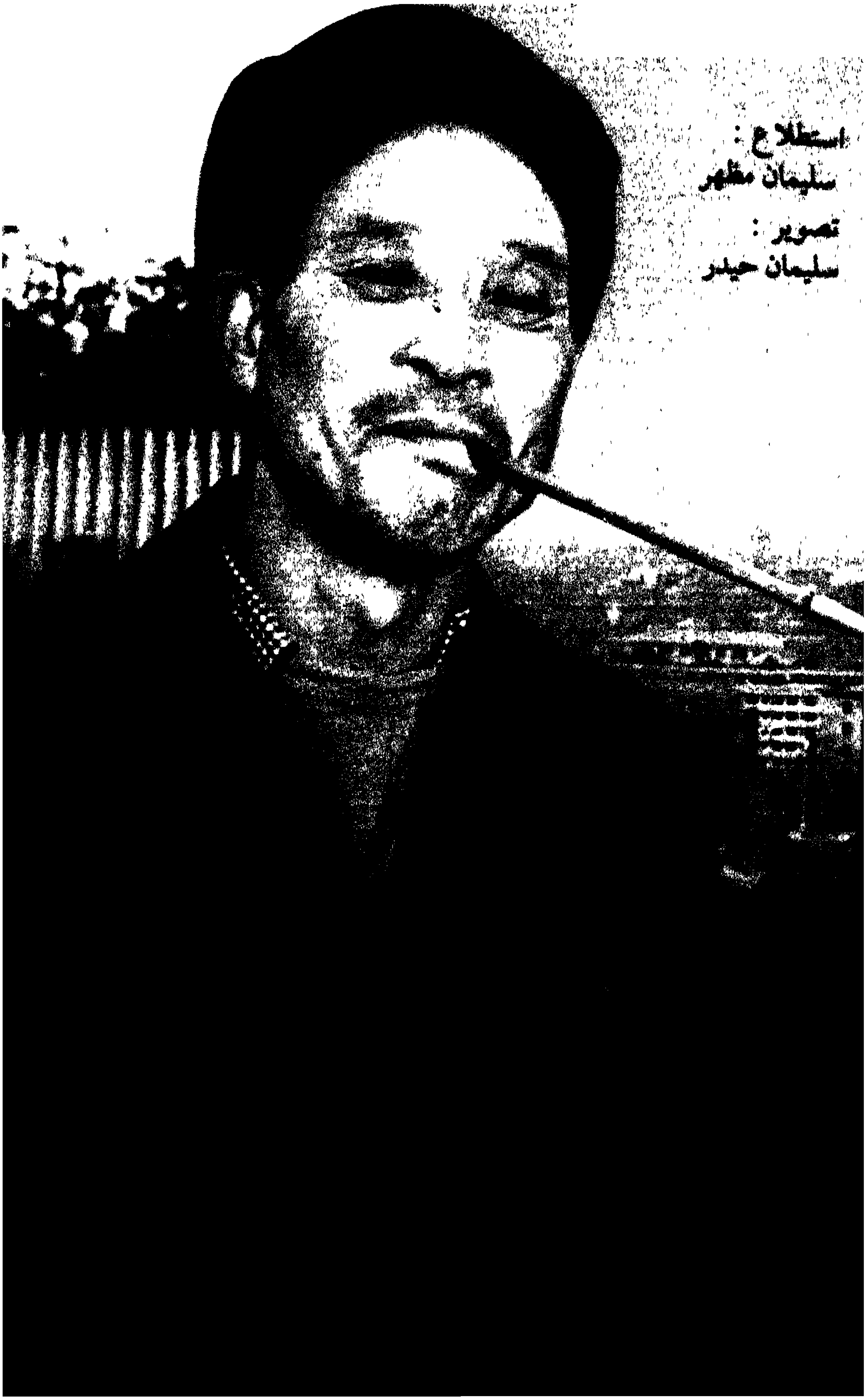
والنتيجة التي لابد أن نسلم بها هي أن الإيقاع جوهر أساسي من تركيبنا النفسي ، وحياتنا اليومية ، وتنظيمنا الاجتماعي ، وعالمنا الذي نعيش فيه ، ولهذا يحمل طاقات سحرية تهزنا بشكل قلما يهزنا به أي شيء آخر واستغل الإنسان هذه القوة السحرية في أعماله الانتاجية فيما يسمى أزجالا وأغاني وموسيقا للعمل ، فالألحان والأشعار التي يرددها العاملون في تنظيم العملية بشكل إيقاعي ، وفي تخفيف وقع الإجهاد والتعب ، كأغاني عمال السفن الذين يرددون « هيلا هبا هيلا » في مصر و « هاي يو خيم » على صفاف الفولغا

واستخدم العرب هذه القوة السحرية للإيقاع تصويريا في زخرفتهم الإسلامية التي قامت على ايقاعات مختلفة السرعة والأحجام والأشكال الهندسية ، وفي مقابل ذلك تمسك العرب تمسكا صارما بالتنظيم الإيقاعي الهندسي للقصيدة التي اكتسبت قوتها السحرية من التكرار المغناطيسي لتفاعيلها وقوافيها وكما قلنا سلفا ، ظل الإيقاع يشكل البنية الأساسية لكل الأعمال الفنية حتى عصر النهضة ، فباكتشاف الايطاليين لعلم المنظور اتضح أنه لا يوجد شيئان متطابقان تماما أمام العين ، فالنخلة القريبة تبدو أكبر من النخلة البعيدة وأقوى لونا منها على الرغم من التساوي الحقيقي في الحجم واللون أيضا ، وعليه فإن تكرار الأشياء بشكل متشابه يناقض الطبيعة وبذلك ترك الرسامون المنحى الزخرفي ، واتجهوا إلى دراسة تشريح الجسم الإنساني في وضعياته المعقدة ، وخرجوا إلينا بتلك اللوحات الخالدة التي تعتمد على تداخل الأجسام ومنظور الأشكال وامتدادها فيما نعرفه بالبعد الثالث ، أي العمق

وبتقدم مسيرة العقل والعلم والاكتشافات الحديثة في ميادين الفيزياء والألوان والأصوات وعلم النفس وعلوم اللغات وفلسفة النقد اتجه الفنانون والأدباء إلى ميادين دهنية ، بعيدا عن السحر الإيقاعي الذي يمثل في الواقع مرحلة بدائية وحيوانية من الوعي والتذوق ، وهذه هي المحنة التي نجابهها الآن ، وبالتخلي عن الإيقاع (وزنا أو قافية) نكون قد حرمنا أنفسنا من أقوى طاقة سحرية تهز مشاعرنا وغرائزنا ، وبحذف هذا العنصر يضيق الشاعر على نفسه مجال الحركة ، ويقلص منافذه إلى أبواب التصوير والبلاغة والبيان والبديع والحكمة والفلسفة .

الشعر العربي ، بل والأدب العربي عموما ، يعاني من هذه المشكلة العويصة ، مشكلة الانفصام بين اللغة الفصحى ، لغة الشعر ، واللغة الشعبية ، لغة الأكثرية من بدو وفلاحين وعمال وكسبة أميين إن الإيقاع يعطي الشعراء جسرا للعبور به الى هذه القطاعات غير المثقفة باللغة الفصحى ، بالنظر للعمومية التي يتصف بها الإيقاع ، والتي أشرنا إليها وبتخلي الشعراء عن هذا العنصر الأساسي يكونون قد نسفوا هذا الجسر في عملية أقل ما نقوله بحقها انها عملية انتحارية ، فالشعر يعاني من العزلة والهجران في كل الدول الحديثة ، وفي وطننا العربي الذي يجابه مشكلة الانفصام اللغوي ستكون العزلة كاملة . وبعد قرون من الاعتزاز الذي أولاه العرب لفن الشعر ـ ديوان العرب ـ سيواجه الشعر (غير العامي) موتا سريعا . □


بكين
المدينة المحرّمة تنفتح على العالم!



استطلاع :
سليمان مظهر

تصوير :
سليمان حيدر

في قلب بكين ـ عاصمة أكثر الدول ازدحاما بالسكان ـ ووراء ميدان « تيان آن من » . . تستلقي المدينة الامبراطورية التي كانت محرمة لمئات السنين . . ولكنها الان لم تعد محرمة بعد . . !

كل الأقدام أصبحت تجوس فيها ، من كل لون وجنس ، بلا هيبة ولا تقديس ، فقد أبيحت للجميع ، بعد أن كانت أقدام الاباطرة وزوجاتهم وأبنائهم هي وحدها التي تنطلق على طرقاتها ، وتخترق بواباتها ، وتستظل بجدرانها ، وتتفيأ بحدائقها ، ولا يخرج منها حيا من دخلها لتلبية حاجاتها ، وأداء مهامها ، وخدمة سكانها ، فمنذ لحظة دخوله واجتيازه أبولبها يكون القدر قد كتب عليه أن يبقى سجينا داخل أسوارها ، طالما ظل به رمق من حياة ، فلا يخرج منها إلا في كفن ، فالميت لا قدرة له على إذاعة سر من خفايا مايجري وراء الأسوار . . !

قبل أن تخترق أسوار الميدان المسمى « تيان آن من » في قلب بكين عاصمة ربع سكان العالم ، تجد نفسك في عمق الصورة كلها الصين باتساع ملايينها العشرة من الكيلومترات المربعة ، وبازدحام سكانها الألف والمائتين من ملايين البشر ، وبخضرة سهولها الفسيحة المنبسطة بلا حدود ، وبامتداد صحاريها المترامية بين شرق وغرب وشمال وجنوب ، وبارتفاع جبالها المكسوة بالثلوج التي تتحللها الشلالات ، وبتلوى سورها العظيم الممتد على القمم بطول ٧٣٠٠ من الكيلومترات ، وبفيضان أنهارها الطويلة من البحر الأصفر إلى هوانج هو ويانجتسي ، وبتباين لغاتها بين المندرين الصينية وألسنة ولهجات ست وخمسين من القوميات والمجتمعات القبلية ، وبمعالم تاريخها الممتد منذ « إنسان بكين » الذي عاش قبل ٥٠٠ ألف سنة ، إلى عصور الأباطرة ، وأسرهم الملكية التي حكمت طوال أربعة آلاف من السنين ، وبأصالة مدينتها الامبراطورية المحرمة وبوابتها الرئيسية التي يحمل الميدان الكبير اسمها

في هذا الميدان تشهد تناسقا غريبا في مكان واحد ورمان واحد بين الأصالة والمعاصرة ، بين عمق التاريخ بكل أسراره وأحداثه ، وصورة الحاضر بكل تطلعاته وإنجازاته ، فهنا تقوم المنصة التي وقف عليها « ماوتسي تونج » معلنا قيام جمهورية الصين الشعبية ، وهنا تقبع قاعة ماو التذكارية وسط المدينة ، وإليها تنطلق الطوابير المصطفة للزيارة ، قادمة من مختلف مقاطعات الصين ومن خلال الصفوف المتزاحمة تتمثل لك الاسرة ذات الطفل الواحد لتخفيف حدة الانفجار السكاني ، وتخترق مسيرتك زرافات الدراجات الهوائية ، وسيلة الانتقال الرئيسية لكل طوائف الشعب ، نساء ورجالا ، موظفين وعمالا وفلاحين وأمام النصب التذكاري لابطال الشعب تتذكر مشاهد الملاحم التي خاضها الشعب الصيني ضد الاستعمار منذ حرب الافيون ، وضد الطغيان منذ حرب المقاومة الباسلة وعلى شرفة العمود التذكاري لشواين لاى تتأمل رمز انطلاق شرارة الثورة الديمقراطية الحديدة ، وتطل حواليك ، فتشهد ملامح

الانجازات العمرانية والاقتصادية والعلمية ، ممثلة في المباني الحديثة لقاعة الشعب الكبرى ، ومتحف الثورة الصينية ، ومتحف التاريخ ، كما تجد نفسك وسط الآلاف من السائحين القادمين من كل دول العالم ، بعد أن فتحت الصين المنغلقة أبوابها على العالم . !

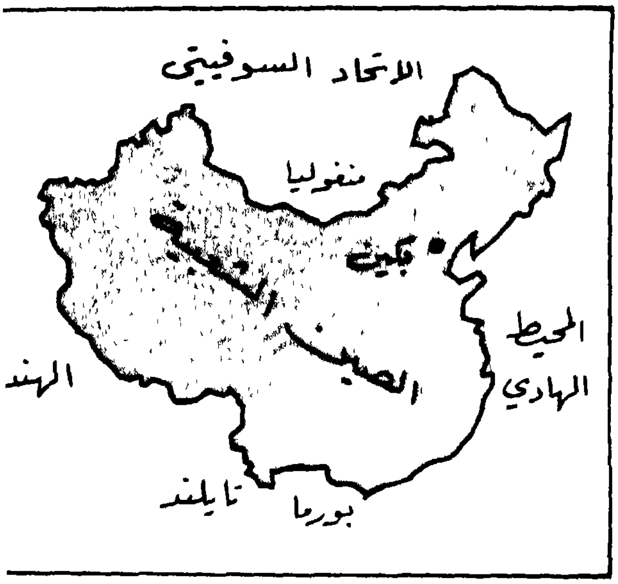
باب السلام السماوي

تلك هي الصين الجديدة على ساحة ميدان « تيان آن من » حيث وقفنا نطل على البوابة الكبرى التي تقبع خلفها المدينة المحرمة يرفرف فوقها العلم الأحمر بنجومه الخمس ، وتطل من فوق مدخلها الأوسط صورة كبيرة لماوتسي تونج ، في نفس المكان الذي أعلن فيه قيام جمهورية الصين الشعبية في أول اكتوبر عام ١٩٤٩ قال لنا مرافقنا قاوبوتشي « واسمه العربي رشاد » أن تيان آن من كانت هي البوابة الرئيسية للسور الامبراطوري (تسي جين تشينج) ، وتعني « باب السلام السماوي » ، بنيت في اوائل القرن الخامس عشر ، ثم تعرضت بعد إنشائها للدمار والخراب على يد مجهول أشعل فيها النيران وحين نقف أمامها ونتأملها بعد أن أعيد ترميمها عام ١٩٨٣ نجدها مع برجها ترتفع إلى أكثر من ٣٣ مترا ، وفي أسفلها خمسة معابر ، ذات جدران قانية لم يكن يمر من أوسطها سوى الامبراطور !

وأشار مرافقنا إلى الامتداد الواسع وهو يقول في الساحة المواجهة لبوابة « تيان آن من » تظاهر الطلاب والعمال ببكين يوم ٤ مايو ١٩١٩ ، مطلقين شرارة الثورة الديمقراطية الجديدة في الصين ضد حكم الاستعمار وأمراء الحروب ، وهي حركة شهيرة في تاريخ الصين المعاصرة ، كما سجل الميدان فصلا مجيدا عندما تقاطر عليه مليون من الجماهير ، تخليدا لذكرى شواين لاي ، وهم يتحدون عصابة الأربعة والثورة الثقافية الكبرى الباغية

من العبودية الى الحرية

لن تستطيع أن تتصور حقيقة ما يجرى في الصين الشعبية من تطور وانجاز وتقدم برز أغلبه خلال السنوات العشر الماضية بعد الانفتاح على العالم ، إلا



- خريطة الصين الشعبية ومـوقـع بكين العاصمة

إذا استعدت في ذاكرتك أحداث الثورة الثقافية الكبرى ، ومؤامرة عصابة الأربعة ، فقد كادت هذه الأحداث تقضي على كل الدعامات التي قامت عليها الإنجازات الأولى لحكومة الشعب ، منذ إعلان قيامها رسميا ، بقيادة ماوتسي تونج ، بعد أن خاض الشعب حرب التحرير ، سواء ضد حكومة الكومنتانج برئاسة شيان كاي تشيك ، أو ضد الاباطرة واليابانيين ، أو ضد الانجليز الذين شنوا على شعب الصين حرب الأفيون المدمرة التي بدأ معها تاريخ الصين الحديث ، فمنذ ذلك الوقت تعرضت البلاد لغزوات متتالية من الدول الاستعمارية ، واضطرت للخضوع تدريجيا ، وأصبحت بلدا شبه مستعمر وشبه إقطاعي ، وكبح الطغيان المزدوج للامبريالية والاقطاع نمو الاقتصاد والعلوم والثقافة في الصين . وبدأ الشعب ـ وقد شلت بلاده ووصلت أحواله إلى أسوأ ما يمكن أن تصل إليه ـ يخوض نضالا جديدا طويلا باسلا ضد اضطهاد الإقطاع ، وعدوان الغزاة ، حتى أطاحت ثورة عام ١٩١١ التي قادها « صن يات صن » بحكم أسرة تشينج (المانشو) ، وقامت جمهورية الصين . على أنه حتى مع قيام الجمهورية الأولى مرت بالبلاد فترة من الاضطرابات والانقسام في ظل أمراء الحرب الاقطاعيين . وحين قامت الثورة البلشفية في روسيا



● قلب ميدان « تيان آن من » حيث تتوافد الجماهير لزيارة النصب التذكاري لأبطال الشعب ، وقاعة ماوتسي تونج التذكارية التي يدخلونها صفوفا متراصة إحياء لذكراه . والميدان يزخر بأبناء الشعب الصيني الذين هجروا الزي الموحد وانتشرت بينهم الأزياء الحديثة الملونة .



● المدبح الدائري لمعد السماء حيث كان تلاقي السلطتين الأرضية والسماوية وإتمام الطقوس الدينية الامبراطورية والمعد عبارة عن ثلاثة أبراج متدرجة الاستدارة ، بأفاريز من القرميد الأزرق .

ويتم الصعود إليه عبر سلسلة مدرجات وشرفات رخامية ، تنطلق عليها جماهير الصينيين والسواح



عام ١٩١٧ اعتنق عدد من المثقفين الصينيين الشيوعية ، وهبت حركة ٤ مايو ١٩١٩ دليلا على تصميم الشعب على النضال ضد الامبريالية والاقطاع وتحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني وماوتسي تونج ناضل الشعب طوال ثلاثين عاما ، تخللتها عدة حروب ، وتكلل النضال بتأسيس جمهورية الصين الشعبية انتصارا للثورة الجديدة وبداية للاشتراكية في الصين

هكذا لخص لنا « تشاويانج » رئيس تحرير دار النشر للمعلومات العالمية أحداث التاريخ بكلمات سريعة موجزة في أول لقاء لنا في بكين

الشعب .. على الطريق

من خلال الفنان الصال عاش الشعب حياته.

الشعب هو صاحب اليد الطولى في كل ما يجري في الصين ، سواء في عصور العبودية الأولى ، أو سنوات مواجهة الغزاة ، أو خلال ثورة الفلاحين لاسقاط الاباطرة والاقطاع ، أو على مدى مسيرة الاشتراكية بتحولاتها من حرب التحرير الى المسيرة الكبرى على طريق بناء المجتمع الجديد ، ثم الى الانغلاق للبحث عن التراث ، والى التحدي ضد انقلاب العصابات ، والى القضاء على حكم الفرد ، ثم الى التنمية والتحديث والانفتاح على العالم

النزول الى الشعب ومتابعة حياة الناس في الشوارع والمصانع والحقول والأسواق والبيوت ، يفتح لنا الطريق الى معرفة حقيقة الصورة التي تحولت إليها الصين في عهدها الجديد ، بعد أن اتخذ قرار استراتيجي بتحويل بؤرات العمل الى التحديث الاشتراكي تمشيا مع سياسة تنادي « بتحرير عقولنا وتشغيل أدمغتنا والبحث عن الحقيقة في واقعنا والاتحاد يدا واحدة للتطلع الى المستقبل »

زحام الملايين العشرة الذين يسكنون بكين وحدها وينطلقون في شوارعها وأسواقها شديد رهيب ومع ذلك فلا تدافع بالأيدي والمناكب ، ولا ضوضاء تعلو وتنخفض ، ولا صخب بين الباعة والمشترين ، ولا معاكسات أو حركات مزرية من الشباب الى الشابات ، ولا تسابق بين السيارات أو اطلاق « للكلاكسات » ، ولا إلقاء للأوراق والأقذار على أرصفة الطرقات

الأسواق مليئة بالباعة والمشترين ، ولكن أصوات المساومة لا تكاد تسمع ولا تكالب على شراء كميات كبيرة ، وعدد أفراد الأسرة عادة قليل تمشيا مع القانون،ولا حاجة لتخزين المشتريات ، وبخاصة أن الأغلبية من العمال والفلاحين والموظفين لا تعرف البذخ ولا تملك المبردات الكهربائية لحفظ الأطعمة ، ونادرا ما تجد امرأة أو رجلا يسير حاملا مجموعة من الاكياس المملوءة بالخضراوات أو الفاكهة أو المشتريات من أي نوع ، فكيس واحد صغير فيه الكفاية وأغلب الأسر الصغيرة تفضل أن تحصل على الوجبات الجاهزة سواء ما يباع منها على العربات الصغيرة أو مطاعم الأرصفة وليس هناك ما يمنع المقتدرين من تناول وجبتهم في مطاعم الانفتاح الاستهلاكي الواردة حديثا والتي بدأت تتناثر في شوارع المدينة لتقدم الهامبورجر والكونتاكي والبيتزا ولأن العمل في المصانع والمتاجر والمكاتب يستمر ثماني ساعات في اليوم يتخللها ساعة للغداء ، فلا تستغرب حين تشاهد الفتيات والفتيان وهم يسيرون في الشوارع ، وفي يد كل منهم صحن أو آنية مسطحة أو مقعرة ، يتناولون طعامهم المكون من الأرز المسلوق مع الحساء والخضراوات المغلية ، والذي يشترونه ، ويأكلونه بكل بساطة وبلا حرج ، من الباعة والمطاعم الشعبية المتناثرة على الأرصفة

مطاعم المأكولات الخفيفة تتراص بجوار بعضها ، منها ما يقوم بالطبخ والتسخين فوق الماء المغلي أو في داخله ، ومنها ما يقوم بالشي « والقلي » وهناك طعام يسمى « شياجياو » عبارة عن خبز محشو بالجمبرى المفروم ، وأغلب الأطعمة تعامل بتوابل الفلفل الأحمر والأسود والزنجبيل ومعجون فول الصويا ولذلك هي حارة ولاذعة .

لا .. للزي الموحد .. !

في الشوارع والأسواق لن تجد أما تجر وراءها حشدا من الأطفال ، ولا أبا حائرا داخل متجر يبحث عن ملابس أو أحذية مختلفة المقاسات كما هو العهد في أغلب بلادنا النامية .

ولكنك مع هذا ستجد حركة البيع والشراء مستمرة في المحلات والمتاجر والاسواق المركزية التي لا تختلف في اتساعها وما تحتويه من معروضات عن

ي بلد غربي متقدم ، فالصينيون أصحاب ذوق فيع ، يحبون الديكورات والزخارف والتحف المقصوصات الملونة والطائرات الورقية واللوحات لجميلة ، يزينون بها جدران بيوتهم وأسقفها التى تدلى منها الزخارف الملونة ، والتي يميل أغلبها الى للون الاحمر ورسوم التنين والحيوانات الاسطورية لا تستغرب الملابس والأزياء الحديثة التى يشتريها لناس ، رجالا ونساء شيبا وشبانا ، ويرتدونها في كل كان ، فمع موحة التحديث والانفتاح وإلغاء قيود لانغلاق ، هجر الجميع الري الموحد المكون من لحلة الزرقاء والجاكيت المغلق بالزراير حتى الرقبة لذي اشتهر به الصينيون خلال السنوات الاولى لبناء الاشتراكي والذي فرضته القيادة الحربية مع بداية قيام الثورة تأكيدا للمساواة بين الأفراد وضغطا للانفاق على الأزياء

وفي حلسة دعانا إليها مرافقنا مع بعض أفراد الأسر الصينية قالت لنا سيدة الدار

- مع التطور الأخير وريادة مدحولاتنا كأفراد ، ارتفع مستوى الاستهلاك لدينا ، وتحسنت معيشتنا أيضا ، فقد حدث انخفاض ملموس في نسبة تكاليف الطعام ، وارتفاع مقابل في نسبة نفقات الملابس ولوازم المنزل وبعض الكماليات الاساسية وقد حدثت ريادات في استهلاك ملابس الصوف والحرير ومنسوجات الالياف الكيماوية على حساب الملابس القطنية التي كانت اللباس السائد للمواطنين كما تغيرت معدلات استهلاك اللوازم المنزلية لحساب اقتناء الدراجات وساعات اليد وماكينات الخياطة

ونسأل . ولكن ماذا عما نتعارف على تسميته بالكماليات ؟

تقول إحدى السيدات · خلال السنوات الأخيرة اتجه الطلب في المدن الى الراديو والتلفزيون وهي كلها صناعات وطنية ، وكذلك الى الادوات الطويلة الدوام مثل الغسالة والثلاجة والمروحة الكهربائية والمسجل والكاميرا فضلا عن الأثاث ولوازم التجميل ولاشك أنك لاحظت أننا نستخدم لوازم التجميل الآن في جلستنا رغم أنها كانت محظورة علينا من قبل .

ومرة أخرى نعود إلى بكين ومدينتها المحرمة

وهنا قد يحتاج الأمر إلى عودة متأنية الى الماضي البعيد في الصين

. . وندخل المدينة المحرمة

كان القصر الامبراطوري في بكين - المعروف باسم المدينة المحرمة في العصور الماضية - هو المقر الدائم لأباطرة أسرتي مينج وتشنج (المانشو) ، وهو أكبر البنايات المعمارية القديمة الموحودة في العالم من حيث الحجم والكمال .

كانت بداية إنشائه من ١٤٠٦ حتى ١٤٢٠م ، ومنذ ذلك العام حتى عام ١٩١١ حين سقط « بويى » آخر أباطرة المانشو أقام فيه ٢٤ امبراطورا ، مارسوا منه الحكم الأوتوقراطي ، والنفوذ الفردي على الصين وطوال المسيرة الطويلة للقصر الامبراطوري كانت حهود عدد لا يحصى من الأيدي العاملة قد استغلت ، بالإضافة إلى موارد هائلة من المواد والأموال تقول الوثائق إنه في عهد امبراطور واحد هو « يونج لي » سيق أكثر من ١٠٠ ألف من الفنيين ، وحوالي مليون من العمال للمشاركة في أعمال البناء !

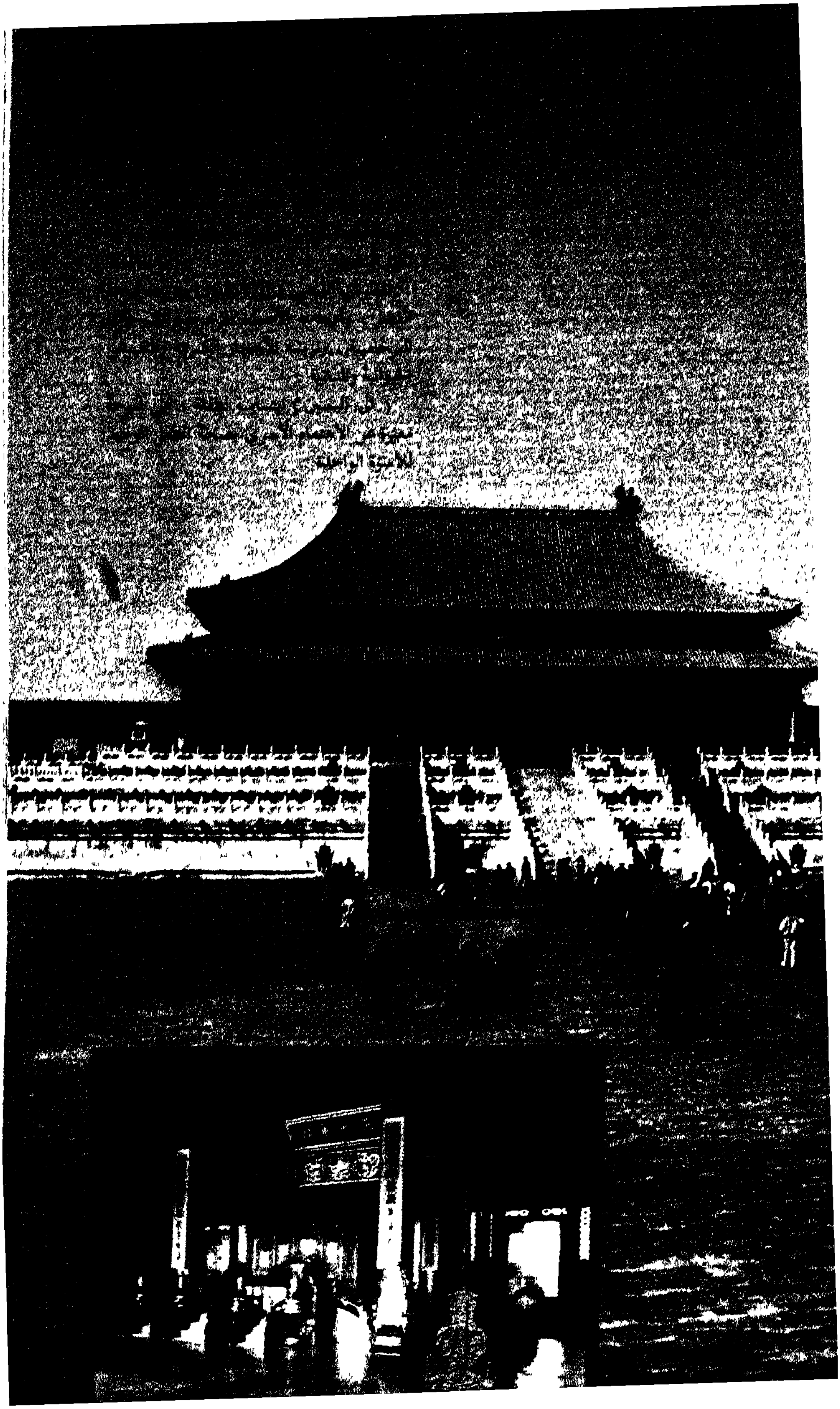
يغطي القصر مساحة حوالي ٧٢٠ ألف متر مربع ، منها ١٥ ألف متر مربع للمباني وحدها وله أربع بوابات في الشرق والغرب والشمال والجنوب

ونقف عند المدخل الرئيسي للمدينة الامبراطورية المحرمة فيخطر بالبال سؤال لماذا هي محرمة ؟

ونسمع الإجابة من كبير محرري دار النشر « تشانج فونشيانج » الذي كان بصحبتنا المعتقد الصيني القديم يتصور أن العالم عبارة عن مربع ، تتوسطه دائرة هي الصين ، وبين المربع والدائرة تعيش شعوب من البرابرة والمتوحشين ، لا حول لهم إلا أن يكونوا تابعين للشعب الذي في داخل الدائرة

ويتوسط هذه الدائرة مستطيل متناسق الترتيب هو العاصمة ، وفي داخل المستطيل سور داخلي يحيط بأرض مربعة ، هي المدينة الخارجية التى تضم بداخلها منطقة مستطيلة الشكل ، محيطها عشرون كيلو مترا ، وهي المدينة الداخلية التي يقيم بها طبقات الشعب والأيدي العاملة





وتطل المدينة الداخلية من الداخل على المدينة الامبراطورية البالغ محيطها ٩ كيلو مترات ، وفي جوانبها الأربعة تقوم أبواب الأسوار في تناسق تام على جانبي المحور من الداخل ، حيث ترتفع أسوار عالية ، تفصل بينها وبين القصور الامبراطورية التي تعتبر كلها داخل نطاق المدينة المحرمة وهذه المدينة المحرمة تتناثر فيها مجموعة من القاعات الكبيرة المنفصل بعضها عن بعض ، في تنسيق متناعم الترتيب ، تسمى كلها القصر الامبراطوري ، وهذا القصر هو مركز القلب للمدينة المحرمة التي لا يدخلها إلا موظفو البلاط وعائلة الامبراطور وحاشيته وخدامه !

على هذا القصر الحرام تشرق الشمس لتعمره بالأشعة والنعم ، ومنه يشع السلطان المطلق للامبراطور « ابن السماء » على جميع أنحاء الكون ، فهو قلب الصين ، ومركز العالم كله ، وهو للأرض كلها بمثابة الشمس التي تحدد مسيرة الحياة !

ذلك هو سر تسمية المدينة المحرمة التي مازال هيكلها محافظا على الشكل الذي كان عليه في عهد أسرة مينج ، ومايزال يحيط بها نفس الخندق المائي القديم بعرض خمسين مترا ، ويفصلها عن بقية أنحاء العاصمة بكين سور أرجواني اللون ، طوله أربعة آلاف متر ، وارتفاعه عشرة أمتار !

التناسق المصون

تعال بنا ندلف الى المدينة المحرمة من نفس البوابة الرئيسية التي كان يدخل منها الامبراطور « باب السلام السماوي » ، المطل على ميدان « تيان آن مين »

نحن الآن نسير برفقة الامبراطور وهو يخترق البوابة في طريق عودته الى قصره ، بعد تقديم الأضحيات والقرابين ، وحرق البخور في « هيكل السماء » وكما علمنا من الحاشية فإن مباني القصر الامبراطوري تشتمل على ٨٠٠ قاعة ومقصورة وبوابة وهيكل ، ومالا يقل عن ٩ آلاف غرفة ، لا يمكن أن نزورها كلها ، لكننا نكتفي بزيارة بعضها

ونواصل جولتنا مع الامبراطور ، ولا نكاد نخترق باب السلام السماوي حتى نجد أنفسنا في ساحة واسعة ، تؤدي الى « باب الظهيرة » ، المدخل الخاص للاباطرة هنا ومع وصول الامبراطور تدق أجراس الظهر في أيام معينة ، ليعلن التقويم القمري والمراسيم الامبراطورية ، كما تعلن أحكام الإعدام لتنفيذها على المجرمين

وعندما نترك خلفنا باب الظهيرة نمر فوق نهر المياه الذهبية ، عبر جسور خمسة مرمرية ، متجهين الى القصر الرسمي الكبير « قصر التناسق الأعلى » ، أرفع الأمكنة في المدينة المحرمة

على جانبي الباب الذي نصعد إليه بدرج من المرمر يقف أسدان حارسان من البرونز المذهب ، بينما على جانبي الدرج تنانين محفورة ، تتلوى بين سحب وغيوم على جانبيها ثماني عشرة مبخرة ، تتدلى ممثلة مقاطعات الصين في ذلك الوقت ، كما يقوم طائران من الكركي ، يمثلان الخلود ، مصنوعان من البرونز المذهب ، بالإضافة الى عدد من السلاحف والتنانين ، ومكيال حبوب يمثل العدل ، وساعة شمسية ترتبط بإعلان « التقويم القمري »

العرش الامبراطوري

يتوسط قاعة قصر التناسق الأعلى عرش الامبراطور المزخرف المصنوع من الخشب المطلي باللاك المذهب ، وتزينه الأحجار الكريمة والزخارف والنقوش الحيوانية والنباتية ، وتحيط به ستة أعمدة ذهبية ، حفرت عليها تنانين تتلوى ، أما الأعمدة الجانبية وعددها ثمانية عشر فهي ذات لون أرجواني ، بينما السقف مطلي باللوين الأزرق والأخضر

يقول لنا مرافقنا إن هذه القاعة كانت مخصصة لتتويج الأباطرة ، ولإقامة الاحتفالات التي يرأسها الامبراطور ، والتي يعلن في بعضها أسماء المرشحين للامتحان للوظائف العليا ، وكذلك أسماء القادة العسكريين الذين يقع عليهم الاختيار لقيادة الجيوش في المعارك

ونطل على ما أمامنا ، ونتأمل العرش.. ونتصور الامبراطور وهو يمارس من فوقه سلطاته

الامبراطور يدخل الى القاعة وسط الموسيقا ودقات الطبول الاحتفالية ، ثم يجلس على العرش ليتلقى تحيات التبجيل ، ويستمع الى التقارير الرسمية من رجال البلاط ، ثم يتقدم القادة المدنيون

والعسكريون فيركعون أمامه ، وهم يهتفون ثلاثا « عاش الامبراطور » وفي النهاية يهبط الامبراطور من فوق العرش ، ويعود الى قصر التناسق الأوسط وهو صورة طبق الأصل من القصر الأول في قاعة التناسق الأوسط يقف الامبراطور داعيا الآلهة ، لتفيض عليه بمواسم زراعية وفيرة ، كما يبارك بيديه وعينيه المتطلعتين الى السماء محصول القمح للموسم الزراعي الجديد

وننتقل الى القصر الثالث « التناسق المصون » ، إنه عبارة عن قاعة رئيسية لاستقبال السفراء الأجانب وأمراء المقاطعات ، تجرى فيها احتبارات المرشحين للمناصب العليا ، بعد أن يعلن الامبراطور أسماءهم في القصر الأول

ونذهب الى المجموعة الخلفية من القصور ، إنها حرم مقدس ، لكنه لا يصطبغ بالشكل الرسمي الذي كانت عليه المجموعة الرسمية الأولى . فهنا مقر السكن الامبراطوري

قصر « الطهارة السماوية » هو مخدع الامبراطور ، مزخرف بأربع مباخر وسلحفاتين وطائر الفينيق

أما « قصر الوحدة » فعبارة عن قاعة ، في وسطها عرش الامبراطورة ، بينما يضم قصر « الراحة الأرضية » مخدعها الذي يغلب اللون الأحمر على كل ما يحتويه

المتحف والحديقة الامبراطورية

الآن بعد أن تحولت المدينة المحرمة الى متحف مفتوح للشعب والسياح يضم الكنوز الامبراطورية ، نتجول بين القاعات المليئة بمعروضات . تزخر بالزخارف والجواهر والتحف واللوحات وأدوات الزينة والكتابة ، وتشتمل على أكثر من ٩٠٠ ألف قطعة وكنز أثري لمختلف عصور التاريخ الصيني ، بالاضافة الى ما تحتويه بعض القاعات التي تركت على حالها بأثاثها الأصلي

أغلب التحف المعروضة الآن في المتحف الامبراطوري جلبت من مختلف المقاطعات الصينية ، بالإضافة الى ما تبقى من كنوز المدينة المحرمة المنهوبة ، لكنها تضم على أي حال مجموعات رائعة من التحف المصنوعة من اليشب متعدد الألوان . والساعات المائية القديمة ، والآلات الميكانيكية ، والهدايا المقدمة من ملوك الغرب الى الأباطرة ، وكذلك مجموعات من التحف التقليدية معروضة في قاعة الكنوز الزاخرة بالمجوهرات الثمينة والذهبية والسيوف وتماثيل بوذا الزمردية والباجودات المطعمة بالأحجار الكريمة مع التحف البرونزية واليشبية بالإضافة الى بعض الأثاث والممتلكات والتحف الشخصية للأباطرة ورجال البلاط

قبل أن نمضي من خلال بوابة « شن وو من » (باب العبقرية السماوية) حيث المدخل الشمالي للمدينة المحرمة وقفنا نطل على شجرة متهالكة ، أمامها لوحة عند تل الفحم تقول (هنا شنق الامبراطور « رونج زين » آخر أباطرة أسرة منج نفسه ، بعد أن قتل كل أفراد أسرته ، حتى لا يقعوا في أيدى المانشو الذين كانوا قد اخترقوا أبواب المدينة ومن نفس هذا الباب فرت « سى تشى » آخر امبراطورة من المانشو مع ابنها الامبراطور الصغير « جوانج تشو » ، قبيل انتصار ثورة التحرير وسقوط آخر الأباطرة عن عرشه في بكين)

آخر العواصم الست

ونخرج من المدينة المحرمة أحياء ، بعد أن كان الذين يدخلونها من قبل لا يخرجون أبدا على مدى أكثر من خمسمائة عام

ولا نكاد نغادر المكان حتى نشم نسمات الحاضر الجديد

بكين هي سادسة العواصم الست القديمة في الصين بعد شيان ونانكين ، ولويانج ، وكايفنج ، وهانجتشو ، يعود تاريخها الى ثلاثة آلاف سنة ، في القرن الحادي عشر قبل الميلاد كانت عاصمة لدويلة « يان » في عهد الممالك المتحاربة ، وكان اسمها « جى » ، وظلت هذه المدينة تتمتع بأهمية كبيرة في شمال الصين أكثر من ألف سنة ، منذ قام الامبراطور « تشين هوانج » بتوحيد كل الصين عام ٢٢١ ق م وامتد ذلك طول عهود أسر هان وسوى وتانج ، وعندما جاء « كوبلاى خان » فأعاد توحيد الصين أطلق على العاصمة اسم « دادو » ، أي العاصمة الكبرى وفي عام ١٣٦٨ صارت عاصمة لاسرة مينج ، حتى جاءت من منشوريا أسرة تشينج



● لا تستغرب حين تشاهد الصينيين من الجنسين يطلقون بدرجاتهم الهوائية ، فهي وسيلة الانتقال الرئيسة المهم أنك لا تسمع كلمة سخرية أو تأنيب أو تلمح نظرة إعجاب أو إطراء ، ولا تشهد معاكسة أو مزاحمة بين الدراجات ، فالكل جاد على الطريق إلى المصنع أو المتجر أو المكتب الحكومي

« المانشو » ، فجعلتها عاصمة لها من ١٦٤٤ حتى ١٩١١م ، حين قامت الثورة الشعبية وسقط آخر أباطرة المانشو ليبدأ النظام الجمهوري الجديد بأول رؤسائه « صن يات صن » ، أبو الجمهورية ، ثم لتقوم بعد ذلك جمهورية الصين الشعبية ، ويعلن مولدها من أشهر ميادين بكين

« تيان آن من » ليس وحده كل معالم بكين الحديثة ، فقد شهدنا خلال جولاتنا بين أحياء العاصمة ١٦ حيا حديث البناء ، لمختلف المهن ، ففي الضاحية الشرقية تتمركز فيه المصانع والمؤسسات الصناعية ، وفي الجزء الشرقي تقع منطقة السفارات الأجنبية

وفي الضاحية الشمالية الغربية هو الحي التربوي الثقافي الذي تتجمع فيه معظم هيئات الأبحاث العلمية التابعة لأكاديمية العلوم الصينية ، وجامعة بكين ، وجامعة تشينخوا ، وجامعة الشعب الصيني ، ومعهد القوميات المركزي ، وغيرها من الجامعات والمعاهد

وتنقسم المنطقة القريبة من المدينة القديمة الى ستة أحياء زاخرة بالأراضي المخضرة والجداول والخطوط



الحديدية والطرق الرئيسية ، بالإضافة الى عشرة أحياء سكنية حديثة البناء على أطراف المدينة ، وفي كل منها عدد من المساكن والمرافق المختلفة والمراكز الخاصة بالتجارة والثقافة والخدمات ، حتى تكون قائمة مستقلة بنفسها نسبيا

في حوار دار خلال مأدبة شارك فيها أعضاء هيئة تحرير ورئيس دار النشر للمعلومات العالمية « تشولاي » خرجنا بحصيلة كبيرة من المعلومات

فإجمالي مساحة المساكن والمباني المختلفة والحديثة أكثر من ٩٠ مليون متر مربع (أربعة أضعاف مجموع المساحة في أوائل التحرير) ، وبعد السبعينيات أخذت تظهر عمارات شاهقة متعددة الطوابق ، وهناك عمارات شاهقة ، تنتصب بين المساكن ذات الطابق الواحد ، من طراز الأبنية الصينية التقليدية هنا وهناك

تركز الجهود على تطوير الصناعات والحرف التي تستهلك القليل من المياه والطاقة والمساحة ، ولا تلوث البيئة ، ومن ذلك صناعات الأطعمة والالكترونيات والطباعة والأجهزة الكهربائية المعدنية ، والمواد المعمارية الجديدة ، والآلات البصرية ، والغزل والنسيج والصناعة الخفيفة ، والفنون الجميلة ، وأعمال الحرف اليدوية التقليدية ، وأدخلت إصلاحات تقنية على صناعة التعدين والآلات الميكانيكية والبتروكيماويات ولا شك أن أبرز الأمثلة التي شهدناها كانت عند زيارتنا الى المؤسسة العامة للحديد والصلب في بكين

في مؤسسة الحديد والصلب

قالت « سو إيان اى » مديرة العلاقات الخارجية للمؤسسة أن المصانع تنتج سنويا ثلاثة ملايين و ٢٥ ألف طن من الحديد الصلب وقد تزايدت أرباحها خلال السنوات التسع الماضية منذ تأسيسها من ٢٩٩ مليون يوان (اليوان نصف دولار تقريبا) الى ١٣٤٥ مليون يوان ، واحتلت بذلك المركز الثالث بين المؤسسات الصناعية في الصين ، كما بلغت الأصول الثابتة ٢١٠٠ مليون يوان

وخلال جولتنا بين ورش المصانع وأفرانها واصلت الحديث قائلة انه مع بدء تطبيق تجربة إصلاح البنية الاقتصادية ، وتحول المؤسسة من إدارة مركزية حكومية الى تطبيق نظام « مسئولية الانتاج بالتعاقد » بدأت المؤسسة عام ١٩٨١ في تحمل المسئولية تجاه الدولة ، حيث تقدم المؤسسة فوائد في صورة ضرائب بنسبة معينة من الأرباح ، مقابل تحمل مسئولية الانتاج بالتعاقد . أما بقية الأرباح فيخصص ٦٠٪ منها لتطوير الانتاج وتجديد الأجهزة والمعدات ، و ٢٠٪ لتطوير مرافق الخدمات للموظفين والعمال ، و ٢٠٪ مكافآت للموظفين والعمال مع نسب معينة للعلاوات والحوافز وذلك يعني انه كلما ازداد الانتاج وتزايدت الأرباح تزايد

رأس المال ، وازدادت الخدمات والحوافز للموظفين والعمال حسب إنتاجية كل منهم وهكذا تغير الوضع السابق الذى كان يتمثل في مبدأ « الجميع يأكلون من قدر واحد » وأصبح هناك ربط بين الانتاج والأجر وبالنسبة لمسئوليات الانتاج فالمؤسسة تتحملها بتعاقد تجاه الدولة وتوزع المسئوليات بالتعاقد بين المستويات المختلفة ، فالمصنع يتحمل مسئولية الانتاج بتعاقد تجاه المؤسسة ، والورشة تتعاقد مع المصنع ، والعامل يتعاقد مع الورشة ، وكل ذلك في سلسلة تعاقدات أما إدارة المؤسسة فتقوم بها لجنة مندوبين ينتخبها الموظفون والعمال ، وتتم المشاركة في إدارة المصانع من خلالها ، وبذلك يكون العاملون هم سادة المؤسسة والمسئولين عن تطورها الذى اتجه أخيرا الى التقدم التقني المتميز في جميع أعمالها وأنشطتها وقد استطاعت المؤسسة من خلال تطور انتاجها وزيادة أرباحها تطوير مرافق الخدمات والأنشطة ، فهي تبني سنويا مائة ألف متر مربع من الشقق والعمارات لسكن العاملين ، كما أقامت مصنعا للمأكولات الجاهزة تباع بسعر التكلفة ، ودارا للنقاهة والرعاية الصحية تضم مائة سرير

سور الصين العظيم

عندما تذهب الى بكين فإن أول ما يشغلك هو سور الصين العظيم ، أو ما يسمى « تشانج شينج » ، وقد كان ذلك بعض هدفنا حين انطلقنا الى « موتيانيو » على مسافة سبعين كيلومترا شمال شرقي بكين لم يكن وصولنا الى هناك يعني أننا سنشهد كل السور ، فذلك الجزء الذي سرروه ليس أكثر من كيلومترات معدودة ، من ٧٣٠٠ كيلومتر هي طول السور الممتد من مصب نهر يالو في الشرق الى جبل كيليانشان في أقصى الغرب ، عبر قمم وأراض جبلية وعشبية وصحارى ، مخترقا ست مقاطعات في شمال الصين من غربها الى شرقها

القسم الذي صعدنا إليه من السور انطلقنا اليه « بالتلفريك » ، وهى أول مرة يستخدم فيها المصعد الحبلي الكهربائي للصعود الى السور ، بعد أن تم ترميم هذا القسم وافتتاحه للزوار والسائحين في ابريل ١٩٨٦ ، وبعد أن كان المزار الوحيد هو مركز « باتالنج » القائم على قمة جبل يرتفع أكثر من ألف متر فوق سطح البحر شمالي ممر « تشوبونج كوان »

السور عند « موتيانيو » يتم الصعود اليه بدون (التلفريك) على ١٨٠ درجة من سلم اسمنتي صاعد على سفح الجبل الى القمة ، وهذه القمة تشكل جزءا من الحائط الاستراتيجي الدفاعي ، حيث يمتد السور الى ثلاثة اتجاهات ، وأبراج مراقبة تقوم على مواقع استراتيجية مهمة هنا يمتد السور عبر المنحدرات الثعبانية الملتوية والقمم المتشابكة ، حيث تنتشر قلاع على نقاط استراتيجية ، كمراكز للمراقبة تفصل بين كل منها بضع مئات من الامتار . وتشير تلال صغيرة قرب مراكز المراقبة الى استخدام أنظمة إشارة خاصة لنقل المعلومات العسكرية ، حيث يتم إشعال النار على رءوس هذه التلال ، لنقل أخبار هجوم أية قوات معادية على بعد آلاف الأميال الى العاصمة في ساعات قليلة لاتخاذ الاجراءات المناسبة ، وهو انجاز عسكري ضخم في العصور الماضية

أشار الزميل الصيني تشانج فوتشيانج الى احدى هذه المواقد وقال يحكون أن الامبراطور « زويوانج » أراد أن يسلي محبوبته بإشعال النار على تل الاشارة في وقت لم يكن يتعرض فيه لأي هجوم ، ولم تكد نار الاشارة ترتفع حتى أسرع الأمراء مهرولين بقواتهم لرد الغزاة ، وحين وصلوا وعرفوا أن النار كانت لتسلية المحبوبة كتموا في أنفسهم غيظهم ، وعادوا الى مراكزهم ، وتكررت التسلية أكثر من مرة لارضاء محبوبة الامبراطور ، وتكرر اندفاع القوات في كل مرة ولاحظ الغزاة ما كان يجري ، وحين استغلوا الفرصة واندفعوا للهجوم أشعلت نار الاشارة الحقيقية هذه المرة ، لكن المدافعين وقد تكررت الخدعة لم يأبهوا للاشارة ، فانفتح الطريق أمام القوات المهاجمة ، واحترقت الأسوار ، وقتلت الامبراطور ، وبدأ الزحف الى الداخل !

وثمة قصة أخرى جاءت في « كتاب الشعر » من قصيدة للشاعر « شي شنج » تحكي أن الفلاحين كانوا يساقون من حقولهم زرافات بالآلاف للمشاركة في بناء السور ، وكان بينهم فلاح ساقه الجنود أمامهم في غيبة زوجته التي لم تدر عنه شيئا قط ، وبعد شهور

من غيابه عرفت الفلاحة أن زوجها سيق للعمل في السور ، فغادرت دارها ، وراحت تدور باحثة عن زوجها بين عشرات الآلاف من الفلاحين الذين كانوا مسخرين للعمل ليل نهار وقضت المرأة سبع سنوات تنادي زوجها وهي تواصل البحث وتستلقي كلما حاء الليل الى جوار السور مطلقة غناءها الحزين وفوجئت ذات ليلة بالسور الذي كانت تستلقي بجواره ينشق عن ثغرة لم تكد تطل إليها حتى وجدت جثة زوجها الذي دفن تحت جوانب السور مثل آلاف الفلاحين الذين قضي عليهم أثناء البناء

واحتضنت المرأة جثة زوجها وهي تبكي وتنوح وتناديه باسمه ، ولم تغادر المكان قط وكان الجنود كلما ساقوا الفلاحين والعمال لملء الثغرة وترميم السور عاد فانشق من جديد عن جثة رحلها الذي فقدته وتتابعت السنين والحال لا يتغير ، حتى وجد الفلاحون المرأة ذات صباح ميتة بجانب الثغرة ، فدفنوها الى حوار روحها ومند دلك الوقت لم ينشق السور في دلك المكان قط ، وإن ظل الجنود يسمعون كل ليلة صوت نواح المرأة وغناءها الحزين !

كانت بداية السور في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، عندما كانت الدول المتحاربة بين ٤٧٥ و ٢٢١ ق م تبني أسوارا دفاعية ضمن حدودها .

وبعد توحيد الصين كان اول عمل قام به الامبراطور « شي هونج دي » أن حمى بلاده من الهمج البرابرة المجاورين لحدودها الشمالية (الهون والتتار) ، ودلك بأن استكمل الأسوار التي كانت مقامة من قبل عند حدودها ، ووصلها كلها بعضها ببعض وقد وحد في أعدائه المقيمين في داحل البلاد موردا سهلا يستمد منه حاجته من العمال لتشييد هدا البناء العظيم الذي يعد رمزا لمجد الصين ، ودليلا على عظيم صبرها وقد تخلل السور في عدة أماكن منه أبواب ضخمة وهو أضخم بناء أقامه الانسان في جميع عصور التاريخ يقول الصينيون « إنه أهلك جيلا من الناس ، لكنه أنقذ كثيرا من الأجيال » .

معبد السماء

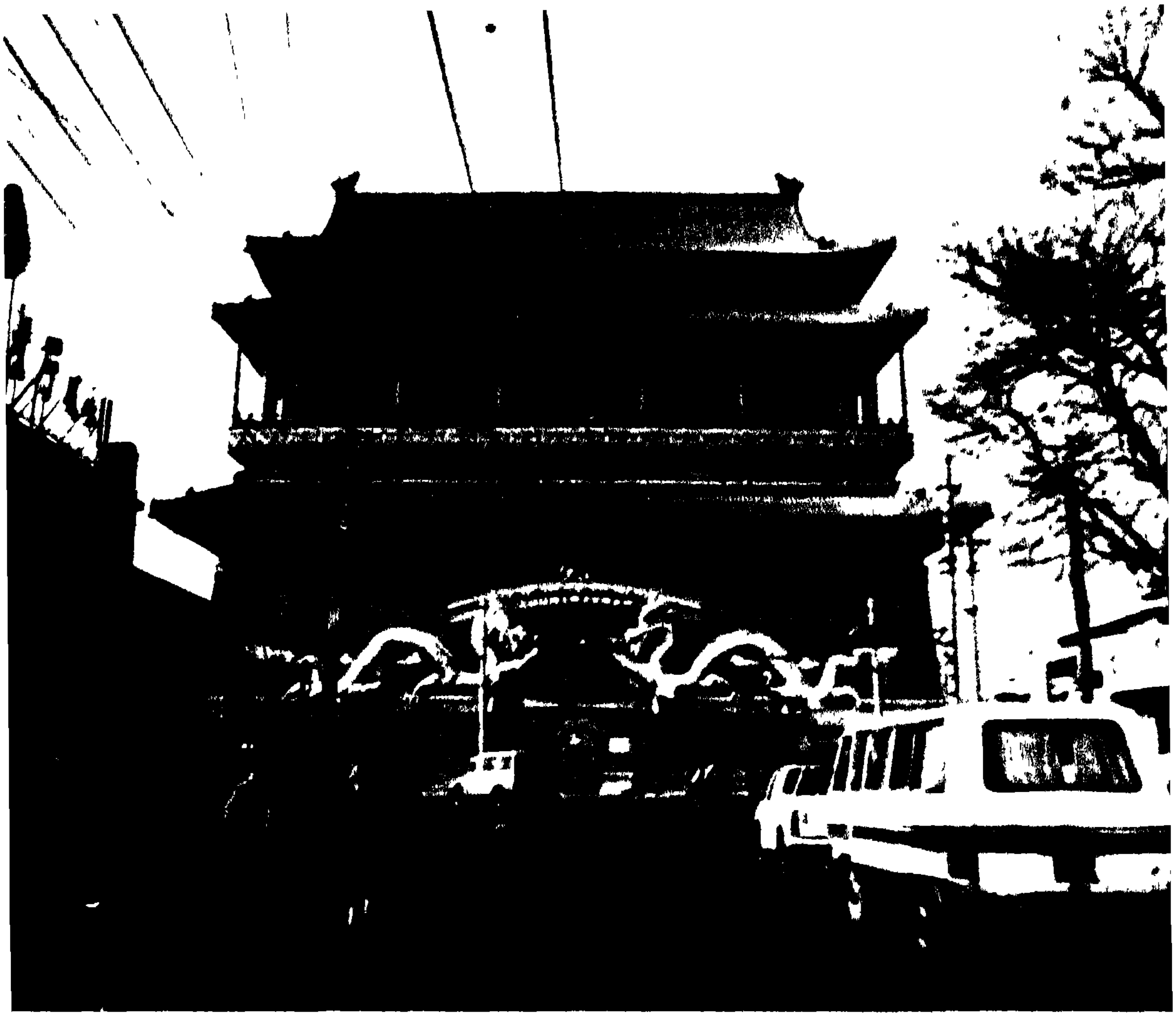
في طريق عودتنا من سور الصين العظيم مررنا بأحد أبرز المعالم التاريخية الأخرى في بكين ، معبد السماء الذي كانت له مكانته عند أباطرة مينج وتشينج ، هنا في معبد السماء - في كل من الانقلاب الشمسي الشتوي والربيعي - كان الامبراطور يحمل في احتفال طقوسي صحم يبدأ في الثالثة صباحا ، ويحيط به الحرس الامبراطورى والمستشارون والأمراء والأحبار وعازفو البلاط ، ليقدم الصلوات من أجل موسم خير للحصاد الوفير ، داعيا لأسرته بالتوفيق والفلاح ، ومتمنيا لشعبه الرخاء ويقرب الامبراطور القرابين للسماء ، منجزا وعده كرسول للآلهة في إدارة شئون الكون بالعدل والحق ، راجيا من السماء أن تكون في صفه لافي صف أعدائه

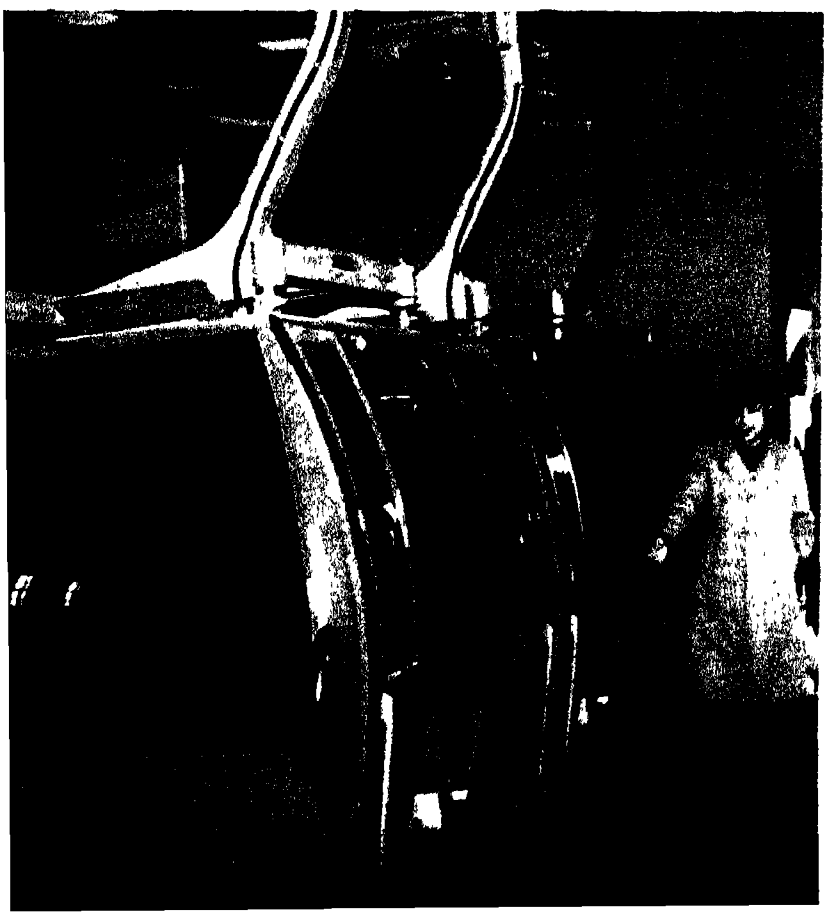
يتجه الامبراطور في البداية إلى قاعة القبة السماوية ، ليقدم الصلوات والبخور يملأ المكان أمام الألواح المقدسة التي تمثل عناصر الكون السماوية · الشمس والقمر والنجوم والأمطار والرياح والرعد والبرق وحول القاعة يقوم حائط الصدى السماوية الهامس ، وهو عبارة عن حدار دائري سحري ، يردد صدى الصلوات المقدسة التي تجرى داخل الهيكل وينتقل الامبراطور في محفته بعد ذلك جنوبا إلى الشرفة المرمرية (جسر الدرج الأحمر) الذي يقوم على أعمدة طويلة تعلوها أقواس منقوش عليها تماثيل التنين ، ومنها إلى المذبح الدائري (هونيك) في القاعة الوسطى التي تعلوها ثلاثة أبراج متدرجة الاستدارة ، أفاريزها من القرميد الأزرق ، متمركزة بأرقام فردية ، تتفق مع فكرة الكفارة واسترضاء الآلهة في المعتقد القديم

وهنا على المنصة الوسطى تتلاقى السلطتان الأرضية والسماوية ويجري الاحتفال الرئيسي أمام الألواح المقدسة ، وتتم الطقوس ، ويذبح الامبراطور عجلا قربانا للآلهة ، وحين ينتهي الاحتفال المقدس يحمل الملك في طريقه إلى القصر الامبراطوري من حلال « باب السلام السماوي »

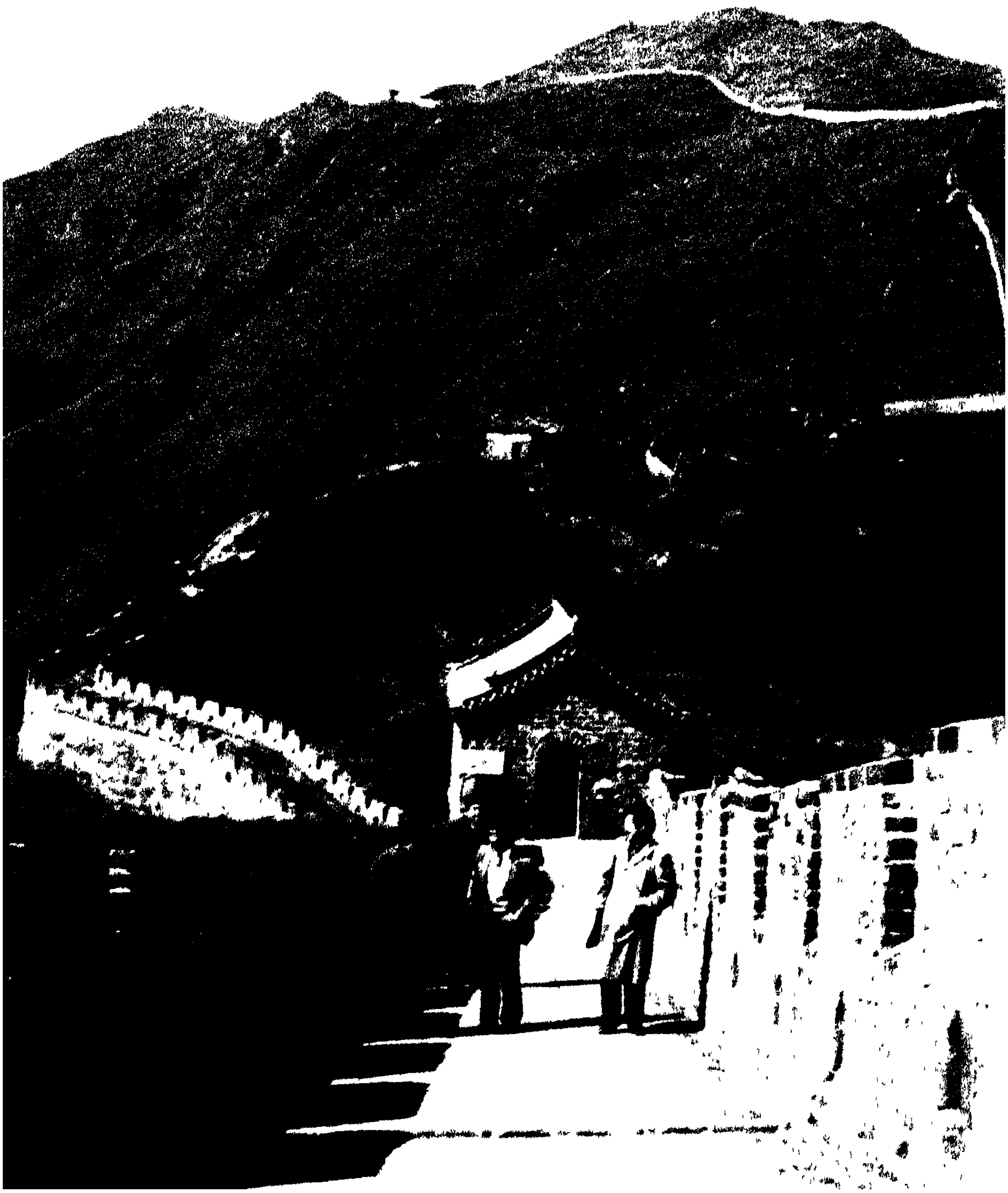
المعالم الثقافية وأوبرا بكين

ما أكثر المعالم الحديثة في بكين ففي المجال الثقافي الحديث في بكين وجدنا أن المدينة تحولت إلى واحدة من المناطق المتقدمة في تطور التعليم والتربية والعلوم والثقافة والطب والصحة ، ويوجد فيها ٧٠ جامعة ومعهدا ، يبلغ عدد الدارسين فيها أكثر من عشرة آلاف في المتوسط سنويا ويصل عدد معاهد وهيئات





● احدى بوابات مدينة بكين، وعلى يسارها رمز الصين الاسطوري (فوق) لي بدو سور الصين العظيم رمز المجد الصيني القديم (اقصى اليسار) وهو يمتد بطول ٧٣٠٠ ميل، عبر قمم واراض جبلية، وفي بعض مناطقه يتم الصعود إلى احدى قممه في « موسانيه » بواسطة التلفريك الكهربائي (الى اليسار).



الأبحاث العلمية إلى ٤٠٠ وحدة أو يريد ، وبها أكثر من عشرة آلاف من الباحثين والاختصاصيين .

والاوبرا عادة ما ترضي المشاعر التقليدية للصينيين المحبين للالوان والاصوات والتمثيل والرقص والاوكروبات ولأن أدوار الممثلين كثيرا ما تتطلب منهم المهارة في تحريك أعضائهم فقد كانت كل حركة تؤدى طبقا لقواعد من الرشاقة منسجمة مع النغمات الموسيقية التى تعزف في خلال التمثيل وكانت حركات اليدين تستخدم رمزا للكثير من الاعمال ، كما كانت تصحب الكثير من الاقوال وكان لابد أن تكون هده الحركات دقيقة متفقة مع العرف والتقاليد القديمة وكان فن تحريك اليدين والجسم عند بعض كبار الممثلين يؤلف نصف ما يقدمون في العرض أبرز ما يرتبط بالأداء طلاء الوجوه بمختلف الالوان

وحين كنا نتابع العرض لم نكن نفهم معنى الالوان التى طليت بها وجوه الممثلين ، وبخاصة بعد أن أصبحت النساء قاسما مشتركا في هذه العروض ، وشرح لنا مرافقنا ما تعنيه فاللون الأحمر يرمز إلى الخير والعظمة والمجد والازرق يرمز الى الشجاعة والعنف والنشاط واللون الأبيض يمثل البراعة والحذق والمكر وهو الغالب على وجوه المهرجين أو المجرمين أما الاسود فهو المثل للأمانة والاستقامة والعدل ويلون به وجه القاضي أو القائد واللون الذى يشير الى الشخصية القومية العنيدة بينما الأصفر يدل على الذكاء ، ولكن مع التهور ويدل اللون الاخضر على القوى الخارقة كالاشباح والشياطين ، بعكس اللون الذهبي الذى تطلى به وجوه من يمثلون الآلهة والملائكة والارواح الخيرة

التمثيل بالباتوميم مع الغناء الاوبرالي منتشر في أغلب العروض الصينية ، حيث لايحتاج الأمر إلى الديكورات المسرحية - بما في ذلك الاثاث - الا القليل ويكتفى بالأزياء ذات الطبيعة والزخرفة الخاصة ، وتحريكها بالاسلوب الذى يتفق مع ما يعنيه المؤدى للعرض سواء بالنسبة للحركات أو الكلمات كانت الممثلة الرئيسية في الاوبرا هي أشهر نجمة تحظى بشهرة عالمية مرموقة ، والزى الذى ترتديه يسمى « الاكمام المائنة » وكل كم على الذراع سهل الحركة بالغ الاتساع ، يستخدم تحريكه للتعبير عن المشاعر والعواطف والكم الحريرى المزخرف طويل يمكن أن يصل إلى الارض عندما يتم فك نصفه الاضافي بمعرفة الممثلة الخبيرة في الوقت المطلوب للتعبير المقصود فللتعبير عن الدهشة والصدمة تفرد الممثلة ذراعيها بقوة فتطير الاكمام الى الخلف قاصدة إظهار الانزعاج وعندما يريد الممثل أن يعبر عن الخجل أو الارتباك فإنه يرفع أحد الكمين على وجهه وكأنه يختفى وراءه

أما التصميم أو الشجاعة فيتم التعبير عنها بضرب الاكمام ضربة خاطفة حول المعصم ثم لف اليدين خلف الظهر أما التعبير عن الخوف فيكون بأن يضع الممثل إحدى يديه فوق الأخرى بسرعة وتتابع بينما ترتجف الاكمام حول الكفين !

الانفتاح على العالم

الانفتاح على العالم ليس فقط في فتح الباب للسائحين من كل مكان للتحرك بحرية في أنحاء الصين بلا عوائق ولا قيود ، ولا هو في عروض الازياء الفرنسية والانجليزية على آخر الموضات والصرعات التى تقام في القاعات والفنادق ، ولا هو في التسهيلات التى تقوم بها القنصليات والسفارات الصينية في الخارج لمنح تأشيرات الدخول السياحية دون تأخير ولفترة زيارة تمتد إلى ثلاثة شهور ، ولا هو في ارتداء الرجال والنساء والشيب والشباب الأزياء الحديثة المنتشرة في العالم الغربي بدلا من الزى الازرق الموحد وليس الانفتاح أيضا في حرية الرأى التى بدأت تسود في الاجتماعات وجلسات الشاى الخالي من السكر ، كما أن الانفتاح ليس أيضا في الاستعانة بالخبراء الأجانب القادمين من الشرق والغرب للعمل في مختلف المصانع والشركات والمؤسسات

ولكن الانفتاح الرئيسي هو في فتح أبواب الاستثمار أمام أصحاب رؤوس الاموال للمشاركة في أعمال القطاع العام والقطاع الخاص على حد سواء ، وتنفيذ المشروعات الاقتصادية والصناعية والتجارية والاستهلاكية أيضا ، بالاضافة الى إقامة الفنادق وإدارتها ، بل والسماح لبعض هذه المنشئات بالقيام وحدها بالتنفيذ والادارة مقابل نسبة معينة من

الأرباح تحصل عليها الدولة . وهل أكثر من فنادق صخمة تقام وتدار برءوس أموال أجنبية تتعامل بالعملات الصعبة ولا يسمح لأبناء الشعب الصيني كبارا وصغارا بارتيادها ، إلا إذا كانوا يملكون الدولار أو البديل النقدى المصرفي الذي يستبدل الدولار بالنقد الصيني « يوان » ولكن بأوراق نقدية خاصة ليس لها شكل ولا لون ولا قيمة ما يقابلها من النقد الصيني الذى لايتعامل به غير الصينيين ، ولا يملكون استبداله بما يساويه من نقد مخصص للسياح والمستثمرين ؟ لقد جربنا ذلك مع مرافقينا الصينيين حين أرادوا تكريمنا بدعوتنا ونحن في الطريق الى المطار لتناول القهوة او العصير في فندق استثمارى

كبير وفوجئنا بهمسات بينهم وبين موظفى الاستقبال باللغة الصينية . ثم أحسسنا بحرجهم الشديد وهم يذكرون لنا أن نقدهم لايصلح للتعامل به في الفندق ، ولابد من استخدام النقد الذى استبدلناه نحن حتى يسمح لنا جميعا بالجلوس في الكافيتريا وكان هذا هو المفتاح الذى فهمنا منه أن « اليوان » الذى نستبدله من نوع آخر غير « اليوان » الصيني المحلى الذى يحصلون عليه ويتعاملون به !!

الاستثمارات الاجنبية

حول فتح الصين أبوابها على الخارج واستخدامها الاستثمار الاجنبي قال لنا « كي هو ايوان » نائب وزير الخارجية عندما التقينا به في مكتبه

- استخدام الاستثمار الاجنبي على نحو معقول هو مبدأ استراتيجى طويل المدى لتطوير الاقتصاد الاشتراكى في الصين وتحديثه وهناك طرق ووسائل كثيرة في هذه الناحية ، ولكنها تنقسم إلى نوعين كبيرين بشكل عام . النوع الاول يحتوى على جميع القروض التى قدمتها الينا حكومات البلدان الاجنبية والمؤسسات المالية الدولية والمصارف التجارية والكتل المالية ، والنوع الثانى يتمثل في اجتذاب الاستثمارات الأجنبية مباشرة ويشمل إقامة مؤسسات استثمارية مشتركة ومؤسسات التعاون الادارى ، والتعاون في تنمية الموارد الطبيعية والتجارة التعويضية ، وإقامة مؤسسات الاستثمار

الشخصى للتجار الاجانب

ونسأل نائب وزير الخارجية عن حقيقة ما تم تنفيذه من هذه الاستثمارات ذات التأثير في بناء التنمية الجديدة . ويكون الجواب :

- قررت حكومة الصين عام ١٩٨٤ منذ أربع سنوات فتح أبواب ١٤ مدينة مينائية وساحلية للتبادل مع الخارج على طول الساحل الصيني الشرقى من بينها شنغهاى وشانتو وتشينجد او وكانتون وتشينزن

هذه المدن من أقدم المدن المفتوحة عالميا ، وكان لبعضها مكانتها الرئيسية في تجارة الواردات والصادرات لكن المدن الأربع عشرة كلها أصبح لها كيانها الاقتصادى الواسع كما أصبح لها الحق في السيادة بعد انفتاحها على الخارج ، وتعطى رجال الاعمال الأجانب الذين جاءوا للتمويل جميع التسهيلات ، ويمكن لهم أن يؤسسوا أى مؤسسة بأموال مشتركة ، وأى مؤسسة بإدارة تعاونية وأى مؤسسة مستقلة وقد كان هدف الحكومة الصينية في إعداد سياسة الانفتاح تنسيق العمليات الاستثمارية بين المناطق الساحلية الشرقية المتطورة والمناطق الغربية المتخلفة للتعجيل بالنهضة الاقتصادية التى رسمتها بكين .

ان الصين تنتهج سياسة تعديل البنية الاقتصادية في الداخل وسياسة الانفتاح الاقتصادى على الخارج ، لأن أى دولة عندما تريد تحقيق التحديث فلن يمكنها أن تحقق ذلك من خلال سياسة الانغلاق الذاتى إننا نعلم من خلال تجارب الانفتاح في بعض الدول الاخرى وكذلك من خلال تجارب بلادنا أن الانفتاح الاقتصادى لابد أن يأتى لنا ببعض العوامل السلبية ، ولكن موقفنا تجاه ذلك هو أولا مواصلة الانفتاح على الخارج ، وثانيا القيام بمزيد من التعديل للبنية الاقتصادية مع تمسكنا بالاتجاه الصحيح

العلاقات العربية الصينية

ونسأل نائب الوزير . وماذا عن العلاقات الصينية مع الوطن العربى وخاصة أن الجانبين يواجهان قضيتين مهمتين هما : السلام والتنمية ؟

أجاب : ان الصين والعالم العربى كلاهما لقيا نفس المعاناه في التاريخ . والآن يواجهها نفس الموقف .



ولذلك يجب علينا جميعا ان نبذل جهودنا لحل قضيتي السلام والتنمية في العالم ، وخاصة أن دول العالم الثالث والدول النامية تأمل من صميم قلوبها أن تبنى بلادها اقتصاديا في العصر الذى تتجدد التكنولوجيا فيه وتتطور يوما بعد يوم

واود بهذه المناسبة ان انتهز الفرصة لمزيد من الحديث حول موضوع العلاقات بين الصين والدول العربية فهذه العلاقات تتطور بصورة موفقه ودائمة ويمكننا ان نقسم مراحل تطور هذه العلاقات الى مراحل ثلاث المرحلة الاولى في الخمسينيات عندما تجسدت العلاقات بصورة أساسية في مواجهة الاستعمار أما المرحلة الثانية فمع تحقيق استقلال الصين والدول العربية بدأ تعاون واسع في العلاقات بعد أن كانت تقتصر على العلاقات السياسية ، والمرحلة الثالثة والاخيرة هى أننا نبذل معا جهودا كبيرة لحماية السلام العالمى وإزالة النقاط الساخنة في العالم وفي نفس الوقت يجرى توسيع العلاقات في المجالات الاقتصادية بصورة أكبر وسياستنا الانفتاحية لاتقتصر على الدول المتقدمة فقط إنما على الدول النامية أيضا بما فيها الدول العربية ، ولذلك فنحن نرحب بالاصدقاء العرب وندعوهم للحضور والمشاركة في مشاريع الاستثمار .

ثم ماذا ؟

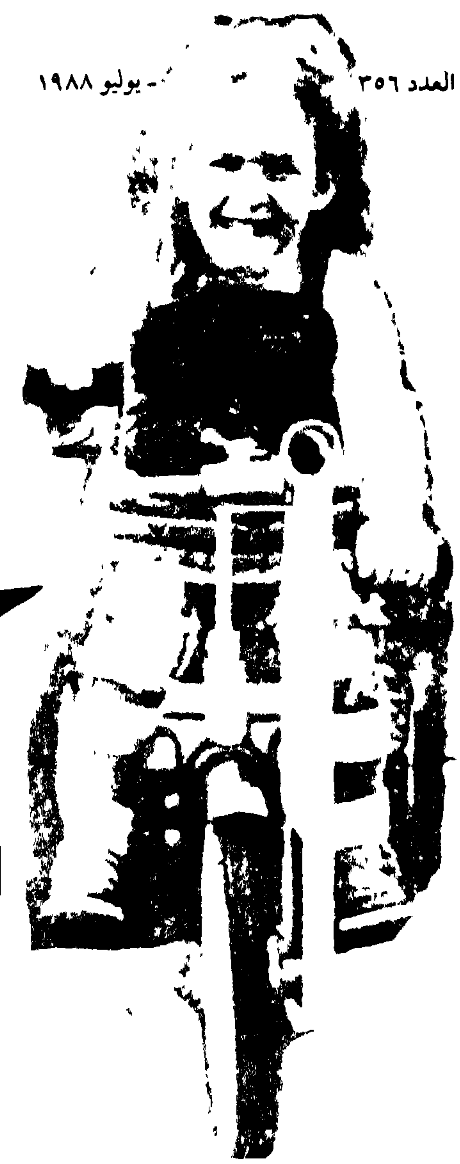
الجهود التي تبذل لاعادة بناء البنية الاقتصادية في الصين كبيرة بغير شك ، لكن الذين يعيشون داخل الصورة لهم رأي آخر ، فالتجارب الناجحة لاتغمض عينها عن الثغرات والسلبيات التي تتكشف أثناء المسيرة ولهذا فبعد أيام من حديث الوزير افتتح الاجتماع السنوي لمؤتمر الشعب الوطني (البرلمان وأعضاؤه ٢٩٠٠ مندوب) ، وواجهت الحكومة لأول مرة معارضة شديدة من الأعضاء وهو مالم يكن يجرؤ عليه احد قط في عهد الانغلاق ، كما أن الحكومة نفسها أعلنت عن تغييرات جذرية شاملة بالجهاز الاداري الحكومي ، بهدف التخلص من العمالة الزائدة ، وانعدام الكفاءات وازدواج المسئوليات ، وتقدمت ببرنامج إصلاح واسع النطاق ، يستهدف تنظيم الحكومة ، والحد من دورها فيما يتعلق بشئون الحياة اليومية .

وقد أعلن سونج يانج مستشار شئون الدولة والذي قدم برنامج الاصلاح « للبرلمان » أن البرنامج الجديد يتضمن حل ١٤ وزارة ولجنة حكومية ، وتشكيل عشر وزارات جديدة ، للقيام بعمليات ومهام منظمة ، في إطار خطة منسقة ، وأكد أن برنامج الاصلاح لامفر منه لضمان نجاح أي تقدم على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، وذلك بعد أن ثبت - كما قال - عدم جدوى الأسلوب الرأسمالي للإصلاح

وأعلن مستشار مجلس الدولة أن هذه التعييرات جاءت نتيجة تسع سنوات من محاولات الإصلاح الاقتصادي ، حيث ثبت أن العيوب في النظام الحكومي الحالي قد أصبحت واضحة ، وقد انعكست في الضعف الشديد للاقتصاد الذي شمل الطاقة والمواصلات والمواد الخام

وأوضح المسئول الصيني أن وزارات السكك الحديدية والاتصالات والطيران قد ألغيت ، وحل محلها وزارة جديدة للمواصلات ، تشمل هذه النشاطات كلها وكانت هذه الوزارات قد تعرضت لهجوم شديد في أعقاب سلسلة من الحوادث المروعة ، كما تم إلغاء وزارات الفحم والنفط والصناعات النووية ، وأنشئت وزارة جديدة للطاقة ، وكان مسئولو شركات النفط الغربية في الصين قد وصموا مشكلة الطاقة بأنها نقطة سوداء في حياة الصين ، وقالوا إن العمل في المصانع متعطل بمعدل يوم كل خمسة أيام بسبب نقص الطاقة ، وذلك هو ما شهدناه بالفعل خلال زيارتنا لبعض المصانع الرئيسية في الصين ، ومنها مصنع « هوانجي » للآلات الالكترونية في مقاطعة شانسي ، حيث وجدنا قسم صناعة الثلاجات والأجهزة الالكترونية متوقفا ، وقال لنا مديره ونحن ندور بين قاعاته الخالية من العمال بأن التوقف بسبب ضعف الطاقة ، ولهذا فالعمل يتوقف ثلاثة أيام كل اسبوع ، ولكن الأجور تدفع كاملة للعمال . !!

وهو أمر بغير شك مثير ولعل في ذلك بعض السر في مضي الحكومة في خطتها للاصلاح بعد ان اكتشفت العيوب في اعماقها . وهو موقف تستحق عليه التحية لشجاعتها في العدول عن الخطأ وبداية الاصلاح الجديد □



هل نقول للعجز الجسماني وداعاً

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

تقوم « فلسفة » العلاج التأهيلي على مساعدة المرضى بأمراض عضوية أو نفسية ، أو من أصيبوا بكسور أو ضمور في أعصائهم جراء حوادث معينة ، الى محاولة اعادة سريان دورة الحياة العادية في أعصائهم أو نفوسهم ، قدر الامكان ، والوصول في ذلك الى أعلى قدر ممكن من الكفاءة .

فما هو هذا العلاج الذي يشترك فية مجموعة من الاخصائيين ؟

ثورة العلم والتقنية التي نعيشها في هذا العصر قدمت بكل سخاء الأدوات القادرة للتغلب على ما يواجهه الانسان في حياته من حوادث وكوارث وليس أشد إيلاما للانسان من أن يجد نفسه عاجزا عن الحركة ، مشلولا قعيدا ، بعد إصابته في حادثة ، أو مرض أدى الى فقد جزء من جسمه ، أو بتر أحد أعضائه ، إنها قاسية مؤلمة في نفس الوقت إنه نفس الانسان الذي يملأ الدنيا حياة وحركة،وإشراقة الطموح تظلل أساريره ، فإذا هو قعيد الفراش ، وقد تقوصت كل آماله ، وانهارت

أحلامه ، إثر إصابته في حادث سيارة مجنونة ، أو مرض خطير استفحل في أحد أطرافه لقد كان هذا الانسان يواجه الكارثة التي هوت فجأة على رأسه بالانزواء في الظل ، والاستسلام للحسرة والألم الممض وازدراد الحزن في هدوء ومرارة

كان هناك سؤال مطروح باستمرار : هل يظل من فقد حاسة من حواسه أو طرفاً من أطرافه عاجزا طول عمره ؟ وجاءت الاجابة مما يعرف الآن بالمعالجة التأهيلية (Rehabilitation) ، كان هذا النوع من المعالجة ولأكثر من ربع قرن غير معروف إلا في البلاد المتقدمة ، بل إنه حتى اليوم لا تخصص كليات الطب في الدول النامية جزءا من الدراسة لها لهذا الفرع ، ولعل السبب في ذلك يعود الى تعدد الاحصائيين الذين يتولون مهمة هذه المعالجة ، فهي تتم بروح الفريق الواحد ، هذا بالاضافة الى أن الأبحاث لم تصل بعد الى نهايتها ، فما تزال الأجهزة التعويضية التي تستخدم بدلا عن العضو المريض أو المبتور قاصرة عن أن تحل محل الأعضاء الطبيعية الى حد ما ، ولعلها ـ تأكيدا ومهما تقدم العلم وابتكر ـ لن تصل الى كفاءة الأعضاء البشرية

كانت المعالجة التأهيلية تعني في تعريفها مجموعة الخطوات اللازمة لمعالجة المصاب منذ إصابته في حادث حتى شفائه ، وكان هذا التعريف الذى تم وضعه في انجلترا منذ سنوات غير كاف ، فقد أضيف الى المصابين في حوادث،هؤلاء الذين ولدوا وهم معاقون ، وكذلك كبار السن من العجائز غير القادرين عضويا ، وكان لابد من وضع تعريف جديد لهذا الفرع من فروع المعالجة الطبية .

أما الآن فيمكن أن نقول إن المعالجة التأهيلية تهدف الى مساعدة الأشخاص ، لكي يصلوا الى أعلى قدر ممكن من الكفاءة ، حتى يتعايشوا مع الحياة التي تمكنهم قواهم منها . والحياة التي نعنيها تتمثل في صورتها العضوية والنفسية والاجتماعية ، إذن فهذا تعريف أشمل وأعم ، وهو ـ دون شك ـ يتطلب معاونة عدة اختصاصيين ، فعمل الاختصاصي النفسي مع اختصاصي العلاج الطبيعي مع الجراح والاختصاصي الاجتماعي وغيرهم ، كل هؤلاء يعملون معا لكي يجتاز المريض الأزمة ، ويواجه المستقبل بروح مشرقة ، مفعمة بالأمل .

وهنا يبرز دور الاختصاصي النفسي الذي يتولى المصاب قبل المعالجة التأهيلية وبعدها وهو دور لا شك عظيم .

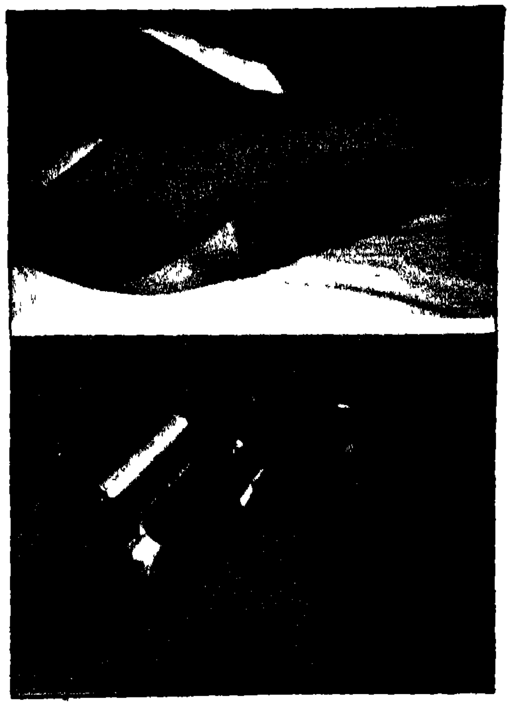
هؤلاء يعملون معا

إن عودة المصاب الذي أصبح معوقا الى حياته الطبيعية يحتاج ـ كما قلنا ـ الى فريق كامل من الاختصاصيين في مجالات شتى ، كلهم يعملون معا من أجل هدف واحد هو أن لا يتحول الى كم مهمل ، يعيش على هامش الحياة ، ويمكننا أن نعدد أفراد هذا الفريق .

١ ـ اختصاصي العلاج الطبيعي : يقوم بدور بالغ الأهمية في المحافظة على أعلى قدر ممكن من وظائف الأنسجة السليمة ، والأعضاء التي نجت من الاصابة ، ثم هو يهدف الى مساعدة المصاب ، لكي يستطيع الاعتماد على نفسه ، ويتكيف مع البيئة المحيطة به ، وهذا في الحقيقة يحتاج لما يمكن تسميته بإعادة التعليم الوظيفي لكل قدرات أعضائه وتحكمه فيها ، وهو قد يستخدم وسائل طبيعية أخرى تمكنه من تحقيق ذلك ، ومن هذه الوسائل الماء ، والبرودة ، والحرارة ، والتدليك ، واستخدام الكهرباء .

٢ ـ اختصاصي استخدام الأجهزة التعويضية : لقد تطورت الأجهزة المساعدة تطورا كبيرا ، وكان ذلك بفضل استخدام التقدم الكبير الذي حدث في استخدام الرقائق « الاليكترونية » وغيرها والأجهزة التعويضية لا تقوم فقط بوظيفة العضو الذي فقد وظيفته بسبب البتر أو الشلل أو التشوه ، بل إنها تحافظ كذلك على المظهر الخارجي .

٣ ـ الاختصاصي الاجتماعي : إن دور الاختصاصي الاجتماعي لا يقل في أهميته عن دور الطبيب المعالج ، فالإصابة الخطيرة التي تترك آثارها على الحياة العائلية والاجتماعية تحتاج الى رعاية



بعد بتر الساق تلف بضمادات في شكل مخروطي حتى يتناسب ذلك مع الساق الصناعية



الكرسي المتحرك مرحلة من مراحل المعالجة التأهيلية

اجتماعية مناسبة ، وهذا ضروري جدا لضمان نجاح المعالجة التأهيلية الطبية

٤ ـ الاختصاصي النفسي يبرز دور الاختصاصي النفسي مع هؤلاء الأشخاص الذين لا يتقبلون ببساطة استخدام الوسائل والأجهزة التعويضية المساعدة ، إذ يشرح لهؤلاء معنى كلمة عجز ، فالعجز يعني عدم مقدرة المرء على فعل شيء يريد أن يفعله،وهذه العبارة تعني أننا جميعا يمكن أن نكون مصابين بنوع ما من أنواع العجز .

يضاف الى هؤلاء ـ أيضا ـ اختصاصي أمراض البكم والصم ، وذلك لمساعدة المصابين بعجز في الكلام والسمع وكانت أجهزة السمع الصناعية التي تستخدم فيها الوسائل « الالكترونية » قد استخدمت لأول مرة منذ ستين عاما ، أما القصور في عملية الكلام فإنه يحتاج الى تدريبات طويلة شاقة لمساعدة البكم على النطق ، وقد يحتاج الاختصاصي لبعض الأجهزة والأدوات التي تعاونه في ذلك

وهكذا نرى أن الإصابة التي تؤدي الى عجز في عضو أو طرف ، سواء كان ساقا أو ذراعا تحتاج الى معاونة فريق كامل من الخبراء ، بيد أن هناك إصابات لا تحتاج لعمل كل هذا العدد من الاختصاصيين ، وهي في معظمها الإصابات المحدودة التي تصيب الجهاز العضلي والعظمي ، فهنا يكفي التدخل الطبي لمعالجة الأمر ، وذلك بمساعدة اختصاصي العلاج الطبيعي .

إصابات المخ والعمود الفقري

ليس هناك ما هو أغلى من الخلايا العصبية التي يتكون منها الجهاز العصبي المركزي الذي يتكون من المخ والنخاع الشوكي ، وإن هذه الخلايا إذا أصيبت بتلف أو مرض أدى الى موتها فإنها لا يمكن أن تعوض ، إن سر الوجود والحياة كله يكمن في هذه الخلايا العصبية ، من جميل صنع الخالق أن حفظت هذه الخلايا في صناديق عظيمة شديدة الصلابة ، فالمخ والنخاع الشوكي محاطان بغلاف



الدراع الصناعي يركب في المكان المناسب ويربط على الكتف والدراع السليم



استحدام المياه الباردة والساخنة والتدليك كلها من وسائل العلاج الطبيعي



طفل مبتور اليد والدراع وأحد القدمين ، ثم وهو يقف دون مساعدة باستحدام الأجهزة التعويضية

عظمي وسوائل وأغشية تجنبها كل ما يمكن أن يتعرضا له من صدمات وحوادث

إلا أنه على الرغم من ذلك قد تتعرض هذه الأجزاء الثمينة من الجسم البشرى الى حوادث عارضة ، مثل حوادث السيارات وغيرها التى قد تتسبب في كسر في الجمجمة أو العمود الفقرى ، وقد يؤدي ذلك الى أعراض معظمها عبارة عن شلل وفقدان للاحساس وضمور الجلد ، وعدم التحكم في إخراج البول والبراز ، فهذه أو بعضها قد تنشأ من الحوادث التي تصيب المخ أو النخاع الشوكي ، وهي تتطلب بالضرورة تدخل الفريق الطبي النفسي الاجتماعي الذى ذكرنا أفراده من قبل .

إن المصاب يجب أن ينقل على الفور الى أقرب مركز طبي أو مستشفى ، حيث يعمد اختصاصي العلاج الطبيعي الى منع التقلص العضلي الذي يحدث عقب الحادثة ، بل ويحافظ ما استطاع على العضلات والأنسجة التي لم تصب ، ويعمل على تقويتها ، وبعد التدخل الجراحي المطلوب ، وشفاء المريض من أثر الجرح ، يبدأ عمل الاختصاصي الطبيعي مرة أخرى ، فهو يساعد المصاب على الحركة أولا

بالجلوس على حافة السرير ، ثم بالاستعانة بالكرسي المتحرك ، وأخيرا يدرب هذا المصاب على المشي بالاستعانة بعكازين ، وقد يكون من الضروري كذلك معاونة هؤلاء المصابين على تنظيم عمل المثانة والمستقيم ، وقد يحتاج الأمر الى زرع أجهزة « الكترونية » في أجسامهم ، تتحكم فيها من الخارج مرسلات صغيرة الحجم ، توضع في جيوبهم ، وهي أشبه في عملها بأجهزة صخ (الانسولين) لمرضى السكر التي تزرع في أجسام المصابين بمرض السكر ، ولا شك ـ إذن ـ أن إصابة المخ أو العمود الفقري

تنطوي على خطورة ، خاصة إذا كانت الإصابة في أعلى العمود الفقري ، وليس إذن من سياق المبالغة أن نقول إن ما يقرب من ٩٨٪ من حالات إصابة العمود الفقري في ربع القرن الماضي كانت تنتهي بالوفاة خلال سنة من الإصابة ، لكن هذا لا يحدث الآن ، ولعل الفضل في ذلك يعود - تحديدا - الى المعالجة التأهيلية التي تقدم لهؤلاء المرضى .

سيقان وأذرع صناعية

كما قلنا فإن الحوادث قد تؤدي الى إصابة المخ والنخاع الشوكي ، وهو ما يؤدي الى الشلل غالبا ، إلا أن الحوادث قد تؤدي الى بتر في أحد أطراف الجسم أيضا ، وقد يكون البتر نتيجة لقصور في الدورة الدموية بالطرف ، سواء كان ساقا أو ذراعا وفي هذه الحالة يكون من الضروري تركيب جهاز تعويض ، ليحل محل العضو المفقود

وفي الحقيقة أن بقايا الطرف المفقود يجب أن تعامل معاملة خاصة ، حتى تتهيأ لاستقبال الجهاز التعويضي ، فتلف بضمادات ، حتى تأخذ في النهاية الشكل المخروطي ، وهذا من شأنه المحافظة على توزيع الضغط على الأنسجة الحية وكذلك يجب المحافظة على العضلات التي نجت من الإصابة في الطرف المفقود حتى تعمل بصورة طبيعية، بل وتنمو كذلك نموا طبيعيا

وعند تركيب الجهاز التعويضي فإن النتائج تختلف تبعا للعضو المبتور ومكان البتر ، فهؤلاء الذين فقدوا أذرعهم يمكنهم ممارسة واجباتهم بصورة طبيعية تقريبا وذلك أقل قليلا ممن فقدوا سيقانهم ، كذلك فإن البتر في أعلى الذراع - فوق مفصل الكوع - يعطي نتائج أقل إيجابية من البتر أسفل الذراع عند تركيب الجهاز التعويضي والأجهزة التي تستخدم الآن بها خطاطيف ، تربط في الذراع والكتف المعاكس (السليم) للذراع المبتور ، وهذا الوضع يتيح للجهاز التعويضي القدرة على التحمل ومقاومة تغيرات الطقس ويحمل هذا الجهاز التعويضي في نهايته خطاف قوي ، يمكن المرء من إنجاز عمله بدقة ومهارة ، ولهذه الأجهزة أطراف تصنع من البلاستيك ، وهي تشبه اليد البشرية تماما ، ذات شكل مقبول ، إضافة الى أنها مفيدة لهؤلاء الذين يعملون أعمالا كتابية لا تحتاج لمجهود عضلي

وإذا انتقلنا لهؤلاء الذين فقدوا سيقانهم فإن الأمر يختلف قليلا ، وذلك لأن الساق تتحمل ضغط الجسم كله ، وبالتالي فالضرورة تحتم أن يكون الجهاز التعويضي مؤهلا لتحمل هذا الضغط

ولعله من الغريب حقا أن نعرف أن أول من صنع السيقان الصناعية كان مساعدا لحلاق في فرنسا ، يدعى « امبروز باريه » ، وقد ولد في عام ١٥٠٩م بمدينة « ماين » الفرنسية ، وكان والده يعمل بعض الوقت خبازا ، وبعضه خادما ليسد رمق أسرته المعدمة ، بيد أن « امبروز » كان يتطلع لحياة طموحة ، يكتب فيها اسمه بمداد المجد والخلود ، فتعلم فن الجراحة ، وشغل منصب جراح عسكري في سنة ١٥٣٦ وقد جذب انتباهه كثرة المصابين في المعارك الحربية ، حيث كانت تبتر سيقانهم التي مزقتها نيران المدافع ، وكان امبروز يعتقد - ومعه الحق - بأن القذائف والرصاص الذي يصيب الجندي ليس مسمما كما كان يعرف ، بل إن التسمم إذا ما حدث فإنه ناتج من عدم العناية بالجرح وتنظيفه كما ينبغي ، لذلك كان يوصي بتنظيف الجرح بالماء المغلي ، لا غسل الجروح بالزيت المغلي أو معالجتها بالكي كما كان يفعل الجراحون آنذاك

والأمر الذي كان يؤرق « امبروز » حقا هو هذا العدد الكبير من هؤلاء الجنود الذين فقدوا سيقانهم في المعارك التي كانت تسود كل بلدان اوروبا في ذلك الوقت ، لذلك وضع امبروز نصب عينيه صنع سيقان صناعية ، تعين هؤلاء على السير دون اللجوء الى مساعدة وهكذا ظهرت السيقان الصناعية أول مرة في العالم ، وقد كان هذا العمل الجليل سببا في تعيين « امبروز » طبيبا خاصا للملك « تشارلس التاسع » في عام ١٥٦٢م تكريما له وتشريفا .

ولقد عمد العلماء منذ ذلك التاريخ حتى اليوم الى تطوير هذه السيقان الصناعية ، بل نقول الأطراف

الصناعية ، سواء كانت أذرعا أو سيقانا ، وهي لا شك تحتاج الى مهارة خاصة وتصنع هذه الأطراف من نوع من البلاستيك شديد النقاء ، غير قابل للتلوث ، إضافة الى متانته وخفة وزنه ، عن مثيله من الخشب أو المعدن

ولقد أدى التقدم في صناعة الأطراف الصناعية الى درجة تمكن المصاب من استخدامها في القيام بجميع حركات الساق أو الذراع الطبيعية ، من قبض وانكماش ودوران وغير ذلك من الحركات ، بل إن خبراء صنع الأطراف قد فكروا في مدها بالطاقة أو القوة ، وقد استخدموا لذلك مادة « الكربون المؤكسد » المضغوط ، ثم عمدوا الى استخدام القوة المنبعثة من الطاقة (الهيدرولوكية) ، وقد يستخدم كلا النظامين معا في بعض الأجهزة وقد أدى ذلك - دون شك - الى تطور هذه الأجهزة التعويضية تطورا كبيرا ، وعلى الرغم من أن مثل هذه التجارب تكلف مبالغ طائلة ، إلا أنها تعود في النهاية بالنفع على هؤلاء الذين كان قدرهم أن يفقدوا جزءا غاليا من أجسامهم

وأخيرا

فإن الأجهزة التعويضية التي تهيىء السبيل لحياة أفضل للمعاقين ، والتي كانت في الماضي باهظة الثمن ، لا يقدر على اقتنائها إلا الأثرياء ، قد أصبحت الآن رخيصة الى حد ما ، بل إنها تعطى مجانا في بعض الدول وإذا كان حلم الإنسان أن يجد الآلة أو الجهاز الذي يستطيع أن يقوم مقام أحد أعضائه فإن الأبحاث والتجارب تعمل لتحقيق ذلك يقول البروفيسور « جايلز بريندلي » وهو أحد الرواد في أبحاث وسائل مساعدة العجزة : إنه قد آن الأوان لحمل بعض الأجهزة التي تزرع في الجسم تعمل وتكف عن العمل دون الاعتماد على المريض ، ومن هذه الأجهزة الجهاز الذي يحرك الساق ، فمن الممكن التحكم في هذا الجهاز عن طريق إشارات تلتقط من المخ ، يتم تكبيرها . وهناك محاولات الآن لتزويد مكفوفي البصر بإبصار صناعي ، وتزويد الصم بسمع صناعي . وتهدف هذه المحاولات الى تحقيق ذلك عن طريق استخدام أجهزة إحساس الكترونية ، كخلية كهربائية ضوئية ، أو « ميكروفون » يتصل مباشرة بالأعصاب التي توصل الى المخ . ثم يستطرد بروفيسور بريندلي قائلا : « إن أول مرة تمت فيها مثل هذه المحاولة كانت في عام ١٩٦٧ ، عندما تم زرع جهاز في جسد إحدى الكفيفات لإثارة مناطق القدرة على الرؤية داخل المخ ، وقد استطاعت هذه السيدة رؤية بعض الأشكال نتيجة لذلك . . » . وإن ما قاله البروفيسور بريندلي ، ما هو إلا حلم سوف يتحول الى حقيقة واقعة خلال سنوات قادمة ، فلقد استطاع الإنسان أن يعيد الطرف الذي بتر في حادثة بعملية جراحية بعد استعمال « الميكروسكوب » الجراحي الذي يتيح للجراح ربط الشرايين والأعصاب الدقيقة ، وأوتار العضلات ، لكن من سوء الحظ أنه ليس كل حالة بتر قابلة لهذه العملية الجراحية المعقدة ، بحيث يتم إعادة زرع العضو نفسه في الجسم . فمثلا اذا هرست ساق شخص أو ذراعه تحت عجلات (مترو) أو سيارة فإنه من المستحيل إعادة زرع مثل هذه الساق أو تلك الذراع ، بل لابد لضمان نجاح هذه الجراحة أن يكون البتر قد تم بواسطة آلة حادة مثل المنشار الكهربائي ، بحيث يبدو العضو كأنه قد بتر بيد جراح إذن هذه الجراحة لا تصلح لمن تمزقت أطرافهم في الحروب ، أو في حوادث الطرق ، والصناعة . بيد أن بارقة الأمل لهؤلاء تكمن في المعالجة التأهيلية التي تعنى في المقام الأول بصنع جهاز تعويضي لاصلاح ما فسد

وهكذا يمضي العلم بالإنسان متجاوزا منحنيات الخطر التي تعترضه ، والتي يمكن أن تحطم حياته وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول في كتابه الكريم « وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رُوْحِ اللهِ » . □

وجهاً لوجه





علي فرزات و حسن محمد يوسف

الشخوص التي تعايشني تفرض علي أسلوبا معينا في الرسم

[illegible] الأكاديمي ثم حطمت [illegible]

عندما أختار موضوعي أبحث عن المشاهد التي تشغل [illegible]

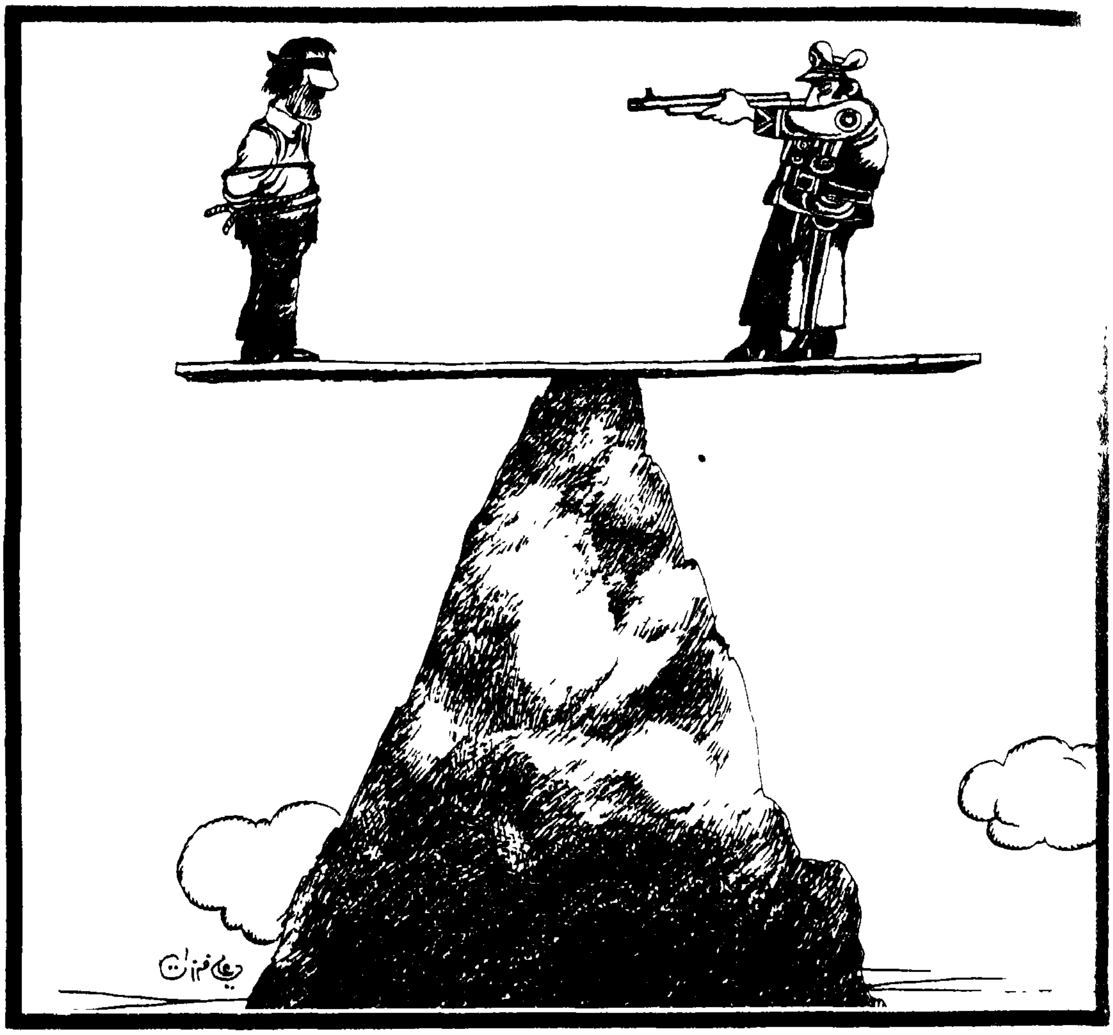


فنان « الكاريكاتير » حالة خاصة جدا .
فهو الأكثر حضورا على صفحات الجرائد والمجلات .
والأقرب إلى عين القاريء وعقله .
وهو ليس فنانا تشكيليا ، وليس كاتب رأي .
ومع ذلك فهو يجمع بين كل هذه الأشياء ، حس الفنان وأدواته ،
وموقف الكاتب ،
وسخرية خاصة ،
سخرية تصنع ابتسامة حتى على أشد الأشياء مرارة في حياتنا .
علي فرزات أشهر رسام « كاريكاتير » في القطر العربي السوري ،
وواحد من أشهر رسامي « الكاريكاتير » العرب ،
وهو رسام صاحب موقف ورأي .
وعبر مساهماته اليومية على قرائه عبر الصحف السورية والعربية الأخرى
قدم فرزات وما زال يقدم أعمالا فنية رائعة تعد إضافة متطورة للجيل الشاب
من رسامي « الكاريكاتير » العرب
أجرى معه الحوار الكاتب السوري حسن يوسف

للكاتب التركي الساحر عزيز نيسين رأي يقول فيه « أعتقد أن السخرية كانت بالنسبة لي وسيلة من وسائل الدفاع منذ طفولتي ، ففي الابتدائية والاعدادية كان محكوما علي أن أنجح دوما ، بينما يفشل آخرون دوما ، وكنت صغيرا من حيث الحجم والسن بين كبار لهم شوارب ، لذا لم يكن امامي أي وسيلة للدفاع عن النفس سوى السخرية منهم ، وعندما تطورت العملية وأخذت شكلها المكتوب تحولت من عملية فردية إلى عملية اجتماعية طبقية ترمي للدفاع عن الفقراء بشكل عام » وسألنا رسام « الكاريكاتير » العربي علي فرزات

كيف تشكلت سطرتك الساحرة للعالم ؟ وما هي أهم العوامل التي أسهمت في صياغتها ؟

* قال منذ أن كنت طفلا صغيرا كنت ألاحظ الناس وأسجل في ذاكرتي المفارقات والمتناقضات التي تظهر بين كلامهم وسلوكهم الاجتماعي ، مثلا عندما كان أقاربنا وأصدقاء دوينا يأتون للسهر عندنا كنت أجلس على الهامش ، والصغار يجلسون دائما على الخطوط الخلفية في سهرات كهذه ، وكنت أرصد كل كلمة وكل حركة يقولها الكبار ، وعندما كنت أرجع بعض الحالات إلى أصولها الواقعية كنت



أكتشف التناقض بين القول والفعل ، كأن يقول أحد الموجودين في السهرة « يجب على الأب أن يكون صديقا لابنه ، يلبي له كل حاجاته ورغباته ، دون أن ينقص منها شيئا » ، في حين أن ابنه صديقي ويحكي لي باستمرار عن الصفعات الرنانة التي يأكلها منه !

كانت « لماذا » تقودني

في البداية كنت ألتقط هذه الأمور بشكل فطري ، لكن الثقافة ساعدتني مع الزمن على اكتشاف عمق هذه الحالات وتلمس أسسها وتصنيفها في باب التناقض بين السلوك والفكر

كنت أتساءل دائما لماذا ؟ « ولماذا » هذه كانت تقودني لمزيد من المعرفة ، وتدفعني لمزيد من البحث ، وغالبا ماكنت أحلل موضوعاتي لأفهمها وأتمكن من رؤية بعض استطالاتها المستقبلية . إن أي عمل فكري يعتمد على الذاكرة ـ الأرشيف ـ ويقرأ الحاضر في علاقته بالماضي ليخرج من ذلك بتصورات جديدة حول المستقبل ، وهذه هي الآلية التي أتبعها في تحليل الأشياء

* مالذي دفعك لاختيار « الكاريكاتير » وسيلة للتعبير بدلا من القصة أو القصيدة أو اللوحة التشكيلية ؟

لم تعرض علي خيارات مختلفة لأقول إنني اخترت ، فكل ما هنالك هو أنني وجدت نفسي أرسم ، غير أني أذكر أثرا يرجع لطفولتي الأولى ، أيام ما قبل المدرسة ، فقد كنا نسكن في بيت ، حيطانه من الكلس ، وبين فترة وأخرى كان يجيء إلينا صباغ لتجديد لون البيت ، وكان ذلك الصباغ

فنانا إلى حد ما ، إذ أنه كان يرسم وجها على الحائط من باب التسلية ، ثم يطمسه بالبياض . وكنت أنظر إلى ما يفعله باندهاش . كما أنظر الآن إلى لوحة لليوناردو دافنشي . وربما كنت أراه في ذلك الوقت أعظم من مايكل انجلو !

كان « يخربش » على الحائط ويعني ليتسلى وهو لايدري أن تحت السلم شخص صغير ـ هو أنا ـ ينظر إلى مايفعله باهتمام

* ماذا لديك من ذلك الصباح ؟

ـ أحيانا أذهب إلى مدينة حماة لأراه . فبينا قرابة بعيدة ، لكنه لايعرف لماذا أكن له هذا الاحترام ، فالوحيد الذي يعرف السبب حتى الآن هو أنا

* هل تعتبره أحد أساتذة الطفولة ؟

إلى حد ما ، بالنسبة لذلك السن أعتبره أستاذا ، فأنا ما أزال أذكر الوجه الذي كان يرسمه على الحائط حتى الآن ، وأذكر أنه عندما انتهى من صنع بيتنا أخذت مرة قطعة فحم من « المنقل » وكررت ذلك الوجه الذي رسمه على كل حيطان الحارة

الطفل والانسان « والكاريكاتير »

* هل تستخدم هذه الموهبة في الدفاع عن النفس منذ عهد مبكر ؟

طبعا استخدمتها في محيطي وعلاقاتي . مثلا ، عندما كنت أتخاصم مع أخي كنت أرسمه « كاريكاتيريا » ، وكنت أرسم الأستاذ الذي يضربنا بالعصا وأوزع الرسم على الطلاب

* أيهما أكثر قربا إلى روح الطفل برأيك ، الرسم « الكاريكاتيري » ام اللوحة التشكيلية ؟

ـ قرأت مرة بحثا يقول أن « الكاريكاتير » أقرب إلى نفوس الأطفال من الرسم العادي ، مما يفسر أسباب تعلق الأطفال بأفلام الرسوم المتحركة والصور « الكاريكاتيرية » . فالفنان مهما بلغ من الموهبة وقوة التعبير لايستطيع أن يصل بفنه إلى مستوى الصوره الطبيعية التى يراها الطفل في الحياة

أما رسام أفلام « الكرتون » ورسام « الكاريكاتير » فإنهما لايرسمان شيئا واقعيا ، ولهذا يتقبل الطفل عملهما

* هل يمكن القول أن « الكاريكاتير » وسيلة تستخدمها على الرغم من ذلك للدفاع عن الطفل في داخله ؟

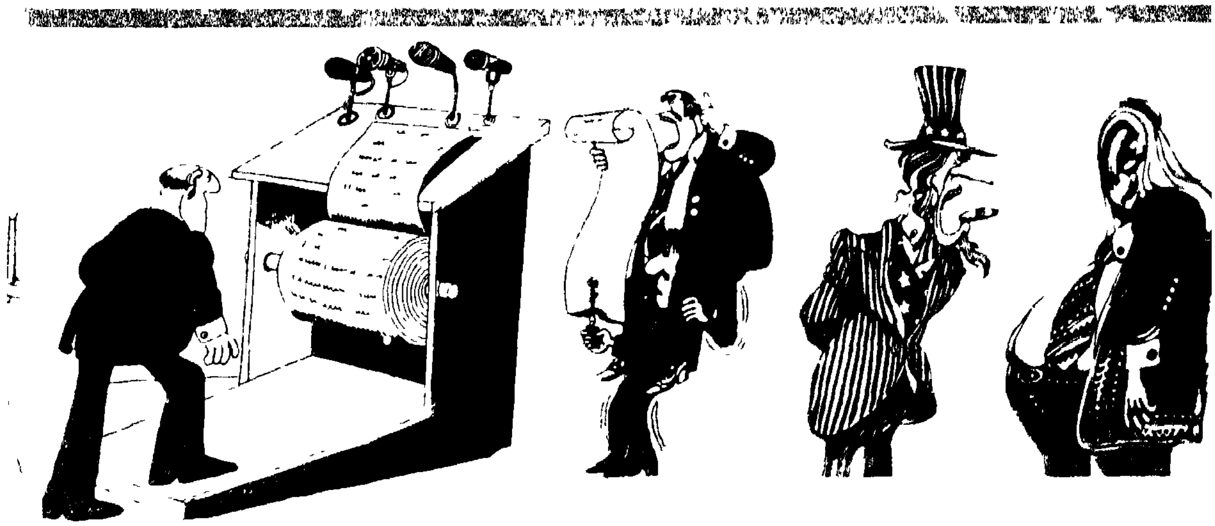
ـ ممكن جدا أن تكون المسألة هكذا ، لكن يضاف إليها الرغبة في الدفاع عن الانسان بكل مراحله

* هل الواقع بالنسبة لك ماجرى فقط أم مايمكن أن يجري أيضا ؟

ـ الفنان برأيي مطالب بأن ينتقل من الخصوصية إلى العمومية ، لأنها هي الحالة المتقدمة في الفن

* متى نشر أول « كاريكاتير » لك ؟

ـ نشر أول « كاريكاتير » لي وأنا في الصف الثالث الاعدادي في جريدة « الأيام » الدمشقية التي كان صاحبها ورئيس تحريرها المرحوم نصوح بابيل



ي محراب الرسم

* كيف تم نشر الرسم ، أعني ماهي الظروف التي أحاطت بعملية النشر ؟

بعثت اول صورة « كاريكاتورية » الى جريدة « الأيام » الدمشقية وكانت تدور حول اتفاقية ايفيان الجزائر واصرار الضباط الفرنسيين وعلى رأسهم الجنرال سالان ، قائد القوات انذاك ، على البقاء في الجزائر على الرغم من معارضة الجنرال ديغول ، ورسمت « كاريكاتورا » استخدمت فيه حكاية من « ألف ليلة وليلة » حول ناس وصلوا إلى جزيرة في البحر بعد طول سفر ، فنزلوا عليها وأشعلوا النار فوقها ليطبخوا طعامهم فإذا بها تغوص بهم ، لأنها لم تكن جزيرة ، بل حوتا عملاقا أخذت الحكاية وركبتها على موضوع سياسي ، فرسمت سالان وجماعته من الضباط على ظهر الجزيرة الحوت ، ورسمت ديغول يقول لسالان « امش يا سالان الارض بعوص »

* كم كان عمرك انذاك ؟

- خمسة عشر عاما المفاجأة العاصفة كانت بعد ثلاثة ايام ، عندما اكتشفت أن الجريدة نشرت رسمي في صفحتها الأولى تحت « الماشيت » مباشرة ، والطريف في الأمر أن صاحب الجريدة المرحوم نصوح بابيل أرسل الى خطابا مطبوعا يخاطبني فيه بلغة التفخيم قائلا « واذا تكرمتم بالمجيء الى دمشق فسوف يكون من دواعي سعادتنا أن نهتم بكم ماديا ومعنويا الخ » ، لأنه لم يكن يعلم أنني تلميذ مدرسة !

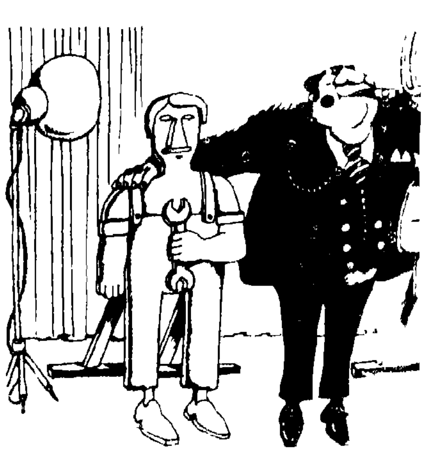
* هل تحتفظ بذلك الكتاب ؟

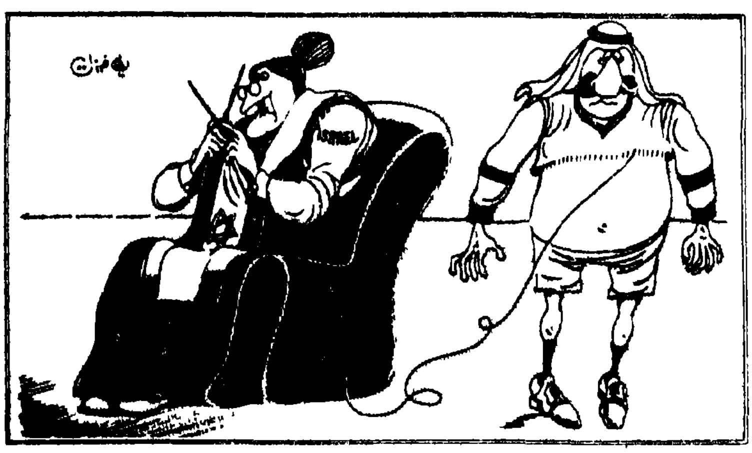
- لا ، مع الأسف ، هناك أشياء كثيرة ضاعت مني أثناء تنقلاتنا الكثيرة في سورية ، فقد كان أبي موظفا في الدولة مديرا لأمانة السجل العقاري ، لذا عشنا حياة من التنقلات المستمرة وهناك أشياء كثيرة عزيزة على نفسي ضاعت أثناء تلك التنقلات

سحرني « برني »

* أعود بك إلى سؤال سابق بصيغة اخرى من الواضح ان موهبة الرسم كانت موجودة لديك منذ البداية ، لكن من هم أصحاب الأيدي التي تركت بصماتها على شخصيتك إنسانا وفنانا ؟

- الانسان حالة ثقافية مستمرة متصلة مع الاخرين هناك رسام يدعى « برني » كان ينشر رسومه « الكاريكاتورية » في الصحف المصرية « الاثنين » ، و « المصور » ، و « الدنيا » ، ومع أنه كان فرنسيا إلا أنه كان انسانا اصيلا لواقع مصر وبيئتها ، بحيث لايمكن أن تشك ولو لحظة واحدة أنه غير مصري ، هذا الرجل سحرني بخطوطه وأفكاره ، وجعلني أعشق « الكاريكاتير » من خلاله كنت أحتفظ برسومه « الكاريكاتورية » واجمعها ، وأحيانا كان ابي يقول لي يابني ، صار لك ساعة وانت تحملق بالصورة هل يعقل أنك لم تفهمها حتى الان ؟





فكنت احييه « لا ، يا أبي ، لقد فهمتها ، لكي لاأعرف سر تأثير هدا الرسام علي ! »

كنت أتفرج كيف يرسم الخط ، والشكل ، والأنف ، والعين ، ولا أكتفي بمجرد مشاهدة الصورة ، بل كنت أقرأها وأحللها

* كم كان عمرك في دلك الوقت ؟

- اثنا عشر عاما

* من غير « ربي » سحب طله عليك ؟

- علاقتي بالفنان « ربي » أعتبرها أساسية ، فقد جعلت مني رساما ، وبعد دلك تداخلت الأمور المكتسبة ، بحيث بات من الصعب تحديد مصادرها الواقع ، المشاهدات ، والقراءات ، والأشخاص ، والحالات النفسية ، والممارسات ، والمطالعات ، والأحوال الاقتصادية والأوضاع السياسية والاجتماعية والانسانية ، كل هده الأشياء تسهم في خلق منظومة غير مرئية من المعارف لدى الفنان ، يقوم خلالها بصياغة فكرته الخاصة التي تحتوي على عصارة كل هده الأشياء ، إلا أن الابداع لايمكن ضبطه بقانون ، فقد يدفعك مشهد في الطريق لخلق رائعة أدبية أو لوحة فنية أو قصيدة شعرية

الصدق وتمثل الواقع

* من خلال متابعتي لمسيرتك الطويلة في فن « الكاريكاتير » لاحظت أن خطوطك قد بدأت ناضجة تقريبا ، ولم تتغير كثيرا ، وأفكارك قد تطورت ، أما أسلوبك فلم يتغير في جوهره ، مما يؤكد صحة القول الانكليزي الشائع « الأسلوب هو الرجل » فما رأيك ؟

- ما أعرفه هو أنه يجب علي أن أكون صادقا مع نفسي ، أن أتمثل الواقع بدقة ودون تزاويق ، هذا من حيث المضمون،أما من حيث الشكل فأعتقد أن الشخوص التي تعايشني وأعبر عنها تفرض علي أسلوبا معينا في الرسم ليس غريبا عن مضمونها ، فالشكل عندي يواكب المضمون باستمرار

* درست فن الحفر في كلية الفنون الجميلة بدمشق ، كيف تنظر لعلاقة « الكاريكاتير » بالدراسة الاكاديمية ؟

- يجب على رسام « الكاريكاتير » أن يعرف المبادىء الأساسية في الرسم الأكاديمي ، فالكثير من الناس



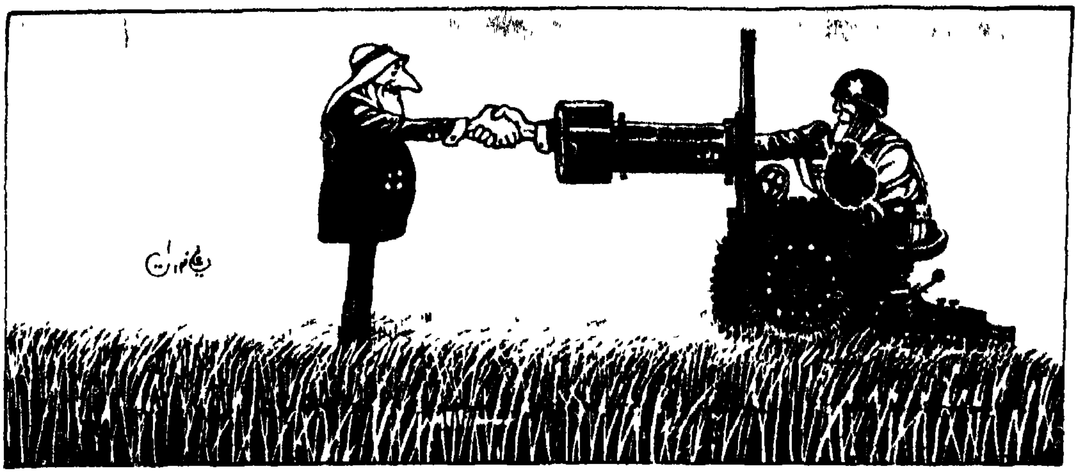


يتصورون أن عمل رسام « الكاريكاتير » يعتمد على تشويه الشكل عن طريق التقصير والتطويل والتضخيم والتصغير فقط ، أما أنا فقد كنت في البداية أحاول أن أرسم الأشياء على طبيعتها كما هي في الواقع من وجهة نظر أكاديمية بحتة ، لقناعتي بأن من يريد أن يكتب قصيدة حديثة - على سبيل المثال - يجب عليه أن يعرف قوانين الشعر التقليدي قبل ذلك ، ولهذا تعلمت الرسم الاكاديمي أولاً ، ثم قمت بتحطيم النسب وأعدت بناءها من جديد عما يتناسب ورؤيتي للواقع .

صحيح إنني لا ألتزم بالتشريح والقواعد الاكاديمية في « الكاريكاتير » ، إلا أن هذه المعارف تفيدني كثيرا عندما أقوم بتحطيم النسب وإعادة بنائها ، لأنها تجعل المشاهد يرى الشخص حيا لا مجرد وسيلة جامدة تقوم بإيصال فكرة . وهكذا يسهم الشكل مع المضمون في إيصال فكرة العمل .

* الفكرة عندك لا تكون عالما موجودة في شكل الشخص ولا في الحركة التي يقوم بها ، بل في الموقف الذي تسهم كل عناصر « الكاريكاتير » في إيصاله . وهذا يغريني بإطلاق صفة « كاريكاتير الموقف » على رسومك . ما رأيك ؟

- رأيي أن هذا صحيح ، ولهذا يتعاطف الناس أو ينفرون من الشخصيات التي أرسمها حسب موقفها من الفكرة



الرسم والكلام

* معظم فناني «الكاريكاتير» العرب يحذرون من استخدام الكلام في رسومهم وحاول أن تعطي رسالتك عبر الخط فقط. هل هذا تحديد أم أنه محاولة لتجاوز حدود الوطن العربي؟

- هذا الشيء كان موضع حوار مستمر بيني وبين الشهيد ناجي العلي. فأنا أقول أن «الكاريكاتير» يخاطب الناس بلغة الصمت. وأكثر وقعا من «الكاريكاتير» الذي يعتمد على الكلام المكتوب

* إلى أي حد يعاني الفنان بشكل عام من ... من المسائل والموضوعات التي يفرضها الواقع عليها؟

- الرسام الذي يعيش واقعه وبيئته يرى كل يوم مجموعات كبيرة من المفارقات والصور التي تحضره للعمل. وأنا شخصيا عندما أريد اختيار موضوع «الكاريكاتير» الذي أريد رسمه، أبحث عن المشكلة التي تشغل الناس أكثر من غيرها. فأقوم بتصنيف الموضوعات على درجات: أولى. وثانية. وثالثة. لكن الظروف أحيانا تجعل الثالثة أولى والرابعة ثانية. إلخ والاحتمالات مفتوحة باستمرار

* هل تعتقد أن الرسوم التي نشرت لك هي أفضل ما لديك أم أن ثمة رسوما أخرى أفضل لم تأخذ حقها في النشر لأسباب شتى؟

- الواقع هو الذي يحدد «الأفضل». فالكاريكاتير «عندما يترامن مع حدث واقعي حار تكون ترجمته لدى المشاهد أقوى لأنه يخاطب همه اليومي. وهناك رسوم كثيرة أعدت نشرها في مناسبات أخرى أكثر ملاءمة لها فكان وقعها أفضل بكثير من المرة الأولى. لأنه يجب أن يكون «للكاريكاتير» بعده المستقبلي. صحيح أننا ننشر أعمالنا في جريدة عمرها يوم واحد. لكن ليس مفروضا أن يكون عمر «الكاريكاتير» بعمر الجريدة. وليس مفروضا بالفنان أن تأخذ حدثا يوميا آنيا تنتهي قيمته بعد ساعات

كلام بين «الكواليس»

* لابد أن ثمة شيئا حول الرسوم التي لم تأخذ حقها في النشر... ماذا عنها؟

- أنا أرسم بشكل يومي تقريبا. لكن «الكاريكاتير» لاينشر يوميا. أحيانا يؤجل. وأحيانا لايقبل نهائيا بسبب مناسبة أو حدث حاصل على الساحة. وفي مثل هذه الحالات تنشر صورة أو عمل قديم لي لكني لاأترك الأمر عند هذا الحد. بل اشكل هيئة دفاع وأقوم بدور المحامي لاقناع المعنيين ببراءة «الكاريكاتير» من الجرم المنسوب إليه. فينشرونه أحيانا. وفي أحيان أخرى يقتنعون بوجهة نظري لكنهم يبدون أسفهم لأن العين بصيرة واليد قصيرة. فإذا اقتنعت بمبرراتهم فبها ونعمت وإن لم أقتنع أبقى ... لحين حتى ينشر «الكاريكاتير». وهذه حالة

استثنائية جدا لاتحصل إلا في حالات نادرة عندما يحتد النقاش ويكون الحق معي

* هل تقوم بتعديل « الكاريكاتير » أحيانا بما يتناسب مع رغبات الادارة ؟

ـ أبدا ، لم يحدث يوما أن أعدت صياغة « كاريكاتير » رسمته سابقا ، على الاطلاق

* من بين الرسوم التي لم تنشر لك ؟

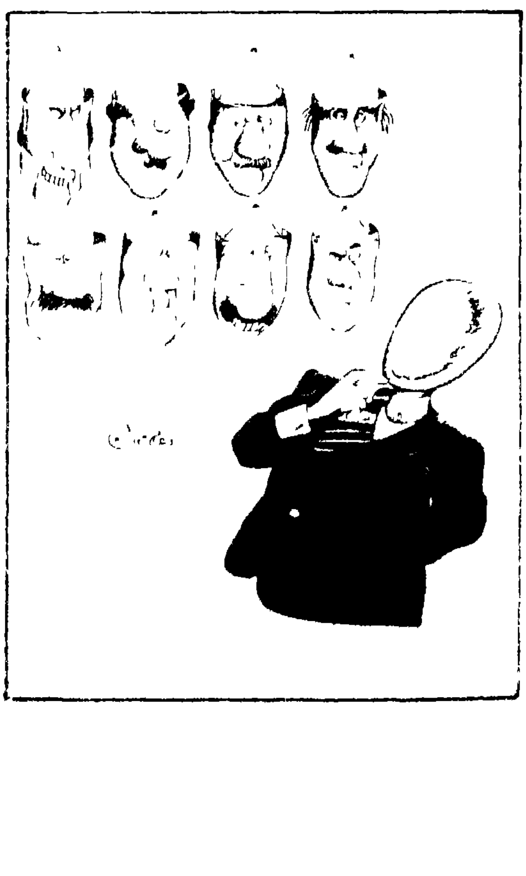
ـ أتذكر رسما عن خمسة مساجين في قبو ملفوفين بالشاش من أعالي رءوسهم إلى أخماص أقدامهم ، بينما رسام يحمل سطلا من الصباغ يرسم على وجه كل واحد منهم ابتسامة فوق الشاش ! هذا الكاريكاتير يمس الساحة العربية كلها ومن الصعب نشره

ضريبة غير منتظمة

* بعض الناس يتوقعون من الكاتب أو الفنان الساحر أن يكون ساحرا في كل شيء حتى في مسيره هل يصادفك امثال هؤلاء كثيرا ؟

ـ هناك عدد كبير من الرسامين في الصحف اللبنانية والمصرية والسورية جعلوا الناس يعتقدون ان « الكاريكاتير » هزل وتهريج

* بعيدا عن المجاملة أعتقد أنك تعرف



ماهو مطلوب منك كفنان لكن الى أي حد يعرف زملاؤك رسامو « الكاريكاتير » العرب ما هو مطلوب منهم ، برأيك ؟

ـ هناك رسامون كثيرون في حقيقتهم مع الأسف مجرد منفذين يسعون وراء اللقمة الطيبة والحياة المرفهة ، وهؤلاء أعتبرهم مجرد كم ولاأحاطبهم

وهناك رسامون عرب لكنهم ينظرون إلى الوطن العربي كالمستشرقين ، يعيشون في أوروبا ، ويسكنون « الفيلات » الفخمة وينشرون رسومهم على ورق بلاستيكي فاخر هؤلاء أيضا لاأخاطبهم ، فهم حتى عندما يحاولون طرح قضية ما بشكل جدي لايلقون قبولا من الناس لأنهم لاينتمون للناس ولايعيشون وسط المشكلة وصخبها السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، بل يتفرجون عليها من خلال كوة سحرية

أنا أتوجه لأصحاب المواقف الذين يعيشون حياتهم في حالة تشرد من مكان لآخر ، لأنهم يرفضون بيع ضمائرهم ولايحنون لعواصف الاغراءات

* ماذا تقول للفنانين العرب اصحاب المواقف ؟

ـ ليس لدي برنامج او منهج مدروس أتوجه به إليهم ، لكن يمكننا أن ننطلق من أي مكان ومن أي شيء فعندما تتوفر النية يمكن ايجاد الطريقة المناسبة ان كان في شكل اتحاد أو نقابة أو تجمع أو مجلة أو نشرة حتى النشرة يمكن أن تهز كما استطاع الحجر الذي لايعجب أحدا أن يهز ويفجع في الأرض المحتلة عندما وجد الارادة لماذا ننظر إلى الامور كما لو أنه من المستحيل حلها إلا بوسائل خرافية ! يجب أن نعلم أن نشرة بسيطة كالحجر تستطيع أن تسحب البساط من تحت أقدام كثيرين هذا تصور أولي اتركه لغيري كي يبلوره ويعيبه ، لكن لابد من إيجاد طريقة ما لوقف هذا النزيف باتجاه الإفناء !

حتى الحشرات والحيوانات التي تسعى للبقاء تقوم بايجاد الوسائل المناسبة لذلك فما بالك بنا ونحن بشر ! □

يصـ
١٥ يوليو ١٩٨٨

كتاب العربي

الكتاب العشرون

أندلسيات

بقلم

محمد عبد الله عنان

كتاب العربي مرآة العقل العربي



الفيلم الأمريكي

واللاسامية الجديدة ضد العرب

بقلم الدكتور جاك شاهين

من المعروف أن المجتمع الأمريكي قد تكون من مجموعات وأقليات من جميع شعوب الأرض ، وكانت بعض الأقليات فيه تنهال عليها السخرية والنقد والتشويهات المتعددة ، عبر وسائل الاعلام أو الأجهزة الثقافية من مسرح وسينما وغير ذلك

لكن يبدو أن هذه التشويهات ، بفعل عوامل عديدة قد تحولت الآن لتنصب على « العرب » والدراسة التالية ترسم ملامح شخصية العربي في عدد من الأفلام الأميركية .

يعرض فيلم « نحو الليل » الذي أنتج في عام ١٩٨٥ مجموعة من قطاع الطرق الإيرانيين ، والمشاهدون لهذا النوع من الناس ينظرون إليهم كعرب ، لأن بشرتهم سمراء . وعملهم هو القتل والابتزاز ، وهي الصورة التي غرسها المخرجون في أذهان الناس للإنسان العربي . هم يقومون بسرقة الزمرد النفيس لحساب رئيسهم (شاهين برفيزي) ، وتكاد « ديانا » أن تكون إحدى ضحاياهم ، لولا أن تداركها وأنقذها منهم رجل غريب يدعى « إد أوكين » الذي يقوم بدوره جيف جولد بلوم . ثم

نسمع ديانا تبوح بقصتها لإد، وتخبره بأن صديقها حاسى قد قتلته العصابة في سبيل الحصول على أحجار الزمرد النفيسة التي قامت بتهريبها من أوروبا. ويسألها إد عن الذين قاموا بقتل صديقها، وتجيبه بأنها لا تعرفهم، لكنهم جميعا من الإيرانيين العجم والمشكلة هنا أن معظم الأمريكيين لا يفرقون بين الإيرانيين والعرب، والصورة التي يحملونها في أذهانهم للطرفين هي صورة الأشخاص المخربين

شاهين رئيس هذه العصابة، قد جمع حوله بعض الصبية، وحولهم الى جماعة من القتلة والمهرجين في نفس الوقت، فنراهم يقتحمون إحدى البحوت، ويداعبون فتاة شقراء عارية الصدر، ويتناولون طعاما مكونا من لحم البقر المملح المجفف، ويعاشرون النساء الرخيصات في إحدى الدكاكين المخصصة لبيع السلع السوية بالتجزئة

الأشخاص الأربعة الذين يستخدمهم شاهين سرا للقيام بأعمال النهب والسرقة يتصفون واقفين معا كلما دخل شاهين عليهم أو خرج من عندهم، ويقضون وقتهم في تكسير اللوز والجوز والبندق بكعوب مسدساتهم لكنهم خطرون جدا، ومستعدون دائما لارتكاب جرائم القتل، إذ يرى أحدهم مثلا يطلق نيران مسدسه على أحد الكلاب المسالمة، ثم على أحد الطيور الجميلة وهو داخل قفصه، ثم يقومون بإغراق صديق ديانا في الماء، وفي إحدى المرات يتبادلون إطلاق النار مع مجموعة أخرى من العرب أو الإيرانيين، ويشوهون أجساد بعضهم بعضا بطلقات مسدساتهم وينتهي الفيلم ولا يبقى منهم إلا واحد، فقد عقله وداهمته نوبة هياج شديدة دفعته الى قتل نفسه



[illegible]

صورة الشيطان

صورة العربي - الذي يضرب ويقتل دون رحمة - تقحم نفسها في العديد من الأفلام التي لا علاقة لها بالعرب من قريب أو من بعيد، فكاتب السيناريو يدخل عليه سطرا يشمل تحقيرا للعرب، أو يظهرهم وهم يلبسون الخواتم ذات الأحجار الكريمة التي نقشت عليها الرسوم البارزة دون مناسبة، ففي فيلم يا الهي! أيها الشيطان الذي أنتج في عام ١٩٨٤ يرى المشاهدون جورج بيرنز - الشيطان - يفخر بأن ياسر عرفات ماهو إلا أحد أتباعه.

وفي فيلم حريق سانت المو الذي أنتج عام ١٩٨٥ يرى المخرج يركز انتباه المشاهدين على مجموعة من خريجي الجامعة. ففي إحدى الليالي تقوم إحدى الفتيات بالاتصال بصديقها وترجوه أن يسرع لانقاذها من براثن «بعض العرب الذين احتجزوها في حجرة في أحد الفنادق. وأرغموها على تعاطي الكوكائين».

إن العرب في هذا الفيلم يقحمون بشكل عرضي في مناظره ويتم تصويرهم على أنهم من ذوي الميول الجنسية الشاذة، وممن يروجون الكوكائين

أما فيلم مسألة ليست صغيرة الذي انتج في عام ١٩٨٥ فيعمل على تعزيز وتثبيت صورة الشيوخ العرب الذين يقومون بمطاردة الفتيات العذارى فحين نرى أحد الشيوخ الشباب الذي يريد أن يعد

من شأن معنية معمورة . ويرفعها الى مراتب الشهرة ، فيقوم بتعليق صورتها واسمها ورقم هاتفها على (١٧٥) سيارة من سيارات الأجرة فماذا كانت النتيجة ؟ ! انهالت على المسكينة المكالمات الهاتفية ، وكانت كلها مكالمات قذرة داعرة وفي ردها على إحدى هذه المكالمات سمعها تقول لمحدثها لا ، أنا لا أتكلم العربية ، كما لا أمارس ذلك العمل أيضا ، ثم سمعها تحدث الشاب الذي يعمل على إشهارها ورفع منزلتها ، فتقول له لقد أصبح رقم هاتفي معروفا لدى كل شخص يمارس الانحراف الحسي على الساحل العربي للولايات المتحدة الأميركية ، ثم تخبره أن احد الشيوخ عرض عليها أن يلتقط لها صورة معه ومع زوجاته التماثي الأحريات ، وتنهي حديثها بالتعليق الساحر « الحمد لله أنه لم يعرض على أن تحمل الصورة جماله أيضا »

وفي فيلم القوة من إنتاج عام ١٩٨٦ يقوم أحد المتلاعبين بوسائل الاعلام (ريتشارد جير) بوصف الألوان الخاصة التي ترافق الحملات الدعائية السياسية مقابل مبلغ ٢٥ ألف دولار شهريا ولما كان العرب يعرفون بأن « جير » هذا لا يتقيد بالقواعد الأخلاقية يحاولون اغراءه بالنقود التي يحصلون عليها من بيع نفطهم لاستغلال قدراته في التأثير على الانتخابات الأميركية ، ويقومون بمؤازرة أحد ملوك المال في أوهايو ، ومساعدته على الفوز بعضوية الكونجرس الأمريكي . لا شيء إلا لأنه يعارض استغلال الطاقة الشمسية للاستعاضة بها عن النفط

ثم نرى أحد العرب يجري محادثة سرية مع أحد العاملين بالعلاقات العامة فنسمع العربي يقول « إن أسعار النفط في هبوط مستمر ، وصرنا نسمع اليوم عن شيوخ من أعضاء في الكونجرس يتحدثون عن الاستعاضة عن النفط بالطاقة الشمسية وبطواحين الهواء ويمضي قائلا « إن انتخاباتكم مهمة لنا » ويحاول رجل العلاقات العامة أن يفسر نسج حقيقة الوضع ، فيفهمه بأن المرشح الذي يدعمونه من اوهايو يعمل على المحافظة على مصالح



* جولدي هون ، الفتاة الرهينة لدى حاكم الطاقم مع حماة الصحراء في فيلم بروتوكول

الخاصة ، لأنه أحد ملوك النفط ، ولا يلبث العربي أن يقول بلهجة مهددة « أنا لا أريد لصاحب الجلالة أن ينزعج من إخفاق جديد في السياسة التي ينتهجها ، فإما أن يفوز مرشحكم او مرشحنا ! !

« الفليبرز » والقنبلة النووية

وفي فيلم عودة الى المستقبل الذي أنتج عام ١٩٨٥ ، والذي بلغ المجموع الاجمالي لايراده (١٩٠) مليون دولار ، ونجح باجتذاب (٥٣) مليون مشاهد في عام ١٩٨٥ وحده ، يرينا هذا الفيلم ارهابيين ليبيين يتوسلون بشراء قطع عيار للعبة (الفليبرز) ، ظانين أنها ستساعدهم في صناعة قنبلة نووية ، وعندما يكتشفون أنهم وقعوا ضحايا للغش يقومون بقتل العالم الذي غشهم ، ويظهر الليبيان بأنهما دون مستوى البشر ، حيث يقود أحدهما شاحنة

رفاقه في السجن من الاسرائيليين على قبول العرض ومغادرة المكان ، لكن عصام هنا لا يظهر بصورة العربي الذي اعتادت هوليود أن تريه للمشاهدين ، فهو هنا يواجه صديقه « الاسرائيلي » يوري ، ويحس المستمع لحديثهما بأن هناك رابطة إنسانية تربط بين الرجلين ويفضل العربي البقاء في السجن على التخلي عن قرار اتخذه السجناء العرب بالإجماع

يقول كيريتس ويلكي مراسل جريدة سوسطون جلوب « قد يكون منتجو الأفلام في هوليود قد قاموا بتقديم هدية الى « اسرائيل » تتمثل في تمكينهم من تحويل المغامرات الى أفلام سينمائية ، لكن هؤلاء المنتجين كانوا يحملون فكرة ساذجة الى حد مريع عن المنطقة ، وقد اختصروا كل التعقيدات والمشاكل الموجودة في الشرق الأوسط أو تجاهلوها وقصروها على مشاكل شبيهة بما يعالجه افلام رعاة البقر والهنود الحمر

بعض النقاد تغاضوا عن الصلة التي تربط بين هوليود و « اسرائيل » ، ولا يملك المرء إلا أن يتساءل كيف يتصرف هؤلاء لو أن الأمر اتخذ اتجاها عكسيا ؟ لنفترض مثلا أن منتجي الأفلام من السوريين ، وقد قاموا بإنتاج أفلامهم في سوريا عن الإسرائيليين ، ووزعت الأدوار الاسرائيلية على ممثلين سوريين ، ولنفترض أن السوريين قاموا أثناء تمثيلهم بتجريد الاسرائيليين من صفاتهم الانسانية كما يفعل المنتجون الإسرائيليون لا الأمريكيون حين يمثلون ادوار العرب . فيجردونهم من كل الصفات الإنسانية ، فهل سيسمح لمثل هذا الفيلم بالدخول الى أمريكا ليعرض في دور السينما ؟ ألا يقوم عندئذ نقاد الأفلام وموظفو الحكومة . بل والجمهور ايضا بوصم الأفلام السورية باللاسامية ، وأنها أفلام دعاية عربية ؟

الأفلام يمكن أن تكون وسائل إقناع ، وأن تستخدم لأغراض دعائية . كفيلم اليهودي التائه مثلا ، فهذا الفيلم أنتج عام (١٩٤٠) فصور اليهود على أنهم من ذوي السمعة السيئة . وانهم فاسدون يقبلون الرشوة ويشترون بالمال . ويقومون بأعمال التهديد والوعيد للوصول لأغراضهم وفي هذا الصدد يعترف اروين ليسر في كتابه المعروف « السينما النازية » بأن الدعاية « مجهود منظم لإقناع مجموعة من الناس بدعم أو تبني لرأي أو موقف أو قضية معينة » ، ويقول في كتابه « إن هتلر أراد أن يستغل الفيلم السينمائي لأغراض دعائية فقط ، فقد قال وزير دعايته جوزيف جوبلز (إننا مقتنعون بأن الأفلام من أحدث الوسائل العلمية المؤثرة في الناس) ، ويصف مخرج الأفلام الألماني فريتز هيبلر مخرجي الأفلام الدعائية بقوله « لا بد أن يعرف المشاهد من الذي يجب أن يحبه ومن الذي يجب أن يكرهه . فالفيلم الدعائي يخاطب العاطفة ، لا الفكر . والذي يتولى الدعاية يبذل كل ما في وسعه لتحريك العواطف واستثارتها ، وكل نجاح يحرزه في هذا المضمار يسهل عليه استمالة الناس نحو الهدف السياسي الذي يتوخاه »

اليهودي المتجول

فيلم اليهودي المتحول وأفلام أخرى غيره ساعدت على إقناع بعض الألمان بأن واجبهم الوطني يقتضيهم تخليص بلادهم من اليهود ، ففي هذا الفيلم نرى كيف يتسلل اليهود الى مراكز القوه والمال والنفوذ ، ثم يسيطرون على المجتمع الأوروبي يقول العالم ريتشارد تيلور

« بعد مشاهدة هذا الفيلم يشعر الواحد منا ، حتى ولو كان يهوديا بأنه معاد للسامية »

فصورة العربي في أفلام هوليود ما بعد السبعينيات توازي في مفعولها الصورة التي كان يظهر فيها اليهودي في الأفلام الألمانية التي أنتجت قبل الحركة النازية ، والفرق الوحيد بين الصورتين أن الأشخاص قد صاروا يلبسون الكوفية والعقال على رءوسهم بدلا من القلنسوة اليهودية ونجمة داود

السينما الألمانية في الماضي كانت تقدم اليهود أكباش فداء في محرقة الدعاية الموجهة ضدهم ، ورواد السينما كانوا يشاهدون « الشيطان اليهودي » على نفس الصورة التي يشاهدون بها « الشيطان العربي » الآن ، ويتصورون أنه السبب الكامن وراء كل

المصائب والشرور والاحتلال في التوازن الاقتصادي والحياة الثقافية في العالم

ومن الأمور الحديرة بالاهتمام قول هيلر بأن السينما لم تبلغ بعد تلك الدرجة السامية من البراءة ، فالأفلام السينمائية لها أيضا مصمموها السياسي ، سواء كان ذلك بوعي أو دون وعي ، ظاهرا أو مخفيا ، فإذا كان بعض منتجي الأفلام يريدون إقناع المشاهد بأن العرب أشرار أفلا يحق لنا به . دلك تصيف معظم تلك الأفلام بأنها أفلام دعائية ؟ !

« اليهودي » الجديد

يقول جيمري سانت حون معلق شبكة سي بي إس التلفارية حول هدا الموضوع «من المحرن حقا أننا أصبحنا الآن ننظر الى العرب بنفس الطريقة التي كان ينظر بها العالم العربي الى (اليهودي المتحول) قبل قرن من الرمان ، لقد أصبح العربي صورة طبق الأصل من دلك اليهودي » هذه الكلمات التي قالها جيمري سانت حون هي صدى لتلك التي قالها في تعليقه على نشرة الأخبار الصباحية يوم السادس عشر من اكتوبر عام ١٩٧٣ ، حين قال « إن تقديم صورة مكرورة في الغرب للعربي كرحل شرير أمر يروعنا ، ويدهلنا الى حد مفجع ما وصل اليه هذا التعصب الأعمى ، بل والعنصرية الرهيبة صدهم » فالصور النمطية التي نكررها عن شعب معين ، تسلب من هذا الشعب صفاته الانسانية وتجعله يبدو للمشاهدين كأنه مجموعة من الأفراد الذين يحملون نفس الصفات والطبيعة الشريرة وإن تقديم صورة العربي بهده النمطية يمهد الطريق لممارسة الإبادة الجماعية صدهم

لقد نعمت معظم المجموعات العرقية بتخفيف السينما من تصويرها على نمط واحد ، ولم تعد الأدوار التي تسند لهده المجموعات تصورها بطريقه يتعرف بها المشاهد على حسيتهم من أشكالهم وتصرفاتهم ، اختفت صورة الوغد الصيني « دي الشوارب المدلاة الى الدقن » ، واليهودي الطماع الشره ، والاسباني الكسول ، والأسود المراوغ الذي يرقص وهو يمسح الأرض بقدميه ، والايطالي الذي ينتمي لعصابة إحرامية والايرلندي السكير ، والمواطن الأميركي الأصلي الحلف الذي يحمل صفات الإنسان المتوحش واليوم يرى مشاهدو السينما المجموعات العرقية والأقليات في صور أكثر واقعية ، تتناسب مع الدور الذي يسند إليهم في الفيلم ، وصورهم قد صارت أقرب الى الحقيقة منها الى الخيال

واميركا من أكثر الدول تصديرا للأفلام ، وروّاد السينما في أكثر من (١٣٠) بلدا يشاهدون الأفلام الأميركية التي تنتجها هوليود ، وهده الأفلام تعرض أحيانا عن طريق أشرطة الفيديو الملونة ، وبعض أغانيها تسجل على اسطوانات ، كما أن بعض مناظرها يعاد عرضه أحيانا على شاشات التلفاز المتنقلة ، وموضوعاتها قد توحي لبعض الكتاب بالقصص وقد تطورت أنظمة الاتصال والبث التلفاري فأصبحت بعض الأفلام تسجل في الفنادق وتستخدم للبث على القنوات الداخلية الخاصة المرئية المتلفزة التي تبث داخليا عبر الأجهزة التلفارية المثبتة في غرف النزلاء نذكر هنا من هده الأفلام على سبيل المثال لا الحصر أفلام السر الحديدي ، وقوة الدلتا ، وجوهرة النيل

والجدير بالذكر هنا أن الأفلام التي تحمل صورة العربي كما تصوره هوليود تلقى أكبر تشجيع ، وتروجها شبكات التلفاز الحكومية والخاصة على حد سواء ، وبمرور الوقت يستطيع الفيلم الواحد الذي يظهر العربي بدور الانسان الفاسد الشرير - عن طريق انتقاله من مكان الى آخر باستخدام وسائل النقل الحديثة المختلفة - أن يصل الى عدد يتراوح بين (٥٠٠ - ١٠٠٠) مليون مشاهد ، وما أن تمضي بضع سنوات حتى يكون قد بلغ عدد مشاهدي هذا الفيلم بين (١٠ - ٢٠) بليون مشاهد

الأنماط المكررة لشعب من الشعوب تعتبر رسائل بالغة القوة ، عظيمة المفعول ، والأفلام ليست مجرد وسائل للتسلية ، كما أن عملها لا يكون شاء إذا كان يقوم على تجريد الشعوب من إنسانيتها ، فقد آن الأوان للتخلي عن الصورة التي اعتادت هوليود أن تظهر العربي بها ☐

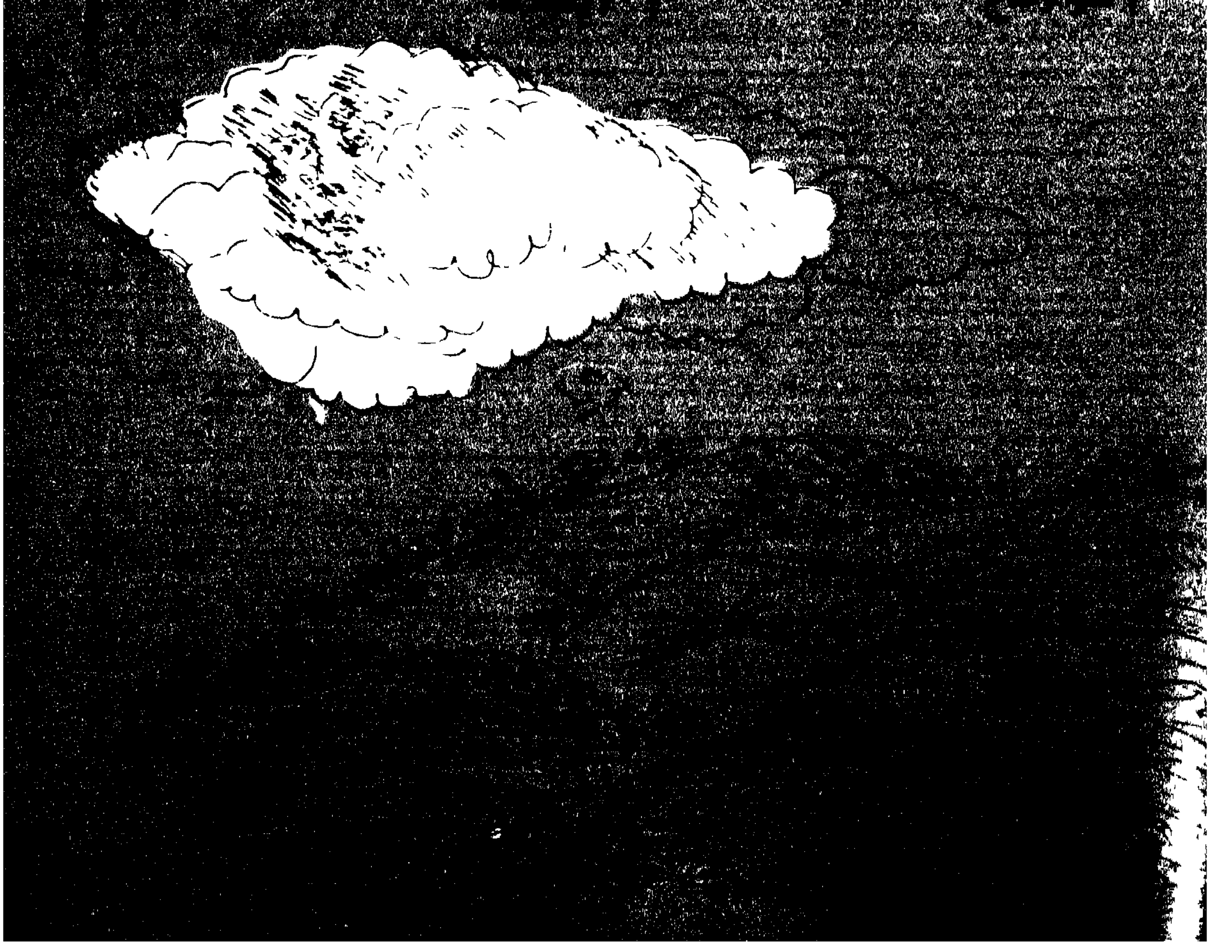
عَنْ جَدّتِنا . . قالَتْ :
يُحكى أن زماناً مَرَّ على الصحراءِ ،
يَبِسَت فيه ضروعُ الأرضِ ،
وَجَفَّتْ كلُّ عيونِ الماءِ ،
ومَشى الخوفُ ،
وَصارَ الموتُ
نذيراً ، يَسْبَحُ فوق الرّملِ ،
وينعبُ في كلِّ الأنحاءِ ،
ينبيءُ جهراً ، بالمأساةِ ،
وأن برحمِ الغيبِ تنامُ
ليالٍ قاسيةٌ عجفاءْ !
لكنّ فتىً يُدعى « وضّاح »
كان الابنُ البكرُ لشيخِ القومِ ،
وكان شجاعاً
(في زمنِ الناسِ الجبناءِ) ،
[illegible]

شعر : جمال عبدالجبار علوش*



حَمَلَ المطلقَ في عينيهِ ،
ولف رغابا في الاحناء
كان يغني طولَ الدربِ ،
وكان يقولُ :
سوف أعودُ
أعودُ
أعودُ .
ويمضي الصوتُ بلا أصداءٍ
ومَضى عامٌ ،
تَلاهَ - كما ذكرتْ لي الجدةُ -
عامُ رخاءٍ .
لبستْ فيه الخصبَ الأرضُ ،
وَنَامَ السندسُ في الأوداء
ابتهجَ الناسُ ،
[illegible]
[illegible]

إلاّ الأمّ
فكانتْ ترقبُ عودتَهُ في كلِّ صباحٍ
وتناجيهِ كلَّ مساءٍ
بدموعٍ صامتةٍ خرساءْ
تقولُ الجدةُ :
لكنّ الأسطورةَ تقولُ :
ما ماتَ فتى الفتيانِ ،
ولا ذهبَ الترحالُ هباءً
إن الجسدَ الغضَّ تحولَ
خمسَ غماماتٍ بيضاءْ
صَارَ الناسُ إذا ماوَلّى فصلُ الصيفِ
يرونَ غماماً
[illegible] من ناحية الشرقِ
[illegible]
[illegible]
[illegible]



منتدى العربي

قضية

حرب النجوم
بين وليم جيمس وكلاوزفيتز

بقلم : ايهاب محمد مهدلي *

منذ إعلان الرئيس ريغان عن مشروعه « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » ، المعروف إعلاميا بحرب النجوم ، والجدل حوله لم يتوقف داخل الولايات المتحدة وخارجها ، وعلى الأخص في القارة الأوروبية ، حيث تفاوتت ردود الفعل بين الرفض المطلق ، كما فعل الاتحاد السوفيتي وحلفاؤه ، والرفض المبطن بتقديم مشاريع بديلة ، كما فعلت فرنسا المؤيدة من حلفاء أمريكا الأوروبيين. والكاتب يرد هذا الرفض إلى الاختلاف الفلسفي والعقيدي لمفهوم الحرب ما بين أمريكا وأوروبا

في محاولة لتبرير المضي قدما في برنامج حرب النجوم وجه الرئيس رونالد ريغان خطابا إلى الشعب الأمريكي والعالم ، جاء فيه نداء خاص إلى الهيئة العلمية التي اخترعت القنابل النووية ، يطلب منهم « أن يجدوا وسيلة تستطيع إيقاف الصواريخ المعادية في الفضاء ، وتدميرها قبل وصولها إلى الأرض » . أما السبب الذي قدمه الرئيس لتبرير مبادرته فكان « أن الولايات المتحدة لا تستطيع البقاء معتمدة في أمنها على قدرتها على ردع أي عدوان سوفيتي والرد عليه » وأضاف « لم يعد من

* كاتب وباحث من القطر المصري يدرس في هولندا

المقبول أن يكون المانع أمام اشتعال الحروب ليس حب السلام فقط ، وإنما معرفة الاتحاد السوفيتي بأنه إذا قام بقتل أناس من سكاننا فإننا قادرون على قتل نفس النسبة من سكانه وهذا الجنون هو الافناء النووي المتلازم »

كانت تلك هي بداية مشروع حرب النجوم ، أو مبادرة الدفاع الاستراتيجية كما تعرف شعبيا ورسميا وأثار المشروع منذ إعلانه جدلا واسعا داخل الأوساط السياسية والعلمية الامريكية ، وتناوله بعض العلماء بالنقد وبعضهم بالتحبيذ ، كل حسب توجهاته العقائدية والسياسية وكان من الطبيعي أن يعارض الاتحاد السوفيتي المشروع بحجة أن تحقيقه سيفتح الطريق نحو « عسكرة الفضاء » ،

وينقل سباق التسلح من الأرض إلى السماء ، وكان رد فعل حلفاء أمريكا في القارة الاوروبية يدعو للتعجب ويثير الحيرة ، فقد تقدمت فرنسا بمشروع « اوريكا » ، وقالت إنه يمثل بديلا معقولا لحرب النجوم ، وكانت المبادرة الفرنسية تهدف إلى متابعة الأبحاث العلمية في الفضاء ، وتطوير التقنية المعقدة في نفس الوقت ، فهي تتجنب عسكرة الفضاء ، وكان من الممكن تبرير السلوك الفرنسي سياسيا ،

فالحكومات الفرنسية تسعى منذ عهد الجنرال ديجول إلى لعب دور متوازن بين أمريكا وروسيا ، بيد أننا وجدنا أكثر من عشر دول اوروبية تساهم في المشروع الفرنسي ، فقد أحدث حكومة السيدة تاتشر التي تعرف بالتأييد لكل ما هو أمريكي الجانب الفرنسي ، وإن موقف أوروبا بشقيها الغربي والشرقي من حرب النجوم يكاد يكون متطابقا ، فهناك الرفض السوفيتي المطلق ، وهناك المعارضة البريطانية المبطنة ، والمعارضة الفرنسية النسبية

إني أعتقد أن الخلاف الامريكي الأوروبي حول حرب النجوم له تبريره وسنده في مفهوم الحرب في العالم القديم والقارة الجديدة ، لذلك سأبدأ بتعريف الحرب في القارة الاوروبية

كلاوزفيتز ومفهوم الحرب :

تتبنى معظم الدول الاوروبية نظرية الجنرال الألماني كلاوزفيتز ١٧٨٠ - ١٨٣١ ضمن كتابه الشهير عن الحرب الذي تناول فيه حروب نابليون بونابرت وغزواته - وعنوانه « إله الحرب » كما سماه كلاوزفيتز - بالنقد والتحليل والدراسة وخرج بنظريته عن الحرب الشاملة

ولعب كتاب كلاوزفيتز دورا كبيرا في تشكيل تفكير القادة العسكريين طيلة القرن (١٩)

واذا كانت مكانته قد تدهورت بعد الحرب العالمية الأولى لبروز نظرية الحرب الصاعقة التي بشر بها الكابتن ليدل هارت ، فإن نفوذه قد عاد إلى الظهور مرة أخرى بشكل أقوى مما كان عليه بعد الحرب العالمية الثانية ونظرة على الأسماء البارزة في عالم الاستراتيجية اليوم تقنعنا بأن الكلاوزفيتريين يلعبون دورا هائلا في المؤسسات السياسية العسكرية الغربية وكان ابرزهم في اوروبا المفكر الفرنسي ريمون ارون ، وفي أمريكا مكنمارا وكيسنجر

ماذا قال كلاوزفيتز عن الحرب ؟ لقد عرّفها بأنها « متابعة السياسة بوسائل أخرى » ، وهذا يعني أن الوضع الطبيعي بين الدول هو السلام ، وهذا السلام قد يأخذ أشكالا مختلفة ، فقد يكون على هيئة وقف إطلاق النار ، أو هدنة ، أو مقننا في معاهدة سلام ، او اتفاقية تنظم العلاقات بين الدول لكن الشذوذ في العلاقات بين الدول هو الحرب التي تعني « استخدام العنف بكل أشكاله » وإن العنف المستخدم في الحرب هو العنف المادي بدرجة أساسية ، والعنف المعنوي بدرجة أقل ، لكن ما هو الفارق بين العنف المادي والعنف المعنوي ؟ يقصد علماء الاجتماع بالعنف المعنوي ذلك السلوك « العنيف » الذي تمارسه أغلبية في مجتمع ما تجاه الأقلية ، ويعني رجال القانون بالعنف المعنوي تلك العقوبة التي تصدرها المحكمة بحق الجاني ، فالقانون يعاقب المذنبين معنويا ، حينما يرسلهم إلى السجن ، والمجتمع يعاقب المجرم « معنويا » باضطهاده

والتشهير به ، والعنف المعنوي في الحرب يأخذ عدة مظاهر ، أوضحها ما يأتي في وسائل إعلام دولة في حالة حرب ، فتارة تقوم وسائل الاعلام بتصوير العدو في صورة الهمجي المصاص للدماء ، وتارة أخرى تقلل من شأنه ، أما العنف المادي فهو الذي يطغي في الحرب ، وهو الذي يقرر مصير المعركة ، لكن هذا العنف كما يقول كلاورفيتز محكوم بالعلاقة بين المتحاربين « فكل طرف يصنع قانون الآخر » ، فبمقدار ما يستخدم كل طرف من سلاح يرد الخصم بنفس النوعية ، أي ، إذا استخدم طرف في الحرب الغارات السامة ، أو المواد الكيماوية ، أو غيرها من المواد الفتاكة الممنوعة فإن هذا يكون بمثابة إيذان للطرف الآخر للرد بنفس السلاح إن كان بحوزته

ان الغرض من الحرب عند كلاورفيتز هو « فرض إرادة المنتصر على المهزوم » ، وتنتهي الحرب ـ لا المعارك ـ «حينما نجبر العدو على نزع سلاحه ، أو نفرض إرادتنا عليه بالكامل »

إذا شئت تبيان هذه المفاهيم عند الأوروبيين ، بتطبيقها على الواقع الملموس ، فيمكن الاستشهاد بالحرب العالمية الثانية ، حيث كانت عقيدة الزعيم النازي ادولف هتلر تنادي بسيادة الجنس الآري وتفوقه ، لكن ألمانيا ومفكريها لم يكونوا الوحيدين الذين يدعون لهذه النظرية ، فقد بدأت ارهاصاتها في فرنسا مع رينان في القرن التاسع عشر وإذا لم يكن قد دافع هتلر لإثبات تفوق الشعب الألماني ، فماذا كان هدفه الحقيقي ؟ هل دخل الحرب من أجل استعادة هيبة ألمانيا التي خسرتها بعد الحرب العالمية الأولى في مؤتمر فرساي الشهير ؟ إن هدف هتلر الحقيقي كان توحيد القارة الاوروبية تحت قيادة ألمانيا وزعامته ، ولم يكن هتلر أول من سعى لهذه الغاية ، فقد سبقه ملك اسبانيا فيليب الثاني ، وسبقه نابليون بونابرت وفي المرتين اللتين اقتربت فيهما أوروبا من الوحدة دخلت بريطانيا إلى الساحة ، ووجهت ضربات موجعة لحامل هذا الطموح ، لذلك حينما كشف هتلر عن نياته الحقيقية ، واحتل بولندا ، أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا النازية ، ولم يكن دافع تشرشل وغيره من الانجليز الدفاع عن حقوق الانسان المنتهكة في ألمانيا ، كما لم يكن وراءه أصابع اليهود ـ كما يتقول بعض العرب بدون سند من التاريخ ـ وإنما لمعرفته بمصير بريطانيا في حالة تحقيق الوحدة الأوروبية على الطريقة النازية ، فإن وحدة أوروبا في دولة واحدة ، سواء باسم الكثلكة ، أو باسم المهمة المقدسة كما حاولت اسبانيا وفرنسا في السابق وألمانيا النازية لاحقا ، يعني تحويل الجزر البريطانية إلى جزيرة روبنسن كروزو ، وتدمير امبراطورية الانجليز وراء البحار دون الاشتباك في معارك بحرية ، لذلك وقفت انجلترا ضد هتلر ، كما وقفت ضد فيليب الثاني في حرب الثلاثين عاما ، وكما وقفت ضد نابليون في واترلو انتهت الحرب العالمية الثانية بنزع سلاح ألمانيا ، وتقسيمها إلى دولتين ، وفرض المنتصرين إرادتهم بوضعهم نظامين سياسيين مختلفين في أرض كانت دولة واحدة

كلاوزفيتز والدول الشيوعية :

إذا كنا قد عرضنا لمحة عن نظرية كلاورفيتز وقلنا إنها تسيطر على عقلية الاستراتيجيين الغربيين فإن نفوذه في العالم الشيوعي لا يقل ، ان لم يكن يزيد صحيح إن ماركس لم يكتب شيئا عن موضوع الحرب ، وترك هذه المهمة لمن تبعوه ، إلا أنه أشار في تعليقه على كتاب كلاورفيتز بعبارة تحمل الاعجاب « كتاب رائع يفلسف الحرب بشكل ممتاز » ، وكان هذا التقدير كافيا ليثمن الماركسيون أفكار كلاوزفيتز وحينما كتب لينين تعريفا للحرب قال « متابعة السياسة بوسائل (عنيفة) أخرى » كما قال كلاورفيتز ، وأضاف من عنده كلمة « عنيفة » ، ووضعها بين قوسين ، إذا شئت تلمس أثر كلاوزفيتز على العقيدة العسكرية الروسية فإن ذلك الأثر يبدو في اتخاذ الروس الموقف الدفاعي في حروبهم ، وتفوقهم في صناعة الأسلحة الدفاعية ، وذلك لأن كلاورفيتز كان يعتقد في أفضلية موقف المدافع أمام المهاجم ، وكذلك ترى هذا الأثر في اتباع روسيا لسياسة غير عدوانية بشكل عام ولتبيان أثر

كلاوزفيتز على تفكير الشيوعيين حتى في العصر النووي سأنقل ما كتبه الاستاذ محمد حسنين هيكل في حديثه مع الزعيم حروتشوف ، فقد قال الأخير لهيكل « إن الامبرياليين لا يفهمون أن قيام الحرب قد أصبح من المستحيلات ، دلك أن الحرب لم تعد ممكنة لتحقيق أهداف السياسة ، وإن استحالة قيام حرب « نووية » لا يمثل نوعية السلام الدي نسعى اليه ، لكن بالامكان استغلال هذه الوضعية من أجل حلق ظروف ملائمة لبناء السلام »

إن القارىء لكلام حروتشوف سيجد أفكار كلاورفيتر في ثوب عصري ، فالحرب أصبحت مستحيلة ، لأنها لن تحقق أهداف الساسة ، أي أن الحرب النووية لا يمكن أن تكون متابعة للسياسة بوسائل أحرى ، لذلك من الأفضل الدفاع عن التعايش السلمي والتفاوض بشأن نزع السلاح

إذا كنت قد عرضت لكلاورفيتر وأثره على التفكير الأوروبي فمادا عن مفهوم الحرب عند الامريكان ، وما صلة هذا كله بحرب النجوم ؟

وليم جيمس ومفهوم الحرب .

يجسد الفيلسوف وليم حيمس (١٨٤٠ - ١٩١٥) كثيراً من القيم الامريكية ، ولتقدير أهميته يكفي القول بأنه مفلسف النزعة البرجماتية التي تحكم السلوك الامريكي المتميز بالعملية والبعد عن العقائدية ، فإن مدخل الفيلسوف لموضوع الحرب إنساني نفسي ، وليس سياسياً عسكرياً كما هو الحال مع كلاورفيتر لأن الحرب تجد حدورها في الطبيعة غير السوية للانسان ، وحبه للعدوان ، واستمرار قيام الحروب نتيجة لسيادة التقاليد القديمة البالية ، ولأن الحرب قضية إنسانية ، ولأنه لا يمكن تغيير الطبيعة البشرية ، دعا وليم حيمس إلى توجيه الشباب إلى مخيمات العمل الجماعي ، لتفريغ طاقاتهم في الأعمال النافعة ، بدلا من الذهاب إلى الحرب للقيام بالتدمير وهو يتفق مع هربرت سبنسر في أن الحرب تشيع في المجتمعات البدائية الاقطاعية ، وستحتفي مع تقدم المجتمعات ديموقراطيا وتصنيعيا

وإن مفهوم حيمس للحرب يتفق مع نفسية المهاجرين إلى العالم الحديد ، فهؤلاء قد تركوا أوطانهم بحثا عن الأمن والأمان ، واعتبروا امريكا بمثابة « جنة أرضية » ويمكن تلمس أثر هدا الفيلسوف فيما قاله الرئيس ويلسون عن قضية الحرب « موضوع لا صلة لنا به ، ولا بأسبابه ، ولا يمكن أن يلمسنا » ، وهده النزعة الانسانية الرومانسية في فهم الحرب قد قادت الولايات المتحدة لتكون واحدة من أشرس القوى الامبراطورية في التاريخ ، فكيف دلك ؟ إن مفهوم حيمس ومن تبعوه قد جعل من الحرب شراً مطلقاً ، لا يجب المساومة بشأنه ، أنها ليست متابعة للسياسة ، كما هو الحال عند كلاورفيتر ، وإنما الحرب تنفي السياسة ، وإذا اشتبكت الولايات المتحدة في حرب فإن السياسيين لا يلعبون أي دور في توجيهها ، ومن ينظر إلى صور الرئيس روزفلت أثناء مفاوضاته في يالطا وطهران فلن يجد معه أي سياسي ، ولا حتى وزير الدفاع ، أو الخارجية - لا يوحد شخص واحد في الألف يمكنه دكر اسم وزير خارجية أمريكا أثناء الحرب - بل سيجد صباطاً عسكريين فقط ولأن الحرب شر لا تجب المساومة بشأنه ضربت أمريكا اليابان بالقنبلة النووية ! ودمرت برلين على سكانها ! وحولت فيتنام إلى أطلال ! لكن نفوذ وليم جيمس ليس هو الوحيد الذي يحكم تفكير قادة أمريكا وشعبها ، فهناك الكلاورفيتريون الواقعيون أمثال ماكنمارا وهنري كيسنجر ، لكن نفوذ هؤلاء الواقعيين مرتبط بوجود رئيس واقعي ليوظفهم ، أما مع رئيس يبسط القضايا المعقدة مثل ريغان فإن لغة حيمس تظهر ، وتصبح ملموسة ماديا في مشروع مبادرة الدفاع الاستراتيجية التي ستؤدي في حال تحقيقها إلى اعتبار السلاح النووي مجرد « خردة » ، كما انها ستجعل من قيام حرب نووية أمراً مستحيلاً ، ليس لأنه لن يوحد منتصر ومهزوم كما يظن الكلاورفيتريون ، وإنما لأن أمريكا ستملك سلاحاً يمكنه أن ينهي الحرب قبل أن تبدأ

ومند أن أعلن الرئيس ريغان عن مبادرة الدفاع الاستراتيجية انقسمت النخبة السياسية الامريكية

حوله ، وشكك كثير من العسكريين والعلماء في إمكانية تحقيقه ، لكن إصرار ريغان عليه سيستمر ، لأن منطلقه هو أن الحرب لا يمكن ، ولا يجب أن تكون متابعة للسياسة ، وهذه النظرية الريغانية قد تكون غير تاريخية ولا سياسية ، لكنها تجسد تفكيرا أمريكيا ، لا يتغير بين ليلة وضحاها

منتدى العربي

تعقيب

على مقال

الانفتاح العربي على الحضارات

قرأت ما جاء بالمقال القيم «الانفتاح العربي على الحضارات» للأستاذ الدكتور محمد عمارة المنشور بالعدد رقم ٣٥١ فبراير ١٩٨٨ ويسرني أن أعقب على هذا المقال على النحو التالي

١ - جاء بمقال الدكتور محمد عمارة «الانفتاح العربي على الحضارات» ما نصه «إن ترجمة الفلسفة اليونانية والاهتمام بعقلانية أرسطو خاصة لم يكن عن رغبة في جعلها فلسفة الإسلام والمسلمين ، وإنما كانت استعانة بالعقلانية اليونانية الصريحة على هزيمة العرو اسوبار كما تمثل في خلط الفلسفة والغنوص مؤكدا أن الترجمة العربية للتراث الفلسفي اليوناني قد دفعها في المقام الأول الحاجة العملية ، وإلا فإنه إذا كانت المسألة الترجمة حماسة للعلم ورغبة خالصة في تحصيله فحسب عند المأمون لكان هوميروس وأصحاب المآسي من بين من ترجمت كتبهم» وهذه المقولة فيها متابعة من الدكتور عمارة لأستاذنا الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي أنكر على المسلمين ابتكارا جديدا في الفلسفة والفن . وقد أفاد من كتابه «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية» ونقل عنه آراء ينكر وما سيبوه دون نقد أو تمحيص . وإن كنا نرى ونؤكد أن أهم حادث في تكوين الفكر الفلسفي الإسلامي كان لقاؤه بالفلسفة اليونانية في بغداد أيام الخليفة المأمون في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ولا بد من القول ابتداء أن الفلسفة

اليونانية التي تلقاها العرب لم تكن هي فلسفة أفلاطون وأرسطو فحسب ، بل كانت أيضا تلك الفلسفة التي صيغت خلال عدة قرون على يد من واصلوا فلسفتها وشرحوها فكان هناك إلى جانب الفلسفة الأفلاطونية وفلسفة أرسطو الفلسفة

الرواقية ، والفيثاغورية ، وقبل كل شيء الفلسفة الأفلوطينية المحدثة التي أنشأها أفلوطين . وقد وصلت الفلسفة اليونانية إلى (الشرق) بطريقة أو بأخرى بعد فتوحات الإسكندر للهند وفارس ، فأثرت في الفلسفة الإسلامية تأثيرا كبيرا ، ذلك أن الموضوعات التي طرقها وبحثها المسلمون كانت هي التي أثارها وناقشها وعالجها اليونانيون . ونحن لا ننكر أن الفكر الفلسفي الإسلامي قد تأثر بالفلسفة اليونانية ، وأن الفلاسفة المسلمين أخذوا عن أرسطو

معظم آرائه ، وأنهم اعجبوا بأفلوطين كثيرا ، وتابعوه في عدة نواح ، ومن ذا الذي لم يتتلمذ على من سبقه ويقتفي أثر من تقدموه ؟ غير أننا نخطىء كل الخطأ إن ذهبنا كما يزعم رينان في قوله « بان ما يسمونه فلسفة عربية ليس إلا مجرد محاكاة وتقليد لأرسطو ، وضرب من التكرار لآراء وأفكار يونانية كتبت باللغة العربية هدفها حماية الاسلام من خصومه ، وان كنا نقرر بأن الفلسفة الاسلامية أتت بموضوعات جديدة كل الجدة ، وأن لها مميزاتها الخاصة ، ذلك لأن الثقافة الاسلامية نفذت اليها تيارات متعددة اجتمعت فيها وتفاعلت معها ، وفي هذا الاجتماع والتأمل ما يولد أفكارا جديدة ، ومن موضوعاتها المبتكرة كمشكلة الواحد والمتعدد ، والصلة بين الله ومخلوقاته التي كانت مثار جدل طويل بين المتكلمين ، ومحاولة التوفيق بين الوحي والعقل ، بين العقيدة والحكمة ، بين الدين والفلسفة ، وأن تبين للناس أن الوحي لا يناقض العقل ، وأن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفس وثبتت أمام الخصوم وأن الدين إذا تآخى مع الفلسفة أصبح فلسفيا كما تصبح الفلسفة دينية فالفلسفة وليدة البيئة التي نشأت فيها ، والظروف التي أحاطت بها ، وهي كما يبدو فلسفة دينية روحية وجملة القول ان الفلسفة الاسلامية ان كانت تأثرت بالفلسفة اليونانية دون الفارسية أو الهندية فمرد ذلك أن تبادل الأفكار واستعارتها لا يستلزمان دائما استرقاقا وعبودية

٢ ـ عرفنا ان الفكر الاسلامي لم يغلق نوافذه في مواجهة الفكر العالمي والانساني ، فهو فكر مفتوح قادر على التلقي لكل نزعات التطور والتغير ، ولن يستطيع فكر ان يتوقف عن تلقي المؤثرات الأجنبية ، غير ان قوة الفكر العربي الاسلامي وذاتيته الحية واستقلاله وتمكنه من قيامه على قاعدته الأساسية « القران وتعاليم الاسلام » ، جعلته يستطيع أن يأخذ دون أن يفقد شخصيته أو ملامحه الأصلية إن التوقف عن قبوله المؤثرات الأجنبية هو مظهر للعجز ! وقبول المؤثرات الأجنبية كاملة هو مظهر للنقص ونحن لا نسقط فكرنا في إحدى رذيلتي العجز أو النقص والواقع أن الفكر العربي لم يتعرض في تاريخه الطويل لمؤثر خارجي مثل المؤثرات الغربية ، ومع ذلك فقد ثبت لهذا المؤثر الجديد ، ولئن كان تأثيرا مختلفا من حيث الكم فإنه لم يختلف من حيث الكيف عما سبق أن تمرس به الفكر العربي الاسلامي في تاريخه الطويل غير أن الاتصال بالفكر الاغريقي في التجربة الأولى كان صادرا عن رغبة استقلالية من الفكر العربي الاسلامي ، ولم تكن هناك ضغوط قوى ذات نفوذ تفرض عليه لونا بعينه ، ولذلك فقد نقل الفكر العربي الاسلامي علوم اليونان دون اداتهم وشعرهم ، وهو نفس الموقف الذي وقفه الفكر العربي « الاوروبي » في عصر النهضة من الفكر العربي الاسلامي ، فقد اخذ المعارف ولم يأخذ العقائد والقيم ، بل نحاها وتخلص منها تماما وهذه هي التفرقة بين فكر وفكر ونحن نعرف أن الفكر الذي لا تصل اليه مؤثرات اجنبية يتعرض للجمود والتدهور ولكن يجب أن نكون قادرين على نقل هذه المؤثرات على قاعدة فكرنا وعقائده واسسه هذه اهم التحديات التي واجهت العرب ، وما زالت قائمة الى اليوم ، وختاما نشكر الدكتور عمارة على نواله وعلى ما هيأه لنا من مراجعة لمقولته « إن الفلسفة اليونانية ترجمت إلى العربية لأغراض جدلية فقط » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ☐

محمد فؤاد محمد علي

■ هناك رجل يستعمل دائما كلمات صعبة لأنه كان يخاف انه إذا عرف الناس ما يتحدث عنه فإنهم سيعرفون انه لم يكن يعرف ما يتحدث عنه (حكيم)



نموذج تعاون طبي دولي خلاق

بقلم الدكتور عباس الحميدي *

حتى منتصف القرن العشرين كان الجدري من أشد الأوبئة المعدية ، لكن البشرية بتعاونها استطاعت أن تقضي عليه ، وقد قدمت كل الدول بهذا التعاون نموذجا لو اقتدت به في مواجهة كل الأمراض الوبائية لجنبت البشرية خسائر هائلة تفقدها بسبب هذه الأوبئة

من سمات العالم الثالث ـ وكذلك عالم الفقراء عموما ـ الأوبئة المتوطنة الواسعة الانتشار فيها مثل الجذام والملاريا والسل والأنيميا ، وغيرها

وكلها تودي سنويا بأرواح الملايين ، ولا يزال الأمل يراود المرء بانتظار العلاج الذي يقضي عليها وقد خرج من هذه المجموعة وباء الجدري تماما ، وأمكن للدول الصناعية أن تجتث جذوره بالكامل منذ عشرات السنين

في أكتوبر ١٩٧٧ ظهرت في إحدى موانئ الصومال إصابة بالجدري ، ثم عزل صاحبها البالغ من العمر ٢٣ عاما ، وتم تلقيح (تحصين) جميع المخالطين له في العمل والمنزل ، وكانت هذه آخر حالة إصابة بالجدري كوباء متوطن على مستوى

* أستاذ بالمركز القومي للبحوث بالقاهرة

عالم ، كما أنها كانت الأخيرة في سلسلة الاصابات التي امتدت رهاء ٦٠٠٠ عام راح ضحيتها آلاف الملايين من البشر

بعد هذا الحدث بعامين تقريبا أعلنت منظمة الصحة العالمية في مايو سنة ١٩٨٠ خلو كوكبنا من هذا الوباء اللعين ، وفي نفس الوقت قفل أحد أبواب التنسيق الدولي للأنشطة الطبية (السياسية) الذي امتد عقدين من الزمان ، وتوج بذلك انتهاء أعمال هذا التنسيق ورغا يأتي اليوم الذي يأخذ فيه هذا الحدث نصيبه من الخلود مثل ما خلد تاريخ إنزال أول إنسان على القمر نتيجة لنشر أبحاث الفضاء من كلا الجانبين ، ولأول مرة في تاريخ البشرية يستطيع المرء أن يكون السيد على وباء متوطن

لقد تأخر انصاف السير (ادوارد جنر) أول مخترع لمصل الجدري (التلقيح الحديث لوباء الجدري الذي نشأ له منذ (١٩٣) عاما بالزوال)

وبمناسبة يوبيل العشرة أعوام على هذا الاقتحام الطبي العالمي التاريخي نالت منظمة الصحة العالمية جائزة نوبل للسلام عن عام ١٩٨٧

الجدري يتلاشى

حتى منتصف القرن العشرين كان الجدري من أشد الأوبئة المعدية على الاطلاق ، وحتى عام ١٩٦٧ وهو العام الذي بدأت فيه المنظمة برنامج القضاء على الجدري،بلغ عدد المصابين بالعدوى بين ١٠ ـ ١٥ مليون نفس ، مات منهم مليونان ، وأصيب مئات الآلاف بالعمى أو بعاهات مدى الحياة

وكان العالم ينفق سنويا ما يقرب من ٣ مليارات (جنيه مصري) للقاح أو العلاج ، بينما لم يتعد جميع ما أنفق على حملات الجدري عشر هذا المبلغ خلال السنوات الاثنتي عشرة (١٩٦٧ ـ ١٩٧٩) وقبل ذلك بسنوات لم يكن الجدري يلعب دوره الخطير كما كان منذ عشرات السنوات الماضية ، ففي المدن الصناعية لم يعد الوباء متوطنا منذ مدة ، فمثلا كانت آخر حالة في سويسرا ١٩٢٦ ، وفي فرنسا كانت آخر حالة بعد ذلك بعشر سنوات وفي الحرب العالمية الأولى فقدت ايطاليا ٣٦٠٠٠ مواطن بسبب الجدري ، وبلغ عدد الحالات التي سجلت في أوائل الستينيات في ٣١ دولة حوالي مليار حالة ، نصفها في الهند

وطالما كان هذا الوباء متوطنا في بلد ما فإن تهديده لدول أخرى قائم ، وكان من نتائج تصريح ١٩٨٠ أن أوقفت الدول شروط التلقيح للمسافرين ، ومع ذلك ولمجرد التشاؤم فإن بعض البلاد تصر على التلقيح ، خاصة بين الجنود ، وتراه ضروريا خوفا من الحروب « البيولوجية »

جاءت أول صرخة لاجتثاث الوباء سنة ١٩٥٨ من الاتحاد السوفيتي ، ففي اجتماع المنظمة العالمية للصحة قدم مندوب روسيا اقتراحا لهذا العرض وأقر بالاجماع ، لكن تباطؤ بعض الدول ـ ربما لأسباب سياسية ـ لم يكفل لهذا الاقتراح سرعة التنفيذ إلا بعد عام ١٩٦٧ ، حيث دخلت الولايات المتحدة بثقلها الكامل في برنامج دولي للقضاء على الوباء

كان برنامج اجتثاث الوباء من أروع الأمثلة على التعاون الدولي الذي لم يقدر له أن ينال ما يستحقه من التقدير والاعتبار كتعاون دولي خلاق في إسعاد البشرية ـ وعلى الأخص الدولتين الكبريين ـ إذ تقاسمت هاتان الدولتان العبء الأكبر للنفقات والأبحاث ندا لند ، وكان نصيب أمريكا في البرنامج ـ على الأخص أفريقيا ـ بينما نالت روسيا نصيبها في آسيا التي أمدتها بكميات كبيرة من المصل ، كذلك لم تبخل الدول الغنية الأخرى بالمساعدة ، فمتى ما ظهر أي وباء في أي بقعة من العالم سارعت الدول الغنية في الرقابة والوقاية من الوباء ، وهذا يكلفها الكثير

إستراتيجية العمل

ومما ساعد على نجاح البرنامج تحديد موعد محدد له ، ورصد المبالغ اللازمة ، وكانت استراتيجية العمل باتجاهين

١ ـ يتم تلقيح ٨٠٪ على الأقل من سكان المناطق الموبوءة (مكان توطن الوباء) ، ولم يقف الأمر عند

التلقيح فقط ، إنما سارت معه التوعية بالنظافة ، لكن هذا الاجراء الأخير لم يكن يتم ١٠٠ / في أفريقيا حسب البرنامج الموضوع له

٢ ـ إيجاد خطة (نظام ـ تعسس) (مراقبة مشددة للغاية) لاحتواء أي انتشار جديد للمرض والكشف عنه . ومع ذلك فإن مجرد الرقابة لم ينظر إليه على أنه واف بالغرض ، وكان على المنظمة أن تساعد الدول الموبوءة في عمل برنامج محلي مبني على أساس المعطيات المحلية المتوفرة

ومن الامور ذات الأهمية القصوى إيجاد نظام سهل كفيل بأن يبلغ الأهالي في أقطار العالم النائية عن الوباء . فالجدري من الأوبئة التي يمكن أن نتعرف عليها اي شخص في أماكن توطنه . (فمثلا في الستينيات في الهند بلغت ضحاياه نصف عدد الضحايا على مستوى العالم) ، وفي أندونيسيا وأفريقيا كانت الحملات الصحية تعرو القرى والنجوع وتوضح للناس بالصور المرض ، وقد وصلت مكافأة الارشاد أو التنبيه عن أي حالة (١٠٠٠) دولار وهنا يقرر بكل فخر فرانك فنر الرئيس السابق للجنة الدولية للاعلان الرسمي للتحرر من الجدري أن هذه المكافأة التي علم بها على الاقل ٩٠ / من سكان المناطق المعنية لم تدفع ولا مرة واحدة

وقد استمر نشاط هذا التعسس والأبحاث في كل البلاد التي استوطنها المرض مدة سنتين على الأقل بعد ظهور اخر حالة . ففي غرب أفريقيا قام خبراء المنظمة بفحص ٨ ملايين طفل من مختلف الأعمار . وجاء تقريرهم ١٠٠ / بعدم وجود أي أثر بين الأطفال في عمر المدارس . وهذا دليل مؤكد على أن المرض لم يعد بظهر

وإلى جانب الرقابة الصارمة التي اتخذت لتبي بالغرض فإن توفر الامصال ذات الكفاءة العالية كان له اثر كبير [illegible] والامصال [illegible] مدراة او مسحوقة [illegible] لاحتمال [illegible] [illegible] المنظمة

وتحسين الأمصال بعامة وما يتعلق بها من الاختراعات والابتكارات ، مثل التجفيف على البارد الذي يساعد إلى حد كبير في إنجاح البرنامج . كما هو الحال في سويسرا ـ على سبيل المثال ـ حيث يوجد في هذه البلاد مصل عالي الكفاءة ، يتم الحصول عليه بطريقة التجفيف بالتبريد وباختبارات بكتريولوجية ، وله خاصية الثبات في درجات الحرارة الشائعة في المناطق الاستوائية ولكي يكون أمر القضاء على الوباء سهلا اقتضى الأمر أحيانا التدخل السياسي على مستويات عالية لانجاح البرنامج كما جاء في التقرير المكون من ١٥٠٠ صفحة عن برنامج اللجنة المنوط بها هذا البرنامج « كذلك كان هناك نقص في « الكادر » المتمرن بالاضافة إلى صعوبة أو رداءة المواصلات في بعض البلاد » .

الاحتياط لكل الاحتمالات

بالاضافة إلى ما قامت به حملات البرنامج فإنها عملت على توفر عدد من المتخصصين في الأمراض المتوطنة ، بالاضافة إلى إجراء البحوث المتعلقة بالتشخيص المعملي وقد لعب الدور الأكبر في هذا الخصوص المعملان المركزيان التابعان للمنظمة في كل من أتلانتا في الولايات المتحدة وفي موسكو ، وليس من قبيل المعجزات أن يتم البرنامج في الوقت المحدد له باليوم تقريبا

وقبل الاعلان الرسمي عن التحرر من الوباء تكونت مجموعات من ٤٠ دولة للقيام بزيارات مدتها من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع لمناطق توطن المرض ، **وأنيط بهذه المجموعات وضع تقرير عن زوال المرض** نهائيا ، وعلى الأخص أن تتقصى اللجان بكل دقة وتحري تماما في البلاد التي لا يمكن الاعتماد على معلوماتها ١٠٠ / على مستوى العالم . وفي الصين ـ وهي ليست عضوا في المنظمة العالمية ـ فإن وزير الصحة اذاع هذا النبأ في حفل خصص لهذا الغرض

د . فنر يرسم المرحلة التي عمت بإعلان القضاء

على أحد أوبئة العالم اللعينة فإن المعركة معه لم تنته بعد ، فللتأكد من أن لا يطل المرض مرة أخرى كان من الضروري إيجاد جهاز (مكتب تسجيل) لأي إشاعة عن المرض في أي بقعة من العالم ، حتى يمكن

تقصي مصدر هذه الاشاعة ، وليس فقط الحسر ، والبحث عن مصدرها ، وقد أنشئت مكاتب في كل من أتلانتا وموسكو لهذا الغرض

وما بين ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦ أمكن تسجيل ١٣١ حالة جدري تمت دراستها جيدا ، فقد خضعت كل حالة للفحص الفيروسي ، وفي أغلب الحالات كان هناك خلط بين الجدري الحقيقي والحصبة ومرض الجديري ، او ربما كانت هناك بيانات غير صحيحة ولم يظهر فيها إطلاقا ما يدل على الاصابة بالجدري

وزيادة في الاحتياط يوجد في كل من أتلانتا وموسكو خمسة ملايين عبوه من المصل . وخلال ٢٤ ساعة يمكن ان يصل المصل الى أي بقعة في العالم

ويقدر المخزون منه بما يكفي لتلقيح ٢٥٠ مليون شخص

ولمزيد الحيطة تكونت لجنة (- Orthopox Viruses)« دراسة فيروسات الجدري الحقيقي» تابعة لمنظمة الصحة العالمية في سنة ١٩٨٠ م

وأهم أغراض هذه المجموعة في الماضي والحاضر هو البحث ، ودراسة علاقة القرابة بين فيروسات الجدري والفيروسات الأخرى ، وفي نفس الوقت الاستعداد للفحص في المعمل للاحتمالات الناجمة عن الابلاغ عن أي حالة للجدري

ويتركز انتباه الباحثين على الأخص في جدري القرود الذي يسببه فيروس قريب من فيروس الجدري ، وقد تم الابلاغ عن ٤٠٠ حالة جدري للقرود في زائير ما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٨٦

وقد كان الفرع المبدئي ناتج عن الخلط بين بثرات الجدري وبثرات مرض اخر ينقله للانسان أحد حيوانات القارضة الصغيرة وقد ظل جدري القرود غير معروف إلى الوقت الذي تم فيه القضاء

على الجدري الحقيقي ، وذلك بسبب التشابه الظاهري بينهما ، لكن سرعان ما ظهر فيها بعد أن الأمر يتعلق بأمراض حيوانية (Zoonosis) تظهر على فترات متقطعة ، وبالاتصال المباشر مع الحيوانات البرية ومن الصعوبة بمكان انتقالها من إنسان لاخر

وعلى الرغم من كل الاحتياطات والضمانات فإن رجوع الوباء نظريا لا يمكن إغفاله وقد يخطر على البال أحد احتمالات المصادر الآتية

١ ـ حوادث في المعامل
٢ ـ الاستعمال المتعمد في الحروب « البيولوجية »
٣ ـ ظهور المرض من أي مصدر طبيعي (احتياطي) او من عقلة بشرية عن المرض

في عام ١٩٧٨ ظهرت حالة عدوى معملية بالجدري ، إذ توفى احد المصورين في برمنجهام ، بسبب عدوى ، تسربت من معمل الأبحاث ، ونتيجة لهذا الحادث تم اختزال عدد المعامل التي تجري فيها تربية سلالات فيروس مصل الجدري وتوجد سبعة معامل وحيدة في العالم تتعامل طول العام مع فيروسات الجدرى

ومنذ سنة ١٩٨٣ أصبح الاعتراف الرسمي للمنظمة متوقفا على معملي أتلانتا وموسكو ومنذ حوالي عام أوقف هذان المعملان عملهما في استزراع فيروس الجدري ، وفي نفس الوقت توجد مستحضرات بها حامض DNA الجدري ، وهذا المصدر الوراثي يمكن استعماله تحت ظروف معينة في المعامل

إحتمالات العودة . وأساليب المواجهة

لا يمكن الجزم ـ سواء علم المرء أم لم يعلم ـ بعدم وجود بعض المناطق في العالم التي بها فيروسات الجدري ، لذلك وحسب توصيات المنظمة العالمية للصحة يجب إعدام كل الزجاجات التي يوجد شك في

محتوياتها لدى معامل او ستحي الأمصال . وفي هذا الصدد برز التساؤل المرعب . الا وهو الاحتمال الغاشم باستعمال الجدري في الحروب البيولوجية

ان هذا الخطر لا ينظر اليه بعامة على أنه أمر يهدد العالم . ذلك لان عدوى الجدري ينتشي نشاطه نسبيا . عندما تكون هناك تلامس مباشر بين شخصين . احدهما معافى والاخر مريض فقط . وان الاستعمال البعيد الاحتمال للجدري في اغراض الحرب البيولوجية . او الرعب الى حانب ما يمكن ان يقوم به حراء التشخيص والرقابة هو السبب الوحيد الذي جعل فيروسات الجدري تحت اعين المتخصصين

كما ان المصادر الاخرى التي يتكثر فيها المرء لا تمثل سعلا شاغلا للبشر . فالانسان يعلم الان أن العدوى لا تنتقل بواسطة الحيوانات . وهناك احتمال وجود الفيروس في جثث الموتى المطمورة في مناطق جليدية . وقد عثر اخيرا على فيروس الجدري في مومياء طفل في إيطاليا من القرن السادس عشر . وبالبحث اتضح أنها عديمة الحيوية . ومن الاحتمالات الاخرى الواردة هو تطوير جدري القرود إلى جدري حقيقي . غير أن الفرق بين DNA في كليهما دو بون شاسع

من أبدع ما يمكن أن يقال عن حملات القضاء على الجدري أن ملايين الفقراء المهملين وعلى الأخص في العالم الثالث أصبحوا غير مهددين بهذا الوباء . وهو أمر يفوق بكثير ما كان متحدا من إجراءات وقائية مكلفة . كما ان هذه الحملات استطاعت أن تضع ضوابط لهذا الوباء . وعلى سبيل المال المساعدة في برامج الصحة والطاقة . ومساعدات الدول النامية في أنشطة التشخيص

وقد خرجت دول العالم الثالث بنصيب وافر من الأبحاث كما يشهد بذلك (دونالد هندرسن) عميد مدرسة الصحة العامة في جامعة جون هوبكنز في بلتيمور بالولايات المتحدة □

العملات الصعبة لماذا هي صعبة ؟

● يعد الدولار الأمريكي والجنيه الاسترليني والين الياباني والمارك الألماني وغيرها كثير من العملات الصعبة ، وذلك لأنه لا توجد قيود مفروضة على التعامل بهذه العملات واستبدالها بعملات أخرى خارج حدود بلادها ، وبذلك فإن كل عملة حرة هي عملة صعبة ولتوضيح ذلك نقول إن العملات الحرة هي تلك العملات التي يتم التعامل بها رسميا في عمليات الاستيراد دون الحاجة إلى اتفاقيات نقدية خاصة وفي الغالب يكون مركز العملة ثابتا في الأسواق نتيجة لمتانة مركز غطائها الذهبي أو الاقتصادي

أما عندما تفرض قيود على التعامل بعملة بلد ما في الخارج فإنها تصبح غير حرة ، وهذا الاجراء تضطر إليه كثير من الدول النامية ، لحماية نقدها من التدهور ، نتيجة لاختلال ميزان مدفوعاتها ، ولعوامل اقتصادية كثيرة أخرى

والمعروف أن العملات الحرة أو الصعبة لها أسواق دولية ، أهمها في جنيف ونيويورك وسنغافورة وطوكيو ، ويتجدد سعر هذه العملات يوميا في هذه الأسواق ، فهي بين هبوط وصعود دائما، نتيجة عوامل اقتصادية أو دولية تؤثر في أسواق المال

إعداد : يوسف زعبلاوي

ميزان جديد لقياس الحرارة

● بلغ من كثرة المبتكرات والمخترعات العلمية والطبية في المدة الأخيرة ، أنه بات من العسير على المرء متابعتها ، مجرد متابعتها ، ناهيك بتفهمها والاحاطة بتفاصيلها . ويعجب المرء بعد هذا لبعض الأدوات الطبية الحيوية كيف أغفلها التقدم العلمي فبقيت على حالها طوال قرون دون أي تغيير . ولعل ميزان الحرارة الذي يقيسون به حرارة الجسم هو في طليعة تلك الأدوات .

ذلك أن موازين الحرارة الحالية غير دقيقة . فالميزان الزئبقي الذي يقيس الحرارة عبر الفم لا يصلح للأطفال من جهة ، ومعرض لاعطاء أرقام مبالغ فيها من جهة أخرى . فما أسهل من أن يحرك المرء لسانه أو يحكه بالميزان فيدفأ الميزان ، ويرتفع الزئبق فيه ارتفاعا مضللا . وقل مثل ذلك في الميزان (وهو زئبقي أيضا) الذي يقيس الحرارة بوضعه تحت الإبط ، وهي الطريقة المفضلة في اليابان ، أو عبر الشرج وهي الطريقة المفضلة في فرنسا . فالدقة غير متوافرة في كل هذه الطرق ، والازعاج قائم فيها كلها على كل حال .

من هنا كانت الأهمية التي يعلقها الكثيرون على ميزان الحرارة الجديد ، الذي ابتكره الدكتور نويل ايرنكراوس Ehrenkrauz في نيوجرسي بامريكا ، ونشرت خبره شتى المجلات العلمية والطبية في شهر فبراير الماضي .

وأهم ما يذكر عن هذا الميزان انه يقيس حرارة الجسم بواسطة البول وقوامه قصاصة مصنوعة من بلاستيك ومرقمة من ٩٦ - ١٠٤ درجة فهرنهيت ، وهي معدة لتوضع في البول مدة دقيقة واحدة ، لتعطيك درجة الحرارة المطلوبة بدقة متناهية تبلغ ١٠/٢ من درجة الفهرنهيت الواحدة ، ذلك ان كل درجة مقسمة على القصاصة الى عشرة أقسام . أو عشر نقاط . وكل نقطة من هذه النقاط تحمل مادتين كيماويتين مختلفتين بنسب مختلفة ، احداهما الكلوروسرين والثانية البيروخرين وتحمل أيضا مادة صابغة تصبح زرقاء اللون متى ذابت المادتان ، الا أن احدى تلك النقاط تتأخر في تلوّنها باللون الأزرق ، وتلك هي النقطة التي تمثل درجة الحرارة المطلوبة .

وتجدرُ الاشارة الى مزايا أخرى يتميز بها هذا الميزان . فهو يحدد ما اذا كانت المرأة حاملا أم لا ، ويحدد أيضا وقت اباضتها .

أضف الى ذلك أن القصاصة البلاستيكية معدة للاستعمال مرة واحدة وتطرح مع النفايات بعد استعمالها .

كاميرات جديدة للتصوير بلا أفلام

يبدو الوصف محاريا أو مستحيلا كالاستحمام بلا ماء مثلا ولكن التقدم العلمي ـ لا سيما في مجال الالكترونيات ـ درج على مفاجأتنا بالابتكارات الخارقة في المدة الأخيرة

أما البلد الذي طوّرت فيه الكاميرا الجديدة فاليابان كما قد يتوقع المرء . وأما الشركة التي قامت بتطويرها فليست سوى شركة كاسيو التي اشتهرت بساعاتها المتقنة . الرهيدة الثمن

على أن الكاميرا (واسمها سدنا هو 101 - ٦٦) صغيرة ولا يكاد يبلغ وزنها كيلوجراما واحدا تعمل بالبطارية وفيها محرك صغير توضع فيه الاسطوانة التي تعتمد عليها الكاميرا في عملها

والاسطوانة معدة لالتقاط صور للعرض على شاشة التلفاز . وهي صغيرة ولا يزيد طولها على بوصتين ومع ذلك فهي تكفي لالتقاط (٥٠) صورة ملونة وهي تسمح بمحو الصور عن الساحة واستبدالها بصور أخرى تلتقط لتحل محلها

وتتميز الكاميرا الجديدة بسرعة كبيرة (Shutter speed) تتراوح بين ... من الثانية الواحدة لا عجب اذن إن كانت الكاميرا قادره على التقاط خمس صور متتالية في ثانية واحدة فقط

وغني عن البيان أن الكاميرا هي التي تعالج صورها تلقائيا حتى تصبح جاهزة للعرض على شاشة التلفاز

أضف الى ذلك كله ، انها معدة للوصل بجهاز يطبع الصورة على ورق علما بأن هذا الجهاز الطابع ما زال قيد التطوير لدى شركة كاسيو ثم انها معدة أيضا للوصل بجهاز « كمبيوتر » . وبشبكات المعلومات والاتصالات بحيث يتسنى ارسال صورها الى جهات أخرى بعيدة ، وذلك في مستقبل غير بعيد

عقار جديد يذيب الجلطات

لم تكد تمضي أسابيع قليلة على ظهور أدوية الجلطات والكولسترول الحديثة (لوفاستاتين) حتى ظهر عقار آخر جديد الاميتر ويتميز هذا العقار بقدرته على اذابة الجلطة ، وبالتالي على إنقاذ الكثيرين من الموت بسبب النوبات القلبية

ويمتاز مستحضر الأميتر هذا على ما سواه بامكانية تناوله في حقنة واحدة ، وامكانية بقائه في الدم لمدة أطول . وتدل الدراسة التي اجراها فريق من العلماء الانكليز على ان الأميتر يمكن تناوله بعد التعرض لنوبة قلبية ، وأنه يحد من احتمالات التعرض لنوبة قلبية ثانية بنسبة ٥٠ ٪

ولا يخفى ان الجلطة تقف في مجرى الدم فتوقف سيره في الشرايين التاجية فلو تسنى لنا اذابة تلك الجلطة لأمكننا استبعاد خطر النوبة القلبية والابقاء على القلب حيا سليما

حـــذار إذا كـبُرت (الشَّامة) أو تغـيّر لـونـهـا

● سرطان القتامين (Malignant Melanoma) سرطان جلدي خطير ، كان موضع دراسة جادة أجراها مؤخرا علماء مركز السرطان ، بل علماء جامعة هذا المركز في بنسلفانيا ، ودلت تلك الدراسة على أن هذا المرض المعروف بقابليته للمعالجة والشفاء ، كثيرا ما يصبح عضالا وفتاكا تبعا لما يلقاه من إهمال المصابين به والأطباء ، لا سيما عند بدء ظهوره على وجه التحديد ، أو لعله الجهل بأعراض المرض الأولى أكثر منه اللامبالاة

وتبدأ تلك الأعراض بالتغيرات التي تطرأ على شامة في جسم المريض ، فقد يتغير لون الشامة وقد يتغير حجمها ، ويغفل المريض عن هذا وذالك ، ويمضي المرض في التفاقم حتى يعتري الخال أو الشامة ورم وانتفاخ ، أو تظهر قشرة قاسية على السطح ، أو يصاب بنزيف ، وعندها يصحو المريض ويراجع الطبيب ، ولكن بعد فوات الأوان ، وقد أصبح المرض عضالا ان لم نقل قتّالا

وتدعو الدراسة الى التوعية توعية الأطباء فضلا عن المرضى، بمؤشرات سرطان القتامين المبكرة ، فما أسهل أن يعالج هذا السرطان الجلدي علاجا ناجحا ١٠٠ / اذا اكتشف أمره وبوشر بمعالجته عند أول ظهوره ، هذا ما يؤكده الدكتور كاسيلث Cassileth العالم الذي أشرف على الدراسة المشار اليها

■ ■ ■

المــنزل الإلكتروني

● منذ زمن وكتّاب الخيال العلمي يحدثوننا عن منزل المستقبل البعيد الذي يستطيع المرء ادارته والقيام بشتى الأعمال التي يتطلبها المنزل ، وذلك بالضغط على أزرار ، ودون بذل اي جهد ، ولعلهم لم يخطئوا الا في تصورهم أن المنزل الالكتروني هذا ما زال بعيد المنال

ذلك أن اليابان وشركة ميتسوبيشي بالذات قد طورت الجهاز الكفيل بتحقيق المنزل الالكتروني ، وبعرضه في الأسواق ، وقوام الجهاز المذكور لوحة تدويت تحمل أزرارا عديدة ولا تزيد مساحتها على قدمين مربعين (١ × ٢) ، ففي الامكان اذن تعليقها على أي جدار في المطبخ مثلا

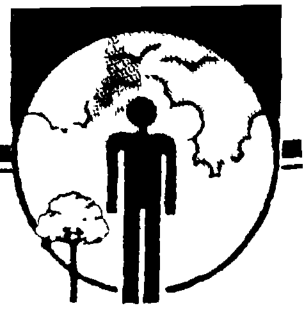
اما الأزرار فمتصلة بأجهزة تشمل شتى الأنشطة والأعمال التي لا تقوم للمنازل قائمة من دونها ، ومن تلك الأجهزة ما يختص بالأمن ، وأجهزة التحذير من اللصوص ، ومنها ما يتصل بالطاقة ، والكهرباء وتطبيقاتها ، ومنها ما يرتبط بأجهزة الاتصالات ـ تلفاز وهاتف الخ ومنها ما يتحكم بأعمال المنزل وحديقته ، وبوسائل التسلية الخ

أضف الى ذلك كله ، أنك غير مضطر للذهاب الى حيث توجد اللوحة للضغط على الزر الذي تريد الضغط عليه ، فسيكون بجانبك جهاز صغير للتحكم عن بعد بأزرار اللوحة جميعها ، بحيث تستطيع ان تعمل ما تريد ، وتحصل على ما تريد وأنت جالس في مقعدك

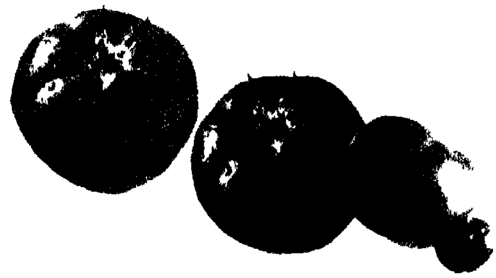
وتجدر الاشارة الى أن فرع ميتسوبيشي في كاليفورنيا (شركة مداما Medama) هو الذي طور جهاز المنزل الالكتروني

سلامة البشرية في

سلامة البيئة



طماطم جديدة لكل الفصول



● نجح العلماء في تطوير نوع جديد من الطماطم ، يتميز بمناعته ضد فيروس طالما فتك بثمار هذا النبات ، ويتميز هذا النوع الجديد أيضا بمقاومته لفيروس (التبغ الموزايك) الذي كثيرا ما يدمر محاصيل الطماطم ، ويقضي عليها

والمهم في الأمر أن هذه النتائج لا تقف عند التجارب المختبرية ، فقد أجريت للنوع الجديد تجارب ميدانية على نطاق واسع سنة ١٩٨٧ ، وأثبتت تلك التجارب مناعته ضد الفيروس في كل الشجيرات المزروعة تقريبا ٢٨٠ شجيرة أو أكثر ، ومعنى هذا أن مزارع الطماطم قادرة الآن على مضاعفة محاصيلها فيما لو أقبل الناس على زراعة النوع الجديد

هذا وقد أثبتت التجارب الميدانية أيضا أن مناعة النوع الجديد ضد الفيروس لا تفقده شيئا من طعمه أو نكهته أو مزاياه المعروفة

ويعود الفضل في تطوير هذا النوع إلى فريق من العلماء العاملين في جامعة واشنطن بإشراف البروفسور روجربيتشي **Beachy** ، أستاذ البيولوجيا فيها ، وقد تسنى لهم تحقيق النوع الجديد بزرع جينة معينة فيه ، فمن شأن هذه الجينة أن تفرز بروتينا خاصا ، ومن شأن هذا البروتين أن يقي النبات من الفيروس ويحفظه

■■■

● أجرى علماء المناخ دراسة جادة لتراكم الثلوج الكثير في أوروبا وآسيا هذه السنة ، وتبين لهم من آثار ذلك على الأمطار والرياح الموسمية في آسيا وعلى المناخ في أمريكا الشمالية بعامة ، وكذلك على الظواهر المتصلة بتيار (إل نينو) ما لم يكن في الحسبان

فمن شأن ذلك التراكم ، إذا هو تضاعف ضعفين ، أن يبقي على برودة اليابسة في القارتين الآسيوية والأوروبية مدة أطول ، ويؤدي بالتالي إلى تخلف الرياح

الموسمية وأمطارها ، وهي التي تبدأ غالبا في شهر يونية / حزيران ، ذلك أن الفارق في درجة الحرارة بين اليابسة الدافئة ومياه المحيطات الباردة هو المحرك الأول لتلك الرياح .

يقول تيم بارنت TimP . Barnett أحد العلماء المتخصصين في البحار الذين أجروا تلك الدراسة . « لو ازداد تراكم الثلوج أكثر مما ازداد حتى الآن لأدى ذلك ليس إلى الحد من الأمطار في جنوب شرق آسيا فحسب ، بل إلى الحد من الرياح التي تهب على بحر العرب ، وعلى المحيط الهندي (الاستوائي) أيضا ، وقد يؤدي تخلف الرياح الموسمية إلى ظهور (إل نينو) فجأة ، وعلى غير توقع » .

■ ■ ■

ثورة زراعية على الأبواب

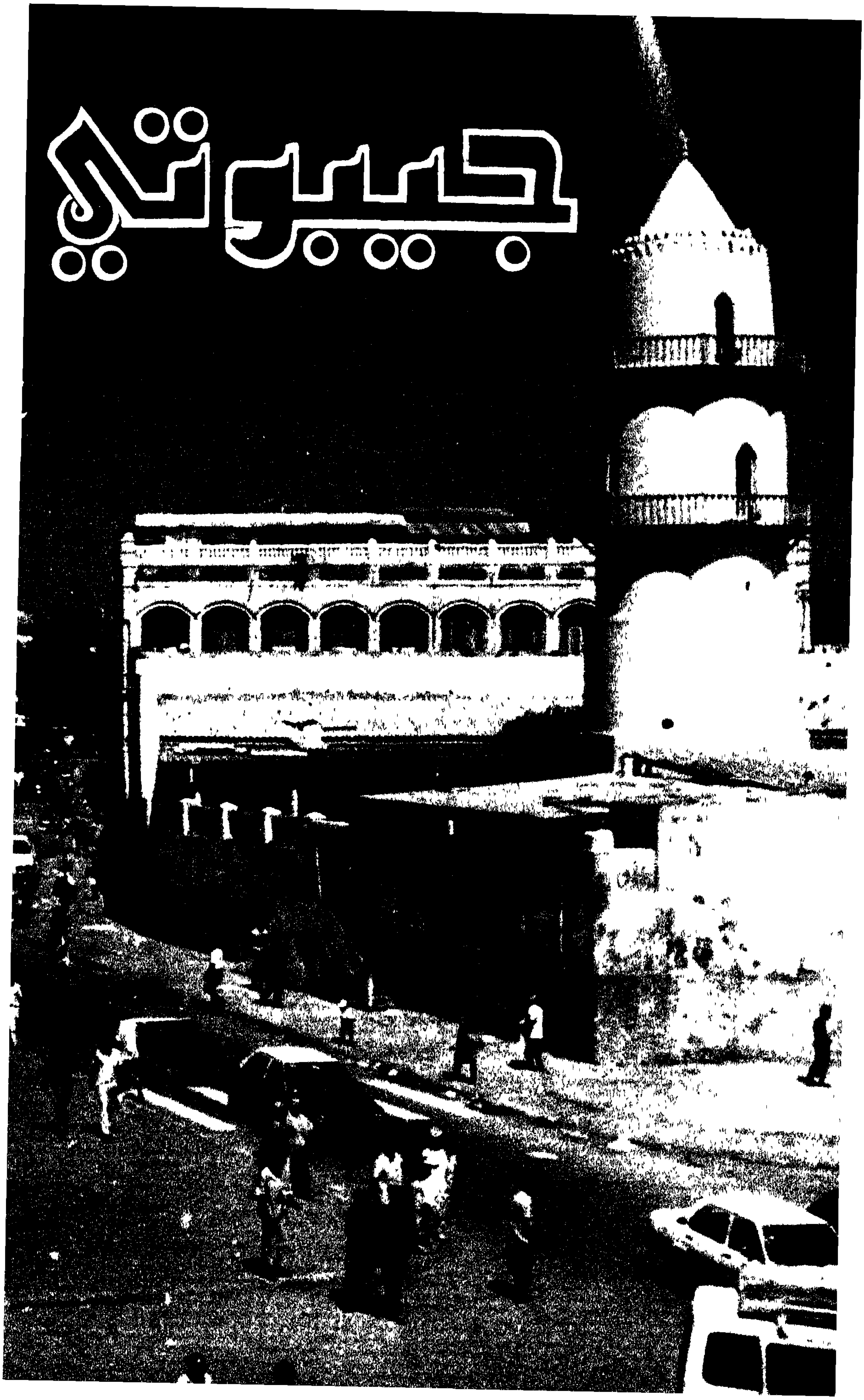
● يبدو أن الهندسة (البيولوجية) توشك أن تفاجئنا بثورة خضراء ، تضمن للمحاصيل الوقاية من الآفات ، ومضاعفة العطاء ، وللبيئة الحماية المنشودة من التلف والتلوث ، ذلك أن العلماء العاملين في مختبرات منسانتو المعروفة نجحوا في تخليق بكتريا جديدة (Pseudo FLourescens) ، بل في تخليق خاصة معينة في تلك البكتريا ، فقد طورت تلك البكتريا بحيث يتغير لونها ، وتصبح زرقاء لدى ملامستها محلول (X — GaL) ، ومعنى هذا أن في الإمكان استعمال تلك البكتريا للأغراض التي خلّقت من أجلها ، ورشها على النباتات على نطاق واسع ، ما دام في إمكان اكتشاف أمرها ، إذا هي انتشرت من حيث لاندري ، ثم القضاء عليها إذا هي أساءت للبيئة من قريب أو من بعيد . فما أسهل ما تؤخذ عينات من التربة التي يشتبه بانتشار البكتريا فيها ، فاذا تلوثت العينة الواحدة باللون الأزرق لدى وضعها في محلول X — GaL كان ذلك دليلا على وجود البكتريا في المكان الذي أخذت من تربته العينة ، وما أسهل ما يستطيع المزارع تبعا لذلك القضاء على تلك البكتريا ، إذا هي ألحقت الأذى والضرر بالنباتات أو بالبيئة بالقدر الذي يستوجب التخلص منها

وقد أجرت الشركة تجاربها الميدانية الواسعة النطاق في مدينة بلاكفيل ، في كاورلينا الجنوبية ، بالويات المتحدة الامريكية إذ قامت في الخريف الماضي برش القمح الشتوي بالبكتريا المخلّقة ، على أن الشركة لم تفعل ذلك إلا بعد الحصول على ترخيص وكالة البيئة EPA الصريح باجراء تلك التجارب .

وتجدر الاشارة هنا إلى ما جرى بين وكالة البيئة وبين البروفسور جاري ستروبل ، وهو من علماء جامعة مونتانا ، فقد خلّق هذا العالم بكتريا جديدة ، ذات فوائد عظيمة ، ثم أقدم على إجراء تجاربه الميدانية على تلك البكتريا ، فحقن بها شجر الدردار على نطاق واسع .

على أن لتجارب شركة منسانتو وجها آخر ، لا يقل أهمية عما ذكرنا ، إن لم يكن أكثر أهمية ، فقد نجحت البكتريا التي خلّقتها (بسودو موماس فلورسنس) في اكساب القمح الشتوي المناعة المطلوبة ضد الصقيع ، ولعل هذه هي الخاصة الأساسية التي سعى إليها العلماء في تخليق البكتريا المذكورة ، بالمقارنة مع خاصة التلوث التي سبق الحديث عنها .




جيبوتي



الاستماع إلى إذاعة جمهورية جيبوتي ، أو مشاهدة تلفازها ، يبعثان على الحيرة ، ويتركان في النفس أسئلة ممزوجة بالدهشة ، فهي أطول نشرة أخبار يمكن مشاهدتها أو الاستماع إليها ، ليس بسبب كثرة مواد النشرة ، لكن بسبب تعدد اللغات التي تُقرأ بها ! فهي تقرأ بأربع لغات :

الصومالية ،(لغة العيسى) والعفرية (إحدى لغات جمهورية أثيوبيا) والعربية ، ثم الفرنسية ، بل ويمكنك الاستماع إلى الفرنسية من خلال محطة إذاعة خاصة بها أيضا !

من هنا تنبع الدهشة ، والأسئلة : لماذا أربع لغات وليس لغة واحدة ؟ وما هي ظروف نشوء هذا الوضع ؟ وما الجديد بعد نيل الاستقلال ورفع العلم الوطني ؟

في الثامن من ايار «مايو» سنة ١٩٧٧ أجري استفتاء شعبي في جيبوتي جاءت نتيجته بتأييد ٩٨٪ من شعبها البالغ حوالي ربع مليون نسمة انذاك الاستقلال عن فرنسا التي استعمرتها اعتبارا من ١٨٤٢ م

وقد تم إعلان الاستقلال بتاريخ ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٧ م ، وتم رفع العلم الوطني الجيبوتي ، وأصبحت العضو ١٤٨ في منظمة الأمم المتحدة ، والعضو ٤٩ في منظمة الدول الافريقية ، والعضو ٢٢ في جامعة الدول العربية

ونظرا لهذه المساحة المهمة استراتيجيا (تبلغ حوالي ٢٣ ألف كليومتر مربع) التي تقع على الساحل الشرقي الافريقي ، وعلى حافة البحر الأحمر وخليج عدن ، على رأس باب المندب من ناحية الغرب ، أي أنه إذا كان ميناء عدن يقع على الجانب الشرقي من باب المندب ، فإن جيبوتي تقع على الجانب الغربي منه ، لذا فإن موقعها المهم هو الذي لفت نظر القوى الاستعمارية التي التهب الصراع بينها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وخاصة الاستعماريين الانكليزي والفرنسي للسيطرة على المستعمرات ، وعلى محطات الوصول إليها

وهذا الموقع بالذات إضافة إلى عوامل أخرى دفع القوتين المحيطتين بجيبوتي - أثيوبيا والصومال - إلى المطالبة بضمها اليهما

إلا أن نتيجة الاستفتاء في جيبوتي سنة ١٩٧٧ م أوقفت مطالبات الالحاق والضم ، ربما إلى حين !

وقد ترافق إعلان الاستقلال مع توقيع معاهدة بين فرنسا وجيبوتي ، بقي بموجبها حوالي ٤٥٠٠ جندي فرنسي في جيبوتي للحماية ، كما بقي ميناء جيبوتي المهم على صعيد المنطقة كلها مفتوحا امام قطع الأسطول الفرنسي ، وبقيت الشواطيء الجيبوتية الطويلة تحت الحماية الفرنسية أيضا

جاء في كتاب « صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي » لصلاح الدين حافظ الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت سنة ١٩٨٢.

« أما جيبوتي - آخر المستعمرات الفرنسية المستقلة - فهي لاتكاد تشكل دولة بالمعنى المفهوم ،

إنها تفتقر ـ رغم الاستقلال ـ لمقومات الدولة قتصاديا وسياسيا وعسكريا »

صورة مقربة

بحر وصحراء هما ما كنا نراه كلما اقتربنا من المجال الجوي الجيبوتي ، نقترب أكثر وتنخفض الطائرة ، فنرى تلالا وجبالا قليلة الارتفاع ، جرداء ، أو ينبت على بعضها بعض الأشجار القزمة قليلة الأوراق . نقترب أكثر فيظهر امتداد مترب ، وتلمع سطوح « الزينكو » أو الاسبست

إنها جيبوتي ، المدينة الكبرى في الجمهورية ، والعاصمة التي يسكنها ويسكن حولها ما يزيد على نصف عدد السكان (تشير التقديرات الحديثة إلى أن عدد سكان الجمهورية قد وصل إلى حوالي ٤٠٠ ألف نسمة)

ننزل في مطارها المتواضع ، وبعد عشر دقائق فقط نكون في قلب العاصمة ، بعد أن نرى بعض المعالم ، شجر صحراوي يحادي الطريق ، ويتعايش مع شجر نخيل قليل ، وبعض الزراعات المتواضعة ، ثم معسكر على يمين الطريق يحرسه حراس أجانب ، وضواحي الصفيح تحاذي جوانب أخرى من الطريق

درجة حرارة ذلك اليوم وصلت إلى ٣٠ درجة ستيغريد ، مع أن الزمن كان في الشهر الأول من هذا العام ، مع رطوبة مرتفعة

تألف مباني قلب العاصمة بسرعة ، وهي لا ترتفع كثيرا عن طبقات أربع ، بيضاء مقببة ، ويبدو أن الفرنسيين عندما فكروا في بناء مدينة جيبوتي منذ مائة عام (تم تأسيس جيبوتي « العاصمة » سنة ١٨٨٧) لم يجدوا إلا اليمنيين في وجههم ، فبنوا مدينة على الطراز العربي كما تقول بعض المصادر

إلا أن هذه المدينة ذات البيوت الحجرية القليلة ضاعت في بحر من أبنية صفيحية خشبية ، قامت على عجل ، وأحاطت بالمدينة القديمة ، أو أصبحت امتدادا لها . جاء في كتاب « جيبوتي على مفترق الطرق في العالم » للكاتبين البريطانيين (غراهام هانكوك ، وستيفن لويد) الصادر سنة ١٩٨٢



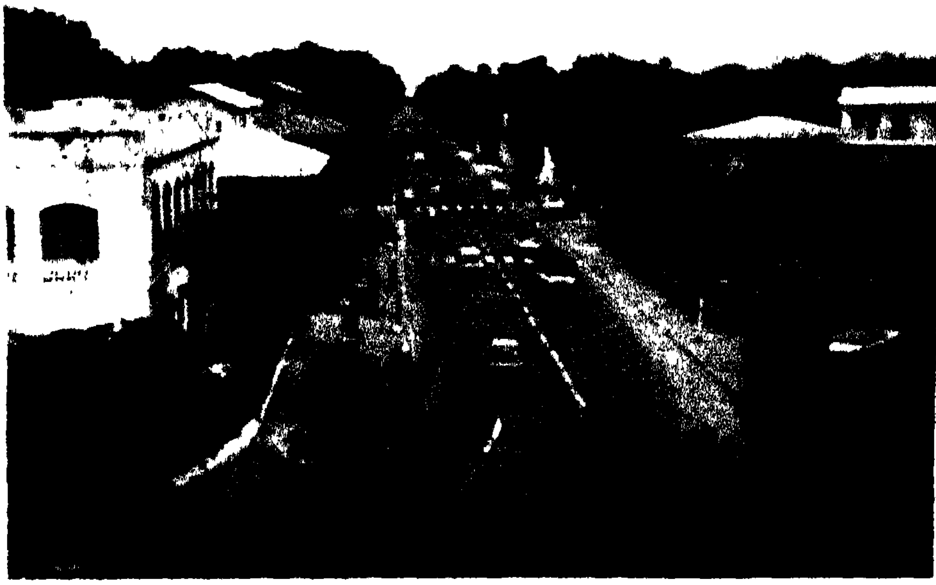
جيبوتي وجيرانها

« وهنالك بالطبع حاجة ملحة لتحسين الأحوال السكنية في مدينة جيبوتي . وقد وردت إشارة في تقرير حكومي إلى أن ما يقرب من ثلثي سكان جيبوتي يعيشون في مساكن رديئة »

وجيبوتي من أكثر المدن ارتفاعا في الأسعار لايرتاد أسواقها الراقية إلا أغلبية من الفرنسيين وقلة من أبناء الطبقة العليا من الجيبوتيين . ومعظم أسواقها الراقية أو المتوسطة الحال مملوكة للعرب اليمنيين الذين إما أنهم أصبحوا مواطنين وحصلوا على الجنسية الجيبوتية منذ زمن بعيد ، أو أنهم من المقيمين الذين مددوا إقاماتهم وأصبحوا شبه مواطنين

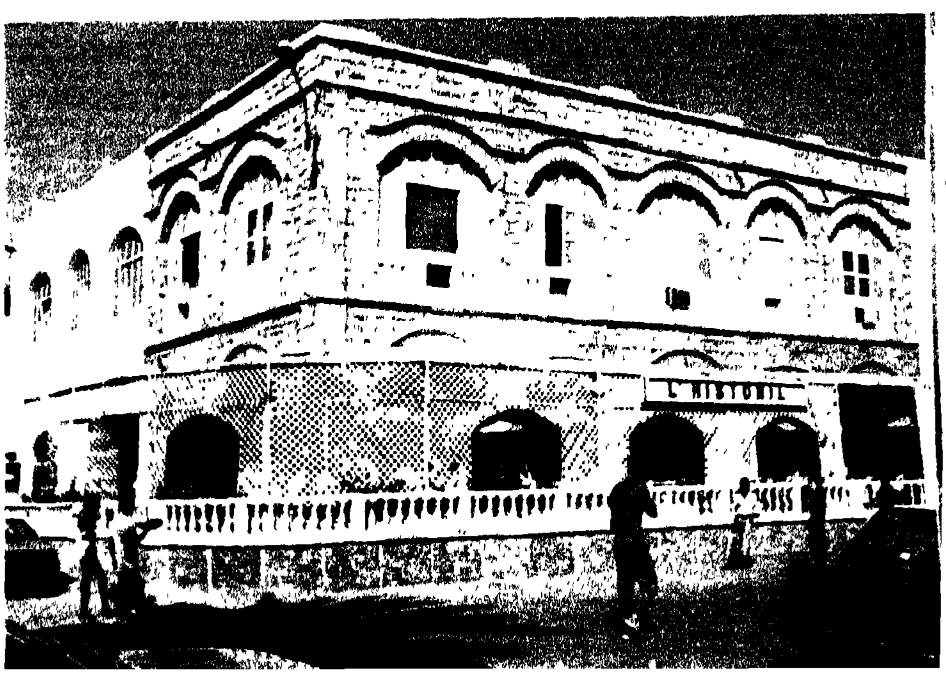
ويبعد الشاطىء الجيبوتي عن شاطىء اليمن الديمقراطية حوالى ساعة بالسفينة . وقد ذكر لنا محافظ مدينة أوبخ أو أوبوك « أنه يمكن رؤية الشاطىء اليمني بالعين المجردة إذا ما كان الطقس صافيا من « رأس سيان » الذي يبعد عن أوبوك حوالي ٦٠ كليو مترا

الطرق الرئيسية في المدينة ممهدة بالقار ، أما الطرق الجانبية فإنها مازالت من تراب ، وبقالات الخضار عامرة بالفواكه والخضار الطازجة التي تصل بواسطة القطار ـ الشريان الرئيسي بين جيبوتي





● السقائف تحتل أحياء راقية ، وأخرى فقيرة في مدينة جيبوتي ، ولا ينفصل بين الحيين الا أمتار قليلة



● يتحلق الناس حول هذا المقهى الذي يرتاده أغلبية فرنسية « حي » و « إلى اليسار » أحد أحياء جيبوتي ، طراز البناء عربي تماما فيه والى اسفل تحته في عرض الخضراوات والفواكه ، وأغلبها مستورد من اثيوبيا





وأثيوبيا ـ وهو شريان أساسي للطرفين ، حيث تنقل بواسطته احتياجات جيبوتي من أثيوبيا ، وتستورد اثيوبيا وتصدر عن طريقه ، ثم عن طريق ميناء جيبوتي كثيرا من احتياجاتها ومتحاتها

الملابس وبعض الكماليات تصل من أوروبا وخاصة من فرنسا ، كما أن بضائع جنوب شرق آسيا متداولة بكثرة فيها ، وهناك نسبة كبيرة من البضائع يتم بيعها من قبل بائعين وبائعات ، بواسطة سلطات بسيطة أو بالتجوال بين الأسواق

عندما اعتلنا سطح إحدى البنايات التي تشرف على ساحة محمود الحربي ـ أحد شهداء المطالبة بالاستقلال ـ في وسط مدينة جيبوتي ، وبدأ زميلي المصور بالتقاط صور لمعالم المدينة ، ظهر مسجدان بارزان بين المعالم ، هما أشهر مسجدين في المدينة ثم ظهر السوق المترب المكتظ بالناس والبضاعة ، ثم ظهر تجمع سيارات نقل الركاب إلى شتى أنحاء الجمهورية

اليمنيون في جيبوتي

وفي غمرة اشتغالنا بالتقاط الصور جاءنا أحد سكان البناية فلم تخف ملامحه السمراء علينا ، كما لم نخف عليه ، كان يمنيا أصله من حضرموت ، لكنه أصبح مواطنا جيبوتيا ، لقد جاء جد جده منذ القديم إلى هنا فعاش وخلف

قال : إننا نخشى المصورين ، فربما التقطوا صورا تضر بمصلحة البلد ، لقد جاء اسرائيليون واستعملوا الصور ضد مصلحة البلاد

ـ طمأناه وأبرزنا له هويتينا ، فانفرجت أساريره ، وانطلق يتحدث عن العلاقات العربية الافريقية ، والهجرات القديمة التي ربما تعود إلى ماقبل الميلاد ، وذكر أن سيماء السكان في الساحل الافريقي لايمكن أن تشي بأنها افريقية خالصة ، إن بها تأثيرات عربية أكيدة وخاصة من عرب اليمن وعمان وغيرهما وأضاف اننا نحن العرب نزيد على عشرين بالمائة من مواطني جيبوتي ، وستجد الكثيرين منا في شتى مجالات الحياة في التجارة والوظائف العامة وغير ذلك

* هل مازلتم تزورون اليمن ؟

ـ إن بعض أفراد عائلتي مازالوا يزورون أقاربهم في اليمن ، وعاداتنا وتقاليدنا في بيوتنا مازالت عربية ثم علق : لاتنس أن جيبوتي التحقت بالجامعة العربية

* وهل القات مازال متداولا بينكم ؟

ـ توقف للحظات ثم أجاب : لاشك أن للقات سيئات ، لكن فيه إيجابيات تجميع أفراد العائلة والمسامرة

* يمكن أن يجتمعوا على أي شيء آخر ؟

ـ هي عادات وتقاليد ، و « التحريز » في جيبوتي مسموح ، والقات يأتي من الحبشة مع الخضراوات والفواكه

* ألا يكفي الفقر والبطالة ، ليضاف إليها خلف آخر في محاربة الجيبوتيين ، أعني القات ؟!

ـ صحيح أن القات يستنزف كثيرا من ميزانية الأسر ، لكن ماذا نفعل بالعادات التي ترسخت منذ زمن طويل ؟

الحارس « كليمنصو »

عندما كانت الطائرة الصغيرة تقلنا من مدينة جيبوتي إلى مدينة أوبوح أو (أو بوك) فان مياه البحر كانت هادئة مستكينة لايظهر فيها إلا بعض خطوط الموج ، ثم ظهرت فجأة سفينة كبيرة ، كأنها تتمختر في بحر لم يظهر فيه إلا هي

قال مرافقنا حلال الجيبوتي ، اليمني الأصل : إنها كليمنصو حاملة الطائرات الفرنسية الشهيرة ، إنها تجوب البحر في دورة تفتيشية معتادة ثم علق : لاتنس أن هناك اتفاقية بين فرنسا وجيبوتي ، يمكن لفرنسا بها استعمال الموانيء الجيبوتية ، وتدريب جيشها وغير ذلك

عندما عدنا إلى مدينة جيبوتي كانت « كليمنصو » وغيرها من قطع حربية بحرية قد سبقتنا بالوصول إلى الميناء ، وبدأ بحارتها بالتدفق على المدينة

كان سيل السيارات الجيبوتية لاينقطع وهو ينقل الجنود الفرنسيين بلباسهم المدني من الميناء إلى أسواق المدينة ومطاعمها وباراتها وملاهيها وأسواقها

وبعض الصبية يتقافزون بينهم لبيع البطاقات أو الفستق السوداني وغير ذلك ، إنهم يصحبون أموالا كثيرة إلى اقتصاد جيبوتي ، لكن هذا الصخ وغيره من أسباب قد جعل الأسعار في المدينة عالية جدا . (دخل الفرد في جيبوتي متدن جدا والبطالة منتشرة بكثرة) ، ويمكن القول بأن السوق الجيبوتي لايعص بالجنود فقط ، بل هناك مئات العائلات الفرنسية التي تؤكد بأن الوجود الفرنسي لايقتصر على النواحي العسكرية فقط

إن عشرات الطلبة والطالبات وغيرهم من المدرسين والموظفين الفرنسيين في شتى مجالات الحياة شاهدناهم يشاركون ويأخذون دورهم في عجلة الحياة الجيبوتية

جاء في تصريح لوزير خارجية جيبوتي السيد مؤمن باهدون فرح قال فيه « لقد قررنا بسبب العلاقات الطيبة بين بلدينا أن نطلب من فرنسا تدريب جيشنا الفتي الناشيء وتريد حكومتنا الابقاء على علاقات التعاون مع فرنسا طالما ظل ذلك من مصلحة دولة جيبوتي الفتية الناشئة ، وقد وقعنا في السابع والعشرين من يونيو سنة ١٩٧٧ على عدد من اتفاقيات التعاون مع فرنسا في ميادين كثيرة ، منها التعليم والجيش وانتداب الموظفين والمدربين بوجه خاص ، ولا حاجة للقول بأن التعاون بيننا وبين فرنسا يمتد إلى كل الميادين »

بوابة التسلل

سألت مرافقنا جلال ألم تزل بوابة واسلاك مدينة جيبوتى موجودة ؟

أجاب لقد أزالتها السلطات الرسمية منذ سنوات

علقت لكنى مازلت أرى الكثيرين من الأفراد يشكون البطالة والتسكع ، وبعضهم ينام على جوانب الطرق حيثما وجد ظلا أو مساحة فارغة

وأرى بعضهم مقبوضا عليه من قبل رجال الشرطة ويساق إلى سياراتها

أجاب جلال على الرغم من وجود البوابة والاسلاك من قبل لمنع تسلل أبناء الريف أو غير الجيبوتيين إلى داخل المدينة فإن المتسللين كانوا ينجحون بالتسلل ويتكاثرون في المدينة ، فهل تتوقع الآن بعد أن أزيلت البوابة أن لاينجح المتسللون في الوصول إلى قلب العاصمة ؟

ومع ذلك فإن الشرطة كما ترى جادة في محاربة الآفات ومنها وجود عناصر عربية أو غير جيبوتية دخلت تسللا إلى المدينة (تفيد الاحصاءات الرسمية إلى أن ثلاثة أرباع سكان جمهورية جيبوتي يعيشون في المدن الآن ، وأن نسبة الزيادة في المدن تصل إلى ٧,٥ في المائة سنويا ، في حين أن نسبة النمو العام للسكان في الجمهورية يصل إلى ٢.٧ في المائة ، وهذا أكبر دليل على أن الزيادة السكانية في المدن هي زيادة اصطناعية غير عادية ، تقوم على الهجرة من الريف ، أو التسلل من بلدان أخرى)

* فما هي البلدان التي يتم التسلل منها ؟

ـ من خلال مشاهداتنا الصباحية اليومية التي كنا نلاحظها أثناء نقل المقبوض عليهم من الأسواق إلى سيارات الشرطة لاحظنا أنهم لايفترقون في كثير أو قليل عن أفراد آخرين من المواطنين أنفسهم ، فكيف يمكن معرفة هذا من ذلك ؟

ـ السيد علوان علوان العامل في القسم الثقافي « بالتلفزيون » قال لنا إن اثيوبيا تحيط بجيبوتي من الشمال والغرب والجنوب العربي ، في حين أن الصومال يحدها من الجنوب الشرقي ، وكلا البلدين له روابط تاريخية طويلة مع جيبوتي ، وبعض القبائل في هذين البلدين لها امتدادات في جيبوتي

إن السؤال عن الهوية ربما يحدد صفة معينة ، لكنه لايحدد الانتماء الحقيقي لهذا البلد أو ذاك ، إن العفريين يعيشون في جيبوتي وفي اثيوبيا ، كما أن العيسى يعيشون في الصومال وجيبوتي ، وهم إخوة وأبناء عمومة ، فجاءت الحدود السياسية الحديثة لتفرق هذا عن ذاك ، ولاتنس أن الصومال كان يعتبر جيبوتي جزءاً منه ، واثيوبيا تعتبرها كذلك

جاء في كتاب « صراع القوى العظمى حول القرن الافريقى » لصلاح الدين حافظ عن سكان جيبوتي مايلي :





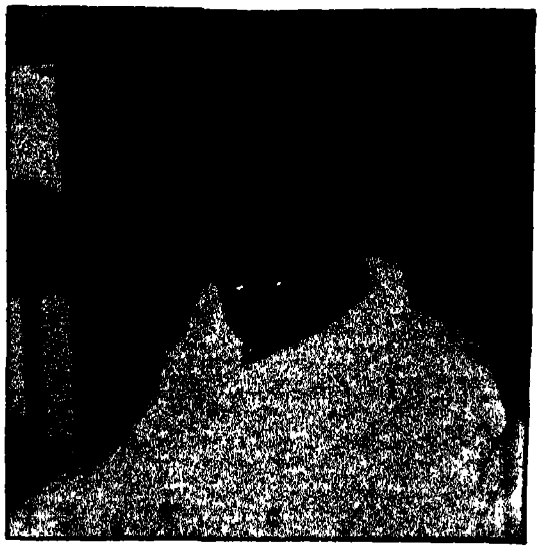








● على الرغم من تواضع مباني بعض المدارس فإن إقبال شباب جيبوتي وابنائها كبير على العلم والتعليم، مع ان معظم المواد ما زالت تدرس بالفرنسية



وزير التربية سليمان فرح لودون



الامينه العامة لاتحاد نساء جيبوتي

« العفر وتضم قبيلتين هما « الاسايمرة » و « الادوبامرة » ، ويشكلون ٤٠٪ من السكان ، ويضيف « يعود أصل العفر تاريخيا إلى الهجرات السامية العربية الأولى التي خرجت من الجزيرة العربية واتجهت إلى الساحل الشرقي لأفريقيا ، وقد اختلطت هذه الهجرات السامية مع العناصر المحلية وهي حامية ، ونتج عن هذا المزيج البشري قبائل العفر الحالية الذين يسمون عادة « الدناكل » ، المنتشرون في القرن الافريقي بصفة عامة ، والذين يرتبطون عاطفيا بقبائل كثيرة في اثيوبيا »

وتصديقا لكلام الكاتب فإن السيد علوان وهو عفري ويتكلم العربية بطلاقة ذكر لنا أن معظم « العفر » يعتبرون اللغة العربية لغتهم الثانية ، وهم يتكلمونها ويفهمونها بشكل جديد ، كما أن ملامحهم فيها تأثيرات عربية واضحة ، ثم يضيف الكاتب « العيسى وتضم ٤ قبائل هي العيسى ، الدرادو ، الابساك،الفارابوس ، وهم يشكلون ٦٠٪ من السكان ، ويرتبطون بشريا وتاريخيا بالقبائل الصومالية »

ويبدو أن المؤلف نسي ذكر نسبة العرب بين السكان ، إذ أن جميع المصادر تشير إلى أن نسبتهم تزيد على ٢٠٪ من السكان

بين أثيوبيا والصومال

ويذكر السيد صلاح الدين حافظ في كتابه معلومات تتعلق بالصراع الاثيوبي الصومالي حول جيبوتي ، جاء فيها

« منذ أن أعلنت فرنسا اتجاهها لتصفية مستعمرتها في جيبوتي اشتعل الصراع السياسي بين الصومال وأثيوبيا ، كل منهما يدعي أحقيته المطلقة في جيبوتي ، وهو صراع تاريخي قديم ، إذ إن الصومال تعتبر جيبوتي وخليج تاجورا الذي تطل عليه جزءاً أساسيا من الوطن الصومالي بأقاليمه الخمسة ، وجيبوتي هي ذلك الاقليم الخامس الذي يجب أن يعود إلى الوطن الأم والصومال يستند في ذلك إلى أسس حضارية ودينية وتاريخية وعرقية قومية أيضا ، فالتاريخ يقول إن كل الساحل الصومالي ـ بما فيه جيبوتي وأوجادين ـ جزء أساسي من الامتداد الجغرافي الطبيعي للصومال ، والقبائل التي تسكنه هي أيضا امتداد « عرقي » وبشري للقبائل الصومالية القديمة ، واللغة واللهجات متقاربة مترابطة كذلك

ويضيف الكاتب بينما الحبشة تصر من ناحيتها على أحقيتها في ضم جيبوتي إليها ، زاعمة أنها امتداد جغرافي وبشري لها ، وأن الامبراطورية ـ الحبشية ـ مارست نفوذها على هذا الساحل منذ أقدم العصور ،

وخاصة منذ توسع الامبراطورية وتمددها الجغرافي على يد الامبراطور منليك ١٨٨١ ـ ١٩١٣ مؤسس أثيوبيا الحديثة

ويذكر المؤلف بعدا دوليا للصراع فيقول

« ولم يكن الصراع على جيبوتي صراعا محليا فحسب بين الصومال واثيوبيا ، بل كان صراعا دوليا بين القوتين العظميين الأساسيتين في القرن التاسع عشر ، وأعني بريطانيا وفرنسا ، وقد كان لفرنسا قصب السبق في استعمار جيبوتي والسيطرة على خليج تاجورا من خلال مجموعة من الاتفاقيات التي عقدتها مع سلاطين المنطقة وشيوخها في أعوام (١٨٦٢ ، ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ، ١٨٩٦ م) .

مشكلة اللغة

* ذكرنا أن جيبوتي قد انضمت إلى جامعة الدول العربية ، وأصبح رقمها ٢٢ بين دولها ، كما ذكرنا بأن الدولة تواجه مشكلة بالنسبة للغة ، إلى درجة استعمال اربع لغات في نشرات الأخبار ، فكيف تتوجه جيبوتي لترسيخ هويتها المعلنة ـ العربية ـ مع أن واقعها يسوده الاختلاط والتورع ؟

ـ قال لنا السيد سليمان فرح لودون وزير التربية الوطنية لاشك أن مشكلة اللغة هي مشكلة حقيقية كبيرة في جيبوتي ، إنها مشكلة في كل بيت ، إن إخوتي الذين نشأوا في قريتنا يتكلمون العربية ويفهمونها لكنني أنا لا أكتبها ، وأفهمها قليلا ، وكان بودي أن يتم الحديث بيني وبينكم بالعربية مباشرة ، وأن يكون حالي كحال مدير مكتبي ـ عبدالرحمن حسن الذي درس بالقاهرة وتولى الترجمة بيننا وبين وزير التربية ـ أما بالنسبة لابني فإن المشكلة بالنسبة له آخذة في التقلص ، إنه يتعلم العربية في مدارس الحكومة ، صحيح أن العربية لم تصبح اللغة الأولى في المدارس ، لكنها ستصبح في يوم ما ، وبالتدريج وبمساعدات الأشقاء العرب يمكن معالجة مشكلة اللغة العربية في جيبوتي ، وجعلها لغة أساسية في البلاد »

قبل أن نمضي في حديثنا المتشعب عن التعليم وواقع حال اللغة العربية في جيبوتي فإنه يجدر بنا القاء الأضواء على واقع هذه اللغة قبل دخول الاستعمار الفرنسي للبلاد وبعده

الخلوة أو « الدكس »

لقد نقل العرب المسلمون ماكان سائدا عندهم في نواحي التعليم إلى غيرهم من شعوب ، وكان دور الشيخ أو « الملا » والتعليم القرآني الذي يتولاه من الأدوار المهمة في هذا المجال ، وهو مازال سائدا في بعض القرى والنواحي الريفية ، ويطلق على المكان الذي يلتقي فيه الشيخ بتلاميذه « الخلوة » في بعض المناطق العربية خصوصا الأفريقية منها ، لكن هذا المكان يسمى « الدكس » باللغة الصومالية ـ كانت تكتب لغتها بالحروف العربية ، لكنها اعتمدت على الحروف اللاتينية بعد الاستقلال ـ ومعنى « الدكس » كما جاء في بحث الدكتور سيد حامد حريز المنشور في مجلة « البحوث والدراسات العربية » الصادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ العدد الحادي عشر ١٩٨٤ تحت اسم « المؤثرات العربية في شرق افريقيا » هو « المكان المحاط بسور » فما الذي سجله الدكتور سيد حريز عن التعليم في « الدكس » ؟

« العلم » يعني العلوم الدينية وما يرتبط بها من فقه وصرف وتفسير الخ ، وعلى الرغم من أن الطابع الاسلامي قد هيمن على التعليم في شرق أفريقيا إلا أن العرب هم الذين نشروا هذا التعليم ، واللغة العربية كانت وسيلته الرئيسية ، وقد كان لهذا الأمر نتائج إيجابية وأخرى سلبية

ـ أهم النتائج الايجابية إزالة الأمية وربط المجموعات الافريقية المختلفة بعضها ببعض ، ومهد الطريق لارتباط هذه المجموعات بالوطن العربي والعالم الاسلامي

ـ أما عن سلبيات ارتباط التعليم بالطريقة السالفة الذكر في شرق افريقيا فهي أن المسلم قد أصبح يتقبل هذا التعليم برضا وامتنان ، ويرفض كل ماسواه ، فلقد وقر في أذهان العامة وبعض الخاصة أن العلم هو العلوم الدينية ومايرتبط بها وكان من نتائج هذه النظرة

التقوقع داخل هذا الاطار ومقاطعة التعليم العربي الذي عرف طريقه إلى تلك المنطقة في عهد الاستعمار ، واعتبروا المدارس الجديدة التي فتحت في ظل هذا النظام الجديد كأنها امتداد للمدارس التبشيرية المسيحية

التعليم بعد الاستقلال

المهم أن التعليم الحديث زمن الاستعمار تجمد وبقي على صورته القديمة ، إلا في حالات نادرة ، إما بفعل مقاومة الجيبوتيين وربطهم للتعليم بالتبشير ، وإما لأن المستعمر نفسه لم يرغب في إدخال التعليم الحديث إلى البلاد التي استعمرها ، أو على الأصح لم يتوسع في ذلك ، خوفا من مترتبات ذلك كالوعي الذي يمكن أن يزرعه التعليم آجلا أم عاجلا

يقول وزير التربية الوطنية الجيبوتي سليمان فرح لودون

كان عدد الطلاب في مدارس الحكومة الجيبوتية سنة ١٩٧٦ ٨.٥٠٠ طالب وطالبة في المدارس الابتدائية و ٢٠٠٠ طالب وطالبة في المدارس الاعدادية والثانوية والفنية ، بعضهم كان من الطلبة الأوربيين . وكان يوجد ثلاثة أطباء جيبوتيين ومهندسان وثلاثة أساتذة وطبيين فقط !

* والآن ما عدد الطلبة بعد مرور عشر سنوات على الاستقلال ؟ هكذا سألنا السيد وزير التربية فأجاب

* تضم مدارس الحكومة - توجد مدارس غير حكومية - (٢٦.١٣٥) ألف طالب وطالبة للسنة الدراسية ٨٧ - ٨٨ في المدارس الابتدائية ، وفي مرحلة التعليم الاعدادي والثانوي (٦ سنوات ابتدائي ؛ ٤ إعدادي ؛ ٣ سنوات ثانوي) ، يوجد في المدارس الحكومية ٦٣٢٣ طالبا وطالبة (التعليم مشترك بين الفتيان والفتيات نظرا لشحة الموارد كما ذكر الوزير . وذكر أيضا بأن الدراسة مجانية ، توفرها الدولة لجميع من يرغب فيها) أما المدرسة المهنية الوحيدة في جيبوتي فإنها تحتوي على ١١٣٢ طالبا وطالبة . وعلي أن أشير أنه يوجد الآن ٣٨٠ مدرسا جيبوتيا متخرجا في معهد المعلمين في المدارس الابتدائية ، و ١٠٩ متخرجين في الجامعة ويتبين من هذا أن نقلة كبيرة حدثت في التعليم ، ونأمل المزيد من ذلك ، كما نأمل من إخواننا في الوطن العربي المساعدة في هذا الأمر وخاصة أننا أدخلنا اللغة العربية لغة أساسية ثانية في المدارس

* كم عدد ساعات اللغة العربية التي يتعلمها الطلبة في المدارس ، وماهي جنسيات المدرسين الذين يدرسونها ؟

- لقد أصدرت حكومتنا قانونا ينص على تعليم اللغة العربية في جميع المدارس الحكومية الجيبوتية ، وحددها القانون بست ساعات في الأسبوع ، إلا أنه نظرا للنقص في المدرسين فإننا اضطررنا لتخصيص ٤ ساعات دراسية اسبوعيا في المدارس الابتدائية ، و ٥ ساعات في المدارس الاعدادية والثانوية ، إننا نبذل قصارى جهودنا في هذا المجال ، ومع أن بعض إخواننا نصحونا بتعريب كل مواد التعليم والادارات دفعة واحدة إلا أننا وجدنا أن الأمر صعب ، لذلك فإننا نسير بخطا تدريجية لتحقيق هذا الأمر ، ونأمل أن يساعدنا إخواننا العرب في هذا المجال ، وإذا ماكان طموحنا لايصل إلى إنشاء جامعة في الفترة القريبة فإن مانحتاجه هو وجود معاهد فنية أو أكاديمية في مرحلة وسطى بين الثانوية والجامعة

أجوبة عن سؤال صعب !

وفي بحثنا عن أجوبة لسؤال يتعلق باللغة العربية في جيبوتي ومستقبلها وخاصة أن الطالب « العفري » أو « العيسوي » سيخرج من درس اللغة العربية ليتكلم مع زملائه وأهله وأقرانه بلغته أو باللغة الفرنسية ، إذ ان ما تواجهه اللغة العربية في جيبوتي يختلف عما واجهته على سبيل المثال في الجزائر ، فالطالب هناك كان يتعلم بالفرنسية في مدرسته ، لكنه كان يخرج ليتكلم مع أقرانه وأهله وناس حيه بلهجته الجزائرية العربية ، بعكس الطالب هنا في جيبوتي الذي يعيش وضعا مختلفا معكوسا ، مع فارق التشبيه ، فما الذي قاله المسؤولون عن المدارس العربية في جيبوتي ؟

- السيد علوان عبدالرحمن بن يحيى مدير مدرسة





● قصة شعبية يؤديها طلبة الكلية المهنية في مدينة جيبوتي «اسفل» مجموعة من الفتيات تدرس على درس الطباعة في الكلية المهنية

النجاح الإسلامية قال لنا لقد تأسست المدرسة سنة ١٩٣٥م ، وكان من مؤسسيها السيد/ على كبيش وأصله من الجمهورية العربية اليمنية ، ومجموعة أخرى من العرب في جيبوتي ، واستمر السيد/ كبيش وغيره من التجار العرب يصرفون على المدرسة حتى الآن ، وكان منطلق الفكرة هو الغيرة على اللغة العربية ، والغيرة على الأجيال العربية في جيبوتي ، وكانت المدرسة مكونة من أربعة فصول ، أصبح فيها ستة فصول في بداية السبعينيات

التعليم في المدرسة كان يتم بالعربية منذ أن أنشئت ، ويتم تدريس ٦ حصص في الأسبوع للغة الفرنسية وعدد الطلبة في المدرسة حوالي ٣٠٠ طالب ، في حين أن الطالبات يدرسن في الفترة المسائية ويصل عددهن إلى ٧٠ طالبة ومدة الدراسة ٦ سنوات فقط

* كيف تنظر إلى مستقبل اللغة العربية في جيبوتي ؟

- إن وجود المدارس العربية ، ووجود العرب فيها ، وتدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية حديثا يساعد على نشر اللغة العربية في البلاد ، وأرى أن الأمر يحتاج إلى صبر وإلى خطوات تدريجية في هذا المجال ، ويحتاج إلى مساعدة مستمرة من قبل الأقطار العربية

إن المشكلة هنا تختلف عما كان سائدا في الجزائر ، وقد يفهم العربية أكثر من ٥٠٪ من الشعب في جيبوتي ، مع ذلك فإن توسيع نشر العربية يحتاج إلى جهود وصبر وخطوات تدريجية

- الأستاذ عماد عبدالصاحب مدير المدرسة العراقية في جيبوتي علق قائلا

لقد تم إنشاء المدرسة العراقية مع الأيام الأولى للاستقلال سنة ١٩٧٧ ، وهي مدرسة ابتدائية وإعدادية ، وعدد الطلاب والطالبات فيها الآن يصل إلى ١٢٠٠ ، يدرسون على فترتين صباحية ومسائية ، بمعدل خمس حصص في اليوم لكل فترة ، وفيها ٢٠ فصلا دراسيا ، ويستوعب الفصل حوالي ٥٠ طالباً ، والمدرسة معترف بها من قبل الحكومة ، ومن قبل الجامعة العربية ، ويدرس فيها ١٥ مدرسا عراقيا ، بينهم مدرس جيبوتي واحد يدرس الفرنسية ، والتعليم في المدرسة مجاني ، وتوزع الكتب والكراريس بصورة مجانية أيضا ، وندرس الفرنسية والانكليزية كلغتين أجنبيتين ، وكل لغة يتراوح تدريسها بين ٦,٤ ساعات في الأسبوع ، ويتم تدريس المواد الباقية باللغة العربية منذ دخول الطلاب للمدرسة

* هل يمكن حل مشكلة اللغة العربية في بيئات لاتتكلمها في البيت والسوق وغيرها ؟

- قد تسهم المدارس العربية في حل هذه المشكلة ، لكنها لايمكن أن تحلها وحدها ، إن هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل ، وإلى تضافر جهود عدة جهات ، وتوفير عدة وسائل وطرق

أما السيد خالد ابراهيم السويلم ، الملحق الديني في سفارة المملكة العربية السعودية في جيبوتي فإنه قد ذكر لنا بعض المعلومات المتعلقة بالمعهد الاسلامي السعودي في جيبوتي ، وهو تابع لجامعة محمد بن سعود الاسلامية في المملكة ، فقال .

- لقد تم افتتاح المعهد سنة ١٩٨١ ، وهو واحد من خمسة معاهد لتعليم العربية لغير الناطقين بها ، وهي موجودة في موريتانيا ، واندونيسيا ، واليابان ، ورأس الخيمة ، والخامس في جيبوتي ، ويحتوي المعهد على ٤٠٠ طالب من الذكور فقط ، ويتم التعليم فيه لمواد الدين والاجتماع واللغة العربية والجغرافيا وغيرها ، لكن لايتم تعليم الكيمياء أو الفيزياء على سبيل المثال ، وكل المواد يتم تدريسها بالعربية ماعدا الفرنسية التي يخصص لها ٤ ساعات في الأسبوع ، وتبدأ الفصول اعتبارا من الأول متوسط إلى الثالث ثانوي .

* كيف يمكن نشر اللغة العربية في مجتمع لايتحدث أغلبه بها إلا في القضايا الدينية ؟

- إن الأمر يحتاج إلى وقت وإلى جهود وأموال ، إن الشعب في جيبوتي متشوق إلى تعلم العربية ، لغة القرآن الكريم وعلى الجهود الخيرة أن تتكاتف للتوسع في نشر هذه اللغة وتوطيد أركانها .

هذا ، ويمكن الاشارة إلى وجود عدة مؤسسات

اصة أو مشتركة يتم تدريس العربية والمواد الدينية
بها للطلبة والطالبات ، كالاتحاد الوطني لنساء
يبوتي ، وإدارة رعاية الطفولة ، ومعهد تدريب
شباب الوطني المهني

وقد التقينا بالسيدة سعيدة حسن الأمينة العامة
لاتحاد الوطني لنساء جيبوتي ، والسيدة خديجة جامع
ئيسة اللجنة الثقافية في الاتحاد ، والسيدة زينب
حيت مسؤولة الشؤون الادارية للشؤون العربية في
لاتحاد ، وقمنا بزيارة فرعي الاتحاد في مدينة
جيبوتي ، وتابعنا بعض نشاطات الاتحاد ، مثل
فصول تعليم النساء في فرع الاتحاد الكائن بالقرب
من سوق المدينة الرئيسي ، والمشاغل الكائنة في فرع
الاتحاد القائم خارج المدينة

عن نشاطات الاتحاد ودوره ذكرت لنا السيدات
سعيدة ، وخديجة ، وزينب المعلومات التالية :

كان للاتحاد دوره زمن الاستعمار الفرنسي ،
اعتبارا من سنة ١٩٥٦ ، بل لعب دورا سياسيا
كفاحيا أيضا ، وطالب بالاستقلال والحرية كغيره من
التنظيمات والمؤسسات

وقد تم الإعلان رسميا عن قيام الاتحاد في ٣٠
نيسان ابريل سنة ١٩٧٧ ، أي مع الأيام الأولى
للاستقلال ، وإذا كان دوره قبل الاستقلال قد
انصب أساسا على المطالبة بالحرية والاستقلال فإنه
اتجه الآن ليؤدي دوره في محاربة الجهل والتخلف ،
لذلك فقد أنشأ فصولا لمحو الأمية باللغة العربية ،
اعتبارا من سنة ١٩٧٧ ، ثم وضع خطة موسعة
لتعليم العربية وأصول الدين اعتبارا من سنة
١٩٨٠ ، وافتتح فصولا منتظمة لذلك تعطي دروسا
من الصف الأول ابتدائي حتى نهاية المرحلة
الاعدادية ، واستعان ببعض المدرسات المصريات ،
كما أسهمت بعض المدرسات الجيبوتيات في هذا
الجهد

ثروة كالنفط

قيل لنا إن الطبيعة في جيبوتي تحتوي على ثروة
باطنية تماثل النفط في الأهمية ، فحسبنا أن ذلك ربما
يعود إلى وجود بعض المعادن النادرة ، إلا أننا اكتشفنا
أن هذه الثروة ماهي إلا مياه حارة !

* فهل الأمر مهم إلى درجة وجود مشروعات حقيقية
لاستغلال هذه الثروة ؟

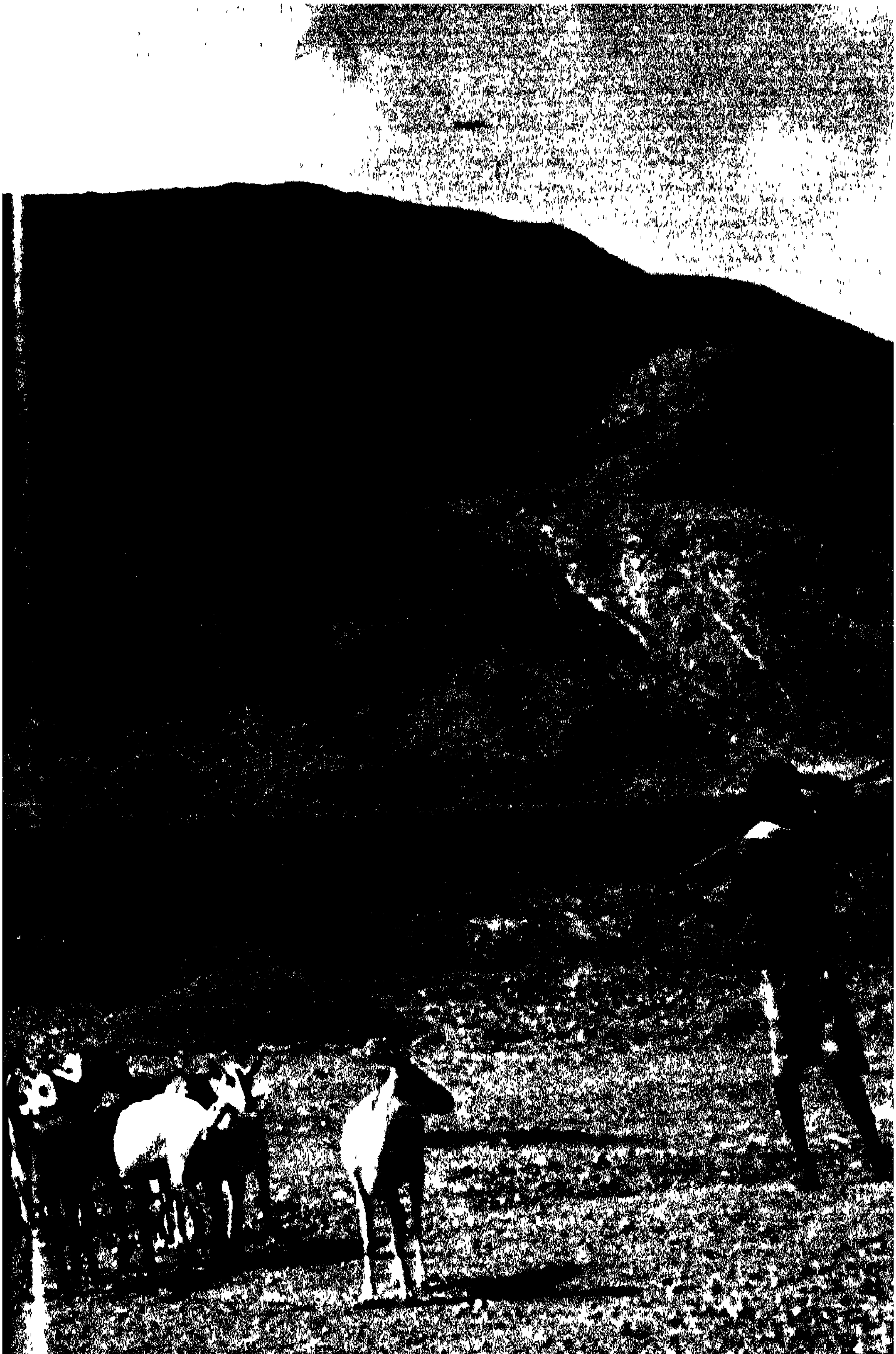
في صبيحة يوم باكر من أيام الأسبوع الأخير من
شهر كانون الثاني (يناير) انطلقت بنا سيارة من نوع
« الجيب » من المعهد العالي للبحوث العلمية في
إحدى ضواحي مدينة جيبوتي واتجهت بنا نحو
الغرب

وعندما ركبنا « الجيب » أدركت أن رحلتنا
ستكون شاقة إلى حد ما ، وإلا كنا بقينا في السيارات
العادية ، أخذت سيارة « الجيب » تنهب الطريق
نهبا ، وكانت الصور تتوالى ، أشجار نخيل على
الجهة اليسرى من الطريق ، وأصوات مضخات المياه
التي تضخ الماء من الآبار مسموعة بوضوح ، وبعض
الزراعات المحدودة ظهرت تحت أشجار النخيل ،
كالخضراوات وغيرها ، وناعورتان تتقابلان خلف
أسوار بعض المزارع (يمثل قطاع الخدمات حوالي
٨٠٪ من الدخل القومي ، في حين أن الزراعة
والرعي وتربية الحيوانات وصيد الأسماك مع
الصناعة تمثل ١٠ ٪ من الدخل القومي)

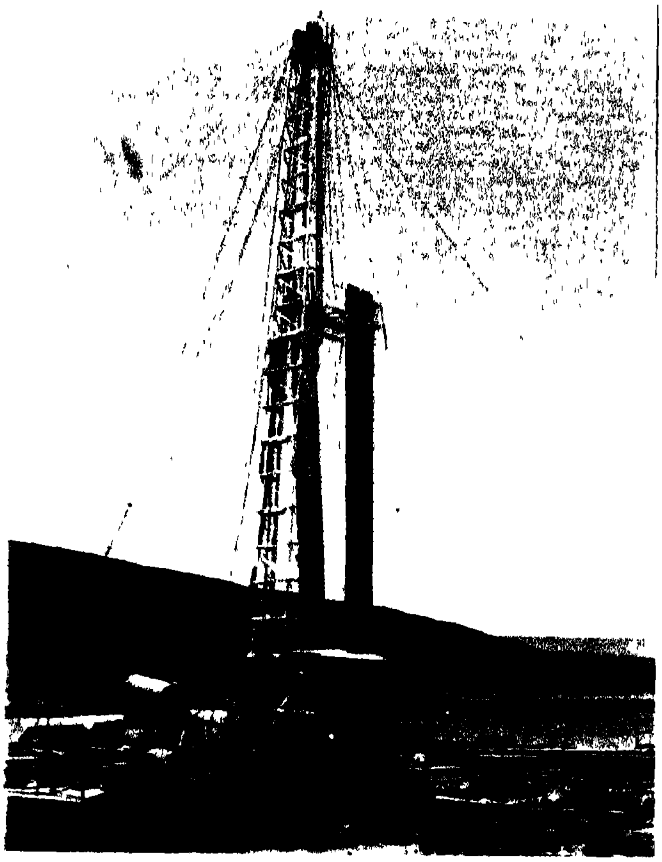
على يمين الطريق يظهر مصنع الحليب والألبان
الوحيد في جيبوتي واضحا وقد أنشيء بمساعدة
الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية سنة
١٩٨٢ ثم يتوالى نهب الطريق فتظهر أحياء
الصميح واضحة على يمين الطريق ، إن مدى البصر
لايدرك نهاية لها ، وربما يحتاج للصعود إلى مكان عال
حتى يحدد أفق نهايتها

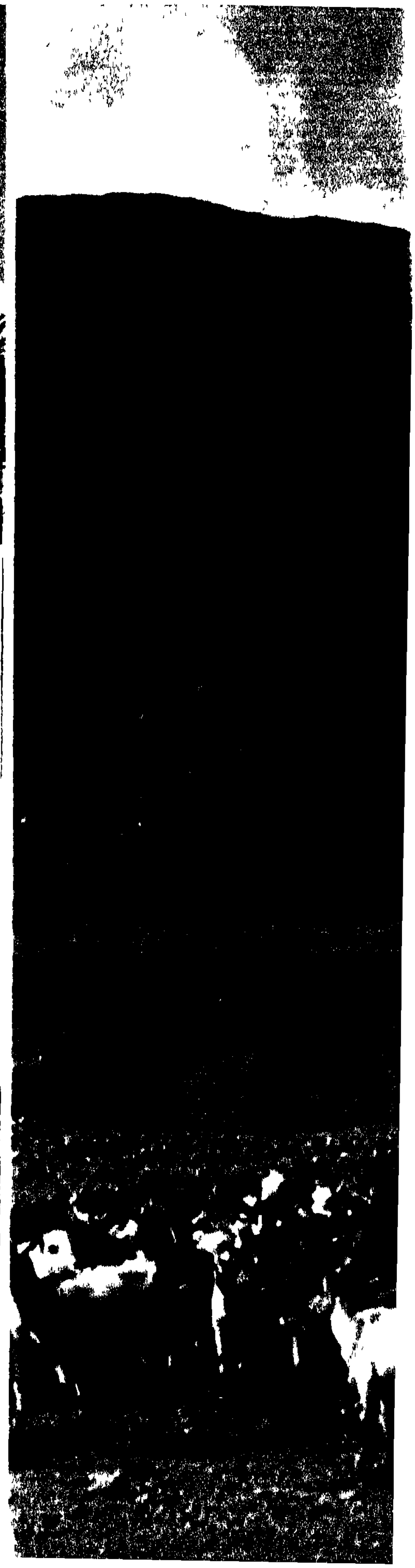
الطبيعة الجرداء بدأت تتضح تدريجيا ونحن نغادر
« مدينة الصفيح » ، وعلى يمين الطريق ظهرت بعض
المباني المدهونة بلون أصفر ، فجاء التعليق أنها بعض
البيوت التي بنيت بتمويل من الكويت والإمارات
العربية المتحدة، وبعد ذلك مساحة من طبيعة جرداء
تبرز خلالها التلال والصخور والنباتات القزمة
القليلة .

مازالت الطريق جيدة وممهدة تسير فيها السيارات
على خطي الذهاب والإياب .









● تمثل الرعي مهنة الكثير من سكان جنوبي
لاحظ نحافة القطيع وعدم سمنه ومساحة
الأراضي الزراعية محدودة في جمهورية جنوبي ، وهذه
إحدى مزارع سد الحجل ، مع ناعورة بالقرب من
العاصمة « الى اعلى » حفارات تبحث عن مياه
ساحبه . والسابح الخالية حتى الان « الى اسفل »

يوالي رفيقا رحلتنا عبده محمد المهندس المسؤول عن مشروع المياه الجوفية الذي قام بسياقة « الجيب » ، والمهندس حلال محمد الدين محمد (باكستاني الأصل حيبوتي الجنسية) ترويدنا بالمعلومات ، والإجابة عن أسئلتنا النابعة من مشاهداتنا

وتأخذ الطريق بالارتفاع تدريجيا ، ثم تمر من قلب قرية « ويعي » التي تبعد عن العاصمة ٣٥ كيلومترا ، وترتفع عن سطح البحر حوالي ٤٠٠ متر ، ثم يظهر على يسار الطريق أحد المعسكرات ، جنود بيض السحنة على بابه ، ربما كان معسكرا فرنسيا ، ثم إشارة إلى بلدة (عرتا) على يمين الطريق ، وترتفع ٧١٠ أمتار عن سطح البحر

وتتوالى المشاهد تباعا، قطيع من الجمال مع رعاته ، وقطيع آخر من الماعز مع راعيه ، ثم صهاريج تخرج من طريق فرعي على اليمين ، قال المهندس عبده الحيبوتي الأصل لقد حفرنا بئرا فظهرت المياه العذبة في هذه المنطقة ، وتتجه الصهاريج لتزويد العاملين في مشروعات المياه الجوفية بهذا الماء

طريق الوحدة

أصبح الطريق أكثر ليونة وتمهيدا واتساعا حتى صوت إطارات السيارة احتلف ، وأصبح أكثر رقة ونعومة ، فعلق المهندس عبده إنه طريق الوحدة

* سألت ماهي دلالة الوحدة هنا ؟

ـ بما أن الطريق تربط شمال البلاد بجنوبها لذلك فإنه أطلق عليها اسم الوحدة ، وهي عندما تصل أوبوك فإنها ستبلغ حوالي ٢٠٠ كيلو متر ، والعمل جار فيها الآن ، وقد تجاوز ما أنجز منها على ١٠٠ كيلومتر ، وتمر بالقرب من بحيرة عسل التي تجاورها المناطق التي تم اكتشاف المياه الجوفية الحارة فيها ، وقد مولت إنجاز الطريق المملكة العربية السعودية ، وتنفذها شركة يوغسلافية

خفف السائق المهندس سرعته ، فقد برزت بعض الآلات والعمال الذين مازالوا يعملون في الطريق التي أخذت تحف بها التلال من الجانبين

وزرقة البحر أخذت تظهر من بعيد على يمين الطريق ، أوقف المهندس السائق السيارة وعلق تعالوا ، انظروا ، إنه منظر خلاب

تقافزنا بين الصخور المسننة ووقفنا ننظر إلى عناق البحر باليابسة ، قال المهندس حلال إنه خليج تاجورا ، لاحظ التلة المتقدمة في البحر عند رأس الخليج ، إن اسمها هو قبة الحراب ، وقد حدث بركان سنة ١٩٧٨ أطلق عليه اسم اردوكوبا . واستمر نشطا مدة ثلاثة أيام

أعلن المهندسان المرافقان بأن المهندس أنيس عبدالله الحيبوتي اليمني الأصل ، مدير المعهد العالي للبحوث العلمية والتقنية ينتظرنا قرب آبار المياه الحارة ، فدخلنا في طريق متعرجة بين التلال ، ثم واجهتنا آلات الحفر وبعض المواسير الكبيرة

آبار وبحيرة اسمها عسل !

قال المهندس أنيس لقد اكتشف الفرنسيون مياها حارة في بئر عسل رقم (١) سنة ١٩٧٥ ، لكنهم لم يحفروا عميقا ـ ١٠ أمتار فقط ـ وبقيت البئر دون استغلال ، وقد حفرنا بالقرب من هذه البئر بئرا أخرى بعمق يصل حوالي ١٥٠ مترا ، وتوصلنا إلى نتيجة إيجابية مرضية تماما ، ثم حفرنا بئر عسل (٢)

على بعد حوالي كيلومترين من البئر الاولى فتوصلنا إلى وجود حرارة قوية دون ماء ، وتصل درجة الحرارة في هذا البئر إلى حوالي ٣٠٠ درجة سنتيجريد ، ويمكن تحويل هذه الحرارة إلى طاقة بكل سهولة

* وغير ذلك ؟

ـ مازال الحفر مستمرا في آبار أخرى ، ومن المنتظر حصولنا على نتائج الحفر في البئر رقم ٥ خلال أسابيع قليلة ، ويقوم خبير من الأمم المتحدة هذا اليوم (٢٩/ ١/ ١٩٨٨) ليتابع نتائج الحفر ، إن تكلفة مشروع حفر الآبار تبلغ ٣٥ مليون دولار ، أسهمت عدة جهات بتمويلها منها الأمم المتحدة والصندوق العربي للمساعدات الاقتصادية ومنظمة الأوبك وغيرها

* وهـل من المنتظر أن تعـطي الطاقـة المكتشفة من الآبار احتياجات جيبوتي ؟

ـ ستغطيها وتريد كثيرا مما يوفر دخلا ماسا للبلاد

غادرنا موقع الآبار ، وتوجهنا بسيارة « الجيب » نحو التلال الصحراوية السوداء المدببة من خلال طريق مليئة بالحمر والصخور ، فعلق المهندس عبده إن الطريق الموصلة لبحيرة عسل لم تمهد بعد. ثم بدأنا نتجه إلى تلة تشرف على البحيرة ، وقد أخذت الشمس تلسعنا بسياطها الحارة ، بينما السيارة

ترتقي تلة عالية ، وفجأة ظهرت لنا البحيرة من الجهة اليسرى ، كما ظهر خليج تاجورا وقبة الخراب على الجهة اليمنى ، وارتقينا صخرة عالية ، وكان المنظر جميلا ، لاسيما أن نسمة رقيقة كانت تهب على الرغم من حرارة سياط الشمس

وقد ذكر المهندس عبده أن بحيرة عسل تبعد حوالي ١١٠ كيلومترات عن مدينة جيبوتي ، وحوالي ١٥ كيلومترا عن قبة الخراب ، ومساحتها حوالي ٦٥ كيلومترا مربعا ، وتنخفض ١٥٠ مترا عن سطح البحر ، وأن التبخر في البحيرة عال وخاصة أن

الحرارة تتجاوز ٤٥ درجة ستتبخر يد في فصل الصيف ، وينتج عن هذا التبخر تلال من الملح ، سيتم استغلالها تجاريا فيما بعد ، كما أن البحيرة تحتوي على مواد أخرى مثل الميغنزيوم والبوتاسيوم ، وأنها تحتوي على صخور البيريليت وهي مادة عازلة تستعمل للتصفية والتنقية « فلترة »

* هل يوجد دلالة لاسم عسل هنا ؟

ـ حسب معلوماتي لايوجد دلالة معينة للاسم

* إذا كان بخار البحيرة عاليا فمن أين تعوض المياه التي تفقدها ؟

ـ إنها تعوض المفقود من المياه بمياه الامطار وبالمياه التي تتسرب إليها عن طريق البحر

* هل ترجح أن البحيرة كانت جزءا من البحر ، وخاصة أنها لاتبعد عنه كثيرا ؟

ـ ربما كانت كذلك في قديم الزمان

حيرة اللسان والمكان !

قبل أن نغادر المنطقة سألت المهندس أنيس عبدالله

* هل تحل طاقة المياه الحارة مشكلة جيبوتي الأخرى ، أعني مشكلة حيرة اللسان والمكان ؟

ـ التزم المهندس الصمت ، ونظر في عيني بحيرة كأنه لم يفهم السؤال.يقول صلاح الدين حافظ في كتاب « صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي » الذي صدر سنة ١٩٨٢

ان هناك ثلاثة احتمالات لمستقبل جيبوتي

ـ « الاحتمال الأول أن يتمكن الصومال من ضمها إلى أراضيه في وقت تساعده الملابسات الدولية على تحقيق هذا الضم الذي يستند إلى أسس تاريخية

ـ الاحتمال الثاني أن تتمكن اثيوبيا من غزوها والاستيلاء عليها وخاصة أن بعض زعماء العفر اعتبروا نتيجة الاستقلال في صالح العيسى أي في صالح الصومال

ـ الاحتمال الثالث أن تتفق القوتان العظميان ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ـ وكل منهما له مصالحه واستراتيجياته في القرن الأفريقي ـ على بقاء هذه الدولة في ظل وضع خاص ، وبالتالي تكبحان جماح أطراف الصراع المحلية المطالبة بجيبوتي »

ان الوضع الخاص مازال سائدا ، والمساعدة الفرنسية من خلال الوجود العسكري البحري والبري وغيره مازالت موجودة

ويحلم البعض في جيبوتي بل ويخططون إلى تحويل جيبوتي إلى سنغافورة أو هونغ كونغ جديدة ، ويغذي هذا الاحتمال أن الدولتين الجارتين الصومال واثيوبيا سلمتا بالأمر الواقع ـ أي باستقلال جيبوتي ـ ربما إلى حين ؟ بل ووقعتا معاهدة للسلام بينهما في شهر ابريل من هذا العام ١٩٨٨ ، وفي مدينة جيبوتي بالذات □



شيكوريا



الكتان

النباتات الطبية والعطرية
في الوطـــــن العـــــربي

بقلم . الدكتور شكري ابراهيم سعد*

كان من نتيجة الزيادة الرهيبة في عدد سكان العالم، وارتقاء الوعي الطبي والعلاجي بين الشعوب أن ازداد الطلب على العقاقير في العقود الأربعة الأخيرة التي تلت الحرب العالمية الثانية . فكيف نلبي الاحتياجات المتزايدة ؟ وما هي المصادر الأساسية ؟

* أستاذ النباتات بكلية العلوم ، جامعة الإسكندرية .



هناك مصدران أساسيان للعقاقير ، احدهما المركبات الكيميائية المتعددة التي اسرت وسوعت نتيجة للتطور العظيم في فروع الكيمياء ، والاخر المواد الفاعلة المستخلصة من النباتات الطبية البرية والمستأنسة وهي بتاريخها أسبق من المصدر الأول ، وتحمل في طياتها وصفاتها ما يجعل لها مميزات قد لا تتوافر في المصدر الاول

لا بديل عن الأعشاب

اعتقد الكثيرون أن هذه الأدوية المصنعة سوف تحل محل النباتات الطبية المستعملة في الطب والطب الشعبي ، وكان من المتوقع أن يتراجع المرض أمام هذه الثورة الكاسحة في علم العقاقير ، لكن الذي حدث هو العكس تماما ، فقد عرف الانسان الحديث امراضا لم تكن معروفة أو منتشرة من قبل ، بل دخل عصر الأمراض المزمنة ، ويرجع ذلك إلى التقدم الرهيب في علم الكيمياء العضوية التي أدخلت مواد كيميائية في جميع مناحي الحياة ، ولوثت بيئة الانسان ، وبالتالي أثرت على صحته وقوته ، ومناعته في مقاومة الأمراض ، كذلك فإن الأدوية المصنعة ما زال الكثير منها يفتقر إلى معلومات أوفى ، وما زال البحث العلمي يحمل لنا الكثير من الاثار الجانبية الضارة لبعض الأدوية المصنعة ، إما بسبب زيادة المعرفة عنها وإما لأنها مواد كيميائية مركزة ، تم تحضيرها في المعمل تحت ظروف تفاعلات كيميائية قاسية ، بينما أتت حكمة الخالق عز وجل إلا أن تجعل هذه المواد الفاعلة في النباتات بتركيزات منخفضة سهلة ، يمكن للجسم البشري التفاعل معها برفق في صورتها الطبيعية

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » (٢٠ - لقمان)

وقد ثبت أن استخدامها قد يسبب آثارا جانبية ضارة ، كما أوصت المؤتمرات الدولية بالعودة إلى الطبيعة ، أي إلى النباتات الطبية ، والاهتمام بها بصفتها مصدر أمن لصناعة الأدوية

ولقد قال أبو قراط منذ ٤٥٠٠ عام « ليكن غذاؤك دواءك ، وعالجوا كل مريض بنبات أرضه ، فهي أجلب لشفائه »

وفي أمريكا والدول الأوروبية بدأت توصيات هذه المؤتمرات تدخل مرحلة التنفيذ الفعلي ، وكانت الخطوة الأولى قيام فريق من العلماء بالبحث عن نباتات جديدة ، قد تكون مصدرا للدواء ، وكان من نتيجة ذلك اكتشاف نباتات جديدة ، لها فوائد طبية ، وأخرى إقتصادية لم تكن معروفة من قبل كما تبحث هذه المجموعة من العلماء عن النباتات المذكورة في المراجع المكتوبة والمصورة ، وكذلك المحفوظة في المعشبات ، فهناك ما لا يقل عن ١٨٠٠ معشبة منتشرة في الأمريكتين وأوروبا، تحتوي على ما يقرب من ١٧٥ مليون نبات ، تمثل ٢٥٠٠٠ نوع ، وعلى كل نموذج من هذه النباتات المجمعة بيانات عن هذه النباتات من حيث اسمها العلمي وفصيلتها وجامعها وتاريخ جمعها ومكان انتشارها ، كل ذلك بجانب معلومات عن قيمتها الطبية والاقتصادية إن وجدت

النباتات وأمراض السرطان

ومن ناحية أخرى هناك فريق من العلماء الأمريكيين يقومون بالبحث عن نباتات تحتوي على عناصر فاعلة ، لها القدرة على القضاء على الخلايا السرطانية وقد اتخذوا مركز أبحاثهم منطقة شرق أفريقيا ، واستطاعوا الكشف عن ما يزيد على ١٢٠٠ نوع من النباتات التي تنمو في هذه المنطقة ، ولها القدرة على القضاء على الخلايا السرطانية في حيوانات التجارب ، وما نبات الفنكا Vincas وما استخلص من أنواعه المختلفة من عقاقير ، مثل Vincristine الذي يعالج سرطان الدم عند الأطفال ببعيد

ولدى الأقطار العربية ـ لاتساع رقعتها واعتدال جوها ـ ثروة طبيعية وأخرى اقتصادية هائلة من الأعشاب الطبية والعطرية ، استخدمها قدماء المصريين والعرب من قديم الزمان ، ويشهد على ذلك ما دونه المصريون في بردياتهم ، والعرب في مذكراتهم وموسوعاتهم عن النباتات الطبية ، وكذلك ما تحويه أسواق العطارين من الأعشاب والثمار والبذور التي يستخدمها العامة في علاج أمراضهم ، وما يزال تجار العطارة يستخدمون موسوعة ابن سيناء وتذكرة داود وغيرهما من كتب علماء العرب لعلاج المرضى الذين ما يزالون يؤمنون بالعطار وذخيرته

ولا يتسع المجال هنا لذكر فضل المصريين القدماء والعرب على الطب والعقاقير والتداوي بها ، والمصريون أول من استخدم زيت الحلبة لإزالة تجاعيد الوجه ، وزيت الخروع لعلاج الامساك ، ودهانا للشعر ، وأول من استخدم الخشخاش لعلاج التهاب الأمعاء ، وتسكين الآلام ، والنعناع والمر لعلاج القروح والالتهابات الجلدية والاضطرابات المعوية ، وقشر الرمان لطرد الديدان ، والحنظل لعلاج الاسهال وطرد الديدان

كما أن العرب أول من أسس مداخر الأدوية (صيدليات) في بغداد ، وهم أول من استخدم الكحول لإذابة المواد غير القابلة للذوبان في الماء ، وأول من استخدم السنامكة والكافور وجوز القيء والقرنفل وحبة البركة في التداوي

الأعشاب والأدوية الحديثة

لقد أثبتت الدراسات الحديثة العلاقة الوثيقة بين الوصفات الشعبية والأدوية الحديثة ، ومن أمثلة ذلك

(١) الصبر **Aloesp** ويستعمل في الطب الشعبي مع زيت الزيتون لتقوية الشعر وعلاج سقوطه ، وحديثا توجد مستحضرات صيدلية مستخلصة من الصبر لنفس الأغراض

(٢) ثمار الخلة البري **Ammi majus** تستعمل في الطب الشعبي لعلاج الأمراض الجلدية والبهاق ، وفي الطب الحديث يستخدم الأمودين المستخلص منها

في نفس الأعراض

(٣) ثمار الخلة البستاني Ammi Visnaga تستخدم في الطب الشعبي لادرار البول ، وتخفيف آلام المغص الكلوي ، ولإنزال الحصى من الجهاز البولي ، وفي الطب الحديث تستخدم مادة الخلين المستخلصة منها في نفس الأعراض السابقة ، وفي علاج الذبحة الصدرية

(٤) السنامكي Cassia acutifolia تستخدم الثمار منه في الطب الشعبي مليّنا ، وفي الطب الحديث يستخدم النبات والجلد كوسيدات المفصولة منه لنفس الغرض

(٥) العرقسوس Glycirrhiza glabra تستخدم ثماره في الطب الشعبي مليّنا وعلاجا لأمراض المعدة والجهاز التنفسي ، وفي الطب الحديث يستخدمون مادة الجلسرهيرين Glycirrhizin المستخلصة من النبات لنفس الأعراض

(٦) الترمس Lupinus termis تستخدم بذوره في الطب الشعبي لعلاج التهاب الجلد وحب الشباب ومرض السكر ، وفي الطب الحديث تستخدم الحبوب لنفس الأعراض ، ولتخفيض نسبة السكر في الدم

(٧) حبة البركة Nigella Sativa تستخدم في الطب الشعبي لعلاج الكحة والسعال وأمراض الصدر ، واليوم يستخدم الطب الحديث مادة النيجلين Nigelline المستخلصة من البذور لنفس الأعراض

وبجانب ذلك هناك وصفات شعبية كثيرة ثبت على مر العصور صلاحيتها وكفاءتها في علاج كثير من الأمراض الشائعة ، وما يزال يصفها العشابون وتجار العطارة لمرضاهم هذه النباتات تحتاج إلى بحوث لمعرفة مكوناتها ، وفصل تلك العناصر ، وتجربتها ، ومن أمثلة هذه الوصفات

(١) الراوند والكركديه لعلاج ارتفاع ضغط الدم

(٢) ورق الخبيزي وزهر البابونج لعلاج آلام الأسنان

(٣) بذور الكرفس لادرار البول والتهاب الكلى

(٤) الخروب لعلاج الاسهال

(٥) الشيح لتنظيم ضربات القلب وتنشيط الدورة الدموية

(٦) الدمسيسة لعلاج حصوة الكلى وتنشيط الكبد

(٧) زيت النعناع والزهر لعلاج الدوخة

(٨) الحبهان لتوسيع الشرايين وعلاج الربو

وفي بعض الأقطار العربية نشطت الهيئات المتخصصة ، وبدأ الاهتمام بالنباتات الطبية والصحراوية المنتشرة في أراضيها بعمل خريطة نباتية للكساء الخضري ، وحصر مجموعة النباتات فيها وتصنيفها وكذلك إجراء البحوث الكيميائية عليها لتحديد المركبات ذات الفائدة الطبية فيها ، ومن ثم التوصية باستخدامها في صناعة الأدوية المحلية وكان من نتيجة ذلك تخليق مركبات طبية ذات فاعلية كبيرة منها

١ ـ حامض الجليسيرهريك وفاعليته في سرعة شفاء القروح المعدية ، وهو مستخلص من نبات العرقسوس ، وقد ثبت تأثيره على سرطان الدم ، وخاصيته المضادة للالتهابات ، ويقارب تأثيره تأثير الكورتيزون والهيدروكورتيزون

٢ ـ الأمودين من الخلة البري ، والخلين من الخلة البستاني

٣ ـ السينارين من الخرشوف

٤ ـ الألوين من الصبار

٥ ـ الهيوسمين من السكران

٦ ـ الداتورين من الداتورة

٧ ـ الأتروبين من الأتروبا

من أجل هذا قررت المنظمة العربية للتنمية الزراعية التابعة لجامعة الدول العربية تبني هذا الموضوع المهم ، وذلك بحصر النباتات الطبية والعطرية التي تنمو برية أو بستانية في الوطن العربي ، ومحاولة الاستفادة منها ، وذلك بجمع المعلومات اللازمة ، ودراستها ، وعمل تقرير عنها



شوكران



الكاسيا



أحاف



اليوكالبتوس

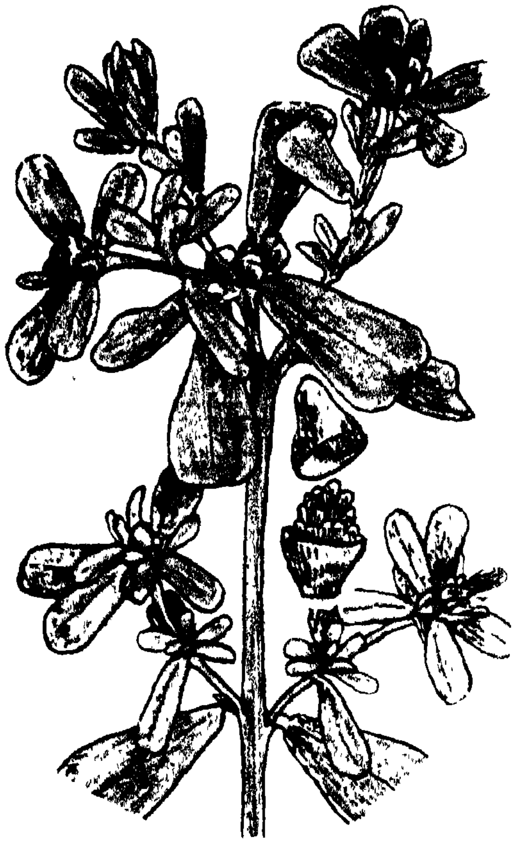


حنظل

لعرضه على المجلس الأعلى للمنظمة لأخذ القرارات اللازمة ووضعها موضع التنفيذ

من أجل ذلك أرسلت المنظمة الى جميع الاقطار العربية استبيانات للاجابة عليها . ويشمل الاستبيان عددا من الاسئلة منها أسماء النباتات الطبية والعطرية التي تنمو برية أو بستانية . واماكن وجودها في القطر العربي . والمعامل والمعاهد المتخصصة التي تبحث عن النباتات الطبية . وهل هناك جواهر فاعلة فصلت منها . وهل يتم تصنيعها في القطر العربي أم تصدر إلى الخارج

وقد تلقت المنظمة الاجابات عن هذه الأسئلة من بعض الأقطار العربية . فكونت فريقا من العلماء . تشرفت برئاسته . لدراسة ما جاء في هذه الاجابات . ووضع تقرير عنها لتقدمه إلى المجلس الأعلى للمنظمة وقد اجتمع الفريق في الخرطوم حيث مقر المنظمة . واستعرض أعضاء الفريق ما جاء في إجابات الأقطار التي استجابت لنداء المنظمة ولكي يكون تقرير الفريق شاملا لجميع الأقطار العربية قدمت كتابي الذي أعددته في هذه الموضوع « النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي » وبعد قراءة ما جاء فيه من معلومات قرر الفريق طبع الكتاب على نفقه المنظمة . مع إضافة ما جاء في تقرير الأقطار العربية . وناشد الأعضاء توزيع هذا الكتاب على جميع الأقطار العربية . لكي تسترشد به في تنمية هذه الثروة القومية . والاستعانة بما يحوي من معلومات . تساعدها على وضع سياسة دوائية واضحة المعالم . نحو استزراع النباتات الطبية والعطرية في أراضيها واستخلاص منافعها وتسويقها وعمل حصر شامل للأبحاث التي أجريت على النباتات الطبية المحلية . لتلقي الضوء على نتائجها . ولتستكمل الأبحاث عليها للتعرف على فاعليتها . وإمكانية الاستفادة منها في صناعة الدواء . وبذلك نحقق سياسة الاكتفاء الذاتي في هذا المجال . مما يوفر الدواء العربي بأسعار زهيدة للشعب العربي . بعيدا عن الاحتكارات العالمية . كما يوفر أموالا كثيرة من العملات الأجنبية تلزمنا في الميادين الأخرى □



رجلة



خشخاش بري

لقد قيل بأن الكفاح المسلح هو أعلى مراتب النضال
وقد جسد هذه المقولة قولا وعملا
المناضل الشعبي غومة المحمودي
أحد مشايخ الصحراء في ليبيا
في الخمسينيات من القرن المنصرم .

غومة المحمودي

مناضل من ليبيا

بقلم : الدكتور زهدي سمور

غومة المحمودي هو ابن الشيخ خليفة بن عون بن نوير ، زعيم قبيلة المحاميد الليبية ، ولد عام ١٧٩٥م ، وتعلم من أمر دينه ودنياه ماجعله فارسا شجاعا سديد الرأي ، وبعد وفاة والده نادى أعيان قبيلته بمحمد بن القاسم المحمودي ابن أخ الشيخ خليفة زعيما للقبيلة التي تقطن الجبل الأخضر في طرابلس الغرب لكبر سنه ، فأيد غومة ابن عمه ، ومد له يد العون والمساعدة ، فأثبت بهذا لأبناء عشيرته أن مابه من رجاحة العقل يعدل مافيه من الاندفاع والطموح ، وتلك هي روح الفروسية الحقة

وكانت المشيخة قد آلت اليه وهو في السادسة والثلاثين من عمره ، وذلك عقب وفاة محمد بن القاسم سنة ١٨٣١م ، ولما أحس آلام شعبه في طول البلاد وعرضها ، أصبح زعيما تلتف حوله الجماهير ، وتبادر الى حمل السلاح ، كلما أطلق نفير الحرب الشريفة ، فتمت له السيطرة على الجبل ومنطقة الزاوية ، في حين كان زميله الشيخ عبدالجليل يحكم المنطقة الواقعة بين رفلة وفزان ، وعلى باشا القرمانللي يبسط نفوذه على طرابلس الغرب ، وكان هؤلاء الزعماء مستقلين في مقاطعاتهم الخاصة

وكان حب غومة لشعبه يدفعه إلى أن يحارب ، لكن حبه لشعبه كان يدفعه أيضا إلى أن يهادن ، فأول ماقام به عند توليه حكم قبيلته أن وطد علاقاته مع علي

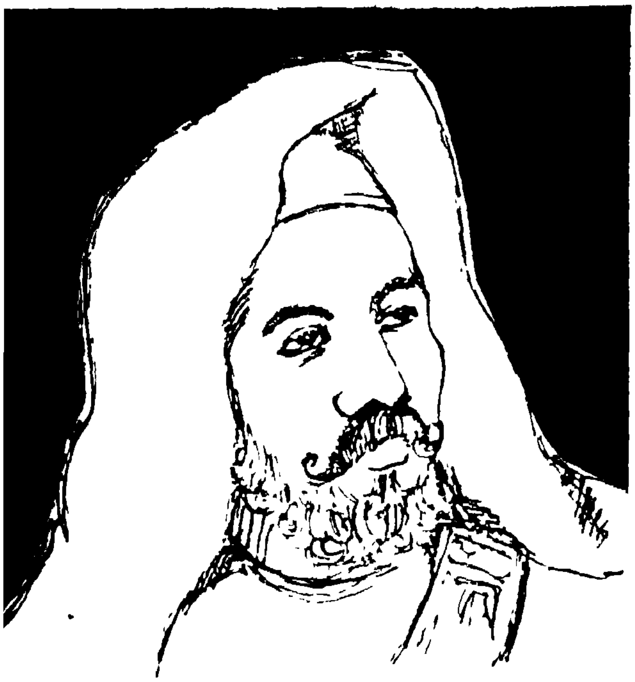
شا القرمانللي حاكم طرابلس العرب حينذاك

لكن الرياح تجري بما لاتشتهي السفن ، فقد مت السلطات التركية عام ١٨٣٥م بتنحية علي باشا برمانللي عن طرابلس الغرب ، منهية بذلك حكم سرة القرمانللي الذي دام أكثر من قرن وربع من رمان وحتى يضمن الاتراك لأنفسهم السيطرة على ساحل والمراكز الداخلية كان لابد لهم من القضاء لى نزعة الطموح إلى الاستقلال ، والمقاومة العنيفة تي أبداها زعماء الدواخل ، من أمثال عبدالجليل ، غومة المحمودي ولم يكتب للسلطات التركية نجاح إلا بعد أن أمضت فترة تزيد على عشرين عاما - ١٨٣٥ - ١٨٥٨م - في مقارعة زعماء المناطق

اعتقال غومة المحمودي

خلال هذه الفترة حاول الشيخ غومة أن يجنب شعبه سفك الدماء ، وأن يرفع عن كاهلهم الضرائب الباهظة ، وأن يعيش هو وشعبه بكرامة وسلام ، فاتجه مع أعيان قبيلته للوالي التركي مصطفى نجيب الذي يقبض على الحكم في طرابلس ، لتقدم فروض الولاء والطاعة له ، غير أن هذا الوالي زج بالشيخ غومة في سجن القلعة المظلم ، بدعوى أنه شك في ولائه ، خاصة أنه تربطه بعائلة القرمانللي صداقة وطيدة ، تجعله مهيئا للثورة ، وارجاع الحكم إليها متى ما تسنح الفرصة

لكن أمر اعتقال الشيخ غومة لم يطل ، فقد قام والي التركي الجديد الذي خلف مصطفى نجيب طلاق سراحه ، في محاولة لاصلاح أخطاء سلفه ، رسله إلى قبيلته معززا مكرما ، غير أن هذا الوالي لذي أطلق سراح غومة بالأمس ، أصبحت يده طخة بدماء أبناء شعبه الذي بات يرزح تحت وطأة حديد والنار ، ويئن بين أيدي جباة الضرائب الذين صون دم التاجر والمالك والراعي والفلاح ، دون ع من دين أو ضمير ، مما دفع الشيخ غومة بأن ل سلاحه ، ويثور في وجه هذا الوالي ، وكل من



« غومة المحمودي » أحد المجاهدين الذين ثاروا على النضال والقتال دفاعا عن الارض وشرف الوطن ضد المحتلين ، وقد كان نضاله حافزاً ومثالا للمجاهدين في الارض العربية في ليبيا

يعقبه من الولاة الاتراك

جرت معارك بين الشيخ غومة والولاة الاتراك ، وكان النصر دوما حليفه ، واستمر يطالب الولاة بأن يسهم العرب في إدارة شئون بلادهم ، وأن يخفضوا من الضرائب التي أثقلت كاهل المواطنين وإلغاء الأسلوب المتبع في جبي الضرائب

وحرص بعض الولاة إرضاء الشيخ غومة ، فاستجابوا لمطالبه ، ومنحوه الأمان ، وأسندوا إليه السلطة في بعض جوانب البلاد ، فأسهم في حكم البلاد بجانب الوالي المعين من السلطان ، لكنه لم يكن يرى في المنصب أبهة أو ترفا ، فالمنصب عنده مجرد وظيفة ، يخدم فيها المواطنين ، ويهيء لهم فيها أسباب الكرامة ، وكم أسرع إلى تركها كلما رأى أن وجوده لايحقق لأبناء أمته وبلده آمالهم ، وحمل السلاح وحكّمه بينه وبين الحاكم

نفي المناضل وريثه

وفي عام ١٨٤٢م القي القبض على الشيخ عومة ورفاقه العرب ، الذين كانوا يعملون معه في دائرة الوالي التركي بطرابلس ، وأرسلوا الى استنبول ، ومنها إلى ولاية طربزون التركية على شاطىء البحر الأسود وقد ساء قبيلة المحاميد نفي شيخهم ، بعد ذلك الامان الذي منحه إياه الوالي ، فجاهروا بالعصيان ، وعمت الثورات البلاد ، مطالبة باطلاق الشيخ عومة ورفاقه وفي نفس الوقت وجه الشيخ عومة رسالة للسلطان عبدالمجيد سنة ١٨٥٢م ، تحدث فيها عن المظالم التي يرتكبها الولاة تجاه الشعب الليبي المسلم ، وعن المظالم التي تحيق بالناس ، من تقدير الضرائب ، وطريقة تحصيلها ، وأضاف بأن الأمور لن تستقيم الا بتعيين وال عربي من اهل البلاد ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما طلب أن يكون الوالي حسن باشا القرمانلي . ورسالته هذه إن دلت على شيء فانما تدل على ماكان يتصف به من شجاعة وجرأة ، فهولا يطالب باطلاق القرمانللي بل ماهو أبعد ، انه يحس بهموم مواطنيه ويعبر عن مطامحهم ويخطط لمستقبلهم

الهروب من المنفى

ولما لم يجد الجواب على رسالته أخذ يفكر بالهرب من منفاه ، والعودة للبلاد ، ونجح في ذلك عام ١٨٥٥م ، حيث غادر تركيا إلى أوروبا ، ثم عبر البحر المتوسط نحو الجزائر ، ليستقر به المقام في تونس ، ومن تونس كتب إلى والي طرابلس التركي ، يطلب السماح له بالعودة الى أرض الاباء ، لكن الوالي أهمله ، مما اضطره إلى دخول طرابلس سرا لتحرير الجبل من الحكم التركي ، فالتفت حوله القبائل وازرته بالمال والسلاح والأنفس ، فنظم اعوانه ، وقادهم إلى مركز الجبل الغربي ، وحاصر الحاكم في مقره ، وانتصر على قواته

ومع هذا جمع مشايخ الجبل بعد المعركة مباشرة وأطلعهم على رغبته ، في أن يبعد للوالي ماغنمه من أسلحة ، مع رسالة يوضح له فيها أن مطالبه هي السلم ، ولاشيء غير السلم ، لكن الوالي رفض طلبه ، لانه يرى فيه شقيا قاطع طريق ، ولذا جرد عليه الحملة ، حتى أنهكه وأضعفه ، واضطره في النهاية إلى مغادرة وطنه الى تونس وقلبه ينضح دما

ويبدو أن أموره في تونس لم تكن على مايرام ، خصوصا بعد أن طلب باي تونس منه ان يترك جهة الحدود ، ويرحل إلى قرب القيروان ، أو إلى مكان قريب من العاصمة (تونس)

ولم يستحب عومة لذلك ، لانه يتوقع مؤامرة تستهدف القضاء عليه ، غير أنه أجبر على ترك تونس بالقوة ، فعاد إلى وطنه مرة أخرى ، فجعته قوات والي طرابلس التركية التي تمكنت من قتله سنة ١٨٥٨م ، وإرسال رأسه إلى طرابلس الغرب . وسار في الأمثال الشعبية الليبية منذ ذلك اليوم قولهم في من حقق شيئا صعب المنال (جاب رأس عومة)

وتلك كانت خاتمة (الغربة) التي عاشها فارس الصحراء ، عومه المحمودي في وطنه الذي كان يحكمه ولاة غريبو الوجه واليد واللسان ◻

عزم وعفا .

لما عزم المأمون على قتل ابراهيم بن المهدي - وكان مصمما على قتله - شاور فيه أحمد بن أبي خالد الوزير فقال « يا أمير المؤمنين ، إن قتلته فلك نظراء ، وإن عفوت عنه فما لك نظير ، فعفا عنه »

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ نزعة السرقة عند الأطفال

■ المرأة والقوة المستمدة من الرجل



الطفل في جانب من تكوينه النفسى أنانى .

ينظر الى الدنيا من خلال نفسه .

ويظن أنه محور الكون .

ولهذا فهو يلجأ الى أخذ مايروق له حتى لولم يكن ذلك الشىء خاصاً به .

والسرقة بهذا المعنى لها نفس أعراض القلق النفسى فهى اضطراب في السلوك

يصيب الأطفال نتيجة الاحساس بعدم الاستقرار وافتقاد الأمان . »

نزعة السرقة عند الأطفال

إعداد : طارق عبد الظاهر محمد *

أسباب السرقة كثيرة وحالاتها متعددة عند الأطفال نذكر منها

أن الطفل قد يلجأ الى السرقة بغرض لفت الأنظار اليه حتى ولو كان جزاؤه العقاب،فهذه طفلة وحيدة مرض أبوها مرضا خطيرا استدعى بقاء أمها بجوار فراشه طوال الوقت للعناية به ، وقد كان الجو القاتم الذى يخيم على المنزل نظرا لشدة مرض الاب وانصراف الام لتمريضه سببا في حرمان الطفلة من متعة الحياة المرحة التى ينعم بها الأطفال . حاولت الطفلة أن تجتذب التفات امها اليها بكل الوسائل ، كالدرجات الممتازة التى حصلت عليها مثلاً فلم تأبه أمها لذلك ، بل انها لم تأبه حتى بالصفر الذي نالته في إحدى المواد ، فاذا قالت الطفلة شيئا قوبل ما تقوله بالتأفف والضجر ، والمسكينة تفضل ان تعاقب او توبخ ،ففي هذا اعتراف ـ على الأقل ـ بوجودها وذات يوم تجرأت على سرقة بعض القروش من امها لتبتاع بها بعض الحلوى لقد أرادت اشغال نفسها ، وتجاوز حالة الضجر التي داخلت احاسيسها ولاشك أن حنان الام في السنوات الاولى من عمر الطفل أمر على قدر كبير من الأهمية لتربية طفل مستقر نفسيا وعاطفيا.ان العلاقة الحميمة بين الام وطفلها هى الأساس ، وإن العلاقات الاسرية الاخرى مثل علاقة الطفل بأبيه أو اشقائه هى في مجموعها تشكل المحصلة لحياة نفسية مستقرة

* كاتب من القطر المصري

المستقبل
لقد أثبتت الدراسات أن السرقة تكثر بين الأطفال في العائلات التي تكثر فيها المشاكل بين الزوجين ، حيث ان هذه المشاكل تستنفد الوقت والجهد من الزوجين ، بحيث يكون اهتمامها بالأطفال قليلا ، ويكون الرعاية والتعليم محدودين كما أن الطفل الذي ينشأ في جو من الخلافات الاسرية قد يشعر أنه سبب هذه المشاكل كما قد يكون كبش فداء للاسرة المضطربة

إنه يعتقد أنه انسان سيىء لهذا فهو يسبب هذه المشاكل ، وهنا يقل عنده الوازع الذي يمنعه من ارتكاب مثل هذه الأفعال

وقد يلجأ الطفل الى السرقة في الأسر التي تعودت فيها الأم على الاحتفاظ بكل شيء معلق وبعيد عن متناول الطفل ، وهذه السرقات تعبر عن رغبة الطفل في الاستطلاع والمعرفة والوصول الى ما تحتويه هذه الخزانات المعلقة ، فاذا حدث وان سهت الام عن أحدها فانه يسرع الى العبث في محتوياتها لاشباع فضوله فاذا عوقب على هذه الأفعال ، فقد يستمر في سرقة بعض الأشياء للانتقام من الام وقسوتها



ومن الأطفال من يسرق للخروج من نطاق حياته الآلية المملة ، فهذا طفل مثالي ، إنه الأول في فرقته دائما ، احتهد أبواه في دفعه الى الامام دفعا ، فكل يوم من ايامه له برنامجه الخاص ، بحيث لم يعد الصبي حرا في التصرف في ساعة واحدة من ساعاتها !

ومع ان والديه ليسا في بسطة من الرزق الا انهما يتكبدان شططا لمنحه اكبر قسط من التعليم والتهذيب ! فماذا حدث نتيجة لهذا الضغط المستمر على الطبيعة الانسانية ؟ لقد احس الطفل بقدر نفسه فلماذا لايمنح نفسه من الحقوق مالايستطيع غيره الحصول عليه ؟ فمثلا ليس من حرج عليه في أن يسرق بعض الفاكهة من حديقة الجيران ثم تدرج نحو اتيان عمل أكبر هو السرقة من حافظة نقود امه

وقد يلجأ الطفل الى السرقة كوسيلة لاثبات الذات ولتحقيق كيانه وسط زملائه ، وحب المراهق للظهور بمظهر جيد بين أصدقائه يكون دافعا للسرقة ايضا كما أن اعتقاده بأن السرقة تتيح له القيام بدور البطل المغامر يدفعه نحو السرقه لاشباع هذا الميل

ماذا نفيد من ذلك ؟

للعالم الكبير « باسكال » قول مأثور هو « أن للقلب معاذير لايعترف بها العقل » فقلب الولد ينطوي على معاذير وأسباب دفينة في تلافيف نفسه يصعب علينا تحميها واماطة اللثام عنها

فأول ما يجب على الاباء عندما يكتشفون أن ولدهم « يسرق » هو أن يبذلوا جهدهم في محاولة فهم الأمور على حقيقتها ، واصعين جانبا المبادىء التي تواضع الناس عليها في تقدير السرقة والسارقين ، لان هذه المبادىء تنطبق على الكبار الراشدين وما ينطبق على هؤلاء لاينطبق على الصغار

وكل حالة يجب أن تدرس على حدة ، وبمعزل عن غيرها فهناك أولاد يسرقون لأنهم ضحية قدوة سيئة قد تكون في عائلاتهم نفسها . كما أن السرقة

عند فريق اخر قد تكون ناتجة عن علة مرضية ولو أن هذا نادر قليل

الشعور بالاثم عند الاطفال

ومن المهم أن نبين هنا أن الولد إذا سرق فإنما يفعل ما يفعل وهو واع ومقدر لفعلته تمام التقدير عالم بأن مايأتيه أمر محظور ولكنه يكون دائما متشوقا للحصول على شيء حرم منه ، بل كثيرا ما يحس بحرمه ويدلل على هذا الاحساس بالصياح او البكاء ذلك أن الشعور بالاثم عند الاطفال أكبر وأعظم مما نتصور !

كذلك فإن طبيعية المسروق لها أهميتها أيضا فاختلاس بعض الحلوى من أحد ادراج عرفة الطعام قد لايكون أكثر من عمل ينم عن الشراهة في حب الحلوى ولكن علينا أن نعي جيدا بالبحث عما إذا كانت السرقة قد تكررت ، لأن هذا التكرار مدلولات اخرى ، فالطفل الذي يضبط في أول مرة تتغير نظرته الى عمله اذا ما عاد الى السرقة ، أي تتكرر « عودته » الى ارتكابها ! وكثيرا ما يرمز الشيء المسروق الى احساس معين مغلق تصطدم به نفس الطفل

ماذا نحن صانعون ؟

اذا جاءت مرحلة التفكير في العلاج ، كان علينا أن لا نحسم الأمور ، وان نفكر في تؤدة وأناة ، فليس من الميسور أن ننفذ الى أعماق نفس الصغير ، ونميط اللثام عن سرها الدفين ، لأنه هو نفسه أول من يعجز عن التعرف على الأسباب الحقيقية لأعماله ، ويجب علينا بصفة خاصة أن لانسأله عن تلك الأسباب فإذا امكننا تقصيها او معرفتها او استنتاجها فلنحرص على ألا نحدثه في أمرها لأننا إن فعلنا ذلك فقد نمس الأوتار الحساسة ، الى أبعد حد في نفسه وفي هذا خطر كبير ولعل وجود هذه الحساسية المفرطة في نفس الصغير هو الذي يجعل تدخل المربين في هذه الناحية غير منتج ، بل كثيرا ما يأتي بنتائج عكسية ، ذلك أن الطفل الذي يسرق هو طفل تواق طموح ، فهو يتشوق الى الحصول على شيء يحبه ويتمناه ، فاذا تدخل المشرفون على تربيته تدخلا مشوبا بالسطحية والرعونة فانه يندفع لا الى الكذب مرة فحسب ، بل الى اعتياد الكذب وقد يعمد الى اختلاق الأسباب والمعاذير التي لايمكن لعقل أن يتصورها أو يقتنع بها كان ينكر مثلا ويلح في انكاره لحقيقة مقطوع بها كوجود الشمس في رابعة النهار ، أما رد الفعل الذي كثيرا ما يصدر عن الآباء في تلك الأحوال فيتلخص فيما يأتي

أولا في ذلك الذعر الذي يصيبهم عندما يرون تلك الأعمال ثم تجسيمهم للأمور ، وتصورهم بأن ما وقع هو كارثة كبرى ـ هذا الذعر وهذا التهويل ليس إلا تصرفاً بالغ الضرر

ثانيا كثرة العقوبات ، فان مبدأ العقاب ليس سيئا في ذاته ، فالطفل يتقبل فكرة أنه يستحق عقوبة تتناسب مع الخطأ الذى ارتكبه ، ولكن لايجب أن نشتط في عقابه الى حد ظلمه ، والا فاننا نوقظ فيه تلك النوازع الداخلية التي حفزته الى السرقة

ثالثا قد تلجأ بعض الأمهات أو المدرسات الى العقوبات التي تذل كرامة الطفل كأن تجبر الطفل على الاعتراف بجرمه أمام مجلس الاسرة أو أمام تلاميذ الفصل او المدرسة

وقد تلجأ الام أو المدرسة الى معايرة الطفل بالسرقة أو عقابه أمام زملائه ، ولو فعلت ذلك لعاد الى السرقة ثانية ، ذلك أن الطفل يصدق كل مايقال له وهو يصب نفسه في « قالب » السمعة التي نشيعها عنه فليس أخطر من أن « نبلور » أخطاءه ونجسمها فنحولها بذلك من بخار ، الى مادة صلبة كأنها منحوتة من اديم الصخر

والطفل عندما يرى الجميع ينظرون اليه كسارق ، يعتقد أن هذا الدور هو ما ينتظر أن يمارسه

إن هذه الاساليب من شأنها أن تشحذ في الطفل رغبة الحصول على الشيء الذي يتحرق شوقا

للحصول عليه ، ويزيد في قلقه واضطرابه . وتثير في نفسه المقاومة ثم العودة الى ارتكاب السرقة ثانية

رابعا قد يعمر الآباء للابناء أخطاءهم بل أكثر من ذلك قد يمتدح الآباء الطريقة التي سرق بها الأبناء ماسرقوه ، بوصفهم بالمهارة ، مثلا وحينئذ تكون النتيجة أن يعتقد الابن أن كل شيء قد اصبح مباحا له وقد يتمادى الى حد الرغبة في استمرار عصيان والديه ليرى الى أي حد يستطيع استمرارهما ليحدث اليه الانظار ، وما ذلك الا نتيجة لاحساسه بأنه لاينال من ابويه شيئا من الرعاية

وليس معنى ذلك أن نترك للابن الحبل على غاربه ، فان هذا يتساوى من حيث الخطورة مع بطشنا به

نصائح عملية

أولا عسانا ن نشغل وقت الطفل ، بان نترك له بعض الحرية في تنمية الاهتمام ببعض الهوايات ، كتكوين مجموعة من طوابع البريد او للحاق باحدى فرق الكشافة أو توجيه اهتمام خاص بالالعاب الرياضية او المطالعة وقراءة القصص وعلى العموم اذا تركناه يكثر من شواغله ونشاطاته في شتى النواحي ، واذا عدينا من حاسا هذا النشاط وقويناه وتعهدناه بالتشجيع والتوجيه ، فان الصغير قد لايفكر في السرقة ، وان هو فعل فسيكون ما يفعله تافها ضئيلا ، ليس بذي بال

ثانيا علينا ان نتجنب الاندفاع الأهوج الى اشعاره بسوء ظننا فيه وتخوفنا منه وعدم ثقتنا في تصرفاته ، كأن نقفل جميع الادراج مثلا بالمفتاح وفي الوقت نفسه لا نسرف في الثقة به كأن نترك مبالغ كبيرة من النقود ملقاة هنا وهناك في متناول يده فان هذا اغراء له بالسرقة فإذا وقعت السرقة فيجب أن لا نخفي عليه علمنا بها ولكن لا على أنها « سرقة » بل على أنها « خطأ » وقع لا اكثر ، فلا نحقد عليه او نذكره بما صنع بعد ذلك بل علينا أن نجعله يشعر بأنه مازال محتفظا بثقتنا به

ثالثا عليك أن تواجه الموقف على حقيقته ، وذلك بأن تتحدث اليه بصراحة فكلما كنت صريحا معه ازداد فهما لما تقول . وكلما أحس براحة استراح و ضمأن اليك

وعليك افهامه حقوقه وواجباته وأن هناك أشياء من حقه الحصول عليها وأشياء ليست من حقه ، ولا يجب أن تمتد يده اليها بالاضافة الى ارشاده الى الطريق الذي يجب أن يسلكه في المستقبل

وينصح علماء الطب النفسي أن تروى له القصص المشوقة عن السرقة واللصوص وما يلقونه من عقاب ، وسوء معاملة ونهاية سيئة ، بينما يكون جزاء الامانة الشعور بالسعادة وتلقي المكافأة ورضا المجتمع وتقديره له

لن تستطيع أن تتحد معه بعض الاجراءات شديدة حين يخطىء ، ولكن لاتفقد حنانك عليه ، ولكل إجراء تتخذه معه يجب أن يكون مباشرا ، وأن تكون له مبرراته في عيني الولد نفسه ، وبعدئذ يجب قفل الموضوع نهائيا

كما ينصح علماء النفس الاسرة بأن تحيط اطفالها بجو من الرعاية والحنان والاستقرار ومكافأة الطفل على تصرفاته الأمينة مع نفسه ومع الاخرين

كما يجب على المدرسين في المدارس الابتدائية الاهتمام بتوضيح مدى الاحترام والتقدير والمكافأة للاطفال الذين يصدر عنهم سلوك يدل على الامانة والصدق

كذلك يجب على وسائل الاعلام التركيز على قصص الأمانة ، وتقدير هؤلاء الاشخاص والاهتمام بهم ، ولا يكون كل تركيزها على السرقة والنصب ، كذلك يجب الا تضع اللص في الافلام والتمثيليات في صورة محببة يتعاطف معها الأطفال ، ويحاولون تقليدها

ومن المفيد تعليمهم القيم والمبادىء والمثل الاخلاقية

ولنذكر على الدوام أن التربية عمل يومي متواصل وليست أمرا هينا يسيرا □

العربي - العدد ٣٥٦ - يوليو ١٩٨٨



المرأة والقوة المستمدة من الرجل!

بقلم : الدكتورة علياء شكري

« القوة لها أشكال ووظائف ،

وفي نفس الوقت تنطلق من مصادر مختلفة ،

وواحد من مصادر قوة المرأة هو الرجل وعلاقتها به

وتلك القوة تحاول المرأة السيطرة أو تغيير السلوك ، وهذا ما نعرض له »

تستطيع المرأة أن تستمد القوة من الرجل في كل مجتمع إنساني ، حتى تلك المجتمعات التي تكون مكانتها فيها منخفضة ، أو عندما يتعذر عليها ترجمة نشاطها الانتاجي وإنجازاتها إلى قوة

وهذا النوع من القوة يكون محدودا عادة ، بحيث أنه قد يقتصر على قدرة المرأة على التحكم في حياة نساء أصغر منها سنا والتحكم في سلوكهن ، وقد يمكنها أحيانا التحكم إلى حد ما في حياة شبان من أسرتها والتحكم في سلوكهم ، إلا أنها لا تستطيع مع ذلك - على الرغم من تمتعها بهذا القسط من القوة المستمد من الرجل - أن تقرر شيئا عن حياتها ، أو تتخذ قرارات ، أو تبدي اختيارات دون موافقة رجال الأسرة ومساندتهم

وتأخذ المرأة بعض قوتها من قوة الرجل ، من

خلال عوامل ومظاهر كثيرة ، أهمها قوة الإنجاب (خاصة انجاب الذكور) ، وقوة الزواج المبنية على الحب غير المتكافيء (الذي يفوق حب الزوج فيه حب الزوجة له) ، والقوة المبنية على المكانة الاجتماعية للوالد أو ثروته ، والقوة المبنية على المكانة الاجتماعية للزوج أو ثروته ، وأخيرا القوة المبنية على مكانة السيدات المسنات أو اللائي في خريف العمر ، وهي مكانة لا علاقة لها بالجنس

تلك هي أهم عناصر معادلة قوة المرأة المستمدة من الرجل التي صاغتها كوستانتينا سافيليوس روتشيلد في دراستها عن قوة المرأة واستقلالها والتغير السكاني في العالم الثالث ، وهي دراسة نشرت عام ١٩٨٥ وسنحاول فيما يلي أن نلقي مزيدا من الضوء على عناصر هذه المعادلة

نحن جميعا نعرف أنه في المجتمعات التي تقوم على تدرج اجتماعي صارم على أساس النوع (ذكر / أنثى) ، وعلى أساس النظام الأبوي وخط الانتساب للأب ، نعرف أن المرأة تستمد قوتها من قدرتها على الانجاب ، خاصة إنجاب الذكور ، فالإنجاب في الواقع هو أساس قوة المرأة في جميع الطبقات الاجتماعية ، وفي ظل جميع أنواع العلاقات الزوجية ، وتلك قوة تستطيع المرأة أن تتحكم بها ، لذلك لايوجد ما يحث المرأة على تحديد عدد ما تنجبه من أطفال ، حتى يصل عدد أبنائها الذكور إلى اثنين أو ثلاثة على الأقل ، تدعم بهم مركزها في الأسرة

وهناك متغير آخر يخضع لتحكم المرأة بشكل جزئي ، لكنه فعال ، أعني به قوة الزواج المبنية على الحب غير المتكافيء ، حيث أشارت بعض الدراسات إلى أن المرأة في الدول النامية التي لا تتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة من خلال ارتباطها بأقربائها ، تستمد من الحب مكانة اجتماعية عندما تتزوج رجلا يحبها أكثر مما تحبه هي

والواقع أن النساء يفضلن مثل هذا الزواج ، إذ يميل الزوج في هذه الحالة إلى التخلي عن وضعه المسيطر ، ويقبل أن يمنح القوة لزوجته ، وبذا تطمئن المرأة في ظل هذا الزواج إلى اهتمام الزوج بمشاعرها ، ويصبح باستطاعتها استخدام وسائل التأثير النفسي بنجاح ، مثل حرمان الزوج من الحب أو العطف ، أو حتى استخدام سلاح البكاء الخ

علاقة قلقة

واضح من تحليل هذا المظهر من مظاهر قوة المرأة المستمدة من حب الزوج أن الموقف كله يعتمد بالأساس على حب الرجل للمرأة ، وهذه العاطفة وإن بدت خاضعة لتحكم المرأة إلى حد بعيد ، إلا أنها تجعل المرأة في حالة قلق دائم وعدم استقرار ، لأن ميزان العلاقة بينها وبين زوجها يصبح قلقا كل القلق ، ولا يمكنها الاعتماد عليه اعتمادا كاملا أو السيطرة عليه سيطرة مطلقة

وعلى الرغم من كل ذلك فهذا المظهر من مظاهر قوة المرأة أحسن من غيره من المظاهر ، بالنظر إلى نقطة تحكم المرأة وسيطرتها عليه فإذا تأملنا بقية الأسس الأخرى للقوة وجدناها تعتمد على الطبقة الاجتماعية للزوج أو الوالد أو كليهما ، أو على سن الزوجة ، لذلك لا يمكن التحكم في هذه الأسس أو تغييرها

لكن الواضح على أي حال ـ إذا أسقطنا بعد تحكم المرأة في العلاقة ـ أن المرأة تستطيع أن تتخلص من قيود مكانتها الدنيا التي وضعت فيها إذا كانت مكانتها الاجتماعية (الموروثة عن والدها أو عن أي قريب ذكر آخر) عالية ، بحيث تعادل مكانتها المتواضعة التي يفرضها عليها نظام التدرج على أساس النوع القائم في المجتمع

وفي مثل هذه الحالة تستطيع المرأة أن تحصل على القوة في مواجهة الرجل إذا كانت تتحكم في ميراث خاص معقول ، أو إذا كانت مكانة الوالد أو الاخوة واتصالاتهم تساعد الزوج في حياته العملية وهكذا

تترجم النساء الموارد المستمدة من الأقارب الذكور إلى قوة في مواجهة الأزواج . ويجب أن ننتبه هنا إلى ملاحظة بعيدة الدلالة . وهي أن درجة القوة تختلف حسب مدى انخفاض مكانة الأزواج عن مكانة الآباء أو الأقارب الذكور الآخرين للزوجة

والملاحظ في العادة أيضا أن القوة المستمدة من صلات القرابة (بالآباء والإخوة والأعمام) تكون أكثر متانة من تلك المستمدة من روابط الزواج ، إذ أن روابط القرابة الاقتصادية والاجتماعية لا تنفصم ولا تزول

ونجد كذلك في المجتمعات التي تعتمد فيها مكانة المرأة - أو ملكية الأرض - على إنجاب الأطفال - وبخاصة الذكور - يكون أساس هذه القوة ثابتا . وفي الحالات التي تكون فيها مكانة الوالد الاجتماعية عالية وترتبط سيطرة المرأة على الدخل (المتحصل من عائد الأرض أو من إيجارها .. الخ) أو تساهمتها مساهمة كبيرة في دخل الأسرة ، تستطيع المرأة أن تقرر طبيعة تقسيم العمل داخل الأسرة ، أو تعدل فيها تعديلات مهمة ، وذلك باستخدام مواردها الخاصة تلك في شراء بعض الخدمات أو دفع أجور أشخاص يقومون بتأديتها (خدم طول الوقت أو بعض الوقت)

وفي حالات أخرى قد تتمكن المرأة بفضل المكانة العالية الموروثة من الإفلات من القيام ببعض المسئوليات المنزلية ، لأن باستطاعتها إسناد مثل هذه المهام إلى غيرها من أفراد الأسرة الإناث ، أي أنها قد لا تتخلص من تلك الأعمال المنزلية بالضرورة بتشغيل الخدم ، وإنما بتشغيل غيرها في أدائها ، وهذا أو ذاك تعبير جلي عن قوة المرأة ومكانتها داخل الأسرة

المصالح المتبادلة

وعلاوة على ذلك تستطيع المرأة أن تستمد قوة من مكانة زوجها الاجتماعية ، تمكنها من السيطرة على سلوك أفراد الأسرة الآخرين ، خاصة إذا كانت مكانة الزوج الاجتماعية أعلى بكثير من أفراد الأسرة الآخرين من الذكور ، وفي هذه الحالة يكون أساس القوة أكثر ثباتا وأقل قيودا إذا كانت الروابط بين الزوج والزوجة مبنية على المصلحة (من حيث الموارد والخدمات المتبادلة) أو العاطفة أو الصحبة أكثر من قيامها على الحب أو الجاذبية الحسية

وتقودنا هذه الاعتبارات إلى الحديث عن نقطة قد تبدو في الظاهر بعيدة عن موضوعنا ، لكنها في الحقيقة انعكاس مباشر لبعد القوة ، أعني بها السلوك الإنجابي للمرأة كتعبير عن مدى قوتها وضعفها ، فهناك شواهد وفيرة من مجتمعات العالم الثالث على أن المرأة التي تتمتع بمكانة اجتماعية عالية (نتيجة حيازتها للقوة) ستستخدم وسائل منع الحمل ، وذلك لأن لديها أسسا ومصادر كافية بديلة للقوة

ففي المجتمعات الأبوية التي يبرز فيها التدرج الهرمي على أساس النوع مثلا لا يكون الإنجاب أساسا مهما لقوة المرأة إذا استطاعت أن تستمد قوة كافية ومكانة عالية من ارتباطها بالرجل ، ففي استطاعة مثل هذه المرأة أن تترجم نشاطها الإنجابي إلى مردود اقتصادي ، فالمكانة الاجتماعية العالية في هذه الحالة تعادل التأثير السلبي للمكانة الجنسية المنخفضة ، فنساء الطبقة العليا والطبقة الوسطى غير نساء الطبقة الدنيا ، لا يضطررن إلى الاعتماد على الإنجاب ، وهو السند الجنسي الوحيد للمرأة ، للتقليل من قلة حيلتهن واغترابهن عن المجتمع

بقيت نقطة أخيرة عن قوة المرأة ، ونعني بها قوة تلك الفئة من النساء المسنات أو اللائي بلغن الأربعين أو نحوها أو تجاوزنها ، وهي مكانة ليست لها علاقة بالجنس ، أي كونهن إناثا بطبيعة الحال ، فقد أشرنا إلى أنه في المجتمعات التي يسيطر عليها الرجال سيطرة واضحة ، وحيث يسيطر عليها بالتالي نظام تدرج هرمي على أساس النوع تكون نسبة الرجال أعلى من نسبة النساء ، وذلك لأن متوسط أمد الحياة

المتوقع للمرأة يكون محفضاً عادة بسبب ارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال وعدد الولادة بسبب الظروف الصحية غير الملائمة، وبسبب اهتمام عمليات التنشئة الاجتماعية برعاية الأطفال الذكور أكثر من الأطفال الإناث

وتستطيع النساء في بعض المجتمعات أن يكتسبن مكانة وقوة عن طريق نشاطهن الانتاجي. أما في المجتمعات الأبوية التقليدية فلا يمكن ترجمة مثل هذا النشاط إلى قوة إلا إذا سمح الرجل بذلك، حتى ولو كانت مساهمة المرأة الإنتاجية في الأسرة (أو وحدة المعيشة) تساوي مساهمة الزوج أو تفوقها

وحتى في هذه الحالات نجد أن الرجل هو الذي يتحكم في الأجور، ويقرر متى تنخرط المرأة في العمل أو تتوقف عنه، ويبسط الرجل قوته وسيطرته على المرأة عن طريق فرض النواهي والقيود عليها والتحكم في حياتها وفي ثمار علاقته معها

لا قوة بلا استقلال اقتصادي

والخلاصة هي أن المرأة في تلك المجتمعات لا تستطيع أن تترجم عملها وما تكسبه منه إلى قوة، والعجيب أننا كثيرا ما نجد في الواقع الحي أن المرأة العاملة تحصل على قدر من القوة والاستقلال أقل مما تتمتع به المرأة التي لا تعمل وهي حالة نجدها على الأخص في الأسر التي يكون الرجال فيها ذوي دخول بسيطة، ويعملون في مهن تافهة، كما أوضحت ذلك بعض الدراسات التي أجريت على أسر يونانية من الطبقات العاملة وأصحاب الدخول المنخفضة، وكذلك البيانات المستقاة من أسر من الطبقات العاملة وأصحاب الدخول المنخفضة من الأمريكيين السود، وكذلك بين أسر بعض الشعوب الأفريقية التقليدية

لكن عندما يكون للرجال قاعدة اقتصادية ثابتة تزداد ثقتهم في وضعهم المسيطر، ولا يشعرون بأي تهديد من دخول زوجاتهم المرتفعة من العمل، وفي هذه الحالات تصبح مساهمة النساء الاقتصادية موردا مهما قويا يضمن لهن قوة أكبر في عملية اتخاذ القرارات، ويضمن لهن مساواة كبرى في تقسيم العمل من حيث مشاركة الرجل فيه والاستعانة بالخدم، وحرية كبرى في ممارسة ضوابط على سلوكها الإنجابي

أما في الدول النامية فكثيرا ما يحدث أن يجد الرجل صعوبة في تكوين قاعدة مالية قوية مناسبة، لذا يضطر إلى التكيف مع الوضع الذي يجد نفسه فيه، وذلك بطرق عديدة. ففي المجتمعات الأبوية في جنوب شرق اسيا وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط يفرض الرجال سيطرتهم على النساء وأهم مظاهر هذه السيطرة تحكم الرجل في السلوك الإنجابي للمرأة، ويكون نتيجة ذلك أن تظل الأسرة في تلك المجتمعات محافظة على استقرارها

والمهم أن ننتبه هنا إلى أنه لما كانت فكرة سيطرة الرجل في هذه المجتمعات التي يبرز فيها التدرج الطبقي على أساس النوع (ذكر / أنثى) فكرة سائدة، ويؤمن بها النساء والرجال على حد سواء، فإن النساء لا يحاولن الاستقلال اقتصاديا عن الرجال، وإنما هن يشاركن في الأنشطة الانتاجية نتيجة تخلف الطرف الآخر عن أداء واجبه، فهن لم ينشأن اجتماعيا على فكرة الاستقلال أو الاستمتاع به، أو على فكرة السيادة وحيازة القوة المبنية على نشاطهن الانتاجي

كما نضيف أن افتقارهن إلى التعليم والمهارات، وفرض التفرقة عليهن واستغلالهن يجعل من الصعب على نساء الطبقات العاملة والدنيا ـ بصفة خاصة ـ أن يترجمن وضعهن المكتسب في بناء الأسرة إلى قوة واستقلال، بل إنهن يستمررن في البحث عن علاقة أكثر استمرارا ودواما مع رجل يحميهن ويسيطر عليهن □

هو .. وهي

قطيعة

● سنة كاملة لم أر شقيقتي على الرعم من أسا نحيا في مدينة واحدة ، وبين بيتينا عشر دقائق سيرا على الأقدام ، لكن عناد الرحال يورث كمرا ، ويقطع رحما ، ويهدم علاقات

أكبر شقيقتي بثلاث سنوات ، ولدا كنت دوما الأخت الكبرى واقعا ومعنى ، وكنت الصديقة في نفس الوقت تروحنا ، وسارت بنا الحياة ، وكنا نلتقي أسبوعيا كل مساء خميس ونهار جمعة ، وخلال الأسبوع زيارة خاطفة مني وزيارة منها ، ولم نكن ندري بأن الرحال يتراكم في نفوسهم الكثير وفي الوقت الذي كانت فيه علاقتي بشقيقتي تزداد وتتوثق ، ومحبة الأبناء وتآلفهم في نمو كانت علاقات الرحال تخفت ، وكنت أسمع من زوجي ملاحظات لا تنتهي عن زوج شقيقتي أخطأ في كذا ، وتصرف كيت ، وهذا الموقف ليس طيبا ، وتجاهل الذوق في



هذا وذاك وللعجب عندما كنت أحكي لشقيقتي كنت أسمع منها أيضا قدرا من الملاحظات عن زوجي ، فزوجها هي أيضا يعدد لها عقب كل لقاء ملاحظاته وانتقاداته ، وماذا تجاهل ، وماذا عمر وهكذا تراكمت في النفوس صغائر ، إلى أن انفجر الموقف تواعدنا على الزيارة دات يوم ، وبسوء فهم مشترك ذهبنا نحن إليهم في نفس الوقت الذي أتوا فيه إلينا ، وانفجر الزوجان ، كأنهما كانا ينتظران سببا ، وأقسم كل منهما بألا يدخل بيت الآخر ، وألقى كل واحد منهما موعظة عن احترامه وعن كرامته ، وعن تجاهل الآخر له ، وكنا (شقيقتي وأنا) نتصور أن هذه الغضبة ستنتهي بعد أن يدرك الزوجان عنصر « الكوميديا » الكامن في الموقف ، لكن لأن الموقف لم يكن هو السبب ، ولأن النفوس كان بها الكثير لم يحدث الانفراج ، ولم تهدأ العاصفة ، بل أصر كل طرف على موقفه ، ورفض كل واحد منهما أي محاولة للصلح وبدأ زوجي يدعو أصدقاءه في أمسيات الخميس ، ويتفق على زيارات في نهار الجمعة ، كي لا يترك لي فرصة لزيارة شقيقتي ، وكلما مرت الأسابيع تحول العناد إلى ضغينة وحاولت كثيرا أن أستأذن زوجي في الذهاب ، لكنه صرخ في قائلا كرامتي من كرامة زوجتي ، ولا بد أن يبدأ زوج أختك بالاعتذار ثم نفكر بالأمر وصارت قطيعة

.. هي

بلا حصانة

● يطل دلك أمرا محيرا هل هناك حصانة لعلاقات إسانية ؟ وهل هناك علاقات فوق كل المشاعر الاسانية ؟ في تقديري أن العلاقات الإنسانية لا تتمتع بحصانات نهائية ، فقد يكون هناك إبقاء على علاقات ما أو حرص على علاقات أحرى ، لكن أن نصمي من أنفسنا على علاقات ما هده الحصانة فهدا يوقعنا في تهاونات وتنازلات في حقوقنا لا يقبل بها أحد

وأعرف أن واحدة من أهم العلاقات الاسانية التي تعلو فوق هده الاعتبارات علاقات الرحم والأبوة والبنوة والأحوة إلخ ، ويشهد الله أني كثيرا ما طلبت من روحتي أن تود شقيقتها ولا تقطع بينهما، وإني عندما أقف موقفا ما فلأني لست أحا ولا أبا ، ومن حقي أن أعصب لنفسي ولزوحتي ، وقلت كثيرا لروحتي مهما كانت مشاعرك ، ومهما كانت أحاسيسك نحو شقيقتك ، فالأمر يستدعي بين حين وآحر أن تقفي وتسجلي أنك تعترضين على شكل المعاملة

إن علاقات الأحوة لها قدر من المساواة ، لا تسمح بأي نوع من أنواع ممارسة الفوقية ، وأحدت أعدد لها وأدكر لها ملاحظات شقيقتها عليها وتصرفاتها معها ، وانتقاداتها الدائمة لها ، وإحراجها المستمر لها أمام الأصدقاء ، وقلت لها لا تحسبيني أني أفرح بهدا التقليل من شأنك ، إنه يؤلمني كما يؤلمك ، بل يؤلمني أكثر لأني مسئول عنك ، ولكن روحتي



هداها الله تلود بطيبتها وتقول إن شقيقتها لا يمكن أن تقصد إساءة ، وأن كل ما تقوله وتفعله ما هو إلا سلوك فطري غير مقصود ، فهي في البداية والنهاية شقيقتها ، وحاولت كثيرا

وعندما فاض الكيل ، ولم يعد هناك متسع للصبر ، حدث الخلاف بيني وبين روحها ، وأعلم أني ظهرت في صورة من يبحث عن سبب للخلاف ، لكن بيني وبين نفسي كنت أريد أن أسجل موقفا ، وأفتح بابا للعتاب ، وأن تعلن روحتي سلوك بسيط أنها غير راضية عن سلوك شقيقتها معها ، لكنني فوجئت أن الآخرين أيضا كانوا يترقبون فرصة كي يعلنوا القطيعة ، ويتمادوا في الخصام ، فلماذا يصبح قدرنا أن نسعى نحن ـ دوما ـ بمبادرات التصالح ؟ وثارت كرامتي وسقطت الحصانة وأعلنتها قطيعة ؟

.. هو



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

من ملف الألبان .

« هلا قرأت هـذه السطور قبـل أن تتناول كوبا من الحليب »

حُمّى مالطا .. أو « البروسيلا »

إعداد : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

مجموعة من الجزر الصغيرة ذات الطبيعة الصخرية ، تقع وسط مياه البحر الأبيض المتوسط ، جنوب جزيرة صقلية ، سماها الرومان مليتا ، ومعناها جزر العسل ، ربما لانتشار أعشاش النحل بين شقوق الصخور ووفرة العسل الذي اشتهرت به هذه الجزر

لقد تداول الناس هذا الاسم ممن استوطنوا هذه الجزر ، أو ممن حكموها بعد الرومان من عرب وفرنسيين وانجليز ، ومع كثرة تداولهم له حرفوه إلى لفظ مالطا

غير أن طبيعة أرض الجزيرة الصخرية الجرداء قد حرمتها من وفرة النباتات وأزهارها ، مما دفع النحل إلى الهجرة والرحيل ، فلم يبق عليها سوى قطعان الماعز القانعة بما قسم الله لها من الأعشاب ومن هنا اشتهرت جزر مالطا (وأكبرها تسمى بجزيرة مالطا أيضا) بأغنامها ذات الحليب الوافر

غير أن جزيرة مالطا قد تميزت أيضا إلى جانب أغنامها بحمى تصيب الناس بموجات الحمى بين حين وآخر ، وكانوا يسمونها حمى مالطا ، وقد ظنوا أنها نوع من حمى التيفوئيد المصحوبة بآلام في المفاصل والعرق الغزير ، ولم يعرف أحد لها سرا ولا سببا

غير أن طبيبا عسكريا انجليزيا يسمى دافيد بروس عنّ له أن يفحص طحال أربعة من ضحايا هذه الحمى الذين ماتوا بسببها عام ١٨٨٧ ، فوجد فيها شكلا من أشكال الميكروبات ، سماها مكورات مالطا

كانت بريطانيا العظمى تحتل جزيرة مالطا في ذلك الحين ، وكانت تتخذ منها محطة رئيسية لأسطولها في البحر الابيض المتوسط ، لهذا كانت ترسل جنودها في إجازاتهم وجرحاها في حرب القرم إلى تلك الجزيرة ، لقضاء فترات من الراحة والاستجمام والنقاهة ، فكانت حمى مالطا تلاحقهم وتختلس منهم ما ذهبوا من أجله ، مما دفع بالحكومة البريطانية إلى إرسال بعثة طبية لتقصي الحقيقة ، وقد عثرت البعثة

طبية على الميكروب الجبيث عام ١٩٠٤ في حليب ماعز ، كما وجدت في احسامها أجساما مضادة له ، هي مما وجده بروس عام ١٨٨٧ في مرضاه . انتهت اللجنة الطبية إلى أن الماعز هي مصدر عدوى . وأن حليبها الملوث هو وسيلة تلك العدوى ، اذ كان الناس يشربون حليب الماعز طازجا دون غلي لقناعتهم بفائدته

في عام ١٨٩٧ ، أي عقب اكتشاف بروس ميكروباته المالطية عثر طبيب دانمركي يسمى بانج على ميكروبات تسبب الاجهاض للأبقار في الدنمارك ، لكن احدا لم يخطر على باله أن يقارن بين ميكروبات بروس وبانج ، حتى جاء عام ١٩١٨ حين اكتشف الاطباء أن هذه الميكروبات من عائلة واحدة ، وذات قرابة حميمة ، هذا اطلقوا عليها اسم (البروسيلا) . وفرقوا بينها باسم البروسيلا المالطية والبروسيلا المجهضة . ثم اكتشف طبيب امريكي في اتلانتا نوعا ثالثا يصيب الخنازير ، سميت باسم بروسيلا الخنزير

لقد اكتشف الأطباء أن الحمى المالطية ليست حكرا على جزيرة مالطا كما توهموا . بل إن لها موقعا في كل بلد يقع حول سواحل البحر الابيض المتوسط . لهذا فضل بعضهم أن يسمها بحمى البحر الابيض المتوسط ، أو الحمى المتموجة انطلاقا من صورتها المرضية ، حيث تهاجم الحمى ضحيتها في موجات بين حين وآخر . لأنها تقع داخل خلايا الكبد ، وتنطلق منها حين تأتي لها الفرصة

عدوى المرض

البروسيلا مرض حيواني يصيب أساسا قطعان الماعز والأبقار والخنازير ويصيب أيضا الخيول والكلاب وغيرها من الحيوانات . ويصل إلى الانسان مع الحليب غير المعقم ، أو من لمس الحيوانات أو إفرازاتها من بول أو دم أو مخاط .

وتعتبر البروسيلا مرضا مهنيا أيضا ، يشيع بين القصابين والأطباء البيطريين والمزارعين وعمال مزارع الحيوانات والرعاة . لكن الانسان المصاب لا يعدي إنسانا آخر ومدة حضانة هذا المرض قد تتراوح ما بين أسبوع وثلاثة أسابيع ، لكنها قد تطول شهورا قبل أن تظهر أعراضها

الصورة المرضية

للمرض صورتان أساسيتان هما

١ ـ البروسيلا الحادة

٢ ـ البروسيلا المزمنة

يدخل الميكروب إلى جسم الانسان مع الحليب الملوث . أو بملامسته لبقايا حيوان مصاب ، ثم يسري مع الدم ليعشش داخل خلايا الكبد والجهاز اللمفاوي ، ثم يعاني المصاب من حمى مفاجئة ، مع آلام في المفاصل ، وعرق غزير ، وإنهاك شديد ، وفقدان للشهية وربما تظهر على المصاب « هلوسات » واختلاطات عقلية وآلام عامة

وتستمر هذه الصورة أسبوعا أو اسبوعين ثم تزول تلقائيا

وقد تعاود المريض هذه الصورة المرضية للحمى في موجات ، تستحق معها اسم الحمى المتموجة

الوقاية والعلاج

يتوفر لعلاج الحمى المالطية أو البروسيلا عقار « تتراسيكلين » ، و « استربتومايسين » ، لكن الوقاية من المرض أفضل وأسهل ، لأنها تتركز على تعقيم الحليب بأي صورة ، سواء كان بالغلي أو بالبسترة أو بالتعقيم بالحرارة العالية ، غير أن الأطباء لا يفضلون البسترة أو الحرارة العالية الزائدة عن درجة الغليان ، لأن الغالبية من الناس تكتفي بفوران الحليب دون غليه توهما منهم أن الفوران هو الغليان ، دون أن يعلموا أن الفوران يتم في درجة

حرارة مدنية عن العليان ، مما يبيح الفرصة لبعض الميكروبات أن تنجو من أثر الحرارة القاتلة لها عند العليان

ومن الواجب أن نؤكد على الحذر من تناول لحوم الحيوانات المريضة ، أو الاختلاط بها أو حتى مسها ، أو التعرض لافرازاتها ، وبخاصة من يعمل في مجال العناية بالحيوانات أو تربيتها أو علاجها ، كما يحدث في حالة إجهاض البقر مثلا

التطعيم

التطعيم ضد البروسيلا بالطعم ذي الميكروبات الحية المروضة أو الميكروبات الميتة يستعمل لاعطاء المناعة للماعز والأغنام والأبقار ، لكنه لا يعطى للانسان ، لشدة التفاعلات التي يحدثها [illegible] الحيوان المريض يجب ذبحه دون أكله أو عزل ويجب أن يتم تطعيم الحيوان بصورة دورية سنويا

ومن الجدير بالذكر أن نسبة الوفيات من البروسيلا ضئيلة ، لا تتجاوز (٢/) ، [illegible] مضاعفاته قد تكون خطيرة ، ومعجزة ، حيث [illegible] تدمر العظام ، أو تصيب المخ بالتلف ، لهذا يصدق المثل القائل درهم وقاية خير من قنطار علاج . والوقاية هنا عدم شرب الحليب الطازج دون تعقيم □

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة

ـ ا م هـ ـ عمان ـ الأردن

ربما أفادتك استشارة طبيب متخصص في الأمراض النفسية

م م ن ـ دمشق

مازلت صغيرة ، وأمامك متسع من الوقت حتى تتوقف زيادة الطول ، فلا داعي للقلق ، وإذا كان عندك شك فراجعي طبيبا متخصصا بالغدد الصم

ـ س ح ـ دير الزور ـ سوريا

لقد كان استعمالك المازوت في غسل شعر رأسك خطأ كبيرا ، والأفضل لك هو مراجعة طبيب متخصص في الأمراض الجلدية في أقرب فرصة ممكنة ، واحذر أن تستمع الى نصائح الجهلاء اطلاقا

ـ مصطفى طا ق ـ المغرب

لقد ظهر في الأسواق عقار لعلاج سقوط الشعر يدعى « مينو كسديل » ، والأفضل مراجعة طبيبك الاختصاصي في الأمراض الجلدية ليبين لك كيفية استعماله أو ينصحك بزراعة الشعر لدى اختصاصي أمراض التجميل

ـ السيد/ ابراهيم عبدالكريم ـ حماه ـ سوريا

سنكتب عن مرض السكر تفصيلا بإذن الله في الأعداد القادمة من مجلة العربي

ـ السيد/ س ج ص ـ الاسكندريه

من الصعب تشخيص معاناتك دون فحص طبي شامل ، والأفضل لك هو استشارة طبيب اختصاصي في الأمراض الجلدية للكشف على حالتك

ـ الأخت / ج ح ـ دمشق

من الأفضل استشارة طبيب اختصاصي في الغدد الصم ، لاجراء تقييم للتوازن الهرموني في الجسم وبخاصة الهرمونات الجنسية ، وعلاج أي خلل قد يكشف عنه التحليل في أقرب فرصة

مساحة ود ..

ولو كنت جميلاً

لماذا نكتب ؟ يبدو أن هذا السؤال سيظل يلح على كل من يمسك قلمًا ويعرف الكلمة ، وستظل الإجابة تطارد خيالات الكتاب وضمائرهم .

نحن نكتب - في تصوري - كي نزيد من فهم الناس للحياة والواقع ، ولكي نضفي معنى جميلا على الحياة ، ولكي نسهم بكتاباتنا في توكيد معاني الصدق والعدل والحرية ، ولكي نزيد وعي الجميع بأهمية الحياة وقيمتها وغايتها ودور الإنسان وإسهامه فيها .

ولا يخلو الأمر بين حين وآخر من إحباطات وأحزان وأسى ، لكن في السنوات الأخيرة زاد الإحباط والحزن ، حتى فاضت النفس ، واندفع التساؤل عن جدوى ما نكتب ، وهل يدفعنا الإحباط إلى أن نكف ونكسر أقلامنا ، ونبتلع كلماتنا وآراءنا ؟ في كل عام يصلني في البريد عدد من الدوريات والكتب السنوية لعديد من المنظمات الدولية والشعبية ، وهذا العام وأنا أطالع فيها ازداد إحساسي بالإحباط والعبث ، وتأكدت أن الأزمة ليست أزمة في وطننا العربي الكبير الذي يشهد تراجعات ومرارات يومية فاض بها القلب فقط ، لكنها أزمة تمتد لتشمل العالم كله ، فخمس سكان العالم يعيش بلا مأوى على الإطلاق ، وما زلنا نكتب !

وفي كل عام يموت نصف مليون امرأة خلال فترة الحمل من جراء الإهمال والفقر وسوء أحوال الحياة ، وما زلنا نكتب ! وفي كل عام يموت ٣٠٠ ألف طفل من السعال الديكي ، وما بين مليونين إلى ثلاثة ملايين طفل يموتون بالتهابات أجهزة التنفس التي تبدأ بمجرد نزلة برد ، وملايين الأطفال يموتون أو يعاقون أو تتلف أدمغتهم بسبب سوء الرعاية وانعدام الطعام .

كل هذا وما زلنا نكتب ! وكل يوم جديد يحمل إلينا خبرًا عن قهر جديد ، واضطهاد جديد ، واعتقالات لسجناء رأي ، وإرهاب وفقد لشباب ينخرطون في غياهب التطرف وإلغاء العقل .

صار كل صباح مليئًا بكل ما يوجع النفس ويؤلم الضمير ، وصار القلب حفرة مليئة بالندم والألم .

وينفجر السؤال : لماذا نستمر ؟ وما جدوى ما نفعل ؟ وإلى متى هذه الإحباطات التي لا تنتهي ؟ !

لم يعد الأمر كما قال شاعرنا الرقيق إن المشكلة فينا ، وإن الأمر قابل للحل فقط لو نرى جمال الوجود جميلا .

لقد صارت حياتنا أكثر تعقيدًا ، ومراراتها أكثر وجعًا ، وصار الألم أكثر إرهاقًا من كل ما نرى ونعرف ونسمع .

وما يصبح التحدي : هل نستسلم لإحباطاتنا أم نواصل [illegible] كل ما هو نبيل ، ولكن مهما كان قدر [illegible] [illegible]

تباريح جريح

لجميل بثينة

اشتهر جميل بنسبته الى من أحب، الى بثينة. أما اسمه على وجه التحقيق فهو جميل بن عبد الله بن معمر، وهو وهي - أي بثينة - من بني عذرة، من قبيلة قضاعة المنتسبة الى معد من عرب الشمال. كانت أمه جذامية من اليمن، وهو على أي حال غير جميل بن معمر الجمحي. وبنو عذرة الذين ينتسب اليهم هذان العاشقان اشتهروا بالعفة والطهر، حتى غدا اسم قبيلتهم علماً على نوع من الحب هو الذي يعرف بالحب العذري، وهو حب يتصف بطهر القلب ونبل الغاية وصدق العاطفة.

لم تحدد السنة التي ولد فيها جميل، لكن بعض الروايات تذهب الى ان مولده كان في عام ٤٠ هـ، في وادي القرى شمال الحجاز، بالقرب من المدينة، وفيه ترعرع ونشأ. وقد احب في مطلع شبابه ام الحسير بنت حبأ، ثم ما لبث أن أحب ابنة عمها بثينة. وكان أول ما علق بثينة أنه اقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له «بغيض»، فاضطجع، وأرسل إبله مصعدة، وأهل بثينة بذنب الوادي. فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين الماء، فمرتا على فصال له بروك فنفرتهن بثينة، وهي إذ ذاك جويرية صغيرة، فسبها جميل فسبته، فملح إليه سبابها، وأحبها وأقبل على النسيب بأحبها". وقد استمد محقق الديوان هذه الرواية من مصادرها التراثية. وهناك رواية أخرى تذكر في هذا الصدد لا يتسع المقام لذكرها.

ولما تعلق جميل بثينة وشغف بها حباً جعل يقول فيها الشعر، ويقصدها في حيها فشكاه أهلها الى مروان بن الحكم، وقد كان والياً لمعاوية على المدينة، وكان عامله على وادي القرى دجاجة بن ربعي، فهدد الأخير جميلاً وتوعده فهرب وتزوجت بثينة رجلاً من بني عذرة يقال له نبيه بن الأسود العذري، لكن جميل لم يكف فظل يقول فيها الشعر ويزورها في حيها الى أن أهدر عامل بني أمية على وادي القرى دمه، فخاف جميل وهجر الحجاز الى مصر ومرض فيها ومات سنة ٨٢ هـ، وهو في الأربعينيات من عمره.

•

لقد ادخل الرواة على شعر جميل وسيرة حياته أشعاراً وأخباراً متخيلة، وأسرفوا في ذلك، حتى ظن بعض المحققين أن ليس هناك على وجه اليقين شاعر يدعى جميلاً. على أن البحث والتدقيق يفضيان الى القول بوجوده. وإن داخل سيرته وأشعاره شيء من الشك والتلفيق.

أما شعر جميل فهو فصيح رقيق ، واضح المعنى ، مشبوب العاطفة قال عنه عبد الرحمن بن الأزهر ، وهو من معاصريه « هذا والله أشعر أهل الإسلام » وقال عبد الرحمن بن حسان « نعم والله وأشعر أهل الجاهلية ، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيبه »

تباريح جريح

لقد فرح الواشون أن صرمتْ حبلي ... بثينةُ أو أبدتْ لنا جانب البخل [1]
يقولون مهلاً يا جميلُ ، وإنني ... لأقسم مالي عن بثينة من مَهْل [2]
أحِلْمًا ! فقبل اليوم كان أوانهُ ... أم اخْشى فقبل اليوم أوعدتُ بالقتل
إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا ... جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل [3]
ألا أيُّها البيتُ الذي حيل دونه ... بنا أنت من بيتٍ وأهلُك من أهل [4]
كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة ... الى إلفه واستعجلتْ عبرةً قبلي [5]
فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ... ولكنْ طلابيها لما فات من عقلي [6]
فإن وجدتُ نعلَ بأرض مضلَّة ... من الدهر يوما فاعلمي أنها نعْلي [7]
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها ... ويا ويح أهلي ما أُصيب به أهلي
أحدّي لا ألقى بثينة مرة ... من الدهر إلا خائفا أو على رحْل [8]
خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما ... قتيلا بكى من حب قاتله قبْلي
أو امَ عمرو تعدلاني هُدّيتُما ... وقد تيَمتْ قلبي وهام بها عقلي [9]
أبيتُ مع الهُلاَك ضيفا لأهلها ... وأهلي قريبٌ موسرون ذوو فضل [10]
ولستُ على بذل الصفاء هويتُها ... ولكن سبتني بالدلال مع البخل [11]
أعاذلتي أكثرت جهلا من العذل ... على غير شيء من ملامي ولا عذلي
نأيتُ فلم يُحْدث لي النأيُ سلْوة ... ولمْ أُلف طولا عن خلّة يُسلي [12]

(١) صرمت قطعت حبلي ودي
(٢) من مهل من رفق أوسكون الحلم التعقل
(٣) إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا إذا ما تداولنا في الذي كان بيننا
(٤) بنا أنت نحن نفديك بأنفسنا
(٥) عبره دمعه
(٦) ولكن طلابيها ولكني أطلبها
(٧) الأرض المضلة الارض التي لا يهتدي السائر فيها
(٨) على رحل راكبا إما على سفر أو على أهبة الهرب
(٩) تيمت ذللت
(١٠) الهُلاَك الفقراء الذين ينزلون بالناس طلبا لمعروفهم من سوء الحال
والموسرون الأثرياء
(١١) لم أنل منها صفاء ، لكنها اسرتني بدلالها (١٢) الطَّوْل العيبة

- أرضى من بثينة -

وإني لأرضى من بثينة بالذي — لو ابصره الواشي لقرت بلابله[13]
بلا، وبأن لا أستطيع، وبالمنى، — وبالأمل المرجو قد خاب امله
وبالنظرة العجلى، وبالحول تنقضي — أواخره لا نلتقي وأوائله

يكاد في الأبيات التي اخترناها يقع على كل الظروف المتقلبة التي يلم بها شاعر الحب العذري وتلم به. لقد أنفق جميل عمره - بعد أن تعرف الى بثينة وأحبها - في قول الشعر الذي يتحمل به الأعدار، ويدفع لوم اللائمين، وعذل العادلين، فإذا أحست بثينة رحلا آخر غيره ازداد بها تعلقا، وبوجه إليها عتاب رقيق، حتى أورده حبه وأشعاره مورد الهلكة حين شكاه أهلها الى الحاكم، فأهدر دمه. ولو سمعنا الأبيات السابقة لألفيناها تروي قصة حب يؤرق جميلا ويشغل فكره وتملك عليه نفسه، فالصلة بين المحبين لا تدوم على حال، فهي في مد وجزر، وإقبال وإدبار. فإذا بدا في الحبيبة جانب الصرم والقطع فرح الواشون، وإذا سار فيها المحب على غير هدى من عمل هب المتنقلون يبدون النصح، ويشيرون بالتمهل

وهما على حال من الشوق والقلق، لا تبقي للمحبين إلا أن يراجعا ما كان بينهما، وإن كانت تلك المراجعة مهيجة للذكرى، باعثة على الأسى. كم كان يود لو أن يفدي بثينتها بنفسه وأهلها بأهله!

وتبلغ الذكرى بالمحبين ذروتها، ويقصيان الى يأس أو ما يشبه اليأس، فيكتان صبابة. أما هو فعذره في طلبها والسعي إليها أنها سلبت عقله، بحيث لم يترك له سبيلا للرشاد، فإذا تعذر اللقاء، وبرح الوجد بأهله هام في أرض مضلة، لا يهتدي فيها السائر سواء السبيل. ويعلل أن التيه في مثل تلك الأرض يعني الفناء. وقد يعثر الجوابون ومرتادو القفار على نعل في يوم ما. فإن كان لهم ذلك، فما تلك إلا نعل جميل بعد أن هام على وجهه وهلك

إن حبا على هذا النحو لا يجر على صاحبه إلا الويل، ولا يستتبع إلا حسرة الأهل. فيا أيها العادلون كفوا الملام! يقول جميل: لقد حرت الناي عنها، لعل في ذلك بعض سلوى، ولكن محاولتي ذهبت أدراج الرياح، فلم ألق سمعت من قبل ان البعد عن الخلان يسلي، لكني على الرغم من كل العناء أبكيها وأنا قتيلها، وقد كان جديرا بي أن أبكي نفسي وأندب حظها العاثر

وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة يبدو الواشي وقد استحوذ على تفكير الشاعر، لا ينازعه في تفكير جميل إلا القطب الآخر الذي تدور حوله كل تلك المشاعر المتقدة التي تجعله يرضى من بثينة «بلا»، «وبأن لا استطيع»، و«بالمنى» حتى ولو خاب رجاؤها، هل يرضى الواشي هذا الاقتصاد في طلب الوصل فيكف عن سعيه في الوشاية بين المحبين؟

والأبيات على قلتها حافلة بالمواقف التي يكابد فيها الشاعر الوانا من العذاب، وهي توحي بالكثير

إنه شعر يبلغ الذروة في الجمال، ولو توقفنا قليلا لاستجلاء بعض مظاهر هذا الجمال لتبدى لنا في الصدق، فالشاعر يحرص على أن ينقل إلينا المواقف على علاتها، لا يعنيه أن يبدو من خلالها عاليا او مغلوبا، قويا أو ضعيفا، فيحملنا على الاصغاء، وهو بصدقه لا يصور نفس الشاعر فحسب، بل يوحي إلينا بأنه يعبر عن خلجات نفوسنا، وما يعتمل فيها، مما نعجز عن التعبير عنه

وهو جميل لبساطته، فلم يجتهد الشاعر في الغوص على المعاني واصطياد فرائدها، بل هو يقتصر في المعنى على ما يصف الحالة الوجدانية التي ألقى نفسه عليها □

---

(١٣) بلابله: [illegible]



دموع البطالة

قصة للكاتب الألماني : فالتر شميله
ترجمة . سمير مينا

أنا بائع بأحد المتاجر . تعلمت في قسم الملابس الجاهزة للرجال . ثم انتقلت إلى قسم السجاد والستائر « والديكور » وأنا اليوم واحد من البائعين الذين تعينهم الإدارة للظروف الخاصة ، فقد يحدث أن تطلب الإدارة مني أن أنتقل إلى قسم اللعب أو قسم ملابس « التريكو » وهم يطلقون علي هذه التسمية التي لا أكره سمة مثلها في لغة البائعين فهم يقولون إنني بائع محك

كنت سنوات عديدة بائعا كأي بائع ، بائعا عاديا ، لا أكثر ولا أقل . سلوكي سلوك حذر ، تعليمي عام متوسط . لدي قدرة يسيرة على الفهم ، وأتحدث الانجليزية بعض الشيء ، أي أنني لا أستطيع سوى ما يستطيعه ـ تقريبا ـ كل الآخرين ، ومع ذلك فأنا اليوم بائع متميز

كيف حدث هذا ؟ هل نافست منافسة غير شريفة ؟ هل نافقت لدى رؤسائي ؟ ، كلا ، لم يحدث أي شيء من هذا . بل على النقيض . فلقد رفعوني إلى قمة السلم الوظيفي عندما لم أعد أهتم بهم ، وحينما لم تعد لوظيفتي أية أهمية بالنسبة لي

وقفت ذات صباح خلف طاولة البيع وقد عمرني هذا الإحساس الرفيع ، وكان ذلك في قسم الأثاث ، كنت قد عزمت على أن أترك الأسوار وأخاطر بالهرب ، عالما أن هذا هو آخر أيامي كبائع في هذا المتجر ، وعاقدا النية على أن أرتكب أشد المحاذير التي تعرفها مهنتنا ، وهي أن أصارح العميل بالحقيقة . وأن أمزق امام عينيه كل تلك الأكاذيب المنسوجة من العبارات المحفوظة والتأكيدات المكررة . وهو ما يميزنا كبائعين كنت أشعر بحنين قوي إلى الحقيقة ، ولم أعد أريد إخفاء أي سر من الأسرار . كنت أدرك أنهم سيلقونني خارج المتجر ، وكنت أعرف أن الإستقالة ستكون في جيبي عصر هذا اليوم

وهكذا نهضت وأخذت أودع ما حولي قلت لنفسي لآخر مرة سوف تضايقك لافتة « باب خروج للطوارىء » كنت في حالة نفسية طيبة . وأخذت أرتب ورق « الكاربون » في دفتر الفواتير الخاص بي منتظرا أول عميل كان رجلا يناهز الخمسين ، حياني قائلا

* كاتب ومترجم من القطر العربي المصري

ـ صباح الخير
وأجبت بلطف ، فأنا أريد في كل الاحوال أن أظل لطيفا ، فاللطف والحقيقة لا يتعارضان
وسألني العميل
ـ ألديك مائدة يمكن فتحها ؟
فقلت له أتعني مائدة قابلة للفتح والطي ؟
فأجابني نعم ، وإذا كان ممكنا ، فأريد واحدة يمكن التحكم بارتفاعها

ـ بالتأكيد ، أستطيع أن أريك شيئا كهذا ، لكن ـ بصراحة ـ أنا لا أثق كثيرا بمثل هذه الموائد ، لقد أعطتها الدعاية أكثر مما تستحق

وسألني العميل كيف ؟ إننا نرى أشباه هذه الموائد في كل مكان ، وأحسب أنها عملية إلى أبعد حد

ـ قد يكون هذا صحيحا ، فليس لدي دراية بكل طرز الموائد القابلة للفتح والطي التي تنتجها المصانع ، فأنا لا أعرف إلا الطراز الذي نبيعه ، وهذا الطراز به عيوب تصميمية ، إنه لأمر مناف للحقيقة أن أكتم عنك هذا

فرجع الرجل خطوة للوراء وسدد النظر إلي كأنني شيء تغيرت ملامحه فجأة ، لابد للإنسان أن يعيد النظر إليه
وردد الرجل عيوب تصميمية ؟
ـ أجل غير ملحوظة على الاطلاق ، معقدة للغاية ، قد أحجبتها التقنية الحديثة ، فهي ليست من البساطة لتظهر

واتجهت إلى المائدة ، ووضعت قدمي على الدواسة ، يجب على المرء أن يضغط عليها بحنة إلى أسفل مثل « بدّال التعشيقة » ، لكنني بكل بساطة خطوت فوقها ، فإذا بقرص المائدة يرتفع إلى الوراء ويصطدم بمقدمة ذقن الرجل
قلت له متأسف ، لم يكن هذا قصدي
وبالفعل لم يكن ليخطر لي على بال أن أسبب الرعب للعميل بأي حال من الأحوال ، لقد اقتحمت هذه اللحظة العجيبة محادثتنا بمحض الصدفة ، فسببت لي الفزع ، وضحك الرجل ، وارتسمت بعض علامات الارتياح على وجهه
وقال لي عظيم ، يجب أن نعيد الكرة مرة أخرى
ـ « أرأيت ! حتى هذا من الممكن أن يحدث إذ عبث بها عابث بغير احتراس ، ولكن انظر إلى الخشب ، فهو من نوعية ليست ممتازة ، وخشب القشرة مُعرّى بطريقة سيئة »
اذا سمحت لي أن أكلمك على انفراد ، فأنا أنصحك ألا تشتري هذه المائدة ، اذهب إلى أحد المتاجر المتخصصة فهناك طُرز أفضل
وقال الرجل وقد كادت عيناه تتندى من البهجة
ـ رائع ، عظيم ، ثم سألني وهو يصافحني
ـ ما اسمك ؟ ثم أضاف

ـ لقد أعجبتني ، وطلب ـ لدهشتي الشديدة ـ هذا الطراز ، راجيا أن يصله فورا عن طريق عربات الخدمة السريعة
وأجبته
ـ بكل سرور ، أرجو أن يصلك اليوم ، لكن ربما لا يصلك إلا في الغد ، فنحن مثقلون بطلبات الشحن وحتى هذه الصراحة لم تبد له إلا فكاهة وحياني وانصرف
لم يكد العميل يغلق باب المصعد وراءه حتى أتاني رئيس القسم وبدأ حديثا معي
ـ اسمع ، لقد حضرت هذا المشهد ، كنت أقف بالخلف ، وسمعت على الرغم مني بعض ما قلته للعميل ، ومن الواضح أن تتوقع فصلك حالا
ـ واضح ، سأذهب في الثانية عشرة إلى قسم شئون الأفراد ، فلتوفر كل كلمة أخرى
وانقضت ساعة ، وبدأت أتنسم هواء الحرية ، وشرعت أنظم أشيائي لتسليمها ، وإذا بنفر من الرجال يقتربون مني ويسألونني عن الموائد المتعددة الأغراض ، طالبين أن أعرض لهم واحدة
ـ نعم ، لحظة من فضلكم
ورفعت الألواح عن بعضها ، وأريتهم كيف تتحرك القوائم في المجرى إلى أن توقفها الأسطح العريضة ، وأشرت لهم أيضا إلى كل عيوب المائدة ،

وحطوت فوق البدال بقوة أكبر ، وحتى حينما لم أصب أحدا من الواقفين ، فإن دهشتهم كانت عظيمة للحركة الأمامية السريعة لقرص المائدة

ولم تكن النتيجة في تلك المرة أيضا إلا الموافقة المصحوبة بالرضا على هذا التصميم ، أما حكمي الشخصي الواقعي على الخشب وقشرة الخشب فلم يستطع أن يغير من الأمر شيئا

وقال أحدهم

ـ لقد أتينا بناء على توصية من السيد الدكتور « هنرلايت »

ـ أنا لا أعرف السيد الدكتور « هنرلايت » قلت لهم هذا لأنه مطابق للحقيقة

ورد السيد الذي يدير دفة الحديث

ـ السيد « هنرلايت » رأى عندك مائدة من هذا الطراز من قبل ، وقد اشتراها ، نريد أن نطلب منك خمسين مائدة من هذا الطراز ، والتوريد فورا ، إنها لتأثيث مقصف بأحد المصانع ، سيعد أيضا لاقامة الاحتفالات الصغيرة

كان هذا طلبا كبيرا يتعدى حدود امكانياتنا ، فلم يكن ما لدينا في المخازن من هذا الطراز ما يزيد على خمس ، لذا يجب أن تبحث هذه الطلبية مع رئيس القسم ، وحدث هرج ومرج ، ووجهوا إلى نظرات خاصة ملؤها الاحترام

وحينما ذهبت في الثانية عشرة إلى مكتب شئون الأفراد لم يكن هناك أي خبر عن استقالتي ، بل على العكس ، كانت هناك توجيهات بأن أستعد لمناقشة الادارة العامة في الاسبوع المقبل بخصوص مواصلتي للعمل

فوجئت بأن الادارة العامة قد أعدت لي مشروع عقد ، فيه يتم رفع مرتبي الحالي إلى ثلاثة أمثاله ، وتتضاعف إجازتي ، ولي حرية اختيار مكان العمل بالمتجر ، مع الإبقاء على أسلوبي الجديد في البيع (هكذا كتبوا في نص العقد) ، وهو ما خصصوا له فقرة خاصة

ماذا أفعل ؟ فكرت في زوجتي وأطفالي ، فوافقت ووقعت ، يالها من فرصة فريدة لرجل قرر أن يخوض تجربة الحق المطلق ، ثم يحول قراره إلى حيز التنفيذ ، وفوق هذا يستطيع إسعاد عائلته

هذا هو ما حدث ، وأصبحت بائعا محنكا ، وكنت أعتقد أن ارتباطي بالحقيقة المطلقة سيجعلني شهيد هذا المتجر وخائن قوانينه ، ويصبح هذا الارتباط هو عالمي

وتستطيع أن تتفكر كيف راودني في تلك الأثناء الشك في جدوى ما فعلته وما أفعله كل يوم بطريقة تكاد تكون آلية ، **أقول الحقيقة** ، وأعرض الأحراء الخلفية غير المدهونة ، وقد أصبحت ظاهرة ، بل أصبحت لي مدرسة

قال لي رئيس قسم الدراسات منذ فترة يسيرة وهو يودعني

ـ أنت واحد من أكثر العقول عبقرية في الفرع .

وكثيرا ما أتناقش مع زوجتي حول هذا الشك فتقول لي ـ

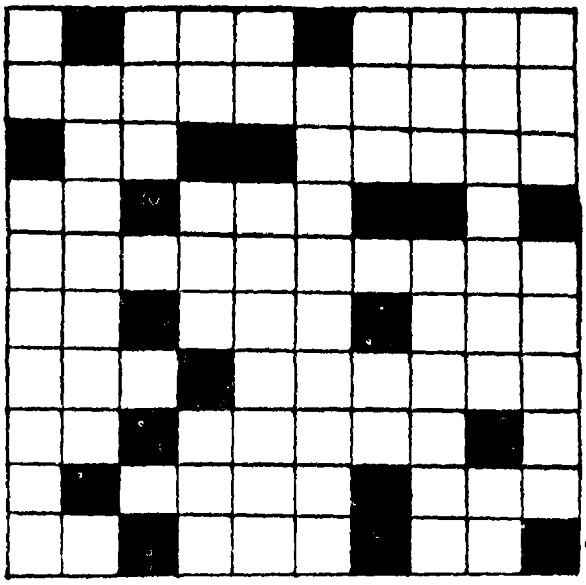
ـ ماذا تريد ؟ لقد هيأت لنا مخاطرتك حياة أجمل فأرد أجل هذا صحيح

ثم تردف وماذا تستفيد الحقيقة عندما يتهاوى من يشهدون بها دون أن يشتهروا ودون أن يعرفهم أحد ؟ ألم يكثر كل العظماء الذين شهدوا بالحقيقة ، والذين نحلهم ونحتفل بهم ، ألم يكثروا جميعهم الحديث ، وهو ما جعلنا نتحدث عنهم ؟ لماذا تريد صنع شيء مغاير في متجرك ؟

وفي العادة فأنا أهز رأسي وأسكت ، لكني في بعض الأحيان ، وبخاصة في الليل عندما أخلو بنفسي أتساءل ألم أفسد كل شيء ؟ ألم أفسد المطلق عندما أدخلته في هذه اللعبة ، في هذا المتجر ، وقد خلطته بشخصي ؟ لكنني أفكر بعد ذلك وأقول المطلق حسده هواء ، إنه لم يخلق لهذا المتجر

وهكذا أؤرجح شكي جيئة وذهابا وتمعنت في الأمر أكثر من مرة ، وسألت نفسي أكنت سأسلك بطريقة غير شريفة إذا ظللت كما كنت بائعا عاديا لا يملك أسلوبا خارقا في البيع ، بائعا كأي بائع ، له حجم مبيعات معقول ، وليس فيه ما يلفت النظر إليه ؟! □

الكلمات المتقاطعة



يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

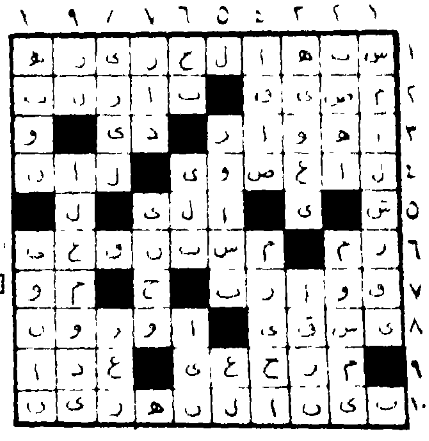
كلمات أفقية

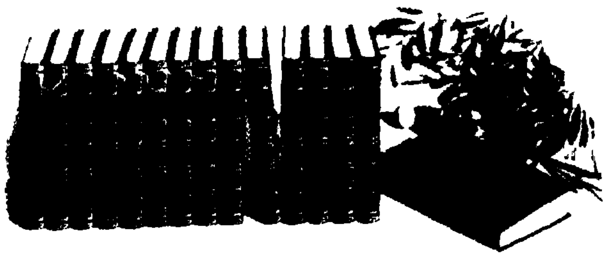
١ ـ حركة الدم في الجسم ، علي بالنار
٢ ـ من أكبر الكيميائيين العرب
٣ ـ لغوي أو متعلق بالنطق واللغة ، نزل في مكان
٤ ـ تحرك واضطرب بشدة ، قادم
٥ ـ من أشهر كتب الكيميائي العربي جابر بن حيان حول السموم
٦ ـ أقارب ، أصلح (الثوب) ، قمح
٧ ـ مصاحبي ، عضو التنفس
٨ ـ يتسع معطوفة ، بكى
٩ ـ حرف مكرر ، مرض عصري ، وبيل
١٠ ـ حرق للعلاج ، تنظر ، ثنى

كلمات عمودية

١ ـ طب لا يعتمد على أساس علمي ، عقار مسكن نقله الغرب عن الأجداد باسمه العربي
٢ ـ حاولت التخفيف عنها ، (الشيء) طرح بعضه على بعض
٣ ـ نشأ ، بيمارستان مشهور في دمشق في القديم
٤ ـ نهر مبعثرة ، كلمة تعجّب
٥ ـ مستشفى في لغة الأجداد
٦ ـ شرع ، من كتب ابن زُهر ، أثّر كثيرا في الطب الأوروبي بمعنى التسهيل
٧ ـ حل معكوسة ، ملأ ، جعل (الفعل) متعديًا
٨ ـ صديد
٩ ـ اسم لكتاب جمع فيه الرازي ملاحظاته السريرية
١٠ ـ عقار نقله الغرب عن العرب بحرفيته تقريبا

حل مسابقة العدد الماضي يونيو ١٩٨٨





كتاب الشهر

Criteria and Methods
for Educational
Research Reform
and Planning

Mullath Vasudevan

مناهج البحث والإصلاح والتخطيط

بقلم : مولاث فاسوديفان / عرض وتحليل : ياسر الفهد

التربية والبحث والتخطيط ثلاثة مفاهيم مختلفة ، يجمع بينها ارتباطها الوثيق بالمجتمع وتقدمه وتحضره .

وهذا الكتاب محاولة لتحديد أطر للعلاقة فيما بينها من جهة ، والعلاقة بين كل منها وبين عملية بناء المجتمع وتطوره الحضاري من جهة أخرى .

كتاب الشهر

يعد الكتاب الذي بين أيدينا والصادر حديثا باللغة الانكليزية ، في الولايات المتحدة ، على درجة كبيرة من الأهمية ، لأنه يدور حول ثلاثة محاور رئيسة ، تشكل موضوعات الساعة في عالمنا التربوي الحديث. وهذه المحاور هي البحث والاصلاح والتخطيط ، وعلى الرغم من كون كل محور منها يمثل حقلا مستقلا ، ومملكة قائمة بنفسها ، إلا ان الحقول او الممالك الثلاث في الوقت نفسه مترابطة ومتشابكة ، تشد بعضها إلى بعض خيوط متينة ، والأكثر من ذلك ان بالامكان صهرها جميعها في بوتقة واحدة ، هي بوتقة التخطيط التربوي ، فالتخطيط يعتمد على نتائج التقويم والبحث ، وهو يهدف إلى طرح المقترحات والتوصيات بغية إدخال التجديد والاصلاح إلى النظم والمؤسسات التربوية ، وصولا الى حل المشكلات وحسن المردود وزيادة الانتاجية. والسبب الثاني لأهمية الكتاب ان مؤلفه (مولاي فاسوديفان) يعد من كبار المختصين العالميين في التخطيط التربوي ، وهو مرجع وثقة في هذا الباب ، وقد عمل مستشارا سنين طويلة ، في عدة مؤسسات دولية ، كاليونسكو ، ومنظمة التعاون والتطوير الاقتصادي ، والبنك الدولي ، ومنظمة العمل الدولية

التخطيط التربوي

على الرغم من أن المؤلف يتناول التخطيط والبحث والاصلاح بوصفها عناصر مستقلة ، إلا أنه اعتبر التخطيط الوعاء الذي يضم هذه العناصر الثلاثة ، وهو يعرّف التخطيط بأنه « مجموعة من النشاطات المترابطة التي تحدد أهدافا للتطوير التربوي خلال فترة معينة من الزمن. وهذه النشاطات تجرى ضمن سياق خطط التطوير العام الكلّي ، وفي إطار الضوابط والامكانات المالية المتاحة » وتزداد أهمية التخطيط التربوي الشامل ازديادا مطردا في عصرنا الحاضر ، فقد غدا هذا التطوير يمثل اليوم جزءا من الفلسفة الاجتماعية لدى معظم أقطار العالم ، وأصبح يُنظر إليه بوصفه شرطا مسبقا أساسيا لكل توسع تعليمي متوازن ، واستثمار فعال للموارد التربوية ، وتهيئة مناسبة لليد العاملة الفنية. ويقارن فاسوديفان بين تخطيط الماضي وتخطيط الحاضر ، فالأمس لم يكن العمل على تحقيق التطوير التربوي يتجلى في اكثر من اجراءات منفصلة غير مترابطة ، لا ترقى الى مستوى التخطيط المنظم ، كما ان الاهتمام لم ينصب إلا على الناحية الكمية فحسب ، فكان هناك حرص على توفير اعداد اكبر من الأمكنة للطلاب ، ومن المعلمين والأبنية المدرسية والمعدات ، دون ايلاء النواحي الكيفية عناية مماثلة. وكان يُعتقد أن مستويات التعلم وطرائقه ومحتويات المناهج وأهليات المعلمين ، امور لا تحتاج ـ على الاغلب ـ إلى تغيير. اما الان فقد اختلفت النظرة ، وبات الاهتمام بالتخطيط التربوي يتخذ ابعادا قومية شاملة ، وتمّ دمج الجوانب التعليمية والاقتصادية والاجتماعية لهذا التخطيط في كلّ واحد ، ولم يعد المخطط التربوي وحده المعني بالعملية ، بل أصبح المعلم نفسه والمختص الاقتصادي والمرشد المهني وغيرهم ، عناصر فيها أيضا. وبالاضافة إلى ذلك ظهر الاهتمام بالجانب النوعي في التربية ، وبرزت القناعة بأن تحقيق التغييرات والتجديدات والاصلاحات النوعية يجب أن تأتي قبل توسيع النظام التربوي. وينتقل بنا الكتاب بعد ذلك إلى عملية التخطيط نفسها ، وهنا لابد من تحديد أهداف التعليم. وهذه الأهداف ليست تربوية فحسب ، وإنما اقتصادية أيضا ، فقد أثبتت الدراسات أن التقدم الاقتصادي لا يعتمد على رأس المال والقوة العاملة والخبرة الفنية وحدها ، وإنما يعتمد كذلك على التربية. وهناك أهداف اجتماعية ، فالتعليم لا تقتصر أهدافه على التمكين من حيازة المعرفة والمهارات العقلية

واليدوية ، وإنما تتجاوز ذلك إلى تطوير المواقف الاجتماعية والمساعدة على اكساب القيم المدنية والأخلاقية . وبعد تحديد الأهداف يجب أن تتحول هذه الأهداف ، في نهاية المطاف ، إلى مشروعات وبرامج عمل ، ومن ثم إلى سياسات تربوية لتنفيذ هذه المشروعات والبرامج .

ويقدم المؤلف منظورا محددا لتقويم الوضع التربوي الراهن ، يقوم على سبر جوانب أساسية معينة في العملية التربوية التي يجري تطبيقها ، ومن هذه الجوانب :

١ ـ بنية التعليم ومحتواه : فمثلا هل تكفي مدة التعليم الالزامي لتزويد الطلاب بتعليم أساسي كاف وسليم ؟ وهل المناهج في مختلف المستويات والفروع متوازنة بالنسبة لعدد الساعات المخصصة لكل مادة أو مجموعة من المواد ؟ وهل هي متكاملة تشكل كلا موحدا ؟

٢ ـ التعلم والنظام المدرسي : فمثلا هل عدد ساعات التعلم الذي يتلقاه الطالب مناسبة ؟ وهل هي أكثر أم أقل مما يلزم ، لكل اسبوع ، أو لكل سنة دراسية ؟ وإذا أجرينا إصلاحا في اللائحة المدرسية الحالية ، فهل يمكن ان يتمخض ذلك عن تحسين قدرة الطالب على امتصاص التعليم ؟

٣ ـ التعليم والمعلمون : فمثلا هل المعلمون مؤهلون بشكل كاف وعلى نحو مرض ؟ وهل تتماشى برامج تعليم المعلمين مع الأهداف التربوية المتغيرة ؟

٤ ـ استعمال الوسائل التقنية الحديثة : فمثلا هل يتم استخدام الوسائل التقنية الحديثة ، كالمذياع والتلفاز والتعلم المبرمج ، لتحل محل الطرق التقليدية في التعليم ، أو لمجرد مساعدتها وإعانتها ؟

٥ ـ البيئة التعليمية : فمثلا ما مدى ملاءمة الأبنية المدرسية والوسائل الترفيهية ، والأثاث والمعدات وحجوم الصفوف ؟ وهل تناسب حاجات الطلاب ؟

٦ ـ اختيار الطلاب وتقويمهم وارشادهم : فمثلا ما الطرائق المستخدمة في اختيار الطلاب لدورات معينة ، ولتقويم صلاحياتهم للترفيع ؟ وهل يتم تقديم النصائح الخاصة بفرص التوظيف في مهن معينة ، على أساس التحليل المنظم ، والمعلومات الخاصة بسوق العمل ؟

٧ ـ كفاية الأبنية التعليمية : فمثلا هل المؤسسات التعليمية والتدريبية ذات حجم مثالي ، ومشيدة في مواقع مناسبة ؟ وهل الأبنية المدرسية مصممة بطريقة اقتصادية ؟ وهل تستفيد عمليه بنائها من التقدم التقني ؟

٨ ـ البحث والتطوير والنشر التربوي : فمثلا هل هناك برامج للبحث ، ولابتداع نظم جديدة في التعلم ؟ وإلى أي حد تؤثر نتائج البحث في النظام التربوي بعامة ، وفي التدريس في الصفوف بخاصة ؟

ويضع المؤلف العناصر التاليه في الدرجات الأولى من سلم التقويم ، ويولي تقصيها أهمية خاصة : اقتصاديات التعليم ـ مؤهلات المعلم ـ المناهج ـ نسبة المعلمين إلى الطلاب ـ الهدر التربوي ـ الحجم المثالي للمدارس .

قواسم مشتركة للتخطيط

وبعد التقويم والاطلاع على نتائج الأبحاث يتم في ضوء الامكانات المالية المتوافرة وضع خطط متوسطة المدى ، وبعيدة المدى ، ويجري تقديم مقترحات وتوصيات لتحقيق الاصلاح والتوسع التربويين . وتحتاج عملية التخطيط إلى تآزر جهود مجموعات كبيرة من المختصين الذين يمكن أن تكون أماكن أعمالهم في الوزارات أو الادارات أو المدارس تبعا لنوع التخطيط ، ولا بد كذلك من اشراك أو مناقشة ممثلين عن المعلمين وأرباب العمل واتحادات العمال والهيئات المهنية والآباء والطلاب والجمهور . ويبين الكتاب أنه ليس بالامكان ابتداع آلية أو بنية واحدة للتخطيط التربوي لجميع الدول ، بل إن على كل دولة أن تصمم نظامها التخطيطي الخاص بها ، الذي يلائم أوضاعها ، فما يصلح لدوله قد لا يصلح لأخرى ، وإن كانت هناك خطوط عامه كثيرة تشكل قواسم مشتركه في التخطيط لكل الدول، **وبعد** أن ينتهي فاسودنمان من شرح الخطوات السابقة ، يعود

لنؤكد أهمية التخطيط التربوي ودوره في العصر الحديث، فدون تخطيط تضطرب الأمور، وتتفاقم الأزمات، ويتدنى مردود التعليم، فالتخطيط ضروري لمواجهة المشكلات التربوية الكثيرة، ومنها الزيادة المستمرة في الطلب على التعليم، وعدم قدرة الأمكنة المدرسية المتوافرة على استيعاب القادمين الجدد، مع ملاحظة أن هناك حقولا في التدريب تزيد فيها عرض الامكنة على الطلب، ومنها مشكلة إعداد افراد مؤهلين لسد حاجات سوق العمل أيضا. ومن التحديات الأخرى السماح للطالب بالحرية التامة في اختيار منهج الدراسة المناسب لاهتماماته ومقدراته وطموحاته المهنية، ولا ننسى أيضا مشكلة توفير فرص تعليمية متكافئة لكل فرد في سن معينة.

ويرى فاسودفان ان نجاح التخطيط التربوي الشامل لا يتوقف على قدرة المخطط فحسب، وإنما على مقدار الموارد العمومية التي يمكن تخصيصها لكل حقل من حقول التربية [illegible] وبالنسبة لعلاقة المخطط بالموضوع [illegible] فالمخطط يسعى [illegible] عدم [illegible] الأمور المثالية، فإن مهمته تنحصر في دراسة الأوضاع التربوية، وتقديم مقترحات لتحسينها.

وإن صانعي القرار هم الذين يتوجب عليهم [illegible] الأمة، [illegible] هذا الرأي [illegible] في حدود [illegible] [illegible] [illegible] التربوية [illegible]

[illegible]

لصالح التعليم. أما المصاريف فتشمل مجالات عديدة، بينها رواتب المعلمين والاداريين، والأجور والعلاوات الخاصة، وصيانة الأبنية، وشراء المعدات، ونفقات الرعاية، ومصروفات الادارة المدرسية، وغيرها.

الاصلاح التربوي

يقول المؤلف بان الهدف الأساسي للتخطيط، بالاضافة الى تحقيق التوسع التربوي المتوازن، ادخال التجديد والاصلاح، وهذا يعني إعادة بناء النظام التربوي، وابتكار طرق جديدة في التعلم. وحتى يتحقق الاصلاح علينا أن نعرف أمورا كثيرة، فمثلا ما الذي يجب تعليمه في المدارس؟ وما طرق التدريس التي يستحسن تطبيقها؟ وما المدة التي ينبغي بقاء التلاميذ في المدرسة خلالها، للحصول على كمية معينة من المعارف والمهارات والقدرات؟ وكيف نجعل التعليم متماشيا مع التغيرات الاجتماعية والعلمية والتقنية والصناعية؟ الخ.

ويفرق المؤلف بين التجديد والاصلاح، مبينا ان التجديد لا يقود دائما إلى الاصلاح الفعال، فالتقنية الحديثة مثلا قد [illegible] في زيادة الانتاجية في جميع الحقول تقريبا، باستثناء التعليم، فالأفلام [illegible] والكاسيت [illegible] لم تخرج عن كونها مجرد وسائل مساعدة.

ومن المشروعات التربوية التي يعدها الكتاب [illegible] للاصلاح (تفريد التعليم)، وهو [illegible] يسمح للطالب بالاكتساب [illegible] التي تناسب [illegible] في التعلم [illegible] مجموعة متنوعة من [illegible] التربوية [illegible] يسمح للطالب [illegible] التعلم [illegible]

وهذا ما يحاول التعليم المبرمج أن يفعله اليوم ايضا ، ضمن حدود معينة

ومن الاصلاحات المقترحة تعديل مدة الدراسة ، فمن المعلوم أن مدة الدراسة الابتدائية في معظم الأقطار ست سنوات ، لكن هناك طلابا موهوبين يستطيعون اجتياز هذه المرحلة خلال أربع سنوات فقط ، فلا بد والحال كذلك من إيجاد ترتيبات تسمح لهؤلاء بعدم الانتظار أكثر من المدة الدراسية الكافية بالنسبة لهم ، اى ان المهم في هذه الحالة ان تقنع التلميذ السلطات المدرسية بأنه قد حصل على قدر كاف من المعارف والمؤهلات المرتبطة بانهاء مرحلة دراسية معينة

ويبين المؤلف ان بعض البلدان بدأت فعلا في الافادة من بعض جوانب ... التعليم . الا ان ... [illegible]

البحث التربوي

[illegible]

ب ـ البحث التطبيقي ويرمى إلى وضع اهداف تربوية معينة موضع التطبيق العملي ومن الأمثلة عليه بحث مفترض حول (الحجم المثالى للمدرسة الشاملة في سنة ما)

ويواجه البحث التربوي صعوبتين اساسيتين اولاهما العقبة المالية ومدى قدرة الاموال المخصصة على تغطية نفقات البحث

والصعوبة الثانية تتعلق بندرة « الكوادر » المدربة ، فالباحث التربوي يحتاج إلى مؤهلات ومهارات وخبرات عديدة في مجال تخصصه ، وكذلك إلى ثقافة واسعة

ويتعرض الكاتب إلى تصنيف البحث التربوي مشيرا إلى ان مشكلات التربية متعددة جدا لحد يصعب معها حصرها . ومع ذلك فإن المؤلف يطرح ... [illegible]

[illegible]

من المكتبة العربية

اللسانيات وأسسها المعرفية

تأليف : الدكتور عبدالسلام المسدي / عرض أحمد محمد قدور

منذ وضع فردناند دوسوسير أسس اللسانيات وهذا العلم يتطور ويجري إثراؤه بالعديد من الدراسات التي تضيف جديدا لهذا العلم المهم وكان على العرب الذين أثروا المكتبة العربية بالدراسات المترجمة بدءوا أخيرا باقتحام هذا العلم تأليفا. وفيما يلي عرض لواحد من أهم الكتب العربية في هذا المجال

ما من مبالغة في القول ، إن التقدم الذي أحرزته اللسانيات منذ مطلع هذا القرن قد امتدت آثاره إلى العلوم الإنسانية ، ليكون انطلاقة منهجية عميقة ، تغلغلت في أعماق التفكير الإنساني. ولقد بات معروفا أن اللسانيات لم تعمل على تحديث المناهج الدرسية في مجالها وما اتصل بها ، إنما عملت على بعث اختصاصات جديدة ، غدت تتبوأ مكانة العلوم المستقلة. من ذلك « الأسلوبية » و« السيمياء » ، إضافة إلى علوم أخرى طورتها تطويرا جذريا ، كعلوم الاتصال والأجناس « الانثربولوجيا » والاعلام ونحوها . وهناك أيضا البنوية التي انبثقت من العلم اللساني الذي أسسه فردناند دوسوسير لتغدو بعدئذ من أهم المناهج الحديثة في عصرنا

في نظرية اللسانيات

ويجيء في هذا السياق كتاب « اللسانيات وأسسها المعرفية » للدكتور عبد السلام المسدي ، وهو من الدارسين المعروفين بالجدية والمتابعة. وليس الكتاب الذي نعرضه هنا كتابا يعرف باللسانيات أو بأعلامها او يقرب مفاهيمها للدارسين ، بل هو تأليف في « نظرية » اللسانيات باعتباره علما له أسسه المعرفية ، ولذلك فهو أقرب إلى البحث في الأصول « الابستمولوجيا » ، من غيره من ميادين البحث

لحق أن هذا الكتاب فريد في نوعه ، لأنه أول بحث ـ فيما أقدر ـ ينحو هذا النحو النظري المتعمق باللسانيات وإشكالاتها المنهجية والمعرفية . ولذلك يصح أن يكون نموذجا للسانيات العربية الحديثة في تفاعلها بين قطبي التراث والمعاصرة

اما فصول الكتاب فهي ثمانية فصول قصيرة ،

ففي الفصل الأول يقف المؤلف عند « إشكال» العلم المتمثل عندنا فيما ندعى « عقبات البحث اللساني » ، وهي عقبات متعددة ، أهمها مكانة علوم اللغة عند العرب واكتمالها مما أضفى عليها صفات التميز والتفوق ، فكان من نتيجة ذلك صعوبة الإقرار بالحاجة إلى العلوم اللغوية الأجنبية في هذا العصر ، كذلك ظن كثير من الدارسين العرب ان اللسانيات محصورة في مجال الصوتيات التي عرفت لدى العرب نضجا مؤكدا ، فكان ذلك سببا لإعراض الدارسين عن اللسانيات لما للصوتيات العربية من مكانة ، ولقلة الاختلاف الذي قد يكون بين لغة وأخرى في هذا المجال . وهناك من هذه العقبات ايضا ما عرف بالمعركة بين الوصفية والمعيارية ، ويرى المؤلف هنا أن كثيرا مما دار من مناقشات كان لا يتيح إمكانية تلافي هدمن المنهجين اللذين لا يتحتم أن يكونا نقيضين ، وإن غلب النظر الوصفي على اللسانيات . كذلك أسهم سبب يتصل بدراسة اللهجات في إعاقة النهضة اللسانية العربية ، فاللسانيات تعنى ـ كما هو معروف ـ باللهجات وتتخذها أساسا للدرس ، لكن هذا التوجه لا يلائم العربية بما لها من دور حضاري وقومي ، ولذلك انسرب الشكوك في مقاصد الدارسين من دراسة اللهجات العربية ، مما جعل من اللسانيات التي اتخذت مطية لغايات لم تكن خالصة لوجه العلم . وهناك اسباب أخرى هي أقل شأنا مما ذكر ، منها أن بعض الدارسين العرب يكتبون بلغة أجنبية ، بسبب التكوين اللغوي والثقافي ، وأن بعض الدارسين يرغب عن متابعة ما يكتبه الاخرون ، لا سيما ما كان مكتوبا باللغة العربية ، لأن طابعه تعليمي ، و أغلبه مكرور ، وان الابداع النظري في اللسانيات قليل عندنا ، على حين أن الدراسات القطاعية في الصوتيات والنحو والصرف والمعجم والدلالة تشهد توسعا مطردا . ويتناول الفصل الثاني « موضوع العلم » من خلال اللغة بين المعيار والاستعمال ، ففي الجانب الذي يكون فيه النحاة وفقهاء اللغة والقدماء ومن تابعهم،يظهر « المعيار » الذي أريد له أن يسيطر على اللغة ، اذ يتحكم بالاستعمال تقويما وتقييما



بنية العلم

ثم يتحدث المؤلف في الفصل الثالث عن « بنية العلم » التي تتمثل في « الأنساق الدلالية » ، وهي الدلالة الطبيعية ، والدلالة المنطقية . والدلالة العرفية . فالدلالة الطبيعية تكون حين نقرن بين حقيقة ظاهرة بأخرى غائبة استنادا إلى سبب معلوم ، كأن يستدل الانسان مما يلاحظه من تكاثر الغيوم على أن المطر قادم ، وكما يستدل الطبيب من خلال ما يلاحظه من عوارض ظاهرة على نوع المرض الذي يشكو منه المريض

أما الدلالة الثانية فهي خاصة بالمنطق الذي يتحول فيه الفكر من الحقائق الحاضرة إلى الحقائق الغائبة عن طريق السبل العقلية . وأهم هذه السبل البرهان

القاطع والقرائن الراجحة - الظنية - والاستدلال الرياضي والدلالة الثالثة هي العرفية ، وهي ليست كما سبق من أنواع الدلالة القائمة على سبب وعلة ، أو تلك التي تستند إلى مسلك عقلي ، بل هي مواضعة يصطنعها الانسان ، فلا يتاح لغير العارف بها أن يلم بما تشير إليه ، لأنه لاموجب لاقتران العلامة بما وضعت له إلا المواضعة والاتفاق الاجتماعي

ويتقدم المؤلف في الفصل الرابع إلى « حد العلم » ليدرس « مقومات الحدث اللغوي » بين العلامة والرمز وأول ما يشار إليه ههنا أن منطلق الدرس يقوم على تقاطع اللسانيات والعلامية أو السيمياء ، إذ اطرد في كثير من البحوث الافتراض المنسوب إلى سوسير ، وهو الذي يذهب فيه إلى أن هناك علما يوشك أن ينبثق ليدرس العلامات جميعا ، كإشارات الصم البكم ، ونظام المآكل والعادات الاجتماعية ونحوها اما اللغة فهي جزء من هذا العلم المفترض ، لأنها نظام من العلامات أيضا ، لكن المؤلف يرى عكس هذا إذ ينطلق من تعريف للرمز والعلامة ينتهي منه إلى النتيجة المغايرة كما سنرى ، فالرمز يقوم على قرينة ، كدلالة السحاب على المطر ، واصفرار الوجه على المرض والرمز أيضا يقوم مقام غيره ، اي أنه يتحول من الدلالة بذاته على ذاته إلى الدلالة بذاته على غيرذاته ، كالسيف الذي يغدو رمزا للقوة او العدل

وفي الفصل الخامس حدد المؤلف « مراتب الظاهرة اللغوية » . وتقوم هذه المراتب استنادا إلى الثنائيات الدائمة بين الظاهرة العامة ، والظاهرة النوعية ، والظاهرة الفردية ، وجرى تطبيق هذا على اللغة ، فتجري الظاهرة اللغوية فردية « الكلام » ونوعية « اللسان » ، وعامة « اللغة » وتجدر الاشارة إلى ان المؤلف فيما يوصل مفاهيم يرجع إلى سوسير اسمه وهذا ما يظهر في معظم الجوانب المهمة فاللغة بحسب ما ذهب اليه المؤلف ظاهرة عامة ، تصدق على كل لسان من ألسنة البشر ، وهي مجموعة من الخصائص التي يرصدها اللسان من جميع الألسنة ، فتكون محل اشتراك بينها ، من ذلك أنها - أي اللغة - رابطة حضارية ثقافية وليست فعلا غريزيا ، وهي فعل نفساني وظاهرة اجتماعية ، كذلك هي ظاهرة من ظواهر العقل والادراك أما اللسان فهو مجال لتحقيق الظاهرة اللغوية عبر مجموعة من القواعد المتواضع عليها ، لذلك عد اللسان خروجا باللغة من حيز القوة الى حيز الفعل واللسان هنا إما عربي أو أجنبي ، فلكل أمة لسانها ، ويختلف الكلام الذي يمثل الظاهرة الفردية في خصائصه عن اللسان ، لأن الكلام حدث فردي ، ينتج من مجموعة الصور المختزنة في الذاكرة الجماعية التي يمثلها اللسان ، فالانسان يختص بجانب مما يندرج تحت اللسان ، لأنه لايستخدم في كلامه كل رصيد معجمي أو تركيب نحوي أو بناء صرفي ، بل يستخدم قطاعا محدودا بحسب التكوين الثقافي والاختصاص المهني.

الزمانية والآنية

ويتحدث المؤلف في الفصل السادس عن « الزمانية والآنية » ، وهما المنهجان الاساسيان في الدرس اللساني ، فالزمانية منهج تدرس به الظواهر اللغوية عبر تطورها التاريخي ، وقد تغلب هذا المنهج بعد غلبة المنزع التاريخي وسيطرة قوانين التطور المستخلصة من « داروين » صاحب « أصل الأنواع » اما المنهج المقارن الذي استوى على يد « بوب » فقد بقي ضمن الاطار التاريخي الذي استوعب مباحثه حتى لم يكن أحدها يخرج على حدود ذلك الاطار ونجد في الجهة المقابلة الآنية وهي منهج يعنى بدراسة الظواهر اللغوية وغيرها في حيز زمني محدد ، قد يكون يوما أو سنة أو قرنا ومن الواضح ان هذا المنهج لا يتوقف عند التسلسل التاريخي قبلا وبعدا ، بل يركز اهتمامه في الظاهرة المدروسة من حيث البنية والنظام ولقد أضاف « سوسير » بهذا المنهج إضافة كبرى ليس على صعيد اللسانيات فحسب بل على اصعدة أخرى كثيرة كذلك كان هذا المنهج سببا لبروز البنيوية

التي عبر « سوسير » عن مدئها ، وإن لم يكن قد صرح بها مصطلحا.

أما الفصل السابع فقد خصص « لتوظيف العلم » في مجال تعليم اللغات ، وما له من اتصال باللسانيات التطبيقية. ويتناول المؤلف ههنا قضية الاكتساب والتحصيل المعرفي من خلال الوجهتين التربوية واللغوية. وهو يرى في هذا الصدد أن من الضرورة بمكان أن يكون للساني مكان في إعداد برامج تعليم اللغات والكتب المقررة لذلك ، إضافة إلى المعلمين المحترفين وممثلي الادارات المعنية. ويشير المؤلف إلى عدد من المدارس اللسانية التي عنيت بإشكالية الاكتساب والتحصيل ، لا سيما المدرسة السلوكية ، ومدرسة اللسانيات التحويلية.

وفي الفصل الثامن ـ الأخير ـ يتحدث المؤلف عن « لغة العلم » من خلال « الوضع والحمل ». وهما من مفاهيم المناطقة ، « فالموضوع » قد تكون مادته العلمية طبيعية أو عضوية أو صورية ، إذ من الممكن أن تكون حجارة أو خلية عصبية أو فكرة مجردة ، على حين أن (المحمول) يكون دوما خطابا لغويا ، أما في حالنا هذه ونحن في هذا العلم اللساني فإن « الموضوع » هو خطاب لغوي ، ولذلك يكون « المحمول » خطابا أنشيء على خطاب. وعلى هذا تكون اللغة الموضوعة هي النص في المحاورة الكلامية ، وفي الأدب والدين والتاريخ ، أما اللغة المحمولة فهي خطاب علم اللسان والأدب وعلم الدين وعلم التاريخ.

الوصفية والمعيارية

وبنا بعد هذا العرض الذي شمل البحث جملة أن نقف عند بعض ما أثاره المؤلف من مسائل تتطلب مزيدا من الكشف وتدقيقا في الموقف ، من ذلك أنه يرد في سياق الحديث عن عقبات اللسان العربي في الفصل الأول أن المعركة بين الوصفية والمعيارية أسهمت في إساءة الظن باللسانيات. والسبب في ذلك اطراد الظن بأنها تنحو نحوا وصفيا ينبذ كل موقف معياري ، والحق أن ما ذكره المؤلف هنالك صحيح ، لكن قضية هذين المنهجين تتحدد في التطبيق أبعادا لها خطرها على العربية موضوع الدرس ، فليس كافيا في رأينا أن نقرر بأن هذين المنهجين ليسا ضدين كما فهم معظم الدارسين ، بل هما منهجان لا يقعان في وقت واحد ، فهما إذن يتناوبان ولا يتعارضان ، إنما ينبغي أن نتوقف مطولا عند المآل الذي يفضي إليه المنهج الوصفي في دراسة العربية الفصحى ، فالضوابط المعيارية تشكلت عندنا لحفظ العربية الفصحى من آثار التبدل الجذري ، فكان من ذلك حفظها ومنع تشعبها إلى لهجات متنافرة قد تتخذ صورة تشبه ما آلت إليه اللاتينية. والعربية عندنا ليست ميدانا محايدا نطبق عليه التقنيات الحديثة التي استخلصت من نتائج قد لا تكون صالحة دوما.

وإن ما نرتضيه ههنا ـ وهو ما نؤكده دوما ـ هو أن تطبيق المنهج الوصفي ينبغي أن يكون ضمن سياج معياري واسع لضمان توجيه النتائج لصالح العربية الفصحى لغة التراث والحضارة والحياة المتجددة ، فلا بأس إذن من الافادة من المنهج الوصفي الذي لا شك في مبلغ الحاجة إليه في بعض الحالات شريطة أن نضع في حسابنا أننا في درسنا للعربية أمام ظاهرة قد تكون فريدة إذا ما قورنت باللغات الأخرى ، وهي اتصال الأصول المتنامية داخليا في تطورية مستمرة حافظت على التوازن بين اتجاهي المحافظة والتجديد. وفي ضوء هذا التوجه يكون درس اللهجات القديمة موطنا ، وإن اتخذ الوصفية منهجا ، في رفد الفصحى وتفسير بعض ظواهرها وما يتصل باتجاهات التطور فيها.

وتبقى جوانب هذا البحث جميعا شاهدة على الجهد الموفق الذي بذله المؤلف الدكتور المسدي وهو الذي أضاف بهذا المصنف اضافة لها أهميتها ، لأنها جاءت على هيئة التنظير الواعي الذي لم يقم على الاقتباس والتلخيص أو التبسيط والتعليم بل على تمثل المعطيات العلمية أجنبية وعربية ، ثم تقديمها في نسيج جديد ، فيه من التفاعل المثمر بين التراث والمعاصرة ما يخطو باللسانيات إلى موقع العلم العربي ☐

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب   فتحية تختار موتها ـ قصص
المؤلفة   ليلى العثمان
الناشر   المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت
عدد الصفحات   ٢٠٨ من القطع الصغير
سنة النشر   ١٩٨٧

بعد روايتين تلتا مجموعاتها القصصية الثلاث تعود الكاتبة الكويتية ليلى العثمان إلى عالمها الأثير ، عالم القصة القصيرة ، بعبارتها الصريحة وحملتها الحزنية وتصويرها الجميل الدقيق لحياة الكويت القديمة على وجه الخصوص

في هذه المجموعة القصصية التي جاءت تحت عنوان « لا يصلح للحب » ، تأخذ ليلى العثمان من بحر ذكرياتها ، صور الحياة البسيطة لمجتمع بسيط هو مجتمع الكويت القديم ، برموزه التي تنشرها الكاتبة عبر قصصها على شكل عبارات كانت تستخدم في ذلك الزمن ، أو أسماء لأدوات كانت رائجة الاستخدام ، أو حوار يحمل معه عبق ذلك الماضي الذي لم يكن سعيدا دائماً

■ ■

الكتاب / مذكرات كورت فالدهايم
ترجمة / عيسى بشاره
الناشر / دار الكرمل للنشر والتوزيع ـ عمان
عدد الصفحات / ٢٩٠ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

وضع الأمين العام السابق للأمم المتحدة والرئيس الحالي لجمهورية النمسا مذكراته قبل أن يصبح هدفا لحملة صهيونية شرسة ، استهدفت شخصه وماضيه ، لكنها لم تكن بعيدة عن حاضره السياسي حيث كان يستعد لخوض انتخابات الرئاسة في النمسا .

ومع أن هذه المذكرات لا تغطي الفترة التي استهدفتها الصهيونية ، وهي الفترة التي كان خلالها فالدهايم يقوم بمهام عمله كمترجم في يوغسلافيا إلا أن عين القارىء لا تخطىء السبب الحقيقي الذي تحول فالدهايم من أجله إلى هدف للصهيونية ، ونعني بذلك تلك الفترة التي سبقت حرب اكتوبر ٧٣ العربية الاسرائيلية والتي أعلن فيها اعترافه بحقوق الشعب الفلسطيني ، وعام ١٩٧٥ حين اتخذت المنظمة الدولية قرارا يعتبر الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية

■ ■

الكتاب / الفتى النهر والجنرال ـ شعر
المؤلف / ابراهيم نصر الله
الناشر / دار الشروق للنشر والتوزيع ـ عمان ـ بيروت
عدد الصفحات / ٣٠٥ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

في كتابه الشعري السادس يجمع الشاعر الفلسطيني ابراهيم نصر الله مجموعة من قصائده « الحوارية » الطويلة التي كتبها أخيرا والتي يؤلف بينها الهم الفلسطيني باعتباره همّ شعب وهمّ فرد ، وهم ذات ترصد البطولة الفردية وتمجدها ، وتشهد في الوقت نفسه اخفاقها في التحول الى فعل شعبي عظيم

ولعل ما يميز هذا الكتاب عن كتب الشاعر

الأخرى ، هو المدى الشعري الفسيح الذي يرسم عليه ابراهيم نصر الله صوره الشعرية العنية ، وانثيالاته التي تملأ ببساطة وجمال هذا المدى الشعري

يضاف إلى هذا كله تلك اللغة الشعرية الثرية ، وتلك المقدرة على تحويل كلام اليوم العادي الأليف الى شعر ايحائي جميل

■ ■

الكتاب / الانسان ورموزه
المؤلف / كارل غوستاف يونغ
ترجمة / عبد الكريم ناصيف
الناشر / دار منارات للنشر ـ عمان
عدد الصفحات / ٣٠٤ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

آخر كتاب لعالم النفس الشهير يونغ يخاطب فيه هذه المرة المثقف العادي وليس علماء النفس الكبار الذين كثيرا ما كان يلتقي بهم ويناقش أفكارهم ، ويطرح لهم بالمقابل أفكاره وآراءه

وهذا الكتاب الذي حمل عنوانا فرعيا هو « سيكولوجيا العقل الباطن » هو تجميع لعدة مقالات قام بكتابتها بعض أبرع تلاميذ يونغ ومعاونيه ، وجمعت ووجهت من قبل يونغ نفسه . فيما قام العالم الشهير بكتابة أول فصول الكتاب وهو بعنوان « مقاربة العقل الباطن »

والى جانب بحث يونغ الرئيسي ضم الكتاب مقالات عن الأساطير القديمة والانسان الحديث ، وعملية التفرد الرمزية في الفنون البصرية ، والرموز لدى تحليل الفرد ، وكتبت خاتمة الكتاب م ل فون فرانز التي أشرفت على استكمال الكتاب بعد وفاة يونغ أثناء عملية الاعداد

■ ■

الكتاب / أوراق متناثرة
اعداد / الدكتور / رياض العلمي ـ الجزء الاول
الناشر / شركة المكتبات الكويتية ـ الكويت
عدد الصفحات / ٣٥٤ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

أوراق متناثرة هو الاسم الذي اختاره المؤلف لكتابه هذا ، والذي جمع فيه مجموعة من المقالات المتنوعة حول عدد من القضايا والشخصيات والأشياء التي نراها أو نسمع عنها أو نقرأ عنها

وتتراوح هذه الأوراق بين تعريف بمرض عضوي أو بحقيقة علمية أو شخصية تاريخية . أو اكتشاف علمي جديد

وحتى ينظم المؤلف هذه الموضوعات المتنوعة ويجمعها بين دفتي كتابه هذا ، قسم الكتاب إلى ستة فصول عرض فيها لعجائب الطبيعة ونعمها ، وتراثنا المجيد ، واختراعات واكتشافات كوارث وأسماء لامعة وغيرها □

كفى ما أحاط بالعنق

قال أبو عبيدة سألت أبا نواس عن رأيه في رجل فقال ثقيل الظل ، جامد النسيم ، فقلت زد ، فقال مظلم الهواء ، منتهن الفناء ، فقلت : زد ، فقال : غليظ الطبع ، بغيض الشكل ، قلت زد ، قال وهم الطلعة ، عسر القلعة ، فقلت . زد ، فقال . بارد الحركات قلت خفف عنه ، قال . زدني سؤالا أزدك جوابا فقلت كفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

العربي - العدد ٣٥٦ - يوليو ١٩٨٨

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٥٦

يوليـــو ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد يوليو » ، وآخر موعد لوصول الاجابات اليها هو ١٥ أغسطس ١٩٨٨

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٥٦

١ أين توجد أقدم كنيسة في العالم ؟
* في سوريا
* في روما
* في الحبشة

٢ ترى ما الفرق الأساسي بين الكنائس والكاتدرائيات والأديرة ؟
* لافرق بينها ، فكلها كنائس معدة لصلاة المسيحيين
* لافرق بين الكنائس والأديرة ، فهي معدة لصلاة المسيحيين ، أما الكاتدرائيات فهي أماكن معدة للاحتفالات الدينية ، والرسمية
* لافرق بين الكنائس والكاتدرائيات ، فهي معدة لصلاة المسيحيين ، أما الأديرة فمعدة لسكن الرهبان والراهبات

٣ اشتهرت مدينة (بيزا) الايطالية ببرج (بيزا) المائل ، واشتهرت بالكاتدرائية والمباني الملحقة بها أيضا ، وهي قائمة على مقربة من البرج المائل ترى ما العلاقة بين الصرحين ؟
* البرج المائل ماهو إلا برج الأجراس الخاص بالكاتدرائية
* لاعلاقة بينهما ، فالبرج سياحي ، والكاتدرائية دينية كما هو معروف

٤ أين توجد أضخم كنيس (معبد يهودي) في العالم ؟

* في نيويورك
* في القدس عند حائط المبكى
* في لندن

٥ ما هي أضخم الكاتدرائيات في العالم ؟
* كاتدرائية القديس لوحنا في نيويورك
* كاتدرائية سانتا ماريا في اشبيلية
* كاتدرائية باسيليكا القديس بطرس الجديدة في روما

٦ ما هي أشهر كاتدرائية في أوروبا تميزت بالطراز القوطي وظفرت بمزيد من اهتمام مشاهير الكتاب من أمثال فيكتور هوجو ؟
* كاتدرائية نوتردام في باريس
* كاتدرائية ميلانو
* كاتدرائية كولون (كولن) في المانيا

٧ السير الكسندر (رن) مهندس معماري انكليزي شهير ، عاش فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر . ترى ما هي أهم اثاره الهندسية ؟
* كاتدرائية سنت بول
* ابراج كنيسة وستمنستر (أبي)
* مدينة لندن كلها ، وذلك إثر الحريق الذي أتى عليها سنة ١٦٦٦ .

٨ أين يجري تتويج الملوك الانكليز
* في كنيسة وستمنستر المعروفة باسم (أبي)
* في كاتدرائية وستمنستر
* في دير وستمنستر

٩ من المعروف أن مايكل انجلو ، أحد عمالقة الفن في عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، قد ترك آثارا ولوحات فنية رائعة على سقف إحدى الكنائس في روما . ترى أي كنيسة تلك ؟
* كنيسة سيستين في الفاتيكان
* كنيسة القيامة ببيت المقدس
* كاتدرائية سنتا ماريا في اشبيليه

١٠ تختلف المقدسات باختلاف المذاهب والأديان ، فالهندوس مثلا يقدسون مياه نهر الجانجس ، والبوذيون يقدسون تماثيل بودا الذهبية . فأي الفرق تقدس المرآة ، بل مرآة واحدة معينة ، وأين توجد هذه المرآة ؟

١١ (أيا صوفيا) متحف معروف في اسطمبول ، كان مسجدا في الماضي القريب ، وكنيسة في الماضي البعيد . ترى ما الاسم الذي أطلق على تلك الكنيسة ، على وجه الدقة ؟ وماذا يعني ذلك الاسم ؟

١٢ ماهي الكنيسة التي شيد بالقرب منها مسجد عمر رضي الله عنه في بيت المقدس ؟
- كنيسة القيامة
- كنيسة المهد
- كنيسة القديسة مريم

حل مسابقة العدد ٣٥٣ أبريل ١٩٨٨

١ أطول آيات القرآن الكريم هي الآية (٢٨٢) من سورة البقرة ، يبلغ عدد كلماتها (١٢٨) كلمة

٢ سياسة اللاعنف التي اشتهر بها غاندي زعيم الهند الراحل لم تكن من ابتكاره أو ابتكار أعوانه وأتباعه ، بل كانت مقتبسة و مستمدة من مذهب الجينيين . فقوام معتقدات هذا المذهب تقديس الحياة

٣ أعياد رأس السنة . نقول أعياداً لأن المسيحيين وغير المسيحيين يحتفلون بها ، ولا علاقة لها بالدين المسيحي أو غير المسيحي ، وإنما بالوثنية ، فقد احتفل لوثنيون بمثل هذه الأعياد ، ثم سارت على منوالهم الامبراطورية الرومانية ، وسار على منوال هذه الامبراطورية شتى شعوب العالم

٤ بلغ مجموعهم ٢٦٦ بابوا ، أولهم لقديس بطرس ، حسب معتقدات لكنيسة الكاثوليكية .

٥ اسمها (مهابهارتا) أي (الملحمة العظيمة لأسرة بهارتا العظيمة) ، وقد استغرق نظم أبياتها البالغ عددها ١٠٠,٠٠٠ نحو أربعة قرون ، من سنة ٢٠٠ ق م إلى سنة ٢٠٠ م

وهي أهم النصوص المقدسة في الديانة الهندوكية

٦ يبلغ عدد الراهبات في الكنيسة الكاثوليكية نحو مليون راهبة ، وبالتحديد ٩٢٦,٣٣٥ (إحصاء ١٩٨٦) . أما عدد الذكور من المنتظمين في سلك الرهبنة في الكنيسة الكاثوليكية فلا يكاد يبلغ نصف مليون راهب ، وهم مقسمون كالتالي رهبان (٤٠٥,٩٥٩) ، أساقفة (٣١٠٢) ، كبار أساقفة (٧٣٠) ، وكاردينالات (١٤٦)

٧ النرفانا حالة من السمو النفساني والأخلاقي ، يبلغها المرء في حياته الدنيا لو أراد ، فبلوغها يفترض القدرة على كسر الأغلال (أغلال كارما) التي تقيد كل إنسان ، وبذل الجهود للسير على صراط النبل المستقيم ، بمراحله الثمانية ، فالنرفانا تمثل إذن التحرر من طغيان الجسد

٨ تقوم الزرادشتية على عبادة إلهين ، إله الخير الذي يسمونه (أهورا مردا) أو (أورموزد) ، وإله الشر الذي يسمونه (انجرا ماينيو) أو (أهريمان) .

ويعتقد أصحاب هذه الديانة أن الالهين في صراع دائم ، وأن الغلبة ستكون لإله الخير في آخر الأمر .

وررادشت أو زراثوسترا هو مؤسس الديانة الررادشتية التي وجدت في القرن السادس عشر قبل الميلاد حسبما يؤكد أكثر المؤرخين .

المورمون هم أتباع كنيسة يسوع المسيح لقديسي اليوم الأخير ، وهذا مذهب حديث أسسه جوزف سميث في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وقد بدأ حركته في بالميرا في ولاية نيويورك ، ثم انتقل إلى كيرتلند في أوهايو ، حيث أسس المذهب ، لكن الصدام بينهم وبين جيرانهم أدى إلى مقتل زعيمهم سميث وأخيه سنة ١٨٤٦ ، فهاجر المورمون إلى غرب الولايات المتحدة ، إلى يوتاه ، حيث أسسوا مدينة سولت ليك سيتي

١٠ ادعى اليهود انهم اضطهدوا في ألمانيا وفي غيرها من بلدان ، ولكنهم اوقعوا ظلمهم واضطهادهم على الفلسطينيين وعلى غيرهم من العرب ، بل واحتلوا اراضي الفلسطينيين وطردوهم منها

١١ المذهب اللامي من المذاهب البوذية التي انتشرت في التبت حوالي سنة ٦٤٠ ميلادية ، إلا أن البوذيين يعتبرون هذا المذهب منحرفا عن عقيدتهم ، ومن مظاهر انحرافه اعتقاده بأن (اللاما) ليس بشرا عاديا ، حتى إذا مات راحوا يبحثون عن المولود الجديد الذي تتقمصه روح اللاما الميت . لا عجب إذن ان كثر رهبان هذا المذهب ، حتى بلغت نسبتهم ٢٥٪ من مجموع اللاميين ، لكن ذلك كله قد تغير اعتبارا من سنة ١٩٥٩ ، حين اجتاحت جيوش الصين بلاد التبت ، وانتهى بذلك حكم الدالاي لاما للبلاد

١٢ جمع البخاري (٧٣٩٧) حديثا ، وجمع مسلم (٧٢٧٥) حديثا ، ولو استبعدنا المكرر لكان مجموع أحاديث مسلم (٤٠٠٠) حديث ، ومجموع أحاديث البخاري (٢٧٦٢) حديثا !

الفائزون في مسابقة العدد ٣٥٣ أبريل ١٩٨٨

١ ـ د . صبري أحمد عبد السلام / مركز تدريب أطباء الاسنان / دمنهور / مصر .

٢ ـ منجية بنت الهادي بالنور / مدنين ـ المعهد / تونس .

٣ ـ أحمد محمد نورفكي / المدينة المنورة / السعودية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ علي صالح اسماعيل الجميلي / محافظة الانبار / العراق

٢ ـ جاسر محمود أحمد عمر عبد الهادي / الفحاحيل / الكويت

٣ ـ مرام فلاح الطويل / عمان / الاردن

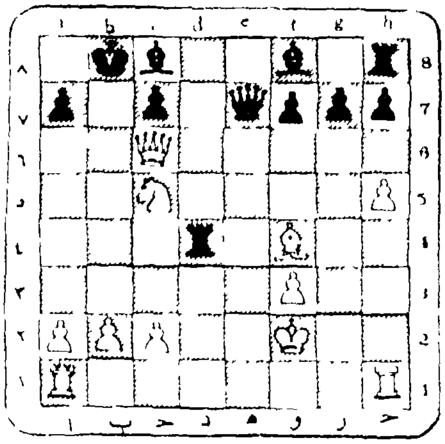
٤ ـ رانية عبد الله قباني / دمشق / سوريا

٥ ـ مازن محمد جابر / المعمورة / بيروت / لبنان

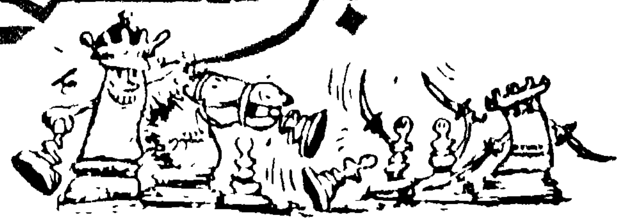
٦ ـ خالد علي أحمد / تعز / الجمهورية العربية اليمنية

٧ ـ عبد المطلب محمد نورفكي / بورسودان / السودان

٨ ـ خسرو اسماعيل / ستوكهولم / السويد



معركة بلا سلاح



منذ ما يقرب من نصف قرن كتب اللاعب الألماني الكبير سيجبرت تاراش يقول « من الحسون أن يبدأ اللاعب دوره بجامبيت الملك » وبعد أقل من ربع قرن دحض الأمريكي بوبي فيشر (بطل العالم ٧٢ ـ ١٩٧٥) هذه الافتتاحية ، وأثبت فشلها . أما اليوم فإن معظم أبطال العالم يستهينون بها ، ويعتبرونها أثرا بائدا من اثار عصور الطيش والصحيات الرعناء . ومع كل هذا الشجب والتنديد فإن هذه الافتتاحية العنيدة تأبى أن تختفي كلية من ميدان الصراع الدولي

ويعتبر بوريس سباسكي الروسي سابقا والفرنسي حاليا (بطل العالم ٦٩ ـ ١٩٧٢) أكبر مناصر لهذه الافتتاحية في السنوات الثلاثين الماضية لكنه يندر أن يلجأ إليها في لعبه ، مما ينسي خصومه أنها واحدة من افتتاحياته المفضلة فيهملون الاستعداد لها في مبارياتهم معه . وهو ما حصل فعلا في مباراته الأخيرة مع البطل الأمريكي ... السوري الأصل ياسر السيروان في موسيلية في فرنسا ، فقد استخدمها سباسكي ضده لتوجيه ضربة موجعة ، للحصول على نصر سريع

ومن ... معرفة ... الذي جدا ياسر السيروان الذي يعرف جدا الردود الصحيحة على هذه الافتتاحية التي تبدأ ب ٣ ... (٤ أن يختار دفاعا صعبا مثل ٣ ... ح ... هـ ٧ وبعده ٦ ... ح ... ٣ . والتي قائدها الأبيض ب ٧

جـ ٤ ! ، وربما يكون الأمل قد راود البطل الشاب أن يتحسن دوره في النقلة السابقة (ف - هـ ٧) ، لكن هذا الأمل سرعان ما تبدد عندما نقل سباسكي ملكه الى (و ٢) ، وهي نقلة بارعة . كان يمكن أن تؤدي الى الفوز بالوزير لو تسرع الأسود بأحد الحصان مجانا . كما أن محاولة إيقاف تقدم (حـ ٤) بتقديم (حـ ٥) فاشلة ، لكونها تضعف درع بيادق الأسود ، وبخاصة بعد ٨ . ف - و ٤ وقد سار الدور كما يلي

□ سباسكي	■ ياسر السيروان
١ ـ هـ ٤	هـ ٥
٢ ـ و ٤	هـ × و ٤
٣ ـ ح - و ٣	ح هـ ٧
٤ ـ د ٤	د ٥
٥ ـ ح حـ ٣	د × هـ ٤
٦ ـ ح × هـ ٤	ح - ٦
٧ ـ حـ ٤	و - هـ ٧
٨ ـ ... و ٢	
(...)	ف - ٤
٩ ـ حـ ٥	... ٤
١٠ ـ ف × و ٤	ح - ... ٦

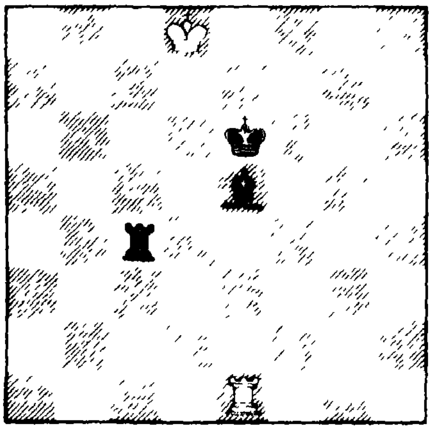
(ح ... د ٧ كان ممكن أن يؤدي الى خسارة قطعة لكن النقلة الذي كانت كارثة محققة)

١١ ـ ف ... ٥ ... ت ... صوص ...

١٢ ـ ف × حـ ٦	ب × حـ ٦
١٣ ـ و - د ٣	ح × و ٣
١٤ ـ ز × و ٣	ف - و ٥
١٥ ـ و - أ٦+	م-ب٨
١٦ ـح-حـ٥	ف-حـ٨
١٧ ـو×جـ٦	ر×د٤ (الشكل)

أفضل الردود ، لأن الأبيض يهدد بكش مات بنقل الرخ الى هـ ١ ثم هـ ٣ ثم ب ٣ +

١٨ ـرأ-هـ١	ر×و٤ (مضطرا)
١٩ ـو-ب٥+	م-أ٨
٢٠ ـو-حـ٦+	م-ب٨
٢١ ـر×هـ٧	ف×هـ٧
٢٢ ـر-دأ	ر-و٦
٢٣ ـح-د٧+	ف×د٧
٢٤ ـو×د٧	ر-د٨
٢٥ ـو-ب٥+	م-حـ٨
٢٦ ـر×د٨+	ف×د٨
٢٧ ـو-أ٤ (مناورة)	ر ٥
٢٨ ـو×أ٧	ر-و٤
٢٩ ـو-أ٦+	م-ب٨
٣٠ ـو-د٣	ف-هـ٧
٣١ ـو×حـ٧	ز ٤
٣٢ ـم-ز٣	يستسلم



مسألة العدد يوليو ٨٨ رقم ٣٥٦

الأسود يلعب ويميت في ٣ نقلات أو يفوز بالدور

حل مسألة عدد مايو ٨٨ رقم العدد ٣٥٤

١ ـو×ر٦ ر×حـ٦
٢ ـ ر - ر ٧ (مات)

الفـائـزون في حـل مسـابقـة الشطرنج العدد ٣٥٣ (ابريل ١٩٨٨)

* الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ . رضا بن محمد ـ صفاقس / تونس
٢ محمد احمد عبد الرحمن ـ المنوفية / ج م ع
٣ مصطفى المقطري ـ صنعاء / اليمن
٤ سامي يوسف عبد الله ـ عمان / الأردن
٥ . فتحية الطيب البدوي ـ ماجدا / السودان

* الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ عبد الله الصوفي ـ صوفيا / بلغاريا
٢ عبد المجيد الحوليلي ـ خريبعة / المغرب
٣ أنصار أنور يوسف ـ كريتر / عدن
٤ . محمد الحسن محمد ـ الخرطوم / السودان
٥ . فوزي نور الدين ـ الدخلة / ج م ع

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

لغة الحوار الحضاري

الحوار الحضاري في أي مجتمع من المجتمعات هو دليل صحي ، كذلك القبول بمبدأ الاختلاف فيما بين أفراده ، والتسليم به ، وقبولهم بمبدأ المحادلة بالتي هي أحسن ليفرض الأحسن من الآراء وجوده بلا عنف ولا إكراه ولا شقاق ، فعن طريق ذلك نستطيع أن نحصل على نتائج حضارية أكثر إشراقا وأكثر إيجابية من اتباع الأساليب التي لاتقوم على المحاكمة العلمية الهادئة

إن مسؤولية الإعلام تكمن في إبراز هذا الجانب المنطقي من حياتنا المعاصرة ، إن أردنا أن نسير في هذه الحياة إلى الأمام وليس إلى الوراء أو الدوران في حلقة مفرغة في أحسن الأحوال ، لكن ذلك لايعني تكريس هذا الاختلاف وجعله قدرا مقدورا

طارق محمد حر - الحدود الشمالية - المملكة العربية السعوديه

* * *

الجديد في علاج أمراض السكر

أنا مصاب بمرض السكري ، وأصبح وضعي الآن يزداد سوءا بسبب هذا المرض ، وقد قرأت أخيرا خبرا أوردتموه في العدد ٣٥١ لشهر فبراير ١٩٨٨ (صفحة ١٦١) لاستعمال الأنسولين عن طريق الاستنشاق ، فهل لي بالحصول على عنوان المؤسسة التي ابتكرت هذه الطريقة أو تلك المادة المستعملة لهذا الغرض ؟

سهيل الميداني المكتب العربي للتجارة والهندسة (دمشق)

العربي

عنوان الشركة المعنية لن يفيدك أبدا ، ذلك أن أسلوب تناول الأنسولين استنشاقا عن طريق الأنف مازال قيد التطوير

وتجدر الاشارة هنا إلى أسلوب آخر لتناول الأنسولين - غير الحقن بالابر - والمقصود هنا ضغط الأنسولين عبر الجلد بواسطة جهاز ضغط خاص ، والجهاز الجديد نسبيا يدفع الهرمون إلى داخل الجسم دون أن يسبب للمريض أي إزعاج ، أي أنه يحقن الأنسولين دون أي وخز بالإبر ، ودون اى مضايقه والجهاز المذكور صغير الحجم ، خفيف الوزن ، متوافر في الأسواق العالمية ، تصنعه كندا والولايات المتحدة وبريطانيا ودول أخرى كثيرة ، وأغلب الظن أنه متوافر في الأسواق السورية أيضا

وثمة ميزة أخرى لجهاز ضغط الأنسولين المذكور ، وهي أنه يقوم بخلط أنواع الأنسولين المختلفه - العاجلة الأثر والآجلة - خلطا محكما للجرعة التي يحتاجها المريض وإعدادها إعدادا متقنا دقيقا إلى أبعد الحدود

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي" بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

علم الاتصالات الكهربائية

السيد الدكتور رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ،

أبعث بتحيات نابعة من القلب لهذه المجلة الرائعة التي تزخر بكل ما يحتاجه العقل والوجدان العربي من علوم ومعرفة وتوجيه ، فمن موضوعات علمية إلى أخرى أدبية وغيرها فنية وكثير غيرها من الأبواب ، للتسلية والمتعة والفائدة

وسؤالي هو هل باستطاعتكم نشر مقالات كثيرة عن علم الاتصالات الكهربائية ، فالكهرباء هي مادة العصر ، ودونها لا يستطيع الإنسان أن يعيش . فهذا هو عصر الاتصالات من تلفاز وهاتف وحاسوب (كمبيوتر) وبرق وبريد ، وما إلى ذلك من وسائل الاتصالات الكثيرة ، وأن تتناول هذه المقالات بعض التفصيل عن هذا العلم الواسع ، وعن وسائله وأجهزته المختلفة ؟

تقوم المجلة بنشر العديد من المواضيع العلمية في كل عدد ، كما تلاحظ ، وعلم اتصالات الكهرباء أحد فروع العلم التي تهتم بها المجلة ضمن سياستها لنقل كل ما هو حديث للقارىء العربي ، ليزداد معرفة وإدراكا بالتطور والتقدم ، والمجلة على استعداد لنشر كل ما هو جديد مفيد للقارىء في هذا المجال أو غيره

■ ■ ■

أسعار بيع مطبوعات العربي والاشتراكات

وصلتنا رسائل عديدة من القراء الأعزاء ، يستوضحون فيها عن كيفية الاشتراك في مطبوعات مجلة العربي ، وعن طريقة تحصيل مبالغ الاشتراكات ، وكيفية احتساب تحويل العملة ، ويقولون بأن هذه المطبوعات تباع في أقطارهم بأسعار أعلى من السعر المنصوص عليه ضمن قائمة الأسعار في المجلة

نود أن نوضح لكل من استفسر بأن جميع الاشتراكات الخاصة بمطبوعات « مجلة العربي » أو العربي الصغير أو كتاب « العربي » يتفق عليها مباشرة مع قسم الاشتراكات في المكتب بوزارة الاعلام ص ب - ١٩٣ - الكويت ، وذلك بتحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام ، أما بخصوص الأسعار المرتفعة التي يطلبها بعض الباعة فإننا نود لفت انظار الجميع بأن السعر الرسمي هو السعر المنشور داخل المطبوعات ، أما غير ذلك فلا دخل للمجلة به ، ويعتمد على أمانة البائعين وعلى العموم فإنه من الأفضل للقراء الأعزاء شراء المجلة مباشرة من دور التوزيع المنتشرة في جميع المناطق التي تصلها مطبوعاتنا .

حوار القراء

شؤون الرياضة

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ،

أحب أولا أن أعبر لكم عن مدى ما أكنه لمجلتكم من حب وتمنيات بالتوفيق ومواصلة مشوارها الطويل الرائع شكلا وموضوعا ، من حيث طريقة الإعداد ، وحسن تنسيق المواد وبنظرة سريعة على أعوامها الطويلة ، سوف نجدها مليئة بالأحداث الجسام ، والأعوام الثلاثون في عمر مجلة ليست بالأمر البسيط ، ذلك أن « العربي » تعيش الأحداث وتعايشها ، وتؤثر فيها وتتأثر بها ، وهذا يعني أن هذه المجلة لو لم تكن معبرة عن شعبنا العربي ، تتحسس أهدافه ، فإنها لن تستطيع أن تواصل الصدور ، لكنها دائما متجددة متطورة وقد أثار إعجابي تحليل الاستاذ عادل الشريف في عدد العربي ٣٥٢ مارس ١٩٨٨ ، حول « الألعاب الأولمبية لها تاريخ » وهو موضوع يستحق كل تقدير وأحب أن أنوه أن هناك تناقضا في اهتماماتنا الرياضية ، حيث إن اهتمامنا في الوطن العربي ينصب على لعبة كرة القدم ويهمل بقية الألعاب ، لذلك فإننا نأمل من الكتاب أن يوافوا مجلتنا الغراء « العربي » بكل ما يدور عربيا عن تلك الألعاب الشهيرة ، والكتابة عن بعض الرياضيين العرب البارزين في غير مجال كرة القدم ، ونأمل من « العربي » على الرغم من أنها مجلة ثقافية أن تلقي بعض الضوء على الأحداث الرياضية العربية

يحيى السيد البحار

دمياط ـ جمهورية مصر العربية

نشكرك على رسالتك الرقيقة ، ونود أن نخبرك بأننا نولي جميع الموضوعات كل اهتمام ، وقد نشرت « العربي » في عدد شهر مارس ١٩٨٨ استطلاعا عن سيول حيث تنظم دورة الألعاب الأولمبية ١٩٨٨ ، أما تخصيص صفحات للحديث عن شؤون الرياضة العربية فإن طبيعة المجلة لاتسمح بذلك ، حيث إن هناك مجلات عربية متخصصة تقوم بهذا الدور

معهد العالم العربي

القارىء سمير سعد الحميد من القاهرة ـ جمهورية مصر العربية ـ يثني على الجهد الذي بذل في استطلاع معهد العالم العربي في باريس الذي نشرته المجلة في عدد فبراير ١٩٨٨ ، ويطلب تزويده بعنوان المعهد ، ونحن بدورنا نشكره على رسالته ، ونود أن نذكره بأن عنوان المعهد منشور ضمن الاستطلاع ، وهو زاوية رصيف سان برنار بالدائرة الخامسة ، باريس

مكتشفون ومخترعون

كانت هناك رواية بعنوان « مكتشفون ومخترعون » . لماذا لم نعد نحظى بشيء من هذا ؟!

عبد الكريم اليونسي ـ تادف ـ حلب

إن حرصنا على التنويع والتجديد هو الذي يحملنا على إيقاف باب من أبواب « العربي » واستحداث باب آخر ، ومن يدري فقد لا يمضي زمن طويل حتى نعود إلى الزاوية المذكورة ، على أن نتأكد أولا أن عودتنا هذه تصادف رغبة أكيدة لدى الكثيرين من قرائنا .

* * *

الحصول على العربي في مصر

كيف يمكن الحصول على مجلة « العربي » في مدينة نصر ، بجمهورية مصر العربية ؟

عبدالحليم عبد التواب
مدينة نصر ـ جمهورية مصر العربية

يتولى توزيع « العربي » بمدينة نصر وسائر المناطق بجمهورية مصر العربية مؤسسة الأهرام للتوزيع والنشر ، ويمكنك الاشتراك مباشرة عن طريق مكاتب المؤسسة المنتشرة في أنحاء الجمهورية .

اقتراحات متنوعة

يقترح القارىء محمد حماد برهوم من كلية التجارة جامعة القاهرة بجمهورية مصر العربية أن تقوم المجلة بجمع الاستطلاعات المصورة في كل عام ، وإصدارها في كتاب واحد تيسيرا للقراء الذين لا يستطيعون الحصول على المجلة بانتظام . إضافة إلى أنه سيكون بمثابة موسوعة مصورة .

القارىء خيري نجاح من بغداد يقترح استحداث العديد من الأبواب في المجلة . مثل « العربي بين السائل والمجيب » . وصفحة لنشر التراث العلمي العربي والعالمي .

القارىء علي محمد الجمالي « دمار » الجمهورية العربية اليمنية يقترح أن تقوم المجلة بعمل استطلاع عن اليمن في ظل التقدم المتواصل في جميع المجالات .

القارىء أحمد عبدالله العقرباوي ـ عمان ـ الأردن يثني على العدد ٣٥٣ لما احتواه من مواضيع متنوعة . ويخص بذلك قصة « الذاكرة المثقوبة » للكاتب عبدالحميد بن هدوقة . ويقترح أن تقوم المجلة بإصدار مجموعة قصص منشورة في « العربي » . ضمن كتاب « العربي » الذي يصدر مؤقتا فصليا .

القارىء محمد نجيب عبر ـ جامعة حلب ـ كلية العلوم ـ سوريا يقترح على المجلة أن تزيد من المواضيع العلمية وأن تقوم باستطلاع عن مدينة حلب ، مدينة الأدباء والعلماء في عصور النور العربية والاسلامية .

حوار القراء

القاريء أشرف محمد أحمد طل من محافظة شمال سيناء مدينة العريش - جمهورية مصر العربية - يشيد بجهود المجلة في تعميق الروابط بين أبناء الوطن العربي ، ويود لو أن المجلة قامت بعمل استطلاع عن محافظة شمال سيناء بجمهورية مصر العربية

القاريء أمفيما محمد ، من أغادير - بالمملكة المغربية يطالب بعمل استطلاع عن مدينة أغادير بالمملكة المغربية التي تمتاز بجمال الطبيعة واعتدال الطقس وموقعها الجغرافي المتميز

القاريء غالب عبد الله القرني - جامعة الملك سعود - الرياض - يرغب في اعطاء الموضوعات العلمية الزراعية في باب (طب وعلوم) مقدارا أكبر من الاهتمام . كما يشكر المجلة على الاستطلاع الذي قامت به في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية

والمجلة تود أن تبدي شكرها للقاريء على اهتمامه ، أما بخصوص نشر الموضوعات العلمية المتعلقة بالزراعة في المجلة فهي تخضع للالتزام بتنوع الموضوعات المنشورة وأهميتها ، والمجلة تحرص على نشر كل ما هو جديد وحديث في باب العلم والمعرفة □

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

جائزة الكويت

تمشيا مع اهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لاغراضها في تدعيم الابحاث العلمية وتشجيع العلماء والباحثين ، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والآداب والفنون والتراث وذلك وفق برامجها السنوية . وتسعى المؤسسة من خلال هذه الجوائز اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين

وموضوعات جائزة الكويت لعام ١٩٨٨ في المجالات الخمسة هي كما يلي

١ ـ العلوم الاساسية : الكيمياء الحيوية Biochemistry

٢ ـ العلوم التطبيقية : لسانيات الحاسوب العربية وتطبيقاتها
Arabic Computational Linguistics and Applications

٣ ـ العلوم الاقتصادية والاجتماعية : اقتصاديات التعليم العالي في الوطن العربي
Economics Of Higher Education in the Arab World

٤ ـ الفنون والآداب : البلاغة العربية Arabic Rhetoric

٥ ـ التراث العلمي العربي والاسلامي : العلوم الجيولوجية والجغرافية في التراث العربي
Geology and Geography in Arab Heritage

وتخصص المؤسسة سنويا في كل مجال من المجالات المذكورة جائزتين مقدار كل منهما (١٠٠٠٠ د.ك) عشرة آلاف دينار كويتي ، جائزة لواحد (او اكثر) من ابناء دولة الكويت واخرى لواحد (او أكثر) من ابناء البلاد العربية الاخرى . كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية درع المؤسسة وشهادة تقديرية تبين مميزات الانتاج بصورة مختصرة

ويتم منح جائزة الكويت وفق الشروط الآتية

(١) يجب أن يكون الانتاج مبتكرا وذا اهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه ومنشورا خلال السنوات العشر الماضية

(٢) ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الانتاج المقدم من اية جهة اخرى

(٣) تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للأفراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها . ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية

(٤) يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وابحاثه ومبررات ترشيحه لنيل الجائزة

(٥) لايعاد الانتاج المقدم الى مرسله سواء فاز المرشح أو لم يفز

(٦) لاتقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز

(٧) على الفائز أن يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة بسببه

(٨) تقبل الترشيحات ابتداء من ١/٤/١٩٨٨ ولغاية ٣١/١٠/١٩٨٨ مشفوعة بأربع نسخ من الانتاج المقدم

ترسل الترشيحات ، والاستفسارات بشأن الجائزة ، على العنوان الآتي
السيد مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
ص . ب ٢٥٢٦٣ ـ الصفاة الكويت 13113

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يوليو ١٩٨٨م

اقتصاديات الإسكان

تأليف: د. إسماعيل درّة

الكتاب ١٢٧

٥٠٠ فلس

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت


العربي
السويد..
بلاد الشمس الباردة



لوحة من وحي الشرق

للفنان السعودي

خليل حسن خليل

العدد ٣٥٨ السنة الحادية والثلاثون سبتمبر ١٩٨٨

العربي

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI
Issue No. 358 Sep. 1988, P. O. Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب : ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" - الكويت - تلكس MHR 44041KT
تلفون فكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب : ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشا	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران



استطلاعات مصورة :

طـــب وعـــلوم :



حيوانات نادرة في الخليج العربي
ص ١٣٢



منتدى العربي :





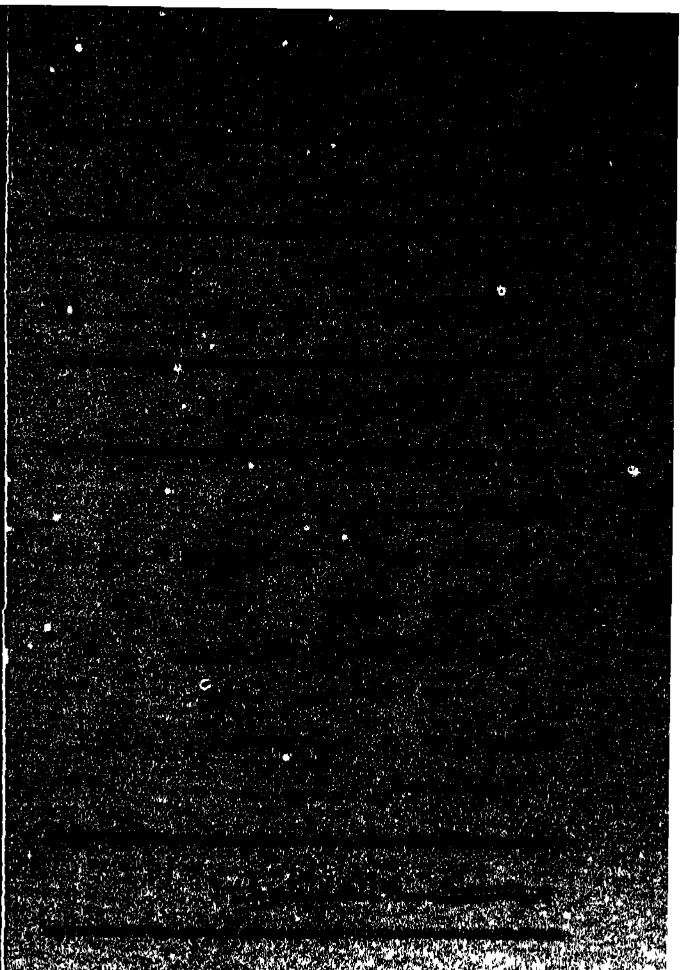
صورة الغلاف

حسناء من السويد.. بلاد الشمس الباردة التي تمتلك تجربة في التقدم التقني والتطور الحضاري تضعها في مقدمة دول اوروبا من حيث الرفاه الاجتماعي.

(طالع الاستطلاع ص٦٨)

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



أبواب ثابتة:

عزيزي القارئ

عندما تنقلب الشعارات إلى مقدسات يعاني الإنسان من هول ذلك ، ولقد كانت الحرب العراقية الايرانية في جزء منها تحول الشعارات إلى مقدسات ، وتصبح الدول أسيرة لشعاراتها

وعندما تتسع الفجوة بين الشعار والواقع ، ينفجر الارهاب الأسود ، ولقد عانت الكويت من هذا الارهاب الذي كان على رأسه محاولة آثمة للاعتداء على حياة أمير الكويت ، وسلسلة أخرى من الاعتداءات الإرهابية كان اخرها اختطاف الطائرة الجابرية وتعذيب ركابها وقتل اثنين منهم

ولقد كانت الكويت دائما صادقة في موقفها الى جانب الحق والعدل ، مطالبة بوضع حد لهذه الحرب الدموية على جميع الأصعدة الدولية والعربية ومع هذه الأزمة والتأزم لم تفقد الكويت إيمانها بعروبتها

فقد رد الشيخ صباح الأحمد الجابر نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في الصيف الماضي على سؤال وجه إليه في برنامج « تلفزيوني » أمريكي ، إبان تصاعد الأزمة وفورتها ، كان السؤال يقول إذا تصاعدت الأزمة أكثر وامامك جهازا هاتف ، واحد إلى موسكو واخر إلى واشنطن أيهما ترفعه ؟ فرد أبو الدبلوماسية الكويتية سأتصل بهاتف ثالث هو الجامعة العربية وكان لذلك مغزاه العميق ، فالعرب كما ترى الكويت أقوياء بتجمعهم ، ضعاف بفرقتهم

لقد أبحرت سفينة الكويت ـ والحرب قائمة ضروس ـ بسلام في سياستها الخارجية وفي سياستها الداخلية على حد سواء ، فلم تتأثر خططها التنموية الرئيسية وعنايتها بمواطنيها من جراء تلك الحرب ، وإنما ازدادت صلابة في الاسراع بخطى التنمية والتعمير

والآن وبعد أن ابتعد شبح القتال أخيرا ، وظهرت بوادر سلام وطمأنينة ، تواصل الكويت سياستها في الحياد والتنمية وتعزيز العقل وإيمانه ، داعية ـ كما كانت دائما ـ إلى حل الخلافات بالحوار فقد كادت أطول حرب عرفها العالم في العصر الحديث أن تنتهي كما بدأت تماما مع اختلاف واحد هو أن العقل والحوار قد يأتيان بنتائج أفضل من الحرب والشقاق

لقد احترم العالم موقف الكويت الصامد ضد الإرهاب ودفع الكويتيون لهذا الصمود ثمنا غاليا وعزيزا ولكنه ثمن مشرف من أجل حياة أفضل ، وكان لصوت الكويت المطالب بالسلام والتعايش الغلبة في نهاية المطاف □

« المحرر »

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

بعد أهوال الحرب
تنتعش آمال السلام

لا يستطيع كاتب يهتم بالشأن العام في منطقتنا أن يتجاهل حدثاً تاريخيا بالغ التأثير هو قبول إيران قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٥٩٨ الصادر في يوليو ١٩٨٧ ، بعد سنة من صدوره ، وبعد أن قبله العراق فور صدوره ، واحتمالات وضع حد لحرب دموية استمرت ثماني سنوات تقريبا بين دولتين جارتين مسلمتين ، وأثرت الحرب بينهما على قضايا هامة مصيرية في كلا البلدين وفي المنطقة ككل .

فالنتائج المحتملة لإحلال السلام لها تأثيرها على مجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في منطقة الخليج العربي على الأخص ، وأقطار الوطن العربي بشكل عام ، وهناك تداعيات إقليمية ودولية ، لا يستطيع أحد أن يرصدها على وجه الدقة واليقين في هذه المرحلة المبكرة ، ولكن يمكن الاشارة الى أهمها فقط والى ما هو بارز منها .

نموذج التعصب ضد روح العصر وبضاعة غير مرغوب فيها

لقد استقبل المهتمون بأمر المنطقة العربية ، والأقطار الاسلامية ومستقبلها ، احتمالات إحلال السلام بين العراق وإيران بكثير من الارتياح ، ولو أن ذلك سوف يأخذ وقتاً طويلاً وجهداً دبلوماسياً جباراً ، إلا أن الخطوة الأولى باتجاه السلام على الأقل قد بدأت وهي القبول بوقف اطلاق النار ، وحقن دماء الآلاف من الشباب العربي والمسلم ، واستخدام طاقته في البناء والتعمير والتنمية

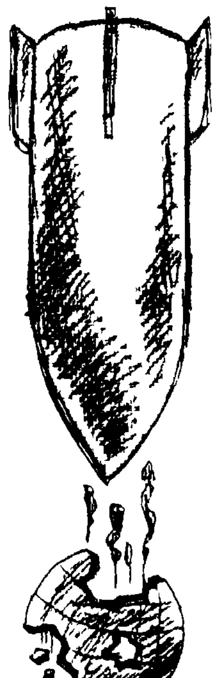
إلا أن هناك دروساً بالغة الوضوح يمكن رصدها من خلال هذه الحرب المدمرة التي خلفت من القتلى ـ كما تقول المصادر المتحفظة ـ مليون قتيل ومليونين من الجرحى والمعوقين ، كما استنزفت مبالغ طائلة من الأموال قدرها البعض بألف بليون دولار ، كما خلفت مئات المدن والقرى المحروقة والمدمرة ، وملايين النساء الثكالى والأطفال الأيتام

أقول إن هناك دروساً بالغة الأهمية يجب علينا أن نتذاكرها بعيداً عن الوضع الخاص وهو التحام جيشين ، إلى الوضع العام وهو تصادم فكرتين

على رأس هذه الدروس فشل نموذج التعصب ، فهو ضد روح العصر وبضاعة غير مرغوب فيها فلقد خاضت إيران حرباً « ايديولوجية » اعتقدت خطأ لفترة أنها تستطيع أن تفرض على الآخرين طريقتها في شؤون الحكم وإدارة الدولة ، فالحرب لم تكن حرباً بين جيشين ـ كما يعتقد البعض لأول وهلة ـ إنما كانت حرباً في بعض جوانبها بين فكرتين مختلفتين للحكم والحكومة ، حكم مذهبي وحكم مدني حديث ، ولكن نشوبها ضد العراق كان فقط لأن سجل الخلاف الحدودي بين العراق وإيران سجل قديم ، استطاعت ايران أن تقدمه لجماهيرها تأسيساً على حسابات خاطئة تماماً .

من ضمن هذه الأخطاء اعتبار العروبة في وضع مضاد للاسلام ، مما أشاع مذهبية بغيضة كادت أن تنتشر في نسيج الشعب الواحد ، وسممت العلاقات الاجتماعية لدى شعوب أعلت المواطنة منذ زمن طويل على غيرها من الانتماءات الأخرى .

الوضع العام لهذه الحرب المدمرة هي الفكرة الخاطئة لايران ـ خاصة بعد سقوط الشاه في سنة ١٩٧٩ ـ عن العرب ودورهم في الاسلام ، ولعل هذه الفكرة الخاطئة جزء من تراث طويل تبناه الايرانيون ، وآن لهم الآن أن يعيدوا النظر فيه . فالعروبة والاسلام وجهان لعملة واحدة ، واعزاز



العروبة والاسلام وجهان لعملة واحدة واعزاز الاسلام عزة للعرب

الاسلام عزة للعرب ، في الوقت الذي ينظر فيه المسلمون العرب للمسلمين غير العرب على أنهم قوة في دائرة حضارية واحدة تؤلف بينهم وتجمعهم على أكثر من صعيد في الاطار المشترك الأوسع ، دون النظر الى جنس ومذهب واجتهاد. أراد البعض في ايران إعلاء المذهبية ، ففشلت لدى العرب كل العرب باختلاف مذاهبهم ، إلا قلة تؤكد اتجاه الأغلبية. كما أن من الدروس الهامة - في الوضع العام - فشل أحلام بناء امبراطوريات في العصر الحديث تبين أنها ليست أكثر من مجرد أحلام. وتحدثني في هذا الموضوع أحد الكتاب الايرانيين الكبار لقيته مؤخرا في أوربا فيقول: اتعرف لماذا بدأ الاضطراب الهائل في الخليج في نهاية السبعينيات؟ قلت: لماذا؟

قال: لقد بدأ هذا الاضطراب الهائل في وقت ما عندما فكر شاه إيران أن يبني امبراطوريه كبرى ، هي القوة الخامسة - كما اعتقد - بعد اليابان ، وقتها فرض الشاه برنامج تحديث مدني وعسكري ، والأخطر بخاصه لم تكن الشعوب الايرانيه قابلة له أو قادرة عليه ، وكلما أمعن الشاه في برنامجه هذا غير العقلاني ، كلما زادت مقاومة الشعوب الايرانيه واغتربت عن واقعها الى أن حصل الانفجار.

ذكرني هذا الحديث بالحرب - وكان قبل أسابيع من قبول الايرانيين قرار مجلس الأمن - ولم استطع أن أمنع نفسي وقتها من المقارنه بين موقفين متناقضين في الظاهر موحدين في الجوهر ، وعندما اعلنت ايران قبول القرار رقص الايرانيون فرحا في شوارع طهران فتأكدت لي هذه المقارنه: إنه الاغتراب الذي فرض من جديد.

وقبل ذلك أشار كثير من المراقبين والمحللين وحتى الوسطاء الدوليين إلى أن هناك شعورا قويا لدى قطاعات كبيرة في إيران بالرغبة في إنهاء الحرب ، ولكن التعصب المبني على أفكار خاطئة لما يحتويه هذا العصر من حقائق ، أجّل قبول وقف الحرب ، مما أدى بالتالي الى مزيد من الضحايا.

هذا الدرس يعني أن التوسع بالقوة غير مقبول في المنطقة ولا على المستوى الدولي ، والأولى والأجدر بالنظر هو التعايش السلمي المبني على احترام حقوق الاخرين وصون كرامتهم الوطنية وسيادة أقطارهم في أراضيهم.

ذلك هو المدخل الحقيقي والوحيد والأوْلى لسلام دائم منصف من حرب عمياء ، تطلقها العصبيات العنصرية والنعرات المذهبية والاستنزاف الحضاري الذي تجاوز خطره التضحيات المادية ليعطب جوهر الوحدة الاسلامية.

الوضـــــع الخـــــاص

ر ـعل من دروس الوضع العام الى دروس الوصع الخاص فكما فلنا هناك تا رح طويل من الخلاف الحدودي بين العراق وإيران ، قدمت فيه العراق دائما التنازلات الكثيرة من أجل الحفاظ من جهتها على علاقات إيجابية مع الجار ، وكان للبناء العسكري الايراني في السنوات الأخيرة من حكم الشاه وتدخله المستمر والمعروف في الشؤون الداخلية العراقية أثر في تقديم هذه التنازلات

والحرب ـ برغم مآسيها الكبرى ـ أثبتت قضية هامه أن الشعوب تستطيع أن تدافع عن حقوقها حتى لو كان عدوها أكثر منها عدة وعتادا لقد كان التخويف بالحرب والضغوط المصاحبه لذلك من قبل ايران ـ على الأقل فيما بعد الحرب العالمية الثانية ـ كانت تلك الضغوط تسبب قلقا نفسيا لدى العراقيين ، ودخلوا في مفاوضات عديدة بحضور أطراف دوليه أو مفاوضات مباشره لحل الأوضاع المختلف عليها حدوديا ، وكلما وصلوا الى إتفاق فشل هذا الاتفاق لتغير سياسي في أحد البلدين أو لأن هذا الاتفاق غير منصف ومفروض على الطرف الاخر وهو دائما بغداد

ويروي لنا الأستاذ / أمين هويدى وهو السفير الأسبق لمصر في بغداد جزءا من هذه العلاقات المتوتره فيقول إن سفيرى البلدين (العراق وإيران) لا يمكثان في العاصمتين إلا لفترات محدودة ، وسرعان ما يسحبان بحجه إثاره أو غليان أحد نقاط الخلاف بين البلدين ويروى حادثه شهدها بنفسه عندما استدعى بالصدفة لمقابله رئيس الجمهوريه العراقيه وقتها (عبد السلام عارف) وكان الموعد السابق له هو مقابله السفير الايرانى

ويسرد أمين هويدى بكلماته (وفجأه فتح باب مكتب الرئيس وخرج منه السفير الايرانى فى اندفاع وهو لا يلوى على شيء مكفهر الوجه جاحظ العينين ، يتحدث إلى نفسه في انفعال وحنق ، وبعد فتره دخلت على الرئيس الذي كان بدوره بادى الانفعال وقد انتفخت أوداجه ، وبمجرد أن تبادلنا التحية أخبرني أنه طرد السفير الايراني من مكتبه ، لأنه حمل رساله شفوية من الشاه مرماها التدخل فى الشؤون الداخليه العراقية ! !

ويمكن لنا أن نسرد قبل هذا الحادث وبعده عشرات الأمثله من محاولات التدخل الإيراني في شؤون العراق ، وكذلك من محاولات التدخل في الشئون الداخلية لبلدان عربية أخرى في الخليج

فـــــرق
كـبيـر
بـــين
الســـلام
المبصـــر
والحـــرب
العـــمياء

لذلك فإن الخلافات العراقية / الايرانية في الشأن الخاص (قضايا الحدود والتدخل في الشؤون الداخلية) قضايا قديمة ضخمها التهديد الايراني المسلح. فلما وقعت الحرب خبر الإثنان قوة كل منهما على أرض الواقع ، فلم يعد بالإمكان أن يطلب طرف من الطرف الآخر تقديم تنازلات غير معقولة لمجرد التخويف بالقدرة العسكرية.

وقد يوصلنا هذا التحليل إلى قضية كانت محور أخذ ورد من جانب الطرف الإيراني حتى فترة قريبة هي : من بدأ الحرب ؟

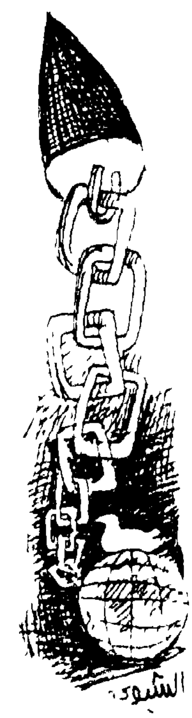
ولعلنا نذكر في هذا الاطار ما نقل عن نابليون مرة أنه (إذا كانت الأمم تريد تجنب مباريات المدفعية فعليها ان تقلع عن تبادل وخزات الإبر) والمعنى ذو دلالة ولا نحتاج إلى شرح. فالعلاقات بين الدول ـ كما علمنا التاريخ ـ لا تحدد من أطلق الطلقة الأولى ولكن الحرب أولها كلام ـ كما يقول المثل العربي.

ولم يكن ينقص لايرانيين كثير من الكلام وكثير من الفعل في التسع سنوات الماضية إن تحدثنا الحديث عما قبل ذلك. فقد أطلقت التهديدات تلو التهديدات ، وقامت بعض العناصر بأعمال إرهابية عديدة ، وتصاعدت الحرب فيما بعد لتشمل قطاعات واسعة ومناطق مختلفة وأناسا أبرياء. ولعله من المفيد التذكر هنا بأن أحد البنود التي يتضمنها قرار مجلس الأمن رقم (٥٩٨) والقاضي بإنشاء لجنة تحقيق لمعرفة من بدأ الحرب هو في الأساس مطلب عراقي.

لقد تعثرت أكثر من مرة محادثات الحدود بين العراق وإيران. ولعل الأمل الآن ينعقد فحسم هذه القضية بجانب قضايا أخرى مرة واحدة ولأمد يطول ، حتى يتفرغ الجميع للجهاد الأكبر في أكثر من جهة تتطلب صرف كل هذا الجهد وأكثر منه ، لوضع حلول إنسانية ومعيشية لجماهيرها.

قرار وقف الحرب

يتساءل كثير من المحللين عن الأسباب التي أدت إلى قبول إيران بشكل مفاجيء قرار مجلس الأمن المتضمن مجموعة من الخطوات تقود الى سلام بين الطرفين المتحاربين. وتأتي التحليلات من كل جانب مؤيدة لوجهة النظر هذه أو تلك ، رابطة هذا القرار بجهود تلك الدولة الصغرى أو الكبرى كل حسب اجتهاده ومصالحه ، إلا أن حقيقة الموقف نابعة من



الحرب لم تكن حرباً بين جيشين.. ولكن بين فكرتين مختلفتين

مجموعة اعتبارات متداخلة من بينها « إرادة الحرب » و « إدارة الحرب » من الجانب العراقي

فلقد كانت « إرادة الحرب » متوافرة ونابعة من قناعة وطنية بالدفاع عن الأرض أمام خصم متفوق بنسبة ثلاثة إلى واحد ، يستطيع أن يحشد على الجبهة أعداداً كبيرة من البشر

وقد كانت « إدارة الحرب » عالية الكفاءة ، كما تشهد بها أحد المتخصصين ، وقد نشر مقالا - قبل التطورات الأخيرة - في مجلة الشؤون الخارجية في عدد الصيف[1] قال فيه « إن هدف إيران من الحرب سياسي ، هو إحتلال الأرض والتأثير المعنوي ، في الوقت الذي يحارب العراق فيه حرباً عسكرية ، وقد تبنت فكرة « الدفاع المتحرك » بجعل أعداد كبيرة من الايرانيين المهاجمين تدخل وتواجهَ بمقاومة قليلة من المدافعين الثابتين ، ثم يطوق المهاجمون عند دخولهم الأرض العراقية فيبادون أو يستسلمون

إن الحرب العسكرية كي تنجح لا بد أن يكون لها هدف ذو شقين ، الأول تحطيم قوة الخصم العسكرية في الميدان ، والثاني تحطيم قوته الاقتصادية وقدرته على شن حرب . وتمنّى « سيجيل » بشكل عال قدرة العراقيين على « إنجاح أول حصار جوي إقتصادي في التاريخ »

إلا أن « سيجيل » اعترف في تلك الدراسة بأن الايرانيين استطاعوا احتلال شبه جزيرة الفاو في فبراير سنة ١٩٨٦ بمساعدة الأمريكيين ، فقال إنه من خلال اعترافات (أوليفر نورث) أصبحت تلك المساعدة في حكم المؤكد !

إذن فإرادة وإدارة الحرب كانت أحد المكونات الفاعلة باتجاه قبول الايرانيين بقرار مجلس الأمن الذي راوغوا في قبوله لمدة عام تقريبا

وقد قال البعض إن السرعة في تحرير العراق لأراضيه بدءاً من تحرير الفاو في ١٧ /١٨ ابريل الماضي ثم مسلسل التراجع الإيراني هو الذي تشهد بداية النهاية ، وقد يكون ذلك أحد المكونات الأخرى ، الا أن المراقب يمكن أن يرصد العد العكسي الايراني منذ فشلت المحاولات المتكررة للهجوم على البصرة في نهاية ١٩٨٦ . فقد فشلت عدة محاولات أكبرها الجهد الواسع الذي حشد له الايرانيون وسموه (كربلاء) في محاولة لحشد

(1) FOREIGN AFFAIRS (SUMMER 1988) THE IRAN IRAQ WAR A military analysis-David Segal-

الجهد المعنوي والمادي لاحتلال البصرة ، وكان الإعداد وقتها يجري لعقد مؤتمر القمة الاسلامي الخامس في الكويت واعتقد الايرانيون خطأ ، أنهم باحتلال البصرة والقدوم الى المؤتمر الاسلامي متصرين يحققون هدفهم الأعظم في نشر تصورهم للحكم والسلطة على بقية الدول الاسلامية ، وتأكيده بانتصارهم إلا أن الفشل الذريع في تحقيق وصولهم الى المؤتمر ـ كما تمنوا ـ جعلهم يدركون أنهم غير قادرين على كسب الحرب ، وقتها أطلقوا بعض قواهم الارهابية هنا وهناك ، ولكن نتيجة الحرب كانت قد حسمت هناك .

التمزق الداخلي

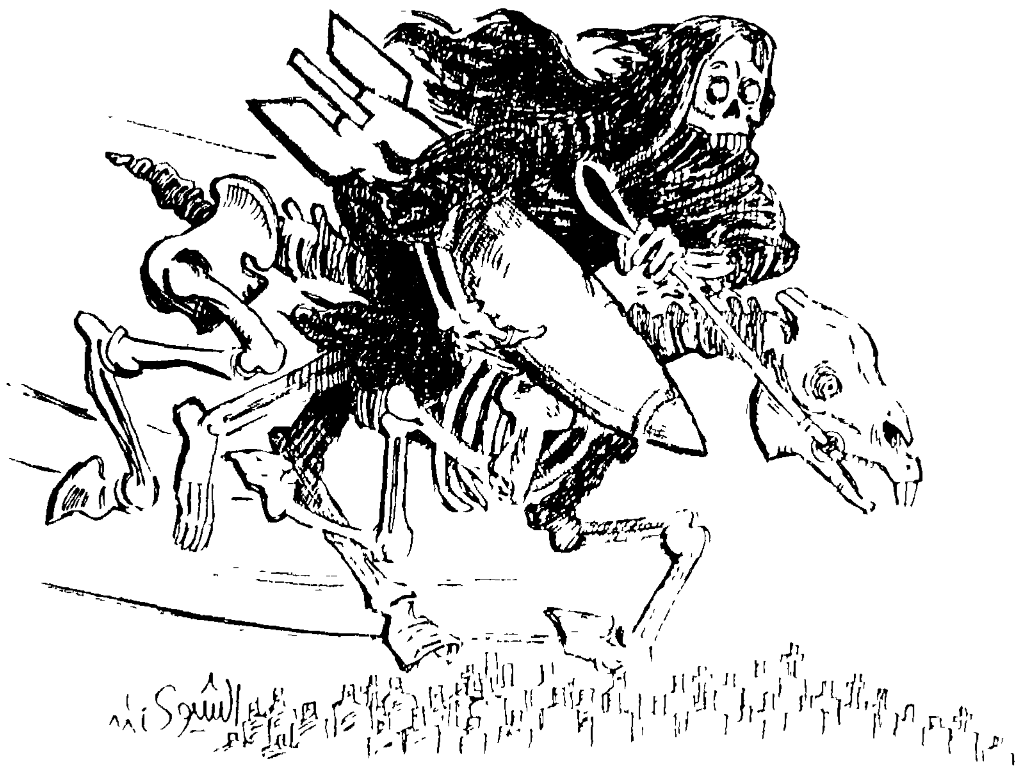
ستظل ايران ـ مع الأسف ـ تعاني من تمزق داخلي شديد ، فبالنسبة لنا نحن العرب ، فإن ايران موحدة قانعة بحدودها الدولية متعاونة على الخير ، أفضل من إيران معادية تستفيد منها قوى تضمر للعرب والاسلام الشر ، وأفضل أيضا من إيران ممزقة تتحدث بأصوات عديدة غير مفهومة ولكن ظروف التمزق الداخلي ، أو على الأقل الخلافات الحادة ، ستظل في إيران لفترة قد تطول فرجال الدين وعلاقاتهم بالسلطة ليست بالقضية الجديدة ، فحتى دستور ١٩٠٦ الايراني الذي صدر بعد صراع داخلي طويل مع « الأسرة القاجارية » حتى ذلك الدستور كان ينظم علاقة رجال الدين بالدولة ، صحيح أن هذه العلاقة اضمحلت ثم تلاشت فيما بعد ، إلا أنها كانت ـ نظريا ـ موجودة

ولكن علاقة رجال الدين بالسياسة والسلطة السياسية بعد ١٩٧٩ قد أحدث توجها آخر ، لم يحسم أو يقنن بشكل نهائي حتى الآن ، فهناك خلافات فيما يقرره مجلس الشورى المنتخب وبين ما تراه الهيئة الشرعية (لجنة المحافظة على الدستور) في قضايا الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وهناك قضية (المعصومية) التي أدخلت في القاموس السياسي الايراني ، وسيظل التخلص منها صعبا لفترة طويلة

وبعد الانتخابات الأخيرة لمجلس الشورى والتي تمت على مرحلتين في ٨ ابريل (نيسان) و١٣ مايو (أيار) من هذا العام ، وحملت إلى مقاعد المجلس مجموعة من (المتشددين) الذين يطالبون من جهة بإصلاحات أكثر جذرية في الداخل ، ومن جهة أخرى بمواصلة الحرب في الخارج ، إلى درجة إصدار قانون بعدم قانونية وقف الحرب !

الخاسر الأكبر في الخلافات العربية / العربية هو المواطن العربي

● بعد أهوال الحرب ، تنتعش آمال السلام



هدا النوع من التشدد سيجعل الصراع حتميا بين الأجنحة المختلفة في طهران

وليس بعيدا عن الأذهان أن هناك تيارين على الأقل على رأس السلطة الايرانيه اليوم ، سيتفاقم الصراع بينهما في المستقبل

على راس أحدهما هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى ونائب القائد العام ، الذي يزرع شجرة في كل حديقة كما يقول معارضوه ـ كنايه عن القدره البراجماتيه التي يتحلى بها ـ والبعض يقول أنها قدرة انتهازية

وعلى رأس التيار الثاني حسين علي منتظري الخلف المرتقب . ومع هذا وذاك أشخاص وقوى تؤيد أو تعارض ، بل قد تصدر منهم في بعض الأوقات إشارات مختلفة ومتناقضة في قضايا هامه ، كما حدث بعد إسقاط الطائره الإيرانية في الخليج في مطلع يوليو الماضي

هذا الصراع في رأس السلطة يعززه صراع آخر مع ضباط الجيش ، فقد صفي بعضهم بعد سقوط نظام الشاه ، وعندما قامت الحرب أخرج الاخرون من زنزانات الإعدام وأرسلوا الى الجبهة مباشرة وبعد سنة ١٩٨٢ عندما شعر النظام بقوته قام بتصفية الجزء الاخر ، ثم عاود الاستعانة بمن تبقى منهم أو رضي بالتعاون في الأشهر القليلة الأخيرة

التمزق الداخلي يعكسه الوضع الاقتصادي اليائس الذي وصل إ الاقتصاد الايراني ، فهناك قفزات جنونية في الأسعار ، وارتفاع في معدلا التضخم إلى درجة لا تطاق ، وأصبح الحصول على أي من السلع الأساس عذاباً يومياً لجماهير الشعب في بلاد ثلث سكانها أعمارهم أقل من الثلاثي عاماً (مجتمع شاب) يتزايدون بحوالي ٤٪ سنوياً ، أي أن الاثنين والخمسين مليوناً وهم سكان إيران الحاليون ، سيصبحون أكثر من مائة مليون بعد ثمانية عشر عاماً فقط (العقد الأول من القرن القادم) سنة ٢٠٠٦ مقسمين الى أعراق وثقافات مختلفة، عندما نعرف كل ذلك فسندرك أيضاً أنه إن لم تحل قضايا إيران الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فإنها ستظل في حالة « أزمة » وتولج المنطقة معها في هذه « الأزمة » .

العـــودة إلى دائـــرة العقـــل

لعل تأشير انتهاء الحرب العراقية الايرانية تجعلنا نعمل العقل في اتجاه آخر هو اتجاه الحوار العربي / العربي فليس يخاف على أحد أن الحرب كانت مصدر ألم وتمزق في الصف العربي ، وكانت الاجتهادات تجاهها حاده في الاختلاف أول الأمر ، ثم ما لبثت أن تقاربت كثير من وجهات النظر العربية حول سلبيات هذه الحرب وخطورتها على الأمة العربية ، ولعل الكلمات الواضحة التي تضمنها بيان اجتماع القمة العربية الأخير في الجزائر في شهر يونيو (حزيران) الماضي حول هذه الحرب هي اللبنة الأساسية التي يمكن بناء تفاهم عربي حولها من حيث إدانتها لمبدأ احتلال أراض عربية ، وضرورة الالتزام بالمساعدة العربية لأي دولة عربية تتعرض للعدوان ، وتأكيد أهمية التضامن والحوار البناء وصولاً إلى صيغ أكثر ملاءمة للعصر والتحديات التي تواجه الأمة العربية . لا ينكر أحد « المرارة » لدى الأطراف المتضررة من هذه الحرب ، ولعلنا نستخدم كلمة « المرارة » للاضافة الى مخزون الحكمة التي تراكمت في سنوات الحرب ، فليس الوقت وقت فتح جروح جديدة ، كما أن الأعداء المشتركين سوف يحاولون وضع السكين في تلك الجروح زيادة في آلامها .

وفي الوقت الذي يشهد فيه العالم حواراً شاملاً لتقريب المصالح والاتفاق سلمياً على الخلافات ومحاولة حلها ، علينا نحن العرب في سنوات النضج بعد هذه الحرب المهلكة أن نتعظ بأفضل ما علمتنا ، فقد علمتنا من ضمن ما علمتنا أن الخاسر الأكبر في الخلافات العربية / العربية هو العربي .

الحاجة إلى إعلاء العقل والتغاضي عن المرارة التي خلفتها الحرب

علمتنا الحرب أن وفاق العرب هو الأمل.. وخلافهم هو التردي

المواطن العربي ، وأن الحروب الاقليمية تحتاج الى سلاح ومال نحن أحوج إليه من رهن أنفسنا وأجيالنا القادمة للدائنين فقاعدة صناعة السلاح التي نشأت تحت ضغط الضرورة في العراق ، هي قاعدة يجب أن يبنى عليها لصالح الوطن العربي .

وهنا على امتداد الوطن العربي حوارات تجري ووفاق يتم ، فهناك في الشمال العربي الأفريقي توجهات مختلفة لوفاق واتفاق ، وهنا في المشرق العربي تجارب ناجحة . فلنستعد بعد وقف نزيف هذه الحرب لإعلاء العقل واحترامه وبدء الحوار العربي المرجو

الحوار هو صيحة العصر ، والوفاق ظاهره ، وقد صمتت المدافع في افغانستان وأنجولا وفي أماكن أخرى من العالم ، بعد التغيرات الأخيرة في الاتحاد السوفيتي والضغوط الاقتصادية المتنامية في الولايات المتحدة

وإن لم نقم نحن كعرب بإدارة حوار ناجح بينما متغاضين عن المرارة التي خلفتها الحرب سنقع لقمة سائغة لمصالح الآخرين ، وما أكثر طموحاتهم في منطقتنا

لقد علمتنا الحرب ـ من بين ما علمتنا ـ ان أمن العرب واحد ، وحدودهم واحدة ، ووفاقهم هو الأصل والأمل ، وخلافهم هو التردي .

ولم تعد الخطط الدولية لعرض الهيمنة خافية ، فالمقال المشهور الذي وقعه سايروس فانس وهنري كيسنجر (وزيران امريكيان أحدهما ديمقراطي والثاني جمهوري) ونشر في مطلع الصيف وضعا فيه الخطوط العريضة لتصور سياسة خارجية أمريكية عندما تتسلم الادارة الجديدة في يناير مقاليد السلطة في واشنطن لقد قالا من ضمن ما قالاه (انه لا يمكن للولايات المتحدة ولا للاتحاد السوفيتي كل بمفرده ان يقرر مصير قضايا كثيرة في العالم) انهما يدعوان الى توازن المصالح وتوازن المصالح هذا لصالح الأقوى والأقدر ، فهل ندعو من جانبنا لتوازن مصالح عربي ؟

الخاسر الأكبر

لا يستطيع الواحد منا ان يترك أهم موضوع ـ ربما حدث أو سيحدث في هذا العقد ـ دون الاشارة الى أن الخاسر الأكبر ـ في استقرار السلام العادل في الخليج ، بجانب تجار السلاح والموت ـ إنما هو اسرائيل ، التي كانت دائماً توسع شقة الخلاف أينما كان بين العرب أنفسهم أو بينهم وبين جيرانهم كي تلهيهم عن مساندة حقوق إخوة لهم في الدين واللسان

والانسانيه اغتصب حقهم علنا أمام العالم في وطن يضمهم ويحميهم . وسوف تحاول اسرائيل بما وسعها التدخل المباشر أو غير المباشر لزعزعة الأمن من جديد وربما في أماكن أخرى غير متوقعة ، قد تكون هذه الأماكن جغرافيه ، تعني أرض وحدود ، أو قد تكون اقتصاديه أو سياسية بالسعي لتحالفات جديده ، فهناك أطراف كانت وما زالت لها مصلحة في تعميق الشرق واستمراره

مستقبل السلام في الخليج

لقد سالت دماء عزيزه من الخاسين المتحاربين لذلك فان اي مراقب واقعي سوف يفترض أن عدم الثقة سوف تبقى معنا لفترة ، ووقف إطلاق النار تخلف عن السلام ، والسلام تحتاج الى (قاعه) كي تقبل وتطور ، لذلك فان المعركه الدبلوماسيه ستكون حاميه الوطيس احدا باعتبار كل الخلفيات التي ذكرناها ، ولكن السلام عندما حل يجب أن يشمل كل أقطار الخليج بصفته العربيه والايرانيه

فقد عانت هذه المنطقه على طريق الالام والتضحيات ، إذ كانت هناك أحكام خاطئه وتقديرات جائره تعذب البلدين المتحاربين ، وقد زاد كل ذلك قصر النظر وحماقه العقل الانساني ووفرة الالام والمصائب ، ولقد ان الاوان لشعوب المنطقه التي تاقت لفرص السلام والأمن والتنميه أن تتوجه مباشره نحو ذلك الاتجاه

ولدول الخليج مصالح وحقوق معترف بها دوليا ، هذه المصالح والحقوق يجب أن تضمن من حريه الملاحه في الخليج ، الى احترام سياده كل دوله على حدودها ومواطنيها ، واحترام حريه كل مجتمع اقتصاديه كانت أم سياسيه أم اجتماعية دون تدخل أو تهديد بتدخل

علينا جميعا ان نعيد جميع عناصر القوه بتحكيم العقل والمصلحه والدين والحوار ووضعها في خدمه مواطنينا

وذلك يحتاج إلى سنوات طويله كي تحل الثقه محل الشك وعلينا ان نبدأ ، فالخليج يجمعه أبناؤه تحت إطار عريض من الفهم الصحيح بعدم التدخل في الشؤون الداخليه



محمد الرميحي

مــع إطـــلالـــة
العـــام الهجـــري:

الإسلام والاستقامة الفكرية

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

مطلع العام الهجرى نقطة مراجعة على مسار الزمان ، نطالع فيها وثائق سفرنا في رحلة الحياة وماتحمل من زاد . حتى الكتب والوثائق يراجعونها أحيانا في مراحل الطريق

آثرت أن أذكر كلمة الاستقامة ، فقد جاءت في قوله تعالى « فاستقم كما أمرت » (هود ١١٢) ، وجاءت في النصيحة النبوية الجامعة « قل آمنت بالله ثم استقم » «من حديث رواه مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفى ، وهى من دعائنا الدائم في كل صلاة « اهدنا الصراط المستقيم »

وحديثى هذا نوع من المراجعة الذاتية التى يمكن أن نقوم بها لأنفسنا ونماذج مما يقوم به الآخرون في تراثنا وحضارتنا

ولنحاول أن نضع هذه المراجعات في منظورها العالمى وهو منظور متغير مع ايقاعات التفاعل بين العالم الاسلامى وماحوله من الحضارات ، ويتوازى معه إيقاع داخلى بين أجزاء العالم الاسلامى ، يأخذ صورا متضادة من الحرب والسلام والتعاون والتخريب ، ثم تزداد الصورة تعقيدا حين تلقي القوى الخارجية بظلالها على أرض الاسلام ، وتتقاطع فيها الظلال والمسارات ، وتتدافع التيارات ، تحمل على عوارها أمواج الأحداث ، ويشتد التعقيد حين تتصل القوى العالمية بأطراف الصراع فوق أرض الاسلام ، تؤيد هذا حينا ، والآخر حينا ، في خطة استنزاف رهيبة ، تمتص حيوية الأجيال الحاضرة ، وتورث الأجيال المقبلة ضعف الحياة وذبول الأمل

فالمراجعات الفكرية بحر متلاطم . سنحاول أن نرى فيه بعض النجوم وبعض الصخور ، وعلى الربان الماهر أن يستعين بوضوح الرؤية وحسن اختيار المسار وتجنب العقبات ليصل إلى غاية رحلته

بعض النجوم

لازلت اذكر في السبعينيات سلسلة من المؤتمرات نظمتها جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية في مدريد ، وكان لقاؤها في قرطبة درة الأندلس ، حيث المسجد الجامع أحد روائع العمارة الاسلامية وكان اللقاء الأول عرضا متوازيا للاسلام والمسيحية ، يتولاه من كل جانب سبعة من الباحثين وهدف الأسئلة ـ بعد العرض ـ المزيد من معرفة ما عند الآخر ، مجرد المزيد من المعرفة وكان

اللقاء الثاني عن الرسولين محمد وعيسى عليهما وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام وكان تكوين وفد مصر من باحثين مسلمين ومسيحيين ، وتولّى بعض الباحثين المسلمين في الوفد عرض أخلاقيات الانجيل ، كما تولى زميل مسيحي عرض أخلاقيات القرآن لقد كان القرآن خُلق النبي عليه الصلاة والسلام كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وسار التعاون خطوة أوسع استهدفت تنقية كتب التاريخ الاسلامي في اسبانيا مما تحمل من مطاعن في الاسلام ، بحيث يعرض فيها الاسلام عرضا موضوعيا كما يؤمن به أهله ، دون تجريح الرسول والرسالة ولا تشويه لمسار تاريخه

ومن اسبانيا انتقل إلى فرنسا فقد أصدرت الجمعية الفرنسية « الاسلام والعرب » دراسة في عام ١٩٨٤ عنوانها « صورة الاسلام في الكتب الدراسية الفرنسية » ، تناولت بالنقد والتوجيه احد عشر كتابا في التاريخ مما يدرس في الصفين السادس والخامس

وترجع فكرة التقرير إلى مؤتمر عن « الاسلام والعرب » شهدته مدينة جنيف فيما بين ٣ ، ٦ اكتوبر ١٩٧٩ وكان من أهداف المؤتمر المساهمة في فهم افضل متبادل بين الاسلام والعرب ، ومن هنا برزت اهمية الكتب الدراسية في تكوين هذا الفهم الأفضل

وضمت لجنة مراجعة الكتب علماء في الدراسات الاسلامية والعربية وساسة ودبلوماسيين وشخصيات عاشت العرب والمسلمين مدة طويلة ، ومنهم مسيحيون ومسلمون ، ويجمع بينهم عمق الدراسة والرغبة في تكوين الصورة الافضل المتبادلة

وقصد التقرير الا يسند نصا معينا إلى كتاب معين ، واكتفى بوضع النص بين حاصرتين ، فليس الهدف نقد كتاب أو كاتب بعينه ، وإنما النقد الموضوعي الذي يستهدف الصورة الأفضل والأصدق من أجل ذلك رحب التقرير بمساهمة وزارة التربية الوطنية والأساتذة والطلبة وابائهم والباحثين الذين تجتذبهم الثقافة الاسلامية ، والقراء المتفتّحين على الثقافة العالمية ، والراغبين في معرفة مكانة الاسلام في تاريخ الحضارات وهكذا يتسع أفق الرؤية وحوار الحضارات

إن التاريخ ـ كما يذهب التقرير ـ علم إنساني يقوم على التجارب الانسانية المحسوسة ، ويستهدف موضوعية تقتضي تصحيح الأخطاء وتوضيح المسار بإخلاص ، وإن الحضارة الاسلامية من أغنى الحضارات الروحية في العالم ، وإن مراجعة كتب التاريخ هي إحدى وسائل إيقاظ الضمير التاريخي للأجيال الجديدة

نماذج من المراجعات

كان تكوين هذه اللجنة عام ١٩٨٠ وأمضت عامين في إعداد تقريرها ، ثم نشرت التقرير بعد عامين اخرين ولنذكر نماذج من هذه المراجعات التي وردت في التقرير

١ ـ إن الصلات بين الاسلام والغرب قديمة ومعقدة ، وترتبط بالحياة اليومية في مناحي متعددة وخلال القرون المتعاقبة حدثت مواجهات حادة بين الاسلام والمسيحية ، وكان مع الصراع جهل وإساءة متبادلة ، ونشأت من هذا صور مشوهة عاشت على ماتعديها به أحداث التاريخ

٢ ـ إننا نعيش زمانا تقوم فيه كل جماعة بمحاولات دائبة في البحث عن الذات ، كما تحاول في نفس الوقت الانفتاح على الاخرين وقد يبدو الاتجاهان متعارضين ، ولكن مسار الحياة يريد منهما أن يتوافقا ، ومن الخير ان يعرف كل فريق عن طريق الدراسة المتعمقة ماعند الأخر ، ومايتفق فيه معه ، وما يختلف فيه عنه ، ومايستطيع اقتباسه من الاخرين

هذه خلاصة ماجاء في مقدمات ثلاث ، كتبها ثلاثة من أعضاء اللجنة هم فرانسيس لاماند ، وشارل بوسيه والسيدة هيلين أرفيلر رئيسة مجلس مديري جامعات باريس

١ ـ وأول مايسجله التقرير أن الصفحات المخصصة للاسلام محدودة بالنسبة إلى حجم المنهج ،

ولايمكن أن تعطى صورة واضحة عن مسار الاسلام

٢ ـ أن تقسيم المادة بين الصفين السادس والخامس يؤدي إلى مزيد من التفتيت

٣ ـ أن المادة الاسلامية مبتورة عن جذورها في الجزيرة العربية ، وتصورها ـ قبل الاسلام ـ كأنها الأرض المجهولة ، ثم تقف بالحضارة الاسلامية عند سقوط بغداد ، وقد يضاف العهد المملوكي وتنص الكتب بعد هذا على أن « العرب سيطر على الشرق » ولنا أن نتساءل ـ ويتساءل معنا التقرير ـ عن ضياع مفهوم « الاستمرار » في التاريخ الاسلامي ، ومفهوم « النسبية التاريخية أيضا » . ويبدو عرض الاسلام كأنه كتلة انحدرت في التاريخ كأنها غارات الهون والوندال والمغول

٤ ـ وفي عرض الاسلام ترد في الكتب ألفاظ العنف ، القسوة ، وأن المسلمين هم السبب في سقوط الامبراطورية البيزنطية المسيحية ، كما أنهم السبب في سقوط الامبراطورية الساسانية ، وأنهم ـ أي المسلمين ـ توسعوا على حساب هذه القوى الحضارية العالمية فالنظرة أوربية المركز ، والتفكير بعقلية غربية ، ودخول المسلمين إلى التاريخ ـ كما يصورونه ـ كان من الباب الأوربي وقد نقد التقرير هذا الاتجاه في النظر إلى الحضارة الاسلامية ، واستأنس ببحوث بعض أعضاء اللجنة كمحمد اركون وباقتباسات من كتابات آخرين كمكسيم رودنسون الذي يقول

ليس هناك استشراق ولكن هناك مطومات علمية متخصصة تدرس مشكلات في مجال الاجتماع والسكان واللغويات وعلم الانسان (الانثروبولوجيا) ولا مجال لعبارات مثل فرض العرب دينهم ولغتهم وعاداتهم وحتى تقويمهم (الهجرى) ، مما يبدو منه أن هذا الانتشار كان بالقهر وتحت وطأة الاضطرار ، وأن قبول الدميين الاسلام كان لأسباب اقتصادية كالتهرب من دفع الجزية (بينما هي في الاسلام تقابل ضريبة الدفاع) وحتى الصفحات المشرقة تصورها بعض الكتب في صورة كابية معتمة ، فالتسامح مع نصارى الشام كان لفائدة العرب ، وهو ثمرة سياسية مكيافيلية ثم يضربون مثالا عنيفا عن علاقة الأتراك بالأرمن

ويمضي التقرير في نقد ماجاء في الكتب الدراسية عن الرسول عليه الصلاة والسلام وعن القرآن الكريم ، وينتقل إلى محاولات عرض الاسلام المعاصر ، وكيف أن الأقطار العربية « مع تقدمها المحدود »ليست في نظر أوربا إلا موردة للنفط ولليد العاملة المهاجرة ، ثم يعقب التقرير بأن عرض الحضارة الاسلامية بهذه الصورة إنما هو « تاريخ بلا تاريخ » ، تاريخ طارئ معزول ، فحتى في ذروة الحضارة العربية يعرضونها كأنها قامت على أعمدة من الفكر اليوناني ، ثم انتقل المشعل الحضاري إلى العرب ، وانتهى دور العرب والمسلمين هذه النظرة إلى الاسلام كأنه ـ في فترة من الزمان كان ـ أرض الغرائب والفكر القدري السلبي الذي يبرر الفقر وتبرره بعض الفصول كأنه حضارة بائدة عاشت ـ تاريخيا ـ بين الحضارات القديمة والعالم المسيحي وهي عندهم أحيانا « الامبراطورية العربية العجوز » ، ولم يبق منها إلا بعض الآثار المعمارية

هذا بعض ما أوصى التقرير بإعادة النظر فيه ، واقترح توفير وقت للمراجعة والتصويب بين انجاز المادة العلمية وتقديم الكتاب للطبع

معهد العالم العربي

وهذه نقطة مضيئة أخرى انطلقت من فكرة طرحها الرئيس الفرنسي السابق جيسكار ديستان في عام ١٩٧٩ ، ولاقت ترحيبا من السفراء العرب ، ومساهمة من الحكومات العربية وتم الافتتاح في نوفمبر ١٩٨٧ والمعهد مؤسسة ثقافية تهدف إلى تنمية العلاقات بين فرنسا والوطن العربي في مجال الثقافة والفنون والآداب ، وبعث حركة أبحاث معمقة عن الوطن العربي حول قيمه الثقافية والفكرية والاجتماعية والتاريخية وقد ساهمت الكويت في

تكاليف الانشاء، فضلا عن حصتها السنوية في ميزانية التشغيل

والآن ماذا علينا ؟

وفي هذا الجزء من البحث وهذه المرحلة من المراجعة سأتبع منهج تقرير صورة الاسلام في الكتب الدراسية الفرنسية. فلا داعي لتحديد أسماء المؤلفين، ولا أسماء الكتب، ويكفي التركيز على الهدف الذي تشكله عدة مصادر من بينها المقولة الاتية

إذا كان ميدان العلاقات الفكرية بين الاسلام والغرب يشهد هذه المراجعات أفلا يحق لنا - أو هو الأجدر بنا - أن نقوم بجهد ساطر على صعيد الفكر والمذاهب الاسلامية ؟ لقد أحس بعض علماء الغرب بمرارة ما اجترحه بعض الكتاب والمؤرخين الغربيين في حق الاسلام والحضارة الاسلامية. وحاول بعضهم أن يفسر ذلك بالصراع الذي كان بين الحضارتين الاسلامية والاوربية المسيحية، مما اقتضى - في الغرب - تكوين صورة مشوهة عن الاسلام والرسالة والرسول لتكون « مبررا فكريا » لحرب الاسلام ومحاولة القضاء عليه هذا الجيش والحشد من المستشرقين والمبشرين والعسكريين، وهذا الجهد الدائب في جمع التراث الاسلامي ونقل - ما استطاعوا - من اصوله ومخطوطاته إلى جامعاتهم ومجامعهم وأديرتهم، وعكفوا عليه دارسين ومشرحين قبل أن يكونوا شارحين. ليكونوا أقدر على السيطرة على العقل والارض والبشر

ونحن كمسلمين فينا من يقوم ببعض المسئولية في هذا. فلقد مرت على العالم الاسلامي - ولاتزال في بعض أقطاره - دورات من العداوة أدت إلى إخراج حشد من الكتب المذهبية التي لم تكتف بتصوير مذهب معين، وإنما حاولت تصوير الاسلام كله بلون معين. بل محاولة توجيه القرآن والسنة النبوية وجهة معينة واستطاع الغرب أن ينفذ من هذه الثغرات. وأن يطعن الاسلام بأقلام ابنائه، وأن يشكك حتى في النص القرآني الذي وعدنا الله بحفظه في قوله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (الحجر ٩). وفي السنة النبوية المطهرة بعد كل الجهود الجبارة التي بذلها علماء الحديث، وهو جهد غير مسبوق ولا ملحوق في أي حضارة والله أعلم ثم جاء تصوير عهد الصحابة والخلافة الراشدة والعهدين الأموي والعباسي وعهد الدول اللاحقة بعد سقوط بغداد كأنه تاريخ التآمر والدماء واغتصاب الحقوق الشرعية لفريق من المسلمين. واشتد هذا التدفق من التأليف المذهبي في فترة الصراع بين الصفويين والعثمانيين

وقد انبرى علماء من مذاهب كبرى يحاولون مراجعة مذاهبهم، والكتب الكبيرة فيها وأهل الدار أدرى بما فيها ورأيت وقرأت في هذا جهودا مشكورة. ولقيت علماء من مذاهب شتى عندهم هذا الاتجاه. ولكن هذا الاتجاه الذي لازال محدود الانتشار تحت ضغوط وسيطرة قيادات في المذاهب لاترضى بسماحة الاسلام واحتوائه السابغة التي تسع المسلمين جميعا، ويأمن فيها من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله

وهنا يأتي دور الجامعات الاسلامية ومجامع البحوث باعتبارها مراكز بحث متقدمة ولكن لن تستطيع القيام بهذا إلا إذا تم الاتفاق على تأمين الباحث قبل أن يقول، وعندما يقول وبعد ما يقول. ولا تطلب من كل باحث ان تكون عنده شجاعة المغاوير، وفدائية الشهداء وإن خضوع الفكر العلمي للضغوط القومية والمذهبية قد أضر كثيرا بالوحدة الاسلامية

وهذا الحديث لا ينادي بمصادرة هذه الكتب التي أفرزتها ارض الخصومة فلندعها على رفوف المكتبات، ولكن ننادي بتنقية طبعات جديدة بالمراجعة، ورفع الأشواك منها، فإن هذا العداء المسموم يتراكم في نفوس الأجيال الجديدة وهي غضة، فتنشأ على الكراهية والحقد وفي أكثر من حديث ولقاء تنادي المصلحون بخطورة التكوين الحاقد، ومن ورائه جيل من المتعصبين بالخصومات والتعصب وإن الذين يتقاتلون بالسلاح تعرضوا

قبل هذا لشحن عقولهم بالكراهية والعنف ومرة أخرى أشير إلى الأسلوب الذى استطاع به العرب أن يتحاوروا - إلى حد كبير - الصراعات المذهبية الدينية ، ليمرع إلى قبول التحدى الحضارى والتفوق العلمى والتقنى ، وهو من أهم موازين وأسباب التقدم فى عالمنا المعاصر ولا ينقصه عندهم إلا الميزان الأخلاقى ، وأصوله عندنا متوفرة والحمدلله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

واللغة العربية لها دورها وحقها .

ومع العناية بالأفكار التى نود أن تسود بين المسلمين وتصل إليهم دون أن تصطدم بعقدة اللغة واللسان أو المكان أو المذهب فإن لغة القران - وهى العربية - لها حق واجب الأداء فمهما قيل عن الجهود المبذولة فى ترجمة معانى القران والأحاديث النبوية الشريفة فإن المحجوبين عن تدبر القران فى لغته العربية التى نزل بها الوحى يفوتهم خير كثير

ولقد سار انتشار الاسلام واللغة العربية معا ، وكان فى إقبال الشعوب التى أسلمت على تعلم اللغة العربية ، وحبهم لهذا اللسان المبين ، ما دعاهم إلى المساهمة الايجابية فى الحضارة الاسلامية شرحا وتأليفا وإبداعا ولقد أدرك الاستعمار هذا الرباط الوثيق بين اللسان العربى والاسلام فكان يحاربهما معا إما عن طريق سيادة ألسنة أخرى أو تشجيع اللغات واللهجات المحلية لتزاحم العربية ، وبالتالى تبعد قطاعات كبيرة من المسلمين عن النص القرانى قراءة وفهما

إن علينا أن نبذل جهودا مضاعفة فى نشر اللسان العربى ، ولننظر كمثال إلى جهود الناطقين بالانجليزية والفرنسية فى نشر لغاتهم ، فالثقافة من أمضى أسلحة الحياة وصدق الله العظيم

« خلق الانسان علمه البيان » (الرحمن ٣ - ٤)

وما أكرم أن يكون البيان بلغة القران

ولنا مع العام الهجرى الجديد أمل فى

- مراجعة التراث ليستقيم على نهج الموضوعية
- إضافة إليه ليستقيم على نهج الاخاء والتعاون
- مشاركة فى الابداع الحضارى تلتقى عليها الجهود
- عناية باللسان العربى الذى نزل به القران الكريم

أربع منارات على الطريق ، نذكرها وندعو الله قائلين اهدنا الصراط المستقيم !

كلمات بليغة

■ من نماذج الكلمات البليغة التي اطلقها اصحابها ببساطة ، فنفذت بين طرقها الى القلوب والاسماع ، كلمة ابن السماك الاسدي امام معاوية . فلقد سألوه : كيف تركت الناس ؟ فقال : تركتهم بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي

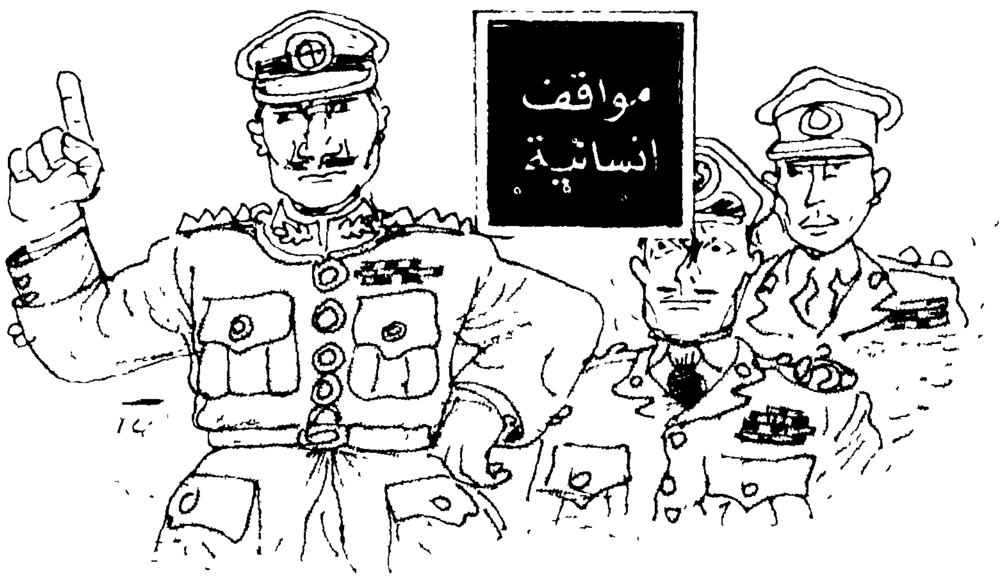
■ لقي الحسين بن علي وهو في طريقه الى العراق الفرزدق فسأله عن الناس فقال : القلوب معك والسيوف عليك والنصر في السماء »

■ تشكا قوم الى المسيح عليه السلام ذنوبهم فقال : اتركوها تغفر لكم

مر عمرو بن عبيد بسارق تقطع يده فقال : سارق السر تقطع يد سارق العلن !

■ تحدث شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان فقال : ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية

■ قيل للخليل بن احمد : مالك تروي الشعر ولا تقوله ؟ فقال : لاني كالمسن ، اشحذ ولا اقطع



وشر البلية.. ما يضحك!

بقلم . الدكتور عبد الوهاب حومد

حلف كل الأيام القاسية مواقف تثير من الضحك قدر ما تدفع الى البكاء والأسى . وكثير ما تتصاعد الأحداث لتبلغ قمة المفارقة حدا يفوق كل خيال وإلا هل يصدق أحد أن وزيرا يمارس أعماله داخل زنزانة ؟ !

كانت ظاهرة يصعب على المتتبع لمسيرة الأوضاع السياسية أن يجد لها تعليلا مقنعا . غير أن العارفين بما وراء الحجب كانوا يحسون أنفاس الذين يحركون الدمى . وحين يرفع المنع عن الوثائق السرية بمرور الزمن الذى تحدده وزارات الخارجية فسوف تهتك أسرار الأدوار التى مثلت على مسرح الأحداث . خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن القلق ، وتتسلط عليها أنوار كاشفة .

تفصح « أبطالها » . وتحدد ناسها . وما لنتصر فقد كانت منطقتنا واقعة فى مهب أعاصير عاتية . ننقض عليها من حيث نعلم وما لا نعلم . وكنا ننام على إشاعة بلاغ رقم (١) لنصبح على صوت مذيع مع الفجر . يخبرنا بأن « عهد الانحراف انتهى الى غير رجعة . وأن عهد الحرية والرخاء وصيانة كرامة الانسان قد بدأ »

تبدأ سهرة

وكان ذلك ايذاناً ببدء مرحلة تاريخية جديدة كم كان عدد الانقلابات العسكرية في تلك الفترة ؟ لا أظن أن أحداً يستطيع ان يجيب على هذا السؤال بدقة . لان الانقلابات الداخلية التي لم تظهر على السطح اكثر عدداً واخطر اهدافاً من تلك التي اغتصبت سلطة وجاءت بسلطة

ولماذا هذا التعاقب في الانقلابات ؟ هذا سر من اسرار التاريخ ايضاً . يحتاج كشفه الى وثائق ودراسات معمقة والذين يستسهلون التفسير ويكتفون بالظاهر يقولون ان السبب تزاحم على السلطة تماماً من جاء معز وبرز ويحدث او يعد في سبع سطور حدث ليس في صالح لقضية العروبة

وتلك اوهام مجردة اذكر انني كنت في جلسة خاصة مع الرئيس جمال عبد الناصر . وكان احد الوزراء العسكريين يتحدث عن اشتراكه في كل الانقلابات التي وقعت وسأله الرئيس اذن انت عاون انقلاب ؟ فاجاب الوزير الضابط فعلاً لا اعرف سبباً واضحاً لاشتراكي . بانا بدعوتنا الى سهرة ساخنة تمتد الى الساعة التي تلي منتصف الليل . ثم نفاجئنا بالطلب الذي تعودنا عليه وهو التوجه الى دباباتنا للقيام بانقلاب وضحك الرئيس من هذا الجواب الساذج وهو ابسط الادب العارف بواطن الامور ومن منطق تلك المغامرات وقع في سورية خلال عام ١٩٤٩ وحده وهو العام الذي تلا قيام دولة اسرائيل باسناد لا يستحق من العرب والشرق على السواء . ثلاثة انقلابات متسارعة اولها انقلاب ٣٠ آذار (مارس) ١٩٤٩ وقد جاء ليقضي على التحفظ والتردد والفوضى والاستئثار والمجادلات في عهد سابق بالمساوىء والمخازي من حسابات وسرقات وقضاء على الحريات الديمقراطية . كما قال مذيع البلاغ(١) المذكور والثاني قام على جثة صاحب الانقلاب الاول يوم ١٤ آب (اغسطس) من العام نفسه لكي ينقذ البلاد من الحالة السيئة التي وصلت اليها . وتخليص البلاد من الطاغية الذي استبد بها هو ورجال حكومته . وأخذ يتطاول هو وحاشيته على اموال الامة ويبذرها بالاثم والباطل . ويعبث بالقوانين وحريات الافراد كما جاء في بلاغه رقم (١) ايضاً ووقع الانقلاب الثالث على مرحلتين . الاولى وفيها تم الاستيلاء على السلطة المدنية يوم ١٩ كانون الاول (ديسمبر) . وكان الهدف من هذا الانقلاب الحفاظ على مصلحة البلاد ايضاً ، فقد ثبت لدى الجيش ان رئيس الاركان العامة وبعض ممتهني السياسة في البلاد يتآمرون على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظامها الجمهوري لذلك فقد اضطر الى ان يقصي هؤلاء المتآمرين . وليس له اية غاية اخرى كما جاء في البلاغ رقم (١) الذي اذيع في ساعة الفجر في ذلك اليوم

ولست في صدد كتابة التاريخ لان تورطنا جانبنا تقبل اي الوسائل الدقيقة تجعل ذلك خيراً من شريطة ان تكون احشمة البارحة وحدها هي زادنا . لكني اعترف من سر الذاكرة حادثة معبرة اكتبها لا لطرافتها . وانما لمغزاها . لنوع من الشهادة المباشرة عن تاريخ تلك المرحلة المموجة التي كنت شاهداً عليها منفعلاً بها ومتأثراً

من مكتب الرئيس الى الدبابة

وقد وقع صدام بين رئيس الجمهورية اذ ذاك وبين صاحب الانقلاب الثالث . خلافهما على توجيه دفة السياسة وسمع بعض رجال القصر صوت الرئيس الوقور يؤنب الضابط الكبير لافهامه بانه لن يكون له سنداً . وانه لن يكون ابداً اداة في يده ابن حسني اعا وحدثني من سمع ان ابن حسني اعا هذا ، رفع صوته على صوت الرئيس وظل عادته بصوته الخشن المعروف بالثبات الرئاسة وبمحاسبه وخرج من عنده . ليقضي في الليل على اعضاء الحكومة وكنت واحداً منهم . وحين سمعت قرع الباب في حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ـ وهي الساعة التي يختارها في العادة الانقلابيون ـ ادركت ان ما كانت تسعى الحكومة الى الحيلولة دون وقوعه قد وقع . لترمى البلاد مرة ثانية في أحضان المجهول والمغامرين

وحين فتحت الباب سارع ضابط في ملابس مدنية ، وخلفه عدة أفراد من الشرطة العسكرية بالدخول ، حتى يحولوا بيني وبين إغلاق الباب في وجوههم ، ووجه اليّ الضابط « رجاء » بمرافقته ، لأن العقيد الانقلابي كان يريد أن يراني ، وللأمانة فقد كان هذا الضابط على درجة عالية من المجاملة ، واعتذر بأنه جندي ينفذ أوامر رؤسائه ، وسمح لي بارتداء ملابسي في حضوره ، وكانت منة منه علي ، لأنني حين وصلت الى مقر الشرطة العسكرية شاهدت وراء بوابة اقتلعوا من فراشهم ، واقتيدوا « ببيجامات » ، وكان بعضهم حفاة الأقدام ، يرتجفون من شدة البرد في هذا الفصل القارس من السنة

وحين دخلت السيارة المغلقة ، أدركت ان فيها شخصا آخر ، لم أتبينه في الظلمة ، ولم يتحدث اليّ ، لانه كان في حالة وجوم مطلق ، وقد عرفته حين أنزلنا ، بعد أن طوفت بنا المركبة في شوارع تئن تحت وطأة الصقيع ، ولا يتردد في جنباتها إلا عواء بعض الكلاب الشاردة التي اذاها البرد أيضا وفي المقر المتداعي الكئيب « اكتمل اجتماع الشمل » ، وتبين من كانت تساوره بعض الشكوك بأن ضربة جديدة وقعت على رأس الدستور وقد بلغت روح النكتة اللاذعة بمخضرم من شيوخ الساسة أنه حين كان يريد أن يذهب الى قضاء حاجة طبيعية كان يستأذن الضابط بكلمة دستور وكان مألوفا من العهد العثماني أن يتم الاستئذان بهذه الكلمة وقد عايشناها نحن في المدرسة الابتدائية ، ثم اندثر هذا الاستعمال مع الزمن

وفي الصباح توجه الركب بكامل هيئته الى « نادي ضباط الطيران » ، وهو بناء صغير متواضع ، يقع في مواجهة سجن المرة العسكري ذي السمعة الشائنة ، لنقبع هناك بضعة أشهر وقد كانت الحراسة في غاية الشدة ، غير أن الضابط وجنوده كانوا يخفون مودتهم وإنسانيتهم حين تسنح لهم فرصة منفردة وكثيرا ما وقعت تصرفات من بعض المعتقلين في ساعات ضيق نفسي ، كانت تجد طريقها الى تسويات مهدئة ، غير أن أحد المعتقلين البارزين نال بصورة فجة من صاحب الانقلاب في حضور ضابط الحرس ، فخاف هذا على نفسه العاقبة إن لم يفعل شيئا ، ومع ذلك فقد تم تطويق الحادثة ، وساعتها عرفت أن هذا الضابط من طلابنا في كلية الحقوق ، الأمر الذي فسر كثيرا من تصرفاته اللبقة وأحد هذه التصرفات أنه فاجأني ذات مساء ، وقد هدأت كل نأمة في المعتقل ، بدخول طفلتي علي دون أي مسعى من قبلي ، وكانت مع طفلة معتقل آخر من أهل العلم قبل أن « ينحرف » الى السياسة ويصبح من « عملاء الاستعمار والرجعية »

وقد تعلمنا من المعتقل ألا نطمح بغير ما هو ممكن ، وأن نتحكم في أعصابنا قدر استطاعتنا وكنا عارفين بأن أي إفراج عنا لن يتم قبل أن تتوطد أركان النظام الجديد ، أو أن يقتلعه نظام آخر وفي تلك الأيام لم نكن نعرف التعذيب أو نسمع عنه في معتقلاتنا ، وقد تعودت أن أترقب كل مساء على النافذة المطلة على واد بين الجبال عودة راع بأغنامه وماعزه وكان الكبش يقود القطيع على أنغام الجرس المعلق في عنقه ، وأنات ناي الراعي تملا جنبات البطاح الممتدة بين التلال شعرا وموسيقا ، تطلق للحنين أجنحة مثقلة بأنفاس الندى وتموجات العسق وأظل في رفقه الحالمة هذه حتى تبتلعه الأفق ويتلاشى رنين الجرس ، وكأني به يشدو مع الشاعر القديم

لنا غنم نسوقها غزار ... كأن قرون جلتها العصي
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا ... وحسبك من غنى شبع وري

في تلك الفترة زارنا صاحب الانقلاب مرتين ، وطال جلوسه معنا وكان في كل مرة يعرب عن أسفه لاحتجازنا ، لكن الظروف الخارجية كانت تلجئه مكرها الى اتباع هذا السلوك السيء ، كما يقول ، وأشهد أنه كان مثلا رائعا للمواطن النبيل ، فقد سهر على راحتنا ، وكريم إقامتنا بأكثر من الذي كنا نحلم به كان لدينا مذياع نستمع منه الى الأخبار ، وكنا نجلس في « صالون » كبير ، تقدم لنا فيه القهوة والشاي في كل ساعة لمن يشاء ، وكنا نتزاور في غرفنا ، ونتبادل إعارة الكتب التي كانوا يجيئوننا بها من بيوتنا ، حتى انني استطعت أن أؤلف

قسما كبيرا من أحد مؤلفاتي الجرانية . فقد كنا مجرمين سياسيين » كما يفهمهم رجال القانون . لكن الاعتقال يظل يعني السجن . والسجن يعني فقد الحرية . وقد اعتبر يوسف عليه السلام الافراج عنه نعمة من الله حين قال : « وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن » ولو قدر الذين يزجون بالأبرياء في السجون ماذا تعني الحرية الانسانية لما تركوا مظلوما وراء قضبان

وزير داخل السجن

لقد فوجئت ذات صباح بدخول ضابط المعتقل علي وهو يبتسم ليزف الي بشرى زيارة لي . وشعرت [illegible] التلهف [illegible] ما هي طبيعة هذه الزيارة . ولماذا انا على الاخص وبين المعتقلين من هو أحق . واكتفنا لمناقشة القضايا العامة . ان كان القصد تبادل الرأي في خروج البلاد من أزمتها ؟ لكن الصورة تبدلت فورا في ذهني حين وجدتني وجها لوجه مع مدير الجامعة وعميد كلية الحقوق . فقد جال في خاطري انهما جاءا ليصطحباني الى الكرسي الذي اشغله في هذه الكلية . بعد أن طال غيابي عن طلابي . ورجح قائد الانقلاب مصلحة القانون وتغليبه على اعتبارات السياسة . لكن ما جال في خاطري كان وهما . فحين قبض الثوار الفرنسيون على العالم الكيميائي الشهير لافوازييه بتهمة التآمر على سلامة الدولة . عرض عليهم زملاؤه من عارفي مقامه أمره . والحوا للابقاء على حياته حرصا للعلم والوطن . فأجابهم الثوار جوابا مايزال يرن في اذان التاريخ . بأن « الثورة ليست في حاجة الى علماء »

واتضحت لي الغاية من هذه الزيارة الغريبة . بعد التحية والمجاملة . فقد كانت عدة الاف من الشهادات الجامعية في حاجة الى توقيع (وزير المعارف) على الأخص . وانه لا توجد في البلاد حكومة . ولا يجوز ان تقوم !! بتوقيع عليها نائب او وكيل . وأن الذي حصل على شهادة الطب لا يستطيع أن يفتح عيادة بدونها . ولا يستطيع من حصل على شهادة الحقوق أن يترافع عن أحد قبل ان يبرزها الى النقابة المختصة

وحيل بين الذين يريدون التخصص في بلاد أجنبية وبين التحاقهم بجامعاتهم الجديدة دون إبراز هذه الشهادة الصادقة المصدقة . اذن فالمطلوب مني أن أوافق على وضع توقيعي عليها بوصف سقط عني منذ صدور بلاغ عسكري بتكليف قائد الجيش بممارسة السلطة وإقالة الحكومة

وحين اعربت عن شكوكي في سلامة هذا الاجراء من الناحية القانونية والأخلاقية . لأنني لم أعد صاحب المنصب . ثم إني في حالة فقد تام للحرية . يترتب عليه فساد ما يتخذ من تصرفات عامة . قالا إن ذلك تضحية في سبيل مصلحة الأبناء من الطلاب . وكانا على حق . فطالما أن الدستور يصرع في الاوحال . وان الحريات العامة والفردية تحت الاقدام . فإن التردد في حل مشكلات الاف من رجال الغد لا يمكن ان يعني شيئا

وأخذت اكداس الشهادات تتوارد . كلما خرجت شهادات مستكملة مقومات حياتها دخلت أخرى . حتى أنجزت « الواجب » . وبعدها اعيد اسدال الستار الحديدي . وعدت الى عالم السكون والتلق والتأمل والتحسب

وكانت نكتة النكبة هذه ذات معنى خاص على المستوى الشخصي والمستوى العام

مهازل تضحك الجهلاء منها
ويبكي من عواقبها الحليم

وبكى الحلماء حين تطاير ابطال الطغام تحت كل كوكب . كما تتطاير اوراق الخريف حين تعصف بها الرياح الخلدية . وانهت رصاصة ثأر حياة الرجل الأول . وهو يحاول التخفي في أرض الله الواسعة . ذلك ان البلاد دخلت في دوامة الحوادث ذات اليمين وذات اليسار . ظنت انها استقرت . لكنها لم تستقر

وحزنت على موته . فقد كتب قانعا بطاقة يده وصادق مشاعره القومية . لكن بريق السلطة ذهب ببصره . فغامر ذات ليلة . لكنه قذف بالدولة والديمقراطية ومشاعر المواطنين في عالم الظلمات . واضاع من عمر الجيل سنوات كان مقدرا لها أن تكون سنوات بناء وتقدم

ولا يجهل احد المستفيد الحقيقي من شذوذ الاوضاع العامة وترديها □

على حجر في الجحيم

[illegible]
للحب نلقي بما قد تبقى لنا
من مرارة هذا الشراب المعتق
فوق الرمال ، ونلقي
بأيامنا للظلام البهيم .
لم يعد للورود التي سكسها النجوم







حرب الظواهر الخارقة

بقلم . محمد حسن بيرقدار *

سمع الكثيرون عن بعض القدرات الخارقة التي يتميز بها البعض مثل رؤية شيء على بعد مئات الأميال ، وكسر الزجاج بتسليط النظرات الحادة اليه ، وغير ذلك

لكن ما لم يعرفه بعد هو أن الدولتين العظميين تجربان بحوثا مكثفة لتوظيف هذه الظواهر في الصراع بينهما

تنفق الولايات المتحدة عشرات ملايين الدولارات كل عام على برامج سرية غايتها دراسة الظواهر المتعلقة بالقدرات الانسانية الخارقة ، ومعرفة امكانيات استخدام قدرات العقل الانساني للقيام بعمليات تجسسية وحربية ، مثل القدرة على قراءة الملفات السرية من مسافات بعيدة جدا ، والقدرة على تحديد مواقع الغواصات النووية في أعماق البحار ، والقدرة على تفجير الصواريخ الموجهة أثناء تحليقها في الفضاء عن طريق استخدام القوة العقلية

وتعاني الولايات المتحدة هذه الأيام مما تسميه «الفجوة» التي تفصل بينها وبين الاتحاد السوفييتي في حقل «الأسلحة النفسية»

وقد كشفت الأدلة المتاحة مؤخرا أن الدول

* كاتب صحفي عربي - ديفون - بريطانيا

العظمى تقوم منذ عدة عقود بدراسات مستفيضة في العلوم السرية ، التي تهتم بالمفاهيم « الخارجة عن نطاق الادراك الحسي العادي » و « التخاطر » (أي اتصال عقل ساحر من مسافة بعيدة) . و « الاستبصار » أي القدرة على رؤية أشياء تقع خارج مجال البصر ، كأن يرى انسان في القاهرة ما يجري في البيت الأبيض و « السايكوكينسس » اي تغيير حالة شيء عن طريق استخدام القوة العقلية مثل كسر الزجاج او صهر المعدن او تفجير صاروخ عن طريق استخدام القوة العقلية .

علم أم شبه علم

استمر الجدل بين العلماء عدة قرون بخصوص « علم نفس الظواهر الخارقة » أو ما يسمى « باراسايكولوجي » . فقد اعتبر بعضهم أن هذا العلم مشروع . وأن المهتمين به هم علماء جريئون يتمتعون برؤيا استثنائية . بينما اعتبره بعضهم الآخر « شبه علم » واتهموا المهتمين به بأنهم باحثون بسطاء التفكير واقعون في شرك خداع الذات .

وحين اكتشف هؤلاء ان وزارة الدفاع الاميركية - البنتاغون - مهتمة بعلم « الظواهر الخارقة » ارتفعت حرارة الجدل العلمي .

ويعتقد تشارلي روز عضو اللجنة المختارة لشؤون المخابرات في الكونغرس الاميركي أن احتمال وقوع حرب « الظواهر الخارقة » هو احتمال حقيقي . وقد يستدعي في يوم ما بدء برنامج (سريع) يشبه « برنامج مانهاتن » الذي ادى الى تصنيع أول قنبلة ذرية في العالم . اما العالم مارسيللو بروتري الذي يعمل في مركز ابحاث « الشذوذ العلمي » في ولاية ميتشيجان فيعتقد ان وزارة الدفاع الاميركية ستتخلى عن واجباتها اذا لم تهتم بهذه الأبحاث .

ولعل أفضل دراسة تفصيلية عن التجارب التي اجريت في حقل « الظواهر الخارقة » هي الدراسة التي أعدها العالمان « راسيل تارغ » و « كيث هارادي » التي نشرت مؤخرا في كتاب عنوانه « سباق العقل » . وهو السباق الذي يتوقع العالمان أن يرث سباق التسلح الحالي ويليه .

أما الدكتور « تارغ » فهو عالم فيزيائي متخصص بأشعة الليزر وعلم البصريات والموجات الكهرطيسية القصيرة المدى . وقد قضى عشرة اعوام قام خلالها بأبحاث مستفيضة في حقل « الظواهر الخارقة » لحساب وزارة الدفاع الاميركية البنتاغون - وأجهزة المخابرات الأميركية المختلفة . وقد كلفت تلك التجارب عشرات الملايين من الدولارات .

اما التجارب الرئيسية فقد تعلقت بما أسماه « تارغ » « الرؤية النائية » التي يستطيع الاشخاص الذين وهبوا قدرات ذهنية خارقة بموجبها وصف اماكن بعيدة جدا لم يشاهدوها من قبل . وان يصفوا احداثا تجري في مكان آخر يبعد عنهم الاف الاميال فعلى سبيل المثال قام الدكتور تارغ بتجربة شخصية على شخص موهوب موجود في كاليفورنيا عام ١٩٧٦ . فقد ذهب تارغ الى مكان بعد مئات الاميال عن الموهوب . ثم اختاره قبل الشروع بالتجربة بدقائق . دون علم الموهوب . وكانت مهمة الموهوب وصف مكان تارغ من تلك المسافة البعيدة . وقد كتب الموهوب على كمبيوتر « وكالة « برنامج الدفاع للبحث المتطور » من مكانه في كاليفورنيا مايلي :

« ارى تقعرا اسمنتيا يشبه بركة ماء جافة . يتوسطها عمود اسمنتي . وأرى سرب حمائم على يمين المشهد يطير فوق المخصص الاسمنتي » وقد صدق الموهوب . اذ أن المكان الذي وصفه من مسافة بعيدة كان البركة المركزية في حديقة « ساحة واشنطن » في مدينة نيويورك . والبركة كانت فارغة ويتوسطها عمود اسمنتي . كما أنها كانت محاطة بالحمائم أثناء التجربة .

أما الأمر الخطير والمذهل فقد كشفه العالم « رونالد ماكريه » في كتابه الذي نشر مؤخرا تحت عنوان « حروب العقل » . فقد ذكر ماكريه أنه تم استخدام الظواهر الخارقة لتقييم خطة كلفت (٤٠) مليار دولار اطلق عليها « لعبة الصدفة » تتعلق بصواريخ (ام - اكس) السوفييتية . وتقضي تلك الخطة بتحريك

الصواريخ في مرابض سرية تحت الارض بشكل متنقل وغير ثابت . أي أن الصواريخ تنقل من موقع الى آخر باستمرار ، عبر أنفاق هائلة حفرت تحت الأرض لمنع السوفييت من تحديد مواقعها بدقة وبالتالي تدميرها

وذكر العالم « ماكريه » نقلا عن مسئولة كبيرة في البيت الأبيض تدعى « باربارة هونيفر » متخصصة في حقل « الظواهر الخارقة » أن وزارة الدفاع الاميركية ـ البنتاغون ـ أجرت عدة تجارب استخدمت فيها أشخاصا يتمتعون بقدرات عقلية خارقة أما دور هؤلاء الموهوبين فكان محاولة اكتشاف مخابىء صواريخ (ام اكس) النووية مستخدمين قدراتهم الذهنية الخارقة

وقد حرن حبراء ورارة الدفاع الأميركية حين تمكن هؤلاء الاشخاص من اكتشاف مواقع الصواريخ اذ قد عى لهم ذلك تلقائيا أن السوفييت سيكشفون مخابىء تلك الصواريخ لا محالة ، لأنهم متقدمون أكثر بكثير من الأمريكيين في حقل الظواهر الخارقة لهذا فقد استنتج حبراء ورارة الدفاع الاميركية أن مرابض الصواريخ عرضة للهجوم السوفييتي المعادي وبالتالي قرروا الغاء الخطة باكملها

وذكر العالم « ماكريه » أن التجربة المذكورة هي حلقة من سلسلة تجارب تقوم بها وكالة المخابرات المركزية (سي اي.ايه) والجيش ، والبحرية ، وسلاح الجو ، وسلاح المارنيز الاميركي ، ووكالة الفضاء (ناسا) ووكالة المخابرات الدفاعية (التابعة للبنتاغون) ودائرة التحقيق الفيدرالي (اف بي اي) وشعبة مكافحة المخدرات منذ أكثر من ثلاثين عاما وذكر العالم « ماكريه » أن وزارة الدفاع الاميركية تنفق سنويا ستة ملايين دولار على التجارب المتعلقة بالظواهر الخارقة منذ اعوام طويلة

وقد اعترف الجنرال المتقاعد دانييل غراهام رئيس وكالة المخابرات الدفاعية التابعة للبنتاغون أن المؤسسة العسكرية الاميركية أنفقت كميات كبيرة من الأموال على التجارب المتعلقة بالظواهر الخارقة وأن الانفاق والبحث ما زالا مستمرين .

أما وكالة المخابرات المركزية فتنفق على هذا النوع من التجارب عبر معاهد خاصة تمولها الوكالة لابقاء نفسها بعيدا عن الشبهات واستشهد العالم ماكريه بمذكرة سرية للوكالة أكدت فيها أن التجارب يجب أن تستمر دون السماح لأية جهة بالتدخل او توجيه أية اسئلة بهذا الخصوص

أما البنتاغون فهو يرفض استخدام اصطلاح « الظواهر الخارقة » حتى لايلفت النظر لأهميتها ، ويفضل استخدام تعبير غامض ومضلل وهو « أنظمة نقل المعلومات البيولوجية الغير مألوفة »

ويخشى العلماء الضليعون في هذا النوع من البحث أن يتمكن الاتحاد السوفييتي من احراز « احتراق » في هذا المجال لأن ذلك سيؤدي حتما الى الغاء فاعلية القوات المسلحة الاميركية واصابتها بالشلل

والجدير بالذكر أن الاتحاد السوفييتي كان أول دولة في العالم بدأت البحث الجدي في حقل « الظواهر الخارقة » ، وهناك أدلة تقول ان السوفييت لديهم مجموعة من الموهوبين الذين يتمتعون بقوى خارقة ، يندر وجودهم في اي مكان آخر بالعالم كما أن اسرائيل ضليعة في هذا الحقل وتقوم بتجارب منذ اوائل الستينيات ، وتستخدم مجموعة من ذوي القدرات الخارقة الذين هاجروا اليها من الاتحاد السوفييتي في تلك الفترة وفي الفترات اللاحقة ولعل ذلك هو أحد أهم اسباب التعاون الامني الوثيق بين الولايات المتحدة واسرائيل . فالولايات المتحدة تخشى حدوث تفوق سوفييتي في هذا الحقل ، وتحاول استخدام امكانياتها وامكانيات حلفائها لمنع حدوث تفوق كهذا كما أن اسرائيل تستخدم « الموهوبين » لمعرفة مايجري في الجيوش العربية وفي أجهزة الامن والحكم العربية

وذكر ماكريه أن المتخصصين في حقل « الظواهر الخارقة » العاملين في وكالة المخابرات المركزية

لاميركية زاروا مؤخرا أحد كبار المتخصصين في هذا المجال للحصول على معلومات عن امكانية التشويش على كمبيوترات وزارة الدفاع والمخابرات السوفيتية (كيه جي بي) واقتناص المعلومات منها

وذكر ماكريه ان الرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر استدعى في عام ١٩٧٦ عالما اسرائيليا يدعى « أوري جيللر » وهو عالم متخصص في حقل العلوم الذهنية للحصول منه على بعض المعلومات عما يجري في الاتحاد السوفييتي بهذا الخصوص ، وان جيللر اعلم الرئيس جيمي كارتر أن الاتحاد السوفييتي يقوم بفحص جميع الاطفال السوفييت بلا استثناء لاكتشاف الاطفال الذين يتمتعون بقوى ذهنية خارقة ، لعزلهم عن غيرهم ، وتطوير قدراتهم ، ثم استخدامهم لحساب المؤسسة العسكرية والأمنية السوفيتية في مرحلة لاحقة

وذكر ماكريه أن الرئيس كارتر أمر في عام ١٩٧٧ باجراء مراجعة على اعلى المستويات لتقييم القدرات السوفيتية في حقل « الظواهر الخارقة » وقد رفع المكلفون بالتحقيق تقريرا الى مكتب الرئيس في عام ١٩٧٨ ذكروا فيه أنهم لم يتمكنوا من العثور على أدلة قاطعة تؤكد وجود برنامج سوفييتي لدراسة الحرب الذهنية الخارقة على نطاق واسع الا أن التقرير اكد أن السوفييت يتابعون البحث في هذا المجال باهتمام وجدية

أبحاث في التخاطر

أما عن النشاط السوفييتي في هذا المجال ، كما ذكره العالم مارتن ايبون في كتابه الذي نشر في العام المنصرم تحت عنوان « الحرب الذهنية الخارقة » ان السوفييت اضطروا الى توسيع وتكثيف برنامج ابحاثهم في الحقل المذكور حين رفعت المخابرات

السوفيتية (كيه . جي . بي) إلى الكرملين تقريرا سريا مفاده أن البحرية الاميركية قامت باجراء تجارب متقدمة في حقل « التخاطر » (اي اتصال عقل بعقل اخر لسرقة المعلومات المخزونة به من مسافة بعيدة ودون علم صاحبه) ، وان الهدف من وراء تلك التجارب هو اكتشاف موقع الغواصة النووية « نوتيليوس » (وهي أول غواصة نووية تصنع في العالم) اثناء إبحارها في عمق النهر الجليدي في منطقة القطب المتجمد الشمالي

وذكر العالم « ماكريه » في كتابه أن السوفييت يتعاملون مع حقل « الظواهر الخارجة عن نطاق الادراك الحسي العادي » بمنتهى الجدية والاهتمام ، وأنهم أحرزوا نجاحا كبيرا في استخدام هذا العلم للسيطرة والتحكم بسلوك الانسان من مسافة بعيدة بطريقة « الريموت كنترول »

وقد زار العالم « تارغ » الاتحاد السوفييتي وتحدث باستفاضة مع اعضاء أكاديمية العلوم السوفيتية ، وهي أعلى سلطة علمية في الاتحاد السوفييتي وذكر تارغ أن السوفييت مهتمون جدا ، وعلى أعلى المستويات بموضوع القدرات العقلية الخارقة وبالظواهر الخارجة عن نطاق الادراك الحسي العادي ، وأنهم يقومون بتجارب مكثفة في تلك الحقول بهدف الاستفادة منها في المجال العسكري ، وانهم مهتمون بشكل خاص بحقل « الرؤية النائية » (أي قدرة الموهوب على مشاهدة مايجري في مكان آخر يبعد عنه آلاف الاميال) ، وبحقل السيطرة والتحكم الذهني بسلوك الانسان عن طريق استخدام الظواهر العقلية الخارقة من مسافات بعيدة وأكد « تارغ » أن السوفييت مهتمون بهذه الامور اكثر من اهتمام الولايات المتحدة بكثير

ويبقى السؤال الكبير هل ستتحقق نبوءة العالم راسيل تارغ والعالم كيث هارادي ؟ هل سيرث سباق العقل سباق التسلح الحالي ؟؟ هل سينتقل العالم من عصر الحروب التقليدية والنووية الى عصر « حروب العقل » كما تنبأ العالم الكبير « رونالد ماكريه » ؟؟ هل ستكون « حرب الظواهر الخارقة » سمة القرن الواحد والعشرين ؟

الزمن وحده سيجيب على هذه الاسئلة الغامضة والخطيرة . . . □

أرقام

بقلم محمود المراعي

الإنسان وعالمه المتراجع

على مر التاريخ كان باستطاعة الانسان أن يمد يده فينهل مما حوله كما يشاء ، فالهواء بلا حدود ، والأرض على امتداد البصر ، والماء يسقط ، أو ينساب ، أو يتفجر ملبيا الحاجة ، وإذا أصابه نقص كان الترحال دواء معروفا

لكن التاريخ أيضا قلب كل المعادلات

كان معدل النمو السكاني - وفقا لتقديرات صندوق الأمم المتحدة للسكان - (٢) بالمائة كل ألف سنة فيما قبل الميلاد

الان تتحقق نفس النسبة في عام واحد !

والآن أصبح واضحا - وفق أرقام لم تكن متاحة من قبل - أن الإنسان وعالمه يسيران في اتجاه عكسي !!

الناس والمدن والمداخن في تزايد مستمر

والأرض والماء والهواء ومعظم الموارد الطبيعية في تناقص مستمر !

ولا حلول حاسمة حتى الان ، تقلب المعادلة ، تعيد لها توازنها ، وتضمن المستقبل

هذا التدفق .

وقضية الإنسان والموارد الطبيعية ، أو الانسان والبيئة ليست جديدة تماما ، لكن الأكيد أن رصد ما يجري بهذا القدر من الاهتمام ، وهذا القدر من الرغبة في إثارة الوعي بالقضية ، ومحاولة تجسيد كل شيء بالأرقام ، ابتداء من الزيادة السكانية إلى تناقص الهواء الصالح للتنفس ، كل ذلك جديد وقابل للتطوير ، حتى يمكن إعادة تشكيل العالم ، لأن البديل لذلك هو الفناء التدريجي ، أو الانتحار الجماعي . وكأن الإنسان وقد هزم الطبيعة كثيرا على مر التاريخ قد عادت الطبيعة لتهزمه ، بعد أن تسلحت بخطاياه وما فعلت يداه

في الطرف الأول للمعادلة تأتي قصة الزيادة السكانية (١٥٠) طفلا جديدا كل دقيقة ، (٢٢٠) ألفا في كل يوم ، و (٨٠) مليونا كل سنة

الرقم الحاكم في الوقت الراهن ٥ مليارات نسمة يعيشون على سطح الكرة الأرضية ، لكنهم في عام (٢٠٠٠) يصبحون ستة مليارات ، أي أن هناك مليارا جديدا كل اثني عشر عاما وفقا لبيانات صندوق الأمم المتحدة للسكان أن نصف سكان العالم عند نهاية القرن سوف يعيشون في المدن ، والتدفق الصناعي يسير بنفس المنوال ، إن لم يكن أسرع

وإن الصورة تختلف في الشمال عن الجنوب ، حيث وصلت دول شمالية كثيرة إلى مجال التثبيت في السكان ، فلا زيادة أو نقصان ، واكتفت دول أخرى بمعدلات منخفضة للنمو والنتيجة أن الدول الصناعية لا تضم أكثر من ربع سكان العالم ، لكن وعلى الجانب الآخر فإن استنزافها للموارد وتلويثها للبيئة يفوق في معظم الأحوال ما يجري في الجنوب

إن ربع سكان العالم - وهم مواطنو هذه الدول - يستهلكون وحدهم ٧٥٪ من الطاقة في العالم و ٨٥٪

من الخشب و ١٢ من القطن

وعندما نتحدث عن تغير اساسي في البيئة والمناخ والهواء الصالح للحياة بالشمال فإن هذه الأرقام التي نتج عنها كل ما نعرفه من تآكل للون الاخضر وتزايد للغازات وإشعاعات ضارة

ولكن الجنوب ليس بعيدا عن ذلك

اولا ـ بتأثير الشمال

ثانيا ـ ظروف الجنوب نفسه

فالجنوب ـ وتحت تأثير ازمته الاقتصادية والغذائية ـ يبادل أخشابه وموارده الاولية بعملات الشمال الصعبة وما يصدره من سلع للجنوب . وتمثل اسرافا كبيرا للموارد

ولكن . في الوقت نفسه فإن ظروف الجنوب الخاصة تدفع الى الشيء نفسه . ان مطبخ العالم الثالث ما زال يعتمد في معظمه على اشكال بدائية من الطاقة . حطب وقشور الاشجار واخشابها التي يجمعها الاطفال وتجمعها النساء . وتمثل تهديد الغابات ويساعد على ظاهرة التصحر . ووفقا للارقام فإن (٣) مليار نسمة يتزودون الآن بهذا الحطب وسوف يصبح الرقم ثلاثة مليارات مع نهاية القرن !

البيئة في الجنوب تعبر بسرعة . الامطار تمثل في العديد من المناطق السحب من مياه الجوفية تزيد معدله عن تجدد هذه المياه . حتى اصبحت كالنفط موردا ناضبا .. الارض تتناقص . الغابات الاستوائية تتقلص بمعدل (١١) مليار هكتار سنويا . التربة تتدهور (٢٠) مليون هكتار من الأرض جنوب الصحراء في أمريكا تفسد كل عام بعد أن أصبح التصحر ظاهرة نمو . وتهدد ثلث مساحة العالم كله !

وأصبح حزام الجوع يضم (٧٣٠) مليون نسمة

هل من سبيل ينجو به الإنسان ؟ هل من معاهدة لعدم الاعتداء يمكن إبرامها بين الإنسان والطبيعة ؟ هل من وسيلة للتعايش ؟

في الشمال تخرج المظاهرات وتتحرك الحكومات . ويبرمون المعاهدات حفاظا على الهواء الخارجي الذي بدأ يترك بصماته على سطح الأرض

في الجنوب يختلف الامر . تقول اللجنة العالمية للبيئة ان حماية البيئة في البلدان النامية ووفق المعايير لا تمثل سوى ١٩٠٠ نسبة (٥) ملايين دولار سنويا . وهذه المعايير لا تشمل ظروف الجفاف والتصحر . وإنما برامج محدودة لبيئة صناعية تشبه المناخ الى حد كبير

وفي حالتي الشمال والجنوب يصبح دور المنظمات الدولية . ودور الحكومات دورا بارزا . فعندما نتحدث عن الماء والهواء والامطار والحرارة ، فانا لا نتحدث عن قضايا قطرية . وإنما هي قضايا عابرة للحدود بالضرورة . إنها النموذج الأمثل للتعاون الدولي وحقيقة ان الإنسان لا يعيش وحده .

ولكن ... ووفقا لادبيات هذه المنظمات التي تعنى في الوقت الراهن بقضايا البيئة وقضية الموارد فإن نصف العلاج عند المرأة . فالنساء ينتجن نصف الغذاء في البلدان النامية بشكل عام . و ٧٥ منه في أفريقيا بالتحديد . والمرأة هي مديرة الموارد . تحدد حجم الاسرة . أي نمو السكان . وتحدد الاستهلاك المنزلي من الماء والنار . وتقوم على اكتافها ـ في الاغلب الراجح ـ الاقتصاد الريفي

ومع ذلك فالمرأة مشكلة . والمطلوب تحسين نوعية المرأة . لأن نصف نساء العالم الثالث ـ في سن الانجاب ـ يعانين من فقر الدم !

القضية إذن متشابكة . وتحتاج ثورة فكرية تتجاوز الجهود الراهنة . سواء كانت جهودا دولية أو حكومية

القضية حياة أو موت . والسؤال والحال كذلك

هل تستمر أنماط الحياة والتقدم في الجنوب بنفس الوتيرة التي سارت عليها في الشمال ؟ هل يستمر التقدم الصناعي وأنماط الاستهلاك بشكل عام ، واستهلاك الطاقة بشكل خاص على نفس الوتيرة ؟

إن الإنسان لا بد أن يعيد النظر في نفسه وفي كثير من الأولويات والبديهيات ، وليس « كل من سار على الدرب وصل » ، فدرب الشمال محفوف بمخاطر الهاوية □

أثر الحركة على صحة الانسان



بقلم : الدكتور عصام سامي الخالدي *

« لو اعتنى كل انسان بصحته فإنه من الصعب أن يجد هذا الانسان طبيبا يعرف ما هو مفيد لصحته أكثر منه هو نفسه » .

يشير العالم الألماني مانفرد كنلخر في كتابه « سبعة مبادىء من أجل الحفاظ على الصحة » الى ان هناك سبع توصيات للشخص الذي يسعى الى صحة جيدة ، وهي أولا : أن يتنفس بشكل جيد ، وان يأكل ويشرب ويتحرك ، ويسترخي ، ويفكر ، ويتنبه بشكل صحيح . ويقول عالم الفسيولوجيا السوفياتي « ارشافسكي » : « اني أضع مبادىء كنلخر في ترتيب آخر ، في الدرجة الأولى « النظام الحركي » وهو أن تكون لنا المقدرة على الحركة الصحيحة ، أما البقية ففي تدرج بالتسلسل فيما بعد ، فكلما زادت حركة الانسان فقد طاقة ناتجة عن الغذاء والشراب والتنفس، وزادت حيويته البدنية والنفسية .

لقد قدر العلماء أهمية الحركة بالنسبة للانسان منذ العصور القديمة ، ولقد استخدم المؤرخ والطبيب اليوناني هيرودتس (٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م) التمرين البدني بنجاح في العلاج في كتابه « قانون الطب » وقام العالم العربي ابن سينا بتعميم تجربة الأطباء السابقين ، وقدم توصيات في استخدام الانسان للحركة والغذاء الصحيح من أجل الحفاظ على صحة جيدة

قال الطبيب الفرنسي المعروف سيمون أندريه

---

* أخصائي تربية بدنية دارس بجامعات موسكو يعمل حاليا بمدينة رام الله بالأرض العربية المحتلة .

تيسو (في القرن الثامن عشر) « ممكن أن تحل الحركة مكان أي وسيلة ، لكن كل الوسائل العلاجية في العالم لا تستطيع أن تحل مكان تأثير الحركة »

هناك أمثلة عديدة أناس أصيبوا بأمراص وبنكبات صحية ، لكنهم لم يفقدوا الأمل ، بل صارعوا هده الأمراض ، واستخدموا التمارين البدنية من أجل الشفاء ، من هؤلاء نورمان كرر الذي ابتلي بأمراض خطيرة عديدة كعرق النساء والتهاب المفاصل وتليف عضلات الرقبة والعمود الفقري ، وأجريت له عملية جراحية كبيرة ، تم خلالها استئصال ثلثي معدته ، ثم تتوج ذلك كله بجلطة قلبية رهيبة من النوع الرديء فرضت عليه حياة أشبه بحياة الانسان الكسيح ، مدة خمس سنوات ، استطاع نورمان خلالها بمثابرة وتصميم نادرين ومن خلال برنامج رياضي وغذائي صارم وضعه لنفسه أن يعود انسانا معافى ، تتدفق الحياة الجياشة من جنباته

ولقد كان صعود نورمان كرر سلم أعلى عمارة في العالم (ناطحة سحاب) وهي عمارة الامبيرستيت بنيويورك الذي يبلغ تعداد درجاته ١٨٦٠ درجة دون توقف خلال ٤٥ دقيقة أبرز ما أنجزه كانسان معتل القلب سقيم البنيان ، وبرهانا ساطعا لعظمة الرياضة كوسيلة علاجية

هرقل السيرك مصاب

ومثال آخر للاعب السيرك السوفياتي فالنتين ديكول الذي كان يعتبر هرقل السيرك ، وقد أصيب في عموده الفقري إصابة جعلته يفقد القدرة على المشي ، لكنه بواسطة وعيه وقناعته بأن للتمرين البدني أثرا وفائدة استطاع بممارسته لتمارين القوة ان يقف على رجليه بل وأصبح فيما بعد يعالج كثيرا من المقعدين والمصابين الذين فقدوا الأمل في إمكانية المشي خطوة واحدة

من أجل الحفاظ على صحة جيدة يقترح العلماء أن يسير الشخص من ١٠ ـ ٣٠ ألف خطوة في اليوم ، أما غيرهم فيقترح أن يمارس الشخص التمارين البدنية من ٦ ـ ١٠ ساعات في الأسبوع ، ويقترح معهد الأبحاث للتربية البدنية في الاتحاد السوفيتي أن يمارس الناس ذوو الأعمار المختلفة الرياضة كالتالي

- مرحلة ما قبل المدرسة من ٢١ ـ ٢٨ ساعة في الأسبوع
- مرحلة المدرسة من ١٤ ـ ٢١ ساعة
- طلاب الجامعة من ١٠ ـ ١٤ ساعة
- الذين يعملون في الأعمال البدنية ٦ ـ ١٠ ساعات

كما هو معروف أنه بعد الثلاثين يبدأ النشاط الحركي بالانخفاض ، كما يلاحظ تدني مستوى الصفات البدنية (القوة ـ التحمل ـ السرعة ـ وغيرها) ويقصر طول الجسم في سن ٤٠ ـ ٤٤ عاما ويزداد وزن الجسم نسبيا في سن ٢٥ ـ ٤٩ ويكون بينا أكثر في سن ٣٠ ـ ٣٩ عاما ، وفي هذا الوقت يزداد محيط القفص الصدري ومع تقدم السن تصبح للجسم ميزة التأثر السريع بالنقص الحركي الذي يؤدي الى حدوث تغييرات وظيفية ومرفولوجية ، وتزداد التغيرات مع تقدم السن ، وكلما تقدم السن كلما كانت الحاجة لممارسة التمارين البدنية أكثر ، وكلما توجب زيادة الوقت المصروف فيها

لقد أثبتت البحوث أنه في حالة اللاحركة تزداد نبضات القلب من ١٢ ـ ٢٠ دقة في الدقيقة ، وبعد ثلاثين يوما تصل الى ٢٦ ـ ٢٧ دقة في الدقيقة ، كما ينخفض استيعاب الجسم للاوكسجين بنسبة ٣٣/ وتسوء عملية تهوية الرئتين ، وتضعف ديناميكية عمليات الهضم ، فيزداد اخراج الكالسيوم مع البول ، ويتراكم الفسفور في الجسم ، بحيث يساعد على ظهور الحصى في الكلى ، وانتقال العدوى الى المثانة ، والى الامساك ، واختلال تبادل المواد ، والى نقص الدم المشارك في الدورة الدموية ، ففي حالة اللاحركة الدائمة يجرى فيها ما يقارب ٥٥ ـ ٧٥/ من الدم أما الباقي فإنه يبقى في الكبد بشكل احتياطي كما أنه في حالة النقص الحركي الدائم قد تسوء الحالة

النفسية ، وتقل مقاومة الجسم للمؤثرات الخارجية ، كما تسوء عملية التبادل الحراري بين الجسم والوسط الخارجي

دور التمارين

يعتبر التمرين وسيلة مهمة من أجل نمو صحيح للجهاز العظمي والجهاز العضلي (الجهاز الداعم الحركي) ، بفضل التمرين البدني تكتسب العظام قوة وثباتا أكثر ، ويزداد طولها وعرضها ، وذلك سيحد لتصحيح العظم الأصم الذي يعتبر عاملا مهما أثناء النمو والاجهاد العضلي الكبير الذي يحتاج الى صلابة ميكانيكية عالية للعظام وفاعلية لجهاز المفاصل والروابط

بفضل التمرين البدني يزداد وزن العضلات وحجمها عند الشخص فمثلا تشكل العضلات عند الانسان الرياضي ٤٠ ـ ٤٥٪ من وزن الجسم ، وبهذا تزداد قوة العضلات وتصبح أكثر اقتصادا في صرف الطاقة من العضلة غير المدربة كما يزيد احتواؤها على البروتينات التي بفضلها تزداد سرعة العضلات ومعدل انقباضها وتزداد مطاطيتها ، كما تتوسع شبكة الشعيرات الدموية بها ، حيث يتحسن امداد هذه العضلات بالدم بالاضافة الى ذلك فإن العضلة المدربة تستطيع الاستمرار في العمل فترة أطول ، أي أنها تملك ميزة المقاومة للتعب أكثر من العضلة غير المدربة

تعمل التمارين البدنية على زيادة قوة العضلات التنفسية التي بفضلها تتكامل الحركات التنفسية (العضلات فيما بين الضلوع ، الحجاب الحاجز وغيرها) ، وهذا يساعد على زيادة عملية تهوية الرئتين ، فقد يصل معدل تهوية الرئتين أثناء العمل البدني (كالركض مثلا) الى ١٥٠ ـ ١٨٠ لترا من الهواء في الدقيقة ، كما تزداد السعة الحيوية العامة للرئتين « أكبر حجم للهواء ممكن تعبئته في الرئتين » ، فمثلا يلاحظ أن حجم الهواء عند ممارس التمارين البدنية يبلغ (٨ ـ ٩) لترات ، أما الذي لا يمارس التمارين البدنية فحجم الهواء لديه يبلغ (٣,٥ ـ ٥ لترات) ، وتصل سرعة التنفس في الدقيقة الواحدة أثناء النشاط البدني الى ٥٠ مرة ، وفي حالة الهدوء تكون هذه السرعة ١٢ ـ ١٤ مرة في الدقيقة عند الرياضيين ، أما عند غيرهم فهي ١٥ ـ ٢٠ مرة

بفضل ممارسة التمارين البدنية يبلغ المتطلب الأقصى من الأوكسجين (وهو أكبر كمية من الأوكسجين التي يتطلبها الجسم في الدقيقة الواحدة أثناء النشاط العضلي الشديد) عند الشخص المتدرب حوالى ٥ ـ ٦ لترات ، أما عند من لا يمارس الرياضة فإنه لا يزيد عن ٣,٥ لترات ونصف لتر

إن ابراز هذه الفوارق في الكثير من الدلائل بين الانسان الذي يمارس التمرين البدني والذي لا يمارسه ما هي الا محاولة لاعطائه فكرة واضحة عن فوائد التمارين البدنية وتأثيرها على الجسم

في كتاب « التأمل في الصحة » يقول عالم الطب أموساف ن م « يدفع القلب ٤ لترات من الدم في الدقيقة الواحدة » ، وهذه الكمية كافية من أجل تأمين الأوكسجين للجسم في حالة الهدوء ومن الممكن أن تدفع عضلة القلب ٢٠ لترا من الدم في الدقيقة الواحدة ، لكي تؤمن الأوكسجين للعضلات التي تقوم بعمل بدني مضن ، وفي هذه الحالة تكون قد أشبعت هذه العضلات بالأوكسجين ، وقامت بعملها على أكمل وجه ، ولكن لو افترضنا أن هذه العضلة لم تكن مؤهلة لدفع هذه الكمية من الدم ، بل مؤهلة فقط لأن تدفع ٦ لترات من الدم في الدقيقة كحد أقصى لها ، فماذا سيحدث في هذه الحالة إذا كان القلب مضطرا لأداء عمل يتطلب ٢٠ لترا من الدم في الدقيقة ؟ النتيجة واضحة ، وهي أنه في غضون عدة دقائق سوف تكون الأنسجة بحاجة ماسة إلى أوكسجين ، اذ تقوم العضلات بأخذ كل الأوكسجين من الدم ، وسوف يؤدي ذلك الى صداع أو أعراض أخرى لنتصور أن انسانا بمقدور قلبه دفع ٢٠ لترا من الدم في الدقيقة ، وقد أصيب هذا الشخص بالتيفوئيد الطفحي ، حيث تصل درجة حرارة الجسم الى ٤٠

درجة مئوية ، كما يتضاعف احتياج الجسم للأوكسيجين وهنا يبرز تساؤل هو هل سيتأثر القلب المتدرب من جراء ذلك ؟ بالطبع لا ، فإنه سيستطيع أن يصمد أمام حمل كهذا بأربعة أضعاف ولكن ماذا سيحدث لهذا القلب الضعيف الذي بمقدوره أن يدفع فقط ٦ لترات من الدم في الدقيقة الواحدة كحد أقصى ؟ والجواب هو ان أنسجته ستصاب تدريجيا بالموت ، حيث أنه ليس بمقدوره إعطاء حجم مضاعف من الدم ، وتكون النتيجة بأن يفقد المريض بشكل أسرع الى الجسم

الرياضة والعادات

ان الرياضي الذي يمارس نوعا معينا من الرياضة يكون هدفه بالاضافة الى تحسين الصحة ـ على الرغم من أن الكثيرين من الرياضيين لا يضعون هذا الهدف أمامهم ـ تحقيق الفوز الرياضي ، كما أنه خلال هذا النشاط الرياضي تنشأ علاقة بين الرياضيين وتعتبر هذه العلاقة أحد حوافز النشاط البدني

أما بالنسبة للأشخاص الذين يمارسون الرياضة بغية تحسين الصحة فقط فمن الصعب أن نسميهم رياضيين ، لأن الرياضة تنسب في كثير من الأحوال الى النشاط التنافسي

ويجب أن يفهم الانسان معنى التمارين الرياضية وأهميتها للجسم ، وان يتحول هذا المهم لقناعات بوجوب الممارسة اليومية لهذه التمارين التي تصبح فيما بعد عادة لها أهمية أخلاقية ومعنوية واجتماعية

ليس الوعي بهذه الأمور الا خطوة أولى ، لأن الثقافة بصفتها مجموعة من المعارف لا تكفي الا اذا تحولت الى قناعات ، ومن ثم الى ممارسة تتلاءم مع سلوك الانسان ومتطلباته الحياتية

ليس المهم أن نضع أمامنا كلمة « كيف » كيف أقلل وزني ؟ كيف أركض ؟ وذلك دون أن يكون هناك ظروف مهيأة لذلك ، فالامكانات المادية وطرق التمارين ووسائلها هما عاملان مهمان يعدان من الحوافز لأجل ممارسة التمرين البدني ، لكن الأهم من ذلك هو خلق ارادة قوية تهيىء النفس لذلك ، وإن كل انسان يسعى الى التكامل لا يستطيع الوصول اليه ما لم يكن سليما بدنيا ومتكاملا أيضا

القلب عندما يتدرب !

وزن قلب الانسان (٢٥٠ ـ ٣٥٠) غراما ، ويدفع ٦٠ ـ ٨٠ ملليمترا من الدم في الشرايين في كل نبضة ، أي ما يقارب ٣٠٠ لتر في الساعة ، وألف لتر في اليوم ، وقد تصل الكمية التي يدفعها في اليوم الواحد الى ١٥٠٠ لتر عند الأشخاص الذين يعانون من النقص الحركي ، ومن لدى مستوى الاعداد البدني ان عمل القلب بحاجة الى جهد كبير من أجل القيام بهذه المهمة ، وقد يزداد هذا الجهد عندما يقوم الشخص بإلقاء حمل كبير على عضلة قلبه من خلال الجهد البدني المضني المتواصل . ويساول الغذاء المليء بالدهون الزائد عن حاجة الجسم وبالتدخين ، فاهمال تدريب هذه العضلة ونقص الأوكسيجين قد يكون النتيجة عدم استطاعة هذا الجهاز الصغير القيام بمهمته على أكمل وجه ، وإصابته بالأمراض المتعددة

يدفع القلب المتدرب الذي يزيد بوزنه وبحجمه عن القلب غير المتدرب ما يقارب ٧ لترات من الدم في الدقيقة الواحدة الى الشرايين بينما يتراوح ما يدفعه القلب غير المتدرب من ٤ ـ ٥ لترات في الدقيقة الواحدة ، ويعود ذلك الى المستوى العالي لاعداد هذه العضلة عند الذين يمارسون التمارين البدنية التي تساعد على استيعاب كمية أكبر من الأوكسيجين من المعروف أن متوسط نبضات القلب عند الانسان ٧٠ دقة في الدقيقة الواحدة في حالة الهدوء ، أي أن عضلة القلب تنقبض ٧٠ مرة في الدقيقة الواحدة ، دافعة كمية من الدم في الشرايين ، وكلما كانت هذه العضلة قوية زاد حجمها لهذه الكمية ، واستوعب الجسم كمية أكبر من الدم لتغذية أجزائه المختلفة ، كما أن دفع كمية كبيرة من الدم في النبضة الواحدة يساعد على انخفاض عدد هذه النبضات في الدقيقة الواحدة ، فقد تزيد عن ٧٠ دقة في الدقيقة عند الأشخاص الذين يعانون من النقص الحركي ، وتقل عند المتدربين الذين قد يصل النبض

عندهم الى ٥٠ ـ ٥٥ دقة في الدقيقة وقد لوحظ أنه يصل عند بعض الرياضيين العالميين الى ٣٨ دقة في الدقيقة ، وهذا يعني أن القلب يقوم بدفع أكثر من سبع لترات من الدم في الدقيقة الواحدة ، وكلما كانت عضلة القلب أقوى دفعت أكثر من الدم في النبضة الواحدة ، وقلت سرعة النبض في الدقيقة

يحسن التمرين البدني عمل القلب ويقويه ويساعد على امداده بالأوكسيجين ، فأثناء التمرين البدني قد يرتفع جريان الدم الى خمسة أضعاف جريانه في أوعية القلب ، كما أن حاجة عضلة القلب للأوكسيجين في حالة الهدوء مرتفعة جدا ، أما أثناء العمل البدني فإنها تزداد بزيادة سرعة جريان الدم في أوعية القلب كما تطول فترة الانبساط (فترة استرخاء عضلة القلب) حيث يساعد هذا عضلة القلب على استيعاب مزيد من الأوكسيجين

يتزايد جريان الدم أثناء النشاط البدني في الأوعية الدموية ، وتدل البحوث أنه في المليمتر المربع الواحد يبلغ عدد الشعيرات الدموية من ٣٠ ـ ٦٠ شعيرة دموية في حالة الهدوء ، وبفضل ممارسة التمارين البدنية يلاحظ وجود ٣٠ ألف شعيرة منتشرة في هذا المقطع الصغير (مليمتر مربع واحد) ، أي أن أكثر الشعيرات الدموية لا تساهم في الدورة الدموية ، وتبقى مجمدة أثناء حالة الهدوء كما يزداد طول قطر الشعيرة الدموية بفضل ممارسة التمارين البدنية بمقدار الضعفين ، وتساهم هذه الشعيرات بقسط وافر في الدورة الدموية في إيصال الغذاء والأوكسيجين الى العضلة

يتغير معدل جريان الدم في الأعضاء المختلفة أثناء التمرين البدني ، وحسب معطيات « شرر » فإن جريان الدم في حالة الهدوء في العضلات يساوي ٤ ملليمترات في الدقيقة لكل ١٠٠ غرام نسيج عضلي ، أما أثناء العمل الديناميكي الشديد فإنه يرتفع الى ١٠٠ ـ ١٥٠ ملليمترا في الدقيقة لكل ١٠٠ غرام من النسيج العضلي ، وبذلك يتضاعف جريان الدم في العضلات أثناء الحمل البدني الكبير ويصل الى ١٥ ـ ٢٠ ضعفا ، لكن لا تطرأ زيادة كبيرة في جريان الدم في الدماغ بل قد ينخفض في الدماغ أثناء الحمل البدني الشديد من ١٣ ٪ في الهدوء الى ٣ ٪ أثناء الحمل البدني الشديد وتظهر ايجابية التمرين البدني على عمل الدماغ بعد التمرين ، أثناء مرحلة استعادة النشاط وتشكل الدورة الدموية في الأعضاء الداخلية (الكبد ، الكلى ، المسلك الهضمي) أثناء حالة الهدوء ٥٠ ٪ من حجم الدم الذي يدفعه القلب في الدقيقة الواحدة ، أما أثناء الحمل البدني الأقصى فقد تنخفض الدورة الدموية الى ٣ ٪ ـ ٤ ٪ من حجم الدم الذي يدفعه القلب في الدقيقة الواحدة وينخفض جريان الدم في الكبد أثناء الحمل البدني الشديد الى ٨٠ ٪ وفي الكلى الى ٣٠ ٪ ـ ٥٠ ٪

وسيلة وقاية

يؤدي نشاط العضلات الى توسع الأوعية الدموية وإلى انخفاض الدم الذي يؤدي الى انخفاض الحمل على القلب ، لذلك يعتبر التمرين البدني وسيلة وقائية علاجية للتصدي لمرض ضغط الدم العالي ، فأثناء التدريب المنتظم تزداد مرونة الأوعية الدموية التي كانت قد أصيبت بالتصلب من جراء التدخين والغذاء المليء « بالكولسترول » وغيره فتسمح للدم بالتنقل عبرها بطلاقة وبكمية أكبر ، وبهذا تكون قد خففت من زيادة الضغط على القلب

إن الاصابة بمرض ضغط الدم العالي تحدث أكثر لدى الأشخاص الذين يعانون من النقص الحركي ، وان ضغط الدم الانقباضي (السيستالي) عند الرياضيين أقل مما هو عند غير الرياضيين

يرتفع ضغط الدم الانقباضي أثناء النشاط الحركي ، ففي الدقيقة الأولى والثانية في العمل المتزن يطرأ ارتفاع ملحوظ على ضغط الدم ، أما فيما بعد فإنه يأخذ موضع الثبات ، بعد التوقف المفاجيء عن العمل في الثواني الخمس أو العشر الأولى قد يطرأ هبوط في ضغط الدم الأساسي ، وقد يرتفع ليصل إلى مستوى الضغط الأساسي أو أكثر من ذلك ، أما ضغط الدم الأدنى (الانبساطي) فإنه ينخفض قليلا بواسطة التدريب المنتظم ، ويرتفع فقط أثناء الحمل البدني الشديد

من آثار ممارسة التمرين البدني الايجابية على الجهاز الهضمي تنشيط عمل الكبد ، وتحسن وظائف غدد الافراز الداخلي ، مثل الدرقية ، والموق كلوية التي تلعب دورا كبيرا في عملية النمو البدني (الطول)

وللتمرين البدني أيضا تأثير كبير على مستوى السكر في الدم ، فقد يتطور مرض السكر عند الأشخاص الدين يمارسون التمارين البدنية فيصبح أقل بكثير مما هو عند الدين يعانون من النقص الحركي ، وبخاصة عند أصحاب المهن التي تعتمد على الحلوس الطويل ، فإن دلك يؤدي إلى تزايد نسبة السكر في الدم وذلك بسبب عدم استهلاكه

فالتمرين البدني المنتظم يستهلك كثيرا من « الحلوكور » وأنواعا من السكر الأخرى لأجل إعطاء الطاقة ، كما يتحسن عمل الغدد التي تقوم بإفراز « الأنسولين » الدي يقوم بتحليل « الحلوكور »

ويتزايد تكاثف حامض « اللاكتيك » بفعل تأثير الحمل البدني في الدم الدي له علاقة مباشرة مع تعب العضلات ، فإدا تكاثف « اللاكتيك » ببطء فان دلك سوف يؤدي الى تأخر بدء التعب ، بحيث يكون تحمل العضلة أكبر ويزداد هدا الحامض في الدم عند الأشخاص الدين يمارسون التمارين البدنية بانتظام بنسبة أقل مما هو عند الدين لا يمارسونها بانتظام

حماية للجهاز العصبي

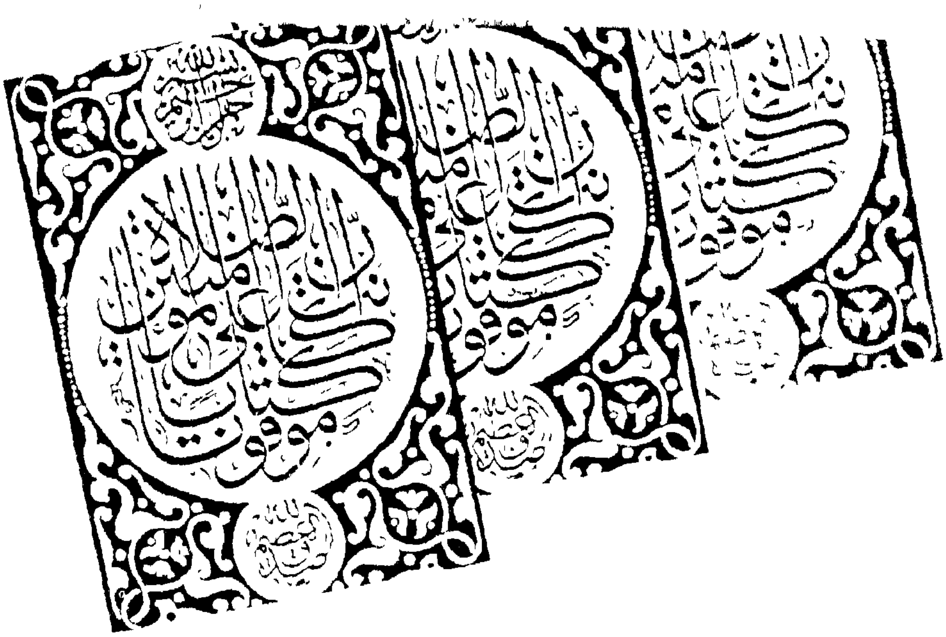
ويساعد التمرين البدني في تكامل الجهاز العصبي الدي يتميز بمستوى عال من التكيف مع المتطلبات الجديدة للوسط الخارجي المتغير وعندما تؤثر المؤثرات على الجسم خلال وقت طويل يتشكل ما يسمى (الحركة الديناميكية المبتذلة) حيث يبدأ الجسم بالاستجابة لرد الفعل المبتذل (المطبوع) الذي يعتبر عاملا ايجابيا لتأدية الشخص عملا كان قد تعود عليه بسهولة ، ودون صرف كبير للطاقة ، وتركيز للانتباه أفضل

يلاحظ عند تعلم الشخص لحركة جديدة أنه يقوم بأدائها دون رشاقة ، لكنه تدريجيا مع تكراره لها يصبح تنفيذها أكثر سرعة ودقة وهنا يأتي دور التمرين البدني في أنه يساعد على اكتساب الحركات الجديدة بشكل أسرع ، وبرشاقة أكثر ، دون تعقيد في أداء هذه الحركات الصعبة ونلاحظ دائما أن تعلم الانسان الرياضي لأداء حركة مهنية معينة يتم بسهولة ورشاقة

إذ تعد الحركة الديناميكية المبتدلة أساسا فسيولوجيا لنظام يومي أفضل لامتلاك مهارات حركية ، كما أنها تحمى الجهاز العصبي من التشوه الذي يؤدى إلى خلل في النشاط الطبيعي لأجهزة الجسم ، ويقلل من إمكانية المقاومة للأحمال البدنية والنفسية

لقد أصبح الحمل كبيرا في وقتنا الحاضر على الجهاز العصبي بفعل حياة التمدن التي نعيشها (ضوضاء المدن ، طبيعة الأجهزة الحديثة) فقد زادت الطاقة العصبية أثناء العمل ، وقل صرف الطاقة البدنية ، وأصبح من الضروري حماية الجهاز العصبي من التوترات ، وهدا يتطلب اتباع نظام يومي منتظم ، وتنظيم العمل الذهني والبدني ، بالاضافة الى التمرين البدني الذي يعد وسيلة مهمة من أجل إزالة هذه التوترات العصبية ، وقد أصبح الكثير من أطباء الأمراض النفسية والعصبية يستخدمون التمارين البدنية وسيلة من الوسائل العلاجية للعديد من الأمراض ، وذلك بدل الحبوب المهدئة والعقاقير الأخرى أو إضافة اليها

بفعل التمرين البدني تزداد السرعة والحركة للعمليات العصبية في الدماغ ، وتصبح عمليتا الصادر والوارد أكثر اتزانا ، كما أن الانتقال المكثف للاشارات العصبية من العضلات الى الدماغ يؤدي الى تنشيط الدماغ ، حيث يلاحظ هذا في فترة استعادة الشفاء ، فمثلا لو تدرب الشخص مساء فسيلاحظ تمتعه بالصفاء الذهني والمقدرة العالية على التذكر في اليوم التالي □



أهي نهضة جديدة للخط العربي ؟

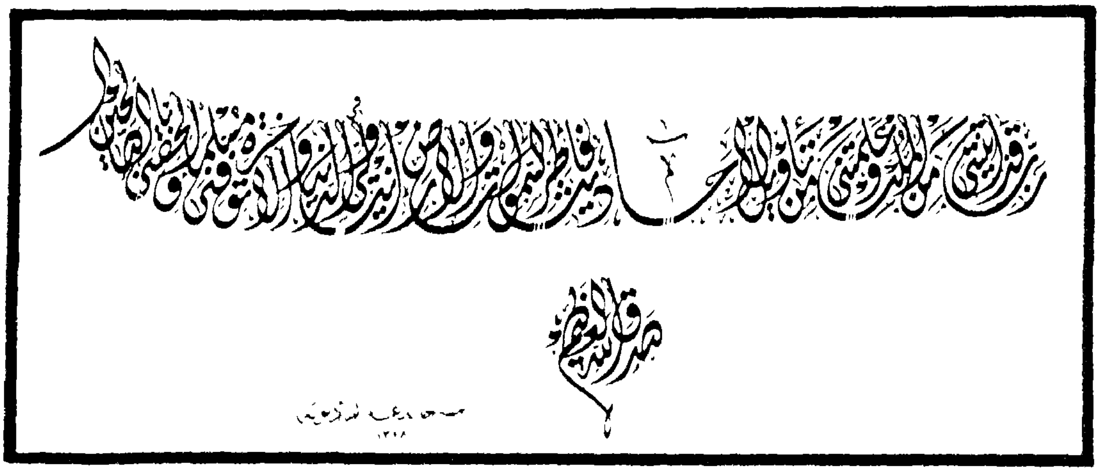
بقلم : محمد سعيد الصكار*

لم يعد خافيا على أحد هذا الانتباه الواسع إلى أهمية الخط العربي ، وكونه الفن الأكثر أصالة وصفاء لهذه الأمة ، والأوسع انتشارا في الأرجاء التي كان لها حضور فيها ، حيث اقترن اسمه بالاسلام ، وسار معه أينما حل ، منذ نشأته إلى هذا الوقت

تعرض الخط العربي ـ هذا الفن الجميل ـ إلى الركود لأسباب كثيرة ليس هنا مجال الحديث عنها ، لكنه لم يتعرض إلى الانقراض ، بل بقي محدود الآفاق ، محدود التأثير ، حتى سنوات الستينيات من هذا القرن العاصف

ومع ما أفرزته نكسة حزيران من خيبة ومرارة أدت إلى إعادة استقراء لكل تركيبات الشخصية العربية ، كان للفن العربي عموما بحث في تركيب الذات ، ومحاولات في إعادة تقييم معطياتنا الفنية ، في ضوء الاستقراء العام للتاريخ الفني العربي ، بغية الوصول

* خطاط وفنان تشكيلي ـ من القطر العراقي ـ مرسمه الدائم باريس



● لوحة بخط جلي الديواني حامد الآمدي

إلى الينابيع الأساسية التي سقت هذا الفن ، ووصلت به إلى زماننا ، وتلمس الامكانات التي تؤسس لفن معاصر ، يعكس الشخصية العربية الممتدة في التاريخ ، ويفتح للتغيرات المطلوبة افاق الموجود والممكن ، وعدم الاكتفاء بمسايرة النهضة الفنية في الغرب

وكان للخط العربي نصيب في هذا البحث ، بل ربما كان الأكثر حضورا من بين الينابيع التي بحث عنها

وقد انعكس ذلك على أكثر من صورة ، فالخطاطون شرعوا في إشاعة فنهم جماهيريا ، بما أقاموه من معارض فنية ، والمؤلفون أشرعوا أقلامهم في الكتابة عنه ، تاريخا وتطبيقا ، والفنانون التشكيليون أدخلوه في لوحاتهم ونصبهم وحروفياتهم ، وعقدت له ندوات وأقيمت مهرجانات

وإذا قسنا حركة الانتباه القائمة هذه الأيام بما كان عليه الخط قبل عشرين عاما نجد الفرق شاسعا ، والانتباه واسعا ، يحملنا على التأمل والتساؤل أهي نهضة خطية جديدة، أم هي (موضة) نهضت وتغيب كما تغيب الموضات الاخرى؟ وإذا كانت نهضة فما هي أسسها ومنطلقاتها وافاقها وأهدافها ؟ وهل نستطيع أن نؤطرها بالمصطلحات التي نحدد بها أي نهضة أخرى ؟

إن التتبع الأمين والاستقراء الجاد لواقع الخط العربي في هذه الأيام لا يوحي بوجود نهضة حقيقية لهذا الفن ، على الرغم من كل ما أسلفنا الاشارة إليه ، وإنما يؤكد بشكل جاد على وجود انتباهة ، والانتباهة غير النهضة ، لكنها أحد شروطها أما النهضة فما زال بيننا وبينها فاصل واضح ، لا يخفى على الناقد الواعي

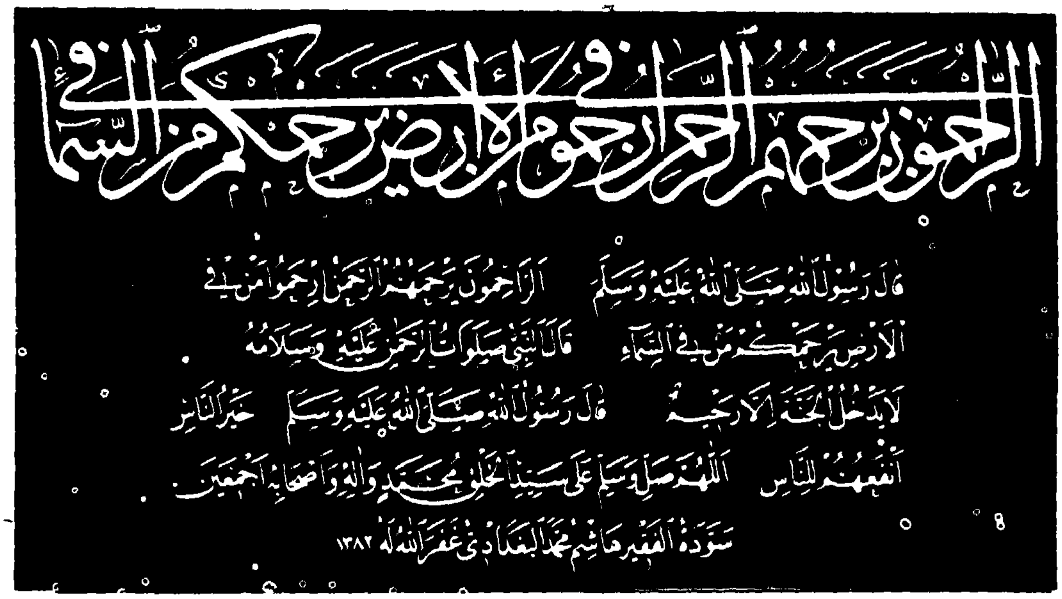
تقليد بلا منهج

فمن شروط النهضة التبصر بالأسس ، وتحليلها ونقدها ، واستصفاء الحيوي منها ، للانطلاق منه الى المدى المطلوب وهذا التبصر غائب فيما نراه الآن ، لغياب عنصر أساسي في وجوده ، وهو النقد الخطي ، فدون منهج نقدي علمي لايمكن التحليل والاستصفاء ، وهذا النقد الخطي غائب تماما منذ نشأة الخط العربي الى الآن

رب قائل يقول اذن ماذا نسمي هذه المكتبة الحاشدة من المؤلفات الخطية ، وكيف نصنف مؤلفات الصولي وابن النديم والقلقشندي ومرتضى الزبيدي وعبدالرحمن بن الصائغ واحمد رضا وناجي زين الدين وكامل البابا وغيرهم ؟

وبأسف أجيب إن ذلك ليس نقدا ، إنما هو تاريخ أحيانا ، وحكايات أحيانا أخرى ، وانطباعات تفتقر الى التفسير العلمي مرة ، وتناقل ساذج

بسم الله الرحمن الرحيم



● لوحة بخطي الثلث والنسخ لهاشم محمد البغدادي

للمعلومات في اكثر المرات. والاّ فأين الكاتب الذي حلل جماليات الخط العربي ، وفسر العملية الخطية ، وواكب تفاعلاتها عند اي من الخطاطين الكبار عبر تاريخ الخط ؟ ومن منهم استطاع أن يكشف القيمة الفنية والروحية والأدائية للخط ، ويعطيها ابعادها الابداعية ، كما اعطى الجرجاني وابن سلام ومحمد مندور للشعر ، أو كما أعطى الخليل وسيبويه والفراء ومهدي المخزومي للغة ؟ لا أحد. وعلينا ألا نخجل من الاعتراف بذلك اذا كنا بصدد قيام نهضة.

أما منطلقات هذه النهضة فما زالت خامة عذراء ، وهي هذه الذخيرة العظيمة للأعمال الخطية التي تملأ الأرض ، ونحن نضيف اليها يوميا كمًّا تقليديا لا أثر فيه للابداع ولا حرمة فيه للزمن.

ومن شروط النهضة ان تكون لها آفاق ، فإلى اي افق يرنو الخط العربي المعاصر ؟ وما الذي يريد قوله الخطاطون فيما ينتجون ؟ وانا اعني هنا الخطاطين العارفين بأصول الخط العربي معرفة جيدة ، تاريخا وقواعد واساليب وتطبيقا.

وأقول بأسف اخر اني لم أستشرف افقا فيما قرأت وسمعت ورأيت ، وحجتي في ذلك هي خلو الآفاق الممكنة من حضور الخطاطين. فهذه هي الصحافة ، وهي ميدان رحب للتطبيق الخطي ، وأفق ممكن للنهضة ، وهي على ما نراه لا تعنى بجماليات الخط العربي عنايتها بالسرعة والوضوح وقلة التكاليف على حساب جمالية الخط.

وتلك هي دور النشر العربية ، الرسمية منها والأهلية ، خالية تماما من أي ذوق فني في خطوطها ، وهي افق آخر مغلق. يضاف الى ذلك المطابع التي تصدمنا كل يوم بخطوط تنسينا ان الخط العربي نبع في بلادنا. اما الشوارع العربية فلن تجد للخط العربي الفاتن المتنوع حضورا في لافتاتها وواجهات متاجرها ومؤسساتها. وليس ما نراه فيها الا حروف مرتجلة ، توحي دون شك بأن كاتبها لا يحسن اساليب الخط الفني ، ولا يعرف تاريخه ، وامكانات تطويره.

أما الأهداف ، فهي الوحيدة الواضحة ، لكنها غير متحققة بسبب غياب التخطيط المنهجي للنهضة

المرجوة

لهذا كله أقول إن هناك انتباهة ، وهي أحد شروط النهضة

الخيال والابداع

إذا كنا نسعى فعلا إلى قيام نهضة خطية فعلينا أن نستثمر هذه الانتباهة ، وأن لا نخيب أمل الناس في امكان قيام النهضة ، وقد أصبحوا هم أكثر انتباها من الخطاطين أنفسهم ، فهم يحضرون المعارض ، ويتابعون النشاطات ، ويقتنون اللوحات ، ويطالبون في اشاعة الخط العربي على أوسع مدى

وليس من حق الخطاطين أن يفرطوا بهذا الأمل ، وليس من حقهم أيضا الوقوف على رصيف التاريخ ، والتمسك المتعصب بالتفاصيل الصغيرة ، والحكايات الخيالية المتناقلة من فم لفم دون تمحيص ودونما معنى

واذا كان الخطاطون الأصوليون متمسكين إلى هذا الحد بالتفاصيل الصغيرة ، والتقليد الحرفي لتراث السلف ، فتلك خصلة يحمد لهم جانب منها ، باعتبارها سببا في الحفاظ على صورة هذا الفن الجميل ، لكنها من الجانب الآخر يجب ألا تكون سببا في إعاقة الريادة ، وتعطيل الخيال ، ومحاربة التجديد ، وهي أمور جارية مع الأسف في واقع حياتنا ، على الرغم مما يقام وما يقال

وما يقام من نشاط في ميدان الخط هذه الأيام يقوم على ثلاثة محاور أساسية

أولها أن جل ما يعرض وينشر هو تقليد حرفي لقواعد وأساليب زمان غابر ، ولا رائحة فيه من زماننا ، ولا دلالة عليه

وثانيها كون خطاطينا الأصوليين المتمسكين بتلك القواعد والأساليب يكابرون ، إذ يظنون أنهم يوازون كبار الأساتذة في تاريخ الخط ، كمصطفى راقم ومحمد شوقي ومحمد مؤنس وهاشم محمد وحامد الآمدي ومن في مستواهم وإصرارهم على

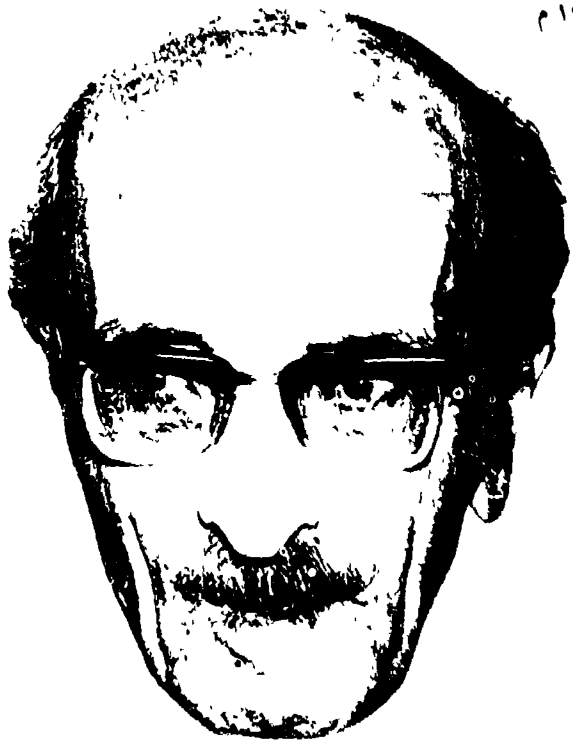


● لوحة بخط الثلث المركب غير موقعة وهناك لوحة مماثله تماما بتوقيع (علي ١٢٨١) ، ولا يعرف من منهما الأسبق .

التقليد الحرفي إنما هو استهلاك لطاقاتهم الروحية دونما إضافة إلى تاريخ هذا الفن كما فعل الأسلاف المتنورون

وثالثها أن أغلب دعاة التجديد ـ وهم قلة أصلا ـ يبدأون من حيث انتهى الآخرون دون أن يكلفوا أنفسهم عناء المراجعة والدرس والتفهم ، والممارسة الفعلية لأنماط الخطوط العربية التقليدية ، والانطلاق منها

وبقاء الأمر على حالته هذه لا يبشر بنهضة ولا بمستقبل مثير، ما لم يكن هناك وعي وهدف للممارسة الخطية وتلك مهمة الجيل الجديد من الخطاطين وإلا فما جدوى المهرجانات التي تقام ، وشرطها الأساسي أن تكون الأعمال المشاركة فيها مبنية على قواعد وأساليب ، أقربها إلينا على مسافة قرنين من الزمان ؟ ! □



ميخائيل نعيمة

آخر رُوّاد أدب المهجر

بقلم : الدكتورة نادرة جميل السرّاج*

في الثامن والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٨٨ توفي أديب لبنان الكبير المرحوم الأستاذ ميخائيل نعيمة ، وهو لم يكن أديب لبنان فحسب ، بل كان أديب المهجر المتفرد ، وشاعره الرقيق المغرّد وقد أصبح بعد عودته مدة تزيد على نصف القرن أديبا وفيلسوفا ومفكرا شرقيا من طراز خاص

كان نعيمة الرجل الثاني في جمعية « الرابطة القلمية » ، فما هي هذه الرابطة ؟ ومن هم أعضاؤها ؟ ومتى تأسست ؟ وكم من السنوات عاشت ، وعاش « عُمّالها » ؟ وماذا كان تأثيرها في الشعر والشعراء في الأقطار العربية وفي المهاجر ؟

بيئته وطفولته

ولد ميخائيل نعيمة في السابع عشر من أكتوبر عام ١٨٨٩ في قرية « بسكنتا » الواقعة على سفح جبل « صنّين » الذي يبعد حوالي ٤٥ كيلومترا عن مدينة بيروت ، ويختص القرية من جهاتها الثلاث ، تاركا

* استاذة الادب العربي الحديث بجامع بجامعة وهران ـ الجزائر ـ سابقا

الجهة الرابعة مفتوحة تطل على « وادي الحماحم » ، ذلك الوادي الرهيب الذي أوحى لنعيمة ولرميل سكنتي آخر من شعراء «الرابطة القلمية » ، هو رشيد أيوب ، بالكثير من القصائد والأفكار

كان أهل « سكنتا » يعملون في الأرض ، ولم يكن الدخل كافيا في كل الأوقات ، لذلك عرف « يوسف نعيمة » والد ميخائيل طريقه إلى العالم الجديد ، فوصل كاليفورنيا مع شقيقة له في عام ١٨٩٠ ، عندما كان ميخائيل الطفل في شهره العاشر ، وكان له أخوان هما أديب وميكل لكن الأب « يوسف » لم يوفق في مهجره ، وعاد بعد ست سنوات وحده دون شقيقته التي توفيت هناك كبر الفتى ميخائيل ، ودخل مدرسة القرية مع أخويه ، وأثبت تفوّقه منذ البداية . املا أن يحقق لأمّه أمنية خاصة ، وهي أن يقصد الناس أولادها ليكتبوا لهم الرسائل إلى ذويهم في المهاجر ، فقد كفاها ما تحمّلته من مذلّة كلما شاءت أن تبعث برسالة إلى زوجها في كاليفورنيا وهاهو ميخائيل الصغير يتطلع إلى أن يصبح موضع فخرها واعتزازها

وما لبث ميخائيل أن دخل المدرسة الابتدائية الروسية في قريته ، وبرع في اللغة العربية . خاصة بعد اطلاعه على كتاب « مجمع البحرين » للشيخ ناصيف اليازجي ، وقد استفاد منه في إلقاء كلمة تأبين لأحد أقاربه الذي توفي في البرازيل ، فبدا في كلمته أكبر من سنه

في دار المعلمين الروسيه

إثر تفوقه في المدرسة الابتدائية اختير نعيمة ليتم تعلمه الثانوي في مدرسة المعلمين الروسية ، في مدينة « الناصرة » «في فلسطين » ، وفي ديسمبر من عام ١٩٠٢ كان في الثانية عشرة في طريقه الى بيروت ، ومنها في زورق صغير إلى مدينة « حيفا » على الشاطئ الفلسطيني ، ثم ممتطيا ظهر دابة إلى مدينة الناصرة في الجليل يحكي نعيمة ذكريات تلك الأيام ، ويعبر عن أثر الشعور بالغربة في نفسه ، فيقول « ولأول مرة أفهم معنى الغربة وأحسها إحساسا ينفذ إلى الصميم ، فيكمش قلبي ، ويوشك هو الآخر أن يغدو غريبا عني ، فتقفز الدمعة إلى عيني ، وتكاد تطفر منها لولا حيائي من الناس ، وخشيتي أن أبدو في عيونهم ولدا ضعيفا ، من بعد أن كنت أراني رجلا يقتحم وحده المجهول ولا يبالي »

ولا ينسى نعيمة أن يذكر فضل ذلك الفلسطيني الذي عطف عليه في ميناء حيفا ، واس اه في بيته ، ثم أمّن وصوله إلى مدينة الناصرة التي فيها المدرسة

هناك أقبل نعيمة على العلم ، وأخذ يلتهم الكتب وما فيها من مقرّر وغير مقرّر درس ألفية ابن مالك في النحو ، وكتاب الخليل في العروض ، وقرأ « كليلة ودمنة » و« مقدمة ابن خلدون » وأجاد اللغة الروسية ، وقرأ بها بعض قصص تشيكوف وتولستوي وغيرهما ، من عيون الأدب الروسي

وكان في هذه المرحلة يميل إلى التأمل والصمت في بعض الأحيان ومن ذكرياته هنا أنه تعرّف على رميل الصبا ثم رفيق الغربة في المهجر فيما بعد ، الشاعر الحمصي « نسيب عريضة »

وفي غدواته وروحاته في مدينة الناصرة وما جاورها كان يتخيّل الماضي البعيد ، ويشم رائحة التاريخ ، وفي رحلاته مع المدرسة إلى أنحاء مختلفة في فلسطين ، مثل جبل الطور وبحيرة « طبريّا » وغيرهما ، كان يعجب بالأماكن المقدسة والطبيعة الفلسطينية السمحة ، حتى ليشعر - على حد قوله - انه « في دنيا من السحر والبركة »

« سمنار » بولتافا

في أواخر شهر سبتمبر عام ١٩٠٦ وصل ميخائيل نعيمة إلى مدينة « بولتافا » في ولاية « أوكرانيا » الروسية ، حيث سيصبح طالبا في « السّمنار الروحي » الذي بعثته إليه « الجمعية الامبراطورية الفلسطينية » مكافأة له على تفوقه في مدرسة الناصرة ، حيث كانت الجمعية تشرف عليه هناك أيضا وفي السّمنار الروحي اندمج الطالب النجيب في نواحي الحياة المختلفة ، وتفوّق في دراسته ،

وتفتّحت له الحياة الثقافية بشتّى صورها ، فشاهد حفلات الأوبرا والباليه ، وأقبل على نظم الشعر باللغة الروسية متأثرا بخطى شاعرين روسيّين هما « لرمونتوف » الذي أعجبه فيه وصفه لطبيعة جبال القوقاز ، مما أثار شوقه لقمم جبال لبنان فذكرها في منظوماته ، أما الشاعر الروسي الثاني فهو « نيكيتين » الذي اطّلع نعيمة على يوميّاته ، فبدأ يقلده ويكتب يومياته هو أيضا ، وهي التي ضمن مختارات منها في الجزء الأول من سيرته الذاتيّة المسماة « سبعون ـ حكاية عمر »

وتعمق نعيمة في « السمنار » في قراءة كتابات تشيكوف القصصيّة ، وتطلّع بإعجاب إلى أفكار تولستوي ، خاصة في كتابه « الحرب والسلام » ، وأصبح تولستوي هو القائد والهادي لنعيمة في عالمه الروحي ولم يهمل كتابات جوجول ومكسيم جوركي كما ظهرت في هذه الفترة قصيدته المعروفة « النهر المتجمد » وبدأ كتابة مسرحيته المعروفة أيضا « الآباء والبنون » التي تدور حول مشكلة الجيل القديم وموقفه من أفكار الجيل الجديد

في ذكرياته عن هذه المرحلة لاينسى نعيمة فضل أستاذه الروسي « أفرامكو » الذي كان يشجعه كثيرا ويشرف على تقويم منظوماته الشعرية كذلك يذكر نعيمة أن صديقه « نسيب عريضة » قد بعث له جريدة عربية من نيويورك

في العالم الجديد :

بعد انتهاء دراسته في السمنّار وحصوله على شهادته عاد نعيمة إلى لبنان ، وقضى في « بسكنتا » إجازة صيفيّة كانت مليئة بالتأمل والتذكّر والتفكير في أحوال وطنه ، خاصة الأحوال التعليمية والثقافية ، ومقارنتها بما وصل إليه وما حصل عليه في روسيا من أنواع الثقافات المختلفة وبعد أن كان ينوي السفر إلى باريس لدراسة الحقوق في جامعة السوربون ، غير موقفه واقتنع برأي أخيه أديب الذى صحبه معه إلى ولاية واشنطن في أمريكا وبعد أن تعلّم اللغة الانجليزية وأتقنها التحق بجامعة « سياتل » ، حيث جدّ وكدّ حتى حصل على شهادتين ، الأولى في الآداب والثانية في الحقوق

فجر الأمل بعد ليل اليأس :

أثناء دراسته في الجامعة وفي ابريل عام ١٩١٣ وصل إليه العدد الأول من مجلة « الفنون » التي كان يصدرها في نيويورك زميله القديم « نسيب عريضة » ، وكان يشاركه في تحريرها جبران خليل جبران وأمين الريحاني وكان فرح نعيمة عظيما بهذه المجلة وقد بعث بأول مقالاته إليها ، وكان موضوعها نقد رواية « الأجنحة المتكسرة » لجبران ، وقد جعل عنوان المقالة « فجر الأمل بعد ليل اليأس » ، حيث اعترف بأنه وجد في جمال أسلوبها فجر عصر أدبيّ جديد ، وفي صاحبها إمارات نبوغ لابدّ أن تتحقق ، هذا مع أنه قد بيّن ما في الرواية نفسها من نقص فنيّ

وعندما أنهى نعيمة دراسته في واشنطن ارتحل إلى نيويورك ليساهم في تحرير « الفنون » وفي إدارتها ، لكن المجلة تعرضت لأزمات مالية متلاحقة حتى توقفت عن الصدور وهنا تحول الأدباء والشعراء إلى جريدة « السائح » التي أسسها عبدالمسيح حداد منذ عام ١٩١٢ ، وأصبحت ادارة « السائح » هي المنتدى الذي يجمع بين الزمرة الطامحة من الأدباء والأصدقاء

الرابطه القلمية

في مساء العشرين من شهر ابريل عام ١٩٢٠ اجتمع هؤلاء الأدباء والشعراء وآخرون معهم في بيت عبد المسيح حدّاد ، وبادروا بتأسيس جمعية أدبية أطلقوا عليها اسم « الرابطة القلميّة » ، وانتخبوا جبران خليل جبران « عميدا » لها ، وميخائيل نعيمة « مستشارا » لها ، وسمي بقية الأعضاء العاملين « عمّالا » وقد جعلوا من اغراض هذه الرابطة بثّ روح جديدة نشيطة في جسم الأدب العربي ، وانتشاله من وهدة الخمول والتقليد إلى حيث يصبح قوة فاعلة في حياة الأمة وبعد فترة قصيرة صدرت

عن الرابطة « مجموعة الرابطة القلمية » ، حاوية قصائد ومقالات بأقلام « عمّال » الرابطة وأنصارها وكان المستشار « نعيمة » قد وضع قانون الرابطة الذي أوضح فيه أن الأدب عندهم « ليس إلا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه ، والأديب الذي يستحق أن يدعى أديبا هو من يزوّد رسوله من قلبه ولبّه »

الغربال :

كان من أهم صفات أدب الرابطة القلمية التحرّر من القيود ، والصدق في التعبير والأداء وقد أحدث كتاباتهم تقرأ وتنتشر في الشرق والغرب

وأصدر نعيمة كتابه النقديّ « الغربال » الذي وضع مقدمته الشاعر الكاتب المعروف عباس محمود العقاد وقد جعل نعيمة كتابه في قسمين الأول يحوي مقالاته التي تعرف بالمقاييس الجديدة ، وتحديد منهج المؤلف في النقد ، وتصوير الواقع الأدبي الجاف ، والقسم الثاني تطبيق عمليّ لتلك المقاييس ، عن طريق نقد بعض الكتب والدواوين العربية وغير العربية التي صدرت في المهجر والوطن

وهلّل المجددون في مصر من أصحاب مدرسة « الديوان » لهذه البارقة الجديدة التي لاحت في أفق الأدب والنقد ، ولم يكن غريبا أن عبّر العقاد عن ذلك بقوله « شعرت وأنا أتابع قراءة هذه الصفحات بما تشعر به القافلة المنتة في المفازة السحيقة إذا ارتفعت لها قافلة أخرى تنشد الغاية التي خرجت تنشدها وأوشكت أن ترتدّ عنها يائسة »

وقد قال العقاد أيضا مبتهجا « لو لم يكتب قلم (النعيميّ) هذه الآراء لوجب أن أكتبها أنا »

أما نعيمة فقد تحدث عن رأيه في مؤلفاته في مقالة نشرتها له مجلة « الآداب » البيروتية في وقت لاحق فقال « وكتاب من هذا النوع يعيش أربعين حولا ولا يصاب بتصلّب الشرايين كتاب لا يحسن لمؤلفه أن يندم على تأليفه »

أما أعداء التجديد في المشرق فلم تعجبهم مبادىء الرابطة القلمية ، وأخذوا يكيلون لها الاتهامات ، وفي هؤلاء يقول نعيمة في كتابه عن جبران « فما كانت نقمتهم إلا لتزيدها قوة وحماسا واندفاعا ، ولتنميّ عدد أنصارها ومريديها ومقلّديها والمعجبين بها في كل قطر عربي. » وعرف في ذلك الوقت ما سمي بالبلاغة « الجبرانية » نسبة إلى أسلوب جبران عميد الرابطة نفسها

عودة الغائب

في ليلة العاشر من ابريل عام ١٩٣١ توفي جبران خليل جبران ، وفي التاسع عشر من ابريل من العام التالي ١٩٣٢ استقلّ نعيمة الباخرة من ميناء نيويورك إلى بيروت

استقبلت بسكنتا ابنها العائد استقبالا حارا ، وتوافد المهنئون بالسلامة من كل صوب ، وتبارى النوادي والجمعيات الأدبية في إقامة حفلات التكريم التي كان يحضر بعضها ويعتذر عن بعضها الآخر ، خاصة أنه كان بحاجة إلى الهدوء والسكينة والخلوات الزاهدة ، بعد ضجيج نيويورك وزحامها يقول نعيم مفسرا أسباب ذلك ضمن كتابه المسمّى « صوت العالم » « عدت وفي أذني ضجيج مدنيّات لا تحصى ، وفي رأسي براكين من الأفكار ، وفي قلبي حنين إلى عزلة أستطيع أن أغرق في صمتها وسكونها وجمالها ، فأطهّر أذني من الضجيج ، وأفرغ عن رأسي ما فيه من البراكين ، وأبرّد بعض ما في قلبي من الشوق والحنين وكان « الشخروب* » كريما معي إلى أقصى حد ، فما ضنّ عليّ بالعزلة التي كنت أنشد ، بل فتح لي قلبه وذراعيه ، فرحت أمضي معظم نهاراتي في كهف من كهوفه ، فساعات للتأمل وعزلة الماضي وتعرية النفس وفتح كوى الروح لنور الله ، وساعات للتأليف ، وهل التأليف غير مكالمة الناس ؟ »

---

* مكان كان يعتزل فيه الكاتب الناس كي يكتب ويتأمل

غير أن نعيمة يذكر في كتابه المسمى « زاد المعاد » حفلة أقيمت له في المدرسة الابتدائية التي تلقى فيها علومه صغيرا ، فألقى هناك خطبة عنوانها « صبيّ والدولار » يصّور فيها الام العربة بالنسبة للمغتربين ولأهلهم في الوطن ، ويخاطب أبناء بلدته الحبيبة بقوله « يا أبناء بسكنتا ، يا لحمي ويا دمي ، هي ذي وجوه أتراب صباي تطلّ عليّ من جدران هذه المدرسة ، وأصواتهم تتعالى في أذني ، وأشواقهم وأوجاعهم تزدحم في قلبي ، وبينهم من هم اليوم خلف ستار المحسوسات ، فألف رحمة عليهم ، وألف سلام على الذين ما برحوا يتنفسون بأنفاس هذه الأرض أينما كانوا »

وكما قال نعيمة فقد كان « الشحّروب » كريما ومعطاء ، فتوالت كتابات نعيمة ، وغزر إنتاجه وتنوّع ، ما بين المحاضرات والأحاديث الإذاعية ، والقصص والحكايات ، والمقالات المتعددة الجوانب ، وظهرت كتبه التي منها « المراحل » ، و « البيادر » ، و « الأوثان » ، و « صوت العالم » ، و « النور والديجور » و « في مهبّ الريح » ، و « دروب » ، و « أبعد من موسكو ومن واشنطن » وفي مجال القصة « كان ما كان » . و « أكابر » ، و « أبو بطّة » ، و « مذكرات الأرقش » ، وكان قد بدأ كتابتها في المهجر عام ١٩١٧

أما كتابه « مرداد » فقد أعجب به كل من قرأه ، سواء في نسخته العربية أم الانجليزية ومن هؤلاء مهراجا في الباكستان بعث إلى نعيمة رسالة إعجاب يقول فيها « كنت أطالع كتبكم ، وما من يوم يمرّ إلا وأنتم في فكري إن كل دقيقة أستغلّها في درس آرائكم تدنيني أقرب فأقرب من نفسي وتقصيني أبعد فأبعد عن أنانيتي لقد قوّت مؤلفاتكم إيماني بالإنسان والإنسانية »

وعن جبران ، حياته وأدبه وفنّه ، كتب نعيمة كتابه هذا بالعربية بعد عودته إلى لبنان ، ثم ترجمه إلى الانجليزية بعد سنوات ، وعنه يقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي « إن كتاب ميخائيل نعيمة الأخير عن جبران يبدو كحدث عظيم في تاريخ الأدب العربي الحديث ، وفي الأدب نفسه ، وهو شائق بما فيه من تجسيد لشخصية البطل والمؤلف »

وأخيرا لا آخرا فإن مجموعته الشعرية التي سماها « همس الجفون » تحوي كل ما أنتجه نعيمة شعرا عربيا ، أو مترجما عن منظوماته باللغتين الروسية والانجليزية ، وقد توقف فيه عند زمن مبكر من حياته الثريّة ، واعترف هو نفسه بأنه كف عن نظم الشعر قبيل عودته من المهجر ، ووجد في الأسلوب النثري وعاء مطواعا يحتوي كل أفكاره وهواجسه وتأملاته ولا بد أن نذكر أن نعيمة قد تأثر في نظم أشعاره أيضا بإنتاج المدرسة الرومانسية في انجلترا ، ومن أفرادها شلي وكيتس ووردزورث وكولريدج ، كما تأثر فيما بعد ببعض كتابات الأمريكيين الشعرية والنثرية ، شأنه في ذلك شأن أعضاء الرابطة القلمية الذين لم يهملوا قراءة امرسن وأبيات والت ويتمان ولونجفلو وغيرهم □

خطاب قصير

كتب معاوية بن أبي سفيان الى أم المؤمنين عائشة يقول لها اكتبي لي كتابا توصينني فيه ولا تكثري »

فكتبت اليه تقول من عائشة الى معاوية سلام عليك ، أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله الى الناس » والسلام عليك



الرحلات في عالم الحشرات

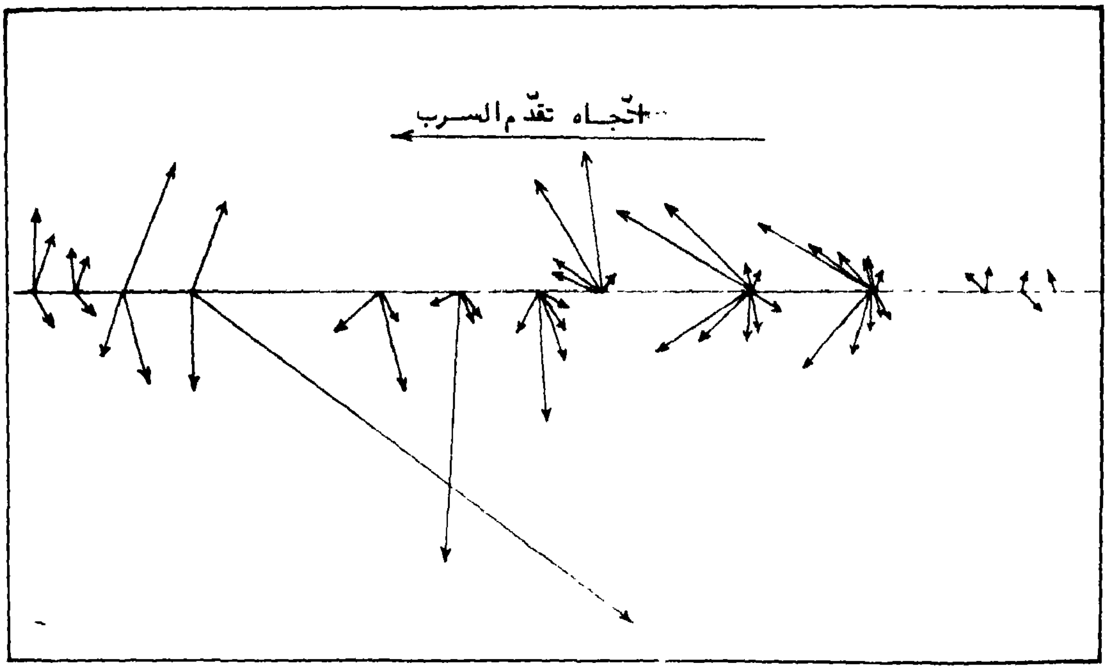
بقلم : الدكتور كارم غنيم*

ان نشاطات الكائنات الحية وسلوكياتها بعجائبها وغرائبها تلتقطها عين الانسان العادية كأنها نشاطات فردية ، تلقائية ، لكن الباحثين والعلماء يكتشفون من خلال دراستهم أنها محكومة بقوانين ، وعادات وأساليب غاية في الدقة والانضباط ، ورحلات الحشرات واحدة من عجائب هذا العالم المثير الذي يقودنا العلم لاكتشاف مجاهيله

تعتبر الرحلات الجماعية شكلا من الأنشطة الحياتية المهمة لدى الحيوانات ، حيث تتجمع أعداد غفيرة من الأفراد ، تنتظم في أسراب أو قطعان مهاجرة ، تترك أوطانها ، وتتجول في الأرض ، ويعينها في ذلك ما اكتسبته من خبرة سابقة بمعالم الطرق ، والسرعة في الحركة ، والقدرة على تحمل المشاق التي تواجهها

وإنه لمن الجدير بالذكر أن الانتقال من مكان إلى آخر يُعدُّ من أشهر عادات الحيوانات وتجوُّلُ هذه الكائنات على سطح الأرض ، أو في الماء ، أو في الهواء ، ليس بالأمر العشوائي ، وإنما هو عملية محسوبة ومضبوطة فقد يتحرك الحيوان من موطن إلى آخر ، ليقيم فيه ، فإذا ما دُرس تاريخ هذا الموطن وعلاقة الحيوان به ، وجد أنه نفس الموطن الذي وضع ـ أوْوُلد ـ فيه وترعرع في ربوعه ، وحينما تقوم الحيوانات برحلات هجرة برًا أوْ جوًا ، فإنها تخرج وقد بيّتت النيّة للعودة بتوقيت محدد ، وتهتدي في طريق عودتها بعلامات وإشارات خاصة تنطبع في ذاكرتها خلال رحلة الذهاب ، وقد يتخذ الحيوان موطنيْن يتردّدُ فيما بينهما خلال فصول السنة المختلفة ،

* عضو المجمع المصري للثقافة العلمية ـ كلية العلوم ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة



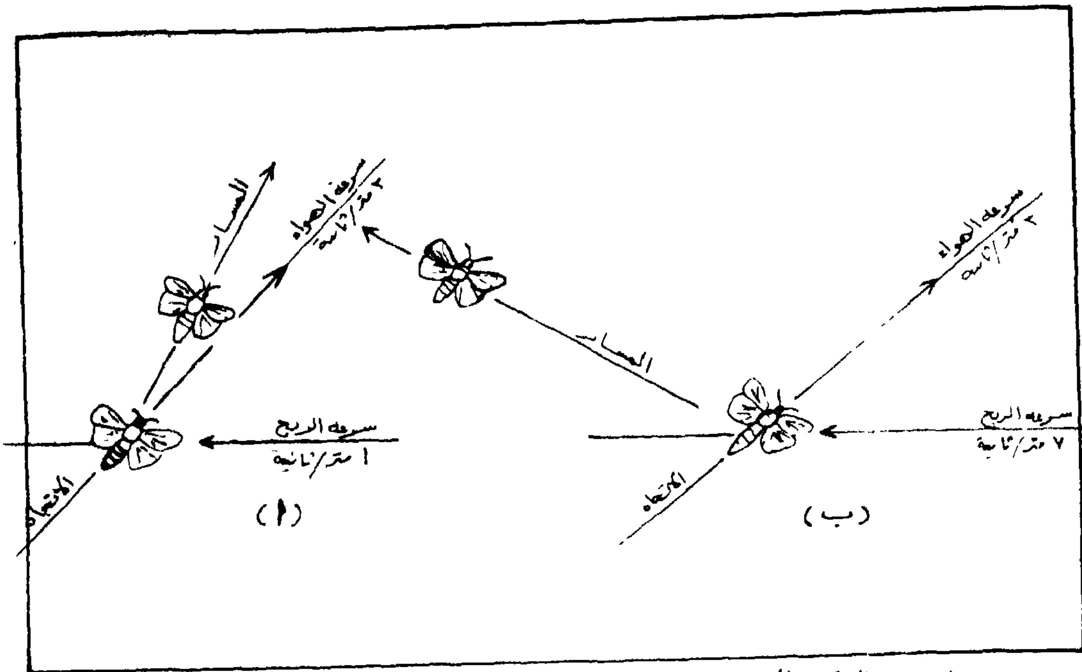
يوضح هذا الشكل العلاقة بين الاتجاه والمسار وسرعة الريح (أ) الحالة التي تزيد فيها سرعة الهواء عن سرعة الريح (ب) الحالة التي تزيد فيها سرعة الريح عن سرعة الهواء

فأيائل البغل في بعض جبال روكي بأمريكا تقضي الصيف في المرتفعات العالية، حيث يجود لها المرعى، ولكن ما أن يبدأ الهطول الغزير للجليد في الخريف حتى تشْرَعُ الأيائل في العودة إلى مواطنها الشتوية التي قد تبعد عن مصايفها مسافة تتراوح بين ١٠ أميال، و٦٠ ميلا أما الطيور فإن هجرتها تبدأ من مواطن تراوحها حين حلول المناخ البارد، حيث تتجه إلى مشاتل للغذاء في المناطق الدافئة، ثم تعود بعد مرور هذا الفصل من السنة إلى مواطن إقلاعها في رحلة الذهاب، بينما نجد أن أنواعاً مختلفة من الأسماك تقوم بهذا النشاط من الانتشار ـ الرحلات والهجرة ـ منها أسماك السلمون وثعابين السمك وأما هجرة الحشرات فتأخذ طابعاً خاصاً بها، ففي الغالب تقوم الحشرات بهجرتها لاستعمار مواطن جديدة، هروباً من ظروف صعبة حلّت بها في المواطن الأصلية وقد يكون السلوك غريزياً، إلاّ أنّ الأبحاث الحديثة تشير إلى وجود مؤثرات فسيولوجية تنظّم القيام بهذا السلوك الانتشاري.

حالات خاصة للطيران

من الملاحظ أن الحشرات خلال أطوارها اليافعة تتميز بوجود حالة من تغلّب نشاط الطيران على بقية الأنماط الأخرى من الأنشطة الحيوية لهذه الكائنات، فيأخذ الطيران في هذه الفترة من الحياة نمطًا خاصًا هو «الهجرة» في سرب، وقد يستغرق هذا الطيران ـ حصوصاً الذي يتم عُقيْب خروج الأطوار اليافعة من عذاريها (خادراتها) مباشرة ـ مابين أيام قليلة (كما في أغلب أنواع المنّ المجنّح) أو ١٥ ـ ٣٠ ساعة فقط (كما في حشرة أسكيا)، حيث تبلغ الحشرات خلال هذه الفترة من الطيران حالة النضج التناسلي، فترمق الأرض بناظريْها لتحديد موقع الهبوط، وتهبط لتبني عُشّاً جديداً، ولحظتها تبدو عليها مظاهر أهمها انحلال عضلات الأجنحة وسقوطها، ثم تشرع الأفراد المرافقة لِمَلِكتِها في بناء العش الجديد، وهو الذي تفرِّخ فيه الملكة ملكاتٍ أُخر لاكثار النوع.

بالاضافة إلى هذا النّمط من الطيران تقوم



يوضح هذا الشكل الأوضاع المختلفة التي يتخذها أفراد الجراد في السرب التخطيط المبين هو حصيلة عدد من الصور « الفوتوغرافية » المأخوذة للسرب على فترات متفرقة أثناء تقدمه طول كل سهم مرسوم يتناسب مع عدد أفراد الجراد المتجهة تجاه ذلك السهم

الحشرات بأنماط أخرى ، تأخذ شكل هجرة طويلة الأمد لاسيّما إذا كمُنتْ فترةً ثم خرجت من كمونها ، ومن الحشرات ما يهاجر إلى مواقع البيات الصيفي ، وهناك يتمّ نضجها التناسلي الذي على إثره تعود إلى مسقط رأسها ، وقد تهاجر بعض الحشرات على الرغم من أنها ناضجة تناسلياً ، كالجراد وبعض الفراشات والرعشات وعموماً يجب ألاّ يغيب عن ذهن القارىء أن الغالبية العظمى من حالات الهجرة لاتحدث إلاّ خلال فترة الطور اليافع من الحشرة ، إذْ هو القادر على الطيران

خط السيّر المُتّبَع :

يتوقف اتجاه الرحلة أو الهجرة على سرعة الريح واتجاهها ، وللحشـرات طبقة هوائية تزاول فيها

النشاط الطيراني في يُسْرٍ وسهولة أكثر من الطبقات الجوية الأخرى ، وهذه الطبقة الهوائية الملائمة تُعْرَفُ بـالطبقـة القطريـة أو « التُخوم الهـوائيـة » التي من خصائصها قلّة سرعة الريح نسبياً ، فإذا ارتفعنا في الجو إلى أعلى فإننا نجد الأحوال غير ميسورة لاشتداد سرعة الريح على سرعة الهواء فلا تستمتع الحشرات بطيرانها هناك ، بل تحرفها الريح العـاصفة رغم أنفهـا ، ويتوقف حجم التخـوم الهوائيـة المناسبـة لطيران حشرةٍ ما على قدراتها في تعوّدها على الطيران عند سرعات هوائية متباينة ، كما تتوقف أيضاً عـلى نظام الغطاء النباتي لسطح الأرض أسفل الحشرات المحلقة في الهواء، وكذلك أيضا على سرعة الريـح نفسها

والشكل العام للتنظيم الحشري إبّان الطيران في رحلةٍ أو هجرةٍ ما يتوقف على كَوْنِ هذه الحشرات داخل نطاق التخوم الهوائية المناسبة أو خارجها .

(أ) إذا أقلع سـرب من حشـرة (أسكيـا) في فلوريدا للطيران المنخفض (١ ـ ٤ أمتار على سطح الأرض) فإنه يحلّق في مأمن من العواصف ، ثم يتجه شمالاً أو جنوباً ، على حسب نوع السلوك الذي بدا على الحشرة قبل إقلاعها مباشرة . في أثناء الطيران تحط الحشرات على الأزهار لتمتص رحيقها ، وبعد

مُضيّ فترة من الطيران يتجمع أفراد الأسراب المتجاورة أكثر فأكثر ، لتشكّل أسرابًا كبيرة ، تبدأ بها رحلة الهجرة الحقيقية التي يتحدد خط اتجاهها ، على أساس زاوية سقوط أشعة الشمس ، أو هيئة سقوط الضوء المستقطب على منطقة وجود الحشرات في هذه اللحظة ، فتبدأ الأسراب في الهجرة بشكل منظم

(ب) ليس معنى أن الحشرة تفضل الطيران في تخومها الهوائية أنها غير قادرة على الطيران في مناطق هوائية أعلى ، فلقد شوهدت أفراد حشرة (أسكيا) تطير في مناطق كالأرجنتين على ارتفاعات تصل أحيانا إلى ٥٠٠٠ قدم من سطح الأرض ، أما عن اتجاهها فكان هو نفس اتجاه الرياح السائدة في هذه المناطق ، وذلك هو نفس الوضع لدى كل الحشرات التي تقوم بالطيران والهجرة ، مثل الجراد والبرعاشات والمنّ وغيرها والأكثر من هذا أن تلك الحشرة المشار إليها استطاعت أفراد من أسرابها أن تطير في اتجاه مضاد للريح ، ووصلت سرعاتها ٨ ـ ١٠كم / ساعة

أما في أسراب الجراد فإذا ما خرجت أفراد أحيانا عن تخومها الهوائية فإن كان ذلك نهارا أسلمتْ قيادها للريح العاصف ، على أنها ترصد علامات وإشارات أرضية لتهتدي بها عند عودتها إلى إسرابها بعد سكون الريح أما إذا حدث ذلك أثناء الليل فلا قدرة لهذه الأفراد الشاردة على رؤية علامات أو إشارات أرضية ، ومن ثمّ تضلّ طريق العودة إلى مكان السرب بعد سكون الريح

ومن الجدير بالذكر أن الباحثين اكتشفوا وجود حافز فيزيائي يعين الحشرات التي تلقي بنفسها في كتل هوائية عُليا تكتنفها رياح عاتية ، على ضمان السلامة من شرّ حدة الرياح ، ذلك الحافز أو العامل هو « الحمل الحراري » المنبعث من حرارة قشرة الأرض ، الصاعد إلى طبقات الهواء ، وهي حالة يقتصر وجودها على فترة النهار فقط ، أما في الليل فلا معين للحشرات إذا ألقت بنفسها عنوة في كتل هوائية عنيفة

العودة

رحلات العودة شائعة في الطيور أكثر منها في الحشرات ، فإذا قامت بها الحشرات فالعائدون هم أفراد الجيل الجديد فقط دون الآباء والأمهات ، ولعل أبو دقيق الملكي من أبرز الأمثلة على ذلك ، حيث ينشط ويتكاثر خلال شهور الصيف بالجزء الشمالي من أمريكا الشمالية وجنوبي كندا ، ولما كانت الأطوار اليافعة من هذه الحشرات لا يمكنها أن تعيش طويلا تحت درجات الحرارة المنخفضة ، وانعدام الرحيق في تلك المناطق شتاءً ، فإنها تبدأ في الخريف ، وقبل حلول الشتاء القارس ، بالهجرة إلى الجنوب حول



* هذا المنظر المهيب الذي يشبه طائرة ضخمة تتقدم في طيرانها الهوائي ، ما هو الا صورة مكبرة مقربة لأحد افراد النحل

خليج المكسيك وفلوريدا وكاليفورنيا وأثناء رحلتها الطويلة (التي قد تصل الى ٢٠٠٠ كم في المتوسط ، بمعدل قد يصل إلى ١٠٠ كم في اليوم أحيانا) تسرع باللجوء إلى أغصان الأشجار من وقت لآخر أثناء الليل ، حين تنخفض درجات الحرارة ، وربما تظل أياما لا تستأنف رحلتها الا إذا ارتفعت الحرارة عن ١٣ درجة مئوية أما عن أحوالها في المهجر الجديد فهي إما أن تنشط وتتكاثر في الشتاء ، كما هو الحال في مناطق فلوريدا ! وحول خليج المكسيك حيث الحرارة المعتدلة ، وإما أن تخْلُد إلى السبات الشتوي كما في ولاية كاليفورنيا ، حيث تجْثُمُ في مجموعات متراحمة لا تطير إلا نادرا ، وإذا طارت ففي الأيام الدافئة ، حيث تتحرك لجمع الرحيق اللازم لغذائها ، وهنالك تتوقف تماما عن التزاوج والتكاثر فإذا حلَّ الربيع ، وارتفعت درجة الحرارة تبدأ أسراب الحشرات في الطيران عائدة إلى الشمال الذي جاءت منه ، وتستغرق هذه الرحلة حوالي شهرين

رحلات البحث عن الغذاء

أ.النمل في الأحوال المناخية والبيئية الملائمة تعيش جماعة النمل في أعشاشها دون وجود أجنحة ، ومن أهم مظاهر حياتها قيامها بحملات تشنها على كائنات من حولها ، وهذا السلوك من العجب والغرابة لدرجة أن أساطير قديمة ثارت حوله لوحشيته في الهجوم والإغارة ، ولدقته في النظام ورجف الحشود ، وقدرات النمل في التصرف السريع مع ما يواجهه خلال المسير من أبرز هذه الأنواع نمل في غابات البرازيل وبيرو وحول قناة بنما وكذا وفي مناطق من غابات أفريقيا يخرج هذا النمل في جحافله الهجومية التي لايقل تعدادها عن ثلاثين ألف فرد ، وتسير جموعه في ركب قد يصل طوله إلى خمسة عشر مترا ، وعرضه يقرب من المترين ، وتقطع في اليوم الواحد مسافة تتراوح بين ١٠٠ ، ٢٠٠ متر ، وتمضيها في شنّ غاراتها العدوانية على أعشاش النمل الأخرى ، والحيوانات التي تقابلها ، سواء كانت صغيرة الحجم كالعناكب مثلا أو كبيرة كالثدييات ، إلا أنها لا تخرب زرعاً ولا تحطّم نباتاً يتقدم الركب في نظام مدهش ، ففيه نقطة مركزية يتجمع فيها عدد كبير من الأفراد ، يحيطون بالملكة والذرية الصغيرة ، ومن حولهم أفراد حراسة أقوياء ، ومنْ حول هؤلاء بقية كما أثناء التقدم تظهر أشكال من السلوك عجيبة ، منها أنه إذا ما ابتعد النملُ عن معسكره الأصلي بمسافة ما ـ وغالبا ما تكون كبيرة ـ ينتشر أفراده بين أفرع الأشجار ويتحدوا مواقع استراتيجية تهجم منها على فرائس تراها أو تنتظرها لتقتنصها ، ومن هذه الغرائب أيضا أن مسارات للمرور تخط في هذه المساحة من الأرض بين أفرع الأشجار ، وقد يغدو فيها النمل ويروح ، حتى ليُحْدث ارتباكا في المرور ، كما هو الحال في المدن المزدحمة بالسكان ويصل نشاط النمل إلى ذروته في الصباح الباكر ، ويقل نشاطه بعد الظهر ، ويخمد مع دخول الليل ، حيث تتجمع الأفراد ثم يتحرك ركبها لقضاء ليلها في معسكر خلوي مؤقت ، انتظارا للصباح التالي لتستأنف نشاطها من جديد ومن النمل ما يتخذ لنفسه في هذه الأرض الجديدة مواطن وأعشاشا ، ومنه ما لا ينسى موطنه الأصلي ، فيعود إليه مع الغنائم التي اغتنمها من حملات إغارته على كائنات أخرى ومن المثير للدهشة كذلك في سلوك النمل إبّان سير أسرابه في حملات الاغارة ، هو تصرفه أمام المنخفضات العميقة ، وذلك بإنشاء جسور معلقة ، يستخدم أجسامه و بنائها ، حيث تتشابك أرجل أفراده بعضها ببعض ، في أعداد ضخمة تسمح بعبور بقية أفراد السرب

ب:النحل

يعيش النحل في حياة اجتماعية كاملة ، كما هو الحال عند النمل ، فالخلية تضم فئات مختلفة ، في مجتمع متعاون على أفضل ما يكون التعاون ، مترابط بأعظم عُرى الترابط ، كأنه البنيان المرصوص ، فالملكة صاحبة السلطان والسيادة ليست متسلطة ، بل يسري عليها نظام الخلية ، وتنطبق عليها قوانينها العامة ، إلاّ أن هذا لا يمنع وجود رعاية وعناية خاصة بها من عدد من النحل الشغال (العاملات) ، تلك

الفئة التي تنوّعت وظائفها ، وتعددت أعمالها ، فمنها منْ يُناطُ به عمليات النظافة العامة للحلية ، وإماطة الأذى عن أنحائها ، ومنها من يتحمل مشاق عَمليات حلب الغذاء لجميع أفراد المجتمع الذي تعيش فيه . بالإضافة إلى الوصيفات اللائي يحطن بالملكة .أضف إلى ذلك وجود عديد من الذكور في انتظار اللحظة الموعودة ، ساعة ترغب الملكة في التزاوج لإكثار الذرية ، وإنشاء خلايا نحل جديدة

تذهب النحلات الشغالة في رحلات مشهورة لجمع الرحيق وحبوب اللقاح من أعضاء تأنيث الأزهار لتعود به إلى الخلية ، وفي هذه الرحلات تكون العادة خروج عدد محدد من « الطلائع » ، لاستكشاف مواقع الأزهار ، وتحديد كثافة الرحيق ، ومعلومات أخرى تهم النحل ، ثم تعود هذه الطلائع لتعطي بقية الأفراد من العاملات المعلومات المطلوبة ، (فتخرج) أعداد غفيرة منها منتظمة في سرب متجهة نحو مواقع الأزهار ، لتقوم بعمليات جماعيّة لجمع الغذاء المطلوب لها ولبقية أفراد مجتمعها هناك في الخلية

وتختلف المسافات التي يمكن للشغالات أن تقطعها بعيدة عن الخلية ، فتصل أحيانا إلى أكثر من عشرة أميال ، حسب مواقع الحقول والبساتين حيث توجد الأزهار ورحلات الشغالات تطرح على ذهن المرء المفكر كثيراً من الأسئلة والاستفسارات ، منْ الذي علّم شغالات النحل طريق العودة إلى حليتها ؟ وكيف تعوّد أنفسها على طريق الوصول إليها ؟ ولماذا تركت خلايا النحل التي تمُرُّ عليها في طريق العودة دون أن تدخلها ؟

لقد أثبت بعض الباحثين أنّ النحل له المقدرة على الإلمام بمعالم الطريق التي يطير فيها ، وهذا هو السر في قدرته على العودة إلى الخلية بعد رحلة غذاء طويلة أو قصيرة ومن التجارب الشيِّقة في هذا المضمار أن جماعة من الباحثين أخذوا عدداً من النحل من خلية تقع على حافة بحيْرة متسعة ، ثم ميّزوُا هذه الأفراد بوضع طلاءٍ على أجسامها لتسهيل عملية رصدها ، ونقلت هذه الأفراد في صندوق مسافة عدة أميال ، بعيداً عن البحيرة في منطقة مزروعة ممتدة على جانب شاطىء الماء ، ثم فُتِح الصندوق وأُطلقت أفراد النحل ، وشوهدت عن كَثَب ، فوجدت أنها دارت في الهواء ، وفي النهاية وصلتْ إلى الخلية التي أخذت منها بجانب حافة البحيرة وبالطبع فإنّ السبب هنا هو المعالم الأرضية من أعمدة وشجر ومبانٍ وغيرها

ولتأكيد هذه النظرية قامت جماعة الباحثين بتكرار التجربة ، ولكن من خلية نحل بجوار نفس البحيرة في نهار ساطع الشمس ، وأبحروا عدة أميال داخل المياه فقط ، وفتحوا الصندوق وأطلقوا النحل ، ثم راقبوها من سطح المركب ، فإذا بها تطير وتدور في جميع الاتجاهات دون تحديد اتجاه معين ، ولم تتمكن من الوصول إلى الخلية التي أخذت منها في بداية التجربة ، والسبب في ذلك هو أن صفحة الماء في البحيرة تخلو من علامات أو معالم مميزة ، كي تستطيع أفراد النحل الْتقاطها وتمييزها

ومن العلماء منْ أثبت أيضا أنّ منْ قدرات أفراد النحل على تحديد طريق العودة في الرحلات استرشادها بموضع الشمس ، وأبسط تجربة توضح ذلك أنك لو أمسكت نحلة أثناء عودتها إلى خليتها وحبسْتها في صندوق مدة زمنية ما ، كساعتيْن مثلا ، ثم أطلقت سراحها بعد ذلك ، فإنها تطير بنفس الزاوية التي كانت تطير بها قبل إمساكها بالنسبة للشمس ، ولكن في غضون الفترة التي حُبستْ فيها تكون الأرض قد دارت قليلا ولم تعُدْ الشمس في نفس الموضع بالنسبة للخلية ، ومن ثمَّ فالنحلة العائدة في هذه التجربة تنخدع ، وتفتقد تحديد مكان خليتها ، ولكن الذي حدث ويحدث هو أنَ النحلة العائدة لا يستمر طيرانها في الطريق الضال ، وإنما تكُفُّ عن ذلك في نقطةٍ معينة خلال رحلة العودة ، تلك النقطة تقع على مسافة تبلغ ما بين مكان الأزهار والمكان الذي كانت فيه الخلية

أضف إلى هذا وذاك قُدْرات أخرى على معرفة طريق العودة ، منها إفراز روائح خاصة تميّز أفراد المجتمع الواحد وقدرتها على الشم ، وكذلك الرَّقْص بأنواعه المختلفة □

اقرأ في العدد القادم من

العربي

أكتوبر ١٩٨٨

من شيان إلى سشوان مولود واحد يكفي!

سليمان مظهر



زنجبار.. أندلس أفريقيا والمجد الذي كان!

محمود عبدالوهاب

- الخدمة الإسرائيلية السرية ... أمين هويدي
- التعليم عن بعد عام ٢٠٠٠؟ .... د. محمد الصمودي
- الصدفة والعلم! .... د. محمد عبدالرحمن مرحبا
- من صور الجذوة والخمود في فكر المسلمين .. د. راشد المبارك
- عندما يحلم الجوعى .... د. محمد المنسي قنديل
- الوسواس القهري .... د. دري حسن عزت
- آلام نسائية غامضة ..... د. علي مبارك
- السخرية السياسية العربية ... شريف الراس
- فكر السادة وثقافة التابعين .... د. مصطفى النشار

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - بسام اسخيطة - منير نصيف - د. أحمد النعمان

د. محمد برادة - د. أمل المخزومي - أبو المعاطي أبو النجا - د. حامد طاهر

قصة قصيرة

في يوم بارد

بقلم . ملك حاج عبيد

قلت لسعد والأولاد وأنا أودعهم على الباب

ـ انتبهوا جيدا . فاليوم بارد

وقفت خلف النافذة أراقبهم . سعد بقامته الممشوقة ورذاذ الثلج يتساقط عليه . وربما يحدثنها الفاحمة المتدلية على ظهرها من تحت القبعة . وسامر بمشيته الكسلى وأمنيته الحزينة بأن لايذهب اليوم إلى المدرسة

لوحوا بأيديهم وهم يركبون السيارة . وانطلقوا

خمسة أشهر منذ أن جئنا إلى نيويورك . هل استطعت أن أعتاد على المدينة ؟ كلا . لم أستطع . سعد غارق في العمل . وغرقه هذا ينجيه من التفكير في الغربة التي يعيشها . أو فلأقل إنه لايشعر بالغربة . فهو الذي أراد الهجرة . فقد قال لي عندما اعترضت على الفكرة

ـ ماذا سنفعل ياليلى عندما يختنق الإنسان في بلده ؟ سيهاجر ولو أصبحت الهجرة إلى جهنم

ـ لا أطيق مغادرة دمشق ياسعيد . أرجوك سأعمل وأساعدك

ضحك ساخرا

ـ تلقين دروسا في الموسيقا ؟ وما الدخل الذي ستحصل عليه ؟ ومن يهتم بالموسيقا ؟ تكاليف الحياة أصبحت باهظة . والدخل لا يكفي

أسقط في يدي . فأنا أعرف كل شيء . لكن لايستطيع الإنسان إلا أن يتألم وهو يفارق بلده . أدور في البيت . أشغل نفسي بالعمل . لكن خيالي يسافر إلى دمشق . يبحث عن وجوه الأهل والأصدقاء . عن فنجان القهوة الصباحي عند الجارات

يتساقط المطر . يغسل الشجر . نشكو البرد . لكن أين برد دمشق من برد نيويورك ؟ انتبهت من شرودي على سماع نقر خفيف على الباب . ثم توقف النقر . فضحكت في سري وقلت لعلها إحدى الجارات جاءت تسلم علي . ثم عدلت عن قولي . فقانون البلاد أن لايتزاور الجيران !

وواصلت عملي . لكن النقر عاد مرة أخرى . مما اضطرني لفتح الباب . فرأيت قطة بيضاء صغيرة . تموء وهي ترتجف من البرد . وما أن رأت القطة الباب المفتوح حتى همّت بالدخول . لكني منعتها . فأنا أخاف القطط والأمراض التي تنقلها . وأغلقت الباب . لكن خطر لي أنها قد تكون جائعة . فوضعت لها بعض الحليب الساخن في كأس بلاستيكي . وعدت إلى العمل

بعد ساعة رن الجرس . فاستغربت . أي سعد هذا أن يطرق بابا دون سابق إنذار ؟ حتى المرات

---

* كاتبة من القطر العربي السوري ـ تعمل بالكويت



القليلة التي زارنا فيها شقيق سعيد كانت حسب موعد سابق ، فما الأمر ؟ فتحت الباب ، فرأيت سيدة شقراء طويلة القامة ، أنيقة ، تبدو في الأربعين من عمرها ، ابتسمت لي وهي تحييني ، ففرحت ، لعلها ستكسر القاعدة وتزورني ، ومن يدري ربما يتصل حبل الود بيننا ونصبح أصدقاء رحبت بها بحرارة ، ودعوتها للدخول فاعتذرت بأدب ، وقالت

- سيدتي لابد أن قطتك قد خرجت من البيت دون أن تحسي بها ، فطرقت عليك الباب لتدخليها ، مسكينة ، إنها ترتجف من البرد

تراجعت الفرحة إلى داخلي ، لكنني أبيت أن اسحب الابتسامة ، فقلت لها

- لقد أسرتني مشاعرك النبيلة ياسيدتي ، لكن القطة ليست لي

ردت بدهشة

- إنها تقف أمام بابك

- نقرت الباب ، وأحسست أنها جائعة ، فوضعت لها كوب لبن

نظرت إلي بشك وامتعاض ، واعتذرت ، ثم ذهبت

دخلت المطبخ لأعد الطعام ، لكن ماكدت أبدأ حتى رن جرس الباب مرة أخرى ، فبلغت دهشتي مداها ترى من الطارق ؟

وعندما فتحت الباب طالعني وجه رجل في الستين من عمره ، نظرت إليه مستغربة ، فقال

- آسف يامدام على إزعاجك ، لكن يجب أن أنبهك إلى أن قطتك خارج المنزل ، والطقس بارد ، وأخشى أن تصاب بنزلة برد

- شكرا سيدي على لطفك ، لكن القطة ليست لي ، وإنما رأيتها على بابي هذا الصباح

همهم محتجا

- من هذا الفظ الذي يترك قطته خارج البيت في مثل هذا اليوم ؟ !

- لا علم لي بذلك ياسيدي

انصرف دون أن يحييني ، فشعرت بالإهانة ، وعدت إلى الداخل وأنا منزعجة . كدت أنهي الطبخ عندما سمعت الجرس يرن ، ولا أدري لماذا خطر لي أن أحدا قد جاء من دمشق ، فطرت إلى الباب

وما أن فتحته حتى التقت عيني بعيني سيدة عجوز بادرتني دون تحية

- مدام هذا لايجوز ، كيف سمحتي لنفسك أن تطردي قطتك المسكينة في يوم كهذا ؟

وضبطت أعصابي ، وقلت لها وأنا أكاد أنفجر من الداخل

- سيدتي ، لماذا تسمحين لنفسك بأن تسيئي الظن بالناس ؟ لو كانت القطة لي ماتركتها خارجا ، لكنني لاأحب القطط ، فكيف لي أن أربيها في بيتي ؟!

ورمقتني بنظرة احتقار ، وأحسست أنني سمعتها تشتمني بصوت منخفض وتقول متوحشون ، وتمنيت أن أصفق الباب خلفها بعنف ، لكنني وأدت هذه الرغبة ، وعدت إلى الداخل وأنا أشعر بالإحباط ، وحتى أخفي تعاستي أدرت المسجل ، فانساب صوت فيروز تغني « بحبك بالبناء ، ياوطني بحبك ، بشمالك بجنوبك ، بسهلك بحبك » ، وطفرت الدموع من عيني ، وهتفت أحبك بالبناء ، يادمشق ، ياكل هذا الوطن ، واستغرقتني الأغنية حتى نسيت قصة القطة

لكن للمرة الرابعة قرع الباب ووجدت نفسي أندفع إليه بعصب ، وصممت أن أشتم كل من تسول له نفسه أن يحدثني عن القطة

فتحت الباب وأنا مستعدة للمشاجرة ، لكن رؤية رجل البوليس في الباب جمدتني ، وأحسست بقلبي



يعوص في داحلي
ـ مرل السيد سعيد الدباغ ؟
وبصعوبة استطعت أن أومىء برأسي
ـ أنت المدام ؟
فأجبته وأنا أرتعش من رأسي إلى قدمي
ـ نعم ، مادا حدث ؟ هل وقع لروحي حادث ؟ موت أم إصابة ؟ والأولاد ؟

وكأنني قد رأيته يحرك شفتيه ، وسمعت كلمات استطعت أن أتبين منها أن الجيران قدموا بلاغا صدي ، لأنني طردت القطة من البيت

أغمضت عيني ، ومن أعماق صدري أطلقت نفسا ، وتمتمت
ـ حمدا لله

وشددت قامتي ، ورسمت على شفتي ابتسامة ساحرة

ـ سيدي ، إنني أفكر بأن أقدم شكوى صد جيراني ، أتهمهم فيها بالازعاج من الصباح وحتى الآن فكأنهم لم يكن لهم من عمل إلا إزعاجي ، مادا أفعل لأثبت لك أن هده القطة ليست لي ، ولم أرها من قبل ، وأنني أكره القطط ، فقد سببت لي في صغري مرضا ، عانيت منه كثيرا حتى شفيت ، لدلك لا أسمح لنفسي بأن ألمس قطة ، ولا أسمح لأي قطة مهما كانت جميلة ورائعة أن تتخطى باب منزلي سيدي لقد جعلتم من هده القطة قصية ، وهدا شيء مؤد حقا نظر إلي متأملا كأنه يقيس مقدار الصحة في كلامي ، ولما لم يستطع الحكم هز رأسه وانصرف ، كان جسدي ينتفض من العصب ، ورأسي يضج بالأسئلة هل هده خطة لمضايقتنا ، وجعلنا نترك البناية ؟ لكن لماذا ؟

شعرت بقهر فظيع ، وبغربة قاتلة ، ربما يقبضون علي بتهمة القسوة ، وتنشر صورتي في الصحيفة تحت عنوان امرأة عربية تطرد قطتها في يوم بارد

لكن تفكيري لم يطل حتى رن الجرس للمرة الخامسة هدا اليوم ، ففكرت بعدم الرد ، لكن الرنين لم ينقطع ببلادة ، ففتحت الباب ، ورسمت على وجهي كل ما أستطيع من علامات البرود والاحتقار ، ففوجئت برؤية رجلي بوليس أمامي ، وبرقت في دهني الفكرة · سيقبضان علي ، وأخرج من البناية مشيعة بنظرات الكراهية من الجيران

ـ سيدتي ، لقد قلت إن القطة ليست لك ، نرجو أن توقعي على إقرار بأن لا علاقة لك بالقطة ، ولا حق لك بالمطالبة بها في المستقبل

ردت إلي الروح ، فتنفست الصعداء ، وأخدت القلم منها ممتنة ، ووقعت الورقة وأنا أحمد الله أن الأزمة قد انتهت بهدا الشكل

تهاويت على المقعد منهمكة أي يوم تعيس هدا ؟ وأي حياة بائسة سأقضيها هنا ؟ لم يبق إلا أن يعلقوا لي المشنقة

وتمنيت أن يعود سعيد بأقصى سرعة ، وتمنيت أن يأتي الأولاد لأتحدث إليهم ، لأقص عليهم القصة السخيفة المزعجة

لاأدري كم من الوقت استغرق استلقائي على المقعد ، لكني شعرت بأصوات تقترب من الباب وصوت القطة تموء

مؤكد أن ربا وسامر قد عادا من المدرسة ، وربما خطر لهم أن يدخلا القطة إلى البيت ، فيثبت بعد التحقيق أن القطة لنا ، وأنني وقعت إقرارا كاذبا

وفتحت الباب فرأيت رجلي بوليس جديدين يحملان قفصا ، فرشت في أسفله بطانية زهرية اللون وقد رقدت القطة فوقها

والتقت عيني بعيونها ، فابتسما ، وأحسست في ابتسامتها بسخرية ، ولاأدري لمادا تدكرت صورة جندي أمريكي يبتسم وهو يحمل سلة قد ملأها برءوس مقطوعة لثوار فيتناميين ، ورأيت الطائرات تغير على المخيمات ، ورأيت أطفالا يذبحون بالسكاكين ، وبلدوزرات تدوس على الأحياء والأشلاء

ورأيت رجالا تحصدهم النيران ، ونساء يتساقطن فوق الأولاد ، ورأيت شبابا بعمر الزهور ، وأطفالا بنقاوة الياسمين يفتحون صدورهم العارية لرصاص المتمدنين ، وأغلقت الباب بهدوء ، وبقلبي كان يشتعل الغضب □



من التراث

صاحب الخبر

العين الباصرة والأذن السامعة

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

كت أحسب أن صاحب البريد هو المتولي للأحبار في الدولة الإسلامية ، وأن ديوانه هو حهار التحدير المبكر للفتن والثورات التي تتفاعل تحت الرماد في أطراف البلاد بين الحين والآخر ، حتى وقفت على عدد من النصوص المدولة في بطون مصادر التراث تحعل من صنعة صاحب الأخبار عير متولي البريد ، فرسالة أبي يوسف القاضي لهارون الرشيد تورد « بلغني من ولاتك على البريد والأخبار في النواحي ـ إلخ ، والمأمون العباسي أعصه طيّ أصحاب البريد والأخبار أنباء الثورات التي عمت الدولة عندما عين موسى الرضا وليا لعهده ، وعياش بن القاسم ، متولي الجسرين ببغداد للمأمون ، وقد اختلف مع ابراهيم بن السندي بن شاهك ، حول أحقيته في عرض المجرمين وتأديبهم ، خاطب ابن السندي بقوله « إنما أنت صاحب خبر تكتب بما تسمع وما ترى ، وليس لك أن تتكلم في مجلسي وأمري ونهيي ، فإن أمسكت وإلا أمرت من يجر رحلك حتى يرمي بك في دجلة » ، فابن السندي كان صاحب خبر ، ليس له أن يمارس سلطات تنفيذية وفي سيرة أحمد بن طولون نتف



تشير إلى أن صاحب الخبر قد انهى إليه، مع أن ديوانه قد حفل بصاحب بريد

تلك النصوص وغيرها ، تجعلنا نذهب إلى أن طبيعة صنعة صاحب الخبر هي غير صنعة صاحب البريد ، وإن اتفقت معها من حيث الاهتمام وهو السعي للحصول على الأخبار وعرضها على الخليفة ، وتوكيدا للخصوصية الفارقة بين العملين ، فقد حرص الخلفاء والسلاطين على تضمين أوامرهم ومراسيمهم تلك الخصوصية ، حتى وإن جمع العملان لشخص واحد ، فالأمر الصادر من شرف الدولة البويهي إلى الحسن بن محمد بن نصر رسم بأن يتولى الحسن ديوان الخبر والبريد ، والمعتمد العباسي ولّى ابن خرداذبة الجغرافي والمؤرخ المعروف ، البريد والخبر بنواحي الجبل ، وأبو الحسن التي (ت ٣٠٤ هـ) ، كان صاحب الخبر والبريد في الديوان النادري وحين عرض صاحب آثار الأول وترتيب الدول للعملين ، أورد شروطا خاصة بمتولي البريد ، وأخرى لمتولي الأخبار ، ادراكاً منه للفوارق المتعلقة بكل واحد منهما

ويبدو أن الحاكم كان يعنى باختيار صاحب الخبر عناية عظيمة ، فيتوخى فيه الأمانة والفضيلة والفصاحة ، ويكون حسن الرأي ، وفيه لطف توصل وتحيل ، وعنده فكرة صالحة وقد أوصى المأمون صاحب ما وراء باب مصر « أن يعمل بما يجب لله عليه ، ولا يراقب أحدا غيره »

فصاحب الخبر والحالة هذه شخص ينيط به الحاكم أن يرفع إليه خبر جميع ما تقع عليه عينه أو يصل إلى سمعه ، ويكون للحاكم بمنزلة العيون الباصرة والآذان السامعة ، في حين أن صاحب البريد يتولى أمره بتنفيذ ما يصدر ، وتلقي ما يرد ، فالأول مكلف بتسقط الأخبار ، والثاني ينصب رقيبا على أكابر العمال ، وعلى أصحاب الأطراف في أرجاء الدولة

وجرت عادة أصحاب الأخبار على تلقطها من ألسنة المجتازين وأبناء السبيل من المسافرين والأطفال والتجار ، وعندهم ترسل وتلطف ودسائس من النساء والصبيان والغلمان والحراس والحمامات وأصحاب الحرف والبضائع

لقد بالغ سلاطين بني العباس في ترتيب أصحاب

واحة العربي

علامات ٥

قال الجاحظ : سألني أحدهم كتاباً بتوصية إلى صديق لي ، فكتبت له رقعة قلت فيها : « كتابي إليك مع من لا أعرفه ولا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذمك » . فرجع الرجل إليّ ، فقلت : كأنك قرأت الرقعة ؟ قال : نعم ، قلت : لا يضيرك ما فيها ، فإنه علامة لي إذا أردت العناية بشخص !

فقال : قطع الله يديك ورجليك ولعنك !

قلت : ما هذا ؟

قال : هذا علامة لي إذا أردت أن أشكر أحداً .



ضحكات عربية

أشعب

مر أشعب على قوم يتناولون طعامهم فقال سلام عليكم معشر اللئام . فرفعوا أبصارهم قائلين لا والله بل كرام

فقال اللهم اجعلهم من الصادقين ، واجعلني من الكاذبين . ثم مد يده في القصعة التي بين أيديهم وهو يقول ماذا تأكلون ؟

فقالوا نأكل سماً !

فحشا فمه وازدرد وهو يقول الحياة بعدكم حرام !

وأخذ يأكل حتى كاد يأتي على طعامهم . فقالوا له يا رجل هل عرفت أحداً منا ؟ فأشار أشعب بأصبعه إلى الطعام وقال عرفت هذا

ظرفاء العرب

■ أهدى ابراهيم المازني نسخة من كتابه إلى أحد أصدقائه ، وكان كلما التقيا يعتذر عن عدم قراءته . وذات يوم سأله المازني

- هل كنت تسبح في النيل أمس ؟
- لماذا ؟
- لقد وجدت نسخة من كتابي فيه

□□□

■ دُعي أحمد رامي إلى وليمة ، فأعجب بطبق « الدولة » بغير لحم ، فانصرف إليه ، وترك بقية الأصناف ، فقال له صديق كُل من الأصناف الأخرى ، فإنها أحسن ، هذه « دولة » كاذبة فرد عليه رامي . ولكني أصدقها

مــن القلــب

ضروري ؟

سأل الضابط المتطوع الجديد
أين تريد أن تخدم ؟
- في هيئة أركان الحرب
- هل أنت مجنون ؟
- لماذا ؟ وهل ذلك ضروري ؟

شرط

الموظف لمديره   ألم تعدني بزيادة راتبي بعد مضي عام ؟
- نعم بشرط أن لا تعصبني
- وهل أعصبتك في شيء ؟
- إنك تعصبني بطلبك هذا

قافلة

شكا رجل لطبيبه أنه عندما يحاول النوم لا يرى أمام عينيه غير قافلة طويلة جدا من الجمال المحملة
- وهل رأيت طبيبا نفسانيا ؟
- كلا ، جمالا محملة فقط

قمر الليل

المعلم   متى يبدو القمر أجمل ما يكون ؟
التلميذ   في الليل

في الصميم

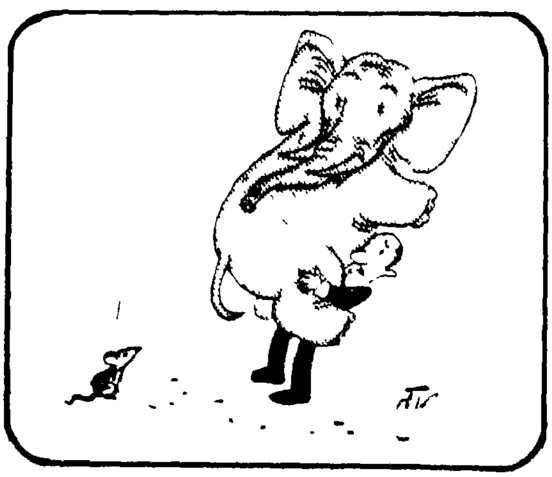
■ عندما يكون المرء شابا فإن الوقت مبكر للزواج ، وعندما يصبح متقدما في السن يكون قد فات الأوان
ديوجينس الكلبي

■ تعترف المرأة أنها على خطأ عندما تكون على صواب ، أكثر مما تعترف بأنها على خطأ عندما تكون مخطئة
ستيفن ليكوك

■ لم أمارس من الرياضة سوى رياضة المشي على قدمي في جنازات أصدقائي الذين كانوا يمارسون الرياضة
برناردشو

■ عندما يتزوج اثنان فإنهما يصبحان واحدا ، لكن المشكلة تكمن في تقرير أيهما سيكون هذا الواحد
هـ ل منكن

■ الفكر هو نقيض المال تماما ، فقدر ما يكون لنا منه ترابا نكتفي
بول ماسون



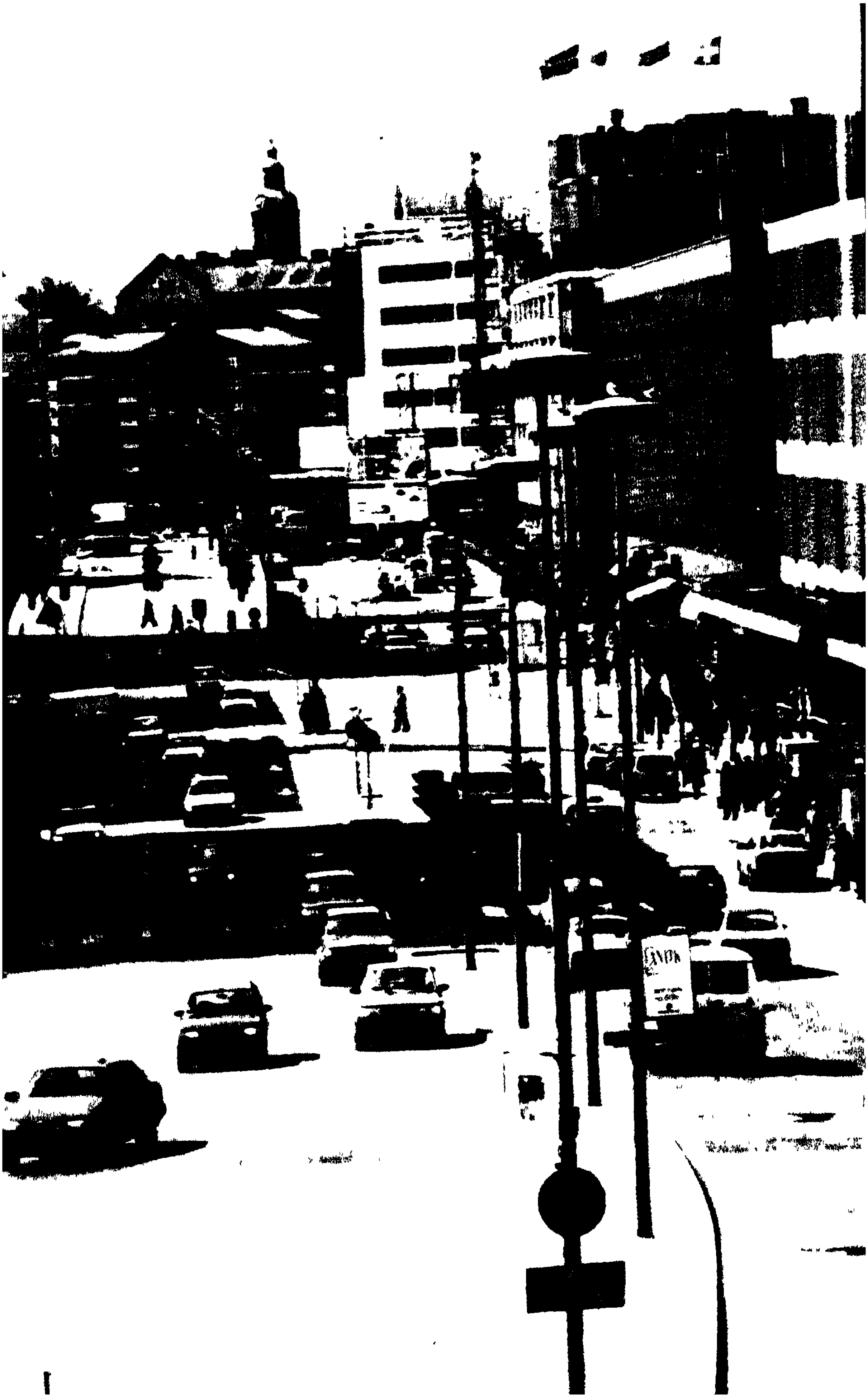
العربي
عيونك
على العالم

السويد

بلاد الشمس الباردة

استطلاع
الدكتور [illegible]
تصوير
[illegible]





في كل عام وفي الثلاثين من ابريل تحديدا يقيم السويديون احتفالات تعم البلاد ، فتمتد من مدينة مالمو في أقصى الجنوب لتصل إلى أقصى بقعة مأهولة في الشمال !

إنه عرس الأعراس ، وعيد الأعياد ، ذلك هو مقدم الربيع !

عند غروب شمس ذلك اليوم ، أو بعد الغروب بقليل ، تضرم النار في أكوام الحطب التي يعمل الناس على جمعها في الأيام الأواخر من ابريل ، لحرقها في هذه المناسبة ، مناسبة انتهاء الشتاء الطويل ، بظلامه الكئيب الثقيل ، وبرده الشديد المتصل . وما أن تتأجج النيران ، وتبدد بنورها ظلمات الليل ، حتى ينطلق الناس بفرح مكبوت ، كان الشتاء بعبوسه وتجهمه يحول بينه وبين أن يرتسم على الوجوه .

في أوبسالا ـ تلك المدينة الجامعية العريقة ـ كما في غيرها من المدن الجامعية يحتشد آلاف من الطلبة الشباب وهم يرتدون قبعات بيضاء ، متخذين منها علامة على تبدل الفصول ، يحتشد هذا الجمع الكبير ليستمع إلى أغان تقليدية ترحب بمقدم الربيع ، وتعلن أن الشتاء قد ولى ، وأن الشمس والصيف قد عادا ليملآ الأرض دفئا وحضرة بعد غياب طويل !

تعليل طريف

قلت لمحدثي « بينجت بيستروم » وهو كاتب وصحفي من مقاطعة يمتلاند :

× بم تعلل طقوس الاحتفال التي رأيناها ؟

ـ لها جذور شعبية قديمة ، تجري الآن مجرى الأسطورة . كان أجدادنا من السويديين يعتقدون أن الأرواح الشريرة والجنيات والساحرات هن اللائي يحجبن ضوء الشمس ودفئها ، ويعملن على أن يمتد الظلام وتطول الليالي الباردة ، فهن لايستطعن ممارسة السحر في الأزقة والشوارع الضيقة إلا في مثل تلك الأجواء الكئيبة ! وما حرق أكوام الحطب التي رأيناها إلا تبديدا للظلام الذي يكتنف الشتاء وتسود فيه الساحرات ، وحرقا لأرواحهن الشريرة ، وإيذانا ببدء الربيع !

× ألا يعني ترديد هذه الحكاية أنكم تفسحون المجال للأسطورة لكي تبرر بعضا من أفعالكم ؟

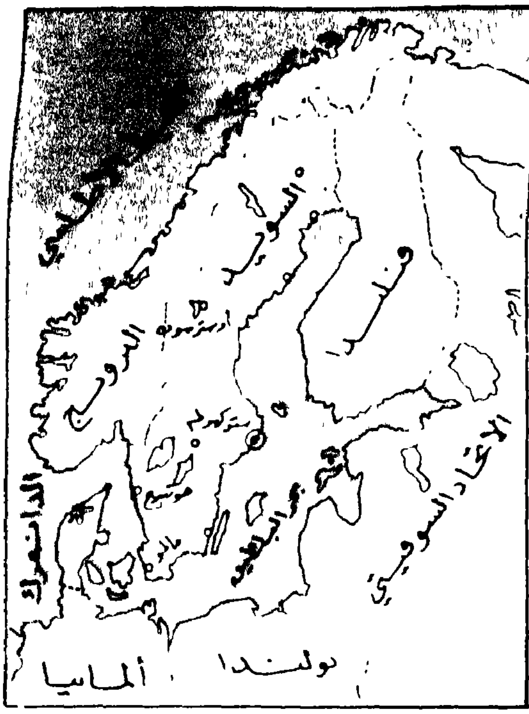
ـ كلا ، فنحن نؤمن بالعلم ، وننكر الخرافة ، لكنك تعلم أن الحكايات الشعبية نوع من التاريخ الذي تحفظه الذاكرة الاجتماعية ، وهي تسير جنبا إلى جنب مع التاريخ الرسمي المدون ، تفسر العادات والتقاليد وكل ما يعرف عن تفسيره المؤرخون !

التجارب الرائدة

إن مظاهر الاحتفال والسعادة هي أول مايشد انتباه الزائر في بلد لم تطأ قدماه أرضها من قبل . على أن السويد تحفل بالكثير من المظاهر التي تشد الانتباه وتلفت النظر . حين قدمنا في اول زيارة تقوم بها « العربي » الى هذا البلد كانت تحدونا أكثر من رغبة ، ويحثنا فضول لاسبيل إلى تجاوزه وكف علوائه ،

فالسويد عضو مهم في مجلس التعاون لدول الشمال الاسكندنافية ، ذلك وجه من أوجه اللقاء الوحدوي ، *أو التعاون الإقليمي* ، نجد له شبيها في وطننا العربي ممثلا بمجلس التعاون لدول الخليج العربية وهي ذات تجربة رائدة في التقدم الصناعي والتطور الحضاري في هذا القرن ، وكلا التجربتين تغري بالاستطلاع والتقصي ، إذ لازال الناس في الوطن العربي - وهم يلتمسون سبل التقدم والوحدة - ينظرون بكثير من الإعجاب إلى تجارب أمم استطاعت أن تنفض عن كاهلها غبار التخلف ، وآثار القرون ، وترتدي زي العصر بكل مايردان به هذا الزي من تقدم صناعي وتطور تقني ، وتخطيط علمي ، وتبلغ المدى المرموق في كل ذلك وقد كنا نذكر الصين واليابان وكوريا حين يعوزنا ضرب المثل ، وماكنا نعلم أن السويد تقف جنبا إلى جنب مع هذه الدول في سرعة تقدمها ، فضلا عن أنها تتفوق عليها في كثير من منجزات الحضارة المعاصرة.

لم يكن اسم السويد يتردد بيننا إلا في مناسبات معينة لعل اشهرها مناسبة توزيع جوائز نوبل في العلوم والآداب في ديسمبر من كل عام ولم نكن نعرف من رجالها الا افرادا قلائل كالكونت برنادوت الذي كان يعمل مراقبا للهدنة الدولية في فلسطين بعد انشاء الكيان الصهيوني وقد قتل غدرا في عام ١٩٤٨ ، والسكرتير العام السابق للامم المتحدة داغ همرشولد الذي اسقط الاستعماريون طائرته فوق ادغال الكونغو في عام ١٩٦١ ، والسفير جونار يارنج الذي كلفته الامم المتحدة القيام بدور الوسيط في الشرق الاوسط في اعقاب الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ ، وقبل كل هؤلاء وبعدهم الكاتب المسرحي العبقري اوجست ستريندبرج ولنا عذرنا فيما كنا نجهله من اخبار السويد ، فهي بلد محايد ، لايقترب من الشئون الدولية الا في حدود ضيقة وهي بلد بعيد ، يكاد يقترب من تخوم العالم عند قطبه الشمالي ، ثم هي بلد آمن مستقر ضمن حدوده وليس له أطماع إقليمية أو دولية ، ولا يخفى أن أكثر أسماء الدول ذكرا في نشرات الأخبار تلك التي تعاني



خارطة تبين السويد والاقطار والبحار المحيطة بها

من قلق واضطراب داخليين ، أو تلك التي لها أطماع إقليمية أو دولية ! على أن السويد أحدث في عقدي الستينيات والسبعينيات تطل على العالم بوجه يمثل خير ما حققته حضارة هذا القرن من تقدم صناعي ، ورقي حضاري ، ورخاء اقتصادي ، وبخاصة في مجال رعاية الانسان ، واحترام آدميته ، والحفاظ على كرامته وحقوقه ، والارتفاع به الى مستوى من العيش لايدانيها فيه أكثر بلدان العالم تقدما

عند التخوم الشمالية للعالم

تقع السويد في أقصى شمال أوروبا ، حتى أن الدائرة القطبية تخترق احدى مقاطعاتها الشمالية ، وهي مقاطعة لابلاند وعلى الرغم من طول فصل الشتاء فيها وبرودته فإن السويد لاتعد من البلدان المتجمدة كما هو الحال في آيسلاندا مثلا ، ويعود الفضل في ذلك إلى التيارات الهوائية الدافئة التي تهب عليها من المحيط الأطلسي

تغطي الغابات نصف مساحة السويد تقريبا ، وهي بلاد تكثر فيها الموارد المائية اذ يتوزع على أرضها ما لا يقل عن مائة الف بحيرة يتصل بعضها بالبعض













(أعلى - يمين) سوق « حالاريان » وهو من الأسواق المسقوفة في ستوكهولم ، حيث ينتقل الناس من محل تجاري إلى آخر وهم في أمن من الرياح الباردة والثلوج المتساقطة (إلى اليسار) نظرة تقصي إلى بعض أحياء مدينة ستوكهولم القديمة (أسفل - يمين) سوق الخضراوات حيث تعرض الفواكه والخضراوات عرضا أنيقا منها المحلي ومنها المستورد (أسفل - يسار) أحد الشوارع الضيقة في ستوكهولم القديمة ، حيث تتقابل النوافذ وتضيق الشوارع .













(أعلى - يمين) سوق «حالاريان» وهو من الأسواق المسقوفة في ستوكهولم، حيث ينتقل الناس من محل تجاري إلى آخر وهم في أمن من الرياح الباردة والثلوج المتساقطة (إلى اليسار) قنطرة تفضي إلى بعض أحياء مدينة ستوكهولم القديمة (أسفل - يمين) سوق الخضراوات حيث تعرض الفواكه والخضراوات عرضا أنيقا منها المحلي ومنها المستورد (أسفل - يسار) أحد الشوارع الضيقة في ستوكهولم القديمة، حيث تتقابل النوافذ وتضيق الشوارع.

الاخر بشبكة واسعة من القنوات ، فضلا عن أن في السويد أنهارا عديدة تغذيها مياه الثلوج الذائبة والقادمة من جبال المنطقة الشمالية الغربية

واسطة العقد

والسويد واسطة العقد فيما يعرف بمجلس التعاون لدول الشمال الاسكندنافية ، اذ يليها من الغرب النرويج ومن الشرق خليج بوتنيا وفنلندا ، ومن الجنوب الدنمارك وبحر البلطيق وتمتاز السويد بامتدادها طوليا فتبلغ المسافة بين شمالها وجنوبها حوالى ١٦٠٠ كم ، وهي في معظم اراضيها مطلة على البحر ، وذلك يعني أن لها سواحل ممتدة تتناثر بالقرب منها آلاف الجزر ويعني أيضا أن مناخها ومعدل تساقط الثلوج يختلف باختلاف المكان قربا من الدائرة القطبية الشمالية أو بعدا عنها

يبلغ عدد سكان السويد ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة فيهم أقلية سكانية صغيرة لا يتجاوز تعدادها ١٥ الف نسمة تدعى اللاب وتقطن في شمال السويد ، وفيهم حوالى نصف مليون مهاجر جاءوا إلى السويد في الستينيات والسبعينيات طلبا لفرص العمل (١) ، على أن نسبة كبيرة من هؤلاء المهاجرين من فنلندا وهم أناس لا يجدون صعوبة في التأقلم مع السويديين لعلاقات خاصة تربطهم ووشائج كثيرة مشتركة أما الاكثرية السويدية من السكان فهم احفاد تلك القبائل الجرمانية التي استقرت في البلاد الاسكندنافية منذ آلاف السنين واللغة السويدية ـ وهي فرع من اللغات الجرمانية ايضا ـ هي اللغة الوطنية التي يتكلم بها الناس هنا وهي اللغة الرسمية في التعليم ودوائر الدولة والمؤسسات

السويد رابع دولة في اوروبا من حيث المساحة (٤٤٩٩٦٤ كم^2) تقريبا ، أما عدد سكانها فقليل نسبياً اذا ما قورن بمساحتها الواسعة وتستوعب المدن الرئيسية الثلاث حوالى نصف السكان وهذه المدن هي ستوكهولم وهي العاصمة والمركز التجاري المهم في شمال اوروبا وجوتنبورج وهي مدينة صناعية ، ومالمو الواقعة في الجنوب

لعل من الظواهر المناخية الفريدة التي يمتاز بها شمال السويد ظهور الشمس في منتصف الليل في النصف الثاني من حزيران/ يونيو بل ان الشمس لا تغيب في تلك الاصقاع لأسابيع عديدة من شهري يونيو ويوليو أما في الشتاء فقد تختفي الشمس ولا تراها الاعين لأشهر عديدة ايضا ، وان ظهر بصيص من الضوء عند منتصف النهار !

قلت للسيدة كارين نيما نسون التي رافقتني وزميلي المصور في جولة زرنا خلالها بعض معالم ستوكهولم الجميلة ، وقد كان الهواء باردا ودرجات الحرارة تتدنى لتقترب من الصفر

× لاشك أن لمثل هذا الجو القاسي تأثيرا على الناس، على أمزجتهم وعلى عاداتهم ، وعلى طرائق عيشهم ؟

ـ نعم ، للمناخ مثل هذا التأثير الملحوظ على حياة الناس وأمزجتهم هنا ، ففي الأشهر الطويلة التي يسود فيها الشتاء البارد ، وتحتجب الشمس ، ترى الناس أكثر استعدادا للكآبة وسوء المزاج ، في حين تراهم على خير حال من السعادة والبشر حين تشرق الشمس ويسود الدفء ، لذلك تجد السويد تعيش أجمل أيامها في الصيف من كل عام ولست أبالغ إن قلت لك إن بعضا من حالات الانتحار يعزى بعض أسبابها إلى كآبة الجو والمنظر في شتائنا الطويل

× هل تعانون من تفاوت حاد في درجات الحرارة صيفا وشتاء ؟

ـ أجل ، فدرجات الحرارة تتراوح بين ٣٠ درجة مئوية صيفا و ٣٠ درجة تحت الصفر ، أو دون ذلك ، شتاء !

وأبدت السيدة نيمانسون رغبة في أن تضيف ملاحظة أخرى

ـ أنت تدرك بطبيعة الحال أن المرء يتكيف مع البيئة التي يعيش فيها ، وهذا هو شأننا مع بيئتنا القاسية هذه ، لذلك لم يفتّ البرد عضدنا ، بل كنا قادرين على إقامة نهضتنا الحديثة في بلدنا على الرغم من كل شيء ولقد أخذنا الحيطة ، وأعددنا العدة ، فما أن تدخل وتغلق الباب وراءك حتى تشعر بالدفء في

المنازل والمصانع والمدارس والمؤسسات والمتاجر ، بل إننا أقمنا الأسواق المسقوفة التي تسمح بدخول الضوء دون سواه من العوامل الجوية

ذهبت بنا السيدة نيمانسون إلى سوق طويل ذي سقوف يدعى « جالاريان » في قلب المدينة . فيه عشرات المحلات التجارية الأنيقة التي تعج بالبضائع والناس ، وما هذا السوق إلا واحدا من أسواق عديدة شيدت على غراره ، هذا فضلا عن المؤسسات التجارية الكبرى التي تحتل الواحدة منها مبنى ضخما ، يتألف من عدة طوابق ، ويحتوي على كل شيء تقريبا ، مما يغني مرتاديه عن التجول في الشوارع المكشوفة ، والانتقال من محل إلى آخر

والسويد لاتملك نفطا ، لكنها تحتاج منه إلى كميات كبيرة لتوليد الطاقة وللصناعة ، وتحتاج إليه وقودا للسيارات وللتدفئة أيضا ولو أقامت أنظمة التدفئة على حرق هذه المادة الغالية الثمن دون التفكير في وسائل أخرى لاستنفدت كثيرا من مواردها لذا لجأت إلى طريقة أخرى في التدفئة، لا تجعلها تبدد من الوقود للتدفئة إلا القليل ، إنها طريقة العزل الحراري نعم ، إن معظم الأبنية الضخمة التي تراها تأخذ بنظام العزل الحراري في التدفئة

كنت استرق النظر بين الحين والاخر عبر نافذة السيارة الزجاجية المغلقة فأرى نوافذ مغلقة في ذلك اليوم البارد ، والمارة يسيرون على الأرصفة بخطى سريعة ، وهم يمشون منحنين إلى الأمام ، كأن أيد خفية تدفعهم إلى السير دفعا الحركة دائبة مسرعة ، والملامح عابسة جادة ، حتى أغصان الأشجار تنحني ولا تشرئب وقد تجردت من أوراقها الخضراء

لم أذهب إلى ايطاليا ولم أشاهد البندقية ، لكنني سمعت أنها تقوم على جزر صغيرة متناثرة وسط البحر . وهذا هو ما شاهدناه في ستوكهولم

إن كل جسر فيها يربط جزيرة بأخرى ، فإن ستوكهولم تقوم على جزر ، منها الكبيرة التي تضم أحياء واسعة ، ومنها الصغيرة التي تتسع لمبنى واحد فقط وليس البحر هو الذي يفصل بين هذه الجزر ، بل بحيرات ذات مياه عذبة وأخرى مالحة تتصل بالبحر ، أما عدد الجسور فهو أكثر من عشرين جسرا وليست كل الجزر منبسطة ، فإن البعض منها يتكون من تل واحد أو أكثر،اما بندقية الشمال

السنوات العجاف

إن من يقرأ في أدبيات السويد الاقتصادية يجد ان السنوات العجاف الممتدة من عام ١٨٦٠ وحتى عام ١٩١٠ قد شهدت ضائقة في الاقتصاد ، وفقرا في المعاش لامثيل لهما، وإنها قد تسببت في نوعين من الهجرة

هجرة من البلاد الى الخارج حيث جاوز المهاجرون مليون نسمة استقطبت الولايات المتحدة اكثرهم

وهجرة من الريف الى المدن الرئيسية الثلاث ستوكهولم وجوتنبرج ومالمو وقد ترتبت على هاتين الهجرتين نتائج خطيرة فالمهاجرون دائما اناس قلقون تجاوز طموحاتهم حدود الممكن والمتاح في أوطانهم ، وهم فضلا عن ذلك قوة عمل قادرة ، لذلك فان هجرتهم خسارة لتلك الاوطان وتبديد لامكاناتها البشرية وطاقات العمل فيها ثم ان انتقال المهاجرين من الريف الى المدن يضيف اعباء جديدة على تلك المدن ويفقد الريف قواه الانتاجية يمكننا القول انه اذا وجد الفقر وجد التخلف ، فالعلاقة بينهما جدلية

السؤال الذي يمكن ان نطرحه الان هو كيف استطاعت السويد في مدى نصف قرن تقريبا أن تردم الهوة السحيقة بين الفقر والتخلف ـ اللذين تميزت بهما العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين ـ وبين التقدم الحضاري الكبير والرفاهية الاقتصادية اللذين صارا سمة بارزة تمتاز بها السويد على كثير من بلدان العالم المعاصر ؟ الإجابة عن ذلك تكاد تكون متماثلة لدى كل من تتوجه اليه بالسؤال واليك ما يقوله رجل الاعمال الدكتور جيرو هيننج

السويد كما تعلم بلد محايد ، وهي عضو في مجلس التعاون لدول الشمال الاسكندنافية ولقد مضى على السويد أكثر من ١٧٠ عاما دون أن تدخل في

الاخر بشبكة واسعة من القنوات . فضلا عن أن في السويد أنهارا عديدة تغذيها مياه الثلوج الذائبة والقادمة من جبال المنطقة الشمالية الغربية

واسطة العقد

والسويد واسطة العقد فيما يعرف بمجلس التعاون لدول الشمال الاسكندنافية ، اذ يليها من الغرب النرويج ومن الشرق خليج بوتنيا وفنلندا ، ومن الجنوب الدنمارك وبحر البلطيق وتمتاز السويد بامتدادها طوليا فتبلغ المسافة بين شمالها وجنوبها حوالى ١٦٠٠ كم ، وهي في معظم اراضيها مطلة على البحر ، وذلك يعني أن لها سواحل ممتدة تتناثر بالقرب منها آلاف الجزر ويعني أيضا أن مناخها ومعدل تساقط الثلوج يختلف باختلاف المكان قربا من الدائرة القطبية الشمالية أو بعدا عنها

يبلغ عدد سكان السويد ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة فيهم أقلية سكانية صغيرة لا يتجاوز تعدادها ١٥ الف نسمة تدعى اللاب وتقطن في شمال السويد ، وفيهم حوالى نصف مليون مهاجر جاءوا إلى السويد في الستينيات والسبعينيات طلبا لفرص العمل (١) ، على أن نسبة كبيرة من هؤلاء المهاجرين من فنلندا وهم أناس لا يجدون صعوبة في التأقلم مع السويديين لعلاقات خاصة تربطهم ووشائج كثيرة مشتركة أما الاكثرية السويدية من السكان فهم احفاد تلك القبائل الجرمانية التي استقرت في البلاد الاسكندنافية منذ آلاف السنين واللغة السويدية ـ وهي فرع من اللغات الجرمانية ايضا ـ هي اللغة الوطنية التي يتكلم بها الناس هنا وهي اللغة الرسمية في التعليم ودوائر الدولة والمؤسسات

السويد رابع دولة في اوروبا من حيث المساحة (٤٤٩٩٦٤ كم^2) تقريبا ، أما عدد سكانها فقليل نسبياً اذا ما قورن بمساحتها الواسعة وتستوعب المدن الرئيسية الثلاث حوالى نصف السكان وهذه المدن هي ستوكهولم وهي العاصمة والمركز التجاري المهم في شمال اوروبا وجوتنبورج وهي مدينة صناعية ، ومالمو الواقعة في الجنوب

لعل من الظواهر المناخية الفريدة التي يمتاز بها شمال السويد ظهور الشمس في منتصف الليل في النصف الثاني من حزيران/ يونيو بل ان الشمس لا تغيب في تلك الاصقاع لأسابيع عديدة من شهري يونيو ويوليو أما في الشتاء فقد تختفي الشمس ولا تراها الاعين لأشهر عديدة ايضا ، وان ظهر بصيص من الضوء عند منتصف النهار !

قلت للسيدة كارين نيمانسون التي رافقتني وزميلي المصور في جولة زرنا خلالها بعض معالم ستوكهولم الجميلة ، وقد كان الهواء باردا ودرجات الحرارة تدنو لتقترب من الصفر

× لاشك أن لمثل هذا الجو القاسي تأثيرا على الناس، على أمزجتهم وعلى عاداتهم ، وعلى طرائق عيشهم ؟

ـ نعم ، للمناخ مثل هذا التأثير الملحوظ على حياة الناس وأمزجتهم هنا ، ففي الأشهر الطويلة التي يسود فيها الشتاء البارد ، وتحتجب الشمس ، ترى الناس أكثر استعدادا للكآبة وسوء المزاج ، في حين تراهم على خير حال من السعادة والبشر حين تشرق الشمس ويسود الدفء ، لذلك تجد السويد تعيش أجمل أيامها في الصيف من كل عام ولست أبالغ إن قلت لك إن بعضا من حالات الانتحار يعزى بعض أسبابها إلى كآبة الجو والمنظر في شتائنا الطويل

× هل تعانون من تفاوت حاد في درجات الحرارة صيفا وشتاء ؟

ـ أجل ، فدرجات الحرارة تتراوح بين ٣٠ درجة مئوية صيفا و ٣٠ درجة تحت الصفر ، أو دون ذلك ، شتاء !

وأبدت السيدة نيمانسون رغبة في أن تضيف ملاحظة أخرى

ـ أنت تدرك بطبيعة الحال أن المرء يتكيف مع البيئة التي يعيش فيها ، وهذا هو شأننا مع بيئتنا القاسية هذه ، لذلك لم يفتّ البرد عضدنا ، بل كنا قادرين على إقامة نهضتنا الحديثة في بلدنا على الرغم من كل شيء ولقد أخذنا الحيطة ، وأعددنا العدة ، فما أن تدخل وتغلق الباب وراءك حتى تشعر بالدفء في

المنازل والمصانع والمدارس والمؤسسات والمتاجر ، بل إننا أقمنا الأسواق المسقوفة التي تسمح بدخول الضوء دون سواه من العوامل الجوية

ذهبت بنا السيدة نيمانسون إلى سوق طويل ذي سقوف يدعى « جالاريان » في قلب المدينة . فيه عشرات المحلات التجارية الأنيقة التي تعج بالبضائع والناس ، وما هذا السوق إلا واحدا من أسواق عديدة شيدت على غراره ، هذا فضلا عن المؤسسات التجارية الكبرى التي تحتل الواحدة منها مبنى ضخما ، يتألف من عدة طوابق ، ويحتوي على كل شيء تقريبا ، مما يغني مرتاديه عن التجول في الشوارع المكشوفة ، والانتقال من محل إلى آخر

والسويد لاتملك نفطا ، لكنها تحتاج منه إلى كميات كبيرة لتوليد الطاقة وللصناعة ، وتحتاج إليه وقودا للسيارات وللتدفئة أيضا ولو أقامت أنظمة التدفئة على حرق هذه المادة العالية الثمن دون التفكير في وسائل أخرى لاستنفدت كثيرا من مواردها لذا لجأت إلى طريقة أخرى في التدفئة، لا تجعلها تبدد من الوقود للتدفئة إلا القليل ، إنها طريقة العزل الحراري نعم ، إن معظم الأبنية الضخمة التي تراها تأخذ بنظام العزل الحراري في التدفئة

كنت استرق النظر بين الحين والآخر عبر نافذة السيارة الزجاجية المغلقة فأرى نوافذ مغلقة في ذلك اليوم البارد ، والمارة يسيرون على الأرصفة بخطى سريعة ، وهم يمشون منحنين إلى الأمام ، كأن أيد خفية تدفعهم إلى السير دفعا الحركة دائبة مسرعة ، والملامح عابسة جادة ، حتى أغصان الأشجار تنحني ولا تشرئب وقد تجردت من أوراقها الخضراء

لم أذهب إلى ايطاليا ولم أشاهد البندقية ، لكنني سمعت أنها تقوم على جزر صغيرة متناثرة وسط البحر . وهذا هو ما شاهدناه في ستوكهولم

إن كل جسر فيها يربط جزيرة بأخرى ، فإن ستوكهولم تقوم على جزر ، منها الكبيرة التي تضم أحياء واسعة ، ومنها الصغيرة التي تتسع لمبنى واحد فقط وليس البحر هو الذي يفصل بين هذه الجزر ، بل بحيرات ذات مياه عذبة وأخرى مالحة تتصل بالبحر ، أما عدد الجسور فهو أكثر من عشرين جسرا وليست كل الجزر منبسطة ، فإن البعض منها يتكون من تل واحد أو أكثر، أما بندقية الشمال

السنوات العجاف

إن من يقرأ في أدبيات السويد الاقتصادية يجد ان السنوات العجاف الممتدة من عام ١٨٦٠ وحتى عام ١٩١٠ قد شهدت ضائقة في الاقتصاد ، وفقرا في المعاش لامثيل لهما، وإنها قد تسببت في نوعين من الهجرة

هجرة من البلاد الى الخارج حيث جاوز المهاجرون مليون نسمة استقطبت الولايات المتحدة اكثرهم

وهجرة من الريف الى المدن الرئيسية الثلاث ستوكهولم وجوتنبرج ومالمو وقد ترتبت على هاتين الهجرتين نتائج خطيرة فالمهاجرون دائما اناس قلقون تجاوز طموحاتهم حدود الممكن والمتاح في أوطانهم ، وهم فضلا عن ذلك قوة عمل قادرة ، لذلك فان هجرتهم خسارة لتلك الاوطان وتبديد لامكاناتها البشرية وطاقات العمل فيها ثم ان انتقال المهاجرين من الريف الى المدن يضيف اعباء جديدة على تلك المدن ويفقد الريف قواه الانتاجية يمكننا القول انه اذا وجد الفقر وجد التخلف ، فالعلاقة بينهما جدلية

السؤال الذي يمكن ان نطرحه الان هو كيف استطاعت السويد في مدى نصف قرن تقريبا أن تردم الهوة السحيقة بين الفقر والتخلف ـ اللذين تميزت بهما العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين ـ وبين التقدم الحضاري الكبير والرفاهية الاقتصادية اللذين صارا سمة بارزة تمتاز بها السويد على كثير من بلدان العالم المعاصر ؟ الإجابة عن ذلك تكاد تكون متماثلة لدى كل من تتوجه اليه بالسؤال واليك ما يقوله رجل الاعمال الدكتور جيرو هيننج

السويد كما تعلم بلد محايد ، وهي عضو في مجلس التعاون لدول الشمال الاسكندنافية ولقد مضى على السويد أكثر من ١٧٠ عاما دون أن تدخل في

الاخر بشبكة واسعة من القنوات ، فضلا عن أن في السويد أنهارا عديدة تغذيها مياه الثلوج الذائبة والقادمة من جبال المنطقة الشمالية الغربية .

واسطة العقد

والسويد واسطة العقد فيما يعرف بمجلس التعاون لدول الشمال الاسكندنافية ، اذ يليها من الغرب النرويج ومن الشرق خليج بوتنيا وفنلندا ، ومن الجنوب الدنمارك وبحر البلطيق . وتمتاز السويد بامتدادها طوليا فتبلغ المسافة بين شمالها وجنوبها حوالى ١٦٠٠ كم ، وهي في معظم اراضيها مطلة على البحر ، وذلك يعني أن لها سواحل ممتدة تتناثر بالقرب منها آلاف الجزر . ويعني أيضا أن مناخها ومعدل تساقط الثلوج يختلف باختلاف المكان قربا من الدائرة القطبية الشمالية أو بعدا عنها .

يبلغ عدد سكان السويد ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة فيهم أقلية سكانية صغيرة لا يتجاوز تعدادها ١٥ الف نسمة تدعى اللاب وتقطن في شمال السويد ، وفيهم حوالى نصف مليون مهاجر جاءوا إلى السويد في الستينيات والسبعينيات طلبا لفرص العمل (١) ، على أن نسبة كبيرة من هؤلاء المهاجرين من فنلندا وهم أناس لا يجدون صعوبة في التأقلم مع السويديين لعلاقات خاصة تربطهم ووشائج كثيرة مشتركة . أما الاكثرية السويدية من السكان فهم احفاد تلك القبائل الجرمانية التي استقرت في البلاد الاسكندنافية منذ آلاف السنين .

واللغة السويدية ـ وهي فرع من اللغات الجرمانية ايضا ـ هي اللغة الوطنية التي يتكلم بها الناس هنا وهي اللغة الرسمية في التعليم ودوائر الدولة والمؤسسات .

السويد رابع دولة في اوروبا من حيث المساحة (٤٤٩٩٦٤ كم٢) تقريبا ، أما عدد سكانها فقليل نسبياً اذا ما قورن بمساحتها الواسعة وتستوعب المدن الرئيسية الثلاث حوالى نصف السكان وهذه المدن هي ستوكهولم وهي العاصمة والمركز التجاري المهم

لعل من الظواهر
شمال السويد ظهو
النصف الثاني من ـ
لا تغيب في تلك الا
يونيو ويوليو . أما
ولا تراها الاعين لأ
بصيص من الضوء ع
قلت للسيدة كاري
المصور في جولة زر
الجميلة ، وقد كان ا
تتدنى لتقترب من الص
× لاشك أن لمثل
الناس، على أمزجتهم
عيشهم ؟

ـ نعم ، للمناخ مثل
الناس وأمزجتهم هنا
يسود فيها الشتاء البار
الناس أكثر استعدادا ل
تراهم على خير حال م
الشمس ويسود الدفء
أجل أيامها في الصيف
قلت لك إن بعضا من
أسبابها إلى كآبة الجو وا
× هل تعانون من تف
صيفا وشتاء ؟

ـ أجل ، فدرجات ا
مئوية صيفا و ٣٠ درج
ذلك ، شتاء !
وأبدت السيدة نيما
ملاحظة أخرى :
ـ أنت تدرك بطبيعة ا
التي يعيش فيها ، وهذا
هذه ، لذلك لم يفتَ البر
على إقامة نهضتنا الحديثة

الاخر بشبكة واسعة من القنوات ، فضلا عن أن في السويد أنهارا عديدة تغذيها مياه الثلوج الذائبة والقادمة من جبال المنطقة الشمالية الغربية

واسطة العقد

والسويد واسطة العقد فيما يعرف بمجلس التعاون لدول الشمال الاسكندنافية ، اذ يليها من الغرب النرويج ومن الشرق خليج بوتنيا وفنلندا ، ومن الجنوب الدنمارك وبحر البلطيق وتمتاز السويد بامتدادها طوليا فتبلغ المسافة بين شمالها وجنوبها حوالى ١٦٠٠ كم ، وهى في معظم اراضيها مطلة على البحر ، وذلك يعنى أن لها سواحل ممتدة تتناثر بالقرب منها آلاف الجزر ويعنى أيضا أن مناخها ومعدل تساقط الثلوج يختلف باختلاف المكان قربا من الدائرة القطبية الشمالية أو بعدا عنها

يبلغ عدد سكان السويد ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة فيهم أقلية سكانية صغيرة لا يتجاوز تعدادها ١٥ الف نسمة تدعى اللاب وتقطن في شمال السويد ، وفيهم حوالى نصف مليون مهاجر جاءوا إلى السويد في الستينيات والسبعينيات طلبا لفرص العمل (١) ، على أن نسبة كبيرة من هؤلاء المهاجرين من فنلندا وهم أناس لا يجدون صعوبة في التأقلم مع السويديين لعلاقات خاصة تربطهم ووشائج كثيرة مشتركة أما الاكثرية السويدية من السكان فهم احفاد تلك القبائل الجرمانية التى استقرت في البلاد الاسكندنافية منذ آلاف السنين واللغة السويدية ـ وهي فرع من اللغات الجرمانية ايضا ـ هي اللغة الوطنية التى يتكلم بها الناس هنا وهى اللغة الرسمية في التعليم ودوائر الدولة والمؤسسات

السويد رابع دولة في اوروبا من حيث المساحة (٤٤٩٩٦٤ كم٢) تقريبا ، أما عدد سكانها فقليل نسبياً اذا ما قورن بمساحتها الواسعة وتستوعب المدن الرئيسية الثلاث حوالى نصف السكان وهذه المدن هي ستوكهولم وهى العاصمة والمركز التجاري المهم في شمال اوروبا وجوتنبورج وهى مدينة صناعية ، ومالمو الواقعة في الجنوب

لعل من الظواهر المناخية الفريدة التى يمتاز بها شمال السويد ظهور الشمس في منتصف الليل في النصف الثانى من حزيران/ يونيو بل ان الشمس لا تغيب في تلك الاصقاع لأسابيع عديدة من شهرى يونيو ويوليو أما في الشتاء فقد تختفى الشمس ولا تراها الاعين لأشهر عديدة ايضا ، وان ظهر بصيص من الضوء عند منتصف النهار !

قلت للسيدة كارين نيمانسون التى رافقتنى وزميلى المصور في جولة زرنا خلالها بعض معالم ستوكهولم الجميلة ، وقد كان الهواء باردا ودرجات الحرارة تتدنى لتقترب من الصفر

× لاشك أن لمثل هذا الجو القاسى تأثيرا على الناس، على أمزجتهم وعلى عاداتهم ، وعلى طرائق عيشهم ؟

ـ نعم ، للمناخ مثل هذا التأثير الملحوظ على حياة الناس وأمزجتهم هنا ، ففي الأشهر الطويلة التى يسود فيها الشتاء البارد ، وتحتجب الشمس ، ترى الناس أكثر استعدادا للكآبة وسوء المزاج ، في حين تراهم على خير حال من السعادة والبشر حين تشرق الشمس ويسود الدفء ، لذلك تجد السويد تعيش أجمل أيامها في الصيف من كل عام ولست أبالغ إن قلت لك إن بعضا من حالات الانتحار يعزى بعض أسبابها إلى كآبة الجو والمنظر في شتائنا الطويل

× هل تعانون من تفاوت حاد في درجات الحرارة صيفا وشتاء ؟

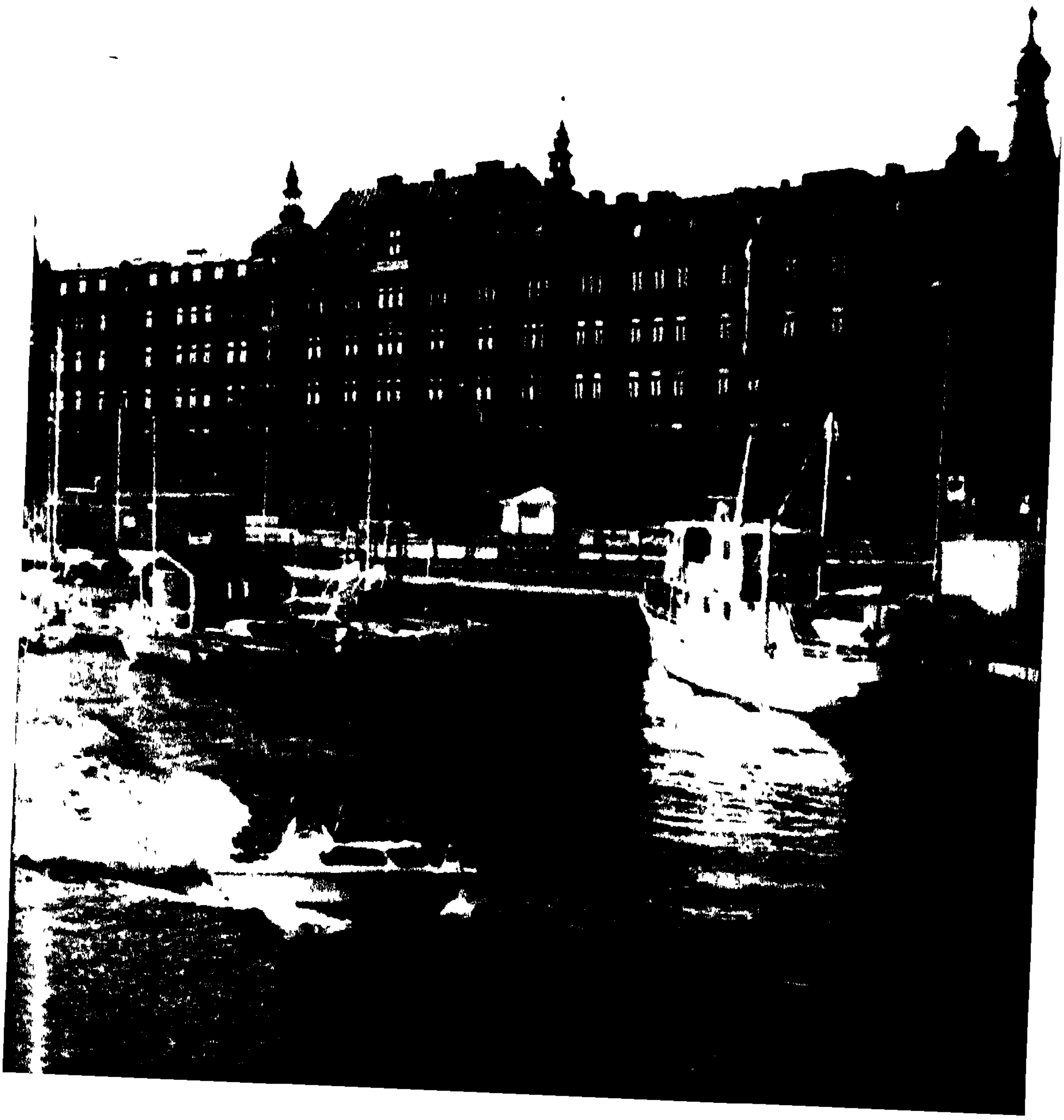
ـ أجل ، فدرجات الحرارة تتراوح بين ٣٠ درجة مئوية صيفا و ٣٠ درجة تحت الصفر ، أو دون ذلك ، شتاء !

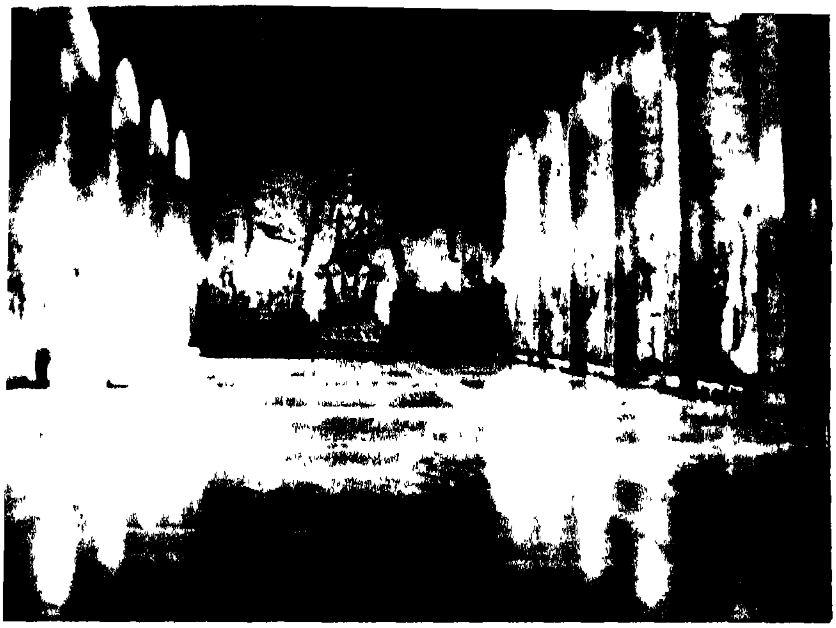
وأبدت السيدة نيمانسون رغبة في أن تضيف ملاحظة أخرى

ـ أنت تدرك بطبيعة الحال أن المرء يتكيف مع البيئة التى يعيش فيها ، وهذا هو شأننا مع بيئتنا القاسية هذه ، لذلك لم يفتّ البرد عضدنا ، بل كنا قادرين على إقامة نهضتنا الحديثة في بلدنا على الرغم من كل شيء ولقد أخذنا الحيطة ، وأعددنا العدة ، فما أن تدخل وتغلق الباب وراءك حتى تشعر بالدفء في



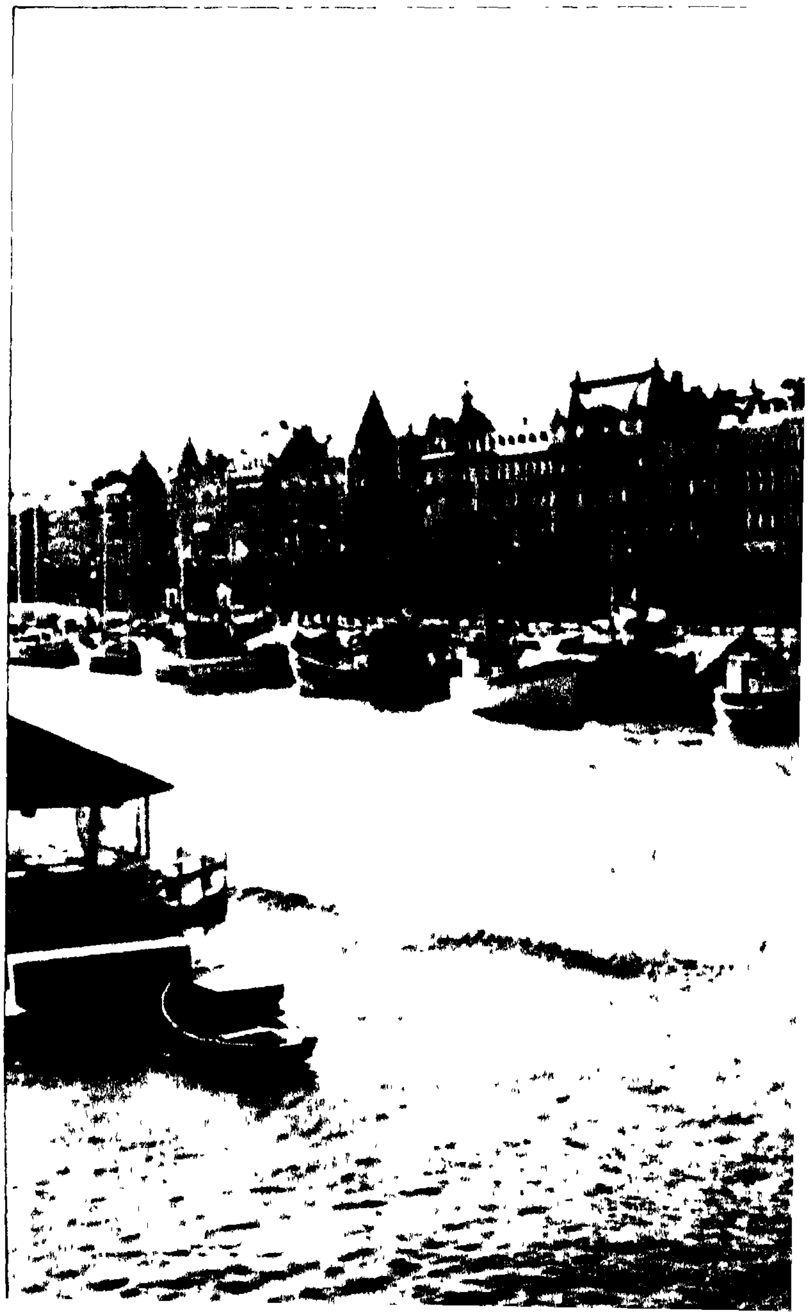








(يسار و اليمين) مدينة
ستوكهولم احدى المدن الاكثر
تمدناً ونظافة في اسكندنافيا،
فهي تتكون من جزر منها
الكبيرة ومنها الصغيرة، لكن
الفرق الوحيد هو ان جزر
ستوكهولم محاطة بمياه
البحيرات العذبة لا تمت
بصلة الى مياه البحر المالحة في
المدينة. وهذا ما يجعل
سطح مياه واحدة من
البحيرات الكبيرة في المدينة
(اعلى الى اليمين) يتم
تنظيف جزء من سطح
خشبي، في ان تشرق
الشمس حتى يقصد الناس
الحديقة، ويجلسون حولها
يتمتعون بالاستمتاع
بشيء من الدفء. (في
الوسط) مسرح الملاهي في
ستوكهولم (اعلى الى
اليسار)



حرب ، وكان لذلك أثره الذي لا ينكر في الحفاظ على ثروات بلادنا وتجنبنا للدمار الذي أحاق بغيرنا ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تصطلي بنار الحربين العالميتين الأولى والثانية ، كنا نحن في منأى عن أخطارها ، وفي الوقت الذي كانت فيه مصانع أوروبا تلقى الدمار والخراب ، كانت مصانعنا تتطور وتزدهر ، لتلبي حاجات البلدان المتورطة في الحرب فالحياد والسلام إذن عاملان رئيسيان من عوامل النهضة الشاملة التى أنجزناها

الاختيار السليم

إن المفاضلة بين المجتمع الزراعي والمجتمع الصناعي مفاضلة مغلوطة مضللة ، وليس من الحكمة ترجيح أحد المجتمعين على الاخر ، فخير البلدان هو ذلك البلد الذي يمتلك مقومات النهضة الزراعية والصناعية معا أما إذا لم يكن يمتلكهما كليهما فعليه أن يدرك إمكانياته الحقيقية ، وأن يختار منها ما يتلاءم وبيئته بما فيها المناخ والموارد الطبيعية أما نحن فقد اخترنا منذ وقت مبكر ، اخترنا أن نجعل من بلدنا بلدا صناعيا ، علما بأن ٢٥٪ من السكان كانوا يعملون في الزراعة في القرن الماضي ، وليس ذلك عزوفا عن الزراعة ، بل لأننا لا نملك من مقومات الزراعة ما يجعلنا نعول عليها في مستقبلنا ، فالثلوج تغطى مساحات واسعة من أراضينا ، وكذلك الغابات والبحيرات ، فلا يبقى من الأرض ما يتيح لنا أن نقيم عليه نهضة حقيقية ، في حين أن لدينا مقومات النهضة الصناعية

كنا نعول على مادتين أوليتين أساسيتين تدخلان في بناء المصانع والمكائن إضافة إلى أهميتهما في انشاء البيوت السكنية هما الحديد والخشب ولقد ازدهرت صناعة الحديد والصلب والصناعات التى تقوم على منتجات الغابات في القرن الماضي ومطلع هذا القرن بفضل التقدم الذي طرأ على طرق الانتاج والأساليب الكيميائية المستخدمة في تحويل الالياف الخشبية الى عجينة ورقية

ولا يكفى توفر الموارد الطبيعية لإقامة حضارة صناعية بل ينقصها ما يمكننا أن نسميه عصب الصناعة أو عمودها الفقرى وأعنى به الطاقة ليس في السويد نفط ، ولكنها تملك ثروة مائية هائلة ان عددا كبيرا من الانهار يتدفق خلال الجبال في شمال غرب السويد مخترقا الغابات في طريقه شرقا الى بحر البلطيق ولقد كان لهذه الانهار أهمية بالغة في تزويد السويد بالطاقة الكهربائية التى كان لها شأن كبير في التطور الصناعي

وهناك عامل انسان ذو صلة بطبيعة الحياة في السويد لا يقل تأثيره في التطور الذي شهده ذلك البلد عن العوامل المادية التى تقدم ذكرها . الا وهو السماحة والإيمان بالحرية ، وهما جوهر الديمقراطية فالديمقراطية ليست شعارا ينادي به الدعاة ، بل هي ايمان عميق بحرية الانسان وكرامته في الفكر العام ، وفي السلوك الشخصى على السواء انه حر في علاقته بالآخر ، وبالمجتمع ، وبالدولة ـ ويمثل تلك السماحة في جانبها الاقتصادى التعايش الفريد بين نموذجين اقتصاديين مختلفين الاشتراكية والرأسمالية فالحزب الاشتراكى الديمقراطي يحكم البلاد منذ عام ١٩٣٢ إما بمفرده ، أو بالتحالف مع احزاب يسارية أخرى على أن التعايش السلمى هو السمة المميزة لقوتي العمل والانتاج الاشتراكيون والرأسماليون

الصناعة بين الامس واليوم

ان المقارنة بين بدايات الصناعة في السويد وبين ما هى عليه الآن تدلنا على أن مسار الصناعة قد اختلف في العقود التالية من القرن العشرين عما كان عليه في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، أو في مطلع هذا القرن لقد ظهرت عدة صناعات منها ما يعتمد على اختراعات سويدية ومنها ما كان يعتمد على تعديلات طارئة عليها ، وذلك باستغلال التقنيات المتطورة . لقد أصبحت الشركات الهندسية هى التى تقوم بدور المحرك للاقتصاد السويدي وليست المناجم ومصانع الورق ويضم هذا القطاع أعلى نسبة من الأيدي العاملة اذا ماقورنت بالقطاعات الصناعية الاخرى

وهناك مجال الاستشارات والتصاميم لعمليات

الانتاج والانظمة الصناعية والطاقة ومشاريع البيئة ومما ينبغي دكره ان القطاع الخاص يسيطر على حوالى ٩٠/ من الصناعة في حين تسيطر الحكومة الاشتراكية والجمعيات التعاونية على ١٠/ ومن واجبات القطاع العام توفير المواصلات للناس والقسم الأعظم من حاجة البلاد للطاقة وتشرف الحكومة على ادارة بنك واحد من بين كل البنوك الموجودة في السويد ولم تحقق المشاريع والشركات الحكومية تطورها الا في بداية السبعينيات ويرجع السبب في ذلك الى أن اعلب المشاريع التى تملكها الحكومة كانت في الاصل من المشاريع غير المجرية اقتصاديا وقد اشترتها الحكومة اساسا لتلافي افلاسها وانقاذ عمالها من البطالة

دور نقابات العمال

ويسود الهدوء سوق العمل في السويد حيث تبلغ اليد العاملة حوالي اربعة ملايين نسمة بين عامل وموظف ، وتقوم على تنظيم شئون العمل ورعاية مصالح العمال والإشراف على العلاقة القائمة بينهم وبين ارباب العمل شبكة واسعة من النقابات الاساسية وتنخرط أكثر نقابات العمال في اتحاد نقابات العمال السويدي الذي يضم مليوني عضو ، اي حوالي ٩٠/ من الطبقة العاملة في السويد ، وتعد نسبة الموظفين المنتسبين الى النقابات عالية أيضا اذ تصل الى ٨٥ بالمائة وأكبر اتحاد لنقابات هده الفئة هي المنظمة المركزية للموظفين التي تضم مليون منتسب تقريبا

ان العلاقة بين الاطراف المعنية تحددها الاتفاقيات التي يتم التوصل اليها عن طريق المفاوضات عادة في أجواء هادئة نظامية أما الاضرابات فهي من الاجراءات غير المألوفة في السويد ومن الجدير بالدكر أن المرأة تقف الى جانب الرجل في كل مجالات العمل تقريبا حتى أن نسبة النساء العاملات تصل الى ٤٥/ من مجموع قوة العمل

الرفاه الاجتماعي

إن سعادة الإنسان ورفع مستوى معيشته هما الغاية التي تسعى الى بلوغها كل دولة وهما أيضا معيار النجاح أو الفشل ، فما الشوط الذي قطعته السويد المعاصرة في رفع مستوى معيشة ابنائها وتوفير العيش الكريم لهم ؟ تقوّل الارقام ان الدخل السنوي للعامل الصناعي في السويد يبلغ نحو ٧٥ الف كورونه أي (١٠٥٠٠) دولار تقريباً (الكورونه هي وحدة العملة السويدية وهي تعادل ٥٥ فلسا كويتيا) ولكن نسبة عالية من هذا الدخل تذهب لسداد ضريبة الدخل ، فليست الخدمات الجمة التي تقدمها الحكومة هبة ، بل هي المحصلة في هذا التعاون المشترك بين دافعي الضرائب والسلطة التنفيذية التي تتولى الانفاق على الخدمات

تستقطع الضرائب نحو ٣٠/ من دخل الأسرة السويدية التي تتألف عادة من زوج يعمل بدوام كامل وزوجة تعمل بدوام أو نصف دوام ، ومن طفل أو طفلين على أكبر تقدير لكن القطاع العام يتولى الانفاق على كثير من الخدمات والضمانات الاجتماعية ومن تلك الضمانات والخدمات ان الابوين يحق لهما التمتع باجازة مدتها سنة ، وبراتب كامل عندما يرزقان بطفل،وتجرى لهذا الطفل مخصصات ثابتة بغض النظر عن دخل أبويه حتى يبلغ سن السادسة عشرة من عمره واذا قرر إكمال دراسته بعد أن ينهي مرحلة التعليم الإلزامي يحصل على منحة دراسية

يحق للكثير من الأسر الحصول على مخصصات للمساعدة في دفع إيجار السكن وفي حالة المرض يحصل المريض على تعويض يعادل ٩٠/ من دخله الأصلي ويدفع القطاع العام أثمان الأدوية والتكاليف الطبية

أما المتقاعدون والمسنون والعجزة فيحصلون على رواتب تقاعدية ، تزداد بشكل تلقائي لتواجه الارتفاع في مستوى المعيشة وأما المسنون وقد تركهم أولادهم فتوظف لهم البلديات موظفين يقومون على إدارة شئونهم المنزلية ، وتؤمن لهم وسائل انتقال خاصة وهم مخيرون على أي حال ، فإما البقاء في منازلهم وإما الدهاب إلى دور رعاية العجزة

التعليم مجاني في كل مراحله ، فضلا عن أن المدارس تقدم وجبة طعام مجانية لطلابها في كل أنحاء





على الرغم من أن السويد بلد محايد لم يشترك في حرب منذ ١٧٠ سنة، إلا أن بناء القوة والتدريب اليومي على أعمال الدفاع المدني من المهام التي تفرضها اليقظة والحيطة

بعض رجال المطافىء يعملون على إطفاء حرائق محتملة ، ورجال الإنقاذ يرفعون الأنقاض لإخلاء المصابين ، ورجال الإسعاف يعملون على نقل الجرحى



السويد ويحق للطلبة في مراحل التعليم الجامعي الحصول على قروض بشروط سهلة ، لتساعدهم على مواجهة تكاليف العيش ولعل من مستلزمات الرفاه اقتناء السيارات الخاصة ، ففي السويد أكثر من (٣) ملايين سيارة ، أي بواقع سيارة لكل اثنين ونصف من السكان على الرغم من أن السويد تستورد حاجتها من النفط من البلدان المصدرة له

جزيرة الفرسان . . وسكانسن

في اليوم التالي كنا نتجه إلى الأحياء القديمة من مدينة ستوكهولم وهي التي تقوم على أرض جزيرة تدعى جزيرة الفرسان يرجع تاريخ العمارة في هذه الجزيرة في معظمه الى قرون عديدة خلت وفيها كنيسة قديمة ضخمة يرين عليها صمت الماضي ويكسوها جلال غابر هذه الكنيسة هي كنيسة الفرسان ، ويرجع عهد بنائها الى القرن الثالث عشر الميلادي وعلى مقربة من تلك الكنيسة يقع القصر الملكي ، حيث يمارس الملك كارل غوستاف السادس عشر أعماله يعد هذا القصر من أقدم القصور في أوربا

إن الطواف في جزيرة الفرسان بأبنيتها وطرز العمارة القديمة السائدة فيها ينقل المرء إلى أجواء القرون الغابرة ، فالشوارع ضيقة ، والجدران سميكة ، والأرض مرصوفة بالحجارة

من الأماكن الأخرى التي تنقل المرء إلى الماضي القريب والبعيد منطقة سكانسن ، وهي متحف فريد من نوعه لقد شاهدنا متاحف عظيمة في ستوكهولم ، كمتحف العصور الوسطى ، ورأينا معرض الفايكنج في المتحف التاريخي ، لكن منطقة سكانسن تحتفظ بسحر غريب ، إنها بيوت قديمة ، بيوت سويدية الطراز ، مضت عليها سنون طويلة ، ولم تعد تلك المنازل صالحة للسكن ، فنقلت من أماكنها الأصلية في مختلف أنحاء السويد ، وجيء بها إلى سكانسن، لذلك فإن المرء الذي يتجول بين هذه المنازل يصافح التاريخ ، ويشم عبقه ، فلقد وضع القديم جنبا إلى جنب مع الحديث المعاصر ، ففي المنطقة أيضا مبان حديثة مأهولة ، لكنها مقرات لسفارات البلدان الأجنبية في السويد

في طريق عودتنا مررنا بدار الاوبرا الملكية وبالمسرح الدرامي الملكي الذي يقبع خلفه مطعم « اوبرا بارن » ، حيث كان في انتظارنا كارل ادوارد نيترين وهو مثقف ورجل مسرح من العاملين في المسرح الدرامي الملكي

حديث حول الادب

كان اللقاء مناسبة للحديث عن الحياة الثقافية وتطور المسرح بعد سترندبرج ، وعن الكتاب المسرحيين العرب

* قلت نكاد لانعرف أحداً من رجال الفكر والكتاب والأدباء السويديين باستثناء سترندبرج ، فهل تعاني الحياة الثقافية من حدب بعد هذا الكاتب العظيم ؟

ـ لايمكن لبلد أن ينجب عظيما ثم يصمت ، فقد ظهرت أسماء كبيرة بعد سترندبرج في ميادين مختلفة من الكتابة الأدبية كالشعر والرواية . أما في مجال الإبداع المسرحي فقد شهدت الحياة الثقافية نشاطا عظيما ، ومازالت أعمال سترندبرج تمثل على خشبات المسارح بكثرة ففي هذه الأيام تعرض له المسارح مسرحيتين العروس العذراء ، والمعلم اولوف ولقد عاد إلى السويد المخرج السينمائي انجمار بيرجمان بعد أن أنجز أعمالا مهمة في السينما العالمية ، عاد ليعمل في المسرح كما كان قبل أن يتوجه إلى هوليود من الأسماء الكبيرة التي ظهرت بعد سترندبرج اسم بار لاجركفيست، وهو شاعر وروائي وكاتب مسرحي كبير ، وقد نال جائزة نوبل للآداب في الخمسينيات وهناك كاتب مسرحي كبير آخر يدعى لارس سوريين على أن الكتاب السويديين الذين تخصصوا في الكتابة للمسرح قلة على أي حال ، لكننا نذكر منهم هجالمار سودربيرج ، ومؤرخ الفن راجنار جوزيفسون . أما في مجال التمثيل والاخراج فقد ظهرت أسماء لامعة ، لابد أنك سمعت باسم الممثلتين الكبيرتين جريتا جاربو وانجريد بيرجمان ، فقد تجلت موهبتاهما على خشبة المسرح الملكي للدراما وقام المسرح الملكي في

الأونة الأخيرة برعاية ندوة عالمية دارت حول سترندبرج ، وقد حضر هده الندوة مشاركون من مختلف أنحاء العالم ويعد المحرج انجمار بيرحمان من أشهر المحرحين في السينما والمسرح على السواء ، وقد امتاز بقدرته على التقاط نوبات سترندبرج الدرامية بشكل دقيق ، بالاصافة الى الصبغة السويدية في أفلامه لقد كان بيرحمان في يوم ما مديرا للمسرح الملكي

* لفت إنتباهي أن المكتبات العامة لا تتيح لمن يرتادها القراءة فحسب ، بل تتيح له أشكالا أحرى من المتعة الثقافية

ـ أحل ، بإمكانك أن تستمع للموسيقا في المكتبة ، أعني أن تصع السماعة على أدنيك وتسمع دون إرعاج للآحرين ويمكنك أيصا أن تلعب الشطرنج في ركن حاص بلاعبي الشطرنج لابد أنك مررت بدار الأوبرا الملكية وأنت قادم إلى هدا المكان ، فقد شهدت تلك الدار مولد بعص النجوم في هدا المجال ، مثل الفنانة حيي لند ، ومعني الأوبرا يوسي بيورلنج ، والمغنية بيرجيت نيلسون

وهناك ظاهرة ثقافية لافتة للنظر هي إقامة الحلقات الدراسية حيث يشارك مليونان من الناس في كل عام في مختلف الحلقات الدراسية ، وتقدم الحكومة لهذه الحلقات الدعم المادي والمعنوي وتدار هذه الحلقات الدراسية عادة من قبل جمعيات تعليمية تابعة للتنظيمات الشعبية

برج ستوكهولم . و متحف فاسا

بعد الوقت الممتع الذي استمعنا فيه إلى السيد نيترين وهو يحدثنا عن أوحه الحياة الثقافية في السويد توحهنا إلى البرج وهو المنارة التي يمكن أن تشاهد من فوقها كل مدينة ستوكهولم

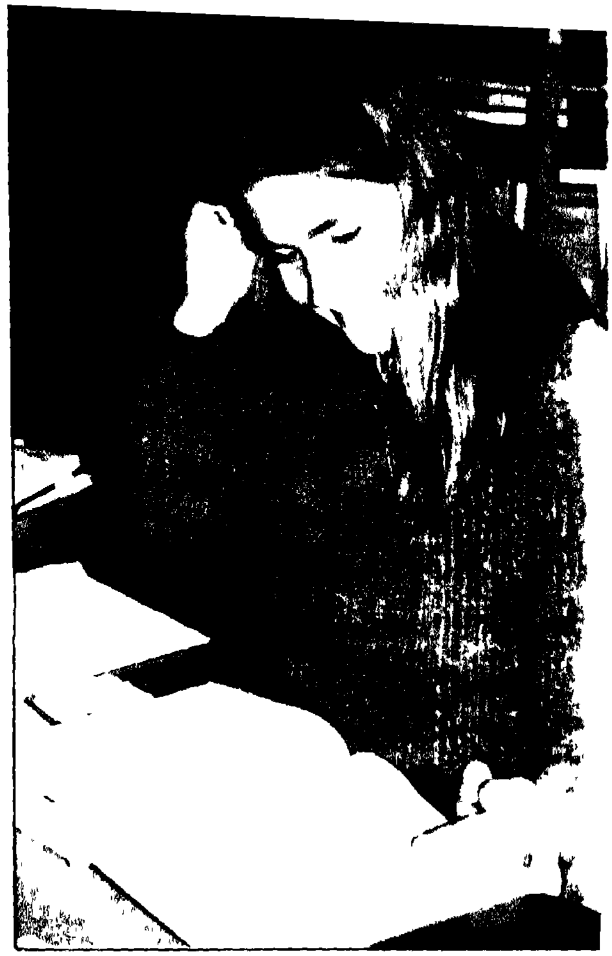
يرتفع هذا البرج بمقدار ٥٠٨ أقدام عن سطح الأرض ، ويزوره أكثر من ثلاثمائة ألف زائر سنويا وهو يتكون من ٣٤ طابقا ، تشغل معظمها إدارة المواصلات السلكية السويدية التي تستخدم البرج للبث الإذاعي المسموع والمرئي وفي أعلى البرج شرفة مزودة بأعداد من آلة الناظور وبفتحات خاصة للتصوير ، كما أن في البرج مصعدان سريعان واستكمالاً لجولتنا هذه زرنا متحف فاسا ، وهو متحف بحري ، يتخذ من سفينة فاسا الحربية مقرا ، ولاتخلو قصة هذه السفينة من الغرابة ، فقد بنيت تلبية لرغبة الملك جوستاف ادولف الثاني ، وكان ذلك قبل تورط السويد في حرب الثلاثين عاما ، ولم تكد السفينة تبحر حتى غرقت على مقربة من ميناء ستوكهولم في عام ١٦٢٨ ، وبعد ٣٣٣ سنة اكتشفت السفينة وهي على عمق ثلاثين مترا ، وجد فيها أشرعة ملاحة ، ومدافع ، وهياكل عظمية بشرية ، وملابس ، ومعدات ، ومصكوكات نقدية ، وغير ذلك ولقد تم اكتشافها وانتشالها في عام ١٩٦١ ، وتقرر منذ ذلك الحين أن تصبح بما تحتويه من نفائس متحفا يؤمه الناس يبلغ طول السفينة ٦٢ مترا ، وتصل حمولتها إلى ١٣٠٠ طن كان عتاد هذه السفينة يتكون من ٦٤ مدفعا برونزيا وتبلغ منطقة الشراع فيها ١٢٠٠ م^2 يزور هذه السفينة ـ المتحف ـ مالا يقل عن نصف مليون زائر كل عام ، وهي معلم من معالم المدينة البارزه

الطريق الى اوبسالا

اوبسالا مدينة جامعية صغيرة ظلت تحتفظ لنفسها بمكانة مرموقة بوصفها مركزا ثقافياً ودينياً مهماً منذ عهود الفايكنج العابرة

تبعد عن ستوكهولم حوالي ٧٠كم ، ويستغرق الوصول اليها بالقطار حوالي ٤٥ دقيقة زرنا في هذه المدينة أكبر كاتدرائية شيدت في الشمال الاسكندنافي في القرن الثالث عشر ، وقلعة اوبسالا التي بنيت في عام ١٥٤٠ ، وكذلك الجامعة التي تعد من أقدم جامعات السويد وأعرقها يرجع تاريخ انشاء الجامعة الى العصور الوسطى ، وفيها مكتبة تحتوي على الكثير من المخطوطات التي ترجع الى ذات الفترة من تلك المخطوطات نسخة من الانجيل كتبت بالخط القوطي في عام ٥٢٥ م ، وهي اقدم نسخة مكتوبة بهذا الخط

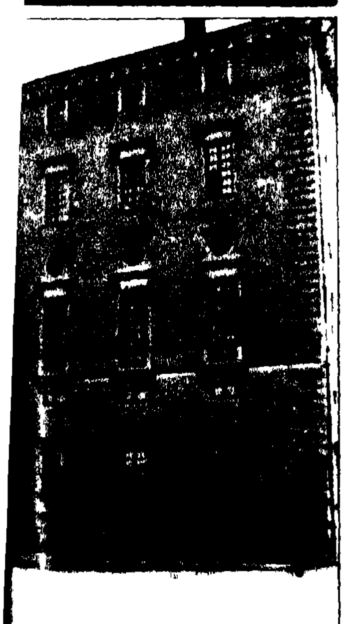
يرجع تاريخ انشاء مكتبة الجامعة الى عام



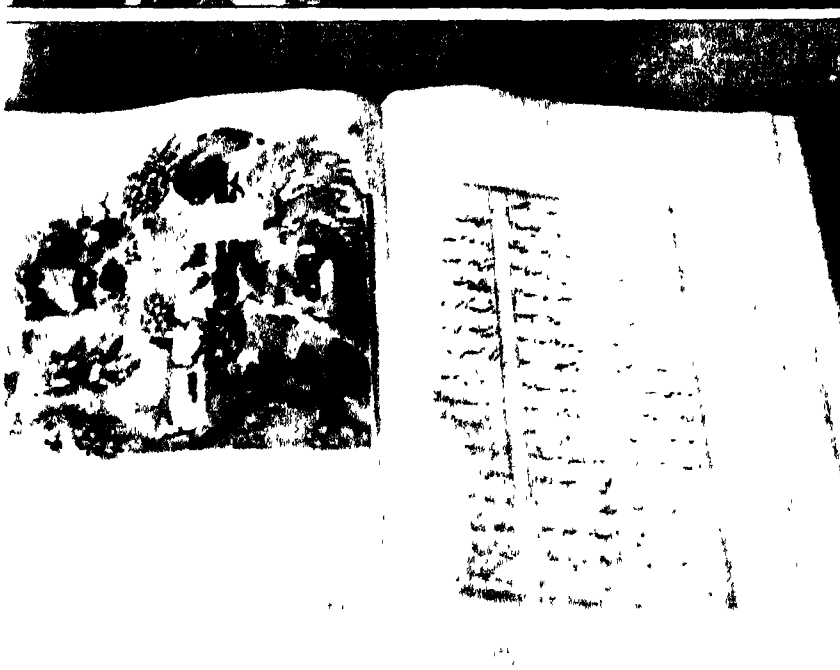


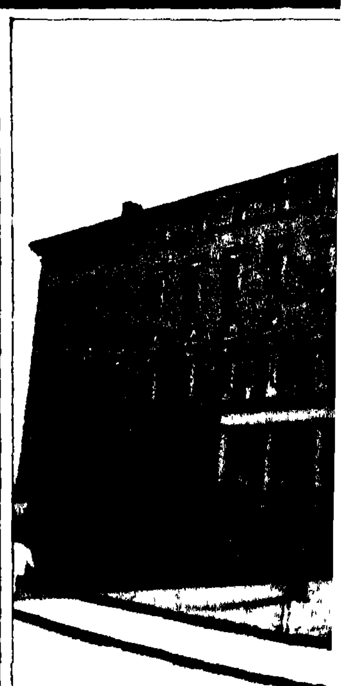
(اعلى - يسار) شارع في أوبسالا، المدينة الجامعية العريقة، يطل على نهر دافو (اعلى - يمين) فتاة جامعية تنتفع بالمراجع التي توفرها لها مكتبة جامعة اوبسالا
الصفحة
أسفل الدكتور بو ديسيو مدير التصنيف والفهرسة يبحث عن كتاب، ثم مبنى المكتبة الذي يقع على هضبة تطل منه على أرجاء المدينة، يلي ذلك صورة لإحدى المخطوطات العربية او الشرقية القديمة بعد أن استقر بها المقام في مكتبة جامعة أوبسالا











١٦٢٠ ، فهي اليوم أقدم وأكبر مكتبة في السويد كانت اولى مقتنياتها من الكتب قد حـاءتها هبـة من الملك عـوستافـوس أدولفـوس ، وهي هبـة ضمت مجموعة كبيرة من الكتب والمخطوطات ، ثم صارت تتلقى سنويا مبلغا من المال لشراء الكتب لم يكتف الملك بـذلـك ، بل امر بأن تدهب عنائم الجيش من الكتب الى تلك المكتبة ، وكان حير مثال عـلى هذا الاحراء ان الحيش السويدي حاء بالانجيل الفضي من براغ عندما دحلها في عام ١٦٤٨ وهدا الاجراء يوضح لنا كيف يمكن أن تستعل الحروب والسياسة والتجـارة في حلب الآثـار القـديمـة والمحـطوطـات النفيسة لتزدان بها المكتبات ودور الآثار والمتاحف في عبر أوطانها

مكتبة اوبسالا . . والتراث العربي

لايسع المرء أن يذهـب الى اوبسالادون ان يسأل عن بعض من المخطوطات العـربية التي كـانت قد وجدت سبيلها الى أرفف مكتبة الحامعة

قلت للدكتور هانز نورديسيو مدير قسم التصنيف والفهرسة في المكتبة

* نحن نعلم أن اعداداً غير قليلة من المحـطوطات العربية قد عبرت القفار والبحار ، واستقر بها المقام في مكتبة اوبسالا بعد رحلة طويلة

ـ نعم ، وهـذه المحطوطـات موجـودة ، والاطلاع عليها متاح لكل باحث ودارس

* لاشك أنك تعرف كيف حاءت ؟

ـ اعرف على وحه اليقين اننا اشتريناها ولم نسوقها !

لقد ارتحل كثير من تراثنا ـ مخطوطات وآثار ـ الى عدد من المتاحف والمكتبات الاوربية في الوقت الذي كانت فيه أحزاء من الوطن العربي تخضع للاحتلال الأوربي . وكان شعار الاحتلال حيثما حـل . فرق تسد ومع الفرقة تسهل عمليات السلب والنهب

ان لوصول المخطوطات العربية الى مكتبة اوبسالا قصة لاتخلو من طرائف وعرائب يبدأ الفصل في تلك القصة برغبة أبداها اوسكار الثاني ملك السويد والنرويج في تـأليف كتاب في تـاريخ العـرب قبل الاسلام يبين أساليب عيشهم ، وعاداتهم في الزواج والمأكل والمشرب ، وحروبهم ومعتقداتهم ، ورصد لذلك جائزة ، وألف لجنة تنظر فيما يقدم اليهـا من مؤلفات ضمت نخبة من كبار المستشرقين الاوربيين آنذاك ، ولاغرابة أن حمل الدكتور الكونت كارلو دي لندبرج كاتب اسرار تلك اللجنة ، فقد كان هدا الكونت هو الدي حث الملك على الاهتمام بتاريـخ العرب والاسلام

كـان لندبـرج ـ وهـو سـويـدي ـ قـد درس في ستوكهولم ، ثم في حامعةليبرج بالمانيا

بدأت صلة لندبرج المباشرة بالوطن العربي عندما صار قنصلاً عاما في الاسكندرية بين عامي ١٨٨٨ و ١٨٩٣ ، « وحلال هذه الفترة جمع كميات كبيرة من المحطوطات من مصر والبلاد العربية » كـما جاء في كتـاب « تغريب التـراث العربي » للدكتـور محمـد عيسى صالحية

كان لندبرج قد تعلم التركية والعربية فضلا عن عدد من اللغات الأوروبية الحديثة ، وقد ألف وحقق ونشـر عدداً من الكتب « أمثـال أهل برَّ الشام » و « قصص عربية حديدة » ، وشرح ديوان زهير بن أبي سلمة ، ووضع بحثاً في لهجة حوران ولغة عنزة لكن الأهم من ذلك كله هو أن المستشرق نجح في حمل عشرات المخـطوطات اليمنيـة « بالاضـافة الى الحجـارة الحميريـة والآثار » بـل « استطاع حـلال جولاته وتنقلاته في البلاد العربية أن يحصل على أكثر من ألفي مخطوط »

لو أردت الرد على الدكتور هانز نورد يسيو مدير قسم التصنيف والفهرسة في مكتبة حامعـة اوبسالا لقلت ان لندبرج لم يسـرق تلك المحطوطـات ، ولكنـه اشتراهـا بثمن بخس مستفيـدا من ظـروف الاحتلال البريطاني اولاً ، ثم من العلاقات المتردية بين القبائل العربية التي أججت نار الفتنة بينها سياسة « فرق تسد » التي اتبعتها بريطانيا في مستعمراتها

اللغة العربية في السويد

ذكرنا أثنـاء الحديث عن الـرفاه الاجتمـاعي ان التعليم المجاني حق مكتسب لكل المواطنين ، ولكننا دعينا لمشاهدة تجربة في التعليم قلما تتاح للأجانب في

البلدان الأخرى فالطالب الأجنبي الذي يكتسب الجنسية السويدية أو الطلبة السويديون الذين ينحدرون من أصول أجنبية ، كل هؤلاء لهم الحق في تعلم لغاتهم الأصلية ، ليس على نفقتهم الخاصة ، أو في مدارس خاصة ، بل تكفل لهم هذا الحق مدارس الدولة الرسمية ،وعلى نفقتها ، فليس غريبا إذن ان تجد في اعضاء هيئة التدريس مدرسون فنلنديون يقومون بتعليم السويديين ذوي الأصل الفنلندي لغة بلادهم الأصلية . اللغة الفنلندية ، وليس غريبا أيضا أن تجد مدرسين عرباً يعلمون طلابا سويديين منحدرين من أصول عربية لغة بلادهم الأولى اللغة العربية

في مدرسة برونّا في ضواحي ستوكهولم تعرفنا إلى ثلاثة من المدرسين العرب هم حسن بركات فلسطيني الأصل سويدي الجنسية ، والسيدة رجاء قمحاوي والآنسة تيرير حداد وهما سويديتان من أصل سوري

يقول السيد بركات بدأ الفنلنديون حملة من أجل تعليم أبنائهم لغة وطنهم الأم ، وقد شاركتهم المطالبة اقليات عرقية أخرى ، فاستجابت الجهات المعنية لتلك المطالب ، واصدرت القرارات التي تنص على هذا الحق ، حق الاجانب الحاصلين على الجنسية السويدية في تعليم ابنائهم لغة اوطانهم الاصلية في المدارس الحكومية ، وكان ذلك في عام ١٩٧٥ ولقد أكدت تلك القرارات ذلك الحق حين أعطت تبريرا نفسيا له ، وهم يقولون في ذلك التبرير ان من حق هؤلاء الطلبة أن يأخذوا دروسا تعلمهم لغة أوطانهم الأولى ، على أن يقوم بتدريسها لهم معلمون جاءوا من تلك الاوطان فهم أدرى بلغتهم من سواهم ، فضلا عن أنهم اكثر قدرة على النطق السليم ، والغرض من ذلك هو الإبقاء على صلات القربى مع أسرهم وأهلهم في الأوطان الأولى ، فذلك أدعى للحفاظ على تراثهم الثقافي وأجدر ببعث الطمأنينة في نفوسهم

يجب أن نقر لهم بهذا الحق ما دمنا نطالبهم بتعلم اللغة السويدية وهي لغة وطنهم الجديد



● [illegible]

أما عن انطباعاتهم عن الحياة في السويد فقد تحدثوا باسهاب وحماسة

تقول السيدة رجاء قمحاوي لم يكن والداي سعيدين بمغادرتي سوريا بعد أن أنهيت الدراسة الثانوية ، وقدمت إلى السويد طلبا للعلم ، ولكنهما لم يعترضا على فكرة السفر ولقد صادفتني في البداية صعوبات كالتي تصادف المغتربين عادة ، وبعد ٥ ة بدأت بالتكيف مع طبيعة الحياة هنا ، وتزوجت من شاب فلسطيني واكتسبنا الجنسية السويدية

أود ان أقول اننا نتمتع بكل حقوق المواطنة واننا سعداء بما حققناه

السويديون طيبون للغاية ، وفيهم حياء لاتجده لدى كثير من الأوربيين . يكفي أن وجه الواحد منهم يحمرّ خجلا اذا أحس أنه تسبب للاخرين بشيء من الضيق أو الازعاج وهم حياديون حتى في صلاتهم الشخصية بالاخرين أعني أنهم قد لا يبادرون بالمودة ولكنك ان بادرتهم ، استجابوا واقبلوا عليك بمشاعر ودية صادقة

وقالت الانسة تيريز السويديون منضبطون يحبون النظام ويلتزمون به عن طواعية وهم شعب مثقف وأعني بذلك أنهم جاوزوا مرحلة التعليم الرسمي وبلغوا مرحلة الثقافة الانسانية الشاملة . انهم يقبلون على تعلم اللغات الاجنبية اقبالا حسنا للرغبة في الاطلاع على ثقافات الشعوب الاخرى لذلك لا يشقُّ على الزائر أن يجد لغة يتكلم بها . فهم - أو معظمهم - يتقنون الالمانية والانجليزية والفرنسية □

الجارة الموسوسة



شعر : محمد الفايز

يـاقدسْ إنّ حيـاة النـاس مُـذْ وُحـدَتْ … غَـزْوٌ يـبَـرِره مِـنْ ظـافـرٍ ظـفـرُ
تجـمَـع الـشَـرُّ مـنْ شـتّى محـابئـهِ … كَـمَا تَجَـمَّـعَ في المـرجـومـةِ الحجَـرُ
والـشَّـرٍّ يـأحـدُ في شتَى مـراحـلهـا … أزْيـاءَهُ ولـه أزْيَـاؤُه الأُخـرُ
تُبْى الـقـلاعُ لـطاعٍ ثـم يهْـدمُـهـا … طـاغٍ حـديـدَ تـبَـىً إفْـكَـهُ نـفَـرُ
قَـدْ حـاصـروا كـلَّ شيءٍ في نقـائضـه … وحرّضُوا منْ لصوص الأرض فانْتَصرُوا
وتـسـتـعـيـريـن مِـنْ ضـدٍ وسـائـلهُ … فـتـعـثـريـن بهـمْ أوْ أنَّهم عَـثـرُوا
كـانوا عَلى عهدِ موسى عـاكفـين عـلى … ضـلالهم ثُمَّ هـامُـوا بعْـدَمـا انْـدحـرُوا
صَـارُوا ذريـعـةَ عـزوٍ حشْـوُهُ دُولٌ … قـدْ غـرَّرتْهُمْ بـدعـواهم ومـا شعـرُوا
هيهـات مـا دخلوهـا منـذُ أنْ عَـزَفُـوا … عَنِ الـدخـول ولاحجُّـوا ولا اعْتمـرُوا
لـكنهـم صنعـوا منهـا شعـائـرهُـم … ومـا لـديهـم بهـا عـلْمٌ ولا خَـبـرُ
إنْ يحرقـوا القبب الحصـراء أوْ دحلتْ … من غـير أبـوابهـا الغيـلانُ وانْتشـرُوا
فـاللهُ قـد خلق الـنيـرانَ واشْتعلتْ … بـأمـره وبهـا الأشـيـاءُ تـنْـصـهـرُ
لَئِـنْ تَـعـفَّـن جـسـمٌ في رواسـبـه … فـالأرضُ مِنْ بعضِها تنمـو وتـزْدهِـرُ
قَـدْ حـاصـر الصـدأُ المـوروثُ أسلحـةَ … مخـزونـةَ وانْتضى أحْجَـارَكَ الـقـدرُ
حجـارةٌ خلتُـهـا مـوسـومـةً فبـهـا … مـن هيكـلٍ نقـشـةٌ أو معبـدٍ أثـرُ
صـارتْ حجـارتُـك الخضـراءُ عـاقلةً … يُـرْمَى بهـا صَنَـمٌ أوْ يُقْبَسُ الـشَّـررُ
ستمـكثـين مـدارَ الـفـكـرِ في زمنٍ … دُكَّـتْ بـه هـذه الأطـيـانُ والأكَـرُ
ومـا دخلتُـك لـكـني مـررتُ عَـلى … أُخْـرَى بهـا منـكِ هَـذَا الغـزوُ والتَّترُ
غـزوٌ يـسـانـدُهُ غـزوٌ يجـيءُ بـهِ … دمٌ خـبيـثُ حَـوَاهُ هـيـكـلٌ نـخِـرُ
قـالـوا أتَكْتُبُ عَنْ أرضٍ ولم تَـرَهَـا ؟ … فقلتُ في غيـرِهـا الأشبـاحُ والصُّـوَرُ

سيدة القصر..
الجمال وصفقة الشيطان

بقلم : جمال قطب

وقفت فوق المثل والأخلاق ،

وتعالت على الطبقات الدنيا ، واتسعت دائرة طموحاتها ،

وهي لاتملك سوى جمالها ومفاتنها الجسدية المثيرة ،

حتى وصلت إلى قصر أحد النبلاء ،

واتخذت من بيته ومن اسمه الكبير منطلقا إلى البلاط الفرنسي ،

فوصلت ، وملكت ، وتحكمت ، واستبدت ،

وكانت النهاية فما بعد القمة إلا الانهيار !

كالفراشات الهائمة بين خمائل الزهر والعطر والغدير كان الفنانون والشعراء والكتاب المدعون في عهد الرومانسية ، والأطياف الوردية التي يسبح في أجوائها البلاط الفرنسي ، في القرن الثامن عشر . وكانت أخطر القرارات المصيرية آنذاك تصاغ من المخادع المذهبة في قصور الترف والسرف والرفاهية والبذخ وهكذا رأينا أن مقاليد الحكم لم تكن بيد الملك ووزرائه ومستشاريه ، وإنما كانت بيد سيدة البلاط . سواء أكانت هذه السيدة محظية أم زوجة أو خليلة تستمد نفوذها وسلطانها من جمالها وفتنتها ، وجرأتها في المغامرات . والعبث بقلوب الرجال . رجال القمة وقصور الحكم في العاصمة الفرنسية العريقة تسابق الفنانون ـ على اختلاف تخصصاتهم ونزعاتهم ـ إلى استلهام صاحبات الجمال والدلال والنفوذ . وانتعش هذا الحوار الإبداعي المتألق المثير ، وتحول إلى عطاء خالد رفيع ، ودارت عجلة الزمان ،ومضت رحلة الحياة ، واستقرت روائع الفنانين العظام في المتاحف ودواوين



[illegible]





١٧٧٣



التراث بين أصالة الموهبة وجلال العبقرية ، وتلألأت تلك الآيات الفنية ، لتبهر البصر والبصيرة وتزيدها الأيام رسوخا في وجدان البشر ، فلا تتمثل في خاطرنا عبر صور الحساوات الفاتنات ، نتدارسها قيمة فنية خالصة ، ويزيد من قيمتها اسم الفنان ، وبعد الزمان ، وعراقة المكان !

وفي عالم اليوم تتهافت الدنيا على اقتناء تلك اللوحات العبقرية ، حتى تصل أثمانها إلى أرقام فلكية عجيبة ، ويتساءل الناس كيف ؟ ولماذا ؟ لكنها الحقيقة الماثلة أمامنا ، تؤكد أنها قطع من التراث والعطاء الإنساني ، كأسمى ما تجود به الطاقات البشرية عبر القرون

وتزخر كتب التاريخ ـ وتاريخ الفن بوجه خاص ـ بالعديد من صور الفاتنات ، ويتناولها الباحثون بالتحليل والتقييم ومع هذه الأبحاث الفنية الخالصة لابد من استرجاع المعلومات التاريخية ، حتى يتأتى لنا أن نقرأ اللوحة ، كما نقرأ صفحة التاريخ

الطموح والثمن

الكونت جان دي باري والحسناء التي حملت اسم عائلته النبيل ، تلك التي عرفت في التاريخ باسم (مدام دي باري) ، هما صنف واحد من المغامرين المقامرين الذين يلهثون للوصول إلى القمة من الأبواب الخلفية ، مرورا بالأعتاب التي تطؤها أقدام الساهرين والسامرين والمتاجرين في بيع العبث والمتعة للحجرات المغلقة ومن عجب أن اسم (مدام دي باري) قد اقترن في التاريخ بعاهل البلاط الفرنسي لويس الخامس عشر والزائر لقصر (فرساي) بباريس حاليا يشاهد ضمن تحفه ومراراته المهمة جناح مدام دي باري ، وصورها ، وتماثيلها التي أصبحت جزءا لايتجزأ من تاريخ الدولة الفرنسية

اسمها الأصلي ، ماري جان بيكو ، ولدت نحو عام ١٧٤٦ م ، فليس لدى المؤرخين ما يثبت تاريخ ميلادها على وجه التحديد ، وهم لايكترثون بالروايات العديدة التي ذكرتها ماري عن نفسها وأصلها وحسبها ونسبها ، وكثيرا ما كانت تذكر سني عمرها بأرقام مختلفة في جلساتها ، كما كانت تتباهى بمعاصراتها مع الوجهاء والمشاهير في عصرها

نشأت ماري في بيئة متواضعة ، فقد كان أبوها موظفا صغيرا من جباة الضرائب ، كما كان ضعيف الذاكرة إلى حد أنساه أن يتزوج أمها زواجا شرعيا ! وشبت الفتاة بين الفقر والحرمان والتمزق العائلي ، وتفجرت أنوثتها سريعا بشكل جعلها موضع تطلعات الشبان في قريتها (فوكولور) وقد أشعل الفقر والحرمان خيالها وطموحها ، فهجرت بلدتها إلى العاصمة باريس ، وهناك وجدت ما يرضي نزواتها ، ويحقق أحلامها ، وما يتفق مع ما تحظى به من جمال ومفاتن جسدية مثيرة وكأي فتاة تقفز فوق المثل والأخلاق ، ولا تقيم لها وزنا ضاعت في قاع المدينة ، وما لبثت أن تعاظمت طموحاتها ، فتعالت على الطبقات الدنيا ، ووسعت دائرة معاشراتها الطائشة ، حتى وصلت إلى قصر أحد النبلاء من ذوي الأسماء الكبيرة ، إنه الكونت دي باري (وهو لقب نبيل ، لايحظى به إلا صفوة القوم الذين ينحدرون من الأسر ذات العراقة والأمجاد)

صفقة الشيطان

كان الكونت دي باري يتخذ لنفسه بيتا في باريس ، يتناسب مع منزلة لقبه وعائلته وقد فشل الكونت في حياته العملية ، وأخذ يعيش على ما بقي من تراث العائلة ، يتاجر في الصفقات المشبوهة ، ويضع نفسه في خدمة البلاط ورجاله وشئونه ، ما ظهر منها وما بطن وقد أوصلته حالة الافلاس التي يقاسيها إلى اصطياد المال بشتى الوسائل ، واقتناص الفرص لإرضاء الموسرين من علية القوم وهيهات أن تتاح له الفرصة من سيد البلاط لويس الخامس عشر ، فهو يعاني من الوحدة بعد موت خليلته مدام دي بمبادور ، تلك الفاتنة التي حولت فرنسا إلى ضيعة ، تستثمرها لحسابها ، وهي في فراشها بقصر الحكم



مدام دي باري لفنانة البلاط الفرنسي الشهيرة فيجيه لوبران .
التي تألقت في عهد ماري انطوانيت بعد أن توطدت الصداقة بينهما

وقد وجد الكونت العجوز ضالته المنشودة في تلك الفتاة الجامحة ماري جان بكو . فإن لديها من كنوز الفتنة ما تتفوق . به على مدام دي بمبادور . فكيف لا يستغل هذه الفرصة الساعة ؟ وكانت الفتاة الطموحة أسرع منه في سعيها إليه . لتسلم له قيادها . ولتتخذ من بيته شركا للصيد الثمين . ورسمت في مخيلتها ثروات فرنسا وهي في قبضتها . وكيف تتربع على عرش الجاه والنفوذ والسلطان . ولقد أصبحت ملء الأسماع والأبصار . وأصبح كثيرون من رجال المجتمع الارستقراطي يتمنون أن يحظوا بصداقتها ورفقتها . والجميع يثنون على مواهبها وجمالها وسحر لحاظها . وها هي ذي فرصتها الكبرى في القفز إلى قصر فرساي . منطلقة من بيت هذا الكونت المغامر .

لكن شيئا ما ينقصها لتكتمل حلقات المخطط . إنها بحاجة إلى اسم كبير يفتح أمامها بوابات القصر الملكي . وهذا الاسم المنشود بيد الكونت العجوز . فليتصرف . وسيقتسمان معا أرباح الصفقة

الزيارة

فوجئت أسرة الكونت (وهو عميدها ومدبر شئونها) بقدومه إليها في الريف . بعد طول غياب . وقد اختلطت تجاعيد وجهه بحبات العرق . ومظاهر العصبية والاضطراب . وسرعان ما وقفوا منه على حقيقة أمر هذه الزيارة المفاجئة . وبعد مناقشات ومحاورات أشار الكونت إلى شقيقه الشاب (وليم) بلهجة آمرة . لكي يستعد فورا لاصطحابه إلى باريس . وكانت الخطة كما يلي : يقيم (وليم) عدة ساعات في بيت شقيقه . ويتم إعلان زواجه بماري جان بيكو . ويوقع على عقد الزواج . لكي يمنحها اللقب النبيل : الكونتيسة زوجة الكونت وليم دي باري . ولتصبح هي : مدام دي باري . ثم يعود وليم فورا إلى الريف بعد توقيعه على العقد . ويترك لعميد العائلة التصرف . ويترك ماري لباريس ولملك باريس . وستكون المحصلة المرتقبة جاها ومالا . ينعم بهما كل أفراد العائلة العريقة المفلسة !

وتم كل شيء كما خطط له الكونت . وكانت للعائلة التي ترضخ لأوامره مبرراتها . فقد كان أفرادها على الرغم من عراقة أصولهم . يعتبرونه فشلا . لكنهم يتباهون بأمجاد الماضي . وقد نضبت مواردهم إلى حد العوز والغرق في الديون . وقد راقت الفكرة في أعينهم . في وقت يبحث فيه لويس الخامس عشر عن محظية جميلة . تأخذ مكان الراحلة الأسطورية مدام دي بمبادور . وأعلن البطن أن الكونت الكبير في وسعه ـ بمعونة شركائه من المنتفعين ـ أن يصلوا بماري إلى هذه المكانة . وكل شيء له ثمن . وأي ثمن !

وحدث ما توقعه شركاء الصفقة تماما . وانهال

الذهب على خزائنهم الخاوية ، لكن هذا الذهب قد اختلط بدماء الضحايا ، وعرق الفقراء من أفراد الشعب الضائع البائس ، أولئك الذين أثقلت كواهلهم بالأتاوات والضرائب الباهظة وامتثل لويس الخامس عشر لأطماع حسانه اللعوب ، وانصاع لأوامرها وأعادت مدام دي باري سيرة مدام دي بمبادور مرة أخرى ، فلقد تقربت وملكت وتحكمت واستبدت لكن الجريمة لم تمر بلا تبعات ، فلم تفلت عادة القصر من العقاب في آخر المطاف ، فقد مات لويس عام ١٧٧٤ ، وبموته انزوت رفيقته في عزلة عن عيون الشعب المكدود الذي استنزفت دماءه وعاشت الغانية في رعب وذعر ، تنتظر القصاص بين لحظة وأخرى وطال بها الانتظار القاتل سنوات ، كأنها الموت البطيء

تولى لويس السادس عشر حكم فرنسا مع زوجته ماري انطوانيت ، في فترة تزدحم بالاضطرابات والأحداث الجسام ، حتى هبت العاصفة التي اقتلعت كل الجذور ، فقد قامت الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ ، حيث فتحت الملفات وراجعت الحساب ، واحتل اسم مدام دي باري رأس القائمة وكانت آنذاك سادرة في غيها ، تلهو وتعامر وتقامر ، بعد أن ظنت أن صفحة الماضي قد طويت ، ودابت تحت تراكمات السنين والأحداث

وفي صباح السابع من ديسمبر عام ١٧٩٣ اقتيدت المغامرة الحسناء إلى المقصلة الرهيبة في الميدان العام ، وأمام الجموع الهادرة هوت السكين على رقبتها الجميلة لتنهي حياتها إلى الأبد ، ولتنتهي بموتها قصة واحدة من أجمل فاتنات التاريخ اللاتي ألهمن المبدعين والمؤرخين سيل من الإبداعات العبقرية الخالدة □

---

* دع للموتى خلود الشهرة ، وللأحياء خلود الحب
* نحن نحيا في هذا العالم عندما نحب .
* الحياة عبور نحر ، وهناك نلتقي جميعا في نفس المركب الضيق
* قدني الى وسط الكون لأملأ قلبي بالأغاني .
* القي ظلي على طريقي ، لأن لي مصباحا لم يوقد
* الزيف هو الذي لا يمكن أن يكبر في الحقيقة ، لذلك يكبر بالقوة
* الليل يرحل نحو النور ، والعمر نحو الموت
* الرجل عقبة أمام نفسه
* الصبا كالحب ، يلعب على قلوب التلال ، ويجلب مفاجآت من الجمال
* لا أستطيع اختيار الأحسن ، ولكن الأحسن هو الذي يختارني .
* لا تتلقى أحواض الأنهار الجافة شكرا على ماضيها
* قاسيت ويئست ، وعرفت الموت ، وإني مسرور . . اني من هذا العالم العظيم



طاغور

وجهاً لوجه





د. هشام جعيط ● ماجد السامرائي

- جانب كبير من فكرنا العربي المعاصر ما زال مشغولاً بإعادة طرح الأسئلة القديمة .
- ليس من مهمة المفكر أن يقدم حلولاً جاهزة
- أطالب المفكر بإنتاج الوعي .
- صلة المفكرين بالجمهور وبسلطات القرار ضعيفة

ينتمي الدكتور هشام جعيط إلى جيل من الباحثين العرب المعاصرين الذين يعنيهم من التاريخ (العربي الإسلامي على وجه التحديد) حركاته الأساسية التي شكلت مدار الحياة فيه ، وحركت أحداثه بما كان لها من اتجاهات ، فهو في بحثه يتوجه إلى « حركة التاريخ » بما للفكر من توجهات فيه ، وتوجيه لبعض من مساراته

وهو إذ يكتب في التاريخ لا يكتب من « موقع الراوي » ، إنما يتأمل في الحركات وما ينبثق عنها من « معان » ، فيرصد ويستجمع ويحلل ، ثم يستنتج . وغالبا ما تجيء استنتاجاته « أحكاما فكرية » ، تحاول أن تمتد بتواصلاتها إلى الحاضر ، فالتاريخ عند هشام جعيط يمثل « حالة تواصل » في حياة الأمة

والذي يهم هشام جعيط في نطاق دراساته في حقل التاريخ هو أن يعطي هذا التاريخ حقه ـ كما يقول ـ لأنه يرى « أن التاريخ العربي تاريخ مظلوم » ، فهناك ابتعاد عن الماضي ، و « هذا القرن منغمس في حاضره » ، والإنسان فيه يرى أن حاضره ـ أي الحداثة ـ هو كل ما وجد في العالم ، بينما يرى الدكتور جعيط من زاوية النظر التي يطل منها على التاريخ والحاضر معا « أن هذا الماضي يلعب دورا في خلق النشأة الإنسانية » ، فالإنسانية عنده لم تأت من العدم ، والحداثة أتت بعد تطور كبير ، ومن هنا فهو يجد أن لهذا الماضي جاذبيته ، وهي جاذبية متأتية « من كونه دراسة للإنسانية » ، أما المقصود منه فهو « إعادة اكتساب ماضي الإنسانية »

وقد أدار الحوار الزميل ماجد السامرائي ، وهو كاتب صحفي من العراق .

* تقدم نفسك باستمرار بوصفك مؤرخا ، في حين أن صورتك الفكرية في ذهن المثقف والقارئ العربي أنك « مفكر » يرتكز على التاريخ في دراساته الفكرية ، وهذا ما يحدونا إلى طلب تحديد أبعاد شخصيتك الثقافية ، كما تراها أنت

ـ بالنسبة للقارئ الذي قرأ « أوروبا والإسلام » و « الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي » قد أظهر له بمظهر المفكر الذي يعتمد أساسا على التاريخ

لكن هذا القارئ عندما يقرأ كتابي عن « الكوفة » سأظهر له إن شاء الله ، بمظهر المؤرخ أيضا

عندما تقول « المفكر الذي يرتكز على التاريخ » فلابد أن يكون مؤرخا ، وأن يثبت أنه « مؤرخ » وأن يقوم بعمل وضعي ، لكن في هذا العمل نوعا من « التفكير » ، فهو ليس بالتاريخ الآلي

نحن نتكلم عن التراث ولكن لابد للمثقف العربي من أن يقوم هو أيضا بالتفكير بهذا التاريخ

هاجس المعرفة

* إلا أن ما يبدو هو أن التاريخ يشغلك ، والدراسة التاريخية تستأثر باهتماماتك وجهودك العلمية ، وإن كان ذلك يتم من خلال نظرة جديدة ، ويبدو الآن من خلال بعض ما تكتب في هذه المجالات ، أن هناك مشكلات قائمة تراها في هذا التاريخ ، منعكسة بتأثيراتها على الحاضر

ـ ممكن ، منذ بدأت دراستي التاريخية الاسلامية كان هاجسي دراسة الماضي العربي من الوجهة التاريخية ، لأني لم أكن مرتاحا لأغلب الدراسات التاريخية العربية المعاصرة أو الحديثة وكان هاجسي أيضا « هاجسا معرفياً » ، فالتاريخ معرفة وعلم ، وهو إعادة اكتساب للروح البشرية القديمة ، ولكن هناك أيضا طريقة ، ومنهجا ، وبحثاً ، وعلما ومعرفة و « هاجسا معرفيا » كذلك يلعب دوره ، ويعطي المفكر ثقلا ووزنا وبعدا وعمقا (وهو ما أسميه « العمق التاريخي ») ، وإلا دار التفكير في فراغ .

وهناك ، من جانب ثان ، وجه آخر لشخصيتي هو العمل التفكيري الذي قمت به فهناك هواجس آنية هواجس تخص الحاضر والمستقبل استحوذت عليّ ، واهتممت بها وما أزال وأنا أعتبر نفسي « مفكرا » ، بل لأقل إنني إنسان يحاول التفكير في نفس الوقت الذي أنا فيه « مؤرخ مختص » ، وإن لم يستحوذ التاريخ عليّ تماما

* دعنا نركز الحديث على شخصيته المفكر ، فنسأل ونقول حين تتأمل في الواقع الفكري العربي المعاصر أي ملامح ترتسم أمامك ، أو تتشكل في ذهنك عن هذا الفكر في مساره المتحقق فعليا ؟

ـ الفكر العربي المعاصر فكر يبحث عن نفسه أساسا ، وإن هذا « الفكر » ليس فكرا واحدا أحاديا ، بل هو فكر موزع على عدة تيارات وعلى عدة مناهج ، وقد يدخل الكثير في هذا الفكر ، فهناك الفلسفة ، وهناك علم الاجتماع ، وهناك الفكر السياسي ، لكن الذي أراه هو أن هذا الفكر العربي المعاصر لايمكن له ، من ناحية ، أن يكون غير ما هو عليه الآن ، بسبب الأوضاع السياسية العامة والاقتصادية والعالمية والتاريخية ، أي أنه « فكر اقليمي » قبل أي شيء آخر فهو يهتم بحضارته الخاصة ، وبثقافته الخاصة ، وهو إلى حد ما لايوسع أفقه ليشمل مشاكل أهم وأعمق

العمومية والعالمية

إن الاقتصادي العربي ـ مثلا ـ لايقوم بتقديم نظرية في الاقتصاد بعامة ، إنما يعمد إلى دراسة عينية للاقتصاد العربي ، أو للاقتصاد في قطر عربي

وإذا وجدت إنسانا يتحكم في الفكر التاريخي فهو يتكلم عن الفكر التاريخي العربي ، ولا تجد شخصا يقدم نظرية في نقد الفكر التاريخي بعامة أو في نقد المنهجية التاريخية كما يفعل الغربيون

وعندما تجد عالماً اجتماعياً عربيا فإنك تجده يتكلم في دراسة قطره ، أو الوطن العربي بعامة ، لكنه لايقوم بابداع منهجية جديدة عامة تخص علم الاجتماع ، بحيث تبدو العمومية (وأفضل « العمومية » هنا على « العالمية » لأنها فكرة مجردة من سمات الفكر العربي)

* وما صلة هذا الفكر بالواقع العربي ؟

إنه ملتصق بواقعه كثيرا ، وهذه هي الناحية الأخرى ، لكن التصاقه هذا غالبا ما يأتي مفرطاً

* حبذا لو توضح فكرتك هذه ماذا تعني بذلك ؟

ـ بما أن الفكر السياسي هو الفكر المسيطر على الواقع العربي ، فإن التفكير العربي متجه كثيرا وجهة سياسية ، وإن اتخذ بعدا أيديولوجيا ، مثلا التفكير في الدين أو التفكير في القومية ، أو في مشكلات الواقع العربي نفسه ، فهو من هذه الوجهة مرتبط بالواقع العربي إلى حد كبير ، وقد غلبت على هذا الواقع السياسة والايديولوجيا ، وقد يكون هذا شيئا حتميا من الوجهة التاريخية في هذه الفترة التي نعيشها

ومن هذه الوجهة أيضا هو فكر لايتسم بالعمومية وهناك علماء مختصون يريدون في بعض الأحيان أن ينبذوا التقاليد الغربية ليعبروا عن عروبتهم بقوة ، لكنهم في الحقيقة ـ من الناحية المنهجية ـ يبقون إلى حد كبير أسرى « المنهجيات الغربية » ، فتجدهم يعتمدون على التحليل السياسي

الأمريكي ، أو على التحليل الماركسي ، ونـادرا ما يقومون بجهد شخصي ، لا أقول لتكوين « منهجية جديدة » ، وإنما لـلإطلال عـلى هـذه « المنهجيـة الحديثة » ، لقد بقوا في موقف التلاميذ الصغار

* إلى أي الأسباب تعزو هذا الوضع ؟

ـ أعزوه إلى عدم تفتحهم على الطرق الحديثة في الفكر وفي العلوم الاجتماعية ، إلا منذ عهد قريب

* ألا تعتقد أن فكرة « النموذج » التي تتمركز عليها أذهاننا في ما تذهب إليه من تفكير ذات صلة مباشرة بذلك ؟ فدائما هناك « النموذج » الذي نراه أو يدركه تفكيرنا ، ودائما هناك « المحاكاة » ، أو « التقليد » من جانبنا

ـ إنها محاكاة وتقليد دون استيعاب حقيقي وعميق للمنهجية ، فلو كان هناك استيعاب حقيقي للمنهجية لاستقل الإنسان بفكره وهذا ما نجده عند الغربيين ، فالغربي يستوعب المنهجيات الموجودة في زمنه ، لكنه في الوقت نفسه يجدد ويبدع ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الفكر على الرغم من المسحة الحديثة التي تبدو عليه ، مايزال فكرا إقليميا إلى حد كبير

الأسئلة القديمة الجديدة

* في هذا السياق لي ملاحظة ، فما يبدو هو أن جانبا كبيرا من فكرنا العربي المعاصر مايزال مشغولا بإعادة طرح الأسئلة القديمة ، وأقربها أسئلة عصر اليقظة العربية ، وهي أسئلة تتركز على بعض المحاور ، مثل كيف نواجه التخلف ؟ وكيف نواجه الغرب وما حمل إلينا من قيم غريبة ومعايرة لقيمنا وذاتيتنا الحضارية ؟ وكيف ننهض لنحقق التقدم والرقي ؟ إلى آخر هذه الأسئلة

ـ صحيح ، صحيح أن فكرنا مايزال يتخبط في هذه الأفكار والمنهجيات ، ومعظم المفكرين اهتموا بذلك ، وكرروا المقولات نفسها ، وليس هناك إبداع حتى في مواجهة مثل هذه المشكلات التي تعنينا ، وليس هناك فيما نشأ حولها من أطروحات ما يستدعي الاهتمام .

* ربما يكون هناك عنصر كامن في طبيعة هذه الشخصية ، شخصية مفكر العصر العربي الحاضر التي تعيد طرح الأسئلة دون أن تقدم أجوبة أو مشروعات أجوبة

ـ المشكلة أنه ليس هناك أجوبة ، أما الرأي العام فيعتقد أن على المفكر أن يقدم أجوبة محددة لمشاكل هي ليست مشاكل مادية ، وإنما هي مشاكل فكرية أو روحية أو حضارية ، وكأن هذه المشاكل ستحل بلائحة من الأجوبة ، وهذا غير ممكن ، وهو ليس من عمل المفكر

* لكن هذا الدوران في إطار الأسئلة نفسها ، وعلى هذا المدى الزمني الممتد من أواسط القرن الماضي إلى اليوم ، يقف بنا عند إشكالية خاصة قد تتصل بنا كمجتمع ، أو أنها تتصل بما لنا من بنية فكرية تتمثل في تكوين المثقف أو المفكر العربي

ـ أعتقد أن الزمان قد أتى على هذه الإشكاليات ، وإن كان يحسن بنا الآن أن نقوم بتقييم لمشاكلنا ، لكن من وجهة إنسانية أعمق ، فنحن كمفكرين مانزال نتخبط في مركبات ليس عندنا ما يمكن أن نسميه « السكينة الداخلية » الواجبة للمفكر المتعمق وهناك مشاكل موضوعية كبيرة أيضا

* هل من مثل على ذلك ؟

ـ الجمهور العربي المثقف ، إنه جمهور ليست لديه مطامح فكرية كبيرة ، إنه يطلب من « المثقف العضوي » أن يقوم بإعطاء مفاتيح لمشاكله

الداخلية ، أو لشهواته ومطامحه ، بينما أنا أعتقد أن رسالة المفكر ليست في هذه المشاكل ، لأن مشاكل الحاضر ستكون بعد حين مشاكل قديمة

هناك مشاكل أعمق ، ليس من مهمة المفكر أن يقدم حلولا جاهزة لها

* لكن يفترض أن يقدم ما يساعد على التفكير بهذه المشكلات ، والتوصل إلى مايمكن اعتباره حلولا لها أو خروجا منها

- يساعد على التفكير ، لكنه في الوقت نفسه يجيب بصورة غير مباشرة أو عميقة ، أو بالتلميح إلى أعمق مطامح الفرد والجماعة ، وبصفة دائمة فالشاعر مثلا ليس إنسانا يأتي لك بقائمة أجوبة عن تساؤلات ، فهو بنفسه يتساءل وإن كان تساؤله يأتي عن طريق الفن

* إنه يصدع برؤيته عن طريق الفن ، والشيء نفسه بالنسبة للفيلسوف ، أما بالنسبة للعالم أو المفكر أو الاجتماعي فهو يضيء الطريق ، لكنه دائما يمشي وراء قيم خالدة لكن له أن يقترح

- يقترح ، لكنه عندما يدخل ساحة الإعلام ، ساحة التفكير العام ، ساحة السياسة ، له أن يقترح حلولا ويخلق تيارا ، وهذا شيء نحبذه ، غير أن ما أعيبه على الفكر العربي هو وقوفه هذا الموقف إنه يقترح اقتراحات تتغير بسرعة كبيرة !

* أي أنه لم يدخل مرحلة الصراع الفعلي ؟

- لا أقول لم يدخل مرحلة الصراع فحسب ، بل إنه لم يدخل مرحلة الجدية الفكرية التي تخلق حضارة ، أو أنها على الأقل تخلق وعيا عميقا

إنتاج الأزمات

* بهذا المعنى هل نستطيع القول إن المجتمع العربي يعيد إنتاج أزماته ، كما أن الفكر العربي يعيد طرح قضاياه الأساسية ؟

- كل مجتمع يعيد إنتاج قضاياه وهمومه ، بيد أن المشكلة هي أن الفكر العربي يعيد إنتاج مشاكله بصفة أكبر مما هي عليه في المجتمعات الأخرى أعتقد أنه يدور في حلقة مفرغة ، وأن الفكر العربي لم يع استقلاليته ولا رسالته الحقيقية ، ولذلك أعتقد أنه في أزمة ، إنه يعيد المشاكل نفسها ، لكن بشيء من التقدم الذي لايمكن أن ننكره

هناك أشخاص قاموا منذ عشرين سنة ، بأعمال عميقة في إعادة صياغة المشاكل وطرحها وإضاءة الطريق وتقديم الرؤى ، وهم في عدة أمور أعمق من الجيل القديم ، لكن الجيل القديم (جيل طه حسين) كان له صدى أكبر ، أما المفكر اليوم فليس له صدى كبير في الوطن العربي ، إنه لايقوم برسالته في إضاءة الطريق وفي القيادة ، لأن السياسي أخذ منه كل شيء ، وعلى الرغم من كوننا في فترة يظهر فيها السياسي مفلسا إلى حد كبير ، فالسياسي قد أراد خنق الفكر ، ونحن نعيش في فترة مجدبة الى حد ما صحيح أن الوطن العربي يعيش مشاكله ويكررها بإفراط ، إلا أنه لايتجاوزها ولايجد لها حلولا أوسع

ولكن الفكر في حقيقته لايقدم حلولا ، الفكر يغير الوعي فقط

* وهذا قد يعني أن هناك نقصا ، أو خللا في البناء

- لا ، ليس نقصا ، أعتقد أن هناك تطورا تاريخيا ، وهذا التطور وضعنا في مرحلة معينة من التاريخ

هناك أولويات العمل على الفكر ، هناك أولوية السياسة على سواها ، هناك الكثير من المشاكل التي تسيطر على أفق الضمير العربي

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نحن لاننكر أن الفكر العربي مجهول في وطنه ، كما أنه مجهول في الخارج ، فالإنجازات الموجودة في الوطن العربي قيمة في بعض الأحيان من الوجهة الفكرية وأنا أعتقد أن من أحسن ما قام به الفكر العربي - هناك في

الغرب من يعترف بهذا وإن كانوا قلة ـ ما يتركز على التفكير في بعض المشاكل التي تخص فلسفة المجتمع ، أو فلسفة التاريخ ، أو فلسفة الدين ، فقضايا مثل هذه موجودة في تراثنا ، وهي قضايا لاتقف عند حدود الوطن العربي وحده

ولأعطيك مثلا على هذا ، من فرنسا لقد كتب « ريجيس دوبريه » كتابا بعنوان (جدلية العقل السياسي) ، وهو كتاب لابأس به ، في مقدمة هذا الكتاب يذكر المؤلف عبدالله العروي وغيره ويقول نحن في فرنسا اليوم ليس عندنا تفكير سياسي حقيقي يضاهي ما يقوم به العالم الثالث من مجهود (ولا يقول الوطن العربي فقط) وأنا أعتقد أن هناك إفلاسا في الفكر السياسي في الغرب

* وماذا نستنتج من هذا ؟

ـ إن همومنا وآلامنا وضيقنا النفسي في بعض الأحيان قد أنتجت نوعاً جيدا من التفكير ، بل وأقول إن هذا النوع من التفكير ما يزال قليلا ، وهو ما يمكن أن أسميه « التفكير المستقبل » الواعي ، المنصت لحاضره ، المتجه نحو المستقبل ، العارف بالماضي معرفة جيدة ، عن وعي منه بهذا الماضي الذي يعبر عن مسار شخصي

* لكن هذا الفكر قليل

ـ صحيح ، لأن الفكر الغالب علينا في كثير من الأحيان هو الفكر الأكاديمي المبتذل ، وحتى ما كان منه جيدا فهو ضيق الأفق

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هناك الفكر الايديولوجي المتسع أو المبتذل ولكني أريد أن أقول هنا في كثير من الأحيان هناك غربيون يقرءون كتبنا ، ويأخذون أفكارنا فيعيدون صياغتها ، فتسري ، ويسري مفعولها ، وهذا التوجه مهم مبني على أن الكاتب العربي غير معروف ، وأجهزة الإعلام لاتخدمه ، وأن هؤلاء المفكرين قلة ، وهم ضعاف في وضعيتهم الموضوعية ، ولذلك يمكن أخذ الأفكار منهم .

نموذج الفكر الجيد

* هذا الفكر الجيد الذي تشير إليه أين نجد نموذجه في حاضرنا ؟

ـ لايوجد نموذج ، فأنا أقول « الفكر الجيد » كما أقول مثلا « الرواية الجيدة » ، وأشير إلى وجودها في أمريكا اللاتينية ، فالرواية الجيدة في العالم اليوم موجودة في أمريكا اللاتينية ، إلا أن حظها ضعيف في أمريكا اللاتينية نفسها ، وهي تستهلك في أوروبا

وكذلك الفكر العربي الجيد موجود ، لكنه موجود بقلة ، موجود في ميدان الفكر النقدي ، وفي ميدان الفكر الفلسفي العام ، وفي الفكر التاريخي الفلسفي ، وموجود في فلسفة المجتمع ، وفي فلسفة الثقافة

* وهل له صفات خاصة في ذهنك ؟

ـ إنه الفكر المتزن ، الموضوعي ، المطلع ، الطموح

وهناك فكر آخر أسميه « الفكر الخبير » ، وهو فكر الخبراء الموجودين بكثرة ، وهو فكر اختصاصي على النمط الأمريكي ، وهذا هو الفكر الطاغي

* أفهم من هذا أنك تطالب الفكر ومن ثم المفكر بإنتاج الوعي

ـ نعم ، وهذا هو الدور الحقيقي للفكر أنا أطالب بإنتاج الوعي ، والوعي الجيد ، وليس لزوما أن يكون الوعي اليوم هو « وعي الأغلبية » ، لأن أقلية اليوم ستكون أغلبية الغد ، والوعي الجيد هو الذي يعيش على مساحة زمنية وفضائية واسعة

مفارقات الواقع العربي

* الملاحظ أن هناك مفارقة غير عادية في حياتنا بوجه عام ، فإذا راقبنا الوعي ورصدنا توجهه وحركته (أعني وعينا الثقافي والفكري ، ووعينا تاريخيا ، وبما لنا من طموحات نتحرك بها ومن

حلالها) ، فإننا غالبا ما نجد هذا الوعي أكبر وأشمل مما يتحقق لنا على مستوى الواقع وهذه مفارقة أحسبها جديرة بالتأمل

ـ هذه مفارقة من جملة مفارقات الواقع العربي ، وهي ليست أهمها ، والحقيقة إذا أردت تلخيصا لأفكاري ، أقول . إن المفكر العربي يعيش اليوم حالة صراع ، ويقوم بمجهود ، إنما المشكلة الأساسية هي أن صلة المفكرين بالجمهور ضعيفة ، وصلتهم بسلطات القرار ضعيفة ، وإعانتهم ننزل الفكر في مجتمعاتنا ضعيف ، بحيث أن المفكر اليوم لا يعرف على وجه التحديد ما إذا كان يفكر لجمهور ضيق من المثقفين الجامعيين أم أنه يفكر لجمهور خارج مجتمعه ، فبعض المفكرين العرب يكتب للعالم خارج نطاق مجتمعه ولغته ، لكن الفكرة ، أو الصورة الغالبة اليوم بصفة عامة هي أن الفكر العربي يحتاج إلى أن يعترف به داخل المجتمع العربي ، كما يحتاج إلى الاهتمام ، فالكاتب محتاج إلى الجمهور

أين يكمن القصور ؟

* في هذا الوضع ألا تجد أن القصور في الفكر العربي نفسه ، وليس في المتلقي ، لأن هذا الفكر لم يستطع أن يفرض نفسه ، لبعده عن اهتمامات هذا المتلقي ؟

ـ هو ليس في المتلقي بالتحديد ، بل في الوضع العام ، لأن هناك أغلبية عجيبة في الواقع العربي لاتقوم بالمجهود الفكري (المطالعة مثلا) هناك عدم ربط بين التفكير الحي الخلاق وبين التعليم (الجامعي منه بشكل خاص) . فأنت لاتجد اليوم نصوص المفكرين الأحياء الذين يحاولون تحديث العقل العربي في إطار ما يتداول من فكر في الجامعة (إلا عن طريق التحريات السياسية) . فنحن مانزال نقرأ في نصوص عفى عليها الزمن . وكأنه فرض أن تكون بيننا وبين ما نقرأ من نصوص ، وفي نطاق الجامعة خصوصا مدة خمسين أو مائة سنة ، وهذا غير معقول .

إن السطحية هي الغالبة على أفق المجتمع العربي ، وهناك تقريبا طبقة واحدة فقط هي التي تقرأ ، وتتكون من فئات الشباب ، والاعلام من جانبه يلعب دورا كبيرا في الغاء الفكر ، بينما يمكن أن يقوم الإعلام بدور في إشعاع الفكر العربي المعاصر

صحيح أن هناك ندوات تنظمها بعض المعاهد الموجودة الآن ، تتحدث عن المشكلات العميقة للفكر ، لكن حتى هذه الندوات تتحدث في غالب الأحيان عن المشكلات الآنية ، وكأنها ندوات صحفية ، فتكون في حقيقتها ندوات تعارف ، لا أكثر ، ليس فيها تعمق أما الندوات التي يمكن أن تعقد حول التاريخ ، وحول الفلسفة ، والتي يمكن أن يتحقق من خلالها تلاقح الأفكار ، ويتم عبرها التعارف والحوار مع العالم الخارجي ، فإن المبادرات العربية قليلة جداً في هذا الميدان ، وهذا يرجع إلى أن المفكر العربي إنسان أعزل في واقعه العربي ، ليس له حول ولا قوة ، وليست لديه إمكانيات ، وهو ـ أساسا ـ تابع للنظم القائمة ، والنظم القائمة لاتهتم بالثقافة الواعية الخلاقة ، بل تهتم بالترشيد العام

في الوطن العربي أشخاص يهتمون حقيقة بدفع البحث العلمي والبحث الفكري ولكنهم قلة قليلة .

* وفي ضوء هذا يمكن القول . إننا مجتمع ننتج التخلف ، وهو في الوقت نفسه ينتج الوعي

ـ هذا صحيح ، صحيح جدا أنه ينتج التخلف وينتج الوعي ، ينتج الألم ، ومن الألم ينتج الإبداع (ولو أننا كثيرا ما نختبيء وراء كلمة « تخلف »)

قد يظهر ، في بعض الاحيان ، كأنني أحنق على السياسيين ، أنا لا أحنق على السياسيين ، فهم يلعبون دورهم في التاريخ المعاصر ، بل قد أنتقدهم ، لكن ليست هناك رحابة صدر ، ليس هناك وعي ، انهم يتكلمون عن « الوعي الحضاري » ، لكنك قليلا ما تجد رحابة صدر منهم مع المثقف بإعطائه إمكانية العمل مثلا □

قراءة نقدية لكتاب

الحنان الصيفي

مجموعة قصصية
من تأليف : أحمد الشيخ

بقلم : الدكتور حامد أبو أحمد

القصة القصيرة هى الشكل الأدبى الذى يجمع على نحو فريد بين خصائص الشعر وخصائص الدراما ، ويلاحظ كاتب هذا المقال أن القصاص احمد الشيخ دلف إلى عالم القصه عن طريق الشعر ، فكيف كانت رحلة الكاتب ؟ وبماذا يتميز فنه القصصى ؟

صدرت هذه المجموعة عن « مختارات فصول » بالهيئة العامة للكتاب في مارس عام ١٩٨٧ وتعد المجموعة الخامسة للأديب أحمد الشيخ .

الملاحظة العابرة التي خرجنا بها من قراءتنا لهذه المجموعات الخمس هي أن أحمد الشيخ لم يتوقف أبدا عن محاولات التجريب في مجال القصة القصيرة ، إنه يحاول باستمرار أن يتجاوز تجاربه السابقة ، وأن ينوع في أساليبه وتقنياته ، ففي المجموعة الأولى « دائرة الانحناء » التي تضم القصص المكتوبة خلال الفترة من عام ٦٤ حتى عام ١٩٦٨ (منها قصة واحدة دون تاريخ هي « العصفور والصبي ») ، نجد الأديب الشاب أحمد الشيخ يقدم لنا تجارب ناضجة في القصة القصيرة ترتكز ارتكازا واضحا على التحليق الشاعري ، حتى نحس بأن جميع قصص هذه المجموعة عبارة عن تنويعات شاعرية أو تأملات على طريقة الشعر في البحث عن جوهر القضية لا مجرد رصد مكوناتها الواقعية وإذا توقفنا قليلا عند عناوين هذه القصص (وعددها عشر) نجدها تنحو نحوا تجريديا خالصا في معظمها مثل « دائرة الانحناء » و« ذيول التحدي » و« كتلة الصمت » « ومربع الامتهان المباح » و« صيف الذباب » وهناك ثلاث قصص فقط تحمل كل منها عنوانا مباشرا هي « العصفور والصبي » و« عنق الزجاجة » و« عبد العظيم أغا » ولكن طريقة السرد في كل منها أيضا شاعرية ، وإن عثرنا فيها على مضمون نراه شاحبا ، لأن القصة تكاد تكون قصيدة شعرية في الموضوع الذي تعالجه ، ويعثر القارىء على كثير من الفقرات الموزونة وزنا شعريا سليما لا تختلف عن الشعر في شيء إلا في طريقة الكتابة ، مثل قوله في القصة

الأولى « دائرة الانحناء » « عشنا ستفسر ستقول كلاما ممطوطا أجوف لو أنك تملك ثمن اللقمة ، لتركتك تحكي للبنت قصة إيمانك باللون الأخضر لكن الأفضل ألا تبتذل الكلمات فالدائرة المعلقة تطل عليك كرصد أعمى » (ص١٢)

لقد دلف أحمد الشيخ إذن إلى القصة القصيرة عن طريق الشعر ، لكنه كان منذ البداية واعيا بالأصول الفنية والعناصر والمكونات التي يتعامل معها ، ولهذا قدم لنا في هذه المرحلة الأولى من حياته الأدبية قصصا ناضجة تمام النضوج ، نجت من السقوط في هوة الصنعة والافتعال إن القارىء لهذه المجموعة الأولى يدرك أن المؤلف الشاب لم يغامر بالكتابة إلا بعد أن اكتملت أدواته الفنية

محاولات تجريبية

وقد استمر أحمد الشيخ في محاولاته التجريبية في كل ما قدم من قصص قصيرة حتى الآن وليس في طاقة هذا المقال أن يتحمل دراسة التطور الفني في أعماله كلها ، ومن ثم وجب الدخول إلى عالم مجموعته الأخيرة « الحنان الصيفي »

تضم هذه المجموعة ثماني قصص نشرت خلال عامي ١٩٨٣ و١٩٨٤ وتختلف الطرق الفنية وأدوات التشكيل الجمالي المستخدمة في هذه القصص ، ومن ثم رأينا تقسيمها إلى أربعة أقسام رئيسية هي

١ ـ القسم الأول يضم القصص التي تتناول موضوع « السفر » ، وتطرحه كواقع معاصر كان له الكثير من الانعكاسات داخل المجتمع المصري خلال العقدين الأخيرين ، وهذه القصص هي « الحنان الصيفي » و« كلاب السيجة » « و ليمتان»

ففي القصة الأولى « الحنان الصيفي » يكشف المؤلف عن الفروق الطبقية الجديدة من خلال الجمع بين صديقين أحدهما سافر وحلت مشاكله وهو في أعماقه سعيد بذلك كل السعادة،وحريص على السفر كل الحرص ، لكنه عندما يعود في الصيف يتحدث مع صديقه الذي لم يسافر ، عن غربته في تلك البلاد ، ويشكو من ضياع السنوات بعيدا عن أرض الوطن ، ويبدي ندمه على ما فات وتظهر المقابلة بين الاثنين واضحة في السطور التالية (والرواية على لسان الصديق الذي لم يسافر) « في منتصف الليلة التالية زارني في شقتي ، أبدى امتعاضه من سوء تهوية المكان ، وتشكى من قذارة الحارة ، قال إنه أوقف السيارة في الشارع الرئيسي عند سور الجامعة ، وأنه يفضل الخروج معي لشم الهواء النقي في مصر الجديدة الخ » (ص١٨)



وفي قصة « وليمتان » تظهر مقابلة اخرى من هذا النوع ، ولكن القصة تتضمن محورا آخر غاية في الأهمية ، هو محاولة الطبقة الفقيرة الظهور بمظهر الطبقات الراقية

ويحسن بنا أن نتوقف قليلا عند مضمون هذه القصة وهنا نجد السفر أيضا يغير من حال عادل الدرمللي ، فيركب سيارة فاخرة ، بينما صديقه عبدالونيس الذي لم يسافر ما زال يعيش في حارة بائسة ببولاق الدكرور وعندما التقيا ودعا الدرمللي صديقه وزوجته للذهاب إلى أحد الفنادق الراقية لتناول طعام الغداء حاولت الزوجة نادرة أن تقوم بدور لا يليق بها ولا بظروفها البائسة ، مما جعل عبدالونيس يشعر بالخجل

لكن تمثيلها للدور لم يطل . فقد كشف الحال عندما قام عادل بتوصيلها وعبروا مرلقان بولاق الدكرور وجلسوا يشربون الشاي في شقة متواضعة وصلوا إليها عبر الأزقة والشوارع الضيقة

أما القصة الثالثة ففيها حلم بالسفر لكن البطل « الشيخ عمران » لم يسافر وظل يلعب لعبة « كلاب السيجة » في قريته

وهذا نجد أن الإطار المرجعي لهذه القصص الثلاث هو الواقع بما يحمل من تحولات ومقابلات وأحلام وآمال إنه واقع الغالبية العظمى من الشعب المصري خلال السنوات الأخيرة من كل الفئات وكل الأعمار فقد كان السفر وما زال هو الحل الأمثل لغالبية أبناء الطبقات الكادحة من عمال وفلاحين ومتعلمين

قصة من نوع خاص

٢ ـ القسم الثاني يضم قصة واحدة ذات طابع فريد هي قصة « الشملولة » والذي أثار دهشتي كقارىء في هذه القصة هو قدرة الكاتب على التصوير ومن عاش في الريف فترة من حياته سوف يدرك أن أحمد الشيخ قد أجاد في استخدام آلة التصوير أولا ثم حملها وأخذ يتنقل بها من ركن لركن داخل البيت الريفي في تلقائية وخفة حركة تدور القصة على لسان صبية تدعى شوق ، تصف لنا ما الذي يحدث في البيت عندما تذهب إليه عمتهم فطوم « الشملولة » في ساعة مبكرة قبل الفجر ، وتبدأ مهمتها بدس يمينها إلى ما فوق الكوع في حلوق « الزلع » وتذوق بطرف لسانها طعم « المش » ، ثم تنتقل من مكان إلى آخر ، فتنظر في « براني » السمن وتلقى نظرة خاطفة على مخزون الأرز ، وتتحسس « ساني » الحمام ، إلخ وهي في كل هذا حريصة كل الحرص على معاش أخيها ومن منطلق هذا الحرص تنطلق أوامرها الكثيرة من أمثال

ـ « دكر الوز خاب ، ادبحوه واطلقوا دكرين من البط البدرية » ولا تملك زوجة الأخ المطيعة إلا أن ترد عليها

« يندبح يا عمة حاضر » وهكذا دواليك

ونعرف في نهاية القصة أن العمة شوق عاقر لم تنجب على الرغم من أنها بحثت كثيرا عن وصفات للحمل ولعل بعض القراء أو النقاد الحريصين على المضمون يهمهم أن يعثروا لهذه القصة على مغزى اجتماعي أو أخلاقي أو يبحثوا فيها عن المستوى الرمزي الكامن وراء ظاهر النص ، لكني في مثل هذه القصة أفضل أن أستقبلها على طبيعتها ، وهي قطعة أدبية رائعة في أدب الوصف ومن حسن الحظ أننا في القصة والرواية على الأخص لا يمكن أن نفرض على الكاتب أسلوبا بعينه ثم نحاكمه على أساسه ، إن حرية الكاتب الكاملة وحسه المرهف ، في رأيي ، هما جناحا عمله الفني ، والكاتب القدير هو الذي يدرك أين تنتهي حدود حريته ومن ثم فإننا نؤمن إيمانا جازما بأن التعامل مع النص مباشرة ـ من جانب الناقد ـ يمكن أن يعصمه من العسف والتسلط وتحميل النص فوق طاقته والوصف في هذه القصة يأتي إما على طريقة التصوير الدقيق لعناصر الحياة في بيت من بيوت الريف ، وإما على طريقة تقديم صورة محببة للألفة والود والمحبة داخل هذا البيت الريفي الذي يضم الزوج وزوجته والأولاد ، وتأتي العمة من خارج البيت فتزيده ألفة وحرصا ومودة ورحمة ، حتى أن الصبية الراوية (شوق) كانت تقاوم فرحتها عند قدوم العمة وتظهر صورة الألفة في أعظم صورها عندما يعود الأخ أو رب البيت من الدكان ويجلس مع أخته يتبادلان أخبار الناس ، ويعلقان على ما قد جرى في « الكفر » من أحداث إلخ وعندما توضع « الطبلية » وفوقها صينية العشاء الكبيرة ، يوضع أمامها صينية « الزفر » ويهمس الأب في تبسط « فرقي على العيال يا فطوم » تمد هي يدها وتبدأ في التقطيع ، تبدأ به والبنات ، ثم تضع نصيب أمي وتقول عبارتها المألوفة للجميع « اللى مسابه صغير يقول » (ص٣٠)

الألفة إذن هي سيدة الموقف في هذا البيت ، وكل العناصر داخلة متآلفة من ناس وحيوانات وطيور وجمادات بدءا من « زلعة المش » إلى دكر البط إلى

العجول إلى الحمام إلى الطفلة شوق التي تطير من الفرح عند قدوم عمتها إلى الأخ الذي يسعد بقدوم أخته والزوجة التي تطيعها طاعة عمياء . والأسرة جميعها التي تتحلق حول صينية العشاء وتتصاعد للعمة في حب وود وتآلف . لقد استطاع القاص أحمد الشيخ ان ينقل إلينا على الورق صورة أليفة محببة . فكان مثل رسام قدير أمسك بريشته وقدم لنا هذه اللوحة الجميلة

الحلم والواقع

أما القسم الثالث فيضم أيضا قصة « الزائرة » التي تجمع بين تقنية الحلم وبين التقاط بعض صور الواقع الأليم الذي يعيشه الفقراء . في هذه القصة نقابل شخصا يعاني من الفاقة والعوز . يعيش مع أسرته المكونة من زوجته وبنته وولده . وإذا بهم يفاجأون ذات صباح باكر بزائرة تدق عليهم الباب بعنف . كانت تحمل لهم في سلتها طعاما من كل الأصناف وقد توسم في وجهها أنها إحدى قريباته من أسرته المفككة المبعثرة . وفي هذه القصة لا ينسى المؤلف أيضا أن يقدم لنا بعضا من التحولات الفردية التي حدثت في البلد . مثل حكاية الزائرة عن « ابن الحملدي الذي لم يكن يمتلك من زمام أرض البلد قيراطا أو حتى سهما والذي لم يتعلم حرفا ولا صنعة . لكنه خلال السنوات العشر الأخيرة قفز إلى مركز الصدارة وامتلك مطحنا ومزرعة للعجول ومحلا كبيرا وبنى دارا بالأسمنت المسلح . وركب سيارة فخمة . وسوّر أرضا من أملاك عائلتنا . وحولها إلى حديقة تفاح ... إلخ ... » (ص٦٤)

وقد علقت الزائرة على هذا بقولها « إن البلد انقلب ميزانها وأن عاليها أصبح واطيها . وواطيها صار عاليها بقدرة قادر » (ص٦٥)

وعلى الرغم من أن هذه الكلمات تخص بلدا بعينه هي القرية التي ينتسب إليها صاحب الدار والزائرة إلا أنها تنسحب من الخاص إلى العام لتعبر عن الأوضاع في مصر كلها . وقد تكررت زيارتها لهم بسلتها الملأى بأصناف الطعام . وعادة ما كانت تأتيهم في الأيام العصيبة . ثم طرأت فكرة سيطرت على عقل صاحب البيت . هي أن يرفض الزيارة في المرات القادمة . وكلف زوجته بأن تفعل ذلك في غيابه . ولكن الذي حدث هو أن الزائرة جاءت هذه المرة دون سلة . وعندما ذهب لتوديعها ثم عاد إلى زوجته ظلا طوال الليل يتحدثان عن سر زيارتها لهم هذه المرة دون سلة . وبهذا نكتشف أن الزائرة وسلتها لم تكن إلا حلما من أحلام الفقراء . وتأتي الأجزاء الباقية من القصة فتصور بعض المواقف التي يعاني منها الفقراء . مثل التزاحم في الحافلات والتعرض للسرقات وللضرب أحيانا ، ومثل قصة الرجل الفقير الذي حمل طفله الميت بين ذراعيه إلى المقبرة ليدفنه ولم يكن يملك أجرة الدفن . فأسلم جثمان طفله لحارس القبور . وتظاهر بأنه سوف يدفع . ثم أسلم ساقيه للريح فرارا . وقد شبه الراوي حاله بحال هذا الرجل . لأن طفلته الصغيرة كانت تموت أمامه وهو يتلفت حوله بحثا عن شيء يباع في منتصف الليل فلا يجد غير الفراش البائس . وأكوام الكتب والأثاث القديم (ص٧٢)

وقد استطاع أحمد الشيخ في هذه القصة أن يضفر الحلم بالواقع الأليم . فجاء الحلم يمثل الوجه الآخر للحياة البائسة التي لا تجد لها تحققا إلا في حالة واحدة هي حالة الحلم . إن الزائرة وسلتها لا أساس لهما في الواقع . وإنما هما حلم سعيد يمر على التحقيق

الواقعية الرمزية

والقسم الرابع يشمل القصص الثلاث الأخيرة . وهي « فارس » و« المحروس الثاني » و« ابتلاع » والقصة الأولى تتحدث عن الكسل في مكاتب الحكومة ودواوينها والشركات . ويمكن ان يظنها القارىء لأول وهلة واقعية . لكنه سوف يجد نفسه مضطرا لقراءتها مرة اخرى وعندئذ سوف يكتشف الرمز الكامن خلف المستوى الظاهري . والذي ينم عن الرموز في هذه القصة هو حالات الغموض او الأسرار التي تحيط ببعض احداثها . فالقصة لا تمضي في شكل واقعي . وانما نجدها مغلفة بالاسرار والألغاز . ويبدو المؤلف حريصا على ان يقتطع من

الواقع بعض جزئياته المتعلقة بالمحسوبية والوساطة والكسل ، وبعد ان صبها في قالب تجريدي رمزي صاغها في شكل قصة واقعية . ومن هنا جاء اختلاط الواقع بالرمز في انسيابية متدفقة شفافة

أما قصة « المحروس الثاني » فهي قصة رب عائلة (وعمدة) كان يحتضر ثم صحا على خلاف بين ولده وابنته « المحروس والمحروسة » ويضاف إلى ذلك الخلاف المعروف بين أبناء عوف وأولاد شلبي وتكاد تمضي القصة في نهج واقعي ، لكن الرمز يطل من آن لآخر من بعض المواقف التي تشير إلى ان المؤلف يقصد باحتضار الرجل هذا الوضع الذي تعيشه بلادنا في الوقت الراهن ، كما يرمز بخيانة المحروس إلى عملية الصلح مع العدو الاسرائيلي ونقرأ عن المحروس · « الخلق بتقول إنه حد بنت شلبي وعقد عليها عند مأذون البندر وانت راقد يا كبير ، وبيقولوا إنه حاش لها دار في البندر وبيصرف عليها من خيرك يا سيد الرحال » (ص٩٥) .

كما أن رب العائلة عندما صحا من احتضاره أشاعت عنه « المحروسة » أنه تحول « إلى ولي من أولياء الله الصالحين ، وأنه يخاطب في أمسياته الملائكة والأنبياء « وأهل الخطوة » ، ويتطاول عليهم بدلال عارف بالله متصل به مستند على يقين في رضاه » (ص٩٤) وهكذا نجد عناصر الرمز متكاملة الرجل الذي يحتضر ، وابنته المحروسة وابنه المحروس ، الأولى تحافظ عليه وعلى ميراثه ، والثاني يبدده لصالح المرأة التي تزوجها من عائلة أولاد شلبي المعادية لأولاد عوف وبهذا نجد الفكرة في هذه القصة هي الغالبة على الرغم من الإطار الواقعي الذي صيغت فيه الحكاية

ولعل الرمز أكثر وضوحا في قصة « الابتلاع » حيث نجد الولد الذي تخطى منتصف العام الرابع من عمره يسلب أخته الرضيعة رضاعتها « البيرونة » ويضع حلمتها في فمه ويمتص محتوياتها ثم يعيدها فارغة إلى جوار البنت النائمة التي لو فرض أنها كانت مستيقظة فسوف تعجز أيضا عن حماية رضاعتها أما الأم فلا تهتم بعملية السلب هذه ، وتختم القصة بكلمة تشير إلى أن من يفرط في حق طفلة لم تكمل عامها الأول مستعد أن يتعامى عن حقوق شعب واستلاب وطن (ص١٠٧) .

وتربط القصة بين هذا التساهل من جانب الأم وبين تساهل الدولة مع الشركات الاستثمارية والمصارف الأجنبية والمشاريع الوهمية التي يؤسسها محتالون على مستوى عالمي بهدف سلب رصيدنا وتمييع ميراثنا (ص١٠٢) إذن فعناصر الرمز في هذه القصة واضحة لا تخفى على أحد ، بل يمكن القول بأن المؤلف قد لجأ إلى الرمز المباشر الذي ينقصه الكثير من العمق ، ويؤدي في معظم الأحيان إلى تسطيح العمل الفني ومن ثم فإني أرى أن هذه القصة هي أضعف قصص المجموعة من الناحية الفنية ، لأن الفن فيها أقرب إلى « الزعيق » منه إلى العمق والتكثيف والإيحاء

طرق السَّرد :

تتنوع طرق السرد في هذه المجموعة مثلما يحدث عادة في مجموعات أحمد الشيخ ، فتارة يكون السرد على لسان الشخص الأول ، والسارد هو أحد أبطال الحكاية ، مثل قصص « الحنان الصيفي » و« فارس » و« الزائرة » ، وأحيانا يكون السرد على لسان الشخص الأول ، لكنه هذه المرة صبية دورها هامشيٌ في القصة ، أي أنها راوية أكثر من أي شيء آخر ، مثل الصبية شوق في قصة الشملولة وأحيانا يأتي السرد بالطريقة التقليدية (ضمير الغائب أو الشخص الثالث المفرد) مثل قصة « وليمتان » وقد يأتي السرد على لسان الشخص الثالث أيضا ، ولكن تتداخل الحوارات وتتشابك مثلما نرى في قصة « كلاب السيجة » وقد نجح أحمد الشيخ في قصة « الابتلاع » في نقل القصة إلى أسلوب الخطاب أو « المتكلم ـ المخاطب » حيث يبدؤها هكذا : « عيبك الخطير أنك تحول كل مآسيك إلى نكات تضحك عليها وتحاول إضحاك الخلق معك ، أنا لست ضد الضحك طبعا ، أنا ضد الضحك من غير سبب معقول . إلخ » (ص٩٧) . وأسلوب الخطاب هذا يتميز بالتلقائية والعفوية ، ويشرك القاريء في

الحدث وفي هذا النوع من القصص نحس وكأن الكاتب لم يكن له إلا هدف واحد من وراء كل تقنياته ، وهو إلغاء المسافة بينه وبين القاريء ، حتى ليحس الأخير وكأنه أحد أبطال الرواية أو كأنه اشترك مع المؤلف في كتابة العمل وقد قلنا فيما سبق أنها أضعف قصص المجموعة من الناحية الفنية (وقد فصلنا أسباب ذلك في مكانه) ولكن من حق المؤلف علينا أن نستدرك بأن طريقة السرد هذه قد حمت القصة من السقوط في التثرية والابتذال ، بل إنها منحتها ثوبا فنيا أصفى عليها الكثير من الجاذبية والرشاقة ، فجاءت طريقة أليفة محببة إن رواية أحمد الشيخ في هذه القصة تخاطب شخصية أخرى لها دورها في القصة ، لكن القاريء يحس وكأن الرواية تخاطبه هو ولنقرأ فقرة أخرى منها « لم يكن مثل هذا الكشف لعزا لأنك عشت مرارة الفقد منذ البداية أعطيت لأنه لم يكن لديك غير الاستعداد الفطري للعطاء ، وعندما أدركت أنك تعيش وحيدا في عراء العالم دون الاستناد على أحد فرحت لأنك لم تفعل معكوس ما فعلت ولأن اللعبة كانت قد تحللتك ولبستك » (ص٩٨)

« السخرية » في البناء الفني :

لعل من أهم ما في قصص أحمد الشيخ هو بناؤها الذي يجعل من السخرية عنصرا مهما في الكشف عن مواطن الخلل في المجتمع وتأتي السخرية في العادة مغلفة بخفة الدم الشعبية المعروفة عن أبناء الطبقة الكادحة من المصريين ، وهم أبطال كل قصصه تقريبا ولن نتتبع مواطن توظيف هذا العنصر المهم في كل قصص المجموعة ، وإنما سوف نكتفي بضرب مثال أو مثالين ، ونترك للقاريء مساحة واسعة كي يكتشف بنفسه من أمثلة ذلك ما جاء في قصة « الزائرة » عن الولد الفحل في الحافلة ، وهذا المشهد يرد ضمن الأمثلة التي سبق أن ذكرنا أنها تمثل بعض الصور التي التقطها المؤلف من حياة الطبقات الكادحة يحكي لنا بطل القصة (الذي كان يسعد بقدوم الزائرة كما رأينا) عن موقف حدث له أثناء ركوبه الحافلة حيث انحشر ولد « فحل » بجواره ، بينما يده الحالية تندس في جيب حاره من الناحية الأخرى وتتطور القصة فنجد الولد « الفحل » الذي كان يحاول السرقة قد برع في تمثيل دور الضحية ، وألبس التهمة لصاحبنا ، ثم جره نحو الباب الخلفي وضربه « علقة محترمة » هكذا دون أي جريرة ارتكبها اللهم إلا حظه العاثر الذي جعل مكانه في الحافلة بجوار هذا الولد « الفحل » الحرامي

ولا يقتصر الأمر على تضفير مثل هذه الحكاية في سياق القصة ، وإنما تظهر خفة الدم الشعبية هذه في كثير من المواقف نأخذ منها ، على سبيل المثال أيضا ، محاولة روحة عبدالونيس في قصة « وليمتان » الظهور بمظهر الطبقات الراقية ، وهو وضع يتناقض مع حالتها الواقعية ، مما يؤدي إلى حدوث نوع من المفارقة تثير الضحك هذا ما حكاه لنا المؤلف (والسرد على لسان الشخص الثالث) بقوله « بذلك كانت تثرثر السيدة البدينة ، وتحكي عن أحداث لم تكن ، ومشاريع لم يفكر فيها أحد ، وحين ادعت السيدة أن شقيقها ما زال يعيش في باريس لم يتمالك عبدالونيس نفسه ، وأفلتت من أنفه مقطوعة ، توحي بضحكة مكتومة ، جاهد في إخفائها لكنه لم ينجح » (ص٥٦٥)

وهذا العنصر الساخر يمثل إحدى اللوازم في أعمال أحمد الشيخ ، ففي قصة « كشف المستور » من المجموعة السابقة يقدم لنا الكاتب بطريقة « المتكلم - المخاطبون» كما أسلفنا مقابلة مضحكة بين شخص متعلم حالته فقر ، يخفي كبرياءه الزائفة خلف قناع شفاف ، وبين آخر لم يتعلم (أخيه) ، لكن حالته ميسورة وهو يحمد الله أنه لم يتعلم وإلا لكان مثل أخيه

ويلتقط المؤلف حزئية من حياة الإثنين تجمع بينهما في موقف واحد ساخر عندما ذهب غير المتعلم مع أولاده إلى أخيه للزيارة . ونترك الراوي (غير المتعلم) يحكي لنا طرفا مما دار في هذه الزيارة يقول : « نعود للموضوع ، قلت له نخرج لقضاء سهرة في وسط البلد ، نتعشى في مطعم ، وندخل

سيما ، فهل هذا غلط ؟ (طيب واحد عرضه أن ينبسط يعكنن عليه ؟ قال الأستاذ المحترم تعشى في البيت ، افهموها ، المسألة لا تحتاج إلى تفسير ، المسألة مسألة فلوس إلخ) (ص٦)

الحوار واللغة

يجيد أحمد الشيخ أسلوب تضمين الحوار في سياق النص ، على نحو ما نقرأ في قصة « كلاب السيحة » التي يبدؤها بقوله « أشاروا عليه بالسفر إلى تلك المدن البعيدة مؤكدين أنه سوف يصلح حاله فأنت لا تقل عنهم في شيء يا شيخ عمران » (ص٤٣)

وحتى في بعض النصوص التي يدور فيها الحوار بين شخصين يبدو هذا الحوار وكأنه امتداد من طرف واحد ، بحيث نجد أن الطرف الثاني حتى ولو لم يرد فسوف يمضي الحوار على شكل « مونولوج » مسموع وهذا من التقنيات الجديدة التي دخلت على فن القص في العالم كله ، وقد أضفت على الأسلوب كثيرا من السحر والرشاقة والألفة وفي قصة « الشملولة » عندما يدور الحوار بين « الشملولة فطوم » وبين زوجة أخيها نجده مجرد أوامر من الأولى ، وكأنها تخاطب نفسها ، وطاعة عمياء من الثانية التي ترد دائما بجملة مثل « نعملها حاضر » أما مشاهد الحوار التقليدية من سؤال وجواب أو تواصل في الكلام فلا تظهر إلا نادرا في هذه المجموعة ، ذلك لأن الكاتب قد استعاض عنها بوسائل أخرى كالتي ذكرناها ، أو ترك العنان للذاكرة وتيار الوعي ينسحان ما يرد على خاطره من مواقف وأحداث وأفكار ، أخذ يربط بينها جميعا في أسلوب فني أخاذ ، وفي تقنيات طريفة مستحدثة

أما اللغة في هذه المجموعة فبسيطة سهلة مباشرة حتى في مجموعة القصص التي ذكرنا أن فيها رمزية ، لأن الرمز فيها لا يرتكز على اللغة قدر ارتكازه على المضمون ، ولكن بساطة اللغة وسهولتها في أعمال أحمد الشيخ لا تعني أنها هينة أو أن من السهل تقليدها ، وإنما تنطبق عليها - بحق - المقولة المشهورة « السهل الممتنع » ، ذلك لأن براعة المؤلف لا تتمثل في بناء عالم فني قائم أساسا على اللغة ، وإنما تتمثل في صياغة نمط من العلاقات الجديدة والتجارب والأحداث والشخصيات في تقنيات فنية ناصحة متقدمة إن المنطق الأساسي عند هذا المؤلف هو الواقع بما يحمل من تناقضات وسحريات ومفارقات ، وحتى عندما يلجأ إلى التصوير مثلما رأينا في قصة « الشملولة » فإنه يحرص على التقاط كل العناصر والجزئيات الفاعلة في واقع الحياة من إنسان وحيوان وجماد ومشاعر وأفكار

بعض الهنات

وفي الختام نشير إلى بعض الهنات التي وردت عرضا في المجموعة من ذلك المشهد قبل الأخير الذي ورد في قصة « الحنان الصيفي » عندما عرض الصديق العائد من السفر على صديقه الفقير أن يسأل له عمن يمكن أن يشتري سيارته ، وأنه سوف يعطيه في مقابل ذلك عمولة مناسبة ، فأبدى الآخر استياءه من هذا العرض ، وانتهى هذا المشهد بأن قام الأول بفتح باب سيارته وأنزل صديقه ملفوظا في مكان لا يعرفه ، ثم انطلق وتركه في حالة يرثى لها ولو أن القصة ختمت بهذا المشهد لكان لا بأس بها ، ولكن الذي حدث هو أن الصديقين التقيا في العام التالي صدفة وتبادلا القبلات ثم تركا بقية الأصدقاء الذين كانوا مجتمعين في المقهى وقاما بجولة في السيارة على غرار ما كانا يفعلان في السنوات السابقة وأنا أعترف - بصفتي قارئا - أني أحسست إحساسا قويا بأن هذا المشهد دخيل على سياق القصة ، وأن من الأفضل حذفه حتى يستقيم السياق حتى النهاية

وربما يختلف معي المؤلف في ذلك ، وربما يختلف معي أيضا أي قارىء آخر ، ولكن لن يختلف أحد معي في أن أعبر عن إحساس شعرت به عند قراءتي هذا المشهد وما تلاه من خاتمة □

من طرائف

النقـــد والنقـــاد !

بقلم . عبدالرزاق البصير

لاشك أن هناك بعض الجوانب في حياة الأدباء تبقى خافية . وبخاصة مايتعلق منها بالجانب الشخصي ، إلا أن بعض الأدباء يتناولون هذه الجوانب من حياتهم وهي لاتخلو من طرائف وملح ، على الأخص إذا تناولها ناقد أو دارس ، يلقي الأضواء عليها وهذه بعض الجوانب من حياة الأديب المازني ، وعلاقته ببعض أدباء عصره

شكر الله صنيع الدكتور محمد حسن عبدالله ، فقد كان معي كريما وفيا إلى أبعد حدود الوفاء والكرم ، حيث جمعني بنخبة من الأدباء في ليلتين ناعمتين ، كان الوقت يمر فيهما سريعا كأنفاس الربيع ، كان فيهم القصاص والشاعر والاديب والناقد والصحفي النابه وقد تساقينا في هاتين الليلتين كؤوس أحاديث متشعبة ، تناولت شئونا أدبية وسياسية واجتماعية كان فيهم الدكتور عبداللطيف عبدالحليم ، والقصاص عبدالعال الحمامصي ، ومحمود العرب ، وابن عمه الضاحك الساخر جلال العرب ولست قادرا على أن ألم هنا بكل ما دار من حوار حول ما ذكرت من القضايا الفكرية ، كما أن ذاكرتي لم تستطع أن تلتقط ما شدنا به جلال من رجل مصري طريف ، وكان الاخوة يزعمون أن شاعرنا الرجال يأخذ عليهم وقتهم فلا تتركهم ، وكل منهم يدعي أنه مظلوم ، لان كلا منهم يريد أن يخفف عن نفسه ، فيروي لنا شجونه وهمومه والحق أن هموم أولئك الصفوة هموما جميعا ، وهي تتركز حول الدعوة إلى الحرية في التعبير ، فما أحلى تلك الأحاديث وأعذبها وقد اختاروا مكانا بعيدا عن الرقباء ، وإنه لطيب لي أن أقف قليلا حول بعض ما أهداني الدكتور عبداللطيف عبدالحليم من كتب ، ذلك الأديب الذي ما يزال يزور بيت المرحوم عباس محمود العقاد مع رهط من إخوانه في كل جمعة يسامرون فيها الى أيام العقاد ، وهذا سلوك من هؤلاء الأدباء يدل على الوفاء في زمن قل فيه الوفاء ويحسن بي أن أوضح بأن الحوار مع الدكتور عبداللطيف ليس بالأمر اليسير ، لا لأنه صعب ممن يريد الحديث معه ، ولكن لأنه أديب واسع الاطلاع عميق الفكر ، فأنت اذا أردت أن تجري معه الحديث فإنك غير قادر على ذلك إلا بعد أن تقف على اثاره أو على بعض اثاره على الأقل وينبغي أن يكون

ورجعت أنظر هل بها أثر
مهما يطل يبيض من جلدي

ومن قدر له أن يتابع المازني في آثاره يجده كثير الحديث عن نفسه ، ولكنه ليس حديث المباهاة والتفاخر ، وإنما حديث المتعمق في النفس البشرية فالمازني يدرك أن الناس يتزاحمون على الطيبات ، فلنقرأ قوله (واعلم أنك إذا أنزلت نفسك دون المنزلة التي تستحقها لم يرفعك الناس إليها ، بل أغلب الظن أنهم يدفعونك عما هو دونها أيضا ، ويزحزحونك إلى ما هو وراءها ، لأن التزاحم على طيبات الحياة شديد ، والجهاد والتنازع لا يدعان للعدل والانصاف مجالا للعمل)

بين المازني والعقاد وشكري

وللمؤلف استطرادات محببة ، يتناول فيها ما تحدثه تربية البنات في نفوس الآباء ، فالمازني يظن (أن شعور الأب نحو ابنته حقيق أن يكون أصفى من شعوره نحو ابنه ، وأقول إنه حقيق أن يكون كذلك ، لأني لست على يقين منه إذ لم أجربه ، فقد أبت المقادير أن تكون لي بنت أتملى بها وأنعم)

وما أعذب تلك الرحلة التي دعانا إليها المؤلف ، تلك التي تناولت صلة المازني بالاستاذين شكري والعقاد ، وهي حقبة طويلة امتدت سبعا وثلاثين سنة مليئة بالعطاء ، غير أن المؤلف كان مضطرا إلى اختزالها ، لأنه لو أراد أن يتبسط فيها لأصبح كتابه سفراً ضخماً في أكثر من جزء ، فنحن نعلم أن عطاء هؤلاء الأدباء كان عطاء متشعبا متناسقا حينا ومختلفا حينا آخر ، وهو بجملته غني ، فيه نفع كبير ، نأمل أن يتناوله المؤلف في كتاب آخر ، يروي لنا فيه فصوله بصورة مبسطة وأظن أني محق اذا قلت إن المؤلف هو القادر على تأليف مثل هذا الكتاب ، لأن فصوله متفرقة في صحف أو كتب أصبحت نادرة كالاكسير وإذا قدر للمؤلف أن يستجيب لهذه الدعوة الصادقة فمن المؤكد أننا سنظفر بكتاب طريف نافع لا شك أن الناس سيقبلون عليه كل الاقبال

ذلك أن المؤلف من الذين صحبوا المرحوم العقاد صحبة طويلة ، مكنته من أن يقف على تلك المعارك الأدبية التي دارت بين شكري والمازني والعقاد ، وأقصد من ذلك أن الاستاذ المؤلف مغرم بآثار أولئك الثلاثة ، معجب بهم أشد الاعجاب ، وهو محق في توجهه هذا ، لأن هؤلاء الأدباء الثلاثة من الذين أثروا أدبنا العربي الحديث

ولكل من هؤلاء الأدباء أسلوبه الخاص ورؤياه التي تدفعه إلى التجديد والتطور ، والذي يهمنا الآن أننا مع المؤلف في إكباره له وإعجابه به ، ولكني مع ذلك أرى أن المؤلف كان عليه أن يذكر البراهين التي تدل على أصالة المازني ، وهي كثيرة تشيع في آثاره فإن هذه هي الطريقة التي سار ويسير عليها الذين يريدون أن يتوصلوا إلى حكم من الأحكام لكن المؤلف خالف هذه القاعدة حين قال (المازني شاعر أصيل بدأ بالنتيجة قبل بيان الأسباب والعلل ، لأننا نعتمد على الشعور الصادق والبديهة النافذة في هذا الحكم ، ونعول عليهما التعويل كل التعويل في مسائل الفن والأدب) ولست في حاجة إلى القول بأن الشعور الصادق والبديهة النافذة عنصران ينبعان من العاطفة ، وهما عنصران يصلحان للحكم في تذوق آثار الأديب ، ولكنهما لا يمكن أن يكونا حجة يعتمد عليها الناقد في أحكامه ولا أستبعد أن التهجم الظالم الذي انصب من البعض على المازني هو الذي دفع صديقنا المؤلف الى نهج السبيل الذي أشرت اليه ، فقد بلغ من شدة بعض الخصوم أنهم أخرجوا المازني من حرم الفكر والأدب وقد ذكر المؤلف نصوصا مما قاله أولئك الخصوم ، وهي نصوص صريحة ، تدل على عدم الأمانة والانصاف

وقد عقب المؤلف بما مؤداه أن تفنيدها إضاعة للوقت ، وليس من شك أن المؤلف محق في هذا الذي ذهب إليه ومهما يكن من أمر فإن المؤلف ذكر بعض خواطر المرحوم المازني ، وهي تدل على تعمق في فهم قضية شغلت الأدباء القدامى مدة طويلة ، حتى ألفوا فيها الكتب ، ونعني بها السرقات في الأدب يقول

المازني - رحمه الله : «ويحدث في بعض الأحيان أن يطفو على السطح خاطرة أو صورة أو حالة أو نحو ذلك وتكون مما قرأ الانسان أو سمع ، ولكنه لا يدري ، لأن الذاكرة لا تحتفظ إلا بالأقل ، أما الأكثر فتلقي به فيما وراء الوعي ، وإلقاؤه فيما وراء الوعي ليس معناه ضياعه ، فإنه يطفو لأسباب تخفى علينا ولا سلطان لنا نحن عليها ».

وفي تصوري أن هذه الفقرة القصيرة فقرة حاسمة في توارد خواطر الشعراء والكتاب.

توارد خواطر

وفي يقيني أن كل كاتب لابد وأن صادفته خواطر نشرها بين الناس ، ثم راها عند غيره منشورة قبله أو بعده ، فهذا لا يسمى سرقة كما لا يخفى. وقد بحث هذه القضية كثير من الكتاب ، لهذا استغربت إطالة المؤلف في الحديث عن تأثر المازني (بتوماس هود) و (الشريف الرضي) ، وروايته نصوصا من اثار بعض الأدباء ، ليثبت أن المازني قد تأثر بهؤلاء الأدباء ، وسيعقد فصلا عن تأثره بابن الرومي.

وعلى كل حال فإن هذه الصفحات مفيدة تزيد في ثقافة القارىء ، ومن يدري فلعل المؤلف كان يقصد ذلك. ولكني مع ذلك أرى أن توارد الخواطر أو التشابه بين ما جاء في شعر الشريف الرضي والمازني أمر يلفت النظر ، ولنأخذ مثالا على ذلك هذه الأبيات لكل من المازني والشريف الرضي.

يقول الشريف الرضي

أحبك بالطبع البعيد من الحجى
واقلاك بالعقل البريء من الخبل

يقول المازني

هويتك بالقلب البريء من الحجى
وإني بالعقل السليم لهاجر

يقول الشريف الرضي

في كل يوم أكر الطرف ملتقطا
وراء نجم من الأقران منصاع

يقول المازني

ياشاعر النفس كم أبكاك مصرعها
لقد بكيت على حرقاء مضياع

والحق أن المؤلف كان قد تجرد عن انحيازه للمازني حيث نراه يقول : (يراعى أن ثمة تشبيهات في قوافي كل من هاتين القصيدتين مما يشعر أن المازني كان ينظم قصيدته وهو ممتلىء النفس بكلام الشريف الرضي أو على الأقل كان قد فرغ من قراءة قصيدة الشريف الرضي قبل نظمه قصيدته بقليل).

وهكذا يمضي المؤلف في تتبع الذين تأثر بهم أديبنا المازني ، غير من أشرنا إليه ، وفي مقدمتهم ابن الرومي. فهو يلتقي مع هذا الشاعر في كثير من الأمور والصفات. فإن كلا من هذين الأديبين متشائم ، وأن كلا منهما نضو اسقام وأمراض ، لهذا لا نجد غضاضة حين نرى المازني يعارض ابن الرومي في قصيدته النونية التي مطلعها

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان
فيهن نوعان تفاح ورمان

وهي قصيدة من مطولات هذا الشاعر ، بلغ عدد أبياتها (٢٣٥) بيتا.

ويحسن بي أن أشير في هذه المناسبة أن شكري والعقاد والمازني هم الذين نفضوا غبار الاهمال عن ابن الرومي ، فقد تحدثوا عنه كثيرا ، وكان العقاد أكثرهم اهتماما به ، حيث ألف كتابا عن حياته وشعره. أما المازني فإنه كتب عنه مقالات كثيرة ، تدل على فهم دقيق لخصائص هذا الشاعر ، ضمنها كتابه (حصاد الهشيم). وقد تبسط المؤلف في هذه القضية ليؤكد أن ذلك لا يغض من أصالة ابن الرومي وتمكنه في الشعر والأدب.

وبعد فإن هذه إلمامة بسيطة ، تعد إشارة لدراسة الدكتور عبداللطيف عبدالحليم ، شملت عديدا من القضايا الأدبية ، مررت بها على عجل. ويعود سبب ذلك الى أني لم أرد بها إلا التشويق لقراءة هذا الكتاب. □

منتدى العربي

قضية

إطلاق العنان للقطاع الخاص والمبادرات الفردية

بقلم : الدكتور عبدالرحمن زكي ابراهيم *

« لم يزل الجدل قائما في أوساط الاقتصاديين والمشتغلين بقضايا التنمية حول دور القطاع الخاص وإسهامه في الاقتصاد الوطني لدول العالم الثالث . وهذا إسهام من كاتب متخصص يطرح أبعادا للقضية ، ويناقش مدى صدق مقولة أن القطاع الخاص ونشاطه هو سبيل العالم الثالث للنمو . »

يواجه العالم الرأسمالي أزمة اقتصادية جديدة تتمثل في تعايش البطالة مع التضخم في آن واحد ولم تكن هذه الأزمة معروفة قبل بداية السبعينيات من هذا القرن وقد سميت هذه الأزمة بعد ذلك باسم « الركود التضخمي » Stag Flation . وهذا يعني أنه في الوقت الذي ينخفض فيه معدل نمو الطلب الكلي نتيجة لضعف الانفاق الاستثماري تمعن الأسعار في الارتفاع مع تزايد معدلات البطالة

ونتيجة لهذه الأزمة التي قامت بهدم النظرية الكينزية راح الاقتصاديون الرأسماليون يضرعون إلى روح النظرية التقليدية ، يستلهمونها من جديد ،

* استاذ اقتصاد ـ وكيل كلية التجارة ـ جامعة الزقازيق

لعلها تكون عونا في تقديم سبل العلاج وهنا بدأت الدعوة إلى سياسة حديدة مفادها عودة الرأسمالية إلى أصولها الأولى ، أي إلى آليات السوق الحرة ، وعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وإلغاء القطاع العام ، وتخفيض الضرائب على الأرباح والدخول العالية ، وتقليص الانفاق الحكومي الموجه للرعاية الاجتماعية وكل ما هو مطلوب من الدول أن تتحكم في عرض النقود حتى يمكن علاج مشكلة التضخم ، في حين يقوم القطاع الخاص بمعالجة مشكلة البطالة من خلال إطلاق يده في زيادة الأرباح إلى حدها الأقصى وتشغيل عوامل الانتاج

تطبيقات عملية :

وقد دخلت هذه السياسة مجال التطبيق العملي لها حيث قامت الحكومات في الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوربا بتقليص تدخلها في الشئون الاقتصادية تاركة كل ذلك للقطاع الخاص وقوى السوق وقد كان من نتائج هذه السياسة التغلب ـ مؤقتا ـ على مشكلة التضخم ، ولكن على حساب إيقاف النمو أو إبطائه وتفاقم مشكلة البطالة أما على الصعيد العالمي فقد أدى ذلك إلى إغراق العالم بالديون التي راحت تغذيها حلقات رؤوس الأموال التي تخلقها وتتحكم فيها شبكات المصارف الدولية النشاط ، التي بدأت تتخطى الحدود السياسية للدول بشكل متزايد

وحتى تتحقق تلك الافكار الاقتصادية في دول العالم الثالث عقدت ندوة لهذا الغرض بالمركز الدولي للإدارة في جامعة « جورج تاون » بالعاصمة الأمريكية واشنطن في أوائل ديسمبر من العام الماضي وقد شارك في هذه الندوة ممثلون عن مصر والأردن ونيجيريا وأندونيسيا وماليزيا والمكسيك وغيرها من الدول النامية وكان هدف هذه الندوة توعية مثقفي هذه الدول بأهمية إطلاق العنان للنشاط الاقتصادي الخاص والمبادرات الفردية في دفع عجلة التنمية الاقتصادية وتحقيق الاستقرار الاقتصادي ، بحجة أنه ليس هناك من سبيل آخر لتنظيم المجتمع سوى إطلاق قوى السوق والعودة إلى مثالية النظام الرأسمالي في سنواته الأولى

النظرية الاقتصادية والقطاع العام :

ولأن الكلام أتى من الغرب ولم يأت من الشرق فقد بدا حكمة تطرب لها الآذان ، وتصغي لها الأسماع والأفئدة ، حتى غدت تلك الأفكار الاقتصادية نموذجا يتطلع إليه الجميع ويلاحق بكل الإطراء ، وينصح أمثالنا بدراسة تلك السياسة والتعلم منها والاحتذاء بها ، وها نحن نجد أن مثقفينا الذين انبهروا بالغرب حينما تمرد على النظرية الكلاسيكية ودعا إلى تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية وتطبيق الفلسفة الكنزية ، هم أنفسهم الآن يطلون علينا منبهرين بالغرب حينما ألقى بالنظرية الكلاسيكية في مضمار العمل الاقتصادي والتنموي في ظل دعوات الحريات الفردية ونظام السوق وتشجيع القطاع الخاص وقد وضعت هذه الدعوات ـ ذات التطرف الليبرالي ـ موضع التنفيذ في كثير من الدول النامية تحت ضغط العوامل الخارجية وما تستند إليه من قوى اجتماعية محلية ففي هذه الدول يعاد النظر الآن في وضع القطاع العام في الاقتصاد القومي ، ليس بهدف علاج مشكلاته ودعم إمكاناته لتحقيق تنمية حقيقية ، بل بهدف الانتقال إلى نهج جديد مختلف ، ومرحلة مغايرة ، تستند إلى رؤية معينة ، مفادها أن القطاع العام غير كفء في تخصيص الموارد الاقتصادية وتوزيعها ، ومن ثم فإنه يجب تحجيم دوره بحيث يقتصر هذا الدور على القيام بالمشروعات التي يحجم القطاع الخاص عن تنفيذها . وعليه ففي ضوء هذه الرؤية تجري في عديد من الدول النامية عمليات تصفية واسعة النطاق لمنشآت القطاع العام من خلال بيع هذه المنشآت إلى القطاع الخاص ، وتصفية المشروعات الخاسرة ، والسماح لرأس المال الأجنبي بالمشاركة في ملكية المشروعات الناجحة

بعض الانتقادات :

ويؤكد أنصار هذه السياسة على أن إطلاق العنان للقطاع الخاص وآليات السوق يؤديان الى حل المشاكل التي تشكل جوهر البحث الاقتصادي ، وهي مشاكل التخصيص والكفاءة والتوزيع ، لكن التجربة أثبتت عجز هذه السياسة عن حل المشاكل الاقتصادية حلا مرضيا ، فالإنتاج وفقا لآليات السوق لا يتم لخدمة أفراد المجتمع ، وإنما لخدمة القادرين منهم على دفع الأثمان ، وبالتالي نجد أن المنتجين يقومون بإنتاج ما يريده الأغنياء من الكماليات طالما كانوا مستعدين لدفع أثمان مشترياتهم ، بينما تظل الحاجات الأساسية دون إشباع نظرا لعدم قدرة المحتاجين إليها على دفع أثمانها . وهكذا لا يمكن أن تتحقق التنمية الحقيقية من خلال المبادرات الفردية ومن خلال آليات السوق ، فبهذه الآليات لا تستجيب إلا للطلب الفعلي ، والطلب الفعلي يهزأ بالفقراء ولا يعبأ بهم أو بإشباع حاجاتهم الاستهلاكية . وعليه فإن هذه السياسة لا تحقق أفضل تخصيص ممكن لموارد المجتمع بين الأنشطة الاقتصادية المختلفة

والحديث عن الاقتصاد في استخدام الموارد الانتاجية في ظل هذه السياسة يتجاهل حقيقة مهمة وهي أن الحرية الاقتصادية بغير تكافؤ الفرص تشجع على تركيز رأس المال في يد عدد صغير نسبيا من الأفراد . وبمضي الزمن تزداد درجة هذا التركيز ، وتضعف المنافسة ، وينشأ الاحتكار ، ومتى ساد الاحتكار سوق الانتاج فقد المنتجون كل حافز على تقليل التكاليف وعلى إنتاج ما يريده الأفراد بالكميات والصفات التي يطلبونها . ومن ناحية أخرى ينطوي الاحتكار على مساوىء تعود على جمهور المستهلكين ، إذ أن الثمن في حالة الاحتكار يكون غالبا أعلى منه في حالة المنافسة . وهكذا فدون المنافسة لن يكون لدى المنتجين حافز على تقليل التكاليف ، ويكون المشروع الخاص في غنى عن إدخال التحسينات والتجديدات في عملية الإنتاج

والقول بأن توزيع الدخول بين الأفراد يتناسب مع مجهود كل فرد في ظل آليات السوق قول تنقصه الحقيقة ، فتوزيع الدخول والثروات في ظل هذا النظام ينحرف كثيرا عن التوزيع المثالي ، فالكسب في هذا النظام لا يعكس المقدرة فحسب ، وإنما يعكس أيضا حسن الحظ وسوءه ودرجة ملكية عوامل الانتاج . فكم من شخص فاشل كسول يتمتع بدخل كبير نظرا لأنه يملك عوامل إنتاجية حصل عليها بطريق أو آخر ؟ !

غير أن هذا ليس كل ما في الأمر ، فإن ذوي الدخول الكبيرة قادرون على ادخار أجزاء كبيرة من دخولهم . ومن السهل على أصحاب هذه الدخول الكبيرة استثمار هذا الجزء المدخر بعائد من الربح وهذا يؤدي إلى تأثير متراكم يعمل على زيادة الثروات الكبيرة زيادة مضطردة . وهذا ما يعرف بتراكم رأس المال . والغريب أنه لا توجد تلقائية في ظل هذه السياسة تعمل على تقليل التفاوت في الدخول ، بل إن الفعل الطبيعي للقوى الاقتصادية الحرة هو أن يزداد الغني غنى بتراكم رأس المال ، ويزداد الفقير فقرا لعجزه عن تملك عوامل الانتاج ، ونتيجة لاستغلال الطبقة الرأسمالية له . وهكذا تعمل آليات السوق بطريقة ضالة عمياء لا هدف لها من عدالة توزيع الثروة أو الدخل بين مختلف الأفراد والطبقات □

■ لايمكن للغة أن تعبر عن صفات القوة والجمال والشجاعة التي ينطوي عليها حب الأم . (شابمان)

تعقيب

التربية هي الدواء لكل أدواء المجتمع

قرأت في عدد مجلتنا العربي ٣٥٢ مارس ١٩٨٨ مقالا بقلم الدكتور سعيد اسماعيل علي بعنوان التربية هل هي الدواء لكل أدواء المجتمع ؟ وقد شرع صاحب المقال بعرض تاريخي لأفكار فلسفية بدأها بأفلاطون وبروتوحوراس والسفسطائيين وسقراط وفحتة ، وانتهى بها ببعض المحدثين من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده لقد حصص كاتب المقال مجالا واسعا لآراء هؤلاء وغيرهم ، حتى غطى أكثر من نصف المقال الذي يريد أن يجيب فيه عن سؤال طرحه في عنوان المقال.

أود أن أشير إلى بعض التطورات الأخيرة في ميدان التربية ، لكي أحلب انتباه الكاتب من النظر إلى الوراء إلى النظر إلى الأمام ، إلى المستقبل يمكن حصر هذه التطورات في النقاط التالية :

١ ـ التطور من التعليم إلى التعلم لقد كان المعلم سابقا مركزا ومصدرا لعملية التعليم ، ويتم التعليم بوجوده ، ويغيب بغيابه لقد تغير مركز العمليات التربوية اليوم من المعلم إلى الطالب نفسه ينبغي على الطالب أن يقوم بنشاطات معينة بنفسه لكي يأخذ التعلم طريقه إن معلم اليوم قائد يخطط وينظم ويوجه ويوفر الخبرات الملائمة ، ويساعد على حصول التعلم بشكل أكثر ملاءمة ونجاحا للطالب

٢ ـ التطور من البنية الجامدة الثابتة في البرامج التقليدية إلى بنية متحركة في البرامج الحديثة : لقد تقدمت العلوم في العصر الحديث ، ويطلق على مثل هذا التقدم مصطلح « الانفجار المعرفي » ، حيث يقال إن العلوم إنما تجدد نفسها في كل عشر سنوات ، وقد تعددت الاختصاصات ، وكثرت الأفكار حتى أن الإنسان بدأ يعيش في عصر تتغير فيه الأفكار ، بعد أن كانت الأفكار من عصر أفلاطون تظل تسود عصوراً طويلة تكفي لانقراض عددٍ من الأجيال

إن طرائق التدريس المغلقة أصبحت غير قادرة على مجابهة مثل هذه التطورات التي حصلت في المجتمعات لقد أضحى إفساح المجال للبدائل ضرورة حتمية تتطلب التأكيد على المجتمع وما فيه من مصادر لتكون مركزا لنشاط المتعلم إن المتعلم اليوم هو الذي يحدد ما سيدرس من هذه المصادر .

٣ ـ التطور من النظر إلى الطالب على أنه جزء من جماعة إلى إدراكه على أنه فرد له إمكانياته وحاجاته وميوله الخاصة : لقد أعطت هذه النظرة مجالا لظهور أنواع مختلفة من التعليم الذاتي المستقل ، كالتعليم المبرمج وخطة كيلر والجامعة المفتوحة إن التأكيد على ما يؤديه الطالب في هذا البرنامج الجديد أهم مما يقدم له المعلم يختار الطالب طريقة خاصة من

التعلم ، ويعمل حسب سرعته الخاصة ووقت فراغه ، وينشغل بنشاطات مابيية يميل إليها وقد أدت هذه العملية إلى تحقيق نتائج باهرة في التعلم

٤ ـ التطور من استخدام مواد الوسائل التعليمية في التدريس الجماعي إلى استخدامات موسعة وبأشكال جديدة في التعليم المبرمج لقد استدعت هذه النظرة التعلم من خلال العمل من مصادر مختلفة وذلك للمبررات التالية

أ ـ لظهور أساليب مختلفة من التعليم . يجد الطالب بعضا من أنواع التعليم أكثر فاعلية من غيرها ، وبذلك يكون توفير البدائل ضروريا لتحقيق فائدة لأكبر عدد من الطلاب .

ب ـ إن أنماطا من الوسائل التعليمية ومصادر التعلم الأخرى قد تكون أكثر ملائمة من غيرها في مادة دراسية معينة لقد اختلفت المواد التعليمية في البرامج الحديدة وبشكل ملحوظ عن المواد التقليدية التي كان المدرس يتحكم فيها لقد بررت عوامل أكثر أهمية ، منها صياغة الأهداف التربوية الخاصة ، وتكييف التدريس للأفراد والجماعات ، وطرائق التدريس المرنة ، وتنظيمها مع الخبرات المتوفرة

يجب أن تؤخذ هذه التطورات بعين الاعتبار عندما يراد إيجاد الدواء لأدواء المجتمع في العصر الحديث

وعلى الرغم من أن الكاتب كان قد طرح سؤالا في عنوان مقاله عن كون التربية الدواء لكل أدواء المجتمع ، إلا أنه لم يجد في نفسه الجرأة الكافية أن يجيب عن هذا السؤال بالايجاب ، وبدلا من ذلك فقد بحث عن تبريرات متنوعة ، تساهم في خلق هذه الأدواء ، والتربية وحدها لاتستطيع أن تحل مثل هذه الأدواء ، فإن التربية أولا ليست مسؤولية المؤسسات التعليمية المختلفة ، وإن الوقت الذي يقضيه الفرد في هذه المؤسسات قليل جدا ، وإنه يصعب تغيير الاتجاهات ، وإن التربية جزء من منظومة المجتمع ، إلى أن يصل في نهاية هذه التبريرات إلى استنتاج النوح على قبر التربية قائلا إننا نظلم النظام التربوي كثيرا ، عندما نبالغ ونلقي على أكتافه العديد من المسؤوليات التي تشترك معه نظم أخرى في تحملها ، حتى إذا فشل انهلنا عليه بسياط النقد

أجيب عن السؤال الذي طرحه الكاتب ، وحشي أن يجيب عنه ، فمال يمينا ويسارا نعم إن التربية هي الدواء لكل أدواء المجتمع ، وبالتربية وحدها تنحل هذه الأدواء ، ولولاها لما انحل داء لقد أضحت هذه المسألة بديهية في المجتمعات المتقدمة حتى استثمرت الأموال الطائلة في هذا المشروع الانساني الحساس ، ذلك لأن المشاريع الأخرى مهما كانت ، لا يمكن أن تنجح إلا بجهود التربية

إن حلول مشاكل المجتمع وتنميته تكمن في عناصر ثلاثة ، هي :

الدافعية والمال والطاقة البشرية والباحث وإن كان قد أشار إلى هذه العوامل ، إلا أنه لم يوضح العلاقة فيما بينها ، وأيا منها هو الأهم يقصد بالدافعية شدة الرغبة الوطنية إلى التغيير والتطوير ، والاتجاه الذي ترغب فيه القيادة السياسية لتوجيه هذا التغيير نحوه إن القيادة السياسية متى ما أرادت حلا لمشكلات المجتمع ، وتخليص المجتمع من ويلات التأخر ، فإنها يجب أن تكون حادة في إرادتها هذه ، وتندفع لها أيما اندفاع ، مصرة على الاستمرار في مواصلة جهودها في هذا الخصوص وفيما يخص المال ينبغي النظر إلى حل المشكلات والتنمية كاي مشروع آخر ، ولابد أن تخصص رءوس الأموال اللازمة وكلما ازدادت رءوس الأموال المخصصة من أجل مشروع ، واستخدمت هذه الأموال بكفاءة عالية ، كلما كان احتمال النجاح أكبر

على أن العامل الأهم في هذه الثلاثية هو عامل الطاقة البشرية ولاشك أن الإنسان أثمن رأسمال ، وأن التربية هي التي توجه الطاقة البشرية ومهما كانت الدافعية في حل أدواء المجتمع ، ومهما كانت رءوس الأموال المخصصة ، فإن فاعلية أي نظام إنما تعتمد على التربية . تعتبر كفاءة العملية التربوية العنصر الأساس في حل أدواء المجتمع □

الدكتور أنور طاهر رضا
جامعة التاسع من ايلول ـ ازمير

قصة مترجمة

طريق الخيول

للكاتب الأرمني : أغاسي ايغازيان*

ترجمة : يوسف حلاق

كانت الطريق تمتد باتجاهين ، في أحد طرفيها خان صاخب أعبر في بورحومي ، وفي طرفها الآخر خان في اخالتسيخ

طريق قفقاسية متعرجة ، والنهر طورا عن يمينك وطورا عن شمالك ، والحوذي يوفان على مقعده ، وأمامه حصانان منكسا الرأسين كنا ننزل من القطار ونبحث عن يوفان ، ونتوجه إلى اخالتسيخ ، إلى بيت جدي الظليل ، إلى الحديقة الصغيرة المضمخة بأريج الكرز والورود ذات الروائح النفاذة ، وإلى القبو البارد الذي تفوح منه رائحة السجق والتوابل والأدوات المنزلية النحاسية وهكذا كل عام ما ان تبدأ العطلة الصيفية حتى نتوجه أنا وأبي وأمي أو أحد الأخالتسيخيين ذوي الزنار الفضي إلى بيت جدي في « ايرريروم »

في الطريق كنت أقلب النظر بين النهر وحافتي الطريق ، وظهر الحوذي يوفان ، وأتابع حركاته ، وأصيخ السمع إلى فرقعة سوطه ، يستحث به حصانيه ، وكان يوفان يمزح ، ويطلق صوته في أغان مضحكة ، بغية إدخال البهجة على نفوسنا ، وكان يحب ترديد أغنية « سيمون والليمون » ، خاصة ، كاشفا بعد كل كلمتين منها عن صف فضي من الأسنان

كنت أحاول تأمل الحصانين من وراء ظهر يوفان ، لكني لم أكن أتمكن من رؤية أكثر من نصف الحصان مرة عن يسار ظهر يوفان ، ومرة عن يمينه وكانت قوائمها تتحرك في رتابة ، مثيرة الغبار ، وكان الغبار المثار الحائر لا يعرف أين يتوارى ، في الأعلى أم في الأسفل ، وكان يعلق بقوائمها محاولا تغيير ملامحها الواضحة وإدابتها

كانت القوائم مشغولة بعملها ، تتحرك وتتعاقب صعودا وهبوطا وسط الغبار المثار في حد ونشاط ، وكان وقع الحوافر وحده ينبيء باستواء الطريق « تسوك تسوك تسوك »

كنت أعرف هذين الحصانين جيدا ، أحدهما كان مضحكا وحرينا ، وعاليا ذا قوائم طويلة ورقبة طويلة أيضا ، وكانت عيناه حزينتين ، تفيضان بالدمع أحيانا ، لكنه عندما كان يكشّر عن أسنانه ويرفع شفته العليا لم تكن عيناه تبدوان حزينتين

● وكان يوفان يستحث الحصانين وهو يهوي بالسوط على ظهريهما قائلا : ـ هيا يا كوركا ، هيا يا

* ولد الكاتب عام ١٩٢٥ في تبليسي عاصمة جمهورية جيورجيا السوفيتية ، وأنهى كلية الفنون والرياضة والآداب ، وعمل محررا ، وحاز على عدة جوائز أرمنية وجيورجية

ماروسيا ، هيا يا حبيبتي ،

وكان الحصان الآخر ـ ماروسيا ـ فرسا رمادية اللون مرقطة قصيرة متعبة قليلا

كان يوفان يجلسني إلى جانبه أحيانا ، فكانت الطبيعة المحيطة تنكشف أمام ناظري ، والطريق ينساب تحت قدمي ، وكوركا وماروسيا يبدوان أمام عيني مباشرة ، وكنت أتهلل ، وأرتجف انبهارا ، وتتزاحم في صدري رغبات غامضة ، ثم تروح في حلقة رقص وحشية متسارعة ، وكنت أحاول تهدئتها وإيقافها ، لخوفي من حماها وخوفي من نقائها ، وخوفي من لا محدوديتها ، فلربما عابت فجأة وتحولت إلى شيء آخر ! كنت أشعر بها بشيء من الخوف ، محاولا صدها أو تأجيلها إلى « ما بعد » ، وكنت أعرف أن « ما بعد » هذه ما زالت في مكان ما أمامنا ، وأنها لا متناهية كالخلود ، وأن هذه الطريق تؤدي إلى « ما بعد » وأن هذه الطريقة تنطوي بنفسها على السعادة وكانت هذه السعادة تتراءى لي حوقة آلات نحاسية ، طبولا وقربا ، ولونا أحمر ، ورائحة قشرة صنوبر ، وأنماس سهر ، وبيت الجد في « ايرزيروم » والأهم أنها كانت تتراءى لي طريقا لا نهاية لها ، وتمضي فيه فلا ترى لها نهاية

في المقدمة يعدو كوركا وماروسيا « دي ، دي » ، ويصرخ يوفان ، ويلسع ظهر كوركا بسوطه ، وتنكمش ماروسيا على نفسها ، تتحفز بانتظار اللسعة القادمة ، ويصبح جلدها أملس لامعا وقد انبسطت تعضناته نظرة ماروسيا حزينة حقا الآن ، إنها تنظر إلى كوركا كيما تواسيه على الأرجح ، وكيما تحمل عنه بعضا من ألمه ، في حين أنها هي نفسها تتوقع لسعة السوط القادمة لتحمف وقعها ، لكن ها هو ذا يوفان يشد الزمام فإذا بماروسيا تستدير إلى اليسار ، ولا يعود بمقدورها النظر إلى كوركا

رحوته هامسا لا تضربها يا عم يوفان

لكنه لم يكن يسمعني هوى بالسوط على ظهر ماروسيا وهو يتمطق بلسانه ، بدا لي أن ماروسيا كانت مسرورة ، فالضربة لم تكن بالقوة التي توقعتها ، والانتظار أصعب من الضربة نفسها

وسألني يوفان ماذا قلت ؟

ـ فهمست من جديد لا تضربها

ابتسمت عيناه المحمرتان ـ

ـ حسناً سأضربها ضربا خفيفا



يريد كوركا أن يلتمت إلي ، فهو قد سمع كل شيء ، بالطبع قد سمعه

ويشد يوفان الزمام ، فيعود رأس كوركا إلى النطر أمامه بدا لي أن يوفان لا يريد أن ينطر كوركا إليّ

نو ـ و ـ و ـ !

ويعود الحصانان إلى عدوهما وأحدت الأماكن الأليفة تتراءى لي ، عما قريب سأكون عند جدي

قلت لكوركا أسرع ، لا ترعل مني وهمست له قل لرفيقتك الا ترعل هي أيضا ، فما العمل إذا لم يكن هناك خطوط حديدية ؟ حين أصبح في يوم ما ملكا أو رئيس جمهورية أو رئيس وزراء ، سآمر بعدم السفر على الخيول

كثيرا ما كان هذان الروحان اللذان يعدوان أمامي فيبدوان لي مضحكين ، مضحكين وبائسين ، وعندما كنت أرى فيهما شيئا مضحكا كنت أشفق عليهما ، وحينما كنت أشفق عليهما كان الأمر يبدو لي مضحكا ، وكان يبدو لي مضحكا حبهما وإخلاصهما وطيبتهما ، وهذا الإحساس بأن الأمر مضحك كان فظيعا ، بل إني أصبحت أخاف وصار بودي أحيانا أن يعضه ويخدعه ويرفسه ، ألا يحب أحد هذين الحوادين الآخر ، وأن يضحكا بصوت عال كالبشر ، وأن يُخرج أحدهما لسانه للآخر ، ولي ، وليوفان ، إذ ذاك ربما لا يساورني الشعور بالخوف بهذه القوة ، لكنهما كانا أمينين مخلصين ، وكانا يعودان متآلفين منسجمين كزوجين عاقلين ، وطيبين ، ولهذا كان كل شيء حولنا حزينا

ماذا ستفعل في أحالتسيخ يا عم يوفان ؟

ـ سنعود أدراجنا

وسألته متعجبا اليوم فورا ؟

أجاب يوفان اليوم فورا

نظرت إلى الحصانين بذعر ثم سألته من جديد

ـ « وفيما بعد » ؟

ـ ماذا « فيما بعد » ؟

ـ ماذا ستعمل « فيما بعد » ؟

ـ سنعود إلى احالتسيخ من جديد .

ـ ولا شيء أكثر من هذا ؟

ـ ماذا تريد أكثر من هذا ؟ إنه خط سيرهما

وأختلس النظر إلى الجوادين حتى لا يلاحظا نظرتي

من هنا إلى هناك ، ومن هناك إلى هنا

يذهبان ، ويعودان ، ثم يذهبان من جديد ، وماذا بعد هذا ؟

أين الطريق ؟ الطريق اللامتناهي ، وكيف تعيشان دون طريق كهذا ؟ وأتوجه بالفكر إلى كوركا وأنا واثق أنه يسمعني لماذا لا تهربان ؟ لماذا لا تحطمان رحليكما ؟ لماذا لا تكملان طريقكما ؟ هل تسمعني أنت يا كوركا ؟ حذ رفيقتك ولا تتوقف ، امض ، امض ، فالطريق طويل ، سعيد ، حيّر

يريد كوركا أن يدير رأسه باتجاهي ، لكنه يخاف من يوفان ، أما أنا فكنت أنظر إليه بحيث لا يدرك يوفان ما أقول

« اهربا لا تتوقفا ، إنك تسمعني يا كوركا ، يا صديقي الأدهم ، أتوسل إليك لا تخف ، فأنت تعدو بسرعة ، ولن يستطيع يوفان اللحاق بك أبدا ، أنت أقوى من يوفان ، اهرب ، لا تأبه به ، ما الذي يستطيع أن يفعله ؟ أيمكن العيش هكذا ؟ كيف تصبر ؟ من أجل أي شيء ؟ ألا ترى أن ليس لهذا الطريق آخر ؟

ينظر كوركا إلى ماروسيا ويحمحم

«لا بُدّ أنك تفهمني ، امضيا قبل أن ينتهي الطريق ، قبلا أن تظلا فيه إلى الأبد »

وأنظر إلى يوفان خلسة ـ

« إذا كنتما غير قادرين على الصبر فانحرفا الآن عن الطريق ، أمامنا بعد قليل مفترق طرق ، استديرا وامضيا إلى الغابة أو المرج ، ألا تريان سعة المكان ؟ امضيا ، وانتظراني ، فبعد شهر أعود إليكما ونمضي معا »

ـ يوفان لا يرتاب في شيء ، إنه لا يسمع همسي ونجتاز المفترق كوركا وماروسيا يعدوان ، لكنهما مضطربان ، ينعقد البخار فوقهما « لم تتمكنا ؟ لا بأس ، هناك مكان آخر مناسب ، انحرفا من هناك ، وأنا سأمضي على قدمي ، فلم يبق إلا القليل

أمن المعقول أن تعودا أدراجكما إلى الوراء ، ثم إلى الوراء مرة أخرى ؟ »

هنا في المكان المناسب ، خرج يوفان من دهـوله محاة

ـ اي دي

في المساء وصلنا بيت حدي عُبرا متلَدين حل يوفان الحصانين ، واقتـادهما إلى حلف البيت حيث الحشائش ومضيت إليهما

ـ لم تتمكنا هده المرة ؟ لا بأس ، في المرة القادمة انتطراني ، اصغيا إلي في صمت وكان واضحا أن سرنا سيبقى بيننا

وبعد شهرين عـدت إلى الخان ، وانـتظرت مع حدي يوفـان بين العجـلات والعربـات المكسرة ، وكـان يحيط بنا رحـال يلبسون الـطاقية والقفطان ويحملون حناجر ووصل يوفان ، ولم يكن مشدودا إلى عربته إلا كوركا وسألته

لكن أين ماروسيا ؟

ـ نفقت

ـ كيف ؟

ـ الفرس اضعف من الإنسان ، لا تتحمل

● قلت في نفسي محقد « كأنك لا تدري لمادا نفقت » ودنوت من كوركا ـ

ـ مرحبا ، هل نسيت اتفاقنا ، أم تراك ستعود إلى الصبر مرة أخرى ؟

وانطلقنا في الطريق ، ولم أعد الآن ألاحط شيئا ، فقـد كنت مشغولا بكـوركا وحـده كنت أتحدث إليه ، وأشجعه

« المكان مناسب هنا ، هيا انطلق » كان يستمع إليّ ، وقد أراد أن ينحرف ويهرب ، لكن شيئا ما توتر فيه ، شعورا ما غامضاً غبيا كبله ولم أستطع أن أدرك ما السبب إذ لا شيء كان يعيقه ، لا شيء على الاطلاق

« اهـرب ، اهرب اهـرب هيا الآن » لكن كوركا كان ينظر إليّ دون أن ينحرف عن طريقه عند وصولنا كنت محطما وحزينا ، وكنت أقول « جبـان ، حقير ، تـافه ، تـركض ورأسك إلى أسفل مرة أخرى لم تستطع ؟ ما الصعب في الأمر ؟ جبان » ثم نظرت إلى عينيه فأدركتني الشفقة عليه فقلت « حسنا ، في المرة القادمة »

وبعد عام التقينا بيوفان في السوق ،

وسأله والدي مادا تفعل هنا يا يوفان ؟

وأجاب يوفان لقد مدُّوا خطاً حديديا ، والآن أعيش هنا قفزت ، واختلط كل شيء في داخلي ، وعمـرتني عـواطف غـريبـة ، ورأيت الـطريق اللامتناهي الـذي يعبر المروج والغابات والفجاج وفكرت

« إن الخط الحديدي مجرد ذريعة ، فلابد أن كوركا قد هرب »

وسألت بشماتة أين هرب ؟

ـ أين كان بوسعه الهرب ؟

ـ في الطريق الطويل ، اللامتناهي .

ـ وابتسم يوفان ـ كيف لحصان أن يهرب ؟

ـ لا أدري ، مع العربة أو دون ؟

ـ واعترض يوفان بثقة لا

وسألته بحذر وما الذي يفعله ؟

ـ آخذه إلى القرية ، إلى تسورخوت

فقلت بنفس لم تعرف الطمأنينة ومـادا يفعل هناك ؟

ـ يروح ويجيء ،

ـ هل معنى يروح ويجيء دهابا وإيابا ، إلى هناك وبالعكس ؟

ـ تماما

ـ ونفس الطريق ؟

ـ لا ، الـطريق أقصـر ، سيكـون أسهـل عـلى كوركا

وقلت مستغـربـاً ـ أسهـل ؟ كيف سيكـون أسهل !

على العكس سيكون أصعب عليه ، أصعب

أتراه نسي كلماتي ، سأدهب إلى تسورخوت ، وأبحث عن كوركا ، وسأعيد عليه كل شيء من جديد ، سأقول له

ـ اسمع يا كوركا □



أخاف عليك !

شعر : محمود مفلح

تحدثني عن رحيل الينابيع
عن جرح «غرناطة» الكبرياء
كفى يا صديقي
بقلبي سهامك
إن سكوتك بعض العزاء
تعبت من الجري خلف التوابيت
والمشي في النوم
إني أتوق إلى صهوة أمتطيها
إلى قطرة من شعاع جديد
أكحل فيها عيون السماء
أصفي مياه البحيرات من عكر الخيل
دعني من الذكريات الثقيلة
لا تهزز النخل
أعلم أن الأفاعي تبيت على قمة «البرج»
والريح تعول في ردهات القصور
وأعلم أن الرجال تقايض بالسيف «تحت» النجاة
ولكن !!

أخاف عليك البراءة في زمن لا يسن السكاكين
إلا لذبح طيور السماء

أسائلك الآن ؟
هل كان «طارق» يلعب بالسيف
كي تنقش الثوب بالتبر ؟
تقطف من ثمر العشق ولادة في المساء !؟
وتمسح من رغوة الخد مجدا لأكثر عشاقها الأتقياء
وهل كان طارق يستنزف الخيل ركضا
ليمطر عصر الخليفة خمرا
وتغدو المفاصل بعض حديث السكارى
ببرد الشتاء ؟
أعود بصهال خيل الفتوح
ومن لقحوا الريح عدلا
أعود ببرق الصوارم في ليلة الزحف
بالغيث والسنبلات العطاش .

الجديد في العلم والطبّ

إعداد : يوسف زعبلاوي

الزنك وجسم الإنسان

● ما أعجب جسم الإنسان ! فهو يحتاج إلى فيتامينات ، بحيث لايقوى على العيش دونها ، فلو حصل المرء على كل مايحتاجه من نشويات ودهنيات وبروتينات وحرم كل مايحتاجه من الفيتامينات ، لما بقي على قيد الحياة شهرا أو شهرين ، هذا على الرغم من أن المقادير التي يحتاجها من هذه الفيتامينات مقادير ضئيلة جداً ، وقل مثل ذلك أيضا في حاجته إلى المعادن أو الأملاح المعدنية ، لاسيما مايعرف بالخمسة الصغار وهي النحاس والكوبالت والمنغنيز والموليب ديـوم والزنك فالمقادير التي يحتاجها جسم الإنسان من هذه الأملاح المعدنية لاتكاد تبلغ جراما واحدا في جملتها مجتمعة

فالزنك الذي يستأثر بنصيب الأسد (من ذلك الجرام) لاتزيد حاجة الجسم منه على ٠,٩٦ من الجرام

يتساءل المرء عن الفائدة التي يمكن أن يجنيها الجسم من هذه الكمية الضئيلة ، وعن الأضرار التي يمكن أن تلحق به إذا لم يحصل على تلك الكمية على الأخص لا أقل ولا أكثر

يلعب الزنك دورا حيويا في عمليات الأيض أو امتصاص الغذاء من الطعام بعد هضمه ، وهي عمليات حيوية لاغنى لمخلوق عنها ومالم يسرع مايختل تلك العمليات وتضطرب الطريقة التي يتعامل بها الجسم مع الأطعمة جميعا ، البروتينات والنشويات والدهنيات دون استثناء

وتتضاعف الحاجة إلى الزنك عند المرأة الحامل وقد دلت الدراسات التي أجريت في السنة الماضية في جامعة ردنج ببريطانيا على أن فقر الزنك في الحامل يؤدي إلى إصابة الجنين بآفات عديدة ، وإلى ولادة مولود ناقص الوزن ذي رأس صغير الحجم ، بطيء النمو ولعل أخطر مانبهت إليه هذه الدراسات احتمال وجود صلات وثيقة بين نقص محتويات الزنك في الجسم وبين مرض الأيدز وحسبك الشبه الكبير بينهما ، فكلاهما يحد من فاعلية أجهزة المناعة أو يعطلها ، ويشتبه البروفسور سميث الذي أشرف على تلك الدراسات بوجود صلة وثيقة جدا بين فيروس الأيدز وفقر الزنك

على أن تحديد نقص الزنك في الجسم ليس بالأمر الهين ، وقد تعذر تحديده

بواسطة تحليل الدم أو تحليل شعر الرأس ، وبقيت الأمور على هذه الحال ، ومن ثم بقيت خطورة الزنك بعيدة عن الأذهان حتى تسنى للدكتور سميث ابتكار طريقة لتحديده وهى المضمضة بمحلول الزنك ، وهي الطريقة التي انتشرت مؤخرا في بريطانيا وأمريكا فمن شأن النقص في محتويات الزنك أن يعبث بحاسة الذوق بقدر مايحد من مادة بولي بيتايد (Polypeptide) التي تعتمد عليها تلك الحاسة من أجل الانتقال من جهة إلى أخرى

وتجدر الإشارة إلى أن الإدمان على الكحول يسبب نقصا في محتويات الزنك . وقل مثل ذلك في التربة الزراعية التي أرهقتها الزراعة المكثفة أو الأسمدة الفسفاتية وغيرها

ومن طريف مايذكر أن الممارسة الجنسية تفقد الجسم كل ماجمعه من الزنك طوال يوم كامل .

■■■

لقاح فعال ضد داء الكلب

يبدو أن التعاون الوثيق الذي قام بين فريقين من العلماء ، فريق فرنسي وآخر أمريكي ، الذي استهدف تطوير اللقاح المناسب ضد داء الكلب قد بدأ يعطي ثمرته الطيبة

وقوام اللقاح جزء من فيروس داء الكلب ، يكفي لإثارة جهاز المناعة في الجسم ، بحيث يقوم هذا الجهاز بصنع الأجسام المضادة بالكمية المناسبة التي تكسب الوقاية دون أن تسبب الإصابة بالمرض



والطريف أن التجارب الميدانية على هذا اللقاح تجري حاليا في الولايات المتحدة وأوروبا ، وتستهدف في كلتا الحالتين تجربة اللقاح على حيوانات برية ثبت للعلماء أنها الحامل أو الناقل الرئيسي لداء الكلب وهي الثعالب في أوروبا ، والروكون (Raccoon) والظربان (Skunk) في الولايات المتحدة أما الطريقة التي تلقح بها هذه الحيوانات بلقاح الكلب فهي تمزج طعام تلك الحيوانات باللقاح ، وبعد المزج تلقى أكياس الطعام الملقح من الطائرات في المواقع المناسبة ، فتقبل الحيوانات على أكل ذلك الطعام بما فيه من لقاح

وتجدر الإشارة الى أن العلماء المتعاونين في صنع اللقاح وتجاربه هم علماء معهد « وِسْتار » في فيلادلفيا ، وعلماء شركة « ترانسجين » الفرنسية ، وأن تطوير اللقاح قد تم وفق أحدث أساليب الهندسة الوراثية

■■■

جهاز جديد لقياس حساسية الجلد

درج الأطباء على قياس حساسية الجلد إما بالضغط بالأصابع أو بالوخز بالدبوس أو بتعريض الجلد للحرارة والبرودة أو غير ذلك من الأساليب البدائية .

من هنا كان الترحيب الكبير الذي لقيه الجهاز الجديد (Issal Sensimeter) الذي طوره الدكتور لوري ليتينين (Laitinen) جراح الأعصاب في أوميا في السويد

يعتمد هذا الجهاز على قطب كهربائيElectrode مزدوج (Bipolar) وعلى أقراص من اللباد مشبعة بمحلول ملحي .

أما عمل الجهاز فيجري على مستويات ثلاثة ، يعني في أولها ببدايات الإدراك الحسي ، حين تبدأ الإثارة للألياف العصبية A-beta nerve fibre ، ويركز في مستواه الثاني على بداية الألم ، حيث يشعر المريض ببعض المضايقة ، ويعتمد في مستواه الثالث على زيادة حدة الألم ، وذلك لامتحان طاقة الإنسان على تحمله

أما استعمالات هذا الجهاز فكثيرة ، نذكر منها تحديد مدى حساسية الجلد أو مدى فقدانها بسبب الحوادث والإصابات الدماغية أو الفقارية (Cerebral or Spinal) التي يتعرض لها الإنسان . ونذكر أيضا تحديد التلف الذي قد يرافق الآفات العصبية (Nerve Iesions) وهو مايحرص عليه جراحو الأيدي ، ناهيك عن التلف الذي يسببه مرض السكري للأعصاب (Diabetic neurophy) وهو واسع الانتشار ، كما معروف

■■■

طبيب عربي يجري عملية جراحية رائدة

● أجرى طبيب عربي مؤخرا (أواسط شهر مايو ١٩٨٨) عملية جراحية فريدة ، لعلها الأولى من نوعها في العالم ، وقد أجراها لفتى كويتي يبلغ من العمر ١٦ عاما ، كان قد تعرض لحادث سيارة أدى إلى تلف ٩ رتين من عموده الفقري وهما الفقرة الرابعة والخامسة العنقيتين على وحه التحديد ، وترتب على ذلك الحادث أن فقد الفتى إحساسه في ذراعيه وساقيه على حد سواء

أما الذي أحرى العملية فهو الطبيب المصري الدكتور شفيق حودة الريات (٤٢ عاما) ، وقد كانت عملية زرع ، إذانترع الجراح الفقرتين التالفتين ، وزرع مكانها فقرتين من فولاد لايصدأ كانتا من تصميمه

ومما يذكر أن الدكتور الريات ، وهو رميل في كلية الجراحين الملكية في لندن ، قد أدلى بحديث إلى الصحفيين في البصرة أوضح فيه أنه أدخل الفقرتين الفولاذيتين عبر فتحة أحدثها في مقدمة العنق

■■■

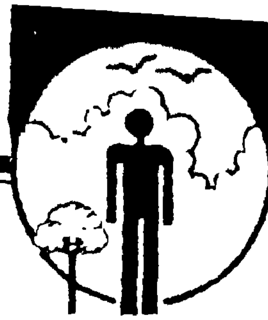
كعكة من خشب !

● نجح علماء أمريكيون في تطوير مادة سليولوزية ليفية جديدة ، يمكن أن تدخل في صنع الخبز والمعجنات بنسبة ٥٠/ دون أن تنال من الطعم ، ثم أنها قابلة للامتصاص والاندماج في العجين ، وتستطيع مساعدته على الانتفاخ والأهم من ذلك كله هو أن المادة الجديدة خالية من الحريرات

ولايخفى ماقصد إليه العلماء من ابتكار هذه المادة الغنية بالألياف ، فهي تحمل قش القمح ونفاية الذرة أكثر قابلية للهضم ، فتؤهلها لكي تصبح علفا مناسبا للحيوان أضف إلى ذلك أن إقبال الإنسان على استعمالها ـ انظر الصورة ـ من شأنه أن يحد مما يعانيه من عسر الهضم أو يقضي على عسر الهضم ، ويكسب الإنسان وقاية من سرطان القولون



أما كيفية صنع هذه المادة فقوامها المادة الكيماوية بروكسيد الهيدروجين التي يعالجون بها النفايات النباتية الغنية بالألياف ، كقشور البلوط والبنجر ، التي تعمل على تطرية جدران الخلايا في هذه النفايات □



تعقيم الحليب بتعقيم أبقاره

● نشرت مجلة بوابحلند الطبية في أحد أعدادها الصادرة في شهر أيار الماضي (١٩٨٨) بحثا حيويا مهما للدكتورة « كارول تاكت » من كلية الطب في جامعة ماري لاند في بلتيمور في الولايات المتحدة ، أوضحت فيه كيف تمكنت من إكساب السياح مناعة ضد الإسهال الذي كثيرا ما يعانون منه إذا شربوا من حليب البقر في البلد الذي يزورونه ، وقد أمكنها ذلك لا بتلقيح السياح وإنما بتلقيح البقرات التي اختاروها لكي يجمع حليبها لأولئك السياح وقد راعوا في اختيارهم هذا أن تكون تلك البقرات من الحوامل ، ذلك أن المناعة التي تكتسبها البقرة الحامل نتيجة التلقيح يكتسبها في الوقت نفسه الجنين الذي في بطنها ، أي أن الأجسام المضادة التي يصنعها جهاز المناعة في جسم البقرة لا تلبث أن تجد سبيلها إلى حليبها ، وتنتقل بالتالي إلى جنينها ، وهكذا يصبح حليب تلك البقرات معقما

أما اللقاح الذي لقحت به البقرات في هذه التجارب فقد احتوى على أنواع مختلفة من البكتيريا التي تسبب الإسهال للسياح وقد أجريت التجارب على عدد كاف من السياح (المتطوعين) فكان النجاح بنسبة ١٠٠ ٪

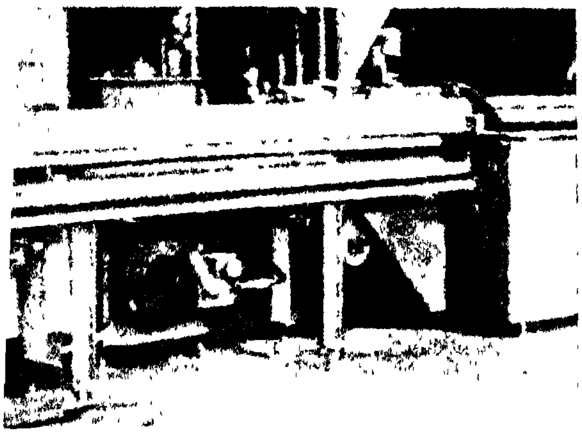
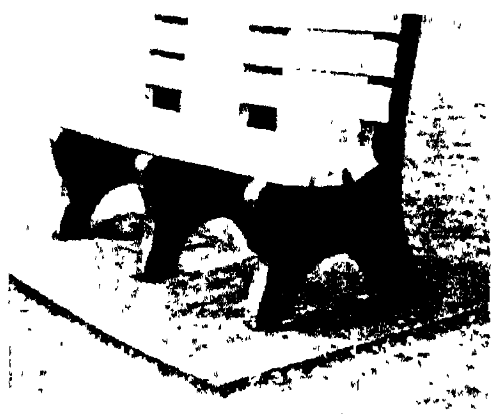
■ ■ ■

كانت نقمة فأصبحت نعمة

● كانت النفايات البلاستيكية ـ ومازالت ـ مصدر تلوث كبير عنيد ، فهي ذات حجم كبير يمثل ٣٠ ٪ تقريبا مما تمتلىء به المزابل (في أمريكا على الأقل) ، والأهم من ذلك أنها لا تتحلل (Decompae) أو تفسد كالنفايات الأخرى ، لاسيما نفايات الأطعمة أضف إلى ذلك كله أن النفايات البلاستيكية في تكاثر ، ذلك أن الإقبال على استعمال القوارير البلاستيكية في تزايد ، ويصدق هذا خصوصا على صناعة المرطبات والمشروبات غير الروحية

ولقد عمدت بعض الحكومات والشركات في أوروبا وآسيا أيضاً إلى تحويل هذه النفايات إلى ألياف صنعية Synthetic Fibres ، لكن الكميات التي يجري تحويلها على هذا النحو لا تعدو كونها جزءا يسيرا من المجموع

من هنا كانت الماكينة التي ابتكرتها شركة بلجيكية من أجل معالجة تلك النفايات موضع اهتمام الكثيرين من المهتمين بحماية البيئة ، فمن شأن هذه الماكينة أن تخلط أنواعا متضاربة من النفايات البلاستيكية ، تشمل القاسي منها كقوارير الشامبو ، وكذلك الطري كأكياس البلاستيك ، ثم تعمل الماكينة على معالجة الخليط ، بحيث يتحول إلى نوع آخر من البلاستيك ، يمكن استعماله لأغراض

■ ■ ■

الوقـــاية من السـرطـان

■ ■ ■

أكيـاس للقمـامـة جـديـدة

وسر الاكياس الجديدة يكمن في المادة الكيماوية التي استعملت فيها ، فهذه المادة ... [illegible] ... تجعل النفايات ... تحلل ... لضوء الشمس ... [illegible]

حيوانات نادرة في الخليج العربي !



استطلاع :
أنور الياسين
تصوير :
طالب الحسيني



« نعم ، لقد زحف العمران والتحضر على مجتمعات الخليج كلها ، وتغيرت خريطة المدن ، وطبيعة الحياة ، والبشر ، ولم يعد المجتمع كما كان منذ خمسين عاما ، فتكاثرت في الخليج مدن عصرية تحيا زمنا من الرفاهية والعمل لصالح أبنائها ، لكن مع ذلك مازالت في الخليج بقاع مضيئة تهتم بالحفاظ على ملامح البيئة الخليجية وثرواتها الطبيعية ، ومازالت في الخليج محميات للحفاظ على حيوانات البيئة النادرة من الانقراض » « فكلما ازداد الإنسان تحضرا ازداد اهتمامه بالحيوان »

في ليلة صيف كان سفرنا من الكويت مع « بضع أوراق وكتب » . وفي الذاكرة تاريخ طويل عن جزيرة العرب ، وعلى طرف اللسان أبيات شعر عن المكان العربي ، والبيئة العربية

محا البين ما أبقت عيون المها مني
فشبت ولم أقض اللبانة من سني

فهل كان تغنى الآباء بالصحراء العربية ورمالها ، وواحاتها وعيون مائها وحيواناتها خيلا ووهما ؟ كلا ، فقد كانت صحراء الجزيرة حيث تسكن القبائل العربية مرتعا للعديد من فصائل الحيوانات التي تلائمها البيئة الصحراوية الحارة ، والتاريخ المكتوب يخبرنا عن رحلات الصيد والقنص التي كان يقوم بها أجدادنا العرب

ولعل أشهر رحلة صيد في التاريخ العربي الإسلامي رحلة حمزة بن عبدالمطلب التي عندما عاد منها أخبرته قريش أن أبا جهل يتعرض لابن أخيه محمد عليه الصلاة والسلام ، فذهب وضرب أبا جهل وشج رأسه وأعلن إسلامه وفي التاريخ المكتوب أن هاشما جد الرسول عليه الصلاة والسلام كان يصطاد الحيوانات وينحر الابل ويضعها على قمم الجبال ليطعم الوحوش وكواسر الطير (الصقور والنسور)

ويحفل الشعر العربي بأبيات تغنى فيها الشعراء بالعيون ، وبالصيد والقنص وبالحسنة وبالطير وذات الرمال ، وأصبحت الجزيرة العربية مدنا وعواصم ، وطرقات وشوارع ، ومبان ومطارات عن البقاع المضيئة التي تذكرنا بالبيئة العربية والتاريخ العربي كانت رحلتنا

المكان والظروف

تقع صحراء الجزيرة العربية ضمن المنطقة الحارة الصحراوية والقليلة المياه . وبالتالي فهي في معظمها غير مزروعة ، اللهم إلا بعض الواحات التي تزرع فيها نباتات تتلاءم مع البيئة الصحراوية ، مثل أشجار النخيل والصبار وبعض العشب الصحراوي

ولأن البيئة كل متكامل فإنه يتوقف على طبيعة البيئة المناخية والنباتات التي بها نوعية الحيوانات الموجودة فيها ، ولذا فقد انتشرت في الجزيرة العربية الحيوانات الآكلة للعشب ، وأشهرها الإبل والخيل والمها وبعض أنواع البقر

وفي صراع الإنسان الطويل مع البيئة وعناصرها من أجل بقائه استطاع الإنسان عبر رحلته الطويلة ترويض الإبل والخيل

يذهب بعض دارسي الأنثربولوجيا إلى أن الخيول كانت حيوانات غير مروّضة في البداية ، حتى أحس

الانسان مدى حاجته لاستخدامها في التنقل ، ثم أدرك مزاياها في الخفة والسرعة ومرونة الحركة ، وأحس بحاجته لاستخدامها في القتال للدفاع عن نفسه هجوما او هروبا من خطر

ويذهب علماء الأنثروبولوجيا وتاريخ الانسان إلى أن الانسان قد روض الحيوانات التي يجني فائدة من بقائها دوما بجواره . وقد وجد الانسان فائدة في حيوانات أخرى ، لكنها ليست فائدة دائمة يومية ، وليست ذات اتصال وثيق بنشاطه الاقتصادي والانتاجي . لذلك روض الخيول ، والابل ، وفي مجتمعات الأنهار استبدل الابل بالبقر والكلاب . وهكذا ، ومن هنا يذهب بعض العلماء إلى أن الحيوانات الأليفة لم تكن أليفة فقط لمجرد تكوينها الفسيولوجي ، لكن ذلك نتيجة لتدخل الانسان وتحكمه ووضعه لها في إطار وظيفي . ويسوق هذا الفريق من العلماء دليلا منطقيا وعلميا فيقولون إن الحفريات التي اكتشفت تثبت أن الانسان الاول كان أطول وأضخم من إنسان اليوم ، وان البشر كلما انخرطوا في الأداء الوظيفي الاجتماعي تصغر أحجامهم وتضعف عضلاتهم ، وتقصر قاماتهم وتتضاءل قوة تحملهم.وقد روضت القبائل العربية التي استوطنت جزيرة العرب الابل والخيل.وعلى الرغم من انتشار حيوان المها العربي فيها إلا أنه لم يكن ذا نفع مباشر في الحياة اليومية . فترك يرتع في الصحراء مادة للصيد والقنص ، ووجبة شهية طيبة المذاق لمن يتحمل عبء الصيد ومخاطره

رياضة أدت إلى الانقراض

ومع التطور الاجتماعي للجزيرة العربية واستقرار القبائل وازدهار حركة التجارة ، أصبح الصيد والقنص هواية أصحاب الثراء ، ينطلقون بجنودهم في أرجاء الصحراء ، يصطادون لمجرد المتعة في الصيد ، دون حاجة ملحة للفريسة ، ثم تطور الأمر مع التطور التقني ودخول السيارة إلى مناطق الجزيرة العربية واستخدام الأسلحة النارية ، وأصبح الصيد أسهل وأيسر . وانطلقت رياضة الصيد تطارد حيوانات الجزيرة العربية

وكان العالم كله خصوصا بعد اكتشاف مناطق وسط أفريقيا وانتشار المطبوعات المصورة عن الحيوانات العربية النادرة وذلك في عشرينيات هذا القرن ، أقول كان العالم قد عرف رحلات الصيد المنظمة من أوروبا والغرب بصفة عامة تجوب وسط أفريقيا وصحراء الجزيرة في هوس رياضي للصيد والقنص ، وتمتلىء صحف ومجلات ذلك الوقت بأخبار رحلات الصيد وأسماء أعضائها في هوس عالمي بهذه الرياضة

ولم يستمر الأمر طويلا ، ففي أواسط الثلاثينات وبعد الأزمة الاقتصادية الكبرى ظهرت جمعيات اجتماعية خيرية في أوروبا وبعض بلدان إفريقيا تنادي بوضع ضوابط للصيد ، وعدم تركه حرا دون قيود حفاظا على الثروة الحيوانية.وبدأت تظهر في افريقيا مناطق الغابات الطبيعية المفتوحة التي يمنع الصيد في أجزاء منها ويسمح به في مناطق أخرى وفق نظم محدودة وقواعد متبعة

وبدأ العالم في الخمسين عاما الأخيرة يعرف مناطق الحفاظ على البيئة الطبيعية بشكلها وظروفها الفطرية وحيواناتها ، ويضع المنطقة تحت إشراف علمي كامل حفاظا عليها وحماية لها من الانقراض

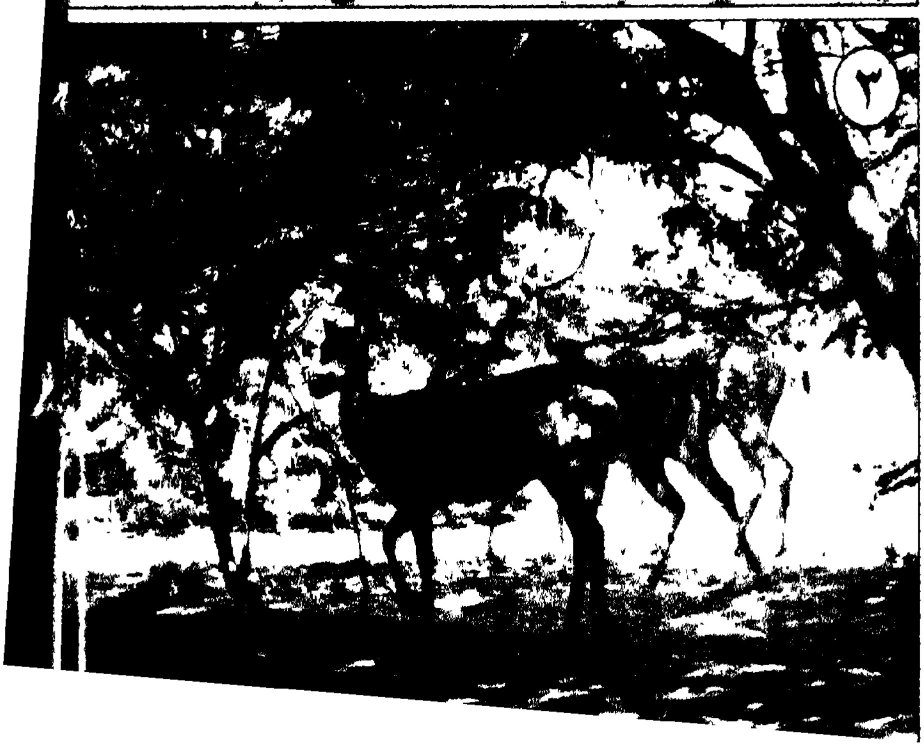
وإلى قطر والبحرين - حيث أشهر محميات حماية الحيوانات النادرة في الخليج العربي - دخلت بعثة « العربي » إلى هذا العالم المثير العجيب

واحات للحماية

بينما اختار العالم اسم الغابات الطبيعية كان الاختيار «العربي»أكثر مناسبة ودقة ، فلقد سمّاها « محميّات » ، أي الأماكن المحميّة ، وتطلق هذه التسمية على ذلك المكان المتسع الواقع بعيدا عن العمران والذي يتميز بوجود نباتات طبيعية فيه ، أو يُستزرع بالأشجار والعشب والنخيل ، وتتوافر فيه







١- قطيع المها العربي (الـوضيحي) في محمية الشيحانية في قطر

٢- قطيع الريم العربي في محمية الشيحانيه في قطر

٣- الغزال المنقط في محمية العرين بالبحرين

٤- مها البيسا في محميه الوسرة في قطر


٤

أو بالقرب من مصادر مياه دائمة

في قطر توجد أكثر من محمية لحماية الحيوان . وقد بدأ الفكرة المغفور له الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني في عام ١٩٦٤ عندما قام بصيد عدد كبير من المها المتواجدة بصحراء الربع الخالي . ونقلها إلى مزرعته . وأولاها الرعاية والاهتمام . حماية لها . وقد حذا حذو المرحوم الشيخ جاسم عدد من المهتمين بالمها من البلاد . فاصطادوا عددا منها وأقاموا محميات خاصة لحمايتها

وفي عام ١٩٧٩ فتحت وزارة الزراعة محمية الشيحانية التي تقع على بعد حوالي ٤٥ كم من الدوحة العاصمة . وتبلغ مساحتها حوالى ١٢ كيلو متر مربعا

في منتصف الطريق إلى محمية الشيحانية . يبدو للقادم إليها من بعيد أنها تطل عليه من فوق تلة تشرف على الطريق . فتبدو كواحة وسط الصحراء . وكلما اقتربت به السيارة اتضحت المعالم أكثر فوق المنصة أشجار سامقة خضراء يحيط بها سور أسمنتي مرتفع يحمي ما وراءه . وعند البوابة يتسلم مسؤولو المحمية تصاريح الدخول . وفور عبورك البوابة تشعر أنك انتقلت إلى عالم آخر شلالات مياه . وأشجار . وحيوانات المها والريم تنطلق أحيانا من حولك

بجوار البوابة مبنى أنيق صغير عبارة عن استراحة للزوار . وتشرف هذه الاستراحة على المحمية كلها فالواقف بشرفتها يستطيع أن يرى منظرا عاما للمحمية كلها

يقول المهندس محمد قدرة المشرف العام على المحمية إن في المحمية حيوانات المها العربية والريم (الغزال العربي) فقط . وأن هذا يرجع إلى حرص إدارة المحمية على أن تكون مكوناتها من الحيوانات العربية الأصيلة . فالغرض من إنشائها هو حماية هذه الأنواع النادرة التي تختص بها الجزيرة العربية . وهي في طريقها إلى الانقراض إذا لم تكن في مناطقها الأصلية بصحراء الربع الخالي

وقد بدأت المحمية عام ١٩٧٩ . وفيها من المها العربي الآن مائة وخمسون تقريبا . وقد كان فيها ٣٣ غزالا . تكاثرت حتى أصبح عددها الآن حوالي ثلاثمائة وخمسين . وقد فصلت الغزلان عن المها . فلكل قسم خاص به . وداخل كل قسم تقسيم آخر إلى قطعان . والقطيع يتكون من مجموعة من الإناث والذكور . ويخصص لهم مرعى منفصل عن مرعى القطعان الأخرى . وذلك كنوع من الحماية الطبية . وتضييق احتمالات الخطر في حالة انتشار وباء ـ لاقدر الله ـ أو مرض أحد أفراد القطيع . فهذا التقسيم يتيح قدرا أكبر من السيطرة على الحالة الطارئة ويمنعها من التفشي . والمراعي أرضها رملية مفروشة بالصخر الصغير . وأهمية الصخر أنه يقوم بتقليم أظلاف الحيوانات بطريقة طبيعية من جراء حركتها وسيرها فوقه . كما تنتشر الأشجار في مناطق الرعي وقنوات المياه لتوفير البيئة الطبيعية . وتخصص لكل قطيع أماكن يوضع فيها الطعام . وبحكم الاعتياد أصبحت القطعان تعرف مواقع الغذاء وتذهب إليه

تضم المحمية فريقا من العاملين في مختلف التخصصات من بيطريين إلى زراعيين إلى باحثين إلى اختصاصيي تغذية . بالإضافة إلى العمال الإداريين وعمال النظافة

المحمية الثانية الأهم في قطر محمية « الوبرة » . وهي محمية خاصة . أنشأها المرحوم الشيخ محمد بن علي آل ثاني عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ على مساحة ٢٢ كيلومترا مربعا وقد بدأت الفكرة خلال رحلات الصيد والقنص التي كان يقوم بها الشيخ . فبدأ في إحضار ما يصطاده حيا إلى مزرعته التي حولها إلى محمية . وهي تقع إلى غرب مدينة الدوحة بحوالي أربعين كيلومترا تقريبا وبعد انتقال الشيخ محمد إلى رحمة الله أهملت المحمية فترة . فمات كل مافيها من حيوانات . ثم بدأ نجلاه . الشيخ خالد والشيخ حسن في إعادة الحياة إلى المحمية على أساس تنظيم علمي . وتقنية متقدمة . واستمرار في اتباع نهج والدهما في الاعتماد على القنص والصيد لتكوين المحمية

وقد نجحا في تكوين محمية تضم الآن ما بين ٤٠ ـ


الشيخ حمد بن محمد آل ثاني

٤٥ نوعا وسلالة من أنواع الغزلان والمها والحيوانات العشبة . منها سلالات نادرة تعيش في الأسر لاول مرة . مثل الغزال السعودي الذي لا يوجد منه إلا شاب فقط في حديقة خاصة في سياعو نأمل بكثا اللاتينة . ونظرا لكثرة عدد الحيوانات وتنوعها فإن نظام المحمية قسم القطعان المتماثلة فقط داخل مساحة مسوره بالأسلاك . وقد ضمت المحمية لتضاهي البيئة الطبيعية ، فأنشئت بها جبال وهضبات صناعية واستزرع فيها نخيل وأشجار . وتخضع المحمية لنظام طبي صارم . ويشرف عليها طبيب بيطري متخصص ، يقوم بالمرور اليومي الدقيق على كل الحيوانات الموجودة

ولاتوجد فروق حادة بين المحميات بصفة عامة او على الأقل في فكرتها الأساسية . وكما في قطر فإن البحرين تشتهر أيضا بمحمية العرين ، الأمر الذي جعل قطر والبحرين أكثر شهرة بين أقطار الخليج العربي من حيث وجود المحميات الخاصة

« العرين » و « المرخ »

ومحمية العرين في البحرين تقع في منطقة « المرخ » بالقرب من الساحل العربي لجزيرة البحرين على بعد ٢٠ كيلومترا جنوب المنامة وهي منطقة تكثر فيها الكثبان الرملية وتنمو فيها شجيرة « المرخ » التي سميت المنطقة باسمها . وقد أحيطت المنطقة بسياج . وزرعت فيها أشجار مختلفة لتوفر للحيوانات مأوى حقيقيا ، وحفرت فيها ثلاث آبار ارتوازية لري النباتات وتحتل محمية العرين رقعة أرض مساحتها ٨ كيلومترات مربعة ، وتنقسم المحمية إلى قسمين هما الحديقة المفتوحة ، وهي مصممّة لاستقبال الجمهور بحيث يتمكن الزوار من مشاهدة الحيوانات البرية مثل الظباء والغزلان والحمر الوحشية وتنتشر في ارجاء الحديقة المظلات النموذجية المصنوعة من سعف النخيل لكي تأوي إليها الحيوانات الصغيرة لتحمي نفسها من حرارة الشمس ، كما تتجه إليها الحيوانات الكبيرة لتجد غذاءها الذي يضعه هناك العاملون بالحديقة . أما القسم الثاني فهو المحمية نفسها ، وهي ليست مفتوحة للزيارة ، لأنها تضم حيوانات نادرة تحتاج لرعاية خاصة ، وتوفر الظروف المثلى حتى تتناسل وتتكاثر ومن الحيوانات التي تضمها المحمية المهاة العربية والماعز الجبلي والغزال العربي والوعل العربي وطير النعام وطير الحباري والحركة داخل المحمية - سواء الحديقة أو المحمية نفسها - تتم بواسطة عربات صغيرة في طرق دائرية محددة مسبقا . بمواعيد محددة وذلك لعدم إزعاج الحيوانات

وتنتشر داخل المحمية المستنقعات والبحيرات الصناعية لكي تشرب الحيوانات ، وفي نفس الوقت يساعد وجود الماء على جلب أنواع كثيرة من الطيور البرية إلى المحمية وقد تم غرس حوالي ٧٠٠٠٠ شجرة ، تمثل ٥٠ نوعا من الأشجار ، في منطقة كانت قاحلة يوما ، ويجرى ري كل شجرة على حدة بواسطة شبكة للري بالتقطير

هذا العالم المثير

يظل عالم المحميات غريبا ومثيرا ، فالأمر لايقتصر على مجرد اختيار مكان وبنائه واستزراع بعض الأشجار ، فهي جانب منه يتم ذلك عن الاهتمام المفرط والحب للحيوان ، ولهذا لا يمكن أن يظل مجرد نوايا طيبة ، لأن الأمر يتطلب قدرا من المتابعة والقراءة وجمع المعلومات والسفر والترحال


١
٢
٣





١- عرال الدامة النادر حدا في محمية الوبرة
٢- عرال طومسون - في محمية العرين
٣- الوعل الجبلي - في محمية الوبرة
٤ العرال اليمني (الصحراوي) في محمية الوبرة
٥- عرال اليسرة الذي تنفرد به محمية الوبرة ، وهو الوحيد الذي يعيش في الأسر
٦- اللحاي أو (الثور الأزرق) في محمية العرين



والاتصال بجمعيات الحيوانات العالمية ومراكز الأبحاث

الشيخ حسن محمد آل ثاني صاحب محمية الوبرة في قطر يحكي لنا ويقول ـ « لدىَّ أنواعٌ من الغزلان من جبال بربرة شمال الصومال ، لم يسبق لها أن خرجت من بيئتها ، وقبل أن نجلبها إلى المحمية قرأتُ عنها كلَّ ما كتب وكل تجارب نقلها من بيئتها ، وفي تصوري أن هذا الغزال قد عاش هنا لهذا التشابه الموجود في البيئة بيننا وبين الصومال ، وهناك آراء علمية تقول إن الجزيرة العربية وشرق أفريقيا كانا منطقة واحدة قبل الانفلاق الجغرافي العظيم الذى نجم عنه البحر الأحمر ، وفي الحقيقة أن اهتمامي بالمحمية ـ بعد وفاة والدى رحمه الله ـ دفعني لأن أقرأ عن أنواع الحيوانات وعاداتها وأسمائها ، ومن أطرف ما أجمعه الآن وأعكف على كتابته بحثٌ عن أسماء الحيوانات التي نقلها الأوربيون وترجموها وهي من أصل عربي ـ فمثلا في اللغة الانجليزية يسمي الغزال المجلوب من شمال الصومال بارا BARA وهي تحريف لكلمة « بعير » ، كما يسمي الصوماليون هذا النوع من الغزلان ، بينما نسميه نحن في اللغة العربية (بيرقع) ، والأفارقة لايستطيعون نطق القاف فينطقونه بالتخفيف فيتحول إلى حرف العين ثم يخفف الأوربيون الكلمة لصعوبة نطق حرف العين ، وكذلك الأداكس ، وهو أحد الحيوانات البرية التي لها علاقة بالمها العربية ، وكلمة أداكس بالانجليزية وهي آتية من كلمة « عداس » العربية ، وهو الاسم الذى يطلقه العرب على هذا النوع من الحيوانات

وهناك عدة من الأسماء مثل الدامة والمصر والأيلن ، وكل أسمائها الأجنبية مشتقة من أصول التسمية العربية

ويستمر الشيخ حسن بن محمد في حديثه فيقول إن اهتمامي بالحيوان يدفعني إلى السفر بشكل مستمر للبحث عن مواطن أنواعه المختلفة وصيدها لجلبها إلى المحمية

حيوانات الصحراء العربية

ولكن ما حيواناتُ الصحراوات العربية التي يمكننا أن نعدها من الحيوانات النادرة ؟ مدير محمية العرين في البحرين جاسم محمد الشيخ يعدِّد لنا هذه الحيوانات فيقول

تشتهر الصحراء العربية بعدد من الحيوانات ، فضلا عن الحصان العربي الأصيل ، وهي حيوانات تتميز عن فصائل جنسها الموجودة في مناطق أخرى ، وهذه الحيوانات هي

* المهاة العربية (الوضيحي) تمتاز المهاة العربية بجمالها الرائع ، فجسمها أبيض وعيناها سوداوان تحيط بهما بقع سوداء ، ولها قرنان طويلان مستقيمان كالسيف ، وقد يصلُ في بعضها إلى ٧٥ سم ، وللذكر والأنثى نفس الحجم ، وللاثنين معا علامات سوداء غامقة على الوجه والسيقان . ووطن المهاة الأصلي الصحراءُ العربية ، لكنها انقرضت الآن ، ولم يعد باقيا منها إلا ما هو موجود في المحميات ، وتتضح دلائل ملاءمتها للبيئة العربية عندما نعرف أن المهاة عند ولادتها تكون ذات لون بني فاتح وهو أقرب للون الرمل في الظل ، ويظل اللون يتحول تدريجيا إلى الأبيض كلما تقدم بالمهاة العمرُ

* الأداكس وهو من فصيلة المهاة ، ولونه أبيض يتبدل إلى البني في الشتاء ، له قرنان متموجان ، وأقدامه مسطحة تحفظه من أن يغوص في رمال الصحراء الناعمة ، يتحرك ببطء شديد ، وفي الجو الحار يحفر لنفسه حفرا يظل رابضا فيها طيلة النهار

* الغزال العربي يمتاز الغزال العربي بصغر جسمه وطول سيقانه ، مما يُكسبه سرعة الحركة ومرونة ورشاقة ، ولونه أحمر مائل إلى البني الغامق ، مع وجود خطوط داكنة على وجهه ، وبطنه بيضاء ، وذيله أسود ، وللذكر والأنثى قرون قصيرة مستقيمة ، لكن قرون الأنثى أصغر وقد أصبح الغزال الآن نادرا اللهم إلا في المحميات فقط

* الماعز الجبلي يمتاز الماعز الجبلي الذي يستوطن



المهندس محمد هدة

الجمال والحب

لم يتعن شعراؤنا بالمهاة صدفة ، ولاشكل طارىء . فالمهاة حيوان عربي . له عالم شديد الإثارة وشديد الثراء بالمعاني ، وللأستاذ عباس العقاد كلمة شهيرة فقد كان يقول « بين الحين والآخر أذهب إلى حديقة الحيوان واحد في مراقبة سلوك الحيوان وأعود فأقرأ عنه . وأكتشف التماثل المذهل بين بعض السلوك في الحيوان وما يماثله في بني الانسان »

في قطر تولي محمية الشيحانية المها اهتماما خاصا وشديدا . فسألنا واستمعنا إلى الحديث عن صفات هذا الحيوان الذي دخل الأدب العربي ، وردد اسمه الكثيرون وأطلق بعضنا اسمه على بعض بناتنا تيمنا بجماله يقول لنا ـ باستفاضة ـ ماجد الكواري مدير الادارة البيطرية والمزارع في وزارة الزراعة والمساعد في قطر المها اسم لحيوان يطلق على فصيلة من الماشية تسمى ذكورها الثيران . وإناثها النعاج . وصغارها الجاذر أو الشراق أو الطلاء .

ويعيش المها عمره الطبيعي بين (٢٠ ـ ٢٥) عاما . وتزن المهاة البالغة ١١٠ ـ ١٥٠ كيلوجراما ، ويبلغ طولها ١٩٠ ـ ٢٠٠ سم وارتفاعها حتى منطقة الكتف ٩٠ ـ ١٢٠ سم ، وطول قرنيها ٧٠ ـ ٧٥ سم .

وقرناها مستقيمان لولبيان تحيط بهما حلقات قرنية ، ونهايتاهما حادتان جدا مما يعطيهما قدرا كبيرا من القوة والصلابة ومقاومة الانحناء او الكسر . وتستعملهما المهاة للدفاع عن نفسها ضد أعدائها ، فتستطيع التغلب بهما على الذئاب والضباع وبعض الحيوانات المفترسة الأخرى ولايستطيع الإنسان التقدم من المهاة إلا إذا أمسك بقرنيها بشدة ليتفادى خطرهما

وتصل الانثى إلى سن البلوغ في عامين ونصف إلى ثلاثة أعوام . وتلد بعد حمل مدته (٢٤٠ ـ ٢٦٠) يوما . وتلقح مرة أخرى بعد الولادة مباشرة بأربعة أيام الى سبعة أيام . وأثناء فترة التزاوج يحيط الذكرُ ـ قائدُ القطيع ـ الأنثى بحراسته الشديدة والدفاع عنها حتى الموت لمنع أي حيوان آخر من الاقتراب منها ،

الجزيرة العربية بقرنين غليظين معقوفين إلى الخلف ، ويكتسي بفراء ذهبي خشن . وقد تناقص الماعز الجبلي الموجود في المنطقة العربية في الثلاثين عاما الأخيرة بشكل حاد

وبالاضافة إلى الحيوانات البرية هذه فإن المنطقة العربية ـ والحديث مازال لمدير محمية العرين بالبحرين ـ تمتاز بطائر كبير معروف في المنطقة العربية

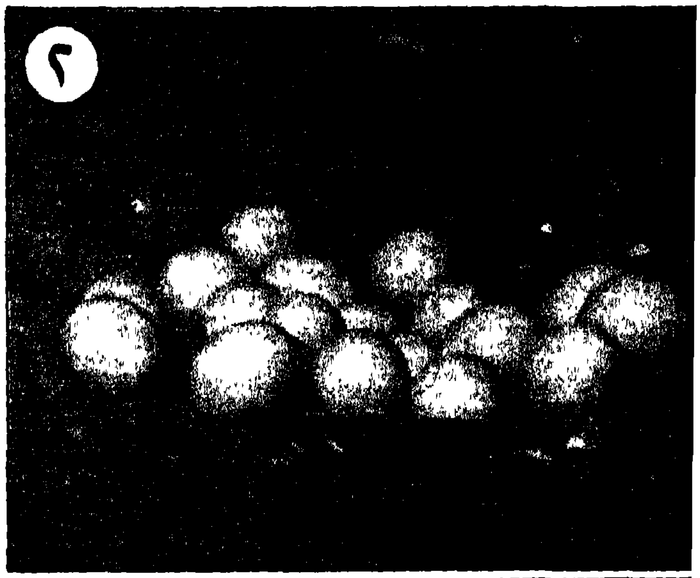
وهو طائر الحبارى ، فمنذ مئات السنين كان العرب يدربون صقورهم لصيده ، ويتمتعون بقنصه وهذه أول مرة يوضع فيها هذا الطائر في

الأسر لأنه طائر شديد الحذر . ولذلك فإن هناك فريقا من العلماء يعكف على دراسة طباعه وعاداته .

ونحاول هنا أن نجعله يتكاثر . وقد وضع بيضه في الأسر ـ لأول مرة ـ وهذه علامة إيجابية

وتشترك حيوانات المنطقة العربية كلها التي ذكرناها في صفات مشتركة . وهي أنها حيوانات عنيدة . تتحمل الحر . وتستطيع البقاء فترات طويلة دون أن تشرب الماء







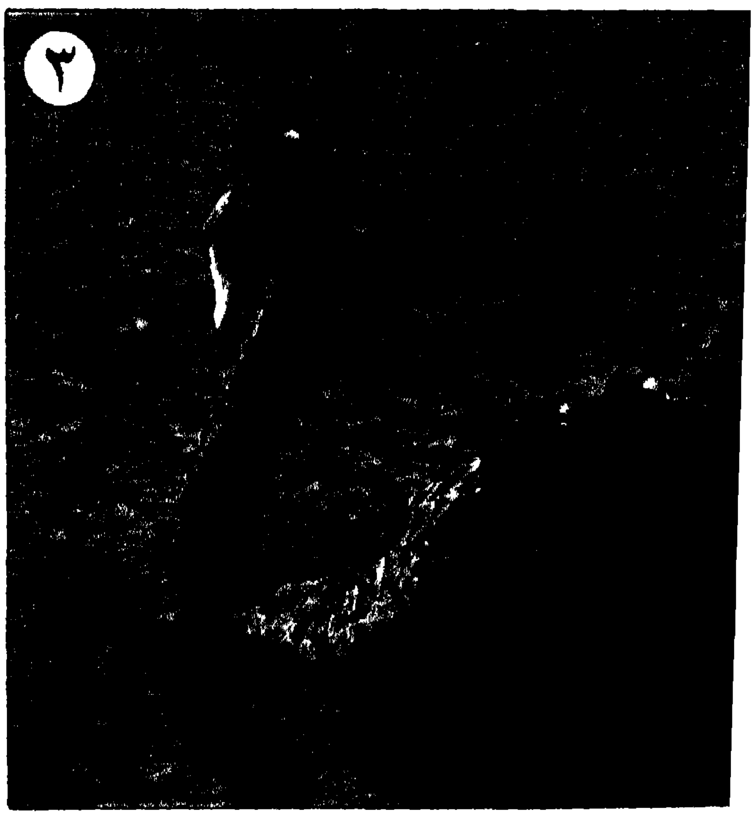




١- زوج من النعام في محمية العرين
٢- بيض النعام في محمية العرين
٣- أفراخ النعام في محمية العرين
٤- طير الحبارى في محمية العرين
٥- شجيرة المر في محمية العرين







١ـ أحد الطيور النادرة في محمية العريں
٢ـ الكركى المتوج في محمية العريں
٣ـ طائر الور في محميه العريں

حتى ولو كان صغيرها الرضيع . وهنا تحدث المأساة ، فربما يريد الرضيع أن يقترب من أمه للرضاعة ، فيهجم عليه الذكر ويرفعه بقرنيه ويلقي به بعيدا ، ويتكرر هذا مرتين ، ولكن في ثالث مرة يصل الغيظ ذروته عند الذكر فيهجم عليه ، ويشق بقرنيه بطن الرضيع ويلقي به بعيدا . فإذا كان الرضيع ذكرا كان أقدر على تحمل البعد عن أمه فترة التزاوج ، فلا يقترب من أمه إلا مرة واحدة يوميا أما إذا كان الرضيع أنثى فإنها دائمة الالتصاق بأمها فيقتلها الذكر غالبا غيرة منه على أنثاه التي يريدها له وحده أثناء فترة التزاوج . ومن هنا كانت ذكور المها أوفر من إناثها

البقاء للأقوى

مازالت طبائع المها وعاداتها أكثر من مدهشة ، ويستطرد الدكتور ماجد الحوازي في حديثه فيقول:

السيادة في قطيع المها للذكور ، والذكر القوي هو الذي يقود القطيع ، ويقوم بعملية التزاوج للإناث ، وهو الذي يقوم بحراسة القطيع ، ويضرب ويطرد باقي الذكور الأقل قوة وحيوية ، بل يصل الأمر إلى أن يمنعها من تناول الغذاء مع باقي القطيع ، وبعد أن يتقدم به السن ينافسه ذكر آخر في سن الشباب فتقوم معركة بين القديم والجديد ، وتحسم المعركة لصالح الذكر الأكثر شبابا ، وحيوية ، وهكذا تستمر معارك السيادة ، وحينما تحدث معركة بين ذكرين لا تقتصر عليهما فقط ، لكن تشترك معهما أم كل منهما ، إذ تقف الأم إلى جانب ابنها ، وعندما يتغلب الذكر الأقوى فإن المغلوب يرقد على الأرض معلنا تسليمه بالهزيمة ، ويستمر الذكر الأقوى في الوقوف بجواره ، ويستمر المهزوم في الرقاد دلالة على الخضوع والهزيمة

وتسهم الأم بدور آخر ، فعندما يتعرض القطيع للخطر فإن أكبر الأمهات سنا وأكبر الذكور سنا يسيران في مقدمة القطيع دليلين . ويتبعهما باقي القطيع حتى الذكر القوي . وذلك سعيا لكبار السن بالخبرة والقدرة على الإرشاد

ولأن منطق القوة هو السائد . فإن الأنثى في وقت التزاوج لا تقف إلا لأقوى الذكور وترفض - مطلقا - أي ذكر سواه

القتال ونيل الموت

القتال عند المها له تقاليد ، فعندما يتعرض القطيع لمشاغبات تقوم أفراد القطيع بإثارة الذكر القوي لكي يتقدم إلى مصدر الخطر ويقاتله ، وعندما يستقر رأي الذكر على الهجوم فإنه يخفض رأسه ويوجه قرنيه تجاه من يريد أن يهاجمه . ويستطيع الذكر في هذه الحالة أن يخترق بقرنيه ألواح الخشب القوي سمكه ٣٠ سم

وفي حالة الكر والفر فإن المهاة تستطيع أن تقطع مسافة ٦٠ كم بسرعة تزيد على ١٠٠ كم في الساعة على الرمال دون أن تؤثر طبيعة الأرض على معدل سرعتها . وحين يصل بها التعب مداه فإنها تقف وتستجمع قوتها وتواجه مطاردها ، وإذا جرحت المهاة أثناء القتال فمعنى ذلك أنها لا تستسلم أبدا ، فهي في هذه الحالة تقاتل حتى الموت

والمها حيوان نبيل وأكثر ما يتجلى نبله في موقفين الأول رفضه الطعام وامتناعه عن تناوله في الأسر ، والموقف الثاني عند الموت ، فعندما تشعر المهاة باقتراب الأجل فإنها تذهب إلى ركن بعيد عن القطيع ، بعد أن تطوف وتدور حول أفراده كأنها تقدم التحية قبل الوداع ، ثم تذهب إلى ركن بعيد وتسند على كومة من الرمال أو جدار أو أي شيء قائم ، وترفع رأسها معتدلة كما لو كانت نائمة ، وتستقبل الموت بنبل حقيقي وشموخ حزين

الحيل والصيد

قبل أن نغادر قطر ، وبعد أن زرنا المحمية ، لم يكن ممكنا إلا أن نزور نادي سباق الفروسية ، وهو



شلالات اصطناعية في محمية الشيحانية في قطر

داسطبل خاصة لقضاء الليل فيه، كل الخيول. وتعتبر هذه الرعاية اسمى وهذا الحيوان العربي الشهير . في النادي حوالي ٦٠ حصانا كلها من الخيول العربية الأصيلة . وهي ثروة طبيعية لا تقدر بثمن . وتحافظ ادارة النادي - من خلال خبراء وعلماء متخصصين - على سلامة سلالات الخيول وأنسابها ، وتقدم لها الرعاية الكاملة . وينظم النادي موسميا سباقات للخيول العربية وأخرى للخيول المهجنة ، كما أن هناك سباقات للحمير والهوادج .

وإذا كانت المحميات حماية الحيوانات الأكثر ندرة - اذ المها العربي لا يتجاوز عدد الموجود منه في العالم اكثر من ٤٠٠ رأس - فإن الأمر يختلف مع الخيول . فالخيول موجودة في كل مكان . والحصان العربي منتشر في مواقع كثيرة من العالم . ولا يوجد بلد فيه حصان عربي دون أن يعلن عنه ويعتز به . لأنه يعد بحق سيد الخيول جماله وسرعته ونقاء سلالته .

ولكن يندر أن يوجد في العالم اصطبل واحد فيه هذا العدد من الخيول العربية الأصيلة

ولذلك فان النادي مزود بعيادة بيطرية شاملة . وقد روعي في تصميمه استخدام أحدث التقنيات . وكل ما في هذا النادي تحت الإشراف العلمي ، حتى الطعام ومواعيده . والاستحمام . ودرجة تكييف الهواء

مركز سلمان للصقور

في البحرين وداخل محمية « العرين » يوجد مركز سلمان للصقور ، وهو عبارة عن مركز لعلاج بعض الأمراض التي تصيب الصقور . كما أنه يساعد على تنظيم النسل بالنسبة لهذا النوع النادر من الطيور .

ويشرف على المركز الدكتور حسني سامور ، وهو متخصص في علاج الصقور . ويساعده فريق طبي متخصص يقول د حسني إن هذا المركز







١ـ الحصان العربي الأصيل في نادي الصيد والفروسية في قطر

٢ـ الجمال الأصيل الذي يتمتع به الحصان العربي الأصيل

٣ـ ملامح الوجه الجميل الذي يتميز به الحصان العربي الأصيل

٤ـ الأداكس (أبو عدس) في محمية العرين بالبحرين

٥ـ البقر الصحراوي (الأدكس) في محمية الوسرة في قطر

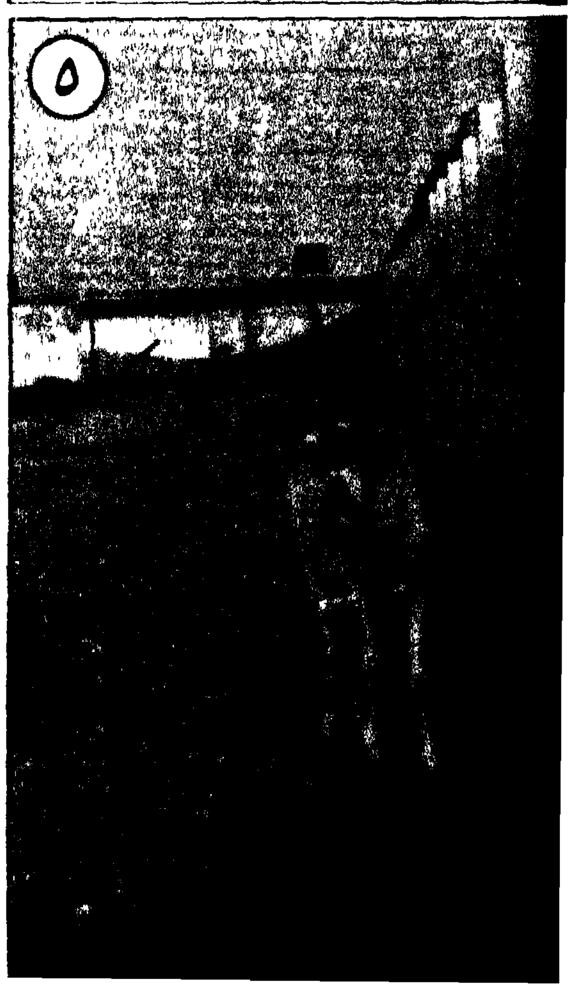
المتخصص يكاد يكون فريدا من نوعه في منطقة الخليج ، ومرضاه من صقور أقطار الخليج العربي ، وبالمركز أول وحدة في العالم للعلاج بالليزر ، ويتم استخدام الليزر في علاج بعض الأمراض والفيروسات التي تصيب عيون الصقور ومناقيرها نتيجة لبعض الأمراض التي تنتشر في مواسم القنص . كما أن بعض مالكي الصقور يقومون بعلاج صقورهم بالعلاج الشعبي والمعروف بالطب العربي أو بالكيّ ، وهذا يؤثر على سير علاج الطير ، الا أن المركز قد نجح بشكل جيد في لفت انتباه مالكي الصقور إلى أهمية العلاج وفقا لأسلوب علمي رفيع المستوى . ويُعد المركزُ للنشر قريبا كتيّبا علميا متخصصا عن نتائج استخدامه لأشعة الليزر في العلاج ، كما يوجد بالمركز وحدة لعلاج عيون الصقور وغرفة عمليات .

ويقوم المركز بالإضافة إلى تقديم العلاج بتقديم المعلومات العلمية لتنوير أصحاب الصقور في منطقة الخليج ، وبيان أهمية استخدام الأسلوب العلمي في العلاج ، خصوصا وأنّ بعض أصحاب الصقور يلجأون إلى أساليب العلاج القديم مثل الكي التي لا تأتي بنتائج إيجابية ، بل قد تؤدي إلى تفاقم الحالة المرضية ، مما يزيد من صعوبة العلاج بعد ذلك .

واحات مضيئة

في طريق العودة وقفنا كثيرا في محمية العرين ، وفي حديقتها أخذنا نشاهد الحيوانات المختلفة الأصول . ففي الحديقة حيوانات عديدة غير عربية الأصل ، وطيور جميلة ، ونادرة ، إنها حديقة متكاملة . وعند البوابة أدركنا أننا عدنا إلى عالم الإنسان ، هذا الإنسان الذي يمنح مساحات من الاهتمام والرعاية لحيوانات نادرة ، قبل أن تتحول إلى ذكرى وتاريخ ، ووسط مظاهر العمران المختلفة في الطريق إلى المطار ثبت لنا أنه كلما ازداد الإنسان تحضّرا ازداد اهتمامه بالحيوان ، وهذه تجربة لإيجاد واحات لتحمي جزءا من أجمل حيوانات الكون من الانقراض ◻







"الجينسنغ"

الوهــــم والحـقيقـــة ؟!

استطلاع . سليمان الشيخ

النبتة التي تعرف باسم « الجنسنغ » ليست جديدة في قاموس سكان الصين وكوريا والشرق الأقصى السوفيتي ، إنها معروفة منذ آلاف السنين ، ومعروفة خصائصها وتأثيراتها

لكن القديم يمكن أن يتم تجديده وتلميعه أحيانا بواسطة الدعاية ، وإضفاء قدرات وإمكانات وإيحاءات قد لا تستند على حقائق فعلية

فما هي الحقيقة في هذا المجال ، وخاصة أنه قد أتيحت لبعثة مجلة « العربي » زيارة بعض المناطق التي ينمو فيها « الجينسنغ » الحقيقي ، والآخر المستنبت من نباتات قريبة الشبه بالحقيقي ؟!

في الغابة المحمية القائمة بالقرب من معهد الغابات في مدينة خاباروفسك بالشرق الأقصى السوفيتي ، كنا نستمع لشرح السيد الكسندر شيخاور ، رئيس المختبر في المعهد ، عن أشجار الغابة وأنواعها وخصائص كل شجرة ، فلفت نظرنا أن مجموعة من الزوار كانوا يتحلقون حول نبتة من نباتات الغابة ، طولها يتجاوز نصف المتر قليلا ، تستظل بشجرة من أشجار الصنوبر ، أوراقها خضراء يانعة ، تشبه أوراق شجر البرتقال حجما وشكلا

كان من الواضح أن مجموعة الزوار يبدون اهتماما غير عادي بهذه النبتة ، إذ أن وقفتهم طالت حولها ،

وكانوا يستعرضون كل جزء فيها ، في حين أن دليلهم كان يفيض بالشرح والأجوبة عن الأسئلة

* سألت السيد الكسندر ماهو سر الاهتمام بتلك النبتة ؟ ولماذا اختاروها من بين نباتات الغابة ؟

- ابتسم السيد الكسندر وأجاب إنها نبتة « الاسركوك » التي تشبه نبتة « الجينسنغ » في بعض خواصها ، وهي تستنبت أحيانا ، وهناك مزارع لهذا النوع من النبات ، ولقد تم استنباتها في الشرق الأقصى السوفيتي ، ويستخلص « الجينسنغ » بكثرة منها

* هل تملك هذه النبتة نفس خصائص « الجنسنغ » الطبيعي ؟

- أجاب السيد الكسندر إن فيها بعض الخصائص وليس كلها ، ونظرا لكم الاستنباتات الكثير من هذه النبتة فإن جمع محصولها الوفير يمكن أن يعوض نقص بعض الخصائص ، ويجعله موازيا إلى حد ما للخصائص الطبيعية لنبات « الجنسنغ » الذي ينبت بشكل طبيعي في بعض المناطق

ذاكرة وحقائق

عندما استمعت إلى بعض الشروح عن نبتة « الجنسنغ » ، ورأيت تحلق بعض الزوار حولها ، فإن ذاكرتي استدعت بعض المعلومات حول هذه النبتة وما هو شائع حولها

وأول ما هو شائع أن فيها خصائص لمعالجة بعض الأمراض وتحصين الجسم ضد الكثير منها ، ومعالجة بعض حالات العجز الجنسي

وعندما ذكرت ذلك لمحدثنا اقترح أن نلتقي بالبروفسور « باسولي كوستيتينوف » رئيس قسم الكيمياء البيولوجية في معهد خباروفسك الطبي

جاء الرجل يحمل إناء زجاجيا فيه بعض الجذور ، يميل لونها إلى البني الفاتح قال إنها جذور « الجينسنغ » الحقيقي ، وقد حصلت على شهادة الدكتوراة من خلال تحضيري رسالة عن « الجنسنغ » والنباتات الأخرى الشبيهة بها في بداية الستينات

سألت ماهي « قصة » هذه النبتة التي يثار حولها الكثير من الكلام ؟ وهل تحتوي فعلا على خواص طبية كثيرة ؟

- أجاب البروفسور لقد عرف الصينيون هذه النبتة ، وعرفوا بعض خصائصها منذ آلاف السنين ، وكان بعض أباطرتهم يستعملونها لأغراض طبية عديدة صحيح أن اكتشافها جاء عرضيا من غير قصد ، وخاصة ان جذور ما هو طبيعي منها يشبه تكوين الإنسان ، وقد أثار هذا الشكل خيال الانسان ، وحرك فيه مكامن الخرافة والأسطورة ، خاصة أن الأساطير كانت تنتشر في ذلك الزمن وكذلك الخرافات

وهكذا أضفى الإنسان عليها في تلك الأزمان قدرات خارقة ، كالقول بأنها تشفي جميع الأمراض ، وأن فيها خصائص يمكنها أن تزيد قدرات الإنسان الجنسية وغيرها وقد أطلقوا عليها اسم « جذر الانسان » أو « جذر الحياة » ، نظرا لاعتقادهم بوجود قدرات فيها ، يمكنها أن تعالج كل مشاكل الانسان الطبية

مناخ خاص

* لماذا لا يوجد النبات الطبيعي إلا في أماكن محددة ؟

- يبدو أن هذا النبات كان منتشرا كثيرا في أزمان جيولوجية سابقة على زماننا ، لكن لم يبق منه إلا القليل الان ، وحتى هذا القليل فإنه لا ينمو ولا يعيش إلا تحت حماية نباتات وأشجار أخرى ، لذلك فإن بعضه يوجد في الغابات الكثيفة تحت الأشجار العالية كالصنوبر والأرز والناتولا وغيرها ويحتاج إلى مناخ خاص تتوافر فيه الرطوبة ، كغابات التايغا والشرق الأقصى إجمالا ، خصوصا في مناطق الشرق الأقصى السوفيتي ، وشمال كوريا الشمالية ، ومنشوريا في الصين

جاء في كتاب « جغرافية الاتحاد السوفيتي » لستروييف ما يلي

« ونحو الجنوب من ٥١ درجة خط العرض الشمالي تبدأ منطقة غابات أشجار الشرق الأقصى

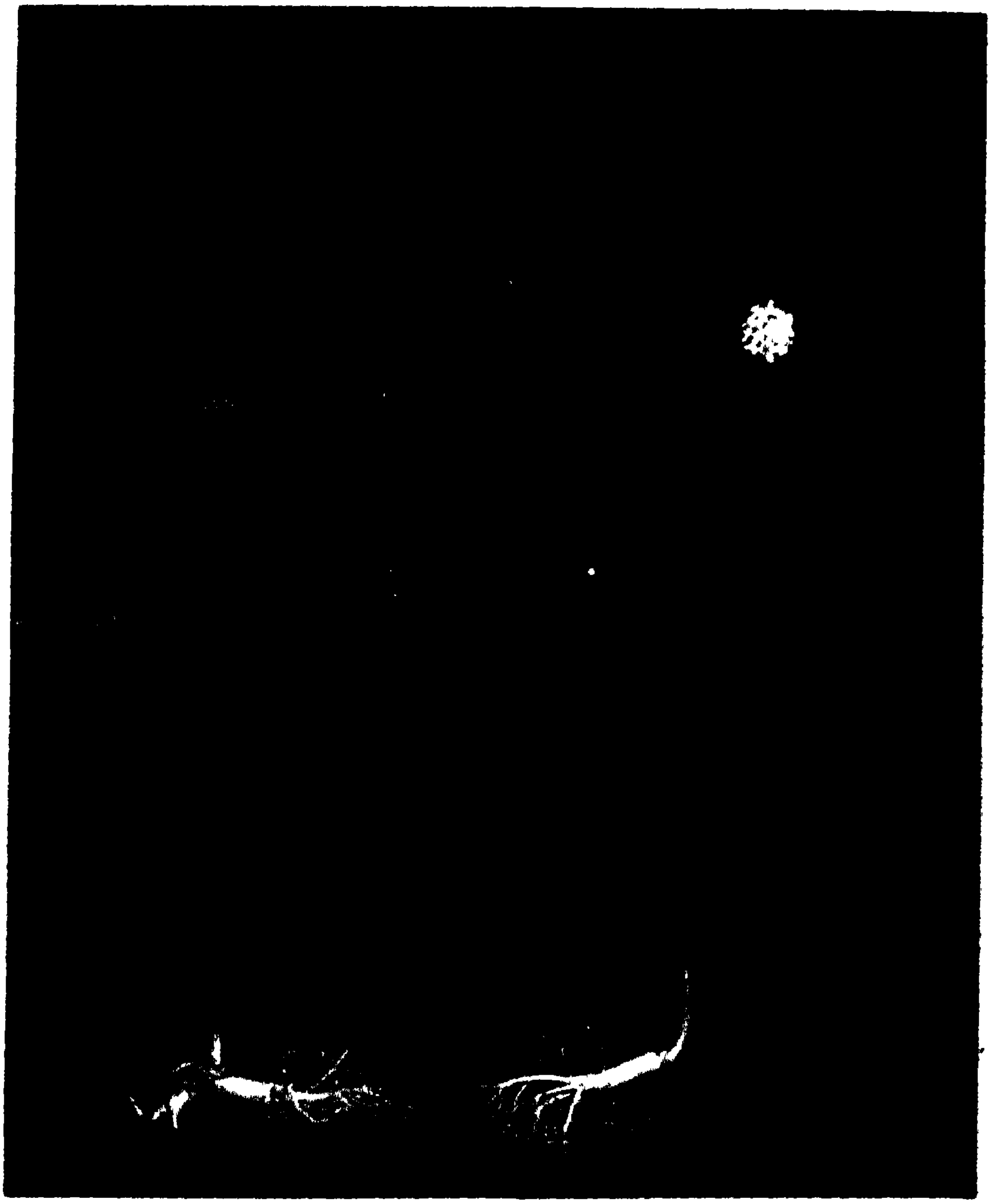


حدور « الجيسنج » الحقيقي حقاً أنها تشبه شكل الإنسان عبر المكتمل

عريضة الأوراق ، وتمتاز هذه الغابات بتشكيلة متنوعة من أصناف الأشجار الخشبية التي تثير الاستغراب ، إن ثروة عالم النبات تفسر بالمناخ الرطب وببقايا الأنواع القديمة »

عندما دخلنا الغابة المحمية التي تبعد حوالي ٢٥ كيلومترا عن خباروفسك كانت تغص بأشجار الأرز والباتولا والصنوبر وغيرها ، وكانت الأشجار كثيفة ، قائمة على تلال متفرقة ، إلا أن الرطوبة كانت مرتفعة إلى درجة أن عرقنا بدأ يسح على أبداننا على الرغم من سقوط المطر في ذلك الوقت

○ سألت « البروفسور » ما هي آلية نمو هذا النوع من النبات ؟



النبتة كاملة بأوراقها وساقها وجذرها

ـ كما ذكرت لك إنه ينمو بشكل طبيعي تحت غيره من الأشجار ، أي يحتاج إلى ظل ورطوبة دائمين كي ينمو ، ونموه بطيء

* هل يمكن القول انه نبات يعيش على حساب غيره ، أي يحمل صفات طفيلية انتهازية ؟

ـ لنقل إنه ذو حساسية خاصة ، ويحتاج الى بيئة خاصة للنمو ، وهو ان نما فإن قسما منه يكمن عشرات من السنين ، ثم تأتيه الصحوة ، فيعاود نموه ، وبعضه يصل عمره الى حوالى ٣٠٠ سنة وهو نبات قصير ، طول ساقه الطبيعي ما بين ١٥سم إلى ٤٥سم ، في حين أن طول ساق المستنبت منه يتراوح بين ٦٠ و ٩٠ سم ، وثمرته التي تشبه ثمرة

العليق أو الكمثرى الحمراء تقع على الأرض ، أو يأخذها الناس ، أو تحملها الطيور فيتم استنباتها من جديد . وهذه البذور لا تفيد إلا في الاستنبات ، في حين أن الجذور التي تشبه المحل الأبيض هي التي يستفاد منها في تحضير الأدوية والسوائل التي تفيد الإنسان صحيا .

جاء في الأدبيات الكورية ما يلي :

« ينتمي نبات « الجينسنغ » إلى فصائل النباتات ذات الجذور التي تعمر طويلا ، وتنمو تلقائيا في حواف الوديان شديدة الانحدار ، وسفوح الجبال الظليلة ، وعندما تبدأ النبتة في النضوج تنبت منها خمس أوراق ملتفة بعضها على بعض ، فوق ساق واحدة ، وينبت من وسطها في الربيع عنقود واحد ، يحمل ثمارا أشبه ما تكون بالعليق الأحمر »

كل الفائدة بالجذور :

* إذا كان الأمر كذلك ، فكيف يمكن الاستفادة من الجذور ، وما هي الطريقة المتبعة في ذلك ؟

ـ أجاب البروفسور : هناك طريقة قديمة اتبعها الصينيون ، تعتمد على غلي الجذور في سكر مذاب بالماء ، وبعد الغلي فإنهم يسحقون الجذور ، ويحولونها إلى مسحوق . والمقصود باستعمال السكر هنا هو امتصاص الخواص الموجودة بالجذور .

وهناك طريقة أخرى تعتمد على استخلاص الخصائص بواسطة الكحول عن طريق الغلي أيضا ثم تحضير المستخلص كشراب . وطريقة أخرى بواسطة التخمير . وحديثا فإن مصانع خاصة قد أقيمت لاستخلاص جذور « الجينسنغ » الطبيعي والمستنبت .

الجينسنغ كما تحدث عنه علماء العرب والمسلمين



ابن سينا

إذا كنا قد أشرنا إلى أن الصينيين قد عرفوا « الجينسنغ » وبعض خصائصه منذ آلاف السنين فإن هذه النبتة ـ أو ربما ما يشبهها ـ قد عرفها علماء العرب والمسلمين منذ قديم الزمان أيضا .

وقد جاء في كتاب « القانون » لابن سينا هذا التعريف « باليبروج » أو اللفاح « أصل اللفاح البري . هو أصل كل لفاح شبيه بصورة الناس . فلهذا يسمى يبروح . فإن اليبروح اسم صنم طبيعي ، أي لنبات ، وهو في صورة الناس ، سواء كان معنى هذا الاسم موجودا أو غير موجود . وهو صنفان ، أحدهما يعرف بالأنثى ، ولونه إلى السواد ، أي الخسي ، إلا أنه أدق منه وأصغر ، وهو زهم ، ثقيل الرائحة ، منبسط على وجه الأرض ، وعند الورق ثمر بالتفاح أو أصغر ، طيب الرائحة ، وفيه حب شبيه بحب الكمثرى ، وله أصول ـ جذور ـ صالحة المعظم اثنان أو

* كيف يتم استعمال شراب الجذور ؟ وما هو الضرر من استعمال كمية كبيرة زائدة عن المعدل ؟

- إن الخطورة تكمن في أن من يعاني من بعض الأمراض ، كأمراض القلب ، أو الضغط الزائد ، يمكن أن تزيد حالته سوءاً ، في حين أن الإنسان العادي يشعر بنشاط وحضور ذهني زائدين. وتناول السائل أو الشراب يقوم على أحد بعض النقاط ضمن برنامج أسبوعي منظم ، كأي سائل طبي آخر.

* هل يمكن القول بأن مستخلص « الجيسنغ » هو مادة طبية يمكنها علاج أمراض محددة ؟

- من خلال تجاربي واطلاعي فإن المادة المستخلصة من « الجيسنغ » لا تستعمل كعلاج طبي لمرض محدد. وكل ما في الأمر أن مستخلصات الجيسنغ تفيد في توفير لياقة بدنية مناسبة ، وتزيد في حيوية الجسم ، وخاصة قبل العمليات الجراحية وبعدها ، أي أنه يساعد على التكيف ، ويساعد الجسم على مقاومة بعض الصعوبات التي يتعرض لها ، كما أنه يوفر طاقة ذهنية نشطة ، تقترب من عمل الكافيين التي تحتويها القهوة ، لكن دون مضار الكافيين وتأثيراته الجانبية ، كزيادة ضغط الدم.

وقد جاء في الأدبيات الصينية أنهم أجروا تجربة على شابين لهما نفس العمر والمواصفات ، فتناول أحدهما شراب الجيسنغ الحقيقي ، في حين أن الآخر تناول شراباً آخر ، وقد تسابقوا لقطع مسافة معينة ، كانت نتيجتها وصول الأول ، دون أن تظهر عليه مظاهر الإرهاق والتعب ، في حين أن الثاني وصل مرهقاً متعباً.

ثلاثة ، متصل بعضها ببعض ، ظاهرها أسود ، وباطنها أبيض ، وعليها قشر غليظ ، وله ساق.

والصنف الثاني هو صنف الذكر من اللفاح ، ومن الناس من يسميه موريون ، وهو أبيض ، أملس ، كبير ، عريض شبيه بورق السلق ، ولفاحه ضعف لفاح الأول ، وله أصل شبيه بأصل الأنثى - أي صورة الأنثى - »

« وقد زعم بعض الناس أن من اللفاح صنفاً آخر ، ينبت في أماكن ظليلة ، له ورق شبيه بورق اللفاح الأبيض »

ومن الاستعمالات التي ذكرها ابن سينا للشراب المستخلص من هذا النبات يمكن الاشارة إلى

« ويسقى منه من يحتاج أن يكوى ، أو يختن ، أو يبط ، فإنه إذا شربه لم يحس بالألم ».

وأرى أن ماذكره ابن سينا في هذا المجال يتوافق تماماً مع استعمالات « الجيسنغ » الحديثة ، خاصة ماذكره البروفسور كونستنتينوف من استعماله قبل إجراء العمليات وبعدها.

وجاء في كتاب « تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب » لداود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ مايلي

« يبروح سريانية ، معناها « عاوزروح » وهو نبت ورقه كورق التين ، لكنه ادق ، وله زهر أبيض يخلف كالزيتونة ، ويطول نحو ذراع ، فإذا قلع عن أصله وجدت إنسانين معتنقين ويزعمون أن من قلعه مات لوقته ، وليس كذلك ، وهذا الباب غريب عجيب ، تبقى قوته ستين سنة ، مالم يقطع رأسه أولا فيفسد سريعاً وجملة مايقال فيه أن كل عضو منه ينفع في أمراض كل عضو يقابله في الإنسان ».

« وغلط من جعله اللفاح ، غير أن هذا الاسم يطلق على كل نبت ذي صورة إنسانية وإن لم تكتمل ».



السد تسيحاور نشرح حصائص سات « الأنتركوك »



زوار الغابة يتناقشون حول نبات « الجيسيع » « والأنتركوك »

● « الجيسنغ » الوهم والحقيقة !


البروفسور توسسوف يشرح خصائص « الجسنغ »

* إذن هو لا يعالج أمراضا محددة ، بل يساعد الجسم على المقاومة ؟

- هو ذلك بالضبط

النبتة والقدرات الجنسية

* ما علاقة « الجيسنغ » بمعالجة القدرات الجنسية ، وإعطائها دفعا مضاعفا ؟

- إن بعض الأوساط تروج لهذا الأمر ، لكن الخصائص العلمية تفيد بأنه ما دام « الجينسنغ » يساعد في تنشيط القدرات الجسدية كلها ، فإن القدرات الجنسية جزء من هذا الكل ، ولا يوجد ما هو خاص أو خصوصي في هذا المجال

إن الجينسنغ للإنسان مثل المهمار للحصان ، يحفزه ، لكنه سيعود إلى حدوده العادية بعد حين

إن من يستعمل « الجينسنغ » تشيخ قواه بسرعة ، وخاصة الجنسية ، لأنه يتم استعمالها بشكل زائد عن الحد ، أو بصورة مضاعفة ، وكل شيء يزيد عن حده ينقص ، لذلك فإن الشيخوخة تأتي مبكرة وإنني أنصح بالاعتدال في هذا المجال ، وأرى أن من لا يسرف في حياته بتناول الطعام ، ولم يتعرض للأمراض ، ولم يسرف في استعمال قواه الجنسية وغير ذلك ، فإنه يمكن أن يحافظ على لياقته البدنية حتى سن الشيخوخة . إن الأمر يمكن أن يستمر بشكل عادي وطبيعي ، وتستمر كل قوى جسم الإنسان وأعضائه بممارسة دورها حتى عمر متقدم دون أدوية أو منشطات إذا ما اتبع الاعتدال في كل شيء

إشكالية لغة !

* هناك خصوصية تتعلق بالجينسنغ في بلادنا ومن خلال لغتنا إذ أن المقطع الأول من الاسم يجسد كلمة « الجنس » بصورة واضحة مكشوفة ، وأرى أن هذا المدخل هو الذي تدخل بواسطته بعض الشركات لترويج هذه الصناعة ، فما هو رأيك وتعليقك على هذا الأمر ؟

- كما ذكرت لك لا توجد خصوصية معينة للجينسنغ في هذا المجال ، وكل ما في الأمر أنه يساعد على تكيف الجسم وتوفير حيوية ابية مضاعفة للجسد بكامله ، أما ما تروج له الشركات والأوساط التجارية فإنه يخرج عن نطاق العلم ، ليدخل في مجالات التسويق والتجارة ، وهذه أمور تنكشف بعد التجربة والتجربة في هذا المجال أكبر برهان

عزيزي القارىء . هذه حصيلة ما استطعنا جمعه عن هذه النبتة التي تسمى « الجيسنغ » . فهل وصل إليك ما هو حقيقي وما هو مزور أو من جنس الأوهام في هذا المجال ؟ □

الفتنة

● قال قس بن ساعدة الايادي

« إذا رأيت حربا ، جبانها يجرؤ ، وشجاعها يجبن ، وخسيس المحتد يتحكم فيها بكريم المحتد ، ففر منها إلى رابية ، وترقب الأحداث ترى أن في الأمر خيانة



ظواهر مناخية
جديـــــدة
على العـــالم
تغير من مناخه التقليدى

هــل أصــاب المنــاخ

بقلم : مجدى نصيف

مناخ العالم تغير في السنوات العشر الأخيرة تغيرا ملحوظا ، ففي عام ١٩٨٦ اجتاحت العالم موجة من البرد والصقيع والثلوج وذكرت تقارير علمية « أن هذه أسوأ موجة برد تشهدها أوروبا منذ مئة عام ».

وقد ظهرت موجات من الحرارة السائدة في مصر كما ظهرت مثل هذه الموجات من الجفاف في عدد من بلدان أفريقيا وسببت مجاعات متتالية في شرقي القارة وغربها ، وقللت من انسياب المياة الى النيل

فهل أصاب المناخ « جنون » العصر ؟ أم أن الطبيعة غضبت من « تلاعب » بني البشر بالبيئة ؟ فماذا يقول علماء الأرصاد ؟

يقوم علماء الأرصاد باسترجاع تاريخ مناخ العالم ، والعوامل التي أثرت فيه بشكل واضح واتخذوا من هذه الدراسات العلمية مفتاحا للتوصل الى تفسير ما يحدث الآن للمناخ ، وعلى وجه الخصوص في العقد الأخير من هذا القرن

ماذا وجد العلماء عندما قاموا بنبش تاريخ مناخ العالم ؟

يقول العلماء إن المزارعين في نيوانجلاند اشتكوا من أن عام ١٨١٦م كان « عاما دو صيف » ووجد العلماء أن هذا العام أيضا كان أسوأ الأعوام التى شهدتها أوربا من حيث الانتاج الزراعى ، ذلك أن الصقيع الذى اجتاح القارة شهرى يونيه ويوليه أتلف المحاصيل الزراعية شل قطاعات قتصادية بأكملها

ويستشهد علماء الأرصاد بلوحات الفنان البريطاني الشهير « تيرنر » المعروفة باسم « غروب سرسر » التي تصور سماء تلمع لمعانا غريبا ويعتقد علماء الأرصاد الآن أنها كانت من وحي السحب والغيوم التي تولدت في طبقات الجو العليا ، بسبب اندلاع بركان جبل تامبورا باندونيسيا عام ١٨١٥م فقد اندفعت سحابة بركانية على أثر الانفجار البركاني الكبير ، تسورعت هذه السحابة البركانية على جميع انحاء العالم ، فكان هذا كافيا لأن يسبب اختلاف الجو في أوروبا الى درجة تحول الصيف الى شتاء وتسببت السحابة في حجب أشعة الشمس بشكل أدى الى انخفاض الحرارة عدة درجات في العامين التاليين .

فهل كان الانفجار البركاني في أندونيسيا وراء الأزمة الغذائية في ... با عام ١٩١٦ ؟ وهل كان أيضا وراء ... حدث في « سوانحلاند » ؟

من الواضح انه كانت هناك علاقة ، وإن كان لا نادس وجود سبب اخر مصاحب

طبقات الجو العليا

تشير الدلائل العلمية كذلك ، إلى أن تيارات الهواء الجارية في طبقات الجو العليا ، قد تغير اتجاهها بدرجة كبيرة في ذلك العام أيضا

وهذه التيارات هي التي حركت العواصف على الكرة الارضية ، وهي التي تؤثر - بالتالي - على المناخ ولقد غيرت هذه التيارات اتجاهها بدرجة كبيرة ، فدفعت الهواء بعنف ، من المنطقة المتجمدة الشمالية الى « سوانحلاند » ، وربما نحو أوروبا أيضا

ويطلق علماء الأرصاد الجوية ، على هذه الظاهرة ، اسم « التبريد البركاني »

فهل ساعد « التبريد البركاني » على هبوب الرياح بشكل غير طبيعي ، وانخفاض درجة الحرارة الذي حدث انذاك ؟

علماء الأرصاد مقتنعون بأن التغيرات الكبيرة التي تحدث في المناخ ، تحدث بسبب الانفجارات البركانية ، وجاء هذا الاقتناع نتيجة دراسات مكثفة على انفجار البراكين ورغم حدوث أكثر من انفجار بركاني كبير في المائة وخمسين عاما الأخيرة ، الا أن واحدا منها لم يكن في حجم « بركان الشيشون » بالمكسيك الذي انفجر في ربيع عام ١٨٦٢م كان هذا الانفجار أحد « هبات الطبيعة » لعلماء الأرصاد ، حيث أنه بعد انفجار البركان ، تولدت سحابة ضخمة ، أحدث تحوب العالم من خط الاستواء الى خط عرض ٣٠ درجة شمالا ، فحجبت ما بين ٥/ الى ١٠/ من ضوء الشمس الذي يسقط بشدة على المناطق الاستوائية وانتشرت الغيوم البركانية شمالا وجنوبا ، فقطعت الجزء الأكبر من نصف الكرة الشمالي ، واتجهت أيضا نحو نصفها الجنوبي

تقدم علم الأرصاد

تطورت أدوات الرصد الجوي ، حيث تستخدم الآن الطائرات والأقمار الصناعية ، وشبكات للرصد تستخدم أحدث المعدات في جميع أنحاء العالم

وعلماء المناخ والأرصاد الذين أخذوا في دراسة « الشيشون » لم يستخدموا كل هذه الأجهزة الحديثة بطبيعة الحال ، وإن كانوا قد درسوه دراسة مستفيضة ، وسرعان ما بدأت تحدث ظاهرة أخرى حدثت انتباههم فلقد كان من المعروف انذاك أن درجة حرارة سطح الأرض في المنطقة الشرقية من خط الاستواء في المحيط الهادىء ، ترتفع في فترة معينة من السنة ، فتختفي المياه الباردة من سواحل البيرو والأكوادور ، وتتأثر بذلك أحوال صيادي الأسماك هناك وفي نفس الوقت ترتفع درجة الحرارة في غرب أمريكا اللاتينية بصورة ملفتة ، فيشتد هطول الأمطار ، وقد أطلق أهالي البلاد اسم « النينو » على هذه الظاهرة وترتبط بهذه الظاهرة أيضا مجموعة أخرى من الظواهر المصاحبة ، تمتد عبر المحيط الهادىء ، تضم ظواهر مناخية تصحبها تغيرات في أنماط هبوب الرياح

ولهذا اتهم العلماء « النينو » بأنه هو المتسبب في القحط الذى أصاب استراليا ، وفي الأمطار الغزيرة التي تصحبها موجة حارة في قارة أمريكا اللاتينية

. . . وظاهرة « التذبذب الجنوبي »

ومن الظواهر المثيرة الاخرى ، تلك الظاهرة المعروفة باسم « التذبذب الجنوبي » وهي ظاهرة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للدول النامية

تشير المعلومات التي تم جمعها وتحليلها بالكومبيوتر إلى أن درجة حرارة المحيط في المنطقة الاستوائية هي المصدر الرئيسي للرطوبة والطاقة ، وهذه تحرك التيارات الجوية بدورها ، مما يؤثر على مناخ المنطقة حول خط الاستواء وخطوط العرض الوسطى ، وذلك بالتأثير على موقع وكثافة تيار الهواء في طبقات الجو العليا ولأن هذا ما يحرك العواصف ، ويساعد في انقسام المناطق الى دافئة وباردة في نصف الكرة الشمالي ، فإن أى ظاهرة ـ تسبب كل هذه التغييرات ـ هي ظاهرة تستحق البحث والدراسة

وهذا ما حدث بالضبط إذ ركز العلماء على هذه الظاهرة

تطور « النينو » تحت سمع وبصر العلماء بدأ في بداية عام ١٩٨٢م في أواسط المحيط الهادىء ، ثم نما ليصبح أكبر وأطول ظاهرة من نوعها سجلها علماء تاريخ المناخ والأرصاد واستخدمت في متابعة الظاهرة أقمار صناعية وطائرات وسفن

لم يطل انتظار العلماء ، ففي منتصف عام ١٩٨٣م ، ارتفعت درجة الحرارة في المحيط بشكل لم يسبق له مثيل ، وأصبحت هناك شواطىء مناخية واضحة للعيان عبرت التيارات الهوائية العليا شواطىء الولايات المتحدة الأمريكية مسببة أمطارا غزيرة في كاليفورنيا ورغم أن درجات الحرارة في الولايات المتحدة كانت معتدلة ، إلا أن أمطار فصل الربيع كانت غزيرة وسجلت الأرصاد الجوية في بعض الأجزاء الوسطى من الولايات المتحدة أبرد درجات للحرارة أما في الولايات الأمريكية الجنوبية الشرقية وما يعرف بحزام الذرة ، فقد كان الصيف قائظ الحرارة ، مما أتلف ما قيمته بلايين الدولارات من محصول الذرة وفول الصويا والمحاصيل الصيفية الأخرى وفي نفس الوقت شهد صيف عام ١٩٨٣م موجة شديدة للحرارة في غرب أوروبا

وتتلائم هذه الظروف المناخية الشاذة ، تماما مع الأنماط المتغيرة من تيارات الهواء العليا التي سجلت في ذلك العام

ضحية ألاعيب الطبيعة

ولسوء الحظ وقع العلماء ضحية لإحدى ألاعيب الطبيعة فإن كانت قد منحتهم ما قد يكون حقّ اكبر انفجار بركاني ، وأكبر « ظاهرة نينو » في هذا القرن ، إلا أن المؤكد أن عام ١٩٨٣م شهد أكبر نسبة ترسيب على الشاطىء الغربي للولايات المتحدة ، في فصل الشتاء ولا شك أن هذا يرتبط بالواقع الجوى للتيارات الهوائية العليا

فهل كان اختلاف أنماط التيارات العليا بسبب « النينو » ؟

واذا كانت درجات الحرارة في الربيع ، كذلك ، أقل بكثير من معدلها الطبيعي ، فهل كان هذا انتاجا « للنينيشون » أم نتيجة آثار البركان المكسيكي ؟

يؤيد كل افتراض من هذين مجموعة من العلماء ، وكل مجموعة تقدم عددا من البراهين والدراسات وحقيقة الأمر أن الأمر مازال مبكرا للحكم على آثار هذين الحدثين اللذين وقعا عام ١٩٨٣ والمسألة أن كلاهذين كانا من الضخامة بحيث يمكن أن يعزى لأى منها ذلك الانحراف الشديد الذى حدث في المناخ والتوصل الى الحقيقة سيساعدنا على التنبؤ بمجريات المستقبل المناخية فمعرفة الحقيقة ستؤدى الى اطلاق التحذير اللازم للملاحين ومنتجي المواد الغذائية والماء والطاقة لكن لسوء الحظ تم الحدثان معا ، مما دفع العلماء الى إظهار قدر أكبر من الحيطة في توقعاتهم □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



- الفلسفة والطفل والوطن العربي
- آلة تسقط الذكور!
- في البيت شباب فاقد الوعي "الإغماء"

الفلسفة والطفل والوطن العربي

بقلم : زياد القباني*

من السؤال بدأت الفلسفة ، وبالسؤال تطورت . وليس هناك من يطرح أسئلة أكثر من الأطفال ، فهل يمكن إدراج أسئلتهم ضمن إطار الفلسفة ؟

« الفلسفة والطفل والوطن العربي » عنوان الموضوع الذي نحن بصدده ، ونصف هذا العنوان ليس من اختراع كاتب هذه السطور ، إنما هو عنوان كتاب علمي فلسفي ، صدر في لندن بالانكليزية ، لمؤلف وعالم فلسفي معروف هو ج ماتيور إن الاستغراب رد فعل طبيعي لدى الإنسان عندما يجد كلمة « فلسفة » تجاور كلمة « طفل » ، وسوف يزداد الاستغراب مع وجود كلمة « الوطن العربي » إلى جوارهما ، ولدى التأكد من أن الحديث سيدور حول الأطفال في عمر يتراوح بين سنة ونصف حتى العاشرة ، وحول الفلسفة بمعناها العلمي الذي يستخدمه الكبار

السذاجة المشروعة

وبالمناسبة فإن التفلسف عند الأطفال ، كما يعتقد بعض العلماء ، ظاهرة عادية وطبيعية ، إذ أن خواص افتتاح التفكير على عملية اكتشاف العالم المحيط من قبل الأطفال تتشابه إلى حد كبير بخواص الفكر الفلسفي الحدي وانطلاقا من هذه الفكرة ، وبالارتباط معها ، يؤكد الأستاذ ماتيور بأن الفلسفة ليست سوى « السذاجة المشروعة » ، أي أنها تقوم ، كنسق اجتماعي ، بتشجيع طرح الأسئلة ، خصوصا تلك الأسئلة الجوهرية ، العميقة في مدلولاتها إلى ذلك الحد الذي يبدو فيه أن محاولات إيجاد الجواب على هذه الأسئلة هو ضرب من السذاجة يقول الاستاذ ماتيور إن « المجتمع يحتاج إلى سقراط عاري القدمين لكي يطرح الأسئلة البسيطة والمعقدة في نفس الوقت ، كما هي الحال في الأسئلة التي يطرحها الأطفال على الكبار ، ولكي يجبر الناس على إعادة النظر [illegible] في كل ما يقبلون به دون تفكير » إن سذاجة الأطفال وبساطتهم وانفتاحهم على معرفة العالم المحيط بهم لاتحتاج إلى تثقيف وتعليم خاص ، ولذلك من الممكن كما يقول البرفسور ماتيور أن نتوقع أن تصبح التفلسف واحدا من

* باحث وكاتب من القطر العربي السوري

المظاهر الطبيعية للطفولة . وفي الحقيقة أن هذا هو ما تؤكد عليه كل المواد المعروضة في هذا الكتاب المثير للدهشة .

يبدأ التفلسف عادة بالشك بأكثر الظواهر اعتيادية وبديهية بالنسبة للإنسان ، وغالبا ما يقود هذا الشك ليس إلى معرفة هذه الظواهر وكشفها على حقيقتها وبالتالي إلى إلغاء الشك الحاصل والوصول إلى اليقين الراسخ المريح للنفس البشرية ، بل إلى زيادة حدة هذا الشك وتعقيده أكثر فأكثر ويذكر هاوي الاطلاع على الفلسفة الفكرة الشهيرة التي قال بها الفيلسوف الانكليزي المعروف برتراند راسل « إذا كانت الفلسفة عاجزة عن الإجابة عن كل تلك الأسئلة التي نرغب في الحصول على جواب لها ، فإنها على كل حال قادرة ، في الحد الأدنى ، على طرح الأسئلة التي تكشف عن الشيء الجديد ، غير المعروف سابقا ، أو الشيء المستتر ، المختبيء في الجوانب الاعتيادية من الحياة اليومية المعتادة إن عملية امتلاك الطفل للعالم المحيط به ليست تقليدا أعمى ، بل هي عملية جدية ، تستحوذ على مجمل نشاط الطفل وكما لاحظنا من خلال مطالعة الكتاب الممتع فإن المؤلف يركز انتباهه على عملية صياغة الأسئلة لدى الأطفال ، كيف ولماذا يسأل الطفل حول هذه النقطة المحددة ؟ أما الأجوبة التي يتفوه بها الكبار والصغار فلم تهمه كثيرا ، ونادرا ما أتى على ذكرها في كتابه لكن الاستاذ ماتيوز يقوم في تلك الحالات ، أي عندما يتصدى لتحليل الأجوبة ، بالتأكيد على نسبية هذه الأجوبة وقابليتها للبحث العلمي اللاحق ، ولا يحاول أن يحلل عملية التفكير عند الأطفال ، أو يتناولها من « الأعلى » ، أي من موقع « فلسفة الكبار » ، بل على العكس ، فهو ينطلق من خصائص التفكير عند الأطفال ، هذا التفكير الذي يشكل هنا ذات المعرفة



بداية التفلسف

يبدأ التفلسف عند الأطفال ، كما يؤكد الأستاذ ماتيوز ، من التعجب والدهشة بكل ما يحيط بهم ، ثم يستمر عبر مختلف الألعاب العقلية التي يحبها الأطفال ، مثل « لعبة المفاهيم » ويعالج المؤلف بعض الأشكال الملموسة من « الألعاب العقلية » عند الأطفال فمثلا عن سؤال حول ما إذا كان من الممكن للإنسان أن ينسى اسمه ، يأتي جواب العقل السليم (عند الكبار) بأن هذا أمر غير ممكن ، لكن أحد الأطفال (من الذين عرفهم المؤلف وأجرى عليهم دراساته) يسأل . « لكن ماذا يحدث إذا نسي الإنسان اسمه ؟ » ، ويتقدم بالجواب طفل آخر قائلا « في هذه الحالة من الممكن له أن يسأل أخاه ، لكن ماذا يحدث إذا نسي الأخ أيضا اسم أخيه ؟ . . . وماذا لو . . وماذا إذا . . . . يفتح هذا السؤال أمام الفيلسوف الصغير مجالا واسعا للعمليات الذهنية الحرة واللعب بالإمكانيات المختلفة . وعلى أساس الأمثلة الأخرى الواردة في الكتاب يمكن للباحث أن يرى أن العقل المتفلسف عند الطفل يسعى ليس إلى إغلاق المسألة كما يفعل العقل السليم عند الكبار ، وإنما إلى فتحها أكثر ، وذلك عبر وضعه للأسئلة الجديدة التي تجر

بدورها إلى حقول جديدة ، ومتـ . . . عـ ـ روفة سابقا . ولذلك يصعب برأينا أ لاتفق مع المؤلف عندما يلاحظ بأن « الآباء والمعلمين الذين غالبا ما يرفضون هذه اللعبة (الفلسفية) مع الأطفال يقومون في الواقع بافقار حياتهم العقلية نفسها من جهة ، ويفقرون علاقاتهم مع الأطفال من جهة أخرى ، ويقتلون روح البحث العلمي المستقل التي يمكن أن تكون قد بدأت بالتكون عند الأطفال » لكن هل من الممكن أن نقبل فكرة المؤلف القائلة . بأن « الفلسفة يمكن أن تكون لعبة بحد ذاتها » ؟

اللعب والفلسفة

إن الألعاب العقلية والتفكير الفلسفي كلحظات في التطور الفردي ليست هدفا بحد ذاتها ، بل وسيلة يستخدمها الانسان لمعرفة العالم المحيط به الموجود فعليا ، فالعالم المحيط بنا ليس نقطة انطلاق فقط في عملية المعرفة ، بل وهدف لها ، ولذلك فإن اللعبة أيضا تبدو وسيلة من وسائل معرفة العالم ، وكذلك فإن فلسفة الأطفال تبدو ليس لعبة عقلية منغلقة على ذاتها ، بل وسيلة للمعرفة النشيطة التي يحققها الإنسان في العالم المحيط به ، وفي ذاته كجزء من هذا العالم ولا يستطيع الاستاذ ماتيور ـ مثله في ذلك مثل كل باحث جاد في حقل الحياة الذهنية عند الأطفال ـ أن يتجاوز تراث العالم السويسري الشهير ج . بياجيه الذي قال بتطور الذهن على مراحل وبالفعل ففي أعمال ج . بياجيه يوجد ما يتعلق بشكل مباشر بحقل التفكير الفلسفي عند الأطفال ، ففي أحد أوائل أعماله المبكرة يتكلم ج بياجيه حول « الميول الدائمة التي تتحلل الأقوال العفوية التلقائية التي يتفوه بها الأطفال حول ظواهر الطبيعة والتفكير وطبيعة الأشياء » ، وبغض النظر عن الملاحظات التي يمكن أن يتوجه بها المرء إلى نظرات ج بياجيه وأفكاره فإنه على كل حال كان قد استخدم « فلسفة الأطفال » ، وذلك كما يؤكد على ذلك البروفسور ماتيوز الذي يبدو له أن طريقة تعامل ج بياجيه مع التفلسف عند الأطفال لا تنسجم أبدا مع هذا التفلسف ، بوصفه خاصاً بالأطفال . فالطفل جون الذي يبلغ من العمر فقط ست سنوات ، يبدأ بالتفكير حول الحياة والموت ، وذلك بعد موت كلبه ، ويتعمق بالفكر والتأمل ، وذلك حول تفرده في الوجود . فهو يمتلك فكريا كل شيء مما يملكه : الكتب والألعاب والألبسة والمجلات وغيرها ، وفي نفس الوقت فهو يفكر بأن لديه يدين ، وقدمين ، ورأساً إلخ ، ويتساءل جون : « أي من اقسام جسدي يمكن اعتباره أنا ؟ » وهذا سؤال محير حدا ، يتناول مسألة أصالة الإنسان : فما هي الأعضاء التي يمكن أن يفقدها فرد من الناس على أن يبقى محتفظا بأصالته ، أي أن يبقى هذا الفرد هو نفسه ؟

خوف الكبار

إن محاولات أن يلهو الصغار دون الاستغراق في مثل هذه الأفكار والأسئلة حول الموت تخفي وراءها الخوف العميق ، خوف الكبار أنفسهم من التفكير بهذه المسائل . وباختصار لابد من الانتباه إلى أن المؤلف يعالج ظاهرة التفلسف عند الأطفال الانكليز والأوروبيين عموما ، منطلقا من نوع التفلسف الذي يتوافق مع التقاليد الفلسفية العقلانية الأوروبية لكن ماذا عن الطفل العربي ؟ كيف يطرح الطفل العربي أسئلته الفلسفية الأولى ؟ من يهتم بذلك من العلماء والفلاسفة العرب ؟ ما هي الدراسات العلمية التي تمت حول هذا الموضوع ؟ وكيف نتعامل نحن الكبار العرب مع الأطفال العرب ؟ وهل ترتبط هذه القضايا بمستقبل الوطن العربي وازدهاره ؟ وكيف ؟ كل واحد منا كان طفلا صغيرا في الماضي ، ويستطيع أن يتذكر كيف كان يطرح الأسئلة الأولى ، وكيف كانت الأجوبة ، وبعضنا قد وجد العناية والتفهم مع الأجوبة المقبولة

منطقيا ، وهؤلاء قلة معدودة ، والأكثرية كانت تجد تجاهلا وقمعاً وعدم احترام ، وربما اعتبرت مرتكبة كذبا أبيض كما يقال . إن الطفل العربي اليوم هوذلك الإنسان العربي الكبير في القرن الواحد والعشرين ، والطفل العربي الذي لا يجد العناية اللازمة له من الكبار ، لن يستطيع بعد عدة عقود أن يعطي ما سوف يكون مطلوبا منه . لقد استرعى انتباهي في العدد ٣٣٥ من العربي ، بعض الأفكار التي طرحها د . هشام جعيط في كتابه حول « الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي » ، وكذلك أفكار د راشد المبارك في مقالته « دعوة الى قراءة في دفاتر مهجورة » . وهنا لانريد أن نناقش تلك الأفكار الواردة في المقالتين ، التي قد نختلف معها بهذه النسبة أو تلك ، علما بأننا نتفق مع الدكتور محمد الرميحى تماما بأنها أفكار « تستحق الوقوف عندها » ، وإنما نريد أن نؤكد على أهمية الأسئلة المطروحة وحيويتها في المقالتين المذكورتين فالأولى تربط بشكل واضح ومن خلال عنوانهابين الشخصية والمصير واستراتيجية المستقبل ، وفي هذا الربط تساؤل عن صحته ،

والثانية تعترف بحالة العجز والضعف الشديدين اللذين يعانى منهما العالم الإسلامى والمجتمع العربي كجزء منه ، وتركز على مرض أساسي خطير ، ألا وهو أنظمة الحكم الاستبدادية المطلقة السائدة في بعض أجزاء العالم الإسلامي ، وتطرح الأسئلة الجادة حول كيف حدث أن تغلبت هذه « الديكتاتوريات » الشريرة على أغلبية المسلمين ؟ إن الشيء الذي نود إضافته هنا يتلخص بالتأكيد على حقيقة علمية حول العلاقة القوية بين التربية التي يتلقاها الطفل ومجمل الظروف التي يعيش فيها منذ الأشهر الأولى بعد ولادته ، سواء كان في الأسرة أم في المجتمع بشكل عام ، وبين الطريقة التي سيتعامل بها هذا الطفل مع الواقع ومع نفسه والآخرين بعد أن يصبح شابا أو شابة ، أي أن الحديث هنا يدور حول الجيل بكامله ، وطريقته في التعامل مع الأحداث المهمة ، كالخطر الصهيوني ، وخطر الحرب النووية ، وخطر تلوث البيئة ، وخطر الأمية والجوع .. الخ ...

جيل للمستقبل

ليس لدينا الآن حلول سريعة وتلقائية للمشاكل في كل المجتمعات الإنسانية على اختلافها ، لكن مع هذا يمكننا أن نؤكد بأن التعامل الصحيح من قبل الآباء والمعلمين ، ومن قبل كل الكبار مع الأطفال اليوم يشكل أحد الطرق الرئيسية لتربية جيل جديد ، يستطيع أن ينهض في القرن القادم بالحمل الثقيل جدا الذي سيرثه عنا . وهنا لابد لنا من لفت نظر القاريء الكريم إلي الأبحاث والدراسات النفسية التي أجريت في الثمانينيات في العديد من المدارس الابتدائية الأمريكية ، فقد تم القيام بتدريس مادة الفلسفة التى حوت على مبادىء مبسطة في علم المنطق وعلم الأخلاق ، وذلك على أساس الأمثلة الواقعية المأخوذة من حياة الأطفال أنفسهم ، أما البرنامج التفصيلي فقد أعده معهد التعليم الفلسفي للأطفال ، وقد بينت نتائج البحث الذي أجري على ٢٠٠ تلميذ (من الصف الخامس حتي الصف الثامن) أن إجراء هذا الدرس بمعدل(٥ر٢) حصتين ونصف حصة في الأسبوع قد ترافق مع تحسن ملحوظ في درجة استيعاب الأطفال في مواد اللغة والرياضيات . وفي الاتحاد السوفيتي أيضا يتم البحث الآن ، ومنذ فترة ، عن طرق مناسبة لإدخال الفلسفة في بنية المعرفة عند الأطفال .

ولا يسعنا الآن إلا أن نتساءل · ألا يجدر بنا أن نلعب مع أطفالنا ألعابا فكرية فلسفية ؟ أليس اللعب مع الأطفال بكل أشكاله ممتع ومفيد للكبار كما للصغار ؟ إذا كنتم لاتدركون الجواب الصحيح فما عليكم إلا أن تجربوا اللعب مع أطفالكم ، وسترون بأنفسكم ! □

آلة تسقط الذكور!



بقلم : الدكتورة نجوى قلعجي*

كما للقضاء ملفات للطب ملفات وأحكام ، وتحتل المرأة الصدارة فيها ، لها قصص السحر والخيال ، ولها المآسي والدموع يمتلكها الرجل بصداق ، فتصبح له قطعة ثمينة يحترمها ويمسح الغبار عنها . تراه يزور الطبيب بين فترة وأخرى ليجعلها في صحة جيدة وآلة إنجاب مستمرة ، وعندما تصيبها صائبة يبذل الجهد لتستعيد نشاطها بأسرع من المستطاع ، فهي آلة فعالة لا يضاهيها في سوق الاختراعات الحديثة مارع ، تعمل ليل نهار بالانجاب وغيره ، وويل لها لو طرأ عليها خلل في الانجاب ، ويل لها من نفسها ومن الرجل . إنها آلة طرأ عليها خلل ما ، فهي تسقط الذكور وتبقي الإناث ، وتلك علة العلل التي لا يقف الرجل أمامها صامتا .

بين كوم من المرضى تدخل إحدى النسوة وقد انتفخت وجنتاها واحمرت عيناها ، لا بد أنها قد بكت حتى جفت مقلتاها أسألها فلا تجيب

وتتطوع للكلام نسوة أخريات مرافقات وغيرهن ، ممن يطيب لهن سماع القصص وترديدها بالمصول النسوي المعتاد مسكينة هذه المرأة ، طلقها زوجها اليوم ، لأنها تسقط الذكور وتبقي الإناث

التفت إلى المرأة اهدىء من روعها ، فلسنا هنا لمحاكمة زوج جاهل ، وإنما لمشورة طبية ، فإن كان في الطب باب نتسلل منه لننتشلك من ورطتك فيا حبذا المرأة المسكينة مازالت تبكي ، ولقد كررت سرد القصة مرات ومرات قبل مجيء دورها للكشف ، وتلقت التعليمات المعتادة التي تتطوع النسوة دوما لتقديمها مجانا ، منهن من يفترض الحلول والدواء ، ومنهن من يستشهدن بقصص مماثلة ، ومنهن من يفترض اسم طبيب آخر له باع في الميدان ، والمرأة تبكي وما زالت ، ولم تهدأ ثورتها

* كاتبة وطبيبة سنانية من القطر العربي السوري

نظرت إليها طويلا لأستشف بعضا من ملامح شخصيتها ، وجهها من الوجوه المألوفة ، لامرأة عادية الذكاء محدودة التفكير ، فهي كما يبدو آلة من تلك الآلات ، امتلكها الرجل لينعم بوجبات شهية من الجنس والأطفال الذكور بوجه خاص

وبأنفاس متقطعة لاهثة صارت تقول إني أمينة ، ألا تذكريني ؟ زرتك في العيادة منذ سنوات ، واسمي في الدفتر لديك

إنها إحدى « الأمينات » اللواتي يراجعن العيادات النسائية يوميا ، وكلهن سواء ، وهي واحدة منهن ، وجوه يومية مألوفة خلت من كل تعبير يشير إلى أنها تعيش في هذا العصر الذى قفزت فيه المرأة قفزات واسعة

إنها في عالمها الخاص ، عالم الانجاب فقط ، تبحث عنه لتحقق ذاتها أمام ولي نعمتها الرجل ومجتمعه

تقص القصة المعتادة سنوات زواج عشر !! ـ وتقولها باستحياء ـ لم انجب حلالها سوى ابنتين والزوج المسكين صابر ، حرمته من الحلقة ، تنقل من طبيب إلى آخر ما أن أبلغ بضعة أشهر من الحمل إلا ويدب بي المرض والآلام ويسقط الذكر ما كان هناك هم لو كانت تلك الثمرات المهدورة إناثا ، لقد هدرت بضعة ذكور والزوج ما زال صابرا ، الى أن ضج الأهل ، ودارت عليه الدوائر لتصب اللوم والازدراء على زوج دون (خلف) ودون محاولة لإصلاح ما هدر منه ، فالحل الأمثل الزواج من أخرى ، فتزوج ، لكنه ما استطاع أن يشترط في الأخرى انجاب الذكور ، لأنه ما زالت لديه ذرة من إيمان ليقول بين الحين والآخر كله من الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله لكن ليس لديه قدرة للإنفاق على زوجتين في وقت واحد ، فأصبح الطلاق هو الحل تعالي أيتها المرأة ، ضعي الملاءة عليك ، نحن ذاهبان إلى المحكمة للطلاق أمينة ككل أمينات البلد ما زالت طوع بنانه . ألم



بسيط حز في نفسها ممزوجا بشفقة ، فما زال في نفسها شفقة على رجل دون خلف أقرت المتهمة بذنبها ، ووقع القاضي وثيقة الطلاق أمام امرأة بالغة راشدة بحث القاضي بين قوانينه فرأى أنه يجوز الطلاق في حال موافقة الزوجة ، والزوجة قد أقرت بتهمتها وقاض مقوده القانون يناور يمينا ويناور شمالا ويعود إلى قانونه ومع كل انسانيته التي وضعها لم يسمح قانونه بأكثر من بضعة شروط تكون سندا للمرأة في حياتها . أبرز محامي أمينة فجأة وثيقة تثبت أنها حامل ، إنها حامل إذن وحاول الحاكم مرة أخرى أن يقنع الرجل بالتريث فرفض الرجل ، رفض أن يتحمل مشقة الانتظار واللهفة ، فهو يريد أن يطلق كل شيء ولم يكلفه ذلك أكثر من بضعة مئات من الليرات قدمها نفقة للمرأة مع شرط مهم أن يبقى للزوجة حق المطالبة بمصاريف العلاج أثناء الحمل ، تقر وثيقة الطلاق ذلك ، معالجة تحت إشراف طبي ،

الدكتور مأمون مشرف على الحمل ، وولادة مجانية في مستشفى حكومي حكم عادل من محكمة الرجال وقانون الرجال

وتتأبط أمينة صك الطلاق ، صابرة على الحكم ، ولإيمانها العميق تظنه حكم الله فيها والحياة هي الأمل ، فلكل أمله وحلمه ، حتى أمينة لها آمالها وأحلامها ، وهذا آخر سهم لها في عالم الأمل ، فلم لا تطلقه ، خاصة أن الحاكم قد منَّ عليها بمعالجة على نفقة الزوج ؟؟ فلتحاول أن تبحث عن ذكر يمد لها أنوثتها وكرامتها المهدورة أمام روحها وامام المحكمة وأمام الجميع

ونجيء إلينا لنتابع مراقبة الحمل ، لعل وعسى وأمام الطب نضع قصتها،وحسب علمي أنه ليست هناك حالات تموت فيها الذكور وتبقى الإناث فلنجعلها قصية طبية جديدة لنشبعها درسا ، فقد نوفق في أن ننتشل أمينة مما أصابها من حرمان وشقاء

رحلة في عالم الأمل :

وتتابع أمينة رحلتها في عالم الأمل ، وقد أضحت زيارتها الطبية كل حياتها ، تنسج الأحلام خيوطا حولها مادا لو تحقق الحلم وعدت إلى بيت الزوجية معززة مكرمة مرفوعة الرأس ؟! ابتدأ الجنين بالحركة ، وتلك أول بادرة من بوادر الحياة ، وصارت تتحسس أمينة جنينها ولا تصدق ، وتزور طبيبها فيطمئنها وينطلق المسمع الالكتروني ليعلن بدقات قلب الجنين بدء حياة مخلوق جديد ، وتتوسل أمينة ، وتصيح بالرجاء والدعاء · قل لي بربك يا مأمون أهي دقات ذكر أم أنثى ؟ تقول ذلك دون تكلف فقد أصبحت جزءا من العيادة ، وجزءا من حياتنا ، كيف لا وقد أقرت المحكمة ذلك ؟ قال الطبيب لا بد أن تكون تلك الدقات بشدتها لذكر يمارس رجولته مبكرا وتقول أمينة من القلب وهي تحمل معها مأساة العمر . يا ليت . . يا ليت .

والجنين يتابع مسيرته مع هذه الاحتياطات المشددة والأدوية المتنوعة ، وأمينة تراقب حركات جنينها ولا تصدق !

القصه تقترب من النهاية ، والطب سيقول كلمته ، وفي الطب النسائي لا يعنينا سوى إنقاذ الجنين سواء كان ذكرا أم أنثى .

أدخلت أمينة إلى المستشفى للمراقبة الصحية وانتظار المجهول وقرر الطب أنه لابد من انتشال هذا الجنين قبل أن تخنقه آلام المخاض بعملية قيصرية وجهز كل شيء على ساحة غرفة العمليات ، فطاقم الغرفة على أهبة الاستعداد ، بينهم من تعاطف مع أمينة ، ومنهم من يقوم بواجب يومي لأمينة وغيرها تمتمت المرأة ببضع كلمات ، التقطت منها كلمة « صبي » ، وغابت في عالم التخدير

صمت قاتل رافق ضربة مبضع الجراح وهيمن على الغرفة ، كل غرق في تفكير ولهفة ، ونظرات الجميع المترقبة تتطلع إلى الجراح لتستمد منه التعليمات ، وسادت لغة الإشارة غرفة العمليات كالعادة ، خاصة أن الكمامات الطبية قد كممت الأفواه ، فهمدت الأنفاس إلا بضع زفرات يطلقها الجراح عندما تقفز إلى وجهه قطرات من دم جامح ، فينظر في وجه مساعدته بنظرات قاسية وكأنه يقول . أين ملاقطك أيتها المساعدة ،لتمد يد المساعدة فتنظف ساحة أشبه ما تكون بساحة حرب انطلقت فيها أسلحة الجراح ؟!

الهدوء مستتب ، سوى همسات هنا وهناك ، والجميع بانتظار الجنين ، تلك القدرة الإلهية الهائلة ، وبضربة مبضع حاسمة لا بد منها لانتشال الجنين تنطلق الصرخة الأولى ولا أظن الجراح في وضع يمكنه من البحث عن ذكر أو أنثى ، إنه فقط بانتظار هذا اللحن الجميل عندما تطلقه حنجرة جديدة ، فهو أعذب لحن يشجي الطبيب النسائي ويطربه ،

لحن ينسى معه آلام المهنة كلها .

وينبعث هذا اللحن عاليا في الغرفة ، وتتلقف الممرضة الجنين ، وتحتضنه ، وتصيح : ذكر . . . ذكر . ويلتقط الخبر بعض فينقله إلى من ينتظر في الخارج ، ليكون له سبق زف خبر ولادة الذكر أتم الجراح عمليته بهدوء بعد أن أطربه اللحن وصار يتمتم بألحانه ، وتدور عندئذ قصص ونوادر بعد أن اطمأن البال على سير العملية

أمينة مازالت في غيبوبة التخدير . قصة صغيرة نكتمها عن أمينة ، وهي أنه أثناء الجراحة استدعى الأمر نقل دم إصابي ، وتم الاتصال بالزوج ليمنح زوجة تحت رحمة القدر دما إضافيا ، فرفض ثانية وبعنف ، فاندفعت ممرضة ودمها مطابق فقدمته لإنسانة مجهولة بضع ساعات دامية وتستعيد أنفاسها الطبيعية مرة أخرى ليس من حولها كثير ، فاقرباؤها قلة . وقد استطاعت أن تستشف نظرات فرح حولها ونظن أن ألم العملية قد منعها من التعبير ، لكنها لم تقل أكثر من « الحمد الله ، الحمد الله »

أمينة إلى ما شاء الله :

مرت ساعات وما زالت أمينة تحد الشعور نفسه ، الذكر إلى جانبها ، ومازالت هي هي ، أمينة نفسها هل سيغير هذا الذكر دنياها ؟؟ هل سيجعل الحياة جنة من حولها ؟ وكيف يستطيع ذلك ؟؟ الأهل والجيران والصحبة يقدمون التهاني ، ويذهب كل إلى حاله ، وهي ستبقى أمينة إلى ما شاء الله

الذكر لن يقدم ولن يؤخر وفجأة تذكر الزوج ، أين الزوج الآن ؟ هل نقل أحد إليه الخبر ؟؟ نعم يا أمينة ، وقد جاء في اليوم التالي ، ونظر إلى ابنه في لهفة ، ولا نكتمك أنه حاول أن يخطفه بحجة أنه ابنه وخلفه وهو أحق الجميع به . إذن جاء إلى المستشفى ولم يكلف نفسه مشقة الزيارة ؟! أنجبت الذكر ومازالت أمينة أمام الرجل وأمام الجميع .

الطبيب والممرضات ينظرن الآن إلي نظرة خاطفة سريعة كأي مريضة أخرى ، وأنا هنا ما زلت مشلولة التفكير والإرادة ، والآم العملية تنخر بجسدي .

صحت أمينة على صوت العقل ، فقد وجدت أخيرا أن الذي أنجبته لم يحقق ثورة ولن يحقق ذلك ، ولن يخلق مجتمعا سليما ستثبت للجميع أنها إنسانة قبل أن تكون أم محمد

ولكن ماذا في يدها ؟ وخطرت فكرة . ماذا لو تبحث عن عمل في هذا المستشفى الذي مد لها يد الحب ، وبعث فيها حياتين ؟ وتسأل بعضا من العاملات فيه هل لي بينكن مكانا للعمل ؟ إنني أطبخ جيدا ، لكني لا أعرف القراءة ، لكنني أستطيع أن أتعلم ، فدورات التعليم لمحو الامية قد ملأت الدنيا وتقول العاملة : حلال عليك يا أمينة ، العمل للمرأة هو سلاحها ، وتعمل كل امرأة ضمن طاقاتها ، وسيحقق العمل وجودك ، ويجعل للحياة معنى لديك ، ويملاء فراغ عمرك ، ويكون ما تبقى لك من سنوات تمضينها بكرامتك وعزتك

نعم سأعمل ، والزوج الذي حلمت بالعودة إليه لن يكون له دور في حياتي الآن ، سأعود إلى ترميم ما هدر من كياني ، سأعود امرأة جديدة مكافحة ، وسيصبح للحياة معنى آخر ، والذكر أرعاه بعيني وقلبي ، فلينتظر الزوج ريثما ألملم أشتاتي لأعود إليه مرة أخرى أمينة جديدة ، تقود ثورة ، وتعلم كل أمينات البلد أن الحقوق تؤخذ ولا تعطي ، سأقود ثورة ، وأحمل مشعلا يكون عنوانا لحياة أفضل للمرأة . □

■ الزواج كتاب : الفصل الأول نظمناه شعرا ، أما بقية الفصول فقد كتبناها نثرا .

شين كنان

هو.. هي

لم يعد يحبني

● في السنة الأولى من حياتنا الزوجية كنا نختلف كثيرا ، ونتشاجر أحيانا وتغلبني دموعي دائما ، ولكن ذلك كله كان ينتهي بنفس السرعة التي يبدأ بها ويهدأ الغضب ، وتتحول الكلمات الطائشة إلى عتاب رقيق ناعم ، يبدؤه زوجي غالبا ، وتومض الابتسامة في عينيه ما تزالان مبللتين بالدموع !!

كان أبي يهدىء مخاوفي قائلا

يا ابنتي ، يحتاج أي زوجين إلى بعض الوقت ليعرف كل منهما طباع الآخر ويتكيف معها ، ثم تمضي الحياة الزوجية في طريقها الطبيعي !

هل ما نحن فيه الآن هو الحياة الزوجية الطبيعية التي يتحدث عنها أبي ؟ هل أجرؤ على أن أقول لأبي إنني أتحسر على أيام الخصام والصلح ؟ ففي تلك الأيام كان الخصام كما كان الصلح يعني أن كل واحد منا يشعر بالآخر ، ويهتم بما يصدر عنه !!

أما الآن فماذا أقول ؟ زوجي الذي يبدو أنه فهم طباعي جيدا أصبح يتجنب كل ما يغضبني ، بل يبادر إلى تلبية كل ما أطلبه دون مناقشة ! ولكنني أشعر أنه لا يفعل ذلك عن اقتناع أوحب ، إنه يفعل ذلك ليسكتني فقط ، ليتجنب شجاري معه

أنا أعرف الحب لأني مازلت أحب زوجي والحب هو الاهتمام وبينما أهتم بكل صغيرة وكبيرة تصدر عن زوجي فإنه يبدو غير مهتم بي على الإطلاق ، بل أكاد أقول إنه يضيق باهتمامي الزائد به

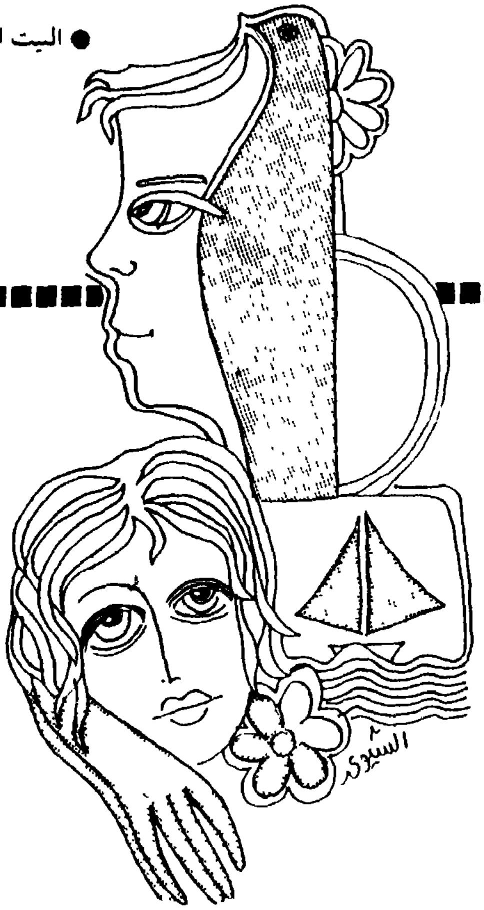
يقول لي أبي

يجب أن تفهمي زوجك أكثر ، والاهتمام لا تعبر عنه الكلمات وحدها ، بل تعبر عنه التصرفات والمواقف ، والحياة ليست كلها حبا وغراما !

ولكني واثقة من أن أبي هو الذي لا يفهم هذا الرجل ، فزوجي الذي يبدو كأعمى حين ألبس « فستانا » جديدا أو أغيّر تسريحة شعري أو لون صبغته ، والذي يصاب بالخرس حين أحكي له شيئا حدث لي أثناء غيبته ، هو نفسه الذي يتحول إلى متحدث لماح في أي جلسة تضمنا مع الأصدقاء وزوجاتهم ، إنه فجأة يصبح روح الجلسة بملاحظاته الذكية ، وبتعليقاته المرحة التي أوقعتني يوما في حبه وأكتشف أنه مثلي ، تقع له في غيبتي أشياء كثيرة مثيرة ، تستحق الرواية ، لكنه - اللئيم - لا يهتم بحكايتها إلا في مثل هذه الجلسات !

زوجي الذي ينسى في المساء ما أطلبه منه في الصباح ، يتذكر كل كلمة قالها الأصدقاء وبخاصة الصديقات أثناء الزيارات ، ويتنبه إلى المعاني الظاهرة والخفية للكلمات ، ويصحح لي أخطائي فيما أحكيه عن الجلسة ، ولا ينسى موعدا برد زيارة بعد شهور في زحمة مشاغله . ماذا يكون معنى هذا كله ؟ ! إن لم يكن معناه أن زوجي لم يعد يحبني !

..هي



طريق مسدود

● قد أنسى أشياء كثيرة ، ولكنني لا أنسى أبدا اليوم الذي رأيت فيه زوجتي لأول مرة ، يومئذ قلت لنفسي هذه الفتاة لن تهرم أبدا ، وجه طفولي يضج بالبراءة والحيوية ، وبعد الزواج كانت ابتسامة زوجتي تزداد سحرا حين تتألق في عينيها الدامعتين إثر شجار عابر أو خلاف صغير ، لم أكن أكترث كثيرا بخلافاتي المتكررة معها في بداية حياتنا الزوجية ، كنت أدرك أنها صغيرة السن والتجربة ، وهأنذا أدرك الآن أنني وقعت في أسر طفولتها الساحرة ، والناس جميعا يقعون في أسر الطفولة ، ويتسامحون مع أخطائها ، ويقدمون المساعدة ، وأحيانا يرضخون لابتزازاتها البريئة ، وربما كان أخطر شيء اكتشفته بعد الزواج هو أن زوجتي نفسها قد وقعت في أسر طفولتها ، ويبدو أنها افتتنت بهذه المرحلة ، وتريد أن تبقى طفلة الى الأبد ، فهي تهرع إلى أبيها كلما واجهتها مشكلة ، وهي تقاوم رغبتي - وأكاد أقول رغبتها - في أن ننجب أطفالا ، وتحتال لتأجيل الإنجاب لتبقى الطفلة الجميلة المدللة عند الجميع كيف أقنع زوجتي بأن سحر الطفولة يكمن في كونها مجرد مرحلة ، وأن هناك سحرا أبقى وأعمق تأثيرا وهو سحر النضج ، وأن الحب ليس شيئا مثل الجواهر يمكن أن يضعها الإنسان في صندوق ويتركه ثم يعود إليه بعد سنين، ليجد الجواهر كما تركها دائمة التألق والبريق ؟ فالحب كالحياة ، مالم يتجدد من خلال التفاعل والنمو فإنه يذوي ويذبل ويتجمد ، كيف أقنع زوجتي بأنه لا اختلاف الرأي أو الطباع يقتلان الحب ، بل يقتله الجمود والثبات ؟ فحين يتلقى الإنسان نفس الإجابات حين تختلف الأسئلة ، ونفس ردود الفعل حتى حين تتطور المواقف ، وحين تبكي الزوجة عندما لا يستحق الأمر فإن ما يوجد آنذاك هو الإحباط الذي يولد الجمود وفقدان الاهتمام زوجتي تصرخ في وجهي بأنني لم أعد أحبها

وأحيانا أظن أنني سأصل إلى هذه الحالة ، لو أنها واصلت صراخها وواصلت إصرارها على ضرورة تقديم الأدلة والبراهين على حبي لها لكي تتغير هي

أشعر أن زوجتي تسير في طريق مسدود ، فمن يملك أن يقدم برهانا على الحب ، فالحب يوجد ، وحين يوجد لا يحتاج لأي برهان !

.. هو



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

في البيت مصاب فاقد الوعي

« الإغماء »

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

يرى العلماء أن الحياة لا تستقيم إلا إذا استقر التوازن بين البيئة الخارجية للكائن الحي وبيئته الداخلية أو تركيبه الداخلي ، وأي خلل ينتاب هذا التوازن يكون على حساب الكائن الأضعف أو الأصغر ومن هنا كان لا بد أن يستجيب الكائن الحي لمطالب البيئة التي تحيط به ، وتتعامل معه ، وأن يتأقلم مع احتياجاتها ، حتى لا يصيبه الهلاك أو الدمار والتلف والأذى

هذه العلاقة القائمة بين الكائنات وما حولها يقوم عليها جهاز مختص وينظمها ، يعرف بالجهاز العصبي ، يتولى أمر نقل الرسائل المختلفة بين الطرفين ، مما يعرف بالأحاسيس والإشارات العصبية ، ويقف على قمة الهرم العصبي في موقع القيادة منه جهاز عصبي مركزي هو المخ والنخاع الشوكي يتحدان من الأعصاب جهازا للاستقبال والإرسال فإذا فشل الجهاز العصبي في هذه المهمة الحيوية الحياتية أصيب الكائن الحي بالعزلة ، وهذا ما يعرف باسم فقدان الوعي والإدراك ، والإ...

يقف على قمة الهرم في تركيب الكائنات الحية تنتابه حالات من فقدان الوعي بصورة أو بأخرى ، لسبب أو لآخر

ففي الإنسان شبكة عصبية واسعة ، تقوم على تنظيم شؤونه ، أساسها الوحدات العصبية الصغيرة التي يطلقون عليها اسم « النيورون » ، تعرف في اللغة العربية باسم العصبة أو العصبون ، وتتركب الوحدة من خلية عصبية ، لها زوائد « Dendrites » تربطها بجاراتها من الخلايا العصبية الأخرى ، كما أن لها محوراً عصبياً يسمونه « الأكسون » أو المحور ، وهو زائدة طويلة ، كأنه سلك كهربائي ينقل للخلية الإشارات العصبية والإحساس ومن مجموع هذه المحاور العصبية للخلايا ذات الاهتمام المشترك يقوم العصب

إن جهاز الإنسان العصبي يتكون من آلاف الملايين من هذه الوحدات العصبية ، وقد يتجا... ...دادها عشرة آلاف مليون ، تتركز في الـ... ...ي المركزي داخل الجمجمة وا... ...سله

الفقارية ، وقد تعجز هذه الوحدات العصبية عن أداء واجبها بسبب تلف أو عطب يصيبها ، أو خلل يعتري وظيفتها لشح يطرأ على ترويتها الدموية ، أو اختلال ينال من تركيب الدم ومحتواه ، أو لاضطراب في ردود الفعل العصبية ، وهي منهج عمل المخ والجهاز العصبي ، فيصاب بشكل أو بآخر بعطل من الأعطال التي تعرف بفقدان الوعي .

وفقدان الوعي أشكال شتى منه

فقدان الوعي طويل المدى ويعرف بالغيبوبة Coma ، وهذا الفقدان ربما كان أخطر الدرجات ، لأنه يعبر عن تلف عضوي للجهاز العصبي أو عطل وطيفي فيه ، وهذان أمران لا بد فيهما من استشارة طبية ، وإشراف طبيب مختص ، وربما احتاج الأمران إلى الرعاية داخل المستشفى أو المصح

ومن فقدان الوعي،فقدان جزئي يسميه البعض الذهول Stupor ، وهو صورة من صور الضعف في الاستجابة العصبية والأحاسيس ، مما يحـ ج إلى رفع درجة التنبيه ، حتى تكتمل الدائرة العصبيه ، ويتولد رد الفعل لدى المصاب الذي يكون في درجة من الوعي والإدراك والإحساس أدنى بكثير من المستوى العادي للإنسان الطبيعي ، أما الإغماء الذي نحن بصدده فهو أخف درجات اللاوعي أو فقدان الوعي ، ويميزونه عن الدرجات الأخرى بأنه غياب وعي مؤقت ، قصير المدى ، ويكون بسبب أحد عوامل ثلاثة -

أولها شح التروية الدموية للجهاز العصبي المركزي وبخاصة مراكز الوعي

وثانيها اضطراب في تركيبات الدم الكيماوية الحيوية

وثالثها خلل يعتري نشاط الجهاز العصبي

ولعل أول الأسباب هو الأهم والأكثر شيوعا في تبرير الإغماء ، حيث أن النسيج العصبي يتميز بنهم كبير إلى الأوكسيجين ، وأي شح فيه يصيبه بعطل مؤقت . فإذا طال الشح فربما أصابه بعطب يصل إلى حد الموت .

أشكال من الإغماء

(١) الإغماء الشائع . -

بعضهم يحلو له أن يسميه الإغماء الحميد ، على عكس الخبيث ، حيث يحمل لصاحبه مخاطر ضئيلة ، وسببه رد فعل عصبي يؤدي إلى توسع في أوعية الدم الطرفية ، مما يدفع إلى تجمع قدر كبير من الدم في الأطراف على حساب رصيد المخ ، ومن ثم إلى عجز عن تلبية حاجة النسيج العصبي إلى الأوكسيجين ، ولهذا لا غرابة أن نعلم أنه غالبا ما يحدث والمصاب قائم على قدميه ، وقلما أو ربما يستحيل حدوثه وصاحبه مستلق على ظهره .

إن هذا الشكل من الإغماء يصاحب سماع أخبار سيئة ، أو رؤية مناظر ذات انطباع كريه مؤلم لدى المصاب ، ترتبط بتجاربه وتربيته وثقافته وعاداته ، كما يحدث عند رؤية الدم مثلا أو رؤية قتيل أو مصاب أو عملية جراحية أو ربما مجرد رؤية منظر أو وخز إبرة

وأحيانا يكون الجو الحار الذي يسبب توسع البساط الدموي في الأطراف ، فيتدفق الدم إلى جلد الساقين والذراعين والبدن ، فيما يقل في الرأس وغيرها

عند ذلك يشعر المصاب بالغثيان والدوار ، ويتصبب منه العرق البارد ، ويحس بضعف عام ، وربما أصيب بالقيء أو بالرغبة فيه على الأقل

والناظر إلى المصاب يراه شاحب الوجه ، مصفر الجلد ، وقد تصبب منه العرق ، وتصدر عنه حركات لا إرادية ، وتتسع حدقة عينيه ويصبح نبضه سريعا ضعيفا

بعدها ينتهي الأمر بسقوط المصاب على الأرض فاقدا للوعي، وقد يثير السقوط شعورا انفعاليا لكنه في الواقع يصبح هو العلاج التلقائي للإغماء الشائع ، لأن الدم يعود إلى التدفق بوفرة في أنسجة المخ ،

فيصحو المصاب ويفيق بعد فترة وجيزة على الرغم من أن الإغماء الشائع لا يحدث للإنسان وهو مستلق على ظهره ، إلا أن هناك حالات مستثناة قد يكون الأمر فيها على عكس هذه الصورة ، وهذا ما يحدث مع المرأة الحامل التي قد تغيب عن الوعي وهي مستلقية بينما تفيق وهي واقفة ، وكذلك شأن المتبرع بالدم الذي يشعر أحيانا بالدوار والإغماء وهو مستلق على ظهره عند التبرع ، غير أن هذا أمر يعود إلى رد فعل نفسي ، وليس لخلل وظيفي ، لأن الإغماء يداهم المتبرع قبل أن يستنزف منه دمه أو ربما قبل أن تنغرز الإبرة في وريده أصلا

إن إسعاف المصاب في مثل هذا الإغماء لا يعدو أن يكون مجرد رقاده على ظهره ، وخفض الرأس عن مستوى القدمين مع بعض كلمات من التشجيع فقط

(٢) إغماء الجيب السباتي

في الشريان السباتي الذي يعبر الرقبة ليغذي الرأس يقع جيب يسمى « الجيب السباتي » في موضع قبل تفرعه إلى الشريان السباتي الخارجي والشريان السباتي الداخلي

هذا الجيب يتزود بمستقبلات عصبية في جداره ، حساسة لضغط الدم داخل الشريان ، فإذا ما زادت حساسية المستقبلات العصبية أو إذا ما داهم تصلب الشرايين جدار الشريان والجيب فإن أي مساس بهذا الجيب يولد ردة فعل عصبية تؤدي إلى الإغماء بسبب هبوط مفاجىء في ضغط الدم

إن هذا الأمر قد يحدث مع حركة تدليك خفيفة (مساج) لدى بعضهم أو قد تحدث لكبار السن الحريصين على ارتداء القمصان ذات الياقات الضيقة المنشاة إذا ما أداروا رؤوسهم عند التفاتة مفاجئة ومن هنا كانت النصيحة لكبار السن أن لا يرتدوا الياقات الضيقة المنشاة

إن هواة الرياضة وبخاصة المصارعة المعروفة باسم « الكاراتيه » ، بالإضافة إلى رجال العصابات أو الجنود الفدائيين يعرفون أن ضربة على الرقبة الخصم بجانب اليد تؤدي إلى طرحه أرضا فيغمى عليه ، وهذا هو إغماء الجيب السباتي

(٣ » إغماء الوقوف المفاجيء

من المألوف أن يشكو بعض من الدوار عند النهوض المفاجيء من السرير ، بل ربما يصل إلى حد الإغماء، وهذا أمر يتكرر حدوثه مع الذين يتعاطون عقاقير علاج ضغط الدم المرتفع ، ومع مرض فقر الدم ، أو مرض القلب ، إذ تظهر عليهم أعراض مماثلة لأعراض الإغماء الشائع

(٤) إغماء مرضى القلب

مرضى القلب معرضون للإغماء لأسباب شتى ، سواء بسبب خثرة في صمامات القلب أو بسبب ثقب في حاجز القلب

(٥) إغماء مرضى الصدر

مرضى الصدر عرضة للإغماء أيضا ، وذلك لاحتمال عجز الدم عن تروية المخ وتزويده بالقدر الكافي من الاوكسيجين

(٦) إغماء البوال

قد يصاب إنسان ما بدوار وغثيان عقب التبول ليلا ، مما يظنونه نوعاً من إغماء الوقوف ، وما هو إلا إغماء سببه تفريغ المثانة ، وحدوث ردة فعل عصبية ، كما أن هذا الشعور ينتاب المريض إذا أفرغت مثانته أو أفرغ سائل من صدره أو بطنه

(٧) الإغماء المزيف

بعض الناس قد يستجدي عطف الآخرين أو يلجأ إلى الهروب من موقف محرج باصطناع الإغماء

لكن التفريق بين الإغماء الحقيقي والمزيف سهل جدا ، حيث لا صفرة في الوجه ولا شحوب ولا عرق يتصبب من الجلد ، كما أن المصاب لا يفيق من إغمائه بوقوعه أرضا ، ويقاوم فتح عينيه عند الكشف عليه ، بل يداوم على التظاهر بفقدان الوعي ما دام هناك حضور من الناس □

الليل والنهار

أعشق الليل ، لا أتحدث عن المساء والسهرة ، ولكنني أتحدث عن الليل بعد أن يستغرق الصغار في أحلامهم ، وينتظم تنفس الكبار في نوم عميق ، بعد أن تهجع الطيور في أعشاشها والحشرات في جحورها، وتكاد تسمع صوت النبات وهو ينمو ويتنفس !

آنذاك تشعر كأن النجوم والكواكب تقترب أكثر من الأرض ، وأن أطراف الأشجار العالية في الأماكن البعيدة التي لا تراها قد تلامس النجوم هناك !

آنذاك تشعر أن الكون يسترد وحدته العظمى ، وأن المسافات الهائلة بين الكائنات وأنواع المخلوقات تتلاشى ، فالأرض والسماء والنبات والحيوان والإنسان جميعا يخضعون لإيقاع الليل الذي يلفهم في وحدة عظمى من الظلام والسكون ، حتى الزمن تذوب فيه الحدود بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فتسمع في وضوح رنين ضحكات تلاشت منذ سنين بعيدة ، وتسفر في قلب الظلام وجوه كنت تعتقد أنك نسيت ملامحها ، تهمس لك بكلمات كانت هي كل ما ترجوه من دنياك في ذلك الماضي البعيد !! وتعجب كيف انتهت أحزانك على فراق من أحببت ؟! كيف نسيت فقد الأم والأب الغاليين ؟ ويتسرب إليك يقين عذب بأنهما لا يمكن أن يكونا بعيدين في هذا الكون المتقارب المتآلف المنسجم ، وأنهما لن يعجزا أبدا عن فهم أن ما حدث منك لم يكن عقوقا أو نسيانا ، ربما كان النهار هو السبب ،هما يدركان ذلك دون ريب ، فالنهار الذي يلتهم الأحياء في حركته الصاخبة ، يلتهم الموتى كذلك ، ويلتهم كل ما هو رقيق وناء وحالم !

في الليل تكتشف قدرتك اللا محدودة على أن تكون رقيقا متسامحا متفاهما ، متجاوزا حدود ذاتك ، قادرا على أن تعيش بعض الوقت في عالم إنساني آخر !

وتأتي لحظة في الليل يمكنك أن ترى فيها بوضوح كيف حدث الالتباس ، ومتى بدأ الخطأ والزيغ ؟ ويدرك الرجال الأذكياء ذوو البصائر كيف أنهم لم يخدعوا سوى أنفسهم ، وقد يكتمون ضحكاتهم (حتى لا يوقظوا من بجوارهم) حين يكتشفون أنهم كانوا على هذا القدر من الحماقة !

في مثل تلك اللحظة قد يدرك الرجال العظام بشاعة ما فعلوه في النهار باسم المحافظة على القانون والنظام والحرية والعدالة !

في مثل تلك اللحظة ينادي الرجال العظام وهم يتقلبون في فراشهم بين اليقظة والنوم أمهاتهم اللواتي مضى على موتهن عشرات السنين ، ولكن لا أحد يرد النداء .

وتمتلىء يقينا بأنه في لحظات مثل هذه كانت البداية لكل الأشياء والنوايا والأفكار العظيمة والطيبة التي تصنع حقائق النهار الطيبة ، ودائما كان الليل والنهار يتناوبان إلى جوار صناعة الزمن صانعة الأحلام والحقائق . . . !

ولكنك قد تمتلىء بالرعب حين تتذكر أن النهار الآن يزحف على الليل ، يقتطع من ساعاته وسكونه وصفائه ، يسلم إليه رجالا ونساء مكدودين من العمل والخوف والحماقة ، فينامون أحياء كالموتى ، وحين يستيقظون على ضجة النهار فإنهم لا يتذكرون حتى أحلامهم !

أبو المعاطي أبو النجا

بقلم : الدكتور حسن عباس

ليس !

هل اتاك حديث « ليس » ؟ إنها واحدة من الكلمات التي تحمل بالدلالات المختلفة والوظائف المتعددة ، فهي اسم وفعل وحرف ، وهي صفة مدح وصفة ذم في آن معا ، وهي كلمة بسيطة ومركبة أيضا ، وهي من الأضداد ، إذ تحمل معنى الوجود كما تحمل معنى العدم

أما « ليس » الاسم فمعناها لزوم البيت والمكث فيه دون الخروج منه ، وهي لذلك إثبات لانفي والليس الشدة تقول « إبل ليس على الحوض » إذا أقامت عليه فلم تبرحه وتقول « رحل أليس » وتعني بها الرحل الذي لايبرح بيته ، وقد أطلق بعض الأعراب هذه الصفة على الديوث الذي لايغار ، والكلمة في الحالين ذم ، لكنها تعني المدح أيضا فالليْس معناها الشجاعة ، والصفة منها « أليس » بمعنى شجاع وفلان « أليس » تعني حسن الخلق ! وإذا عدنا إلى قاعدة « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني » التي قال بها ابن جني وجدنا أن « اللّيس » و « الليث » متقاربتان لفظا فلا اختلاف بينهما إلا في الحرف الأخير في كليهما ، وهما في الوقت نفسه متقاربتان في المعنى ، بل متحدتان ، فالليس والليث تعنيان الشدة والقوة ، أو الشديد القوي وقد سمي الأسد ليثاً لشدته وقوة بأسه

والَّليس - محركة - الشجاعة والشدة كما جاء في تاج العروس وهو أليَس ، أي شجاع بيّن الشجاعة ، من قوم لِيْس ، أي من قوم يتصفون بالشجاعة وقد ورد في معاجم اللغة قول العرب للشجاع - هو أهْيَس ألْيس ، وقد كانت في الأصل أهْوَس ألْوَس ، فلما اردوج الكلام قلبوا الواو ياء فقالوا أهْيَس وقد تستعمل للذم فيقصدون بالأهْيس الكثير الأكل ، وبالألْيَس القُعَدة الذي لايبرح بيته

وليس للنفى قال سيبويه في الكتاب وليس كلمة ينفى بها ما في الحال وهي فعل ماض ولكنه ناقص وقد قيل في أصله إنه على وزن فعِل كفرح ، سكنت ياؤه استثقالا

وقال ابن سيده أصلها ليس « بكسر الياء » فسكنت استثقالا ، ولم تقلب الياء أيضا لأنها لاتتصرف ، فليس لها مستقبل ولا اسم فاعل ولا مصدر ولا اشتقاق ولما لم تتصرف تصرف أخواتها جعلت بمنزلة ماليس من الفعل نحو ليت وقد استدل على أنها فعل - على الرغم من أنها لاتتصرف تصرف الأفعال - من قبولها بعض لوازم الفعل مثل قولهم لست ولستما ولستم ، فإن إضافة الضمائر المتصلة من خصائص الأفعال

توقف الأزهري عند مسألة تصريفها فقال · وقد صرفوا ليس تصريف الفعل الماضي ، فثنوا وجمعوا وأنثوا فقالوا ليس وليساوليسوا وليست المرأة ولسن ، ولم يصرفوها في المستقبل قالوا لست أفعل ، ولسنا نفعل ولقد جعلتها العرب من عوامل الأفعال نحو

كان وأخواتها ، حيث ترفع الاسم وتنصب الخبر ، إلا أن « الباء » تدخل في خبرها دون أخواتها . تقول ليس الرجل بمستبق أخاه اللئيم ، فالباء لتعدية الفعل وتأكيد النفي ، كما جاء في اللسان ولك ألا تدخل عليها الباء لأن المؤكد يمكن الاستغناء عنه ، ولأن من الأفعال ما يتعدى بحرف حر مرة ، وبغير حرف حر مرة أخرى كقولك اشتقتك واشتقت إليك

ومن خصائص ليس ألا يجوز تقديم حبرها عليها كما جاز في أخواتها . يصح أن تقول محسنا كان ريد ولا يصح أن تقول محسنا ليس ريد قيل في أصل ليس أنها تتكون من (لا أَيْس) طرحت الهمزة وألصقت اللام بالياء ، وهذا ما قاله الخليل والفراء وقد عزز الفراء مذهبه بقوله والدليل على ذلك قولهم (أي العرب) ائتني به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو ولا هو وكذلك قولهم حيء به من أيس وليس وقد عقب الدكتور ابراهيم السامرائي على هذا التفسير بقوله ربما كان معنى الأيس معروفا عند الفلاسفة ، فقد استعملها الكندي الفيلسوف في « الرسالة الأولى » في مصطلح « الأيسْيِةَ » وهي الوجود ضد « اللَّيْسيَّة » وهي العدم ومن طبيعة تكوينهامن (لا) و (أيس) نعرف أن ليس مركبة لا بسيطة ، وهي على ذلك ليست فعلا ، لكنها حين ركبت هذا التركيب المتداخل أشبهت الفعل في قبول لوازمه (النحو العربي نقد وبناء)

وليس حرف استثناء ، وقد قال بذلك ابن سيدة وعيره تقول أتى القوم ليس ريدا أي ليس الآتي ريدا ولك أن تقول جاءني القوم ليسك ، وتقديره إلا أنت يقول ابن منطور والعرب تستثني بليس فتقول قام القوم ليس أخاك وليس أحويك ، وقام النسوة ليس هندا ، وقام القوم ليسي وليسي وليس إياي ، إلا أن المضمر أحسن ، وبدلك قال الكسائي أيضا □

- قالت العرب « حلي الرحال الادب ، وحلي النساء الذهب الأدب خير من الذهب شخص بلا أدب كجسد بلا روح ! » .

- قال أبو الطيب المتنبي

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى وحظك موفور ، وعرضك صينٌ

لسانك لاتذكر به عورة امرىء فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك معايبا فصنها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسالم من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

(شاعـر)



الجمال معادن

للشاعر عمرو بن معد يكرب

في نسب عمرو بن معد يكرب خلاف واضطراب تكشف عنها كتب الأغاني، والاصابة، والاستيعاب، وغيرها، ولو شئنا الايجاز لقلنا: هو ابو ثور، عمرو بن معد يكرب الزبيدي من اليمن. وفي تفسير اسمه يقول ابن الأعرابي: قالوا معد يكرب لأنه عدا الفساد والكرب الفساد. ويضيف البغدادي في « الخزانة » إلى ذلك قوله: معدي اشتقاقه مثل اشتقاق معدان، ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العدوان، فقلبت الواو ياء لما بني على مفعل و (كرب) يجوز أن يكون من الكرب الذي هو أشد الغم. قال ابن جني: فسره ثعلب انه عداه الكرب، أي تجاوزه وانصرف عنه.

عرف عن عمرو أنه فارس مشهور صاحب غارات في الجاهلية والاسلام. قيل إنه وفد على النبي ﷺ في سنة تسع أو في سنة عشر للهجرة في وفد زبيد فأسلم، وأقام في المدينة. ثم عاد إلى قومه مسلما مطيعا، كما ورد في كتاب « الإصابة »، وكان عليهم انذاك فروة بن مسيك. لكنه ارتد عن الإسلام مع المرتدين بعد وفاة الرسول.

عاد إلى الاسلام بعد معركة بينه وبين خالد بن سعيد. قيل إنه جيء به إلى أبي بكر فقال له: أما تستحي كل يوم مهزوما أو مأسورا؟ لو عززت هذا الدين لرفعك الله. قال: لأجرمْ، لأقبلن ولا أعود. فأطلقه أبو بكر. وعندما تولى الخلافة عمر بعثه مقاتلا في معركة القادسية فكان له جهاد مشهود.

اختلف الرواة في كيفية موته، كما اختلفوا في سنه، فقيل إنه مات عطشا في حرب القادسية، أوقتل فيها، وقد بلغ من العمر مائة وعشرين عاما، أو مائة وخمسين عاما. وكلا الروايتين لاتخلوان من المبالغة والبعد عن الدقة. إذ كيف يتسنى لرجل في مثل هذه السن أن يخوض معارك ضارية كتلك التي خاضها المقاتلون في القادسية؟! بل نكاد نشك في صحة الرواية التي ذهبت به إلى الشام أيضا، وكان قد جاوز المائة من العمر. يعزز شكنا هذا اضطراب الأخبار التي تحدثت عنه، سواء منها الأخبار الخاصة باسمه ونسبه أو تلك المتصلة بكيفية وفاته وسنين العمر التي بلغها. على أن الروايات جميعها تشيد بمناقبه وتصفه بالشجاعة والفروسية، وهي صفات نميل إلى قبولها والأخذ بها لأنها تتفق والمعاني التي يتحدث عنها في قصيدته، بل ونميل إلى الأخذ بتفسير المرزوقي لبيت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب.

لَـيسَ الجـمــالُ بمِئــزَرٍ ... فـاعـلَمْ وإنْ رُدِّيتَ بُـرْدَا (١)
إنَّ الجَـمَــالَ مـعَـادِنٌ ... ومنَـاقـبُ أوْرَثْـنَ مَجْـدَا (٢)
أعـدَدْتُ للحَدثـان سَـا ... بـغَـةً وعَـدَّاءً عَـلَنْـدَى (٣)
نَهْداً وذَا شُـطبٍ يَـقُـدُّ ... الـبَيْضَ والأبْـدانَ قَـدَّا (٤)
وعَـلِمْـتُ أنّي يَـوْمَ ذا ... كَ مُنَـازلٌ كَـعْبـاً ونَهْدَا (٥)
قَـوْمٌ إذَا لَبِسُـوا الحَـديـدَ ... تَـنَـمَّـروا حَـلَقـاً وقَـدَّا
كُـلُّ امـرئٍ يَجْـرِى إلى ... يَـومِ الهِيَاجِ بِمَـا اسْتعـدَّا (٦)
لَمـا رأيـتُ نِـسَـاءنَـا ... يَفْحَصْنَ بـالمَعْـزاءِ شَـدَّا (٧)
وَبَـدَتْ لَمِيسُ كـأنَّهَا ... بَـدْرُ السَّـماءِ إذا تَبـدَّى (٨)
نَـازلْـتُ كَبْـشَـهُـمُ وَلَمْ ... أرَ مِنْ نـزالِ الكَبْشِ بُـدَّا (٩)
هُمْ يُنْـذِرُونَ دَمِي وأُنْـذِرُ ... إنْ لـقيـتُ بـأَنْ أشُـدَّا
كَـمْ مِنْ أخٍ لِي صَـالـحٍ ... بَـوَّأْتُـهُ بِـيَـدَيَّ لَحْـدا (١٠)
مَـا إنْ جَـزِعْتُ ولا هَلِعْتُ ... ولا يَـرُدُّ بُـكَـايَ زَنْـدَا (١١)
أَلْـبَـسْـتُـهُ أثْـوابَـهُ ... وخُلِقْتُ يَـومَ خُلِقْتُ جَلْدَا (١٢)
أُغْـنِي غَنَـاءَ الـذَّاهِـبِـينَ ... أُعَـدُّ لـلأعْـداءِ عَـدَّا (١٣)
ذَهَـبَ الـذيـنَ أُحبُّـهُـمُ ... وبَقِيتُ مثْـلَ السَّيفِ فَـرْدَا (١٤)

يفاجئنا الشاعر في مطلع القصيدة بعزمه على نفي قيم سائدة ترى أن جمال المرء يتبدى فيما يرتديه من ثياب فإذا فرغ من ذلك، فلا بد له أن يأتي بمعايير جمالية أو خلقية جديدة، وذلك ما فعله يقينا إنه يرى أن الجمال الحق كامن في معدن المرء ونبل محتده، بل هو باد في الأفعال الكريمة، وفي جلائل الأعمال التي تورث مجدا للإنسان وشرفا

وليس هذا الانقلاب في القيم بلا نموذج أو مثال يحتذى، إنه كامن في الشاعر نفسه، لذلك تراه وقد أخذ يشيد بمآثره ومناقبه وهو الفارس المقدام الذي يتحلى بالشجاعة والجلد، فهما خير عنده من أن يردى بردا أو بردين كما كان العربي يفعل إمعانا منه في حب

(١) المئزر الرداء البرد الرداء (٢) المناقب الخصال الحميدة المجد الشرف والرفعة
(٣) الحدثان الحوادث أو نوائب الدهر السابغة الدرع الواسعة عدّاء فرسا علنْدى ضخما، شديدا
(٤) نهدا فرسا غليظا ذا شطب سيفا ذا طرائق يقد يقطع، اي يقطع البيض والدروع قطعا
(٥) تنمروا تشبهوا بالنمر القد الجلد، وهو شبه الدرع (٦) الهياج الحرب
(٧) المعزاء الارض ذات الحجارة يفحصن يتركن أثرا من شدة العدو لخوفهن من أن تشن الغارة ويقعن سبايا
(٨) بدت كشفت عن وجهها تشبها بالاماء وتحسبا للوقوع في السبي تبدى ظهر (٩) كبش الكتيبة رئيسها
(١٠) بوأته أنزلته اللحد القبر (١١) الجزع الحزن الهين القريب الهلع الحزن الشديد مع قلة صبر
(١٢) ألبسته أثوابه كفنته جلدا صبورا
(١٣) أعد للاعداء عدا يعدني الاعداء بأكثر من فارس وكان عمرو يعد بألف فارس (١٤) فردا وحيدا

الظهور بمظهر الكريم ذي المنزلة الاجتماعية المرموقة.

أما الجمال عنده فليس أدل عليه من هذه المآثر والمناقب التي يتغنى بها. إنه على أهبة الاستعداد دائما، فلقد أعد للحوادث العدة التي يدفع بها صروف الدهر. ومن تلك أن لديه درعا واسعة، وفرسا ضخمة شديدة، وفي يده سيف ذو شطب، يهوي به على عدوه فيقطع الدروع والأبدان قطعا. وما كل هذا الاستعداد إلا تحسبا ليوم يجد فيه أن لابد من منازلة الأعداء وخوض الحرب معهم. أما الفضيلة التي يتحلى عنها هذا الموقف فهي بعد نظر الشاعر وحسن التنبؤ بما يحدث والاعداد للحوادث وملاقاتها بما يرد مصائبها. إن به من الفطنة واليقظة ما يحول بينه وبين أن يفاجأ ويؤخذ على حين غرة.

هذا ديدنه هو وديدن قومه، فهم إذا لبسوا الدروع ذات الحلقات غدوا أكثر شبها بالنمر في مظهره وجرأته. ولا عجب في أن يلبسوا الحديد وأن يصبحوا كالنمور. فكل امرئ يذهب إلى الحرب لملاقاة عدوه بما أعد لمثل ذلك اللقاء، فحسن الاستعداد والحيطة هما اللذان يحسمان الموقف، ويقرران نتيجة المعركة. وإذا أنشبت الحرب أظفارها، ورأى نساء قبيلته - وهن عرضه وعنوان شرفه - يجرين في الأرض الصلبة ذات الحجارة، فيترك جريهن - لشدته - آثارا في تلك الأرض على صلابتها (وما ذلك إلا خوفا من الغارة ومن الوقوع في أيدي الأعداء سبايا) حين رأى ذلك ورأى لميس الجميلة وقد كشفت عن وجهها [١] وكأنه بدر السماء. عندئذ قصد الفارس المحارب رئيس الأعداء، فهو لا يرضى بأقل منه خصما.

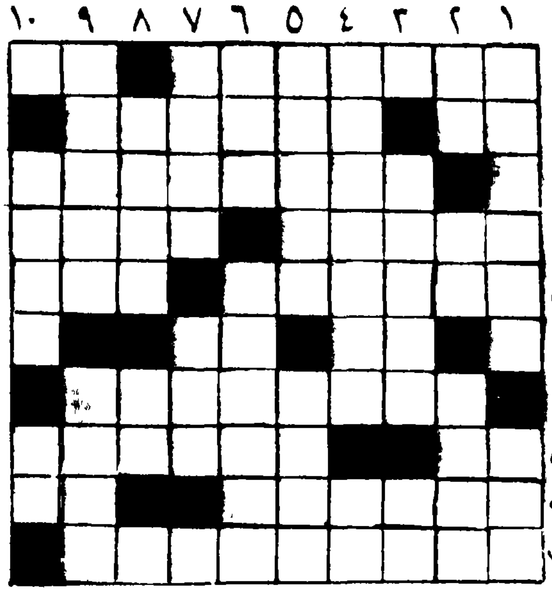
وتدور رحى الحرب، ويبدر الأعداء بأن يسفكوا دم الفارس عمرو، وهو من جانبه يشد شدا، ويقدم إقداما، ولا يأبه بدرهم. ففيه من القدرة والاعتداد بالنفس ما يجعل منه فارسا محاربا. على أن هذا الفارس الشاعر المعتد بشجاعته، يتحلى بفضيلة أخرى هي الجلد والصبر على المكاره. فكم من مرة اضطر إلى دفن أخ له ورفيق سلاح، فقام على تجهيزه وإيداعه القبر بنفسه، وفي ذلك ما فيه من الألم الموجع. لكنه وهو يضطلع بهذه المهمة الصعبة لايفزع ولا يجزع، بل يظل متماسكا صابرا. فتلك حليته التي خلق عليها.

هذه - إذن - هي مقومات الجمال التي يقترحها الشاعر بديلا لما هو سائد بين الناس. إنهم يظنون أن الجمال يأتي به مئزر أو برد أو رداء. وحقيقة الأمر أن الجمال مواقف ومناقب ومآثر تؤثر عن الرجال. وجلد وصبر على المكاره، وشجاعة تصون الأهل والعرض.

هذا عن الجمال الذي تحض عليه القصيدة من حيث هو قيمة أو فضيلة خلقية. أما عن الجمال الذي تحفل به من حيث هي عمل فني، فهو يتبدى لنا في قدرة الشاعر على تكثيف التجربة. فلقد استطاع في عدد يسير من الأبيات أن ينقل لنا بعضا من سيرة حياة، ويصف لنا مناقب حميدة، ويضع مقومات جديدة لمعنى الجمال الذي يعشقه. وكانت الصور الشعرية التي استعان بها لاحداث التأثير - على قلتها - تغني جو القصيدة العام، فهذا فرس غليظ شديد، ودرع من حديد حتى إذا لبسوها غدوا كالنمور قوة وبأسا. وتأتي صفات الجلد والصبر واحتمال المكاره لتضيف إلى مظاهر القوة مظهرا آخر. وعلى الرغم من أن الشاعر معني بوصف مناقبه ومآثره فإن القصيدة حسنة الوقع، إذ أن التلويح بالقوة والاعتداد بها لهما ما يبررهما، فالشاعر لم يخض غمار الحرب إلا دفعا للعدوان، ودفاعا عن الشرف. أما لغة القصيدة فلولا بعض كلمات بَعُد بها العهد لحسبتها حديثة معاصرة وقد أفاد من القافية التي تنتهي بالدال والألف في تأكيد المعنى لما ينطوي عليه لفظها من قوة □

(١) جرت العادة على أن يغطي النساء الحرائر وجوههن، وأن يسفر الإماء والجواري. وعندما تسفر الحرة عن وجهها تشبها بالإماء، فالقصد من ذلك اجتناب الأسر.

الكلمات المتقاطعة



يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

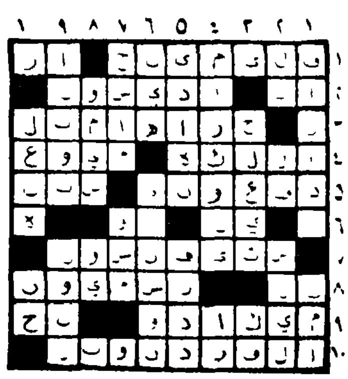
كلمات أفقية

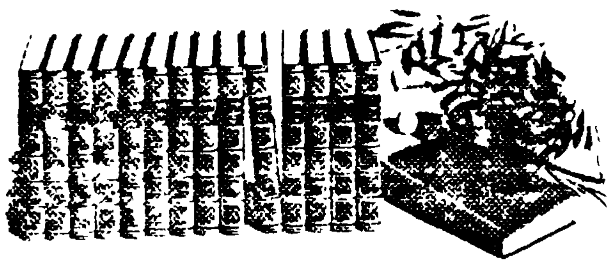
١ زهر من الربيعيّات أصفر اللون
٢ نجدها في نبات عشبي يعرف بقرن الغزال ، شبيهة بالنوَ
٣ أظهر الزهد ، نبات عشبي معترش
٤ شديد أو وخيم ، نجدها في قات
٥ من عبدة الأوثان ، ما كان في أعلى سوق الزرع
٦ نجعل منه سهلا أو بسيطا ، طرق دينيّة
٧ ضرب من الطبيخ حلو المذاق
٨ شجر شوكي يضرب بصعوبته المثل ، نبات منافس لقصب السكر
٩ نبات يؤكل يعرف أحيانا بالكرنب
١٠ نبات من فصيلة الباذنجانيات يؤكل نيئا ومطبوخا ، نبات من التوابل شبيه بالشومر

كلمات عمودية

١ شجر زينة ذو أوراق قلبية وزهر أصفر عطر ، نبات هندي تصنع من أليافه الحبال
٢ استقرار
٣ نبات لذيذ الطعم يستعمل في التوابل ، وقت أو أجل
٤ بقل زراعي لحمي أبيض يؤكل مطبوخا أو مقليًا ، من البروج
٥ تألّم ، سهل الكسر ، لاذ بالفرار
٦ سلل مُعْثرة ، قبيح الشكل
٧ أحرف مقلوبة اثنان منها في قمر ، طوفان معثرة
٨ سال لعابه كالطفل ، مكثن واستقرن
٩ راقب متنوعة بحرف علّة ، من أشجار الشوارع
١٠ نبات هو الأصل في صناعة السكر يزرع في البلاد الحارة وبخاصة في مصر

حل مسابقة العدد الماضي أغسطس ١٩٨٨)





مكتبة العربي

كتاب الشهر

الانتفاضة الفلسطينية في عيون يوغسلافية

Zlatko DIZDAREVIĆ Hido BIŠČEVIĆ

VRIJEME ODLUKE

Palestinski ustanak, Izrael i Arapi

تأليف : زلاتكو ديزداريفيتش وهيدو بيشتشيفيتش

عرض وتحليل : الدكتور جمال الدين سيد محمد

يرى المؤلفان أن موجة الانتفاضة الشعبية في الأراضي العربية المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) قد لفتت بشكل سريع ومفاجىء ، أنظار العالم أجمع إلى تلك المنطقة التي غابت عن الذاكرة مدة طويلة .

كتاب الشهر

لقد سعى الجيش الصهيونى معززا بقرارات حكومته وبتشجيع جزء كبير من الرأى العام لديه بكل الوسائل وأساليب القوة المتاحة ـ الى اطفاء النار التى أخذ لهيبها يقوص ببطء الدعائم التى تقوم عليها الدولة الصهيونية وحاولت القيادة السياسية فى « اسرائيل » ايجاد السبل والوسائل المناسبة لقمع تلك الانتفاضة الشعبية التى أبرزت بشكل جلي جوهر الأزمة التى مضى على نشوئها أربعون سنة من وجود الدولة الصهيونية ، وعشرون سنة من احتلال الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة

واعترفت القيادة السياسية الصهيونية ، بالرغم من استخدامها لجميع ألوان الأسلحة وأساليب القهر والقمع ، أنها غير قادرة على القضاء على الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ، وأن كثيرا من عواقبها ، بما فى ذلك اشتعال رغبات الانتقام لدى المستوطنين اليهود فى الأراضى المحتلة ، تهدد باندلاع حرب أهلية داخل الدولة الصهيونية التى انقسمت على نفسها الى جبهتين تختلف سياساتها وأخلاقها

حد فاصل

وقد تابع المؤلفان منذ سنوات عديدة تطور القضية الفلسطينية بجوانبها المختلفة فى ميادين القتال ، وفى قاعات المؤتمرات وصالات الاجتماعات ، كما أنهما قاما بزيارة للأراضى المحتلة وللدولة الصهيونية ويمكنهما بناء على ذلك أن يقررا أنه لن يعود أى شىء فى هذه المنطقة على الاطلاق الى وضعه السابق قبل الانتفاضة،فلا يمكن أن تظل الدولة الصهيونية والأراضى المحتلة على نفس الحال بعد أحداث الانتفاضة الفلسطينية التى وقعت وأدت الى تغيير جذرى فى النظرة النفسية والسياسية تجاه الأراضى المحتلة ، ورفعت ـ من ناحية أخرى ـ درجة الوعى الذاتى لدى الفلسطينيين وأيقظت كبرياءهم القومى . وبذلك نقلت جوهر الصراع لأول مرة بهذه الأبعاد الضخمة الى الأرض التى نشأ عليها .

ويؤكد المؤلفان بما لايدع مجالا للشك أن أى تحليل سياسى جاد فى الوقت الحالى سيثبت ان الدولة الصهيونية لايمكنها أن توقف الانتفاضة الجارفة دون أن تحدث تعديلا جذريا فى نظرتها السياسية تجاه الاحتلال وهذه الحقيقة نفسها تثير لأول مرة فى تاريخ الدولة الصهيونية تحولات ضخمة ، واستقطابا للقوى السياسية وللرأى العام ، وتبرز على السطح المشكلات النفسية والاخلاقية الكامنة ولقد أدى كل هذا الى اثارة مناقشات حادة داخل الدولة الصهيونية بشأن المستقبل ، وهى مناقشات مصيرية لم تخضها « اسرائيل » مع نفسها من قبل

والانتفاضة الفلسطينية تعني فى الوقت نفسه لحظة صدق لكل الأطراف المشتركة فى مشكلة الشرق الأوسط منذ عشرات السنين ، فهى تضع أمام المشتركين فى هذه الدوامة من الصراعات والحروب مخرجين لاثالث لهما المخرج الموصل الى العدالة والسلام ، والمخرج المؤدى الى جحيم جديد سيودى بكل هذا الجزء من العالم الى هاوية سحيقة .

ويرى المؤلفان أن الانتفاضة قد أظهرت القيمة الحقيقية لكل خطة سلام مطروحة على الساحة فى الوقت الحالى ، ومقدار صلاحيتها فى اطفاء النيران ، وأثبتت أكثر من أى وقت مضى أنه لايمكن لأى فكرة من الأفكار الحالية لحل المشكلة أن تتحمل الاختبار القاسى للتاريخ . ولم يعد من الممكن النظر الى أى شيء في ظل الأضواء الحالية ولايمكن كذلك الحفاظ على الحالة الراهنة . وهكذا غيرت الانتفاضة المنظور الشامل لبحث القضية الفلسطينية التى أثبتت أنها الجوهر والأساس فى أى حل للأزمة فى الشرق

الأوسط . وبالفعل أكدت الانتفاضة أنه قد حان الوقت لاتخاذ القرار في الجانبيين الفلسطيني والاسرائيلي

مشاهد حية

وخلال زيارة المؤلفين للأراضي المحتلة ، وفي أثناء طوافهما بالمدن والمعسكرات وسماعهما لما يقوله الفلسطينيون ومشاهدتها لما يرتكبه الاسرائيليون وما يرد به الفلسطينيون تمكنا من أن يطلعا بنفسيهما على أبعاد الانتفاضة الفلسطينية ، وأهميتها ، وتنظيمها الفريد ، ومن دقة تنفيذ بعض عناصرها الاستراتيجية ، ومن حسن اختيار توقيتها ، والتنسيق الجيد بين عناصرها ، وتأثيرها المحسوب على بعض قطاعات الحياة الاقتصادية والسياسية داخل الدولة الصهيونية كل ذلك يؤكد أن الأمر يتعلق بحقبة تاريخية حاسمة في نضال الشعب الفلسطيني من أجل استرداد حقوقه المشروعة. ويتمتع الفصل الذى تحدث فيه المؤلفان عن مشاهداتها في الأراضي العربية وعن تصوراتها وتجاربها وعن الاحداث التي صادفتها خلال تلك الزيارة بأكبر قدر من الصدق والاقناع والتاثير المباشر على القاريء اليوغسلافي وهو حديث واقعي مؤثر نابع من مصادره الأساسية ، ومن أفواه المشتركين في الصفوف الأولى للانتفاضة ، وهو كذلك حديث تسجيلي ملتزم ، حافل بالملاحظات والاستنتاجات يجعلنا نتأكد من أن الثورة التقنية والعلمية في مجال المعلومات والاتصالات والالكترونيات قد حولت الكرة الأرضية الكبيرة الى قرية صغيرة يمكن التعرف فيها على كل شي في نفس وقت حدوثه ، ومن أن التاريخ الحديث للبشرية يشهد سباقا عنيفا بين الحدث والاعلام .

ويستنتج المؤلفان أن اللحظة الراهنة للانتفاضة تدعو الى بحث الجوانب الثلاثة للكفاح الفلسطيني المشروع من أجل التحرير القومي ، وهي تدفع كذلك الى القيام بتحليل سياسي للأبعاد الثلاثة الحاسمة للتاريخ الفلسطيني منذ صدور قرار تقسيم فلسطين وحتى وقتنا الحالي والحقيقة أن الأمر يتعلق بثلاث جبهات قامت علاقاتها المشتركة بتحديد المصير الفلسطيني وهي التي ستحسم في المستقبل أسلوب حل القضية الفلسطينية

وتشكل الضلع الأول في هذا المثلث الجبهة الاسرائيلية بكل أبعادها وتاريخها . ابتداء من سعي اليهود في القرن الماضي الى الاستيطان في أرض فلسطين ، ومرورا بجميع القرارات التي صدرت في فترة ما بين الحربين ، وبالأحداث التي وقعت آنذاك ، وانتهاء بصدور القرار المشئوم بتقسيم فلسطين ، وبالمعارك التي تلت الحرب وحددت تحديدا نهائيا حاسما العلاقات بين الفلسطينيين والاسرائيليين وشكلها الراهن

ويتألف الضلع الثاني من الجهة العربية التي تشكل ذلك المجال الجغرافي والسياسي الذى كان له تأثيره على المصير الفلسطيني منذ نشوب أول حرب عربية اسرائيلية بعد صدور قرار تقسيم فلسطين . وتدخل أيضا في اطار الجبهة العربية سلسلة الخلافات العربية الفلسطينية ، وكذلك التقارب والتصالح بين العرب والفلسطينيين مع وجود اختلافات واضحة في المصالح والأهداف .

والجبهة الفلسطينية تمثل الضلع الثالث للمثلث ، وفيها يعد مصير النضال الفلسطيني انعكاسا للنضوج القومي خلال فترة طويلة من السعي للحصول على الاستقلال والحرية وتحوم فوق هذه الجبهة الخلافات والصراعات السياسية والعقائدية ، ثم يأتي التنسيق بين صفوف منظمة التحرير الفلسطينية مع تباين وجهات النظر في بعض الفترات .

حقبة جديدة

وبعد قيام الانتفاضة برزت الأبعاد الثلاثة لهذا الصراع بشكل جلي . فقد أدت الانتفاضة الى تولي الفلسطينيين قيادة مصيرهم بأيديهم ، وهذا يعني بدء حقبة جديدة على الجبهة الفلسطينية ، وأدى هذا بالتالي الى حدوث تغيرات جوهرية على الجبهة الفلسطينية تتمثل في التركيز على الحصول على

كتاب الشهر

الاستقلال ، والحق فى تقرير المصير وتكوين الدولة الفلسطينية

وتعنى الانتفاضة من ناحية أخرى بداية حقبة جديدة على الجبهة الاسرائيلية لأنها أثارت مسألة التحولات الداخلية فى الدولة الصهيونية ، ووضعت « اسرائيل » أمام مفترق طرق مصيرى لابد أن تتخذ فيه قرارا بشأن مستقبلها وأثارت الانتفاضة كذلك امكانية التفكير فى طراز جديد من العلاقات بين الفلسطينيين والاسرائيليين

وأثبت التاريخ أن هذه الجوانب الثلاثة للقضية الفلسطينية تمثل عناصر حاسمة فى أزمة الشرق الأوسط ويعد المثلث المكون من العرب و « اسرائيل » والفلسطينيين المجال السياسى والجغرافي الوحيد الذى يمكن فى اطاره العثور على حل لهذه القضية وهو فى نفس الوقت مجال القيام بمناورات مشتركة بين العناصر الثلاثة للقضية ، وتتوقف فرص الحل على مدى تفاعلها

ويعتقد المؤلفان ـ وفقا للأحداث الراهنة ـ أن هناك أربعة نماذج للعلاقات المشتركة بين العناصر الثلاثة . الدولة الفلسطينية المستقلة ، الاتحاد الكونفدرالى الأردنى الفلسطينى ، الاتحاد الكونفدرالى الفلسطينى الاسرائيلى ، أو استمرار الوضع الحالى وبالرغم من ذلك فمن العسير افتراض امكانية استمرار الوضع الحالى لفترة طويلة خاصة بعد اندلاع الانتفاضة بالأراضى المحتلة ، دون أن يكون لذلك رد فعل عكسى على الأضلاع الثلاثة للمثلث المذكور

ويمثل هذا الكتاب اليوغسلافى عن الانتفاضة الفلسطينية انعكاسا للرغبة فى التحدث عن هذا الجزء الحساس من العالم باسلوب يشرك القارىء معه فى الحوار ويقدم له نظرة نقدية فيما يتعلق بكل العناصر الجوهرية للصورة التى تتألف من عدة عناصر متباينة . ومن هنا يحتوى الكتاب على أسلوبين مختلفين فى الكتابة ، أحدهما يسجل التحقيقات الصحفية من « اسرائيل » والضفة الغربية وقطاع غزة ، والآخر يناقش ويحلل الأحداث والاتجاهات الحاسمة على الصعيدين التاريخى والسياسى ، وبدون بحثها ودراستها لايمكن اصدار الحكم على الأحداث الراهنة

الانتفاضة بعيون يوغسلافية

وهذا الكتاب الذى يعرض لنا الانتفاضة الفلسطينية بعيون يوغسلافية يعد محاولة جادة من جانب المؤلفين المتخصصين فى شئون الشرق الأوسط لأن يقدما للرأى العام اليوغسلافى صورة شاملة تتسم بالجلاء والموضوعية الشديدة عن الانتفاضة الفلسطينية بالأراضى المحتلة ، وهى صورة غير متواجدة على الدوام فيما سجلته الصحافة اليوغسلافية عنها ، ذلك ان الكتابة عن الانتفاضة فى الصحف اليوغسلافية اصطبغت ـ فى كثير من الاحوال ـ بوجهات نظر مختلفة وبمصالح متباينة ويعترف المؤلفان بأنهما لايتفقان مع بعض وجهات النظر التى عرضتها بعض الصحف اليوغسلافية فيما يتعلق بالانتفاضة الفلسطينية .

ويسعى المؤلفان بهذا الكتاب الجديد الذى صدر فى شهر أبريل من ١٩٨٨ الى أن يسدا النقص الموجود فى المكتبة اليوغسلافية فيما يتعلق بالموضوعات المرتبط بمنطقة الشرق الأوسط وبالقضية الفلسطينية .

وهكذا جاء أول كتاب يوغسلافي يتحدث عن المرحلة الجديدة للكفاح الفلسطيني من أجل اقامة دولته

المستقلة انه كتاب يناضل من أجل حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة ، ولكنه لاينكر حقوق الطرف الآخر فى الحياة . والكتاب يعكس فى آخر الأمر قناعة المؤلفين بأن تقدير الكفاح الفلسطيني والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني يعد فى الوقت الحالي قضية كل آدمي شريف فى هذا العالم .

ويشمل الكتاب اليوغسلافى عن الانتفاضة الفلسطينية ستة فصول هى : من المأساة الى الأمل ، ثلاث جبهات لنفس التاريخ ، الظل المديد للاحتلال ، يوميات الانتفاضة ، الحرب الموجهة ضد خطط السلام ، تأريخ التعذيب .

ويقع الكتاب فى ٢١٣ صفحة من القطع المتوسط ، وهو مدعم بالصور العادية والملونة التى تصور بشاعة أساليب القمع الاسرائيلية للانتفاضة الشعبية الفلسطينية

وانى لأعجب أشد العجب من عدم اهتمام أى من دور النشر العربية وعدم اقدامها باسرع مايمكن على ترجمة هذا الكتاب الذى يناصر القضية الفلسطينية بكل ما أوتى من بيان ، ويكشف بالأدلة الدامغة أفظع أساليب القهر والقمع التى استخدمها الاسرائيليون ضد الفلسطينيين الأبرياء من نساء وأطفال .

المؤلفان :

□ زلاتكو ديزداريفيتش معلق سياسى يوغسلافى بقسم السياسة الخارجية بصحيفة « أوسلوبوجيفى » التى تعد من أشهر الصحف اليومية القومية ، وهى تصدر فى سرايفو عاصمة منطقة البوسنة والهرسك بيوغسلافيا .

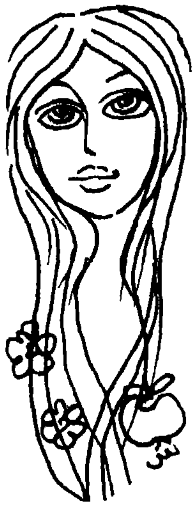
وهو يؤرخ منذ فترة طويلة الأحداث المثيرة بمنطقة الشرق الأوسط ، بل ويعد شاهدا على أحداثها التى هزت العالم فى العقد الأخير . وعمل مراسلا لصحيفته فى لبنان والأردن وليبيا وتونس والجزائر وسوريا والكويت و « اسرائيل » وقبرص . هذا بالاضافة الى انه عمل مراسلا دائما لصحيفته بالقاهرة لمدة أربع سنوات .

□ هيدو بيشتشيفيتش يعمل معلقا سياسيا بقسم الشئون الخارجية بصحيفة « فيسنيك » التى تصدر فى زغرب عاصمة كرواتيا بيوغسلافيا . ويعد فى السنوات الأخيرة من أفضل الصحفيين الشباب المتخصصين فى شئون الشرق الأوسط .

وقد شهد فترة الأزمات فى لبنان وتابع تطور العلاقات بين الدول العربية ، وكتب عن الأحوال فى « اسرائيل » وعن الحرب العراقية الايرانية وعن الأحداث التى وقعت داخل الحركة الفلسطينية . وأعد عن هذه الموضوعات عدة دراسات وكتب تم نشرها فى يوغسلافيا . □

●

شر النساء !



سئل أعرابي عن شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم ، القليلة اللحم ، السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة ، تضحك من غير عجب ، وتبكي من غير سبب ، وتدعو على زوجها بالحرب ، عرقوبها حديد ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشي السيئات ، تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ، ليس في قلبها عليه رأفة ، ولا عليها منه مخافة ، إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ، تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ، تدلي لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور ، ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور

صاحب الأغاني..

أبو الفرج الأصفهاني "الراوية"

تأليف : الدكتور محمد أحمد خلف الله / عرض : الدكتورة سهير جاد *

على الرغم من الشهرة الواسعة لهذا الكتاب فإن شهرة مؤلفه بقيت متواضعة يكتنفها بعض الغموض . فمن هو صاحب الأغاني ؟ وكيف أنجز هذا العمل العظيم ؟

هذا الكتاب الذي صدر منذ عشرين عاما ، يكتسب حدته الدائمة لما يثيره من قضايا فكرية حول شخصية يعتبرها بعض الباحثين من أعظم الشخصيات في القرن الرابع الهجري ، وقف أمامها الباحثون حيارى لغموضها ولقلة مايدور حولها من أخبار ، حتى لقد أعلن المجمع اللغوي عن جائزة مقدارها مائتان من الجنيهات (في الستينات) لمن يقدم بحثا عن هذه الشخصية ولعله من العجب أن أحداً لم يقدم بحثا ولم ينل الجائزة إنسان

هذه الشخصيات الاخبارية التي خصص لها د محمد أحمد خلف الله بحثه ، تكاد تكون ـ كما يقول في خاتمة البحث ـ أعظم شخصية اخبارية في القرن الرابع الهجري يقول عنها ابن خلدون في مقدمته

« وقد ألف أبو الفرج الاصفهاني ، وهو ماهو ، كتابه في الأغاني ، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ، ولعمري انه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي

* كاتبة من القطر المصري ـ دكتوراة في الاعلام

سلفت لهم من كل فن فيما نعلمه . وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنَّى له بها »

ما الراوية ؟ !

ونبدأ مع المؤلف من المبتدأ ، ذلك أن دراسة أبي الفرج الراوية تقتضي أن نعرف أولا وقبل كل شيء : ما الراوية ؟

قال الجوهري : رويت الحديث والشعر رواية ، فأنا راو في الماء والشعر من قوم رواة . ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته وأرويته أيضا . وتقول أنشد القصيدة ياهذا ، ولا تقل : اروها إلا أن تأمره بروايتها أي استظهارها

فالنقل من المعاني الأولى لهذه المادة ، بمعنى نقل الأنباء والآراء أو النقل بمعناه الواسع الشامل ، والنقل الدقيق يبدأ بالتحمل ، أي بجمع الراوي للأنباء والآراء أو للمرويات من طرقها المختلفة وأساليبها المتنوعة . والراوي بعد التحمل يقابل ويصحح المرويات : يقابل ماسمعه فدونه ، على ما عند غيره من الأقران ممن أخذ معه عن الشيخ ، أو يصحح ماسمعه على الشيخ نفسه أو على نسخته ، وهذا ما تصح تسميته بتصحيح النقل أو تصحيح السماع

وعلى الراوي أن يحتفظ بالمرويات كما أخذها عن الشيخ من غير تغيير أو تبديل فيها ، وذلك بحفظها عن ظهر قلب ووعيها في الذاكرة . وقد يضم إلى ذلك تدوينها في كتاب ، وذلك من حين التحمل إلى حين الأداء . ومن هنا يشترطون في الراوية القدرة على الضبط ، وإلا تطرق الخلل إلى المرويات

أما الأداء فهو نقل المرويات مع تبليغها إلى غيره بأي طريقة من طرق النقل والتبليغ ، وذلك قد يكون بالكتابة إليه ، أو الإملاء عليه بالمحادثة الشفهية ، أوما شاكل ذلك من طرق للنقل وللتبليغ

وأساس الرواية عند رواة الحديث إنما هو الصحة في النقل والتأكد من أن الحديث قد ورد حقا عن رسول الله

وعلى هذا الأساس أيضا يمضي رواة الشعر واللغة .

حياة أبي الفرج الأصفهاني

ولد أبو الفرج سنة اربع وثمانين ومائتين . ذلك هو الحد المتفق عليه ، وتوفي أبو الفرج سنة نيف وستين وثلاثمائة فيما يقول ابن النديم ، أو سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فيما يذكر ابن النعيم . أو يوم الأربعاء لأربع عشرة خلون من ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة فيما يروى عن ابن أبي الفوارس وهذا هو الأمر المختلف فيه

ويرسم المؤلف صورة لأبي الفرج الراوية ، في إطارات من الحدود الزمانية والمكانية ، ويوضح الدور الذي لعبته « اصبهان » في حياة أبي الفرج ، ذلك أن كثيرين من أسرته كانوا ينتسبون إلى هذه البلدة ، ومنهم جده وعمه وعم أبيه وابن عمه ، إن نسبة أبي الفرج إليها إنما كانت عن طريق الوراثة ، حيث لم يثبت للمؤلف أنها كانت عن طريق المولد

يقول المؤلف : « هذا الدور الذي لعبته اصبهان في حياة أسرة الأب غير واضح الحدود أو بين المعالم ، ولن نستطيع أن نقول أكثر من أن هذه البلدة كانت من المواطن التي استقر فيها بعض الأمويين من نسل الخلفاء عند اضمحلال هذه الدولة وبعد انحلالها ، وأنها أيضا كانت من المواطن التي لأهلها تعلق بالأمويين ومحبة لهم »

سر من رأى

والدور الذي لعبته « سر من رأى » أوضح وأبين من ذلك الذي لعبته اصبهان ، ويجيئه الوضوح والبيان من أمرين : الأول : أن النصوص التي تثبت هذا المقام ، وتوضح أشياء من حياة الأسرة ومنزلتها الاجتماعية كثيرة ودالة . والثاني : أن هذه المدينة لم تكن مقام أسرة ابيه فحسب ، وإنما كانت مقام أسرة أمه أيضا ، بل كانت مقام كثيرين من الذين ينتسبون إلى الوزارة والكتابة ولهم أثر في حياة أبي الفرج أوفي حياة الأسرتين

وتمتاز الكوفة عن كل من اصبهان « وسر من رأى » بأمور .

تمتاز أولا بأن إقامة أبي الفرج بها ثابتة ، ولقد نص هو نفسه على ذلك

وتمتاز ثانيا بأنها مدينة النشأة والتربية الأولى

يضاف إلى ذلك أن الكتاب الذي أخرجه أبو الفرج للناس ولم يبلغ الثلاثين من العمر وهو مقاتل الطالبيين إنما يقوم على الثقافة الكوفية ، ويأخذ فيه أبوالفرج عن الشيوخ الكوفيين

أبو الفرج في بغداد

وحياة ابي الفرج الطالب ببغداد أكثر وضوحا وأقل خفاء لقد كان همه الأول والأخير تقييد العلم ، تقييد ما يمليه الأساتذة على الطلاب ، وتقييد مايدفع به الشيخ إلى الطلاب من كتب يحملونهم إياها ليبلغوها عنهم إلى غيرهم ، وتقييد كل ماطرق سمعه ولو عن شيخ ، وكل مايقع تحت بصره من مكتوب ، حتى لو كان هذا المكتوب غير مسمى الصانع على حد تعبيره هو ، ومن هنا أوّمن الحرص على التقييد كان أبو الفرج من الرواة الممتازين ، ولم يكن من العلماء الناهين كما يقول المؤلف أيضا « ولعله من هنا أيضا أعرض التاريخ عن أبي الفرج أو كاد ، ولولا أن قيض الله له ذلك النساخ الذي أراد أن يأكل الخبز من وراء كتاب الأغاني في ذلك الوقت الذي ذهبت فيه الأحداث بالكثير من الكتب التي اعتمد عليها أبو الفرج عند التقييد والتدوين لما شاع ذكره وعلا صيته »

والمواد العلمية التي كان أبو الفرج يتعلمها قد ذكرها القدماء في إجمال حينما صوروا ثقافة أبي الفرج ، فقد قال عنه الخطيب « وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسيرة ، وكان شاعرا محسنا ، والغالب عليه رواية الأخبار والآداب» ، وقال عنه التنوخي ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب مالم أرقطّ من يحفظ مثله ، ويحفظ دون ذلك من علوم أخرى ، منها اللغة والنحو والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا ، مثل علم الجوارح والبيطرة ، ونتف من الطب والنجوم والأشربة

الحياة الفنية عند أبي الفرج :

العناصر الثقافية التي تتكون منها الحياة الفنية عند أبي الفرج كما شخّصها المؤلف هي

(أ) الأخبار الفنية للغناء العربي ، وما يتبع ذلك من أحاديث عن المذاهب والأجناس ، وعن بعض النظريات النقدية التي تكشف عن ميول أبي الفرج الفنية ، وعن مذهبه في الغناء

(ب) الاخبار الفنية للشعر والشعراء ، وما يتبعها من أحاديث عن المذاهب الأدبية ، وعن ميول أبي الفرج

(ج) النص الشعري

(د) النص النثري ، لا سيما القصص أو الأخبار

والعنصر الأول هو أقوى هذه العناصر وأكثرها وضوحا في حياة أبي الفرج الفنية ، بل هو العنصر المتحكم في حياة العنصر الثاني أو في حياة الشعر والشعراء ، وليس أدل على ذلك من أن أبا الفرج قد أهمل الشعراء الذين لم يجد لهم من الأشعار ماغنى فيه ، فأساس الاختيار عنده أن يكون للشاعر شعر غني فيه حتى يترجم له ، ثم هو في ذكره للشعر الذي غنى فيه إنما يهتم به من حيث هو أصوات ، فيذكر هذه الأصوات كما غنيت ، حتى لو غير المغنون الشعر لتستقيم لهم القسم والتجزئة ، وحتى لو كان الشعر لأكثر من شاعر

وغلبة هذا الشعر الغنائي واضحة كل الوضوح مما ترك أبو الفرج فيه من كتب فقد كتب في هذه الأخبار الفنية للغناء والمغنين ، كما كتب الأنغام والعلل ، ومن ذلك كتابه « الأغاني الكبير » الذي يقول عنه ابن خلدون « وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني ، وهو ما هو ، كتابه في « الأغاني » ، جمع فيه من أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد ،

فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ، ولعمري انه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنّى له بها » ومنه كتاب مجرد الأغاني ، وقد أشار إليه أبو الفرج في مقدمة كتابه « الأغاني الكبير »

أما ما كتبه في الصنعة الغنائية أو في علل الغناء فإنه يدل على دقة وعمق ومن ذلك هذا النص الذي ينقد فيه المرويات نقدا فنيا قائما على خبرة بالصناعة وبصور بها ، وهو وذكر عبيد الله أن صانع هذا الصوت الذي كنى عنه فعل ذلك وتلطف له حتى بالنغم العشر في هذا متوالية من أولها إلى آخرها ، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرقة على غير توالي الا انها كلها فيه ، وذكر أن ذلك الصوت أحسن مسموعا وأحلى وحكى ذلك أيضا عنه يحيى بن علي بن يحيى في كتاب « النغم » وإذ فرغت من حكاية ما ذكره وحكاه عبيد الله في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي ألا أجري الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه ، والذي وصفه من جهة النغم العشر متوالية في صوت واحد محال لاحقيقة له ، ولا يمكن أحد بتة أن يفعله ، وأنا أبيّن العلة في ذلك على تقريب إذ كان استقصاء شرحها طويلا ، وقد ذكرته في رسالة إلى بعض اخواني في علل النغم ، وشرحت هناك العلة في أن قسم الغناء قسمين وجعل على مجريين،الوسطى والبنصر دون غيرهما ، حتى لا تدخل واحدة منهما على صاحبتها في مجراها قرب مخرج الصوت ، إذا كان على الوسطى منه ، واذا كان على البنصر وشبهه به ، فإذا أراد مريد الحاق هذا بهذا لم يمكنه بتة على وجه ولاسبب ، ولا يوجد في استطاعة حيوان أن يتلو أحديهما بالأخرى ، ولا إذا اتبعت إحداهما بالأخرى في ناى أوآلة من آلات الزمر تفصلت إحداهما من الأخرى ، وإنما قلت النغم في غناء الأوائل لأنهم قسموا قسمين بين هاتين الأصبعين فوجدوها إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يمكن ذلك إلا بعد أن يفصل بينهما بنغم أخرى



للسبابة ، والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافة بينهما ، ثم لايكون ذلك الغناء ملاحة ولا طيباً للمصادفة في المجريين ، فتركوه ولم يستعملوه ، فإن صح لعبيد الله عمل في النغم العشرة في صوت فلعله صح له في الصوت الذي ذكر أنه فرقها فيه فأما المتوالية على ما ذكره ههنا فمحال ، ولست أقدر في هذا الموضع على شرح أكثر من هذا وهو في الرسالة التي ذكرتها مشروح

ويعلل ابن خلدون هذا الاهتمام بما يشعر بأن الغناء إنما قام من أجل تعلم الأدب والعناية بالشعر وذلك حيث يقول « وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه ، وكان الكتّاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه ، فلم يكن انتحاله قادحا في العدالة والمروءة »

ولعل أكبر مظهر لهذا الاهتمام هو هذه الكثرة الكاثرة من الكتب التي ألفت في الغناء وهي الكتب

التي نقل عنها أبو الفرج كثيرا ، وأشار إليها صاحب الفهرست ولعل أهمها ما اختاره المغنون الثلاثة من الأصوات المائة المختارة للرشيد ، وما اختاره اسحاق للواثق

والشعر العربي إنما اختير في كتاب الأغاني على أساس من الغناء ، فهو أصوات غنائية قبل كل شيء وبعد كل شيء ومن هنا كانت تغير ألفاظ الشاعر أحيانا ، كما كان المغنون يجمعون بين أشعار لشعراء مختلفين

كما كان يختار أيضا على أساس من الفكاهة والدعابة لأن معه أخبارا يقصد بها إلى الهزل أو إلى الإمتاع والمؤانسة ، وتكون هذه المقاصد هي المتحكمة في الاختيار

نعم إن هناك من الأخبار ماهو جاد كأخبار الحروب وأخبار الأحكام النقدية والخصومات الأدبية ، تلك التي قد تمثل مذهب الشاعر أورأي النقاد فيه ، ولكن حتى هذه لاتدل على أكثر من سعة الاطلاع عند أبي الفرج

هل أبو الفرج من الرواة ؟

ابو الفرج شخصية متميزة لها مسلكها الخاص في ايراد المرويات ، وهو مسلك يشعرنا بالمذهب الذي كان يعتنقه أبو الفرج ، ويريبنا في غير لبس إن كان أبو الفرج يجري على مذهب الرواة أو يذهب مذهب المؤرخين

وأبو الفرج واضح الدلالة في أنه كان يجري على مذهب الرواة وأول مايطالعنا من هذه الدلالات أن أبا الفرج كان يحرص حرصا شديدا على ألا يفوته أي شيء مما يعرفه الناس ، فهو حريص على جمع كل ما قيل حتى ولو كان من المصنوعات والأكاذيب ، وليس ذلك من مذاهب المؤرخين الذين يحرصون الحرص كله على الوقوف على الحقيقة وذكر ما يعتقدون أنه الحق

على أن الخبر التالي يدلنا دلالة قوية على مدى عناية أبي الفرج بالجمع والاستقصاء ومدى إفادته من هذه العناية في النقد ، وفي تصحيح الأخبار يقول أبو الفرج « وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن اسحاق أن الشعر للأعشى وذلك غلط وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده ولا رواه أحد من الرواة لأحد منهم ، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيدة ، وقد أثبتناها بعقب أخباره ليوقف على صحة ما ذكرناه إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجة على ما خالفه والدلالة على الصواب فيه » وهو قول لايحتاج إلى تفسير أوبيان

ويذكر المؤلف من الدلالات على أن أبا الفرج كان يذهب مذهب الرواة حرصاً على ايراد الخبر والقصة كما وصلته حتى ولو كان المعنى فاسدا أو الخبر مختلطا غير صحيح الضبط ، وذلك هو الأمر الذي توضحه النصوص التالية

١ - جاء في الأغاني بعد رواية أبي الفرج لخبر من الأخبار « وأحسب أن هذا الخبر مصنوع ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر »

٢ - وجاء « قال مؤلف هذا الكتاب وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعف يدل على ذلك ولكني ذكرته كما وقع إلي »

وأساس الترتيب عند أبي الفرج في كتاب الأغاني ليس الزمن وليست الأسماء مرتبة ترتيبا أبجديا أو مرتبة حسب القبائل أو البلدان ، بل ليس أساسه الأشخاص على الإطلاق

إن ترتيب الكتاب أن يقوم على الأصوات ، الأصوات الثلاثة ، والاصوات المائة وأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم أغاني المشهورين من المغنين والمغنيات

أساس التقسيم ليس الأشخاص وإنما هو الأصوات ، وهو أساس ليس من صنع أبي الفرج وإنما قام به غيره ، وبخاصة في الأجزاء الأولى من الكتاب،تلك التي تخبر عن الأصوات الثلاثة المختارة ، والأصوات المائة المختارة ، والأصوات التي تجمع النغم العشرة المشتملة على سائر نغم

الأغاني والملاهي والأرمال الثلاثة المختارة ، ومـدن معـد وهي سبعة أصـوات ، والسبعـة التي جعلت بـإزائها من صنعـة ابن سـريـج ، وأغـاني الخلفـاء وأولادهم ، وما اعتبر من صدور الغناء وأوائله مما يعتقد أبو الفرج أنه لا يحسن تقديم غيره أمامه

وكان على أبي الفرج أن يجري في إيراد المرويات على طريقة ليست من صنعه أيضا فكان عليه أن يجري على تلك الطريقة التي رسمها اسحاق الموصلي في كتابه الذي بعث به علي بن هشام والـذي أورد صاحب الأغاني صوته عند ترجمته لاسحاق

شهرة كتاب الأغاني

يقول المؤلف إن كتاب الأغاني لم ينل حظه الفائق من الشهرة إلا بعد أن فقدت المكتبة العربية كثيرا من الكتب وكثيراً من المرويـات التي اعتمد عليهـا أبو الفرج ، كما كان في عصره من الأدباء الذين يحسنون السمر ويجيدون قص الأخبار ولاشيء وراء هذا

ويـذهب بعض المؤرخين إلى أن الصلة بـين أبي الفرج وسيف الدولة الحمداني تقوم على إهدائه إياه كتاب الأغاني فقد جعل كتـابه إلى سيف الـدولة الـذي أعطاه ألف دينـار واعتذر إليـه وحينما بلغ الصاحب بن عباد هذا الصنيع علق عليه بما يؤذن بلوم سيف الدولة لأنه قصر في حق أبي الفرج لأن الكتاب يستأهل أضعافها وينقـل ياقـوت عن أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة أنه قال وقـال أبو محمـد المهلبي سألت أبـا الفرج في كم جمعت هذا الكتاب ؟ فقال في خمسين سنة قال وانه كتبه مرة في عمره وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة .

وهناك قول آخر بأن الصاحب بن عباد هو الذي ألف له الأصبهاني كتاب الأغاني .

وكما تبين من حياة أبي الفرج أنه فارق الحياة وقد بلـغ الثمانيــن عـامــا ، وهي حيـاة أهّلته ليؤدي رسالته في كتاب الأغاني الذي يقول في مقدمته مؤكدا على أنه راعى في اختياره (ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثا يستحسن إذ ليس لكل الأغاني خبر ولا في كل ماله خبر فائدة ولا لكل مـافيه بعض الفـائـدة رونق يـروق النـاظـر ويلهي السامع)

ويبدو أن خلطاء أبي الفرج كانوا يتيحون له حياة السـمر واللـهو التي لم ترق لذوي الجد من الأدباء ، تحدث أبو القاسم عبد الله بن عبدالرحيم الأصفهاني في كتابه « إيضاح المشكل » عن المتنبي قال « فلما حصل المتنبي ببغداد نزل ربض حميد فركب إلى المهلبي فأذن له فدخل وجلس إلى جانبه وصاعد خليفته دونه وأبـو الفرج الاصفهـاني صاحب كتـاب الأغاني وانتظر المهلبي إنشاده فلم يفعل وإنما صده فأسمعه من تماديه في السخف واستهتاره بالهزل واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليـه ، وكان المتنبي مـر النفس صعب الشكيمة حادا مجدا فخرج »

وقد يفسر ذلك الأمر اختلاف الطبائع ، ولكنـه يفسـر أمـرا آخـر ، في ضـوء التفسـير الإعـلامي للأدب ، ذلك ان كتاب الأغاني يؤدي وظيفة الإمتاع والمؤانسة وهي من الوظائف الاعـلامية التي تشمل في مقـابل « الإمتـاع والترفيـه » « التثقيف والتنشئة الاجتماعية » فكتاب الأغاني يقوم في عصره بوظيفة الترفيه والإمتاع التي يقوم بها التلفاز في عصـرنا ولحسن الحظ أن مؤلفه كان يميل نحو رواية الأخبار ، ولذلك تلقى ألوانا مختلفة من العلوم ، وامتاز وتفوق في رواية الأخبار وهو ميل موروث كما يتضح من دراسة أسرته على النحو المفصل في الكتاب

وتفسـير وظيفة الإمتـاع والمؤانسـة في العصـور القديمة ذلك الميل إلى قص الغرائب ورواية الشاذ من الأخبـار ولقد كـان أبو الفـرج يقص ألـوانـا من القصص تتمثل فيها هذه الغرابة ، لأنها تستثير الخيال وترضي العقلية التي تميل إلى الغريب

والأخبـار التي تركهـا أبو الفـرج ألـوان منهـا النسب ، ومنهـا أخبـار الاضـطهـادات أو القتـل السيـاسي ، ومنها أخبـار الوقـائع والحـروب وأيام العرب ثم أخبار الغناء وأخبار الشعـراء والمغنين وهنا قد يختلط الهزل بالجـد ، ويقوم الاختيـار على أساس من الفكاهة والدعابة □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب شفا عمرو وسقاط السلطان صلاح الدين الأيوبي
المؤلف الدكتور ابراهيم فريد الدر
الناشر مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت
عدد الصفحات ٢٣١ قطع متوسط
سنة النشر ١٩٨٨

« شفا عمرو » قرية فلسطينية عريقة ، منحها موقعها دورا مميزا في التاريخ كله منذ أيام الكنعانيين وحتى الآن . ورغم ذلك فقد تجاهلتها الكتابات التي كتبت عن فلسطين جغرافيا ، وتاريخيا . والمؤلف كما يقول عاشق « شفا عمرو » مقدر لأهميتها التاريخية والجغرافية . فحولها ربض الناصر صلاح الدين الأيوبي مواجها ريتشارد قلب الأسد . وعنها قال نابليون بونابرت « لابد من احتلال شفا عمرو للتحكم في وسط فلسطين » وعبر دراسة شاملة يقدم المؤلف القرية - التاريخ - جغرافيا وسكانيا واجتماعيا واقتصاديا وتاريخيا في عرض كامل علمي دقيق

■ ■

الكتاب طه حسين والسياسة
المؤلف مصطفى عبد الغني
الناشر دار المستقبل العربي القاهرة
عدد الصفحات ٢٨١ قطع متوسط
سنة النشر ١٩٨٦

لم يشهد تاريخ الأدب الحديث كاتبا اثير حوله مثلما أثير حول طه حسين تأييدا وهجوما وقد يكون السبب في هذا أن طه حسين كان مفكرا ومجددا وأسهم في معترك السياسة مرتديا مسوحها حين شارك في دروس الأدب ، ومرتديا مسوح الأستاذ الجامعي حين شارك في السياسة - وفي كلا الحالين فقد اكتوى بنار السياسة والسياسيين - وعن تاريخ طه حسين وعلاقته بالأحزاب السياسية والقصر الملكي في مصر وعلاقاته السياسية يقدم الكاتب عرضا أمينا لتاريخ طه حسين السياسي ، ويطرح محاولة جادة لقراءة أعماله وفق مواقفه السياسية مضيفا بذلك اسهاما جديدا حول طه حسين وتاريخه

■ ■

الكتاب المرشد في التمريض النفسي
المؤلف محمد سعيد شرف
الناشر مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع - الكويت
عدد الصفحات ١٦٦ قطع متوسط
سنة النشر ١٩٨٨

من خلال خبرة المؤلف وعمله في مجال التمريض النفسي ، يقدم دليلا عمليا للمرضى في مجال الطب النفسي ، ومن حيث تعريفه باهمية دوره ، والمطلوب منه في حالات الامراض المختلفة ، مع عرض علمي مبسط للاعراض والظواهر السريرية لكل حالة مرضية وكيفية التعامل معها

■ ■

الكتاب صفحات من تاريخ العراق المعاصر
المؤلف دكتور كمال مظهر أحمد
الناشر مكتبة البدليسي - بغداد
عدد الصفحات ١٩٦ ، قطع متوسط
سنة النشر ١٩٨٧

محموعة دراسات تاريخية يقدم فيها المؤلف تحليلا احتماعيا وتاريخيا لبعض الموضوعات في التاريخ العراقى المعاصر ، فيقدم دراسة حول الإقطاع في العراق ودراسة أحرى عن العراق في سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ - ١٩٣٣ ودراسة عن بكر صدقي والمسألة الكردية ، ودراسة عن الرحوارية وسبل التعامل معها ، ودراستين عن ثورة العشرين إحداهما ملاحظات عامة على الثورة والثانية عن تاريخ صحافة الثورة وأحيرا دراسة عن انتفاضة يناير ١٩٤٨ خصائصها وظروفها

■ ■

الكتاب القنصل الفحرى
المؤلف حراهام حرين،ترحمه عطا عبدالوهاب
الناشر سلسله المائة كتاب ، وزارة الثقافة والاعلام - بغداد
عدد الصفحات ٣٤٠ . قطع متوسط
سنه النشر ١٩٨٦

رواية جديدة للكاتب حراهام حرين تقدم لقراء العربية لأول مرة ، بعد روايتيه الشهيرتين « القوة والمجد » ، و « كبد الحقيقة » ، تدور أحداثها في مدينة صغيرة في الأرجنتين بالقرب من الحدود الملتهبة لدولة أمريكية لاتينية ويقع حادث احتطاف قنصل فحري لاحدى الدول الأوروبية العريقة ، ولأن الرجل مجرد قنصل فحري فلا أحد يهتم بتلبية مطالب الخاطفين ووسط أحداث الاحتطاف يدور حوار - هو سمة الرواية كلها - بين طبيب وقس مطرود من الكنيسة وشاعر ويقدم المؤلف من حلال الحوار أفكارا شديدة الجرأة يتناول فيها الدين والكنيسة والنضال والعنف والحب من حلال نسج لعالم أسطوري يمتلىء بالمفردات المدهشة

رواية القنصل الفحري أعاد المؤلف كتابتها سبع مرات قبل أن يدفع بها للنشر

■ ■

الكتاب · الحنين الى الأوطان
المؤلف محمد بن سهل بن المرزبان الكرحي البغدادي
تحقيق الدكتور حليل العطية
الناشر · عالم الكتب - بيروت
عدد الصفحات ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط
سنة الطبع ١٩٨٧

الحنين الى الأوطان لمحمد بن سهل بن المرزبان الكرحي البغدادي ، كتاب طريف ، يثير شؤون وشحون المغتربين عن ديارهم ، ويضم مختارات مما قيل في الحنين الى الأوطان والبقاع ، ويتجاوز الانسان فيحصى حنين الابل في باب وابن المرزبان مؤلف عاش ببغداد في النصف الثاني من القرن الثالث والثلث الأول من القرن الرابع الهجريين

وهو ثاني أثر يصل إلينا من الكتب التي ألفها العرب في الحنين ، وأثبت المحقق في تقديمه للكتاب أن رسالة الحنين الى الاوطان التي نشرت منسوبة الى الجاحظ ليست له بل لمؤلف آخر معاصر للجاحظ يدعى موسى بن عيسى الكروى «الحنين الى الاوطان» جزء من موسوعة أدبية تتألف من ١٢ جزءا وعد المحقق بنشرها ، وعنوانها « المنتهى في الكمال » للدكتور العطية مساهمات جادة في نشر النصوص التراثية منها تحقيقه ديوان ليلى الأخيلية (بالمشاركة) ، درج الغرر للمطوعى ، ديوان الميكالي ، الاماء الشواعر لأبي الفرج الأصبهاني ، من كتاب الأمثال لابي زيد الانصاري ، الوحوش للأصمعي وغير ذلك □

■ المجد هو العطر الفواح الذى يتخلف بعد العمل العظيم — فولتير

مسابقة العربي الثقافية

العــدد ٣٥٨
سبتمبر ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٨ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ أكتوبر ١٩٨٨

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العــدد ٣٥٨

١

وزائرتي كأن بها حياء
فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها
فتوسعه بأنواع السقام

من الشاعر ؟ وما الذي يلغز به في هذه الأبيات ؟

٢

« تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت ، وبعض الناس طول الوقت ، ولكنك لاتستطيع أن تخدع كل الناس طول الوقت »

× كونفوشيوس × بوذا × ابراهام لنكولن

٣

قطار طوله ميل واحد ، انطلق يريد قطع مسافة ٨ أميال ، بين محطة (أ) ومحطة (ب) ، وقد وصل أحد الركاب محطة (أ) متأخرا بعض الوقت ، فاضطر إلى صعود القطار من مؤخرته أو بابه الخلفي ، فيما كان القطار قد بدأ تحركه ، ولم يجلس هذا الراكب ، بل تابع سيره داخل القطار حتى وصل الى مقدمته ، حيث توجد القاطرة ، وذلك لدى وصول القطار إلى محطة (ب) فما هي المسافة التي قطعها هذا الراكب ماشيا ؟ وما هي المسافة التي قطعها راكبا ؟

٤ ترى في أي البلدان تتوقع الالتقاء بعض أفراد شعب الماوري ؟

٥ قوام العلم الأمريكي خطوط بيضاء وحمراء ، عددها ١٣ خطا ، ونجوم في الزاوية اليسرى العليا ، وعددها ٥٠ نجما ، وترمز هذه النجوم إلى الولايات التي تتكون منها الجمهورية ، كما يعرف الجميع فما الذي ترمز إليه الخطوط الثلاثة عشر ؟

٦ أخوان أحدهما نشط يستطيع حرث الحقل في ساعتين ونصف ساعة ، بينما الآخر يحتاج إلى (٥) ساعات لحرثه فلو تعاون الأخوان وعملا معا في آن واحد فكم ساعة يحتاجانها لإنجاز مهمة حرث الحقل ؟

٧ من المعروف أن بركان فيروف القريب من خليج نابولي في ايطاليا ثار في التاريخ القديم - سنة ٧٩ق م بالتحديد ، ومن المعروف أيضا أن ثورته هذه أدت إلى طمر مدينة بومبي ، والقضاء على (٢٠٠٠) نسمة من سكانها ، لكن ثورة البركان تلك طمرت مدينة أخرى غير بومبي وأصغر منها ماسم المدينة ؟

٨ ما هو أضخم صروح العالم المبنية حسورا كانت أم سدودا أم أسوارا أم عمارات ؟

٩ صفراء من غير علل
مركوزة مثل الأسل
كأنها عمر الفتى
والنار فيها كالأجل

شاعر يلغز في شمعة فمن هو الشاعر ؟

١٠ اضحك يضحك العالم معك ، ابك تبك وحدك ؟
عبارة شاعت وانتشرت ، ورددتها الصحافة في كل زمان ومكان ترى من هو قائل هذه العبارة ؟

١١ حكى الحارث بن همام قال شتوْتُ بالكرج لدين أقتضيه ، وأرب أقضيه ، فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح
عبارة مقتطفة من مقامات الحريري
ترى من أي مقامة اقتطفت ؟

١٢ نظر الرجل إلى صورة رجل آخر كانت في يده فتنهد وقال توفي أبي دون أن يترك لي إخوة أو أخوات ، فكان هذا الرجل ابنه الوحيد الذي أنجبه قبل موته . فمن هو صاحب الصورة إذن ؟

حلّ مسابقة العدد ٣٥٥ يونيو ١٩٨٨

١ أقيمت أول مئذنة في الاسلام في الجامع الأموي الذي أنشأه الوليد بن عبدالملك سنة (٧٠٨ - ٧١٤) ، ذلك أن المآذن لم تعرف قبل ذلك ويذكر عن بلال مؤذن الرسول أنه كان يقف على سطح منزل مرتفع بجانب المسجد حين كان ينادي للصلاة

وتجدر الاشارة هنا إلى مئذنة مسجد القيروان . وقد تم إنشاء المسجد والمئذنة بأمر الخليفة هشام سنة (٧٢٤ - ٧٢٨) . ولعل هذه المئذنة هي أقدم المآذن القائمة حاليا

٢ المسجد الأقصى هو الذي بني أولا . فهو ثاني مسجد بني بعد المسجد الحرام وقد جدد أكثر من مرة ، ومن الذين جددوه عبدالملك بن مروان (راجع الموسوعة الميسرة . الجزء الثاني . صفحة ١٦٩٦)

٣ جامع السلطان حسن هو الأقدم عهدا ، والأكبر مساحة . فقد بني سنة ١٣٥٦ م وتبلغ مساحته ٧٩٠٦ م^2 ، أما جامع السلطان أحمد الأول فقد بني سنة (١٦٠٩ - ١٦١٦) ، وتبلغ مساحته نحو ٤٦٠٨ م^2

٤ مئذنتا جامع السلطان حسن في استانبول مرتفعتان لا ريب ، ويبلغ ارتفاع كبراهما ٨٢ مترا ، أما مآذن المسجد الجديد في ماليزيا (في شاه علم في سلانجور) فيبلغ ارتفاعها ١٣٧,٤ مترا

٥ لا فرق بينها ، فالمئذنة والصومعة وكذلك المنارة واحد (راجع الموسوعة الميسرة ، والمنجد مادة مئذنة)

تقول الموسوعة «أقيمت أول المآذن في الاسلام في المسجد الأموي بدمشق ، وكانت تسمى صومعة أو منارة أو مئذنة» (الجزء الثاني ، صفحة ١٨٠٠)

٦ قبة الصخرة أنشأها عبدالملك بن مروان سنة (٦٩١م) فوق الصخرة المقدسة في بيت المقدس ، وكان القصد من بنائها أن يحج الناس إليها بدلا من مكة التي كانت تحت حكم عبدالله بن الزبير منافس الأمويين آنذاك

٧ طبعا عبدالرحمن الداخل ، ما دام إنشاؤه يعود إلى سنة ٧٨٥ م ، على أن عبدالرحمن الثاني أضاف بدوره إلى جامع قرطبة ، وكان ذلك سنة ٨٢٣ م وظل الجامع موضع إضافة وزيادة ، حتى بلغت مساحته في النهاية ٢١٨٧٥ مترا مربعا

٨ الاسم محرف أو مخفف . فالاسم الأصلي هو جامع القيروانيين ، وقد أنشيء في الجهة العربية من مدينة فاس ، حيث كان يسكن المهاجرون القيروانيون من هنا كانت التسمية

الأصلية (حامع القيروانيين) التي ما لبثت أن حففت حتى أصبحت (حامع القيرويين) ويعود إنشاؤه إلى ما قبل ١٠٠٠ عام ، إلى سنة ٨٥٩ م بالتحديد .

٩ الحمع بين الحامعين لا يخلو من تضليل ، فالحامع الأموي مسجد كما هو معروف . أما حامع التواريخ فكتاب أو مخطوط كتب سنة ١٣١٤ للوزير رشيد الدين ومن طريف ما يذكر أن حامع التواريخ يشمل صورا من حياة بوذا ، وأخرى ورد ذكرها في الانحيل ، هذا فضلا عن الصور المأخوذة من السيرة النبوية الشريفة ، وتلك المأخوذة من تاريخ الصين

١٠ شاه جهان امبراطور المغول من سنة ١٦٢٨ إلى ١٦٥٨ ، توفي سنة ١٦٦٦ ، وهو من أحفاد تيمور لنك ، وهو باني تاج محل كما هو معروف ثار عليه أبناؤه في سنيه الأخيرة ، وخلفه ابنه اورنجزيب الذي خلعه عن العرش وسجنه بقية حياته

١١ إنه حامع المتوكل في سامراء في العراق ، وقد تم بناؤه في سنة (٨٤٢ - ٨٥٢ م) ، وبلغت مساحته ٩,٢١ فدادين (٣,٧٢ هكتارات) وبعداه ٢٣٨,٩ × ١٥٦ مترا

١٢ حامع الزيتونة وحامع القرويين كالأزهر ، مركزان للصلاة ولتحصيل العلم وقد بنى الأول عبدالله بن الحبحاب في تونس سنة ٧٣٢ ، وأصبح حامعة في القرن الثالث عشر أما حامع القرويين فبني سنة ٨٥٩ ، بالأموال التي تبرعت بها السيدة فاطمة بنت محمد بن عبدالله الفهري القيرواني

الفائزون في مسابقة العدد ٣٥٥ يونيو ١٩٨٨

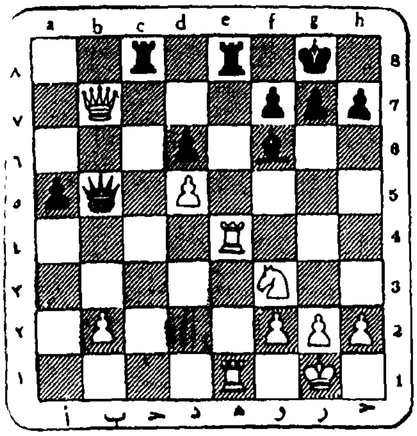
الجائزة الاولى رياض حجاري - حلب - جامعة حلب / الجمهورية العربية السورية
الجائزة الثانية عبدالرزاق حمادى الجرار - بغداد / الجمهورية العراقية
الجائزة الثالثة طوسى محمود - الدار البيضاء / المغرب

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - فتحية عبدالقادر محمود - الزرقاء / الاردن
٢ - عبدالمنعم العجمى - الصفاة / الكويت
٣ - سعيد خميس سالم العبرى - ولاية بهلاء / سلطنة عمان .
٤ - احمد عبد العظيم ابو العز - الدمام / المملكة العربية السعودية
٥ - زينب صادق الشبيبى - ابوظبى / دولة الامارات العربية المتحدة
٦ - سلوى محمد خير - ودمدنى السودان
٧ - سهير ابراهيم محمد عياد - بورسعيد / جمهورية مصر العربية
٨ - لطفى عون - الحى الرابع - المنستير / الجمهورية التونسية

معركة بلا سلاح





كثيرا ما يكتب لنا قراؤنا من محبي هذه اللعبة النبيلة عن أدوار شطرنجية بديعة ، أو تجارب مثيرة مرّت بهم فهزتهم إلى الأعماق ، وملأت صدورهم بالبهجة والحبور وقد عبّر الطبيب اللاعب تاراش عن مثل هذا الشعور الطاغي بالبهجة بقوله « الشطرنج كالحب والموسيقا يستطيع أن يجعل الرجال سعداء »

ويرغب بعض هؤلاء القراء أن يشاركهم إخوتهم من قراء العربي بهذه المتعة والفائدة ونحن نرحب بكل ما يقدمه لنا قراؤنا من عشاق هذه اللعبة .

ومن هؤلاء القراء الذين كتبوا إلينا الصديق بو دياب بو جمعة من مدينة تازة في المغرب الشقيق ، وقد قدّم للدور الذي أرسله لنا بقوله

« أبعث إليكم بأحد الأدوار الجميلة التي أرجو أن يشاركني بها إخوتي من قراء العربي وقد جرى في سنة ١٩٢٠ بالولايات المتحدة الأمريكية بين اللاعب الأمريكي ادامر والشاب المكسيكي طور (١٦ سنة) ، وقد انهزم الأخير في هذا الدور والطريف في الأمر أن الشاب المكسيكي أصبح فيما بعد بطلا دوليا ، وتوالت انتصاراته ، الأمر الذي حدا بأحد الصحفيين أن يسأله عن أجمل دور عاشه خلال مسيرته الشطرنجية ، فلم يتردد في اختيار الدور التالي الذي أرجو أن تتيحوا لقرائكم مشاركتي به »

وقد حلل البطل كاميل سينيكا هذا الدور في كتابه « الشطرنج » ، من سلسلة كتاب الجيب الفرنسية الصادر عام ١٩٧٤

	□ ادامر (أمريكي)	■ طور (مكسيكي)
١	هـ ٤	هـ ٥
٢	ح ـ و ٣	د ٦
٣	د ٤	هـ × د ٤
٤	و × د ٤	ح ـ حـ ٦
٥	ف ـ ب ٥ (لشلّ الحصان)	ف ـ د ٧
٦	ف × حـ ٦	ف × حـ ٦
٧	ح ـ حـ ٣	ح ـ و ٦
٨	ت (قصير)	ف ـ هـ ٧
٩	ح ـ د ٥ ! (بديعة)	ف × د ٥
١٠	هـ × د ٥ (لاحتلال العمود)	ت
١١	ف ـ ز ٥	حـ ٦
١٢	حـ ٤	حـ × د ٥
١٣	حـ × د ٥	ر ـ هـ ٨
١٤	ر (و) ـ هـ ١	أ ٥
١٥	ر ـ هـ ٢ ! (رائعة)	ر ـ حـ ٨
١٦	و (أ) ـ هـ ١	و ـ د ٧
١٧	ف × و ٦ !! (تمهيدا للهجوم)	ف × و ٦
١٨	و ـ ز ٤ !! (تضحية مدهلة)	و ـ ب ٥
١٩	و ـ حـ ٤ (مطاردة مثيرة)	و ـ د ٧ (مضطرا)
٢٠	و ـ حـ ٧ !! (متابعا مطاردته)	و ـ ب ٥

٢١ أ ٤ — و × أ ٤
٢٢ ر ـ هـ ٤ — و ـ ب ٥
٢٣ و × ب ٧ (الشكل)يستسلم لعجزه عن حماية الرخ في هـ ٨ (دور بديع حقّا)

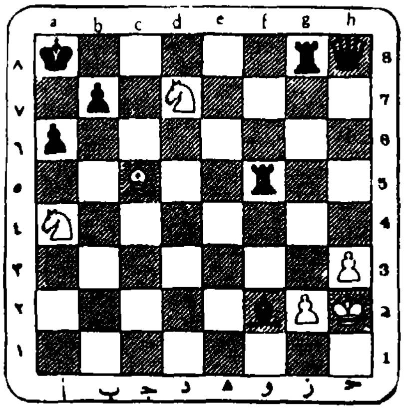
والدور القصير التالي من مباراة (سويفت) في بلجيكا وقد جرى في شهر ابريل من العام الفائت

□ لارسن (بريطاني) — كورشنوي (سويسري)

١ حـ ٤	ح ـ و ٦
٢ ر ٣	حـ ٦
٣ ح ـ و ٣	د ٥
٤ ب ٣	و ـ ب ٦
٥ ف ـ ر ٢	هـ ٥ ! (فخ)
٦ ت (قصير)	هـ ٤ !
٧ ح ـ هـ ١ (مصطرا)	حـ ٥ ! (بديعة)
٨ ح ـ حـ ٣	حـ ٤ !!
٩ د ٤	حـ × ر ٣
١٠ و × ر ٣	و ـ أ هـ (للاستدراج)
١١ و ـ حـ ٢	ف ـ ب ٤ !
١٢ ف ـ ب ٢	ف ـ هـ ٦ !
١٣ حـ × د ٥	ح × د ٥
١٤ ح × د ٥	حـ × د ٥
١٥ أ ٣ ؟	ف ـ د ٢
١٦ و ـ د ١	ف ـ هـ ٣ +
١٧ م ـ حـ ١	و ـ حـ ٧ !

يستسلم بعد سلسله من الأخطاء الشنيعة

مسألة العدد (٣٥٨)
سبتمبر ١٩٨٨م



مات ٤

من إهداء القاريء
مختار محمد الشمالي (حمص)

حل مسألة العدد (٣٥٦)
يوليو ١٩٨٨

١	ر ـ ب ٨
٢ م ـ حـ ٨	ر ـ ب ٨

ثم مات أو يضحي الأبيض بالرخ

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج للعدد ٣٥٥ يونيو ١٩٨٨

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ عبدالقادر عبدالله مسلي عدن/ اليمن الديمقراطية .
٢ ـ وردشان عباسي دمشق/ سوريا
٣ ـ د ـ أحمد حسن ثابت أسيوط/ ج م ع
٤ ـ سعيد سالم حارب الظاهرة/ عمان
٥ ـ فتحي حماد حولي/ الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ ليث حسن الشمخي النجف/ العراق
٢ ـ البازي أسعد تطوان/ المغرب
٣ ـ عامر يوسف عبدالله عمان/ الأردن
٤ ـ نسرين على النسيمي الخالدية/ الكويت
٥ ـ فحري بن رمضان نابل/ تونس

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

البيريسترويكا

السيد الدكتور رئيس التحرير ،

أنا أحد قراء مجلة العربي القيمة ، مجلة كل القراء العرب والمثقفين ، منبع الثقافة الإنسانية والثقافة العربية الأصيلة والمعاصرة التي تشهد صفحاتها أجمل ما يسطره الكتاب والمفكرون العرب في مجال الفكر والعلم والأدب والفنون وعلى الأخص استطلاعات العربي لدول العالم . وفي عدد ٣٥٥/ حزيران ١٩٨٨ نال إعجابي مقال رئيس التحرير د. محمد الرميحي حول فلسفة « البيريسترويكا » أو إعادة البناء والتجديد . وهو حدث تاريخي مهم ، ليس للاتحاد السوفييتي فقط ، بل للعالم كله ، لما لهذه السياسة الجديدة من أثر على مجمل العلاقات الدولية من أجل تعزيز السلام والطمأنينة في العالم ، ومن أجل بقاء النوع البشري ضد الدمار النووي والحرب وتلوث البيئة والفقر والجوع ، وضد سياسة النهب التي تنتهجها الدول الاستعمارية الغربية في حق دول العالم الثالث . وإن العرض الموضوعي المختصر لهذه السياسة الجديدة التي تفضل الدكتور بتقديمها خصوصا بعد زيارته للاتحاد السوفييتي واتصاله بالأوساط الثقافية والأكاديمية قد أعطى صورة حية للقراء العرب عما يدور داخل الاتحاد السوفييتي ، يختلف عما كانت تنشره الصحافة الغربية وبعض الصحفيين والكتاب العرب المقلدين أو المرددين لما تنشره الصحافة الأمريكية والغربية .

نحن سعداء بهذا التوجه الموضوعي الذي ينشد الحقيقة والصراحة والصدق في تناول القضايا المعاصرة التي يواجهها عالمنا المعاصر عبر صفحات مجلة العربي الدائعة الصيت ، متمنيا لها مزيدا من التقدم في مواضيعها المتنوعة من خلال النقد والحوار والمناقشة الجادة والفكر الجديد الذي يواكب عصر التقدم والعلم .

احمد العلي

حماة - سوريا

■■■

جمعية الجنوب والخليج العربي

الأخ الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

لقد طالعت في العدد ٣٥٣ نيسان (ابريل) ١٩٨٨ ، استطلاع جمعية الجنوب والخليج العربي ، شمعة وضاءة في طريق الخير ، وهذا الاستطلاع يعد منارا لطريق الخير ، وأساسا راسخا من أسس الرقي الاجتماعي والتطور الحضاري الذي عملت من أجله وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في الكويت . فمزيدا من

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي» بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

المساعدة والدفع في طريق الخير لهؤلاء الشبان ، وأشكر الدور العظيم الذي ساهمت به مجلة العربي في ابرار الدور الإنساني والتربوي الذي يدعم مساعي الخير الحديثة التي قدمتها ومازالت تقدمها هذه الجمعية ، وأشكر كل من ساهم في إبراز أو بالأحرى بتسليط الأضواء على هذا النحو من منهجية تقديم العون العلمي وكل المساعي الخيرة لأبناء الجنوب الذين هم بأمس الحاجة الى هذا النوع من الدفع في عجلة الخير والعلم في آن واحد

الدكتور حكم المأمون

دمشق ـ الجمهورية السورية

***

صاحب الأغاني

الدكتور رئيس التحرير المحترم ،

يطيب لي أن أبعث بجزيل الشكر وبالغ التقدير لكل العاملين على إصدار « مجلة العربي » التي تحمل إلينا منابع الفكر وأصول العلم والمعرفة

ففي كل شهر تطل علينا مجلتكم الرائدة الرائعة ، تحمل بين طياتها أجمل المعاني ، وخلاصة العلوم، وفرائد الأدب ، وكل ما هو جديد في شتى بقاع الأرض عن أحدث الاكتشافات العلمية الحديثة

لقد طالعت في « حوار القراء » عدد رقم ٣٥٣ ابريل ١٩٨٨ طلب أحد القراء نبذة عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني الذي ينتهي نسبه إلى عبدمناف الأموي القرشي وقد ولد سنة أربع وثمانين ومائتين هجرية وتوفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، فكان عمره نحو اثنتين وسبعين سنة ، وكان أبو الفرج الاصفهاني عالما بأيام الناس والإنسان والسير ، وكان شاعرا محسنا ، والغالب عليه رواية الأخبار والآداب وله مصنفات كثيرة وكان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والأحاديث المسندة والنسب والآثار ما لم يجاره فيه أحد أو يكون أحفظ منه ، ولقد كان يحفظ دون ذلك من الطب والنجوم والنحو واللغة والخرافات وآلة المنادمة ، مثل علم الجوارح والبيطرة والأشربة ، أما مؤلفاته فهي كتاب « الأغاني الكبير » ، « ومقاتل الطالبين » ، « وأخبار الإماء والشعراء والحانات والديارات ، والقيان ، وآداب الغرباء ، ونسب بني عبدشمس ، والتعديل والانتصاف في مآثر العرب ، وجمهرة النسب ، وأيام العرب ، وكتاب الغلمان المغنين »

حوار القراء

وقد قال ابن خلدون عن كتاب الأغاني: لعمري إنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلم

محسن محمد الأنور سعيد

حلوان - القاهرة

جمهورية مصر العربية

■■■

القرآن الكريم والاعجاز العلمي

أتابع بشغف أعداد مجلة «العربي» التي تصدر كل شهر، حيث تحتوي في كل شهر على وجبة ثقافية منوعة، تفيد القارىء المثقف الواعي والعادي في الوطن العربي الكبير من المحيط الى الخليج، وتشدني موضوعاتها، وخاصة ما يتعلق بأمور الثقافة وإنعاش العقل العربي. وأود أن أشير الى ملاحظة مهمة وهي ان كثيرا من أبناء الوطن العربي يودون لو تقوم المجلة بنشر أبحاث عن القرآن الكريم والاعجاز العلمي فيه

المارثه ماجده شيخ العرب

الصديق - دولة قطر

العربي

- نشكرك على رسالتك، ونود ان نطمئنك على ان المجلة تعمل دائما على نشر كل ما هو مفيد ومتميز وجديد في موضوع الاعجاز القرآني وغيره من موضوعات متعلقة بأمور البحث الديني، ولو تابعت الكتابات التي تقدمها المجلة لوجدت أننا نعطي هذا الجانب ما لا يخل بتوازن الموضوعات، وبخاصة كتابات حسين احمد أمين عن النبي في اسباب نزول القرآن، والمقالات التي يكتبها الدكتور عبدالعزيز كامل، والدكتور احمد كمال ابو المجد، ومحمد عمارة، وغيرهم. والمجلة ترحب بكل ما يرد اليها من مقالات بهذا الشأن

■■■

التقاليد والتقليد

إن مناقشة موضوع التقاليد شيء جيد، فهذا الموضوع عبارة عن مناقشة تراث شعب أو حضارة أو منهجها. اعتمد في وقت من الأوقات على العادات البائدة في ذلك العصر، فرأينا أن من التقاليد التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا، ونعتز بها، ونفتخر أن أجدادنا ورثونا إياها، تلك الطبائع الجيدة التي كانت تعتمد على مروءة الشخص وكرمه وعقله وشجاعته، ونصرته للمظلوم، والوقوف في وجه الظالم ولقد كانت هناك عادات أخرى سيئة، تلاشت بظهور الاسلام، فقد جاء منهج الاسلام ولم يقم على محاربة التقاليد الحسنة الجيدة النافعة للمجتمع، فخيركم في الجاهلية خيركم في الاسلام، لكنه حارب التقاليد السيئة، ونظرا لفلسفة الدين الرائعة للحقائق الاجتماعية السائدة تمسك الناس حتى يومنا هذا بهذه الأمور

الحسنة ، لكننا مع شديد الأسف نرى أن بعضا من المسلمين بدءوا يقلدون الغرب بصرعاتهم ونزواتهم ، ويدعون أن هذا هو التقدم ونحن نقول إن التقدم هو تقدم العلم ، لا تقدم السلب والقتل ، فالذي يقلده شبابنا من الصرعات الغربية المنبوذة في المجتمع الغربي نفسه ، مثل تقليد بعض العصابات المعروفة بإطلاق أفرادها لشعورهم ، وهم من يطلق عليهم اسم (الباكي) ، وهؤلاء الأشخاص غير مرغوب فيهم في مجتمعهم على الأخص ومن كل الطبقات والشيء المخجل أن ترى أن بعض هؤلاء المقلدين يتفاخرون بتقليدهم لهذه الزمر المنبوذة بطريقة تناولها لطعامها ولباسها ، بل وحتى بطريقة تعاملها مع الآخرين .وقد لمست ذلك من خلال مشاهدات عديدة لمجموعات تقلد أولئك في بعض المناطق العربية التي زرتها إن الحقيقة القاسية هي ما نشاهده من هذه الصرعات التي يحاول شبابنا تقليدها دون إدراك مدى خطورتها ، وعاقبة استفحالها بين أفراد مجتمعنا وهذه الظاهرة تتطلب مواجهة وتفهما من الأسرة ووسائل الاعلام ومناهج التربية ، لإرشاد هؤلاء الشباب الى طريق التقليد المفيد كأن يقلدوا الآخرين بمناهجهم العلمية المتقدمة ، ووسائل التطور المادية المعروفة ، تقليدا يساهم في توسيع المدارك والمعارف العلمية ويسهل عليهم هضمها حتى تعود الفائدة عليهم وعلى أبناء الأمة العربية كافة

القارىء عبدالقادر أيوب

حلب ـ الجمهورية العربية السوريه

■■■

اقتـــراح للمنــاقشــة

أود أن أطرح على الأستاذ فهمي هويدي قضية ، ربما يكون لها صدى في باب « للمناقشة » ، على اعتبار أنه من الكتاب الاسلاميين المعاصرين الذين يسهمون بقضايا الاسلام والعصر ، ولعله يعطينا فكرة عامة شاملة عن الغاية من ترك المحرمات التي نهى عنها القرآن الكريم ، وما هي الغاية من اجتناب المحرمات ، خصوصا إذا كانت النظرة إليها من زاوية علمية

القاريء علي هادي سعيد منصور

تريم محافظة حضرموت

■■■

قــواعــد النــشــر في المجــلــة

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

الرجاء التفضل بتزويدي بشروط النشر بمجلتكم الغراء

د طلعت مراد بدر

جامعة ناصر ـ قسم الفلسفة

طرابلس ـ ليبيا

العربي

ترحب المجلة بجميع الإخوة الذين لديهم الرغبة في النشر بالمجله ، وتدعو كل من لديه إنتاج للنشر أن يبادر بإرساله إليها ، فهي منكم وإليكم ، أما بخصوص قواعد النشر الخاصة بالمجلة ، فهي تتمثل في أن يكون الموضوع المرسل خاصا

القراء

بالعربي فقط ، لم يسبق نشره أو إرساله إلى أي جهة نشر أخرى ، كما يفترض أن يراعي الكاتب طبيعة المجلة الثقافية ، وأن يلتزم بأصول النشر وقواعده ، وأن يكون المقال في حدود ألف كلمة ، كما أن المواد المرسلة تعرض على لجنة فنية متخصصة ، تحدد مدى صلاحية المقال للنشر ، والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر

* * *

حول مقال ثلاثة مشاريع أوروبية

نشرت العربي مقالا للاستاذ سعد شعبان في عدد مايو ١٩٨٨ بعنوان « ثلاثة مشاريع أوربية لغزو الفضاء » ، وقد وردت بعض المعلومات فحدثت انتباهي لعدم دقتها ، وأود الاشارة إليها ، فقد جاء في المقال أن اريان (٥) هو تطوير للطرازات القائمة حاليا التي كان اخرها اريان (٣) ، والواقع أن اريان (٥) هو تطوير لاريان (٤) الذي هو اخر طرازات الصاروخ الأوربي ، وقد بدأ بتطويره منذ عام ١٩٨٢ ، وهو جاهز للاطلاق منذ عام ١٩٨٦ وكان من المفروض أن يطلق في نهاية اكتوبر ١٩٨٦ بمهمة جديدة ، إلا أن الفشل الذي أصاب اريان (٢) عند إطلاقه في ٣١ مارس ١٩٨٦ في محاولة لايصال القمر « انتلسات » إلى مداره أدى إلى التريث في ادخال اريان (٤) للخدمة أضف إلى ذلك أن طول اريان (٥) هو ٥٢ مترا ، وليس ٤٢ مترا كما ورد في المقال ، وهو بذلك أقصر من العملاق اريان (٤) وطوله ٤ ، ٥٨ مترا

طاهر سكر القيسي - هولندا

ردود قصيرة

* القاريء علي محفل المصحي من محافظة الرقة بسوريا ، يود لو قامت المجلة باستطلاع عن لواء الاسكندرونة والتعريف به

* القاريء سمير سلامة ابراهيم من الاسكندرية بجمهورية مصر العربية يقول إنه قد أدهشني استطلاع ريم الكيلاني في عدد ابريل ١٩٨٨ ، عدد رقم ٣٥٣ عن جمعية القلوب والخليج العربي « شمعة وضاءة في طريق الخير »

وهذه احدى مفخرات الكويت الكثيرة ، ومن الأعمال الانسانية التي تقوم بها الجمعية في خدمة الانسان العربي ، وأتمنى أن تضم الجمعية تحت مظلاتها جميع أبناء الوطن العربي

* القاريء علي حسين الحدادي ، من الطائف ، بالمملكة العربية السعودية ، يسأل هل من الممكن القيام باستطلاع عن دولة ماليزيا الاسلامية وسنغافورة ؟

* القاريء محمد بوريدي من مراكش ، المملكة المغربية ، يود لو ان المجلة قامت بعمل استطلاعات عن بعض البلدان الافريقية ، وبخاصة تلك التي تضم

عددا لا بأس به من المسلمين الذين لا تتوافر المعلومات الدقيقة عن أساليب حياتهم وتقاليد معيشتهم ونحب أن نقول للقاريء العزيز إن المجلة قد قامت بعمل استطلاعات عن القارة السمراء ، تجدها في الأعداد الأخيرة للمجلة ، وهناك الكثير في خطة الاستطلاعات ستجدها في القريب العاجل

* القاريء صادق عبدالباقي من العراق يقترح أن يوضع باب خاص بمجالات علم الفضاء وأسراره ، لما فيه من فوائد ومعرفة ، كما يود لو أن المجلة قامت باستطلاع عن محافظة النجف بالجمهورية العراقية

* القاريء مختار بن محمد ، نواكشوط ، جمهورية موريتانيا الاسلامية ، يقول إنه يكتب الينا معبرا عن الرغبة العارمة لدى كل الموريتانيين واهتمامهم بتوافر مجلة « العربي » ، ورغبتهم في وجود موزع معتمد يقوم بتوزيعها ، وهم معجبون بالدور الريادي الذي تقوم العربي به في نشر الثقافة والمعرفة

ونحن بدورنا نعلن للقاريء العزيز وكل القراء الذين لا تصلهم المجلة أن الصعوبة في التوزيع ، وأن هناك تفهما ورغبة شديدة من كل المسؤولين في الدولة لوصول المجلة لكل القراء بالسعر والوقت المناسبين وسوف تزول في الأشهر القادمة مثل هذه العقبات بفضل تضافر جميع الجهود وما هدف المجلة سوى التواصل القومي والوطني بين جميع أبناء الوطن العربي ، واتساع آفاق المعرفة والعلم والتقدم لأبناء الأمة العربية

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٨ م

الموسيقا الأندلسية المغربية

فنون الأداء

تأليف

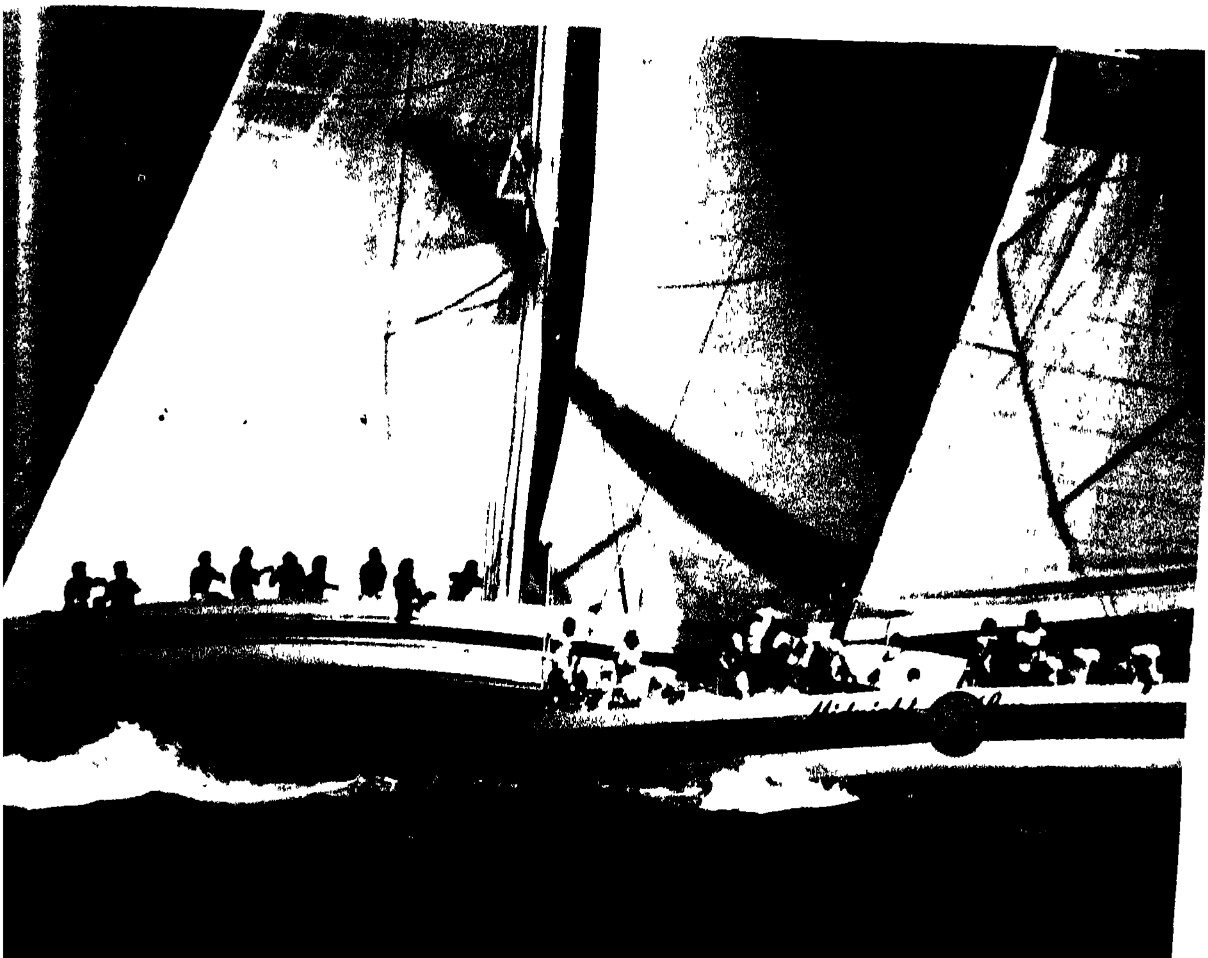
عبد العزيز بن عبد الجليل

٥٠٠ فلس

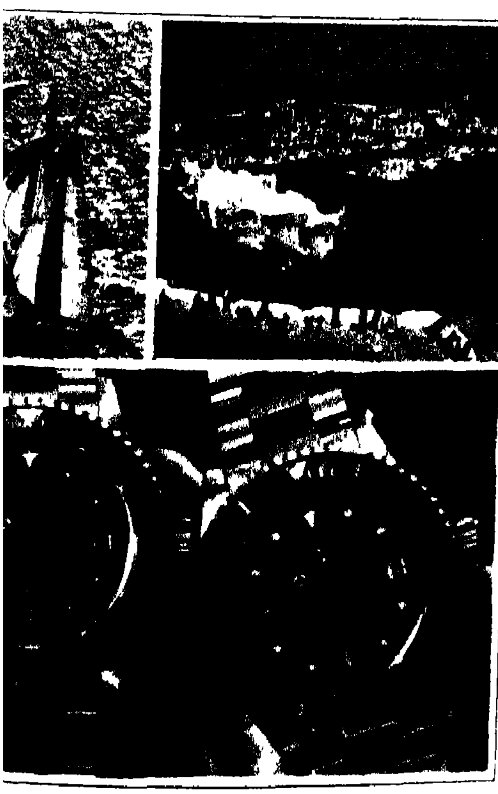
الكتاب ١٢٨

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت


العربي
زنجبار
كان !



اليخوت الطويلة: الكلاسيكيّات تحمُّل وثبَات.



قيادة يخت "مكسي" طويل حلم يراود جميع أصحاب اليحوت من الفئة الممتازة. فمهمّة الربّان تتطلّب تمهيد مناورات الملاحة بدقة لا تتعدّى قيد شعرة - وما ذلك بعمل سهل، فكل ما يتعلّق باليحت الطويل له شأن كبير

وقيادة يحت طويل بسرعة ٢٥ عقدة في الساعة لا تثير الإعجاب فحسب، بل انها محفوفة بالمخاطر. فالجنوا وحدها نزن ٢٥٠ باوندا، والحمل الذي تتعرض له المعدات، كل بمفردها، انما يبلغ حدًا هائلاً، فلا غرابة، أن تنهار تحت تأثير الإجهاد فيتأذى بعض أفراد طاقم اليخت

سرعة البديهة مقترنة مع روح العمل الجماعي أمران حيويّان لقيادة هذه اليحوت العملاقة عند السباق

ومهما كان لسباق الزوارق الطويلة من إعتبار، فإنه لا يفوق مكانة سباق اليحوت الطويلة "ايكايا" لبطولة العالم عندما بلغ أوجه في المرحلة الثانية وانتهى بجائزة كأس رولكس التي منحت في "بورتو سيرفو"، سردينيا.

تصميم كلاسيكي يعمل ضمن نطاق دقيق من القدرة والتحمّل.. وهي مميّزات يعطيها المشتركون في سباق اليحوت الطويلة حقّ قدرها، وكذلك صانعو ساعة كلاسيكيّة دقيقة

رولكس من جنيف.

العدد ٣٥٩ السنة الحادية والثلاثون أكتوبر ١٩٨٨

العربي

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
ص.ب : ٧٤٨ ـ الصفاة
الرمز البريدي 13008 ـ الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ ـ ٢٤٦٨٤٢٢ ـ ٢٤٢٧١٤١
برقياً : "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MITR.44041KT
تلفون فاكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI
Issue No. 359 Oct. 1988, P. O. Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

الاشتراكات ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات ـ المكتب الفني
وزارة الإعلام ـ ص.ب : ١٩٣ ـ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

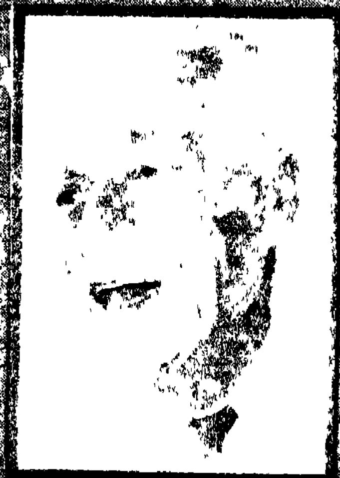
الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

طب وعلوم :



حديث حزين مع رسام العصر ص ٩٠





تربية وعلم نفس :

فلسفة

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

زنجبار .. بر الزنج .. عاصمة الممالك العربية في أفريقيا أقام العرب هناك حضارة زاهرة ولكنها لم تدم طويلا ، وما زالت بصماتهم هناك في كل نواحي الحياة .

(طالع الاستطلاع ص ١٣٢)

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

لقد أصبح أحد هموم العمل الصحفي الثقافي العربي هو « السرقات الأدبية » ، ولقد كانت هذه القضية قضية القضايا في الأعمال الأدبية والثقافية منذ فترة طويلة ، ولا تخلو منها مطبوعة ثقافية في عالم اليوم ، لكن بعضنا نحن العرب قد أضاف إليها فنونا جديدة . منها مثلا أن يرسل الكاتب عمله الثقافي إلى أكثر من مجلة دون أن يعلم أحدا بذلك ، وعندما يظهر مثل هذا العمل في أكثر من وسيلة نشر تتوالى عشرات الرسائل من القراء الأعزاء تنبه هذه المطبوعة أو تلك لما تم اقترافه ، ونحن كعاملين في هذا المجال لا يمكن لنا انسانيا أن نحصر كل ما يكتب بالعربية حتى نتجنب التكرار . ويبقى الأمر متروكا لضمير الكاتبة أو الكاتب صاحب العمل ، ويبدو أن البعض قد أصبح ينقصه هذا الضمير !

وآخر الطرق التي اكتشفناها في « العربي » تتمثل في أن ينقل أحد الكتاب موضوعا كتبه منذ سنوات لمجلة أخرى ، ثم يحور فيه بعض التحوير ويرسله إلينا ، وسواء اكتشفنا الأمر أو نبهنا إليه القراء الاعزاء فان الكاتب عند مواجهته بذلك يبادر الى انتحال أعذار وحجج أكثرها شيوعا ضعف الذاكرة وداء النسيان !

ما نريد أن نقوله تعليقا على مثل هذه التصرفات أنها تفتقر الى الوازع الشخصي الأخلاقي ، وتستهين بعقول الآخرين ، وأنها مهما تخفت فإنه سيتم كشفها إن عاجلا أو آجلا !

ولقد كانت لنا قاعدة ما زلنا نتبعها في معالجتنا لهذا الأمر وهي أن نشعر الكاتب الذي نتأكد من إتيانه مثل هذا التصرف ، بعدم رغبتنا في التعاون معه . ثم نرسل نسخة من المستندات التي توصلنا اليها إلى المجلات الزميلة كي تأخذ حذرها . وباعتقادنا أنه لا يوجد أي سبب يجعل إنسانا يحمل شرف الكلمة والقلم لأن يتحايل بهذه الطريقة إلا لضعف وخلل في ذاته

فلو كتب للمجلة أو المطبوعة بأن مقاله أو مادته الابداعية قد نشرت من قبل في مجلة محدودة التوزيع ويريد أن يعيد نشرها في مجلة واسعة الانتشار لكان ذلك أكثر احتراما ، وأقرب إلى الفهم ، ويصبح الأمر بعد ذلك قابلا للاتفاق أو الاختلاف ، وللقبول أو الرفض ، ولكن أن يستغل الانسان ثقة الآخرين ويغفل الاشارة إلى سبق النشر أو تكرار الارسال إلى أكثر من جهة ، فان ذلك أقرب إلى خيانة الأمانة !

وفي تقديرنا أنه ليس هناك دواء ناجح لمثل هذا الأمر - على ما يبدو - إلا بنشر وقائع واسماء لردع كل من يأتي بمثل هذا العمل أمام الملأ ، وقد اتخذنا قراراً بذلك في مجلة « العربي » ، ونرجو أن تسايرنا فيه بقية المجلات العربية الأخرى .

وكل ما نرجوه هو أن ترتقي الكتابة العربية من حيث المضمون ، ومن حيث السلوك إلى أفضل وأرقى مستوى ، مدركين أن الشكل والأسلوب هما تعبير عن المضمون ، ولا يستقيم أبدا الظل والعود أعوج . « ألا هل بلغت اللهم فاشهد » . □

« المحرر »

العربي - العدد ٣٥٩ - اكتوبر ١٩٨٨ م

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

مستقبل المشاهدة وثورة الترفيه

أكثر من ندرة علمية حضرتها فى السنتين الاحيرتين كان موضوعها واحداً هو مستقبل (التلفريون) وتأثيراته على الانسان في كوكبنا .

مد لا يستطيع بعصا أن يتخيل الآثار الضخمة المترتبة على وجود هذا الجهاز الصعير الذى يفبع فى غاية البراءة فى أحد أركان المنزل ! إلا أن ماشاهدته وسمعته من بحوث تجعلنى أقول إن هناك ثورة بالمعنى الحقيقى ، رعلى المستوى العالمى ، تقودها أجهزة الاتصال الجماهيري وعلى الأخص (التلفريون) ، هذه الثورة تتداخل فى نسيج المجتمع ككل اقتصاديا وسياسيا وثقـا ... خاصة بمجتمع دون آخر ، إنها عالمية يقو التأثير ...

... من البداية ، أن تطور هذا الـ...ـار (التلفريون) ... ت المعقولة فى المدى المتوسط ، فـ... قفز

قفزات متلاحقة من التطور تجعل أياً منا ـ مهما خصب خياله ـ يقف عاجزاً عن توقع ماسيحدث في المستقبل .

لقد أصبح تصور مستقبل الاتصال الجماهيرى فيه مخاطرة بذاته .

« جريفس » أحد مخرجى السينما الصامتة قال فى العشرينيات من هذا القرن : (إننى أعتقد أنه بعد مائة عام من الآن سوف نشاهد عرضاً للأفلام السينمائية في الطائرات) كان يتحدث فى سنة ١٩٢٥ ، لذلك فإن توقعه كان يفترض أن يحدث فى سنة ٢٠٢٥ .

وفى سنة ١٩٣٥ عندما بدأت التجارب الاولى على (التلفزيون) صدر كتيب فى بريطانيا بعنوان (ماذا نفعل بالإذاعة البريطانية ؟) ، فى ذلك الكتيب توقع أن يستخدم التلفزيون في المنازل التى بها عدة حجرات ، ولن يستخدمه أكثر من ١٠٪ من السكان بشكل دائم .

وفى سنة ١٩٧٦ ـ قبل اثنتى عشرة سنة خلت ـ كتبت (مؤسسة التلفزيون المستقلة البريطانية) لإحدى لجان البرلمان البريطانى التى تدرس مستقبل التلفزيون فى بريطانيا . كتبت تقول : (ان الفيديو لن يهتم به إلا عدد قليل من الناس الذين يقدرون على الاختيار ويستطيعون دفع ثمن ذلك الاختيار) .

لقد كانت كل تلك التوقعات السابقة خاطئة تماماً .

لقد شاهد العالم عروضاً سينمائية في الطائرات قبل أن تمضى ستون عاماً على توقع جريفس المذكور .

وبعد خمسين عاماً فقط (في سنة ١٩٨٥) كان عدد مشاهدى التلفزيون بليونين ونصف بليون من الناس فى مائة واثنين وستين بلداً في العالم ، وفى بريطانيا وحدها فإن ٩٨٪ من المنازل توجد بها أجهزة تلفزيون ، ونصفها على الأقل بها أكثر من جهاز .

تلك بعض الأمثلة على خطورة التوقعات فى مثل هذا المجال السريع التطور : الاتصال الجماهيرى ، أو الاعلام ، أو بالتحديد التلفزيون .

الصــــندوق العجيــــب :

لو عدنا من العام إلى الخاص فهل سألت نفسك كم ساعة تشاهد فيها برامج التلفزيون فى اليوم الواحد ؟

فى حقيقة الأمر ، مهما كان عملك أو مستواك الثقافى أو دخلك المادى فأنت فى بعض الوقت أسير هذا الجهاز الأخاذ .



قد يطول هذا الوقت أو يقصر ، قد تحب أو لاتحب هذا البرنامج أو ذاك ، ولكنك بالتأكيد فى وقت ما تجلس أمام هذا الجهاز .

فى البلدان التى توجد بها إحصائيات نعرف على وجه اليقين متوسط الساعات التى يقضيها المواطن أمام التلفزيون ، ففى اليابان يشاهد المواطن اليابانى التلفزيون مدة ثمانى ساعات فى المتوسط ، وفى الولايات المتحدة أربع ساعات ، وفى بريطانيا خمس ساعات .

فى إحدى الدراسات أن البريطانيين يقضون أمام هذا (الصندوق) وقتاً أطول مما يقضونه فى أى نشاط آخر عدا العمل والنوم !

وإذا استمر هذا التوجه فإن ساعات مشاهدة التلفزيون فى كثير من دول العالم سوف تزيد عن ساعات العمل . ويتحدث الآن بعض الكتاب ـ بجانب الحديث عن الإدمان على المخدرات أو الادمان على الكحول ـ عن ظاهرة اجتماعية جديدة هى « الادمان التلفزيونى » .

باختصار . . هذا الجهاز الصغير ـ القوى الأثر ـ بالمعنى المجازى ، يضع جدول أعمال الشعوب اليوم . . !

ومثل أى اجتماع تذهب إليه فأنت تناقش فقط الأعمال ، وبالتالى فإن من يضع جدول الاعمال يتحكم في مسيرة النقاش وفى نتائجه أيضا ، كذلك فإن التلفزيون هو الذى يضع جدول الأعمال للشعب .

كيف يكون هذا الجهاز مؤثراً بهذه القوة ؟ يقول البعض ـ عن حق أو عن غير حق ـ إن التلفزيون أرجع الانسان الى محيطه الطبيعى ، بعد أن أبعدته الكلمة المطبوعة (الجريدة والمجلة والكتاب) عن ذلك المحيط ، وجعلته يستخدم حاسة النظر فقط .

فى مشاهدة التلفزيون يستخدم الانسان جميع حواسه ، ويتصالح مع محيطه ، ويتحرر من القيود التى تفرضها عليه طبيعة الوسيلة المطبوعة . هكذا يقول البعض ، بينما يتخوف غيرهم من وجود هذا الجهاز فى دولته ، لخطورته .

أذكر أن أحد الهنود المتخصصين فى وسائل الإعلام رد على انتقاد البعض للدولة الهندية بأن أجهزة التلفزيون بها قليلة نسبياً فقال : « أنا سعيد بأن تكون نسبة مشاهدى التلفزيون فى الهند بهذا الحجم (وقتها ذكر رقم ٧٪ فقط) لأن الرسالة الاعلامية غير جاهزة » وهو يعنى أن محتوى مايبثه التلفزيون الهندى أوغيره فى العالم الثالث هو محتوى مستورد وغير منتج محلياً ، فالأفضل ـ من وجهة نظره ـ ألا يشاهد كثيرون من مواطنيه هذا المحتوى المستورد . . !

ـــ ثــورة التقنــــيـــــة :

البسطاء والسذج فقط سوف يغامرون بإعطاء تصورات لمستقبل هذه الصناعة ، والمخاوف التي يبديها البعض - خاصة فى العالم الثالث - أمام تطور هذا الجهاز ، يجب أن تزداد إذا عرفنا سرعة التطور في التقنية . . . Hard Ware وفي البرامج Soft Ware .

وأكثر من ذلك - لأول مرة في تاريخ الانسان - تقود التقنية حاجات البشر وتخلق حاجات جديدة ، بدلاً من أن يكون العكس . وكان السائد قبل انقضاء ثُلث هذا القرن ، أن الحاجات الانسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية هى التى تقود تطور التقنية .

فى موضوع التلفـزيون ومـا يشابهـه من أجهزة ، نحن مـواجهون بتطورات قد تغير حتى سلوك البشر .

على سبيل المثال فإن المعروف أن القنوات الهـوائية الخـاصة للبث التلفزيوني محدودة ، وهى موزعة عالمياً من خلال اتفاقيات دولية ، لذلك فإن هذه الصناعة تطور ما يسمى « بالتلفزيون السلكي » .Cable T.V ، هـذه التقنيـة الحـديثـة وتــطوراتهـا تستـطيـع أن تحمـل الى منـزلـك أكثر من عشرين محطة - أى أن خيارك فى المشاهدة يتسع بشكل كبير . واليوم هناك مئات المحطات للتلفزيون السلكي فى كل من الولايات المتحدة واليابان وكندا وبلاد أخرى ، وهناك معركة سياسية دائرة فى بريطانيا حول هذا الموضوع الآن . هل ندخل التلفزيون السلكى على نطاق واسـع أم لا ؟ .

خطورة هذه التقنيـة الجديـدة بجانب القنـوات الكثيرة التى يمكن للمشاهد الحصول عليها - وتعددها غير المحدود ، أن المشاهد يستطيع أن يقـوم بنشاط تبـادلى كما يسمى ، فليس بـاستطاعتـه استقبال الـرسـالـة التلفزيونية فقط ، بل إرسال رسالة إلى المحطة ، أى أن هناك إمكانية مشاركة المواطن وهو جالس مستريح على مقعد في صالون منزله .

نتائج هذه الإمكانية غير متخيلة وآثارها غير محدودة ، على المجتمع والعلاقات السياسية وحتى التجارة والمضاربة .

فيستطيع المشاهد مثلا أن يدلى بـرأيه فى مـوضوع سيـاسى (هذه الطريقة مستخدمة الكترونياً الآن حتى فى المحطات الهوائية لعدد محدود من الناس فى الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض دول الشمال) .

"الزنابير" تهدد الإنتاج الإعلامي المحلي في دول العالم الثالث !

ويستطيع المشاهد أن يطلب وجبة صغيرة من مطعم أو استئجار سيارة . . الخ من الأعمال ، وقد ظهر الآن مفهوم (التبضع التلفزيونى) نتيجة لتطور هذا النوع من التقنية .

أما التقنية الجديدة الأكثر أهمية ، فهي البث بواسطة الأقمار الصناعية . فمن كان يتصور أن ما جاء في مقال آرثر كلارك البريطانى الذى ظهر في مجلة عالم الراديو سنة ١٩٤٥ - بينما الصواريخ الألمانية V 2 تتساقط على لندن - يمكن أن يتحقق ؟ فقد قال كلارك في هذا المقال :

« لو أن هذه الصواريخ تطلق أقمارا صناعية على ارتفاع محدد فى الفضاء فإن مسار طيرانهم يمكن أن يبقى على نفس البعد في كل الوقت حول الكرة الأرضية . ومثل هذه الأقمار يمكن أن ترسل إشارات راديو » .

لقد كان ذلك المقال هو الفكرة الأولى للأقمار الصناعية التي اصبحت لاتستخدم اليوم لإرسال إشارات الراديو فقط ، بل المكالمات الهاتفية أيضاً ، وكذلك الإرسال التلفزيونى ، والذى يتجاوز ببساطة الحدود الاقليمية ، فلم يعد هناك بعد الأقمار الصناعية التلفزيونية عزلة حدودية أو ثقافية .

أصبحت الأقمار الصناعية اليوم كالزنابير ، تطوف حول الأرض ، وترسل أشكالاً من الرسائل دون أن تعبأ بأى مظهر من مظاهر التغير أو سوء الأحوال الجوية . فإن كنت تحت « آثار أقدام » هذا القمر أو ذاك ولديك أجهزة الاستقبال اللازمة ، فلن تنجو من تأثيره

الأقمار الصناعية نفسها تطورت من حيث غزارة إرسالها وصغر الأجهزة اللاقطة لإشاراتها .

فأنت لاتحتاج الى صحن كبير للاستقبال ، يربض كالحمل أمام منزلك أو على سطحه ، فقد أصبحت صحون الالتقاط هذه صغيرة ورخيصة ، وأصبح من المتوقع في بداية التسعينيات (وهى ليست بعيدة ما) ، أن تستطيع شراء جهاز استقبال تضعه فى حديقة منزلك أو على سطحه أو فى شرفته، لا يكون أكبر بكثير من طبق خزفى متوسط الحجم فى منزلك (ليس أكبر من حجم قطة صغيرة) ، وتستطيع فوق ذلك أن تغير اتجاهه من قمر صناعى الى آخر فى غاية السهولة .

لقد كانت المشكلة في استخدام البث التلفزيونى من الأقمار الصناعية الى وقت متأخر هي مشكلة التمويل ، ولكن الاعلان حل هذه المشكلة . كما أن التوجه الى الانفتاح الاقتصادى هو كما يتصور البعض الحكمة السائدة



أو التى ستسود في المستقبل القريب . فإن السباق الاعلانى لن يتوقف ، والتلفزيون هو المكان الأفضل والأنسب الذى يعشقه الاعلان . ونحن فى المنطقة العربية لن نكون بعيداً عن هجوم (الزنابير) . . الأقمار الصناعية .

النطور التقى الثالث هو « الفيديو كاسيت » الذى كان أهم علامة مميزة له هو انخفاض ثمنه خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة الى أكثر من ٧٥٪ ، وكذلك انخفاض ثمن أشرطته الجديدة أو المسجلة بأكثر من ذلك بكثير ، وقد تفوق (الفيديو دسك الجديد) على (الفيديو كاسيت القديم) وهذا التطور الأخير يمكنك من استخدام اسطوانة كالاسطوانات التقليدية ، لكنها تبث لك برنامجك المفضل فى سهولة ويسر أكثر من (الفيديو) التقليدى ، فأنت تستطيع أن تبدأ المشاهدة من أى مكان على هذه الاسطوانة - بدلاً من الانتظار الطويل نسبياً - فى لف الشريط التقليدى . إشكالية (الفيديو كاسيت) هذا أنك - حتى الآن - لاتستطيع أن تسجل عليه ، يمكنك فقط أن تشترى البرنامج الذى يعجبك ، أما إمكانياته الأخرى فهى رائعة ، صورة واضحة وصوت عالى النقاوة ، وسطح الدسك يعمل بالليزر فلا يتعرض للتلف . إنما أعظم إنجازات هذه التقنية هى فى مجال التدريب الصناعى والتعليم ، فأنت تستطيع أن تدير اسطوانة فيديو دسك ، عليها برامج « كيف تعتنى بسيارتك ؟ » أو « كيف تتذوق الفنون أو تتعلم اللغات ؟ » . واستخدام الفيديو دسك فى التعليم والتدريب يفتح آفاقاً جديدة .

سيتغير الجمل الى قطة في غضون سنوات قليلة!

قـــــوة التجـــاهــــل :

بقيت قطعة تقنية جديدة لها قوة كبيرة ، هى ذلك الجهاز الصغير (الريموت كنترول) الذى هو على هيئة قطعة تحملها فى يدك وأنت أمام جهاز التلفزيون ، وتغير بها المحطات بإشارة من أصبعك . هذه القطعة أعطت المشاهدين الحرية فيما يشاهدون ، إنها أعظم جهاز يثير خوف المعلنين ، فالمشاهد إذا بدا له أن الاعلان أو حتى البرنامج الذى يعرض على الشاشة لا يعجبه ، يستطيع أن ينتقل - فى لحظة - من محطة الى أخرى . صحيح أن المشاهد كان يمكنه أن يغير القناة دون هذه القطعة السحرية ، لكنه سوف يتجشم عناء التحرك الى مكان الجهاز والقيام والعودة والجلوس من جديد . وقد يتكاسل للقيام بكل ذلك ليغير البرنامج لبضع ثوانٍ لكنه لن يهتم إذا كان يستطيع تغيير القناة بضغطة من أصبعه فقط . . !

واستخدام جهاز التحكم عن بعد أصبح شائعاً ، وهو مع (جهاز الفيديو) يمكن أن يمحو تأثير الاعلان فى البرنامج المسجل . لذلك لجأت بعض شركات الاعلان الى أن يكون لإعلاناتهم تأثيرها إذا مرت أمام عينى المشاهد بسرعة تبلغ عشرة أضعاف سرعتها العادية !

عصــر المعلومــات والشــركــات الــدوليــة :

البعض يعتقد أن ثورة التقنية فى الاتصال أو الثورة التى يقودها الترفيه هى أهم من الثورة الزراعية فى القرن الثامن عشر ، وأهم من الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر ، إنها ثورة الاتصال التى يمكن أن تؤدى الى مكاتب من غير أوراق ، وموظفين غير ثابتين ، بل الثورة التى سوف تؤدى الى إسقاط شيء اسمه مكان العمل ، ففى الوقت الذى تستطيع فيه أن تتصل بالآخرين ، تشاهدهم وتتحدث إليهم ، وتعقد اتفاقات معهم . . فلماذا تغادر مكانك ؟

خطورة عصر المعلومات وثورة التقنية فى الاتصالات على عالمنا الثالث ، هى خطورة تفوق الحدس والتصور ، فالتقنية التلفزيونية العالية سوف تأتى فى أثرها شركات عابرة للقارات ، شركات دولية .

هناك شكوى حتى فى الدول المتقدمة من احتكار مؤسسات قليلة لما يشاهده الجمهور ويستمع إليه ويقرؤه ، فهناك فى الولايات المتحدة حوالى ٥٠ مؤسسة تسيطر على كل ما تسمعه أمريكا وتشاهده وتقرؤه ، وفى

الشركات الدولية تشكل عقول المواطنين بعيداً عن سلطات الدول !



بريطانيا حتى الآن هناك مؤسستان للتلفزيون فقط ، (حكومية ومستقلة) و ٣٥٪ من برامج تلك المحطات ـ فى المتوسط ـ امريكية .

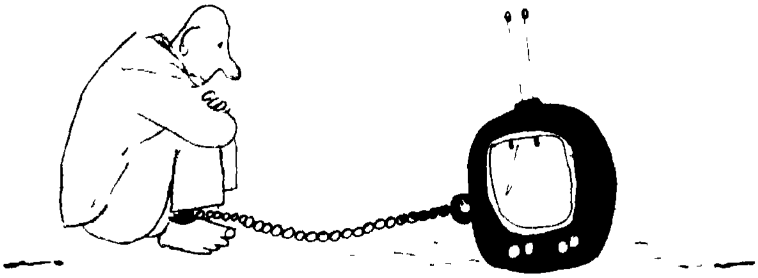
وإن كان هناك تعددية نسبية فى مجال الصحافة في الغرب فإن الاذاعة والتلفزيون معظمها محتكر ، ولم تسمح بريطانيا مثلاً بتعددية نسبية فى محطات الاذاعة إلا بعد هجوم (إذاعات القراصنة) فى السبعينيات ، التى كانت تبث برامجها ، من سفن عائمة فى المياه الدولية ، الى المستمع البريطانى .

الشركات الدولية التى يمكن أن تحتكر البث التلفزيونى العالى التكلفة سوف تعمل كى تحصل على أكبر عدد من المشاهدين حول العالم . وإذا كان الانتاج التلفزيونى المحلى ـ فى دول العالم الثالث ، وكذلك فى الأقطار العربية ـ قليلاً في الوقت الحالى ، فسوف يتضاءل أكثر عندما تسيطر على الأجواء تلك « الزنابير » من الأقمار الصناعية المملوكة للشركات الدولية ، وسوف يفتح المشاهد تلفزيونه فى كندا أو الهند ويشاهد نفس البرامج .

فى حقيقة الأمر لن يكون هناك حصانة ثقافية ، كما أن الفروق السلوكية بين الشعوب والثقافات المختلفة سوف يدمرها (البث التلفزيونى العالمى) .

فبرامج مثل (دلاس) و (داينستى) و (ملفات روكفورد) و (الفريق الأول : اى تيم) و (استعراض كوزبى) و (كوينزى) و

ثورة الاتصالات الجديدة تفتح باب عصر "الاستلاب الثقافي"



(كوجاك) و (كولومبو) من بين عشرات البرامج التى سوف تصبح مألوفة لدى أطفالنا وجيلنا الجديد . سوف تتصاعد وتيرة الاستلاب الثقافى ، وسوف تجعلنا تلك الشركات التلفزيونية الصحمة نفقد دوراً أكثر من ذلك ، محتقرين لثقافاتنا المحلية ، وذلك أسوأ شيء يمكن أن يقع .

يقول أحد الكتاب تعليقاً على ذلك . (إن الثقافة الامريكية فى القرن الواحد والعشرين ستصبح هى السائدة كما كانت ثقافة الرومان سائدة فى القرن الأول) .

ما هي الآثار المحتملة لكل ذلك ؟

يذكر عن أنديرا غاندى أنها قالت مرة : (نحن نعرف أن الله قد خلق الأرض ومن عليها ، ولكن من يحدد العناوين الرئيسية ؟) .

أى أن هناك آثاراً عميقة تترتب على صناع الاتصال ، وبتعبير آخر أن وسائل الاتصال ـ وعلى رأسها التلفزيون ـ تصبح السبب بشكل مباشر أو غير مباشر لكل تغير يحدث فى الرأى العام . تدفق المعلومات من التلفزيون الذى يشاغل معظم الحواس الانسانية ، يؤدى الى تغير تصرف الأشخاص أو تأكيده . لقد قيل فى الستينيات أن أمريكا خسرت حرب فيتنام لأن أخبار تلك الحرب وأهوالها انتقلت الى غرف الجلوس فى بيوت المواطنين الامريكيين

ولانستطيع أن نعرف النتائج التى كان يمكن أن تصل إليها الانسانية ـ مثلاً ـ لو كانت عدسات التلفزيون ترصد الانفجار النووى على هيروشيما وناجازاكى وتسجل بالصور الملونة عذاب آلاف المدنيين لحظة الانفجار !

وفى القاهرة فى رمضان الماضى تشبعت شبكة التليفونات بالمكالمات الى درجة عطلت مصالح الناس الحيوية ، وذلك لأن التلفزيون يطلب من المستمعين الاجابة بالهاتف عن برنامج مسابقات !

عصر التلفزيون أثر حتى على الانتخابات فى أكبر دولة غربية ـ

نحن نعرف أن الله خلق الأرض ومن عليها ولكن مَن يحدد العناوين الرئيسية في وسائل الاتصال الحديثة ؟

الولايات المتحدة ـ فأصبح أهم شخصين بعد المرشحين ونائبيهما هما رجل التزيين (المكياج) الذى يعد المرشح للظهور فى التلفزيون ، و (صانع الجمل الرنانة) كاتب خطابات المرشح ، كى تترك أكبر أثر على مشاهدى التلفزيون . وقد حول التلفزيون مبدأ « حرية الكلام » الى مبدأ جديد هو « حرية التضليل » .

ألم أقل منذ البداية أن آثار هذا الصندوق العجيب غير محدودة ، ولو أردت أن أسرد آثاره بالتفصيل لربما احتجت الى كتاب .

محبوب ليس له أصدقاء :

قد يبدو كلاماً متناقضاً أن هناك محبوباً دون أصدقاء، ولكنه التلفزيون . فالسياسيون والصحفيون والمحامون والشرطة ورجال الدين والأكاديميون وبعضهم يعمل فى الصاعة التلفزيوبية نجدهم غالباً متذمرين مما يعرضه التلفزيون . وإن ذلك دليل على أهمية تأثيره فى الناس من جهة ، والأهمية التى تضعها مجموعات الضغط الاجتماعية للحصول على نصيب أوفر من الحيز التلفزيونى فالسياسيون ـ إن لم يستخدموا التلفزيون لزيادة نفوذهم ـ فنفوذ التلفزيون يقلل منه ، والاكاديميون يعتقدون أن برامج الترويح أكثر من اللازم ، ورجال الدين يعتقدون أن البرامج الدينية أقل من اللازم . . !

والشرطة يعتقدون أن مشاهد العنف فى التلفزيون هى التى تزيد من نسبة الجريمة فى المجتمع .

ولكن هذا كله يعنى أن هذا الجهاز مركب سياسي اجتماعى تقنى معقد ، ومن يتحمل على المستوى المحلى مسئولية ما يعرض أو ما لا يعرض فيه ، يتحمل النقد العلنى أو السرى أيضاً

ولكن أليس ما طرحناه من تقنية حديدة سوف يسلب القرار من القطر لصالح شركات عالمية ، فى عصر سمته تخطى الحواجز والحدود فى ميدان الاتصال ؟

ترى مادا أعددنا لذلك ؟ ورياح ثورة الاتصال تهب وتهدد كل المجتمعات النامية بالتغيير ؟

بوابة عصر جديد تطل عليا . .

فهل نحن مستعدون . وكل آت قريب ؟

محمد الرميحي

الثقافة الأميركية في القرن الواحد والعشرين ستصبح هي السائدة كما كانت ثقافة الرومان سائدة في القرن الأول

الخدمة "الإسرائيلية" السرية

بقلم : أمين هويدي

من أدوات الحرب النفسية التي تستخدمها« اسرائيل » في الحرب مع العرب قوة أجهزة مخابراتها ، مع أن فشل هذه الأجهزة في العديد من العمليات قد يفوق نجاحها في بعضها الآخر ، ولكن الاخراج الذكي للعمليات الناجحة ـ بالإضافة إلى عوامل أخرى ـ أعطى هذه الأجهزة صورتها القوية . فمتى نشأت هذه الاجهزة ؟ وكيف تعمل ؟

يتميز العمل في الخدمة السرية عموما بأنه « صراع عقول متضادة » وليس « صراع قوى متضادة » ، فالقدرة على إعمال العقل والخداع والتدبير المحكم ، ثم الإقدام على التنفيذ بجسارة لا تعرف التردد مع القدرة على مرونة القرار ليتناسب مع الظروف المتغيرة ، هي أسس العمل في عالم المخابرات

فسياسة الدول تتم على مستويين السياسة العلنية أو المكشوفة ، والسياسة الخفية أو المستورة ، وهذه هي السياسة الحقيقية للدولة ، فما يقال شيء ، وما يتم شيء آخر ، سواء كان ذلك بين الأصدقاء أو الأعداء

ونظرا للظروف الاستراتيجية الصعبة التي وضعت « اسرائيل » نفسها فيها ، فإنها ركزت على إنشاء جهاز استخبارات ذي كفاءة جيدة ، وسخرت له كل الإمكانيات ، وحشدت له كثيرا من الكفاءات والخبرات ، ولذلك يمكن اعتباره أحد الأسلحة الاستراتيجية للدولة ، يعمل جنبا إلى جنب مع القوات الجوية والقوات البحرية وجيش الدفاع « الاسرائيلي » (زاحال) ككل

نشأة جهاز المخابرات الإسرائيلي

وقد نشأ جهاز المخابرات « الاسرائيلي » قبل نشوء الدولة ، شأنه في ذلك شأن الأحزاب ، والجيش الذي تمثل في ذلك الوقت في عصابات متعددة ، مثل عصابة « ليهي » و « شترن » و « ليومي » و « الهاجاناه » التي كان عمودها الفقري اللواء اليهودي الذي عمل مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .

وكان الجهاز يعمل في أول نشأته في حضن الوكالة اليهودية ، وبتمويل وتوجيه منها ، ثم بعد أن نشأت « الهاجاناه » عمل كجزء منها . وبذلك تكونت « الهاجاناه » في ذلك الوقت من « الهاجاناه »

وحدات مقاتلة ضد العرب وقوات الانتداب ومن البالماخ » ، والتي خصصت للقيام بالعمليات الخاصة والتخريب ثم جهاز المخابرات كالشاي والموساد . « والشاي » اختصار لكلمة شيروت ايدوت ، والموساد اختصار لكلمة « موساد ليتا ياكديم ميوشاريم » ، أي خدمة المعلومات أو خدمة المخابرات . وكان واجب المخابرات في فترة ما قبل الدولة ينحصر في

* الحصول على معلومات عن العرب بوجه عام ، وعرب فلسطين بوجه خاص ، وكذلك قوات الانتداب البريطانية

* تهريب اليهود من أوروبا والأقطار العربية في حركة الهجرة غير الشرعية ، وكذلك أموالهم وثرواتهم

* تهريب السلاح إلى داخل « فلسطين » ، ووضعه في مخازن متفرقة لاستخدامه وقت الحاجة .

وقد اكتشفت أول شبكة جاسوسية يهودية فوق أرض فلسطين عام ١٩٠٧م ، وقت الحكم التركي ، وكانت الشبكة تعمل في خدمة المخابرات البريطانية ، ثم اكتشفت شبكة أخرى عام ١٩١٧ ، وكانت قد نظمت نفسها عام ١٩١٤ عند بداية الحرب العالمية الأولى ، تحت رئاسة « هارون اهرونسون » وابنته الجميلة « سارة » في مستعمرة زخارون يعقوب وعتليت لجمع معلومات عن القوات التركية والالمانية لصالح القوات البريطانية ، وكانت إحدى وسائل نقل المعلومات اقتراب الغواصات البريطانية بالقرب من السواحل الفلسطينية ، لنقلها بعد ذلك إلى الاسكندرية والقاهرة حيث يوجد مركز القوات البريطانية وكان من أهم ما حققته هذه الشبكة سرقة أسرار صناعة غاز الخردل ، وبعض الأسلحة الالمانية وإعطائها للبريطانيين .

ومن أهم الشخصيات التي عملت في أجهزة المخابرات « الاسرائيلية » « ريفين شيلوه » و « تيدي كوليك » رئيس بلدية القدس الحالي تحت ستار عمله مدير مكتب رئيس الوزراء ، و « ابا ايبان » تحت ستار عمله نائبا لرئيس الوزراء . ومما يذكر فإن ايبان كان من أشهر رجال الجاسوسية البريطانية (M16) ، وكذلك بنيامين جبيلي ، ويهوشفاط هاركابي ، وحاييم هرتزوج ، ومائير عميت ، واهارون ياريف

تنظيم جهاز الخدمة السرية « الاسرائيلية »

هناك تضارب في تفاصيل تنظيم أجهزة الخدمة السرية « الاسرائيلية » في أغلب المراجع التي تتحدث عن هذا الموضوع ، مما يجعل من الصعب الوصول بدقة إلى تفاصيل تنظيم هذه الأجهزة ، ويرجع ذلك إلى رغبة « اسرائيل » في إضفاء السرية على أجهزة مخابراتها من جانب ، وإلى الطبيعة النفسية للشعب « الاسرائيلي » من جانب آخر ، إذ يميل في حياته إلى أن يعيش حائرا بين الشك واليقين ، وبذلك فهو يوقع المتعاملين معه في حيرة مماثلة . ولنأخذ مثلا مشكلة الحدود ، فقد رأى بن غوريون عند إنشاء الدولة أن لا تحدد لها حدود كباقي الدول ، حتى يترك للغير تحديد حدود « اسرائيل » بأبعد نقطة يمكن لجيش « الدفاع » الاسرائيلي أن يصل إليها ويثبت أقدامه فيها . ويدور الآن خلاف عن طبيعة هذه الحدود ، وكيف تتداخل الحدود السياسية في الحدود الآمنة ؟ وهل تكون الحدود داخل الخط الأخضر أم تندفع شرقا لتشمل (الضفة الغربية وغزة) (يهودا والسامرة) والضفة الشمالية ، أي جنوب لبنان ؟!

ومن هو اليهودي ؟ هل هو المولود لأبوين يهوديين أم من أم يهودية ؟ والخلاف على الأعياد اليهودية ؟ وهل « اسرائيل » دولة نووية أم هي دولة غير نووية ؟! وغير هذا كثير . !!

وعلى أي حال فلتبسيط الموضوع فإن أي نشاط مخابرات يشمل المجالات الآتية .

مجال الحصول على معلومات من الأعداء والأصدقاء وعنهم على حد سواء

مجال الحيلولة دون حصول الغير على معلومات

مجال حماية أفراد الدولة ومنشآتها والعمل ضد الجواسيس

مجال العمليات الخاصة أو الأعمال القذرة للمخابرات .

تنظيم عام الخدمة « الاسرائيلية » السرية



شكل (١)

الشكل رقم (١) يوضح التنظيم العام للخدمة « الاسرائيلية » السرية . وهناك عدة ملاحظات تفصيلية عن هذا التنظيم

* لتعدد الأجهزة التي تعمل في مجال المخابرات ، شكل مجلس أمن الدولة من رؤساء هذه الأجهزة ومستشاري رئيس الوزراء لأعمال الاستخبارات ، ويسمى هذا المجلس « فاعادات » ، والكلمة اختصار للاسم الحقيقي وهو « فاعادات راشيل هاشيروتيم » ، ويرأس هذا المجلس رئيس الموساد ويسمي حينئذ « مومنيه » ، وهو يتبع رئيس الوزراء

* المخابرات العسكرية « أمان » مسئولة عن القطاع الحربي في الداخل والخارج ، وهناك تنافس بين كل من رئيس « الموساد » و « أمان » ، وقد ارتفع قدر جهاز « أمان » بعد حرب ١٩٦٧ ، وأصبحت تقديراته تجد اهتماما خاصا من المسئولين ، إلا أنه أصيب بضربة حقيقية في حرب ١٩٧٣ . إذ أنه - على الرغم من كل الشواهد المعاكسة - كان يصر إلى آخر لحظة بأن العرب لن يعلنوا حربا ضد « اسرائيل » ، بينما كانت « الموساد » تؤكد أن الحرب قائمة وقد أفاصت « لجنة أجرانات » - المشكّلة للتحقيق في أسباب عدم استعداد الجيش « زاحال » في الساعات الأولى من قيام حرب رمضان - في هذا الموضوع

من الملاحظ أن الملحقين العسكريين الذين يعملون في واشنطن أو لندن يعينون في مراكز كبرى ، إما في الخدمة السرية أو في الجيش « الاسرائيلي » .

* الموساد تعمل في المجال الخارجي ، وهي التي تقابل المخابرات المركزية الأمريكية أو البريطانية ، وهي التي تقوم بالأعمال القذرة ، مثل القتل والخطف والعمليات الإيجابية الأخرى ، كما تقوم بإنشاء شبكات التجسس في كل أنحاء العالم والشكل رقم (٢) يوضح تنظيما تفصيليا لجهاز الموساد ، نقلا عن وثائق أخذت أثناء احتلال السفارة الأمريكية في طهران في ١٤/ ١١/ ١٩٧٩ ، وقام بتهريبها صحفيون ثلاثة هم « راندى جودمان » و « تيري تايلور » و « ويليام دوري » إلى جريدة « واشنطن بوست » التي نشرتها على حلقات عام ١٩٨٢ على مدى أسبوع كامل

* هيئة خدمات الامن أو « شين بت » ، عملها في الداخل لحماية المسؤولين والمنشآت ، مثل المطارات والموانيء والمصانع الاستراتيجية ومصادر الطاقة ، كما تقوم بمقاومة الإرهاب وأعمال التحريب عن طريق ثلاثة أفرع الفرع العربي ، وفرع أوروبا الشرقية ، وفرع صد الإرهاب ، واسمه « ريشود » ، وكذلك فمن أهم واجباتها الرئيسية مقاومة التجسس عن طريق جهاز « شاباك » وهو احتصار لكلمة « Sheruth Bitachout Klali » ، والشين بت عموما تقابل جهاز (FBI) الأمريكي أو جهاز (M15) البريطاني .

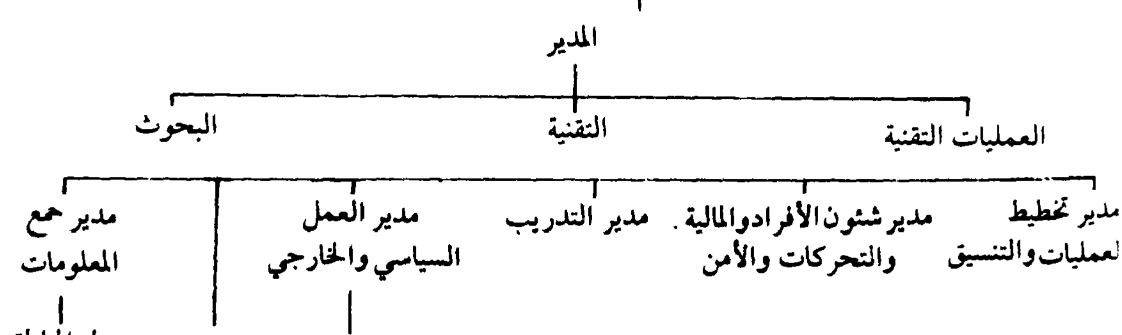
وفي وزارة الخارجية « الاسرائيلية » يوجد قسم أبحاث الخارجية ، وهو يقوم أساسا بإجراء التحليلات السياسية على أساس المعلومات التي يتلقاها من كل أجهزة المخابرات ، ويعتمد أساسا في الحصول على معلومات من تقارير السفارات « الاسرائيلية » ، والقنصليات ، والمكاتب الفنية في الخارج ، ومن السفارات الأجنبية في « اسرائيل »

كيف يعمل جهاز المخابرات . . ؟

هناك عاملان مهمان يسهلان عمل أجهزة الاستخبارات « الاسرائيلية » في مجال المعلومات والتجنيد

أ ـ العامل الأول هو انتشار اليهودية في كل بلدان العالم ، ويهود الكتلة الشرقية لهم أهمية خاصة في هذا المجال ، إذ يمكن عن طريقهم قيام « الموساد » بإمداد الدول العربية بمعلومات تفصيلية عما يجري في تلك الدول . ولكن من جانب آخر فإن إدارة مكافحة الجاسوسية « الشاباك » تضع في اعتبارها أنه يمكن لهؤلاء اليهود القادمين من دول الكتلة الشرقية التجسس على « اسرائيل » ، ولذلك فهناك فرع لمراقبة يهود الكتلة الشرقية ، لمحاولة تحطيم أي شبكات تجسس يمكن تصديرها إليها بين وقت وآخر

تنظيم جهاز الموساد



شكل (٢)

المصدر ترجمة محدي باصيف من الوثائق السرية للمحابرات المركزية الأمريكية ـ المحابرات الاسرائيلية ـ دار المروح للطباعة والتوريع والنشر بيروت ـ ١٩٨٥

ب ـ العامل الثاني هو التعاون المتبادل مع مخابرات الكتلة الغربية بوجه عام ، والمخابرات المركزية بوجه خاص ، في مجال الحصول على معلومات ، أو بالعمليات المشتركة ، فهي تحصل من الولايات المتحدة على معلومات عن طريق طائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية للتجسس والتنصت والاستطلاع الالكتروني والتسمع على الترددات العربية ، وهي بالتالي تمد الولايات المتحدة بمعلومات عن دول الكتلة الشرقية ، وعن الأقطار العربية ، خاصة تلك التي تستورد سلاحها من الكتلة الشرقية وفي هذا المجال تدعي « اسرائيل » أنها توفر للولايات المتحدة بلايين الدولارات من ميزانية الأبحاث والتطوير عن طريق إمدادها بنماذج من الأسلحة الشرقية لفحصها ، مثل إمداد الولايات المتحدة بنموذج كامل لطائرات ميج[٢١] التي طار بها الطيار العراقي « منيررفا » في عملية ناجحة للموساد بعد التأثير عليه بواسطة إحدى الجاسوسات ، ومثل إمداد الولايات المتحدة بالرادار الذي استولت عليه القوات « الاسرائيلية » من موقعه في « جبل عتاقة » عبر قناة السويس أثناء حرب الاستنزاف ، علاوة على الدبابات والصواريخ والهاونات وغيرها من الأسلحة التي تستولى عليها في حروبها مع العرب

وتعمل أجهزة الخدمة السرية عن طريق ما يسمى « الواجهات » لتتستر خلفها لممارسة نشاطها ، مثل السفارات والقنصليات والشركات والمكاتب التجارية ومكاتب السياحة والطيران والملاحة ، ومن أمثلة هذه الواجهات

شركة سوليل بونيه للمقاولات ، وشركة ريم للملاحة ، وشركة العال للطيران ، وشركة انكودا للمواد الزراعية والحيوانية ، وشركة زيميت للاستشارات الهندسية ، وشركة يوهافيث لصيد الأسماك ، وشركة شن أفيون للتجارة في المواد الاستهلاكية ، وشركة ديرنجوف للتصدير والاستيراد ، وشركة فيدرمان للمقاولات إلخ

والموساد ـ ومجال عملها بالخارج كما ذكرنا ـ تحاول إنشاء مكاتب واجهات مختلفة في أكبر عدد من البلدان ، للحصول على المعلومات التي تريدها ، وهي تسعى لتجنيد عملائها في البلاد المختلفة ، تبعا لأسبقيتها ، عن طريق أن يكون العميل من نفس البلد الذي سينشط فيه ، أو عن طريق طرف ثالث.

مراحل التجنيد

وتمر عملية التجنيد بأربعة مراحل

١ ـ مرحلة الفرز والاختيار والغرض من هذه العملية انتقاء المرشحين كعملاء ، بناء على ما يراه المتخصصون في هذه العملية ، ويسمون « الفرازون » ، وواجبهم الاحتكاك بالأماكن العامة كالنوادي والمطاعم والملاهي ، لمراقبة الموجودين من الرجال والنساء ويمكن أن تقوم « واجهاتهم » في البلاد المختلفة بهذا العمل مباشرة أو عن طريق طرف ثالث

٢ ـ مرحلة الاقتراب وتنمية العلاقات وبناء الدوافع إذا أثبتت المراقبة الدقيقة « للفريسة » أنه صالح للقيام بالواجب يتم الاقتراب منه بواسطة آخرين متفرغين لهذا العمل ، وتحتاج مرحلة الاقتراب وتنمية العلاقات إلى صبر وجسارة لإجراء مزيد من التعارف ، والوقوف على نواحي الضعف التي يمكن استغلالها ، وتنمية الدافع حسب التعامل ، وقد يكون الدافع مثلا الاشتراك في عقيدة معنية ، كمكافحة الشيوعيين ، أو العمل من أجل حقوق الإنسان ، أو الميل للخمر والنساء ، أو لعب الميسر ، أو الحاجة إلى المال وقد يكتشف العميل أنه يعمل في إحدى الشبكات « الاسرائيلية » للتجسس بعد فوات الأوان ، وبعد التورط بطريقة تجعل طريق العودة محاطا بالمخاطرة

٣ ـ مرحلة تدريب العميل . بعد السيطرة الكاملة على العميل ـ حتى ولو كانت سيطرة ناعمة غير محسوسة ـ ينال قسطاً من التدريب على كيفية الاتصال مع الآخرين ، واستخدام اللاسلكي و « الشيفرة » والكتابة بالحبر السري إلخ ، وبعد أن يصبح على درجة يمكن أن يعتمد عليه فيها يقوم بزيارة البلد

ي سيعمل فيه أكثر من مرة ، زيارات سياحية ، على فترات .

ـ مرحلة التشغيل : يبدأ العميل في العمل بتوجيه س المركز الذي سيخصص لذلك ، وأصعب إجراء في هذه المرحلة هو التمويل والاتصال

الأعمال القذرة

أما عن العمليات الإيجابية التي تقوم بها « الموساد » مما يدخل في الأعمال القذرة من أعمال الاستخبارات مثل القتل والإرهاب والاختطاف والتدبير فإنها تعتمد على الآتي . ـ

١ ـ معلومات تفصيلية عن مسرح العملية ، والأشخاص ، وعاداتهم ، والمنشآت وحالتها ومن المعتاد القيام بالعملية صد الأغراض المكشوفة ، مثل الأشخاص المهمين الذين لا يهتمون بتأمين أنفسهم (مثل حادث مقتل خليل الوزير في تونس) ، أو المنشآت غير المدافع عنها ، مثل المفاعل الذرى « الأوزاريك » في بغداد ، أو سرقة الوثائق غير المؤمنة

٢ ـ التخطيط الجيد مع مراعاة التفصيلات غير المتوقعة ، مع ترك الحرية لقائد العملية في التعديلات التي يقتضيها الموقف ويمكن الاستعانة بالخرائط دات المقياس الكبير ، والنماذج المجسمة لمسرح العملية ، حتى يعرف القائمون بالتنفيذ واجباتهم بالتفصيل .

٣ ـ التنفيذ ويشترط أن يتم بواسطة أقل عدد من الأفراد ، وفي سرعة خاطفة ، مع تجنب الاشتباك بقدر الإمكان وعادة ما يحتفظون بخطط جاهزة ضد أغراض مختلفة « تحت القفل والمفتاح » لتنفيذها بسرعة عند الحاجة .

وعلينا أن نلاحظ أنه إن كانت أجهزة الخدمة السرية « الاسرائيلية » قد حققت بعض الأعمال الناجحة فإن هذا لا يرجع فقط إلى مستواها الجيد ، لكن يرجع إلى تهاون وتواكل الاجهزة التي تواجهها أيضا

ثم علينا أن نلاحظ أن هذه الأجهزة قد عجزت في كثير من الأحيان عن تحقيق واجباتها ، مما عرض « اسرائيل » لمواقف صعبة كانت ، تودي بها ، فقد عجزت هذه الأجهزة عن توقع الهجوم العربي في حرب رمضان ، مما جعل مستقبل « اسرائيل » كله في كفة الميزان في الأيام الأولى من الحرب ، كما أخفقت في معرفة « النار المتأججة تحت الرماد » قبل انفجار الانتفاضة ، وهو ما نسميه ـ إن أردنا الدقة ـ الحرب السابعة ، ثم أخفقت هذه الأجهزة أيضا في مواجهة كثير من العمليات الإيجابية الناجحة التي قامت بها أجهزة الاستخبارات العربية في كثير من المجالات □

---

* كن هادئا تعمر طويلا ، فالغضب جنون مؤقت ، تحكم فيه قبل أن يستبد هو بك ! .

(يل كارينجى)

* لكى تتجنب النقد لا تفعل شيئا ، ولا تقل شيئا ، ولا تكن شيئا .

(البرت هابارد)

* جنب كرامتك اللئام ، فإنك ان أحسنت اليهم لم يشكروا ، وإن نزلت بهم شدة لم يصبروا .

(الثعالبي)

* الوطن قبل الروح لأنه مقر راحتك .

(مثل حبشي)

الورقة والطائر الفلسطيني

شعر: محمد محمد الشهاوي *

[illegible]

***

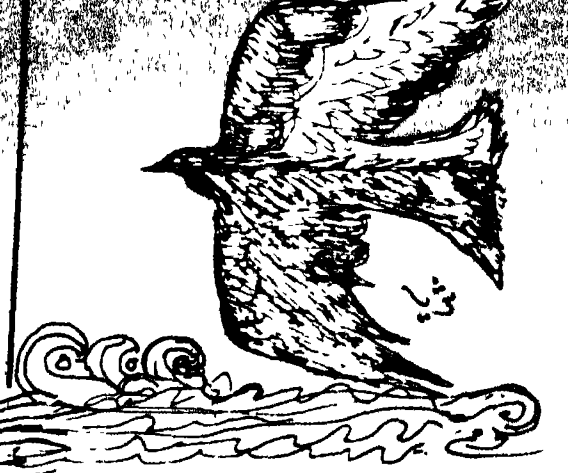
[illegible]

***

[illegible]

***

يطلق الرصاص في الجسد
ليحصد السيقانَ
والقنابلُ المسيلةِ الدموعَ
والدخانَ .
لا تبتئسْ يا صورةَ الإنسانِ
ليستْ إصابتي بالقاتلة



* شاعر من القطر العربي المصري



العربي - العدد ٣٥٩ - اكتوبر ١٩٨٨ م

لماذا نكتب ؟

بقلم : الدكتور حامد طاهر*

الكتابة مهنة ، وهذا لايتناقض أيصا مع أنها فن ، ويخطيء من لا يتصورها على هذا النحو ، لأنه - من ناحية - يتجاهل الوسائل الضرورية التي تجعل منه كاتبا جيدا ، لأن أي مهنة تحتاج إلى أدوات وتدريب ومحاكاة وتطوير وإبداع . ومن ناحية أخرى فإنه غالبا ما يصيع وقت القراء فيها لا طائل منه ، خاصة عندما يفتقد الهدف الذي يسعى إليه .

كون الكتابة مهنة يتصمن سؤالا أوليا ، وينبغي أن يطرحه على نفسه كل من يمسك بالقلم ، ويتصدى لنشر ما يكتبه على الناس ،وهو لمادا أكتب ؟

من المعروف أن الاحابة عن هذا السؤال الدي ربما يبدو بسيطا تحتلف من كاتب إلى آخر ، بل ربما تحتلف لدى الكاتب الواحد في زمانين مختلفين ، لكنها على الرعم من احتلافها وتنوعها تؤكد حقيقة أساسية هي أن مهنة الكتابة تصدر - دائما - عن دافع معين ، كما أنها تهدف إلى غاية محددة ، وكلا الأمرين يعطيان لها قيمتها السامية ، ويضفيان عليها الطابع الانساني الشامل

أغراض التأليف

من الرائع أن أسلافنا من الكتاب المسلمين قد حددوا على المستوى الفي لعملية التأليف نفسها سبعة أغراض لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها حسب تعبير حاجي خليفة صاحب الكتاب الشهير « كشف الظنون » وهذه السبعة هي

- احتراع حديد ، وإتمام ناقص ، وشرح عامص ، واحتصار طويل ، وجمع متفرق ، وترتيب مختلط ، تصحيح حطأ

ومن المؤسف أن نقرر أن «مجموعة » هذه الأغراض السبعة قد احتفت أو اختلطت في ثقافتنا

* أستاد الفلسفة الاسلامية المساعد في حامعة القاهرة والمعار حاليا لحامعة قطر

بية المعاصرة ، ولاشك في أن أحد أسباب
ـور الذي تعاني منه هذه الثقافة إنما يرجع إلى
ـاب » الغرض المحدد لعملية التأليف نفسها
ولكي نستعيد هذا الغرض الغائب لن نلجأ ـ هنا ـ
ـ طريقة حاجي خليفة ، لأنها طريقة قياسية ،
ـعمد على وضع قوانين عامة ، ثم تسعى لتطبيقها
على الواقع ، وإنما نختار الطريقة الاستقرائية التي
تقوم على تتبع أغراض المؤلفين المعاصرين ، سعيا إلى
استخلاص مثل هذه القوانين

لكن تنفيذ هذه الطريقة الاستقرائية لا يتيسر
لباحث ، مهما كانت قدراته ومدى اتساع اتصاله
بالمؤلفين ، إنما يتطلب مؤسسة ثقافية ، أو على الأقل
« مجلة ثقافية » ، ذات انتشار واسع في الوطن
العربي ، يجرى فيها طرح السؤال « لماذا أكتب ؟ »
على كل المؤلفين العرب ، سواء كانوا مبدعين أو
دارسين ، على أن يتم إرسال الاجابات (مختصرة ،
دقيقة ، واضحة) خلال وقت محدد

ثم تجرى بعد ذلك عملية فحص هذه الاجابات ،
وتصنيفها في قوائم متميزة ، بحيث يضم كل صنف
منها إلى مثيله ، ويظل المفرد وحده ، تمهيدا لنشرها
على القراء

وأنا على ثقة من أن محصلة الاجابات عن ذلك
السؤال البسيط ، أو الذي يبدو كذلك ، ستكون
لحظة مهمة في حياتنا الثقافية كلها ، لأنها سوف تحدد
لنا الأساس أو الأسس التي يدور حولها الانتاج
الفكري لكتابنا ومثقفينا .

لعلّ من يسأل .

ما الداعي لهذا العمل حاليا بالنسبة للكتاب
ـب على الأخص ؟ ونجيب بأننا نعيش مرحلة
ـة ، من مراحل تطورنا كأمة لها كيان متميز ،

ـعرضنا خلال فترة طويلة لضروب من التبعية
ـمر أجنبي ، وما كاد هذا المستعمر يرحل عن
ـا حتى أصبحت لنا رؤانا المستقلة ، ووجهات
ـا الخاصة للأمور ولما كان الوضع الثقافي هو

المرآة التي تعكس أفكار المجتمع وانفعالاته فقد
راحت تصطرع فيه أفكارنا . وآراؤنا ووجهات
نظرنا ، بالاضافة إلى آمالنا لبناء مستقبل أفضل
وإعادة صياغة الحاضر على أسس جديدة

ومما لا شك فيه أن الأصوات كثيرة . ووجهات
النظر بعضها متقارب ، وأكثرها متباعد إلى حد
التناقض ، وقد لا يكون هذا شراً كله . لأن الشر
الحقيقي إنما يكمن في اختلاط الأصوات ،
واضطرابها ، إلى الحد الذي يكاد ينعدم فيه التمييز
الواضح بينها وهذا ما نشاهده على الساحة الثقافية
في الوقت الحاضر

ولنأخذ مثالا

« الطريق إلى النهضة العربية والاسلامية الذي
يؤدي بنا إلى القرن الواحد والعشرين . »

هناك من يتبنى الفكر العربي ، ويعتبره الطريق
الأمثل وربما الوحيد للنهضة ، وهناك من يؤمن بأن
الحل الاسلامي هو المنقذ الوحيد لجميع مشكلاتنا
الراهنة ، وهناك من يحاول المزج بين هذين
الطرفين ، دون أن يكون قد نجح حتى الآن في بيان
ما يقصده من ذلك ، وهناك من يرى في الفكر
الاشتراكي السبيل إلى إصلاح الخلل ، وضمان
مستقبل أفضل ، وهناك من يساير الواقع كما هو ،
دون أن يتبنى موقفاً من المواقف السابقة ، ومع ذلك
فإن هذا في حد ذاته موقف

وقد استخلصت هذه « الاتجاهات » الأساسية
حول هذه القضية المهمة من معظم الانتاج الفكري
الذي دار حولها ، والذي تابعته عن قرب في الآونة
الأخيرة

فإذا جئنا إلى الأشخاص وجدنا ما يلي

هناك بعض المفكرين العرب يعلنون عن مواقفهم
بصراحة كاملة ، وبوضوح لا يترك بعده موضعا
للبلبلة

لكن هناك آخرين يقفون في معسكر ، وينادون
بشعارات معسكر آخر ، مما يثير الشك في قيمة ما
يعلنون

وأخيرا هناك الكتاب الذين لا يفصحون تماما عما

يـريـدون ، إمـا خـوفـا عـلى أنفسهم ، أو عـلى مكاسبهم

ويوحد بين هؤلاء جميعا الهادفون والمتحمسون ، الصادقون والمنتفعون ، والنتيجة أن القارىء العربي المعاصر يعيش عصرا ثقافيا مختلط المعالم ، وهذا على عكس ما يحدث عادة في الثقافات الأجنبية ، حيث الأمور بصفة عامة أكثر وضوحا ، والحدود الفاصلة بين الألوان أكثر تميزا

نموذج من الثقافة الفرنسية

ومن أجل الوصول إلى تحديد الأهداف الأساسية في المجال الثقافي والأدبي قام الباحث شارل بريان في كتاب له بالفرنسية عنوانه « مهنة الكاتب » باستقراء إجابات كبار الكتاب الفرنسيين عن سؤال « لماذا أكتب ؟ »

ولم يكن من الضروري توجيه السؤال على النحو الذي نقترحه نحن في هذا المقال ، وإنما اكتفى هذا الباحث الجيد باستقصاء تلك الاجابات من مؤلفات أصحابها ، القدامى والمحدثين

ومن المعروف أن معظم المؤلفين يشير إلى الدافع وراء كتابته بسرعة أحيانا ، وبتفصيل أكثر في أحيان أخرى ، في ثنايا عرضه لموضوع معين ، أو في مقدمة كتاب ، أو حتى في خطاب خاص إلى صديق ، وهذا ما أتاح للباحث الفرنسي أن يجمع حشدا هائلا من الاجابات عن سؤاله

والجدير بالذكر أن هذه الاجابات تكاد تغطي الثقافة الفرنسية كلها ، وبخاصة في مجال الأدب ، منذ مولدها حتى العصر الحديث

لهذا وجدت من المفيد أن أترجم بعض مختارات ، [illegible] معينة من هذه الاجابات على أن [illegible] أقتصر على المشاهير ، [illegible] حصرهم بطبيعة الحال

ويلاحظ أننا سوف نتجول في رحلة مفيدة ، مليئة بالمتنوعات والمتناقضات معا ، لكن الغرض الأساسي يسعي أن لا يغيب عن أذهاننا ، وهو أننا نسعى إلى تحديد دوافع الكتاب ، أو بتعبير آخر مواقفهم من مهنة الكتابة الجليلة التي يمارسونها ويتصدون بها ـ القيادة الفكرية لأممهم

يقـول « مونتـاني » الذي أيقظ الفكـر الفرنـ ـ كله

« إنني أكتب لأعرف نفسي »

ويقول في موضع آخر

لأرسم نفسي بنفسي »

أمـا « بـوالـو » صـاحب الكتـاب الشهـير « فن الشعر » فيصرح بأنه إنما يكتب من أجل المجد

« اعمـل من أجـل المجـد ، ولا تجعـل الكسب الأجوف موضوعا لاهتمامك ، فالحريمة أن يتحول العقل النبيل إلى الاستفادة من عمله »

لكن بوالو يعود فينصح الكاتب قائلا

لا تقدم للقارىء سوى ما يمتعه »

وإلى هذا الهدف أيضا يحد « لافونتين » صاحب « خرافات الحيوان » الشهيرة يشير وكأنما يشكو من الأوضاع السائدة في عصره

« في فرنسا لا يقدرون سوى ما يمتع ، وهذه هي القاعدة الكبرى ، وهي تقريبا الوحيدة »

ومن الطبيعي أن يتفق « موليير » الكاتب الساخر مع هذا الهدف ، فهو يقول

« إن قاعدة القواعد كلها هي الامتاع »

أما « راسين » كاتب المآسي الكلاسيكية فإنه ينوع الهدف من الكتابة ، حين يجعل

« القاعدة الأساسية هي الامتاع أو التأثير »

ويصرح « فولتير » ملهم الثورة الفرنسية بأن

« الكتاب المفيد هو الذي يعلم شيئا »

ومع ذلك فإنه لا يحصر هدف الكاتب كله ـ التعليم

« فما يسمى بالكاتب الذي يريد أن يعلم [illegible] إن فن الاملاء ينحصر في فوق كل شيء »

• وتمثل هدف عند « مدام دي ستايل » في تسجيل التجربة الانسانية لدى جيل ما ، من أجل حد ـ الأجيال اللاحقة ، تقول

« إن المسافر الذي تلقيه العاصفة فوق شاطىء ـ مأهول يسجـل على الصخـور أسماء الأطعمـة الـ ـ

ـها ، ويشير إلى المصادر التي استخدمهـا صد
ـ . لكي تكون هذه العلاقات مفيدة ذات يوم لمن
صون لنفس مصيره ، وكذلك نحن الذين أتينا
ـسادفة في عصر ثـورة ، ندين لـلأجيال القـادمة
ـرفة العميقة لاسرار النفس البشرية والمسالك عبر
ـموقعة التي تستخدمها الطبيعة المحافظة لتسـاعدنـا
ـى سطتها على الوجود »

أسئلة حائرة

ويفصـل الشاعـر ، « دي فيي » عـدة أهـداف للكتابة ، في مذكرات شاعر حين يقول

« أنـا لا أعرف لـماذا أكتب ؟ هل للمجـد بعـد الموت ؟ لا يبدو هذا هدفا محتملا ، أم هل للمجد في الحياة الدنيا ؟ وهذا ليس أكثر احتمالا ، أم للمال ؟ إن المؤلفات مهما تكاثرت فلن أعـود منها بـطائل ، لكني أحس بـالحاجـة لكي أقول للمجتمـع أفكارا توحد في داخلي ، وتريد أن تخرج »

ويعتبر « ستاندال » النجاح في مهنة الكتابة نوعا من لعبة الحظ التي قد تأتي بكل شيء ، كما أنها قد لا تأتي بأي شيء !

يقول بصدد الحديث عن كتابه الشهير « الأحمـر والأسود » « وهكذا بعد سنوات دفعتني عبـارات شاتوبـريان وسـالفان الغـزيرة والأنيقـة إلى كتابـة « الأحمر والأسود » بأسلوب ممرق ، وكـانت حماقـة كبرى ،لأنه بعد عشرين عاما من الذي كان يفكر في هـذا التقليد المشـوّه لهذين السيـدين ؟ أما أنـا فقد سحبت ورقـة « اليانصيب » ، وكـانت حـائـرتي الكبـرى هي أنني أصبحت مؤلفاتي مقـروءة في عام ١٩٣٥ م »

ومقابل « ضربة الحظ العشوائية » نجد « بلزاك » ـصرح بأن مهمة الكاتب تنحصر في البحث الواعي ـعوب عما أغفله مؤرخو الحضارات القديمة ، في ـر وفارس وبلاد اليونـان وروما من تفصيـلات ـ دلالة أخلاقية عميقة

هكذا ينحصر هـدف الكاتب في أن يستخـرج الأخلاقيات المختبئة في التاريخ ، ثم يلقي عليها ـوء لأبناء جيله ، عن طـريق وضعها في إطـار قصصي أو روائي جذاب

ومع ذلك فان بلزاك يرفـع شعار « الفن للفن » بكل صراحة عندما يقول

« ينبغي عـلى كـل إنسـان مـوهـوب بعمله ، أو مفطور على الابداع ألا ينسى أبدا أن يحمي الفن من أجل الفن نفسه ، ولا يطلب مسرات أخرى ، سوى ما يعطيه الفن عينه ، ولا كنوزا أخرى إلا ما يكشف عنها الفن نفسه في محرابي الصمت والوحدة

وأخيرا على الفنان الكبير أن يطرح تفوقه عندما يـدخل إلى هـذا العـالم ، ولا يتـولى بنفسـه مهمـة الدفاع ، لأنه بالاضافة إلى الزمن المسيطر يوجد فوقنا جميعا ما هو أقوى

ويختلف « انـاتـول فـرانس » مـع رأي بلزاك السابق ، فهو يـرى أن الكتابـة نوع من المشـاركة الحقيقية في الحياة الاجتماعية والسياسية ، إن لم تكن بديلا عنها ، فهو يرى أنه يكتب ليعمل ويؤثر ويصبح فعالا في البيئة المحيطة به يقـول عن أحد أبـطاله (الصحفيين)

« كان واير يشعر دائما أنه رئيس دولة ، وأنه خلق ليحكم شعبا ، وأنا لا أقول عنه ذلك لألومه ، بل عـلى العكس ، إنني أعتقد أن مثـل هـذا الشعـور ضـروري لأن يكتب الانسان كـما ينبغي ، وأن أي صحفي يفتقده فإنما يفتقد عـرْق الكاتب ، وليست الصفحة المكتوبة جيدا إلا فعلا جيد التنفيذ

ومـع التدقيق العميق في مهنـة الآداب نجـد أن الذين نجحوا فيها إنما هم أولئك الذين مـارسوهـا بحماسة واندفاع ، وعـدم قدرة عـلى الدخـول في العمل السياسي والاستمرار فيه انـظر إلى ريتز ، وسان سيمون ، وشاتوبريان وقد أصبحت لدينا الآن عادة جيدة ، وهي عندما يموت كاتب نمتدحه بأنه لم يكن سوى كاتب ، تماما كما نمتدح شخصا مقطوع الذراع بأنه ليس لديه الا ذراع واحدة ! »

أسباب معقولة لكتابة الشعر

وفيما يتعلق بكتابـة الشعر ، يـذكر « ليـون بول فارج » ثلاثة أسباب ، تبدو في نظرنا كلها معقولة ،

حين يقول

« إننا نكتب الشعر ، لأننا نحتاج إلى تحقيق النظام في فوضى المشاعر ، ولأن لدينا أذنا موسيقية ، ولأننا نجيد اللغة الفرنسية » .

أما « أندريه جيد » فهو يريد أن يحقق للأجيال اللاحقة نوعا من المشاركة في التجربة الانسانية التي مرت به ، والتي يعتقد أنها متشابهة على الرغم من اختلافات الزمان والمكان يقول

« إنني أكتب لمراهق ، فيما بعد ، شبيه بي ، في سن السادسة عشرة ، لكنه أكثر مني حرية ، وانطلاقا واكتمالا لعله يجد في كتاباتي هنا إجابة عن حيرته المترددة ، لكن ماذا سيكون سؤاله ؟ »

لهذا فإننا لا نعجب كثيرا عندما نجد لدى « أندريه جيد » رغبة في خلود الفنان بعد الموت ، عن طريق فنه ، وهي نفس الفكرة التي آمن بها « مارسيل بروست » ، وسجلها على نحو رائع في نهاية ساعيته الشهيرة « بحثا عن الزمن المفقود » عندما يقول

« إن الأسباب التي تدفعني للكتابة متعددة ، وأهمها فيما يبدو لي هو أكثرها سرية ، وربما كان هو وضع شيء بمنجاة من الموت ، وهذا ما يجعلني أبحث في كتاباتي من بين كل الخواص على تلك الخاصية التي لا يؤثر فيها الزمن كثيرا ، والتي تصمد أمام الصدمات العارضة ، إنه لكي يكون المرء مؤثرا لا بد أن يكون مخلصا »

مواقف متباينة

كذلك من الغريب أيضا أن نجد الكاتب الفرنسي الكبير « بول فاليري » الذي شارك بقوة وفاعلية في إثراء الحركة الثقافية والنقدية في فرنسا خلال النصف الأول من القرن العشرين ، نجده يصرح بأن الدافع وراء الكتابة إنما هو « الاحساس بالضعف » !

ويتمثل هدف الأديب عند الشاعر الكبير « بول كلوديل » في نزعة إنسانية شاملة ، وتمد للقارىء يدا حانية في خضم الحياة من حوله ، يقول

« دعني أعني لأعمال الرحال ، وليجد كل إنسان في أشعاري الأشياء التي يعرفها ، كما يشعر الانسان بالفرح عندما يتعرف من بعيد على منزله ، ومحطة القطار ، ومبنى البلدية !

وهذا الانسان بقبعته البسيطة الذي يمتد المكان حوله إلى ما لا نهاية وماذا يفيد الكاتب إذا لم يكن ممثلا لهذه الأشياء سواء كانت أشياءه هو ، أو الأشياء الأحدية ، أو الانسانية كلها »

أما رائد السريالية في فرنسا « أندريه بريتون » فإنه يقول

« كل ما أريده هو أن نسكت عندما نتوقف عن الاحساس » ، ومعنى هذا ببساطة أن الأدب السريالي ينبغي أن يعمل وهو في حالة نشاط ووجدان متوتر ، فإذا ما خفّت حدة هذا النشاط وبدأ صوت العقل والمنطق ، وجب عليه أن يلقي القلم من يده !

ولا شك في هذه العبارة المركزة أنها تلخص اتجاها فكريا بأكمله

وأخيرا نلتقي « بسارتر زعيم الوجودية الفرنسية الذي ينفي في كتابه (ما الأدب ؟) إمكانية أن يكتب الأديب لنفسه (معارضا بذلك فلوبير) قائلا

« إن الكتابة للنفس تعتمد على قراءة ضمنية من الأديب نفسه لما يكتبه ، وبذلك فنحن أمام شخصين فاعلين للعمل الأدبي الذي لا يمكن أن يرى النور إلا بواسطتهما

والنتيجة أن الكتابة عمل إبداعي ، لا يتم إلا في إطار المجتمع ، ومن خلال تفاعل كامل مع شتى المواقف التي تعرض للشخص فيه »

وبعد هذا الاستعراض السريع لتلك الاجابات المختلفة والمتناثرة عن مهمة الكتابة ، والهدف من العمل الأدبي لا يمكن القول بأننا أصبحنا قادرين تماما على تكوين حكم موحد على دوافع الأدب الفرنسي ، لأن مثل هذا الحكم بحاجة إلى تحليل أكثر عمقا ، ومقارنة أوسع شمولا ، لكن ما يكفي الآن إنما هو الامساك ببعض الخيوط التي تمتد مباشرة إلى أهم اتجاهات ذلك الأدب ، والوقوف من ذلك على حقيقة مهمة ، هي أن سؤال « لماذا أكتب ؟ » كان حاضرا دون استثناء على ما يبدو في أذهان أولئك الأدباء الكبار ، وهذا ما قصدت إليه ـ أساسا ـ من وراء هذا المقال □

اقرأ في العدد القادم من العربي

نوفمبر ١٩٨٨

بعد ربع قرن من الثورة
ردفان
العودة إلى "الجهاد الأكبر"!

سليمان الشيخ

تايلند
"أرض الأحرار" تبيع كل شيء حتى الإنسان!

سليمان مظهر

- الإسلام بين الإخاء والدماء!
  د. عبدالعزيز كامل
- مأزق الإبداع الأدبي..
  غالب هلسا
- أبوجعل .. خنفساء عُبِدَتْ!
  د. رسمية الحوطي
- الكوكايين .. شمبانيا المخدرات!
  د. جمال الدين موسى
- البداري.. والحادثة التي أسقطت الباشا
  صلاح عيسى
- عصور إنسانية عرفت القلق
  د. عبدالستار ابراهيم
- وجهًا لوجه: د. علي الوردي و د. جليل العطية

اقرأ أيضًا للكتاب:

محمد الرميحي - د. سمير رضوان - د. علي شلش - د. محمد علي الفرا - زينب عبدالعزيز - د. بهاء الدين محمود - د. صباح السامرائي - محمد عمارة.

وجبة علمية خفيفة



لحوم صناعية من الأوراق النباتية

بقلم : فوزي عبد القادر الفيشاوي

حينما نظر حولنا الى تلك الاحجام الهائلة من المخلفات الزراعية لايسعنا إلا أن نتساءل في دهشة ترى أليس من الأجدى محاولة الافادة منها بشكل عملي ؟ ألا يمكن تحويل هذه المخلفات (المشكلة) في حد ذاتها إلى حلول مهمة لمشاكلنا الغذائية ؟

حينما وقف عالم التغذية الشهير في معمله أمام جمع من زائريه ليشرح لهم طرقه الحديثة في انتاج لحوم البقر ، نظر عبر النافذة إلى تلك المساحات الشاسعة من حقول البرسيم التي تمتد على مدى البصر ، ثم استطرد يقول إني أستطيع تحويل هذا البرسيم وتلك الحشائش الخضراء الكثيفة إلى مئات الاطنان من لحوم البقر والغنم والماعز والدجاج والغزلان بعد ساعة واحدة

وسكت العالم هنيهة ، ووجم الزوار برهة ، وقد علت وجوههم علامات تدل على الدهشة حينا والاستنكار حينا آخر ، وبدا لهم أن محدثهم ربما لايعي ما يقول ، فأين هي تلك الحيوانات التي ستتكفل بأكل هذه المراعي الواسعة لتحول ما تأكله إلى لحم حلال ساعة واحدة ، كما يزعم هذا الرجل ؟ وحتى لايترك صاحبنا زائريه نهب للهواجس استطرد قائلا أرجو يا سادة ألا تنزعجوا مما أقول ، وحتى لاتساوركم الظنون عليكم بمشاهدة

العرض القصير ، وأشار الى شاشة بيضاء معلقة الحدار ، ثم صغط إحدى الاررار فظهر حانب أحد مصانع الاغدية الملحقة بالمزرعة ، وقد بدت احات صحمة محملة بالبرسيم والحشائش حصراء ، وهي تدحل أحد أقسام المصنع وبسرعة سعط عالمنا الهمام ررا آحر لتطهر المرحلة الاحيرة من تصنيع ، حيث بدت حطوط انتاج متعددة أحدها للسحق (السرسيمي) . وآخر لهمبورحر (ورق السابح) ، وثالث لشرائح لحم (ورق الباميا) ، ورابع حرجت منه عبوات « لشون » (ورق شحر) ، وحامس ، وسادس الخ ووسط مظاهر الدهشة والتعجب البادية على الوحوه تقدم صاحبنا فدعا زائريه لتدوق ... الاطعمة ، ولشدة إعجابهم صاح أحدهم ، وهو رحل وقور حقا إنها لذيذة ، لذيذة حدا ، وتشبه في طعمها اللحم لحمر . وربما تكون ألد مع كأس من عصير لبرسيم وقهقه الحاضرون سعادة ، بينما راح صاحبنا يطلعهم على سر هذا الدحاج وهو ليس بدحاج وهذه اللحوم وهي ليست بلحوم !

إحالة حيوانات اللحم إلى التقاعد

لس ببعيد دلك اليوم الذي تصبح فيه حيوانات اللحم . بجاموسها وأبقارها وعجولها ، مجرد ذكرى في تاريخ مثلما نتذكر بأسى أو بغير أسى ـ لاأدري ـ ديناصورات العصور العابرة . فلعل العلماء قد أعادوا النظر في الكيفية التي نستغل بها المخلفات الورقية للنبات والتي طالما استخدمها الانسان علفا حيوانيا على الرغم مما يعيبها من انخفاض في قدرتها حرارية . حيث لانستفيد من تغدية الحيوانات في منها لحومها الا بنسبة ضئيلة لاتتعدى ١٠٪ من ما بها المأكول . مما يمثل اسرافا لاداعي له على الاطلاق . وطالما يمكن استخراج تلك البروتينات النباتية مباشرة من مصادرها ووضعها على مائدة المستهلكين في صورة أغدية ، عالية في قيمتها الغذائية

ويعد ذلك ـ بحق ـ طفرة في تقنية التعامل مع المخلفات النباتية التي تقع في مركز الصدارة منها أوراق النباتات الخضراء ، لكن مادا يعني ذلك حقا ؟

إنه ببساطة نذير باقتراب موعد إصدار قرار بإحالة هذه الحيوانات الكسولة الى التقاعد ، أو على أحسن الاحوال ومع استعمال قواعد الرأفة في التعامل معها ، فسوف يتم تقليص دورها في تغدية الانسان

ولعل بعض الناس قد لايحلو له دلك ، فيصيح في تحد كيف يا هذا ؟ نحن نعلم أن آكلات العشب فقط وحدها القادرة على استخلاص الفائدة الكبرى من الاوراق النباتية ، أما الانسان وبقية الحيوانات غير المجترة فهي لاتملك الطريقة اللازمة لكسر جدار الخلية النباتية واستخلاص البروتين ، ولهذا فان فائدة الأوراق النباتية تقتصر بالنسبة للانسان على الاملاح المعدنية والفيتامينات وبعض الاحماض الامينية البروتينية الموجودة في صورة حرة ، هذا بالاضافة الى أنه من الناحية « الاكلينيكية » ، فان استهلاك أوراق النبات محدود بكمية المحشنات والمادة الليفية التي تتحملها أمعاء الانسان ، ناهيك ـ يا سيدي ـ عما أثبتته الدراسات الحديثة عن وجود عديد من المركبات غير المرغوب فيها ، ذات التأثير السام في معظم الأوراق النباتية ، مثل مركبات تسمى فينولات وقلويدات وسابونين وجلوكوسيدات ومثبطات نمو واحماض أمينية غير بروتينية سامة وغيرها . !

ومع احترامنا الشديد لكل الحقائق العلمية السالفة الذكر ، فإن القضية سوف تحسم على وجه آخر ، ذلك أن تزاحم الانسان والحيوان على نفس رقعة الارض ، مع احتمالات تناقص المخزون العالمي من الغذاء التقليدي ، كل ذلك سوف يحسم القضية في النهاية لصالح الانسان ، خاصة وان وسائل التقنية الحديثة في تصنيع الغذاء قد مكنت الانسان من حل تلك المشكلات السابقة ، حيث يسرت التقنيات الحديثة عمليات استخراج بروتين الاوراق النباتية والحشائش الخضراء في صورة مركبات عالية القيمة ، خالية من الالياف والمركبات السامة ومن

هنا لم يعد ثمة تخوف يستدعى المماطلة في الايغال بقوة الى ذلك العالم الجديد ، عالم بروتينات أوراق النبات الخضراء

أطباق شهية من البروتينات الورقية

نحن الآن في جولة داخل واحد من مصانع البروتينات الورقية المنتشرة في بعض الدول كاليابان والولايات المتحدة الامريكية والبرازيل وغيرها ، حيث نشاهد عن بعد شاحنات ضخمة محملة بالكثير من المخلفات الورقية والحشائش الخضراء والبرسيم وأوراق فول الصويا أو البطاطا والكاسافا وأوراق القلقاس والنامية . وقبل ماشئت من المخلفات الورقية التي تحتوي على نسبة من البروتين تتراوح بين ٢٥ / ـ ٣٠ /

في قسم آخر من المصنع تجري عمليات الغسيل ، ويليها طحن الأوراق الغضة وعصرها بطرق آلية للحصول على عصير الأوراق الاخضر ، ثم يعرض العصير لمعاملة حرارية تصل إلى ٧٥م°، ثم يمرر إلى جهاز للطرد المركزي يدور بسرعات هائلة ، ليفصل أول منتج بروتيني أخضر اللون ، يحوي على ٥٠ / بروتينا ، أما الجزء السائل المتبقي فله حكاية ، حيث يعامل بمحلول حامضي تضبط درجة حموضته (P H) على (٤) ، وهنا نشاهد عجبا ، حيث يترسب بسرعة بروتين ناصع البياض ، يجري فصله بالطرد المركزي أيضا ليعطينا منتجا بروتينيا يحوي على ٩٠ / بروتينا كم هو غني هذا المسح البروتيني !

والآن ، نحن في مرحلة تقنية عالية ، إنها مرحلة تشكيل هذه البروتينات لتصبح كاللحوم التي تعودنا عليها فهل تريد شرائح لحم محمرة ، أو سجقا ، أو (لنشون) أو همبرجر ؟ كل ذلك سهل وميسر ، فهناك نخلط هذه البروتينات مع دهن حيواني وبعض مكسبات الطعم واللون والرائحة الخاصة بلحم الدجاج أو الابقار ـ وإن شئت فطعم الغزال ـ مع نسبة من الماء لتصبح كالعجينة ، تدخل في جهاز عجيب يسمى « اكسترودر » ليتم تشكيل هذه العجينة على هيئة خيوط رفيعة طويلة مشابهة لالياف اللحم الطبيعي ، ثم تستكمل عمليات « غزل ونسج » الخيوط البروتينية داخل نفس الجهاز ، حيث يجري تجميع تلك الخيوط في حزم أشبه بعضلة اللحم وقد تشكل على هيئة شرائح أجزاء دجاج ، ليسهل تقطيعها والتعامل معها صدقني لن تفرق بينها وبين الطعم الطبيعي ، وا كنت من خبراء التحكيم ، وإن كنت من أمهر الطهاة !

وقد تمكنت كثير من شركات الاغذية في العالم من انتاج صور متعددة لمثل هذه اللحوم الصناعية التي تشبه في طعمها لحم البقر والدواجن والاسماك ويمكن تعليبها أو تجميدها أو تجفيفها ، وبإمكانك تناولها مباشرة ، فقد أجريت لها عمليات الطهي المناسبة أثناء اعدادها

والمدهش حقا أن إنتاج الكيلوغرام الواحد من هذه البروتينات الورقية المركزة يكلف حينها استرلينيا واحدا ، بالمقارنة مع تكلفة كيلوغرام اللحم التقليدي الذي يحتوي على ٢٠ / من البروتين وهي جنيهان ونصف جنيه استرليني

ولم تقتصر هذه التقنية الجديدة على دول العالم المتقدم ، فقد شملت عددا من الدول النامية مثل باكستان والهند ونيجيريا والبرازيل ومصر وغيرها ، وتعتبر الهند من أكثر دول العالم الثالث تقدما في مجال استخدامات البروتين لتغذية الانسان ، ففي المؤتمر الدولي الأول لبروتين ورق الشجر الذي انعقد في أوائل عام ١٩٨٣ في « أورانج باد » بالهند كانت وجبات إفطار المؤتمرين نوعا جديدا من « البسكويت » الاخضر المصنوع من بروتين ورق البرسيم ، ولم ينس العلماء ـ في نهاية مؤتمرهم ـ أن يثنوا على هذا « البسكويت » (البرسيمي) اللذيذ

تفاعل فلديك الأوراق

حينما نجح عالم الزراعة والتغذية الشهير « جورج واشنطن كارفر » في انتاج أكثر من ٣٠٠ منتج من الفول السوداني ومخلفاته ، علاوة على أكثر من ١٧٠ منتجا من مخلفات البطاطا ومئات أخرى من المنتجات كلها من المخلفات الزراعية ، وحينما تحلق حوله كوكبة من تلامذته النابهين ، همس لهم « ابحثوا

عن استعمالات لهذه المخلفات الزراعية ، واعلموا ن بها أسرارا لن نفهمها مالم نتعلم كيف ننسجم معها » هكذا كانت كلمات الرجل الذي قال عنه الرئيس الامريكي « روزفلت » « إنني لأعتبر نفسي موفقا أعظم التوفيق إذ اجتمعت به يوما ، وتحدثت اليه ، إن الانسانية بأسرها مدينة لمكتشفاته التي كانت مثار الدهشة ومدعاة العجب »

وهكذا ، فإذا أردت أن تتساءل ـ حقا ـ حول مستقبل الغذاء في العالم فانظر الى تلك الاحجام الهائلة من المخلفات الزراعية ، وتساءل عما يمكن عمله بكل هذه المقادير ؟

وحينما تساءل العلماء عما يمكن عمله بالمخلفات الورقية للنبات كانت النتيجة عشرات من المنتجات البروتينية عالية القيمة الحيوية ، فهي معامل التحليل كانت الشهادة الاولى لجودة تلك البروتينات ، حينما أكدت غناها في مجموعة من الاحماض الأمينية الضرورية مثل الليسين والتربتوفان ، وهي الاحماض المحدودة في الحبوب كالذرة والقمح وغيرها ، ولاشك أن لمثل هذه الاشارات أهميتها في تعضيد دور بروتينات الأوراق كإضافة غذائية لأنواع الدقيق والعجائن الغذائية ومنتجات المخابز المختلفة لتعويض النقص فيها ورفع قيمتها الحيوية

ولم تقل نتائج تغذية الحيوان ـ في أهميتها ـ عن نتائج المعامل ، فقد جرت تجارب تغذية على الدواجن ، لتؤكد دور البروتينات الورقية في زيادة معدلات النمو ، كما أمكن استبدالها بنصف « كازين » علف العجول الرضيعة بكفاءة عالية

وإذا كنا قد اتفقنا على أن الانسان هو الهدف الرئيسي لابحاث البروتينات الجديدة ، فإن هناك كثيرا من تجارب التغذية التي أجريت على الانسان في عدد من الدول ، وشملت الاعمار المختلفة ، ومن هذه التجارب تلك التي أجريت عام ١٩٦٢ على مجموعة من الاطفال المصابين بسوء التغذية في جامايكا حيث جهزت لهم وجبات احتوت على لبن فقط ، وأخرى احتوت على لبن مع بروتين الأوراق بنسبة (١ : ١) ، وقد بينت النتائج أن وجبات بروتين الورق كانت متكافئة تماما في قيمتها الغذائية مع الوجبات المحتوية على لبن فقط.وفي دراسة شيقة نشرتها مجلة لايف **Life** عام ١٩٧٣ تبين أن إضافة ١٠ جرامات من بروتين الأوراق الى وجبات الاطفال النيجيريين المصابين بمرض «الكواشيوركور» (نقص البروتين) مدة ١٠ أيام فقط ، يؤدي الى تحسن واضح في صحتهم العامة وتيقظهم الذهني

وهناك تجارب مماثلة اجريت على الاطفال ، أجراها عالم التغذية الامريكي « نورمان بيري » جاءت مؤكدة على دورها في تحسين الحالة الصحية ، بل وسجلت إقبال هؤلاء الاطفال على وجبات البروتينات الورقية ، ومثل هذه النتائج أكدتها دراسات العلماء في مدينة ايبادان بنيجيريا ، حيث أقبلت ربات البيوت بشكل واضح على منتجات البروتينات الورقية وتجارب أخرى كثيرة كلها تؤكد أننا أمام مصدر بروتيني جديد ، يدعو للتفاؤل.

وبعد

لاشك أن هناك تغيرات مهمة على الجبهة العلمية والصناعية، تستجمع قواها ، وهناك هجوم تقني بعد ، سيبدل الانماط الغذائية والاستهلاكية لمجتمعات العالم المتحضر منها والنامي ، مادته هي بروتينات أوراق النبات الخضراء هكذا يتوقع العلماء وهكذا يؤكد د ملتون بيلر وزملاؤه في الجامعة التقنية بولاية تكساس الكل يتوقع أن موعدنا قريب جدا مع بروتينات أوراق البرسيم الحجازي أو الاجزاء الخضرية للبنجر وأوراق الشجر بل حتى أوراق التبغ ، حيث تذكر الدراسات أن في الولايات المتحدة الامريكية فقط حوالي ٢١ مليون طن من البقايا النباتية كل عام وهي تحتوي على أكثر من ٤٠٠ ألف طن من البروتين ، ينتظر استخلاصها والاستفادة منها

ويرى علماء التغذية أن بروتينات الأوراق لاتعد مصدرا مهما لأغذية المستقبل فقط ، بل إن المستقبل يبدو الآن وقفا على البروتين المستخلص من أوراق النبات ! □

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) الفتح (١ - ٣)

عن قتادة ، عن أنس ، قال أنزلت هذه السورة على النبي (ص) عند مرجعه من الحديبية ، نزلت وأصحابه مخالطون الحزن ، وقد حيل بينهم وبين أداء العمرة التي خرجوا من المدينة من أجلها

ابرم صلح الحديبية بين النبي وقريش في ذي القعدة من العام السادس الهجري وكانت النقطتان الرئيسيتان في اتفاقهما وضع الحرب بينهما مدة عشر سنوات ، تكون تجارة قريش خلالها آمنة من هجمات المسلمين ، ويكون للرسول فيها حق العمل في حرية من أجل نشر الاسلام في شبه الجزيرة العربية وقد أثار الاتفاق استياء أصحاب النبي الذين اعتبروه تنازلا منه غير مفهوم وليس له ما يبرره ، والواقع أن غالبية الحاضرين من المسلمين كرهوا الصلح واستنكروه ، وخاصة أنه قد جاء بعد أيام قليلة من بيعة الرضوان التي أبدوا جميعا فيها حماسا بالغا للقتال وقد كانوا خرجوا من المدينة لا يشكون في الفتح لرؤيا النبي أنه حلق رأسه وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة وعرّف مع المعرّفين فلما رأوا الصلح وقد نص على عودتهم ذلك العام دون أداء العمرة « دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون » (الواقدي) وكان أبو بكر بعد ذلك يقول « ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله تعالى لا يعجل كعجلة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد الله »

وكان عمر بن الخطاب من أشد الكارهين لما اشتمل عليه الصلح من شروط ، فلما تم الاتفاق ودعا النبي علي بن أبي طالب لكتابة الكتاب وثب عمر إلى النبي وقال « ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا بالمسلمين ؟ » قال : « بلى » قال ألسنا على الحق ؟ قال « بلى » قال أليس عدونا على الباطل ؟ » قال « بلى » ، قال عمر فلم نعطي الدَّنيَّة في ديننا ؟ قال النبي « أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف امره ، ولن يضيعني » فعاد عمر يقول « أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به وأنك ستأخذ مفتاح الكعبة ؟ هذا هديُنا لم يصل إلى البيت ولا نحن » ! قال محمد « قلت لكم في سفركم هذا » ؟ قال عمر . لا قال النبي أَمَا إنكم ستدخلونه ، وآخذ مفتاح الكعبة ، وأحلق رأسي ورءوسكم ببطن مكة » بيد أن عمر ظل يردّد الكلام على النبي ويصيح · « علام نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا ؟ والنبي يكرر قوله · « أنا رسول الله ولن يضيعني » وأخيرا صاح أبو عبيدة بن الجراح بعمر « ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما

ـول ؟ تعوذ بـالله من الشيـطان واتّهم رأيـك » .
التفت النبي إلى عمر كأنما قصد أن يذكره بمراره عنه يوم أحد « أنسيتم يوم أحد إذ تُصْعِدون ولا تلْوُون على أحد وأنـا أدعوكم في أُخْـراكم ؟ أنسيتم يـوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ؟ »

غير أن عمر لم يقتنـع ومضى إلى أبي بكر يكـرر سؤاله « ألسنا بمسلمين ؟ ألسنا على الحق ؟ » فقال له أبو بكر « يا عمر الزم أمره فإني أشهد أنه رسول الله وأن الحق مـا أمر بـه ودع عنك مـا تـرى يـا عمر » وكان عمر يقول عن ذلك اليوم فيما بعد . « ما أصابني قط شيء مثل ذلك اليوم لقد ارتبت ارتيابا لم أرتبه منذ أسلمت إلا يـومئذ ، وراجعت النبي مراجعة ما راجعته مثلها قط والله لقد دخلني يومئذ من الشك حتى قلت في نفسي لو وجدت مائة رجل على مثل رأيي يخرجون عنهم رغبة عن القضية لخرجت وإني لأذكر ما صنعت خاليا فيكون أكبر همي ثم جعل الله عاقبة الصلح خيرا ، وأسلم في الهدنة أكثر ممن كان أسلم من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية وكان رسول الله أعلم » .

ثم أذّن محمد بالرحيل فارتحلوا وسار عمر إلى جوار النبي يكلمه فلا يجيبه النبي بكلمـة فحزن عمر ، وحرك بعيره بعيدا وهو يخشى أن ينزل فيـه قرآن لما كان منه وإذ هو يسير مهموما مع الناس ، والناس قد خالطهم الحزن والكآبة ، إذ مناد ينادي يا عمر بن الخطاب هلم إلى رسول الله فأقبل عمر مسرعا حتى انتهى إلى النبي فقـال له النبي وهـو يبتسم « أُنزلت عليّ سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليـه الشمس ! » وسمع النـاس قـولـه فجعلوا يتسـاءلون « أُنـزل على رسـول الله قـرآن ! » فركضوا حتى توافوا عند النبي ، فشرع يتلو عليهم سورة الفتح

« إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً . »

ومع ذلك فما أدرك المسلمون إلا بعد مدة أن النبي بإبرامه صلح الحديبية الذي كرهوه ، إنما قام بحركة سيـاسية بـاهرة ، وحقق نصـرا كبيـرا زاد مـركـزه السيـاسي قوة عـلى قوة . والـواقع أن مـا أبداه في الحديبية من ضبط للنفس واستعداد لقبول ما رأى فيه بعض إذلالاً بصدد مسائل غير ذات أهمية كبيرة من أجل الوصول إلى الهدف الضخم ، لَدليل على كفاءة خارقة وقدرات ذهنية هائلة ، وتصميم قوي على أن يحتفظ دائما في يده بزمام الموقف حتى لو اضطره ذلك الموقف إلى بعض التنازل فما مرت الأيام حتى بدت واضحة للجميع وفي متناول الأيدي ، ثمار حكمته.

لقد حقق صلح الحديبية كل ما كان يرجوه وقت خروجه من المـدينة لأداء العمـرة ، وفوق مـا كـان يـرجوه ، وكـان ذلـك دون أن تفقـد قـريش مـاء وجهها بات أهل مكة يعترفون بذلك المهاجر الذي ازدروه طـويلا واحتقـروا شـأنـه نـدًّا لهم مستقـلا يعقدون المعاهدات معه . وقد تركت فخامة مسيرته وكثرة هدْي المسلمين وتوقير أصحابه إياه أثرا عميقا في نفوس أهل مكة ، بحيث بدأت قريش ترى أنه ليس في صالحها الاستمرار في معاداة ابنها ، وخاصة بعد أن أبدى الاسلام من التوقير للكعبة والاحترام للحج ما ضيّق من مجـال الخلاف مـع هذا الـدين الجديد

وقد أتاح وضع الحرب الفرصة والوقت أمام النبي لنشر الدين بين القبائل العربية الأخرى ، أو الدخول على الأقل معها في محالفات وعلاقات ودية ، مما عزز قوته ومكنـه في النهايـة من فرض إرادتـه على مكـة.

على أي الأحوال فقد استقرت هدنة دامت نحو سنتين فشا الاسلام خلالها في كل ناحية من نواحي العرب حتى دخل فيه عدد أكبر من عدد معتنقيه منذ بدء الدعوة ، منهم بعض صناديد قريش كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد والدليل على ذلك أن النبي خـرج إلى الحـديبيـة في نحـو ألف وخمسمـائـة من المسلمين . فلما خرج بعد ذلك بعامين لفتح مكة ، كان جنده نحوا من عشرة آلاف رجل .

يصدر في ١٥ أكتوبر ٨٨

كتاب العربي

الحادي والعشرون

ماذا في العلم والطب من جديد؟

بقلم مجموعة من الكتاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي

قـــراءة نقـــديـة في كتاب :

وسمية تخرج من البحر

روايـة من تأليف : ليلى العثمان

بقلم / سمر روحي الفيصل*

يحلل الناقد العناصر الرومانتيكية في رواية « وسمية تخرج من البحر » . ويرى أن هذه العناصر ليست قاصرة على هذه الرواية بل انها موجودة أيضا في الرواية السابقة عليها « المرأة والقطة » للكاتبة فهل تعني هذه الظاهرة نوعا من الردة إلى الخطاب الرومنتيكي ، وقبل أن نصل الى إجابة عن سؤال الناقد ندعوك لقراءة هذا المقال . .

تتعدد قراءات النص الواحد ، وتتباين في أحايين كثيرة تبعا للقارىء ، ولطبيعة النص المقروء واذا كانت حقائق النص الأدبي كحقائق النقد احتمالية دائما ، فان القراءة التحليلية للنص الأدبي تهدف الى الكشف عن طبيعة الخطاب الكامن في هذا النص ، والخروج منها بخطاب نقدي لايدعي الاستئثار بالحقيقة ، ولا يرى شيئا خارج ما يضمه النص المقروء

أما النص المقروء هنا فهو رواية « وسمية تخرج من البحر » الصادرة عام ١٩٨٦. ولليلى العثمان ، صاحبة هذا النص ، رواية أخرى هي « المرأة والقطة » صدرت عام ١٩٨٥ وقد يلاحظ القارىء ان طبيعة الخطاب في الرواية الأولى لاتختلف في جوهرها عن طبيعة الخطاب في الرواية الثانية ، ولهذا السبب سمح لقراءة « وسمية تخرج من البحر » بالامتداد الى « المرأة والقطة » ليستمد من هذا النص ما يجعل القراءة أكثر دلالة على طبيعة الخطاب الروائي عند ليلى العثمان وعلى الرغم من أن هناك ما يغري الباحث بالتماس مصداقية الخطاب الأدبي في الروايتين من النصوص القصصية التي نشرتها الكاتبة ، بدءاً من مجموعتها الاولى « امرأة في إناء » (١٩٧٦) وانتهاء بمجموعتها الأخيرة « فتحية تختار موتها » (١٩٨٧) ، إلا أن ذلك يتجاوز حدود هذه المقالة وهدفها

الخطاب الأدبي الذي وجهته « ليلى العثمان » الى القارىء عبر روايتها « وسمية تخرج من البحر »

* كاتب وناقد من القطر العربي السوري

خطاب « رومنتيكي » فهي تقدم للقارىء حكاية حب بين فقير اسمه « عبدالله » وغنية اسمها « وسمية » جمعتهما الطفولة بلهوها البرىء وأيامها الجميلة ، ثم حالت العادات والتقاليد دون لقائهما بعد بلوغهما مبلغ الشباب ، فبقي كل منهما يرنو الى الآخر وإن لم يره وحين نجح « عبدالله » في أن يلتقي وسمية على شاطىء البحر في الليل فاجأهما أحد حراس الشاطىء ، فهربت « وسمية » لتختبىء في البحر خوف الفضيحة ، وبقي « عبدالله » وحده على الشاطىء ولما ابتعد الحارس هرع عبدالله الى البحر ليعيد وسمية ، فاكتشف أنها غرقت وأنه لا مفر له من أن يبقيها في البحر لئلا يفتضح أمر خروجها من منزلها ليلاً ثم عاد الى منزله وقص على أمه ماجرى لوسمية ، فذهبت أمه الى أم وسمية ولفقتا معاً حكاية ذهاب وسمية مع أمها وأم عبدالله الى الشاطىء مساء ليغسلن الثياب ، فابتلع البحر « وسمية » دون أن تتمكن المرأتان الأخريان من إنقاذها أو العثور على جثتها وقد نجحت الحكاية الملفقة في اقناع الناس حين أعلنت أمامهم صباح اليوم التالي ، لان والد وسمية وأخاها مسافران ، ولأن أم عبدالله اعتادت عون أم وسمية في العمل لقاء أجر معلوم

عناصر رومانتيكية

يشير التلخيص السابق لموضوع « وسمية تخرج من البحر » الى عنصرين رومانتيكيين هما الحب البرىء الذى جمع بين قلبين أحكمت أواصر الألفة بينهما خلال الطفولة . والقدر الذى اغتال الحب في أول لقاء جمع بين الحبيبين وهناك مسوغ روائي لهذين العنصرين هو عادات المجتمع الكويتي قبل النفط التي كانت تمنع الحب وتعزل المراهقين والمراهقات إذا كانوا من طبقات اجتماعية مختلفة كما هي حال عبدالله الفقير ووسمية الغنية ويضيف القول الفني للخطاب الروائي عنصرا رومنتيكيا ثالثا هو انطلاق السرد من الحاضر ـ حاضر مرحلة النفط ـ الى الماضي في نوع من الحنين اليه ويرسخ هذا العنصر تغير البيئة حول عبدالله (تبدل الأحياء والمنازل والمجتمع بعامة وتهدم منزل وسمية بخاصة) ، وتعس زوجته التي بنى بها بعد أن فقد وسمية بسنوات كما يضيف القول الفني عنصرا رومنتيكيا رابعا هو ذلك الهيام بالبحر، وقد كان هذا الهيام مشتركا بين وسمية وعبدالله ، وهو ـ في الحاضر ـ مقصور على عبدالله وحده ، لأن زوجه لاتحب البحر ولا ترغب في أن يعمل زوجها صيادا فيه ويترك وظيفته في الحكومة من أجله

إن عناصر الخطاب السابقة تدعو كما هو واضح الى المحافظة على حقوق القلب ، ورفعها فوق القوانين التي استنّها المجتمع ، سواء اكانت عادات وتقاليد أم تفاوتا اجتماعياً بين الفقراء والاغنياء، كما تدعو الى العودة الى الطبيعة ، بل الهيام بها ، وتتفنن في وصف جمال البحر وفائدته ، وتكاد تشخصه وتحاوره وتراه الحبيب الوحيد الذى لايغار من أن يشاركه في الحب حبيب ثان وقبل ذلك كله تغلب عناصر الخطاب الادبي السمة العاطفية عند الانسان وتضعها قبل الارادة والعقل ، وتراها الهادي في دروب الحياة ، وتكاد تربط الحكاية كلها بها وهذا كله مشترك بين الرومنتيكيين ، شائع في الخطاب الأدبي لديهم ، غير أن ليلى العثمان لا تكتفي به ، وإنما تضيف اليه سمات أخرى ليست منه وإن كانت معروفة في الساحة الأدبية العربية وغيرها فهي لا ترفض الحاضر (أو المدنية) جملةً وتفصيلاً ، وإنما ترفض الحاضر الذى يتخلى عن الماضي ، ولا تحن الى الماضي تمجيدا له أو هرباً من الحاضر القاتم ، وإنما تنظر اليه نظرة انتقادية ترسخ ما فيه من تعاون وألفة وحب بين الناس ، وتستنكر ما بلي من عاداته وتقاليده فاذا هجر الحاضر البحر ونفر منه فقد هجر شيئا مفيداً ، واذا تمكن الماضي من قمع العلاقات العاطفية وتقييدها فقد كبت مشاعر انسانية لابد لها من التحقق سراً أو علانية ، وهذا النزوع الانتقادى حقن الخطاب الرومنتيكي بشيات واقعية ، لكنه لم يكن من القوة بحيث يجعل الطبيعة الرومنتيكية لهذا الخطاب تقترب من الواقعية ، وتبتعد عن جعل الذات موضوع الخطاب والمؤثر في عناصره .

الخطاب في رواية « المرأة والقطة » رومنتيكي
ضا ، لكن هناك تغليبا لعنصرى الحب والمشاعر
لانسانية على العناصر الرومنتيكية الاخرى أما
لمشاعر الانسانية فتتجلى في العلاقة بين سالم وقطته
دانة ، فقد ألفها ورعاها وأحبها لكن عمته قصمت
ظهر هذه المشاعر ورمت بدانة في المرحاض فماتت .
وأما الحب فقد تجسد في علاقة سالم بزوجه حصة ،
وقد قضت عمته على الحب حين خنقت حصة
بالحبل وهكذا كان سالم في الرواية تعبيراً عن حقوق
القلب ، في حين كانت عمته تعبيرا عن القدر الذى
يغتال الحب دون أن يتمكن أحد من تقديم مسوغ
مقنع لمصائبه التى تترى على رؤوس البشر

لكن العمة تمثل ـ من جانب آخر ـ عنصراً رومنتيكياً ثالثاً هو الميل الى الشاذ في المجتمع . إذ أنها امرأة شريرة وليس هناك ارتباط بين كونها عانسا وكونها شريرة ، ولم تسع الرواية الى قرنهما معا ، وانما سعت الى ابراز الجانب الشرير في شخصيتها فهي لاتهدأ إذا لم تنغص حياة أخيها وابنه سالم ، واذا لم تقدهما الى الأمر الذى ترغب فيه

مواجهة دون صراع

وقد وضعت ليلى العثمان العمة الشريرة في مواجهة براءة سالم ونقائه الداخلي ، ولكنها لم توقد شرارة الصراع بينهما وإنما تركت العمة تدمر ابن اخيها ، وتركت القارىء يتعاطف مع مشاعر هذا الفتى وحبه وقبل ذلك كله اختارت الماضي (ما قبل مرحلة النفط في الكويت) زمنا للرواية لكن اختيارها لم يكن حنينا الى الماضي ، وإنما كان انتقادا للشر المتأصل في بعض أفراده ، وترسيخا للحب الذى أعلنه بعض آخر ، وكأنها تقابل الشر بالحب لتعلي من قيمة الثاني وتحرض القارىء على إزالة الأول من النفس البشرية . وربما كان ذلك مسوغاً لقيادتها السياق الروائي باتجاه انتصار الشر على الحب في صورة نجاح العمة في القضاء على دانة وحصة دون أن يعاقبها أحد على أفعالها الشريرة . بل أن سالما اتهم بقتل حصة ، واودع السجن ثم مشفى الأمراض العصبية .

واذا كان الخطاب الرومنتيكي في « المرأة والقطة » أكثر تنوعا وحركة ، فان الخطاب في « وسمية تخرج من البحر » أكثر عمقا وأقرب الى التأثير في وجدان القارىء . ومهما يكن أمر تعدد العناصر الرومنتيكية وعمقها فان الخطاب النقدى معني ببيان تأثيرهما في بناء النص وأول ما يطالعنا في هذا الشأن تأثير الخطاب الرومنتيكي في بناء الشخصية فقد رسمت الشخصية في الروايتين كلتيهما على أنها احادية الجانب ، لا تملك غير الحب (أو الشر في حالة عمة سالم) شاغلا في الحياة ، وهي في الروايتين نقية بريئة ، تحب أمها وتكاد تقدسها ، كما أنها معزولة



عن المجتمع ، ليس لها عمل تقتات منه أو أصدقاء تركن اليهم أو هموم تؤرقها وشجون تقلقها لاشىء في الشخصية الرئيسة غير الحب تتحدث عنه طوال النص . ولا تختلف الشخصيات الثانوية والهامشية عن هذا الأمر . فأم عبدالله لا تعرف غير العمل ، وأم وسمية لا تعرف غير الحنان ، وعمة سالم لا تعرف غير الشر ، وأبو سالم لايعرف غير الخضوع لأخته . وعلى الرغم من أن هناك في الروايتين شخصيات أخرى غير البطل وحبيبته ، إلا أن هذه الشخصيات الأحادية الجانب أيضا ليس لها (ما عدا عمة سالم في المرأة والقطة) أثر يذكر في سياق الرواية .

شخصيات أحادية

إن الخطاب الرومنتيكي في روايتي ليلى العثمان لم ينتج شخصية رومنتيكية أحادية الجانب وحسب ،

وإنما جنح بالنص الى القصة ، ورسم له بناء واحداً يبدأ دائما بالحاضر ثم يتركه عائداً الى الماضى لبسرد الحكاية التى تمت فيه . ويستند في أثناء السرد ، الى ضمير المتكلم (الرؤية مع ، بحسب مصطلح تودوروف) بغية استعادة ما تحتويه ذاكرة البطل ،

وكي تسوغ نجواه الذاتية كما يستند الى ضمير الغائب (الضمير الثالث) في التعليق وسرد ما يتعلق بالشخصيات الاخرى وللخطاب الرومنتيكي تأثير آخر هو دفع النص بعيداً عن الحياة الاجتماعية في تنوعها وغناها وتعقدها ، إضافة الى أن هذا الخطاب جعل القارىء سلبيا يتلقي الحكاية المغلقة . وعليه أن يقتنع بالتفسير الذى تقدمه للحدث أما توفير الفرصة لهذا القارىء ليرى في احدى الشخصيات ما يعرفه عن نفسه أو في غيره ، وأن يشارك في الانحياز الى رأي أو يناهض اتجاها أو يلجأ الى التأويل بعيدا عن هيمنة السارد الواحد الذى يوهم بأنه حامل « ايديولوجية » الكاتبة ، فذلك كله أمر يتلامح في روايتي ليلى العثمان دون أن يخالط نسيجها

سمة ذاتية

في « وسمية تخرج من البحر » كما في أى عمل حكائى صيغ تنهض بفعل الحكي وبالقائم به ، ومن ثم تؤطر العرض ، أى تقدم النص الروائي كما يطالعه القارىء أما الحكي فهو القصة ، وأما القائم به فهو الراوي ، وأما المحكي له فهو القارىء ويفترض أن يكون الخطاب هو مضمون الحكي أو الرسالة التى ينقلها الراوى الى القارىء ولأن الخطاب في « وسمية تخرج من البحر » رومنتيكي يمر عبر قصة الحب بين عبدالله ووسمية ، وهي قصة ذاتية تمس البطلين وتتصل بهما وحدهما ، فقد اتسم السارد لهذه القصة بالسمة الذاتية نفسها وقد احتفى هذا السارد الراوى خلف شخصية البطل عبدالله ، وراح يسرد ما يعرفه وما تراه عيناه مستعملا ضمير المتكلم ومن ثم سردت القصة من وجهة نظر واحدة ، هي وجهة نظر عبدالله أما وسمية وأمها ومريوم الدلالة (ام عبدالله) فلا نعرف عنهن

إلا ما يخبرنا به عبدالله وسبق القول ان عبدا لايقيم علاقات اجتماعية في الرواية ، وليس له عم يقتات منه ، وإن تفكيره منصرف طوال النص ا وسمية ، بل إنه التقى وسمية بعد أن غادرا مرح الطفولة مرة واحدة ليس غير لهذا كله كان م البديهي أن يعتمد بناء هذه الشخصية الرومنتيكية على شيئين . « النجوى الذاتية » « والوصف » وكان البديهي أيضا أن يتسم السرد الذى يقدم هذين الشيئين بالسمة الذاتية ، وبالاعتماد على المنظور النفسي الداخلي ويصعب على الباحث العثور على مقطع من مقاطع النجوى الذاتية أو الوصف الداخلي والخارجي للمكان والمشاعر والأفكار والشخصيات بعيدا عن المنظور النفسي الداخلي ، أى من خلال إدراك عبدالله لما يراه ويحيط به ويفكر فيه

ولعل براعة ليلى العثمان في رسم الشخصية الروائية تتجلى في قدرتها على تقديم سلسلة من الوصف الذاتي ، وسيل من النجوى الذاتية ، يشعر القارىء معهما أنه قريب من الشخصية الروائية ، يعرف أدق مشاعرها وأفكارها غير أنه يرى البحر بعين عبدالله ، كما يرى أمه وزوجه ووسمية وأمها بعينه أيضا ، فيضطر أن يحب ما يعرضه عبدالله محبوبا ويكره ما يعرضه مكروها . وعلى الرغم من أن هذا كله ينم عن قدرة ليلى العثمان على تجسيد شخصية عبدالله أمام القارىء إلا أنه في الوقت نفسه ليس العمل الملائم للنص الروائي

فالقارىء نفسه لايرى من عبدالله غير جانب واحد هو الحب ، ولا يرى من الشخصيات الاخرى الا ما يتصل بهذا الحب أما المجتمع فغائب ما عدا اشارات الى التفاوت الطبقي بين عبدالله ووسمية ومن ثم لا يتابع القارىء صراعا ، ولا يلاحظ توترا في الحوادث ، وإنما يتابع قصة حب رائعة يغتالها القدر المفضل لدى الرومنتيكيين لانه يقدم لهم حلولا لخواتيم روايتهم ، وللمشكلات النابعة من المآزق الاجتماعية وهذه الردة الى الخطاب الرومنتيكى في النثر القصصي العربي بدأت تتضح في هذه الأيام فهل لذلك دلالة ما ؟ □



التعليم عن بُعد :

لتعميم التربية في سنة ٢٠٠٠

بقلم : الدكتور مصطفى المصمودي

إن الدفع الكبير لنشر التعليم الذي تشهده الإنسانية في مختلف أنحاء العالم أدى إلى إقبال على المؤسسات التربوية لم يشهد له التاريخ مثيلا ، فهل تظل قاعات الدرس قادرة على استيعاب الأعداد الكبيرة من الطلبة أم أنه آن لنا أن نفكر في طرق أخرى للتعليم ؟

اكتظت المدارس والمعاهد بالتلاميذ ، وتجاوز إقبال الطلبة على الجامعات طاقاتها في الاستيعاب ، وأصبح الحديث عن نشر برامج العلم والتأهيل عبر الشاشة الصغيرة سائرا على كل لسان ، واشتهرت عبارة الجامعة المفتوحة ، ذلك أنه لا يمكن لأحد أن ينكر في الظرف الراهن ما لوسائل الاتصال من دور فاعل في العمل الإنمائي الشامل

ويكفي أن نستكشف المجال الذي شملته الدراسات لكي ندرك بعض المظاهر العامة لهذه المسألة وقد يتضح من خلال التجارب والبحوث التي أجريت بصفة منفصلة في بعض البلدان ، أن هناك عدداً لا يستهان به من البيانات التي يمكن أن نستخلص منها عبرا كثيرة

الناس ووسائل الاعلام

نحن نلاحظ التزايد المطرد للأفراد الذين يخصصون جزءا كبيرا من أوقات فراغهم لقراءة الصحف والمجلات والاستماع للإذاعة والمسجلات الصوتية ولمشاهدة التلفاز على وجه الخصوص

ويقضي الأطفال في بعض البلدان أمام شاشة التلفاز وقتا أطول من الوقت الذي يقضونه في المدرسة وقد اتضح من دراسة أجريت باستراليا أن الطفل في هذا البلد يقضي ٢٠٠٠ ساعة أمام التلفاز قبل أن يلتحق بالمدرسة ، أي ما يعادل سنتين دراسيتين

وتكشف الدراسة نفسها عن أن المواطن الاسترالي يقضي ما يعادل سبع سنوات من حياته في الاستفادة من وسائل الاتصال ، وقد بينت دراسات أخرى أن الزمن المخصص للتلفاز في البلدان المصنعة يتراوح بين ٥٨ و ١٩٠ دقيقة في اليوم

ومن جهة أخرى أثبتت البحوث التي أجريت بأوربا تأثير التلفاز على سلوك الأفراد ، وبخاصة الشبان ، وبينت في الوقت نفسه أنه إذا كانت وسائل الاتصال تدعم الاستعدادات الثابتة لدى الكهل ، فإنه ليس بمقدورها إحداث الأثر نفسه في بعض الميادين لدى الطفل ، إذ تنصهر عنده بعض التصورات والميول والعادات أكثر من غيرها

ولقد أكدت هذه الدراسات أنه إذا كان تأثير المحتوى العاطفي يدوم وقتا طويلا ويتجاوز أحيانا ثلاثة أسابيع ، فإن قدرة الاستبقاء لدى نفس الطفل بالنسبة للبرامج ذات المحتوى العلمي لا تكتسب نفس الأهمية

لذلك فالمشكلة الأولى التي تتطلب مزيداً من العمق في البحث ، هي دراسة العلاقات القائمة بين المدرسة ووسائل الاتصال الجماهيرية وآفاق تطورها ، فالآراء ليست دائما متطابقة

ثم إنه لا بد من الاعتراف بالفوارق القائمة بين مفهومي التثقيف عن طريق البرامج التلفازية العادية والتربية عن بعد من خلال وسائل الاتصال الحديثة فيها الحاسوب والقمر الصناعي

مزايا المدرسة وحدودها

إنه بالإمكان إبراز هذه المزايا واستجلاء حدود تأثير المدرسة النظامية من خلال أعمال اللجان الكثيرة التي انكبت على دراسة الموضوع

وقد كانت اللجنة الدولية التي كلفتها منظمة اليونسكو بدراسة مستقبل التربية ، في مقدمة المهتمين بهذا الموضوع (اليونسكو ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤) ، وهي تعترف بأننا « لا نعرف ما تحدثه وسائل الاتصال في حياة الإنسان من تحولات لفرط معايشتها له إلا القليل الغامض . ونحن لم نقوّم حق التقويم ما غيره الجيل الثاني والجيل الثالث للتلفاز من أحوالنا ، كما اننا لم نستطع حتى الآن تصور الأوضاع التي ستنتج عن وسائل الاتصال في سباقها مع المستقبل »

وتؤكد اللجنة « أن النتائج تثبت إمكانية تنمية ذكاء الطفل في ما قبل المدرسة بفضل التلفاز »

ويبين هنري د كاسلير في دراسة معدة لهذه اللجنة « أن المربين المحترفين يعيشون ـ بحكم العادة ـ وسط أفكار تنتمي إلى محيطهم الخاص ، ويحققونها بأنفسهم ، وهكذا فإنهم ينزعون إلى تصور عملية التربية وتوجيهها كما لو كانت وسائل الاتصال غير موجودة ولم يكن لها أي مفعول جوهري في تبليغ المعرفة ، أو كما لو كانت لا تؤثر تأثيرا عميقا في أنماط تعبير الشبان والكهول وأشكال مساهمتهم »

ويضيف المؤلف قائلا « إن هذا التجاهل لأجهزة الإعلام هو نتيجة النزعة الحالية المتمثلة في إعداد المعلمين لدنيا الماضي عوضاً عن منحهم القدرة على العيش في عالم يتطور بسرعة وعلى التحكم في هذه السرعة » ، وبناء على ذلك يرى المؤلف في خاتمة تحليله « أن إحدى مهام التربية هي تنمية استعدادات التلميذ ليدرك حقيقة الإطار الذي يتقلب فيه ، وتؤدي ضمنه وسائل الإعلام دورا مهما » ، كما

يعتبر من الجوهري بالنسبة للتربية بالمفهوم العصري أن يكون المتعلم قادرا على التعبير عن أفكاره بكل الوسائل التي في متناول يده .

بين التربية ووسائل الاعلام

تقوم بين الاتصال والتربية علاقة متبادلة ما تنفك تزداد نموا هذا ما أكدته اللجنة الدولية التي كلفت بدراسة مشاكل الاتصال (اليونسكو ١٩٧٧ - ١٩٨٠) ، وذلك يعود - حسب رأي هذه اللجنة - للأسباب التالية -

- تأكيد دور وسائل الإعلام في التوعيه وصقل الفكر المهني ، وهو عمل يندرج في إطار التنمية الشاملة

- اتجاه المدرسة في كل المجتمعات إلى التخلي عن قسط من امتيازها التربوي ، مما يستوجب ضرورة مراجعة وظائف المدرسة ، وتقسيم المهام بين المدرسة النظامية ووسائل الاتصال

- ان أهم مظهر للترابط بين الاتصال والتربية يتمثل - حسب تقرير هذه اللجنة - في التدرب على حسن استعمال وسائل الاتصال من أجل تلافي المخاطر التي قد تنجم عن انبهار الإنسان بالجهاز التقني

أما الخبراء الدين شاركوا في الملتقى الدولي حول تدريب الجمهور على استغلال وسائل الاتصال في مجال التربية (اليونسكو ١٩٨٢) فهم يرون أن المدرسة لا تدرب الشبان - بالقدر الكافي - على مواجهة الحياة والمشاكل اليومية ، وأن وسائل الاتصال قد تجاوزتها لأنها تضمن للتلاميذ محيطا تنسجم أشكاله ومحتوياته في إطار أقرب للواقع من تصورات المدرسة وفحوى برامجها . ومن ثم جاءت ضرورة التفكير في هذا الموضوع وضبط برنامج عمل للوصول بالمدرسة إلى مزيد من التفتح على قنوات الإعلام والاتصال ، والحيلولة دون إهمال المعارف الغزيرة المتنوعة وتجاهلها وينبغي حسب رأي هؤلاء الخبراء أن يتمثل دور المدرسة في تبني برامج طريقة متقاربة مع ما تقدمه وسائل الاتصال ، متماشية في آن واحد مع مناهج البحث العلمي .

وقد أولت لجنة اليكسو للإعلام (١٩٨٣ - ١٩٨٦) عناية جيدة بالعلاقة القائمة بين وسائل الإعلام والتربية ، كما خصصت ضمن ٩٠ توصية اختتمت بها تقريرها جملة من المقترحات المتصلة بذلك ، نذكر منها على الأخص :-

- دعوة وسائل الإعلام ومؤسسات التربية إلى إقامة تنسيق بينها مبني على خطة شاملة وبرامج تنفيذية مما يحقق تكامل عمل كل منها مع عمل الأخرى ، ودعوة المؤسسات التربوية والتعليمية إلى المزيد من الاستفادة من إمكانيات وسائل الإعلام واستخدامها في إنجاح العمل التربوي

وقد ترصلت كل هده اللجان إلى استنتاجات مماثلة ملحصها أن التربية تتجاوز حدود الاتصال وتقل عنها في نفس الوقت ، فعندما ينخفض المستوى التربوي ، تتضاءل قدرة وسائل الإعلام في التأهيل والتثقيف ، وعندما يرتفع مستوى التربية المدرسية يتسع المردود الإعلامي وهذا الترابط المتين يدعو إلى إيجاد درجة من التكامل حتى تكون العلاقة مثمرة وإيجابية إلى أبعد حد ممكن

وهكذا تعود إلى المدرسة وظيفة علمية تتمثل في تلقين المعارف والنظريات في حين تبقى لأجهزة الإعلام المواد المرتكزة على الصور والرسوم ومختلف أنماط الاتصال المادي

وخلاصة القول أن التربية في البلدان النامية يجب أن تكون متجهة نحو عالم الغد ، مساهمة في تحقيق التنمية في نطاق سياسة رشيدة . وأن التقنيات المتطورة هي عنصر حتمي لذلك ، وإن كان من الواجب الوعي العميق بمحاسن هذه التقنيات ومساوئها المحتملة ، وذلك قبل استخدامها .

التأثيرات السلبية

إن التنمية الشاملة لا يجوز أن تأتي على حساب القيم الحضارية الموروثة ولا الهوية الثقافية الوطنية ، إلا أن الملاءمة بين هذين الخيارين لن تتحقق

بسهولة ، إذ ليس من المؤكد اليوم أن أجهزة الإذاعة والتلفزة قادرة على وضع مقومات التربية الوطنية والاجتماعية في مقدمة أهدافها ، كما أن التربية الأصيلة لن تتحقق بسهولة طالما واصلت البلدان العظمى فرض تأثيرها الإعلامي على الساحة الدولية ، وتهاونت في مساندة البلدان الصغيرة على خلق الظروف الملائمة لبلوغ المستوى الإنمائي المتكامل

وحين تسعى البرامج التربوية في مستوى المدارس النظامية إلى غرس الروح الوطنية وحماية المقومات الحضارية للأمة ، تنساق وسائل الإعلام القومية من خلال البرامج الثقافية المستوردة إلى تكريس قيم وعادات دخيلة تهدد ـ على الأمد الطويل ـ الأمن الثقافي الذي تستمد منه الشعوب مناعتها

وتكون النتيجة في نهاية المطاف انتماء المواطن العربي أو الافريقي انتماء وهميا للمجموعة العالمية ، وابتعاده عن مجموعته وظروف حياته المحلية

وعلى الرغم من كل هذه المظاهر فإنه لا مفر من استعمال وسائل الإعلام والاتصال في مجال التعليم بالبلاد النامية ، واسناد دور تربوي مهم اليها

ذلك أن نسبة الذين يقبلون على المدارس ما زالت ضئيلة بالمقارنة مع عدد السكان الذين هم في سن الدراسة ، كما أنه ليس هناك ما يدل على إمكانية توفير العدد الكافي من المدارس والمعاهد والجامعات لمواجهة تدفق الشباب عليها في نهاية هذا القرن إن التلفزة ستكون هي الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام الشباب والكهول ، من ثم لا بد من تحديد سياسة إعلامية متماسكة مع الأهداف الوطنية في مجالات التربية والتعليم العالي والتأهيل المهني

إمكانات وسائل الاتصال وفوائدها

إن وظيفة وسائل الإعلام في مجالات التعليم والتأهيل هي توضيح الحقائق العلمية ، وجعل العقل البشري قادراً على الاستفادة من تطبيقاتها في نشاطه اليومي ، فيصبح العلم هكذا مقوما من مقومات الحياة ، ومنطلقا للتغيير نحو المستقبل الأفضل .

ودور الأجهزة الإعلامية التقليدية والحديثة لا يقتصر على التربية الوطنية والاجتماعية ، وتلقين التاريخ والجغرافيا ، أو المساعدة على اكتشاف العلوم من خلال برامج التسلية والترفيه ، وإنما ينبغي أن يتسع في المستقبل لكل برامج التعليم في مختلف مراحله ، وبخاصة في المرحلة العليا ، من خلال ما يسمى برامج التربية عن بعد أو الجامعة المفتوحة .

وقد بدأت التجارب في البلدان المصنعة وأتت بنتائج طيبة جداً .

كانت برامج التعليم عن بعد في بدايتها معدة للتأهيل المهني والتعليم العالي ، وكانت موجهة للمعاقين الذين لا يقدرون على التنقل من المعاهد وإليها أو للذين يشتغلون بالنهار ويريدون تحسين مستواهم الفكرى فيصرفون أوقات فراغهم في متابعة الدروس عن بعد وتقدم هذه الدروس في ظروف مختلفة ففي اسبانيا وبريطانيا والمانيا الغربية ، هنالك مراكز مختصة تنفرد بتنظيمها ، أما في فرنسا فإن الجامعات في مختلف الجهات لها الحق في استحداث فروع لتوجيه برامجها من خلال وسائل الاتصال الحديثة مثل التلفاز (التليماتيك Telematique) وقد بلغ عددها ٢٢ فرعا من مجموع ٧٥ جامعة ، وتساعد على ذلك بعض المؤسسات الاقتصادية الكبرى .

وقد تضاعف عددُ المنتفعين بهذه الدروس خلال عشر سنوات ماضية فبلغ في سنة ١٩٨٧ حوالي ٤٠ ألف تلميذ وطالب ، وكان جلهم في مجالات التقنية والحسابات والتصرف .

وقد كتب حيرار كورتوا في جريدة لوموند الصادرة بتاريخ ٤/٢/٨٨ أن هذا العدد ضئيل جدا إذ لا يمثل أكثر من ٢٪ من مجموع الطلبة بفرنسا الذين يقدر عددهم حاليا (٩٦٠) ألف طالب .

ويرى هذا الخبير أن التطور سيكون سريعا ، وأن بقية الجامعات ستضطر لفتح فروع خاصة بها

وتقول السيدة باروس إن هناك تخوفا من الأساتذة جامعيين ، لأن هذا النظام التربوي الجديد يقطع علاقة بين الطالب والأستاذ ، وينتهي في خاتمة لمطاف بتفريغ قاعات التدريس .

وتبين الدراسات أن نجاح هذا النظام يتوقف على عدة شروط منها :

ـ تنظيم لقاءات دورية بين المربين والطلبة ، ثم الطلبة وحدهم ، نظرا لفوائد للاتصال ، وقد يكون ذلك مباشرا أو من خلال الندوات التلفازية

ـ الإكثار من البرامج المتلائمة تربوياً مع وسائل الاتصال وحسب اختصاصها (اشرطة فيديو ـ تسجيلات الخ) مع التخفيض من المحاضرات المطبوعة على الأوراق والمرسلة عبر البريد العادي

وتتجه العناية في مختلف بلاد أوربا وفي نطاق تنسيق محكم بين المؤسسات المختصة مثل Saturn & Pace & comett إلى تنظيم إنتاج البرامج التربوية الملائمة وتبادل المعلومات وتدريب المربين على مباشرة مهامهم بأساليب تختلف تماما عن الطرق التقليدية فالخبير التربوي يصبح منتجا للبرامج التربوية ، والمعلم مرشدا ومنشطا تلفازيا .

والتربية عن بعد هي في نظر هؤلاء الحل المثالي لفض مشكل الانقطاع عن الدراسة وتوفير المرافق التربوية الكاملة أمام الملايين من الطلبة الذين سيبلغون سن الدخول للتعليم العالي في نهاية هذا القرن

التربية عن بعد وآفاقها في الوطن العربي

إن من واجبنا الاهتمام بهذا الموضوع الكبير والإعداد لتبني برامج مماثلة استنادا إلى الطاقات والإمكانات الإعلامية المتوافرة ، فالمؤسسة العربية لنقل المعلومات (URSIT) مؤهلة في مجال اختصاصها لتدعيم التعليم عن بعد بنقل ما يمكن نقله من معطيات تربوية بين مختلف الأقطار العربية ، كما أن شبكات المعلومات الموجودة في جامعة الدول العربية واليكسو مطالبتان بالإسهام في ذلك ، كذلك يهيء عربسات إمكانات واسعة ، سواء في مجال الاتصالات العامة كالهاتف والتلكس والبرق ونقل المعلومات من خلال الصور والوثائق والصحف facımile أو في توصيل التعليم النظامي بمراحله المختلفة إلى مجموعات السكان في مختلف المناطق لمحو الأمية وتعليم الكبار والتدريب التقني في مختلف المجالات ونقل المحاضرات الجامعية

إلا أن استخدام القمر الصناعي العربي من أجل الأغراض الإعلامية والتربوية والثقافية والانمائية بصفة عامة أمر يتطلب التنسيق بين هيئات عديدة على المستوى الوطني وعلى المستوى الإقليمي ، ويستدعي تحديد التزامات مختلفة ، ووضع جدول زمني محدد ، ويحتاج إلى معلومات وبيانات منتظمة من مصادر شتى ، ويتطلب حصرا واقعيا للمشكلات والاحتياجات الإعلامية بصفة خاصة ، والانمائية بصفة عامة

لقد عرضت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على وزراء الإعلام في اجتماعهم الأخير بتونس وثيقة تتضمن أهم الإنجازات التي يمكن المبادرة بها من أجل توظيف القمر الصناعي العربي في خدمة التربية والعلوم وهي

* التخطيط لإنتاج حلقات تلفازية تعليمية موجهة إلى الطلبة العرب ، تتناول القضايا الإساسية في مناهج المواد المختلفة ، وتصلح للعرض من خلال الشبكة الفضائية العربية التي قد يتم تنفيذها من خلال إدارات التلفاز التربوي أو في منظمة اليكسو على الأخص .

* التخطيط لإنتاج سلسلة من البرامج التلفازية التعليمية الموجهة إلى المعلمين في الوطن العربي .

* إعداد ندوات عن طريق الاتصالات الفضائية تكون أطرافها في أكثر من قطر عربي في الوقت نفسه ، وتعالج عددا من الموضوعات الأساسية . □

* إنتاج برامج تلفارية في مجالات تبسيط العلوم والتقنية ، بهدف استغلال التقنيات الحديثة في بث برامج الثقافة العلمية لأكبر عدد ممكن من المواطنين في الوطن العربي ورفع مستوى الوعي العلمي والتقني

* استخدام القمر الصناعي العربي في التعامل مع البيانات وتداولها عبر قاعدة معطيات المنظمة العربية (اليكسو) وقواعد المعلومات في الوطن العربي ،

وتحديد المتطلبات الفنية المناسبة لذلك ، وتدريب القوى البشرية تحقيقا لكفاية استخدامها في هذا المجال

إن المدرسين وجميع الذين يشاركون في العمل التربوي لا يمكنهم إنكار ما لوسائل الاتصال من صفات تربوية ، فعليهم أن يستفيدوا منها

وهذا يفترض أن يتدرب المعلم على استخدام وسائل الاتصال لإثراء تعليمه ، وتيسير تنقل التلميذ من الوسط المدرسي إلى الحياة العصرية ، فالمهم هو أن نحسن تربية الجماهير بأقل ما يمكن من الوسائل والتكاليف ، وبما يستطاع من الفاعلية والشمول

لذلك فإن الأمر يتعلق بالاستعانة بالتقنية العصرية مع ملازمة الحذر وتوخي الوضوح حتى لا تسيء علينا هذه التقنية أو نقع في هفوات الاستلاب الحضاري

النتيجة المنطقية

إن النتيجة المنطقية التي يمكن أن نستخلصها من هذا التحليل تتمثل في ضرورة مواصلة التعمق في التفكير ، وإيجاد الملاءمة بين المدرسة ووسائل الاتصال ، مع الاهتمام المتواصل بالتقدم ، وتحسين الظروف الإنسانية ، والعناية باهتمامات بلادنا النامية التي هي أشد حاجة من غيرها إلى العلم والمعرفة ، حتى نتدارك التأخير ، وننتصر على التخلف الذي ما زلنا نتخبط في حبائله

وستكون سنة ٢٠٠٠ الموعد الحاسم لطرح هذه الاختيارات الأساسيةوالإعلان عن إنشاء الجامعة المفتوحة من خلال الشبكة الفضائية العربية

فلا بد من الإعداد لهذا الموعد في كل أرجاء الوطن العربي ، يوم يصبح هناك ثلاثة ملايين من الطلبة وعشرة ملايين من المنقطعين عن التعليم في المرحلة الثانية □

●

* من حق الحياة علينا أن نؤمن بالاستقامة قبل أن نبدأ العمل ، فما أثمر كفاح رافقته الخطايا

(د عبدالرزاق السنهوري)

* تكلم مما تعتقد ، وليكن كلامك مطابقا لما في نفسك

(شكسبير)

* الكتاب هو الجليس الذي لا ينافق ، ولا يمل ، ولا يعاتبك اذا جفوته ، ولا يفشي سرك

(ابن الطقطقى)

* الرجل العظيم هو أنفع الناس للناس

(لطفى السيد)

أعرف قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل

(قاسم أمين)



قاسم أمين

عندما يحلم الجياع

قراءة في تغريبة بني هلال



بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

لا يزال بنو هلال يركضون فوق تضاريس الوجه العربي ، يعبرون من سنوات القحط إلى سنوات الحرب دون أن يصلوا إلى لحظات السكينة ، يبحثون عن أرض لا تجدب ، وآبار لا تنضب ، ومراع دائمة الخضرة . باختصار يبحثون عن حلم مستحيل وسط البيداء العربية .

ما الذي منح الحياة لهذه التغريبة طيلة هذه السنين ؟

كيف تحولت إحدى ملاحم الحرب والقتال إلى زاد يسكن في وجدان الناس المسالمين ، سواء أكانوا رعيانا في الجبال أو فلاحين على ضفاف الأنهار تمنحهم السلوى والأمل ؟

كيف تداخلت أشعار الحرب مع أغاني الحصاد ، واختلط وقع سنابك الخيل مع ضربات الفؤوس ؟

لماذا بقي أبو زيد الهلالي ، ودياب بن غانم ، والجازية ، والسلطان حسن ، والقاضي بدير ، ومرعي ، وسعدة ، والزناتي خليفة ، على قيد الحياة على الرغم من انتهاء أعمارهم الافتراضية ؟ ولماذا حيث غربتهم مستمرة ؟

حلم الأرض

سمعت بتغريبة بني هلال لأول مرة من أفواه بعض ورثتها الحقيقيين . كنت أعمل طبيبا صغيرا في إحدى قرى صعيد مصر ، قرية معزولة على بحر اليوسف ، لا يصلها بالمدينة إلا طريق وعر متقطع ، ولا ينير ليلها إلا ذبالات المشاعل المرتجفة . وكان الليل معلم القرى ، وباعث الرعب في أوصالها ، يطبق عليها فيحولها إلى كتلة مظلمة ، يخفت فيها صوت البشر ، ويعلو صوت الذئاب . كنت أضيق بصمت الوحدة الصحية ، فأسعى في دروب القرية الضيقة ، يتقدمني الممرض وهو يحمل مصباح الغاز إلى حيث يجتمع الرجال فوق إحدى المصاطب أو

داخل قاعة من القاعات . في هذه الليلة كان هناك شاعر نصف أعمى ، نصف أصم ، يعزف على ربابة لها وتر واحد ، يحاول بواسطته أن يستحضر ملحمة بني هلال بكل ما فيها من صخب ورقة وعنف ووحشية وعذوبة . ولم تكن مهمة المغني صعبة ، فكل ما فعله هو أنه أحدث ثقبا صغيرا في وعي الفلاحين المحدقين به . ومن هذا الثقب انسال كل شيء من أعماقهم . كانت « التغريبة » متأججة بالحياة في داخلهم ، واكتسبت على مر الأيام والسنين نوعا من الحياة الذاتية ، وأصبح لها كيانها المحسوس . كانوا جميعا ـ وهم الذين لا يجيدون القراءة ولا الكتابة ـ يحفظون الأشعار وتفاصيل الوقائع وأسماء الفرسان ومعالم البلدان ، كأنما بنو هلال قد أودعوهم سرهم الخاص في لحظة ما . كانوا بمختلف طبقاتهم قد نهضوا في ظلام الليل يؤدون أدوارهم بدقة . الأجراء هم وقود الحرب ، والمزارعون هم الفرسان . والأعيان هم الحكام والأمراء . وظل وتر الربابة الوحيد مثل الصوت الصارخ في البرية يرثي حلم العدل والبحث عن أرض ، والرغبة في الأمان .

كان من الطبيعي أن تمتد رحلة بني هلال عبر الترع والجسور ، ويصبح الفلاحون هم ورثتها ، فقد كان حلمهم هو الأرض الخصبة ، وعلى الرغم من أن أبطال التغريبة كانوا من الفرسان إلا أنهم يتشاركون مع الفلاحين في نفس الحلم ، ويهربون مثلهم من نفس المخاوف ، مخاوف الجوع والإملاق ، وليس أكثر من الفلاح من عرف قسوتها ، لا بسبب الجفاف ونضوب الأنهار ، وتقلب الطبيعة فقط ، لكن بسبب سلب الولاة والجباة ، وحصول الفلاح على الأرض هو أشد أحلامه عسرا ، فالأرض لا تستقبله إلا أجيرا أو مهووسا ، ونادرا ما تستقبله مالكا . كان فارس الملك يركب الجواد ويركض به إلى حافة الأفق ، ويمتلك كل الأرض التي يقطعها الجواد في المسافة من مشرق الشمس حتى مغربها . وجاء بنو هلال ليحققوا هذه الأمنية المستحيلة ، ساروا من مشرق الأرض العربية حتى مغربها ، وقاتلوا كل فرسان الملك السابقين .

في كل مكان مروا به كان حاكم المكان يصر على منعهم من الراحة ، ويطالبهم بعشر ما معهم من مال وجمال وخيل ونساء ، تماما كما يفعل الجباة مع الفلاحين حين يصرون على تحصيل الضريبة في الزمن الضنك ، ويسلبونهم محاصيلهم وحيواناتهم الضرورية . كان الفلاح ـ في الواقع ـ يحاول التحايل على هذا العسف ، يخبيء المحصول ، ويهرب الحيوانات ، ويتظاهر بالضعف والذلة ، لكنه ـ في زمن الحلم ـ مع بني هلال يواجه هذا الابتزاز بالقوة ، يرفض منطق الحاكم الظالم ، ويشرع سيفه ، ويبدأ حربه ، ويقتل الحاكم الظالم ، ويولي بدلا منه الذي يعده بأن يكون عادلا ، ولا يخرج الأمر عن مجرد الوعد .

وعلى طول المسيرة تتكرر المدن الخيالية ، ويتكرر الحكام ، ويبدو ظاهريا أن هذا تكرار في المكان ، لكنه في حقيقة الأمر امتداد في الزمان ، يحكي قصة كل الحكام الذين صعدوا ووعدوا وأخلفوا واستولوا على أعشار أرزاق الناس ، إنه كابوس النهب وافتقاد العدل . وحتى سيوف بني هلال ليست لها القدرة على رتق الأحلام . وبذا فإن حياتهم فوق هذه الأرض هي تغريبة طويلة ، ما دام هناك حكام ، سواء كانوا غرباء عنهم أو منهم ، فإنهم يتصرفون وفق منطق كل الحكام .

ربما مست السيرة نفوس الفلاحين لهذا السبب ، لكن المثير للدهشة أنها مست أيضا كل أوتار النفس العربية ، كل الذين يمارسون الزرع والقلع والصيد والرعي ، ربما لأنها تحمل شيئا مشتركا في حياة كل هؤلاء ، أو أنها اعتمدت على واقعة حقيقية تمثل شيئا مهما في وجدان النفس العربية .

تبدأ الرحلة من بلاد نجد التي أصابها الجفاف ، وهدفها تونس الخضراء ، لإنقاذ أولاد السلطان الأسرى بها ، لكن بني هلال بدلا من أن يسلكوا طريقا مختصرا عبر مصر ـ عكس طريق الحج المعروف ـ إذا بهم يواصلون الرحيل شمالا إلى العراق ، ثم إلى دمشق ، قبل أن ينحدروا إلى



فلـ ـين وبيت المقدس ، وقبل أن يدخلوا مصر و ـ بذلك يسيرون على نفس خطوات الفتح العربي الإ ـلامي ، كأنما يعيدون تمثيل نفس الحادثة التي غيرت وجه المنطقة يقومون بفتح آخر ، يحمل السيوف العادلة ، ويعيد سيطرة القبائل العربية الأكثر نقاء وحوعا على القبائل الشمالية المتحمة ، الأقل نقاء وهم يعيدون أيصا تمثيل نفس الأعداء السابقين ، العجم والروم ، يعيدوىهم إلى المنطقة مرة أحرى ليحاربوهم وينتصروا عليهم ، رحلة حرافية ، وسط مدن خيالية ، ضد ملوك لم يوحدوا ، لكنها تصرب حدورها في حعرافيا الواقع ، وتعيد تركيب حزيئات التاريخ ألا يكفي هدا مبررا حتى تحد النفس العربية شيئا من ذاتها في رحلة بني هلال ؟

إنها ليست ملحمة البطل الفرد ، لكنها تحمل ملامح أبطال كل السير الشعبية الأخرى ، أو بالأحرى ملامح كل حماع الأمة العربية ، فأبو زيد يحمل سواد عنترة ، وحفة علي الزيبق ، ودياب يحمل بطش بيبرس ، وفروسية حمزة البهلوان ، والجازية فيها حمال وشهوة كل نساء السير العربية أحذ الهلالية كل الصفات التي حددها الخيال الشعبي لأبطاله ، وأضافت إليها لمسة آسرة من الواقعية الانسانية أبطال يتحاربون ويموتون على أرض الواقع ، لا سحر ، لا خرافة ، لا أفعال خارقة للعادة ، استبدلت كل هذا بالعقيدة الشعبية التي ـ بها الجميع ، وهي « المقدر والمكتوب » المصير ـ لا يفلت منه حي

هل تكفي هذه الأسباب حتى تبقى على السيرة ـتها ، أم أن هناك أسبابا أخرى تكمن في بنية ـرة نفسها ؟

رحيل الجياع

بدأت تعرية بني هلال داخل أرضهم بعد أن عير الحدب كل المعالم القديمة ، وطالت مدة المجاعة ، حتى اصطروا للتفكير بصورة مختلفة لقد أرادوا أن يكسروا الدورة الصحراوية القاسية التي تبادل بين مواسم الجوع والشبع ، أرادوا أن يرحلوا حيث لا مواسم ، وكان عليهم أن يتحركوا مثل قبضة اليد الواحدة ، على الرغم من كل الخلافات المحتدمة في داخلها اختاروا فارسهم أبا زيد كي يقوم بمهمة الدليل الذي يكتشف لهم مكان الأرض المناسبة ، لكن أبا زيد الذي كان يعاني من عقده الخاصة ـ سببها على الأرجح لونه الأسود والشك في صحة نسبه ـ يعتقد أن القبيلة تريد التخلص منه ، ويرفض الرحيل قبل أن يأخذ أولاد السلطان حسن الثلاثة معه

استغرقت رحلة الاستكشاف خمسين يوما ، وعاد أبو زيد وحيدا لا يحمل معه إلا وصفا للأرض

الحلم ، تونس الخضراء ، لكن أين أولاد السلطان الثلاثة يحيى ومرعي ويونس ؟ لقد وقعوا في أسر حاكم تونس « الزناتي خليفة »، أسرهم جميعا ، وأوشك أن يقتلهم لولا أن تدخلت ابنته « سعدى » وأقنعت والدها أن يطلق العبد « أبا زيد »، حتى يذهب ويأتي بفدية الأمراء لقد خدعت سعدى أباها للمرة الأولى ، ولن تكون الأخيرة كانت قد قرأت الرمل وعرفت أن قدرها هو الوقوع في غرام مرعي ، وقدر أبيها هو الموت على يد بني هلال الذين سيقبلون على تونس كالجراد

تصبح تونس هي هدف بني هلال تجمع قواها وتستنفر كل بطونها ، يقودهم الأمير حسن بن سرحان ، وأبو زيد الهلالي ، ودياب بن غانم ، والقاضي بدير بن فايد بل وأرسلوا أيضا يستدعون « الجازية » أخت السلطان حسن البارعة الجمال الصائبة المشورة ، فتركت روحها أمير مكة وأولادها ولحقت بهم

تبدأ سنوات حرب بني هلال ، في كل مكان يهبطون إليه هناك حاكم ظالم يقف في وجههم ، لا يمنحهم إذن العبور ، ولا فرصة الراحة ، يفرض عليهم معركة يحاولون عبثا أن يتجنبوها ويدفع بنو هلال ثمن كل خطوة من خطوات رحلتهم بالدم يأتي ملوك العجم والروم ، وحتى ملوك الجاهلية القديمة ، يستيقظون من الماضي ، يحملون كل رموز المظالم ، ثم يكتسحهم طوفان بني هلال حاكم واحد تبعهم هو ورجاله ، هو الخفاجي بن عامر الذي وقع في غرام الجارية التي لا سبيل لقلبها إلا الموت وسوف تصبح « الجارية » باستمرار مثل هيلانة طروادة ، الجميع يتمنونها ولا يحصلون إلا على الدمار

ثم تبدأ مشاكل بني هلال الحقيقية حتى أسوار تونس المنيعة ، فالزناتي خليفة مولود من تزاوج بين أنسية وجان مستعصٍ على الموت ، قدره فقط أن يموت على يد دياب بن غانم ، لكن الصراع الخفي داخل بني هلال قد أصبح عاليا عرته الممالك التي دانت والانتصارات التي تحققت ، واعتداد دياب بنفسه ، وطمعه في عرش السلطان وكانت الخطة التي دبرتها الجازية هي الانتصار بدونه ، وإبعاد دياب عن مكان المعركة بحجة رعاية الأنعام ، « البوش ». وأدرك دياب منذ البداية أنهم يحاولون إبعاده ، لكنه فضل أن يطيع ويبتعد حتى يشعروا بمدى افتقارهم إليه

ولابد أن الأقدار التي حبت بني هلال طويلا قد قررت أن تعاقبهم أصيب أبو زيد بلدغة ثعبان ورقد عاجزا ، وبدأ الزناتي يهاجمهم بضراوة وقد أمن الموت قطع تسعين رأسا من فرسانهم وعلقها على الأسوار وأخذ بنو هلال يترنحون تحت ضربات الهزيمة الوشيكة حتى بعد أن تسللت سعدى وأعطت الترياق لأبي زيد لم يفد رجوعه إلى القتال في تحويل دفة المعركة مقدور أن الزناتي لا يموت إلا على يد دياب ، ودياب بعيد ، وأبو زيد والسلطان لا يستطيعان التراجع والإقرار بالهزيمة وبدأ أفراد القبيلة يرسلون لدياب أن يعود وهو يرفض لم يكن يقبل أقل من التسليم والاعتراف بالعجز من الذين أبعدوه . وتحت وطأة الهزائم سافر غانم والد دياب يحمل إليه رسالتين مزيفتين على لساني السلطان وأبي زيد وقبل العودة أخيرا

أدرك الزناتي أن نهايته قد حانت ، وأن قدره يركض تحت الأسوار ، يتحداه ويطلب منازلته أغلق أبواب المدينة واحتفظ بالمفاتيح وجلس يرتجف قفز دياب فوق الخندق بجواده ، وأنذر الجميع أنه سوف يقفز فوق أسوار المدينة وذهبت سعدى بدوافعها الغريزية الغامضة تحث أباها على الخروج ، وتواصل خداعه بحلم مزيف ونبوءة كاذبة عن انتصاره وكانت مهانة الزناتي قد بلغت مداها ، ولم يبق أمامه إلا أن ينهض ويخرج ، وينقذ شرفه كفارس وكملك بالموت . خاض معركته الأخيرة البائسة وهو يعرف نتيجتها سلفا وسقطت تونس ، حلم الهلالية الأخضر

هل استكان بنو هلال ؟ هل وصلوا إلى أرضهم الموعودة ؟

لقد حانت لحظة تصفية الحسابات المؤجلة ،

ستيقظت التناقضات والصراعات التي كانت
. بية وضع دياب يده على تونس بلا حساب ،
حلس على عرش الزناتي ، وضم سعدى إلى حريمه
على الرغم من أنفها وأنف مرعي وأنف السلطان
حسن وعندما أصر السلطان على استردادها تحداه
وقتلها فاحتال السلطان حتى أدخله السجن ليذل
يه روح الفارس المقاتل ، لكن دياب استطاع أن
يفلت ويذبح السلطان دون رحمة ونهض أبو زيد
كي ينال ثأر السلطان ، لكن لحظة من التردد القاتل
أزقت روحه إن أبا زيد لم يكن فارسا حالصا ، كان
يحمل في داخله إحساس الناس البسطاء الذين
يذهبون دائما وقودا للحرب ، وكان يدرك أن بني
هلال قد حاربوا أكثر مما ينبغي إن حرب الأهل هي
أمر أنواع الحروب ، لذا قرر أن يعفوا وأن يتصالح
وأن يمد يده إلى دياب ، لكن دياب الذي بدأ رحلة
الدم لم يكن يستطيع التراجع كان موقنا أن أبا زيد
هو العقبة الباقية أمامه حتى يصبح حاكماً مطلقاً ،
لذلك انتهز رحلة للصيد وقتل أبا زيد غدراً أصبح
دياب هو فارس الملك الأوحد الذي أخذ كل
الأراضي التي ركضت خيول بني هلال في سهولها ،
كل ثمن الدم وميراث الجوع وأحلام العدل ولحظات
السكينة والراحة واضطرت الحازية أن تأخذ أولاد
أخيها الأيتام وأن ترحل بعيدا ، وأن تسهر عليهم
حتى يكبروا ويشبوا وتزداد قوتهم ويصبحوا قادرين
على أخذ الثأر من دياب بدأت دورة الحكام ،
واحد يأتي ، ويصعد ، ويتحول إلى طاغية ، حتى
يأتي من يخلص الناس من شره ، ولا تتوقف
الدورة ، فلا الظلم ينتهي ولا العدل يجيء

مرة أخرى تتمثل السيرة إحدى الحوادث التاريخية
الكبرى ، ومثلما تمثلتها في رحلة المكان تمثلت
امتدادها في الزمان ، فهي تحكي قصة الدولة العربية
الكبرى في صعودها وازدهارها ، ثم في تحللها
انبهارها . تتبدل الوقائع ، وتتغير الأسماء ، ويبقى
الجوهر كما هو ، فالراوي لا يقف عند الانتصار
النهائي لبني هلال ليقول : « عاشوا في سرور
وانشراح حتى أتاهم هادم اللذات ومفرق

الجماعات » ، لأنه يدرك بمعرفته التاريخية لوقائع الأيام أن النصر حلم قصير الأجل ، وأن الفرقة مثل السوس الذي ينخر في عظام الأمة . لقد بدأت بذرة الهلالية في التكون في القرن الرابع الهجري ، وسط واقع عربي مؤلم . هناك خليفة عباسي في بغداد ، وفاطمي في مصر ، وألف خارجي ، وشيعي ، وألف سبب للفرقة والتناحر

ولم يكن الراوي الذي يمتلك حس الشعب قادرا على خداع نفسه ، ولم يغمض عينيه عن النبرة المأساوية التي تربض في ثنايا المقدر والمكتوب

ولعل في بنية السيرة بهذا الشكل سبب آخر من أسباب بقائها فهي لا تبتعد عن الواقع ، بل تعيد بناءه بكل ما فيه من سهاء الحلم وفجيعة السقوط ، تحمل النبوءة والنذير بأن وحدة الأمة العربية هي خلاصها ، وفرقتها هي الانهيار الأكيد

صورة جانبية

لكن ماذا عن الواقع النفسي للسيرة سلوك الأبطال ، ردود أفعالهم ، مركبات نقصهم ، وعوامل قوتهم ؟ وكيف استطاع الوجدان الشعبي أن يخلق هذه الشخصيات المركبة التي تخالف ما اتفق عليه العقل البدائي من تصوره للشخصيات ذات الجانب الأحادي ؟

شخصيات السيرة هي أيضا ثمرة تجربة الشعب العربي ومع كل رواية يبرز أحد الأبطال كأنما تحمل كل شخصية ملمحا نفسيا وعرقيا لكل جماعة عربية في مصر يبرز أبو زيد وهو يأخذ طابع ابن البلد الشجاع المرح البسيط وفي ليبيا تسود رواية دياب بكل ما فيه من فروسية وصرامة ومطامح . وفي تونس تثير الحازية شهوة الأنثى وقوة المرأة التي تخوض القتال بكل أسلحة الفتنة والإغواء كل جماعة تعيد تشكيل الشخصية وفق حاجتها النفسية ، وتقنن سلوك البطل ، كما تريده بالضبط

في البداية يقف أبو زيد الهلالي سلامة ، الفارس المثالي ، أشهر شخصيات الملحمة الذي لم يكن يستحق المصير الذي آل إليه . ولعل موته هو الذي يعطي الملحمة التي طالما تغنت بالانتصارات تلك

النبرة من التشاؤم . أبوه هو رزق وأمه حصرة الشريفة ، ولا أحد يدري لماذا جاء المولود ذو الحسب والنسب أسود اللون ، لم يكن أحد يدري حينذاك ما نعرفه الآن عن الطفرة الوراثية ، لكن الشائعات أحاطت بسلوك الأم ، وهو الأمر الذي ترفضه المحيلة الشعبية ، وتصر على لصق كلمة الشريفة باسمها ويورد الراوي مبررا آخر بأنها رأت أحد الغربان وهو يتصارع وينتصر فتمنت أن يكون ابنها مثله أيا كان السبب فقد قصى أبو ريد طفولة تعيسة في أرص ليست أرضه وأهل ليسوا أهله ، وهو الأمر الذي يحدث دائماً لكل أبطال الأساطير لكن هذا اللون وهده النشأة هي التي أعطت لأبي زيد مكانته الحاصة ، فهو يمثل الحلقة الوسطى بين العبيد والسادة ، يحقق دلك التمارج المستحيل بين الدماء الزرقاء ودماء العامة وهو يتصرف دائما على هدا الأساس ، يترك السيف ويهبط من فوق الحواد ، ليدحل شوارع المدن المعادية متنكرا على هيئة شاعر حوال أو مهرج أو عبد مجلوب أو حتى حارية ، يستثمر كل حذور الفكاهة والحيل لدى الحس الشعبي أو ما يطلق عليه اسم « الملاعيب »، لذلك فهو حميم الصلة بالوحدان الشعبي ، إنه يعلو بهم ، بلوبهم الداكن ، ودكائهم المحدود ، إلى افاق يستطيعون فيها معالة السادة وأبو ريد لم يخرج للقتال إلا لأنه كان حائعا ، ولم ينس دلك أبدا . فلم يصب بالتخمة ، ولم يطمع في غنيمة غيره وعندما عرضت الحارية نفسها للرواج منه لم يأبه بدلك ، على الرعم من أن هدا الأمر يمنحه شرف مصاهرة الملوك ، لكنه يرفض متمسكا بروحته القديمة إنه فارس مثالي كما قلنا ، حاول أن يبقى على نفس مثاليته حتى بعد أن ولى الزمن وتغيرت الظروف وبعد أن حكم حياع نجد مشرق الأرض ومغربها ، وأشرع دياب أظافره الملوثة بالدم حاول أن يتصرف التصرف الشعبي المألوف ، وهو أن الصلح خير ، فإذا بهذا الخير يكلفه حياته وحتى قتله حاء بطريقة « الملاعيب » لقد فهم دياب شخصيته وتلاعب به ، وعندما كانا يشتركان في رحلة الصيد صرخ فيه حدهما من دياب ، والتفت أبو ريد مفروعا ، فوجد دياب يمد له يده وفيها سنبلة من القمح ، أي عدو في تلك الإشارة لجائع سابق ، وأي وعيد تخفي تحتها ، لقد ظل دياب يكررها ثلاث مرات ، وأبو زيد يلتفت صاحكا ، ثم هوى على رأسه بالدبوس في المرة الرابعة محطما رأسه الذي طالما دوخ الأعداء ومات فارس « الملاعيب » بملعوب لا يتفق مع مواهبه .

أما دياب بن غانم فقد كان متناسقا مع نفسه حتى النهاية ، وهو يتحول من فارس إلى حاكم ، ومن حاكم إلى طاغية تزوج أبوه عشر نساء جميلات دون أن ينجب منهن ، ثم اضطر في النهاية لأن يتزوج أشد النساء دمامة في القبيلة ، حتى أنه لم يجرؤ على النظر في وجهها وهو يدخل بها ولم يبق على عشرتها إلا إكراما لذلك الولد الوحيد الذي يحمل اسمه وقد أعطى هذا لدياب إحساسا بالتمرد منذ طفولته . وولد التمرد في داخله طاقة من العناد والرغبة القاسية في الحصول على ما يريد ، وعدم نسيان الإساءة وكان يدرك أنه صمام الأمان لبني هلال ، ويتعمد أن يدخل ميدان القتال متأخرا ، عندما يحسون بحاجتهم الماسة إليه ومند خطوات التغريبة الأولى وهو يسعى للعرش زوج أخته للسلطان حسن ، وسعى لكي يتزوج من الحارية ، لكنها رفضته ، فلم ينس لها ذلك ، وقتلها دون أي تردد في مبارزة غير متكافئة وبعد أن قتل الزناتي أدرك أنه يريد كل شيء ، العرش وسعدى وتونس ومشرق الأرض ومغربها ، وفي سبيل هذه الغاية قتل كل من حاول مقاومته كان حاكما واقعيا ، لا يعترف بأي مثاليات ولا ذكريات قديمة ، ولا حرمة لرفاق السلاح ، وكانت مشكلته الحقيقية هي الزمن لقد وصل إلى العرش بعد أن كبر في السن ، ولم يعد يستطيع الاعتماد على قوة شكيمته كفارس ، ولذا لجأ إلى زرع الخوف والرعب في نفوس الرعية حتى يشل قدرتها كان يحمل في داخله دمامة أمه ، فرأى أن إصلاح هذا الكون الدميم لا يتأتى إلا بإسالة المزيد من الدماء وكان موته استمرارا لدورة الدم التي بدأها

تبقى الحارية ، ويا لها من امرأة ، جميلة المنظر

لد ـ ة المحضر ، بديعة الجمال.، عديمة المثال في ا... ن والكمال ، والقد والاعتدال ، وفصاحة الل ن ، لا يوجد مثلها بين الخلق ، لا في الغرب ولا في الشرق وكل هذه الصفات تمثلت في امرأة واحدة ، كانت تمتلك القدرة ـ في زمن الجواري ـ على تغيير مسار حياتها تركت زوجها حاكم مكة كي تلحق بقومها في تغريبتهم الطويلة ، ولم تفصح عن عواطفها الدفينة إلا بعد أن أخذت التغريبة أقصى مداها وعندما رحلت زوجة أبي زيد مغضبة انتهزت الجازية الفرصة أخيرا وعرضت نفسها للزواج بأبي زيد ولابد أنها انتظرت طويلا ، وربما لم تقم بالتغريبة فعليا إلا من أجل هذه الفرصة . كان هذا هو عشقها الخفي الذي لم يجعلها تجرؤ هي ولا حتى راوي السيرة على البوح به ، كان من الصعب عليها وهي أخت السلطان ، وزوجة الأمير ، أن تتزوج فارسا أسود اللون ، مشكوكاً في نسبه ، وهي وسط قومها في أرض نجد ، وسط التقاليد القبلية الصارمة لكن التقاليد ضاعت في بلاد الغربة ، وولدت سنوات الحرب تقاليد جديدة ، يسود فيها الأقوى وقد وجدت فيها الجازية الفرصة للتعبير عن عواطفها الجياشة ، لكن المنطق الأخلاقي كان أقوى منها ، فرفضها أبو زيد ، وظل هذا سببا من أسباب تعاستها كل الرجال الذين رغبوا فيها رفضتهم ، والرجل الوحيد الذي رغبت فيه رفضها ويبرز دور الجازية قويا بعد أن يموت الفرسان على يد دياب ، فهي التي ترعى الأيتام ، وتهرب بهم بعيدا ، وتعود بهم بعد أن اشتد عودهم ، وتهزم دياب حتى بعد أن ماتت

تبقى الشخصية اللغز ، شخصية سعدى بنت الزناتي خليفة

يقول دياب وهو يطعنها « إن من تخون أباها ...د أي شيء »، وكان محقا ، وعلى الرغم من هذا ...ـفها السيرة بأنها « من أجمل البنات ، لطيفة ...ات ، قد اتصفت بالأنس والمحاسن ، وشاع ...ها في كل الاماكن ، تحير الأدباء ، وتنادم الملوك ...مراء ، ذات أدب وفضل ، ومعرفة بضرب ...ل » كل هذه الصفات الجميلة كانت تغلف ذاتا مخادعة ، تصل بها إلى حد الخيانة عشقت مرعي قبل أن تراه ، وعرفت نهاية أبيها قبل أن يخرج بنو هلال من أرضهم ، وأطاعت غريزتها ضد واجبها البنوي ، فخادعت أباها ، وجلبت الموت لقومها ، والسقوط لمدينتها ساعدت على نفاذ سهم القدر ، ولم تجن من عشقها وخداعها سوى العار والموت .

كيف رسمت السيرة حدود هذه الشخصية البالغة الرقة والجمال في الظاهر ، البالغة القسوة في الداخل . ؟

هل أحلت غريزة المرأة العاشقة مكان المرأة الطفلة ؟ وهل يصلح هذا مبررا في سيرة يحكمها مثل هذا المنطق الأخلاقي الصارم ؟ هل استبدلت عاطفة البنوة ، أم أن هذه نظرة الراوي المتخلفة للمرأة التي يسكنها الشيطان والتي هي محور الشر في العالم ؟

أم لعلنا نقفز إلى أدوات التحليل النفسي فنقول إن قتل الأب هنا هو ثورة على السيطرة الأبوية المطلقة ، وقتل الحاكم المطلق ، بكل ما يحمله من رموز الكبت والقمع والانسحاق ، لعله تعبير عن عقد الطفولة المركبة التي تكونت داخل هذا المخلوق الرقيق المسمى « سعدى »

السيرة لا تقدم جوابا محددا ، وتترك الأبعاد مفتوحة ، حتى تضفي كل جماعة صفاتها النفسية على هذه الشخصية اللغز

من أين يأتي الجراد . . ؟

« بعيد الإسلام انتشرت قبيلة بني هلال مثل سحابة من الجراد »

هكذا يصفهم ابن خلدون ، لكن بني هلال لم يكونوا جرادا يحمل الشر المطلق ، أو الجوع النهم ، لقد كان يحدوهم شوق طاغ للعدل المفتقد أرادوا أن يقيموا توازنا بين الجوع والتخمة ، لعلهم يصلون إلى حافة الشبع الإنساني فوق الأرض العربية

وما زلنا حتى الآن في حاجة لمن يقيم لنا هذا التوازن الحرج فمن أين يخرج بنو هلال هذه المرة ؟ □

الصدفة والعلم

بقلم : الدكتور محمد عبدالرحمن*

يحلو لبعض الناس أحيانا أن يصوروا الاكتشافات العلمية الكبرى على أنها نتائج صدف حدثت فكان الاكتشاف ، وأن ما لم نكتشفه بعد تتكفل به الصدفة ، فهل الأمر بهذه البساطة ؟ !
هذا المقال نقض لمثل هذه المقولات عبر حقائق العلم والتاريخ .

يعطي بعض الناس الصدفة دورا كبيرا في الاكتشافات العلمية ، بحيث تطغى على المجهود البشري في تلك الاكتشافات ، فالذي تسبب في اكتشاف البخار رجل - مجرد رجل - كان بالصدفة يغلي ماء في إناء مغلق ، ومن حركة الغطاء استنتج أن للبخار قوة ، ومن هنا بدأ استخدام البخار بكل ما ترتب على ذلك من قاطرات وآلات بخارية وتطوير في استخدامات البخار ، وغير ذلك كثير وبينما كان هناك رجل يستحم شاهد قطعة « فلين » تطفو على سطح الماء ، فعرف قانون الطفو ، فالأشياء الخفيفة تطفو على سطح الماء ، بينما تغوص الأشياء الثقيلة وباكتشاف قانون الطفو أمكن تطوير صناعة السفن وحساب الغاطس وغير ذلك كثير أيضا أما الجاذبية الأرضية فاكتشافها كان وليد الصدفة أيضا ، حينما سقطت تفاحة على رأس نيوتن فعرف من ذلك الجاذبية الأرضية وكذلك اكتشاف البنسلين ودور الصدفة فيه وغير ذلك كثير . لكن ماذا يترتب على ذلك ؟ يترتب على ذلك منطقيا ألا نتعب أنفسنا أو نجهد عقولنا ، فنحن محكوم علينا أن ما لا نعرفه اليوم هو غيب عنا ، وهذا الغيب مقسم إلى أقسام ، قسم منه غيب عن فرد ولكنه معلوم لفرد آخر ، وهذا ليس غيبا وقسم آخر هو غيب بالنسبة لزمن ما ، فما يكتشف الآن كان بالضرورة غيبا بالنسبة لمن عاشوا فيما مضى وهذا القسم من الغيب يدخل تحت عباءته كل ما يكتشفه العلماء فهم يكتشفونه حينما يريد الله سبحانه وتعالى لهذا الجزء من الغيب أن يكتشف إلى هنا ليس ثمة مشكلة ، ولكن تبدأ المشكلة بعد ذلك ، فقليل من الغيب المرهون بزمن ما ، يعرف عن طريق البحث أو السبب والنتيجة ، ويتوصل إليه العلماء خلال قيامهم بربط الأسباب بالنتائج ، أما معظم هذا الغيب الذي هو العلم والاكتشافات العلمية فهو يتم مصادفة ككل الحالات التي ذكرناها

لماذا ؟

مرة أخرى ماذا يترتب على ذلك ؟

يترتب عليه من ناحية أن علينا أن ننتظر الصدفة ، فلو كانت أقدارنا تسمح لنا بالكشف أو الاكتشافات لتم ذلك في حينه ، ويترتب عليه من ناحية أخرى سؤال مهم هو



* استاذ الكيمياء غير العضوية ، بكلية العلوم ، جامعة الاسكندرية

ـالما أن معظم الاكتشافات العلمية التي غيرت العـ. وأثرت فيه ، قد تمت بالصدفة ، إذن فلماذا تمـ جميعها في دول الغرب ؟ ولماذا اختارت الصدفة أولئك العلماء الغربيين ، من أرسطو حتى هؤلاء الذين حصلوا على جوائز نوبل في العالم المنصرم ؟! .

هذا السؤال وغيره يبدو لنا أكثر أهمية وأعظم خطورة لعدد من الأسباب، منها :

أولا نحن كأمة عربية أو كعالم إسلامي نعاني معاناة شديدة من تخلف حقيقي ، شئنا هذا أم أبيناه . ويجب بالضرورة على كل فرد منا أن يدفع شبح التخلف وأن يزيل أسبابه بكل ما أوتي من قوة .

ثانيا . ترتيبا على السبب الأول فإن الأمة العربية والعالم الإسلامي يعتمدان على الغرب ، في كل ما لديها من علوم وتقنيات ، من آلات وأجهزة ، من مصانع وأدوية ، ومن كل ما هو نتاج العلم التجريبي على وجه العموم إذن فنحن عالة حقا على كل منتجات الحضارة الغربية والعلم الغربي ، فإلى متى نظل هكذا ؟

ثالثا · ليس هناك شك أو جدال في أن الرافد الحقيقي الأول ـ إن كان ثمة رافد آخر ـ للتقدم الآن هو العلم ، والعلم التجريبي على وجه التحديد ، فالذين صعدوا إلى القمر لم يصعدوا إليه بهمهمات غير مفهومة أو بتمتمات على شفاه طيبة

يترتب على ذلك أن كل من يهمه مصلحة الأمة العربية والعالم الإسلامي وصالحها لا بد أن يبحث عن سبب التقدم أو أسبابه إن كان ثمة أسباب أخرى وليعمل على تنمية تلك الأسباب والتوعية بها .

رابعا : إن الأمة العربية والعالم الإسلامي إذا كانا يريدان بحق أن ينهضا مما هما فيه من عثرة ، وأن يصحوا من تخلفهما فليس إلا أن يعتمدا على نفسيهما ، إذ لا يوجد أمام هذه أو ذاك أي بديل آخر ، اللهم إلا إذا كان المزيد من التخلف هو المطلوب لذلك أيضا يصبح من غير المفهوم أن ينظر إلى الاكتشافات العلمية بمثل تلك النظرة الداعية إلى تكريس ما نحن فيه من تخلف وجهالة ولا مبالاة

لكل تلك الأسباب وغيرها يصبح السؤال الذي طرحناه غاية في الأهمية ، لذلك كان الواجب يقتضي على من أخبرنا أن الصدفة هي التي تلعب الدور الرئيسي في الاكتشافات العلمية أن يفسر لنا تلك الحقيقة البسيطة وهي أن جميع الاكتشافات العلمية تمت على أيدي علماء الغرب وحدهم ، فعصر البخار بدأ عندهم بصرف النظر عن السبب وليس في هذا



شك ، كما أن عصر الفضاء وارسال أول إنسان إلى القمر تم عندهم كذلك ، مثل جميع الاكتشافات الهائلة في مجالات الفلك والطب ، وفي الكيمياء كما في الطبيعة أو الفيزياء ، وفي هندسة الوراثة كما في الحاسبات الآلية . بل وكل ما هو مدهل وعظيم في جميع الحالات والمجالات ، فلماذا كان اكتشاف كل ذلك وقفاً عليهم وحدهم ؟ ! لماذا لم يصادف كشف من تلك الاكتشافات الهائلة ، أو كشف أصغر ، واحد ـ أحد الآحاد ـ من أبناء العالم التعيس ، المدعو بالعالم الثالث ؟ ! لماذا لم نكتشف حتى الآن من خلال ما نقرأه أو نعرفه نظرية علمية قبل أن يكتشفها الآخرون ؟ ولماذا يهلل بعضنا بعد كل اكتشاف ويقولون إن هذا الاكتشاف أو ذاك موجود عندنا بحذافيره في كتابنا الأول ؟ إذن فلماذا لم نكتشفه قبل ذلك ؟ وهل لو قلنا بعد اكتشاف النظرية الذرية أنها موجودة في القرآن الكريم ومعروفة وليس هناك حديد فقد جاء في القرآن « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، نقول هل لو قلنا ذلك نكون قد أدينا خدمة للإسلام ؟ أم أثبتنا سذاجة الذين يقولون بذلك ؟ وهل الإسلام كتاب في علم الطبيعة أو الكيمياء حتى ننتظر منه بعض ما تقول الكيمياء أو الطبيعة أم أن الأمر مختلف عن ذلك بكثير ؟

إنه من الإخلال الكبير بمعاني الأشياء ، وتبسيطها إلى حد بعيد أن يقال إن الصدفة هي التي قادت وتقود إلى معظم الاكتشافات العلمية كما أنه ليس مفهوما بأي حال تلك السخرية اللاذعة وذلك الاستخفاف الشديد بالعلم التجريبي !!

وحتى نتأكد من أن الصدفة لا تأتي هكذا خبط عشواء ، وإلا لكانت تلك الصدفة قد صادفت واحدا ، واحداً فقط من بين الملايين الذين يعيشون في دول العالم الثالث فلا أحد ينكر أن عددا لا يحصر من البشر ، ربما ملايين الملايين منذ وجد الإنسان على الأرض وحتى لحظة اكتشاف نيوتن للجاذبية الأرضية ، قد سقط أمام كل منهم تفاحة أو قطعة حجر ، من أعلى شجرة أو من أعلى جبل ، فالأمر سيان . كما أن عددا لا حصر له من البشر قد رأى بأم عينيه أنه لو قذف حجرا إلى أعلى لارتدّ الحجر مرة أخرى إلى الأرض ، ولو كان الأمر أمر صدفة لاستطاع واحد من أولئك الملايين إن لم يكن أكثر من واحد أن يتوصل بسهولة إلى قانون الجاذبية الأرضية ، فلا شك أن واحدا من هؤلاء الملايين في مستوى ذكاء ، إن لم يكن أذكى من اسحق نيوتن . ومع هذا لم يكتشف تلك الجاذبية أحد قبله على الرغم من كل الأعمال التي قدمها ارسطو وجاليليو والبيروني وغيرهم اذن فلماذا يكون المكتشف اسحق نيوتن وليس غيره ؟

حتى نجيب على ذلك السؤال ، دعنا نرى بإيجاز ما قام به نيوتن من بحوث ، وكيف كانت حياته كلها مرتبطة بدراساته وعلومه وبحوثه التي لم يقف بها فقط عند قانون الجاذبية ، لكنه بدون منازع كان صاحب الفضل الكبير في علوم « الميكانيكا » ، بل وفي بداية السببية كلها .

إجابات أمينة

لقد قدمت أعمال نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) إجابات أمينة ومتكاملة للأسئلة التي أثارها ارسطو ، كما أن تلك الأعمال تمثل واحدا من أعظم المساهمات التي قام بها شخص ما حتى تفهم البشرية ذلك الكون لقد طور صورة للكون على أنه عالم دقيق غاية في الإحكام ، يسير بطيئا بآلية متقنة كساعة غاية في النظام خاضعا لقوانين في منتهى الدقة والوضوح إن نيوتن الذي ولد بعد عام واحد من وفاة جاليليو ، قد استمر على خطاه ، وتابع أعماله في عديد من الاتجاهات المهمة ، خصوصا بالنسبة « للميكانيكا » . ومثل جاليليو كان أعظم علماء عصره بلا منازع ، فقد قام بمساهمات مهمة في الرياضيات والضوئيات وظاهرة الموجات كما ساهم في « الميكانيكا » والفلك ، وتكفي واحدة فقط من مساهماته تلك لتبوئه مكانته العظيمة التي احتلها في التاريخ

لقد بدأ اهتمام نيوتن بالآلات التجريبية منذ طفولته ، حيث أبدى مقدرة فائقة على صنع نماذج أصلية لطواحين الهواء ، وساعات الماء ، والساعات

.. سية . ونظرا لقدراته الفذة فقد استطاع .. حاق بجامعة كمبردج حيث أظهر مقدرة غير .. ـة في الرياضيات .

لقد تأكد الآن أنه قضى الفترة من عام ١٦٦٠ - بعد أن أنهى دراسته الجامعية - حتى عام ١٦٦٧ في صياغة نظريات ذات الحدين في الرياضيات ، وتطوير حساب التفاضل والتكامل ، ودراسة التحليل الطيفي للضوء الأبيض ، كما بدأ دراسة « الميكانيكا » والجاذبية . وفي عام ١٦٦٧ عاد إلى كمبردج محاضراً في جامعتها وفي عام ١٦٦٩ شغل منصب الاستاذية فيها لعلم الرياضيات . وفي عام ١٦٨٧ نشر أهم أعمال « المبادىء الرياضية في فلسفة الطبيعة » أو باختصار « « المبادىء » أو « برنسيبا » . وهذه « المبادىء » تمثل واحدا من أعظم ما أنجزه العقل البشري ، وعلى الرغم من ذلك فقد قال نيوتن عن نفسه . إذا كان بإمكاني أن أرى بعيدا فذلك لأنني أقف على أكتاف العمالقة حقا لقد كانت أعمال نيوتن امتداداً لمن سبقوه مثل ارسطو ، وكبلر وجاليليو ، كما استفاد من أفكار كل من بيكون وديكارت وهوك .

إذن لقد كان اهتمام نيوتن الأساسي ومنذ البداية منصبا على دراسة الحركة وقوانينها ، وهكذا قدم للبشرية القانون الأول للحركة ، وهو ينص على أن « كل جسم يحتفظ بحالته من سكون أو حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية »

هذا القانون يعرف أيضا بقانون القصور الذاتي ، وحتى نعرف دور هذا القانون أو القصور الذاتي دعنا نتعرف على حركة سفينة الفضاء في الفضاء الخارجي فلو عدنا إلى كيفيةوصول رواد الفضاء إلى القمر ، سنجد أن سفينة الفضاء التي تنقلهم تنطلق من قاعدة الإطلاق حتى تأخذ مدارا حول الأرض ، وبعد ذلك - بعد التأكد من أن كل شيء على ما يرام - تطلق الآلات الصاروخية عدة دقائق حتى تخرج من المجال الأرضي وتبدأ في الاتجاه ناحية القمر .

وبمجرد أن تصل إلى السرعة والاتجاه المناسبين ، يتم إغلاق الآلات الصاروخية من هنا يتمكن رواد الفضاء أن « يبحروا » مدة ثلاثة أيام ويقطعوا خلالها ٢٤٠,٠٠٠ ميل إلى أن يصلوا إلى مكان مناسب من القمر . أحيانا وليس غالبا ، فإن على الرواد أن يطلقوا آلاتهم الصاروخية دقائق قليلة عند نقطة منتصف المسافة تقريبا ، ليس بهدف تغيير السرعة ، ولكن لتصحيح الاتجاه . المهم هنا أن الرحلة تستخدم القصور الذاتي (أو هذا القانون الأول لنيوتن) ليحرك مركبتهم بسرعة كبيرة منتظمة (حوالي ٣٠٠٠ ميل في الساعة) . إن القصور الذاتي كما اكتشفه نيوتن يقوم بعمله أو بدوره خير قيام ، لأنه لا توجد مقاومة تؤثر على المركبة في الفضاء .

ثم قدم للبشرية القانون الثاني للحركة حيث « معدل التغير في كمية حركة الجسم تتناسب تناسبا طرديا مع مقدار القوة المؤثرة عليه ويكون في اتجاهها » ، ولعل هذا من أكثر القوانين التي يستخدمها العلماء والمهندسون في حساباتهم

كما كان للقانون الثالث للحركة وهو الذي ينص على « أن لكل فعل رد فعل مساوله في القوة ومضاد له في الاتجاه » تطبيقات كثيرة منها الطائرة النفاثة .

يضاف إلى ذلك قانون بقاء المادة ، ثم قانون بقاء كمية الحركة ، فجميع تلك القوانين قدمها أو اكتشفها نيوتن ، ولعلها جميعا لم تدخل في اكتشافها الصدفة ، أي صدفة ، فلم تكن في حاجة إلى سقوط تفاحة حتى يتم اكتشافها .

قصة غير حقيقية

لقد اعتبر نيوتن أن الأجسام الساقطة تتسارع ناحية الأرض لأن الأرض تجذب تلك الأجسام . لقد قيل إن الفكرة الأساسية لقانون الجاذبية قد استنبطها نيوتن من سقوط تفاحة على رأسه ، غير أن هذه القصة غير صحيحة ، ولسيت بالتأكيد قصة حقيقية ، ولكن نيوتن سجل أنه بينما كان يفكر في كيفية « إمكانية » وصول الجاذبية إلى أعلى تفاحة على الشجرة وجذبها إلى أسفل ، بدأ يندهش لأول مرة ، من المدى الذي يمكن أن تمتد إليه الجاذبية .

ولقد كان يعرف أن الجاذبية الأرضية تصل حتى

إلى أعلى من الجبال ، ومنها استنتج أن تأثير الجاذبية يمتد إلى الفضاء . أخيرا فقد كان يتساءل إذا ما كانت الجاذبية الأرضية تمتد إلى القمر في مداره الذي يسير فيه ، بعد ذلك تحقق من أن القمر أيضا « يسقط » ناحية الأرض ، لأن سرعته تتغير دائما (في الاتجاه) حيث يكون اتجاه التسارع عموديا على حركته الدائرية وبالتالي يشير إلى الأرض في مركز مدار القمر

لأن هذه القوة تغير اتجاه القمر فهي القوة الجاذبية المركزية وكذلك فإن الكواكب تسقط ناحية الشمس لأن اتجاهات تسارعها في مداراتها البيضاوية تشير ناحية الشمس ، وطالما أن التسارع يمكن أن يوجد فقط حيث توجد قوة مؤثرة فإن الشمس لا بد أن تجذب الكواكب . لهذا فقد استنتج نيوتن أن نفس نوع القوة ـ قوة الجاذبية ـ لا بد أن تكون موجودة خلال الكون بأسره

واضح إذن مما سبق أن الأمر ليس بسيطا إلى حد أن يستنتج نيوتن كل تلك القوانين من مجرد سقوط تفاحة على رأسه ، إن هذا القول تبسيط مخل بالمجهود العظيم والعمل الرائع والتفكير العبقري الذي قام به نيوتن وهو تبسيط ساذج مخل بكل ما يقدمه البحث العلمي من معرفة واكتشافات ، ولو سقطت ملايين التفاحات على رأس شخص لا يهتم بحركة الأجسام ولا تؤرقه تلك المشكلة ، فلن يرى في سقوط التفاحات أكثر من طعام يلتهمه سعيدا مع خالص شكره للرزاق رب العالمين

وعلى الرغم من معرفة عدد لا بأس به من البشر بموضوع الجاذبية الأرضية ، وعلى الرغم من التقدم العلمي الهائل ، فإنك لو سألت فردا لا يعرف الجاذبية أو لم يسمع عنها ، فلن يستطيع الربط بين سقوط الأشياء وبين الجاذبية . وقديما كان أرسطو يقسم الأشياء إلى عناصرها الأربعة كما يقول : الماء والتراب والهواء والنار ، وكانت تلك العناصر هي التي تتكون منها جميع الأشياء ، وكان يعتبر أن الأشياء التي تتكون من العنصرين الأولين ـ التراب والماء ـ تنتهي حركتها إلى الأرض حيث الأرض هي المكان الطبيعي لهما ، كما أن النار والهواء يرتفعان طبيعيا إلى أعلى ، أي أنهما يميلان إلى الصعود إلى السماء ، حيث المكان الطبيعي لسكونهما . إذن فقد فسر ارسطو حركة الأجسام عند تحررها ـ كالتفاحة مثلا عندما تنضج فتسقط ـ على أنها نتيجة لرغبة الأشياء في أن تكون أكثر كمالا ، كما اعتقد أن الطين والماء يكونان أكثر كمالا كلما تحركا إلى أسفل ناحية المكان الطبيعي لسكونهما .

وقفة للتساؤل

عند هذه النقطة لا بد أن نقف قليلا ونتساءل ـ لو أن نيوتن لم يتوصل إلى قانون الجاذبية ، فهل كان هناك من سيكتشفه بعد ذلك ؟ والإجابة على هذا السؤال هي نعم بالتأكيد ، وحتى لو لم يكن هناك اسحق نيوتن ، فلا بد أن يوجد من يتابع أعمال ارسطو وجاليليو وكبلر وغيرهم حتى يتوصل إلى تلك القوانين ، كما كان هناك من تابع أعمال نيوتن وتوصل إلى كل ماتعرفه اليوم من قوانين الفيزياء والرياضة ، وعلى الرغم من ذلك فلا بد من التأكد من شيء جوهري وأساسي وهو أن هؤلاء جميعا جعلوا مهتهم وهمهم تلك الموضوعات التي أبدعوا فيها وانصرفوا معها عن كل شيء آخر ، فتوصلوا إلى ما توصلوا إليه من ابداعات واكتشافات وليس الأمر فقط لأنهم عباقرة أو أذكياء ولكن لأنهم بكل تفكيرهم وعقولهم ووجدانهم قد اعتبروا موضوعاتهم ـ موضوعات فقط ـ هي كل همومهم واهتمامهم ولو أن رجلا عبقريا مثل باستير سقطت على رأسه ملايين التفاحات لما اهتم بها ولا توصل لقوانين الحركة والجاذبية . وليس ذلك ناتج عن قصور في الفهم أو نقص في العبقرية ، ولكن لسبب هو غاية في البساطة ، وهو أن جميع اهتمامات باستير وكل فكره كان مشغولا وموجها لموضوع آخر لا علاقة له بحركة الأجسام أو تجاذبها . ونفس الشيء ينطبق على نيوتن نفسه ، فما كان ليكتشف الميكروبات ، لأن ذلك كان موضوعاً خارج تفكيره وبعيدا عن مرمى غاياته .

الواضح إذن أن كلمة الصدفة في العلم ليس لها ى . وكان يمكن أن يكون لها معنى في حالة وا- ة وهي أن يكتشف لنا رجل لا يعرف الكيمياء ، مثلا قانوناً في الكيمياء . هنا يمكن أن نقول إن الصدفة هي التي لعبت دورا وليس لذلك الرجل دور أما أن يكون المكتشف قد أفنى عمره في البحث عن موضوع ما يشغل كل فكره واهتمامه ، ثم يقال بعد ذلك إن الصدفة لعبت دورها الأساسي ، وكأن هذا الباحث ليس له فضل ، فهو استخفاف أكثر من ساذج أو مخل بقيمة العلم والبحث العلمي .

إغلاق العين وإغلاق القلب

والحق أن هذا الاستخفاف يثير عدداً غير محدود من الأسئلة ، فحيث يكون المجتمع متخلفا يصبح من الضروري بمكان على كل الذين يأخذون الصدارة فيه ، أن يكون رائدهم تقدم ذلك المجتمع .

والسؤال الآن ما هي عوامل تقدم المجتمعات في وقتنا الحاضر ؟ لا نقاش بأن العلم ـ العلم التجريبي ـ بكل ما له من جلال هو المصدر الأساسي إن لم يكن الوحيد لتقدم أي مجتمع . والذين لا يرون ذلك عليهم أن يتخلوا لحظة واحدة عن استخدام النتائج الحاسمة للعلم فحتى أحاديثهم في وسائل الإعلام مدينة ـ من ألفها إلى يائها ـ للعلم . إن دور العقائد هو توجيه الغاية للنتائج التي يقدمها العلم ، فالعلم يقدم حقيقة ما أو يصنع آلة ما من خلال تطبيقاته ، وبعدها وقبلها يكون الدور المهم للعقائد والأديان وللفلسفة والاجتماع في توجيه تلك الحقيقة العلمية أو التقنية لخير البشرية ، وفي الاتجاه الذي يخدم الانسانية ، ويعلي شأن الانسان ، ويعطيه مزيدا من الرفاهية ، ويؤكد على إنسانية الانسان ، كما يقطع دابر فكر الغاب وقانونه . وعلى سبيل المثال فـ الثقاب هو نتاج علمي ، لكن عود الثقاب يمكن أ مر بيتا أو مصنعا أو قرية ، وفي نفس الوقت يمكن للمرء أن يشعل به موقدا لإنضاج الطعام . وهنا ـا للعلم دوره في إنتاج الحقيقة العلمية أو المنتج العلمي ، أيا كان هذا المنتج ، فهو في النهاية حقيقة علمية ثابتة ، ينكرها من ينكرها لكن ذلك لن يغير من قيمتها شيئا . وكما قيل فإن من يغمض عينيه عن النور يضر عينيه ولا يضر النور ، ومن يقفل قلبه عن الحق يضير قلبه ولا يضير الحق . فنتائج العلم وتطبيقاته لا يمكن أن تنكسر ولا تحتاج إلى من يعترف بها ، فالكل يعتمد عليها اعتمادا كليا حتى أولئك الذين ينكرونها . نعم قد تبدأ المشكلة في الهدف الذي تستخدم من أجله . وهنا يكون دور العقائد والأديان في تهذيب الإنسان ، وفي إعلاء إنسانيته ، وفي الدفاع عن قيمه كإنسان ، ومن ثم تحديد الهدف الذي يكون على الدوام من أجل الإنسان ومن أجل رشده وسعادته .

لا أحد يريد للعلم أن يصبح معبودا جديدا ولا إلهاً للعصر ، ولكن الاستخفاف بالعلم ونتائجه التي يعيشها أي فرد في هذا العالم الآن يفقد الذين يستخفون به مصداقيتهم ويعري كلماتهم . وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن الخاسر في النهاية لن يكون العلم بحال .

ونحب أن نذكّر فعسى أن تنفع الذكرى ، فذات يوم بعيد أن اكتشف جاليليو أن الأرض هي التي تدور حول الشمس ، وليست هي مركز الكون كما قال أرسطو من قبله ، وكما ترى الكنيسة استنادا إلى ارسطو . وحين أعلن جاليليو ذلك وأثبته مؤكدا ما ذهب إليه كوبرنيكوس كان للكنيسة موقف آخر . ولعل العالم يدرك الآن مدى ما تعرض له جاليليو من إهانة وسجن وقهر وقسوة ، ناهيك عن أنه أجبر على أن يعلن على الملأ راكعا على ركبتيه ما يلي : ـ

« أنا جاليليو لكوني الآن في السبعين من عمري ، ولكوني سجينا راكعاً على ركبتي أمام رفعة مقاماتكم ، ولما كان الانجيل المقدس أمام عيني وألمسه بيدي فإنني أشجب وألعن وأحتقر ما قيل وكتب من خطأ وبدعة حول حركة الأرض » .

ومع هذا فلم يصح غير الصحيح ، ولم يخسر جاليليو ، كما لم يخسر العلم ولكن خسرت الكنيسة . □

الوسواس القهري له علاج

بقلم : الدكتور دري حسن عزت

الوسواس معروف منذ القدم ، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم وجاء في وصفه بأنه الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . وحالات الوسواس ليست نادرة الانتشار ، فهي تنتشر بين الناس بشكل عام بمعدل حوالي واحد في الألف وهناك من يعانون من أعراض الوسواس وهم لا يعرفون طبيعة هذه الأعراض ، وهل هي مرض أم غير ذلك ؟ ويعانون في صمت وتخف دون أن يتلقوا أي علاج . فما الوسواس ؟ وما تعريفه العلمي ؟

يظهر الوسواس كفكرة أو صورة ذهنية متخيلة أو دافع داخلي مثل الهاتف أو كحركة بدنية سلوكية ، تفرض نفسها على المريض ، وهو يعرف انها غير عقلانية وليست منطقية ويحاول إزاحتها عن دائرة الشعور ،ويقاوم سيطرتها عليه ، لكنها تعاوده وتفرض نفسها عليه ، ويتكرر هذا مرارا ، فينشأ صراع نفسي بين عمليتي الفرض والمقاومة ، مما يؤدي بالمريض إلى حالة من التوتر والقلق وعدم الاستقرار أو إلى نوبات حادة من الاكتئاب

وليست كل المظاهر الوسواسية مرضية ، فبعض الأطفال عندما يسيرون على أرض مرصوفة بالبلاط يشعرون أنهم مرغمون على تفادي ملامسة أقدامهم خطوط مربعات البلاط ، وإذا لامست قدم أحدهم الخط ، أعاد الخطوة بحيث يتفادى ذلك وبعض آخر من الأطفال عندما يسير بجانب سور من الأسوار الحديدية فإنه يعدها برتابة ، وعندما يصل إلى رقم معين يشعر أنه مرغم بأن يلمسه بيده ، ثم يبدأ العد من جديد ملامسا العمود الذي يقابل الرقم المعين يكرر هذا السلوك طوال سيره بجانب السور .

والأمثلة على مثل هذه الظواهر الوسواسية عند الأطفال كثيرة ، لكنها تعد في حدود ما هو طبيعي ومثل هذا السلوك يتلاشى تلقائيا عندما يصل الطفل إلى سن البلوغ ، لكن الأعراض الوسواسية المرضية تبدأ غالبا بالظهور في سن المراهقة أو بعدها بقليل

وتنقسم أعراض الوسواس إلى ثلاث مجموعات - أفكار الوسواسية ، والدوافع الوسواسية ، والأفعال الوسواسية القهرية

١ - الأفكار

تكون هذه الافكار غالبا ذات طبيعة غير سارة ، تثير الاضطراب والتشكك. أفكار تتولد فجأة في ذهن المريض تدور حول طبيعة الكون ونشأة الحياة ، وعما هو خطأ أو صواب ، أو حلال وحرام ، أو أسئلة ليس من ورائها جدوى ، وليست لها إجابات شافية ، أسئلة مثل ما سبب زرقة لون السماء ؟ وهل أنا حي حقيقة ؟ وما هو الدليل ؟

تساؤلات لانهاية لها عن الجنس والأمراض التناسلية ، أو عن طبيعة الأشياء ، أو الهدف من وراء أعمال معينة. هذه الأفكار يعي المريض بوضوح عدم منطقيتها ، ويريحها عن ذهنه ، ويطردها بإرادته من وعيه ، لكن سرعان ما ترد ثانية فارضة نفسها عليه ، مما يسبب له ضيقا شديدا ، ويفقده راحة البال ، ويصعب عليه التفكير فيما يريده ، أو التركيز على ما يهدف إليه ، ويصبح مشتتا لايتخذ قرارا ولا يبت في موضوع

وأحيانا تتحول الأفكار إلى صور ذهنية متخيلة ، تتراءى للمريض بوضوح كأنها حية. هذه الصور الذهنية تكون غالبا غريبة ومزعجة ، مما لا يصح تصورها ولا يجوز تخيلها ، وهي تدخل في دائرة المحرمات ، يطردها المريض من ذهنه ويستعيذ بالله من إلحاحها ، لكنها تعاود الظهور ، مما يوقعه نهبا لمختلف الصراعات



٢ - الدوافع

تأتي هذه الأفكار على هيئة دافع داخلي ، أو قوة داخلية يشعر بها المريض ، تدفعه إلى القيام بأعمال معينة ، تكون ذات طبيعة عدوانية غالبا ، والعدوانية هنا إما تجاه الذات أو تجاه الآخرين

فبعض الناس عندما يرى سيارة أو عربة متحركة مسرعة في اتجاهه يشعر برغبة في إلقاء نفسه أمامها وبعضهم عندما يطل من فوق أماكن مرتفعة يشعر برغبة ملحة بإلقاء نفسه وكأن الأرض تجذبه إليها بشدة. وعندما يكون بعضهم الآخر في أماكن يسود فيها السكون والرهبة ، أو تحيط بها القداسة والجدية ، مثل أماكن العبادة أو قاعات المحاضرات أو الاجتماعات ، يشعر برغبة ملحة في الصياح بصوت عال بألفاظ بذيئة أو أن يسب بفاحش القول. وتتملك بعض الناس رغبة في الاعتداء على الآخرين ممن يكونون قريبين منهم ، كإيذائهم بآلة حادة ، أو إلحاق الأذى بالأطفال حديثي الولادة ممن لاحول لهم ولا قوة

مثل هذه الدوافع والرغبات الوسواسية نادرا ما يتحقق تنفيذها فعلا ، لكنها تظل تلح على المريض وتقلقه ، وهو يداوم على تفاديها وطرد إغراء القيام بها

٣ - الأفعال

هي التعبير الحركي ، أو المحصلة السلوكية للمخاوف الوسواسية ، فمن عنده الخوف الوسواسي من التلوث بالقاذورات أو الجراثيم ، يعبر عن ذلك بالاغتسال المتكرر حتى تتقرح يداه

وهذا النوع من وسواس النظافة يصيب النساء أكثر من الرجال

والخوف الوسواسي من التلوث بالقاذورات يمكن

أن يتعدى الذات ، ويسحب على الأطفال ، فتجد الأم تغسل يديها أو جسمها ثم تنتقل إلى أطفالها لتنظفهم ، وعندما تنتهي تشعر أنها قد تلوثت من جديد فتعاود الاغتسال ، ثم تكرر ذلك على أطفالها ، وهكذا يتكرر هذا الأمر معظم الوقت حتى أنها تتوقف عن القيام بأي عمل آخر مفيد أو تكمل سائر واجباتها المنزلية ومثل هؤلاء الأشخاص تضطرب حياتهم ويسببون إزعاجا كبيرا لأسرهم

ومن الأمثلة الأخرى للأفعال القهرية ، هؤلاء الذين يعانون من وسواس التأكد ، فهم بعد إغلاقهم أبواب منازلهم ونوافذها يقومون مرات للتأكد من إحكام إغلاقها ، على الرغم من تأكدهم بأنفسهم من ذلك من قبل كذلك هؤلاء الذين لايكفون عن مراجعة دفاترهم للتأكد مما هو مدون فيها

ومن يعاني من وسواس الدقة يعد أوراق النقد مرات ومرات للتأكد من دقة عده ، وتجده مشغولا بالتدقيق وبالتأكد حتى ليعجز عن الإنجاز الفعلي إن كان عمله في الصرافة أو في « البنوك »

وقد سمي هذا النوع من الوسواس « القهري » لأن المريض على الرغم من مقاومته القيام بهذه الأعمال إلا أن الإلحاح المرضي على تنفيذها يغلب عليه ، ويجد نفسه مقهورا مرغما على أدائها

ليست شخصية مرضية دائما

الشخصية الوسواسة هي إحدى أنماط الشخصيات الإنسانية ولها سماتها المميزة لها ، وأصحاب هذه الشخصية يحبون النظام والترتيب ، ويتمسكون بالإجراءات الرتيبة ، ويستاءون من التغيير ، وغالبا ما يأخذون أنفسهم بالحزم والصرامة في المعايير الأخلاقية ، والأعراف الاجتماعية ، ومسائل الضمير ، ويقدسون الواجب ، ويتمسكون بما يعتقدون أنه حق ، ويجادلون في ذلك ، ويضحون في سبيله ، كما انهم يمارسون كبح النزوات ، ويقاومون الإغراء ، ويعتنقون الآراء المحافظة ، وهم دائمو التوتر مشدودو الأعصاب لايسترخون بسهولة



هذه الشخصية بصفاتها المميزة ليست شخصية مريضة دائما ، بل ان صفاتها تؤهلها للعمل بكفاءة في مهن معينة ، كالوظائف في المكاتب وتدقيق الحسابات في الشركات أو المصارف ، إذ تقبل على العمل ، ولا تتبرم من كثرته ، وتصل إلى الكمال في تأدية الواجب ، لكنها في بعض الأحيان إذا جوبهت بضغوط بيئية زائدة تظهر عليها بعض الأعراض الوسواسية ، لكن هذه الأعراض غالبا ما تكون ذات طبيعة مؤقتة ، تزول بزوال السبب الخارجي

أسباب الوسواس القهري .

هناك من يؤمن بأهمية عامل الوراثة كمسبب أساسي ، وهناك من يرجح تأثير عوامل البيئة الخارجية وفي رأيي أن عامل الوراثة يلعب دورا هامشيا في موضوع الوسواس ، وأن الظروف المحيطة بالشخص لها تأثير كبير على نمو شخصيته وتطورها ، وعلى اكتسابه العادات التي يثبت عليها في الكبر وأعتقد أن الأعراض الوسواسية يتعلمها

. في محيط الأسرة من أحد الوالدين على أنها
ك طبيعي

. لاشك أن صاحب الشخصية الوسواسية سيربي
. لاده على صفاتها ، فيكتسبون هذه الصفات
. اسطة آليات التعلم المختلفة التي يتعلم بواسطتها
الانسان باستمرار منذ طفولته كل ما يستطيع استيعابه
عن سنته كذلك ثبت أن التربية القاسية من جانب

الوالدين - لاسيما من الأب - التي تتسم بالتزمت والجمود والقهر والكبح والقمع والتقريع والزام الطفل بمعايير صارمة في السلوك والأخلاقيات غالبا ما يعجز عن فهمها في المراحل الأولية من نموه ، أقول إن هذه الأساليب التربوية ذات الأفق الضيق والأثر الفاسد هي التي تلعب دورا كبيرا في ظهور الأعراض الوسواسية عندما يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة أو بعدها بقليل

وأرى أن استيعاب هذه المعلومة المهمة يساعدنا على عمل الكثير نحو وقاية أبنائنا من مرض الوسواس القهري (وربما غيره أيضا من الأمراض النفسية) ،

اد انهم في حاجة إلى اللين والتسامح والارشاد بالحسنى في أسلوب تربيتهم ، كما يحتاجون للتفهم والتعاطف والمساندة والقدوة الحسنة التي تكون امامهم مثلا للاقتداء ، وتمثل صفاتها السوية واكتسابها

العلاج

كثير من الأعراض الوسواسية تصاحب مرض الاكتئاب النفسي ، وتعد جزءا من أعراضه الأصيلة ، كما أن معاناة أعراض الوسواس فترة طويلة تسبب حالات من الاكتئاب ، لذا وجد أن . ستعمال بعض أنواع العقاقير المضادة للاكتئاب . عد كثيرا في حالات الوسواس

كذلك ينتج عن عملية المقاومة المستمرة من جانب . ض ضد الالحاح المتكرر للخواطر الوسواسية عصبي شديد ، وحالات من القلق النفسي ،

وهنا يوجد مجال كبير لإعطاء المريض المهدئات النفسية الخفيفة فترات قصيرة وكما أن معظم حالات الوسواس تعاني من حالتي التوتر العصبي والاكتئاب النفسي ، فيفضل وصف عقار من كل من المجموعتين معا فذلك يؤدي الى نتائج أفضل

وفي جميع الحالات يحتاج المرضى إلى تلقي العلاج النفسي المناسب بأي أسلوب من أساليبه المعروفة سواء الفردية أو الجماعية وفي بعض الأحيان يكون للعلاج السلوكي نتائج فاعلة

فمن يعانون من وسواس التلوث بالأقذار يمكن استخدام اثنتين أو أكثر من آليات العلاج السلوكي معهم ، فمثلا بآلية إزالة الحساسية تجاه التلوث يعرض المريض تدريجيا لمصادر التلوث المختلفة حتى يتأقلم معها ويتدرب على ألا يهابها فيزول عنه الخوف الوسواسي منها ، وبآلية الاغراق يعرض المريض لهذه المصادر فجأة ليدرك بنفسه عمليا أنه لا يوجد مخاطر حقيقية لهذا التعرض

ومن يعانون من الأفكار الوسواسية أو الصور الذهنية يطلب المعالج أن يستحضر المريض في ذهنه وبإرادته هذه الأفكار والصور ، وفجأة يصيح المعالج بصوت عال منفر « توقف » ، فتتوقف الأفكار وتتلاشى الصور ، ويستطيع المريض بعد ذلك أن يتدرب بنفسه على ذلك بأن يهمس لنفسه إذا راودته هذه الأعراض بأن « يتوقف » ، وتزول عنه

والأساس النظري لهذا الأسلوب العلاجي هو التعلم الايجابي لمجابهة الأعراض فبدل أن يظل يقاوم الأفكار والصور دون طائل يجعلها تحت سيطرته ويطردها هو بإرادته بالأسلوب الذي تعلمه

وأخيرا فإنني أود التأكيد على أن أعراض الوساوس ليست دائمة أو مستمرة ، فهي تظهر في نوبات حادة لها انحسار مهما قويت أو طالت ، وهذه النوبات الحادة لها علاجاتها المناسبة العديدة ، ويمكن بواسطتها السيطرة عليها ، وربما الشفاء منها إذا ما تم الوصول إلى حقيقة أسبابها وظروف نشأتها . □

من القلب

■ قال الأب لابنته الوحيدة : أريد أن اخبرك بأن جارنا طلب يدك لابنه الشاب ، وأنا وافقت .

فتظاهرت الابنة بالحزن وقالت · ولكن ياوالدى .. كيف أترك والدتي وحدها ؟

فقال خذيها معك .

■ الاول (متفاخراً) ألا تعرف من يكون أبي ؟

الثاني · لماذا ؟ ألا تعرفه أنت ؟

■ العم وحق ترى إلى أى مدى يصل طموح الانسان ، فقد كنت في مثل سنك أعمل مساعدا في حانوت بقال بأجر بسيط جدا جدا ، ولم تمض ست سنوات حتى ادخرت من المال ما يكفي لشراء المحل الذى كنت اعمل فيه ، فلماذا لا تفعل مثلي ؟

الشاب :إن الأمور صعبة في هذه الايام، لان البقالين يستخدمون الآن آلة لتسجيل البيع والشراء

■ قال الزوج لرجل البوليس . إني هنا من حوالي ساعة ، أنتظر زوجتي ولم تأت بعد ، فهل لك أن تطردني ؟



في الصميم

* إن أصعب مشكلة تواجه الطبيب هي محاولته معرفة نوع الطعام الذي يفضله المريض لكي يمنعه من تناوله .

د . اندريه سويدان

* منح (ألديك) بعضا من أسوأ العيوب الرجالية : الغطرسة والميل الى تعدد الزوجات ، وتلك العادة السيئة التي ترمي الى افهام الناس الذين يودون النوم انه قد استيقظ .

آن ماري كارير

ضحكات عربية

لعن الله العجلة

روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها أرسلت تابعا بدويا ذات يوم ليأتيها بقبس من نار للدار وبينما البدوي يلتمس القبس شاهد قافلة تسير الى مصر فمضى معها ومكث بها عاما ، ثم حن لمألفه واهله فعاد وخلال مروره بطرق المدينة ، تذكر القبس عندما رأى ناراً على مبعدة ، فعدا اليها ، فتعثر ووقع على الأرض ثم نهض وهو يقول لعن الله العجلة

وصية !!

أوصت اعرابية ابنتها عند زواجها فقالت اقلعي زج رمحه ، فإن أقر فاقلعي سنانه ، فان أقر فاكسري العظام بسيفه ، فان أقر فاقطعي اللحم على ترسه ، فان أقر فضعي الأكاف (البردعة) على ظهره ، فانما هو حمار

نصب !!

عندما ذكر يوسف وهبي أحد الفنانين بتنفيذ وعد قطعه على نفسه رد الفنان : لا تخف ياأستاذ يوسف ، لقد جعلت هذه المسألة نصب عيني فقال له يوسف وهبي أنا خفت أن تكون قد جعلتها (نصب) فقط

□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□

أخيرا

قال الكاتب الذى لا ينضب معين كتبه وهو يقدم كتابه الى الفريد كابو: تفضل ياسيدى .. آخر كتبي .

الأخير : حسنا ـ حسنا حداً

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

ضحكات عالمية

كتابات غير مقروءة

قال الروائي المسرحي روبير دوفلر لأحد أصدقاءه : نظرا لرداءه خطي فإن الكثيرين من أصدقائي لا يستطيعون قراءة كتاباتي عندما تكون مكتوبة بخط يدى

فقال له صديقه ولكن صديقك الصحافي فلان خطه أسوأ من خطك بكثير

فقال دوفلر بالنسبة له ليست مشكلة فكتاباته لا تقرأ حتى بعد طباعتها .

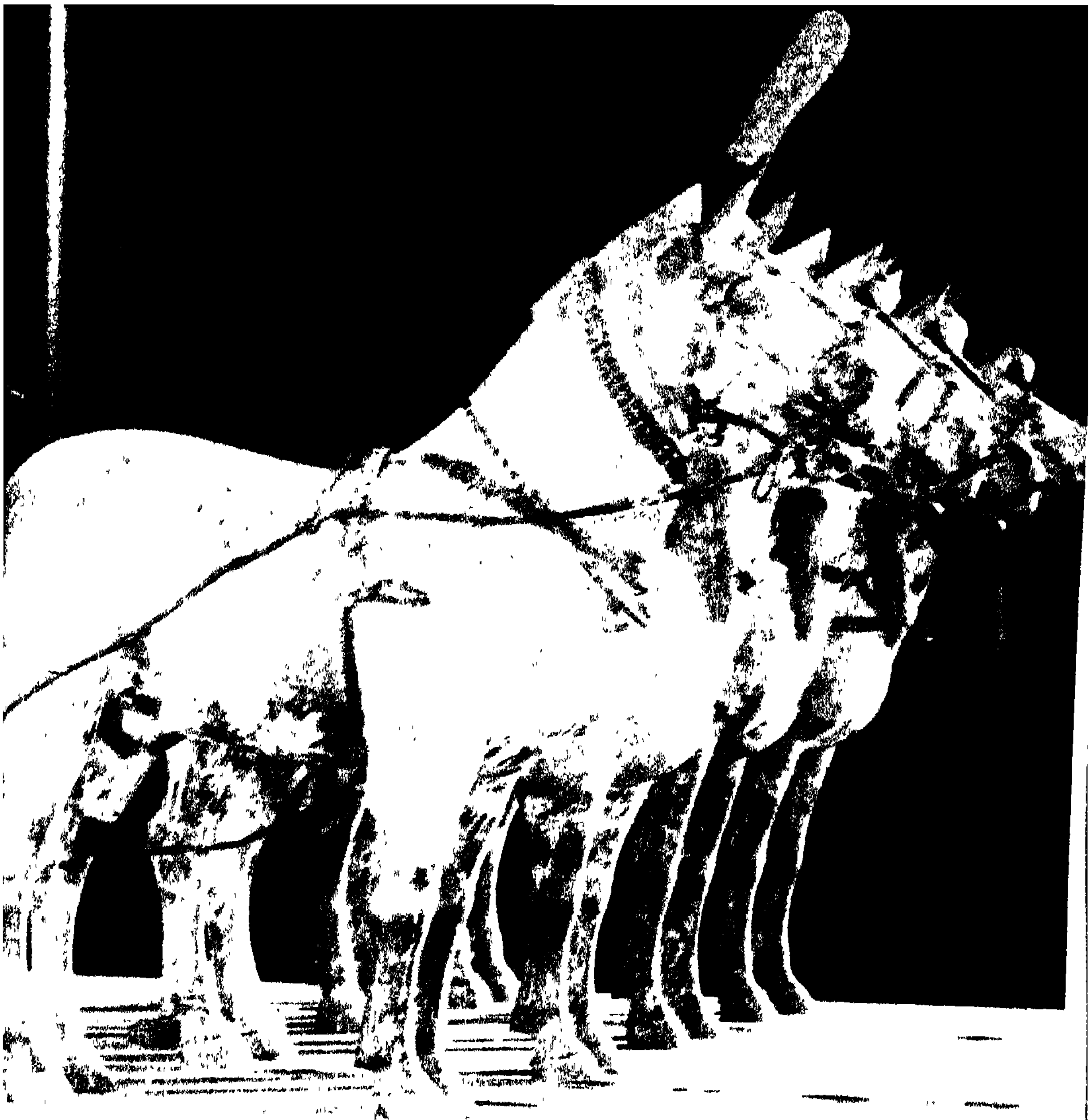
مؤامرة

قال أحد الشعراء المغمورين وعديمي الموهبة لاوسكار وايلد .أنا أعتقد أن هناك مؤامرة صمت تحاك ضدى ، ماذا تنصحني أن افعل ؟

فأجابه وايلد · انضم الى المتآمرين

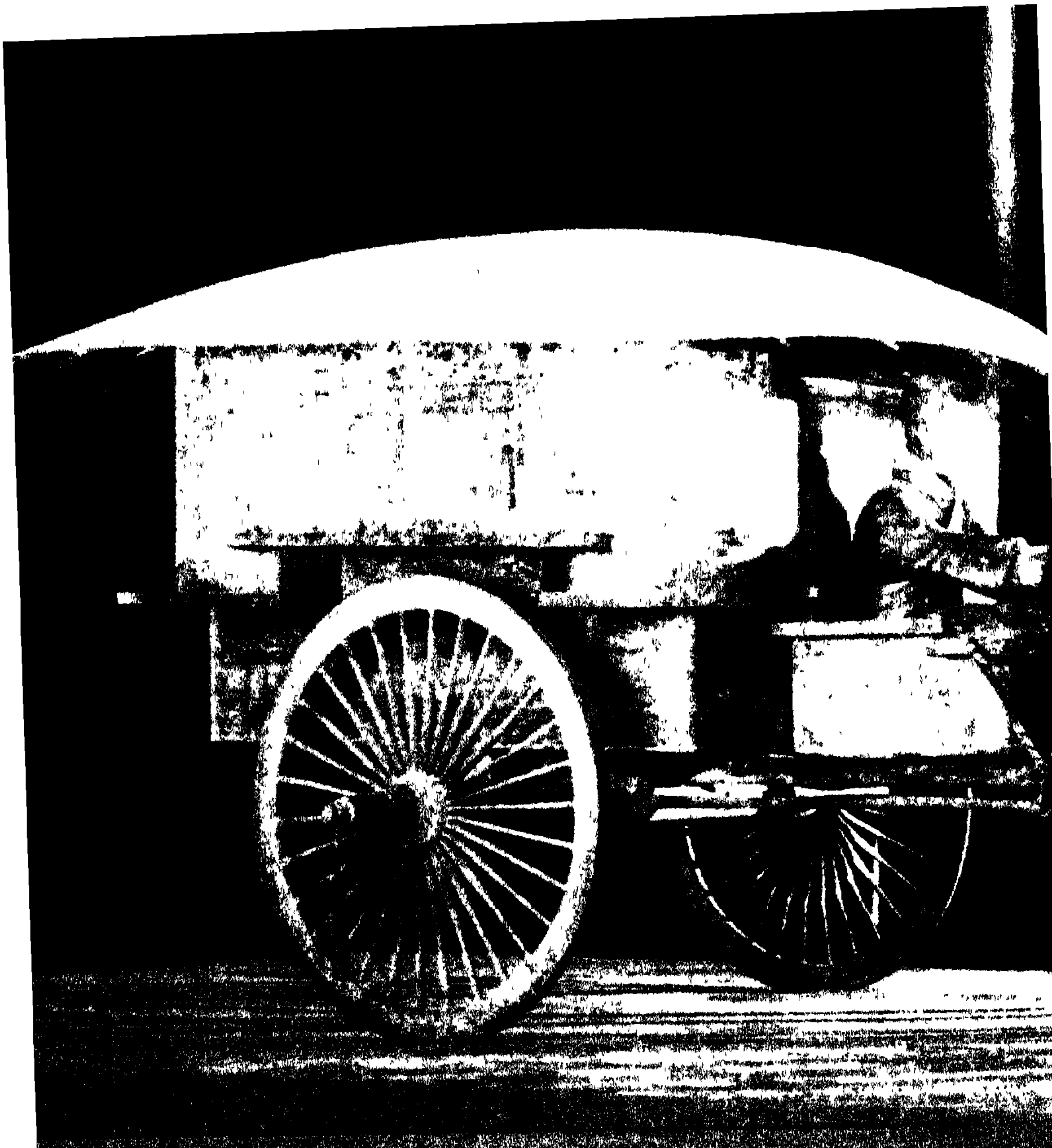


أوسكار وايلد



من شيراز

استطلاع : سليمان مظهر / تصوير : سليمان حيدر



هل شهدتم من قبل جيشا يبعث حيا ، ويخرج من باطن الارض بمشاته وفرسانه وقادته وسلاحه وعرباته ، بعد أن ووري الثرى قبل أكثر من ألفين من السنين ؟!

هكذا قال لنا « شيانج بن » نائب رئيس مقاطعة شانسى في الصين وهو يبتسم .. ثم أضاف : سترون هذا البعث الجديد للجيش وهو ينفض عن نفسه تراب الزمن في « شيان » أول عاصمة في الصين ، وهو بعث قد يبدو لكم غريبا . ولكن هذا الجيش الخارج حيا من الظلمات بتعداد رجاله الذى يتجاوز ثمانية الاف محارب ليس غريبا بالنسبة لنا . فشعبنا الكبير الذي يتجاوز تعداده ألف مليون نسمة بعث حيا بعد ان كان غارقا في ظلمات عصور الأباطرة والاقطاعيين والمستعمرين والمجرمين والخونة أيضا . إذ أهالوا عليه تراب السحرة والعبودية والجوع والجهل والافيون . هذا فنحن [illegible] نهوض الشعب الصيني وانطلاقه خدمة ثم بعث حقيقي

في مدينة « شيان » نحاول متابعة اسطورة البعث فمثل الفراعنة في مصر القديمه ، بى الاباطرة الصينيون لأنفسهم قبورا ضخمة ، كانت غرف الدفن فيها تبدو وكأنها قصور تحت الأرض ، وكانوا يدفنون معهم كنورهم وكل ما يحتاجون اليه من أدوات وأطعمة ووسائل التسلية وتماثيل رحالهم والمقربين اليهم ، مما يتفق مع عقيدة الصينيين القدماء ، الذين كانوا يعتقدون ان الأباء والأسلاف يبعثون احياء بعد موتهم ، ويعيشون في مملكة غير محددة وغير واضحة ، وانهم يتمتعون في تلك المملكة بكل ما كانوا يتمتعون به في الدنيا

ولعل ذلك هو ماجعل البلاد مليئة مما لا يحصى من القبور الهرمية الضخمة للاسلاف ، وبخاصة الاباطرة الدين كانت قبورهم المحفورة تحت الأرض تمتد في مساحة عدة مئات من الامتار المربعة تغطيها تلال هرمية ترتفع الى اكثر من مائة متر

وكما كان كشف قبر توت عنخ امون وكنوزه في مصر إحدى عجائب العالم ، فقد كان لكشف قبر الامبراطور شي هوانج تي اول اباطرة اسرة تشين في شرق شيان في عام ١٩٧٤ نفس الأثر المثير ، اد لقي اهتماما كبيرا في العالم ، ودخلت مكتشفاته بخطوات ثابتة طابور عجائب العالم السبع كعجيبة ثامنة ! فمن بطن هدا القبر خرج الى الحياة فيلق امبراطوري كامل يضم ثمانية الاف محارب بين مشاة وفرسان ، يسيرون في طوابير منتظمة ، متدرعين بالسلاح والخوذ والدروع ، وهو المشهد الذي وقفنا أمامه نتأمله في شبه ذهول !

جيش يخرج من القبر

على عمق لا يقل عن عشرين مترا تمتد أمامنا ساحة تنقسم الى ثلاثة اقسام ، اتساعها ٢٠ الف متر مربع تضم ما يقرب من ٨ آلاف تمثال من الفخار تمثل المحاربين و ٦٠٠ من الخيول الصلصالية و ١٢٥ عربة حربية مصنوعة من الخشب ونشعر أننا أمام جحفل عرمرم من جيش أسرة تشين يسير في مهابة مثيرا عجاجة هائلة وسط الميدان . في المقدمة ٢٠٤ من حملة الأقواس في صفوف ثلاثة يتوسطهم ضباط يحملون السيوف ، ويتبع هذه الصفوف ٣٨ طابورا من المشاة لابسي الدروع ، تتخللها ٣٨ عربة حربية تجرها مائة واربعون من الخيول

الجيش مرتب في نظام الاستعداد لخوض معركة ففي القسم الأول جناح الجيش الايمن وقوامه المشاة المعرزون بالعربات الحربية ، والجزء الثاني هو جناحه الايسر المؤلف من العربات المسنودة بالفرسان والمشاة ، والقسم الثالث هو مقر القيادة تتوسط عربة القائد ، ويفصل بين القسمين الثاني والثالث شبه مخزن لا يحتوي على شيء ، وهو سر مايزال مجهولا

عندما نطيل التأمل في رجال الفيلق الامبراطوري نجد أن الضباط والمشاة وحملة الاقواس والفرسان وسائقي العربات كلهم ذوو قامات متساوية بطول ١,٨ مترا مثل طول الانسان العادي وتماثيل العساكر والخيول لا تتميز بالضخامة الهائلة فحسب ، وإنما ايضا بدقة النحت الذي يصور على الوجوه الامزجة المتباينة والطباع المتفاوتة والعيون المحدقة والقامات المنتصبة والوجوه المفعمة بالقوة والذكاء والثقة ، وهم في هذا كله ذوو أعمار مختلفة ، فمنهم المحاربون المتمرسون ومنهم الشبان الذين بلغوا اشدهم ومنهم الفتيان الأغرار اما الخيول فتبدو شديدة المراس قوية بصهواتها الصلبة ورؤوسها المرفوعة وصدورها الرحبة مع متانة قوائمها وطول قاماتها يصل الى مترين ومعدل ارتفاعها متر ونصف متر

أما الاسلحة والدروع والسهام والسيوف والأقواس والمجانيق فتبدو في هيئة راقية الى حد بعيد ، يدل على ذلك ما يقرب من عشرة آلاف من تلك الاسلحة التي يحملها عساكر الفيلق ، وهي تضم آلات القتال الطويلة والقصيرة وآلات الرمي البعيد وما تزال بعض سيوف الضباط مصقولة كانها حديثة السبك مع انها مطمورة منذ الفي سنة .

ويشير الاثري يوان زونجي الى احد هذه السيوف ويقول لنا لقد اظهرت الدراسات ان تلك الاسلحة مسبوكة من النحاس الممزوج بالقصدير وغيره من المعادن الثلاثة عشر ، كما ان السيوف والانصال مطلية بمعدن الكروم وتعلوها طبقة من مادة تحصنها من الصدأ ، وهذه الطريقة من الوقاية لم تعرفها الدول الاوروبية والأمريكية الا في العصر الحديث

العربة الامبراطورية :

يأخذنا مرافقنا الى قسم جانبي على يسار القاعة الكبرى لضريح الامبراطور تشين . في وسط القاعة وداخل مقصورة زجاجية كبيرة تنتصب مركبة ملكية واربع خيول وسائق امامها لافتة تقول انها احدى مركبتين عثر عليهما في بقعة تبعد عشرين مترا عرب ضريح الامبراطور في ديسمبر ١٩٨٠ ، وكانت المركبتان ركاما من كسرات النحاس ، وكانت الخيول البرونزية الثماني قد تفككت اطرافها ، وتزن المركبتان ٣٥٠٠ كيلوجرام . وبعد سنتين ونصف سنة من الترميم تمت اعادة تركيب احدى المركبتين وخيولها الاربع والسائق الى الوضع الأصلي

اما عن تاريخها فيقول لنا مرافقنا . قام الامبراطور تشين هوانج تي بعد ان وحد الصين بخمس رحلات في البلاد قطع فيها آلاف الاميال ليفرض هيبة سلطانه على الناس وكان يسافر في موكب عظيم تتوسطه مركبته المذهبة التي تسير بين صفوف من المركبات تتقدمها عربات القيادة وتجري في مؤخرتها ٨١ عربة حماية مغطاة بفراء النمور باستثناء آخر اثنتين منها إذ تعلق عليهما ذيول الفهود وقد مات الامبراطور في احدى هده الرحلات ببلدة شانشنغ ويمكنكم ان تكونوا فكرة عن المركبات الامبراطورية التي كان يستقلها في جولاته من هذه المركبة التي عثر عليها في الصريح

ونقف امام العربة الامبراطورية نتأملها ، فالمركبة وخيولها مزينة بالفضة او الذهب الابيض تتكون من ٧٤٧ قطعة ذهبية و ٨١٧ فضية ، وللمركبة عريش ومقصورتان احداهما صغيرة في المقدمة للسائق والثانية في الخلف للامبراطور ، والاخيرة عبارة عن ظلة مستديرة ارضيتها مربعة ، وتبدو كانها حجرة فخمة بجدرانها المزدانة من الداخل بالتصاميم الرائعة ، ومن خارجها بالمنحوتات البارزة ، وفي المقصورة اربع نوافذ وباب يقفل « بسقاطة » ، اما السائق فتبدو عليه امارات الهناء والرزانة ووجهه مستدير ممتلىء يبدو محدقا الى الامام وقد مد يديه كأنه يمسك بالعنان ، واما الخيول البرونزية فقد صيغت بدقة متناهية وبدت لنا كأنها ماتزال حية بالتجاعيد حول افواهها المفتوحة والشعر في اعرافها كأنه شعرها الطبيعي .

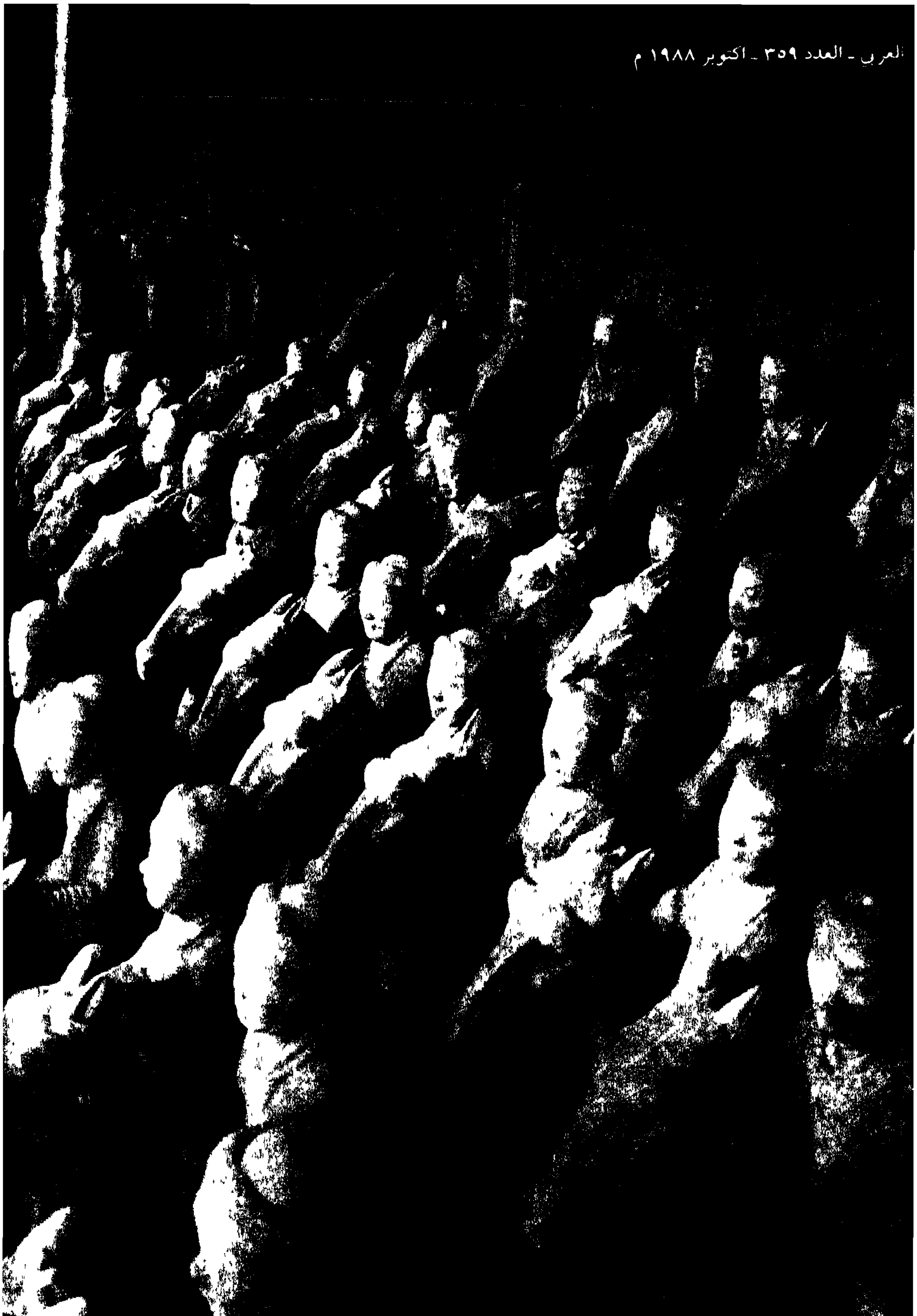


حريطة تبين موقع مقاطعتي شنشي وسيشوان وعاصمتيهما شيان وتشنجدو

هذا هو الشيطان

قصة الكشف عن تلك الآثار يرويها لنا مرافقنا يانج دونج من مكتب الشئون الخارجية بمقاطعة شانسي ونحن نتجه لنشهد ماهو متاح للمشاهدة من ضريح الامبراطور تشين

في مارس من عام ١٩٧٤ كان الفلاح يانج بوي يان من قرية شيانج التابعة لكومونة بانتشاي يحفر بئرا في غابة شرق الضريح وفجأة ضرب فأسه برأس صلب لم يكد يزيح عنه التراب حتى كاد يسقط على الارض من الذهول لقد كان امامه جندي بكامل هيئته ولباسه وعيناه مفتوحتان كأنهما تنظران اليه في قوة وعندما افاق من ذهوله استخرج تمثال الجندي وهو ينادي رفاقه ويهتف : هذا هو الشيطان . . هذا هو الشيطان . وتكاثر الجميع حوله وربطوا الجندي وعلقوه من ساقيه في غصن شجرة كبيرة ، وراحوا يتناوبون ضربه بالسياط باعتباره رمزا للشر واستمر ضرب التمثال عدة ايام حتى بلغت القصة مسامع المسئولين وذهب احد الاثريين ليكتشف حقيقة التمثال . فأوقف عملية الضرب وفك قيوده ، واحيط المكان بسور خشبي وبدأ الاثريون عمليات التنقيب حيث تم لهم كشف الموقع كله . وشهدت السنوات العشر ١٩٧٤ و ١٩٨٣ كثيرا من الجهود التي انتهت بترميم مايربو على الف من اولئك الجنود



[illegible]



والخيول واعادتهم الى هيئتهم الاصلية . وشيد في مكان القسم الأول من الساحة متحف كبير ضم التماثيل التي تم ترميمها في مواقفها وصفوفها المتراصة حتى اصبحت تبدو للمشاهدين وكأن الفيلق في ميدان المعركة .

ونصل الى ضريح الامبراطور بعد ان درنا حول الجبل خلف متحف الفيلق الامبراطوري امر تشين هوانج تي ببناء الضريح منذ اليوم الأول من حكمه حين اعتلى العرش وهو في الثالثة عشرة ، ولم يكتمل البناء الا بعد ست وثلاثين سنة من العمل والجهد الشاق وضحى من اجله الآلاف بحياتهم . واذ نتأمل مشهد الضريح والتل الهرمي الكبير الذي يعلوه نعرف من مرافقنا ان ارتفاعه في الايام الأولى من انجازه كان ١١٥ مترا بمحيط ٢,٥ كم وكان يضم في داخل اسواره المزدوجة صفوفا من المباني الفاخرة لكن بقاياه التي كشفت عنها الحفريات التي نراها امامنا لا يزيد ارتفاعها عن ٤٥ مترا اي اقل من الثلث ، بينما اتسع المحيط كثيرا عما كان عليه فبلغ كل جانب من الجوانب الاربعة ٧ كيلو مترات لتصبح المساحة كلها حوالي ٥٦ كم٢ وتقول السجلات التاريخية ان عرفة الدفن نفسها غائرة بعمق ٦٩٣ مترا حيث سخرت صخور القاع لتكون الاساس المعزز بالنحاس الذي قامت عليه القصور والقاعات معتمدة على الأعمدة الثمانية ، وفي سقف القبة شمس وقمر ونجوم من الدرر .

قال لنا تشين زيانج ليانج مدير مكتب الشئون الخارجية بمقاطعة شانسي هذا هو الامبراطور تشين الذي أسس أول دولة إقطاعية موحدة مركزية في تاريخ الصين وأحاطها بالسور العظيم الذي شهدتموه في أول رحلتكم ، وكانت دولته تضم ٢٠ مليون نسمة ، جند ثلاثة ملايين منهم في الخدمة العسكرية ، وسخر ٧٠٠ الف في تشييد قصوره و ٧٥٠ الفاً آخرين في بناء ضريحه وازدحمت المساحات التي تقوم عليها قصوره ومقبرته بجثث آلاف الموتى من هؤلاء البنائين ، ورزح الشعب المسكين طوال عهده تحت الضرائب والعقوبات الشديدة والسخرة فضاق الشعب ذرعا وراح يتحين الفرص للوثوب وما أن مات حتى انتفض الفلاحون في حركة بعث وأجهزوا على حكم أسرته

وختم تشين زيانج ليانج كلامه قائلا : « إذا كنا نعتز بتاريخنا القديم إلا أن حركة البعث تؤكد أن الشعب مهما رزح تحت عبء السخرة والطغيان فلابد أن يقوم من جديد ، تماما كما بعث شعب الصين في السنوات الاخيرة بعد أن أزاح عن كاهله ظلمات وقيود العبودية والاحتكار والاستعمار فهكذا قام شعب الصين الجديد

الملكية التعاونية بعد العبودية :

تتبعنا تطور المسيرة من خلال ما سمعناه أثناء اللقاء مع « تشانج بن » نائب رئيس مقاطعة سانشي الذي قال « كان لابد للعبودية والاقطاع أن يجدا في النهاية من ينتصر عليهما ، ولهذا فحين قامت الجمهورية الشعبية أمضت السنوات الاولى في النهوض بالاقتصاد ، واستولت على كل المؤسسات الرأسمالية وحولتها الى مؤسسات اشتراكية تملكها الدولة . وتبع ذلك إلغاء الاقطاع والملكية الاقطاعية وأخذت الارض من ملاك الاراضي ، ووزعت على الفلاحين الفقراء ، وعلى من لا أرض لهم ، وبذلت في الوقت نفسه جهود كبيرة لتحسين الاقتصاد الذي مزقته الحروب وخلفته الصين القديمة وقد تحقق بعد ذلك رقم قياسي في الانتاج الزراعى والصناعى شرعت الصين على أساسه في البناء الاقتصادى في ظل تخطيط دقيق فاتخذت خطوات لتأسيس الملكية العامة لوسائل الانتاج في ظل الاشتراكية ، وانتظمت تعاونيات المنتجين الزراعيين على أساس تطوعي ، وتحولت المؤسسات الصناعية التى كان يديرها الرأسماليون لتصبح مؤسسات مشتركه بين الدولة والافراد ، وازدهر البناء الاقتصادى بشكل واسع في السنوات اللاحقة بفضل الجهود الملموسة التى بذلها الشعب كله »

هذه الصورة الجديدة شهدناها عندما زرنا محافظة كوانجهان حيث تجرى أبرز صورة تعاونية للمجتمع الفلاحي في الصين

الانتاج الزراعي ودور المرأة

بينما كنا نتجول مع نائب رئيس مجلس المحافظة التعاونية السيد/ شي بين المزارع والبيوت الريفية

ـال لنا ان محافظة جوانجهان اتخذت كبداية لاصلاح البنية الاقتصادية في الريف الصيني ، حيث بدأت تجربة جديدة للاصلاح منذ عام ١٩٧٩ بتحويل هيكل الانتاج من الفيالق الانتاجية كوحدة اساسية الى نظام تعاقد بين الفلاحين والمجالس المحلية ، وفي عام ١٩٨١ بدأت المرحلة الثانية وهي التعاقد بين اسر الفلاحين والحكومة وعندما اتضح نجاح التجربة بدأت المرحلة الثالثة الاخيرة وهى إدارة الانتاج على أساس طابقين . الطابق الجماعى والطابق الفردى .

فما هى حكاية هذا التقسيم النوعى ؟ كانت الملكية في الريف من قبل تنقسم الى ثلاثة أنواع · ملكية عامة وملكية جماعية وملكية فردية ومن خلال المرحلتين الاولى والثانية لاصلاح البنية الاقتصادية تم التحول الى الملكية التعاونية ، أى تنفيذ سياسة التعاقد بين الفلاحين والحكومة بربط مسئولية الانتاج بأرباح الانتاج لتنفيذ ذلك تمت تعبئة حماس الفلاحين للانتاج الزراعى وإصلاح الهياكل الانتاجية ، وشهد الاقتصاد الريفى تطورا سريعا نسبيا في السنوات الماضية ولم يقتصر الأمر على المنتجات الزراعية فقد بدأ ٦٠٪ من الفلاحين يدخلون مجال الانتاج الصناعى والأعمال اليدوية والمنتجات الشعبية الريفية . والآن تعد الارض والمواد الانتاجية الكبيرة ملكية تعاونية ، والفلاحون يستأجرون الاراضى والوسائل والمواد الانتاجية من خلال الجمعية التعاونية وحين لا يستطيع أى عدد من الفلاحين القيام وحدهم بعملية الانتاج فإن الجمعية التعاونية تقدم لهم الخدمات الانتاجية المختلفة ، وهذا يعنى تنفيذ نظام إدارة الطابقين ، أى الفردية والتعاونية ، على أساس الملكية العامة ، ومن خلال ذلك يمكن أن يظهر الدور الجاد للجمعية التعاونية في الانتاج ، وبالتالى تظهر حماسة الفلاحين بما يؤدى الى التطور الزراعى كما وكيفا ، أما نظام التسويق فانه بالنسبة لبعض المنتجات الضرورية لحياة الشعب مثل الحبوب الغذائية والقطن والزيت فإن الدولة تحدد الاهداف والنسب المعينة للفلاحين ، الذين عليهم أن يبيعوا هذه الكمية المحددة للدولة سنويا ، أما مايزيد عن تلك النسبة فيترك للفلاحين الذين أنتجوها زائدة عن الحاجة أن يبيعوها كما يشاءون ، لكن حسب قانون الاسعار . ويستطيع الفلاح ان يحصل على بعض المواد الانتاجية كالبذور والاسمدة من جمعيات ائتمان للحصول على الاموال اللازمة للشراء ، كما أنه في بداية كل سنة زراعية تعطى القروض مقدما باحتساب نسبة من الانتاج المتوقع وبعد أن يتم الحصاد وبيع المنتجات للجمعيات تخصم قيمة القروض الزراعية التي حصل عليها الفلاحون

الصورة الواضحة التى خرجنا بها هى أن « الميكنة » الزراعية استعادت قوة الدفع بعد تطبيق نظام المسئولية الأسرية في الزراعة ، وارتفعت نسبة الانتاج بشكل بارز ، وبخاصة بعد أن بدأ نظام رى الاراضى وحصادها آليا وسجل رقما قياسيا جديدا وقال لنا نائب رئيس مقاطعة سشوان ان الفلاحين يقومون الآن بشراء مزيد من الآلات الزراعية بسبب انتقال عدد أكبر منهم للعمل في الصناعات الريفية والمشروعات غير الزراعية الاخرى ، وبسبب تركيز قطع الاراضى الزراعية المتعاقد على زراعتها مع الأسر الفردية التي تعمل من خلال النظام التعاونى . وقد شهدنا بأنفسنا في المزارع والأراضى الزراعية كيف تؤدى المرأة دورا كبيرا حيث تقوم بالحرث والزرع والرى والحصاد ، ولاحظنا أننا لم نكن نمر بأى حقل إلا ونجد المرأة هى التى تعمل ، بينما الرجال يجلسون على مقاهى الشاى يتسامرون ، وقد اطمأنوا الى الجهد الكبير الذى تبذله نساؤهم في رعاية الحقول والاهتمام بالمزيد من الانتاج ، وهو أمر بغير شك يدعو الى الانتباه . !

عام التنين

صورة أخرى جديدة شهدناها حين انتقلنا الى شنجدو عاصمة مقاطعة سشوان حيث قطاع كبير من الشعب الصيني .

سشوان مثلها مثل بقية مقاطعات الصين ومدنها كانت في ذلك الوقت تعيش « عام التنين » . والتنين - كما تذكر الأساطير الصينية القديمة - يعنى السعد والخير ، ويعيش في السماء كما في الماء ، وهو ليس مفزعا وحشيا ينقض على الناس ليلتهمهم كما قد يخطر على البال ، وهو خمسة أنواع رئيسية : أولها التنين الامبراطوري ، رمز الامبراطور الذى شهدناه في المدينة المحرمة ، وله خمسة مخالب في القدم الواحدة ،

بعكس سائر التنانين ذات المخالب الاربعة وثانيها التنين السماوى حارس منازل الآلهة وثالثها التنين الذي يوجه الرياح والامطار ويروى الحقول ويتسبب في بعض الأحيان بالفيضان ، لكن عن غير عمد ورابعها التنين الارضى الذى ينظف الانهار ، ويعمق البحار ، ويمد يد العون الى البشر ، ليساعدهم في التحكم في مياه الفيضان أما خامس التنانين فهو حارس الكنوز المحافظ عليها ، وهو قد يصبح شرسا بشعا إذا لم يكن الطارق هو صاحب الكنز نفسه

ذلك هو التنين ، وهذا العام هو « عام التنين » الذي احتفل الصينيون ببدئه في النصف الثاني من فبراير الماضى

عن سر عام التنين قال لنا « حيو شيانج » بمكتب الشئون الخارجية جاء ذكر عام التنين في دليل صينى ، تم تأليفه منذ حوالى ألف سنة ، يحدد للفلاحين أنسب موعد للبذار والحصاد وأيام الزفاف والجنازات ويتحدث الدليل عن عام التنين فيصفه بأنه « سنة عمياء » بلا ربيع ، ذلك أن العام الذى يسبقه وهو « عام الأرنب » الذى انتهى في ١٧ فبراير الماضى حسب التقويم المصرى ـ تخصص عن توأمين ، أو ربيعين ، مما يجعل العام الذى يليه بلا ربيع !

وإذا كان الصينيون قد ساروا على طريق حديد لايؤمن بديانات السماء ، فإنهم مازالوا في أعماقهم أسرى الاساطير وهم يلجأون الى التقويم لاستشارة حساباته الفلكية والجوية التي تم تسجيلها خلال مئات السنين والاساطير تقول إن الزواج في سنة تضم ربيعين يثمر سعادة وهناء ، بينما الارتباط في عام أعمى يعد من سوء الطالع ، وهى تحذر من أن الذين يتزوجون في عام التنين سيصابون بالتعاسة ، ومن اضطر الى الزواج في ذلك العام فإن عليه أن يتخذ كل الاحتياطات ، لان زواجه مغامرة غير مأمونة العواقب !!

ولان الكثيرين من الشباب أرادوا أن يتفادوا مغامرة الزواج في عام التنين ، فقد تسارعوا خلال عام الارنب للحصول على تراخيص الزواج الحكومية ، وكانوا يصطفون خلال الاسابيع الاخيرة التي سبقت ١٧ فبراير الماضى في طوابير طويلة أمام مكاتب التصاريح ، حتى ينهوا إجراءات الزواج ، ولا يضطرون للانتظار حتى ينتهى عام التنين !

ولاشك أن ازدياد عدد الزيجات خلال العام الماضى قد زاد من قلق المسؤولين عن تخطيط الاسرة ، الذين يخوضون صراعا ضاريا للسيطرة على النمو السكانى فازدياد حالات الزواج معناه زيادة جديدة في عدد المواليد ، وبخاصة في العامين القادمين . ويزيد من ذلك القلق أكثر أن هناك اعتقادا آخر بأن الاطفال الذين يولدون أو تحمل أمهاتهم في عام التنين ينعمون بالصحة الجيدة والقوة والذكاء والقدرة على العمل الجاد ، وهو أمر يتوقع معه ارتفاع آخر في معدل المواليد ، مما يقض مضاجع الساسة المهمومين بتحديد النسل ، خاصة أن الاحصائيات أكدت أن العام الماضى وحده قد شهد زيادة في عدد السكان بواقع خمسة عشر مليون نسمة ، وهى زيادة أكثر مما استهدفته السلطات

وكل ماتخشاه الصين وتعمل له ألف حساب هوالمزيد من الانفجار السكاني .

وياله من انفجار في دولة تضم بين جنباتها ربع سكان العالم !! وهو أمر كان أمامنا أن نفكر فيه طويلا خلال جولتنا بين مقاطعات الصين ولقاءاتنا مع الشعب في المدن والقرى والطرقات

حوار مثير

في شوارع لندن وباريس وروما تستطيع أن تلتقى دائما برسامين وفنانين هواة ، يرسم أحدهم وجهك في دقيقة ، ويقلد آخر لوحة فنان شهير في نصف ساعة ، ويستوحى ثالث منظرا طبيعيا يقدمه لك بالالوان في أقل من ذلك !

هنا في بعض مدن الصين ، حيث تذوق الفن والابداع في الرسم والتلوين هواية محببة وبخاصة عند الشباب ، تستطيع أن تسير في الشوارع الحديثة الممتدة بالقرب من الفنادق التي ينزل بها السياح والاجانب ، فتجد معارض ومتاحف حضارية مفتوحة في الهواء الطلق ، وقد علقت اللوحات الطولية على الجدران كل منها بطول أكثر من ثلاثة أمتار وعرض أكثر من متر ، رسمها أو قلدها هواة محترفون ويمكنك أن تساوم بالطبع وتنجح في الحصول على اللوحة بأقل من نصف الثمن المعروض ، حين يكون معك مرافق يتحدث معهم بلغتهم ويتبادل معهم الهمس ، ليؤكد لك بعد ذلك



التنين هو الرمز البارز لمسيرة الحياة في الصين ورسومه محفورة على الجدران والاسوار كما في الصورة العليا
بينما الابناء في المدارس يتدربون في حديقة منذ الصغر



أنه نجح في إقناعهم بتخفيض أجر اللوحة بأقل من سعر التكلفة لأنك صديقه أو ضيفه . . وأنه هو الذى سيدفع ثمن اللوحة . . !

وكانت تلك متعتنا لأننا ـ وزميلي المصور ـ من هواة الفن واقتناء اللوحات الملونة لاسيما المناظر الصينية التقليدية . . وكان أبرز هذه المتاحف المفتوحة في الشارع الرئيسي بسيشوان على طول رصيف الفندق الكبير الذى نزلنا به .

ولكن . . ليست هذه هي الحكاية . . فالاهم هو أنه قد أتيحت لنا فرصة خلال هذه الجولة المسائية ـ وليس معنا مرافق أو مترجم ـ لان نلتقى بشابين اقتربا منا وراحا يساومان من أجلنا ويجيبان على أسئلتنا بالانجليزيه وبعد أن تمت الصفقه طلبنا منا أن يصحبانا في الطريق ، ليس فقط للشرح والترجمة ، ولكن لانها يستمتعان بالحديث بالانجليزية ، التي يدرسانها في الجامعة ويتمنيان أن يجدا من يتبادلا معه الحديث والحوار ، لان اتقان اللغة يحتاج الى ممارسة وبدت لنا فرصة كنا نتمناها . فقد كنا نريد أن نجلس مع أبناء الشعب نتحدث ونتحاور بعيدا عن الرسميات والرسميين فقلنا لهما إن الحوار يمكن أن يتم بطريقة مشوقة أكثر لو جلسنا مع عدد من الاصدقاء لتبادل الحديث دون أن يكون مجرد حوار على الطريق ، ورحبا بالفكرة . . ودعانا أحدهما إلى بيت أسرته لقضاء السهرة كانت الجلسة ممتعة حقا ، فيها من الصراحة ماكنا نتمناه ، وبخاصة أنها ضمت الى جانب رب الدار وزوجته أباه وأمه وشقيقته الطالبة في الجامعة .

نساء للبيع

المجاملات في أي حوار تكون بداية لابد منها ، حصوصا أن الصينيين يحبون عادة من يمتدح جمال بلادهم ويتذاكر حضارة أسلافهم ، ويشيد بجهود أحدادهم وإبداعات أبنائهم وبناتهم ، وهنا . . تطل الصراحة بعد انفتاح باب الحوار على مصراعيه .

كانت بداية الحديث ماقرأناه في صحيفة « ديزنهاى » الصينية التى نشرت أن أسواقا لبيع الفتيات قد انتشرت أخيرا الى حد كبير في جهات كثيرة من قرى الصين ، وأن كثيرا من الرحال يشترون الفتيات للزواج منهن وخاصة القرويات ، بسبب هجرة عدد كبير من الفتيات الى المدن . وذكر الخبر أن متوسط سعر الزوجة يساوى مابين ٨٠٠ و ١٠٠٠ يوان (حوالى ٤٠٠ دولار) .

هنا . . انفتح القمقم . . وانفجرت الطالبة الجامعية غاضبة :

ـ هل عاد عهد العبودية والرق ؟ ألم يكف المرأة الصينية ماعانت طوال قرون منذ أكثر من ألفى سنة ، حين كان المجتمع المغلق بتقاليده يرفع من شأن الرجل ويحط من قدر المرأة ، مما جعلها تعانى من مرارة الحياة وبؤسها وتعاستها ؟

ودخلت الام وهى تسير يبطء حاملة أوانى الشاى . وحين سمعت ماتقوله ابنتها تدخلت مقاطعة .

ـ الواقع أن المرأة العاملة لم يكن لها أى حق أو مكانة في شتى المجالات بما في ذلك الاجتماعية والعائلية .

وأشارت الام البدينة الى قدميها الصغيرتين اللتين لاتكادان تحملانها للسير بشكل طبيعى .

ـ لقد كانوا الى عهد قريب يضعون أقدامنا ونحن أطفال داخل أحذية حديدية حتى تظل صغيرة جدا . لقد كانوا يدعون أن ذلك أحد مظاهر الجمال ، ولكن الحقيقة أنهم كانوا يقصدون أن تعجز المرأة عن السير الطبيعى على قدمين قادرتين على حمل جسدها حتى في الطرقات ، وتظل حبيسة جدران الدار تعمل وتشقى كخادمة في خدمة السادة طوال الليل والنهار وكانت البنات عبئا على الاباء لأنهم يصبرون على تربيتهن ولاينالهم من ذلك إلا أن يبعثوا بهن حين يكبرون الى بيوت أزواجهن ليعملن فيها ويلدن أبناء يكبرون لأسر غير أسرهم وكان من أشد أسباب المذلة الدائمة للامهات ألا يكون لهن أبناء ذكور لان هؤلاء أقدر من البنات على العمل في الحقول ، بل لقد كان محرما على النساء أن يخرجن لتقريب القربان الى الآلهة والاسلاف والأبشع من ذلك أنه إذا ولد للاسرة بنات أكثر من حاجتها وصادفت الأسرة الصعاب في إعالتهن تركتهن في الحقول . ليقضى عليهن صقيع الليل أو الحيوانات الضارية دون أن يشعر الاهل بشيء من وخز الضمير . . !

قال الاب العجوز :

ـ لاتنس ان الاسلاف نجحوا ـ من خلال
ـ صهم على عزل البنات في البيوت دون الاولاد ـ
و غرس فضيلة العفة عند الفتاة نجاحا كبيرا ، حتى
أن بعض البنات كن في بعض الاحيان يقتلن أنفسهن
إذا اعتقدن أن شرفهن قد تلوث إذا مسهن رجل
بالمصادفة .

ونتساءل ولكن هذه العزلة لم تكن تفتح الطريق أمام الفتاة للزواج بمن تتمنى أو تحب .

قال رب الأسرة . لم يكن للزواج صلة كبيرة بالحب ، فالغرض من الزواج هو ربط زوجين صحيحين أحدهما بالآخر لكي تنشأ أسرة كبيرة . وهذا الرباط لايصح أن يترك لحكم العواطف القائمة على غير أساس من العقل ولهذا فلم يكن الزوج الذي تختاره الأسرة لابنتها يستطيع رؤيتها حتى تزف إليه ويسمح له برفع النقاب عن وجهها ولذلك كانت البنت تدرب على أن تكون رهن إشارة والديها في اختيار زوجها ، وأن تكون حبيسة مطيعة في وقت واحد

وترد الام وهي تكتم غيظا يكاد ينفجر

ـ كان الزوج يأخذ زوجته لتعيش معه في بيت أبيه وأمه ، حيث تكدح كدحا في خدمة زوجها وأمه ، حتى يحين الوقت الذى يحررها فيه الموت من هذا الاسترقاق ، بينما الفتاة من الجيل الجديد تختار الزوج الذى تريد وهى تخرج وتعمل ولا يحول شيء أبدا دونها وهى بالتالى لن تقبل العودة الى الرق والعبودية كما يقول الخبر الذي تتحدثون عنه إلا اذا كانت مرغمة فلتحمدى ربك يا ابنتى أنك تعيشين في هذا الجيل ولا تثورى عليه .

المرأة الجديدة

واستردت الفتاة هدوءها وقالت موجهة الينا الحديث :

ـ لست أنكر أبدا أن الفتاة الصينية تتمتع الآن بحرية كاملة مع التزامها بالجد في تصرفاتها واختياراتها وأن مكانة المرأة قد تغيرت بشكل جذرى ، فهى لم تصبح من أسياد الدولة فحسب ، بل أصبحت قوة مهمة في قضية البناء الاشتراكى في ظل المبادىء الجديدة التى تنص على المساواة بين الرجل والمرأة في فرص العمل والانتاج .

قلت موجها الحديث الى سيدة الدار فى ثقة واضحة :

ـ الحقيقة أننا التقينا خلال زياراتنا لمواقع الانتاج والمصانع والمكاتب والشركات بمديرات ومهندسات وعالمات وخبيرات في مختلف المجالات ، ولا يمكن أن يكون ذلك قد حدث إلا لان النساء يتمتعن الآن بنفس ما للرجل من حقوق . التقينا بالمرأة نائبة للمدير في مصنع الحديد والصلب ومديرة للعلاقات العامة في بكين ، والتقيناها مهندسة ومديرة للتشغيل في مصنع الالكترونيات في شانسى ، وقابلناها طبيبة ونائبة لرئيس العلاج بالوخز بالابر في المركز الطبى بشيان . ووجدناها مديرة ومشرفة على المركز العلمى والطبى لحماية البندا . كما شهدناها في اجتماع البرلمان (المجلس الشعبى المنتخب) في اجتماعه الاخير الذى اتخذت فيه الكثير من اجراءات الاصلاح وكشف الفساد ومحاربة البيروقراطية ، فكان لها دور كبير في المناقشات الجادة من خلال ٦٣٥ نائبة يمثلن ٢٥٪ من مجمل عدد نواب الشعب .

وسكت قليلا قبل أن أضيف وكأن الحديث مازال مستمرا :

ـ ولكننا في الحقيقة لم نلتق بالمرأة في المدينة كأم ذات أطفال ترعاهم وتحنو عليهم وتستشعر معهم الدفء والأمومة

قالت الفتاة وكأنها تنبهت الى شيء ·

ـ تلك في الواقع هى القضية . وأقولها بصراحة . . أليس من حقى كأنثى أن اتمتع بالأمومة كما يجب أن تكون ، وأن أرضى عواطفى ومشاعر الحنان للابناء ، بينما أنا محرومة من أن أنجب أكثر من طفل حسب القرارات والقوانين ؟ إننى أقولها صادقة أننى ضد هذا التحريم والتحديد .

والتفتت اليها سيدة الدار وقالت في هدوء ·

ـ سأقول لك شيئا . فأنا زوجة ، ولا توجد امرأة في العالم لاتحمل في أعماقها شوقا كبيرا لممارسة الامومة ، فهى تتمنى أن يكون لها مجموعة أطفال ، وعلى الاقل ولد وبنت ، من هنا فإننى لا استطيع أن أنكر ـ ومثلى كثيرات ـ أننا نستشعر قسوة القيود حين نضطر للاكتفاء بمولود واحد ، كما أننا نتلهف الى البقاء في البيت لرعاية أطفالنا وملاعبتهم وإغراقهم بعواطفنا ، ولكننا مع ذلك نكبت الامر في أنفسنا







● رقصتان شعبيان
الاولى رقصة الميثار ذى
الاوتار الثلاثة لقومية ناى
تقدم فى المناسبات المحلية
والثانية رقصة « الفرح
والنشاط » التى تجسد سعادة
التتيين بوفرة الحصاد
والى اليسار طالبة وطالب من
قومية « التبت » ومعهما طالبة
وطالب من قومية « اليي »
وفي خلفية الصورة يبدو مبنى
معهد القوميات

تمتاز فتيات القوميات المختلفة بأزيائهن التقليدية التي
يمكن من خلالها التمييز بين كل قومية من قوميات الصين
البالغ عددها ٥٦ قومية   وهكذا وقفت فتاة « القاوشان »
في زيها في الحديقة الامبراطورية



لاننا ندرك أن الاستسلام للطبيعة في هذا المجال يمكن أن يعود على بلادنا بكارثة . فكان لابد لنا أن نتقبل التحكم في الانجاب وتحديد النسل من أجل صالح بلادنا ، وكفى ما أصابها من التخمة في عدد السكان

مولود واحد يكفي

كان ذلك في الواقع هو الحقيقة التي تعمل لها الدولة في الصين ألف حساب والصورة مثيرة

فهل يمكن أن تتصور نفسك مسئولا عن ألف ومائتي مليون انسان يكون عليك أن توفر لهم الطعام والاعاشة والاسكان والانتقال والعلاج والرعاية الصحية والتعليمية ؟ هل تستطيع أن تصمم لهذا الجمع الحاشد مختلف إمكانات الحياة أربعا وعشرين ساعة ، نهارا وراء نهار ، وليلا وراء ليل ، وشهرا وراء شهر ، وعاما وراء عام ؟ ! أي عبقرية يمكن أن تفعل ذلك ؟ وأي إنسان يمكن أن يصارع الحياة بكل أثقالها ومشكلاتها وهو مجرد فرد ضمن مئات الملايين من الناس ؟

أسئلة لايستطيع أن يجيبك عنها الا من خاض بالفعل هذه التجربة ، وحمل فوق أكتافه مسئولية السيطرة على الانفجار السكاني ، وتطبيق تنظيم النسل لهذا الزحم الكبير واحد من هؤلاء المسؤولين وجدنا عنده الاجابة ، إنه هان يونج يان نائب رئيس مقاطعة سشوان التي يبلغ عدد سكانها ١٥٠ مليون نسمة ، (عدد سكان الوطن العربي تقريبا) ، وكانت إجابة المسئول عن أكبر مقاطعة في الصين تقول

خلال المدة من سنة ١٩٤٩ حتى نهاية عام ١٩٨٥ بينت الاحصائيات أن عدد سكان الصين ارتفع من ٤٥٠ مليون نسمة الى ١١٠٠ مليون نسمة ، بمعدل يقترب من ٢٪ في العام الواحد ، لكن تتبع مسيرة هذا المعدل يبين أن الجهود التي بذلت للسيطرة السكانية منذ السنوات الأولى للتحرير قد تدرج في الهبوط من حوالى ٣٪ إلى ٢,٥٪ في سنة ١٩٧٠ حتى بلغ ١,٤٪ في عام ١٩٧٩

وكان هناك إدراك على مختلف المستويات في أوائل السبعينيات أن المشكلة السكانية تزيد من تفاقم معضلات البناء الاقتصادي على نحو خطير ، مما جعل السيطرة على السكان مدار اهتمام خطة الدولة وقد أنشئت مراكز خاصة لقيادة الجهود في تخطيط الأسرة ، وأقيمت الدورات الدراسية في كل مكان لرفع وعي القادة والعاملين في التخطيط الاسري ، كما وضعت الأهداف الأصلية والخطوط المرشدة والسياسات المتعلقة بذلك ، ويشكل التخطيط السكاني اليوم جزءا لايتجزأ من الدولة

وفي عام ١٩٨٠ حدد قانون الزواج أن على الزوجين واجب ممارسة تخطيط الاسرة ، لتشجيع الزواج المتأخر ، وتأجيل الانجاب

لكن هل كانت المقارنات مجدية ومقنعة لشعب يتمسك بالتقاليد التي تؤمن بالانجاب المبكر ، وأن المزيد من الابناء يزيد من البركات ، وأن الذكر أفضل من الأنثى كما هو الحال في المجتمعات الزراعية التقليدية ؟

الرد يقول

التغلب على هذه الافكار جزء حيوي من الجهود التثقيفية والدعائية ، والأرقام مقنعة باستمرار ، فقد أظهرت النتائج في احدى التعاونيات بمحافظة شيفانج بمقاطعة سيشوان أن العائلات المكونة من ثلاثة أفراد أو أقل (طفل وعاملين) يصل دخل الفرد فيها إلى ٤٠٠ (يوان) ، ونصيب الفرد من الحبوب ٤٠٠ كجم ، بينما الدخل والاستهلاك للعائلات المكونة من خمسة أفراد أو أكثر (عاملين وطفلين وشخص كبير نسبيا) يصلان إلى ٢٠٠ (يوان) للفرد ، وحوالي ٣٥٠ كجم من الحبوب ، وأن العائلات التي تضم ثلاثة أطفال أو أكثر كانت تستدين بنسبة تصل الى ٨٦٪ وهذه المقارنات يستوعبها أهالي الريف بسهولة ويسر .

حوافز للاقناع

في مجال متابعة المولود الواحد لابد أن نتساءل أليست هناك حوافز اقتصاديةإضافية للإقناع العملي ؟ وعرفنا الحقيقة ، فقد وضعت الحوافر الاقتصادية لإنجاب طفل واحد ، لتكون أكثر جاذبية وفائدة هناك نوعان من الحوافز المالية . ففي المناطق المدنية تقدم للعائلات ذات الطفل الواحد إعانات الرعاية الاجتماعية ، وتتراوح بين ٣٠ و ٦٠ يوانا ، وهذا يتوقف على مكان الإقامة ، وفي الأرياف تختلف باختلاف مناطق العمل وفي كلا

...لمقتين تقدم العلاوات لكل طفل إلى أن يصل إلى ... شرة أو الرابعة عشرة من العمر

أما الأمهات اللاتي يتعهدن بإنجاب طفل واحد ...منح الواحدة منهن إجازة ولادة ، تصل إلى ستة شهور ، زيادة عن المعتاد ، براتب كامل مدفوع ، إذا كانت في جمعية تعاونية وفي كثير من المناطق تقدم الأولوية للطفل الواحد في دور الحضانة ، وفي الرعاية الطبية ومجال العمل وبالنسبة للعائلات المدنية ذات الطفل الواحد تقيم في مسكن بنفس مساحة العائلات ذات الطفلين وفي الأرياف تعطى العائلات ذات الطفل الواحد أرضا لبناء بيت ، وقطعة أرض خاصة مساوية لما لدى الأسر ذات الطفلين

وقد حددت كثير من الجماعات الريفية نظام التقاعد ، وأقامت لذوي الدخل المتوسط بيوتا مريحة لكبار السن ، إذا لم يكن لهم أطفال وهناك جماعات غيرها تضمن لمن ليس لهم أطفال أو لهم طفل واحد أن يتمتعوا بمستوى حياة طيبة وتقدم الدولة حيثما كان ذلك ضروريا مساعدة مناسبة للجماعات الريفية ولقد تطوعت ١٤ مليون امرأة متزوجة بالتعهد بإنجاب طفل واحد ويضمن الزوجان بتنفيذ هذا التعهد التمتع بالامتيازات الخاصة من الحكومة في العلاج والتموين والمعاش الإضافي وما إلى ذلك وقد بلغ عدد الأزواج الذين تعهدوا بإنجاب طفل واحد في بعض المقاطعات بين ٨٠٪ و ٩٠٪ من مجموع عدد الأزواج

السؤال المثير هو كيف يستطيع الزوجان التحكم في الانجاب وتحديد النسل بما لايزيد عن طفل واحد ؟

الاجابة الصريحة التي سمعناها واكدها لنا رئيس الجمعية التعاونية بمقاطعة كوانجهان الريفية أن السيطرة الفعالة تعتمد على تقديم النصائح التقنية والتوجيه حول استخدام وسائل منع الحمل وضمان ...ديهما بحيث تكون مضمونة لمن هن في سن ...مل وتتبنى الصين استخدام موانع حمل فعالة ، ...لى مميزات خاصة تعتمد على الظروف الجسدية ...حتيار الفردي ، وتقدم الدولة وسائل منع الحمل ...ان ، كما يجري الاجهاض الاختياري وعمليات ...قيم الاختيارية وتمنح البنات اللاتي يقمن بالإجهاض أو بعملية التعقيم مدة للراحة بعد العملية مدفوعة الأجر

والواقع أن سياسة الولد الواحد تحل الكثير من المشكلات بالنسبة لدولة مثل الصين التي مازالت تواجه مشكلة زيادة السكان الخطيرة ، ويعتبر تحديد نمو السكان بحيث لا يتجاوز ١٢٠٠ مليون نسمة في نهاية هذا القرن مهمة شاقة ، وذلك لأن عدد الشباب والنشء يمثل نسبة عالية جدا من مجموع السكان ، فقد ولد خلال الأعوام الستة عشر الأخيرة فقط حوالي ٤٢٨ مليون وليد ، بلغ قسم كبير منهم عمر الزواج ويتوقع أن ينجبوا في السنوات الاثنى عشرة الباقية من هذا القرن ، ولاشك أن تلك التوقعات الرهيبة هي التي جعلت الحكومة الصينية تتحد سياسة الولد الواحد ، وتتحكم بصرامة في الولد الثاني ، وتمنع البتة الولادة الثالثة ولاننسى ان الحكومة تشجع على ممارسة عملية التعقيم الصناعي وأكثر من ذلك فإن الاطباء والقادة في المقاطعات يبدأون عادة بقبول عملية التعقيم قبل الجماهير مما يزيل مخاوف الناس

على الرغم من كل ذلك هناك استثناءات تراعي احتياجات المجتمع ، فالأسرة في المدينة يمكن أن يسمح لها بإنجاب طفل آخر إذا كان الابن الأول معوقا وفي المناطق الريفية يسمح بإنجاب ابن دكر إذا كان المولود الأول أنثى أما في المناطق التي تعيش فيها القوميات القبلية مثل منغوليا الداخلية أو التبت واليبي التي لا يتجاوز عددها ٦٪ من السكان فتتاح للزوجين فرصة الإنجاب دون معوقات ، باعتبار أنهم أقليات ، وأن حياتهم الشاقة تقوم في الغالب على الرعي والزراعة في المناطق الجبلية البعيدة عن المدينة ، مما يجعلهم يحتاجون إلى كثير من الأبناء ، غير أن هذا ينطبق فقط على القوميات التي لا يتجاوز عدد أفرادها عشرة ملايين نسمة

الاقليات القومية :

كانت فرصة ذهبية ونحن في شنجدو أن نتعرف على الاقليات القومية الصينية من خلال زيارتنا لمعهد القوميات فهذه المقاطعة الواقعة في جنوب غرب الصين تضم حوالى ٣٠ قوميةمن بين ٥٦ قومية هي مجموع القوميات التي يضمها الشعب الصيني











مـولـود واحـد يكفى
وهكـذا رضى الأب بابنته
الـوحيدة يتنزهـان معـا في
الحـدائق والمتنزهـات
وعـندما يأتى المساء يـذهب
لقضاء السهرة مع زوجته في
المقهى الشعبى أمـا في
المـناطق الـريفيـة (عـلى
الصفحة المقابلة) فالمرأة
تعمل في الحقل تحرث وتعزق
الأرض والأم في بيتهـا
الريفى تعد الطعام بينما
الصغيرة تلعب وحيدة مع
كلبها الصغير

المعهد الذى زرناه والتقينا بمديره وعدد من أساتذته وطلابه يدرس فيه حوالى ٢٧٠٠ طالب وطالبة جاءوا من ٣٠ قومية ، بما فيهم دارسون من قوميات التبت ويى ومياويونان وتشيانج وشوى . في هذا المعهد يتم إعداد كوادر من الاقليات القومية للمساعدة في البناء الاقتصادى في المناطق التى يعيشون فيها ، وهو واحد من اربعة معاهد مماثلة في مدن اخرى . وعرفنا من مدير معهد جنوب غرب الصين أنه قد تأسس في أول يونيو ١٩٥١ وتخرج فيه اكثر من ٢٠ الف طالب وطالبة تولوا بعد تخرجهم مناصب مختلفة على مستوى المقاطعة ومستوى الولاية ومستوى المحافظة ، وأصبح منهم خبراء في مختلف مجالات العلوم ، وحصل عدد منهم على درجة الدكتوراة في بعثات أرسلوا بها الى بعض الدول الاجنبية

ونتعرف خلال لقائنا مع الطلاب والطالبات من القوميات المختلفه على كثير من العادات والتقاليد والحياة الاجتماعية في مناطق تواجدهم ، بعد أن استعرضنا صورا منها خلال عروض قدموها لنا في المعهد ، كما تعرفنا على ألوان أخرى منها في المهرجان التقليدى للقوميات الذى جرى في شنجدو

عدد ابناء الأقليات القومية يبلغ حوالى ٧٠ مليون نسمة ، بينما الاغلبية العظمى من سكان الصين تتشكل من قومية الهان ، وبذلك فإن نسبة الاقليات تشكل حوالى ٧٪ من العدد الاجمالي للسكان واكبر الاقليات القومية هى قومية تشوانج (١٣ مليون نسمة) وأصغرها هى قومية هيجة (١٤٠٠ نسمة) وبينها ١٥ أقلية قومية يتجاوز عدد أبنائها مليون نسمة وعلى الرغم من أن هذه الاقليات القومية لاتشكل إلا نسبة ضئيلة بالنسبة للمجموع الكلى لسكان الصين ، إلا أنها تنتشر فوق مساحة تزيد على ٦٠٪ من مساحة البلاد حيث تتوافر المصادر الطبيعية مثل المعادن والغابات والمنتجات الزراعية والحيوانية واذا كانت هذه الاقليات تتكاتف كلها مع أبناء قومية الهان الرئيسية لبناء الحضارة الجديدة للصين الشعبية وبنائها الاشتراكى ، إلا أنهم كانوا في الصين يعانون من التمييز القومى والاضطهاد العنصرى مما جعلهم متخلفين في السياسة والاقتصاد والثقافة . ولهذا فقد كان لابد للنظام الجديد أن يوجه سياسته للاهتمام بالاقليات القومية ، والتأكيد على المساواة والتضامن الوطنى . وممارسة الحكم الذاتى الاقليمى القومى ، وإعداد الكوادر والفنيين من أبناء هذه الاقليات أيضا ، وتطوير الاقتصاد والثقافة في المناطق التى يقطنونها

الفنون والعادات

عن الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد ومظاهر الثقافة تتبعنا بعضها من خلال أحاديث الطلاب والطالبات الذين التقينا بهم في المعهد من مختلف القوميات

الصورة الثقافية العامة يؤكدها الاهتمام بفنون التراث الثقافى الصينى العريق . وقد ثبت من تصاميم الاوانى الفخارية الملونة التى ترجع الى اكثر من خمسة آلاف سنة أن الرقص الصينى كان أبرز مشاهد هذا التراث ، حيث تتبدى براعة الراقصات والراقصين المصحوبة بالنغمات الموسيقية الجميلة ، مع أداء متعدد الالوان متألق الرونق والبهاء مازال الكثير منها يعتبر رقصات قومية شعبية تقدم حتى الآن في العروض والمهرجانات والاحتفالات التقليدية

معظم أهالى الاقليات القومية بارعون في الغناء والرقص ويغلب أن يقيموا مهرجانات الرقص الشعبية في الاعياد القومية واحتفالات الزواج والمناسبات السعيدة فعند قوم التبت يحتفلون احتفالا كبيرا في عيد « التطلع الى الثمار اليانعة » وقوم « يي » يحتفلون « بعيد المشاعل » ولدى كل قومية مسمى لاعيادها مثل « مهرجان الرقص » عند قوم « جينغبوه » و « سوق مارس » عند قومية باى و « عيد رش الماء » عند قومية داى وفي كل مهرجان من تلك المهرجانات يشارك في العرض المئات من الناس كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، في الرقص التعبيرى القومى .

شهدنا رقصة المنغوليين في المهرجان التقليدى للقوميات الرقصة تستمد حركاتها من الفروسية بتعبير رائع عن الشهامة والشجاعة أما رقصات الداى واليى والياو فيتغنون في رشاقة مع التلويح بالايدى وتنويع الخطوات المنسقة . بينما الرقص الويجورى يتميز بجماله الخاص المتمثل في الدوران السريع المتغير وتحريك العنق تحريكا يبعث على البهجة

وا...رب . ويبهر الرقص الكورى المشاهدين بخفته ر...اته بينما رقص التبت يتميز بروعته وسهولة أدا...

هذا الرقص الجميل الذى تزاوله القوميات لم يعرف مرقصا ولا مسرحا ، فالناس يمارسونه في بيوتهم ومواطنهم . وفي عام ١٩٥٢ انشئت « الفرقة المركزية للغناء والرقص القوميين » وبدأت تتعهد جمع رقصات القوميات الصينية ودراستها وتبع ذلك تأسيس منظمات فنية محلية للغناء والرقص القوميين في المقاطعات والمناطق الذاتية الحكم والولايات والمحافظات ، ويتركز أبناء القوميات حيث تنظم الدوائر الحكومية المعينه بين فترة واخرى مهرجانات للرقص القومى ومع تحسين الرقصات الشعبية وتهذيبها والاهتمام بها ابتدع الفنانون المبدعون ألوانا من الرقص التعبيرى الذي يصور أمورا شتى تحمل أشكالا متباينة من الحياة الاجتماعية لمختلف القوميات .

حرير دود القز :

في مصنع الحرير شهدنا كيف تتم صناعته ونسيجه وتلوينه قالت لنا المشرفة على التشغيل ان الصين تنتج وحدها نصف كمية الانتاج العالمى ويعمل اكثر من عشرة ملايين شخص في تربية الديدان وصناعة النسيج في داخل المصنع لافتات تعلن أنه لايحق للعاملين في تربية الدود التدخين ولا يسمح للنساء بالتجمل بمساحيق التجميل ولا اكل الثوم أو المواد شديدة الرائحة ، ولايسمح بدخول معامل تربية الديدان الا بأقدام وأحذية نظيفة جدا فالاعتقاد هو أن الدود يهلك من شم الدخان ، ورائحة الخل كما أنه يضج من صوت الرعد ودق الطست والهاون ، وهو لايطيق رائحة الحائض والجنب من النساء فيمنعن من الدخول حتى يتطهرن

وقد نجح الصينيون طوال قرون بالاحتفاظ بسر انتاج الحرير وتربية ديدان القز . وأصدر الاباطرة قرار...ت بتعذيب كل من تراوده نفسه أو تغريه عر... الأجانب بافشاء السر حتى الموت . لكن سر الحر... ذاع مع بدء انهيار الامبراطورية وذلك حين تمكن... عدد من القساوسة المبعوثين من قبل الامبراطور حس...ان باخراج بعض شرانق الدود في عصيهم المجوفة . واحتل الحرير في العصور الوسطى مركزا مهما في جميع عمليات التبادل التجاري . وساهم المسلمون مساهمة فعالة في إدخاله الى الوطن العربي والدول الاوربية التي كانت على صلات تجارية مع المسلمين .

وفي شيان أول عاصمة ملكية في مقاطعة شانسي وقفنا نشهد أول طريق الحرير القديم الذى كان ينطلق من المدينة عبر البقاع المقفرة مخترقا الجبال والصحارى في آسيا الصغرى لينتهي في تركيا او لبنان ومن هناك كانت القوافل - التي بدأت بحمل الحرير ثم تجاوزتها الى بضائع أخرى شرقية كثيرة - تعبر البحر الأبيض المتوسط الى اوربا وكان اروع ماتحمله هذه القوافل المنسوجات الحريرية الصينية ذات الرسوم الزاهية التي لقيت الاعجاب الكبير بالحضارة الصينية في نفوس الاوربيين .

بين الجد والاستهانة :

إن الانتاج المتباين الذى شهدنا أمثلته في الصين يؤكد أن الانسان الصيني الجديد يستطيع أن يصنع المعجزات كلما جد في العمل وأخلص في سبيله

ولكن هذا كله لا يمنع من أن هذه الجدية التي يشتهر بها الصينيون في أعمالهم يقابلها في كثير من الأحيان إهمال واستهانة من بعضهم . وقد أثار استغرابنا ماقرأناه في صحيفة الشعب الصينية وهى تعترف بأن ٣٠ مليون موظف لا يفعلون شيئا أثناء وقت العمل سوى لعب الورق والشطرنج ومشاهدة التلفاز او الاشتراك في سباق الدراجات . وقد أدى مثل هذا الاهمال الى ان بدأت الشركات الحكومية في طرد أعداد كبيرة من عمالها غير المنتجين على الرغم من أن هناك نقاشا علنيا حول مشكلة البطالة الحساسة في البلاد . وبسبب مثل هذه الاستهانة من بعضهم كما عبرت عن ذلك نائبات الشعب في المجلس الوطنى ، اضطرت تسعون شركة حكومية الى فصل ثلاثة آلاف عامل من وظائفهم في مدينة شنغهاى وحدها ونقلوا الى وظائف أخرى مختلفه بحيث يتقاضون مرتبات أقل بنسبة ٦٠٪ عن المرتب الذى كانوا يتقاضونه في وظائفهم الاولى ، وهم يعتبرون ذلك نوعا من إعطاء العبرة للعاملين حتى يزداد إنتاجهم مادام الاجر يجب أن يكون على قدر العمل . □

أجمل اللحظات ابسطها   في شيراتون أجمل اللحظات ابسطها   في شيراتون، أجمل اللحظات ابسطها

في شيراتون، أجمل اللحظات ابسطها
في شيراتون أجمل اللحظات ابسطها
في شيراتون أجمل اللحظات ابسطها
في شيراتون، أجمل اللحظات ابسطها

مَن لا يعَرف الصّقـر ... يشويـه

وَصَـل ذات يوم الى شـيرَاتون ضيفٌ يَصْطحبُ معَـه رَفيقـًا مُجنحـًا ، وَهوصَقـرٌ عزيـز على صَاحبـه وَثمين جـدًا . وَقـد اسْـتقبلنا ضيفنـا وَصقـره الجَميل بكل رَحَابٍ ووفرنـا لهـُما في غرفتهـما كُـل اسـاليب الراحـة المُمْكنة لأننـا نعرف معْـنى المثـل الخليـجي القائـل "مَن لا يعَرف الصّقـر ، يشويـه".

وقبـل أن يحـين مَوعـد الغـذاء بقليـل ، إسْتقل الموظف المشـرف على الخدمَـة سَـيارة اجْـرة الى السّوق المحَـلي حَيث انـتقى حَـمامتين سَـمينـتين وَعَـاد بهـمَاالى الفنـدق لذبحهـمَا وتقديمُهـمَا طازجتين لِلصّقـر الجَـائع .

وبالطبْع ، وجَـد ضيفنـا في معَامَـلة شـيراتون متعـة وإختـلافا يجعَـلا فعـلًا قولنـا أن " في سـيرَاتون . أجْـمَل اللحَظات أبسَطهَـا " حقيقـة لاتنـكر. بَل أن الصّقـر بَـدا في صحَـة مُـمتازة مـمّا شجّع صَاحبـه السعيـد علىٰ البقـاء لمدة اسْبوع إضافي للتمتع بخدمَاتنا الفريْـدة .

في كـل أنحـاء العَـالم ، نفتخـر في شـيرَاتون بترحيْـبنا بـكـل مسَـافـرٍ وَكـل غريْـبٍ يبَحَث عن الخـدمة المتميزة وَالضيَافـة الاصيْـلة.

Sheraton
The hospitality people of
ITT

ناصر والطائف والمدينة المنورة دمشق الحمامات الدوحة الكويت صنعاء مسقط الحقوق محفوظة لشيراتون كوربوريشن ١٩٨٨

اللحظات ابسطها   في شيراتون أجمل اللحظات ابسطها   في شيراتون أجمل اللحظات ابسطها



بقلم : الدكتور أحمد النعمان

بوريس ريبجنكوف رسام سوفيتي ، ولد في نهاية القرن الماضي ، ومازال يعيش ويرسم حتى الآن .

الا أنه في السنوات الخمس الأخيرة فقد البصر ، ومع ذلك فان عطاءه الفني لم يتوقف !

مع أن « رأسمال » الفنان التشكيلي هو حاسته البصرية ، فكيف استمر بالعطاء ، وهل يمكن للبصيرة أن تسد جوانب الفقد والخسارة للبصر ؟

ليست هذه حكاية من نسج الخيال ، لقد حدث ذلك في موسكو ، مع بداية الثمانينيات ، حيث كان الضوء ينحسر تدريجيا عن عيني بوريس ريبجنكوف وقد داهمته « جيوش » الظلام ، وفقد النظر تدريجيا ، وأصابه العمى تماما مع بداية عام ١٩٨٣ ، وبدأت المأساة ، وبدأ الصراع مع الحياة ، ومن جديد كان « هاملت » يردد السؤال أكون أو لا أكون ؟؟

وكان أخيرا انتصار بوريس ريبجنكوف ، وكان « هاملت » من جديد !

العمى في موطن فيودوروف !

كان ذلك عام ١٩٨٢ ، اذ جلس بوريس ريبجنكوف على كرسي أمام طبيب العيون ذي الشهرة العالمية فيودوروف ، وبعد دقائق فقط ، أصدر فيودوروف كلمته الأخيرة :

« لا قراءة ، أو كتابة ، أو رسم بعد اليوم ، عليك أن تنسى الابداع مرة ، وإلى الأبد »

هكذا كان الحكم عقوبة قصوى ، فما يبقى للفنان الرسام إن هو فقد النظر ؟ لقد قالها البروفيسور فيودوروف بهذه القسوة ، وكأنما ليؤكد من جديد بأنه طبيب وليس قسيسا يخفف آلام الآخرين بالكلمة الرقيقة والموعظة الحسنة

عام ١٨٩٩ ؟

ولد بوريس ريبجنكوف أواخر عام ١٨٩٩ ، في آخر عام للقرن التاسع عشر ، قرن الأدب الكلاسيكي العظيم

ومنذ الطفولة تتلمذ على أيدي أساتذة وفنانين معروفين ، أمثال الكساندر دريفين ، ولوبوف بابوفا ، والكساندر شيفجنكو وكان هؤلاء من الرسامين المعروفين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وما أن أصبح عمره (١٦ - ١٧) سنة حتى أصبح هو أيضا معروفا ، وجذب إليه انتباه نقاد الفن التشكيلي آنذاك

ولقد احترت من بواكير أعماله الأولى لوحة « المساء الذهبي » (زيت ١٩٢٤) ، لنرى من خلال هذه اللوحة على الأخص مدى التقنية « الأكاديمية » والشعور الواقعي باللون والظل والنور ، هذه العناصر التي ستحدد مسيرة الفنان قبل أن يفقد النظر وبعد ذلك

تجربة تجريدية :

إن بوريس ريبجنكوف فنان واقعي ، مجبول على حب الطبيعة ، بكل ما فيها من « هارموني » تناسق الألوان ، وصراع الظل والنور ، غير أن موجة « الفن الحديث » التي اجتاحت روسيا في بداية العشرينيات وتزعمها كل من كاندينسكي وماليفيج شملت كل الفنانين آنذاك ، فجرب بوريس الشاب آنذاك نفسه في لوحة تجريدية واحدة ، ولقد رأيتها في مرسمه اثناء اجراء هذا اللقاء معه ، وهي عبارة عن هياكل عمارة

ولما شاهد هذه اللوحة « كازيمير ماليفيج » وكان آنذاك يبحث في « مختبره الفني » في مسألة (المربع) قال لبوريس

« إن في هذه اللوحة جاذبية أرضية كبيرة »

كان ذلك الحديث في العشرينيات ، وقد صدق ماليفيج ، فبوريس ريبجنكوف ملتصق بالأرض ، ولا يمكن أن يصبح فنانا تجريديا ، ولم يكن يدري آنذاك لا الفنان التجريدي الكبير ماليفيج ، ولا الفنان الواقعي ريبجنكوف ، بأن « هذه الجاذبية الأرضية الكبيرة » هي التي ستساعد الفنان المنكوب بفقدان البصر بأن يقف على رجليه من جديد على أرضية الواقع ، واقع الفن وواقع المصير معا !

٦٥ عاما أخرى

كان حديث « الجاذبية الأرضية » عام ١٩٢٣ ، ومرت السنون ، سنون من السعادة والعطاء والانتاج الغزير ، كانت خلالها عينا الفنان تبحثان تحت أشعة الشمس عن الجميل والأجمل في الطبيعة ، وكانت فرشاته خلالها تعطي تفسيرات انطباعية « للظل والنور » ، وبالتالي لجوهر الألوان ، وكان الفنان ينتقي من آلاف درجات الظل والنور درجة واحدة يسجلها في لوحته ، كانت عيناه كأي فنان تشكيلي أصيل ، هما الحكم بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون ، كانت عيناه تجدان ما خلف الأشياء شيئا جديدا هو اللوحة ، وتنتقيان من الواقع كنوزا لا تراها ملايين الأعين ، أعين الناس الآخرين

كانت تلك سنوات السعادة والفرح والعطاء ، ومرت بالفنان سنوات عجاف أيضا ، سنوات الحرب الوطنية العظمى . وقد عمل فنانا ومراسلا في الجبهة ، وعاش حصار لينينجراد (بألف ليلة وليلة) ، ومن جديد كانت عيناه هما الحكم بين



لوحة [illegible] في
[illegible]
[illegible]
[illegible] عام ١٩٦٥



لوحة «ماما في حصار لينينجراد»
عام ١٩٨٧



لوحة «الموت كله» رسمها في حماه
عام ١٩٨٧

● [illegible]



● لوحة « المساء الذهبي » التي رسمها الفنان في عام ١٩٢٤



● [illegible]



القصيدة

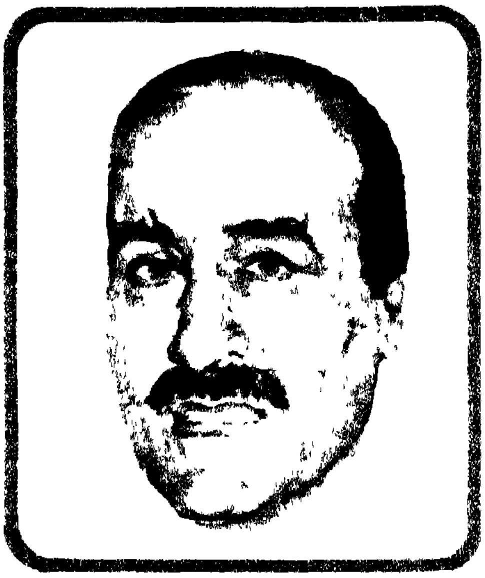
بقلم : أحمد بلحاج آية وارهام

هلّ أرى وجْهها كانطلاق الندى   حين تعْزلُ رُوحي لها موْعدا ؟
هي تأْكُلُ منْ جسدي كُلَما   أيْنع الليْلُ ، وازْورَّ عنْهُ الصَّدى
خُضْرةُ نَضُها وهجُ عطْرُها   وأنا الشوْقُ مدّ إليْها اليدا
صاعدٌ في سَماها انْشطاري وفي   مُقْلتي عطشٌ يستفزُّ المدى
كمْ ينابيعُ أسْرارها أسْرجتْ   في فؤادي السَّكينة والسُّؤْددا
وصْلُها النَّقيُّ يُدْمي ارْدهائي إذا   شتّ في صحْوة الروح أو عرْبدا
لم يكن زَهوها ورْدة للرَّصا   أوْ لهيبا يُفجّرُ صقْع الحدا
هي حاصرةٌ للجُنُون الَتوتْ   في مياهي وضاءتْ كطبْع الرَّدى
أوْقد الجُرْحُ بوْحهُ مبتهلا   علها تصطفي شمْسه معْبدا
علها تكْشطُ الحُزْن عنْهُ فقدْ   ملّ هذا الدُّجا سيدا أدْردا
كيف أنْقلُ زهْر افتتاني إلى   نجمةٍ قدْ رأتْ في دمي عسْجدا ؟ !
كيْف أزْرعُ ألواحها حُلُما   في الْيَباس الذي يأْنفُ الموْردا ؟ !
مات في خافقي طائرٌ والرُّؤى   غُرْبةٌ عانقتْ شجَرا أجْردا
كيْف تحْمي القصيدةُ أوْقاتها   عن دمائي ووقتي بها اسْتنْجدا ؟ !
ساهرٌ في تفاصيلها القلبُ مُذْ   صوْتُها كان لي في السرى فرْقدا
أيُّها الوقتُ هل التقى وجْهها   أم يدُ الصمتِ تحْفرُ لي مرْقدا ؟

* كاتب وشاعر من القطر المغربي . مراكش

وجهاً لوجه





توفيق يوسف عوّاد و جهاد فاضل

- إنني أحب الكلمة . أما كيف أكتب فكما أحب المرأة!
- كتبت قصصي الأولى بلا وعي تام لأصول هذا النوع بالذات
- أبو الفرج الأصفهاني - في نظري - قاص من الدرجة الأولى
- الفن كاذب في جوهره مهما ادّعى الصدق
- لست من أنصار الشعر الجماهيري . الشعر أرستقراطي من النخبة للنخبة
- شعراء العرب العذريون كذابون!

احتفلت الأوساط الأدبية في لبنان بمرور خمس وسبعين سنة على ولادة الكاتب اللبناني الكبير توفيق يوسف عواد ، وبمرور خمسين سنة على صدور مجموعته القصصية الأولى « الصبي الأعرج » .

توفيق يوسف عواد ، قاص ، وروائي ، وشاعر ، له العديد من الكتب منها في مجال القصة : الصبي الأعرج ، قميص الصوف ، العذارى ، مطار الصقيع . وفي الرواية : الرغيف ، طواحين بيروت . وفي الشعر : قوافل الزمان . وله كتب أخرى سجل فيها أحداثا وخواطر أدبية ، منها : غبار الأيام ، فرسان الكلام . وآخر ما صدر له كتابه « حصاد العمر » الذي يضم بعضا من سيرته الذاتية ، وفيه يمزج الكاتب القصة بالمسرح ، وبالشعر ، وقد كتبه على سمتٍ فريد لم تعرفه كتب السيرة ، فهو ينطلق فيه من ازدواجية الانسان ، من الصراع بين « الأنا » و « الأنا الداخلية » مستعيراً أسطورة شق وسطيح التراثية المعروفة .

ترجمت بعض كتب توفيق يوسف عواد إلى عدة لغات أجنبية منها : الإنكليزية ، والألمانية ، والروسية ، واختارت منظمة الأونسكو روايته « طواحين بيروت » في سلسلة آثار الكُتّاب الأكثر تمثيلا لعصرهم .

وفيما يلي حوار مع توفيق يوسف عواد أجراه « للعربي » في بيروت جهاد فاضل .

* أستاد عواد لماذا تكتب ؟ وكيف تكتب ؟ لماذا كتبت « الصبي الأعرح » ؟ ، وما الطروف التي أحاطت بكتابتك لها قبل نصف قرن ؟

ـ أكتب لأني أحب الكلمة ، أمّا كيف أكتب فكما أحب المرأة ، والكلمة عندي امرأة سل العصفور لماذا يغرد ؟ ، أو الضمدع لماذا ينقنق ؟ ، أو سل الريح لماذا تهبّ ؟ ، أو البركان لماذا يثور ؟ ، وكيف ؟ وهو الأصح بالنسبة إليّ

« الصبي الأعرج » هو الكتاب الأول الذي ظهر لي سنة ١٩٣٦ ، نشرت محتوياته أو نشر معظمها في مجلة « المكشوف » ، وكانت في ذلك العهد تجمع حولها نخبة من الكتّاب والشعراء ، صاحبها فؤاد حبيش ، لم يكن أديبا كبيرا ، ولكنه كان مولعا بالأدب وعشيرا للأدباء ، وكان قادرا على خلق جوّ لهم في « المكشوف » لم يوفره أحد سواه انفتاحا ، واندفاعا ، وتشجيعا على النشر ، وكان من الثائرين على القديم ، إذ كان الأدب في لبنان وفي سائر البلاد العربية تقليدا أعمى لهذا القديم ، همّه الألفاظ المنمقة والقوافي الرنانة كان الأدب في جملته بعيدا عن الحياة وكأنه يعيش على هامشها ، فإذا كتب أحدهم في القصة مثلا أو في الرواية فكتابته سرد تاريخي جاف أو وعظ أخلاقي بارد مع بعض الترجمات ، عثها وسمينها ، عن الآداب الأوروبية وخصوصا الفرنسية

والدي وأبو الفرج الأصفهاني

* هل كان لديك وعي ـ وأنت تكتب « الصبي الأعرج » ومن بعدها « قميص الصوف » و « الرغيف » ـ بأنك نوعاً أدباً جديداً ؟ هل اطلعت على أعمال ميخائيل نعيمة في هذا الباب أو أعمال ع ه ؟

كتبتُ قصصي الاولى بلا وعي تام بأصول هذا
ع بالذات ، كتبتُها هكذا عفوا ، أو لعله الوعي
بي المنحدر إليّ من الدم ، كان والدي محدِّثا من
.قة الأولى ، وقد أتيح لي في « حصاد العمر » أن
... إلى تأثره فيّ من هذه الناحية « كانت مجالسه في
.ه وعند الآخرين محلّاة دائماً بحديث يستقطب
لاهمام ، فالعيون كلها شاخصة إليه ، والآذان
مشدودة إلى سماعه ، إذا روى خبرا أو نادرة أو نكتة
محضّر وتنزل في الموضوع الذي يعالجه المجلس ،
متدفق في السرد ، صائغ في اختيار الكلمات ، خبير
في توزيع الأضواء والظلال على شخصياته ، لمّاح في
الوصف ، لدّاع في التعليق ، يسوق الحادثة حثا
ويحبس لها الأنفاس في الصدور ، حتى إذا انتهت
أضاء معراها على شرر عينيه إضاءة الأسهم
النارية » كلماته ما تزال ترنّ في أذني ، وشرر عينيه
ما يزال يضيء لي الطريق ومنذ الصغر انكببت على
القراءة ، وفي يقيني أنني سأصبح يوما ما كاتبا
وشاعرا ولعلك تذكر ـ مادمنا في حديث « حصاد
العمر » ـ الصراع الذي حصل بين « شق »
و« سطيح » ، أعني بين « الأنا » و« الأنا » في
داخلي . عندما طلبت من ابي أن يهدي إليّ في العيد
نعلم « الكونكلان » حذّ « الماركز » ، فأهدى إليَّ بدلا
منه حذاء جديداً « صحيح أن سطيح وضع حذاءه
الجديد اللماع إلى جانبه في الفراش ، ولكن « شق »
بات أشقى ليلة في حياته وظلّ اللحاف يعلو ويهبط
وهو يجهش بالبكاء حتى الصباح »

نعود إلى القصة والرواية ، تأثرت كذلك بأبي
الفرج الأصفهاني صاحب « الأغاني » ، كنت مولعا
في صباي بأثنين الأدب العربي القديم ، والأدب
العربي الحديث الآتي إلينا من « الرابطة القلمية » في
نيويورك جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ،
أبو ماضي ، بسبب عريضة على أنني كنت
... لذة لا توصف في قراءة « الأغاني » ، وكان
... ما يطغى عندي على الأدب الحديث على الرغم
... أجد فيه من نبض الحياة وطلاوة التعبير ،
... كنت أستمتع بأخبارها ونوادرها لما اتصفت به
من مزايا القصة ، وهي الأقرب إلى نفسي من سائر
الأنواع الأدبية أبو الفرج في نظري قاصّ من الطبقة
الأولى ، في براعة سرده ، ووصفه وإيجازه ، قد
يعترض بعضهم بأنه لم يمارس القصة كصنيع فنيّ له
أصوله وأهدافه ، ولم يفكر إلا بالخبر أو النادرة ، أنا
لا أفرق بين هذا وذاك

أما « الرابطة القلمية » فكان تأثري بمستشارها
ميخائيل نعيمة كبيرا ، أحببت منه « الغربال » في
النقد ، وفي الشعر حفظت أكثر قصائده عن ظهر
قلب ، قصصه ، قرأت منها آنذاك « العاقر »
و« ساعة الكوكو » وغيرهما وأنا ، مع إجلالي
لنعيمة ، أعتقد أنه أجاد في عدة أنواع كتب فيها ،
إلا أنه في القصة ـ ما سبق له فيها وما لحق ـ لم يبلغ
المستوى الذي بلغه في سواها

في ذلك العهد قرأت أيضا بعض قصص محمود
تيمور وأخيه محمد تيمور ، وقرأت لابراهيم عبد
القادر المازني « صندوق الدنيا » ، وعلى أثر قراءته
كتبت من هنا ، من بحر صاف ، إلى « السياسة
الأسبوعية » في القاهرة ـ وكانت لسان حال الأدباء في
الوطن العربي ـ مقالا تصديت فيه لنقده ، ولست
أدري كيف نجوتُ من سحريته ، وكان سيدا في
الساخرين وجهت اليه رسالة مفتوحة مخاطبا إياه
هكذا « أخي ابراهيم » ! إن يقدم يافع في الثامنة
عشرة على الكتابة إلى أديب كبير كالمازني ، وهو في
أوج الشهرة ، وإن يتصدّى لنقده وإسداء النصح
له ، فجرأة أقف عندها اليوم بكثير من الدهشة ،
واطلب لها من المازني ـ في قبره ـ العفو والمعذرة

زينة . . حَبل بها غضبي

* يلاحظ القارىء أن جميع أبطال رواياتك ثائرون ، بم تفسر هذه الظاهرة ؟

ـ لهذه الظاهرة أسباب عديدة ، شخصية وأدبية
شخصية لكوني نشأت في أجواء الحرب العالمية
الأولى ، وهي الحرب التي عرف فيها لبنان الجوع
والعذاب والقهر والظلم ، منذ ذلك الوقت نبتت لي
أظافر زُرق محددة ، هي التي أمسكتُ بها القلم فيما

بعد وكتبت « الرغيف » بأبيها وأمها ثورة سامي عاصم ، أحد أبطال الرواية الذي قضى حياته ينظم القصائد ويدبّج المقالات داعيا إلى الحرية والاستقلال ، ثار في النتيجة على نفسه « مادا أعمل في هذه المغارة » ؟ (حيث كان مختبئا) وهل القصائد والمقالات قادرة على كسر نير الأتراك ؟! وبعد القبض عليه وسوقه إلى الديوان العرفي هرب من السجن ملتحقا بالثورة العربية أما رينة ، البطلة الأخرى في « الرغيف » فمِنْ بنات غضبي حبل بها غضبي افتقادا للرجال وشماتة بهم

انقطاع ثم عودة

* قيل الكثير عن مراع ما في سيرتكم الأدبية ، كنت ثم تركت الكتابة وانصرفت إلى العمل الدبلوماسي ، ثم فجأة عدت إليها ولكن بعد انقطاع حير الكثيرين وقدموا له تفسيرات شتى ، فما تفسيرك أنت ؟

ـ حياتي الأدبية تنقسم إلى مرحلتين كما أشرتَ في سؤالك الاولى تمتد من ١٩٣٦ إلى ١٩٤٤ وفيها صدر لي « الصبي الأعرج » و « قميص الصوف » و « الرغيف » و « العذارى » (وقد أجريت على « العذارى » فيما بعد تعديلا) ، ثم انقطعت عن الكتابة قرابة عشرين سنة ، وعدت إليها في « السائح والترجمان » الصادر سنة ١٩٦٢ ، ثم تلاه « طواحين بيروت » ، و « قوافل الرمان » ، و « مطار الصقيع » و « حصاد العمر » لم أكتب في فترة الانقطاع في تلك السنوات العجاف ، إلا بعض القطع الصغيرة في جريدة « الحياة » بإمضاء « عبده » وفي غيرها من الصحف ، أنحو فيها نحو « الهاريات » التي شرعت بكتابتها سنة ١٩٣٣ بإمضاء « حماد » في « النهار » عندما كنت سكرتيرا للتحرير فيها ، وهي عبارة عن خواطر أدبية ، اجتماعية ، سياسية ، وأحيانا شعرية ، وقد اخترت طائفة من هذه القطع وضمّنتها كتابي « غبار الأيام »

* لماذا انقطعت عن الكتابة ؟

ـ لا للإغراءات التي قدمتها لي الوظيفة كما ظن بعض الزملاء ، ومنهم الزميل العزيز سهيل إدريس ، أصدر كتابا بعنوان « أصابعنا التي تحترق » ، وكتب دون أن يسميني ودون أن يسمي سواي ، كَتَبَ وعَتَبَ متسائلا لماذا انقطعنا عن الكتابة ؟ وزعم أنني انقطعت لانصرافي إلى ترف الحياة الدبلوماسية . ومضى في ذلك بعيداً ، قلت له أنت مخطىء ، فالواقع أنني انقطعت عن الكتابة قبل أن أدخل الوظيفة بسنتين أو أكثر ، وكان انقطاعي زهدا حقيقيا بالأدب وبالفنون إطلاقا . وبعده جاءني صديق آخر هو سعيد فريحة سألني في حوار طويل عريض ، صارخ وساخر معا ، أين توفيق يوسف عواد الذي ملأ دنيانا الأدبية ؟ قلت عمّن تسأل ؟ عن المرحوم ؟ الكاتب فلان مات منذ زمن ، قلتها مخلصا كل الاخلاص ، موقنا ـ بيني وبين نفسي ـ أنني أعطيت كل ما عندي ، وقد دخل في روعي أنني انتهيت ، أما كيف عدتُ إلى الكتابة سنة ١٩٦٣ فلست أدري كالبركان ـ قلتها لك في مستهل هذا الحديث ـ أو كالحب للكتابة عندي مواسم كمواسم البراكين والحب ، تثور وتهدأ أنا لم أكن يوما من الأدباء المتهنين الذين يجلسون في ساعة معينة في النهار أو الليل ، إلى الطاولة ، فيأخذون ورقة وقلما ثم يحكون رؤوسهم ماذا نكتب اليوم ؟ الكتابة عندي لا تأتي من حك الرأس

الكلمة كالمرأة

ـ هناك ولهٌ ونوع من القداسة في تعاملك مع الكلمة كتاب القصة والرواية يكتبون عادة بلا مبالاة ، دون التنبه لفنيَّة الكلمة وموسيقا الجملة كيف تنظر إلى الكلمة ؟

ـ الكلمة عندي امرأة كما قلت لك ، وأنا أعاملها كما أعامل المرأة سواء بسواء ، أحب الكلمة أراودها عن نفسها ، أقلبها متلمسا مواطن الجمال فيها ، أنظر إلى شكلها وكأنَّ كلَّ حرف من الأحرف

ي تتألف منها عضو له ملامح خاصة وأصغي إلى
ـرسها ، أتشمم ما علق بها من أنفاس الذين
ـركوها خلال العصور من كتّاب وشعراء ، وهي
ـالمرأة ، لعبة يحلو لي أن أدعها ترقص على الموسيقا
لمتأتية منها ومن جوقتها ، أي من الكلمات التي
ـتألف منها الجملة ، هذا في الشعر وفي النثر معا
ولكن حذار ! حذار من الوقوع في فخ الكلمة ، من
انفلات الآية بينها وبين الشاعر أو الكاتب ، فهي
أيضا كالمرأة ذات سلطان وذات إغراء ودهاء ،
وكثيرا ما يطيب لها أن تحمل منه لعبتها ، تتحكم به
بدل أن يتحكم بها فإذا خضع لها واستسلم ركبته في
النتيجة ، وأدت به إلى الحذلقة وهي من أخطر
المزالق ، مثالُ الشاعر ـ الرجل في تعامله مع الكلمة ـ
المرأة المتنبي ، ومثاله في النثر الجاحظ

حصاد العمر

* إلى أي درجة بُحتَ في اعترافاتك في
« حصاد العمر » ؟ وماذا بقي في النفس ؟

ـ لو كنت أريد أن أعطي أكثر مما أعطيت في
« حصاد العمر » وفي سائر كُتبي لفعلت تريد مني
الآن أن أكشف لك عن أشياء مخبوءة ؟ ما الداعي إلى
ذلك وما الفائدة منه؟ الفنّ اختيار تجنيب لأشياء
وإثبات لأشياء تضخيم لأشياء وتقليص لأشياء
أخرى الفن ليس أحداً للأشياء كما هي ، بل هو
تسوية لها وإبرازها في شكل جميل في « حصاد العمر »
وفي سواه من كتبي فتحت للقارىء أبواباً ، فعليه أن
يدخل منها إلى ما شاء من مخارم حياتي اسأله ـ على
كل حال ـ الرفق وألا يظنَّ بي ما لا يظنّه بنفسه

زعم روسو ، قبلي وقبل الكثيرين عندما كتب
الاعترافات » ، أنه قال فيها كل شيء ، ولكني بعد
، قرأت كتابه ـ قرأته في الثامنة عشرة ، وعدت إليه
الأربعين ـ وجدت أن الفن هو الطاغي عليه ،
ـص كاذب في جوهره مهما ادعى الصدق ليس
ـان متهما مطلوبا منه أن يُقسم على الانجيل أو
ـن على قول الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا شيء
الحقيقة ولا تنس ، ياسيدي أن الانسان يعيش

في الكذب ، في كثير من الكذب ، لا في الكتابة فقط
بل في حياته العادية ، الكذب ملحُ خبزنا اليومي في
الشعر ، خصوصا كثير من التكاذب بين الشاعر
والكلمات ، كالتكاذب بين الرجل والمرأة في الحب

« تقولني في الوصل ما لستُ قائلا
وأسمعُ منها ما يحيّر ذاتي
أصدّق ما تملي عليّ فهل ترى
تصدق ما أملي أنا كلماتي »

أحبك حتى يسيل الدم

* ألاحظ من قراءتي لآثارك نثرا وشعرا
اهتماما بالغا بالمرأة ، المرأة أخذت حيزا
كبيرا من هذه الآثار ، وفي حياتك أيضا ،
كيف تعاملت مع المرأة ؟ هل نظرت إليها
من حيث هي حس وجسد ، أم أن هناك
أبعادا أخرى استرعت انتباهك ؟ الملذات
الروحية مثلا

ـ المرأة هي الحياة ، وأنا رجل يتهالك على الحياة
المرأة عندي أنثى قبل كل شيء آخر الطبيعة
البشرية ، بل الطبيعة كلها تقوم في كائناتها الحية على
الجاذب الحسي ، والملذات الروحية ملازمة عندي
للملذات الجسدية المرأة جسد وروح لا
ينفصلان والعلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة ،
أي الحب ، علاقة جسدية وروحية معا أمّا إذا كنت
تعني الحب الأفلاطوني والحب العذري فأنا غريب
عنهما أنا أسخر من الحب الأفلاطوني ولا أؤمن
بالحب العذري إلا أن يكون قسرا شعراء العرب
العذريون كذابون

أدخلُ هنا في بعض التفاصيل وأقدم اليك مثالين
في قصيدتي « وراء الحب » التي مطلعها « أحبك
حتى يسيل الدم » ، وقصيدتي « أسطورة الصدفة »
التي مطلعها « تسكنين لياليّ عارية كالشمس » ، ما
يلقي كثيرا من الضوء على نظرتي إلى المرأة وبالتالي إلى
الحب في الاولى أغني ملذات الحب الجسدية أبنى
لعشتروت هيكلا عابقاً ببخور الشهوة ولكني لا
أُعلي أبراجه إلا لأهدمه في النتيجة على رأسها

« أحبـك حتى أراك بناء
يُهدم أو وثناً يُرحم
وحتى أعافك شيئاً حقيرا
فما فيك حسن ولا معنم
ويبقى لروحي فم يتلمس
ما لا يمل ولا يتحم »

وفي القصيدة الأخرى أعني الملذات الروحية إذا شئت التفاح المستحيل ، « التفاح الذي بلا خطيئة » تفاح الأفلاطونيين والعذريين على أني ، هنا وهناك ، لا أصف إلا جوعي الذي ليس له شبع ، وعطشي الذي أريد له ارتواء وهو لا يرتوي أنا أسعى إلى صالي المنشودة إلى « ما يهديني إلى قرار حنيني » إلى « ذلك الشيء » الذي يسعى اليه النحّات في « السائح والترجمان » لا يجده في هذه المرأة ولا في تلك ، لعله واجده في أخرى فينتقل إلى الأخرى حتى إذا أحرجه السائح صاح به « أما قلت لك إني أحب حتى الخيانة »

الشعر كلمات كلمات

* كنت نثرا وكنت شعرا وقصائد متفرقة . فما الذي صرفك الى القصة والرواية ؟

ـ الأدباء معظمهم ـ تقريبا ـ يبدأون بالشعر ، تكاد لا تستثني منهم أحدا كيف ملتُ نحو القصة ؟ لست أدري ولعل شيطاني في القصة والرواية أقوى من شيطاني في الشعر ! نظمت الشعر وأنا في الرابعة عشرة ، ثم لم ألبث بعد مراودتي القصة والرواية أن تركته إلا بعض قصائد من وقت لآخر هي التي يضمها « حصاد العمر » ، وفي السنين عدت إليه في « قوافل الرمان » وكأنني أثأر من تركي إياه ، إذ انصرفت الى النظم على مدى أربعة أشهر ، كل يوم قصيدة أو اثنتان أو ثلاثة ولم أكتب في هذه الفترة حرفا في النثر والقصائد المشارُ اليها ، وكلٌ منها ذات بيتين ، عبارة عن خواطر مبعثرة ، « أسهم نارية » مواقف تجاه الكون ، وعلى قارئها أن يقرأ ما بين السطور ، وأن يكون عارفا بأسرار الكلمة . فلكل كلمة سرُّها ، كما لكل امرأة سرُّها

« وذات سحر على سر أعاشرها
حسيبة من بنات الليل رفيعة
سعى بها القوم تأتيهم على كره
حتى أتتني ولاست فهي عذراء »

الكلمة في الشعر يجب أن تعود عذراء على الرغم من مرور آلاف السنين عليها وتكرارها ملايين المرات ، وهذا هو الفرق بين المجدّد والمقلد الكلمة تحت قلم المقلد مومس تفوح بالنتن مهما طلاها بالمساحيق

والشعر كلمات كما يقول فرلين ، تأليف بين كلمات جاءه صديق ذات يوم وقال له أريد أن أنظم قصيدة ولكني أبحث عن موضوع فأجابه فرلين ومن قال لك إن الشعر موضوع ؟ الشعر كلمات ـ كلمات ـ وبالكلمات ينتقل الشاعر الى دنيا غير الدنيا التي يعيشها كل يوم الى العلاقة الحميمة بينه وبين نفسه ، بينه وبين الكون ، بينه وبين الله . بينه وبين الحياة والموت

أنا لست من أنصار الشعر الموجه الى الجمهور . الشعر أرستقراطي ، وهو من النخبة الى النخبة ، قد تعثر في القصيدة الموجهة الى الجمهور على بيت أو بيتين من الشعر ، أما ما سوى ذلك فنثر أكثر منه شعرا حتى القصائد غير الموجهة الى الجمهور لا يمكن أن يكون كل بيت فيها شعراً ، ففي بعض أبياتها نثر لماذا ؟ هذا عائد الى الطبيعة البشرية لا تستطيع الطبيعة البشرية أن تركز التركيز التام على شيء، والشاعر لا يستطيع أن يحتفظ بالجو الشعري على مدى عشرين أو ثلاثين أو خمسين بيتا من قصيدة □

ـ إن السعادة في الحكمة ، ولا سعيد في الدنيا الا العاقل الحكيم (أرسطو)

أمراض نسائية غامضة :

آلام الحوض عند المرأة

بقلم : الدكتور علي مبارك

هناك كثير من الحالات المرضية الطارئة التي تحدث عند المرأة ، والتي يحار في تشخيصها ، وطريقة علاجها كل من الطبيب الجراح والطبيب الباطني ، واختصاصي الأمراض النسائية . فكل ينظر للحالة من خلال تخصصه ، والأمثلة كثيرة ، منها « الام الحوض عند المرأة » التي تعتبر من الأمراض النسائية الغامضة فما هي أسبابها وما علاجها ؟

إن الأمراض النسائية الغامضة تكون الغالبية العظمى من أسباب تردد السيدات على عيادات الأمراض النسائية ، كما جاء في تقرير للطبيب البريطاني (ت موريس) المنشور في أحد أعداد المجلة الطبية البريطانية عام ١٩٥٨ وقبل ذلك كان الدكتور (هـ تيلور) قد صرح (في عام ١٩٥٧) بعدم الاطمئنان من جانبه لكل الاجراءات العلاجية لمثل هذه الحالات ، وأكد أن التسرع الذي يقود بعض الجراحين لعلاج هذه الحالات بالجراحه انما هو خطأ كبير يرتكبه هؤلاء وقد تأكد قوله هذا بعد ذلك بسنوات عندما دخل التنظير البطني حيز ممارسة الطبية،وشاع استعماله في مثل هذه الحالات ى إلى تقليص الأعداد الكبيرة التي كانت تعالج لجراحة ففي إحصائية الدكتور (ب سرانت) في بريطانيا أوضح أن ٣٧٪ فقط من هذه لات قد ثبت أن أسبابها في الحوض . أما الحالات الباقية فلم يعثر لها على سبب للآلام في الحوض وأيد ذلك الطبيبان (مورفي) و (ج فليونجر) من استراليا ، وإن كانت تعزى إلى بعض عوامل نفسية في ٨٤٪ من الحالات كما جاء في دراسة أخرى للباحثين (دوللي ، وجوميري) نشرت في عدد آخر من أعداد المجلة الطبية البريطانية عام ١٩٧٧ ولقد أثارت هذه الدراسات اهتمام الأطراف الأخرى

العوامل النفسية لا تكفي

إلا أن السؤال عن سبب الألم بقي دون جواب ، إذ لم يعثر أي من الباحثين عن هذه العوامل النفسية التي تشبه في كثير من الحالات الآلام الناتجة عن أعراض عضوية طارئة حادة وراح بعض الأطباء مثل (هـ تايلور ، س دانكون) يفسرون هذه الظاهرة بأنها ناتجة عن احتقان حاد في الأوعية الدموية بأنسجة الحوض،لكن هذا التفسير لم يتفق مع اراء

الباحثين الأخرين لعدم توفر الأدلة العلمية على وجود تلك العوامل النفسية ، على الرغم من أن المؤتمر الرابع والعشرين لأمراض النساء والولادة المنعقد في بريطانيا قد أكد هذه الظاهرة

وقد شملت هذه الأسباب النفسية أيضا ٨٩٪ من حالات الأطفال الذين يحولون إلى المستشفى بأعراض آلام أسفل البطن (كما جاء في دراسة للدكتور (دودج) نشرت في أحد أعداد المجلة الطبية البريطانية عام ١٩٧٧) ، ويبدو من التحليل النفسي لهؤلاء المريضات أن شكاواهن هذه ما هي إلا لجلب انتباه الآخرين وكسب عطفهم لإمرار بعض الرغبات وهذه الظاهرة تنتشر بين النساء أكثر من الرجال بنسبة (٢ ١) ، وغالبية النساء في هذه الدراسات يتصفن بالانطواء والعصبية وعدم القدرة على تكوين صداقات اجتماعية أو التمكن من حل المشاكل الجنسية المختلفة وهذا النوع من النساء يتأثر بسهولة من التوترات النفسية التي تنعكس بشكوى الام الحوض ، مما يضطر الطبيب الجراح لإجراء عملية جراحية استكشافية بفتح البطن ويخرج منها بإزالة الزائدة الدودية غير الملتهبة في كثير من الأحيان

والسؤال المطروح لدى غالبية الأوساط الطبية هو لماذا لم ينجح معظم العلاج لآلام الحوض لدى النساء ؟ وقد يكون الجواب أنه في الحالات التي لا يجد الطبيب سببا عضويا لشكوى المريضة ، ويعوزه التفسير المقنع لاستفسار المريضة عن أي سبب عضوي لآلامها ، يلجأ في آخر المطاف للأسباب النفسية مبررا فشله في علاج ناجح ولهذا لجأ الكثير من الأطباء للعلاج بالتحليل النفسي ، والتركيز على استنباط الأسباب النفسية ، وتحليلها ، وتفنيدها مع المريضة ففي دراسة عشوائية قام بها مجموعة من أطباء مستشفى (سانت ماري) بلندن عام ١٩٨١ على مجموعة من السيدات وجد أن هذا النوع من العلاج قد قلل إلى حد كبير من نوبات الآلام الحوض التي يشكين منها وقد أثبتت هذه الدراسات أن العلاج الجراحي غير مقنع في مثل هذه الحالات .

ما لم يثبت أن سبب الآلام في الحوض مرض عضوي يحتاج إلى عملية جراحية لاستئصاله ثم قامت نفس المجموعة دراسة أخرى نشرت في عدد آخر من المجلة الطبية البريطانية عام ١٩٨٦ تذكّر الأطباء الذين تصادفهم حالات آلام الحوض أن يضعوا في اعتبارهم حالات معينة قسموها إلى سبع مجموعات

الأولى تتعلق بالحالات التي لها علاقة بمشاكل الحمل كالإجهاض ، والحمل خارج الرحم ، ووجود بعض أورام ليفية ، وآلام غامضة في الرحم نفسه

والثانية تتعلق بمضاعفات الدورة الشهرية كعسر الطمث ، وبعض الآلام المتعلقة بوقت حصول التبويض

والثالثة تتعلق بالالتهابات المزمنة في الحوض

والرابعة بأعراض المسالك البولية كالتهاب المثانة ، وحصاة المسالك البولية

والخامسة بأعراض الأمعاء الغليظة من تقرحات إلى نتوءات ، أو أورام سرطانية

والسادسة بالأعراض المتعلقة بالأجهزة التناسلية كالتواء بعض الألياف والأكياس وسقوط الرحم وجدران المهبل وأمثالها

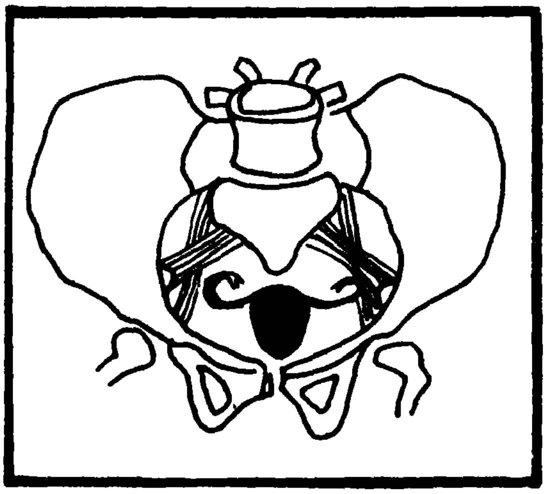
أما القسم الأخير فهو المتعلق بأعراض الجهاز الهيكلي كانزلاق الغضروف أو إحدى الفقرات

الأسباب المحتملة

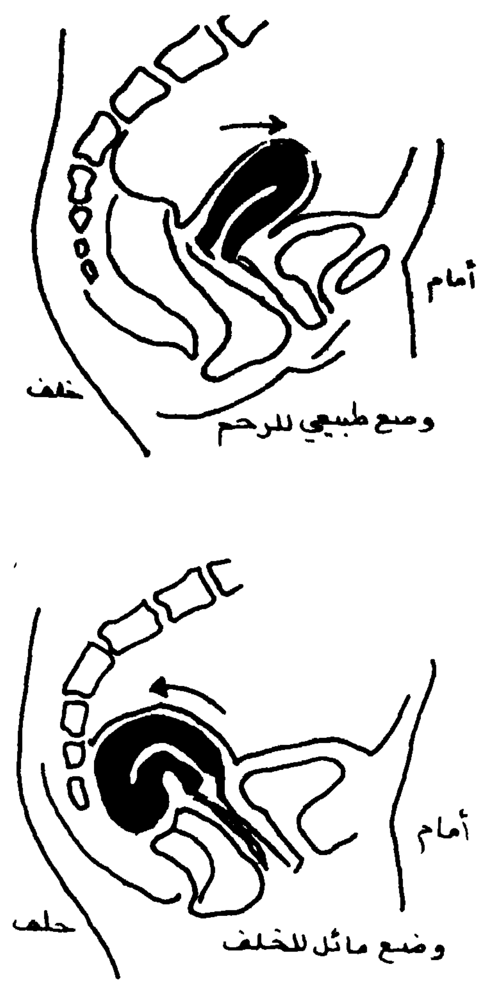
بعد هذا العرض المفصل لآراء مختلف الأطباء في آلام الحوض استعرض الأسباب المحتملة في كل الحالات وقبلها أود أن ألقي نظرة تشريحية على حوض المرأة ومحتوياته

فالحوض هيكل عظمي مكون من التحام عدة عظمات متناظرة الشكل تكون غلافا عظميا حول فراغ تملؤه الأجهزة التناسلية الداخلية وبعض المسالك البولية والهضمية

فالرحم **عضو عضلي مكانه وسط الحوض** . مائل إلى الأمام حيث يتصل به البوقان (قناتا فالوب) من الجانبين فيؤديان إلى المبيضين المتواجدين في جانبي الرحم وأمام الرحم المثانة البولية . وخلفه



ـ الهيكل العظمى للحوض ومكان الرحم والانابيب فيه وكذلك بعض الاربطة الليفية



ـ وصع الرحم الطبيعى
والوصع المائل للحلف

ال قليلا يوحد المستقيم ، وتشغل الفراغات فيه لمائف الأمعاء الدقيقة والقولون

من هده الصورة التشريحية يتبين لنا أن سيمات السبعة المذكورة أعلاه قد شملت كل هده مصاء وأنسجتها ومن هده الأعصاء والأجهزة سل الألم بواسطة مجموعة من الأوتار العصبية المتشابكة إما إلى النخاع الشوكي أو يتجاوزه إلى المراكز العصبية العليا وقد تتمثل هذه المجموعات العصبية في مساحات معينة من الجسم أو الجلد بحيث يظهر فيها بعض الاحساس بالألم النابع من أحد الأعصاء الداخلية ويستطيع الطبيب أن يعرف موطن الألم عندما تشير السيدة إلى مكان الاحساس به خارجيا ، فمثلا عندما تضع السيدة راحة يدها على البطن أسفل السرة في الوسط قد يدرك الطبيب أن مصدر الألم هو الرحم ، أما إذا كانت الاشارة الى جانبي أسفل البطن فقد يكون مصدر الألم البوقان والمبيضان وهكذا

والألم بكل أنواعه إحساس غير مريح ، وفي كثير من الأحيان يصعب على المريضة وصفه بدقة ، ومع ذلك بالامكان تقسيم آلام الحوض عند السيدات إلى قسمين.

آلام الحوض الحادة :

هده أكثر وصوحا في صورتها وفي تشخيصها ، وعالبا ما تكون حالات طارئة ، تحتاج إلى انتباه وتركير من الطبيب المعالج الذي يجب عليه أن يستعرض جميع ما ذكر من حالات الأقسام السبعة المذكورة أعلاه ، بعرص التشخيص التفريقي ، حتى يتمكن من إيجاد السبب الأساسي لهده الآلام الحادة

ويجب أن يضع في اعتباره أن من الحالات الحادة ما يحمل خطورة عالية تهدد حياة المريضة ، فيحتاج ـ قرار سريع وإجراء جراحي عاجل والحالات ـ ده عند النساء لا تقتصر أسبابها على إصابات ـ جهزة التناسلية فقط ، وإنما تتعداها إلى الأعصاء ، شاء ، والأنسجة الموجودة ضمن الحوض كما وباستعراض بسيط لمختلف مسببات هده لحادة ندرك مقدار الصعوبة التي يواجهها

الطبيب الفاحص للوصول إلى التشخيص الصحيح وبعودة أخرى لاستعراض المجموعات السبعة نركز على الحالات ذات الخطورة العالية، مثل احتمالات الحمل خارج الرحم الذي يعّرض المريضة لخطر الوفاة بسبب غزارة النزيف الدموي الداخلي، ما لم يعجل الطبيب المعالج بإجراء عملية جراحية طارئة لاستئصال السبب، وتعويض كمية الدم المفقودة. وبدرجة أقل من الخطورة تعامل حالات الاجهاض، وحالات التواء أكياس المبايض، والأورام الليفية.

وتتدرج الحالات الحادة إلى الأقل خطورة مثل الالتهابات المعممة، وانفجار بعض أنواع التكيسات الدموية، أو تجمعات قيحية في الأعضاء أو حتى تسرب بعض سوائل الطمث من التجويف الرحمي إلى فسحة الحوض البوقيي. وبالمقارنة هناك حالات مشابهة في خطورتها ليست لها علاقة بالأعضاء التناسلية، كالتهاب الزائدة الدودية، وانسداد الأمعاء والتوائها أو انفجار وعاء دموي في الغشاء الصفاقي. كما أن حصاة الحالب المتحركة، وبعض التهابات المسالك البولية أيضا تسبب آلاما حادة، ولكنها لا تشكل خطورة على المريضة.

إن معظم الحالات الحادة تستدعي فورا إلى تدخل جراحي عاجل لفتح التجويف البطني، والتأكد من التشخيص، وإجراء ما يلزم، وفي حالة غموض التشخيص بفتح البطن للاستكشاف، ثم يعمل اللازم بعد العثور على السبب المباشر، ويحدث كثيرا أن يفتح الطبيب الجراح البطن لتشخيص معين كالحمل خارج الرحم، ثم يفاجأ بوجود حالة أخرى كالتهاب الزائدة الدودية، أو انفجار وعاء دموي، أو غيرها. وحديثا يستعمل في كل المراكز الطبية المنظار البطني لتنظير تجويف الحوض، والتأكد من التشخيص قبل اللجوء الى فتح البطن.

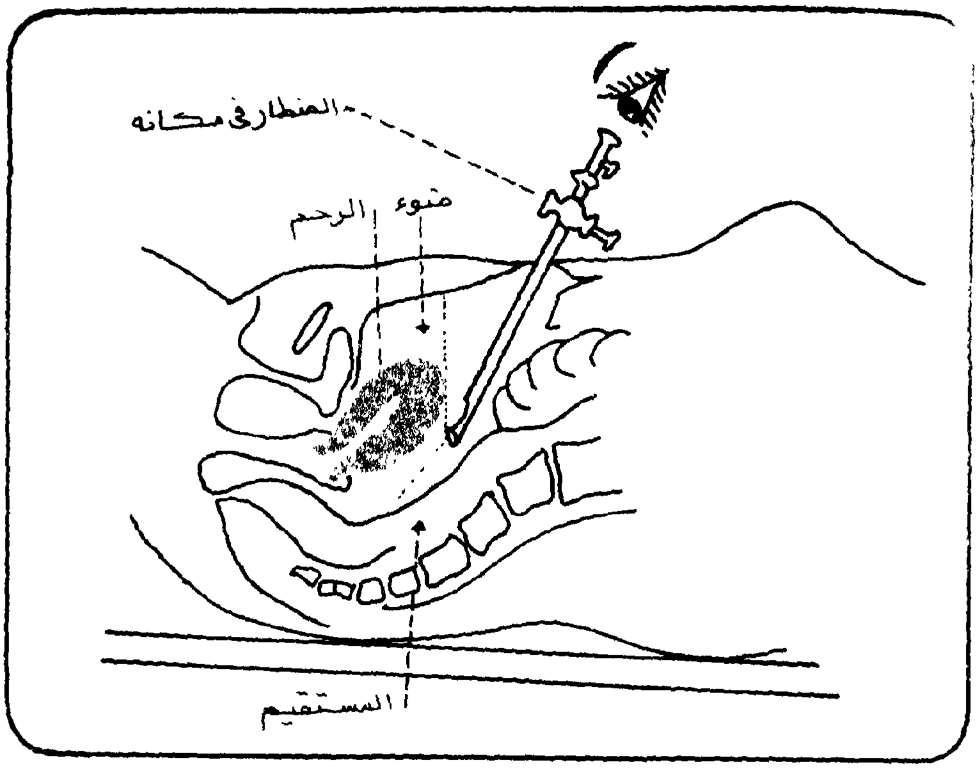
آلام الحوض المزمنة

إذا كانت الأعراض الحادة كما شرحت سهلة التشخيص، ومن ثم العلاج الفوري الفاعل، فإن المشكلة غير ذلك في الحالات المزمنة، فهذه الحالات تشكل الجزء الغامض والصعب من كل جوانبه مسبباته، ووصفه، وتشخيصه، وعلاجه، ... يخلق إشكالات جمة للطبيب المعالج، فكثيرا ما ... نفسه أمام لا شيء عدا شكوى المريضة، ويحار إيجاد الجواب المقنع لتساؤلاتها وشكواها. وهي الآلام أكثر شيوعا عند النساء من الرجال الذين ... أن تحدث عندهم هذه الحالات.

ولتحديد أساسها يمكننا ـ للتبسيط ـ تقسيم هذه الآلام حسب ترددها، وزمن حدوثها، إذا اعتبرنا مواعيد الدورة الشهرية مؤشرات زمنية ثابتة عند المرأة، فمنها ما يكون متقطعا بتردد ثابت، وعلى سبيل المثال الآلام التي تحدث في منتصف الدورة الشهرية مع انطلاقة البويضة من المبيض، وقد يسهل على الطبيب تشخيصها من مجرد وصف المريضة لها، وزمن حدوثها. وسببها هو تسرب كميات من الدم، والسوائل الأخرى المحيطة بالبويضة إلى الحوض مما يهيج الأنسجة فيه.

ونوع آخر من الآلام يصاحب نزول الحيض في اليوم الأول، ويسمى «عسر الطمث»، ويتميز بآلام انقباضية شديدة تشمل أسفل البطن، وتمتد إلى أسفل الظهر، ومرة أخرى يسهل على الطبيب تشخيصها من الوصف زمن حدوثها، إلا أن نوعا آخر منها يبدأ قبل نزول الحيض بأيام، وتختلف طبيعته عن الأول، فهو يسبب آلاما ثقيلة غير محددة الموقع تشعر بها المريضة في الحوض كله.

هذه الحالات من الآلام المزمنة في الحوض قد تمثل النوع المتميز والسهل، أما القسم الآخر فهو الذي يحدث بتوقيت غير منتظم، وليست للآلام علاقة مترامنة مع الدورة الشهرية، فمثلا السيدة المصابة بالتهاب الحوض المزمن لا تستطيع إعطاء صورة واضحة عن نوعية الآلام، كما أنها لا تستطيع تحديد مكانها، كما في حالات الآلام الحادة، سوى أنها تذكر شعورا بآلام ثقيلة في منطقة العجان (المهبل) عند الملامسة الجنسية، وهذه الآلام قد تكون نتيجة وجود أورام معينة في الحوض أو تكيسات قيحية وربما يكون الرحم مائلا إلى الخلف بخلاف وضعه الطبيعي المائل إلى الأمام.



ـ طريقة التنظير البطني

التصاق الأعضاء ووضع الرحم

ربما يواجه الطبيب ظاهرة التصاق الأعضاء بعضها ببعض نتيجة التهابات حادة سابقة في الحوض . مما يضعف معها التصرف . إن من بعض المضاعفات لدى الجراح هي تكون هذه الالتصاقات ، وبخاصة بين الأمعاء الدقيقة والأعضاء التناسلية ، مثل المبيض ، والرحم ، والبوقين . ويجب التروي في اعتبار هذه الالتصاقات سببا أساسيا للآلام ، لأنها قد لا تكون كذلك ، ولن ينفع قطع هذه الالتصاقات لما أصبح السبب مزمنا في الأنسجة . أما إذا وجد الرحم مائل إلى أي جهة من الجهات ـ غير الأمامية لجأ إلى إجراء جراحي لإصلاح وضعه ، وإعادته (...)عته . وهذه الحالة تسبب في أكثر الأحيان آلاما في (...) المنطقة القطنية من الظهر ، وتشكو السيدة (...) من آلام عميقة أثناء الملامسة الجنسية . كما أن الطبيب الحاذق قد يستنبط من خلال الكشف المهبلي اليدوي ـ بتحريك الرحم إلى الجانبين ـ أن شعور السيدة بالألم قد يكون سببه تمزقات سابقة بأربطة الرحم ـ وهي أنسجة ليفية وترية قوية ـ من جراء صعوبة في حالات ولادة سابقة . ولا يمكن التأكد من هذه الظاهرة بمجرد الكشف المهبلي ، إذ قد يتطلب متابعة باستعمال التنظير البطني لاستكشاف الحوض وبخاصة هذه الأربطة ، ومع ذلك فلا يوجد علاج فاعل لمثل هذه الحالات سوى المسكنات . ولا يعتقد كثير من الأطباء بأن العلاج بالموجات الحرارية ناجح كذلك . وعلى ذكر مضاعفات حالات الولادة الصعبة والعسرة نذكر منها الكثير ، فتعدد حالات الولادة أكثر من أربع مرات دون أن تترك السيدة فترات معقولة بين الحمل والآخر ، قد يؤدي إلى ارتخاء الرحم وسقوطه .

وهناك حالات أخرى تجري فيها عملية استئصال الرحم لشكوى مزمنة في الحوض . فإن الشكوى

والآلام غير المتميزة ستبقى مصدر ازعاج للمريضة ، وبعض الأحيان يتضخم المبيضان المتروكان دون استئصال في مثل هذه العملية ، مما يسبب آلاما شديدة في الحوض قد تحتاج إلى عملية فتح بطن ثانية لاستئصال المبيضين

وقبل أن ننتهي من هذا الجانب من أسباب آلام الحوض لا بد من الاشارة إلى بعض السيدات اللواتي يضعن لولب منع الحمل ، فبعضهن يتعرضن إلى نوبات من آلام الحوض في أوقات مختلفة ، بسبب تقلصات عضلات الرحم الرافض لوجود جسم غريب بداخله ، وقد تكون هناك أسباب غير مباشرة **قبلها** - كالتي سبق ذكرها - ولا تهدأ هذه الآلام إلا بإخراج هذا اللولب من جوف الرحم لتبحث السيدة عن وسيلة أخرى لمنع الحمل

إلى هنا تكون الأسباب المؤدية إلى الآلام المزمنة في الحوض متعلقة بأعضاء الجهاز التناسلي ، ولكن هناك حالات تكون أسباب الآلام فيها غير متعلقة بها ، فهي ليست حالات نسائية ، إلا أن مكان الشعور بها يعطي هذا الانطباع ، وقد تراجع المريضة عيادة الجراحة العامة أو الطبيب الباطني أو طبيب الأمراض النسائية ، وقد يتداخل العلاج بين هذه التخصصات . إذن ما حالات آلام الحوض غير المتعلقة بالأعضاء التناسلية وما أسبابها ؟

أسباب أخرى

أوضحت في البداية تشريح الأعضاء الموجودة في وراء الحوض ، ومنها الأمعاء الدقيقة ، والمستقيم والقولون ، هذا بالاضافة إلى أن هيكل الحوض يتعرض إلى ضغط كبير من الجسم كنقطة ارتكاز ومفاصل . وهذا الوضع قد يكون مصدرا لآلام مقلقة في الحوض ، وقد تختلط آلام الحوض المزمنة هذه بآلام أسفل الظهر التي تشكل عبئا آخر ، سواء على المريضة نفسها أو على الطبيب المعالج ، وقد يصعب أحيانا التفريق بين هاتين الحالتين . ولهذا نعود مرة أخرى لاستعراض بعض الأسباب ، كالاحتقان الحاصل في أنسجة الحوض الرخوة ، أو حدوث نوع من الدوالي فيها ، على الرغم من أن الدلائل على حدوثها غير أكيدة . إن تعليل ... الحالات بالأسباب النفسية قطعا أشبه ما يكون بـ « شماعة » يعلق عليها بعض الأطباء عجزهم عن إيجاد سبب عضوي مباشر لآلام الحوض هذه . في دراسة أجريت عام ١٩٧٠ ونشرت في المجلة الـ... للطب النفسي ، على مجموعة من السيدات اللواتي يشتكين من آلام مزمنة في الحوض ، وجد أن الاضطرابات والصدمات العاطفية لمدة طويلة والمصحوبة بنوع من فقدان العلاقات الاجتماعية أدت إلى حدوث حالات من الاكتئاب العميق والقلق النفسي ، وبعض نوبات من الهستيريا بالاضافة إلى التردد المستمر على عيادات الأمراض النسائية للشكوى من آلام الحوض المزمنة . وقد تركز علاجهن على جلسات متكررة للتحليل النفسي ، ومن ثم الانتهاء إلى العلاج النفسي ... يخفف إلى حد كبير من شكاواهن من آلام الحوض

ويختلف الحال في علاج الحالات المتسببة عن أمراض عضوية ، فعدا عن العملية الجراحية للاستئصال التي يجب أن تجري بعد التأكد التام من التشخيص ، هناك طرق أخرى تستعمل فيها العقاقير المسكنة والمهدئة ، بل حتى المنومة أحيانا . تذهب بعض المراكز إلى استعمال علاج الوخز بالابر الصينية لاعتقادهم في فاعليتها لشفاء كثير من الأمراض ، منها آلام الحوض المزمنة ، اعتمادا على ما يذكر من انها تؤدي إلى افرازات مختلفة من المواد الكيماوية والهرمونية في الجسم ، تساهم في تسكين هذه الآلام ، لكن بعض المراكز الأخرى لا تعتقد بذلك مطلقا بل تعد هذا النوع من العلاج ذا تأثير نفسي فقط

هكذا نأتي إلى خلاصة القول بأن الآلام المزمنة في الحوض عند السيدات ، قد تعد من الأمراض الغامضة التي قد لا يهتدي الطبيب إلى سبب مباشر لها ، فيحار في اختيار طريقة العلاج المؤثرة ، فيلجأ إلى طرق مختلفة تنحصر بين الجراحة وبين أساليب التنويم المغناطيسي ، وقد لا يجد الطريقة الفاعلة وتبقى السيدة « زبونة » مزمنة لعيادات الأمراض النسائية □

منتدى العربي

قضية

فكر السادة وثقافة التابعين

بقلم : الدكتور مصطفى النشار

لم يزل الخلاف دائرا حول « إلى أي مدى نأخذ عن الغرب ، وبأي قدر نمسك بالثقافه العربية » وبين الاتهام بالتغريب أو المواجهة بعدم قدرة الثقافة العربية على مسايرة التطور العصري الذي نعيشه .

حول هذه القضية وحدودها وأبعادها يثور الخلاف والنقاش ، ويناقش الكاتب هذه الأفكار

لقد قر في أذهاننا منذ مطلع العصر الحديث أننا لكي نلحق بركب الحضارة لابد أن نساير الغرب ، سواء مسايرة تامة أو نحاول التوفيق بين ما ننقله عنه من مناهج وفلسفات وبين عناصر تراثنا الفكري الإسلامي الأصيل ولست أشك في مدى إخلاص دعاة ذلك ، فهم حاملوا مشاعلنا ومن أنار أمامنا طريق التقدم في وقت كانت فيه حلقة الظلام والتعتيم علينا محكمة ، ومازلنا إلى اليوم بحاجة ماسة إلى أن نتبعهم وأن نبدد ماتبقى أمام أعيننا من ظلمة وقتامة حتى نرى أنفسنا بصورة أفضل ، ونرى الغرب في صورته الحقيقية

إن ما سأحاوله هنا هو أن أستكشف أعماقا أبعد لعلاقتنا بالغرب وعلاقة الغرب بنا

فمنذ أن ظهرت على وجه الأرض أمة اليونان واستطاعت بذكاء شديد أن تبلور فكرها الخاص من خلال ما جمعته من فكر حضارات الأمم السابقة لها والتي كانت آنذاك في طور تفسخها وانهيارها ، منذ ذلك التاريخ قدم اليونانيون أنفسهم للعالم على أنهم هم المبدعون للفلسفة والعلم والآداب والفنون ، فمنهم كان هوميروس وهزيود من الشعراء ، ومنهم كان طاليس وفيثاغورس وبارمينيدس وبروتاجوراس وديمقريطس وسقراط وافلاطون من الفلاسفة ، ومنهم كان ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيدس من كتاب المسرح ... الخ ومن ثم فقد تصوروا ، بل وعاشوا مقتنعين بأنهم هم سادة العالم وأحراره ، وأن مَنْ عداهم من شعوب وأمم وقبائل ليسوا إلا

برابرة وعبيداً ، فهم ـ أي اليونانيون ـ وحدهم من يصلحون للتأمل والفكر والقيادة السياسية والعسكرية ، ومن عداهم من أمم الشرق لايصلحون إلا للرق والعبودية وقد تناسوا آنذاك أن منهم من كان أجيرا ومرتزقا عند ملوك مصر القديمة ، ولم يكن ذلك بالتاريخ البعيد ، فقد كان آخر عهدهم بذلك في عصر الدولة الحديثة وعصر ابسماتيك الاول مؤسس الأسرة الصاوية في عام ٦٦٤ قبل الميلاد

ولقد كان لفيلسوفهم وعالمهم أرسطو فضل ترسيخ تلك الصورة على أنها إعجاز يوناني غير مسبوق في ميادين الحضارة كافة وقدم منطقه على أنه شيء بدا له أحيانا ولتلاميذه وشراحه دائما هو المنطق العام لضبط الفكر الإنساني

كما قدم فلسفته على أنها الفلسفة التي يجب أن يعتنقها كل البشر ، وقدم علمه على أنه العلم الذي يجب أن يتفهمه ويبرهن عليه ويستكمله ويسير على نهجه كل العلماء

العقل والسيف

وإن كانت تلك المعجزة الفكرية قد اكتملت لدى ارسطو نظريا ، فإن تلميذه الاسكندر الأكبر قد فرضها واقعا ملموسا بانتصاراته العسكرية التي جعلت امبراطوريته تمتد من شواطيء البحر الأبيض المتوسط حتى تخوم الصين والهند وعلى الرغم مما يقال من حلو الكلام عن عظمة الاسكندر بأن حلمه كان الدعوة إلى الاخاء والمساواة بين بني البشر ، وأن دينه كان التوحيد ، وأن هدفه كان صهر الحضارتين الشرقية والغربية وتكوين دولة عالمية واحدة ، على الرغم من كل ذلك فقد كان الاسكندر يحمل نفس عنصرية اليونان الفكرية التي فاقت أحيانا عنصرية أستاذه ، فقد كان يفضل ذلك التفوق الفكري للأمة اليونانية والحفاظ على كل ما حققه من مجد سياسي وعسكري ، فهذا هو الاسكندر يكتب رسالة لأرسطو ـ نشرها بلوتارخ في الجزء الثاني من كتابه « السير » ـ يقول له فيها « إنك لم تحسن صنعا بنشرك كتبك في نظريات الخطابة ، إذ ما الذي بقي لنا مما نمتاز به على الآخرين إذا أتيحت تلك الأشياء التي تخصصنا في معرفتها للجميع ؟ إني أؤكد لك أنني أوثر أن أمتاز على الآخرين بمعرفة ماهو ممتاز بكل اتساع في قوتي وامتداد لسلطاني »

ولعلنا قد أدركنا من هذه الكلمات المباشرة للاسكندر أنه لم يكن يستهدف ـ كما هو شائع ـ نشر الفكر اليوناني في الشرق بقدر ما استهدف التعرف على هؤلاء « البرابرة » وضمهم إلى دولته ، وليقضي على ما بقي في حوزتهم من تميز فكري ، ولا ضير في أن يتشكل أحيانا تشكلا « تكتيكيا » بعاداتهم وتقاليدهم ، فيرتدي ملابسهم أحيانا ، ويتقرب إلى آلهتهم أحيانا أخرى ، ولاضير في أن يتزوج منهم ، ويوصي قواده بالزواج منهم أيضا لقد كان كل ذلك وسيلة لغاية أبعد ، هي تأكيد سيادة الجنس اليوناني الغربي فكرا وعقيدة

ولشد ما أعجب بعرب الجزيرة العربية العظماء الذين أنار الدين الجديد عقولهم وحرر أخلاقهم وحدد هممهم ، فحملوا لواء حضارة فتية جديدة ، أساسها الإيمان الحق بإله واحد ، وبالأخوة والمساواة العالمية (فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ، ولم يكن ذلك مجرد إيمان نظري بشريعة إلهية ، بل عاشوها حياة حقيقية وسلوكا لا يعرف التشكيك الكاذب ولا النفاق ولا الخبث وسرعان ما سادوا العالم قولا وعملا بقوة الإيمان قبل قوة السلاح ، واشتقوا لأنفسهم طريقا حضاريا جديدا ، وأصبح العصر عصرهم ، فالفكر فكرهم ، والعلم التجريبي علمهم ، والمجتمع السياسي الحق أساس دولتهم الكبرى ، وأخلاق القرآن حياتهم

وسرعان ما أقبلوا على فكر هؤلاء الإغريق فنقلوه ثم شرحوه وفهموه فهضموه وبعد الشراح ظهر المبدعون ، ففي الفلسفة ظهر الغزالي بعد الفارابي وابن سينا وظهر ابن خلدون بعد ابن رشد ، وفي العلم ظهر جابر بن حيان والحسن بن الهيثم وابن البيطار وابن النفيس وغيرهم ووجد رجال الفقه والقانون الذين نقلت أوربا تشريعاتهم وقوانينهم ووجد رجال السياسة الأفذاذ كعمر بن الخطاب

و ...ية بن أبي سفيان وغيرهما ، ووحد العسكريون ا.. ..رة كخالد بن الوليد وطارق بن زياد ... الخ و ...ك كان الشأن في مختلف العلوم والفنون والآداب

عصر الازدهار الإسلامي

وإن كان الحال في العصر الوسيط قد تغير من حاسا وصار المسلمون بحق هم سادة العصر ومعلميه دون تعال ودون عنصرية ، فإن العربيين ظلوا على عنصريتهم وعنجهيتهم القديمة ، فقد نقلوا عن الاسلاميين مانقلوا ، وأنكروا ، وأخذوا منهم ما احذوا ولم يظهروا لذلك أثرا ، فإن أردت أن تبحث عن اسم أحد التجريبيين العرب في مؤلفات فرنسيس بيكون فلن تجد ، وإن حاولت أن تبحث عن اسم أبي العلاء المعري في كوميديا دانتي الإلهية فلن تجده ، وإن تصورت أنك يمكن أن تجد اعترافا بالتأثير من جانب أي قانوني أو سياسي عربي ، أو لدى أي عالم فيلسوف فأنت واهم !!! فهم لايعترفون لأحد بأي فضل ، ولايذكرون غيرهم إلا حينما يكون وسيطا كابن سينا وابن رشد ينقلون من خلاله فكر سلافهم

لقد تصوروا أنهم صانعوا عصر النهضة الأوربية الغربية بإبداعاتهم هم فقط وبعض ما أحيوه من افكار أسلافهم من اليونانيين ، وأنهم لم يستفيدوا شيئا من المسلمين أو من الشرق ، اللهم إلا بعض شروح لارسطو أو جالينوس ، وإضافات طفيفة لابن حيان وابن الهيثم ، وقد ظلوا في نظر أنفسهم هم سادة الفكر وقادة العالم إلى التنوير والانتقال من عصر الظلام - العصر الوسيط كما ينظرون إليه - إلى عصر العلم التجريبي والفلسفة العقلانية الحديثة ...ست الحضارة العربية بكل مظاهرها إلا سليلة ... حضارة الغربية القديمة (الحضارة اليونانية) ...شيئا فشيئا ، وكما فعل أجدادهم ، طمسوا ...مة الناصعة ، حقيقة العصر الإسلامي الوسيط ... الرائد ، وجعلوها باهتة قاتمة ومرة أخرى ...وا لانفسهم وللعالم أنهم صانعو مجد الإنسان ...ت وحدهم ، وأنهم يملكون من بين بني البشر قدر البشرية كلها ، فلابد أن ينصاع العالم لهم وأن تسلمهم البشرية قيادها إنهم ما يزالون السادة وماعداهم من التابعين ، إنهم يملكون وحدهم الفكر والابداع ، وغيرهم يستورد ما يصدرونه له من نفايات المدنية وتافه الثقافة وأحط الأخلاق حتى يتشكل الجميع بنموذج عربي رائف

وقد تحقق لهم ما أرادوا إلى حد كبير ، فلم يعد الشرقي شرقيا بأصالته ، ولا العربي عربيا بعروبته ، ولا المسلم إسلاميا في إسلامه ، لأن كلا فقد الارتباط بجذوره ، وأصبح كريشة عالقة بالهواء تدفع بها رياح التعريب إلى أي اتجاه تشاء فالجميع قد رضي لنفسه الاتباع بدلا من الابداع ، حينما رضي لنفسه الثقافة بدلا من الفكر ، والمدنية بدلا من الحضارة

وبدأ عصر التبعية

وقد برع العربيون بمؤسساتهم ومستشرقيهم في غزونا ثقافيا بعد أن غزونا عسكريا واقتصاديا ، وبعدما تيقنوا أن ذلك الغزو الثقافي هو أشد أنواع الغزو فتكا وأطولها أمدا نجحوا في غزونا بكل وسائل دعايتهم ، واعتمدوا في ذلك ليس على فكرتهم عنا فحسب - وهي فكرة أساسها أنهم المبدعون ونحن التابعون - بل على فكرتنا نحن عن أنفسنا ، وهي لم تعد مختلفة عن الأولى ، لأنه قد قرّ في أذهاننا - كما قلت في البداية - أنه لامفر من أن نتبع العرب إن أردنا أن نتقدم

وعلى ذلك فقد أصبحنا ننقل منهم كل شيء دون رؤية وتدبر ، فإن ظهر هناك أديب من الدرجة العاشرة وأعطوه جائزة نوبل لأسباب سياسية أو ما شابه ذلك نقلنا كل أعماله وقلدناه ، وإن ظهر هناك مذهب فلسفي جديد سارعنا إلى ترجمته وأصبح « موضة » نتمثلها ونقيم أنفسنا بمقدار ما نقلنا عنه أو بمقدار ما استطعنا تمثله منه ، أو بمقدار استطاعتنا التشدق بمصطلحاته الافرنجية

ولا يظن احد أنني من دعاة الانعزال ، ورفض كل ماهو عربي ، فهذا أبعد ما يكون عن قصدي الان ، بل كل ما في الأمر أنني أردت أن أدلل على أننا لانقيم أنفسنا إلا بما نتمثله من العرب وبمعايير

الغرب وفي هذا يكمن الداء ، داء التبعية

وهو داء لو تعلمون خطير ، ونتائجه أكثر خطورة ، فنحن لم نعد ننظر لأنفسنا على أننا أهل للإبداع ، بل أصبحنا ننظر لأنفسنا على أننا عاجزون عن مجاراة الغربيين في كل شيء ، فما بالك بالخروج عليهم

إن المفكر المبدع إن ظهر في مجتمعنا حاربناه ، ولم نعطه فرصة النمو والإبداع في حرية واستقلال عن النموذج الغربي ، بل واتهمناه بالتخلف والنكوص

وإن ظهر لدينا عالم قد اتهمناه بأنه ربما سرق من الغرب ، وضيقنا عليه الخناق حتى يهجرنا إلى حيث يجد كل الرعاية في الغرب ، فيصبح إنتاجه ملكا لهم ، ويصدر باسمهم ، وأحيانا ما يخطيء الكثيرون ويتصورون أنه القدر ، فقد كتب علينا في ظل هذا التقدم العلمي الرهيب للغرب أن نظل تابعين لا مبدعين

ولكن الحق أننا قد حملنا القدر ما لا ذنب له فيه وما أشفقنا على أنفسنا من حمله إن رحلة الألف مي كما يقال تبدأ دائما بخطوة وأول الخطى هي أ ننفض عن أنفسنا غبار التبعية بعد أن نحررها من أدمغتنا وأوصالنا ، وهنا يجب أن يكون دور المفك الرائد المستقل الذي إن درس الفكر الغربي لا يتشكل به ولا يلبس عباءته ، دور العالم المرتبط ببيئته العاشق لها الذي إن اطلع على النظريات العربية أو درس في جامعات الغرب عاد إلى تلك البيئة ليستخرج منها أقصى إمكانياتها ويعيد تشكيلها من جديد إن كان ذلك ممكنا ، دور الأديب الذي إن اطلع على أدب الغرب لا ينبهر بأشكاله أو بمضامينه ، بل يكون انبهاره بما تزخر به بيئته الشعبية الأصيلة من موضوعات ومضامين قل أن يوجد مثيلها في العالم الخ

فهل نحن فاعلون أم سنظل ندور وندور في تلك الدائرة المفرغة التي أرغمنا على دخولها أو أدخلنا أنفسنا فيها ؟! □



منتدى العربي

تعقيب

كيف نتعامل مع الطفل بطيء التعلم ؟

في العدد ٣٥٤ مايو ١٩٨٨ من مجلة (العربي) تحدث الدكتور عبدالكريم أبو شويرب في مقاله « كيف نتعامل مع الطفل بطيء التعلم » عن أسباب صعوبة التعلم فردّها إلى الطفل نفسه في صحته الجسدية والنفسية وذكائه وشخصيته ، وإلى المدرسة والمنزل ، ثم خلص إلى الحديث عن دور المعلم والطبيب في العلاج .

لا شك في أن الدكتور عبدالكريم قد أورد معلومات قيّمة في هذا المجال ، يجب على المربي الالمام الجيد بها إذا كان يريد لعمله التربوي أن يعطي نتائجه

ـيدة ، ولكني أريد أن أضيف · من الطفلُ بطيءُ
ـعلّم ؟ وهـل يختلف هذا عن الـطفـل « المتخلف
ـراسيا » ؟

إن البطء في التعلم هو الأساس الذي يعتمده عدد
من المربين في الدلالة على فئة من الأطفال ينخفض
ذكاؤهم قليلا عن المتوسط ، وهذا يعني أن الـطفل
بطيء التعلم هو الذي يكون ذكاؤه أقل من المتوسط ،
دون أن يكون معاقاً عقلياً بالضرورة ، أما الطفـل
المتخلف فهـو الطفـل المقصِّر تقصيـراً ملحوظـاً في
تحصيله المدرسي بالنسبة للمستوى المنتظر من طفل
متـوسط في مثل عمـره ، والتـأخـر المؤقت البسيط
(كالتأخر في امتحان الأسبوع مثلاً) لا يقـوم دليلاً
على وجود تخلّف

وعـلى الرغم من وجـود بعض الاختـلاف بـين
الباحثين في مقـدار الـدرجـة التي يجب أن يبلغهـا
التقصـير ليكون ملحـوظـاً وذا دلالـة ، وليـوصفَ
صاحبهُ بـالتخلف ، فإن الاتجـاه السائـد يقـول
« تـطلق كلمة التخلف بمعنـاها الاصـطلاحي عـلى
أولئك الذين لا يستطيعون ـ وهم في منتصف السنة
الدراسية ـ أن يقوموا بالعمل المـطلوب من الصف
الذي يقع دونهم مباشرة » ، وعلى هذا يوصف ابن
السنة الثامنـة بالتخلف حين لا يستطيـع أن ينجح
نجاح المتوسط من أبنـاء السنـة السـابعـة في أسئلة
يتضمنها اختبار للتحصيل لأبناء السابعة

فكلمـة التخلف المدرسي إذن تشـير إلى فئة من
الأطفال من مستوى معين ومنخفض في التحصيل ،
ولا تعني في الأصل فئة من الأطفال يوصف أفرادها
بهذا الوصف بناء على مستوى الذكاء لديهم . ويكون
التخلف على شكلين رئيسين ·

١ ـ التخلف العام : وهو التخلف الظاهر عنـد
التلميذ بالنسبة لكل المواد الدراسية . وهنا نستطيع
ـ نميز بين فئتين · فئة يكون مستوى ذكاء أفرادها
دون المتوسط وفي حدود ما يسمى بالبليد المتوسط أو
البليـد (وفق تصنيف المتخلفـين حسب درجـة
انخفاض في الذكاء) ، وفئة يكون مستوى ذكـاء
أفرادها متوسطاً ، أو أعلى منه بقليل ، والفئة الأولى
هي الغالبة

٢ ـ التخلف الخاص . وهو التقصير الملحوظ في
عدد قليل من الموضوعات الدراسيـة ، كأن يكـون
التخلف في الرياضيات مثلا « دون سـائر المـواد ،
ويمكن أن نميز هنا بين فئتين أيضـا » فئة مَنْ يكـون
ذكاؤهم دون المتوسط وفي حدود البليد المتوسط أو
البليد ، وفئة مَنْ يكون ذكاؤهم متوسطا « أو أعلى من
ذلك بقليل ، والفئة الأولى هي الغالبة أيضاً » .

يتبين مما تقدم أن إطار الاستناد في دلالة اصطلاح
(التخلف) هو غير إطار الاستناد في دلالة اصطلاح
(البطء في التعلم) ، ولكن واقع الحال أنّ أكثر ما
يحدث لبطيء التعلم أن يكون متخلفا ، وأن بعض
المربين يؤثـر عدم استعمـاله كلمـة (التخلف) في
الحديث عن الطفل المقصِّر ، ويفضل استعمال كلمة
(البطء في التعلم) للاشارة إلى أن سير الطفـل في
تعلّمه أقل سرعة من سير المتوسط . ومهـما كانت
نقاط الانطلاق في الاصطلاحين فالغالب أننا لا نكون
أمام فئتين متميزتين ، وأن الـطفل بـطيء التعلم لا
يستطيع أن ينافس المتوسط في ذكائه ، فـإذا فعل ،
كانت الغلبة للمتوسط في أكثر الحالات وفي ما لا يقل
عن ٧٥٪ منها ولكن هذا ـ قطعاً ـ لا يعني أن هؤلاء
الأطفال سيكونون فاشلين في الحياة ولا يتقدمون في
التعلم ، ولهذا فإن التربويين الموضوعيين لا يقيمون
خطّاً واضحاً وثابتاً بناء على نتائج اختبارات الذكاء
للتفريق بين المتخلف أو البـطيء التعلّم من جهـة
والسويّ من جهة أخرى ، لأنه يمكن إعـداد طرق
تعليميـة معينة يستـطيع الـطفـل البـطيء التعلم أو
المتخلف من خلالها تعلّم العديد من المـوضوعـات
المـدرسية كـالقـراءة والكتـابـة والحسـاب والـرسم
والموسيقا ، كما يستطيع القيام بأداء معظم الأعمال
التي يؤديها الأطفال الأسوياء دون ضغط أو تردد ،
ويجب في هذه الحالة أن يكون عدد التلاميذ في الصف
الـواحد قليـلاً ، كما يجب تـأهيـل المعلمـين الـذين
يمارسون تعليم هذا النوع من الأطفال بحيث يُلمّون
بالتقنيات المخصصة لمساعدتهم . □

حيدر عمر
سوريا ـ عفرين

من صور الجذوة والخمود في فكر المسلمين

بقلم : الدكتور راشد المبارك

حرية التفكير والإبداع من أهم الشروط والقواعد التي تبنى عليها الحضارات ، ومحاصرة الفكر أو تهديده أو قمعه يؤدي إلى خمود جذوة الإبداع والابتكار لدى الشعوب ، ومن ثم يفضي إلى التخلف الذي تدفع الأجيال القادمة ثمنه

هاتان النتيجتان المهمتان استنتجهما الكاتب من خلال دراسته لماضي الأمة الاسلامية وحاضرها ، بإبداعاتها الفكرية والعلمية ، وهما تستوحيان الاهتمام والمناقشة .

إن البحث في التاريخ الفكري للمسلمين ، أي الحديث عن الفكر مقيدا بنسبته إلى مفكري المسلمين ، أولئك النفر الذين صاغوا التاريخ العقلي والحضاري فيما وصل إلينا من تراث ، موضوع ينطوي على قدر كبير من التعقيد والتشعب ، يتعذر معه الأمل في رسم صورة كافية الدلالة على طبيعته في رقعة صغيرة أو وقفة قصيرة كهذه ، وكل ما يطمع فيه ـ في هذه الوقفة ـ هو إلقاء نظرة على بعض الشواهد الشاخصة في ذلك المسار التي تمثل نقطا على منحنى ليست كافية لرسمه لكنها تكفي للدلالة على ميل ذلك المنحنى واتجاهه

والمقصود بالجذوة هنا هو عنفوان الفكر في استشرافه الذكي للمقاصد والغايات ، والتعامل مع الأحداث ، واتخاذ المواقف ، وفي الكشف عن قوانين الكون وسننه ، وفي فهم روح النص وبواعثه ، والنفاذ عند الاقتضاء من منطوق النص وظاهره إلى مفهومه ومراميه وعلى ذلك يكون الخمود هو مغايرة ما تقدم أو التناقص معه

وما نعنيه بالفكر هو القدرة على الاستفادة القصوى من طاقة العقل لتجلية ما يستكن من المدركات ، أخذاً في الاعتبار أن العقل هو ملكة التحليل والتعليل المميزة بين الخطأ والصواب

الفكر صانع للحدث :

تعريف الفكر بالمفهوم السابق قد لا ينطبق على التعريف المعجمي له انطباقا تاما فقد جاء في اللسان

الفكر إعمال الخاطر وقال في الصحاح · الفكر التأمل وعرف قاموس اكسفورد الفكر بالنشاط العقلي أو قوة التعليل كما عرفه قاموس وبستر Webster بأنه القدرة على التفكير لكنه يتفق مع

.هومه من منظور فلسفي أشار إليه ديكارت عندما
.مله دالا على الوجود (أنا أفكر إذن أنا موجود) ،
.ظرية ديكارت التي تبدو مبالغة في تقدير أثر الفكر
.ست سوى صياغة محتشدة للحقيقة القائلة ان الفكر
صانع للحدث وسابق عليه،وأن الحدث كان جنينا
تمحص عنه الفكر والعلاقة بين الحدث والفكر هي
أن الأول يصنع بوقوعه إثارة وتحريضا للثاني لتوسيع
دائرة عمله والأحداث الصانعة لتاريخ البشر
جاءت نتيجة لأمرين مدد نزل من السماء ، أو فكر
.ست من الأرض حوّل الإيمان بالأول والاقتناع بالثاني
وهو المدد أو الفكر من عالم المخيلة إلى حيز الواقع ،
أي من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل

وباستثناء الأحداث الكونية ـ ومنها النبوات ـ فإن
جميع المذاهب والدعوات والعقائد والقوانين
والعروض والنظريات وعمليات الهدم المادي
والبشري في التاريخ عمل من أعمال الفكر ، وليس
من الممكن أن يكون للبشر حضارة ، بل أن يكون
لهم تاريخ ، دون فكر صاغ هندسة الحدث أو وضع
.درته ، فهو بذلك الراسم لمسار التاريخ في وهاده
وقممه

الفكر لا يتعامل إلا مع نفسه :

خارج نطاق النظرية النسبية يعرف الرياضيون
الزمن بأنه المتغير المطلق ، أي المتغير الذي لا يعتمد
في تغيره على سواه ، ويجعل هيجل الحرية ماهية
العقل ، وهو يعني بذلك استقلال العقل التام وإذا
كان الرأي الأخير يسقط أثر الخبرة والتجربة في التأثير
على مواقف العقل وتوسيع دائرة عمله فإن الفكر
بالتعريف السابق ـ وهو غاية ما يصل إليه العقل من
استقلال ـ هو الأقرب إلى أن يكون المتغير المطلق ،
لذلك فهو أظهر الأشياء في مختبر الإدراك ، إذ لا
يمكن إثباته أو نفيه ولا محاملته أو تحريمه إلا بوسيلة
فكرية ، بل إن مشروع إخضاع الفكر للمختبر هو
عمل من أعمال الفكر أو صورة من صوره ، أي أنه
مشروع فكري ، إلا أن كون الفكر كذلك لم يمنحه
حصانة من الوقوع في الخطأ ، ذلك أن الفكر قد
تهويه الضلال أحيانا أو يغويه ، لكنه حين يصنع
. أو يقع فيه يخرج من نطاق الفكر الكلي ويقع في
الفكر الجزئي للفرد أو الجماعة ، ومع ذلك فإن

هذا الفكر الجزئي حضورا ومشاركة في صنع الحدث
وصياغة التاريخ ولعل هذه الحقيقة هي بعض
المآخذ على مقولة هيجل أن العقل يحكم العالم

وسواء جاءت هذه النظرة انعكاسا أو تأثرا بقوانين
نيوتن في الحركة أو لم تكن كذلك ، فإن الخطأ ليس في
اعتبار أن العقل ـ وهو أصل الفكر ومنشؤه ـ قوة تؤثر
في التاريخ وقد تصنعه ، لكن الخطأ في القول أن
التاريخ يتخذ مساراً عقلانيا ملتزما باشتراط العقل
ومطالبه ، ذلك أنه يلزم من المعطيات قدر أكبر ،
ومن صحبة التاريخ مدى أطول ، لكي يمكن القول
ان المحصلة النهائية لاتجاه الحركة في مسار التاريخ
تتخذ مسارا عقليا ومع ما تقدم من أن الفكر قد
يخطيء أو يضل فإنه من المؤكد كذلك أن لا سبيل
لمحاسبة الفكر أو تقويمه إلا بالفكر نفسه ، وإذا كان
الفكر ـ أي الجزئي منه ـ يقع في الخطأ في بعض
الحالات فهو الوحيد الناقد لهذا الخطأ المصحح له في
كل الحالات . إن الفكر ناقد نفسه ، إنه يرفض
التعامل مع وسيلة غير فكرية ، فالترغيب والترهيب
ليسا مما يدخل في دائرة التعامل معه أو المعالجة له ،
وكما أن « القلب لا يدخل في ولاية الفقيه » كما يقول
أبو حامد الغزالي رحمه الله فإن الفكر لا يخضع لعصا
المؤدب ولعل البشر لم يعرفوا في تاريخهم محاولة
عقيمة أو مشاعر غير متحضرة أو جهدا مهدورا أشد
أو أفجع أو أكثر تبددا من مشاعر أو محاولة أو جهد من
يسعى لخنق الفكر أو الحجر عليه أو مصادرته أو
فرض الفكر المضاد عن طريق سوط الجلاد أو عصا
المؤدب ، إنه ليس قارئا للتاريخ ذلك الذي يظن أنه
يمكن التعامل مع الفكر لتأكيده أو الدفاع عنه أو
إسقاطه بوسيلة غير فكرية ، لذلك فإن من أكثر
الأشياء حدارة بالدراسة والتأمل تلك الظاهرة
الفريدة في التاريخ الحديث المتمثلة في أمرين

الأول · أن واقعا قام على فكر جاء هادما ما قبله ،
لم يجد وسيلة لحماية نفسه إلا بحبس الفكر المغاير أو
تجريمه أو الحجر عليه بكل الوسائل والأشكال المانعة
لتداوله أو تسربه ، ومنها الستار الحديدي والأسلاك
الشائكة والمدافع المنصوبة على الأبراج ، على أن هذا
الواقع الممثل لأعنف مقاومة للفكر ، والخوف منه ،
والعجز عن مواجهته ، قدم أقوى دلالة على قدرة

الفكر واختراقه وتخطيه للعوائق واستعصائه على الاضطهاد .

الثاني أن النظرية الجدلية التي قال بها هيجل وتأثر بها ، وأصلها الفكر الماركسي ، لم تجد شاهدا على صحتها أقوى من الواقع الشيوعي نفسه ، فمها تعنيه النظرية الجدلية أو تتضمنه أن المذاهب والنظريات والأفكار التي يمكن أن تقوض واقعا قد تقادم تؤول إلى الشيخوخة والهرم بعد أن تفرغ ما تحمل من شحنة بناء أو هدم ، وتتحول إلى حطام يعوق الحركة ، وتحول بما أعطت لنفسها أو كسبته من قداسة دون النقد والتقويم وتصير مانعا من التطور والقدرة على التعامل مع الظروف والمعطيات الجديدة التي قدم تجيء وليدة للمذهب الجديد نفسه ، فإذا اصطدمت بالفكر الرافض الذي لا يحكمه انسياب التيار اضطرت في محاولة لحماية نفسها إلى مواجهته بالقسر والإكراه والتاريخ لا يحتفظ بأمثلة كثيرة على أن نظرية أو مذهبا استشعر أصحابه نضوب عطائه منذ لحظة ولادته فاضطروا لحمايته وفرضه بالإكراه كما حدث للنظرية الماركسية

عود على بدء :

في محاولة البحث عن الجذوة والخمود أو مواقع الضعف والقوة في فكر المسلمين تبدو للباحث ظواهر جديرة بالتأمل لما لها من صلة بطبيعة الموضوع وأبعاده

الظاهرة الأولى . هي أن مادة فكر لم تكن ذات تكرر ، بل ليس لها ورود في أكثر ما وصل إلينا من التراث الجاهلي شعره ونثره ومع الإدراك التام أن عدم ورود هذه المادة لفظا لا يعني انتفاء ورود مدلولها أو إعمال هذا المدلول ، إلا أن ذلك لا يكفي لإسقاط الدلالة في تلك الظاهرة أو استشكالها ، مادامت اللغة هي وعاء الفكر مكتوبا أو ملفوظا .

الظاهرة الثانية تكرر ملفت للنظر لمادة فكر بلفظه أو بمعناه في القرآن ، حيث وردت هذه المادة بصيغة الماضي أو المضارع في نحو ثمانية عشر موضعا ، وجاءت الدعوة إلى النظر بمعنى الفكر والتأمل في أكثر من أربعة وثلاثين موضعا .

الظاهرة الثالثة تكرر وصف أعلام المسلمين ـ في العصور المتأخرة نسبيا ـ بالفقيه والأديب واللغوي والكاتب والشاعر والمؤرخ والطبيب والحافظ ، أي وصف كل فرد بما ظهر من صفاته وغلب عليه . و يحدث أن وصف شخص بصفة المفكر

الظاهرة الرابعة : وجود آلاف من الكتب التي وضعت في الفقه واللغة والحديث والعقائد والكلام والفلسفة والتصوف والعلوم الطبيعية ، وكلها من أعمال الفكر ، إلا أنه لم يعرف شيء ذو بال من المؤلفات وضع لمعالجة الفكر من حيث هو فكر أو ع تاريخه (من الواضح أن ذلك لا يشمل العصر الحديث)

الظاهرة الخامسة : وضع مصنفات عديدة عرفت باسم الطبقات ، مثل طبقات الفقهاء والكتاب والوزراء والأطباء والمحدثين والشعراء والحفاظ ، ولم يعرف مؤلف كتب عن طبقة ذوي الفكر ولا أظنه يبطل صحة الاستشكال في الظاهرة الثالثة والخامسة أن الفكر صيغة مشتركة وملازمة لكل الأعلام ومن ألف عنهم من الطبقات، ذلك أن كثيرا من أولئك الأعلام ومن سلكوا في طبقات تجمعهم صفة أو صفات أخرى مشتركة مثل الحكمة أو الفقه أو الشعر أو الفلسفة ، فلم يمنع ذلك أفراد كل طبقة بما غلب عليها وتميزت فيه ، والمقصود هنا هو التميز في الفكر لا القدر المشترك منه . ومع ذلك فإننا نرى أنه إذا كانت الظاهرة الثانية واضحة الدلالة على غايتها فإننا لا نعتقد صواب استنتاج تصور قاطع الدلالة من الظواهر الأخرى ، ولكنها ظواهر جديرة بالتأمل لمن يريد دراسة التاريخ الفكري للمسلمين لمعرفة مواطن الضعف والقوة في الماضي استفادة منها في الحاضر

قبسات من الجذوة :

يظهر العنفوان الفكري للمسلمين في مجالين متميزين

الأول : تعامل مع الأحداث والظروف بحس إدراك الحاضر ، كما يستشرف آفاق المستقبل واحتمالاته ، أدى هذا التعامل إلى حفظ كيان الدولة وامتداده وتطوره أو أثر في هذا الحفظ والامتداد

الثاني حسن تمثل لما جاء به الإسلام وتفاعل معه أثمر الموروث الفكري والحضاري فيما وصل إلى من تراث

ففي المجال الأول يستطيع الباحث رسم خريطة المعالم لهذا المجال من مواقف للمسلمين في فجر الإسلام وضحاه منها :

- موقف أبي بكر عند وفاة الرسول (ص) وهو الموقف الذي تضعف فيه العزائم وتضل فيه الأحلام ، وموقفه من مانعي الزكاة منفردا بهذا الرأي وإصراره عليه ، وموقفه في انفاذه لجيش أسامة إلى خارج الجزيرة والمدينة محاطة بالمرتدين .

- مواقف عمر من إيقاف حد القطع في سنة الرمادة ومن تقسيم أرض السواد ومن المؤلفة قلوبهم وفي امتناعه عن الصلاة في كنيسة القيامة وفي تدوينه للدواوين .

- تعريب عبدالملك للدواوين وسكه للنقود .

- مضمون رسالة الرشيد إلى ملك الروم وهي أقصر رسالة عدد كلمات وأبلغها معنى .

- استجابة المعتصم لنداء المرأة المأسورة في عمورية . ومظهر الانفعال والارادة المغلف لهاتين الحادثتين لا يجوز أن يحجب عنا البذرة الفكرية المستجنة فيهما ، فالعاطفة والإرادة هنا ليستا سوى المؤثر الذي نقل الحدث من مجال الفكر إلى حيز الواقع ، فهما موقف من وجود وليستا إحداثا له

وفي المجال الثاني يمكن للمرء رسم صورة تدل عليه من الأمور التالية .

١ - توجه جماعي إلى إيقاظ العقل - من حيث هو مناط التكليف - في قراءته لكتاب الكون وفهم نواميسه ، وفي فهم النص فهما يستصحب الظروف والبواعث والغايات .

٢ - اخلاص للحق سقط معه وبسببه كل إيثار للانتصار للذات أو التعصب للرأي .

٣ - سمو في العقل والخلق انتفى معه اتهام الناس في بواعثهم ونياتهم فيما يصلون إليه من رأي قام على اجتهاد

٤ - رحابة أفق اتسعت للعديد من الأفراد والجماعات وإن اختلفوا في رؤيتهم وتفسيرهم للأحداث والنصوص .

إعمال العقل :

- تأصيل هذا الأمر وتأكيده في القرآن بصورة النظر كما تقدم في صدر هذا البحث وجاء عمل ... مواقف كثيرة دالا على ذلك كإعجابه (ص) بفهم معاذ بن جبل عندما أراد بعثه إلى اليمن وفتيا كثير من الصحابة في حياة الرسول وارشاده للمخطيء منهم وتأييده للمصيب . ولم يعرف أنه كف أحدا من أصحابه عن ذلك .

كما تمثل فهم الصدر الأول لذلك واتباعهم له في أمور منها :

- نشوء المدارس المتعددة في الفقه والعقائد والحديث والفلسفة وعلم الكلام ، ومحاولة معرفة السنن الكونية وأسرار المادة بدراستها . وما اشتملت عليه دراسة الفقه من ثروة فكرية أصلت مناهج الاستدلال والاستنباط والرأي والقياس والاستصحاب والاستحسان . وفي هذا الجانب يحسن لفت النظر إلى ذلك المدرك اللطيف الذي لا يخلو من مغزى في تسمية علم مصدري التشريع واستنباط الأحكام منهما بالفقه ، والفقه بالشيء غاية ما يصل إليه الإدراك المتأني في فهمه بعد الإحاطة بما يتعلق به .

الإخلاص للحق :

بلغ المسلمون الأوائل من الإخلاص للحق والشغف به أفقا تلاشى فيه أي أثر للتعصب للرأي ، أو تغليب الانتصار للذات ، وصارت « الحكمة ضالة المؤمن » قانونا أخلاقيا في التعامل مع الأشخاص والآراء والاجتهادات وتمثل الأئمة الأربعة لذلك نموذجاً من دروس الأخلاق سواء في موقف أحدهم من الآخر مع اختلافهم فيما يصلون إليه أم في إلحاحهم على الناس بعدم الأخذ باجتهادهم ما لم يتبين للآخذ وجه الحق فيه .

كما شف عما تقدم موقف مالك في منعه لأبي جعفر المنصور من حمل الناس على الموطأ ، وموقف الإمام أحمد من الأئمة الثلاثة ، واستقلال الشافعي بمذهب خالف فيه مالكا وقد كان تلميذا له في كثير مما وصل إليه ، ولم ير الأول أو الثاني في ذلك ما يخل بما بينهما من اجلال ، ولم تمنع الحسن الأشعري أربعون عاما من الأخذ بمذهب المعتزلة والجدال عنه من رجوعه عن ذلك المذهب بعد أن تبين له وجه الخطأ فيه . ومما يدل على ذلك المستوى العقلي والخلقي ما يجتمع في المسجد الواحد كجامع البصرة وما يماثله من المساجد في حواضر البلاد الإسلامية من حلقات تمثل المذاهب

المختلفة في الرأي والاجتهاد ، وما حمله أبو جعفر المنصور وهو الخليفة السني الفقيه من اجلال لعمرو ابن عبيد المعتزلي ورثائه له بعد وفاته . ولم يعرف خليفة رثى شخصا غيره . وقد اتسع هذا الأفق ليشمل المخالف في الدين والاعتقاد قال خلف بن المثنى ما معناه شهدنا نفرا في البصرة يجتمعون لا يعرف مثلهم علما ونباهة : الخليل بن أحمد (سني) والحميري الشاعر (شيعي) وسفيان بن مجاشع (خارجي) وصالح بن عبدالقدوس (شاك متحير) وابن نظير المتكلم (نصراني) وابن رأس الجالوت (يهودي) ، وكانوا يجتمعون ويتحدثون في مودة لا تعرف منهم هذا الاختلاف الشديد في الديانات . ولم يعرف أن أحدا ممن يقتدي برأيه في عصرهم رأى في ذلك خروجا على الدين أو ترخصا فيه ، بل لعلهم رأوا في ذلك فهما لقوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » وهذه الآية من سورة الممتحنة وهي مدنية نزلت قبل الفتح بزمن يسير أي بعد أن أعز الله الإسلام ، كما رأوا فيه تأسيا بعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) في استضافته وفد نصارى الحبشة ، وإنزاله لوفد نصارى نجران في المسجد ، وفي معالجته الكريمة لقضية حاطب بن بلتعة ، وتغليبه لحسن الظن على سيئة في مسألة تعتبر خيانة عظمى بلغة هذا العصر

بعد ذلك سيجد المرء من المتعذر أن يعزو إلى الصدفة ظهور الشخصيات المتميزة في العلوم التجريبية والبحتة في هذا العصر أو بحيثهم ثمرة له وأن يكون لمجالات المعرفة المختلفة في الطب وعلم النبات والحيوان والسياسة والأخلاق حظ غير قليل من الاهتمام .

من رماد الخمود :

الصورة التي تبينا اشراقها فيما سبق من صفحات ، تلاها كثير من رماد الخمود سببه قصور نظر ضاق معه مجال الرؤية ، وتعصب للرأي صنع كثيرا من البغضاء ومنع الاستفادة من الرأي المخالف مهما كان حظه من الصواب ، وتقليد بلا بصيرة أصاب ملكات العقل والفكر بما يشبه الشلل

فلقد أدى قصور النظر إلى ضيق في مجال الفهم والإدراك تعذر بسببه التفريق بين الثوابت والمتغيرات واختلطت قداسة النص لدى كثير من الناس ببشرية التفسير لذلك النص وإدراك مرماه ، واعتبر رأي الشيخ أو المتبوع في تفسير نص ما أو فهمه هو الأمر الوحيد الممكن والمحتمل والأكمل لمدلول ذلك النص ، وصار أي منفذ آخر للاجتهاد في التفسير والاستنتاج خروجا عن الإجماع أو نوعا من الابتداع ، وخفي في ضباب هذا الفهم إدراك أن هذا التوجه يجعل ما وصل إليه الأقدمون ـ مع التقدير له ووجوب الاهتداء به والاستفادة منه ـ في فهم النص وتفسير الحدث هو الصورة المثلى والممكنة لعطاء الإسلام ومعالجته للمشكلات والأحداث ، كما خفي أن ذلك مخالفة لما دعى إليه السلف فيما أثر عنهم من أقوال وأفعال تقدم بعض الأمثلة عليها

وازدحم تاريخ المسلمين بعد انحسار الموجة الأولى بصور من التعصب للرأي سدت منافذ الرؤية لأي جانب من جوانب الحق يكون عليه الطرف الآخر ، وصارت كل فئة تعيش في أسوار محصنة عن اختراق الآراء الأخرى أو نفاذها مارس هذا التعصب وتحمس له الأفراد والجماعات ، ولقد مورس في مجال النظرية إلى حد قال معه أحد الفقهاء : « كل آية أو حديث تخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ » ينسب هذا القول لأبي الحسن الكرخي من فقهاء الأحناف ، ومورس في مجال التطبيق إلى حد أن المعتزلة أرادت فرض مذهبها على مخالفيها بقوة السلطان . وأثمر هذا المناخ صداما بلغ حد الاقتتال بين أصحاب المذاهب التي تجمعهم الأصول ، ولحق أذى كثير بأئمة فضلاء بسبب آرائهم الفقهية المتعلقة بالفروع . يحفل التاريخ بصور المصادمات بين أصحاب المذاهب وحتى من ليس بينهم اختلاف إلا في اليسير من الفروع مثل مصادمات الشافعية والحنابلة . وقد حوصر الإمام الطبري ورمي منزله بالحجارة حتى صارت أكواما حول بيته ، وأبطل بعض أتباع مذهب الصلاة بإمامة تابع لمذهب آخر

التقليد

لعله لم يعرف تاريخ المسلمين شيئا أوصلهم إلى ما هم عليه إلى وقتنا الحاضر مثل التقليد بلا بصيرة

وا. ـاع بلا مساءلة ، وليس المقصود بالتقليد هنا أن يـ ـيد المرء ممن هو أكثر منه علما وأوسع دراية ، وأن يـ ـم برأي من سبق فيما يأخذ ويدع ، ولكن التقليد المذموم هو ذلك الموقف الذي يتعطل معه العقل فلا يعمل والفكر فلا يستشكل ويجعل جهل المسلم بأوامر دينه ومواهبه وكأنه مطلب يجب أن يؤصل ، وكف العقل عن فهم وتدبر ما جاء به قانونا عاما لابد أن يسود ، فيصبح الفرد عالة على سواه حتى في معرفة المفروض من عباداته والضروري من معاملاته ، فلا غرو أن تكون نتيجة ذلك هي اندفاع التابع في أحكامه ومواقفه بعامل عزم القصور الذاتي لا بتوجيه العقل البصير وكان لهذا الاندفاع نتيجة أخرى لعلها أخطر ما احتنه بذرته من انبات ، فقد تحول التقليد بالتتابع من تقصير أو قصور يقع فيه فرد أو أفراد إلى عرف تأخذ به أمة صاغ مسارها الجماعي وحدد مجالات ما تهتم به وتتطلع إليه

ولقد صرف هذا التتابع الذي حكمه قانون الاندفاع كل اهتمام الأمة أو جل هذا الاهتمام إلى وجهتين الأولى فن صناعة الكلام والثانية الإغراق في مسائل من الفروع كتبت فيها مئات المؤلفات من المتون والشروح والحواشي والمطولات والمختصرات والتعليق

صناعة الكلام :

لم يكن عرب الجاهلية أوفر الناس حظا في المعارف الفلسفية أو الاجتماعية أو العلمية ، لكنهم كانوا يشعرون بتفوقهم في جانب واحد هو صناعة الكلمة استنفدوا جهدهم النفسي والفكري في إجادتهم لها ، والتفوق فيها ، والمباهاة بها وكانت تقام الأعراس وتنحر الجزر إذا ظهر في القبيلة أحد المتفوقين في هذه الصناعة ، كما تقام الأسواق في الفترات المختلفة من الزمان والمواقع المختلفة من المكان لعرض ذلك الانتاج للاستعلاء به والانتصار ، وصـ ـت نماذج .. في أقدس محل يتوجهون إليه ـه هم وإذا كان ذلك مفهوما في العصر الجاهلي ـه ـات السابقة فإنه سيبقى غير مبرر ولا مفهوم أن ـ ر هذا التوجه بنفس الدرجة من الاهتمام ـ سة في الدولة الإسلامية ، حيث فتح الإسلام ـ القلب آفاقا جديدة لم تفتح من قبل ، وامتزج المسلمون بامتداد دولتهم بثقافات شعوب أخرى وحضاراتها لولا سيطرة نزعة الاتباع بلا اشتراط والتقليد بلا مساءلة وإذا كان لا يجوز التفريط في هذا الموروث أو إهماله فإنه يجب كذلك أن يكون الحرص عليه لكونه وعاء ومظهرا لفكر الأمة ، وتعبيرا عن شخصيتها النفسية والعاطفية ، لا لأنه الوعاء والمحتوى والمظهر والجوهر والوسيلة والغاية ، ولكن ذلك هو ما حدث لدى كثير من الناس حيث صار هو القصيدة التي ألهت بني تغلب عن كل مكرمة

لقد وقف عقل الفرد العربي « بقفا نبك » وقوفا طال به حتى أصابه بما يشبه الشلل المعجز عن الحركة إلى الآفاق الأخرى من المعرفة والابتكار ، واحتلت « قفا نبك » وأخواتها في عقل الفرد وإحساسه ومشاعره مكانة تقرب من القداسة ، وصارت قراءة هذه المعلقات ـ وما يمثالها ـ وحفظها وشرحها والتعليق عليها واستنباط معجزاتها البلاغية هي أهم ما يقدم للذهن من غذاء وأصبح على كل فرد أن يدجن أو يروض مداركه وإحساسه وتذوقه لكي يدرك ويشعر ويتبين السمو الحضاري والعقلي والبياني في مثل . « .. تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري .... » ، ومثل « فظل العذارى يرتمين بلحمها · وشحم » .

لقد تحول فن صناعة الكلمة إلى حقل مغناطيسي هائل جذب إليه الفكر والوجدان ، ورأى الناس فيه أبعد ما يتطلعون إليه من آفاق ، وتوجه لإجادته والتفوق فيه معظم طاقات العقل ووظائفه ، وأصبح هو الوثيقة التي يجتاز بها كل الحدود والمواقع والحصون إلى صدور المجالس وعطاء السلاطين وكراسي الوزارة ، ونتج عن ذلك أن كتب في هذا الجانب أثقل ما تنؤ به المكتبة العربية من أحمال ، وأن يكون أضخم الكتب التي عرفها تاريخ التأليف كتاب « صبح الأعشى في فن صناعة الانشا » . وقد بلغ هذا الحقل المغناطيسي الجاذب من القوة حدا لم يسلم من التأثر به رجل مثل الجاحظ في عنفوانه العقلي ، وهو الذي قيل عنه أن كتبه تعلم العقل أولا والأدب ثانيا ، حيث يظهر هذا التأثر في مثل قوله : « ... فأما الهند فإنما لهم معان مدونة ، وكتب مخلدة ، لا تضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف ،

ولليونان فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق بكي اللسان غير موصوف بالبيان وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي ، وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام فتأتيه المعاني ارسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا » (البيان والتبيين) وما نظن أنه سيغرب عن ذهن الجاحظ ـ لولا شدة تأثير ذلك الحقل الجاذب ـ أن السبب الذي فضل به العرب هو إلى الهجاء أقرب منه إلى المدح ولعل ذلك يفسر أن العرب ترجموا ونقلوا عن اليونان ماهم في الفلسفة والمنطق والهندسة والطب والفلك ولكن لم يعرف أنهم اهتموا بنقل أثر واحد في صناعة الكلام

في مثل هذا الجو المشحون بالكلف بالكلمة والمبالغة في الانصراف إليها تستوقف المرء ظاهرة أخرى هي أن ما وجه لتجلية الإعجاز البلاغي في القرآن من ذلك الجهد نصيب غير موفور وسيبقى من الأشياء الجديرة بالدراسة والتحليل أنه لم يكتب في مدى ثلاثة عشر قرنا عن الإعجاز البياني في القرآن ، وهو المعجزة الأولى فيه ، سوى عدد قليل من الكتب ، لا يبلغ أصابع اليد الواحدة ، على حين كتبت المئات في فروع الفقه ومعالجة الحديث وطرقه واسناده وتاريخ رجاله ونقد هؤلاء الرجال ، أي ما يعرف بالجرح والتعديل ، مع أن الداعي إلى الأول أوجب ، والحاجة إليه أشد بسبب عجز الخلف الذي باعد بينهم وبين السليقة اللغوية حاجزا الزمن والامتزاج بالأمم الأخرى ، فلم يكن لدى الكثير منهم ملكة فطرية تمكن من إدراك أسرار البيان الذي كان مناط الإعجاز ولعلنا نجد فيما كتبه بعض المتأخرين مثل سيد قطب رحمه الله عن التصوير الفني ومشاهد القيامة في القرآن ، وما يوفق إليه الشيخ متولي شعراوي من لفتات ظاهرة الدلالة على الإعجاز فيما تكشف عنه الكلمة والجملة القرآنية ما لا نجد مثله في أكثر ما كتبه القدماء من المفسرين

الإغراق في الفروع :

إذا كانت صناعة الكلام قد شغلت مساحة كبيرة من اهتمام الأمة ونشاطها العقلي فإن مساحة أخرى مساوية أو مماثلة شغلتها ظاهرة أخرى تتجلى في أمرين

أ ـ إغراق شديد في مسائل شكلية من فروع الفقه لا يتفق ما صرف إليها من جهد مع شموخ الإسلام وسمو مقاصده

ب ـ صرف كثير من جهد العقل ونشاطه لوضع مسائل وحلول قامت على افتراض احتمالات لا يمكن أن تقع أو تصورات يتعذر أن تحدث وجاء بعضها ثمرة لخيال مريض حيث بلغ حدا من الإسفاف يأباه وقار العقل وسمو الوجدان

النتائج والمقدمات :

إذا كان قصور النظرة والتعصب للرأي أديا إلى النتيجة الحتمية لهما من انقسام المسلمين إلى فرق تعادي كل واحدة الأخرى ، وتفترض فيها سوء القصد والباعث ، وتحمل كل فئة شحنات متفاوتة من التوجس والحذر والريبة تجاه الفئات الأخرى سدت أي منفذ للحوار ومطارحة الحجة لجعل ما يتفق عليه رباطا بين الأمة يجب أن يحرص عليه ويقدر ، وما يختلف فيه رأيا تجتهد فيه الأفهام فتعذر

فإن الاندفاع الجماعي إلى المتابعة بلا روية قد صرف الاهتمام والتوجه عن فروع من المعرفة ، ومجالات لعمل العقل وعطائه جديرة بأن تولى أكثر مما أعطيت من اهتمام إن الواضح من الإسلام أنه إطلاق للعقل لا حجر عليه ، وإعمال له لا تعطيل لوظائفه ، فقد جاء القرآن دعوة إلى قراءةكتاب الكون ، وتأمل أسراره وسننه ، وحث الفرد إلى التأمل داخل نفسه وجوارحها ، للوصول إلى تعامل أفضل مع بني جنسه ، وفهم أتم لوحدات الكون وطبيعة المادة ، ولكن الاندفاع إلى الوجهتين السابقتين ، وشدهما للنصيب الأكبر من اهتمام الفرد والجماعة أسفر عن انحسار واضح في الجوانب الأخرى ، وتكونت نظرة دونية إلى من يشغل نفسه بمجال من المعرفة غير الوجهتين السابقتين وانعكست هذه النظرة إلى واقع وممارسة فليس من المصادفة أن رجلا مثل سيف الدولة الذي يهب المئات والآلاف من الدنانير لقصيدة تقال يرى أن أربعة دراهم في اليوم كافية لمطالب الفارابي ، وأن يعا

كندي ظروفا ألحأته إلى اعتزال الناس،وأن يقضي حسن بن الهيثم بقية عمره كاسبا قوته من نسخ كتب ولعلنا نجد في ذلك المناخ التفسير لحقيقة بنية وهي أن ما وجه من جهد إلى المجالات الأخرى لتي لا تدخل في صناعة الكلمة مثل الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، لا يتناسب مع ما تقتضيه طبيعة هذه المجالات وأن نرى العلوم التجريبية والنظرية تكاد تبتدىء وتنتهي بالأوائل من واضعيها ، وأن يكون كتاب أبي يوسف في الخراج أهم ما وضع في بابه . لقد أبتدأت الكيمياء وانتهت ـ أو كادت ـ بجابر بن حيان ، ولم يعرف عمل وازى عطاء الخوارزمي في الجبر ، ولم يتقدم علم البصريات تقدما يذكر بعد ابن الهيثم إن ما توصل إليه جابر وكشفه في الكيمياء مثل تحضير حامضي الكبريت والأزوت ووصوله إلى الترسيب بالتبادل الأيوني ، وتنبهه إلى مدرك النسب المحددة أو المضاعفة « الذي سماه الميزان » ، وتأصيل الخوارزمي لعلم الجبر والاستفادة منه بالتطبيق ، وما أثبته ابن الهيثم من تعليل الإبصار وانتقال الضوء واتخاذه مسارا مستقيما يمكن أن يكون كل ذلك حجرا ضخما تنداح عنه دوائر واسعة لو ألقي هذا الحجر في وسط من طبيعته مرونة الحركة والامتداد إلا أن المناخ السابق عمل عمله ، فضاقت هذه الدوائر بدل أن تتسع ، واضمحل أكثرها بقانون التداحل مع غيرها من الأمواج وقد صور هذا الواقع أحد الأعلام المشتغلين بهذه الجوانب من المعرفة بقوله « إن هذا العلم ، أي الفلسفة ـ والعلوم الطبيعية جزء منها في ذلك الوقت ـ أندر من الكبريت الأحمر ، ومن ظفر بشيء لم يكلم الناس إلا رمزا فإن الملة قد منعت من الخوض فيه ، ولا تظن أحدا من الأندلس كتب فيه شيئا فيه كفاية ، فقد قطعوا أعمارهم في علوم أخرى ولم يقدروا على أكثر من ذلك » (قصة حي ابن يقظان لابن طفيل)

لقد أدى ذلك الحقل المغناطيسي الجاذب إلى ما حل بالمعارف الأخرى من ركود ، وصار كثير من الناس يرى الاشتغال بها إهدارا للجهد ، وظن بعضهم في الكيمياء نوعا من الشعوذة أو السحر ، وسلك المؤرخ الذهبي في طبقاته المشتغلين بالكيمياء في سلك المنجمين والسحرة والمشعوذين وتحدث ابن خلدون في مقدمته عن جابر بن حيان بقوله « ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وأكثر الكلام فيها (يعني السحر) ، وفي صناعة السيميا وهي من توابعها ، لأن إحالة الأجسام من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية . . . » .

وما كان لابن خلدون أن يقع في هذه الركاكة العقلية لو جاء بعد جابر من وسع دائرة عمله ، واستفاد مما حضر من مواد بالتطبيق . لقد وقع ابن خلدون ، ومن قبله في ذلك ، لأنه لم يقدر لقيمة الكشوف الكبرى التي وصل إليها أولئك المتفوقون أن تعرف ولمنهجهم التجريبي أن يبعث إلا بعد قرون من الزمان حيث كتب فرانسيس بيكون كتابيه New Atlantis والأرجانون الجديد ، وقام لافوزييه بتحليل بعض المركبات ، ووجه دالتون النظر إلى قانون النسب المضاعفة والبناء الذري للمادة . وبعد أن بعثت أعمال ابن الهيثم في الضوء في تحليل نيوتن لمركباته وكشف هنجنز الطبيعة الموجية له . □

●

حياء المؤمن

في رأي علماء الشريعة أن الحياء عبارة عن خلق باعث على ترك القبيح يقول الزمخشري إنه انكسار وتغير يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به أو يدم ويقول الجرجاني إنه انقباض النفس من شيء ، وتركه حذرا من اللوم فيه ، وهو نوعان نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة بين الناس ، وإيماني هو أن يمتنع المؤمن عن فعل المعاصي خوفا من الله تعالى

إيزادورا
الفراشة الحزينة الراقصة

بقلم : منير نصيف

كان قلبها يحترق ، وكانت تبكي ، ولكن لم ير أحد الدموع التي كانت تمتلىء بها عيناها القرمزيتان الواسعتان . فقد كانت تبكي وحدها بعيدا عن الناس ، حتى إذا جاءت اللحظة التي تقف فيها على المسرح ، سارعت تجفف آثار الألم الذي يعتصر قلبها ، ووقفت أمام الجمهور تبتسم وترقص مع احزانها . إنها ايزادورا دانكان الفنانة التي دخلت التاريخ . فمن هي هذه المرأة ، وما قصتها ، ولماذا نعود إليها الآن ؟!

في باريس صفقوا لها ، وفي ميونخ نعتوا بفنها الجديد ، وفي موسكو رشحوها لأكبر جائزة في الدولة ، ولكن عندما عادت إلى بلدها في امريكا وقفت تواجه حملة شرسة لم تحتملها ، فأسرعت تلملم حطام قلبها الذي أدمته المأساة التي عاشتها وأرادت أن تهرب منها ، وحرمت أمرها ، وتركت الأرض التي أنجبتها ، وبكت ، ولكن الجميع في هذه المرة رأوا دموعها ، لأنها لم تستطع أن تخفيها ورحلت ايزادورا عن الأرض التي أنجبتها ، ولم تنظر وراءها

ومنذ بضعة أشهر مضت ، ولأول مرة منذ رحيل ايزادورا عن هذا العالم قبل أكثر من ستين عاما قرأ العالم حكاية ايزادورا كما رواها التلميذ الذي تعلم في مدرسة ايزادورا ثم أصبح أستاذا بعد ذلك بسنوات طويلة ، ولكنه لم ينس أن يسجل صورة النابغة التي تأثر بها في مذكراته الخاصة التي ظلت نائمة في درج مكتبه القديم . ولم يكن هذا الرجل سوى سير فردريك اشتون مدير معهد الباليه الملكي بكوفنت جاردن

طفولة تعسة !

في مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية ولدت ايزادورا ، في أواخر القرن التاسع عشر ، في عام ١٨٧٨ ، وكانت أصغر اخوانها كانت ، كما كنت هي فيما بعد ، تحمل في رأسها الصغير ذاكرة قوية تختزن الصور التي كانت تمر بها في هذه السن المبكرة من حياتها على الأرض وسط أسرة فقيرة تعسة

ماذا كانت ترى ، وأي تجربة تلك التي مرت بها في سنوات حياتها الأولى ؟ صاحب العمارة التي تسكن فيها أسرتها يطرق الباب بعنف طالبا ايجار الـ...



ايرادورا ترقص
مع احرانها
فراشة حرية
ولكن بلا دموع !

تأخرت والدتها عن دفعه ! ثم تلك الرحلات
كانت الأسرة الصغيرة تقوم بها في ظلام الليل
أين نحن داهبون يا أمي ؟
ست لا يعرف أحد عنه شيئا
يستقر الأسرة في البيت الجديد ، أو الشقة التي
انست إليها سرا ، وتمضي بضعة أشهر ، حتى إدا
تراكم الايجار ، وعجزت الأم عن دفعه ، حزمت
امرها وتسللت هي وأطفالها إلى شقة أخرى في حي
آخر ، وهكذا !
ولكن السؤال الذي كان يحيرها ، والذي لم
تستطع أن تجد له جوابا ، هو أين أبي . فقد كانوا
يشفقون عليها من الصدمة إذا عرفت الحقيقة ، فقد
كانت ايرادورا ماتزال طفلة

النغم الحزين

أين ذهب أبوها ؟ لقد هجر أسرته قبل أن تصل هي إلى الدنيا التي قست عليها ، بنفس القدر الذي أصبحت فيه معها سخية ولكن لفترة قصيرة ، وعادت بعدها لتغرق في آلامها وأحزانها .

ووقفت الأم وحدها ترعى أسرتها الصغيرة ، فهؤلاء الأطفال لابد أن يعيشوا ، ولكن كيف ، راحت تفكر بسرعة ، وتعمل
بسرعة أكثر ، إنها
تعشق الموسيقا ،
فلماذا لاتجمع أطفال الحي وتعلمهم
كيف يعرفون نغم الحياة ؟ وكانت الأم هي أول
مدرسة تعلمت فيها ايرادورا اللحن الذي رقصت
على أنغامه ، بعد ذلك بسنوات طويلة وقد كان
جميلا في بداية رحلتها مع الحياة عندما كبرت
أصبحت فتاة رائعة الجمال !
لكن دروس الموسيقا وحدها لم تكن تكفي
الأسرة ، فاضطرت الأم أن تتجه إلى حياكة
ملابس للأطفال ، وكانت ايرادورا الصغيرة
وأختها يحملنها إلى الأصدقاء والجيران ، ويعدن في
اليوم بما جمعن من أثمانها !
وكانت المفاجأة عندما دخلت الأم يوما ،

فوجدت ايزادورا أو « دوريتا » ، كما كانت تناديها ، ترقص وحدها لقد أعجبتها احدى المقطوعات التي كانت تعزفها أمها ، فراحت ترقص ، وكانت ترقص وحدها بلا موسيقا ، وكانت رقصاتها من تصميمها هي على الأنغام التي امتلأت بها أذناها الصغيرتان ووقفت الأم بدهشة ترقب ابنتها الصغيرة ، وهي تغني ، وترقص ، ثم تتوقف لترد تحية « الجماهير » الذين امتلأت بهم الغرفة الصغيرة

ـ أين هم ، إنني لا أرى أحدا غيرك ؟

ـ انهم في كل مكان يا أمي ، غدا سوف أصبح راقصة كبيرة !

فلما بلغت العاشرة ، فوجئت الأم يوما بصغيرتها « دوريتا » وقد تركت مدرستها وجمعت حولها الأطفال الصغار الذين كانت امها تعلمهم الموسيقا لتعلمهم هي فن رقص الباليه !

أشواك الحياة

وبدأت الطفلة تكبر ، وأصبحت فتاة جميلة ، وشاهدها أحد المنتجين السينمائيين وهي ترقص بمدينة شيكاغو الأمريكية ، فقدم لها عرضاً للعمل معه ، ووافقت على العرض

سافرت لإتمام لقائها الأول بالمنتج ، ولكنها أدركت على الفور أنها ابتعدت عن الطريق الذي بدأت تسير فيه ، فتركت التمثيل ، وعادت إلى حلمها الصغير الذي كبر معها ، وراحت تمشي في الطريق الطويل الذي امتلأ بالأشواك كان وخز الشوك قاسيا ، وكانت تتألم ، ولكنها صمدت وكان الجمهور وحده هو الذي يبكي وهو يراها تتألم

مع رودان

لقد فشلت ايزادورا في السينما ، ولكنها نجحت على المسرح وفي باريس بعد أن تركت أحزانها وراءها ، وحملت حقيبة ملابسها الصغيرة ، ورحلت عن البلد الذي ذاقت فيه مرارة الحرمان ، جلس الفنان الكبير رودان يرسم أول لوحة لها ، بعد أن شاهدها ترقص وكتب يقول « لقد أخذت ايزادورا عن الطبيعة قوة ، ولكنها ليست موهبة تلك التي أضفاها عليها كل ما هو جميل ورائع من حولها بل إنها العبقرية التي تتمتع بها ، والتي انطلقت من داخلها ، فجعلت منها أجمل وأعظم راقصة بالية »

ولكن حياتها الخاصة المضطربة ما لبثت أن أضفت غيوما وسحبا سوداء على النجاح الذي حققته الراقصة الجميلة ، فقد وجدت ايزادورا نفسها عاجزة تماما عن الجمع بين عواطفها وعملها الفني ولكنها كانت تعلم أيضا أنها لا تستطيع أن تعيش دون حب ، ولا أن تستمر في ممارسة هذا الفن الذي تعلمته إلا إذا أحست بأن قلبها قد خفق بالحب

وفي بودابست في عام ١٩٠٢ أحبها ممثل مجري ، وخفق قلبها بحب هذا الطارق الجديد ، ولكنها ما لبثت أن اكتشفت أنها لا تستطيع أن تهجر الرقص ، كما أراد هو ، لتتفرغ للزواج وحده ! وقررت ايزادور أن تهرب من حبها ، ومن بودابست المدينة التي أحبتها وخفق فيها قلبها لأول مرة ولكن إلى أين تذهب ؟ وتوقفت قليلا وهي تجمع حطام القلب الذي جرحه هذا الطارق الغريب ، ثم ما لبثت أن حملت بقايا ملابسها الجميلة التي صنعتها بيديها وانطلقت إلى بلغاريا ولم تكن تدري حتى هذه اللحظة أنها على موعد مع حب جديد ، ففي العاصمة صوفيا التقت بالأمير فرديناند وقال وهو يمد إليها يده مصافحا بعد أن جلس في مقصورته يرقبها وهي ترقص ليس عندي أجمل وأثمن من الفيلا التي أمتلكها على شواطيء ايطاليا ، إنها ملكك منذ هذه اللحظة ! وقبلت ايزادورا الهدية ، وأثارت علاقة الأمير براقصة الباليه فضيحة في البلاط الملكي !

وسافرت إلى ايطاليا ، وعاشت في الفيلا الأنيقة التي تشرف على البحر بضعة أسابيع ، ولكنها ما لبثت أن ملت الحياة هناك

الطفل الأول

وتركت ايطاليا ورحلت إلى برلين في المانيا وراحت ترقص وترقص ، ولكنها في هذه المرة تصبح حديث الناس فحسب ، بل أصبحت أما لأ ـ



ايرادورا أو المرأة التي تنتمي الى العالم كله !

طفل أنجبته من الرجل الذي مد إليها يده طالبا الزواج منها وكتبت بعد ذلك بسنوات تصف مشاعرها تجاه هذا الرجل الذي أصبح أبا لطفلها « ديردر » ، قالت لقد رأيته من قبل ، رأيته كثيرا في أحلامي ، رأيته وأنا أرقص على المسرح لقد كان يختلف عن كل الذين التقيت بهم وعرفتهم ، فقد كان شابا بسيطا لا يملك سوى مرتبه الصغير لقد أحسست وأنا أتحدث إليه أنه ينتمي إلى نفس المدرسة التي تخرجت فيها ، وهو أيضا لم يكمل تعليمه ، فقد كانت هوايته الوحيدة هي صناعة « الديكور » على لمسرح الذي أحبه ، دون أن يفكر مرة واحدة في أن يقف عليه ليقول شيئا ، لقد كان عمله كله يجري قبل ن ترفع الستارة !

وكان الشاب المحظوظ هو جوردون كريج ، والد ردر » الذي وضعته في عام ١٩٠٦ وفي مدينة ـح وصلت ايزادورا إلى القمة

جمعت ثروة ، وتوقع الجميع أن يروها في محلات هرات الثمينة والملابس الفاخرة والفراء النادرة سلأت بها اسواق ميونيخ . ولكن شيئا من هذا ـث وقد فوجئوا بها وهي تبني مدرسة في

● « ايرادورا » الفراشة الحزينة الراقصة

المانيا ، ثم وهي تتبنى عشرين طفلا من أبناء الفقراء الذين أدخلتهم مدرستها وراحت تعلمهم الفن الذي أعطته كل حياتها وكانت تقول « إنني أريد لهؤلاء الأطفال عندما يكبروا أن يصبحوا أساتذة في إدراك معنى الحياة ، وأن يتعلموا كيف ينشرون الحب والجمال فوق هذه الأرض الحزينة !

كلهن ايزادورا

وعاشت ايزادورا سنين من أجل تحقيق الهدف الذي شيدت له هذه المدرسة ، حتى وهي بعيدة عنها ، ولقد كانت مدرستها والأطفال الصغار الذين تحتضنهم ، هم كل شيء في حياتها ، فكانت تجمع المال وترسله إلى المدرسة ، وعندما كبر الأطفال وبلغت الفتيات منهم مبلغ النساء أصبحت كل واحدة منهن ايزادورا أخرى ، وأصبحت الفرقة التي تكونت منهن تحمل اسم « عشاق ايزا » ، وفي بريطانيا بل في أوربا كلها من اقصاها إلى أقصاها ، وفي الاتحاد السوفيتي بعد ثورة أكتوبر وقف الألوف يصفقون لعشاق ايزا ، أو عشاق الباليه

وجاءت ايرادورا إلى موسكو ، جاءت كما تجيء العاصفة التي تجتاح كل شيء أمامها ، وكان صيتها قد سبقها إليها منذ سنوات أما هي فقد كانت تعلم أن روسيا هي مهد الباليه « الكلاسيكي » وعلى أكبر مسارح موسكو ، وفي ملابسها البسيطة الجميلة راحت تعرض رقصاتها بصحبة موسيقا شوبان وبتهوفن وجلاك وجاءت راقصات روسيا الشهيرات ، وفي مقدمتهن « انا بافلونا » التي قالت بعد أن رأتها ترقص « إنها أول راقصة باليه ترقص الموسيقا ، ولا ترقص على أنغام الموسيقا ! » وعندما طلبوا منها أن تشرح لهم ما ذهبت إليه في هذا الوصف الجديد قالت « لقد نجحت ايرادورا في أن تجعل النغم يرقص مع خطواتها وحركاتها على المسرح ! »

ويقسو القدر

وتركت موسكو وعادت إلى المانيا مرة أخرى ، ولكنها في هذه المرة لم تعد تمضي ساعات نهارها وحدها ، كما كانت تفعل بعد أن ألحقت ابنها الصغير

بالمدرسة ، فقد التقت بالرجل الذي أصبح الروح الثاني في حياتها ، التي كانت ترفض أن يشاركها فيها أحد بعد أن أصبحت أما لعشرين فتاة وشابا ، أعطتهم كل ما تعلمته من تجارب الحياة الحلوة التي عاشتها بعيدا عن الجانب المظلم منها وأنجبت ايرا من زوجها الثاني طفلا سمته « باتريك » ولأول مرة أحست ايردورا بالسعادة التي كانت تحلم بها .

وهو إحساس بدأت تعيش معه منذ اللحظة التي غادرت فيها المستشفى الذي وضعت فيه طفلها الثاني ، وهي تصعد درجات سلم القصر الذي أعده لها زوجها الثري « باريس سنجر » ، وارث مصانع « ماكينات » الخياطة ولم تكن أبهة القصر هي سر سعادتها ، ولكنه ذلك الشعور الذي احتواها وهي ترى مظاهر الثراء من حولها ، لأنها لن تصبح في حاجة بعد اليوم لجمع المال من الناس للانفاق على مدرستها ، وعلى أطفالها الصغار والكبار وعاشت ايرادورا في هذه السعادة ثلاث سنوات ، ثم جاء اليوم الذي غرقت فيه في بحر من الأحزان كان يوما

جميلا من أيام الربيع عندما صمم زوجها سنجر على أن يصطحبها هي وطفليها الصغيرين وأطفالها الكبار إلى الريفيرا الفرنسية لقضاء عطلة وسط زهور

الربيع ، ووقف الزوج يقول وهو يحاول إقناعها بقبول دعوته « أريد أن أراك ترقصين وسط زهور باريس ، أريد أن أستمتع معك بنعم الحياة » وذهبوا جميعا معه ، وبعد يوم من وصولها إلى باريس طلبت من المربية الالمانية التي كانت تعنى بأطفالها أن تأخذ « ديردر » و « باتريك » إلى فرساي ! ، فذهبوا في سيارتها الخاصة التي أهداها إليها زوجها ، ولكن السيارة تعطلت في الطريق عند منحنى صغير بالقرب

من نهر السين ، ونزل السائق وفتح غطاء المحرك ليحاول إصلاح العطب ، وفجأة بدأت السيارة تتحرك ، فلقد نسي السائق أن يشد كابح السيارة اليدوي ، ومضت السيارة في طريقها مسرعة على الطريق المنحدر ، ثم سقطت في مياه النهر وبداخلها المربية والطفلان الصغيران ، فضاعت كل الآمال

والأحلام للأم التي أسعدت الملايين وقضت كل عمرها تبحث عن السعادة حتى وجدتها ثم ابتلعتها مياه السين !

جنازة أحلامها

وفي مساء ذلك اليوم الحزين عندما حملوا إليها طفليها وقف المئات من طلبة الفن وطالباته يحملون باقات الزهور البيضاء ، وعندما سارت ايزادورا في جنازة حلمها القصير وقفت تتلفت حولها وتقول

وقد زاغت عيناها بين الألوف ، الذين جاءوا يشاركونها مأساة قلبها الذي عصره الحزن والألم « اريد أن أبدو أكثر شجاعة ، لا بأس من الحزن في داخلي ، فلن يراه أحد ما دمت قادرة على أن أحبس دموعي إنني أحاول أن أجعل من الموت أيضا شيئا جميلا أريد أن أساعد كل أم فقدت طفلها في هذا العالم الحزين ! »

واحترقت ايزادورا

ولكنها كانت في داخلها قد انتهت ، فلقد احترقت ايرادورا حزنا على رحيل طفليها ، وبدأت رحلة أخرى ، ولكنها هذه المرة كانت بلا هدف لم تترك مدينة واحدة في الشرق أو الغرب لم تزرها ، ولكنها لم تعد ترقص ، فلقد ماتت « الفراشة » التي امتلأت صفحات الكتب بفنها ثم قامت الحرب العالمية الأولى ، وفجأة وجدت ايرادورا نفسها تقف عند كل شارع ، في كل مكان ، وسط كل حطام ، تنبعث منه موسيقا المارسيلير ـ نشيد الثورة الفرنسية ـ والنشيد الوطني الفرنسي وفي ابريل من عام ١٩١٩ ، وعلى مسرح « المتروكاديرو » في باريس ولأول مرة بعد المأساة التي كانت تعيش معها كل لحظات حياتها وجدت « ايرادورا » نفسها ترقص وترقص ، وكانت ترتدي فستانا أحمر من لون الدماء ، ولقد كانت حركاتها على المسرح ترجمة حية لما تحمله في داخلها من مشاعر وأحاسيس حزينة ، ولكنها مع هذا لم تبك لقدوقفت بعد أن انتهى دورها على المسرح تحيي المتفرجين وهم يجففون دموعهم

شاعر المجنون

ومرت بضع سنوات ، وتزوجت ايزادورا للمرة الثالثة وكان الرجل الذي اقتحم عالمها الحزين في هذه المرة هو الشاعر الروسي « سيرجي إيسنين » ، وكان يصغرها بأكثر من خمسة عشر عاما كان سيرجي نجما في الاتحاد السوفيتي ، يكفي أن تقع عليه الأنظار في أي مكان لتلتف حوله جماهير المعجبين بشعره ولكنه ما كاد يتزوج ايزادورا ويظهر معها في الأماكن العامة حتى أحس بأنها قد سرقت منه كل الأضواء وبدأ يحقد عليها ، فلم يكن يتصور أن رقص الباليه يمكن أن يدفع وراءه تلك القصائد الرائعة التي كان يتغنى بها الشعب الروسي قبل أن يلتقي بايزادورا أما هي فقد قالت يوما عندما حارت في تفسير أسباب غيرته وحقده « كنت أظن أنني تزوجت رجلا اشتراكيا ، ثم اكتشفت أنه ما زال يعيش رأسمالية القياصرة ! ».

الوداع يا حبيبتي

كان الشاعر سيرجي قد بدأ يضع بيده التفاصيل الأخيرة للحظة التي رسمها للتخلص من حياته وفي فندق « انجلتير » بمدينة ليننغراد ، وفي نفس الغرفة التي أمضى فيها شهر العسل مع المرأة التي أحبها ، مع ايزادورا ، شنق سيرجي نفسه ، ولم ينس أن يقطع شرايين معصمه ، قبل أن ينفذ حكم الإعدام في الشاعر العاشق المجنون سيرجي ايسنين وعندما اقتحموا غرفته قرأوا آخر قصيدة كتبها ، وكانت أقصر وأروع قصيدة كتبها في حياته قال في مطلعها « الوداع يا صديقتي الحبيبة ، الوداع ، أنت ما زلت في قلبي ، وستعيشين فيه بعد أن يتوقف إلى اللقاء يا حبيبتي » ، وكانت القصيدة مكتوبة بالدم الذي نزف من شرايينه أما الصديقة التي كان يعنيها فلم تكن سوى ايزادورا التي سولت له نفسه يوما أن يقتلها !

لقد كان يحبها إلى درجة العبادة ، وقد ترك لها الثروة التي جمعها من قصائده التي امتلأت بها خمسة مجلدات ، وكانت ثروة تزيد على ثلاثمائة ألف روبل وكانت هي في حاجة إلى كل روبل منها ، فقد أصبحت فقيرة وكانت كل ثروتها هي تلك الثياب التي كانت تكتنف جسمها وهي ترقص على المسرح ، ومع هذا فقد رفضت أن تأخذ روبلا واحدا من الثروة التي أعلنت المحاكم السوفيتية أنها من حقها وراحت تبيع ثيابها وتعيش من ثمنها ثم اكتشفت أن أم سيرجي وشقيقتيه يعشن في بلد لا تبعد كثيرا عن ليننغراد ، التي شهدت مولد حبها للشاعر الكبير ونهايته ، وعلمت أنهن يعشن في فقر مدقع ، ولا يملكن من حطام الدنيا شيئا أكثر من ذكريات الأيام الحلوة التي كن يعشن فيها مع سيرجي ومع قصائده التي تغنى بها الناس فتنازلت عن الثروة التي تركها زوجها لأمه وشقيقتيه وكتبت لهن تقول « لقد علمتني حياة سيرجي ما الحياة ! أنا قانعة بما أخذته منه قبل رحيله ، أما هذا المال فأنتن أحق به مني ، يكفيني أن أعيش مع الكلمات التي خطها بدمه قبل أن يذهب فقد اكتشفت معها أنني فقدت الرجل الوحيد الذي أحبني » وحرمت ما تبقى لها من أشياء صغيرة تحمل بعض الذكريات ، وتركت ليننغراد إلى مدينة نيس في فرنسا وقد ماتت هناك في صيف عام ١٩٢٧ ، في نفس المكان الذي نبت فيه مجدها □

البيع والصبر : باع رجل ضيعة ، فقال للمشتري أما والله لقد أخذتها ثقيلة المؤونة ، قليلة المضغة ، فقال · وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق ، واشترى رجل من رجل دارا . فقال له المشتري · « لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة ، فقال وأنت لو صبرت بعتك الذراع بدرهم » .

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

لم لا تكثر من أكل القرنبيط ؟



● يبدو أن زهرة القرنبيط توشك أن تصبح معيناً للتغذية لا ينضب ، فقد كانت موضع أبحاث وتجارب مكثفة في كل من جامعة كورنل ومحطة التجارب الزراعية في جنيف في ولاية نيويورك ، واستهدف بعض تلك التجارب مضاعفة ما تحتويه الزهرة من مادة الكاروتين ، وذلك بواسطة أساليب التلقيح الزراعي . فماذا كانت النتيجة ؟ كانت زهرة غنية جداً بالكاروتين ، أغنى من الزهرة التقليدية بهذه المادة المغذية بنحو مائة مرة . وغني عن البيان أن الكاروتين لا يلبث أن يتحول إلى فيتامين « أ » لدى دخوله الجسم

ومن طريف ما يذكر أن الزهرة الجديدة ذات لون برتقالي ، وهي قليلة السعرات الحرارية ، وغنية حدا بالألياف التي ينصح بها الأطباء للجهاز المضمي . أضف إلى ذلك كله احتفاظ الزهرة الجديدة بما عرف عنها من غنى بالفتامين ج « vit . c. » والبوتاسيوم والحديد ، هذا إلى جانب كونها عضواً في أسرة الملفوف « الكرنب » وبالتالي عامل كبح طبيعي للسرطان

■■■

الهندسة الوراثية والأمراض العصبية المستعصية

● اكتشف فريق من علماء البيولوجيا ـ زوج وزوجة ـ العاملين في جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو الجينة التي تحكم مجال فاعلية البوتاسيوم في جسم الإنسان ، وهي الفاعلية التي تسهم في حدة إشارات الأعصاب واستمرارها في جسم الإنسان وأمثاله من المخلوقات .

والطريف أن العالمين كانا يبحثان عن جينة أخرى ، تسبب الرجفة للذباب الرجاف ، لكنهما عثرا على جنية البوتاسيوم بمحض الصدفة ومضى العالمان يبحثان عن هذه الجينة المهمة في مخلوقات أخرى غير الذباب ، وأعلى منه في سلم الكائنات وقد وحداها في الفئران ،الأمر الذي يجعل وجودها في جسم الانسان مرجحاً ولا يخفى ما يترتب على اكتشاف هذه الجينة في أجسامنا ، فهو باب يُفضي إلى التحكم في عدد من الآفات العصبية التي يعاني منها البشر ، ولربما الشفاء منها أيضاً وذلك عن طريق التنسيق أو « التوضيب » الجيني Genetic regulation وقد تشمل تلك الآفات فيما تشمل الصرع والشلل وما إلى ذلك .

إسطـة جـديـدة لمـنـع الحـمـل

● أقرت وكالة الغذاء والدواء في واشنطن واسطة جديدة من وسائط منع الحمل ، وكان ذلك في أواخر شهر مايو الماضي (١٩٨٨)

أما الواسطة الجديدة فهي مبدأ عمل القبعة العنقية « **Cervical Cap**» كما يسموبها ، وعملها لا يتعدى العرقلة أو منع المنويات من الوصول إلى الرحم ، فهي من المطاط أو البلاستيك ، وتبلغ ١,٥ بوصة ، وهي معدة لكي تشفط فتلبس عنق الرحم بإحكام فالقبعة العنقية إذن تشبه إلى حد كبير الغشاء أو الحجاب الحاجز ، فهو غشاء من مطاط رقيق ، بعرض ٣ بوصات ، ذو حافة مرنة ، يوضع بين عظمة العانة « **pubic**» وجدار الفرج ، إلا أنه يكتسب الإحكام بفعل الشد لا المص ، ويتخذ شكل القبعة بعد تركيبه ، وتستوي الواسطتان أيضا في الاعتماد على مادة كيماوية مضادة للمنويات « **Spermicide**» وفي الحاجة إلى طبيب أو قابلة لوضع القبعة أو الحجاب في المكان المناسب .

ويؤكد الكثيرون أن القبعة العنقية تتميز عن وسائط منع الحمل القديمة وكذلك عن الغشاء الحاجب

■■■

عقـار الاكيوتـين بـين التشجيـع والتحذيـر

● سبق أن تحدثنا في هذا الباب عن عقار الاكيوتين **Acutane** وعن فاعليته العجيبة في معالجة حب الشباب المزمن كان ذلك قبل نحو خمس سنوات ، وعقب إقرار العقار وترخيص إنتاجه وبيعه من قبل السلطات المعنية العليا في أمريكا ، أي وكالة الغذاء والدواء . **F . D . A** . والعقار من صنع شركة لاروش السويسرية العالمية

وقد فوجئنا في مطلع شهر مايو ١٩٨٨ بأخبار تطعن في سلامة العقار ، وتنسب إليه آثاراً جانبية خطيرة ، فقد أكد تقرير سري لا يرقى الشك إلى نزاهته أن الاكيوتين يؤدي إلى الإصابة بعاهات وراثية مستعصية ، وأن مثل هذه العاهات - كتلف المخ مثلا - قد تصيب الأجنة إذا تناولت العقار الأمهات أثناء حملهن بتلك الأجنة ، ويؤكد التقرير الذي أعده الباحثون المتخصصون في وكالة الغذاء والدواء السالفة الذكر أن عدد المواليد الذين أصيبوا بمثل تلك العاهات نتيجة لتناول الأمهات للاكيوتين أثناء فترة الحمل قد بلغ حوالي ٩٠٠ - ١٣٠٠ مولود .

وجاء تعليق شركة لاروش على ذلك التقرير مؤكداً ما أورده التقرير إلى حد كبير ، فقد أقرت من حيث المبدأ ولم تخالفه إلا في الأرقام ، فالمواليد الذين أصيبوا بعاهات وراثية بسبب الاكيوتين لا يزيد عددهم على الستين ، وذلك وفق الاحصاءات التي أجرتها الشركة بطرقها الخاصة

والجدير بالذكر أن الاكيوتين واسع الانتشار ، وقد جاوز عدد الذين يستعملونه نصف مليون نسمة ، أكثرهم من النساء □

أشجار عملاقة يستنبتونها في الأنابيب

أخيرا وصلت الهندسة البيولوجية ـ الجراحة الجينية ـ إلى الأحراج والأشجار العملاقة ، وأصبحت هذه الأشجار تستنبت داخل أنابيب الاختبار

على أن هذا الاستنبات ليس كل ما في الاسلوب الجديد الذي طور البروفسور دون دورران من جامعة كاليفورنيا ، ولا هو أهم ما في ذلك الأسلوب الجديد . فقد نجح العالم المذكور في أواسط الصيف الماضي في تطبيق قاعدة الاخصاب التلقائي ـ أو التمصيص ـ (Cloning) على الأشجار العملاقة القاسية ونجح أيضا في إجراء عمليات الجراحة الجينية على تلك الأشجار ، وذلك من أجل تهجينها ، وخليق خصائص جديدة ، ان لم نقل صنوفا من الشجر جديدة ، ثم عمد الى استنبات هذه الصنوف والفصائل داخل القوارير ، وذلك بقصد إنتاجها على أوسع نطاق ممكن ، وفي أقصر مدة ممكنة

وهكذا أصبح في الامكان شراء شتلات شجر مقاوم للأمراض والحشرات ، أو شجر تزيد في بنيته نسبة السليلوز ، وفق ما تتطلبه صناعة الورق ، أو شجر تقل فيه تلك النسبة لصالح الثمار ، وذلك من أجل مضاعفة محصول الفواكه ، أو شجر لا تمتد سيقانه وترتفع بحيث يضطر المزارع إلى تسلق السلالم لقطف ثماره

وتجدر الإشارة إلى أن التمصيص هو الأسلوب العلمي الجديد الذي حل محل أسلوب زراعة البذور في التربة ، أو الزراعة تمعاها التقليدي ، وهو الأسلوب المفضل ، ذلك أن زراعة البذور غير مضمونة النتائج ، فما أكثر ما زرع الفلاح ثم فشل في جني ما زرع لسبب أو لآخر ، كذلك قد تتغير خصائص النبات الذي تزرع بذوره في التربة من حيث لا يدري المزارع ، هذا إلى جانب التفاوت في المحصول ، فقد تكون كميته كبيرة هذه السنة ، ثم تتقلص في السنة القادمة لأسباب قد لا يستطيع المزارع التحكم فيها وهذه المآخذ جميعها تؤخذ على أسلوب زراعة البذور في التربة وليست على التمصيص ، الأسلوب العلمي الجديد

على أن أسلوب التمصيص هذا ليس جديدا بالقدر الذي يبدو لأول وهلة ، فهو أقدم من تجارب البروفسور دورران ومنجزاته ، ويعود بنا إلى سنوات عديدة خلت ، وإلى بلاد أخرى غير الولايات المتحدة الامريكية ، إلى البلدان الاسكندنافية ونيوزيلندة وكندا ، حيث ظهر التمصيص ، وظهر رواده قبل عدة سنوات ، ويشهد على ذلك المشاتل الضخمة المتخصصة في بيع شتلات شجر الزينة ، أو مشاتل شجر السليولوز ، أو غير ذلك ، وهي مشاتل معروفة ظهرت في تلك البلدان قبل ظهورها في الولايات المتحدة ، واكتسبت شهرة واسعة قبل نجاح البروفسور دورران فيما نجح فيه

نخلص من هذا إلى القول بأن تهجين الأشجار وتخليق صفات وخصائص

نموذج من المناطق الحارة



جديدة فيها ، وفق أساليب الهندسة البيولوجية ، أو الجراحة الجينية ، هو أهم ما تميزت به منجزات البروفسور دورران وغني عن البيان أن التهجين ليس جديدا في عالم النبات ، فقد عرفه المزارعون في شتى البلدان منذ قرون ، لكنهم طبقوه بالأسلوب التقليدي ، أسلوب التطعيم ، وهو أسلوب يختلف كل الاختلاف عن أسلوب الهندسة البيولوجية في التهجين ، فحسبك أن الأسلوب القديم قد لا يعطي نتائجه قبل مضي ٢٠ سنة أو أكثر ، وهو يفتقر إلى الإحاطة والدقة والتحكم التي يتميز بها الأسلوب الجديد

■■■

وعـــــي
بيـــئي
شعـــبي
ورســـمي

● ظواهر غريبة لاحظها أهل المنطقة ، فهذه ضفدعة مشوهة ، لها ٩ أرجل ، وهذه طفلة ولدت بلا عيون ، والمصابون بمرض اللوكيميا ـ سرطان الدم ـ ازداد عددهم بنسبة تلفت النظر تلك هي بعض الملاحظات التي روعت سكان المنطقة المحيطة بمصنع سيكويا ، وهو مصنع وقود يقوم بتحويل اليورانيوم المكثف إلى أجزاء تستعمل وقودا لمحطات توليد الطاقة النووية ، وقد تدخل في صناعة القنابل النووية أيضا

على أن هذا المصنع كان موضع شبهة منذ سنة ١٩٨٦ حين مات أحد عماله بسبب تسرب الغاز السام (Uranium hexaflouride) وحسبك أن الشركة التي تملكه Kerr — mc Gee في أوكلاهوما تملك مصنعا آخر يشبهه ، وقد تسمم ٧٣ عاملا من عمال ذلك المصنع سنة ١٩٧٤

لا عجب إذن أن اتهم أهل المنطقة مصنع سيكويا ، واعتبروه المسؤول عن الظواهر الغريبة التي لاحظوها في أواخر السنة الماضية (١٩٨٧) ، فقد درج المصنع طوال السنوات العشر الأخيرة على تحويل الماء المشع Radio active Wastewater (أو Raffinate) إلى سماد ، ورشه على حقول تملكها شركة (كرماجي) ولو ذكرنا أن محصول تلك الحقول من التبن قد بيع إلى مزارعي المنطقة على نطاق واسع ، وقدم علفا لكثير من دوابهم لوضعنا أصبعنا على صلة الوصل بين السبب ـ وهو السماد المشع الملوث ـ وبين النتائج التي تمثلت في الظواهر الغريبة التي روعت سكان المنطقة

ويؤكد الكثيرون أن السماد الذي رشت به حقول الشركة تسرب بطريقة أو بأخرى إلى المياه الجوفية ، ومياه نهر اركانساس القريب من الحدود القائمة بين هذه الولاية وولاية أوكلاهوما

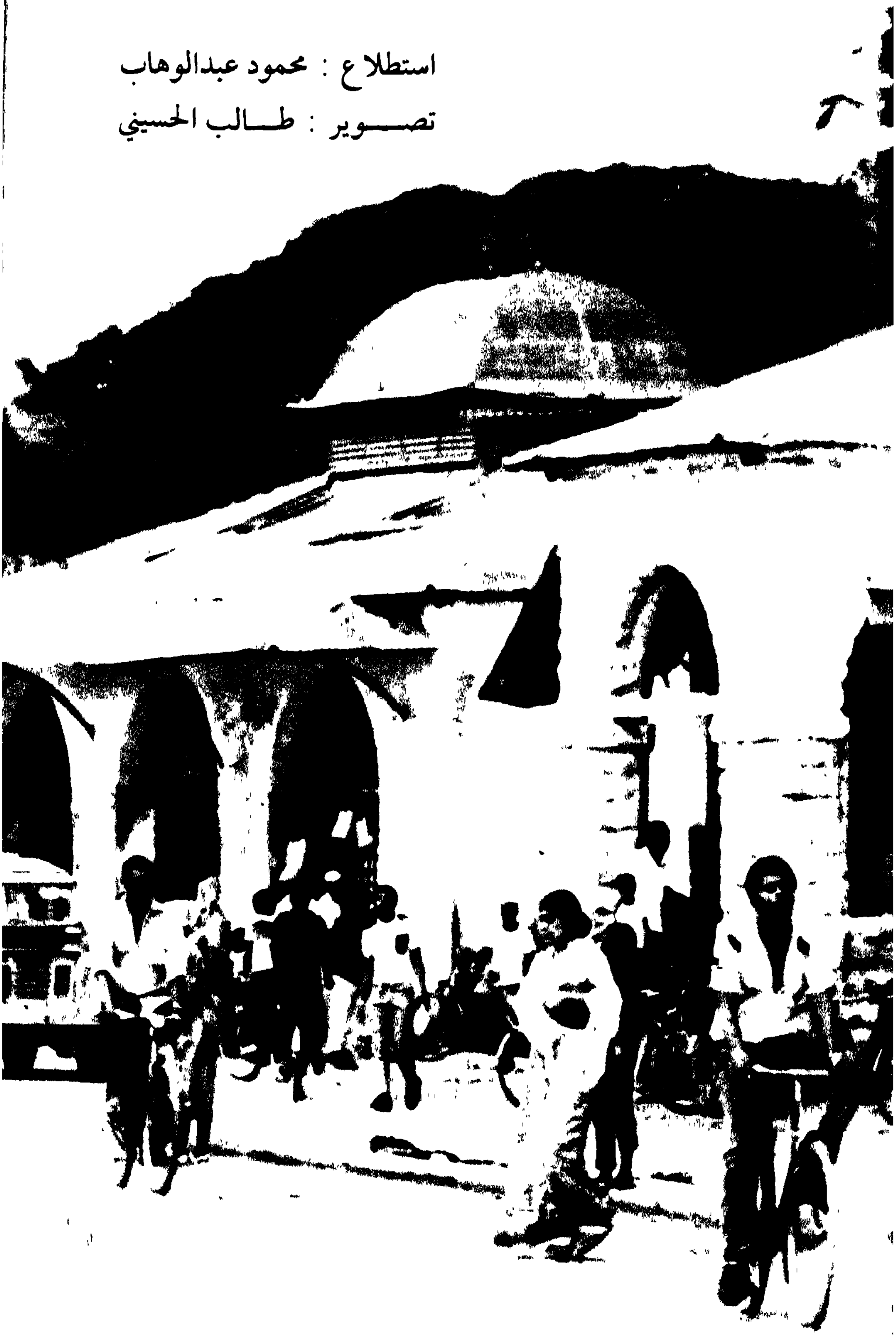


وتدافع الشركة عن نفسها ، فقد حصلت ١٩٨٠ على موافقة معهد السرطان (N C R) على صنع السماد من ماء الرافينات المشع ، وحصلت كذلك على موافقة وكالة البيئة الأمريكية (EPA) ، ووزارة الزراعة وأبدت الشركة استعدادها على كل حال لإجراء التغييرات التي تستوجبها حماية البيئة

وما أسرع ما وجه الاتهام إلى هذه الهيئات الحكومية المعنية ، فلولا اللامبالاة التي غلبت عليها حيال قضية سماد سيكويا لما مضى المصنع في إنتاج هذا السماد ، ولما تعرضت البيئة لما هي في غنى عنه من تسمم وتلوث ذري



استطلاع : محمود عبدالوهاب
تصـــوير : طـــالب الحسيني



« كان الزقاق شديد الضيق ، وفجأة انعطف إلى ميدان واسع ، يتفرع منه عدد من الأزقة . في قلب الميدان جلس رجل وضع حوله مجموعة مقاعد خشبية ، وموقداً لصنع القهوة العربية ، وحوله جلس الرجال . ألقينا السلام بالعربية ، فهب رحل عجوز واقفا واحتصنني بشدة ، وظل يربت على كتفي ، وأجلسني بحواره ، وطلب لي القهوة ، وأخذ يسألني : هل أنت من عمان ؟ قلت : لست من هناك ياشيخي . سألني : هل زرتها ؟ قلت له : نعم وعندما حاولت أن أسأله عن اسمه وصناعته وأحواله طل يقاطعني بـإلحاح صبي ، ويـطلب مني شيئا واحـدا ، أن أصف لـه عمـان ، بشـوارعهـا ، ومانيها ، ونحيلها . وأعمض عيبه وهو يستمع إلي ، وعـلى خديـه سالت دمعتان ، وتمتم : ربي لا تمتى قبل أن أرى وطي . وفاضت مشاعره .

حتى قبل أن تهبط الطائرة في مطار زىحبار كان قلبي يخفق بشدة ، فلم تكن مشاعري محايدة أبدا تحاه هده الحريرة الرائعة الحمال المقيرة

رنجبار مملكة العرب القديمة ومفتاح الشـاطيء الشـرقي لأفريقيـا ، زنجار حيث اللسـان عربي ، والتـاريـخ عـربي ، والتـراث الحضـاري عـربي ، والحكم عربي حتى قبل ٢٤ عاما فقط قد مصى

عشرون دقيقة قـطعتها الـطائرة من دار السـلام عاصمة تنزانيا لتصل بنا إلى رنجبار ، وعلى الرعم من أننا قد حصلنا على تأشيرة دحول لدولة تنزانيا في مطار دار السلام الدولي ، واحترنا إحراءات الحجر الصحي ، إلا أننا فوحئنا عند وصولنا رنجبار بأنـنا نعيد إحراءات الدحول والحجر الصحي مرة ثانية ، وكـأننا ننتقـل من بلد إلى بلد ، ولسنا داخـل دولة واحدة

فور خروجنا من المطار واجهتنـا لوحـة مكتوب عليها (مرحبا بكم في رنجبار) بالعربية والانجليزية والسـواحلية وبين التاريـخ القديم وإجـراءات الـدحول التي تكـررت والأسطر العـربية تتلخص الرحلة وتاريخ الجزيرة التي كانت موطنا عـربيا ثم صاعت

بـــر الزنج

تقـع جزيـرة زنجبار سيـاسيا ضمن إطـار دولة تنزانيا ، أما جغرافيا فهي تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا ، وتبلغ مساحتها حوالي ١٦٠٠ كم مربع ، وعدد سكانها حوالي ٣٠٠ ألف نسمة

وزنجبار في اللغة كلمة عربية محرفة عن كلمة « بر الـزنج » وتجمـع الكتـابـات التـاريخيـة والآثـار أن العرب ـ وتحديدا العمانيين ـ قد بسطوا سيطرتهم على الساحل الشرقي لأفريقيا منذ القرن الأول الميلادي . فقد امتد نشاط العرب التجاري إلى ساحل افريقيا الشرقي حتى الهند ، وأقاموا المدن الزاهرة ، وكانت الموانيء المنتشرة على طول الساحل محطات ومرافيء للسفن العـربية التي تختـرق المحيط في طريقهـا إلى الهند

ويدلل المؤرخـون على ذلـك بأن عمـان عندما

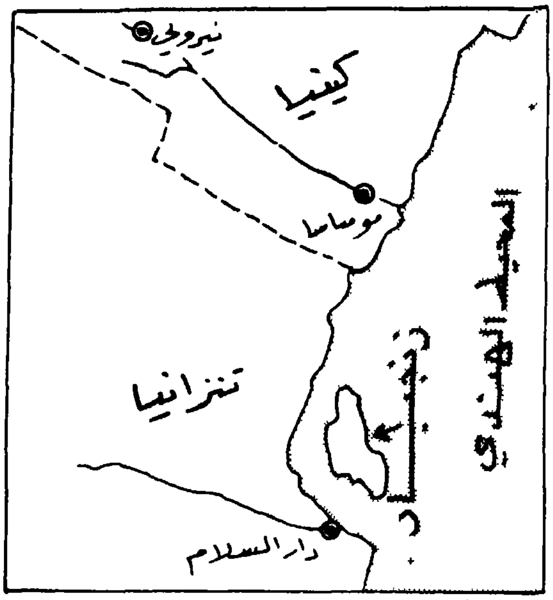
استعصت على بني أمية ، فوص عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي في بسط نفوذ بني أمية على عمان ، وبعد جولات طويلة أرسل الحجاج جيشا عرمرما فآثر سلطانا عمان سليمان وسعيد ابنا عبدالحلندى أن ينقذا أهلها وجيشهما. فأخذا أهلهما ومن تبعهما من قومهما إلى أرض الزنج (زنجبار)

ويقول المؤرخ الدكتور عبدالمنعم عامر إنه « يستحيل منطقا أن يحرج سلطانا عمان من بلدهما إلى بلد لا يعرفان به ، ولكن المنطقي أنهما ينتقلان إلى أرض بها وحود عماني كثيف يأمنان فيها على حياتهما وديهما ، وإذا كانت هده الواقعة في القرن السابع الميلادي فمعى دلك أن هناك تاريخا يمتد إلى زمن لايقل عن ثلاثمائة ، وقد يبلغ خمسمائة عام إذا استندنا إلى الآثار الموجودة » وقد خضعت زنجبار تاريخياًلسلطنة حكام عمان ، سواء عندما حكمها اليعاربة أو آل بوسعيد وكان سلطان عمان يمتد إلى ممباسا وماليندي ومقديشيو وأسمرة ومدن كثيرة حتى وسط افريقيا وقد طلت سيطرة العمانيين على زنجبار وساحل شرق أفريقياقرابة ألف عام ، وكانت ممالك شرق افريقيا كثيرة الثراء والاردهار ويقدر « وندل فيليب » استنادا إلى وثائق أوربية أن إنتاج الدهب الدي كان يقدمه ساحل شرق افريقيا قارب نصف مليون حنيه استرليني سنويا في وقت ما من زمن الوحود العماني ، بالاضافة إلى عائدات بيع المحصولات الرئيسية كجور الطيب وحور الهند والقرنفل والقصب ، وبجانب هدين المصدرين المهمين كانت هناك تحارة الرقيق

ولم تنقطع السيطرة العمانية على زنجبار وشرق أفريقيا إلا فترات قصيرة عانت فيها مناطق النفوذ العماني من رحلات الاستكشاف البرتغالية ثم من الاستعمار البرتغالي ، إلى أن طرد الامام سلطان بن سيف البرتغاليين من عمان ثم بعد ذلك من ساحل شرق افريقيا

لؤلؤة المملكة

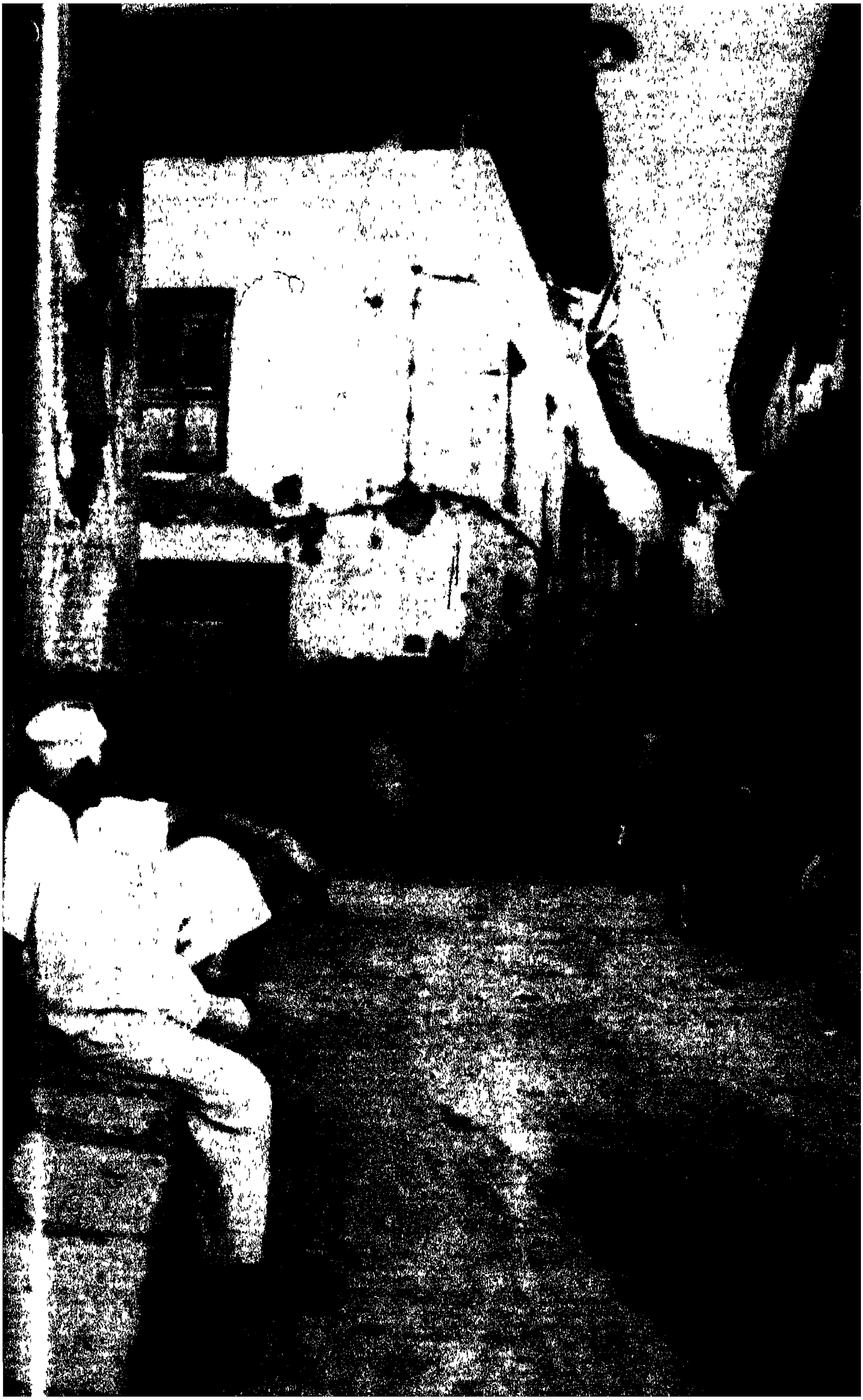
كان النظام المستقر أن زنجبار وساحل افريقيا شرقي تابعان لسلطان عمان الذي كان يحكم من

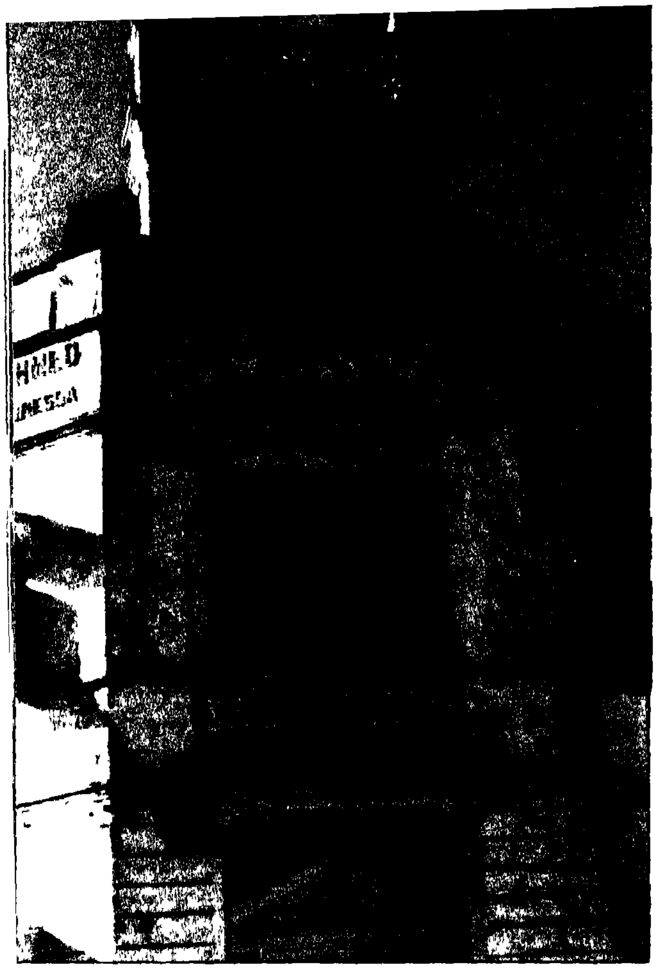


● حريطة رنجبار حريرة في مواجهة الساحل الشرقي لأفريقيا الطريق الى وسط أفريقيا ، ومن هنا كانت أهميتها الجغرافية

عمان ، ويفوص ولاة على زنجبار وبقية ممالك الساحل مقابل ضريبة سنوية وفي عام ١٨٢٨ ميلادية قام السلطان سعيد بن سلطان بزيارة إلى جزيرة زنجبار ، وعندما وصل إليها استهواه حمالها وطيب مناحها مقارنة بهجير عمان ، فجعل من الجزيرة مقره الرسمي وعاصمة لمملكة يحكم منها عمان وساحل افريقيا ، وأصبحت زنجبار منذ دلك التاريخ عاصمة لمملكة عمان وسرعان ما تعاظمت وتكثفت هجرات العمانيين إلى الجزيرة ملتحقين بسلطانهم وإلى السلطان سعيد يعود الفضل لأنه أول من زرع شجر القرنفل في الجزيرة على الرغم من معارضة الأهالي ، لتصبح زنجبار اليوم أكبر مصدر للقرنفل في العالم كله

وقد ازدهرت زنجبار منذ ذلك الحين ، فمهدت الطرق ، وأقيمت القصور والمنازل والدور والمساجد ، وأصبحت نقطة التقاء أشراف الساحل الشرقي الافريقي والعمانيين ، فالكل يذهب إلى عاصمة المملكة ومقر السلطان ولؤلؤة الممالك ، وتضاءلت بجانبها المدن الأخرى الزاهرة مثل ممباسا وماليندي وكلوه . وهدا ما كان











● السلوك الاجتماعى تعبير عن الثقافة السائدة . وفي زنجبار . في الشوارع الضيقة والأزقة . يخرج الناس وقت الأصيل للجلوس أمام البيوت أو في الساحات المتسعة . وتبدأ جلسات السمر والثرثرة ولعب « الدومينو » وتتوزع دوائر الجلسات شيوخاً وشباباً وفتيات

الشوارع الخانية

الطريق من المطار إلى قلب المدينة رائع الجمال ، أشجار جوز الهند السامقة الرفيعة على الجانبين ، وخلفها تختبيء أشجار القرنفل برهورها الحمراء سائق السيارة يرتدي الإزار العماني ، والطاقية العمانية اقلنا إلى فندق « بواني » ، وكلمة بواني لفظة افريقية لكلمة عماني عاملة الاستقبال تتصف بالبشاشة عندما نطرت في حوارات سفرنا تهلل وجهها عرب ومسلمون ؟ قلنا نعم وحاولت أن أحدثها بالعربية ، فلم تعرف إلا كلمة « سلام عليكم » قالت بأن اسمها « رحمة » ، وهي لا تعرف إن كان أهلها عربا خالصين أم خليطا من العرب والأفارقة انطلقنا إلى شوارع المدينة ، المدينة مصممة على نهج المدن العربية القديمة ، شوارع رئيسية بينها مناطق سكنية ، أي أن هناك شارعا رئيسيا عاما يواريه شارع اخر ، وبين الشارعين كتلة من العمارة ، وعندما تدخل الى أي كتلة من هذه الكتل تفاجأ بالحي العربي القديم يختفي خلف الشارع الرئيسي أزقة شديدة الضيق ، والبيوت متلاصقة ، وطراز العمارة عربي إسلامي ، به بعض اللمسات الهندسية التي اكتسبها العرب من الهند فوق واجهات البيوت القديمة عبارات باللغة العربية ، تراكم عليها الغبار ، أجهدنا عيوننا لنقرأ عبارات منها مثل لا إله إلا الله ، بني هذا البيت العامر في سنة كذا ، وتواريخ هجرية (افريكية) أمام نواصي الأزقة يتجمع السكان في ساعة الأصيل على مقاعد خشبية ومصطبة صغيرة عليها موقد لصنع القهوة ، وفي الشرفات تجلس النساء اللواتي يتوارين عند رؤية غريب عن الحي أو عندما يلمع ضوء آلة التصوير

بين الناس جلسنا ، وسمعنا ، وتعذبنا بهذا العشق والحنين إلى الوطن والذكريات

عذابات العشق

لغة الناس السائدة هي اللغة السواحلية ، وهي مزيج من لغات افريقية قديمة واللغة العربية ويقدر بعض علماء اللغة أن ٧٠٪ من اللغة السواحلية ، أصل عربي

والألفاظ العربية التي نفهمها من اللغة كثيرة مثل حكومة ، ووزارة ، « وسابتي سانيا » ، وهو نطق محرف لجملة « أحسنت صنيعا » ، وهكذا وعلى الرغم من ذلك فمازالت اللغة العربية موجودة والناس تتحدث بها ، وهم ينطقونها بالفصحى ولكنهم لطول عهدهم بها يبذلون جهدا ومشقة في الحديث

الشيخ سليمان بن سعيد يقول أعمل تاجرا للقماش ، وأعرف أن أصولي كلها عربية ، وأجدادي من عمان ، ومازلت أحافظ على سلامة سلالتي ، ففي عائلتنا لا يتم الزواج إلا من أصول عربية ، وقد ظل هذا التقليد موجودا عندما كان لدينا حلم بالعودة ، وعندما كان إحساسنا بأننا عرب ، ولكن الأجيال الجديدة في العائلة لم تحافظ على هذا التقليد ، انني أحلم بأن أزور عمان يوما ، وأحصي شجر النخيل فيها ، وأشم ترابها ، وأزور رستاق ونزوى ومسقط ، وأنشر في الصحف السيارة شجرة العائلة لأجتمع بعائلتي وأجدادها ، ويكمل الله فضله فيتوفاني هناك ، وأغمض عيني وأتوسد ذلك التراب الحبيب

الحاج جمعة سالم المعيري أنا عماني بكل جذوري ، وكل عائلتي مازالت هناك ، ولي أخ في عمان طبيب ، يعمل مستشارا بوزارة الصحة في عمان ، وهو الدكتور محمد سالم المغيري ، وأخ ثان هو وزير للتجارة والصناعة في حكومة زنجبار ، وقد عملت فترة طويلة قاضيا في زنجبار ، وتدرجت في سلك القضاء حتى أصبحت كبيرا للقضاة ، حتى ساعة إحالتي إلى التقاعد ، وقد زرت عمان مرة واحدة ، ومازال حبي إليها لايقاوم ، يعذبني ولكن المشكلة أن لي هنا عائلة وأهلا ، وعمرا وذكريات وعملا ، عمرا بأكمله ، فالشوارع هذه قد شهدت صباي ، وهذه المقاهي تعرفني ، والمساجد هنا تشهد أرضها على سجودي وقيامي ، بل حتى أشجار القرنفل وجوز الهند ، سبعون عاما ياولدي قد

نصيتها هنا ، وهناك لي أخ وحدور ، ولا أعرف أي الحبطين أقوى ، وأي القلبين أكثر حمقانا

الحاحة فاطمة تجلس على باب بيتها ، وتغطي رأسها ، وترتدي نظارة طبية ، وتفتح مصحفا وتقرأ فيه قالت بجهد وهي تتكلم يا ولدي لم يبق إلا كتاب الله والصلاة ، بعد ثمانين عاما عشتها وأنا عربية ، أما الآن فلا شيء يمنحي إحساسا بهذا إلا القرآن وانصرفت عنا

يوم عمل في الجزيرة

تنتشر القرى الصغيرة ، وهي تجمعات مكانية حول مزارع مكثفة على طول الجزيرة ، والتجمع المدني الرئيسي في قلب الجزيرة على المحيط هو بمثابة ما نسميه ـ نحن بالعاصمة ـ ، ونشاط السكان الرئيسي هو الزراعة والصيد ، وفي قلب العاصمة يتركز النشاط التجاري يبدأ يوم العمل في الصباح الباكر ، فتمتليء الشوارع بالناس الذين يخرجون من فجاج الأزقة التي تصب في الشوارع الرئيسية

ويتصدر الحي التجاري مبنى قديم للسوق نصف مهدم ، تباع فيه الخضراوات واللحم والسمك ويطل المبنى على شارع رئيسي يؤدي من جهة منه إلى طريق المطار ، ومن جهة أخرى إلى القلعة القديمة والميناء المشرف على المحيط ، وخلف مبنى السوق تنتشر مجموعة من الأزقة المتداخلة التي يربط بينها عدد من الميادين ، كل مجموعة من الأزقة ـ أربعة أو ستة أو ثمانية ـ تصب في ميدان ومنه إلى زقاق أوسع قليلا ثم يصب هذا في ميدان آخر يتفرع منه عدد من الأزقة ، وهكذا تتوالى الطرق والأزقة ، وخلف مبنى السوق مجموعة أزقة بالحي التجاري، فيه عدد من المحلات للعطارة والأقمشة وزينة النساء والأدوات الكهربائية (مذياع ـ مسجل ـ ساعة) ، وتتوالى المحلات التي تعرض معروضاتها على الواجهة وفوق الرصيف ، والأزقة شديدة الزحام بالمارة وعربات اليد الخشبية التي تنتقل عليها البضائع

تفتح الدكاكين أبوابها من السابعة صباحا حتى الظهيرة ، حيث يذهب أصحابها إلى صلاة الظهر والغداء ثم القيلولة ثم تفتح مرة ثانية في الساعة الثالثة حتى صلاة المغرب في السادسة

بعد السادسة يبدأ الناس في الخروج من بيوتهم لتبادل الزيارات العائلية أو النزهة ، ويصحبون أبناءهم وينطلقون إلى الساحل وعلى الحشائش الحديثة الممتدة يجلسون ، وخلفهم مبنى القلعة القديمة التي بناها البرتغاليون عندما احتلوا الجزيرة وخلف مبنى القلعة تطل مداخل الجزيرة المعمارية ، أقواس وبوابات حجرية تختبيء خلفها الجزيرة

في الحديقة يفترش الرجال والنساء الأرض ، وينطلق الأطفال يلعبون حولهم ، وفي الممرات يحتشد باعة القصب والمانجو ، وشرائح جوز الهند المقلية بالزيت ، والذرة المشوية والسلطعون والسمك المشوي ، وباعة الحلوى المحلية الأقرب إلى الحلويات العمانية الشهيرة

الطريق إلى القرى الصغيرة المحيطة بالعاصمة نزهة رائعة ، شريط ضيق من القار يخترق غابات كثيفة من أشجار جوز الهند « النارجيل » والقرنفل ، ويعبق الطريق بروائح زهر القرنفل ، والزهور البرية الرجال حول المزارع يعتنون بالشجر ، أو يقطعون ألياف شجر « النارجيل » ليستخرجوا الزيت من ثمرته ، أو يطهرون الأرض من الأعشاب التي تنمو تلقائيا حول الشجر عند المغيب يعود الفلاحون إلى بيوتهم حيث يتناولون وجبتهم الرئيسية الساخنة ، ثم يتجمعون أمام البيوت والأكواخ في أحاديث السمر في المدينة عند التاسعة يبدأ الناس في الحركة باتجاه منازلهم ، وفي العاشرة مساء تخلو الطرق من الناس ، ويعم الهدوء الجزيرة الساحرة

داخل البيت

لم نستطع التهرب من الحاحهم بدعوتنا لتناول بعض الأشربة في بيوتهم كانت فرحة البسطاء من الناس وبخاصة كبار السن أقوى من أن نردها أو أن نخذلها ، ذهبنا مع الحاج سليمان بن سعيد إلى بيته ، البيت قديم ، عمره يجاوز مائتي عام يفتح الباب الرئيسي عن باحة بها دورة مياه وغرفة ، ثم سلم في







● مطاهر مختلفة للحياة ، الصورة اليمنى العليا لامرأة في قرية تدق أمام الكوخ اعواد الملوخية ، وبحوارها أمام السوق الرئيسي الثمار التقليدية قصب السكر ، السارحيل وعملية تسريل يشارك فيها عدد من المواطنين أكثر مما تستحق العملية ، والى اليسار لقطة من داخل المتحف تصور تطور وسيلة نقل حكام الجزيرة كان مقعداً يحمله العبيد ، ثم مقعداً تسحبه الخيل !









● رعم سنين عمرها التى تجاورت السبعين تجلس هده السيدة العجور تقرأ القرآن الكريم باللعة العربية الصورة اليمى العليا ، وبجوارها لقطة لصانع القهوة العربية ، ثم صورة لاحدى الألعاب الشعبية التى تنتشر أيضاً في وطنا العربى ، وأخيراً الصورة اليمى القبو الذى كان يحجر به العبيد تمهيداً لبيعهم

مواجهة الباب يصعد إلى الدور العلوي ، وقبل انتهاء الانحناءة قبل الأخيرة جذب الرحل حبلا مربوطا

بيد خشبية معلقة على باب الشقة العلوي ، فدقت اليد الحشبية على الباب قال لنا الشيخ حمعة إن هده طريقة لكي يدرك أهل البيت أن معه صيوفا

دحلنا البيت ، وحلسنا في عرفةالاستقبال وعندما أعدت كريمته الشراب وقفت حلف الباب وصفقت بيدها ، فحرج الشيخ ليأحده منها

حكى لنا الشيخ سليمان عن طقوس الرواج فقال عندما يستقر رأي الشاب على فتاة بعيبها ، يشاور أهله ، وعندما يوافقون ـ والآن أصبحت موافقة الأهل شكلية ـ يذهب أهل العريس إلى أهل

العروس للحطبة وقد جرت العادة أن يستمهل أهل الفتاة الحاطبين فترة حتى يردوا عليهم ، وبعد رد الأهل يتم الاتفاق على « الشبكة » والمهر ، ويحدد موعد للاحتفال ، وعند دعوة الناس يسير والد

الشاب مع ابه يطوفان بالتجمعات والأهل ، وبعد أن يلقي والد الشاب التحية يقول لهم هدا ولدي فلان ، وقد حطبنا له كريمة فلان ، وقد دفعت له مهرا مقداره كذا ، والحفل يوم كدا ، ويسعدنا

حصوركم وىفس التقليد يقوم به والد الفتاة الذي يصطحب معه العريس وشقيق العروس الأكبر ويطوف معهما بتجمعات أصدقائه وأهله وأقاربه ، ويريد على مقولة والد العريس قوله إنه مند هدا اليوم قد صار العريس أخا لابني (شقيق العروس) وعلى الرعم من حروج المرأة للعمل وإلى السوق إلا أنها مازالت تحتفظ بحيائها ، فلا تتحدث في الطريق مع أحد ، وإذا مرت على تجمع من الرحال لزمت السير بجوار الحائط ، ووجهت بصرها إلى الأرض وعندما كانت بعض النساء يلمحن رميلي المصور وهو يحاول تصويرهن عن بعد كن يبادرن إلى إحفاء وحوههن والانصراف من المكان ، وظللنا نحسب أن تصوير النساء مشكلة حتى وقعت لنا المشكلة الكبرى

معتقلان في مركز الشرطة

كنا في طريق عودتنا من حارج المدينة ، واستهوى رميلي المصور منظر أشجار حور الهند السامقة وبينها مسافات تكاد تكون محسوبة ، ومن حلال هده المسافات يبدو حط الأفق صافيا جميلا استوقفنا السيارة ، وهبط رميلي يلتقط صورته ، وجلست أسجل ملاحطات عن المكان والصورة وتاريخها وفجأة وقفت سيارة « جيب » عسكرية ، قفز منها ثلاثة جنود من الشرطة العسكرية وأحاطوا بنا ، ورميلي واقف وبيده الة التصوير وأنا جالس على تلة مرتفعة أدون ملاحطات هبط من السيارة عقيد بزيه الرسمي وأخبرنا بأننا قيد الاعتقال لأننا نصور موقعا عسكريا !!

أمضينا ساعات طويلة في قسم الشرطة بين تحقيقات ، وطبع للفيلم ، وأسئلة وفي النهاية اقتنع قائد القسم ـ لأننا فقط مسلمون عرب ـ لا يمكن أن نكون جواسيس فأطلقونا

كيف ضاعت

حتى صباح يوم السبت ١١ يناير عام ١٩٦٤ ، كانت زنجبار جزيرة عربية مستقلة ، يحكمها السلطان جمشيد بن عبدالله بوسعيد ، أحد أحفاد السلطان سعيد بن سلطان ، وفي مساء السبت عاد الناس إلى بيوتهم ، والهدوء يلف الجزيرة ، ومرت الساعات الأولى من الليل رطبة شتائية ، وبعد منتصف الليل شق هدوء الجزيرة صوت رصاص ،

ولم يستمر كثيرا ، وقد طن الدين لم يكونوا قد استسلموا للنوم أن جنديا طائشا أطلق بعض طلقات من بندقيته وكلما مضى من الليل وقت ازداد الجو رطوبة وبرودة وثقلا ، وما هي إلا ساعة بعد انتصاف الليل حتى اجتاحت الأحياء والدور فرق من الجنود ،

فهبوا البيوت ، وشرعوا في قتل السكان واستباحوا النساء ، وسقط ما يزيد على عشرين ألف قتيل ، وفي رواية أخرى قد بلغ عدد القتلى خمسين ألفا وما أن أصبح الصباح ، صباح يوم الأحد ١٢ يناير ١٩٦٤ ، إلا وزنجبار ، بر الزنج ، لؤلؤة الممالك ، مقر

سلطنة الحكام العرب ، لم تعد زنجبار العربية !
فقد كانت طلقات الرصاص عملية اجتياح لمراكز الشرطة واستيلاء عليها من قبل الجنود ذوي الأصول الافريقية ، وعملية حصار لقصر الحكم انقلاب دموي كامل تم معظمه بالسلاح الأبيض ، في أكثر الانقلابات وحشية في قرننا العشرين !
ولا تكفي وقائع الانقلاب لتقدم لنا إجابة عن أسباب ضياع زنجبار ، والتساؤل عن الأسباب سوف يدفعنا إلى الابحار قليلا في بحار السياسة والتاريخ

كان استقرار السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار متوافقا مع بدء إحساس العرب بأهمية موقع زنجبار الاستراتيجي ، في ظل قواعده البحرية التقليدية ، من حيث كونها موقع مواجهة مع ساحل افريقيا الشرقي القريب من الهند ومن ساحل الخليج العربي وكانت الكشوف الجغرافية من قبل ولفنجستون وستانلي وغيرها في افريقيا سببا كافيا لكي يلتهب خيال أوربا بالطمع في افريقيا بعامة وزنجبار بوجه خاص يذكر لنا التاريخ المكتوب أن هناك صراعا بريطانيا المانيا دار حول زنجبار وانتهى بتوقيع اتفاقية تحديد مناطق نفوذ ، وأن هناك صراعا ايطاليا فرنسيا بريطانيا أمريكيا ، إلا أن امريكا كانت أسبق الجميع حين وقعت معاهدة صداقة مع زنجبار عام ١٨٢٣ ، وحظيت امريكا بموجبها على امتياز الدولة الأحق بالرعاية وفي عام ١٨٣٩ وقعت بريطانيا معاهدة مع زنجبار ، اشترطت فيها على السلطان تحريم الرقيق ، وتعهد السلطان بتحريم هذه التجارة في كل ممتلكاته ، وتعيين وكيل بريطاني لممتلكات السلطان للالتزام بالتحريم ، كما أعطت المعاهدة للسفن البريطانية الحق في تفتيش السفن ومصادرة أي سفن تمارس هذه التجارة وتحت هذا الستار وبمعاونة مكتب شركة الهند الشرقية بدأت الأصابع البريطانية تتدخل في المنطقة لضمان سيطرتها عليها ، خاصة أن البريطانيين لم يكونوا في ذلك الوقت يملكون إلا طريق الحيلة ، فثراء السلطان كان بلا حدود ، وفي قصره كان يعيش ألف شخص للخدمة ، ودخله من تجارة العبيد وحدها كان قرابة ٨٠ ألف جنيه استرليني في العام بأسعار ذلك الزمان

ومن حيث القوة العسكرية كان السلطان سعيد يملك أسطولا بحريا قويا ، يتكون من خمسة وسبعين سفينة في كل سفينة ٥٦ مدفعا ، وكما يقول وندل فيليب في كتابه تاريخ عمان عندما يتحدث عن تلك الفترة من خلال الوثائق البريطانية ان السلطان سعيد كان يستطيع أن يحقق لنفسه التفوق البحري في المحيط ، فهو صاحب أقوى أسطول موجود في المنطقة الواقعة بين رأس الرجاء الصالح حتى اليابان ، والثابت تاريخيا أيضا أنه أهدى فرقاطة بحرية مسلحة إلى ملك بريطانيا ، وفرقاطة أخرى إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

صراع الاخوة

بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان في ١٩ اكتوبر ١٨٥٦ م ، ثار الشقاق بين اثنين من أشقائه كاد أن يؤدي الى حرب أهلية دامية ، وكالعادة استعان أحد الاخوين بالبريطانيين ، فشكل البريطانيون لجنة تحكيم يرأسها اللورد « كانتج » المندوب السامي في الهند ، فقسم الامبراطورية إلى جزأين أساسيين ،

هما عمان وقد جعلها من نصيب السلطان ثويني بن سعيد ، وزنجبار وجعلها من نصيب السلطان ماجد ومنذ ذلك التاريخ انفصلت زنجبار عن عمان وداخل زنجبار ثار خلاف وشقاق ، فقد حاول شقيق ماجد أن يغتاله في مؤامرة شاركه فيها

بعض أفراد العائلة ، فاستعان السلطان ماجد بالبريطانيين ، فتولوا حمايته بالقوة المسلحة وحكم على برغش شقيق السلطان بالنفي إلى الهند واستمر الموقف بنزاعات وشقاقات ، وانتهز البريطانيون الفرصة ليبسطوا أيديهم أكثر على الجزيرة ، حتى جاء مؤتمر بروكسل ، وفيه قسمت افريقيا بين القوى المتصارعة ، وكان من ضمن ما قسم زنجبار وفي نوفمبر ١٨٨٦ م قسمت الجزيرة بين بريطانيا وفرنسا والمانيا















● حـول المياه تـدور الحياة ، الحـديقـة العامة ونزهة المواطنين مصطحبين نساءهم وأطفالهم ، والباعة الجائلون الذين يبيعون الذرة المشوية والموز وجوز الهند ، وصانع قـوارب الصيـد من جـذوع الشجـر (الصورة العليا الى اليسـار) وفي أقصى اليمين منصة بيع في السوق والى اليسـار سيدتان جالستان في الحديقة الملامح عربية وطريقة الحجاب والزي عربية



● في هذا البيت كان يحجز العبيد تمهيدا لنقلهم عبر البحر وقد إشترته بعثات التبشير المسيحية لتحتفظ به شاهداً على هذه المرحلة

وتعاظم الصراع بعد ذلك ، وتوالى بشكل سريع ، وتعاقب على حكم زنجبار ولاة لم يدم حكم بعضهم عامين ، وعرفت الجزيرة الانقلابات والحروب ، وفرض البريطانيون سلطتهم على الجزيرة ، حتى أنهم عزلوا حاكما من حكامها بالقوة المسلحة لينصبوا آخر ، وهكذا

وخلال ذلك نشطت الجمعيات التبشيرية ، وشجعت بريطانيا توافد الأفارقة من الساحل الافريقي إلى الجزيرة ، وتدريجيا بدأ البريطانيون في تكوين قوى سياسية وطنية لهم داخل الجزيرة ، وفي نفس الوقت عملوا على إذكاء حدة التفرقة بين العرب والأفارقة ، والتمييز بين ما هو عربي وما هو افريقي ، وصبر البريطانيون طويلا وزرعوا كثيرا ، وكان لابد أن يثمر الزرع الذي زرعوه

الأميرة العاشقة

اسهمت زنجبار بوضعها هذا وتاريخها في إثراء الكتابات عن افريقيا بعامة ، وعن أحوال زنجبار وتاريخها بخاصة ، وأطرف ما كتب عن هذه الفترة مذكرات الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان التي عاونت أخيها برغش عندما تمرد على السلطان ماجد وحاول اغتياله في الحرب التي نشبت بينهما وتدخل فيها الانجليز لصالح ماجد ، وحكموا على برغش بالنفي إلى الهند ، ففي أثناء نفي برغش تصالحت الأميرة سالمة مع أخيها ، ولما عفا السلطان عن برغش وعاد إلى زنجبار لم يغفر لسالمة تصالحها مع أخيها السلطان ، وظلت حياتها في زنجبار قلقة ، فقد كانت صغرى أبناء السلطان سعيد ، وبالتالي فهي أصغر أخواتها ، ويبدو أن وضعها هذا قد هيأها للدخول في مغامرة ، فأحبت رجلا ألمانيا ، وهربت معه إلى ألمانيا ، وعاشت هناك ، ومن البعد كتبت مذكراتها تصف أيام المجد والقصور ، والمربيات وركوب الخيل ، والثروة ، وعز المملكة الذي كان

تقع زنجبار الآن سياسيا ضمن تنزانيا ، وقد ظهرت تنزانيا ككيان سياسي عقب استقلال تنجانيقا في ٩ ديسمبر ١٩٦١ م وخروجها من تحت الوصاية البريطانية ، بينما حصلت زنجبار على استقلالها من بريطانيا في ديسمبر ١٩٦٣ ، وخلال هذين العامين بين استقلال تنجانيقا وزنجبار كانت بريطانيا قد هيأت المسرح لما حدث بعد استقلال زنجبار بشهر ونصف فقط ، حيث جرت وقائع الانقلاب الدموي الذي خلع به سلطان زنجبار وفر إلى الخارج وفي ٢٦ ابريل ١٩٦٤ أي بعد الانقلاب بأربعة أشهر أعلن قيام الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار ، وأصبح اسم الدولة الجديدة تنزانيا ، واختيرت دار السلام عاصمة لها ، ونص اتفاق الوحدة ثم الدستور على أن يتولى الرئاسة جوليوس نيريري ، وأن يليه في الرئاسة حاكم زنجبار وتشكلت حكومة محلية لزنجبار وفوضت في بعض الصلاحيات المحلية التي من خلالها حاولت الادارة في زنجبار أن تحتفظ لنفسها بهوية مستقلة نسبيا ، إلا أن التاريخ لا ينسى ، وقد ظلت الوظائف الادارية العليا والإشرافية وبخاصة في الشرطة والجيش في أيدي الافارقة ذوي الأصول غير العربية ، ولكن هذا الاتجاه بدأ يقل تدريجيابعد ضعف النعرات العرقية واستقرار الأحوال بالدولة الجديدة

وقد انعكست آثار الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها تنزانيا كلها على زنجبار ، حيث انخفض مستوى المعيشة ، وأصبح الفقر لا تخطئه عين ، والغلاء يزداد كل يوم ، وسعر العملة ينخفض في كل عام عن العام الذي قبله لقد زارت « العربي » « تنزانيا » في منتصف عام ١٩٨٥ ، وحينذاك كان سعر الصرف الرسمي ١٧٠٠ شلن لكل مائة دولار ، بينما كان في السوق السوداء ١٢ ألف شلن لكل مائة دولار ، بعد ثلاثة أعوام تقريبا في زيارتنا هذه أصبح سعر الصرف ٤٧٠٠ شلن للمائة دولار تساوي في السوق السوداء عشرين ألف شلن وعلامات الأزمة الاقتصادية في تنزانيا كثيرة ، فوفق أرقام البنك الدولي يبلغ اجمالي الدين الخارجي حتى نهاية ١٩٨٦ قرابة ٣٦٠٩ ملايين دولار ، ويبلغ متوسط دخل الفرد من الناتج القومي ٢٩٠ دولاراً سنويا ، ويبلغ معدل التضخم سنويا ١٩,٦ ٪ .

كان موعدا سفرنا من زنجبار الخامسة والنصف صباحا ، لنصل إلى دار السلام في السادسة ، ونغادرها في الثامنة والنصف متجهين إلى عاصمة افريقية أخرى وذهبنا إلى المطار في الرابعة والنصف فجرا ، وفوجئنا أن الطائرة لم تأت من دار السلام ، وعلينا الانتظار حتى طائرة الساعة العاشرة والنصف ، وملأنا المطار صراخا ، ولم يستمع إلينا أحد . في العاشرة والنصف لم تأت الطائرة أيضا ، وقالوا لنا عودوا في الثالثة والثلث لكن الطائرة لم تأت أيضا وعندما سألنا موظفا توسمنا فيه الاجابة قال لنا إن الطائرة عندما لا تمتلىء بالركاب من دار السلام فإنها لا تطير ولم نغادر زنجبار إلا في السادسة والنصف مساء ، لنصل دار السلام في السابعة ، ونقطع بعد ذلك ١٤ ساعة بالسيارة في طريق يخترق مواطن القبائل ، والليل الافريقي يحيط بنا ، لكي نصل إلى الحدود ونجتازها برا ، لنلحق بطائرتنا التي ضاعت علينا بسبب الطيران الفريد

حدود الزمان والمكان

كانت السيارة تنهب بنا الطرق ، والليل يجثم على المكان ، وزميلي المصور يرفض أن يستريح ويتركني متيقظا وحيدا مع سائق لا نعرفه ، في بلد فقير ، وخيالي كان يتجاوز المكان الذي نحن فيه ، ويتجاوز حدود الزمان ، ويعود إلى البلاد التي تركناها ، كما تركنا قبل ذلك بلادا كثيرة ، لا نذكر منها إلا الأندلس ، على الرغم من أن التاريخ العربي يمتلىء بأندلسيات كثيرة

ويلح على وجداني دفء قلوب الشيوخ العجائز ، وأتذكر دموع عيونهم وهم يدوبون شوقا وحنانا إلى كل ما هو عربي ، ويسألونني عن بلاد العرب ، وعن طرقاتها ، وشوارعها ، ومبانيها ، وعدد نخيلها ، وزهورها البرية ، وصحراواتها ، وتفيض مشاعري والسيارة تنهب بنا الطريق ويلفنا الليل الافريقي . □

قصة مترجمة

الاحتفال القديم

بقلم : دانييل بولانجي

ترجمة : الدكتور محمد برادة

يعد دانييل بولانجي Daniel Boulanger المولود سنة ١٩٢٢ م بمثابة عميد للقصة القصيرة في فرنسا. نشر عدة مجاميع قصصية، ونال جوائز كثيرة، أهمها جائزة القصة سنة ١٩٦٣ عن مجموعته «أعراس الشحرور»، وجائزة سانت بوف سنة ١٩٦٦ عن «طريق الدوران». وإلى جانب كتاباته القصصية نشر بولانجي روايات ودواوين شعر، وكتب عدة «سيناريوهات».

تمتاز قصص بولانجي بنوع الفضاءات، ودقة الملاحظة، وتوظيف اليومي المألوف في نسج بيئات قصصية مشوقة.

في هذه القصة «الاحتفال القديم» التي ترجمناها من مجموعته «حديقة أرميد» (١٩٦٩) ينطلق الكاتب من مشهد معتاد، فيولد حدثا طريفا يعلو على الواقعي المحدود. **فالطفل في المقبرة يكتشف بحسه وذكائه** عالم الموت وتصرفات الكبار في **اللحظات المأتمية. إنه** لايكتفي بما خططته الأم من **وراء مرافقتها له إلى** المقبرة بدلا من الحديقة، لأن **غريزة اللعب والطفولة** تتمرد على تخطيطات الكبار العقلانية. **واللعب عنده** هو أصل كل شيء، حتى عندما **يتعلق الأمر** بالموت. لكن وراء الحدث المكون لبنية **القصة هناك** اللمسة العمقية التي يجعلنا الكاتب من خلالها نطل على نفسية الأم وعلاقتها بروحها. وهكذا تمتزج الروح اللعبية بالبعد الإنساني من خلال صنعة قصصية ناضجة، يمكن أن نعدها **بحق امتدادا** للحس المرهف الذي تميزت به قصص جي دو موباسان.

أمهات شابات كثيرات يهملن حديقة لوكسمبورغ الموجودة على بعد خمس دقائق من بيوتهن، ويؤثرن مقبرة مونبارناس ذات الإطار الطبيعي الأقل صخبا الواقعة على نفس البعد. ولولا ذريتهن لما خرجن قط من السرير، من الرخوات، ولاستسلمن للراحة إلى الأبد. فالمقبرة هي عنصر حيويتهن، وبفضلهن تعرف الممرات المأتمية الضحكة الطرية والقفزات المرحة، وقصور الرمال وأغاني اللعب والحلقات.

ألا يكون في ذلك حكمة لا واعية؟ أليس درسا ثمينا أن نلقى طفلا يتعلم القراءة وهو يتهجى أسماء الراحلين منقوشة على شاهدة قبر، فيحس بالفرح أحيانا عندما يكتشف اسمه منقوشا ويهرع إلى أمه ليعلن لها عن اكتشافه؟



كانت الأم تنادي دون حدوى ، صعيرها الواقف وسط الممر حاملا لعبة في مثل حجمه مسحورا بالموكب البطيء المتحرك وراء سيارة تسير ببطء وتبدو متعبة على وشك التوقف عند كل دورة تتمها عجلاتها اضطرت الأم إلى أن تتحرك لتمسك يد ميخائيل وتعود به إلى الكرسي حيث الررد الـذي تنسحه قد انسلت منه ـ في غمرة عجلتها ـ الابرة الطويلة

ـ لماذا عددهم أكثر من أمس ؟
ـ لأنه ميت مشهور
ـ هل بقدر ما يكون الإنسان معروفا يكون الورد كثيرا ؟
ـ لكل الموتى ورد يا عريري ، وليست الكمية هي ما يهم

ـ وأنا متى سأموت ؟
ـ أنت لم ترن في سنتك الخامسة ، ولك كل الوقت لتفكر في دلك

لكن سرت رعشة في حسد الام وهي تتلمظ حملتها الأخيرة ، فمند فترة أحد الصغير يزعجها بأسئلة لم يسبق لأحد أن أحاب عنها بما يرضي كانت تلاحظ موارية طفلها الذي توقف فجأة عن اللعب وظهر أنه مستسلم التفكير وعندما كانت تنظر إليه والعينين في العينين ، لم تكن تجد سوى حدقة واسعة ، والصورة مدهشة ، ثابتة كئيبة كانت تقول في نفسها ربما يجب تغيير الحديث ، ولكن غدا سيكون آخر يوم في عطلة الربيع ، وبعد غد سيعود ميخائيل إلى دار الحضانة ، وستفكر في أيام الخميس المقبلة كانت قد وقفت عند مرور الموكب ، وكان ميخائيل قد اختلط ـ دون أن تنتبه أمه ـ بالقامات الطويلة المسربلة بالسواد التي تخطو محنية الرأس نادته ، لعله انتقل كالمعتاد إلى الآثار والكنائس الصغيرة ليقوم بلعبته الأثيرة المتمثلة في أن يسوق فوق هذه المتاهة سيارة خيالية ، إلا أنها لم تسمع «بامبون ، بامبون» وهو الصوت الذي كان يصيح به أثناء جولاته

ونادت ميخائيل وكانت تحبس صوتها تأدبا لكنها اضطرت لعدم رؤيته يعود إلى أن تصرخ وتـ[...] في البحث عنه ونادت مرة أخرى ميخائيل لكن الطفل لم يكن يسمع شيئا ، وقد سحره كل هؤلا[ء] الناس ومعظمهم يبكون وبالقرب من القبر المفتوح كانت هناك كومة من الباقات البيضاء لم يسبق له [...] رأى مثلها

وسألته بصوت رقيق سيدة لم يكن يبصر وجهها المعيب وراء اللثام ماذا تفعل هنا ؟ يجب ان تذهب ياصغيري .وقالت له امرأة اخرى أين امك ؟

فأجاب ميخائيل ببساطة إنها في المقبرة

انتاب المرأة الاولى نحيب فنظر إليها ميخائيل عن قرب من تحت اللثام قبل أن تمتد يد رجل ضخمة لتأخذه

قال الرجل « أيها الصغير أنت الذي كنت تلعب مند قليل في الممر ؟ »

قال ميخائيل لا ، لم أكن ألعب

ـ يجب أن تعود ، اذهب ، اذهب

ثم جره الرجل إلى آخر صف وتركه ، وارتفع صوت منغم وراء الجماعة ، وأخذ يقذف كلمات متقطعة ، غير مفهومة رتيبة ، تتخللها فراغات وانحدارات مثل من يتأوه في نوبة حمى

تسلل ميخائيل مرة أخرى إلى الصف الأول في اللحظة التي كاد فيها القسيس يرش الماء المقدس على التابوت الموضوع على حاملين ثم تهاوت امرأة فأمهصها رجال وأسندوها ، وترك أحدهم قبعته تنزلق من يده ، وفجأة أحس ميخائيل نفسه مرفوعا ، وما كاد يصرخ حتى عرف أن أمه هي التي رفعته قالت له بصوت خافت ستحرم علينا الدخول الى المقبرة بتصرفاتك هذه،إنهم في منتهى اللطف حين يسمحون لنا بالبقاء في الممرات يجب عليك ألا تتبع الناس ، هذا ممنوع ، فهم لا يأتون إلى هنا ليمرحوا

ـ قال ميخائيل لماذا ؟ ، ثم أضاف [...] سقطت على الأرض

فقالت له « لنذهب هذا كل ما ستر[...] »

ء إلى البيت قبل الوقت المعتاد ، وفي المساء عندما رجع الأب من عمله قال له ميخائيل « لقد بت حيتك ، ونحن قد استمتعنا جيدا في المقبرة ».
قال الأب لسيسيل لقد قلت لك من قبل بأنني لا أريد ذلك ، إنه ليس حسنا لا بالنسبة للصغير و لا بالنسبة لك
ـ لو أنه كان يتصرف بحكمة لما كان هناك مكان أكثر هدوءا ثم إلى جانب ذلك يوجد على بعد خطوتين أشجار وأطيار ، ولا سيارة تمر
قال ميخائيل بلى ، هناك سيارة كل يوم ، وسيارة اليوم كانت معطاة بورود بيضاء ، بل كانت هناك مرآة وقعت على الأرض
قال الأب بغموض أرأيت ! لنكف عن الحديث في هذا الموضوع لقد حان وقت الفيلم في التلفاز رحل الرمل الطيب » اعطى يا ميخائيل قبلتين زيادة
انصرفت سيسيل لتنيم ابنها ، ولكن عندما أراد الزوج أن يأخذ كلمة ـ وهما على انفراد ـ استبقته قائلة
ان الأمر ليس كئيبا كما تتصور ، ولو حاولت أن تمضي يوم أحد معنا ، فإنك ستفهم ما أقول خصوصا أنه يتحتم أن تمحو من دهنه الزوار خلال أيام الاسبوع تكون المقبرة فارغة وأحس بنفسي مرتاحة ، وميخائيل يتعلم فيها حروفه أفضل من تعلمها في كتاب ، وسيعرف سريعا ما يجب عليه أن يعتني به وأنت أيضا يا حاك تعيش وتمرح وسط الأموات
ـ أنا ؟
ـ نعم انت ، ككل الناس ، فالشارع مليء بهم
ـ ... الناس كما سيكونون وكما سأكون
ـ حدت سيسيل تبكي فجأة وبغزارة ، مثلما تحرد معاكسة زوجها لها عن طريق رفع
ـ تمسد شعرها « حسنا ، إنني لم أكن سايقك ، وإذا كنت تظنين أن ميخائيل لن
ـ فلا بأس »

على أن حاك قد وجد زوجته متغيرة عما كانت عليه ، فهي أكثر حديثا وأكثر حيوية ، وفي تلك الليلة كانت سيسيل ملاطفة أكثر من المعتاد
وتساءل حاك عما إذا لم تكن تضمه بدافع من الخوف أكثر من دافع الرغبة ، وقد ظلت تمسكه به مدة طويلة حتى حان وقت النوم
في اليوم الأخير من العطلة أخذت سيسيل ميخائيل إلى حديقة لوكسمبورغ ، وعند جذع الشجرة كان أولاد مسلحون بالمجارف والعصي يحفرون حفرة لدفن طائر ، وكان ميخائيل ينظر إلى الاحتفال المأتمي احتمت الجثة الصغيرة ذات الحمص الأصفر تحت التراب مصحوبة بزهور ممنوعة قطفها الأولاد خلسة كان أكبر ولد في « العصابة » يرتل أيضا أنشودة رتيبة غير مفهومة ، ثم استدار نحو بنت كانت رموشها ترف ولا تملح في أن تبكي
« الطائر مات ، عاش الطائر » قال ولد آخر .
هل عندك أسرة أنت ؟ اجاب ميخائيل نعم
ـ « إذن ، ستدفع حصتك لشراء الاكليل ، كل واحد يدفع ما يقدر عليه »
جرى ميخائيل نحو أمه التي كانت تحلم فوق كرسي وقال لها ساحتاج إلى نقود وكانت الام المأخوذة بالمفاجأة تحملق في اليد الممدودة والعينين المأساويتين
ـ لتشتري العصرونية ؟
قال ميخائيل . من اجل الميت
ـ لكن أي ميت ؟
قال ميخائيل مثل ما في حديقتنا الأولى ، ولكن ليس هناك اسم لأن الطائر لايتكلم
ـ آه ، دفنتم طائرا ؟
ـ نعم والنقود لكي نشتري له اكليلا
ـ قالت سيسيل وهي مسرورة بالحدث ليست معي نقود لكي يمكنك هذا المساء أن تطلب ذلك من والدك
جرى ميخائيل ليعلن النبأ للاولاد الآخرين الذين استمعوا إليه وقد أحاطوا به ، ثم سرعان ما طردوه من حلقتهم □

خطأ الحساب وتدمير العالم

حرب النجوم و«الكمبيوتر» والاستقرار الاستراتيجي

بقلم : بسام اسخيطة *

منذ انتخب ريغان رئيسا للولايات المتحدة الامريكية ، وسعيه ـ ومعه إدارته ـ لتأكيد تفوق امريكا وسيطرتها على دول العالم بكل الوسائل والاساليب لم يتوقف ، ومنها خطته المشهورة بحرب النجوم المثيرة للجدل وللمشاكل السياسية والفنية كمشكلة زمن ووسائل اتخاذ قرار توجيه الضربة المضادة ـ التي تعالجها هذا المقال ـ حيث يكفي خطأ واحد فيها لتدمير العالم كله

تقوم خطة « حرب النجوم » في الأساس ، على مفهوم تنسيق مكونات الأنظمة المضادة للصواريخ بالعمق وواعي بالتنسيق وضع هذه المنظومات على انساق أو مراحل مختلفة واحدا بعد الاخر ، بحيث تكون قادرة على اعتراض الصواريخ البالستية العابرة للقارات وهي تطير في مراحل الطيران المختلفة

والخطة تنص على وجود أربع مراحل اعتراض

١ ـ الصاروخ وهو في مرحلة الطيران الفعال

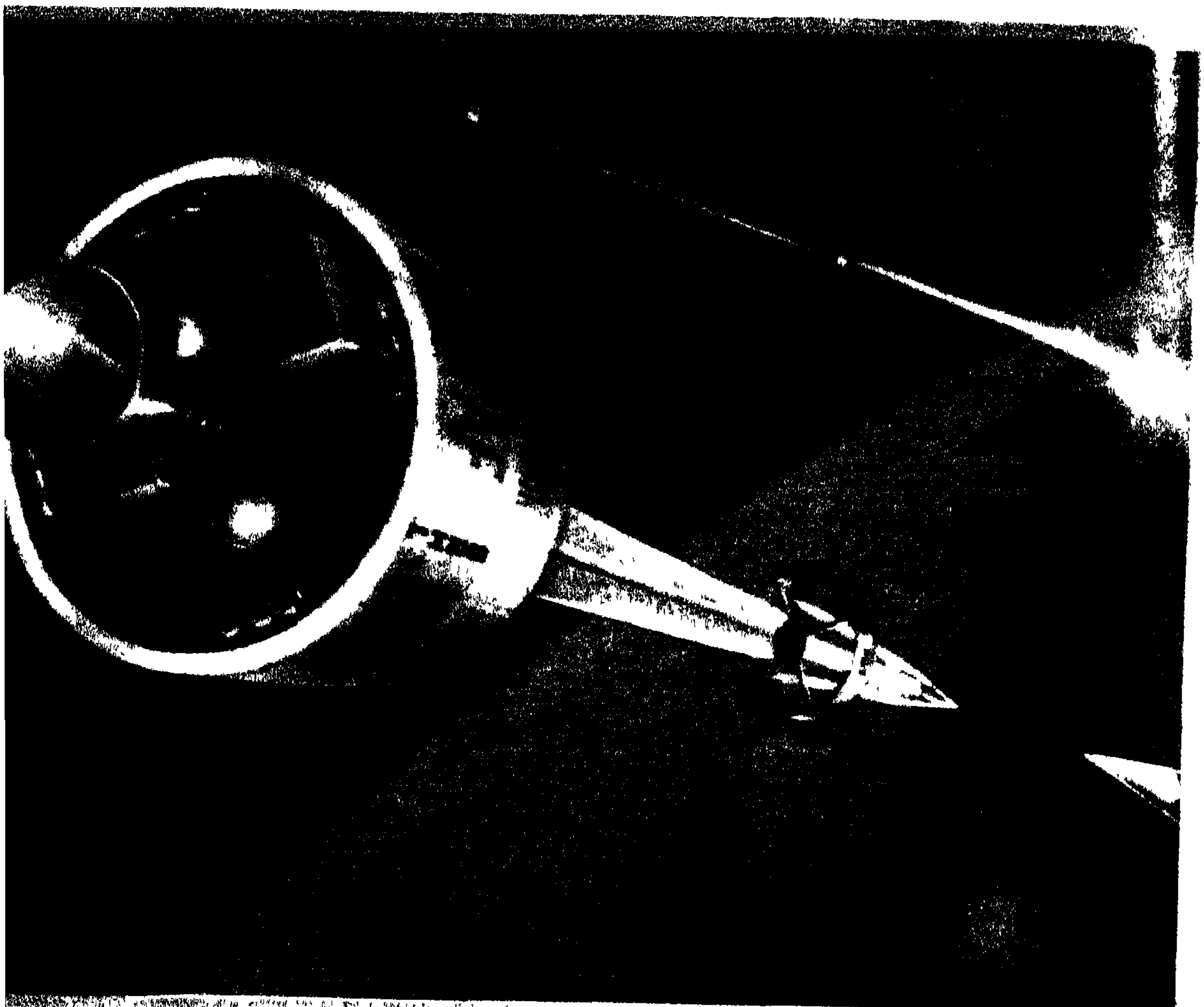
٢ ـ مرحلة انفصال الرؤوس القتالية للصواريخ

٣ ـ الرؤوس القتالية وهي في مرحلة ضرب الوسطى

٤ ـ الرؤوس القتالية في مرحلة الطيران الأخيرة

يجب ان تتم مطابقة عمل مختلف انساق مكونات الانظمة المضادة للصواريخ وقيادتها بواسطة « انظمة القيادة الدنيا » التي تتألف من « كمبيوترات » كثيرة تنفذ المهام الدنيا التالية : جمع المعلومات الجديدة عن الصواريخ الباليستية المنطلقة ، وتحليلها الأولي وتصحيحها ، وحساب « مسارات الصواريخ والرؤوس القتالية المنفصلة عن هذه الصواريخ

* كاتب وباحث في الشئون العسكرية ، ومدير تحرير مجلة الاستراتيجيا العسكرية السورية



● ـ محطة فضائية مزودة بمدفع كهرومغناطيسي ، إحدى المنظومات المضادة للصواريخ ، وبخاصة الباليستية ، العابرة للقارات ، والأهداف الفضائية والجوية . هذا المدفع قادر على إطلاق قذائف وزنها ٢٥ كغ ، بسرعة ٣٥ كم في الثانية ، إلى مسافة ٥٠٠٠ كم

بتوجيه الأسلحة الليزرية ، وأسلحة الحزم « المدافع الكهرمغناطيسية » ، وطائرات اعتراض الصواريخ المزودة بالصواريخ المضادة للصواريخ ، وإخراج الصواريخ ذات الرؤوس القتالية غير النووية التي تتوجه ذاتيا ، واختيار خطة تدمير الهدف في نسق الدفاع المطلوب ، وتصحيح المعطيات حسب درجات التدمير ومستوياته ، وتكرير العملية أو العمليات

... ذلك يجب مطابقة المعلومات المتلقاة بصورة ... من مرسلات المحطات القتالية ، مع ... المتعلقة بالموقف الاستراتيجي العام ، ولكن هذه المطابقة غير ممكنة إلا في حالة وجود معلومات عن الحالة الاستراتيجية الجارية والحالية في إحدى مكونات الأنظمة الدنيا التي تعلن باستمرار وتستكمل من المصادر الذاتية أو غيرها من المصادر التي يمكن أن تكون غير ملائمة لمرسلات المحطات القتالية

ولا يمكن دون ربط المعلومات المتوفرة عن انطلاق الصاروخ الباليستي المعادي بالسياق العام للموقف الاستراتيجي تمييز اطلاق الصواريخ الباليستية عن أنشطة العدو الأخرى ، مثل إطلاق الصواريخ الحاملة للأقمار الصناعية ، واطلاق صواريخ للتنبؤ

بالأحوال الجوية بصورة ناجعة ، وغيرها ، لذلك يتعين إدخال جميع مكونات الموقف الاستراتيجي مبرمجا على لغة الكمبيوتر في أنظمة للقيادة القتالية الأرضية ، فيتحول مباشرة إلى تركيبات معقدة ، ضمن عناصر الذكاء الصناعي

لقد أصبحت هذه الحقائق معروفة في أيامنا هذه لدى جميع العاملين في « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » أو « حرب النجوم » ، ولذلك فقد سخنت حدة المناقشات على ضوء هذه المتطلبات ، وبخاصة لكل ما يتعلق بأنظمة للقيادة الدنيا ، وأعني بذلك « كمبيوترات » الذكاء الصناعي التي مازالت حتى الآن قيد التصميم في الولايات المتحدة الامريكية ، وما يتعلق بكل ذلك من مشكلات كثيرة

النسق الأول والأسئلة الحرجة

تتوقف فعالية المنظومات المضادة للصواريخ برأي السيد ج فلتشر ـ رئيس لجنة البيت الأبيض ، لحرب النجوم ، المشكّلة عام ١٩٨٣ـ بكاملها على النسق الأول فهو الذي يتمتع بأهمية حرجة ـ كما يقولون في لغة العلم الحديث ـ لعمل المنظومة كلها وقيامها بوظيفتها يوافقه في الرأي عمليا جميع أنصار برنامج حرب النجوم والعاملين فيه

حيث تتوفر في النسق الأول ميزات ثلاث الأولى أن الصواريخ البالستية وهي في مرحلة طيرانها الأول تدمر مع ما تحمله هذه الصواريخ من رؤوس قتالية ، إذ يرتفع عدد الأهداف في القطاع الأوسط من مسار طيران الصاروخ عشرات المرات بل حتى مئات المرات

وتتلخص الميزة الثانية بسهولة كشف اطلاق الصاروخ الباليستي ومتابعة الصاروخ في المرحلة الدنيا من مسار طيران الصاروخ الباليستي بفضل الأشعة تحت الحمراء الهائلة التي تنطلق من عادم محرك الصاروخ ، بينما يتعذر ذلك كثيرا بعد انفصال الرؤوس القتالية من جسم الصاروخ

والميزة الثالثة تنبثق عن كبر أبعاد الصاروخ بالمقارنة مع الرؤوس القتالية ، مما يسهل مهام تدمير الصاروخ الباليستي العابر للقارات

ومن المفترض أن النسق الأول إذا لم يعمل بفعالية ، تصبح إمكانات الأنساق الأخرى أو التالية في اعتراض الصواريخ والأهداف صعبة جدا ، لذلك تذكر الوثائق الأمريكية الرسمية ضرورة تدمير الصواريخ والأهداف بنسبة ٩٠٪ في مرحلة الإطلاق الأولى من أجل تأمين « القدرة الحيوية » للمنظومة كلها

أكد الجنرال ج ابرامسون مدير منظمة تنفيذ « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » أن تشكيل منظومة الأسلحة ، وتأمين استخدامها في النسق الأول باعتبارها من أهم مستويات المنظومات المضادة للصواريخ في برنامج البحوث والتصميم الخاص بمبادرة الدفاع الاستراتيجي يولى عناية كبرى

إلا أن العاملين في برامج « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » ومعظم الاختصاصيين الأمريكيين يعترفون أن فعالية عمل المنظومات المضادة للصواريخ في النسق الأول ستتوقف على عناصر زمنية كما بينت « لجنة فليتشر » لقد بينت الوثائق الامريكية الرسمية أن مرحلة الإنطلاق الأولى للصاروخ الباليستي العابر للقارات تستغرق ٤ ـ ٥ دقائق إذا أدخلت تحسينات هائلة على هذه الصواريخ ، ويمكن تخفيض هذه المدة إلى ١٨٠ ثانية ، إلا أن أحد كبار الاختصاصيين في شركة أمريكية كبرى تقوم بتصميم هذه الصواريخ وإنتاجها قد أكد أن هذه المرحلة ستخفض إلى ٥٠ ثانية فقط

لذلك يطرح عدد كبير من الاختصاصيين الأمريكيين المعادين لهذه المبادرة « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » السؤال التالي كيف سيمكن اتخاذ قرار خلال عدة عشرات من الثواني ؟ وكيف سيمكن تحريك المنظومات المضادة لهذه الصواريخ وتشغيلها وهي قابعة في سقفها الفضائي خلال عدة ثوان دون إجراء بعض التحضيرات الأولية ؟ وهل سيكون الوقت كافيا لاتخاذ القرار من قبل الإنسان ، أم أن كل شيء سيقرر بصورة « اوتوماتيكية » ؟ وإلى أي مدى ستكون منظومة القيادة المؤتمتة للأعمال القتالية

ـ ـعة ؟ وكم سيؤثـر دلـك عـلى الاستقـرار الا ـ ـراتيجي ؟

حـ ـابات الزمن وقرار الضربة المضادة

ـوقف بادي دي بدء عند عمليات اتخاد القرار مں قـبل القيادة السيـاسيـة للولايـات المتحـدة الامريكية ، لاستخـدام الأسلحة النـوويـة حسب تصورات العلماء الامريكيين ردا على تسلم معلومات عں قيام العدو بـاطلاق صـواريخ بـاليستية عـابرة للقارات حاملة للرؤوس النووية

دكـرت المعلومـات التي نشـرتها إدارة الـرئيس ريعں ـ صـاحب المبـادرة ـ أن معـالجـة المعلومـات الواردة عں اطلاق الصاروخ يحتاج إلى عدة دقائق إلى حيں اتخاد رئيس الولايات المتحدة قرار تـوحيه الصرىة المصادة

ولكں الخبراء الامريكيين قد أكـدوا أن معالجـة المعلومـات الواردة من الاقمـار الصناعيـة الخاصـة بالإبدار عں الهحوم الصاروحي وإرسالها يستعـرق دقيقتيں على الأقل

سلطت الصحافة الأمريكية الصـوء على آليـات اتخاد القرار المتعلق « بالصرىة المصادة » ، بعد تلقي المعلومـات مں الأقمـار الصـاعيـة ، ومں محـطات الـرادار الأماميـة تعطى دقيقـة للتحقق منها عبـر الادارة المركزية الموحدة للدفاع الحوي الفصائي مں امـريكا الشمـالية « سـوراد » ، ولا تعد المعلومـات الواردة موثوقة إلا إدا أيدها نسقاں مں أنساق الإندار ، محطات الرادار ، ثم تعطى دقيقة للتحقق من صحة عمل المطومة ، ثم تمر ٣٠ ثانية ويىقـل الصابط ـاوب صورة الموقف إلى قائد « بوراد » أو إلى نائبه ادا كان عائبا ، فيرفع الأخير تقريره إلى مقر القيادة القومي في واشىطں ، لإيصـال هده المعلومـات إلى رئـ ـ الولايات المتحدة ليقوم باتخاد القرار المناسب

ـ ـرى الخبراء أن الاحراءات المذكـورة يجب أن ىطـ ـ مع شرطيں أساسيين على الأقل أولا يعد الـ ـ على أساس حسابـات الرمں الـلارم لإطلاق الـ ـ ـريخ العـابرة للقـارات ، لـدلـك يؤحـد في ـ ـ رمں طيران الصواريخ الـاليستية العـابرة للقـارات وهـو ٢٥ ـ ٣٠ دقيقـة ، ورمں طيـران الصواريخ المنطلقة من **الغواصات** الذرية وهـو ٨ ـ ١٢ دقيقة ثانيا عندما تكون الصواريخ الباليستية في القطاع الفعال (أي القطاع الابتدائي) يجب على رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، أو نائبـه اتخاذ القرار بنفسه (عامل بشري) لتجنب الخطأ الذي يقع فيه « الكمبيوتر »

ولكں مثـل هـده الاحـراءات لا تتجـاوب مـع متطلبات الموقف بعد نشر حميع المنظومات المصـادة للصـــواريـــخ التي تعنيـهـا « مـبـادرة الـدفـاع الاستـراتيجي » ، اللهم ما عـدا حالـة تكون فيهـا الولايات المتحدة قد عقدت العزم على أن تكون هي المبادرة أولا بتوحيه الضربة الأولى

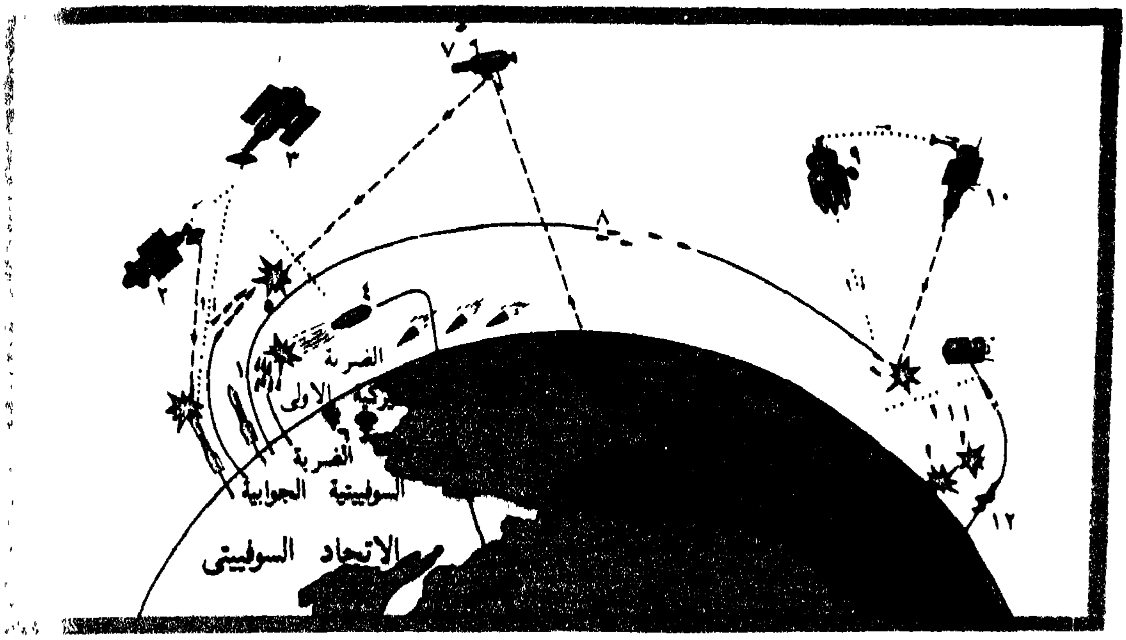
وتتبى محموعة الاحتصاصيين في واشنطں مفهوما للضربة المصادة ، يقوم على « سيناريو » ريادة فعالية السق الأول صد مطومات الصواريخ ، لاتستعرق فيه عملية اتخاد القرار كلها أكثر مں ثانية واحدة ، ولكں ذلك يعي بالصرورة أن عملية اتخـاد القرار كلها يجب أن تكون مؤتمتة

لهـدا فقد بـيں اتخاد العلماء الامـريكيين في هـدا الصـدد قائـلا يمكں حـل مشكلة اتخـاد قـرارات متسلسلة أكثر تعقيدا حلال ثانية واحدة ، في حـالة واحـدة فقط هي عـدم مشـاركـة الإنسـاں في هـده العملية

ومں رأي الخبراء أيصا أن تحّول سلسة إحراءات اتخاد القرار على الأنظمة المؤتمتة يتوقف على إمكانات المجموعة القتالية على الصمود أمام التدابير المصادة التي يقوم بها الخاصم الاحر ، أو العدو بالتحديد

حيرة الإدارة الامريكية

بيں هدا وداك تقف إدارة الرئيس ريعں وانصارها في وصع شديد الحساسيـة والدقـة ، أو في (حيص بيص) كما يقول شاعرىا الكبير أبو العلاء المعري ، فالاعتراف بصرورة مشاركة الإنسان في عملية اتخاد القرار يعي الاعتراف بوحود نوايا تـوحيه الصـربة الأولى ضـــد الاتحـــاد الســوفييتي و « اقـتـنـاص » الصواريخ الاستراتيجية بواسطة المنطومات المصادة



● ـ مخطط المنظومة الامريكية المتعددة الأنساق المضادة للصواريخ المرابطة في الفضاء

١ ـ القطاع الفعال من محرك باليستي عابر للقارات
٢ ـ محطة فضائية قتالية ٣ ـ قمر صناعي للانذار المبكر
٤ ـ صاروخ ليزر روسنجي اطلق من غواصة حربية
٥ ـ انفصال الرؤوس القتالية للصاروخ الباليستي
٦ ـ جهاز ليزر للطاقة
٧ ـ مرآة ليزرية لعكس الأشعة الليزرية
٨ ـ القسم الوسطى من محارك الرؤوس القتالية
٩ ـ قمر صناعي للدلالة على الهدف
١٠ ـ سفينة فضائية مع مسرّع
١١ ـ القطاع النهائي من محرك الرؤوس القتالية
١٢ ـ مجموعة صواريخ الاعتراض
١٣ ـ صواريخ مضادة للصواريخ قريبة المدى لحماية المدن

للصواريخ ، هذا من جانب ، ومن جانب اخر فإن الموافقة على خطط تحويل عملية اتخاذ القرار على النظام (المؤتمت) الكامل يلاقي موجة من المعارضة السياسية العارمة لقرنهم إياها بمفهوم « الاطلاق بمجرد الكشف » ، أي إطلاق الصواريخ الامريكية مباشرة بعد وصول اشارة انطلاق الصواريخ المعادية

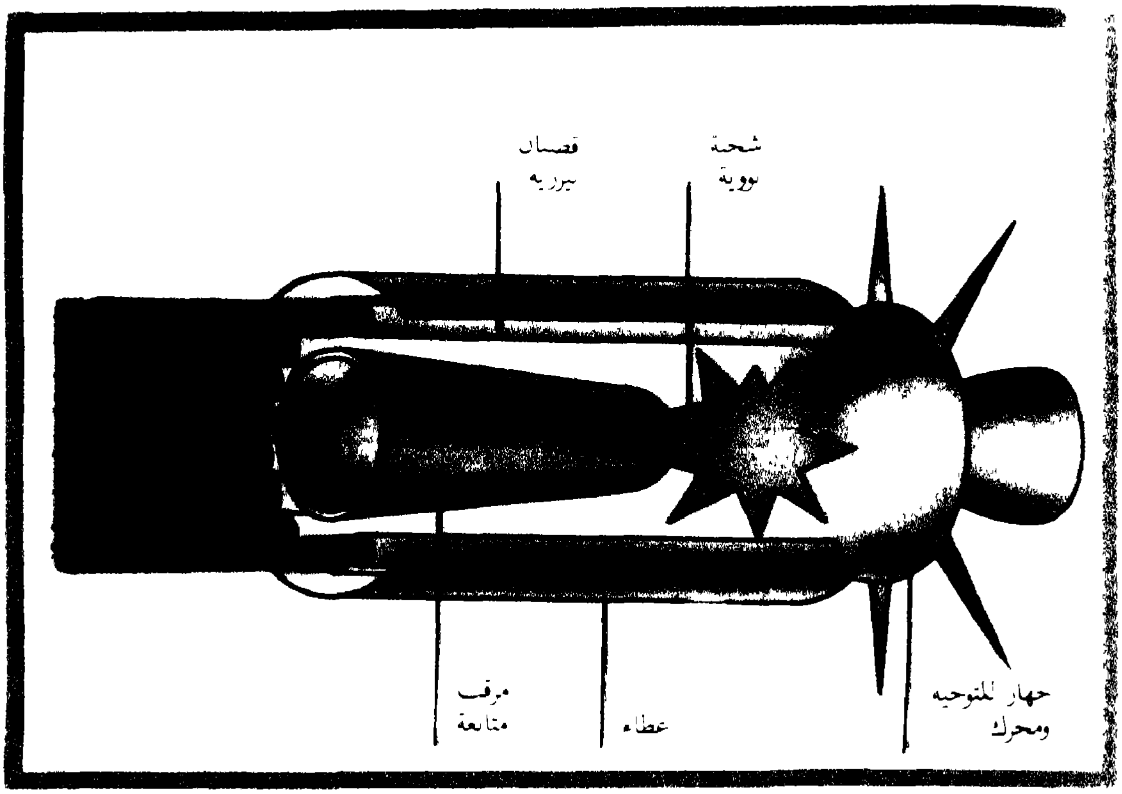
لذلك يرى الاختصاصيون أن طرائق اتخاذ القرار بصورة مؤتمتة يعني أنهم قد عملوا حساباتهم على أساس إطلاق المنظومات المضادة للصواريخ ، مع انطلاق الصواريخ الاستراتيجية الامريكية ضد الاتحاد السوفييتي

إن اختيار إدارة الولايات المتحدة الامريكية للطريق الثاني ، طريق اتخاذ القرار بصورة مؤتمتة ، يعني وضع حد للمشاركة في النقاش الدائر حول هذه المشكلة

صرح السيد ج . كيورت المستشار السابق للرئيس ريغن للشؤون العلمية والتقنية فقال : إني أؤيد بكل قوة فكرة الأتمتة الكاملة لعملية اتخاذ القرار ، على اساس أن تلك الفترة القصيرة من الزمن ومقدارها ٢٤٠ ثانية ـ هي قطاع الطيران الابتدائي للصاروخ الباليستي العابر للقارات ـ غير كافية لاتخاذ القرار اللازم من قبل الإنسان . وقال مساعد وزير الدفاع السابق ر . بييرل : « إن قضية مشاركة رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، أو غيره ، في اتخاذ القرار قد أصبحت ثانوية »

مشكلات عويصة ومعقدة

وضعت مسألة اختيار طريقة الأتمتة مشكلات ومسائل جديدة أمام العلماء والمصممين ، من أكثرها صعوبة التعرف الصحيح على الهدف ، أي على الصاروخ المنطلق ، وتمييزه عن الأهداف الكاذبة .



● ـ مخطط لليزر « رونتجن » ذي حشوة نووية ، مخصص لتدمير الصواريخ البالستية في المحرك الفعال الابتدائي . وهو جزء من منظومات السلاح الأولى ويتولد الاشعاع الرونتجيني من تفجير الحشوة النووية

وعن التشويشات الطبيعية ، والصناعية

ولا يأمن ذلك بالتحقق من هوية الصاروخ أو الهدف حسب دلالة واحدة مثل السرعة ، والأبعاد ، وحرارة العادم ، بل حسب مجموعة من الدلالات ، لذلك فإن الإشارات التي ترسلها المرسلات ، ستعالج في الوقت نفسه أو مع ظهور تقييم مظاهر الصاروخ

لكن من المعروف أن وسائط الحماية الموجودة ، والتشويش الالكتروني ، تؤثر حتما على منظومة المتابعة ، وتتولد أوضاع تكون فيها عدة أقنية من أقنية معالجة المعطيات ممتلئة ، ولا تعمل أو تعطي اشارات متناقضة

سحم عن ذلك مسائل معقدة ، محيرة ، مثل ماذا سيعين عمله لاتخاذ قرار تدمير الصاروخ ، أو الهدف ؟ وهل سيكفي عدم عمل أحد أقنية منظومة التعرف على الهدف أو الصاروخ لإلغاء قرار تدمير ذلك الهدف أو الصاروخ ؟ أليس ممكنا توقف قناتين أو أكثر ؟

لو أدخلنا في حسابنا ما بلغته وسائط التشويش الالكتروني « الحرب الالكترونية » من مستويات رفيعة فإن ذلك يوجب إدخال هذه المستويات في صلب تصميم المنظومات المضادة للصواريخ ، وإلا فماذا سيكون الأمر ؟

إن انخفاض عتبة عمل منظومة التعرف على الصواريخ أو الأهداف تجعل المنظومة تتجاوب مع إشارات ليس لها علاقة بانطلاق الصواريخ المعادية

وتتأتى الأخطاء الأخرى من خطأ أو أخطاء البرمجة ، ونعني بذلك برمجة « الكمبيوترات » وأخطاء البرمجة لايمكن تلافيها مهما كانت دقيقة

في الآونة الأخيرة تعالت أصوات نقاش حاد حول « سلاح الطاقة الموجهة » ، ومشكلات تأمين محطات الطاقة الموجهة بالطاقة نفسها ، وهي من منظومات الدفاع ضد الصواريخ ، علما بأن الطاقة الموجهة تحتاج إلى كميات هائلة من الطاقة

أخطاء البرمجة وتدمير العالم

بالنسبة لأخطاء البرمجة نضرب المثل بما حدث لبرنامج قيادة السفينة الفضائية « جيميني - ٥ » ، فقد تبين أنه لم تدخل في الحساب حركة الأرض بالنسبة للشمس ، فنجم عن ذلك انحراف السفينة عند الهبوط عن مكان هبوطها المحدد مائة ميل (١٦٠ كم) .

وقد ذكر الباحث الاميركي غ ليس لايجب القيام بدراسة مسبقة لطبيعة الأخطاء ، ولا لأعدادها التي وقعت في مرحلة التخطيط ، ولا في مرحلة التصميم ولا يمكن تدارك عدم الوقوع في هذه الاخطاء إلا إذا كشفت قبل وقت كاف من الزمن أو بصورة مسبقة إنه لا يوجد غير طريقتين حقيقتين لتقدير نجاح البرامج الطريقة الأولى تحليلية ، وذلك بالتحقق من صحة البرامج بالطرق الرياضية ، ومقارنة نتائج الحسابات حسب معايير موضوعة سابقا ولكن من عيوبها عدم قدرتها على ضمان صحة عمل البرامج، عندما تأتي إشارات غير متوقعة ، ولا متنبأ بها

الطريقة الثانية وهي أكثر أهمية ، وهي « التحقق التجريبي » ، ولا يمكن تجريب المنظومات المضادة للصواريخ في شروط قريبة جدا من الواقع ، والسبب ليس في الكلفة الهائلة لهذه التجارب فحسب ، بل إن الاتحاد السوفييتي سيشك كثيرا في براءة هذه الكثرة الهائلة من الصواريخ التي يجري تجريبها ، وسيرى أنها ضربة أولى موجهة اليه عن طريق الخدعة بالادعاء أنها تجريبية

ويولي الاختصاصيون في الولايات المتحدة اهتماما كبيرا بمسائل البرمجة ، وتأمين البرامج « للكمبيوترات » الخاصة بقيادة المنظومات المضادة للصواريخ وهم في هذا يهتمون بمشكلتين الأولى مهمة تلافي الأخطاء الملاحظة بعد البرمجة ، والثانية تنظيم المعالجة

المهمة الأولى تتعلق باسطوانة البرنامج المحسوب لمعالجة المعلومات خلال مدة زمنية حقيقة ، يمكن أن تعمل هذه الاسطوانة مع نوع من « الكمبيوترات » ولا تعمل مع نوع آخر ، حتى ولو كان الاختلاف بسيطا ، كما أن الخطأ الذي حدث مرة قد لا يتكرر لمعرفة كنهه وتلافيه ، وهذا ما يحدث غالبا ، و بين وضع البرنامج مرة أخرى ، وعندئذ تكون نسبة ارتكاب خطأ جديد في البرمجة تتراوح بين ١ - ٥٠٪ .

أما المهمة الثانية المتعلقة بتنظيم المعالجة فقد بين الباحثون الامريكيون أنه من أجل تحقيق مشاريع إعداد برامج « للكمبيوترات » العائدة لمبادرة الدفاع الاستراتيجي ، يتطلب عمل ٣٠٠ ألف شخص في السنة ، أي ثلاثة آلاف اختصاصي يعملون خلال مدة ١٠ سنوات وهذه المدة الطويلة سيعتورها تبديل العاملين في المشاريع البرمجية لأسباب مختلفة كالوفاة والمرض والانتقال إلى أماكن جديدة ، وتبدل أنواع العمل ، وغيرها من الأسباب وهذا قد يؤثر بصورة سلبية على البرمجة كلها ، إذ سيقوم عدة أشخاص بوضع برنامج واحد ، ولكل إنسان أسلوبه وخبراته وطاقاته ، فقد يهتم أحدهم بنوع من التفاصيل ، بينما لا يهتم اخر بها ، وقد تكون لبعض الأمور أهميتها ولا تكون للأخرى ، وقد يتنبه بعضهم بعض الأسلحة وخواصها ، بينما يستعصي ذلك على اخرين

عموما تتلخص المشكلة ليس في وجود أو عدم وجود الخطأ في برنامج المنظومة ، ولكن في احتمالات وجود أخطاء مسموح بها كُمُونيا من بين ملايين الاحتمالات مسألة وجود « مجاهيل في المجهولات » ، أي عن تلك الأخطاء المستترة التي تبقى كامنة دون إمكان التنبؤ بها لذلك نجد عددا كبيرا من الاختصاصيين في حرب النجوم ، يميلون إلى الاعتقاد أن إيجاد أنظمة تحتية للقيادة ناجحة تماما امر قليل الاحتمال ، واحتمالات الخطأ في عمل المنظومات المضادة للصواريخ ، وفي تفاقم النتائج العارضة الناجمة عنها عالية جدا

إدارة ريغن تصر

يورد رجال إدارة الرئيس ريغن ثلاث « حجج أو « براهين » لتبرير مستقبل التحول إلى عمليات

اد القرار بصورة مؤتمتة ، وأن دلك التحول لن ن مدعاة لنشوب الحرب النووية ، بسبب أخطاء مة عن « الكمبيوتر »

لا إستغلال إمكانات « المعجزة التكتيكية »

. كن يبقى الأمر كما قلنا سابقا ، فالصعوبة الرئيسية نست في نجاح « الكمبيوتر » ، بل في نجاح البرامج ، أي في حدوث أخطاء خوارزمية

ثانيا بدء المواجهة النووية ، ربما يكون نتيجة توترات طويلة الأمد ، مما يصع القيادة الامريكية في وضع « الجاهرية » لاتخاذ التدابير في الوقت الماسب ، وبالتالي « القرارات » ولكن الخبراء الامريكيين يعترفون أن هدا « السيناريو » « المفترض » ليس إلا واحد من « سيناريوهات » كثيرة ستكون رهينة « الكمبيوترات » العسكرية

ثالثا ان بدء عمل المنظومات المصادة للصواريخ لن يؤدي إلى تدمير الصاروخ أو الصواريخ مباشرة لدى العدو ، بعد ظهور إشارات خاطئة من « الكمبيوتر »

مع اعتبار العوامل الجغرافية ، وشكل الأرض ، يمكن أن تعمل منظومات النسق الأول المصادة للصواريخ من الفضاء ، لذلك يتصور الاختصاصيون وجود نوعين من المجموعات الضاربة في المستقبل (١) ما يسمى بمجموعات الاطلاق المفاجيء (٢) المحطات القتالية المزودة بأسلحة ضاربة موجودة في وضع المناوبة الثابتة ، في مدارات مخصصة حول الأرض . بالإضافة إلى استخدام المرايا المرابطة في الفضاء للأسلحة الليزرية ، وتسديدها إلى صواريخ العدو

تولي الولايات المتحدة الامريكية اهتماما كبيرا بسلاح الليزر الرونتيجي الذي يطلق من الغواصات الذرية ، المرابطة قرب السواحل المعادية ، وذلك بهدف تقليص المسافة بين الوسائط المصادة للصواريخ الامريكية ومناطق انطلاق الصواريخ السوفيتية ، مما لا تقل عن ١٢٠٠ كم ، مما يحتاج على الأقل إلى ١٢٠ ـ ة لاستخدام منظومة الليزر منذ بدء انطلاق ـ اروخ أو الصواريخ الباليستية العابرة للقارات ـوق كل ذلك لا تستطيع الغواصات بقوة خصائصها التكتيكية إطلاق جميع المنظومات المضادة للصواريخ دفعة واحدة ، بل بالتتابع ، مع المحافظة على فواصل زمنية بين كل إطلاق وآخر ، لأن الغواصة لاتتحمل من حيث بنيتها قوة انطلاق الصواريخ دفعة واحدة وهذا سبب من أسباب عدم إمكان استخدام جميع المنظومات المضادة في النسق الأول ، كما ادعى الخبراء ، اللهم إلا إذا وجهت الولايات المتحدة الضربة الأولى ، ثم ادحرت النسق الأول للضربات المصادة

هل يجدي الإنذار ؟

ذكر الجنرال **ابراهامسون** أن تنشيط المنظومات للصواريخ ، بما في ذلك تشغيل « الكمبيوترات » ، لن يحدث إلا في مرحلة الأزمة ، فقال في لحظة نشوب الأزمة يستطيع رئيس الولايات المتحدة الامريكية اتخاذ القرار بصورة مسبقة ، وينذر الروس قائلا لهم « انى أشغل الجزء المهم من المنظومة بصورة ممتازة » وهذا يعني أن التشغيل سوف يكون « اوتوماتيكيا » ، اعتمادا منه على أن مثل هذا التدبير سيقلص التوتر ، ويخفص من حدته

إن الموقف الاستراتيجي السائد في العالم على الرغم من معاهدة واشنطن لإزالة الصواريخ المتوسطة المدى ، وعلى الرغم من محادثات جنيف الحالية ، وعلى الرغم من اتفاقات قمة موسكو مازال كما هو و « حرب النجوم » مازالت على حالها ، لم تمتد إليها المحادثات ، لإصرار الجانب الامريكي على عدم المساس بها في أي محادثات ، وهي تحمل في طياتها ـ شاء أنصار حرب النجوم أو لم يشاءوا ـ أخطار نشوب حرب نووية بالصدفة أو بالخطأ ، أو بالعمد ، بالأسباب جميعها ، إذ تزداد المجاهيل الرياضية ـ إن صح هذا التعبير بلغة الرياضيين ـ والأمر يبقى دوما في رغبة الامريكيين في التفوق بلا حدود على عدوهم مهما كان الثمن وحرب النجوم تفتح لهم أبواب التفوق على مصاريعها ، وتخل بالتوازن الاستراتيجي ، وتهدد العالم بالخطر النووي ، وبعدم الاستقرار الدولي □

صدر العدد الجديد

العربي الصغير

أكتوبر
١٩٨٨



مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير: د. محمد الرميحي



يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين

في هذا العدد







البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

- ■ الرضاعة واليوجا
- ■ الآثار السلبية لكتب الأطفال المترجمة



الرضاعة واليوجا

بقلم : الدكتورة أمل علي المخزومي

يتفق الأطباء وعلماء التربية على أهمية الرضاعة الطبيعية للوليد والأم معا . . ولكن ، هل من طريقة ترضع بها الأم وليدها دون انفعال أو توتر نفسي ، لتوفر للطفل جواً نفسيا ملائما ؟

انتشرت رياضة الليوحا في أوربا في الآونة الأخيرة ، بعد أن كانت محصورة في الهند وسبب ذلك هو اندفاع الاوربيين وراء الرشاقة والتحلص من التوترات النفسية عن طريق الاسترخاء المصاحب لتلك الرياضة ، واعتقد أن المرضعة في أمس الحاجة الى ممارسة تلك الرياضة لفوائدها الكثيرة حاصة أثناء الرضاعة ، ولأن بعض الأمهات من دوات الولادة الحديثة لست لديهن فكرة واصحة عن متطلبات فترة ما بعد الولادة ، وهل يرضعن أطفالهن بالطريقة الطبيعية أم بالطريقة الاصطناعية ؟

والرضاعة الطبيعية تساعد على تقلص الرحم ، ويعتمد التقلص على نوعية الجلسة عد الإرضاع وأحسنها هي الجلسة التي تشبه جلسة اليوحا ، وسأتي على شرحها كما تساعد الرضاعة الطبيعية على ازالة التوتر ، وكهربائية الجسم الحاصلة لدى الام ، ودلك من حلال تبادل النظرات بين الام والرضيع أثناء الرضاعة ، وما يرافقها من دفء وحنان حلال حضن الأم لرضيعها وضمه الى صدرها اضافة الى التحلص من الحليب المتراكم في الثدى الدى إن لم يرضعه الطفل يسبب مشاكل لا حصر لها من آلام وقيح كما توفر طريقة الرضاعة الطبيعية الجهد الذى تبذله الام في اعداد وجبات الحليب للرضيع

كذلك تساعد الرضاعة الطبيعية الرضيع على اكتساب المناعة ضد الأمراض المختلفة لاسيما الاسهال كما أن تركيز نسب المواد الموجودة في حليب الام ينتظم حسب نمو الرضيع وتكون افرازات الثدى في الأيام الثلاثة الاولى غنية بالاملاح والبروتينات وقليلة الدسم ، ويطلق عليها (الكولستروم) ويتحول هدا الكولستروم في اليوم الثالث او الرابع الى لبن عادي ، ويمرر بصورة منتظمة ، وتقدر كمية اللبن التي تفرزها الام من ١ - ٣ لترات يوميا يساعد الكولستروم الناتج من افرازات الثدى الوليد على تنظيف جهازه الهضمي ، اضافة للمواد الغذائية السهلة الامتصاص الموجودة في دلك الكولستروم كما أن وجبة الإرضاع حاهرة في محل نظيف وبحرارة حسب الحاجة ، ويعتبر تدفق الحليب من ثدى الأم عد جوع رضيعها بمثابة الساعة المنبهة للإرضاع ، وتحدث تلك الحالات وان كانت الأم بعيدة عن رضيعها ، كأن تكون في العمل او تمارس نشاطا معينا

تهيء الرضاعة الطبيعية الجو النفسي للرضيع وذلك من خلال التفاعل النفسي والاجتماعي بينه وبين أمه مما يسبغ عليه الراحة والاطمئنان . كما يلاحظ نظرات الرضيع لامه التي تنم عن السعادة ، مع اللعب بيديه ورجليه عندما يشعر بالاطمئنان الكامل . ولا ننسى تجارب هارلو على القردة التي بينت بان القرد يفضل الرضاعة من الأم الطبيعية ، وان عاشت فانه يفضل الأم الإصطناعية الناعمة ، وان عاشت الاثنتان فانه يلجأ للام السلكية ويدل هذا على ان لدفء وحنان الام أثرا في استجابة الرضيع الايجابية لان الرضاعة ليست مجرد اشباع حاجة بيولوجية وانما هي موقف يعتمد على التفاعل الاجتماعي النفسي الحاصل بين الأم ورضيعها وينعكس سلوك الأم الدال على الإسترخاء والاطمئنان على استجابة الطفل كما أن خبرة الرضاعة السليمة تزيد من ثقة الطفل بنفسه ومجتمعه

رياضة نفسية

واليوجا نوع من الرياضة الذهنية والنفسية تساعد على ترويض النفس ، وتحمل كلمة يوجا في اللغة السنسكريتية معنى الاتحاد مع الروح ، كما أنها مشتقة من كلمة « يوك » التي تعني وصل او ربط وتعتبر اليوجا نوعا من العقائد الدينية العريقة التي انتشرت في الهند

واليوجا كانت عدة أنواع في القديم . ولكنها انحصرت في الآونة الاخيرة في ستة انواع تقريبا،منها ما يتعامل مع الخوارق السحرية ، ومنها ما يستهدف القوى والقدرات المعينة ، ومنها ما يتناول الفضائل والواجبات ، ومنها ما ينصب على قيم الحياة اليومية والطقوس المنزلية ، ومنها ما يركز على التصرفات الماسة التي تختص بوسائل التهيؤ للممارسة ، واخيرا يوجا الملوك التي تسعى تعليماتها الاخلاقية والعقلية الى إبراز فضائل الانسان

ولليوجا فوائد اخلاقية اضافة للفوائد الصحية والنفسية يدعي أصحابها بان ممارستها تؤدي الى تطوير الفضائل الاخلاقية للشخص ، لان هناك نوعا من اليوجا يساعد الفرد على التمسك بالعفة ، عن طريق استرخاء التفكير ، يمكن كبت الرغبات واخمادها ، كرغبة الامتلاك أو الاغتصاب او السرقة كما أن هناك تمارين تعمل على إسكات اللسان عن القيل والقال ونقل الشائعات والاكاذيب

اما فائدة اليوجا من الناحية الصحية فانها تفيد الجسم من قمة الراس الى اخمص القدمين ، فهي تساعد العضلات على النمو والمرونة وشدها ، كما انها تعمل على تزويد الدم بالاوكسجين ، ومساعدته على التخلص من غاز ثاني اوكسيد الكربون اضافة الى انها تساعد على توزيع الدم على انحاء الجسم وتمكن القلب من التخلص من الشحوم المتراكمة وتساعد جلسة اليوجا على راحة العمود الفقري والاطراف والاحشاء الداخلية كالمعدة والمجاري البولية والكلى ، وعلى راحة المفاصل ، كما تساعد الجهاز العصبي على العمل بشكله الطبيعي ، والرئتين على اخذ كميات الاوكسجين المطلوبة

ولكل وضع من اوضاع رياضة اليوجا منافع معينة ، فالرياضة التي تعتمد الوقوف على الرأس تساعد في علاج التغضنات والتجاعيد ، كما انها تساعد على تحسين السمع وغسل الدماغ وتقوية البصر

تتدرج اليوجا في حلقات متتابعة من السهل الى الصعب ، والهدف من ذلك اعداد الفرد للوصول الى



مرحلة التفوق العقلي ويستطيع الفرد ممارسة اليوجا في كل مكان وزمان وبدون شروط وتبدأ بفترة خمس دقائق ثم تزيد الى عشر دقائق ، تزاد فترة الجلسات ما استطاع الفرد إلى ذلك سبيلا وعليه أن يرتدي ملابس مريحة ، وغير ضيقة كي تساعد الدورة الدموية على العمل بالشكل المطلوب

يوجا للمرضعة

تستطيع المرضعة أن تمارس « دهارانا » وهو اسم يطلق على المرحلة السادسة من مراحل اليوجا التي تتضمن الاسترخاء والتركيز ، وتعتبر مفتاحا للعمليات العقلية وكلمة « دهارانا » مشتقة من الكلمة التي تعني « امساك » التي يقصد بها بأن هناك قبضة قوية وحازمة تمسك العقل . ويلعب عامل التركيز دورا مهما في ذلك ويستعمل اصحاب اليوجا اصطلاحات لوصف الموقف بـ « التوحه الوحيد » ويقصد به الانقطاع عن مصادر الحس من خلال التركيز على فكرة واحدة أو على شيء واحد بحيث يتوصل العقل في استبعاد الأشياء الأخرى

يجلس اليوجي في هذا النوع من الرياضة على بعد مترين تقريبا من العلامة التي يضعها لغرض تركيز النظر عليها كأن تكون على حائط خال من المشتتات للانتباه كالألوان والصور والاشكال ، او على غصن معين من اغصان شجرة محددة ويصل اليوجي الى مرحلة النجاح عندما يجد جميع الاشياء من حول تلك النقطة قد اختفت ، وان بؤرة شعوره اصبحت في النقطة الدقيقة التي وضعها امام عينيه

إن اكثر الأوضاع شيوعا في هذه الرياضة ، هو وضع القرفصاء ، مع استقرار اليدين المرتخيتين على الركبتين ، وتستطيع الام المرضعة ان تمارس تلك الرياضة اثناء إرضاعها لطفلها ، بحيث تتخذ وضع اليوجي في جلسته وتحتضن طفلها وتركز النظر في نقطة معينة في وجه رضيعها ، وما احلى هذا التركيز بوجه طفل يشع براءة مما يسبغ على نفس الأم الراحة والتأمل اضافة الى أن جلسة الأم في حالة ارضاعها لطفلها في الظروف الاعتيادية تشبه الى حد ما جلسة اليوجي ، الا انها تخلو من تلك النظرة التأملية وتكون الفائدة مزدوجة حين يكون ارضاع الطفل بالطريقة الطبيعية من ناحية وممارسة اليوجا بمنافعها العديدة من ناحية اخرى

ويعتمد ذلك التأمل لدى المرضعة على شخصيتها ، إذ أن الوسائل المساعدة على التأمل تنفع جميع الافراد ، وان اختلفوا فانما يختلفون في نسبة النفع ، وذلك لوجود الفروق الفردية بين الافراد من حيث مواقفهم ، وقدراتهم ، وميولهم ، وانماطهم الحياتية والنشاطات التي يقومون بها ، ومقومات بيئتهم الاسرية ، وخلفياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية ، اضافة الى خبراتهم المختلفة في مجال الحياة

وقد تصاب الأم بالتوتر وزيادة كهربائية الجسم نتيجة للارهاق والتعب الذي يصاحب عملية الولادة وما يتبعها من ليال مفعمة بالسهر للعناية بالوليد ونعلم بأن كهربائية الجسم تزداد كلما ازدادت المثيرات التي يتعرض لها الفرد مما يتطلب منه الاستجابة لتلك المثيرات ، وتتباين تلك الاستجابات تبعا لقوة المثيرات وضعفها ، وتبعا للفروق الفردية وتكون الوالدة في تلك الحالة في موقف مفعم بالمثيرات القوية التي تتطلب منها الاستجابات المستمرة مما يؤدى بالتالي إلى زيادة كهربائية الجسم الذي بدوره يزيد من توترها وصعوبة تكيفها لتلك المواقف ، فيظهر التعب والارهاق عليها أو تنتابها بعض الصراعات النفسية

وتشعر اكثر النساء بالكآبة بعد الولادة نتيجة للتغييرات الهرمونية السريعة التي تحصل بعد الولادة اضافة الى شعور الام بالتعب والسهر من جراء عملية الولادة ، وما يتبعها من عناية بالوليد ويتعذر على الأم المصابة بالكآبة العناية بنفسها وبوليدها ، وهذا النوع من الكآبة يشبه المرض ، ويبدأ عادة في الشهر الأول من الولادة كما يتعذر على الام تقبل دورها كأم ، وقد تشعر

دوانية نحو طفلها أحيانا ، او تحهش بالبكاء
نا احرى . أو تشعر بالذنب دون سبب معين
ان هناك امهات يتناولن طعامهن دون شهية
تطيع الام ان تعالج نفسها بممارسة رياضة اليوحا
استفحال المرض ، ثم تقريب الرضيع اليها شيئا
سيئا وبعدها تستطيع ممارسة اليوحا في فترات
الرضاعة مما يبدد الكآبة

طفلك أولا

قد تلجأ الامهات الى أساليب خاطئة في الرضاعة ، دون أن يدركن عواقبها كأن ترضع الأم طفلها كلما بكى بينما قد يكون لبكاء الطفل سبب آخر غير الجوع

وقد تترك احريات الطفل يبكي جائعا ، والواحدة منهن منهمكة في الأعمال المنزلية أو الحديث بالهاتف أو مع الضيوف وما اليها من اهتمامات ، ولا تعلم الاضرار الناجمة عن هذا البكاء ، كأن تمتلىء معدة الطفل بالهواء الذي كثيرا ما يسبب الإسهال بعد احد وجبة الطعام

وربما تسحب الام ثديها من فم طفلها قبل أن يشبع ، مما يودي به أن يكون قلقا على ثدي امه . وعند الارضاع بحده يعرس اظافره بالثدي او يعضه . وتستجيب الام لهذا الموقف بسحب الثدي أو معاقبة الطفل وهذا الموقف يدعم اسلوب العض لديه . ويكون حلقة مفرغة بحيث يؤدي الى فقدان التفاعل الاجتماعي والنفسي بين الام والرضيع قد تقضي الام على تلك الظاهرة بممارسة اليوحا

وأثبتت الدراسات ان صعوبات الارضاع لدى الامهات العصابيات أكثر من صعوباتها لدى الامهات غير العصابيات لان الام العصابية تستعمل القسوة والعصبية في ارضاع طفلها ومن ثم فإن رياضة اليوحا ترخي الاعصاب وتريح الام

لعله من المناسب أن نوصي الأم مما يجب اتباعه في ... ع طفلها كأن لا تطعمه بغرفة النوم ، وانما ... يحسن ان تذهب به الى غرفة احرى مجاورة ، كذلك عليها احد راحة ونوم هادىء بعيداً عن الضوضاء ، وان كان في الامكان ، يوضع الطفل في مكان آخر بعيد عن غرفة نومها ليتسنى لها احد حاجتها من النوم ، وعلى الزوج أن يتعاون مع زوجته في العناية بالطفل . وان يراقب حاجة الطفل خاصة ان كان الطفل غير هادىء أو يطلب من أي شخص قريب للأم ، مساعدتها على العناية بالطفل وعلى الأم ان تقاسم زوجها أو من هو اقرب الناس اليها همومها ، كي يعاونها على اجتياز تلك المرحلة

وعلى الأم ان تكون اثناء رضاعها لطفلها هادئة مستريحة معتدلة بدون تدليل زائد ولا قسوة أو عصبية وممارسة اليوحا تساعد على ذلك كثيرا

كذلك يستحسن أن تضع الام جدولا زمنيا لارضاع طفلها ، وإذا كانت حلمة ثدي الأم صغيرة فعليها ان تعمل اللازم لجعلها تتمدد بعض الشيء كي يستطيع الرضيع أن يمسك بها بين شفتيه بسهولة وقت الارضاع

أما إذا كانت الأم تعاني من تدفق الحليب أحيانا ، فيجب اخراج كمية من الحليب من الثدي قبل الإرضاع . ويكون اخراج الحليب بالماصة الكابسة أو بواسطة اليد وهذه الحالة لا تحدث إلا في الايام الأولى بعد الولادة ، وتعتدل كمية الحليب بعدها

وقد يحدث تشقق لحلمة الثدي احيانا من جراء مص الطفل لها ، أو عضها وقد لا تجفف الأم حلمة الثدي احيانا بعد كل رضعة مما يؤدي الى تراكم الحليب وجفافه اذا كانت الحالة مزعجة للام وسببت الاما ، عليها استشارة الطبيب

وقد تشعر الأم بتورم في بعض أجزاء الثدي من جراء تجمد الحليب احيانا ، وقد تشعر ام احرى بخروج القيح مع الحليب احيانا ، فعلى الام في هذه الحالة ان تغمر الثدي في ماء حار ، وستشعر بعدها بالراحة اما ان لم تنفع تلك الطريقة فعليها استشارة الطبيب ليصف علاجا مضادا لتلك الحالة وان لم ينفع العلاج يلجأ الطبيب الى اجراء عملية جراحية لاستخراج الحليب المتجمد □

الآثار السلبية لكتب الأطفال المترجمة

بقلم يعقوب الشاروني *

على امتداد الوطن العربي ، أصبح الراشدون من آباء وأمهات ومدرسين ومربين ، يدركون أكثر من أي وقت مضى متطلبات الأطفال واحتياجاتهم الفكرية والعقلية والعاطفية . وأقوى دليل على هذا ، ذلك الازدياد الكبير في مبيعات كتب الأطفال في الوطن العربي . ولكن أصبح البعض يعتبرها سلعة رائجة لا يهتم فيها بجودة المضمون ، قدر اهتمامه بإبهار الشكل ، أو بقدرتها على جذب اهتمام الصغار

النقص في النظرة إلى مرحلة الطفولة وإن كان تأثيرا محدودا ، حمل عددا من دور النشر على أن تقدم للأطفال ألوانا مختلفة من الكتب والمجلات ، فيها مترجم كثير ، أو مؤلف بغير خبرة كافية . وأدب الأطفال في اللغة العربية الذي كان إلى ما قبل ربع قرن يمر بأزمة وجود ، أصبح الآن يمر بأزمة جودة ، أو بعبارة أخرى صارت أزمة الكم التي كان يعاني منها أدب الأطفال ، أزمة في الكيف . فقد توسعت الكتابة للأطفال ، وكثر هواتها والمستفيدون منها . وكثير من هذه الكتابات تتم في غيبة النقد ، وفي غيبة الرقابة الوطنية ، فتجيء أدبا يعوزه من ناحية مقومات الأدب الناجح ، على الرغم من وجود الكتب التي تصممه على رفوف الكثير من مكتبات المدارس الحكومية ، أو بين أيدي الأطفال . وتعوزه من ناحية أخرى تلبية الاحتياجات القومية والفكرية والنفسية والعلمية التي تسعى المجتمعات العربية لتوفيرها لأطفالها .

ولما كانت الخبرة الناضجة بالكتابة للأطفال نادرة وقليلة في الوطن العربي ، فقد لجأ عدد كبير من الناشرين إلى البحث عن كتب ومجلات الأطفال

* رئيس المركز القومي لثقافة الطفل ـ مصر

ـحة في العالم العربي ، يترجمونها ، ويقدمونها
ـن رسومها إلى أطفالنا ، بغير إدراك لما تحتوى عليه
قيم تربوية غير ملائمة لنا ، أو مرفوضة حتى في
ـلاد التي تصدر فيها تلك المطبوعات

ونستعرض فيما يلي بعض القضايا التي تثيرها بعض
ـطبوعات الأطفال المترجمة ، التي تجد رواجا بين
قطاعات كبيرة من أطفالنا العرب

الرجل الخارق والخيال العلمي

تعتمد معظم روائع أدب الأطفال على الخيال ،
والخيال هو أثمن هبة أعطتها الطبيعة للأطفال ، وهو
خيال أوسع من خيال الراشدين وأخصب ، لذلك
ـحرص من يكتبون للأطفال على توسيع آفاق هذا
الخيال وتنميته

وقصص الخيال العلمي في مقدمة ما تثير خيال
الأطفال ، وينمى قدراتهم العقلية ، فأهم قضايا
التثقيف تدور حول البحث في كيفية تهيئة الفرص ،
ليكون في وسع العقل أن يصطنع روابط ،
ويستخرج نتائج ، من مجرد سماع حقائق متفرقة

ويتخذ أدب الخيال العلمي موضوعه من الظواهر
العلمية ، وتوقعاتها المقبلة ، والتنبؤ بها ،
وانعكاسات ذلك على عالم المستقبل ومصير
الانسان إن العالم الألماني « هرمان أوبرت » ،
عندما قرأ في سنة ١٩٠٦ رواية « جول فيرن »
من الأرض إلى القمر » ، أثار خياله ما في القصة من
صور عن عالم الفضاء ، بصواريخه وكواكبه وقذائفه
المتدفقة نحو المجاهل البعيدة ، فتساءل ذلك العالم
الصغير « هل يمكن أن يحدث هذا ؟ » فأجابته
ـه « كل الأعمال الكبيرة تبدأ بالأحلام ، ثم
ـسعى الناس لتحقيقها » ومنذ ذلك الوقت ، أخذ
ـرمان يفكر في المدفع الذي أطلق قذيفة « جول
ـن » نحو القمر بسرعة أحد عشر كيلومترا في
ـنية ، وظل يفكر في كيفية التخلص من الجاذبية
ـضية ، وفي الكيفية التي يمكن أن يصنع بها هذه
ـقذيفة وظلت هذه القضية تشغله ست عشرة

سنة ، طلع بعدها على العالم بمخطوطة في علم
الفضاء ، كانت الخطوة الأولى في إطلاق أول الأقمار
الصناعية حول الأرض سنة ١٩٥٧

كذلك فإن شخصيات قصص الرجل الخارق
للطبيعة ، مثل قصص « سوبرمان » ، « والرجل
الأخضر » ، « وباتمان » وغيرها ، تلجأ إلى تبسيط
الشخصيات ، بحيث تجعل بعضها ممثلا للخير
المطلق ، وبعضها ممثلا للشر المطلق، على الرغم من
مخالفة هذا لطبيعة البشر ، مما يؤدى إلى فهم الأطفال
لمجتمعهم ، والمجتمعات الأخرى فهما خاطئا ،
ويستثير لديهم دوافع التعصب والعدوان ففي كل
إنسان جانب طيب وجانب خبيث ، ولا بد أن يساعد
الأدب على أن يفهم الأطفال دوافع الانسان وأسباب
سلوكه ، وذلك بطريقة مبسطة ، تناسب مراحل
الطفولة التي توجه اليها ما يكتب

إن كثيرا من هذه القصص تدور حول سلسلة
متصلة من حوادث العنف الدموية ، قبل أن ينتصر
البطل الذي يأخذ بناصية المظلومين في القصة هذا
في حين أنه ينبغي أن يكون سلوك أشخاص القصة من
بدايتها إلى نهايتها سلوكا سويًا لا شذوذ فيه ، لأن
الأطفال يتأثرون بالقدوة المتمثلة في أحداث القصة
ومواقفها المختلفة ، أكثر كثيرا مما يتأثرون بعبارة
تدين الأفعال الخاطئة ، ولا تقال إلا في نهاية القصة

كما أن هذا النوع من القصص يؤكد قيما معادية
لكل ما قامت عليه نظم الدول المتمدينة الحديثة
فمن القيم التي يجب أن تشيع في نفوس الأطفال ،
احترام القانون ، وترك مهمة محاكمة المخطىء
والحكم عليه وتنفيذ الحكم ، للقضاء ولسلطات
الأمن فعندما يكون الطفل صغيرا ، نطلب منه أن
يحتكم لوالديه فيما ينشأ من نزاع بينه وبين إخوته أو
أبناء الجيران وفي المدرسة نطلب إليه أن يلجأ في
تلك الحالات الى هيئة التدريس أو مدير المدرسة
وعندما يلتحق بعمل ، لا بد أن يلجأ لرؤسائه فيما
يثور بينه وبين زملائه من نزاع أو خلاف وإلا
استحق العقاب وفي الحياة اليومية ، لا بد أن يلجأ

إلى سلطات الأمن أو إلى سلطة القضاء ، للفصل فيما ينشأ بينه وبين الآخرين من نزاع

لكن كثيراً من قصص الرجل الخارق للطبيعة ، تجعل البطل هو الذي يحدد ما هو الخير وما هو الشر ، وتتركه يحكم بنفسه على الآخرين وبمعياره الشخصي ثم ينفذ بنفسه ما ينتهي إليه من أحكام ، حتى لو كانت الحكم بالاعدام! وبهذا تلغي هذه القصص كل ما قدمه الحضارة من نظام للدولة ، يخضع فيه كل شخص للقانون الذي سنته الجماعة ، حتى لا يُترك الأمر فوضى لوجهات النظر الشخصية التي تُروّج لها وتُعلّيها مثل هذه القصص التي تعطي ذلك الفرد المتفوق الذي يفترض أن يتمثل به الطفل كل سلطات الشرطة والقضاء وأجهزة تنفيذ الأحكام !!

ازدراء الأجناس الملونة

من بين القصص التي تنشرها الكتب والمجلات المترجمة ، عن دور نشر أجنبية ، تلك القصص التي تتضمن ازدراء الأجناس الملونة ، أو احتقار الحياة الانسانية والاستهانة بها ، مثل قصص الغرب الأمريكي التي تدور حول إبادة الهنود الحمر ، أو قصص طرزان التي تؤكد تفوق الرجل الأبيض

إن قصص الغرب الأمريكي التي كثيرا ما تقدمها القصص المصورة المسلسلة في كتب ومجلات الأطفال ، تؤكد لدى أطفالنا شعورا قويا بتفوق الرجل الأبيض ، وبتفاهة حياة سكان أمريكا الأصليين . وبأن من حق الرجل الأبيض أن يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة ، لا يمنعه من هذا أنهم أصحاب الأرض الأصليون

وهذه صورة تُروّج لها حاليا بعض الأفلام المعروضة في الغرب ، وفي أمريكا خاصة إنهم يريدون أن يضعوا في وعي أطفال العالم أن العرب وأهل فلسطين خاصة ، هم هنود حمر في هذه المنطقة ! وهم بذلك يقيمون مشابهة مفتعلة ، تجعل مجتمع الغرب يتقبل عمليات إبادة وقتل العرب والفلسطينيين

وهذه قضية يجب التنبه إليها ومحاربتها ، لا على مستوى الوطن العربي فقط ، بل على مستوى العالم كله ، لأنها أصبحت إحدى الوسائل الأساسية في الحرب النفسية والدعائية ضد المنطقة العربية كلها ويكفي أن نرى الصورة البشعة التي ترسمها كتب الاطفال الصادرة في « اسرائيل » عن الانسان العربي ، وأن نتذكر ذلك النداء المعادى لكل قيم الحضارة والانسانية الذي انتشر منذ سنوات على صفحات كل صحف ومجلات أمريكا ، والذي يقول بغير خجل ولا حياء « ادفع دولارا ، تقتل عربيا »

ومثل هذه الصورة نجدها أيضا في قصص طرزان التي يلجأ فيها هذا العملاق الأبيض إلى استعداء الحيوانات على أهل أفريقيا السود ، تقتل منهم من يرى أنهم أصبحوا أعداء له

ويقول تقرير اليونسكو ، إن هذه القصص « تصور الزنوج أنهم يسلكون سلوك الحيوانات ، ويبدو البيض دائما أرفع منهم وأسمى كما أن الشعور العنصري واضح فيها جدا »

ويقرأ أطفالنا تلك القصص ، ويتحمسون لمواقف يرون فيها طرزان يستدعي أصدقاءه من الفيلة والقرود ، لتهجم على قرى أهل البلاد الأصليين ، فتحطم بيوتهم ، وتهدم أكواخهم ، وتدوسهم بأرجلها ، كل هذا لارضاء نزعات تلك الشخصية التي تتصرف بعضلاتها وغرائزها ، بدل أن تتصرف بعقلها وحكمتها

الأطفال والعنف

ولعل من أخطر ما يقابلنا في كتب الأطفال ومجلاتهم المترجمة ، تلك القصص التي تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل ، والتي تجعل القوة البدنية هي العامل الأقوى في حسم مختلف المواقف وهو أمر نجده في كثير من قصص المغامرات وقصص الجاسوسية ، وأيضا في قصص سوبرمان وطرزان

وفي هذا يقول مؤتمر اليونسكو الذي عُقد في

رس سنة ١٩٥٢ بإيطاليا ، لبحث موضوع الرقابة على صحف الأطفال

، نظرا لما لاحظه المؤتمر على صحف الأطفال من تصويرها الحياة لقرائها ، على أنها سلسلة طويلة من النجاح المؤدية التي يجب عليهم أن يكافحوا تفادها ، ومن الكفاح الدائم « للانتقام » للأرامل واليتامى ومن إليهم ، فإنها تناشد هذه الصحف الحد من عنف موضوعاتها ، وأن تفصل عليها الموضوعات الهادئة المتزنة »

ان هذه القصص تؤدي إلى تصوير العنف تصويرا سهرا أمام الأطفال ، وكأنما فيه حل لكل المشاكل ، في حين أن تاريخ الحضارة هو تاريخ إحلال العقل محل القوة وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل طرزان الذي تربى بين الحيوانات ، والذي لا يعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا القوة البدنية وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل سوبرمان ، الذي يتغلب على كل من يقف في طريقه عن طريق القتل ، عندما نقدم للأطفال مثل هذه القصص في **الكتب والمجلات والتلفاز ، فإن الأطفال** سيسقطون من سلوكهم كل ما قدمه لنا تاريخ الحضارة من وجوب استخدام العقل في حل المشكلات بدلا من القوة

إن مثل هذه القصص تتنافى مع أهم أهداف التربية السلوكية للأطفال فأول ما نهتم بغرسه في أطفالنا ، هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح ، عن طريق استخدام العقل ، مع استبعاد القوة البدنية بشكل شبه كامل

ان « الأوديسا » عندما تحكى قصة « أوليس » مع السيكلوب » ذي العين الواحدة ، تبين كيف يستطاع الانسان الضعيف بجسمه ، القوى بعقله ، ـ يتغلب على ابن الآلهة القوى بجسمه ، الضعيف عقله ومن غير المقبول أن يُعلّم اليونان القدماء ..هم ، منذ ثلاثة آلاف سنة ، الاعتماد على العقل ستعاد القوة لحل المشكلات ، ثم نأتي نحن ، في نهاية القرن العشرين ، لنقص على أطفالنا قصص الجاسوسية ، ومغامرات العنف وطرزان وسوبرمان ، فنلغى بها كل انجازات الحضارة من فكر وحكمة ، عندما نؤكد بما نترجمه لأطفالنا من تلك القصص ، أن القوة هي الوسيلة الحاسمة لحل المشكلات التي تواجه الانسان !!

المنافسة حتى الموت

ومن بين القصص التي تترجم لأطفالنا ، تلك القصص التي تدور حول المنافسة بين طرفين ، وتجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لانهاء التنافس بين الأطراف المتنازعة

ان هذه القصص تقدّم إلى أطفالنا بأسلوب فيه كثير من الفكاهة ، كما تُقدّم عادة بأسلوب « الكوميكس » أو الرسوم المسلسلة وأوضح مثال لها القصص التي تدور حول شخصيات الكارتون « توم وجيري »

ان الموضوع الرئيسي المتكرر فيها هو ما يدبره كل طرف للطرف الآخر من أساليب للأذى !! وإذا كنا نضحك ونحن نقرأ هذه القصص ونشاهد رسومها ، فإن الطفل الذي يطالعها أسبوعا بعد أسبوع في مجلته ، أو يقرأها في كتبه التي يشتريها لنفسه أو نشتريها له ، سيترك في وعيه نمط خاطىء من السلوك ، من السهل تقليده والتمثل به ، لما فيه من تنمية للاحساس بالتفوق على الآخرين ، برغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار

إن كثيرا من قصص الأطفال المترجمة ، بل إن أكثر قصص الأطفال المترجمة رواجا ، انما هي تعبر عن أوضاع مجتمعات تختلف كثيرا في أهدافها عن مجتمعنا ولا بد أن ننتبه لما تتضمنه هذه القصص من أخطار ، على الرغم **مما فيها** من سهولة وجاذبية وتشويق لأطفالنا

إن المواد المترجمة للأطفال لا بد أن تخضع لتدقيق حاسم شديد ، حتى لا تفسد كثيرا مما نريد أن نغرسه ونسميه في أطفالنا □

هو.. هي

تستحق أن تُعاش

● لم أنطر يوما إلى الفقر باعتباره عيبا أو حطيئة ، بل ربما كنت في بعض الأحيان أبالغ واعتبره ميرة تدفع الإنسان نحو العمل بجد واحلاص وتفان حتى يتمكن من تجاور فقره والنجاح في الحياة والعمل ومن أجل هدا كان اعجابي بروحي ، وموافقتي على الزواج منه على الرغم من فقره ، وعلى الرغم من الأعباء الثقيلة التي كان ينوء تحتها فقد كان عليه أن يعيل نفسه وعائلته الكبيرة العدد وعندما تزوجنا لم أطلب منه شيئا إذا عرفت أنه فوق طاقته ، ولم أطالبه بالتوقف عن مساعدة اخوته بعد أن أحيل والده إلى التقاعد ، بل اقتسمت أعباء حياتنا معه حتى شب اخوته ، وحملوا عنه العبء ، وتزوجوا ومضى كل منهم إلى سبيله أما نحن فقد تحسنت أحوالنا المعيشية ، وسددنا جميع التزاماتنا تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين وعندها فقط بدأت الخلافات تدب بيننا بحيث أحالت البيت إلى جحيم أكثر من مرة

إن مشكلة زوجي هو أنه تخطى الفقر عمليا ، لكنه لم يتخطاه نفسيا فهو على الرغم من كل ما حققه في حياته التي لم تكن سهلة أبدا ، إلا أنه بقي أسير خوف مجهول من فقره القديم ، ولأنني أعلم علم اليقين أن زوجي ليس بخيلا ولا فقيرا ، وأنه أضاع أجمل سنوات عمره وهو يعمل من أجل عائلته ومن أجلنا ، فانني أحار في فهم ذلك الرفض المستمر لفكرة الاستمتاع بالحياة ، والسفر ، والتعرف على أماكن جديدة ، واكتشاف انماط حياة مختلفة

وعندما أقول بأن الحياة ليست شقاء فحسب ، وليست عملا فقط ، وإن لنفسك عليك حقا ، وإن لأبنائك عليك حقا ، وأن حقهم في عيش حياة تتناسب وقدراتهم المادية ، دون الاضرار بهذه القدرات أو بالقيم التي نحملها ، فانه يثور ويبدأ بحديث لاينتهي عن أن الحياة لا أمان لها ، وأن من الواجب أن نحتاط لتقلبات الدهر التي لا ترحم

وقد أثر هذا على أولادنا الذين ضاقوا ذرعا بسلوك والدهم الذي يحترمونه كثيرا ، ويقدرون تضحياته غير أنهم لا يقتنعون بما يقول ولا يفهمون حديثه المتكرر عن ضمانات المستقبل لهم ومن أجلهم ، في الوقت الذي يحرمهم من أن يستمتعوا بحياتهم مثل غيرهم من الأصدقاء والأقارب والجيران والأدهى من ذلك ، أنه يعتقد أنني أحرض الأولاد عليه وأستميلهم الى جانبي ، وربما كان زوجي على حق في بعض تحفظاته ، لكن الأولاد هم أيضا على حق ، وإن كان من الصحيح أن الزمن لا يدوم لأحد فان من الصحيح أن نستمتع بحياتنا أيضا وألا ننسى نصيبنا من الدنيا □

.. هي





دنيـا زوال

● لا أكاد أصدق ما يحدث لي هذه الأيام ، ويخيل إلي في بعض الأحيان أنه يحدث لشخص آخر غيري ، لأحد زملاء الدراسة أو لأحد أقربائي أو أحد جيراننا الكثيرين ، ومع ذلك فإنني لا أجرؤ على البوح بهذا الذي يحدث لأحد ، لأنه ليس شيئا جديدا أو مهما أو خطيرا ، بل هو أمر عائلي شديد الخصوصية

المسألة ببساطة أنني نشأت في عائلة فقيرة ، ولأنني أكبر إخوتي فقد وقعت عليَّ بعض أعباء الوالد إلى جانب أعبائي كأخ أكبر . لذا كان علي أن أبذل جهداً مضاعفا في كل شيء ، في الدراسة حين كنت طالبا ، وفي العمل حتى أساهم بما يليق بي كأخ كبير في إعالة إخوتي الصغار . لذا فقد كانت حياتي عملا مستمرا لا مكان فيه للراحة أو النزهة أو السهر ، واليوم ، وقد أصبحت أحوالي المادية على ما يرام ، وضمنت أن أبنائي لن يلاقوا الصعاب التي لقيتها في حياتي ، وأن إخوتي قد نجحوا وتزوجوا فيما عدا واحدا يعيش خارج الوطن من أجل استكمال تحصيله العلمي ، بدأت أسمع من زوجتي كلاما غريبا لم أكن أسمعه من قبل

إنها لا تتوقف عن طلبات الخروج للنزهة أو للسهر ، أو لحضور الحفلات ، وما أن يأتي فصل الصيف حتى تبدأ اقتراحاتها بالسفر إلى هذه الدولة الأوروبية أو تلك أسوة بأصدقائنا الذين ما أن يعودوا من الخارج حتى يبدأوا بالتخطيط للرحلة المقبلة ، وحجتها في ذلك أن هؤلاء لا يملكون من المال أكثر مما نملك ، وأن من حق الأطفال أن يكونوا أندادا للأطفال الآخرين . وعندما أقول لها ألا شيء مضمون في هذه الحياة ، وأن الزمن غادر لا أمان له ، وأن من الأفضل لنا أن نضمن ما بأيدينا حتى لا نفاجأ بيوم نفقد فيه ما جمعناه بعرقنا وجهدنا وكدنا ، تشيح بوجهها غير مكترثة بما أقول ، وتبدأ باستحضار حججها التي لا تنتهي حول ضرورة التمتع بالحياة الفانية الزائلة

إن أكثر ما يؤرقني هو أن أبناءنا يميلون إلى صف زوجتي حين تثار هذه القضية ، مما يجعلني أشعر وكأن تعبي وشقائي ، والعذاب الذي لقيته خلال حياتي قد أفضى إلى عدم ، وأنني في سبيلي الى أن أخسر زوجتي وأبنائي بعد أن خسرت أجمل سنوات عمري وشبابي في العمل من أجلهم . وعندما أحاول أن أوضح لهم ولزوجتي أن ما أدخره من مال هو لهم في نهاية الأمر، وأن أحداً لا يضمن عمره وزمنه ، فإنهم يصمتون ويدعون لأعينهم وحركاتهم المحرجة أن تقول أن هذا الكلام غير مقنع ، وأنه مادام هناك مجال للاستمتاع بالحياة ورؤية العالم ، وتوسيع الآفاق فلم لا نفعل ، وعندها ألوذ بالصمت وأجتر ألمي ولا أقول شيئا ، فإنهم حقا لا يعلمون ◻

..هو



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

طهي الطعام في حساب الربح والخسارة

بقلم : الدكتور حسن فريد أبوغزالة

لاخلاف إطلاقا على أن طهي الطعام فن بشري مجرد لايمارسه سوى الإنسان وحده بين سائر الأحياء والمخلوقات جميعا

وإذا كان عمر اكتشاف الانسان للنار واستعماله لها لايتعدى النصف مليون عام فلا شك أن طهي الأطعمة قد بدأ بعد هذا التاريخ . وبصورة عفوية ساقتها الصدفة . وقبلها كان الانسان والمخلوقات الأخرى شبه الآدمية تعتمد في تغذيتها على الطعام النيء سواء منه ماكان فاكهة أو كان لحم حيوان نافق . لهذا فطهي الطعام ليس ضرورة بشرية ولا هو بالعمل الغريزي الذي لاتستقيم حياة الانسان وصحته إلا به . وإلا كان الجنس البشرى قد انقرض قبل أن يعثر الانسان للنار على وظيفة ومهمة

ربما كان طهي الطعام بالنار قد غير من مذاق الطعام ونكهته وسهولة التهامه ، مما اغرى البشر أن يستغلوا اكتشافهم ويطوروه ويرتبطوا به لدرجة أن أصبح ظاهرة انسانية في كل مكان وزمان

لن يختلف القوم في يومنا هذا على مزايا ثلاث للطهي كانت في صالح الانسان

أولا إن الطهي يقتل الأحياء الدقيقة الضارة من ميكروبات وفيروسات وطفيليات مما يلوث الطعام الطازج ، غير أن هذا لايمنع من تلوث الطعام مرة أخرى عقب الطهي

ثانيا إن الطهي يعطى للطعام مذاقا ونكهة خاصة محببة للانسان لاتتوفر للطعام النيء

ثالثا إن الطهي على وجه العموم يسهل عملية الهضم في كثير من مراحلها وخاصة عمليات المضغ

غير أن هذه الأمور التى يعتبرها البعض بديهية بحاجة إلى المراجعة والدرس ، وهى عرضة للجدل العلمي على ضوء ما استجد من أبحاث واكتشافات في حقل الغذاء والتغذية ، حتى يمكن توفير الفائدة القصوى من الطهي مع الاقلال ما أمكن من الخسائر التى تلحق بالطعام يغرمها الانسان ثمناً لاغراءات الطهى الظاهرية

أثر الطهى على هضم الطعام :

قد يبدو غريبا ومثيرا للدهشة والاستغراب قول الخبراء إن هضم الطعام النيء في درجة حرارة ٦

ـ ، وهى درجة حرارة حوف الانسان يوفر فرصة
، ـعادة من كثير من عناصر الطعام بأكثر مما يوفره
ـ الطعام على درجة حرارة عالية يوفرها النار
ـ لحرارة العالية في تقدير علماء التعدية تؤدى مثلا
ـ عثر رلاليات اللحم . وهدا يجعلها أقل قابلية
ـ الحمائر الهاضمة التى تفرزها المعـدة والأمعاء
ـ مقاومة لمعول هده الحمائر . فاللحـوم على
ـ نعم تحوى من الرلاليات مايتراوح بين ١٥ إلى ٢٠
ـ المه من ورمها
ـ ان تأثير حرارة الطهى تتركز على الألياف الرابطة
في انسجة اللحوم والمعروفة علميا باسم الكولاجين
ـ اد تحولها الحرارة الى حيلاتين . وهدا هو سر ليونة
للحم وسهولة هضمه بعد الطهى
لكن الأنسجة المطاطة التى تتركب منها الأربطة
والأوتار هى غير قابلة للهضم أصلا سواء كانت نيئة
و مطهية غير قابلة للدوبان في العادة
والمعروف أن الفواكه والخضروات تؤكل نيئة في
ـ ثير من الاحيان وقد تؤكل مطبوخة أيضا
ـ ا الحبوب والجدور وكثير من الخضروات الورقية
ـ تاها على الأغلب محتاجة إلى طهى حتى يمكن التهامها
وهضمها . وحيث أن أغلب الخلايا في أنسجة النبات
محاطة بجـدار خشبي سليولـورى فإن من الصعب
حطم هده الخلايا عن طريق المضع في الفم أو العجن
ـ المعدة . وعليه يكـون من الصعب أن تخترق
ـ حمائر والعصائر الهاضمة هده الجدران لتصل إلى
محتوى الخلايا . وهنا تعمل حرارة الطهي على اطلاق
محتوى الخلايا من خلال الانتفاخ الدى يحدث عادة في
ـ لمواد النشوية وما إليها مما يحطم الجدران الخشبية .
ـ ويؤدى إلى انـطلاق المحتويـات الغذائيـة لتكون في
ـ متناول العصائر الهاضمة بعد أن كانت حبيسة معزولة
ـ داخل جدار الخلية الخشبى

ـ ر الطهى عـلى الزلاليـات

ـ الطهى لهـا عدة تـأثيرات عـلى جزيئات
ـ لا (البروتين) والدهنيات والنشويات



غير أن هده التأثيرات التى قد تكون في صالح سهولة الهضم قد تكون أيضا على حساب القيمة الغـدائية لهده العناصر . بل وربما تصل في بعض الأحيان إلى تغيير طبيعتها لتصبح مواد ضارة للجسم بدل أن تكون مفيدة

فالزلاليات التى تتركب من أحماض أمينية قد تتحد بفعل حرارة الطهي ببعض السكريات المختـزلة لتعطي نواتج بنية اللون دات طعم ونكهة جديدة . لكن الأهم أن هده النواتج تصبح أكثر مقاومة لفعل العصائر الهاضمة ومن ثم يصبح الطعام أقل قدرا في قيمته الغذائية عنه قبل الطهى . وهدا مايحدث على وجـه الخصـوص مـع الحـامض الأميني المسمى (لايزين)

أما الدهنيات فإن الحرارة الزائدة تعمل على تحللها إلى مـركباتهـا الأصلية وهى الجلسرين والأحمـاض الدهنية . وهدا مايحدث عند استعمال الدهـون في القلي مدة طويلة . وهو مايشبه إلى حد كبير عملية الترنخ التى تصيب الدهنيات عند حرمها مدة طويلة في جو حار . وهدا الأمر قد يؤدى الى سميتها وضررها على الأنسجة المخاطية للقنـاة الهضمية بسبب تـأثير الأحمـاض الدهنيـة عليها نـاهيـك بـطعمهـا المنفر اللاسع .

من هنا تكون النصيحة بعدم الاسراف في تكرار استعمال الزيوت عند القلى عدة مرات أو استعمالها زمناً طويلا

الفيتامينات والأملاح :

يقسم خبراء التغدية الفيتامينات إلى نوعين
أولهما الفيتامينـات التى تدوب في الـدهون وهى فيتامين أ وفيتامين د

وثانيهما الفيتامينات التي تذوب في الماء وهي فيتامين ب المركب وفيتامين ج

ويعتبر الطهي أحد عوامل فقدان الفيتامينات التي تذوب في الماء، فيما تعتبر الفيتامينات التي تذوب في الدهون أكثر ثباتا وأكثر مقاومة لتأثير الحرارة إن الخسارة في أمر الفيتامينات ترتكز على أمرين :

١ ـ ذوبان الفيتامينات في الماء ثم طرح هذا الماء المشبع بالفيتامينات الذائبة والتخلص منه

٢ ـ مفعول الحرارة المدمر لبعض أنواع الفيتامينات الحساسة للحرارة

ومن أشهر الأمثلة على الأمر الأول مايحدث عند غسل الأرز أو طهيه مما يسبب نقصا فادحا لفيتامين ب المعروف باسم الثيامين الذي يصاب به عدة ضحايا في بلدان شرق اسيا، يعانون من مرض يعرف باسم البري بري

أما المثل على تأثير الحرارة المدمر فهو خسارة فيتامين ج المعروف باسم حامض الاسكوربيك فيتسبب عن نقصانه مرض الاسقربوط

من الملاحظ ان اللحوم تخسر من وزنها عند الطهي ما بين ١٠ الى ٤٠ بالمئة، وتتركز الخسارة على الماء المشبع بما ذاب فيه من فيتامينات وأملاح ناهيك عن فعل الحرارة المدمر أيضا للفيتامينات

وعلى الرغم من ان الفيتامينات التي تذوب في الدهون من أمثال فيتامين أ وفيتامين د تتمتع بمقاومة لفعل الحرارة المدمر إلا أنها عرضة لمفعول التأكسد المدمر إذا ماتعرضت للهواء والحرارة معا. لهذا فإن استعمال المقلاة المسطحة في قلي الأطعمة يوفر جوا مناسبا لأكسدة الفيتامينات التي تذوب في الدهون ومن ثم اتلافها وتدميرها

ولعل أكثر الفيتامينات عرضة لهذا الدمار هي فيتامين ب أو الثيامين وحامض الفوليك وهي التي تشتهر بوفرتها في اللحوم وقد تصل نسبة التدمير إلى حوالى ٥٠ بالمئة من محتوى الطعام

أما اكثر الفيتامينات عرضة للتدمير والضياع في المطبخ فهو فيتامين ج أو حامض الاسكوربيك لأنه سريع التأكسد والتلف بسبب عدة عوامل منها ارتفاع درجة الحرارة، وزيادة قلوية الوسط الموجود فيه. كما يعمل النحاس على الاسراع في هذه العملية خاصة إذا ما تعرض الطعام للهواء والاكسجين بوفرة

فمن المعروف علميا أن أنسجة النباتات تحوي خميرة خاصة سموها «الأسريم» المؤكسد لحامض الاسكوربيك ولكن هذه الخميرة بعيدة عن التماس بفيتامين ج في حال الأنسجة السليمة. ولكن هرس الفواكه أو تفتيت الأوراق يؤدي الى تدمير الخلايا ومن ثم يعطي الفرصة إلى انطلاق الأنزيم المدمر وتماسه مع حامض الاسكوربيك أو فيتامين ج ومن هنا يكون التدمير. وعليه يجب الحرص على شراء وتناول الفواكه والخضروات الطازجة السليمة وتحاشي القديمة منها والتالفة دون اعتبار لأسعارها الرخيصة، واغراءات البائعين

ولقد لوحظ أن مفعول الأنزيم المؤكسد لحامض الاسكوربيك يتوقف تأثيره عند درجة حرارة ٦٠ مئوية وما فوقها، لهذا فإن التأثير المدمر لهذه الخميرة على فيتامين ج يمكن تلافيه عند الطبخ بغلي الماء أولا قبل وضع الطعام حتى ترتفع درجة حرارته إلى مافوق ٦٠ مئوية، كما تطرد الحرارة جميع الهواء والاكسجين الذائب في الماء مع تغطية إناء الطبخ ليكون بمعزل عن الهواء الخارجي، وبهذا تمنع عملية الأكسدة، ويبطل مفعول الخميرة المدمرة هذا ويصح بعدم استعمال الأواني النحاسية في عمليات الطهي، أو استعمال بيكربونات الصودا التي تؤدي الى قلوية الطعام، وهي التي تدمر فيتامين ج

إن خبراء الطهي والتغذية يرون أن أواني الطبخ ذات البخار المضغوط توفر جواً أفضل للاحتفاظ بالقيمة الغذائية للطعام لانها تختزل زمن الطهي أولا وتمنع تلامس الطعام مع الهواء ثانيا، وبهذا فهي توفر ٨٠ بالمئة من القيمة الغذائية فيما لاتوفر الأواني العادية أكثر من ٥٠ بالمئة على أفضل وجه إن لم يكن أقل من هذا بكثير □

مساحة ود..

عـــودة لأيّام الصِّبَا

منذ أيام عرض التلفاز فلما سينمائياً عربياً قديما . لم يكن الفيلم ملونا ، بل كان باللونين الأبيض والأسود ، ولم تكن قصة الفيلم مترابطة ، كما لم يكن موضوعه جدّيا ، بل كان أقرب إلى السذاجة . باختصار كان ذلك الفيلم شأنه شأن سائر أفلام ذلك الزمان الذى يعود إلى نحو ثلاثين سنة خلت ، فلماً ساذجاً وبسيطاً ومتواضع القيمة الفنية ، ومع ذلك فقد وجدت نفسي منهمكا في متابعة أحداث الفيلم ومشاهده ، فقد أعاد لى ذكريات صباي الجميلة ، وإعجابي الساذج بممثلي ذلك الزمان الذين كنت أراهم أبطالا نضرين شجعاناً أقوياء كأبطال الأساطير ، وكنت أنظر باعجاب بالغ إلى جمال الممثلات اللواتي أصبحن هذه الأيام يمثلن أدوار الأم الطيبة أو الجدة العجوز .

ومع تتابع أحداث الفيلم التي لم تكن غريبة علي ، وجدت نفسي أذهب في رحلة داخل نفسي . رحلة شاهدت فيها نفسى الصغيرة الطموحة المليئة بالأحلام والآمال والإقبال على حياة لم تكن اظهرت لي سوى وجهها الجميل الواعد . وشاهدت أصدقائى ـ فتيان ذلك الزمان ـ الحالمين بمستقبل باسم ، وحياة يشكلونها بأصابعهم الغضة وخيالاتهم التي لا تعرف الحدود .

وشاهدت صوراً غير مترابطة لجو عائلي حميم هو جو عائلتي فى ذلك الزمان ، وسمعت حوارات صامتة تدور بين والدى وأخي الأكبر المولع بالسياسة والأدب والفن .

ولم أعد إلى عالمي الحقيقي ثانية إلا بعد انتهاء الفيلم . لم أكن بائساً ، أو حزينا ، لكنني لم أشعر بالسعادة أيضا ، فقد أعادنى ذلك الفيلم الذى ينتمي إلى زمن بعيد نسبيا إلى ذلك الزمن الذي هو زمني ، وبفضله عشت للحظات حياة كنت أظنها انتهت إلى غير رجعة ، لكننى عشتها بتفاصيل لم أذكرها طوال حياتي المليئة بالعمل والعرق والكفاح ، وكنت أظنها انتهت إلى غير رجعة .

وطاف فى ذهني سؤال عن سر الحياة ، وسر الحزن ، وسر الفرح ، وسر السعادة ، وعن مجموعة الأسرار الصغيرة التي تجعل الحياة حياة حقيقية ، وسؤال آخر عن تلك الأعمال الفنية التي لا تأخذ قيمتها من فنيتها العالية فحسب ، بل من زمنها الذى تعيده بكل ما فيه من فرح وحزن وسعادة وبؤس هو فى النهاية زمننا وحياتنا .

صلاح حزين

جمال العربية

□ صفحة لغة

بقلم : الدكتور حسن عباس

جَدَبَ.. لاشَجَبَ

كان للصحافة مند وحدت دور مهم في نقل الخبر الى القارىء ، وبث التعليق على نحو يجعله على صلة دائمة بما يدور حوله في السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع وما الى ذلك من شئون الحياة ، ولسنا هنا بصدد تعداد فوائد الصحافة ودكر منافعها والا ضاق عن غايتنا المجال ، على أن في الصحافة ـ على فضلها واهميتها ـ مثالب سوف نقف عند واحدة منها وهي :

أخذ بعض الاخبار أو التعليقات ، أو المصطلحات على علاتها دون البحث عن اصولها ومصادرها ، أو عن وجه الصحة أو الدقة في ايرادها ولعل هذه الصمة في الصحافة هي التى سوغت للكثيرين من العامة ولخاصتهم وصف بعض ما يرد فيها مما لا تسيغه عقول الناس ، ولا يتفق وطبيعة الاشياء كما يعرفونها بقولهم « كلام جرائد »

نود في هذا المقام أن نقف عند مثالين مما تُتهم به الصحف من تفريط وبعد عن الدقة فلقد اشاعت كلمة « شجب » بمعنى أدان ، أو « اعلن غضبه على كذا »

تقول الصحافة .« اعلن متحدث رسمي شجبه للموقف الفلاني أو التصريح الذى ادلى به فلان ، أو المعاهدة الفلانية »

فما وجه الصواب في مثل هذه العبارة وما وجه الخطأ ؟

لنرجع الى مصادر اللغة لنتبين المعاني التى توردها تلك المصادر لكلمة « شجب »

جاء في لسان العرب شَجَبَ ، بالفتح ، يَشجُبُ ، بالضم،شُجُوبا ، وشَجِبَ بالكسر يَشْجَب شَجْبا ، فهو شاجبٌ وشجِبٌ اى حَزِنَ أو هلَكَ وشجبه الله ، يشجبه شجبا أي أهلكه ، يتعدى ولا يتعدى

يقال ما له شجبه الله أي اهلكه وشجبه يشجبه شجبا · أي حَزَنَه ، وَشَجَبهُ شَغَلَهُ وفي الحديث الناس ثلاثة شاجبٌ ، وغانمٌ، وسالمٌ فالشاجب الذى يتكلم بالرَّديء ، وقيل الناطق بالخنا ، المعين على الظلم ، والغانم الذى يتكلم بالخير ، وينهى عن المنكر فيغنم ، والسالم الساكت

وجاء في التهذيب قال ابو عبيد الشاجبُ الهالِكُ الآثمُ قال وشَجَب الرَّجلُ يشجب شُجُوباً إذا عَطِبَ وهَلَكَ في دين أو دنيا وفي لغةٍ . شَجِبَ يَشْجَبُ شَجَباً ، وهو اجود اللغتين قاله الكسائي وامرأة شجوب . ذاتُ همٍّ قلبُها متعلق به

والشَّجَبُ : العَنَتُ يصيبُ الانسان من مرض أو قتال

قال الأصمعى يقال انك لتشجبني عن حاجتى ، أي تجذبنى عنها ، ومنه يقال . هو يشجب اللجام أي

يجذبه والشجب الهمُّ والحَزَنْ وأشجَبَه الامرُ ، فشَجِبَ لـه شجبا حَـزِنَ . وشَجَبَ الشيءُ ، يَشجُبُ شَجْبـاً وشجـوبـا ذَهَـبَ وشجب الغـراب ، يشجب شجيبـا نعق بـالبـين

والشجاب خشبات موثقة منصوبة توضع عليهـا الثيـاب وتنشـر ، والجمـع شُجُبٌ والمشـجب كالشجاب وهو عيدان يُضَمُّ رؤوسهـا ويفرَّج بين قوائمها ، وتوضع عليها الثياب وتشاجب الامر اختلط ، وقد ورد هذا في « المقاييس » لابن فارس الذى قال الشين والجيم والباء كلمتان تدل احداهما على تداخل ، والاخرى تدل على ذهاب وبطلان

الاولى قول العرب تشاحب الامر اذا اختلط ودخل بعضه فى بعض ، قالوا . ومنه اشتقاق المشجب وهى حشبـات متـداخلة مـوثقـة تنصب وتنشـر عليهـا الثياب . ويقال الشجاب ، السداد هـذه هى المعانى التى وقعنا عليها لكلمة « شجب » فـأين منها ذلك المعى الذى يرمى اليه الفعل على النحو الذى يورده به رجال الصحافة ؟

اننا نذهب الى مـا ذهب اليه الـدكتور مصـطفى جواد حين قال . جميع معانى هذه المادة لا تفيد معى العيب والاستقباح فقولهم « شجب المعاهدة » لا يخرج عن ان يعى سدها أو احزبها ، أو اهلكها او شغلها » فصلا عن ان الشاجب هو المتكلم بالكلام الـردىء،المعين عـلى الظلم ، مـع ان عيب الانسان معاهدة قد يدل على إصلاح وإرشاد وإحقاق حق كما قد يدل عـلى خطأ ، فهـو بحسب مقصد القـائل ، وليس دلك بالمراد وانما المراد العيب وحده ، ولذلك وجب ان يقال : جدب المعاهدة يجدبها جدبا .

والجـدب هـو العيب وجـدب الشيء يجـدبـه جدبا : عابه وذمه .

وفي الحديث : جدب لنا عمر السَّمَرَ بعد عتْمةٍ ، أي عابَهُ وذمَّهُ،وكل عائب فهو جادب والى ذلك يشير

ذو الرمة حين يقول

فيـالَـكَ من خـدٍ أسيـلٍ ، ومنـطقٍ
رخيمٍ ، ومِنْ خَلْقٍ تـعلَّلَ جـادِبـهُ

وهو يعى أن الراغب فى ذمه والنيل منه،لا يجد فيه عيبا يعيبه ، فيتعلل بالباطل ، وبالشىء يقولـه ، وليس بعيب والجادب العائب

ومن جنـايـات الصحـافـة انها اشـاعـت كلمـة « دكتاتور » والنسبة اليها دكتاتورى وهي كلمة اجنبية لاتينية الأصل . ولسنا نرى في استعمالها وإشاعتها أي مبرر ، فهي كلمة قـديمة ـ كـما لاحظ الدكتـور مصطفى جواد ـ يرجع استعمالها فى الدولة الرومانية الى الحقب التى كان يتولى فيها امر الحكم جبابرة يمكن أن تسند إليهم مهامُ الحكم « اسنادا وقتيا لاتزيد مدته على ستة أشهر يكون في اثنائها غير مسئول عن تبعة أعماله ، وله أن يفعل ما يشاء مما يراه جالبا للمنفعة العامة » .ولو ان الكلمة حديثة لقلنـا إن ضرورات العلم والتقنية الحديثين تلجئنا الى اقتباسها لافتقـار اللغة العربية الى صنو لها أو نظير ، ولكن الكلمـة قديمة وفى لغتنا ما يفيد معناها افادة تامة . فالدكتاتور هو الجبَّار ، والنسبة الى هذه الكلمة جبَّاريّ لننظر فى المعانى التي يوردها صاحب اللسان وغيره .

الجبار : الله عز اسمه ، القاهر خلقه على ما اراد من امر ونهى قال الازهرى:جعل جبارا في صفة الله تعالى أو في صفة العباد من الاجبار وهو القهر والإكراه .. والجَبَّار . المتكبِّر الذى لا يـرى لاحد عليه حقا . والجَبَّار من الملوك · العاتي ، وقيل كل عات جبار وجبير وقلب جبَّار لاتدخله الرحمة ، وقلب جبار ايضا : ذو كبر لا يقبل موعظة ، ورجل جبار : مسلط قاهر . قال الله عز وجل : وما انت عليهم بجبار ، أي بمسلط فتقهرهم على الاسلام . والجبار الذى يقتل على الغضب ، والجبار : القتال في غير حق . اليس في كل هذه المعانى التي تحفل بها كلمة « جبار » غنى عن كلمة دكتاتور ومعانيها ؟!□

ـ بلوت رعيتي بالكرم وبالسيف ، فكان الكرم فيها أنجع (المأمون)

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

مَا أضيَقَ العَيشَ لَولاَ فسْحَةُ الأمَل!

للطغرائي

الطغرائي هو ابو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد. عرف بأكثر من لقب، ومن القابه المنشيء، الاستاذ، العميد، الاصبهاني وغير ذلك ولكن «الطغرائي» هو اللقب الذي عرف به أكثر من سواه. ولد في عام ٤٥٣ هـ في «جيّ» باصبهان لاسرة يرجع نسبها إلى أبي الأسود الدؤلي «فهو على هذا عربي الأصل، وليس فارسيا كما هو الشائع، وكما جزم المؤلفون المحدثون دون ان يستقصوا في البحث»

على حد تعبير الدكتور علي جواد الطاهر محقق ديوان الطغرائي، والباحث في شعره وآخر شرّاح لاميته التي عرفت «بلامية العجم». وقد ورد نسبه متصلا بأبي الأسود الدؤلي لدى كل من ابي الفدا، وابن الوردي، والبارزي في مختصره لوفيات الاعيان

وقد يوصف ايضا بالليثي، و«ان الليث ودؤل من بني بكر بن عبد مناف، وينظر القلقشندي ومعجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة

واصبهان التي ينسب الشاعر اليها مدينة كبيرة في بلاد الفرس قصدها العرب بعد الفتح واستوطنوها لجمال طبيعتها واعتدال هوائها وخصوبة تربتها، اما «جيّ» فهي «اجمل ما في اصبهان». فليس غريبا - اذن - ان يكون الطغرائي اصبهاني المولد والنشأة، عربي الأصل والنسب. فقد سبقه في ذلك صاحب الأغاني. أبو الفرج «الأصبهاني» وهو - كما لا يخفى - عربي يتصل نسبه بالبيت الاموي

عاش الطغرائي نابها فطنا. وقد أنس في نفسه القدرة على شغل أجل المناصب فطمح اليها «وانخرط في سلك الكتاب، يتقرب من المتنفذين والوزراء، كعميد الملك، ونظام الملك ودلف الى السلاطين (السلاجقة)، فخدم ملكشاه، ثم ولده محمدا»

على ان صلته الوثيقة بعميد الملك - وهو حامي الطغرائي وسنده - كانت سببا في طمأنينته وفي الآمال الكبار التي ظل يمني النفس بها. وما أن تحلّ بعميد الملك النكبة، فيعزل من منصبه، ويودع السجن حتى نرى وفاء الطغرائي صادقا. فقد وقف الى جانبه، وأنصفه في عدد من قصائده، فعدد مآثره، وذكر فضله على الكثيرين

اشتد الصراع على السلطة بعد وفاة ملكشاه، وكان قطبا هذا الصراع ولديه: بركياق ومحمد. اما الطغرائي فقد لزم جانب الاخير. وفي عام ٥٠٤ هـ حظي بمنصب جيد حين صار نائبا في ديوان الطغراء، ثم اصبح الصدر الأعظم في هذا الديوان بعد وفاة الامير العميد الذي شغل المنصب سنة ٥٠٥ هـ. على ان هذه السنة حملت من المفاجآت ما لم يسر الطغرائي، فقد عزل من منصبه وهو ببغداد، فثقلت عليه الاقامة فيها، ونظم قصيدتين تصوران محنته هما خير ما قال. والقصيدتان هما لامية مشهورة وبائية لا تقل عنها. اما اللامية فهذه مقتطفات منها -

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ
وحِليةُ الفَضلِ زانتني لدى العَطَلِ
مَجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعٌ
والشمسُ رأدَ الضحى كالشمس في الطفل
فيمَ الإقامةُ بالزَّوراء لا سكني
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناءٍ عن الأهل صِفرُ الكفِّ منفرد
كالسيف عُرِّيَ متناهُ عن الخلل
فلا صديقٌ إليه مُشتكى حَزَني
ولا أنيسٌ إليه مُنتهى جذلي
طالَ اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي
ورَحْلُها وقرى العسّالةِ الذُّبُل
أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها
على قضاء حُقوق للعُلا قِبَلي
والدَّهرُ يعكسُ آمالي ويُقنعني
منَ الغنيمةِ بعدَ الكدِّ بالقَفَل
حُبُّ السلامة يثني هَمَّ صاحبه
عن المعالي ويُغْري المرء بالكسل
فإن جَنحتَ إليه فاتخذْ نفقاً
في الأرضِ أو سُلَّماً في الجوِّ واعتزل
ودَع غِمارَ العُلا لِلمُقدمينَ على
رُكوبها واقتنع منهنَّ بالبلل
إنّ العُلا حدّثتني وهيَ صادقةٌ
فيما تحدِّثُ أنّ العزّ في النُّقَل
لو أنّ في شَرَفِ المأوى بُلوغَ مُنىً
لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمل
أهبتُ بالحظ لو ناديتُ مُستمعاً
والحظُّ عَنيَ بالجهّال في شُغُل
لعلهُ إنْ بَدا فضلي ونقصُهُمُ
لِعينهِ نامَ عنهمْ أو تنبَّه لي
أعَلِّلُ النفسَ بالآمالِ أرقبُها
ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحةُ الأمل
لم أرْضَ بالعيشِ والأيامُ مُقبلةٌ
فكيفَ أرْضى وقد ولّتْ على عجَلِ
غالى بنفسيَ عِرْفاني بقيمتها
فصُنتُها عن رَخيصِ القَدْرِ مُبتَذَل

وعادةُ النصلِ أنْ يُزهى بجَوهَرِهِ
وليسَ يعملُ إلا في يدَيْ بطَل
تقدَّمَتني أناسٌ كانَ شوْطُهُمُ
وراءَ خطوي إذ أمشي على مَهل
هذا جزاءُ امرىءٍ أقرانُهُ دَرَجوا
مِن قبلِهِ فتمنّى فُسحةَ الأجل
وإنْ علانيَ مَن دُوني فلا عَجبٌ
لي أُسوةٌ بانحطاط الشمس عَن زُحَل
فاصبرْ لها غيرَ مُحتال ولا ضجِرٍ
في حادثِ الدهر ما يغني عن الحيَل
أعدى عدُوِّكَ أدْنى مَن وثقتَ به
فحاذِرِ الناسَ واصْحَبْهُمْ على دَخَل
وإنما رَجُلُ الدُّنيا وواحِدُها
من لا يعوِّلُ في الدنيا على رجُل
وحُسنُ ظنِّكَ بالأيامِ مَعْجزَةٌ
فظُنَّ شرّاً وكن منها على وجل
غاضَ الوَفاءُ وفاضَ الغَدْرُ وانفرَجتْ
مسافةُ الخُلف بينَ القولِ والعَمل
وشانَ صدْقَكَ عندَ الناسِ كذْبُهُمُ
وهلْ يطابَقُ معوجٌّ بمعتدِل
يا وارداً سُؤْرَ عيشٍ كلُّهُ كدَرٌ
أنفقتَ صفوَكَ في أيامِكَ الأُوَل
فيمَ اقتحامُكَ لُجَّ البحرِ تركبُهُ
وأنتَ يكفيكَ مِنهُ مَصّةُ الوَشَلِ
مُلكُ القناعةِ لا يُخشى عليهِ ولا
يُحتاجُ فيه إلى الأنصارِ والخَوَل
ترجو البَقاءَ بدارٍ لا ثباتَ لها
فهلْ سَمِعْتَ بظلٍّ غيرِ منتقل
ويا خبيراً على الأسرار مُطَّلِعاً
اصمُتْ ففي الصَّمتِ مَنجاة منَ الزَّلَل
قد رَشَّحوكَ لأمرٍ لوْ فطنتَ لهُ
فاربأ بنفسِكَ أن ترعى معَ الهمَل

يخلق الطموح لدى بعض من يركبون صهوته شعورا بالعزة ، واعتدادا بالنفس ، وكبرياء تأنف الخضوع وتعظم هذه الأوصاف في نفس صاحبها

اذا لم يفز بالمراد ولم يبلغ الغاية أنظر الى المتنبي وهو الطامح الأكبر تجده يقول بيتا في مدح من تلجئه الحاجة الى مدحه، ويقول ابياتا في مدح نفسه والفخر بشعره وأدبه. ولم يشذ الطغرائي عن ذلك، فقد كان طامحا يرى في نفسه من القدرة والعلم والادب والبلاغة والفصاحة ما يؤهله لبلوغ ما يطلب لها. رفعة، وسؤددا فاذا خاب ظنه في الدنيا والناس، وأغلق اليأس في وجهه منافذ الرجاء، فزع الى الشعر يودعه سرّه، ويبثه شكواه

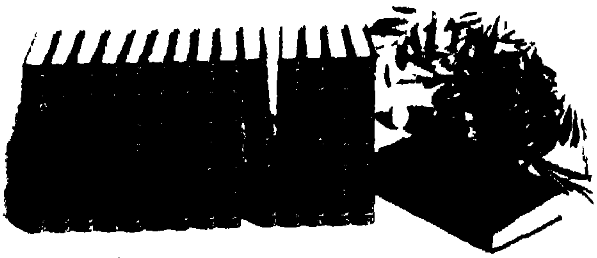
على ان القصيدة تحفل بغير ذلك من عواطف جامحة حينا، هادئة رصينة حينا آخر ويكثر هذا التعاقب بين الوان متباينة من العواطف حتى نظن انه يفقدها تسلسلها المنطقي، ولكنه ـ على اي حال ـ يبقى على وحدتها النفسية ذلك ان ما اصاب الشاعر من غدر الناس والزمان أفقده التوازن لبعض الوقت، فصار يضرب خبط عشواء فاذا فاء الى شيء من الطمأنينة، وعاوده الفكر المتأمل الهادىء، لاذ بالعقل، واستظل بظله فكان له من ذلك اللواذ وقفات حكيمة صاغها شعرا، فجرت مجرى المثل لشدة تمثلها لتجربة الشاعر الانسان

استهل القصيدة بالفخر، فهو ذو فضل ورأي أصيل، يزدان بها اذا فقد ما كان يزدان به من قبل (المنصب الرسمي) انه كالشمس لا يغير من جوهرها أن تكون في الصحى او أن تكون قرب المغيب ولكنه ـ وهو يحاور نفسه ـ يستدرك، فبعد ان جعل من فخره عزاء وسلوى، تنبه الى واقع الحال بعد عزله ما جدوى الاقامة في بغداد بعد الذي كان؟ لقد بعد به العهد عن الاهل والأصدقاء، فإليهم ـ دون غيرهم ـ يشتكي حزنه، وهم ـ دون غيرهم ـ يشاطرونه أفراحه ثم يصحو من حلم اليقظة وينحي العواطف التي تبعث الشجن جانبا، ويهديه العقل والطموح معا الى القول ان حب السلامة يثني هم صاحبه عن المعالي، ويغري بالكسل. فهل هذا هو ديدنه؟ ألم ينفق العمر في طلب العلى؟ بلى، ولقد افضت اليه العلى بحكمة ترى ان العز قرين الترحال، فليرحل اذن! ان له في ارتحال الشمس كل يوم أسوة حسنة

مثل هذا الجدل الذي يعمد الى المنطق يستفتيه في تفسير الظواهر لا يصمد طويلا، فالنفس مضطربة، والاحزان تملؤها، فاذا جنحت الى السكينة ساعة، عادت الى التبرم والشكوى ساعة اخرى، وما ذلك الا لعظم المصيبة لقد فقد بعزله السلطان والجاه والمكانة المرموقة، فليندب الحظ، ويلقي عليه من اللوم ما يشاء

على ان اشد ما يؤلمه ان الحظ شغل عنه بالجهلة، يعطيهم ما يشاؤن وينزلهم المكانة العظيمة في حين ينحيه عنها وهو العالم الفاضل الاديب! ويلوح في افق النفس بعض الفرج ما اضيق العيش لولا فسحة الامل! وتعاوده الأنفة وكبرياء الطموح لن يستكين! كلا، بل يدفع هذا القدر العاتي دفعا، وله من تجارب الماضي ما يشد به ازره لم يكن يرضى بأيام كان له فيها مجد وسؤدد، فكيف يرضى الآن وقد عركته الأيام، وعمقّت من تجربته وخبرته؟ ظل دائما يحفظ لنفسه قدرها وفي ذلك عزاء انه سيف مصقول ذو معدن أصيل، ولكن السيوف لا تنبيء عن مضائها الا في أيدي الابطال! فمن أين له بالبطل الذي يظهر مضاءه وأصالة معدنه؟ قد يجد عزاء في كل ما جال بخاطره من افكار، ولكنه لا يغفر لذوي السلطان ولا للحظ، ان يتقدمه اناس دونه علما وفضلا وتهدأ الثورة قليلا، ويهتدي الى حكمة التأسي بالصبر، فالايام دول ولا بد من تغير الحال. على ان الذي لا يمكن احتماله هو غدر الناس ولؤمهم، فليعلنها عليهم حربا ان «اعدى عدوك من وثقت به»، ولا عجب فقد «غاض الوفاء، وفاض الغدر . »، مثل هؤلاء الناس ينبغي للمرء ان يعتزلهم وينأى بنفسه عن شرورهم.

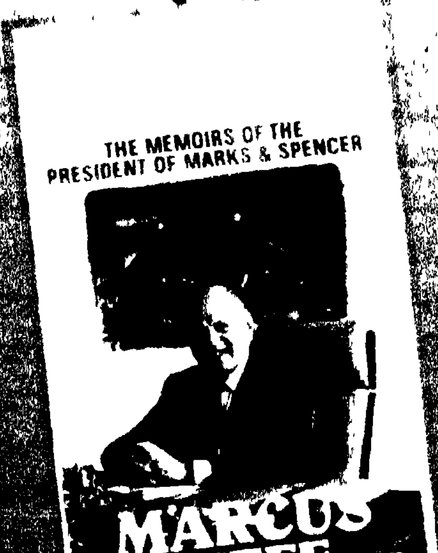
القصيدة حافلة بهذا اللون من القلق المبدع، وهي تصوير صادق لتجربة عاشها الشاعر بكل خلجات نفسه، وصورها على خير ما يكون التصوير عواطف متقدة وثورة جامحة، وهدوء عاقل، وحزن وقور، وحكمة بالغة! □



مكتبة العربي

كتاب الشهر

لا تسأل عن السعر!



ينصب الاهتمام في هذا الكتاب على أمرين رئيسيين الأول ، تاريخ محلات « ماركس وسبنسر » منذ نشأتها في مطلع هذا القرن في مدينة مانشستر في انجلترا وحتى يومنا هذا والثاني ، هو العلاقة الحميمة التي ربطت أصحاب هذه المحلات بالمسألة اليهودية قبل قيام اسرائيل ، والتي مازالت تربطهم بهذه الدولة منذ قيامها وحتى أيامنا هذه لقد قامت هذه العلاقة على أكتاف عائلة « ماركوس سيف » بحكم انتمائها الصهيوني أولا ، وديانتها اليهودية ثانيا ، كما يعترف صاحب هذه السيرة الذاتية في أكثر من مكان في مذكراته ، فمثلا نراه يقول « ولم تكن عائلة « ماركس » دينية النزعة لكن الحركة الصهيونية كانت عند كلتا العائلتين (اللتين أنشأتا محلات ماركس وسبنسر) أمرا آخر أما أنا فقد كنت على علم بوجود هذه الحركة قبل أن تتشكل عندي فكرة تذكر عن الديانة اليهودية ومعناها وإلى حد كبير تطور هذا الاتجاه لدى كلتا العائلتين نظرا للعلاقة التي كانت تربط والدي و « سيمون » (شريكه في العمل) منذ شبابهما المبكر مع الدكتور « وايزمان » ونظرا للدور الذي لعباه في الحصول على وعد بلفور ، وتأسيس الوطن القومي اليهودي »

سنركز اهتمامنا في هذا العرض على الأمر الثاني ، السابق ذكره ، وضمن هذا الاطار ، سنسلط الأضواء على الدور الذي لعبه « ماركوس سيف » وعائلته ، من طرفي والده ووالدته ، في قيام اسرائيل وفي دعمها منذ تاريخه ، فكما يقول صاحب هذه السيرة الذاتية « كانت مساعدة ودعم الوطن القومي اليهودي في فلسطين أولا ، ومن ثم دولة اسرائيل ، هدفا هاما من أهداف حياتي » (ص ٢٦) كما سنسلط الأضواء ضمن نفس الاطار على كثير من المغالطات المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي التي نواجهها في أكثر من موضع في هذه السيرة الذاتية التي لاقت رواجا بين القراء في بريطانيا فالكتاب الذي بين أيدينا وصل في هذا البلد الى المركز الأول بين الكتب غير القصصية من حيث عدد النسخ التي نفدت منه ، وظل بين الكتب العشرة الأكثر رواجا في بريطانيا حتى منتصف هذا العام تقريبا

مسحور بوايزمان

تعود العلاقة بين عائلة « ماركوس سيف » والحركة الصهيونية الى مطلع هذا القرن ، حيث كان والد ماركوس سيف عضوا بارزا في الحركة الصهيونية في بريطانيا وشاركه هذا الانتماء عمه « سايمون » شريك والده في العمل ومن العوامل التي زادت العلاقة عمقا والتزاما التقاء هذين الرجلين مع وايزمان ، زعيم الحركة الصهيونية في النصف الأول من هذا القرن ، والذي كان يعمل مدرسا للكيمياء في جامعة مانشستر وقد وصف ماركوس سيف هذا اللقاء بقوله « أصبح وايزمان معبودي الأول منذ اللحظة الأولى التي قابلته فيها ، فقد أخذت استمع اليه كالمسحور » ، ويصف ماركوس سيف الأثر الذي تركه هذا اللقاء على والده كالتالي « ومنذ لقائه الأول مع وايزمان ، حول مائدة العشاء مع بعض الأصدقاء ، أخذ والدي يجمع له الأموال على مستوى لم يفعله من قبل (للحركة الصهيونية) وبنجاح عظيم وأصبح والدي سكرتير وايزمان غير الدائم دون أن يتقاضى راتباً وبالاضافة إلى جمع الأموال لدعم الحركة الصهيونية ، أدرك والد ماركوس سيف وعمه سايمون أهمية الإعلام في كسب الرأي العام البريطاني ، فأنشأ « مجلة فلسطين » بالتعاون مع قريب لهما كان يعمل صحفيا في « جريدة الجارديان » الصادرة في مانشستر ، أما الهدف الرئيسي لهذه المجلة التي كانت تنطق باسم « لجنة

فلسطين البريطانية » فقد كان ايصال آراء الصهاينة البريطانيين الى مسامع الحكومة البريطانية

وتوطدت العلاقة بين وايزمان ووالد ماركوس سيف على مدى الأيام ، بل أصبحت من القوة بحيث طلب وايزمان منه أن يصحبه الى لندن ليقابلا بلفور . الذي كان يشغل منصب وزير خارجية بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى وعندما تكللت مساعي وايزمان بالنجاح ، وذلك بحصوله على وعد بلفور من الحكومة البريطانية ، تم بعدها تشكيل « الهيئة الصهيونية » التي كلفت بزيارة فلسطين من أجل تحديد أنجع الطرق لتطبيق وعد بلفور وقد ضمت هذه الهيئة في عضويتها وايزمان نفسه الذي طلب من والد ماركوس سيف أن يرافقه الى فلسطين كمساعد خاص له . كما اصطحبه معه الى مؤتمر السلام في فرساي سنة ١٩١٩ ، الذي تم فيه منح بريطانيا مسؤولية الانتداب على فلسطين ، وإلى مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ حيث تمت الموافقة على صك الانتداب وعلى تصريح وعد بلفور

وقد سار ماركوس سيف على خطوات أبيه ، فكما يقول في مذكراته « كنت أحد تلامذة وايزمان الأوائل » الا أن دور ماركوس سيف في دعم الحركة الصهيونية والتفاني في خدمتها اختلف عن دور والده بعض الشيء ، وذلك نظرا لاختلاف الظروف التاريخية التي احاطت بهذه الحركة عبر سني نشأتها ونموها فيما اقتصر مجهود والد « ماركوس سيف » على تقديم الدعم المادي والمعنوي للحركة الصهيونية ، تجاوز مجهود ابنه ذلك الى حد المشاركة الفعلية في حرب عام ١٩٤٨ ، التي كانت نتيجتها تثبيت أقدام اسرائيل في المنطقة العربية ففي النصف الثاني من شهر(مايو)أيار عام ١٩٤٨ غادر « ماركوس سيف » انجلترا الى فلسطين تلبية لنداء شخصي وجهه اليه « بن غوريون » الذي كان قد أعلن ميلاد الدولة الجديدة قبل ذلك بأيام قليلة وقد أوكل « بن غوريون » الى « ماركوس سيف » مسؤولية الاشراف على مهام النقل والامدادات ، مستفيدا بذلك من خبرة هذا الأخير التي اكتسبها في هذا المجال عندما كان يعمل ضابطا في الجيش البريطاني في شمال أفريقيا ومصر خلال الحرب العالمية الثانية كما أنه أوكل اليه مهام أخرى قام بها بتفان والتزام حتى تاريخ مغادرته فلسطين المحتلة في عام ١٩٥١

ولم يتوان « ماركوس سيف » عن اتباع أية وسيلة لتحقيق مهماته فنراه يسرد في كتابه كيف احتال مرة على مراقبي هيئة الأمم المتحدة بادخال شحنة من الأسلحة الى فلسطين المحتلة خلال فترة الهدنة الأولى في شهري(يونيو)حزيران و(يوليو)تموز عام ١٩٤٨ . هذا ما يقوله « ماركوس سيف » عن هذه الحادثة « عينت الأمم المتحدة مراقبين على طول الساحل خلال فترة الهدنة وذلك لأنه لم يكن مسموحا لكلا الطرفين (اليهود والعرب) الحصول على أسلحة اضافية في حينها وبالطبع لم يخلق هذا الحظر مشكلة للعرب الذين أدخلوا الأسلحة الى فلسطين عبر حدودهم معها ، أما اسرائيل فقد كان البحر منفذها الوحيد وعندما ثبت الرأي على تفريغ شحنة من مدافع الميدان (لحساب اسرائيل) بالقرب من نتانيا (شمال تل أبيب) ، أقمت حفلة في بيتنا في تلموند لمراقبي الأمم المتحدة في منطقة نتانيا ، دعوت اليها مجموعة من الفتيات الاسرائيليات الفاتنات الجمال وطلبت منهن أن يعملن ما بوسعهن على ألا تنتهي الحفلة قبل الساعة الثالثة صباحا ، حيث تكون مهمة تفريغ شحنة مدافع الميدان قد تمت عندها لقد حصل هذا فعلا »

وبالعمل لصالح اسرائيل خلال حرب عام ١٩٤٨ يكون « ماركوس سيف » قد ضرب بالقانون البريطاني عرض الحائط فالقانون البريطاني لا يسمح لضباطه الاحتياط بالانضمام الى قوات أية دولة أخرى لا تعترف بها بريطانيا رسميا ولذا لم يكن يحق لماركوس سيف أن يعمل في صف القوات الاسرائيلية نظرا لكونه ضابط احتياط في الجيش

البريطاني ، ونظرا لأن بريطانيا لم تكن قد اعترفت باسرائيل رسميا بعد في عام ١٩٤٨

بريطانيون في الجانبين

يثير « ماركوس سيف » هذه المسألة في مذكراته ، الا أنه يحاول تبرير تصرفه من منطلقين الأول ، هو أن بعض الضباط البريطانيين كانوا يعملون في جيوش عربية والثاني ، هو أنه لم ينضم رسميا الى القوات الاسرائيلية وذلك لأنه لم يوقع أية وثيقة تثبت ذلك ولا يخفى طبعا بأن هذين المنطلقين ليسا إلاّ مبررين واهيين فالضباط البريطانيون الذين كانوا يعملون في الجيوش العربية في حينه فعلوا ذلك إمّا بتكليف من حكوماتهم الرسمية أو بموافقة ضمنية منها إذا لم يكونوا ضباطا أو ضباط احتياط في الجيش البريطاني ، كما أن الجيوش التي كانوا يعملون فيها كانت جيوشا لدول تربطها ببريطانيا علاقات اعتراف متبادلة رسمية وكل هذا لا ينطبق على « ماركوس سيف » من جهة ، أو على الجيش الأسرائيلي من جهة أخرى أما المنطلق الثاني فهو ليس إلاّ نوعا من الحذلقة التي ترمي الى الالتزام بنص القانون على حساب جوهره ومحتواه

ليس هدفنا الأساسي مما قلناه في الفقرة السابقة بيان عدم شرعية مشاركة « ماركوس سيف » في حرب عام ١٩٤٨ لصالح اسرائيل ، بل الاشارة الى قضية أخطر وأعمق ، ألا وهي مسألة الإنتماء الصهيوني هل ينتمي الصهيوني الملتزم بصهيونيته الى بلده أولا - سواء كانت بريطانيا أم أمريكا مثلا - والى اسرائيل ثانيا ؟ أم العكس ؟

لا شك عندنا بأن الصهيوني الملتزم ينتمي الى اسرائيل أولا ثم الى بلد مواطنته ثانيا ولا شك عندنا أيضا بأن هذا ينطبق على « ماركوس سيف » ، على الرغم من وجود « المؤشرات » التي قد يعتبرها البعض دليلا على خطأ رأينا ، كرفض هذا الرجل الاستقرار في اسرائيل مثلا فهذا الرفض نابع من اعتبارين الأول ، هو مصلحة ماركوس سيف الاقتصادية المتمثلة بمحلات « ماركس وسبنسر » ، والمتعلقة أيضا باستمرار نجاح هذه المحلات أما الاعتبار الثاني فيتمثل بقناعة ماركوس سيف بأن استقراره خارج اسرائيل أكثر فائدة لها من استقراره فيها ، وخاصة من الناحية السياسية فمثلا عندما طلب « بن غوريون » من « ماركوس سيف » أن يستقر في اسرائيل ، اعتذر عن عدم تلبية هذا الطلب ، قائلا « أعتقد بأني أكون أكثر فائدة لاسرائيل عن طريق مواكبة التطورات التي تجرى فيها ، وشرح هذه التطورات لزعمائنا في (بريطانيا) ، كما أني أنوى مزاولة عملي في « ماركس وسبنسر » محافظا في نفس الوقت على علاقاتي الحميمة مع اسرائيل »

كما أننا نرى أن انتماء « ماركوس سيف » لاسرائيل بالدرجة الأولى ، يفسر عزوفه عام ١٩٧٤ عن قبول منصب سفير بريطانيا في اسرائيل الذي عرضه عليه « كالاهان » وزير خارجية بريطانيا حينئذ أما السبب الذي أبداه ماركوس سيف لعزوفه هذا ، فهو علاقاته الحميمة مع اسرائيل ، الأمر الذي سيجعل البعض يعتقد بعدم صلاحيته كسفير لأنه لا يستطيع في نظرهم الا أن يقدم مصالح اسرائيل على مصالح بريطانيا ، حتى لو تصرف بعكس هذا وفي رأينا أن السبب الحقيقي لعزوف « ماركوس سيف » عن قبول منصب سفير بريطانيا في اسرائيل يعود إلى إدراكه بأن قبوله لهذا المنصب سيكون بمثابة عملية « تحنيط » سياسي له ، حيث سيكون مضطرا بحكم طبيعة

منصبه . والالتزامات المترتبة على هذا المنصب أن يرعى مصالح بريطانيا في اسرائيل بدلا من تكريس طاقاته لرعاية مصالح اسرائيل في بريطانيا فلو كان انتماء « ماركوس سيف » لبريطانيا أولا لما برر موقفه بالشكل الذي عرضناه ، مع اعترافنا بأن هذا التبرير يدل على حنكة سياسية بارعة قابل صاحبها بها عبارة شبها عليه السياسي المحنك « جيمس كالاهان » والذي كان بلا شك يهدف الى تقوية مركز بريطانيا في اسرائيل عن طريق استخدام تأثير « ماركوس سيف » هناك على الصعيدين الرسمي والشعبي فلو قبل « ماركوس سيف » عرض « كالاهان » لما استطاع أن يستمر في خدمة اسرائيل بالشكل الذي نذر نفسه له

وقد ترجم « ماركوس سيف » انتماءه لاسرائيل أيضا عن طريق المساعدات الاقتصادية والتقنية التي قدمتها ومازالت تقدمها محلات « ماركس وسبنسر » لاسرائيل في مجالات عدة ، أهمها الزراعة وصناعة النسيج فمحلات « ماركس وسبنسر » هي أكبر مسوقي المنتوجات الزراعية الاسرائيلية في بريطانيا ، سواء في ميدان الحمضيات والفواكه الأخرى ، أو في مجال الخضراوات كما أن هذه المحلات ساعدت على تطوير صناعة النسيج في اسرائيل وعلى توفير فرص عمل لعدد كبير من العمال الاسرائيليين وذلك عن طريق استيرادها لكميات كبيرة من الملابس المصنوعة هناك فاسرائيل هي أكبر مورد خارج بريطانيا يمد محلات « ماركس وسبنسر » بالبضائع

كما قدمت عائلة « ماركوس سيف » مساعدات طائلة لاسرائيل في مجال البحث العلمي فمعهد وايزمان للعلوم تطور عن « معهد دانيال سيف للبحث العلمي » الذي تم انشاؤه في النصف الأول من هذا القرن على نفقة والد « ماركوس سيف » تخليدا لذكرى ابنه دانيال الذي توفي في صغره وقد سار « ماركوس سيف » على خطوات والده في دعمه « لمعهد وايزمن » وذلك عن طريق التبرع له مباشرة أو جمع التبرعات له من أصدقائه الأثرياء في العالم واعترافا بخدمات « ماركوس سيف » لهذا المعهد تم انتخابه رئيسا له في السبعينيات من هذا القرن

المغالطات المتعمدة :

يحتوي الكتاب الذي بين أيدينا على عدد كبير من المغالطات المتعمدة مما يجعله في رأينا وثيقة تهدف إلى الدعاية لاسرائيل والحركة الصهيونية ومصدر الكثير من هذه المغالطات اقتصاد الكاتب في ذكر الحقيقة فبينما يسجل الكاتب الواقعة التاريخية الصحيحة بأن العرب رفضوا قرار التقسيم في سنة ١٩٤٧ ، مقارنا ذلك بقبول زعماء الصهاينة لهذا القرار ، نراه لا يذكر الضغوط التي وضعتها أمريكا على بعض الدول الصغيرة الأعضاء في الأمم المتحدة لتأييد مشروع هذا القرار بهدف خدمة الحركة الصهيونية كما نراه لا يذكر بأن رفض العرب لهذا القرار تبرره عدالة قضيتهم تاريخيا وسكانيا ، خاصة وأن مشروع القرار أعطى الحركة الصهيونية جزءا من فلسطين لا يتناسب في حجمه مع تعداد اليهود فيها ، هذا بالاضافة الى كون هذا الجزء يمثل أغنى أراضي فلسطين زراعيا وأنه يزيد على الجزء المخصص للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم بنحو الثلث

ويجانب الكاتب الحقيقة عندما لا يذكّر قراءه بأن اسرائيل تآمرت مع كل من فرنسا وبريطانيا في شن هجومها على مصر في حرب السويس ، وبأن مصر لم يكن في نيتها الهجوم على اسرائيل في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، كما صرح بذلك عبدالناصر عدة مرات في حينه ويبتعد الكاتب عن الحقيقة عندما يذكر بأن عشرات الآلاف من الفلسطينيين تركوا ديارهم ، دون أن يشير الى دور الصهاينة الذين استعملوا كافة الوسائل المتاحة لهم لتحقيق هذا الهدف ، كما أثبتت دراسة أخيرة أجراها باحث اسرائيلي واعتمد في نتائجها على وثائق رسمية اسرائيلية

ومن المغالطات الأخرى التي يعج بها الكتاب

الاشارة الى بعض الممارسات الارهابية التي قامت بها العصابات الاجرامية في فلسطين بشكل يقلل من هويتها الارهابية أو يجردها منها ، مستخدما في ذلك أسلوب اللعب بالكلمات فمذبحة دير ياسين تكاد تفقد صفتها الإجرامية والإرهابية عندما يصفها « ماركوس سيف » بالشكل التالي « وفي التاسع من نيسان عام ١٩٤٨ هاجمت الأرغون ، التي كانت في حينه جماعة ارهابية ، قرية دير ياسين العربية ، حيث قتلت عددا من النساء والأطفال والرجال أيضا »

أما عملية نسف فندق الملك داود ، وغيرها من العمليات الإرهابية الأخرى ، فإنها تتجرد من صفتها الإرهابية عندما يصفها « ماركوس سيف » كما يلي « كان (مناحيم بيجن) يقود حملة الأرغون المتعنتة جدا ضد الحكم البريطاني في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية ، كما قام بعدد كبير من العمليات المتطرفة ، التي حاول بن غوريون وزملاؤه إيقافها ، ولكن بلا نجاح »

ويستعمل « ماركوس سيف » في سيرته الذاتية أسلوب الإيماء والإيحاء في دس مغالطاته إلى عالم القارىء غير المتنبه فالمشكلة الفلسطينية تصبح مشكلة لاجئين فلسطينيين خلقتها الحكومات العربية التي رفضت توطين الفلسطينيين في بلادها عندما يقارنها « ماركوس سيف » مع هجرة اليهود الى فلسطين المحتلة ، ومساعي اسرائيل الجادة لتوطينهم فيها وفلسطين تتمثل للقارىء بلادا جرداء قاحلة قبل وصول الصهاينة إليها ويصف « ماركوس سيف » الأرض التي أقام والده عليها مزرعة في الثلاثينيات من هذا القرن « يعود تاريخ هذه المزرعة الى منتصف الثلاثينيات عندما اشترى والدي أرضا على بعد خمسة عشر ميلا شمال تل أبيب بالقرب من قرية تدعى تلموند كانت هذه الأرض رملا في معظمها وعندما وجد والدي مصدرا للماء فيها ، حوّلا تربتها الرملية إلى تربة من الدرجة الأولى وطوّراها كمزارع حمضيات. فماركوس سيف هنا يحاول تكريس دعوى الصهيونية الباطلة بأن فلسطين كانت صحراء قاحلة قبل قدوم الصهاينة اليها ، وبأن الصهاينة هم الذين حوّلوها الى حديقة مزهرة وبالمثل يجرد المسيحيين الفلسطينيين من هويتهم العربية عندما يقول صاحب هذه السيرة الذاتية « لا يوجد مكان في الشرق الأوسط أكثر أمنا من القدس اليوم ، حيث يعيش اليهود والعرب والمسيحيون معا في سلام » ويخالف ماركوس سيف الحقيقة بشكل سافر عندما يقول بأن الضفة العربية ، بما في ذلك القدس القديمة ، كانت محتلة من قبل الأردن فيما بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٦٧م وما هدف هذه المقولة إلا الإيحاء للقارئ العربي غير المطلع بأن الإحتلال الإسرائيلي للضفة العربية لا يختلف في جوهره عن الوضع الذي كان قائما فيها قبل عام ١٩٦٧م ، خاصة من الناحية القانونية ويترتب على هذه المقولة طبعا مغالطات أخرى لا مجال لشرحها هنا ، بل يكفي أن نذكر الهدف منها ، ألا وهو تبرير الإحتلال الإسرائيلي لهذا الجزء من فلسطين على اعتبار أنه كان محتلا سابقا

ويدوس على الحقيقة بلا رحمة عندما يعزو تطرف بيجن وتمكنه من السلطة في اسرائيل الى حالة التطرف التي أصابت المجتمع الإسرائيلي نظرا للضغوط التي وضعها « كارتر » على هذه الدولة لقبول مبدأ السلام مقابل الأرض ، وبهذا يتناسى « ماركوس سيف » تاريخ بيجن الإرهابي المتطرف ، والتحول الديموغرافي الذي أصاب البنية الهيكلية للمجتمع الإسرائيلي نظرا لازدياد عدد اليهود الشرقيين فيها

أما هدف « ماركوس سيف » من ادعائه هذا فهو إقناع القارئ العربي بعدم جدوى وضع أية ضغوط على إسرائيل لأن هذا يريدها تطرفا لا اعتدالا

كرة السلام

ويستهتر « ماركوس سيف » بالحقيقة عندما يشيد بجهود إسرائيل للوصول الى السلام في الشرق الأوسط ويقابلها بتعنت العرب المزعوم ويمثل موقفه هذا قوله « وفي هذه الفترة التي أكتب فيها مذكراتي تقف « كرة السلام » في منتصف الملعب العربي وللأسف هناك شحّة في الأدلة التي توحي بأن العرب على استعداد للإمساك بها » كما يؤيد

ماركوس سيف موقف اسرائيل بعدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية لعدة أسباب ، أهمها عدم قبول المنظمة بقراري ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذين يطالبان بضرورة الإعتراف بإسرائيل ، وبحقها في العيش ضمن حدود امنة ، ودعوة هذه المنظمة إلى « تدمير دولة اسرائيل » ولا يذكر الكاتب طبعا استعداد منظمة التحرير الفلسطينية لقبول كافة قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين ، بما في ذلك قراري ٢٤٢ و ٣٣٨ أما سبب عدم قبول منظمة التحرير بهذين القرارين دون غيرهما من القرارات فمنعه طبعا أن مشكلة فلسطين في هذين القرارين تعتبر مشكلة لاجئين ، لا مشكلة حق تقرير مصير ولو أتيحت

الفرصة لحكم موضوعي أن يمارس التحكيم في « لعبة السلام » في الشرق الأوسط لكان حكمه بأن كرة السلام راسخة في منتصف الملعب الإسرائيلي ، وأن اسرائيل لا تنوي تحريكها على الإطلاق

فشامير ، زعيم حزب الليكود ورئيس وزراء اسرائيل حاليا ، يرفض رفضا باتا قبول مبدأ الأرض مقابل السلام ، بل سمعناه يقول في مقابلة له في مارس/ آذار الماضي على التلفاز البريطاني بأن اسرائيل ستدوس على الفلسطينيين كما لو كانوا « جنادب » فما رأي « ماركوس سيف » الصادق بهذا التصريح وبغيره يا ترى ؟ وهل تذكره هذه التصريحات بتصريحات النازية ضد اليهود في النصف الأول من هذا القرن ؟ □



■ من رفع نفسه فوق قدرها ، صارت محجوبة عن نيل كمالها — الفارابي

■ تاريخ الفن هو تاريخ تحرر الانسان — اندريه مالرو

■ إن أردت السلم فتأهب للحرب — مثل لاتيني

■ أمة ثبتت في جهادها لأخذ الحق ساعة ، خير لها من الحياة في الذل الى قيام الساعة — جمال الدين الافغاني

■ لا تعد فضائل الشخص خيرا ، نظرا لما تعود به من نتائج على صاحبها ذاته ، بل بالنسبة الى ما ننتظر من نتائجها علينا وعلى المجتمع — بيتشه

■ الانسان الحر مالك نفسه تماما ، ومملوك لقومه تماما — عبد الرحمن الكواكبي

■ ليست الأنانية أن يعيش المرء كما يهوى بل ان يطالب الآخرين ان يعيشوا كما يريد هو أن يعيش — اوسكار وايلد

■ لا أحب الحديث مع الناس والذين يوافقونني على كل شيء أقوله ، فقد تجد متعة بعض الوقت في مداعبة صدى صوتك برهة قصيرة ، ولكنك سرعان ما تشعر بالملل — توماس كارليل

من المكتبة العربية

السخرية السياسية العربيّة

بقلم : شريف الراس

من حسن الحظ أن هذا الكتاب ، الصادر باللغة الانكليزية أساسا ، قد ترجم إلى العربية ، ذلك أن القاريء الأوربي قد لايصاب بالاكتئاب إذا غابت عنه البسمة أو السخرية أو النكتة يوما أويومين . بينما أصبحت هذه الأمور بالنسبة للقاريء العربي ـ وفي هذا الزمن على وجه التحديد ـ ضرورة حياتية ، كالهواء والشمس والماء ، بل إن « البسمة » اليوم تشبه غاز الأوكسجين في غرفة إنعاش الإنسان العربي

مع أن المؤلف ، وهو الاستاذ خالد القشطيني الكاتب العربي المقيم في بريطانيا منذ ربع قرن ، لم يؤلف كتابه الطريف لهذا العرض ، وإنما كتبه وهو متوجه توجها معاكسا تماما ، إنه يريد أن يخاطب أبناء الغرب ، ولذلك ألفه باللغة الانجليزية ، وغرضه أن يصحح تصورات أبناء الغرب عن طبيعة الإنسان العربي ، كأنه يريد أن يقول للأوربيين : نحن العرب قوم ساخرون أيضا ، ونضحك أحيانا .

يقول الاستاذ خالد لقد ألفت هذا الكتاب بالانجليزية (لشعوري بعظم ثروتنا الأدبية في ميدان الفكاهة والظرف ، وجهل الغربيين التام تقريبا لهذه الثروة) خصوصا أن هؤلاء الغربيين (يعتبرون الفكاهة وروح النكتة جزءا أساسيا من الحضارة والفن والأدب ، ودليلا على النضوج وسماحة الخلق والميل إلى السلام ، والقدرة على التفاهم العقلاني ، وبرهانا على الثقة بالنفس وعندما يقول الغربيون إن العرب لايتصفون بروح النكتة وليس لهم أدب فكاهي أو مسرح كوميدي يضعون العرب في إطار سياسي كريه وعليه فإن إبرار هذا الجانب من الشخصية العربية والتراث العربي أهم في رأيي من ترجمة المتنبي وابن رشد أو ابن بطوطة إلى اللغات الأوربية)

لكنني منذ أن وقعت على عنوان الكتاب ، كنت أتساءل « هل يمكن ترجمة النكتة السياسية العربية ؟ » ، ذلك أن معظم النكات السياسية مسبوكة بصيغ عامية ، وبمفردات محلية جدا ، بحيث تغطي الكلمة الواحدة أحيانا خلفيات طويلة عريضة من المصطلحات الاجتماعية واللغوية المحلية ولنأخذ مثلا الواقعة التالية

« الترجمة الصعبة »

في فترة الإنتداب الفرنسي على سورية (١٩٢٠ - ١٩٤٥) كانت المحاكم العسكرية فرنسية ، وكان على القاضي الفرنسي أن يتحاور مع المتهم السوري بواسطة مترجم وذات مرة اقتيد إلى المحكمة شاب حلبي ، متهم باغتيال ضابط فرنسي ، وحين سأله القاضي الفرنسي « لم قتلت الضابط ؟ » سمع منه جوابا لم يتمكن المترجم من ترجمته ، بل إن المترجم لم يتمالك نفسه وانفجر بالضحك ، ذلك أن الشاب الحلبي الظريف أجاب « ورحمة نابليون مالي خبر »

فكيف نترجم تعبير « ورحمة نابليون » لقاضٍ فرنسي ؟

لنأخذ مثلا الشاعر الشعبي العراقي الشهير الملاعبود الكرخي (١٨٦١ - ١٩٤٦ م) الذي يقول عنه المؤلف بحق إنه (كان وطنيا متحمسا من راوية قومية صرفة ، وفي إطار شعره الشعبي يمكن أن يعد من أعظم شعراء الهجاء في التاريخ العربي ولا عجب أن تأتي فكاهته السياسية وسخريته اللاذعة المريرة منظومة بقصائد ويستشهد العراقيون بأشعاره كما يستشهد الانكليز بشكسبير وكلماته شريفة كانت أو سليطة تأتي كالطلقة من ماسورة البندقية) .

ومع ذلك فإن المؤلف - وله العذر في ذلك - لم يستطع أن يعرض للقاريء أكثر من صفحة واحدة عن سخرية هذا الشاعر اللاذعة ونقده المرير ، ذلك أن فهم اشعار الكرخي العامية يصعب على القاريء العربي غير العراقي ، فكيف على القاريء الغربي ؟

إذن فالمؤلف قد تعرض للمحنة التي أشرت إليها ، عندما حاول « تلحيص » سخرية الملاعبود الكرحى أو التعريف بأمثاله من الشعراء الشعبيين المعاصرين بمقطع قصير أو صفحة واحدة من صفحات كتابه الكبير مع أن سخرية الكرخي السياسية اللاذعة والمريرة والجارحة قد ملأت حتى الآن خمسة دواوين من سلسلة الكتب التي كانت محور حياته العاصفة على مدى ٧٤ عاما

وللمؤلف العذر كما قلنا

لأني وأنا قاريء عربي لم أستطع أن أفهم سطرا من دواوين الكرخي الخمسة ، فكيف الحال بالقاريء الغربي ؟

فإذا تركنا هذه المسألة و « تورطنا بقراءة النسخة من هذا الكتاب البديع وجدنا أن الدكتور كمال اليازجي الذي نقل الكتاب إلى العربية ورد بضاعتنا إلينا ، قد أسعدنا بنص أدبي رفيع هو الغاية في الجمال والكمال ، لذلك فإنني استخدمت كلمة « تورطنا » للتعبير عن حالة القاريء الذي يمسك الكتاب بتلابيبه فلا يتركه إلا بعد أن ينجز قراءته ، فهذا الكتاب - على اغراءات محتواه وطرافة موضوعه ، وفكاهة شواهده وتعليقاته - يمتاز بفضائل تزيد من شد القاريء إليه ، منها بلاغة البيان ، ونصاعة الأسلوب ، وسلامة النص من الأخطاء اللغوية والمطبعية ، وجمال العرض ، والدقة العلمية في نقل نصوص الشواهد المختارة من كتب التراث العربي القديم وهي نصوص أعتقد أن المؤلف بذل جهودا ضخمة في اختيارها وتجميعها من مضامين مئات الكتب القديمة ، ليعطي بعدا تاريخيا لنظريته التي أراد أن يؤكد فيها للغربيين أن العرب ليسوا أمة تجهم وبكاء ، وأن هذه الصورة السوداء ظالمة ومتجنية وغير موضوعية .

خصائص الظرف العربي

لذلك فإنه يخصص الفصل الأول من كتابه للتعريف «بخصائص الظرف العربي» بعد أن يمهد لذلك «بجولة في فلسفة الضحك» مؤكدا أن (الظرف العربي حقل جديد - نسبيا - من حقول البحث، قلما فطن له العرب المعاصرون. والظرف مادة تصلح للتقييم والتحليل يفرض على الباحث القيام بغربلة مجموعة ضخمة من النكات والنوادر والحكايات والأشعار التهكمية المنشورة في كثير من المؤلفات والمجاميع)

وبعد أن يقدم لنا عرضا جيلا لتاريخ الظرف والظرفاء عند العرب منذ عصر الجاهلية حتى أيامنا، وفصلا آخر عن «الظرف السياسي في تاريخ العرب» يخلص إلى استنتاج طريف يقول فيه (والذي يبدو أن ظرفاء العرب قد طابت لهم الدعابات التي تعرّي الحكام وتمحي الخوف من نفوس الناقمين عليهم بتعرية الحاكم عن هويته، ومواجهته مجردا عن هيبته. وقد بلغني مؤخرا حادث من هذا النوع عن الملك فيصل منشيء العراق الحديث ورئيس وزرائه الشهير نوري السعيد، وكان فيصل قد وصل حديثا إلى العراق وماله قليل. فسأل السعيد: كيف يقضي العراقيون أوقات فراغهم فأجابه: أحب تسلية لديهم النزهة بقارب في النهر، فأبدى الملك رغبة في هذه المتعة، فأرسلا ليلا متنكرين إلى حيث الملاح دعبول لأحدهما بقاربه في نزهة نهرية. وكان دعبول كسائر زملائه الملاحين يشرب الخمرة ويحتفظ بزجاجة منها في القارب. ولكي يظهر لضيفيه الكرم البغدادي قدم زجاجة «العرق» للملك ليرتشف منها جرعة. والملك كعربي لم يرفض الضيافة، لكنه كمسلم اكتفى بلمس فوهة القنينة بشفتيه، لكن نوري السعيد جرع منها جرعة كبيرة، وأعادها إلى الملاح. وأخذ دعبول بعد ذلك يسلي ضيفيه بالأحاديث المعتادة التي لا تخرج عن نطاق التذمر من الحكومة وقذف الوزراء واقتراح سبل الإصلاح. وفي نهاية النزهة سأل نوري السعيد الملاح دعبول:

- تدري احنا منو؟

- لا والله أفندي

- أنا رئيس وزراء العراق

وأسرع الملك فيصل إلى القول:

- وأنا ملك العراق

فقال الملاح دعبول: ماشاء الله، إنت شربت جرعة وشفت نفسك رئيس وزراء. وهذا شرب نص جرعة وشاف نفسه ملك! به به به. يالله انزلوا.

وفي اليوم التالي أراد نوري السعيد أن يوفر لجلالته مزيدا من المتعة، فأرسل في طلب دعبول، وأخذ في محادثته، فسأله: هل من جديد في الحركة على النهر؟ فقال دعبول: لا باشا، بس البارحة جاءني شقيان اثنان (وروى حكايتهما معه كما راق له)، فأظهر نوري السعيد غضبه وأمر الحرس بالبحث عن الشقيين، فقال دعبول:

- لاتشغل بالك باشا. مايستحقون أي تعب، اثنين داجين الواحد منهم ما يسوى اربع فلوس)

نكات النحويين

ويلاحظ المؤلف خلال استعراضه مقومات الظرف السياسي في تاريخ العرب أن (النكات الكثيرة التي انطلقت عن الأصول النحوية والحذلقة اللغوية، كونت نوعا من الظرف قائما بنفسه. رووا عن نحوي كان على ظهر سفينة فسمع الملاح يلحن في كلامه فصاح به: *ألم تتعلم النحو؟* فأجابه: لا. فقال له النحوي: *أضعت نصف عمرك*.

وبعد قليل هاج البحر وسقط النحوي في الماء وأخذ يصيح مستنجدا. فقال له الملاح: *ألم تتعلم السباحة؟* قال: لا. فقال له الملاح: *أضعت عمرك*)

كما يلاحظ ملاحظة ثانية أكثر أهمية ودقة ، وهي أن (المفهوم العربي للطرف والدعابة ، والسخرية والملهاة - فضلا عن المحاكاة الهزلية - لايطابق تماما المفهوم العربي للفكاهة والمزاح والهزل والظرف وليس ثمة إجماع على مضامين التعابير العربية وأنا لن أحاول أن أحدد التعابير العربية ، لكنني أرى أن التقصير الفاضح في الجانب العربي هو الملهاة فالمسرح أصلح مكان لانطلاق الافكار الغنية بالدعابة ولتفاعلها ولقد أصاب برغسون حين قال « إن الأمة الفكهة هي بحكم الصيرورة أمة تهوى المسرح » إن تطور المسرح متصل اتصالا وثيقا بالديمقراطية وقبول التعددية وإطلاق حرية النقاش والرد ، واحترام آراء الآخرين ، والإيمان بأهمية العمل الجماعي هذه هي علة ازدهار المسرح في بلاد اليونان وأوربا الغربية وديار الانكلوسكسون)

الظرف الصحافي

فإذا انتقل القارىء إلى الفصل الثالث المخصص للحديث عن « الظرف الصحافي في عصر الانبعاث » فسوف يلاحظ أهل بيته أن وتيرة ضحكاته قد تصاعدت وتسارعت ، وأن رنين ضحكاته وجلجلتها - وهو ماض في القراءة - أصبح مسموعا لدى الجيران لأن المراجع المتوفرة ، وهي الصحف المصرية والسورية واللبنانية وصحف المهاجرين العرب ، كثيرة وغنية بالشواهد والطرائف والوقائع التي ما تزال قريبة العهد ، ولدى القارىء خلفية فكرية عنها ، لذلك فإن « مفعولها » في إثارة الضحك لديه سهل وسريع

خذ مثلا هذا التعليق الذي نشرته مجلة روز اليوسف القاهرية في ٢٢ مايو (أيار) ١٩٢٧ حول إعلان صغير في إحدى الصحف عن مكافأة تمنحها سيدة انجليزية لمن يعثر على كلبتها الضائعة « لولو » جاء فيه

(خمسة عشر جنيها تدفع من أجل كلبة ضعيفة إذن فكم جنيها ستدفع من اجل كلبة متمتعة بالصحة التامة موردة الخدين ، كحلاء العينين ، ثقيلة الردفين ، بارزة النهدين ، ذات خصر نحيل ، وذيل قصير !!

وهذه الكلبة المحبوبة المعززة من صاحبتها لماذا تتوه يا أولاد الحلال ؟ ! تقول عنها صاحبتها إنها ضعيفة ، إذن لعل مرضها أعياها وأعيا نطس الأطباء فسئمت الحياة وألقت بنفسها في نهر النيل

وإذا صدق ظني فلعل صاحبتها ترسل هذه الخمسة عشر جنيها إلى ملجأ أبناء السبيل ، على روح المبكي على شبابها لولو ، فتدخل الفرح إلى قلوب عشرات الأطفال الصغار المساكين

خمسة عشر جنيها تدفع من أجل كلبة ! وفي البلد مئات وألوف من الأطفال يتضورون جوعا ! اللهم انزل غضبك وسخطك)

ويعلق المؤلف على هذا « المقتطف » قائلا

(لقد كان مقدار الجائزة كبيرا لايمكن لكاتب مثل هذا العمود الهزلي في هذه المجلة أن يحلم بمثله عن أتعاب شهر كامل)

جحا الحاضر أبدا

ويسوجه عام يحمد للمؤلف حسن اختياره للشواهد فهو - أمام الكم الهائل مما تجمع لديه من النكات اللاذعة والتعليقات الساخرة - يعرف كيف يقدم النماذج التي تشعرك بأنها « جديدة » من ذلك مثلا أنه يختار من تراث حكايات جحا العديدة هذه النادرة

(ذات مرة رافق جحا الوالي إلى الحمام ، فسأله الوالي ولبس عليه إلا المنشفة

- كم تقدر أنني أساوي يا جحا ؟

- خمسين دينارا

- تبا لك ، إن منشفتي هذه وحدها تساوي هذا المبلغ

- أعلم ذلك ، وعليه بنيت تقديري)

وهذا نموذج آخر من « التراث المحكي » لا المكتوب ، عن رأي الناس بالعسكر

(قيل . إن رجلا راكباً في سيارة النقل العام « الباص »وطأ سهواً على قدم أحدهم وبقي واقفا عليها

وعندما فرغ صبر الرجل سأل المتجني عليه تسمح تقول لي حضرتك ضابط ؟

ـ لا

ـ أبوك ضابط ؟

ـ لا

ـ أنت متجوز بنت ضابط ؟

ـ لا

ـ مافيش عندك واحد ضابط في الجيش ؟

ـ لا أبداً

فانهال عليه الرجل ضرباً ولكماً وهو يقول أمال انت واقف على رجلي كده ليه ؟) ومن النوادر المحكية لا المكتوبة التي تعطي هذا الكتاب ميزة انفراده عن كتب النقل ، هذه النادرة

(قيل إن وزيرا عربيا كان يشترك في جنازة زعيم سوفياتي ، فدهش عندما رأى المحزونين بعد الدفن يجتمعون على كأس فودكا ، وسأل سفير بلاده في موسكو ـ وهو عسكري سابق ـ عن تفسير هذه الظاهرة ، فقال له السفير العادة في روسيا أنهم يشربون الفودكا على صحة المتوفى)

« نوع الفكاهة »

ويلاحظ المؤلف أن النكتة العربية ، بعد التقدم الهائل في وسائل الاتصال بين الثقافات ، لم تعد محصورة ضمن الشروط المحلية (فمن الملاحظ أن العرب اقتبسوا الكثير من نكاتهم في غضون الثلاثينيات والأربعينيات ، من شعوب أوربا ، في حين أنهم اتجهوا في اقتباسهم ، في أثناء السبعينيات والثمانينيات نحو دول أوربا الشرقية وهذا الواقع لا ينبيء فقط بنشوء علاقة جديدة لهم بالدول الاشتراكية ، بل يشعر كذلك بنفورهم من التطبيقات التي جرت باسم النظام غير الليبرالي إن نوع الفكاهة التي يرويها رجل.دليل صالح على أخلاقه ومزاجه وظروفه الخاصة وهذا الواقع الفردي يصدق كذلك بالنسبة إلى الأمة جمعاء)

وعلى ذكر المقارنة بين الأوضاع في فترة الثلاثينيات ، وما آلت اليه في فترة الثمانينيات ، يعرض المؤلف واقعة تفضح مدى ما كانت عليه الأوضاع من دكتاتورية في زمن « الأنظمة الرجعية البائدة » ، وهي واقعة الأشعار السليطة التي كان يؤلفها بيرم التونسي ضد الملك فؤاد ، والتي بلغت في تعريضها بالأسرة المالكة في مصر حد فضح قضايا غاية في الحساسية ، منها أن الملك فؤاد تزوج من زوجته وهي حبلى ، وأن الملك فاروق ولد بعد هذا الزواج باربعة أشهر فقط وانتشرت القصيدة على كل لسان فما كان من النظام الدكتاتوري الظالم إلا أن اعتقل الشاعر وطرده من مصر (!!)

« اعلام الظرف »

وبشكل عام فإن كتاب « السخرية السياسية العربية » الذي يتضمن فصولا طريفة أخرى عن أعلام الظرف في عصر الانبعاث ، وعصر التهكم والخيبة ، وعصر ناصر الذهبي وصدمة النكسة ، يجعلك تشعر بأن حال الأدباء الساخرين العرب في العصر الحديث يشبه حال الصحفي المصري المرحوم إمام العبد ، فقد وصف هذا الرجل بأنه القصاب الذي احترف الصحافة ، فكانت الكلاب تتبعه فصار هو يتبع الكلاب

ثم يؤكد ذلك عندما يتحدث عن أحد أشهر أعلام الأدب الساخر في عصر الانبعاث فيقول . (عاش الشيخ عبد العزيز البشري في زمن كان فيه الأدباء أحراراً في العيش ـ نسبيا ـ كما يحلو لهم فنشأت في عدد من العواصم العربية حلقات تضم الأدباء ، يطلقون فيها النكات ، ويناقشون السياسية ،

ويتداولون في أحكام اللغة ، ففي بغداد كان ملتقى النخبة من الأدباء المقهى السويسري والمقهى البرازيلي ومقهى الرهاوي وكانت حانة انجلو ملتقى ظرفاء القاهرة ، مثل البشري وعلى ابراهيم وفكري أباظة وكذلك كانت حانة اللواء ومقهى المتاتية لرجال العلم والأدب وكان لهم في بيروت ودمشق مقاهي عجرم والقرار والبراريل يجتمعون فيها لأغراض مماثلة لكن سرعان ما هبت رياح التعبير على الشرق الأوسط ، وإذا المنافقون وقوى البطش يحلون محل الأدباء والظرفاء ، وإذا أناشيد النفاق تنطلق منها بدلا من ألحان الطرب)

أخيرا فإن هذا الكتاب الذي كان عرض مؤلفه تعريف القراء الغربيين بالوجه الساخر والضاحك في حياتنا ـ وقد أصاب الهدف ـ قد جاءت ترجمته العربية لتكون بمثابة الفصل الناقص من كتاب تاريخ العرب الحديث ، أو بمثابة الوجه الشابي ـ أعني الشعبي والحقيقي ـ للوجه الرسمي للتاريخ ، فهو يكشف عن الصورة التحتية لحياتنا العربية منذ بداية عصر الانبعاث ، أو منذ أن أصدر ابراهيم المويلحي صحيفته الهزلية « مصباح الشرق » في عام ١٩٠٦ ، فحدثنا عن « سراي » الحكومة ، وذكر أنها اشتملت على مكاتب لرئيس التشريفات وللكاتب الأول والأغا الأول والجاسوس الأول ويستدرك أن المكتب الأخير ألغي فيما بعد ، ووزعت مهام الجاسوسية على سائر المكاتب الأخرى ، فكان رئيس كل منها جاسوسا وله جماعة من المخبرين

وفي مقال آخر له يذكر أن الرجال في البلدان الأخرى يحرزون التقدم والترقي بتحصيل العلم ، وإظهار الشجاعة ، وقهر العقبات ، أما في الآستانة فالطريق إلى هذا الهدف أسهل وأقصر ذلك أنهم يظفرون بالثروة ويحررون المجد بمجرد تلفيق تهمة يلصقونها برجل بريء ، وقد اعتاد السلطان الإصغاء ، في كل صباح ، إلى تقرير من جواسيسه عن مؤامرة تحاك ضد شخصه المعظم فإذا لم يبلغه مثل هذا التقرير اعتقد أن الأسوأ قد وقع ، وأن المتآمرين قد خدعوا الجواسيس وفاقوهم دهاء وعند ذلك يقع فريسة الرعب إلى أن يأتيه الخلاص من خبر اكتشاف مؤامرة فيعود إليه روعه

مآخذ نقدية

هل لنا من مآخذ على كتاب « السحرية السياسية العربية » ما دمنا نقرؤه من زاوية نقدية ؟

الجواب نعم ، فالمؤلف عندما يتحدث ، وبشيء من الإسهاب في الفصول الأخيرة من الكتاب ، عن « الوضع » الساخر في أيامنا ، ويعرض نماذج جميلة وممتازة لناشر مثل زكريا تامر ، وشاعر مثل أحمد فؤاد نجم ، يترك الصورة مليئة بالثغرات لعدم تناوله كتابا ساخرين معاصرين ممتازين ، أمثال مصطفى أمين ، ومحمود السعدني ، وأحمد رجب ، وغيرهم ، من مصر ، وأمثال أحمد المعلمي ، وأحمد الشامي وغيرهما من اليمن ، وحسيب كيالي من سورية ، وابراهيم سلامة من لبنان ، وداود الفرحان من العراق ، وشعراء وأدباء كثيرين جدا في أقطار مغربنا العربي ، ممن لا نعرف حتى اسماءهم وكان صدور هذا الكتاب فرصة فريدة للتعريف بهم

أم أننا في تأكيدنا على هذا المآخذ أو التقصير ، نحمل المؤلف فوق طاقته ، ونطلب منه كتابا آخر يرسم فيه الصورة الكاملة لوقائع التاريخ غير الرسمي للزمن العربي المعاصر ؟ ! □

بين العقلاء والمجانين فاصل أدق من نسيج العنكبوت (جبران خليل جبران)

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب/ البعد الحضاري في مجتمع إد يفي
المؤلف/ د. محيي الدين صابر
الناشر/ المكتبة العصرية - بيروت
عدد الصفحات/ ٦٣٦ من القطع الكبير
سنة النشر/ ١٩٨٧

بهذا الكتاب يعود د. محيي الدين صابر الأمين العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى ميدان تخصصه الأصيل . وهو علم الاجتماع . فيقدم أول دراسة باللغة العربية عن قبائل سام بيام ومشروعات توطنها

الكتاب عبارة عن دراسة أنثربولوجية تمت وفق المنهج الأنثربولوجي ذلك الذي يقوم على دراسة المجتمعات المحلية بأسلوب الاتصال المباشر ، والمعايشة المشاركة ، والملاحظة الداخلية للمجتمع ، وكما يقول المؤلف فإنه اعتمد بشكل أعمق على الملاحظة المشاركة ، فشارك القبائل بحسهم وبروح منهم وعمل بينهم ، وأقام اقامة كاملة كأحد أبناء القبيلة ، لم تفته مناسبة ولم يترك فرصة إلا وانتهزها لجمع المعلومات ومعايشة الواقع في محاولة لرصده وفهمه

يقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام . خصص الكاتب القسم الأول منه الى طرح الاطار النظري للبحث . وفي القسم الثاني يتناول أصول الحضارة الراندية « بام سام » ، فيناقش البناء الاجتماعي والسياسي عند الارندي . والبناء الفكري والديني والنظام السحري عند الارندي . وشئون الحياة والموت ، والنظام الحمالي ثم البناء الاقتصادي وأخيرا المناشط الاقتصادية . وفي القسم الثالث من الكتاب يتعرض الكاتب لمشروع التطوير الحضاري في مجتمع القبائل . فيعرض لقطاعات المشروع زراعيا وصناعيا وخدمات . ثم يقوم خلال فصل كامل بتقويم المشروع وبعد ذلك يعرض عوامل التغير الحضاري في ذلك المجتمع . وأخيرا يناقش الكاتب مشروعات التوطين والتنمية كعوامل للتغيير الحضاري

■ ■

الكتاب/ في العربية السعيدة
المؤلف/ د. محمد عبدالقادر بافقيه
الناشر/ مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء
عدد الصفحات/ ١٨١ قطع متوسط
سنة النشر/ ١٩٨٧

يتناول المؤرخ اليمني المعروف في كتابه هذا من خلال ثماني دراسات قصيرة ، بعض القضايا التاريخية ، ويلقي الضوء على بعض الزوايا الغامضة في تاريخ اليمن السعيد . فيتناول في بحثه الأول علاقة عرب الشمال (العدنانيون) بعرب الجنوب (القحطانيون) ، وهي العلاقة التي لم تدرس بعمق كاف من قبل المهتمين بالتاريخ العربي عامة ، وتاريخ اليمن خاصة . وفي البحث الثاني يتناول من خلال محاولات تفسير لقب ملوك حمير (بني تبع) تاريخ تطور مملكتهم بدءا من مملكة سبأ إلى ما انتهت إليه :

النهاية ، وأصبحت تضم سبأ ودى ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طود وتهامة ، ومن مملكة حمير ينتقل الكاتب في بحث احر لمحاولة قراءة النقوش الخاصة بسوحرة ونو درانح تم يناقش الكاتب في دراسة أحرى حلفية الأحداث التي أدت إلى سقوط حكم الأحباش في اليمن قبيل الاسلام ، وهكذا يخصص المؤلف دراسته التى تضمها الكتاب إلى قضايا تكثر فيها الكتابات ، فيتناول بعد دلك مملكة برار واقليم البحرين ، ثم دراسة عن الهمدانى والمثامنة ، ودراسة عن هموم عدى بن وداع قراءة لقصيدة جاهلية ، وأحيرا الحنفاء العرب قبل الاسلام في مشروع إطار تاريخى

***

الكتاب / المشروعات العربيه المشتركه ، الواقع والافاق
المؤلف / د سميح مسعود برقاوى
الناشر / مركز دراسات الوحده العربيه ـ بيروت
عدد الصفحات / ١٧٩ ، قطع صغير
سنه النشر / ١٩٨٨

يأتي هذا الكتاب ضمن السلسلة التى ينشرها مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان سلسلة الثقافة القومية ، وهو الكتاب رقم ١٧ في السلسلة التي تهدف إلى تناول القضايا الشائعة والمثارة اليوم في حياتنا الفكرية ، حول موضوع القومية العربية والوحدة العربية

وعند تناول المؤلف لقصة المشروعات العربية المشتركة ، فإنه بدأ في الفصل الأول بتقديم المعنى المقصود بالمشروعات العربية المشتركة ، ومبرراتها وأهميتها ، ثم تطرق إلى واقع المشروعات العربية المشتركة من حيث عددها ، ورؤوس الأموال المدفوعة لها ، ثم التوزيع الهيكلى لهذه المشروعات ، لأطراف المساهمة في انشائها

وبعد أن يلم القارىء بواقع الحال العربي في هذا المجال ، ينتقل به المؤلف في فصل كامل الى الحديث عن دور المشروعات العربية المشتركة وأهميتها في العمل الاقتصادي العربي ، ثم يناقش الكاتب بعد ذلك معوقات المشروعات العربية المشتركة ، ويختم دراسته بفصل عن مستقبل المشروعات العربية المشتركة والحلول الممكنة لمعوقاتها وتضمن الكتاب ملحقا احصائيا فيه بيانات عن عينة مختارة من المشروعات العربية المشتركة ، والمشروعات العربية الدولية المشتركة من حيث اسم المشروع ومقره ، وتاريخ التأسيس ، ورأس المال المدفوع

***

الكتاب / أزمة القصيدة العربية ـ مشروع تساؤل
المؤلف / د عبدالعزيز المقالح
الناشر / دار الاداب ـ بيروت
عدد الصفحات / ٢٠٨ قطع متوسط
سنه النشر / ١٩٨٥

يناقش هذا الكتاب قضية الخلاف بين الشعر التقليدي والشعر الحديث ، ومن خلال عرض منطقى يطرح الكاتب أفكارا وتساؤلات شديدة الثراء ، فيقول في معرض رصد القضية وحدودها إن الأزمة بالنسبة للشعر ليست سوى أزمة موقف من الجديد ، وأزمة خوف من التعبير الحقيقى في بنية الكلمة ، وقد جاء ذلك الموقف مستندا الى المعايير السلفية الضيقة والعاجزة عن تكوين مفهوم علمى للشعر ولبقية فنون التعبير ، وليس أدل على ذلك من أن النقاد التقليديين يتهمون شعراء القصيدة المعاصرة بالتهالك على الشكلية ، وينسون أن دفاعهم المبالغ فيه عن الشعر التقليدى هو اسراف في الدفاع عن الشكلية ثم يتعرض الكاتب بعد ذلك الى طرح اشكالية الجديد والأحد في القصيدة العربية ، والخلاف بينهما ، ويختم الكاتب كتابه بفصل كامل يخصصه لمناقشة منطق الأزمة في القصيدة البنية العربية □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٥٩

أكتوبر ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٩ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ نوفمبر ١٩٨٨

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٥٩

١ ما يخمص المرء عُدْمُه ويُتْمُه اذا رفعه دينه وعمله ، ولا يرفعه ماله وأهله اذا خفضه فجوره وجهله

حكمة مقتطفة من كتاب أطواق الذهب في المواعظ والخطب ترى من هو مؤلف هذا الكتاب ؟

٢ ضرب أخماس لأسداس

مثل شائع ترى ما الذي قصد اليه العرب من ضرب هذا المثل ؟

* وصف الخبيث الماكر
* وصف الأمين الحريص

٣ براقة مضت في تسلق جدار طوله ٣٠ قدما وراحت تتقدم ٣ اقدام نهارا وتتأخر قدمين ليلا ترى كم يوما احتاجت البراقة لبلوغ أعلى الجدار ؟

٤ قالت له احدى المعجبات « تصور أية ثمرة طيبة مدهشة نجنيها فيما لو اقترنت عبقريتك بجمالي » فرد عليها الأديب الساحر « ولكن ماذا لو اجتمع قبحي وغباؤك ! »

فمن هو هذا الأديب الساحر ؟

٥ بستان مثلث الشكل ، زرعوه شجرا ست شجيرات لكل ضلع من أضلاعه

الثلاثة وشجرة واحدة في كـل زاوية من زواياه الثلاث
ترى ما هو مجموع الشجر المزروع في هذا البستان ؟

٦ « مستر واطسون تعال الي أنا أريدك »
عبـارة لا حكمة فيهـا ولا عـبرة ولكنهـا ذات خطورة بـالغة ، فهي اول عبـارة انتقلت من قـائلهـا الى سـامعهـا بالهاتف فمن هو قائل هذه العبارة ؟

٧ يردد الهولنديون ذكر الرحل الهولندى الطائر فهم يطلقون الاسم على كثير من منشاتهم العمرانية والاقتصادية وكثيرا ما يستعملونه شعارا لوصف رجال أو بحار صل السبيل تـرى من هو الـرجـل الهولندي الطائر هذا ؟؟

٨ تـرى في أي المـدن تتوقـع ركـوب الجندول ؟

٩ يـذكر التـاريخ حـادثة غـريبة وقعت لاحـدى السفن سنـة ١٨٧٢ وذلـك في عـرض المحيط الاطلسي غير بعيـدة عن ساحل البرتغال ، فقد عثر عـلى السفينة فجأة وقد فقدت ملاحيها وقارب نجاتها وبعض معداتها ولم يتمكن أحد من حل لغز هذه السفينة حتى الان فأي سفينة تلك

- * التيتـانيـك * مـاري سلست
* كوين ماري

١٠ لعبت النار دورا مهما جدا في تاريخ الحضارة ترى من اكتشف النار وأين ومتى ؟

١١ خاطب الشاب المرأة قائلا « اعتقد اننا أقربـاء ، ولكنى لا أستطيع تحديد صلة القرابة بيننا نظرا لغيابي الطويل في امريكا »
فـابتسمت المرأة وقـالت « المسألـة بسيطة وحسبك أن تعرف أن أمك كانت ابنة أمي الوحيدة »
ترى ما وجه القرابة بين الاثنين ؟

١٢ ومـا شيء حشـاه فيـه داء
وأولـه وآخـره سـواء
اذا مـازال آخـره فجمـع
يكـون الحـد فيـه والمضـاء
وان أهملت أولـه فـفعـل
له بالـرفع والنصب اعتنـاء
أبيـات تلغـز بـالجمـرة فمن هـو قائلها ؟ □

حلّ مسابقة العدد ٣٥٦ يوليو ١٩٨٨

١ توحد أقدم كنيسة في العالم في سوريا ، في قلعة الصالحية الواقعة الى الشرق ، والكنيسة هى أقدم الكنائس القائمة حاليا في العالم كله ، وقد مضى على انشائها أكثر من ١٧٥٠ عاما اذ بنيت سنة ٢٣٢ م ، على انها لم تبن لتكون كنيسة بل بيتا للسكن ثم حولت الى كنيسة

٢ الكنائس والكاتدرئيات صنوان فهي معدة لاقامة الصلاة عند المسيحيين بيد أن الكاتدرائيات يرعاها أسقف ، أما الأديرة فهي سكن للرهبان والراهبات

٣ برج بيرا المائل ليس الا برج الأجراس الخاص بكاتدرائية بيرا وان فاقت شهرته شهرتها وذلك بسبب ظاهرة ميلانه وهي ظاهرة عجيبة لا ريب

وتجدر الاشارة الى أن الكاتدرائية وملحقاتها قد بنيت فيما بين سنة ١٠٥٣ - ١٢٧٢ وتعد آية من آيات فن الرومانسك وهو فن معروف في اوروبا

٤ أضخم كنيس قائم في الولايات المتحدة الامريكية ، يعرف باسم معبد عمانويل ويقع على التقاطع بين الشارع الخامس وشارع رقم ٦٥ ويبلغ بعداه ٤٥,٧٢ مترا × ٧٧,١١ مترا ، وقد اكتمل بناؤه سنة ١٩٢٩

٥ أضخم الكاتدرئيات في العالم هي كاتدرائية القديس يوحنا في نيويورك أو الكاتدرائية غير المكتملة كما يسميها أهل نيويورك اذ تبلغ مساحتها ١١٢٤٠ مترا مربعا فهي إذن أكبر من كاتدرائية سانتا ماريا التى تبلغ مساحتها ١٠٥٤١ مترا مربعا

٦ كاتدرائية نوتردام في باريس هى بلا ريب أشهر الكاتدرائيات الأوربية التى بنيت بالطراز القوطى ، وهي أيضا من أقدمها ويعود بناؤها الى سنة ١١٦٣ - ١٢٤٠م وهى كذلك أكبر مساحة (تبلغ مساحتها ٤٢٧×١٥٧ فدانا) ، وزادها شهرة اهتمام فيكتور هوجو وأمثاله من مشاهير الكتاب بها وغني عن البيان ان للكاتب الفرنسي الشهير هذا قصة بعنوان (نوتردام)

٧ السير الكسندر رن (wren) (١٦٣٢ - ١٧٢٣) هو بلا ريب في طليعة المهندسين المعماريين الانكليز في العصور الحديثة وكاتدرائية القديس بولس (سنت بول) هى بلا ريب أهم آثاره المعمارية كلها

٨ وستمنستر آبي ، كنيسة مهمة في لندن ، وضريح قومي ، تعتبر من أجمل المباني ذات الطراز القوطي في انكلترا انشئت بين ١٢٤٥ - ١٥٢٨ على أنقاض كنائس أخرى قديمة إنها الكنيسة التى توج فيها ملوك انجلترا كلهم اعتبارا من وليم

الأول وهي الكنيسة التى دفن فيها الكثيرون منهم

٩ كنيسة سيستين فى الفاتيكان هى التى تزين سقفها لوحات مايكل أنجلو الخصية الرائعة بناها البابا سكستوس الرابع سنة ١٤٧٣ ـ ١٤٨١ والجدير بالذكر أن هذه الكنيسة هى المكان الذى تجتمع فيه جميع الكرديناالات المقدسة

١٠ تعرى القداسة الفائقة التي تتميز بها كنيسة القيامة الى الاعتقاد بأن بناءها يجمع بين مكانين مقدسين المكان الذى صلب فيه المسيح حسب المعتقدات المسيحية والمكان المجاور الذى دفن فيه حسب المعتقدات المسيحية أيضا

١١ اتباع الديانة الشنطوية في اليابان هم الذين يقدسون المرآة الموجودة فى أيز (ise) فهم يعتقدون أن آلهة الشمس نفسها اميتاراسو Ametarasa قد نظرت فى هذه المرآة عقب خلق الكون مباشرة لا عجب اذن إن أقبل الملايين من أهل اليابان وغيرهم على زيارة هذه المرآة سنويا

١٢ الاسم هو « هاجيا صوفيا » وهو يوناني ومعناه الحكمة المقدسة

وتجدر الاشارة الى ان كنيسة هاجيا صوفيا هذه كنيسة أرثوذكسية بناها يوشيناں سنة ٥٣٢ ـ ٥٣٧ وقد حولت الى مسجد بعد الفتح العثماني سنة ١٤٥٣ اما الآن فهي متحف للفنون وبخاصة البيزنطية ويعتبر المبنى نموذجا رائعا للفن المعماري البيزنطي

الفائزون في مسابقة العـــدد ٣٥٦ يـوليـو ١٩٨٨

الجائزة الاولى : محمد مصطفى السمرى/ الاسكندرية - جمهورية مصر العربية

الجائزة الثانية : النور محمد الحسن/ جامعة الخرطوم ـ جمهورية السودان

الجائزة الثالثة : ابراهيم جمال ابراهيم احمد الجزار/ كلية الهندسة ـ دولة الكويت

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ نزار سليم كيخيا/ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ احمد عارف الفاني/ بيروت ـ لبنان .

٣ ـ وريقى محمد/ حي الرياك ـ خريبكة ـ المملكة المغربية

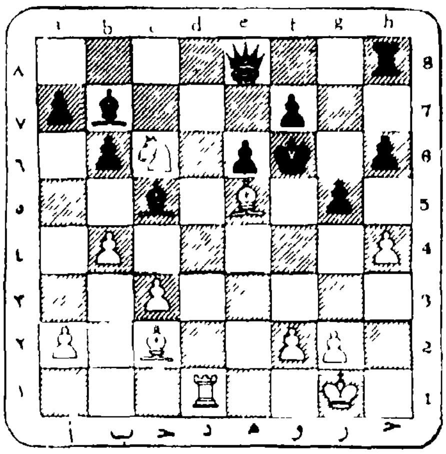
٤ ـ نهلة صلاح/ ولاية البويرة ـ الجمهورية الجزائرية

٥ ـ سعود عزيز محمد/ البصرة ـ المعقل ـ الجمهورية العراقية .

٦ ـ طه محمود عمرين/ دوما ـ ص . ب (١٨٥) الجمهورية العربية السورية .

٧ ـ محمد فال بن محمد الطالب النافع/ نواكشوط ـ موريتانيا .

٨ ـ حنا التون فيناق / راوريبرو ـ السويد



معركة بلا سلاح



يتمتع جورج كولتا نوسكي الرئيس السابق للاتحاد الأمريكي للشطرنج بموهبة نادرة في اللعب بالاستدبار ، وهو ضرب من اللعب ، يجلس فيه اللاعب وظهره إلى الرقعة معلنا نقلاته لخصومه عن طريق الرموز . وقد برع أجدادنا العرب في هذا الضرب من اللعب ، وتركوا لنا فيه مآثر خالدة (انظر عدد اكتوبر ٨٤) . واللعب بالاستدبار (العمياني) يسبب لممارسيه إرهاقا ذهنيا بالغا مما حدا بالسلطات الشطرنجية السوفييتية إلى منع كبار اللاعبين السوفييت من ممارسته حرصا على صحتهم العقلية ، غير أن بعض اللاعبين يتخذون من نجاح كولتا نوسكي في اللعب بالاستدبار حجة لتفنيد هذه المزاعم ، فها هو كولتا نوسكي في الثانية والثمانين من عمره ومازال لاعبا وكاتبا ومديرا شطرنجيا ممتازا

وقد حمل هذا اللاعب الفذ بطولة العالم للعب بالاستدبار لعام ١٩٣٧ ، حيث لعب ٣٤ دورا فاز في ٢٤ منها وتعادل في الباقي . ومن المهارات العجيبة التي يتميز بها كولتا نوسكي ما يعرف بجولة الفرس ، *وهي أحجية يقوم اللاعب فيها بنقل الفرس بحيث يلمس كل مربع من مربعات الرقعة مرة واحدة فقط ، ويعود في نهاية الجولة عادة إلى المربع الذي انطلق منه في النقلة ٦٤ . وتبلغ دقة كولتا نوسكي ومهارته في تنفيذ هذه الجولة حدّاً يجعله يقيم عروضا* عامة يحضرها مئات المشاهدين ، يملأ مربعات الرقعة فيها بأسماء وأماكن وأرقام يختارها الحاضرون ، يقضي بعدها من ثلاث إلى أربع دقائق في حفظ الرقعة واختزان الأماكن والأرقام والأسماء في ذاكرته المدهشة ، ثم يقوم بتنفيذ الرحلة العربية بالقفز بالحصان من مكان إلى آخر ومن رقم إلى آخر الى أن يختتم الجولة وسط حيرة المشاهدين واستغرابهم .

وقد بلغت ثقته بنفسه مرة أن قام بهذه الجولة المدهشة أمام جمهور غفير على رقعة تمتلىء بالأرقام العشوائية لم يرها منذ عام مضى . أما كيف استطاع كولتا نوسكي اكتساب هذه المهارة العجيبة فهو يقول بأنه كان يرسم الرقعة فوق رأسه في غرفة نومه ، ويقضي وقت فراغه في استذكارها وتنمية قوى الاستبصار لديه .

ويفضل كولتا نوسكي في لعبه بالاستدبار الافتتاحيات التقليدية كافتتاحية الأفراس الأربعة وافتتاحية « روي لوبير » ولكنه يميل إلى افتتاحية بيدق الوزير المعروفة بافتتاحية كول colle التي تنسب إلى اكبر لاعبي موطنه الأصلي بلجيكا كما في الدور التالي (كرويك ١٩٣٧)

	□ كولتا نوسكي	■ السير هيو ولبول
١	د ٤	ح - و ٦
٢	ح - و ٣	هـ ٦
٣	هـ ٣	د ٥
٤	ف - د ٣	ح ١ - د ٧
٥	ح ١ - د ٢	ف - د ٦

القلاب التقليدية لافساحية كول

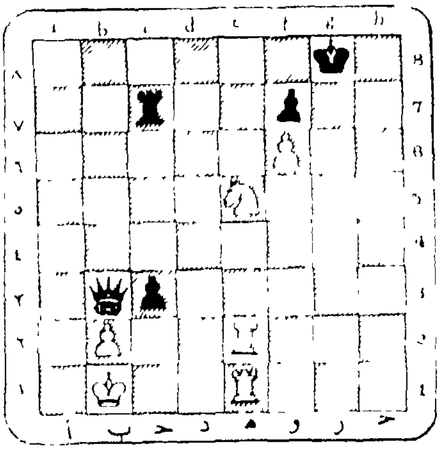
٦ هـ ٤ — د × هـ ٤
٧ ح × هـ ٤ — ح × هـ ٤
٨ ف × هـ ٤ — ح - و ٦
٩ ف - د ٣ — ت (نقلة متسرّعة)
١٠ ب — حـ ٦
١١ و - هـ ٢ — ف - د ٧
١٢ ح - هـ ٥ — حـ ٥
١٣ د حـ ٥ — ف × حـ ٥
١٤ ر - د ١ لتسمير الفيل واقتناصه بعد ف - ب ٥
١٤ ... و - هـ ٧ (تماديا للفح)
١٥ ف - و ٤ — رو - د ٨
١٦ و - و ٣ — ف - حـ ٨
١٧ حـ ٣ — ر ٤ ؟ (رديئة)
١٨ ف - ر٣ — م - ر٧
١٩ حـ ٤ (تمهيدا للهجوم)ر - حـ ٨
٢٠ ف - حـ ٢ — ب ٦
٢١ ح - حـ ٦ ! (بديعة)ف - ب ٧
٢٢ ب ٤ — ر × د ١ +
٢٣ ر د ١ — و - هـ ٨

لمضاعفة التهديد على الحصان ومن ثمّ اقتناصه

٢٤ و × و ٦ ! تضحية يعسرها المصرون من كبار اللاعبين فحا فما بالك بمن يلعب مستدبرا وأمامه ثلاثون لاعبا !

٢٤ ... م × و ٦
٢٥ ف - هـ ٥ (مات) الشكل أعلاه

مسألة العدد (٣٥٩)



مات ٤

من اهداء القاريء
عماد دحدوح (دمشق)

حل مسألة العدد ٣٥٧
اغسطس ١٩٨٨

الحل
١ م - أ ٢ يلعب ما شاء
تم مات

الفائزون بحل مسابقة الشطرنج العدد ٣٥٦ (يوليو ١٩٨٨)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - عبدالمجيد الهوليلي/ خريبكة/ المغرب
٢ - ناصر عبدالرحمن حمودة/ بورسعيد/ مصر
٣ - محمد عمر معاشر/ عدن/ اليمن الديمقراطية
٤ - مقداد محمود الزعاترة/ عمان/ الاردن
٥ - هنادي سعد عثمان الربحي/ الوكرة / قطر

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - أحمد كمال الكرم/ حماة/ سوريا .
٢ - ابن ايوب محمد بن حمو/ غرداية/ الجزائر
٣ - عثمان أحمد محمد الحوري/ مناقذا/ السودان
٤ - يونس التليلي/ القصرين/ تونس
٥ - ساهر مهدي الراشد/ البصرة/ العراق

حوار القراء

العربي ـ ص.ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الكويت

زعامة الأدب تنتقل الى الكويت

الأستاد / الدكتور رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

باديء دي بدء بهنئكم والعاملين معكم على تقدم مجلتنا المتميزة وتطورها من حسن الى أحسن متمنين لها كل تقدم وازدهار

لقد ظهرت في الأونة الأخيرة موجة احتجاب بعض المجلات الفكرية الجادة والخلاقة مثل مجلة (الأمة) وكذلك مجلة (الدوحة) القطريتين . وقد سبق ذلك بأعوام احتجاب مجلة (المسلمون) ثم عادت صحيفة (أسبوعية) نتمنى لها الاستمرار ولغيرها وإن أسباب التوقف المفاجيء كانت مالية بحتة . حيث أن وارداتها لا تغطي جزءا يسيرا من تكاليف إصدارها وغير خاف عليكم أن احتجاب مجلة فكرية جادة يساوي قتل مدرسة علمية . بل في حقيقة الأمر يمثل مأساة فكرية لجيل تنتصر فيه المجلات الهابطة وتحتجب المجلات التي تعنى بالفكر والمعرفة والقيم

الأستاد/ الدكتور رئيس التحرير

إني أجد نفسي في قلق على مجلتنا النيرة (العربي) مجلة كل العرب ، بل كل من نطق العربية في أرجاء المعمورة على الرغم من أنها شهرية وذات معارف متعددة ننتظرها بفارغ الصبر كل شهر ، قلق أن تتعثر في المستقبل القريب بسبب ضآلة العائد المادي وكثرة النفقات ، وارتفاع أسعار الورق على المستوى العالمي على الرغم من محاولتها الجادة الصامدة أمام كل التحديات ورغبتها الأكيدة في الحرص على الاستمرار بهمة الرجال المخلصين في أن تكون في متناول كل أبناء العرب ، ولتكون حلقة اتصال دائم بين أبناء الأمة العربية ، ومن وراء كل ذلك وزارة الاعلام الكويتية ، أعانها الله

إني أتصور أن الأمر المالي سيتحقق إذا قامت المجلة برفع سعر البيع والاشتراكات بحيث يكون سعر البيع مساويا للتكلفة بدل من البيع بالسعر الرمزي كما هي عليه الحال الآن

إن للمجلة حظا وافرا من محبة القراء وثقتهم يجعل الطلب عليها في ازدياد حتى إن رفعت السعر . والمجلة مستمرة في العطاء منذ فترة طويلة دون أي تغير في سعرها ، وهي غزيرة العطاء منذ صدورها لأول مرة وهي الآن أقوى وأغزر في المادة والاخراج وفي نوعية الورق الذي تصدر به . وإن قراء المجلة لن يبخلوا على

مجلتكم الرفيعة المستوى بدفع السعر الجديد . على الرغم من أننا نعلم أن الفكر والأدب لا يقاس بالثمن أو بمبدأ الكسب والخسارة . لتبقى مجلة العربي حية على مدى الأزمان ولتبقى الكويت رائدة في ذلك حماها الله

في الأربعينيات أطلق طه حسين عبارته المشهورة « زعامة الأدب تنتقل من القاهرة إلى بيروت » وفي الثمانينيات نردد هذه العبارة مع شيء من التعبير ليصبح منطوقها « زعامة الأدب تنتقل إلى الكويت » ونرى إن شاء الله في القريب العاجل هذه العبارة وهي أكثر شمولا لتكون « زعامة الفكر والأدب تنتقل إلى دول مجلس التعاون الخليجي » لما لها من الاهتمام والامكانيات والسبل لتهيئة ذلك المناخ المطلوب

القارىء حسن عبدالرحمن هيكلي
جدة ـ المملكة العربية السعودية

نشكرك على رسالتك الصادقة ونطمئنك بأن الجميع في الكويت يولون مجلة العربي كل اهتمام ويوفرون لها كل الامكانيات . وان وزارة الاعلام ماضية كالسابق في دعم المجلة والحرص على أن تظهر في أحسن صورة خدمة للأمة العربية بكل أقطارها

■ ■ ■

حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتهيئة الظروف للانتفاضة

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير
تحية طيبة .

قرأت في العدد ٣٥٤ مايو ١٩٨٨ من المجلة الملف الفلسطيني،وبين هذا الملف وافتتاحية العدد يظهر مدى الجهد الذي بذل لتغطية انتفاضة الشعب العربي في فلسطين المحتلة ، **وهو جهد تشكرون عليه** ،ولكن في مقالة « من الاقتلاع إلى الصراع من أجل البقاء » تحدث الكاتب الدكتور شفيق الغبرا عن بدايات الاستعمار الاستيطاني « الاسرائيلي » اليهودي للأرض العربية الفلسطينية . وتحدث عن الجرائم والمجازر التي ارتكبتها « اسرائيل » تجاه الشعب الفلسطيني . ثم أتى الدكتور شفيق على ذكر حرب ١٩٦٧ التي سيطرت فيها « اسرائيل » على الضفة العربية وقطاع غزة والقدس . ثم انتقل فجأة بالحديث عن هذه النكسة إلى

حوار القراء

عرو الحوب اللنباني عام ١٩٨٢ ، ولكن المدهش هو لماذا لم يأت الدكتور العرا على دكر حرب تشرين التحريرية (أكتوبر ١٩٧٣) التي استرجع فيها العرب بعض الأرض العربية المغتصبة مثل أجراء من الجولان والقنيطرة وسيناء ، فلقد كانت أبرر الأحداث التاريخية التي تمت في تاريخ العرب الحديث نظرا لمعكساتها ونتائجها على كل الأصعدة والمجالات وكان من أهم نتائج هده الحرب على الصعيد العسكري تأكيد قدرة الانسان العربي وجدارته القتالية وإمكاناته في استخدام أعقد وسائل الصراع المسلح ، وكذلك تحقيق المفاجأة التامة للعدو « الاسرائيلي » من الناحية الاستراتيجية على الجبهتين السورية والمصرية باتخاذ قرار الحرب وتوجيه ضربتين متزامنتين في الجولان وسيناء

أما على الصعيد الداخلي فقد استعاد الشعب ثقته بنفسه وبإمكاناته وقدراته ، وتعززت ثقته بقواته المسلحة ، وتعزز الشعور بأن الأمة العربية قادرة ليس على المواجهة فحسب وإنما على تحرير كل التراب العربي

وعلى الصعيد « الاسرائيلي » الداخلي اهتزت الصورة التي خلقتها « اسرائيل » في نفوس سكانها بأن الجيش « الاسرائيلي » لا يقهر

أما على الصعيد الفلسطيني فلوحظ ازدياد نشاط العمل الفدائي داخل الأرض الفلسطينية المحتلة واتسامه بطابع جديد وهو المواجهة المباشرة ، وكذلك اكتساب القضية الفلسطينية اعترافا عالميا واسعا

وعلى الصعيد العربي أبرزت الحرب أهمية الوحدة العربية في الصراع مع العدو الصهيوني ، وأكدت أهمية التضامن العربي ، وأبرزت الحرب أهمية النفط العربي في المعركة

القاريء محمد بحري
رابطة التربية ـ حماة ـ سوريا

■ ■ ■

«تشجيع النشء»

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير
تحية طيبة ،

لماذا لا تأخذ المجلة على عاتقها مسؤولية تشجيع الشباب من الناشئة في رحاب الأدب ، سواء في الشعر أو القصة أو الدراسة الأدبية ، فنحن نلاحظ أن كل الذين ينشرون هم من كبار الكتاب والباحثين

القارئة
آمال السيد عيسى السيد أحمد
توبلين ـ البحرين

شكركم على رسالتك . ونود أن نوضح أن المجلة كانت دائما سباقة إلى تشجيع المواهب الشابة ،وتنشر لهم . وقد برز عدد منهم من خلال النشر في « العربي » ، وهذا فخر للمجلة أن ترى كثيرا ممن بدءوا الكتابة فيها قد أصبحوا من المشاهير في الوطن العربي . والقصية تعتمد فقط على مدى صلاحية الموضوع المرسل للنشر وأصالته ، ومدى ملاءمته مع سياسة المجلة وأهدافها

* * *

"شحنات الصوديوم والبوتاسيوم"

السيد الدكتور رئيس التحرير

بعد التحية ،

في العدد ٣٥٤ ـ مايو ـ ١٩٨٨ وفي مقال « كهربائية الجسم والأمراض النفسية » ، وبالتحديد في صفحة ١٤٧ كانت هناك معلومة ليست دقيقة ، أردت أن ألفت نظركم ونظر القراء إليها . فالكاتب يقول : « يحيط بالخلية العصبية غشاء يتكون من مواد كيماوية مختلفة في نوعها ونسبها ويحتوي الجزء الخارجي من الغشاء على كمية عالية من البوتاسيوم وكمية مخفضة من الصوديوم وتكون الشحنات موجبة في الحالتين وتكون المواد من داخل الخلية على العكس من ذلك ، أي أن يكون تركيز البوتاسيوم مخفضا ، وتركيز الصوديوم عاليا ، كما أنهما يحملان شحنات سالبة »

والملاحظ أن الكاتب أتى بمعلومة غير دقيقة وهي أن البوتاسيوم والصوديوم لهما شحنات موجبة في خارج الخلية وشحنات سالبة في داخل الخلية ، وهذا خطأ ، لأن شحنات البوتاسيوم والصوديوم موجبة سواء كانت داخل الخلية أوخارجها ، أما فرق الجهد بين داخل الخلية وخارجها فإنه ينشأ نتيجة الاختلاف في تركيز أيونات الصوديوم والبوتاسيوم أساسا ، وكذلك اختلاف معامل نفادية غشاء الخلية لكل منهما ، والمعادلات التي تحسب هذا الفرق من الجهد في استرخاء الخلية وهي ثابتة علميا منذ عام ١٩٤٣ ، بحيث يكون دائما داخل الخلية أقل جهدا من خارجها بحوالي ٨٠ ميللي فولت ($\frac{٨}{١٠٠}$ من الفولت) ، ولذلك يبقى دائما داخل الخلية سالبا بالنسبة لخارجها بنفس الكمية ، ولقد أثبتت ذلك التجارب المعملية الكثيرة

د . محمد ابراهيم العدوي
قسم الاتصالات ـ كلية الهندسة والتكنولوجيا
جامعة حلوان ـ حلوان ـ القاهرة

العربي

وردت للمجلة أيضا رسالة من القارىء وليد طه الجعبة ـ كلية الطب الجامعة الأردنية ـ المملكة الأردنية الهاشمية تحمل نفس الملاحظات والمعلومات الواردة في الرسالة السابقة . ونحن نشكر كل من كتب في هذا الموضوع . وكما تعلمون أن المساحة المخصصة لا تسمح بنشر جميع الرسائل الواردة ، ونرحب بأي ملاحظات في المستقبل

حوار القراء

ردود قصيرة

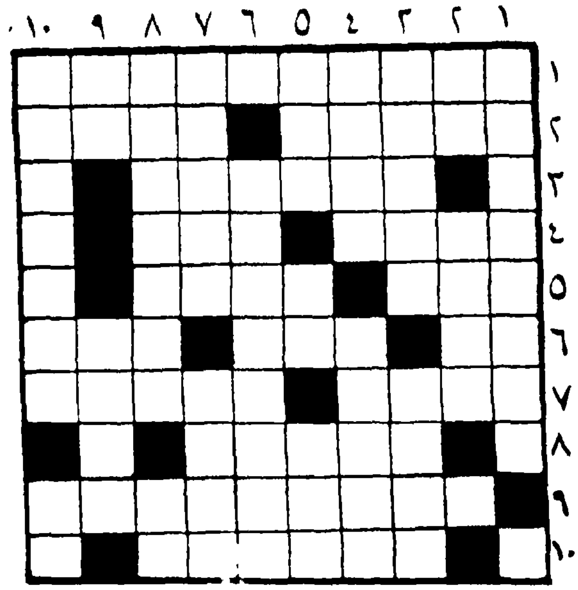
- القاريء مختار عبدالرحيم مختار - بركة الحاج - القاهرة - يود لو أن المجلة أعطت اهتماما بالطفل العربي. ونقول له: إننا نصدر منذ أكثر من سنتين ونصف سنة مجلة متخصصة للطفل العربي تسمى (العربي الصغير) ، وسوف تلاحظ إعلانها ضمن صفحات المجلة ، ويمكنك اقتنائها من أي موزع في القاهرة ، كما أن المجلة تنشر المواضيع المتخصصة التي تعنى بالأطفال على صفحاتها.

- القارئة فاتن البدوي - دمشق - سوريا - أهنئكم على المجهود الكبير الذي تقدمونه في « العربي » ، وعندي اقتراح ، وهو أن تقوموا بعمل استطلاع عن أحياء دمشق القديمة والبيوت العربية القديمة الآخذة بالزوال مع تقدم العمران.

- القاريء بسام دباغة - جامعة اليرموك - المملكة الأردنية الهاشمية - يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن جامعة اليرموك وعن مدينتي البتراء وجرش التاريخيتين ، كما يود معرفة كيفية الحصول على أعداد مجلة « العربي » من المكتب الفني بوزارة الاعلام الكويتية. نقول: إن المجلة قامت بعمل الاستطلاعات التي تقترحها في أعداد سابقة ، ولا يوجد ما يمنع ان تقوم المجلة مرة أخرى بعمل مثل هذه الاستطلاعات ، أما بالنسبة للحصول على أعداد « العربي » السابقة فما عليك إلا الكتابة الى المكتب الفني مباشرة بما تريد □

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم



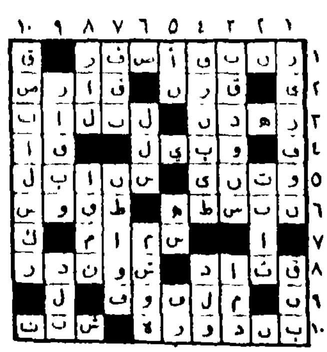
كلمات أفقية

١ - بحار ورائد عربي يقال انه أرشد فاسكودي جاما إلى طريق الهند
٢ - بلد عربي خليجي ، وطهر
٣ - رائد برتغالي اكتشف مضيقا عرف باسمه
٤ - ظاهر وواضح ، يأتي بعد الضيق
٥ - يتركه النهر على جوانبه عند الفيضان ، الاسم الثاني لمضيق بين البحر الأحمر وخليج عدن
٦ - كلمة تعجب ، استمع ، يد ميمونة
٧ - مسقط رأس الرحالة العربي ابن بطوطة ، سمر مشاه
٨ - تنتظم شئونها وتترتب
٩ - مقاطعة في شمال غربي الهند تتبع ولاية راجستان
١٠ - من مشاهير الرواد الانجليز الذين جابوا أفريقيا الوسطى

كلمات عمودية

١ - رحالة عربي طاف العالم المعروف في ٢٩ عاما ، الحرف الثاني في الأبجدية
٢ - حرفان متشابهان ، صادق ومستقيم
٣ - مصنوع من صخر ثمين ، تشابه كلمتين في اللفظ مع اختلافهما في المعنى
٤ - ملاح برتغالي اكتشف رأس الرجاء الصالح ، ثرت وفقدت أعصابي
٥ - مخدر طبي ، رشف الشيء رشفا رقيقا ، من المحرمات في الاسلام
٦ - رائد بريطاني معروف تجول في افريقيا
٧ - مورد في صيغة الجمع ، مبلل
٨ - رحالة عربي أندلسي قام برحلات كبرى وصفها في كتاب يعرف باسمه ، أعني أو أقصد
٩ - اجتهاد ، غامق أو مائل الى السواد
١٠ - جمهورية سوفيتية وطد العرب فيها حكمهم في القرن الثامن ، صاح متألما

حل مسابقة العدد الماضي سبتمبر ١٩٨٨م



عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

أكتوبر ١٩٨٨م

التنبؤ الوراثي

تأليف

د. زولت هارسنياي و ريتشارد هتون

ترجمة: د. مصطفى فهمي

مراجعة: د. مختار الظواهري

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٣٠

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

العربي

ربيع الأول ١٤٠٩ هـ - نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ م



تايلند..
أحرار.. للبيع..!



الصّقر و رولكس
الدقّة والأناقَة



منذ حضارة بلاد ما بين النهرين، كانت رياضة الصّقور ولا تزال حتى يومنا هذا رياضة النبلاء.

الصّقر طائر قويّ. أنيق وسريع الحركة. تُروّض وتعلّمه خصّيصًا فنّ الصّيد. هذا الترويض والتعليم يتمّ على يدي أخصائيين لمدة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يومًا. العناية عينها هي التي بها تصنع كل ساعة رولكس.

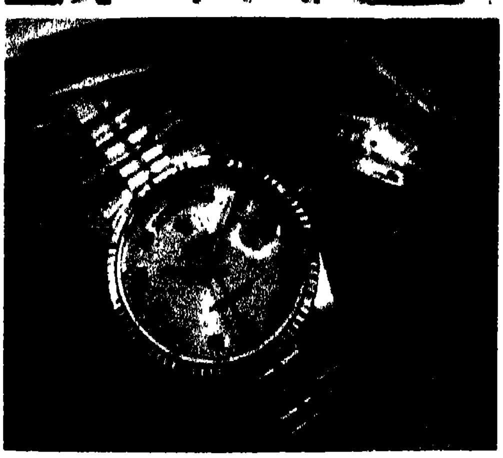
حتى اليوم لا تزال رولكس تصنع من قطعة معدن واحدة وتُنحت يدويًا، سواء من الذهب الخالص أو الفولاذ أو الإثنين معًا.

كل ساعة تمرّ إفراديًا بمجموعة تجارب قاسية قبل أن تعطى شهادة الكرونومتر السويسرية الرسميّة.

جمال رولكس غنيّ عن التعريف وقيمتها تدوم وتدوم لسنوات وسنوات طويلة جدًا.

مجموعة ساعات رولكس رائعة ومتكاملة لترضي أصحاب الذوق الرفيع.

رولكس والصّقر رمز الدقة والأناقة.



ساعة ديوه داي ديت من الذهب الأبيض والأحمر والأصفر مرصّعة بالماس

ROLEX

رولكس

العدد ٣٦٠ السنة الحادية والثلاثون نوفمبر ١٩٨٨

العربي

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI
Issue No. 360 NOV. 1988, P. O. Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب : ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا : "العربي" - الكويت - تلكس MITR.44041KT
تلفون فاكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب : ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشًا	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :



■ الكوكايين شمبانيا المخدرات ص ٤٠

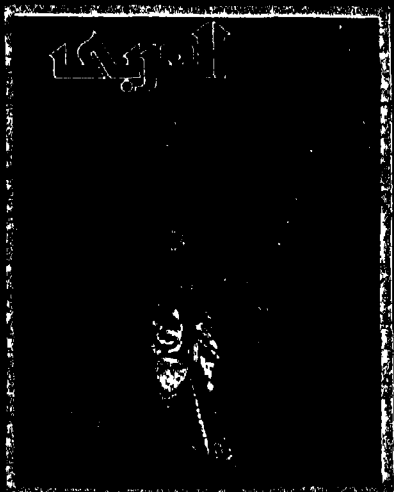


وجها لوجه :
د . علي الوردي
ص ٩٧



تربية وعلم نفس :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

بيع الأطفال أصبح تجارة رائجة في بلد يتاجر في كل شيء .. حتى الانسان .. رغم جهود حكومة تايلاند لوقفها .

[طالع الاستطلاع ص ١٣٢]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

بين رحلتين

خلال ثلاثة أشهر فقط قامت الكويت بتحرك دولي واسع ، كان مظهره رحلتين رسميتين للقيادة السياسية الكويتية ، رحلة الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء إلى واشنطن ، وقد كانت سابقة في الزمن ، وكانت رحلة عمل هدفها الرئيسي الشأن الكويتي والعربي ، وعندما التقى فيها رجل السياسة الكويتي الواسع الإدراك بالقيادات السياسية الامريكية أظهرت المحادثات المتعددة قدرة الكويت المستقلة على الإبحار في خضم السياسة الاقليمية المتلاطمة آنذاك ، وأكدت على الثوابت المحلية والعربية والدولية .

وكان لتلك الرحلة صداها ونتائجها ، ليس كسبا للكويت جغرافيا فقط ، بل كسب لكويت التاريخ التي ظلت - ومازالت - مستقلة في اتخاذ قرارات عظيمة الشأن بعيدة النظر وكان لأهل السياسة في واشنطن أن يروا ويسمعوا ثم يقتنعوا بأن بلدا كالكويت كانت - ومازالت - بلاد مبادىء في الداخل والخارج .

وكانت الزيارة الثانية رحلة ميمونة قام بها أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح إلى مقر الامم المتحدة ، وقد تحدث فيها إلى أعضائها الذين يمثلون كل البشرية باسم المسلمين جميعا ، كرئيس لمنظمة المؤتمر الإسلامي . تحدث إليهم باسم الحق والعدل ، ووضع النقاط على الحروف في ثماني قضايا رئيسية تهم العرب والمسلمين ، والعالم أجمع ، وهي مشكلات العالم الثالث الاقتصادية والاجتماعية ، وحقوق الانسان ، والحرب العراقية الايرانية وذيولها ، والانتفاضة الفلسطينية ، بل القضية الفلسطينية برمتها ، ثم لبنان ، وأفغانستان ، والوفاق الافريقي ، ثم التفرقة العنصرية ، وهذه قضايا يشغل بها عصرنا بأكمله .

وفي عالم يسوده الحوار والانفراج ، وبشر تتهددهم الحروب والمجاعات والسيول ، يرتفع صوت الكويت - كما كان دائما - داعيا إلى الحكمة والعدل ، مؤمنا كما قال سمو أميرها ، بالوحدة الانسانية الكبرى وبحقوق الانسان لأنه محور التقدم وغايته

بقي أن نذكر أن الرحلتين قد تمتا على متن الطائرة (الجابرية) التي تعرضت للارهاب الأسود من قبل ، علامة ومغزى عميقان للمواجهة بين العدالة والأمن والأمان ، وبين التيار المضاد لحركة التاريخ والسلم .

وإنه لموقف لا مساومة فيه ، ولا تنازل عنه .

وتبقي الرحلتان من الرحلات الميمونة التاريخية المهمة في مسيرة الكويت الصاعدة نحو تحقيق تقدمها ورفاهة شعبها ، بهمم الرجال المخلصين الدءوبين على فعل الخير وتسجيل دروس القدوة والفخار . □

« المحرر »

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

تعلّم كيف تفاوض !

يروى أن « محمد علي » ، والي مصر الشهير ، قد أمر بترجمة جملة من الكتب إلى العربية ، منها كتاب ميكافيلي الشهير «الأمير» (صدر ١٥١٣م) الذي يعالج فيه حيل الحكم والسياسة . وتقول الرواية : إنه بعد قراءة بعض فصوله المترجمة أمر محمد علي بوقف الترجمة ، لماذا ؟

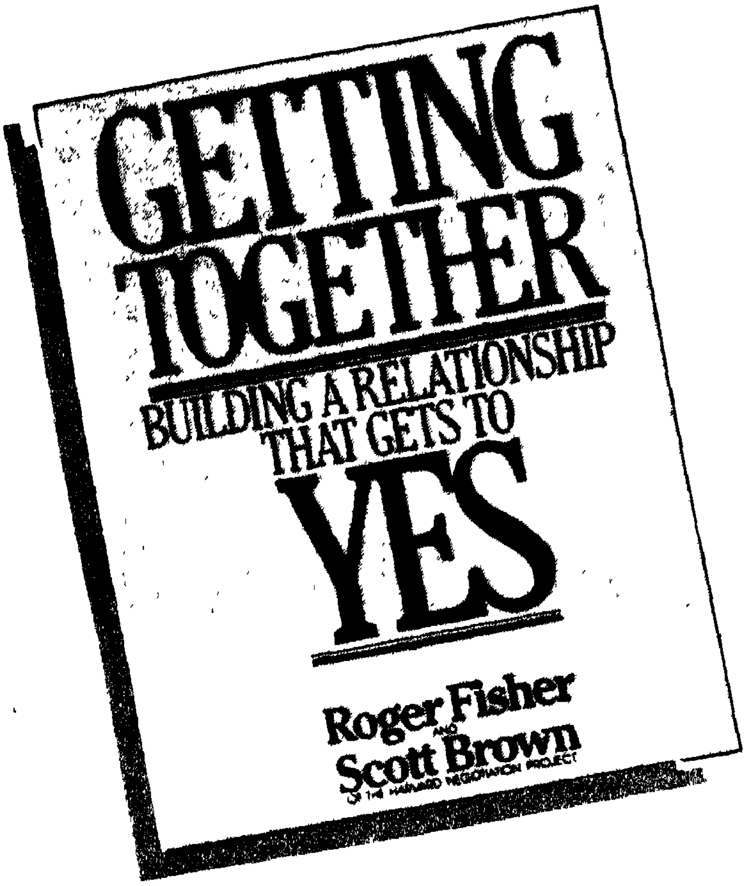
لأنه على حد تعبيره ـ حسب ما جاء في الرواية ـ يعرف من الحيل أكثر مما يعرف هذا الأمير الأوربي !

لكن ظل « كتاب الأمير » يلاقي قبولاً لدى قراء كثيرين على مدى العصور ، خاصة من يهتم منهم بالإدارة والسياسة .

لقد سبق أحد الكتّاب العرب المجهولين تقريباً ذلك الأمير الأوربي في وضع مخطوطة كان عنوانها : « رقائق الحلل في دقائق الحيل »[1] ، وقد ظلت تلك المخطوطة مئات السنين مجهولة إلى أن قام بتحقيقها أوربي ،

---

(١) طبع أخيرا بالعربية بعنوان « السياسة والحيلة عند العرب » تحقيق رينيه خوام ، قامت بنشره مكتبة الساقي ـ لندن ١٩٨٨



وترجمت إلى عدة لغات أوربية . هذه المخطوطة تناقش أيضاً الحيل السياسية ، لكن عند العرب .

هذه النوعية من الكتابات كانت وما زالت تشد الانتباه ، ويقبل عليها القراء . ولا عجب أن يكون الكتاب الذي بين أيدينا عن « المفاوضات : مداخلها وحيلها » قد بيعت منه حتى الآن مئات الآلاف من النسخ . عنوان الكتاب الفرعي هو « كيف تبني علاقات تؤدي بك إلى الوصول إلى كلمة نعم ؟ » .

كاتبا هذا الكتاب لهما تجارب في مثل هذا النوع من الموضوعات ، بل لقد اشتركا في تدريس مادة التفاوض ، وساهما في لعبة التفاوض التي تجريها بعض المؤسسات الأمريكية لاختبار موضوع تفاوضي معين .

محور الكتاب ـ كما قلت ـ هو : كيف تقوم بعمليات تفاوضية ناجحة ، ويرتكز ذلك على القدرة والامكانية لكيفية إقامة « علاقات جيدة » مع الأطراف الأخرى . بناء هذه العلاقات ـ كما يرى الكاتبان ـ هو حجر الزاوية الذي لا يستغنى عنه في إنجاح أي تفاوض ، سواء أكان هذا التفاوض بين خصمين فردين ، أو زوجين ، أو ضمن العائلة والجيران ، أو ـ وهذا هو الأهم ـ بين الدول !

يعترف الكاتبان أن الدافع الرئيسي لكتابة الكتاب هو عندما فكرا بالطريقة التي يتمكنان فيها كرجلين أكاديميين أن يساهما في تقوية العلاقات السوفيتية الأمريكية ، ليس بالدخول في القضايا الفنية كنزع السلاح أو الحد من انتشار الأسلحة النووية أو حقوق الانسان ، من القضايا التي تشغل الدولتين العظميين ، ولكن من خلال تصور طرق للتفاوض وتحليل عمليات التفاوض تحليلاً علمياً ، ولم يقتصر الكاتبان على أمثلة مأخوذة من تجارب بين الدولتين العظميين ، ولكنهما ضربا أمثلة خاصة وشخصية ودولية كثيرة للتدليل على أهمية الخطوات التي يقترحانها .

العلاقات الجيدة

إن كنت صغيراً أو كبيراً ، غنياً أو فقيراً ، روسياً أو سيلانياً ، فلنا كلنا « علاقات » مع الآخرين ، علاقات في اللعب ، في العمل ، في الجيرة . وليس الأطفال وحدهم هم الذين يعتمدون على الآخرين ، نحن جميعاً يعتمد بعضنا على بعض من خلال (علاقات ما) لو فكرنا لحظة في إلغاء تلك العلاقات فلن يكون لنا عائلة أو أصدقاء ، بل ولا عملاء ، ولا أحد يكتب لنا رسالة أو يلقانا على عشاء ، بل ولا حتى حكومة . . !

إذن فالعلاقات قائمة دائماً ، ولكن بعض العلاقات ناجح وبعضها فاشل ، نحن جميعاً نعرف أشخاصاً نرتاح لمعاشرتهم ، نأمن جانبهم ، نحدثهم في مشاكلنا ، وآخرين نتهيب منهم ، نتجنبهم ، ونخفي عنهم خصوصياتنا . . !

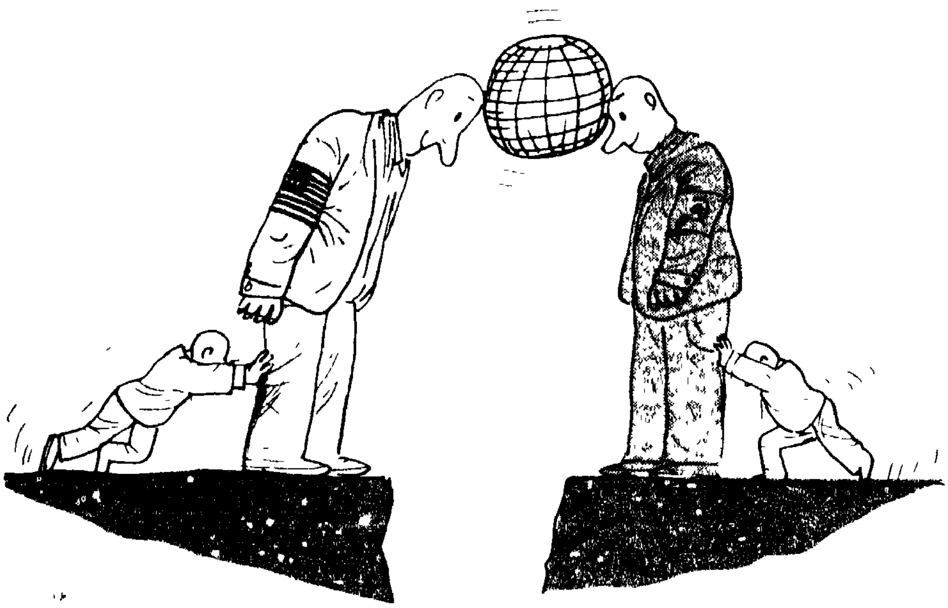
ولكن هل توجد طريقة لإصلاح موقفنا مع من لا نرتاح لهم ، أي في العلاقة السلبية ؟

لا توجد في الحقيقة طريقة ناجحة لإيجاد علاقات إيجابية دائماً تجعلنا نبحر في خضم الحياة بسعادة وبلا مشاكل ، فهناك ظروف خارجية لا نستطيع أن نتحكم فيها ، وهناك حد أعلى نسيطر فيه على أنفسنا من أجل بناء علاقة ناجحة ، لا توجد فيها خلافات ، أما الاختلاف فهو من طبع البشر ، سواء الاختلاف الفردي أو الجماعي أو الدولي .

وكثيراً ما يواجه بعضنا بسؤال حاسم :

ما هي أفضل الطرق لتجنب الخلاف ، في العمل ، أو في المنزل ، أو في المجتمع ، أو بين دولة وأخرى ؟





هل أستسلم لوجهة نظر الاخرين ورغباتهم ، وأكنس المشكلات كلها تحت السجادة ـ كما يقال ـ وأنتظر مرور الزمن ليحل هذه المشكلة أو تلك ، أم أواجه المشكلة حتى لو أدت الى علاقات رديئة مع الآخرين ؟

كثيرون يميلون إلى الحل الأول السهل تحت تأثير افتراض خاطيء ، هو أن تجنب الخلافات هو طريق ناجح لبناء علاقات جيدة !

فهل أخاطر بالعلاقة لأحصل على ما أريد ، أم أضحي بمصالحي من أجل إنقاذ العلاقة مع الآخرين وعدم تعريضها للخطر ! ؟

الافتراض هنا أن هناك علاقة (تبادلية) بين المصالح المشروعة والعلاقة الجيدة .

وذاك افتراض خاطيء ، كما يقول الكاتبان .

فهم خاطئ

إذا كان المتفق عليه أن للناس مصالح وقيماً ورغبات ، وأن هذه المصالح متعارضة ، بين أفراد أو مجموعات دينية أو عرقية ، أو حكومات ، فلا بد أن نواجه اختلافاً وتعارضاً في المصالح ، فكيف يحل هذا التعارض ؟

هناك سلسلة من الخطوات يقترحها الكاتبان ، على رأسها فصل موضوع (العلاقات) عن (القضايا المختلف عليها) . فمن السهل خلط العلاقات بالمصالح ، كقول شخص : إن لدي (علاقة) طيبة مع رئيسي في العمل ، فهو يمنحني (علاوة) كل عام !

إنْ أردنـا أن نحسّـنَ النتـائج فعليـنـا أن نحسّـن فـي طريقة الأداء

واضح هنا أن (العلاقة الجيدة) و (العلاوة) مرتبطتـان في ذهن المتكلم . أو كالقول بأن العلاقات بين الولايات المتحدة واليابان سيئة نظراً للفائض التجاري بينهما الذي يميل لمصلحة اليابان .

من هذين المثالين وغيرهما ، كثيراً ما يختلط موضوع (العلاقة) مع (المصالح) . وينصح الكاتبان أن نفكر بشكل مستقل (بالعلاقات) ، أي بموضوع العلاقة وليس بنتيجتها ، فالعملية والنتيجة مختلفتان ، صحيح أنهما متصلتان ، أي أن الواحدة منهما تؤثر في الأخرى ، ولكنهما ليستا عملية واحدة .

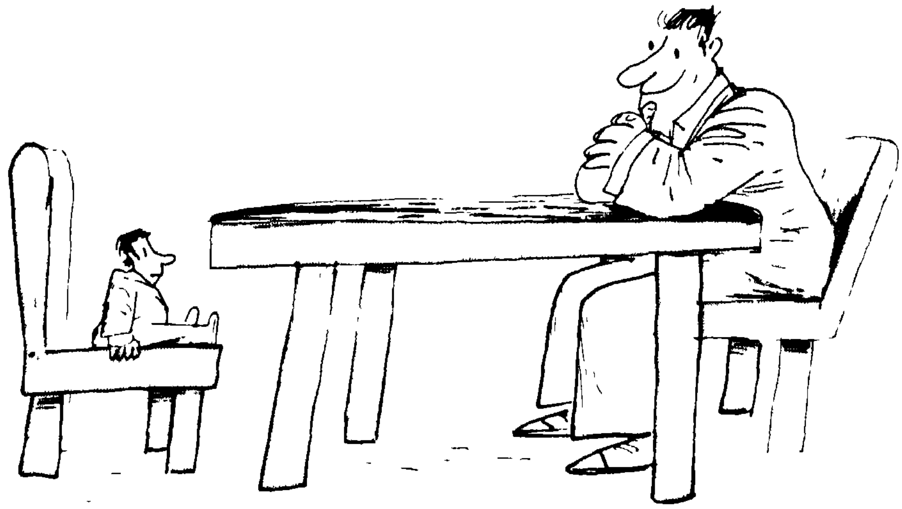
مثال ذلك فصل من الفصول الدراسية . (فعملية) التعليم تعتمد على المحاضرات ، التمرينات ، المناقشـات ومن ثم الامتحانـات . هذه (العملية) مختلفة عن (موضوع) الدرس نفسه ، سواء أكان رياضيات أو كيميـاء أو تاريخاً أو لغة ، لكن (العمليـة) و (الموضـوع) متصلان ، فالطريقة التي نُعلم بها الموضوع تؤثر على تعلم التلاميذ ، فـإن أردنا أن نُحسن في النتائج فعلينا أن نحسن في الطريقة ، (في العملية) التي نقوم بها .

مثال آخر في الإدارة : فمهما كان انتاج الادارة التي نعمل بها ـ مجلة ثقافية شهرية أم انتاج أجهزة تلفـزيون ـ فـإننا نحتـاج إلى فصل عمليـة الادارة ، من اتخاذ قرارات وتعامل مع موظفـين مثلاً ، عن نتـائج تلك الادارة ، فكلما كانت الادارة جيدة كان الانتاج جيداً ، فإن فشلنا في التفكير بأن (العلاقة) منفصلة عن الهدف ، غاص الهدف في التفاصيل وضاع .

وهكذا هي المفاوضات ، يجب أن تفصل (موضوع المفاوضات) عن (العلاقات السياسية) .

المشكلة أن معظم الناس عندما يفكرون في (علاقة) يفكرون في النتائج . فصاحب المؤسسة يفكر في الأرباح وعدد الزبائن ، ويفشل أثناء ذلك في النظر بطريقة تعامل مؤسسته مع الناس ، وكيف يمكن تطوير هذا التعامل ، وفشله في هذا الأمر يقود إلى فشل المؤسسة .

البعض يستبدل (العلاقة) (بالمصلحة) ويجعل نجاح العلاقة أو فشلها متوقفاً على الموافقة أو الرفض في مسائل جوهرية ، فأنا أصر ـ مثلا ـ على أنك إما أن توافق معي على موضوع ما ، وبالتالي تتكون بيننا (علاقات جيدة) ، أو أن أستسلم لك في موضوعات جوهرية حرصاً على تطوير



(علاقة جيدة) معك . وكلتا الفكرتين خاطئتان ، فهما تسدان الطريق أمام علاقة صحية يمكن أن تحل مشكلات قد تظهر لاحقاً .

في العلاقات الدولية نجد هذا الخطأ يتكرر ، فالولايات المتحدة تقول : لا علاقات جيدة مع منظمة التحرير الفلسطينية ـ مثلاً ـ إلا بعد اعترافها « باسرائيل » ، وذلك استسلام لمنطق غير مقبول .

هناك حلقة أخرى من حلقات التفاوض الناجح يشير اليها الكاتبان ، وهي ألا تحاول أن (تشتري) علاقة أفضل بتقديم (تنازلات) تعتقد أنها جوهرية ، فالبعض يعتقد أن تقديم مثل هذه التنازلات كهدية يمكن أن يبتاع علاقات طيبة . وذلك خطأ فادح ، فالعلاقات الطيبة ليست للبيع ، وهذا النوع من الشراء لن يمكننا من بناء علاقات جيدة ولا يمكننا من حل مشكلات جديدة في المستقبل . في العلاقات الشخصية نرى كيف يؤدي ذلك الى مآس ، فالزوجة التي تعطي الزوج كل شيء من أجل بناء علاقة جيدة في معظم الأوقات تفقد استقرار بيتها . . وكذلك الأب الذي يعطي ابنه كل شيء من أجل بناء علاقة جيدة معه ، ينتهي به الأمر بفقدان ولده لسبب أو لآخر .

والتنازل ربما يقلل من الخلاف والشجار لوقت ما ، وربما يؤخر ظهور المشاكل ، ولكنه يفقد الآخر إمكانية تطوير قدراته لبناء طريقة جيدة لحل مشاكله ومواجهتها ، فبدون هذه القدرة ستغدو العلاقة ضعيفة أمام أي مشكلة تظهر في المستقبل .

نصيحة للزوجة ألا تعطي زوجها كل شيء حتى لا تفقد استقرار بيتها !

في العلاقات الدولية أثبت التاريخ مرة تلو أخرى خطورة بناء علاقة عن طريق الإرضاء ، فشمبرلين قد اعتقد أنه اشترى السلام عندما استسلم لهتلر في ميونخ عام ١٩٣٨م ، وستالين نفسه اعتقد هذا الاعتقاد عندما وقع اتفاقية مع هتلر . محاولة (شراء) علاقة هي بالضبط مثل الخضوع للابتزاز ، فكلما دفعت للمبتزين ، زادت احتمالات الدفع في المستقبل .

استراتيجية التفاوض

في معظم الأوقات نحن ندخل في علاقة مع الآخرين ، دون استراتيجية محددة وواضحة ، خاصة في قواعد التعامل . نحن ربما نستجيب كرد فعل لما يقوم به الآخرون ، أو تغمرنا العواطف فيضيع المنطق ، ونعامل الأمور على طريقة « أحب وأكره » ، ويمنعنا ذلك من اتخاذ استراتيجية عقلانية محددة لعمليات التفاوض . وفي بعض الأوقات تكون لنا استراتيجية في كيفية تحسين العلاقة دون أن نعي أنها استراتيجية فقيرة ومحدودة .

إن أردنا وضع استراتيجية ، لتحسين العلاقات مع الآخرين أو بناء علاقات جيدة على المستوى الاجتماعي أو الدولي ، فهناك خطوات محددة يمكن اعتمادها بهذا الخصوص :

علينا أن نبتعد عن خطأين شائعين : الخطأ الأول أن نتجاهل التصورات والأماني والتوقعات الوطنية ، فنحن كثيراً ما ننسى أن الآخرين ينظرون الى الأمور بشكل مختلف عن نظرتنا إليها .

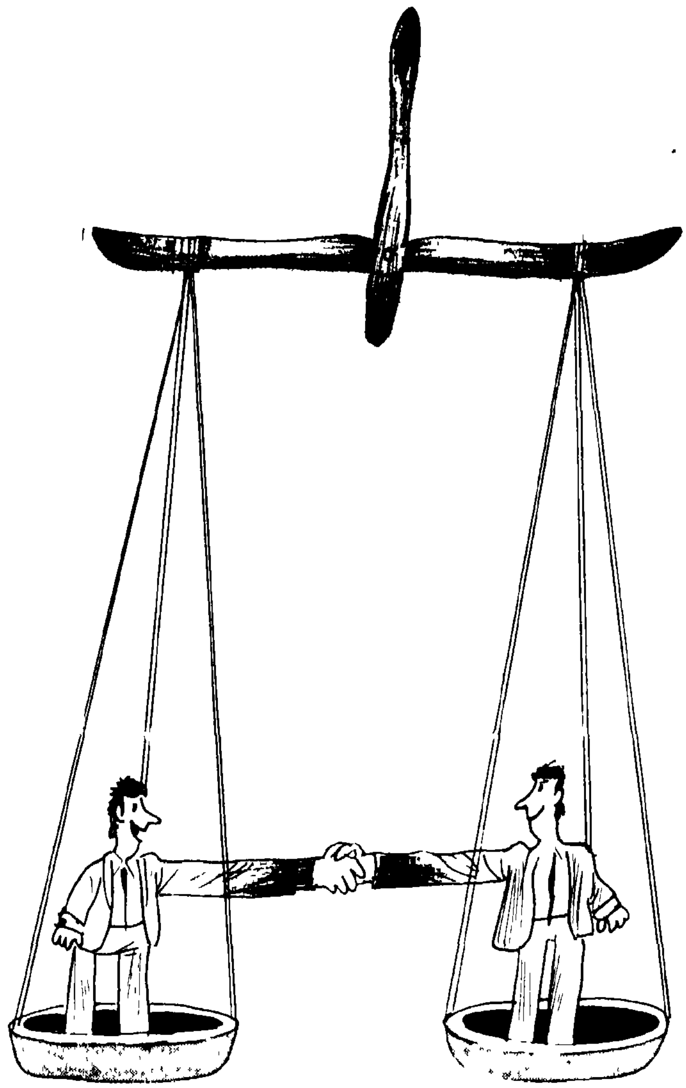
والخطأ الثاني أننا نحاول أن نبني علاقة عن طريق تصور خاطيء هو أن الآخرين سوف يتبعون قيادتنا ، أو نتبع قيادتهم .

وكلا المنظورين خاطئان .

في الحالة الأولى : إن فشلنا في التكهن كيف يرى العالم بشكل مختلف القضايا التي نعدها مهمة ، فإن لدينا بالتأكيد صورة خاطئة عن أنفسنا وعن الآخرين ، إذا لم نفهم اختلاف الآخرين في النظر إلى قضايانا ، فإن عدم الفهم هذا سوف يؤثر في قدرتنا على حل المشكلات .

طبيعي جداً أن الناس يهتمون بالأشياء القريبة منهم والمهمة لديهم ، فموت صديق عزيز أهم وأكبر لدينا من وفاة المئات في تصادم قطارين في قارة بعيدة . وقضية فلسطين مثلاً أوضح وأهم بالنسبة لنا ـ نحن العرب ـ من قضية نيكاراجوا التي تبدو بعيدة وغامضة لدى كثيرين منا . وبناء

في العلاقات الدولية أثبت التاريخ خطورة بناء علاقة عن طريق «الإرضاء»



كلما دفعت للمبتزين زادت احتمالات الدفع في المستقبل!

استراتيجية للعلاقات جيدة هو في الاعتراف بأن الناس تنظر الى القضايا والمشكلات من زوايا مختلفة كما أن أولوياتها لديهم تختلف ، فمنظور قائد العمال لمشكلات عمالية ملحة يختلف عن منظور صاحب العمل ، وهكذا .

وكذلك في العلاقات الدولية ، فالبلاد المختلفة لها ثقافات مختلفة ومصالح مختلفة وقيم مختلفة ، وبالتالي تنظر الى الأمور بشكل مختلف .

الخطأ في الحالة الثانية هو الاعتماد على (التبادلية) لبناء علاقات ناجحة ، مثل أن نتوقع من الآخرين أن يقتفوا اثر قيادتنا في موضوع ، أو أن نقتفي اثر قيادتهم . وخطورة (التبادلية) هذه تكمن في أنها قائمة على فكرة (افعل للآخرين ما تحب أن يفعلوه لك) ، لكن هذه القاعدة ليست حقيقة ، فإنك إنْ امتنعت عن انتقادي في العلن لن يردعني ذلك عن انتقادك والتشهير بك في الخفاء ، وعلى المستوى الدولي : إن لم أردعك بالحرب قد تقوم أنت بشن الحرب عليّ ، وهكذا .

العلاقات على طريقة «أحب وأكره» تغمرها العواطف فيضيع المنطق السوي

من ضمن قواعد الاستراتيجية الناجحة في بناء علاقة جيدة ، يعرض الكاتبان خمس قواعد هي :

١ - استقلالية في عدم الموافقة ، فكلما كانت خلافاتك مع الآخرين جادة وحقيقية ، احتجت الى طريقة جيدة للتفاعل معها ، أي أن تكون مستقلاً في اتخاذ قرارك بقول : لا .
٢ - استقلالية في التنازلات ، أي لا تتنازل عن مصالحك الحيوية ولا تطلب من الآخرين التنازل عن مصالحهم الحيوية .
٣ - زاوية النظر الأخرى : ان تأخذ بعين الاعتبار كيف ينظر الآخرون الى الأمور ، مثل ما تأخذ في الاعتبار نظرتك أنت الى الأمور .
٤ - استقلالية في التبادل : لا تنتظر من الآخرين أن يقدموا مثالاً في التنازل ، ولا يجب أن تفترض أن مثالك في التنازل سوف يُتبع بالضرورة .
٥ - استقلالية المواقف : أن نكون منفتحين وقابلين للاقتناع في أمور عقلانية واضحة مستعدين لإعادة النظر فيمن هو بجانبنا ومن هو بجانب غيرنا .

من خلال هذه النقاط الخمس نستطيع أن نبني استراتيجية واضحة لإقامة علاقة مع الآخرين جيدة ومتوازنة .

وقضايا أخرى

تبقى مجموعة من القضايا الأخرى التي يشير اليها الكاتبان لإكمال مسرح التفاوض ، قد لا يتسع المقام لسردها جميعاً ولكن بعضها ملفت للنظر . فالكاتبان مثلاً يدعوان لموازنة العقل بالعاطفة ، فالعاطفة تثير سلسلة من الأشياء الايجابية ، كالحب والاعجاب والاحترام ، وأشياء سلبية أخرى كالخوف والكراهية والغضب . وتدخّل العواطف في التفاوض قد يعطل قدرتنا على التعامل الناجح مع الاختلافات واتخاذ القرار العقلاني الذي يحتاج الى توازن . بعض الناس تغمرهم العاطفة بسهولة ، وكلما كانت عاطفتنا غامرة (سلبية أو ايجابية) أثرت في حكمنا . فالعاطفة قد تدفعنا لتقديم تنازلات قد نأسف عليها في المستقبل ، أو لتشدد يؤدي الى النتيجة نفسها .

كذلك يدعو الكاتبان الى التفهم ، فنحن لو اتخذنا موقفاً عقلانياً في مشكلة ، فإن المشكلة ربما لا تحل لأننا - أنا وأنت - (لا نفهمها) . وقد



تكون المشكلة نفسها موجودة بسبب وجود سوء فهم ، أو لغياب المعلومات الصحيحة ، لذلك فنحن لا نستطيع أن نحل خلافاتنا دون أن نفهمها ، والفهم الخاطيء أحد أهم عناصر زيادة المشكلات وتفاقمها وعدم القدرة على حلها . والتاريخ حافل بقصص عدم الفهم التي أضرت بالعلاقات الدولية . لعل أهمها ما أثاره جورباتشوف في كتابه (البيروسترويكا) عندما ذكر قصة خروشوف في الأمم المتحدة في أوائل الستينيات حين ضرب بحذائه الطاولة - في فورة غضب شديد - وقال (سوف نقبر العالم الرأسمالي) وتناولت وسائل الاعلام الغربية كلمة (نقبر) على أنها تهديد بحرب نووية ، وكانت فهما خاطئاً ، إذ أن المعنى المراد - في الثقافة السوفيتية - لهذا التعبير هو أن نظامنا سوف يعيش أطول من النظام الرأسمالي .

عدم الفهم يأتي نتيجة مجموعة كبيرة من المدخلات ، منها عدم فهم الحديث ، أو عدم ادراك ما يُسمع ، أو الأخذ بمعلومات غير دقيقة .

واذا كان هناك اختلاف في اللغة والعادات والقيم فإن هامش عدم الفهم يكبر ويزداد .

ومن الطريف أن عدم الفهم لا يضع الأشخاص والدول وحدها في مأزق ، بل الشركات التجارية أيضاً . يقول الكاتبان : إن شركة جنرال موتورز انزلت سيارة جديدة في السوق الاسبانية سمتها « شفروليت انموفيل » ولم تعلم الشركة إلا بعد حين أن « انموفيل » ، بالأسبانية تعني : لا تمش !! .

●●●

والكتاب في النهاية من الكتب المثيرة للخيال في تحديد طريقة التفاوض والحث بشدة على التفاهم الدولي في عصر أصبح الحوار سمته الرئيسية ، ولكنه أيضاً يقرر شيئاً مهماً هو « ألا نجاح للتفاوض من موقف الضعف » ! .

وقد يلحق هذا الكتاب في الانتشار والذيوع كتاب « الأمير » لميكافيلي ، أو كتاب « السياسة والحيلة عند العرب » ، ولكنه بالتأكيد أكثر عصرية . . ! □

محمد الرميحي

الإسلام بين الإخاء والدماء

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

حاول غيرنا من أصحاب الأديان أن يقيم فوق أخاديد الصراع القديمة جسورا من الإخاء والتعايش ، ونجحوا في ذلك . وما زالت أخاديد الصراع الاسلامية تحتاج الى جسور الإخاء .

لنبدأ بنماذج مما بين المسيحية واليهودية في القرن العشرين ، وقد اقتربنا من خواتيمه ، ونقارن بين هذا وبين ما كان بينهم من قديم ولعل أبرز إنجازات الفكر المسيحي فيه ، إن لم يكن أبرزها جميعا ، أعمال ·

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني

بدأت فكرته عام ١٩٦١ ونشرت قراراته في عام ١٩٦٥ وصدرت له ترجمة عربية في مصر ، وبعدها بثلاث سنوات صدرت ترجمة عربية ثانية من بيروت « ١٩٦٩ » ، وهي التي أمامي الآن عند كتابة هذا المقال .

ويهمنا هنا نصوص جاءت في الجزء الثاني تحت عنوان « تصريح في علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية » (ص . ٣٨١-٣٩٥) .

النص الأول عن الاسلام ، والثاني عن اليهودية ولكن لنقف قليلا عند مدخل القسم الثاني من التصريح وعنوانه « الأفكار الرئيسية » . يقول .« لم يسبق لأى من المجامع المسكونية أن تطرق إلى علاقة الكنيسة بسائر الديانات وإن حدثت محاولات في هذا المعنى ، فلقد ظلت فردية ، دون أن تؤدى الى نتائج عملية جماعية ثم تأتي إشارة الى أمانة السر الخاصة التي أنشئت في الفاتيكان عام ١٩٦٤ ، والى وثائق أخرى تدعو الى الحوار مع كل المؤمنين ودوى الارادة الصالحة ، كل ذلك هو بداية لفجر جديد في العلاقات التي يجب أن تنمو بين الكنيسة والديانات الأخرى القائمة في العالم »

فهنا تأكيد على أن هذا « نهج جديد » في تاريخ الكنيسة وهو « نهج نابع من سلطة مركزية » أحست بالمتغيرات التي يمر بها العالم وتجاوبت معها .

وعرض القسم الثاني بعد هذا للمقطع الخاص بالاسلام ، وبين العقائد المشتركة بين الاسلام والمسيحية من ناحية الايمان ومن ناحية الأخلاق ـ وسنذكر النص بعد قليل ـ ثم انتقل الى القضية المحورية في التصريح وهي « قضية تبرئة اليهود من قتل المسيح » ويذكر أن الكنيسة عمدت قبل المجمع الى نزع كل قول من كتبها الطقسية يكون منافيا للحقيقة التاريخية والكتابية فيما يتعلق باليهود .

وهذا ما دفعها أيضا الى أن تعالج في « المجمع » قضية تبرئة اليهود من قتل المسيح . ماذا تعني هذه التبرئة التي كان لها صدى كبير في الأوساط المسيحية ، وخاصة في الأوساط العربية ، نظرا لمابين هذه الأوساط واسرائيل من نزاع وعداء ؟.

فهناك تعديلات طرأت على الكتب الطقسية رفعت منها ماكان يراه اليهود إساءة لهم وهي نصوص ظلت الكنائس ترددها قرنا بعد قرن ، وكان لها أثرها فى رسم صورة اليهودي في العالم المسيحي وهو يسمعها في كنائسه

والآن فلننظر الى النصوص .

عن الاسلام :

« وتنظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضا الى المسلمين الذين يعبدون الاله الواحد الحي القيوم الرحيم الضابط الكل خالق السماء والارض المكلم البشر وإنهم يُجلّون يسوع كنبي ، وإن لم يعترفوا به كإله ويكرمون أمه العذراء وعلاوة على ذلك إنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت ، ويعتبرون أيضا الحياة الاخلاقية ، ويؤدون العبادة لله لاسيما بالصلاة والزكاة والصوم

وإذا كانت قد نشأت ، على مر القرون ، منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين ، فالمجمع المقدس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي، وينصرفوا بإخلاص الى التفاهم المتبادل ، ويصرفوا ويعززوا سوية العدالة الاجتماعية والخُيُور الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة جميع الناس »

هذا أبرز ما جاء في هذا المقطع من التصريح ، وقد جاءت من بعده ـ على المستوى العملي ـ خطوط متقاطعة أبرزها :

خط يستهدف الحوار واللقاء والمزيد من الفهم ، ومهدت له الفاتيكان باصدار كتب عن أصول الحوار ،منها كتاب خاص بالاسلام وقامت الأمانة المختصة بالشئون الاسلامية بالاتصال بالدول والمؤسسات الاسلامية لإجراء الحوار ، وكان بعضه في عواصم اسلامية ، وبعضه في عواصم في اوربا والعالم الجديد ، ومازال بعض ذلك مستمرًا ، كما أن الحوار مستمر مع مجلس الكنائس العالمي الذي ينظم الكنائس البروتستانتية على الصعيد العالمي ، ويجرى المجلس حواره مع الأديان الكبرى في العالم ، وله كتبه ومطبوعاته الدورية كالفاتيكان .

خط تبشيرى يعمل في قلب العالم الاسلامي وفي أطرافه وبخاصة في مناطق الفقر والحاجة ، ومدخله المدرسة والمستشفى وتعليم الحرف اليدوية ، ثم فتح أبواب التعليم الأرقى لمن يقبلون العلم والتبشير معا . . ولهذا الخط خططه العالمية ، ومنها خطط محددة للعالم الاسلامي ، وللأديان الكبرى الأخرى

وعن اليهودية

يقول التصريح « وبما أن للمسيحيين ولليهود تراثا روحيا مشتركا وساميا، يريد هذا المجمع المقدس أن يرحى بالمعرفة والاعتبار المتبادلين وأن يعززهما بين الاثنين ، ويحصل ذلك خصوصا بالدروس الكتابية واللاهوتية وبالحوار الأخوى .

وإن تكن سلطات اليهود وأتباعها هي التي حرضت على قتل المسيح « راجع يوحنا ١٩/ ٦ » ، لا يمكن مع ذلك أن يعزى ما اقترف أثناء آلامه ، الى كل اليهود الذين كانوا يعيشون آنذاك دونما تمييز ، ولا الى يهود اليوم وان تكن الكنيسة شعب الله الجديد ، يجب مع ذلك ألا ينظر الى اليهود كمن رذلهم الله ولعنهم ، كما لو كان ذلك ناتجا من الكتب المقدسة . فليحرص الجميع اذا في التعليم المسيحي وفي الوعظ بكلام الله على ألا يعلّموا شيئا لا يتلاءم مع الحقيقة الانجيلية ومع روح المسيح »

ثم يضيف المقطع تأكيدا يتعلق باللاسامية ، هذا المصطلح الذى حاول اليهود إشاعته ، كأنّ أى اضطهاد أو عداوة لفرد منهم لأي عمل قام ، إنما هي عداوة لأبناء سام بن نوح . وكأنهم وحدهم الذين انحدروا من ذريته . . !! ولكن هذا موضوع آخر .

نذكر المقطع التالي ونكتفي به .

« علاوة على ذلك ان الكنيسة التي تشجب الاضطهادات كلها ضد الناس أيا كانوا تتأسف للبغضاء وللاضطهادات ولكل مظاهر مقاومة السامية التي استهدفت اليهود في أى زمن كان ، وأيا كان مقترفوها والكنيسة لا تدفعها الى ذلك الدوافع السياسية ، بل محبة الانجيل الدينية متذكرة التراث المشترك مع اليهود »

كان هذا التصريح نقطة تحول خطيرة في تاريخ العلاقات بين اليهودية والمسيحية وكان من بعده اصرار من اليهود ، واستقصاء لرفع أي مذمة لهم في أى كتاب ديني أو صلاة من صلوات القوم في كنائسهم ، وامتدت هذه الرقابة والمراجعة الى الكثير من آفاق الحياة العامة

سطور من إنجيل متى :

ولكن ماذا كان موقف اليهود من المسيح عليه السلام كما تذكره الأناجيل ؟ نقرأ سطورا من إنجيل متى .

« وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه » « ١٦ . ٥٩ »

« ودبر هؤلاء جريمتهم وحركوا الجمع ليطالب بقتل المسيح على الرغم من ان بيلاطس كان يعلم أنه بريء ، ولما أصروا على أن يطلق أسيرا آخر هو باراباس « وكان الوالي معتادا أن يطلق لهم أسيرا واحدا في عيدهم » أخذ بيلاطس ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا إني بريء من دم هذا البار أبصروا أنتم فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا حينئذ أطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده ـ ليُصْلَب » « ٢٧ : ٢٤ ـ ٢٦ »

نظرة إسلامية :

ونحن ـ المسلمين ـ نؤمن بقول الله تعالى عن علاقة اليهود بعيسى عليه السلام وأمه الطاهرة التي ضربها الله مثلا كريما في كتابه « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزا حكيما » « النساء ١٥٦ ـ ١٥٨ » . هذا بعد أن أدانهم الله في الآية قبل ذلك بنقض الميثاق ، والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق

نحن ـ المسلمين ـ نؤمن بطهارة مريم ونبوة عيسى ، ونقرأ في كتاب الله قوله عن النصارى « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنّهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » « المائدة ٨٢ ـ ٨٣ »

نحن ـ المسلمين ـ فتحنا أرضنا وقلوبنا لكل صاحب دين اضطهده قومه لخلاف مذهبي أو اضطهده أهل دين آخر ، ووصل أهل الكتاب في ديار الاسلام الى مناصب رفيعة ، وعاملهم المسلمون كمواطنين لهم حقوق المواطنة الكاملة مع حرية العبادة كما تنص على ذلك آيات القرآن والاحاديث الشريفة ، وكما وصحته كتب الفقه الاسلامي

نحن ، بعد هذا كله ، تنصب علينا العداوات من العالم الغربي ويتعاون هناك بعض أهله من يهود ومسيحيين

كيف استطاع العقل اليهودى أن يصل الى تحقيق هذه الاهداف ؟ مع أن اليهودية لا تعترف لا بالمسيحية ولا بالاسلام ، ولا تؤمن بنبوة عيسى ولا طهارة مريم البتول ؟

الواقع أن المعابر أقيمت في العالم الغربي بين اليهودية والمسيحية على الرغم من كل الأحقاد والثارات والنصوص الواضحة في الأناجيل على دور اليهود وقت قيام المسيحية ، هذا فضلا عن المعابر بين المذاهب المسيحية ، ثم بين المسيحية والعالم من حولها

والواقع أن المعابر ضعيفة ومتقطعة بيننا وبين

أنفسنا قبل أن تكون بيننا وبين غيرنا .
ولقد حاولنا الحوار مع العالم المسيحي ، وكانت - ولا تزال - هناك جهود مبذولة في هذا السبيل . ولكن هذا الحديث الطويل الذى أسوقه اليوم يستهدف .

الحوار بين المسلمين :

صحيح أن ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم لقوا ربهم شهداء عمر بن الخطاب قتله فيروز أبو لؤلؤة وهو من سبايا حروب الفرس وهو غلام المغيرة بن شعبة ، وكانت له صلته في المدينة بالهرمزان وكان من ملوك الفرس ، ثم أقام في المدينة كواحد من الناس لافضل له على واحد ولما تكاثر الصحابة على القاتل ليمسكوا به ، أصاب عددا منهم بجراح ، ثم طعن نفسه طعنة قاتلة لما أيقن بوقوعه في أيديهم .

عثمان بن عفان قتله ثائرون عليه من أبناء المدينة ومن البصرة والكوفة ومصر . ولم يحاكم من أجله أحد . وانفتح بمصرعه باب الفتنة

علي بن أبي طالب قتله عبدالرحمن بن ملجم في مؤامرة ثلاثية ونجا من القتل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ولم يقتل بالخليفة الرابع أحد إلاقاتله

فإذا أحصينا من وقع عليهم حكم القتل في استشهاد الخلفاء الثلاثة ، كانوا رجلين لا أكثر !

ولكن شلال الدم انحدر بعد هذا عنيفا من عام ٦٠هـ ولم يهدأ نسبيا إلا بعد ربع قرن شهد أشد مامرّ على الاسلام من المآسي بأيدى أبنائه :

- في الخط الأموى كان الخلفاء بعد معاوية . يزيد ومعاوية الثاني ومروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان .
- وفي خط أهل البيت وبني هاشم كان الحسن ثم الحسين بن علي
- وفي خط قريش كان عبدالله بن الزبير

وكانت أبرز المآسي :

- استشهاد الحسين والكثير من أهل بيته في كربلاء عام ٦١هـ
- انتهاك حرمة المدينة المنورة واستباحتها عام ٦٣هـ بعد موقعة الحرة .
- حصار مكة عام ٦٤هـ ورمي البلد الحرام بالمنجنيق.
- الحصار الثاني لمكة عام ٧٢هـ ورميها مرة ثانية بالمنجنيق واستشهاد عبدالله بن الزبير .

أضف الى هذا الصراعات بين الخلفاء وبعض القادة أو فيما بين القادة كما حدث بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبدالرحمن بن الأشعث . ومن قبل ذلك ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ، وثورة المحتار بن أبي عبيد الثقفي باسم محمد بن الحنفية « ابن الامام على كرم الله وجهه » . هذا إلى ثورات الخوارج . .

ولك أن تنظر ، وإن كنت لا تستطيع أن تحصي ، كم سال فيها من دماء ، مضافة الى ما أريق منذ الفتنة الكبرى في عهد عثمان .

طريق الإخاء بعد الدماء :

يستوقفني تعقيب الشيخ محمد الخضرى على مصرع سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، في كتابه « تاريخ الامم الاسلامية : الدولة الاموية » ٢ : ٤٦ » .

« ولو نظرنا إلى المسألة بنظر صحيح لقلنا : خليفة من خلفاء المسلمين غضب عليه بعض رعيته ، بعضهم سيىء القصد ، والبعض الآخر تابع لهم ، ثم قاموا عليه وحصروه وقتلوه بشكل وحشي لا يتفق مع أصول الاسلام ، ثم نحكم بأنهم أخطأوا خطأ عظيما ،ثم ذهبوا الى من له الحق أن يدينهم . ولم يبق منهم من يمكننا الانتقام منه لسوء قصده ، أو تبيين الصواب له لخطئه . وغاية الأمر أن الباقي لنا من كل ذلك هو الاستفادة مما كان . فالعاقل كل همه أن يتعلم ويفهم ، لا أن يحقد على قوم لم تبق منهم باقية » .

في مصارع الخلفاء الراشدين الثلاثة أو في مصارع الطالبيين « وقد أفرد لهم أبو الفرج الاصفهاني كتابا برأسه يحمل هذا الاسم تقطر صفحاته دما » .
من نحاسب الآن ؟ وهل يحمل كل المسلمين ، أو كل

أهل مذهب بعينه عقاب جريمة حدثت من حاكم أو قائد ؟ وهل يحمل أبناؤهم من بعدهم ذنب السابقين ، دون ان يشارك الأبناء في هذه الدماء أو يرضوا عنها ؟ من نحاسب الآن على هذه المصارع العزيزة على قلوبنا جميعا ؟ ألسنا في حاجة الى تبرئة الأجيال اللاحقة من جريرة دماء أريقت في أجيال سابقة ، ولم يرض عن هذه الجرائم أهل ذلك العصر ؟ ولمصلحة من تزرع الأحقاد القديمة في النفوس الغضة الجديدة ؟ إننا في حاجة الى « نهج جديد » يدرس الماضي لما فيه من عبرة ، ويتوقى المزالق التي أوقعتنا فيها الصراعات السياسية ، وتنازع السلطان ، ورؤية كل فريق أنه كان أحق بالأمر من غيره

نحن بحاجة حقيقية إلى تبرئة الأجيال الجديدة أولا من هذه المآسي ومد جسور الاخاء فوق أخاديد الدماء .

أين بنو أمية الآن ؟ وبعضهم مسئول عن هذه الدماء ؟ تماما كمسئولية فيروز أبي لؤلؤة وعبدالرحمن ابن ملجم ، ويزيد بن معاوية ، وقادته الذين انتهكوا حرمة المدينة ومكة ، ومسئولية أي قائد قاد جنوده الى معركة خاسرة ، دون ان يستعد لها ولكن هذه كلها أجيال مضت وحسابها عند الله تعالى

فكيف نتَّخِذُ مما حدث « أمصالا » نتقي بها نكسات الفتنة وأوبئتها ، وقد أخذت تنتشر مع الصحوة الاسلامية المعاصرة ؟

ثم لو تركنا هذه الدماء القديمة ، لوجدنا دماء جديدة وثارات بين بعض الحكومات والأنشطة الاسلامية ، تكاد أن تكون تجسيدا لبعض الصراعات القديمة ، حين يظن كل فريق أنه يمتلك الحق وأن غيره على الباطل . ويبدأ العدوان بين حاكم ومحكوم أو بين جار وجار . وأحيانا ترتدى الثارات القديمة ثيابا جديدة . وكأنك تشهد ـ من جديد ـ صراعا مذهبيا أو نزاعا على سلطان باسم الدين بين الأمويين والعباسيين وأهل البيت والخوارج في محيط من الملل والأهواء والنحل

وقد تنتهي الصراعات العنيفة الى حين ، وتضع الحروب أوزارها ولكن إذا لم نحاول وقت الهدنة أن نعيد النظر في تبرئة الأجيال الجديدة من وزر الجرائم القديمة ، وإذا لم نحاول تربية الأبناء على الإخاء والحب ، وإذا تركنا توجيه الشباب خاضعا لأسلوب الحقد والكراهية ـ فإن بذور الحقد تعود الى تثبيت جذورها في القلوب والعقول وتمد سوقها وفروعها ، وتسعى الي إيقاد الحروب والصراعات ، متى استعادت قوتها واستطاعت التعبير عن نفسها

وهذه كلمة الى علماء المذاهب الاسلامية ، ودعوة الى إعادة النظر ، في مناهج التاريخ الاسلامي والتربية الاسلامية ، دعوة الى جامعاتنا ومجامعنا ، أن تتعاون جميعا على تأكيد ركائز ثلاث

ـ تبرئة الأجيال اللاحقة من دماء الأجيال السابقة

ـ دراسة هذه المآسي لتأكيد ضرورة الإخاء وأخطار الصراع والأحقاد ، وتطهير أرض الاسلام وعقول أبنائه من تلك الالغام الفكرية .

ـ دعم الجهود المشتركة الجامعة بين المذاهب الاسلامية لبناء حاضر الاسلام ومستقبله ، بناءً يقوم عَلى سماحة العقيدة ومتطلبات العصر . ونحن في ذكريات المولد النبوى الشريف « ١٤٠٩هـ » نذكر حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، عسى أن يكون لنا على طريق الاخاء نورا :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

« رواه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهم أجمعين »□

■ ليس حب الشباب متعمقا في قلوبهم ، وإنما في عيونهم . (شكسبير)

يا عرب !
الزراعةُ .. الزراعةُ

بقلم : الدكتور سمير رضوان

سوف يضع القرن القادم على عاتق الأمة العربية مسئولية جسيمة ، لابديل أمامها عن حملها . اذ سوف يتحتم عليها أن تعتمد على جهودها الذاتية في انتاج غذائها . وما من سبيل الى تحقيق هذا الهدف الا من خلال استراتيجية زراعية عربية مشتركة ، ينبغي أن نخطط لها من الآن .



● الزراعة المحمية وسيلة جديدة من وسائل تطوير الثروة الزراعية وتنميتها .

أردت بعنوان هذه المقالة أن أحاكي صرخة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ياسارية بالجبل .. الجبل » اذ بينما كان الخليفة - رضوان الله عليه - قائما يخطب في المسلمين ، تراءى له أن جيش الاسلام الذي كان ساعتئذ يخوض احدى معاركه الجهادية ، أو شك عدوه أن يطوقه ، وأن يحكم الحصار حوله . كما تراءى له ألا مفر لجيش الاسلام من الهزيمة المحققة سوى أن يلوذ بجبل في موقع المعركة ، ليحتمي به ، ويروى أن الفاروق قطع موضوع خطبته فجأة ، وصرخ مناديا قائد جيشه على بعد آلاف الأميال : «ياسارية ، الجبل ، الجبل» ثم استأنف الفاروق خطبته ، وكأن هذه الصرخة لم تصدر عنه ، وتعجب المسلمون من أمر الخليفة ، ولما سألوا قائد الجيش بعد أن عاد منتصرا ، أقر بأنه ما أن تبين صعوبة موقف الجيش في المعركة حتى خيل اليه أنه يسمع صراخ عمر فيه أن اعتصم بالجبل ، ففعل . ويرى علماء النفس المعاصرون أن هذه الواقعة لاتفهم الا على ضوء ماكان مفهوما عن الفاروق - رضوان الله عليه - من قوة حاسة لديه ، تعرف اليوم باسم حاسة التخاطر أو الاحساس على البعد (تلباثي) .

وليس المواطن العربي المعاصر بحاجة لأي قدر من حاسة التخاطر ، كيما يستبين بها أخطارا عظيمة محدقة بأمته ، فالمواطن العادي يرى هذه الاخطار في كل لحظة ، ويحسها ، ويسمع بها ، ويتعايش معها ، حتى أصبحت جزءاً من حياته اليومية . ومع ذلك فلا خير في من رأى خطرا محدقا بأهله ولم يصرخ فيهم محذرا ، ومقالتي هذه صرخة مخلصة ، أتعشم أن يكون صداها في النفوس أعمق من مجرد اكتشاف شرف مشابهتها في اللفظ لصرخة الفاروق وما أعظمه من شرف .

لعل من أغرب المقولات التي ترددت أثناء العقود الاخيرة مقولة أن الاستعمار الغربي قد فرض علينا أن نبقى دولا زراعية ، وحال بيننا وبين النهضة الصناعية ، وعلى الرغم من أن هذه المقولة تحمل في طياتها مغالطة واضحة ، حيث توحي لسامعها أن الزراعة مرتبطة بالتخلف ، فقد شاعت بيننا ، وأوشكت أن تصبح دعوة لمجافاة الزراعة . وفي

اعتقادي أن هذه المقولة غير المسئولة قد أسهمت - على الأقل من الناحية النفسية - في اهمال الزراعة .

وليس هناك مايمكن أن يضع أمة أمام أحد الخيارين : الزراعة أم الصناعة ؟ فليس ثمة مايحول دون العمل في المجالين معا ، ولاتكون النهضة الا بهما معا . وعلى الرغم من وضوح هذه الحقيقة في ذهني فقد طرحت هذا الاختيار على نفسي عامدا ، وربما كان ذلك لكي أستقطب اهتمام القارىء معي في قضية ، يعلم يقينا مثلي أنها مهمة ، لكن قد يغيب عنه أنها سوف تصبح في غضون القرن القادم قضية « أن نكون أو لا نكون » كأمة مستقلة .

لو كان لابد من الاختيار فلست اتردد لحظة في ان الزراعة تأتي اولا . لقد ولجنا باب القرن العشرين أمة مقطعة الاوصال ، وعبرناه غارقين في مشاكل وخلافات ألهتنا تماما عن فهم طبيعة العصر وصراعاته . وليس تشاؤما أو مبالغة أن نقول : إن هذا القرن قد تقضىّ الا أقله ، بيد أن أمة العرب لم تحياه ، فهي لم تتكلم لغته ، ولم تشارك في بناء التقدم فيه ، لأسباب لامجال لذكرها هنا . وتقتضي الشجاعة أن نعترف بأننا نقبل على القرن الواحد والعشرين ونحن أكثر تمزقا من ذي قبل ، وأقل فهما للغة التقدم ، نحن نقبل على قرن تنتظرنا الأخطار فيه فاغرة أفواهها ، ومتربصة بنا ، ومالم نعد عدتنا لمواجهة هذه المخاطر ، فلن يكون قصارى الأمر أننا سوف نضيع هذا القرن كما ضيعنا سابقه ، بل ان القرن القادم هو الذي سوف يضيعنا ، لاقدر الله .

لقد علمتنا تجربة القرن العشرين أن من لاينتج غذاءه لايملك قراره في يده ، كما علمتنا هذه التجربة ، أن الطاقة والغذاء سلاحان فتاكان اذا استخدما في الصراعات الدولية . كذلك علمتنا تجربة القرن العشرين أن التلوث البيئي قد اسودت سحبه في سماوات الغرب الصناعي الزراعي ، وأغرقت أمطاره الحقول ، ومن ثم فلابد لغير التلوث من أن يشق طريقه صوب العالم الثالث . ولسنا في حاجة الى كثير من التفكير كي نتوقع أن هذه القضايا الساخنة سوف تلتهب في القرن القادم لتحرق في ضرامها كل أمة لاتعد عدتها لمجابهتها من الآن . من أجل هذا كانت صرختي : « ياعرب ! الزراعة ، الزراعة » .

الغذاء والاستقلال :

تستورد الامة العربية من الخارج معظم ماتحتاجه شعوبها من غذاء . فليس يخفى على أحد أن مصر مثلا - وهي كبرى الأقطار العربية قاطبة - لاتنتج الا رغيفا واحدا من بين كل أربعة أرغفة يستهلكها المواطن المصري . والغريب أننا ألفنا هذه الحقيقة المذهلة، وأصبحنا نتعايش معها دون أن تثير فينا أي احساس بالرعب أو الخوف . فمعنى هذا الوضع



ببساطة هو أن غول المجاعة مقيم بيننا ، ينتظر أوامر مصدري الغذاء لكي يفتك بنا في أي لحظة . ومايصدق على مصر يصدق على جميع الأقطار العربية بلا استثناء ، وان يكن بدرجات متفاوتة .

ودعونا نعيد قراءة بعض عناوين الصحف في الأشهر الاخيرة التي مرت عليها عيوننا مرورا سريعا ، دون أن تكلف عقولنا مشقة التدقيق في معانيها . ولقد اخترت عينة عشوائية من عناوين بعض الصحف الكويتية : «٤٥ دولة تحتاج الى ٩ ملايين طن من الحبوب» ، «٢٥ مليار دولار حجم الواردات الغذائية العربية» ، «٤٥ مليار دولار قيمة الواردات الغذائية للعالم العربي عام ٢٠٠٠» ، «دول الخليج العربية ومشكلة الأمن الغذائي . ٣٠ مليار دولار «فاتورة» مستوردات الغذاء» «٣٥٪ من العرب يعانون من مشكلة الغذاء» ولكي تصبح الصورة أكثر وضوحا أسجل هنا ملخص بعض البحوث التي نوقشت في مؤتمر الاقتصاديين العرب الذي عقد مؤخرا في الكويت كما أوردته صحيفة «الوطن» الكويتية في عددها الصادر برقم ٤٦٧٧ . تقول الأرقام : ان الاستثمارات في مجال الزراعة للأمة العربية تراوحت خلال العقدين الأخيرين بين ٩٪ الى ١٣,٨٪ فقط من مجمل الاستثمارات العربية الكلية ، كما يتضح أن هذه النسبة في تناقص مستمر منذ ١٩٧٠ حتى الآن . والأدهى من ذلك هو أن معدل تنفيذ هذه الاستثمارات المتواضعة الحجم لم يتجاوز أبدا ٤٥٪ فقط . هذه هي الصورة اليوم ، فكيف تراها ستصبح في القرن القادم ؟ سوف يزداد اقبالنا - بل واقبال جميع شعوب العالم الثالث - على استيراد الغذاء ، كنتيجة منطقية لازدياد أعداد السكان . وأغلب الظن أن انتاج الغذاء في بلادنا - بل وعلى مستوى العالم - سوف لايحقق زيادة ملحوظة ، ذلك ان لم يتراجع في كثير من مناطق العالم ، بسبب الجفاف ، واختلال الأراضي الزراعية ، والتصحر ، وغيرها من المشاكل الحادة . وسوف يصل العالم الى وضع تجد الدولة فيه أنها مضطرة لمجرد حفظ بقائها على قيد الحياة الى أن تعتمد اعتمادا كليا على من يصدرها المواد الغذائية . وينبغي ألا ننسى أن علمنا كعالم القرن القادم سوف تقترن فيه - بالضرورة - الشروط السياسية من قبل مصدري الغذاء بكل صفقة بيع وشراء ، ولن يكون هناك محل لكلمة الاستقلال في الدول المستوردة الا في معاجم اللغة .

الخطر الأكبر الذي يتربص بالدول المستوردة للغذاء ومن ضمنها الأقطار العربية ، يكمن في أن معظم الدول المنتجه للغذاء - خاصة الحبوب - سوف تصبح في القرن القادم زاهدة - الى حد كبير - في بيعه ، لأنها سوف تحتاج الى كل ماتنتجه أو معظمه . ومن المتوقع أن ينشأ هذا الوضع الجديد بعد أن يشح انتاج النفط على مستوى العالم ، وهو أمر متوقع خلال القرن القادم . وبعد نضوب النفط كمصدر للطاقة اللازمة كوقود للسيارات على وجه الخصوص لن يتبقى أمام العالم الصناعي الا أن ينتج مايسمى «بالبيوكحول» كبديل للنفط وقد أنجزت الدراسات التقنية على هذا الموضوع في هذه الدول ، ونتائجها

● كل الأيدي - بما فيها الأيدي الناعمة - يمكنها أن تساهم في التنمية الزراعية .



محفوظة بعناية في انتظار التنفيذ . سوف ينتجون « البيوكحول » من خلال عمليات التخمر الصناعي لمحاصيل زراعية غنية بالنشا أو السكر كالحبوب والبطاطس والعنب وقصب السكر والبنجر وما اليها . وتدل الدراسات المحفوظة على أن العالم سوف يخصص مالايقل عن خمس الرقعة الزراعية على سطح الأرض من أجل انتاج « البيوكحول » فقط ، وعندئذ سوف يخيّر العالم الصناعي نفسه بين أن يستثمر انتاجه الزراعي من أجل انتاج الوقود لسيارات شعوبه وبين أن يبيعه غذاء للأمة العربية مثلا . ولا أحسب أن فينا ـ نحن العرب ـ من يختلف على القرار الذي نؤمن أن هذه الدول سوف لاتتردد لحظة في اتخاذه .

الغذاء والتلوث :

ولن تقتصر مشاكل مستوردي الغذاء في القرن القادم على قلة المعروض منه ، بل سوف تنشأ أيضا مشاكل حادة ، تتعلق بنوعية هذا القليل المعروض ، ومدى ملاءمته للاستهلاك الآدمي . ولايخفى على أحد مقدار مابلغه التلوث البيئي ، خاصة في الدول المتقدمة التي تنتج الحبوب والغذاء . ويخطيء من يتصور أن التلوث في هذه الدول النائية لايعنينا كثيرا .

فهو سوف يصبح أقرب الينا مما نتصور ، فتلوث البيئة هناك يعني ـ بالضرورة ـ تلوث الانتاج الزراعي النباتي والحيواني الذي نستورده نحن منهم .

فاذا كانت سحب التلوث قد انعقدت هناك ، وهطلت أمطاره ، وتجمعت في أراضيهم ، فطوفان التلوث لن يلبث أن يشق نهرا جبارا مليئا بالمعلبات والحبوب واللحوم ليصب في بلادنا نحن . وقراءة سريعة لعينة عشوائية من عناوين بعض صحف الغرب تكفي لايضاح حجم مشكلة التلوث هناك .

وقد أخذت هذه العناوين من بعض الصحف الألمانية الغربية : « نفايات سامة ملقاة على قارعة الطريق » أحدث صيحة : «نفايات بها سيانيد » ، هل تسرب اللبن المحظور المحتوي على هرمونات الى الأسواق في الخفاء ؟ ، « اهمال في تخزين النفايات المشعة » .

ومشاكل التلوث التي تثار يوميا في دول الغرب المتقدمة لاتنتهي . لم ينس أحد بعد ـ فيما أعتقد ـ كارثة تشيرنوبيل وماخلفته من آثار رهيبة لن تنتهي سريعا . وهناك قضية شغلت الرأي العام الألماني الغربي في الصيف الماضي ، تتعلق بشحنة الاف طن من اللبن المجفف الذي ثبت أنه ملوث بالاشعاع ، وظل هذا اللبن مخزونا في قطار يتحرك بين ولايات ألمانيا المختلفة ، حيث تأبى كل ولاية منها [illegible] من أجل [illegible] . ولا يعلم الا الله الى أين انتهى هذا اللبن [illegible] الآن . [illegible] [illegible] العالم الثالث من [illegible] [illegible] بحل هذه المشكلة لهم . [illegible] [illegible] الأطفال من أبناء العالم الثالث . [illegible] [illegible] عندما ضرب أوربا في العام الماضي [illegible]

[illegible]

● ضحكة من القلب .
فالمحصول وفير .



تفحص الاعهام ، مثل « نيوكم » و « ترانس نيكليار » وغيرهما . وتعمل هذه الشركات في العادة على استعادة المواد المشعة من النفايات النووية المستخدمة في الطب والبحث العلمي وما الى ذلك . وتردد أن رشاوي كبيرة قد دفعت لهذه الشركات كي تسرب مواد مشعة تصلح لانتاج الأسلحة النووية لدول أجنبية بصورة غير مشروعة ، كما أن هذه الشركات قد اتهمت بالاهمال في تخزين هذه المواد المشعة ، وفي التعامل معها أثناء شحنها ، مما عرض البيئة للتلوث . ومسألة تخزين النفايات المشعة في الدول الصناعية مشكلة ملحة في حد ذاتها ، تعقد من أجلها الصفقات المشبوهة على المستوى الدولي ، كما تسعى الدول الغنية باستمرار لاستغلال الدول الفقيرة لتخزين هذه النفايات في أراضيها ، بعد أن تغريها بأموالها .

ومايعنينا هنا هو أن نذكر القارىء بأن المادة المشعة يتسرب منها الاشعاع ببطء شديد . ومن ثم فالزمن اللازم لتخزين النفايات النووية لكي تفقد اشعاعها تماما وتصبح آمنة من الناحية البيئية يمتد مئات الألوف من السنين ، ومعنى ذلك أن مثل هذه النفايات المختزنة هي في الواقع مصدر مزمن لتلوث التربة هناك ، بل وأيضا لتلوث المياه الجوفية ، ومن ثم المحاصيل الزراعية التي مصيرها أن تصدر الينا . فان لم يكن التلوث بالاشعاع ، فهناك التلوث بقائمة لاتنتهي من المواد الكيميائية الضارة التي تشبعت بها البيئة في هذه الدول الصناعية ، وينبغي أن نعلم أن هناك مواطنين أمريكيين وأوروبيين ممن يتصفون بالوعي البيئي الراقي ، يرفضون اليوم أن يتناولوا غذاء مما تطرحه الأسواق في بلادهم ، بل هم يهجرون المدن ويسعون الى أحضان الطبيعة في الأماكن النائية ، ليزرعوا ، وليتنجوا غذاء غير ملوث هناك يقتاتون به .

وهذا هو الحل :

لن تتمكن الأمة العربية في القرن القادم من حماية استقلال القرارها ، ولامن امتلاك زمامها بيديها ، مالم تتمكن من انتاج غذائها بجهودها الذاتية .

ولابديل أمامها سوى أن تنجح في هذا التحدي ، وهي قادرة على النجاح اذا قدرت المخاطر المنتظرة حق قدرها . فهل تغنينا أموال الدنيا شيئا اذا نحن سعينا لشراء غذاء لايريد البائع ـ أو قل لايستطيع ـ بيعه لنا ؟ ولن تنجح الأمة العربية في هذا التحدي الصعب الا من خلال استراتيجية زراعية متكاملة ، يخطط لها الخبراء من الآن قبل الغد . ولن تجدي كثيرا جهود الأقطار العربية منعزلة بعضها عن بعض فكل قطر منها يملك بعض المقومات اللازمة لتحقيق هذا الحلم القومي ، لكن لايملك أي منها جميع المقومات دفعة واحدة . وتقوم الزراعة الناجحة كما هو معروف على التربة الزراعية ، ومياه الري ، والأيدي العاملة ، والخبرة ورأس المال . أماالتربة الزراعية فمتوفرة في قطرين عربيين هما السودان والعراق ، ففيهما مئات الملايين من الأفدنة الصالحة للزراعة التي لاتنقصها الا الفلاحة . أما المياه فهناك النيل ، وهناك دجلة والفرات ، وهناك بحيرات من المياه الجوفية العذبة ، ينبغي أن تسعى الاستراتيجية العربية للكشف عنها ، وأظن أن أعداء الامة العربية كانوا أفطن منها الى امكاناتها الزراعية المعطلة ، فحاولوا دائما ضرب الأمة في امكاناتها » أما الأيدي العاملة والخبرة فأعتقد أن مصر وأقطارا أخرى غيرها كفيلة بتوفيرها . أما الأموال فيكفي رأس المال العربي من عائد النفط اقترابا ، وأظنه يحن الى أن يجند نفسه لشرف انقاذ الأمة العربية من الهلاك اذا هو رأى أمامه استراتيجية جادة مدروسة باتقان فمثل هذه الاستراتيجية ضمان أكيد لازدهاره على أي حال ، ولايدعي أحد أن التنجاح في هذا التحدي أمر سهل المنال من قبل اخوة عرف تاريخهم الحديث من الخلاف أكثر مما عرف من الوفاق . وأعترف أن هذه أماني حسان .. فهل ياترى لم يبق للمواطن العادي في وطننا العربي ، في هذا الزمن الصعب سوى الأماني ؟ لست متشائما الى حد القول أن يوما سوف يأتي تصبح فيه حتى أمانينا تزلزلها ، ولكن السموم مازال من الضروري لنا أن نبقى على أمانينا ، والا نفرط فيها أبدا . □

حنين

شعر
الدكتور عبداللطيف عبدالحليم*

دمى إلى دمى يحنّ
تركت من دمى على الرمال زهرة
فصارت الشموسُ فوقَها ندى
وصارت الرمالُ حولَها مياه
فأورقتْ
وأورقتْ
وباحَ عطرُها بروْعةِ الحياة
وأذّنَ الحَمامْ
فراحتْ الصقورَ فى تسبيحةٍ طويلة
وغابتْ الصخورُ فى الصلاة

* *

مسافرٌ
وكلما مددتُ خطوتى
تمدّدت علىَ المَدى الرمالْ
فأضرِبُ الرمالْ أضربُ الرمالْ
لكنّ خَطوةَ الفتى لم تُخرِجِ المياه
فأستديرُ مُتعَبا
وبين دمعة . . .
وزفرة
يُهلّ عطرُكَ الندِى



* شاعر وكاتب من القطر المصري

فتنبِض الحياةُ فى العروقْ
وتنطق المياه في الشقوق
وأستديرُ للمسير من جديد
للبعيدِ
للبعيدْ
دمِى إلى دمِى يحنّ

* *

هذى خيامُهم على مشارف الزمنْ
ونَكهةُ التاريخ فى إبريقِ قهوةٍ يدورُ بينهم
ناديتُهم
من فوق نخلةٍ على ضفافِ كوثر
يسيرُ مجهَدا إلى نهايةِ المدَى
دُعِيتُ أم دعوتُهم
وحين فاضَ تنُّور اللقا
أدرْتُ وجهي للأمام بيننا
فلم أجِد على مشارف السماء
غيرَ الربى الصفراء
ناديتُ نخلَنَا فلم يُجبْ
ناديت سيفَنَا فلم يجبْ
مُضيَّعٌ صراخُنا هباءٌ

فالمبتدَى صحراء
والمنتهى صحراء

* *

النارُ فوقَ قِشرة الأمان
من لفحِة الشموس
لا بل إنها من لفحِة النفوس
واشتهاءِ الصولجان .
فلْنضربْ الرمال
لعلّ حين تبزغُ المياه . .
تنطفِى النيرانْ
دمِى إلى دمِى يحنّ
جمعتُ فوق هودجِى مباخرى
وسبحتى
وبَسْملاتِ سجْدتى
والسيفَ والدروع
وعطرَ أُمَّتى
لعلّنى إذا فرشتها على المدى
تجمعَّتْ هناك زهرةً
تدورُ حولها المياه
وتصبحُ الشموسُ فوقها ندى



أرقام

بقلم : محمود المراغي

الفقر في عيون الأغنياء

لفترة غير قصيرة كان العالم فخورا أنه يتخلص تدريجيا من عار الفقر ، فالجوعى يشبعون ، والعرايا يلبسون ، ومن لا مأوى لهم يسكنون ، ويجدون العلاج والغذاء والتعليم .

كانت أدبيات التنمية وإحصاءات النمو ترصد كلها زيادة في الدخل والانتاج والاستهلاك، كما كانت تسجل تراجعا في نسب الوفيات ، لكن في السنوات الأخيرة أصبح الاتجاه عكسيا ، وجاء آخر تقرير عن التنمية في العالم يقول : « نعم ، الفاقة تتزايد »

لم يستطع البنك الدولي ـ وهو صاحب التقرير الصادر في صيف ١٩٨٨ ـ أن يحصي عدد الفقراء ، لكنه ـ وهو المؤسسة التي تضم أغنياء العالم ـ لم يستطع أيضا أن يتجاهل ظاهرة الفقر

في مناسبات سابقة كانت منظمات الأمم المتحدة قد سجلت ما يشير إلى تراجع الدخل في عديد من البلدان ، وفي دراسات عدة جرى رصد الشرائح التي تعيش تحت خط الفقر

الجديد هو ما يقوله البنك بأن الفاقة تتزايد ، وأن مؤشرات ذلك واضحة .

في حقبة الثمانينيات ، وفي كثير من بلدان العالم تباطأ معدل النمو الاقتصادي ، وسجلت بعض البلدان نموا سالبا ، أي أن الدخل كان يتناقص عاما بعد عام ، وفي التفاصيل كان سكان الريف يحصلون على عائد أقل لمحاصيلهم ، وكانت الأجور الحقيقية ـ تحت مطرقة التضخم ـ تتراجع قيمتها ، وكانت البطالة ـ حيث لا أجر ولا دخل ـ تنتشر نتيجة للركود في المشروعات

وكانت موارد الحكومات تدخل دائرة الفقر أيضا ، وتعجز عن أن تخصص قدرا مناسبا للخدمات ، وكان معظم هذه المؤشرات مالية أو نقدية

الغذاء والصحة ـ الحياة والموت

على الجانب الآخر كانت هناك المؤشرات المادية المباشرة الفقراء لا يأخذون كفايتهم من الغذاء الذي بات جزء كبير منه في العالم الثالث مستورداً لذا سجلت الأرقام أنه بين عامي (١٩٧٠ ـ ١٩٨٠) زاد عدد الذين يعانون من نقص التغذية في البلدان النامية ـ باستثناء الصين ـ من (٦٥٠) مليون شخص إلى (٧٣٠) مليونا . وفي دراسة أخرى جرت حول (٣٥) بلدا ناميا اتضح أن (٢١) بلدا منها قد تراجع فيها نصيب الفرد من السعرات الحرارية ، وذلك إذا قارنا بين ما كان يحصل عليه الفرد عام ١٩٦٥ و ١٩٨٥ .

الصحة وجه آخر للفقر والثراء ، والتعليم و ثالث ، ونصيب الفرد من السكن الصحي النقي والكهرباء وأدوات العصر كلها لا تخطىء حول القدرة الاقتصادية

وقد تراجع نصيب الفرد في الصحة والتعليم في البلدان النامية المنخفضة الدخل بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٢ . وتشير دراسات البنك الدولي أنه في بحث حول بلدان نامية اتضح أن حصة الفرد من الأطباء تتراجع . وفي بحث آخر حول (١٢) بلدا افريقيا -جنوب الصحراء- اتضح أن نسبة الملتحقين بالتعليم الابتدائي تقل عن ذي قبل ، وعلى عكس الاتجاه التاريخي الذي يشير إلى أننا نعيش عصر التعليم .

هناك إذن -ولأسباب اقتصادية- نقص في الغذاء ، ونقص في الرعاية الطبية ، ومن الطبيعي أن يكون لذلك انعكاسه على نسبة الوفيات ومتوسطات الأعمار

ومرة أخرى -وعكس الاتجاه التاريخي- تسجل الدراسات أنه من (١٩٦٩ - ١٩٨٣) انخفض متوسط العمر المتوقع في تسع بلدان افريقية جنوب الصحراء وكذلك في النصف الاول من الثمانينيات زادت الوفيات بين الأطفال ، نتيجة لسوء التغذية وقلة الرعاية الصحية في عديد من البلدان ، ووصلت النسبة إلى الضعف في بعض البلاد مثل زامبيا

وكل هذه المؤشرات تتجمع لتقول الفقر يتزايد ، ومن يعيشون تحت حط الفقر في بلدان كثيرة تتضاعف أعدادهم .

لكنهم لا يفسرون

يذيع البنك الدولى هذه الأرقام ، لكنه لا يتحدث عن الأسباب هل هى الظروف الطبيعية . الفيضانات والجفاف والتصحر وفساد الهواء من حولنا ؟ هل هي الظروف الاقتصادية التي أعقبت زيادة أسعار النفط ، وزيادة أسعار السلع الصناعية ، ونقص أسعار الخامات التي ينتجها العالم الثالث ؟ هل هي الديون التي أثقلت كاهل الفقراء ، فأصبح همهم الأول أن يسددوا شيئا مما فات ، حتى يستمروا في الاقتراض ، ويواجهوا ما هو آت ؟ هل هي الإدارة السيئة في البلدان النامية - سواء كانت الإدارة السياسية أو الإدارة الاقتصادية وإدارة الموارد - أو أن الأمر غير ذلك ، ويتعلق باستغلال العالم الأول للعالم الثالث ، وهو استغلال يبدأ بتحكمه في الأسعار العالمية ، ويمتد لإلقائه بالنفايات النووية السامة إلى بحار وأراضي العالم الفقير ، وكأنها قد أصبحت مزبلة العالم ؟

البنك الدولي لا يقدم ردا واضحا ، لكنه يطلب من الجميع التكيف مع الظروف ، ويضع بالتعاون مع صندوق النقد الدولي السياسات اللازمة لذلك . ويروح ضحيتها في العادة الفقراء أيضا !

ومن الطبيعي - أو هكذا نفترض - أن يكون للعالم الثالث تفسيره للأزمة ، واجتهاده للحل

من الطبيعي أن نقول إن كل الأسباب السابقة صحيحة ، لكن ليس من الطبيعي أن نأخذ موقف المراقب ، أو المترقب ، أو التلميذ البليد في فصول المؤسسات الدولية .

نعم ، هناك ظروف طبيعية ، لكنها ليست كل شيء ، وبعضها يمكن مقاومته ، مثل التصحر ، وفساد الجو

ونعم ، هناك ظروف دولية ومحلية ، لكن المهم كيف نواجه هذه الظروف ؟

المطلوب : نمط آخر من التفكير ، نمط آخر من الحياة والاستهلاك والإنتاج ، المطلوب نمط آخر من السياسات الاقتصادية والاجتماعية

المطلوب عالم ثالث مستقل ، يتفاعل مع الآخرين ، لكنه لا يقع أسيراً لما يقررون وبالأمس ، كان خير العالم تجرى قسمته دون عدل ، وكان الثراء لدول الاستعمار ، والفقر والتخلف لدول الجنوب التي داستها أقدام الرجل الأبيض .

أما اليوم فإن هذا الخير نفسه تجري قسمته بنفس القدر من الظلم الإنساني ، لكن تحت ثياب جديدة ، فالمعرفة أغلى من المادة الأولية ، والخبير أهم من الآلة ، وسوق السلاح أهم من سوق الخبز ، وساعة عمل لرجل في الشمال تفوق قيمتها عدة ساعات عمل لرجل جنوبي ، حتى لو أنتج الشيء نفسه بالجودة نفسها ! □



جبران بين أبناء جيله

بقلم / الدكتور علي شلش

في عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، ولدت كوكبة من المبدعين والمفكرين كان لهم دور عظيم الأهمية في النهضة الفكرية والأدبية العربية المعاصرة ، وما تزال نتائجها تتفاعل مع مكونات واقعنا بعد رحيلهم جميعا من بين هؤلاء برز جبران خليل جبران بابداعاته في اللغتين العربية والانجليزية .

فأين هو منهم ؟

ولد جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١) في عقد الثمانينيات من القرن الماضي وهو عقد قد شهد مولد جمهرة من الشعراء والأدباء العرب ، عاصروا جبران ، وكان لهم واياه دور مرموق في نهضة الأدب العربي الحديث وتوجيهه نحو دروبه المعاصرة ومع أن جبران نفسه لم يكن منعزلا عن معاصريه فمن المهم والمفيد أن ندرس أدبه داخل اطار المعاصرة الذي جمع بينه وبين هؤلاء ، لنرى إلى أي مدى اختلف عنهم أو اضاف إليهم ، وكيف نظروا إلى كتاباته ، وصدى ذلك عنده

وإذا كان معظم البارزين من معاصري جبران ولدوا في مصر ، فبعضهم ولدوا في لبنان وسورية

أما الذين ولدوا في مصر فيأتي على رأسهم

مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧) واحمد حسن الزيات (١٨٨٥ - ١٩٦٨) وعبدالرحمن شكري (١٨٨٦ - ١٩٥٨) واحمد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤) ومحمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦) وطه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) وعباس العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٣) وابراهيم عبدالقادر المازني (١٨٩٠ - ١٩٤٩)

وأما الذين ولدوا في لبنان وسورية فيأتي على رأسهم

أمين الريحاني (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠) وبشارة الخوري أو « الاخطل الصغير » (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨) ونسيب عريضة (١٨٨٧ ـ ١٩٤٦) ورشيد سليم الخوري أو « الشاعر القروي » (١٨٨٧ ـ ١٩٨٦) وميخائيل نعيمة (١٨٨٩ ـ ١٩٨٨) وايليا أبو ماضي (١٨٨٩ ـ ١٩٥٧)

ومن الملاحظ أن اثنين من هؤلاء ولدا على اطراف الثمانينيات ، وهما الريحاني والماربي ، أما الباقون فولدوا على مدارها ومن الملاحظ أيضا أن ابداع الأدب ، شعرا ونثرا شغلهم جميعا ومنهم أربعة زاملوا جبران في أمريكا الشمالية ، وهم الريحاني وعريضة ونعيمة وأبو ماضي والثلاثة الاخرون ساهموا معه في تأسيس « الرابطة القلمية » في نيويورك عام ١٩٢٠ ومن هؤلاء وأولئك أيضا واحد شاركه في تجربة الاغتراب ولكن عن بعد ، وهو الشاعر القروي الذي عاش في امريكا الجنوبية بل إن ثلاثة منهم كانوا أكثر قربا من القدماء في الشعر وأقل اقبالا على التجديد ، وهم الرافعي والأخطل الصغير والقروي ، ومع ذلك كانت روح المعاصرة ترفرف على اتجاههم بشكل عام ، وتربط بينهم في سعيهم المشترك نحو مواكبة العصر ، والإحساس بمسؤولية الكلمة وتبعة الأديب

فإلى أي مدى ـ إذن ـ اختلف جبران عنهم ؟

جيل الإستمرار والتجديد

من المعروف أن عقد الثمانينيات شهد بداية التغلغل الأوروبي الرسمي عن طريق الغزو أيضا فقد سقطت تونس في أيدي الفرنسيين عام ١٨٨١ ، وسقطت مصر في أيدي الانجليز في العام التالي وكان معنى هذا ازدهار الصلة الثقافية بين العرب وأوروبا ، بالاكراه أو بالاختيار ؛ وفي هذا الاطار كان جيل جبران مطالبا بالمحافظة على الهوية العربية من ناحية ، والاستمرار في الأخذ من الثقافة الغربية من ناحية أخرى ، لا سيما في مجال الأنواع والأشكال الأدبية التي لم يطورها العرب ، مثل الرواية والمسرحية والمقالة والنقد ، فضلا عن المضي في العطاء والابداع

نجح جبران وأبناء جيله هؤلاء في تحقيق هذه المعادلة الصعبة بوجه عام ، فاستطاعوا أن يحافظوا على الهوية العربية فيما يبدعون ، وأن يطوروا الأساليب الشعرية ، وان يصححوا تجارب الجيل الأسبق ـ مثل المويلحي والمنفلوطي في المقالة والرواية والقصة القصيرة لكن جبران نفسه لم يصل إلى ما وصل إليه بعض أبناء جيله في القصة والرواية والشعر بشكل خاص ، لا في الكم ولا في الكيف كما سنوضح بعد قليل

إذا كان معاصرو جبران هؤلاء قد تميزوا بتنوع الأنواع والأشكال الأدبية في الشعر والنثر ، فقد تميزوا أيضا بعمق الصلة التي ربطت معظمهم بالآداب الأوروبية لكن جبران والريحاني ونعيمة تميزوا بأنهم كتبوا بلغة غير لغتهم ، ثم تميز جبران نفسه على زميليه باتساع تجربته إلى حد القسمة العادلة تقريبا بين ما كتبه بالعربية (ثمانية كتب) وما كتبه بالانجليزية (ثمانية أخرى) وإذا كانت المؤثرات الأوروبية قد ظهرت بوضوح في انتاج أبناء جيله ـ باستثناء الرافعي والخوري والقروي ـ فقد ضم اليها جبران مؤثرات أخرى من الفلسفة البوذية والشعر الأمريكي ، فضلا عن الكتاب المقدس بعهديه

ومن الطبيعي أن يتفاوت جبران ومعاصروه في الأخذ من الثقافة الأوروبية ، والتجريب داخل مجال الأنواع والأشكال التي تركها قدماؤنا دون تطوير ، بل داخل مجال الشعر الذي لم يكونوا في حاجة إلى العمق في تطويره بمقدار ما كانوا يريدونه على مستوى عصرهم شكلا وموضوعا ، ولذلك تفاوتت حصيلة اجتهاداتهم النظرية والتطبيقية على السواء

وبينما نجح محمد حسين هيكل في تقديم نموذج ناضج فنيا من الرواية قبيل الحرب العالمية الاولى ، وهو روايته « زينب » ، نجح ميخائيل نعيمة ايضا في

تقديم نماذج ناضجة مماثلة في القصة القصيرة جمعها في مجموعة « كان ما كان » التي ظهرت عام ١٩٣٧ ، وإن كان نشر بعضها في نيويورك في الفترة من ١٩١٤ إلى ١٩٢٥ وبينما كان هيكل ونعيمة ، ناجحين في هذا المجال القصصي ، لا نجد في محاولات جبران القصصية ما يرقى من الناحية الفنية إلى صنيع زميليه وبينما جرب معظم معاصري جبران الكتابة في النقد ونظرية الأدب وتاريخه ، نقترب هو من هذا المجال وفي الوقت الذي كتب فيه بعضهم ألوانا من أدب الرحلات والسيرة العامة والذاتية لم يدخل هو مثل هذه المجالات وإذا كان قد جرب كتابة الدراما المسلسلة فلم تكن حصيلته ما كتبه فيها تصل ... في نضجها إلى حصيلة منه نعيمه منها ولذلك نظر أهم الأشكال والأنواع الأدبية التي سارت فيها معاصريه هي القصيدة منثورة أو منظومة والمقالة

لقد كتب الجميع الشعر باستثناء ثلاثة هم هيكل والزيات وأحمد أمين ، وكتب الجميع المقالة الأدبية باستثناء ثلاثة أيضا هم الخوري والقروي وأبو ماضي لكن ظل الجميع - بغير استثناء - يولون الشعر جل عنايتهم ومع ذلك يمكن أن نلاحظ مستويين واضحين في القصيدة عند من كتبوها منهم مستوى يلتزم نموذج القدماء ويضم طه حسين في شعره القليل غير المجموع . كما يضم الرافعي والأخطل الصغير والقروي ومستوى آخر يتطلع إلى نموذج عصري حتى وهو يستخدم بحور القدماء ، ويضم جبران والريحاني ونعيمه والعقاد وشكري والمازني وأبا ماضي وعريضة وهذا المستوى يشكل أغلبية أبناء الجيل ، كما هو واضح وفيه حرص أصحابه على الدعوة النظرية إلى التجديد مع تقديم تطبيقاتها العملية باستثناء جبران وأبي ماضي وعريضة الذين كانوا أقل زملائهم تشريعا للشعر وسنا لقوانين الابداع وكان جبران أقلهم في المعاصرة مع الشكل باستثناء شعره المنثور الذي خرج فيه نهائيا على نظام العروض والقوافي بل إن ما جمع من قصائده السائرة على هذا النظام الموروث يقل عما جمع لكل من زملائه باستثناء الريحاني الذي استقر على

الشعر المنثور وبينما لا تريد مغامرة جبران في الأشكال الموروثة على المقطوعات والتنويع في القوافي ، نجد بعض زملائه من أصحاب المستوى الأخير يتوسعون في إرسال القافية مثل عبدالرحمن شكري ، أو التقطيع داخل الأبيات مثل نسيب عريضة

وكان أصحاب هذا المستوى المتطلع إلى نموذج عصري للقصيدة يطلبون من الشاعر أن يحرص على الوحدة العضوية والفنية في القصيدة ، وأن يصور وجدانه ويترجم مشاعره ، لا أن يحاكي أو يتكلف

وكانوا يطلبون من هذا وذاك المنطق والتحليل والنقد العميق ، مثلما فعل العقاد والمازني ونعيمة الذين كانوا أكثر زملائهم تنظيرا وتشريعا لكن جبران كان مختلفا ، فلم يكن ناقدا ولا عارفا بالمنطق والتحليل ، وإنما كان يقول ما يحسه بطريقة أقرب إلى الخيال والتهويم ، مع أنه لم يخرج على ما قاله زملاؤه من أصحاب المنطق والتحليل

لنتوقف هنا عند مثال يوضح ما نقوله ، ولنكن المثال حول مفهوم أصحاب هذا المستوى - ومنهم جبران - للشعر فقد قال العقاد « إن الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق » وقال طه حسين « إن الشعر كلام مقيد بالوزن والقافية يقصد إلى الجمال الفني » وقال المازني « إن الشعر خاطر لايزال يجيش بالصدر حتى يجد مخرجا ويصيب منفسا » قال نعيمة « إن الشعر لغة النفس » . ومع أن هذه الأقوال ليست كل ما قاله هؤلاء عن الشعر ، فهي تتسم بالعمق وتتسربل بالوضوح ، على نقيض قول جبران « إن الشعر يا قوم روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تحيي القلب أو تنهدة تسرق من العين مدامعها ، أشباح مسكنها النفس ، وغذاؤها القلب ، ومشربها العواطف . وإن جاء الشعر على غير هذه الصور فهو كمسيح كذاب ، نبذه أولى »

ومع ذلك لم يختلف هذا التعريف المموه بالخيال مع تلك التعريفات المنطقية الواضحة التي يتمم أحدها الآخر

شاعر النثر

لكن حبران لم يكتب شعره على طريقة العقاد وطه حسين والمازني ونعيمة وحدها . وما كتبه على هده الطريقة التقليدية ـ إذا صح أن نسميها كـذلك من حيث الشكل ـ قليل كما أشرنا . وهو قليـل تفوق عليه ـ كما وكيفا ـ الكثير الـذى كتبه العقـاد والمازني وشكـري وأبوماضي على وجـه التخصص ومع ذلك عوض حبران هذا القليل بالكثير من النثر الذى كان أقرب إلى الشعر في الروح والخيال والصور ، وإن كان غير موزون أو مقفى وهذه حال ابن جيله مصطفى صادق الرافعي ايضا الذى كتب شعرا اكثر مما كتب حبران ، ولكن نثره يظل أفضل من شعره لا سيما في ثلاثيته رسائل الاحزان ، السحاب الأحمر اوراق الورد وعلى الرغم من هذا يظل حبران أيضا شاعر النثر بين زملائه ومعاصريه ومن هذه الناحيه تفوق على الرافعي الذى يبدو انه تأثر به في ثلاثيته المذكورة فقد انتجها بعد اشتهار حبران في العربية كما تفوق على زميل مهجره امين الريحاني الـذي نشـر شعـرا منثـورا في مجلة « الهـلال » منذ ١٩٠٥ ، أي في نفس الوقت تقريبا الذى ظهر فيه أول أعمال حبران بعنوان « الموسيقا » وليس من المعروف أن نكون قد في هذا المجال المطلوب وما تلاه من أعمال من أنضم الموثرات ـ بعد ذلك ـ في تطور ما سمي « قصيدة النثر » في أدبنا المعاصر

بم يتميز نثر حبران الشعرى أو شعره المنثور ؟

لعل أبرز خواص هذا النثر أنه أشبه برشاش الصور اذا صح أن نقل الصور نقل الرصاص فهو يرش علينا الصور في اندفاع لا يوقفه إلا احساسه بانتهاء مهمة الرش ولا يوقفنا إلا سكون الانفعال الذى حركه وهذه فقرة من « الموسيقا » يخاطبها حبران بقوله

« يا ابنة النفس والمحبة يا إناء مرارة الغرام وحلاوته يا أخيلة القلب البشري يا ثمرة الحزن وزهره الفرح يا رائحة متصاعدة من طاقة زهور المشاعر المضمومة يالسان المحبين ومذيعة أسرار العاشقين يا صائغة الدموع من العواطف المكنونة يا موحية الشعر ، ومنظمة عقود الأوزان يا موحدة الأفكار مع نتف الكلام ، مؤلفة المشاعر من مؤثرات الجمال ، يا خمرة القلوب الرافعة شاربها إلى أعالي الأخيلة يا مشجعة الجنود ومطهرة نفوس العابدين ، يا أيتها التموجات الأثيرية الحاملة أشباح النفس ، ويابحر الرقة واللطف إلى امواجك نسلم أنفسنا ، وفي أعمـاقـك نستـودع قلوبنـا ، فاحمليها إلى مـا وراء المادة ، وأرينـا ما تكنـه عوالم الغيب »

في هذا المثال المبكر من النثر الجبراني يتمثل رشاش الصور وتنهمر هذه الصور علينا غير تاركة لنا فرصه التأمل فيما تحمله من أفكار ومع أن أكثر الصور غير محسوس ، فثمة شيء ما يربط بينها ، ويعوضنا عن رتابة أدوات النداء وضعف الايقاع ، هو وحده الانفعال والعاطفة لكن هذه الوحدة لا تغني ـ على المدى الطويل ـ عن الفكر الشاحب هنا ، ولا عن الثرثرة.وتلك هي مشكلة النثر الجبراني في النهاية ، لاسيما فيما كتبه بالعربية فما اكثر ما نواجه فيه من تكرار واستطراد ، ولف ودوران ، وما أقل ما نخرج منه بزاد فكري معتبر ومع ذلك فهو نثر يتميز بالسيولة أيضا ، كما يتميز بشحنات عاطفية قوية ، وخيال واسع وجمال سحر ، بغير كدح ولا تعب لكن أليست هذه كلها خصائص يختص بها نثر طه حسين ايضا لا سيما في كتابه « على هامش السيرة » ؟

بقي على رومانتيكيته

لم تطل حياة حبران مثلما طالت حياة معظم أبناء جيله ولم تمكنه حياته القصيرة سببا من التجريب في أنواع أخرى من الأدب مثل السيرة والسيرة الذاتية اللتين جربهما العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة ، ولا فكر في تدوين أسفاره وكتابة رحلاته مثلما فعل أمين الريحاني ، ولا كانت قدراته الثقافية والعقلية تؤهله لكتابة النقد ولم ينفرد من بين أبناء جيله

هؤلاء إلا بالرسم والانقطاع تقريبا عن الكتابة بالعربية بعد عام ١٩٢٠

غير أن من أهم الملامح الفنية العامة في أدب جبران ومعاصريه ذلك المزاج الرومانتيكي الذي وحد بينهم - في مرحلة الشباب بصفة خاصة - وطبع كتاباتهم المبكرة بالعديد من الخصائص الرومانتيكية الأوروبية، وعلى رأسها التمرد، والعاطفة، والخيال، والحزن، والشعور بالغربة، والميل إلى الفطرة والطبيعة، واتخاذ المرأة حبيبة ملهمة ولكن معظم زملائه مالبثوا أن تحولوا - شيئا فشيئا - إلى العقلانية والوضوح، ومالوا إلى الصياغة الكلاسيكية، وبقي هو على رومانتيكيته، وزاد عليها شيئا من الرمزية، وقاوم كلاسيكية التعبير وعقلانيته حتى النهاية ولهذا كان من أكثر ابناء جيله جذبا للشباب، كما حدث في الثلاثينيات حين ألهم كثيرين من شعراء جماعة أبوللو، وأثر في بواكير أعمالهم

هل أخذ بنصيحة العقاد ؟

كيف نظر معاصروه وأبناء جيله إلى أدبه ؟ تفاوتت هذه النظرة - على أي حال - لكنها لم تخف الاعجاب العام بكتاباته وشاعر مثل ايليا أبي ماضي أزعجته شكوى جبران شبه الدائمة من الغربة والناس والزمان فقال فيه قصيدة جميلة منها

أيهذا الشاكي وما بك داء
كيف تغدو، إذا غدوت عليلا
إن شر الجناة في الأرض نفس
تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى
أن ترى فوقها الندى اكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل
من يظن الحياة عبئا ثقيلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه
لا تخف أن يزول حتى يزولا
ايهذا الشاكي وما بك داء
كن جميلا تر الوجود جميلا

شاعر آخر مثل نسيب عريضة لم يدع فرصة دون الثناء على شعر جبران ونثره في مقدماته لأعماله التي نشرها له بمجلته « الفنون » في نيويورك كذلك فعل ميخائيل نعيمة الذي كتب عنه أول مقال في حياته عام ١٩١٣ ثم تلاه بمقالين في كتابه « الغربال » عام ١٩٢٣ وعده « ثورة قبل كل شيء ثورة بحد ذاته » ووصفه بأنه صاحب مفهومية جديدة عن الجمال في التنسيق والبيان وتنبأ لأدبه بتقديس الذكر وطول العمر، لانه « ثورة زعزعت اركان حصوننا الأدبية المتداعية، وجاءتنا بمقاييس جديدة للجمال في البيان» على حد تعبيره

ومع ذلك لم يثبت نعيمة على هذه الأراء المجاملة طويلا فعندما قدم الطبعة التي ضمت أعمال جبران العربية عام ١٩٤٩ بدأ في اعادة النظر في أحكامه السابقة، واضاف ملاحظات سلبية على كتابات جبران ومن هذه الملاحظات أن الحياة لم تُعِد جبران لفن القصة، فلم يبدع فيه أو يحلق، وأنه ما كان يوما بقوة الواقع وحقيقته وكان كل حياته بحقيقة الخيال وسلطانه، وأن مقطوعات الشعر المنثور والمثل والموعظة كانت « الأقرب إلى ذوقه ومزاجه وفطرته الفنية من كل ما عداها من ضروب الأدب » وأن فكره بسيط، لم يقو إلا في كتاباته الانجليزية

لم يكن معاصرو جبران في مصر في حاجة إلى مجاملته على أي حال ولكن مما يلفت الانتباه أن هيكل وطه حسين والمازني والعقاد أجمعوا في وقت متقارب على الإعجاب بكتابات جبران وموهبته وخياله واستقلال روحه، وتجديده، ثم أخذوا عليه في الوقت نفسه تساهله في اللغة وأوصلوها إلى حد الركاكة والضعف والخطأ وكان العقاد أولهم وأوضحهم في بيان هذا الموقف فقد كتب مقالا عام ١٩١٩ في نقد قصيدة « المواكب » التي قدمها نسيب عريضة بأنها نموذج للشعر الصحيح وانكر العقاد هذا الحكم، وإن اعترف بأن « ناظمها يفكر تفكير شاعر » على حد قوله ثم أخذ على القصيدة ما وقعت فيه من الخطأ اللغوي، وضعف التركيب،

وغلبة العبارة النثرية على النعمة الشعرية وذكر جبران بأنه « إدا كان يحترس من الوقوع في مثل هدا الخطأ لو كتب باحدى اللغات الغربية ، فالاحتراس في الكتابة العربية أولى » ، ومع ذلك أشار العقاد إلى أنه قرأ في القصيدة « أبياتا من أصدق الشعر وأحكمه » ثم اختتم نقده ناصحا بقوله « عندنا أنه لو طرق باب الشعر المنثور لكان دلك أفسح مجالا لآرائه وأقرب إلى سليقته وقدرته اللغوية من معالجة الشعر الموزون وحبذا لو أقل من المعاني الرمزية ، فإنها بقية من بقايا اسهام الكهان الأقدمين ، لايقبلها في العصور الحديثة إلا اشباه أتباع الكهان فيما تصرم من العصور »

ويبدو أن جبران أخد بالشطر الأول من نصيحة العقاد ، فلم يكرر تجربته مع الشعر الموزون ، وانصرف إلى الشعر المنثور حتى بعد انصرافه عن الكتابة بالعربية في العام التالي وقد اتفق حكم نعيمة هنا مع حكم العقاد بعد ٢٠ عاما حول قرب الشعر المنثور إلى ذوق جبران ومزاجه وسليقته

التعالي على النقد

غير أن جبران ـ كما ذكر نعيمة في سيرته التي كتبها له بعد وفاته ـ كان يسعى وراء المدح ، وينفر من النقد والقدح ، وهدا ما يفسر ضيقه الشديد ـ في بعض كتاباته ـ مما كان يكتبه عنه معاصروه وكثيرا ما كان هذا الضيق يتحول إلى عناد وعصب أعمى ، فينفس عنه بالتعالي على النقد والملاحظات السلبية

ومن أشهر مقالاته في هذا الصدد مقاله « لكم لغتكم ولي لغتي » ومقاله « نحن وأنتم » وإذا كان المقال الأول واضح المرمى في عنوانه ، فقد جاء في المقال الآخر قوله في الرد على لوم ابي ماضي وزملائه « نحن ابناء الكآبة ، والكآبة غيوم تمطر العالم خيرا ومعرفة وانتم اولاد المسرات ومهما تعالت مسراتكم فهي كأعمدة الدخان تهدمها الرياح ، وتبددها العناصر » وفي مقال ثالث بعنوان « الشاعر » قال في مستهله « أنا غريب في هذا العالم » وقال في ختامه « أنا شاعر أنظم ما تنثره الحياة ، وأنثر ما تنظمه ولهذا أنا غريب ، وسأبقى غريبا حتى تخطفني المنايا وتحملني إلى وطني »

وفي هذه المقالات الثلاث ـ بصفة خاصة ـ يكمن سر جبران ، ويعشش جوهر رؤيته ، ويتضح مفتاح عالمه ويتكون هذا المفتاح نفسه من ثلاث مفردات اشبه بالأعمدة ، وهي التمرد والتحدي والتعالي ، فهو يتمرد أولا على ما لا يروق له أو يخالفه ، ثم يتحداه ، لكنه يتعالى عليه في النهاية ويتجاوزه

وكأن الأمر دورة ثلاثية المراحل في تفكيره وابداعه على الرغم من بعض الاستثناءات القليلة التي تؤكد هذا النمط ولا تنقصه وقد كان التمرد والتحدي خاصيتين بارزتين في فكر بعض أبناء جيل جبران ، لا سيما طه حسين ومع دلك كان طه حسين يزيد عليهما المواجهة بدل التعالي ويبدو أن التعالي أو الهروب ، كان صعب التحقيق داخل الوطن العربي ، حيث الاشتباك اليومي مع الحياة والبشر والأفكار والصراعات ، أما في المهجر فكان أمرا لا مفر منه أمام المغترب الذي تفصله آلاف الأميال عن وطنه ، وكان التعويض عنه يتم عن طريق الحنين والتعبير عن الشوق إلى الوطن ، أو ذكر الوطن كلما ألمت به نازلة من النوازل

نستطيع أن نخلص مما سبق إلى أن جبران لم يختلف كثيرا في كتاباته العربية ، شعرا أو نثرا ، عن معاصريه وأبناء جيله وإذا كان هؤلاء تميزوا بتنوع الأشكال الادبية والإجادة في هده الاشكال ، فقد تميز هو بالشعر المنثور وأجاد فيه وإذا كانوا قد واصلوا رحلتهم مع الكتابة العربية فقد خلطها هو بالرسم والتصوير الزيتي ، ثم قطعها ، واتجه نحو الكتابة بالانجليزية التي لا نستطيع ادخالها في مجال المقارنة بينه وبينهم ومع أن أبناء جيله رحبوا بكتاباته وأثنوا على موهبته ، بوجه عام ، فهم لم يغفروا له التهاون في حق اللغة والتعبير ، مما كان مثار غضبه وتعاليه□

العربي - العدد ٣٦٠ - نوفمبر ١٩٨٨ م

الكوكايين

شمبانيا المخدرات

بقلم : الدكتور جمال الدين موسى *

الكوكايين من المخدرات التي بدأت في الانتشار مؤخرا في أماكن مختلفة من العالم . وعلى الرغم من أنه من العقاقير القديمة التي عرفها الإنسان منذ عهود بعيدة ، إلا أن الاهتمام الحديث به قد يعود إلى الثمن الخيالي لهذا السم الأبيض الذي أصبح يغري عصابات المهربين على تهريبه وترويجه . والكاتب يناقش بالتفصيل موضوع الكوكايين وأثره على الإنسان

لن نتناول في حديثنا هنا عن الكوكايين ، المسراعات الدامية المحتدمة التي تجري في ساحات التهريب ، أو كيفية مكافحة هذا المخدر الذي تحرم التشريعات المدنية والدينية حيازته أو استخدامه أو ترويجه أو تعاطيه ، ولكننا سنعرض لأثره كمخدر على هذا المخلوق الذي ميزه الله على سائر المخلوقات ، وحباه بالعقل الذي يميز بين الخير والشر وبين الصالح والطالح ... الإنسان !

وبداية ، قد يتساءل القارئ : ما هي العلاقة التي تربط الكوكايين بالشمبانيا ؟

والإجابة ببساطة : إنه إذا كانت الشمبانيا بين الخمور هي من أغلاها وأبهظها ثمنا ، فإن الكوكايين بين المخدرات هو أيضا من أغلاها وأفدحها ثمنا ، وهو السبب في أن الكوكايين يطلق عليه اسم مخدر الرجل الغني ، وفي بعض الأحيان يعرف باسم شمبانيا المخدرات .

والكوكايين مسحوق طبيعي نباتي يستخرج من أوراق شجرة الكوكا .

وهذه الشجرة موطنها الأصلي في أمريكا الجنوبية ، خاصة في بيرو وبوليفيا حيث تتواجد في الوديان الدافئة التي ترتفع فوق سطح البحر مدى خمسة آلاف قدم .

وفي الأحوال الملائمة فإن النبات يعطي محصولا أربع أو خمس مرات في العام الواحد ، وذلك على

* استاذ بكلية العلوم - جامعة عين شمس



الأفيون يصبح هيروين

مدى ٤٠ سنة متعاقبة

والكوكايين من أقدم العقاقير ، وقد عرفه هنود الأنكا ، السكان الأصليون لامريكا الجنوبية فكانوا يقومون بمضغ أوراق الكوكا في الفم لعدة ساعات للاستحلاب فتمدهم بالمادة الفعالة وهي الكوكايين التي تنشط جهازهم العصبي . ويكون لها تأثير مخدر على المعدة فلا يشعرون بالجوع

قرابين للآلهة

وكان هنود الانكا يقصرون استخدام أوراق الكوكا على النبلاء ورجال الدين وذوي المكانة المرموقة الجليلة بين الناس ، وكانت الأوراق تقدم قرابين للآلهة ، وتمضغ في الفم خلال العبادات ، وتوضع في أفواه الموتى لضمان الترحيب بالمتوفين في العالم الآخر طبقا لمعتقداتهم

وبعد الغزو الاسباني لبيرو منع تعاطي الكوكا ، وحرم استخدامها واستعمالها لفترة من الزمن ولكن لم يلبث الإنسان أن اكتشفوا أنهم هم الخاسرون في عملية التحريم المشار اليها إذ وجدوا أن الهنود - وهم السكان الأصليون في بيرو - يمكن استغلالهم في القيام باعمال أكثر مع تناول وجبات أقل من الطعام إذا ما سمح لهم بتعاطي الكوكا . ومضغ أوراق هذا النبات خلال قيامهم بالعمل

وهكذا بدأ صرف جراية يومية من أوراق الكوكا لكل عامل ، واستمر اتباع هذا التقليد حتى أصبح عادة سارية متبعة

وقد يتساءل القارىء وما فائدة هذا الكيس الثاني الذي يحوي رمادا نباتيا ، والاجابة على ذلك أنه لكى تمضغ أوراق الكوكا تغمس الأوراق في

قدر ضئيل من الرماد النباتي ، فتتحول في الفم الى قطعة يسهل مضغها ويستمر المضغ لعدة ساعات ويستمر الاستحلاب ويستمر الشعور بأثر المخدر وتأثيره . .

فرويد والكوكايين :

وقد عرفت اوروبا نبات الكوكا في القرن السادس عشر لكنه ظل في طي النسيان حتى قرب نهاية القرن التاسع عشر حين بدأ الاهتمام به

ففي عام ١٨٨٤ بدأ سيجموند فرويد سلسلة من التجارب على النبات ، ونشر عديدا من التقارير عن نبات الكوكا وعن الكوكايين .

ولسيجموند فرويد قصة مع الكوكايين

لقد كان سيجموند فرويد مدمن أفيون وكان يريد أن يتخلص من أسر هذا المخدر ومن طغيانه ومن جبروته ، وان يقلع عن تعاطيه ، وظن للوهلة الاولى أنه يمكن أن يجد ضالته في الكوكايين للخلاص من أسر الأفيون والفكاك منه

بدأ فرويد يتعاطى الكوكايين ، وكان من المتحمسين له في باديء الامر، بل إنه أطلق عليه اسم « العقار السحري » وادعى أن له قدرة علاجية،وانه يمكنه أن يخلص المدمن من ادمان الافيون والمورفين ومن أعراض الهبوط والتعب الشديد

ولكنه لم يلبث أن وجد في نهاية الامر وبعد التجربة أنه واهم، وانه كان يسعى الى سراب ، وانه عاش اكذوبة كبرى فاعترف في نهاية الأمر بأخطار الكوكايين ، وبأنه فشل كعلاج لحالة ادمان الافيون

كوكا كولا بالكوكايين . . . !

وكان للكوكايين في أمريكا في نفس الفترة ، أي خلال القرن التاسع عشر قبول عند الجمهور ، وشيوع ورواج كعلاج لكثير من الآلام ، وكان يُضمَّن في كثير من الوصفات الطبية وكان أكثر استخداماته وأعمها وأكثرها شيوعا استخدامه في مشروب الكوكا كولا الأصلي الذي كانت تدخل في تركيبه مواد نكهة مستخلصة من أوراق الكوكا

ولكن لم تلبث الحكومة الأمريكية أن أصيبت بالفزع من تفاقم عدد الامريكيين الذين تكونت لديهم عادة تعاطي الكوكايين فمنعت استخدام العقار وفي عام ١٩٠٦ عدلت لائحة الأغذية والعقاقير الامريكية لتتضمن بندا يمنع استخدام الكوكايين وبعد ذلك بثماني سنوات أي في عام ١٩١٤ صدر تشريع هاريسون الذي بمقتضاه تم تضمين الكوكايين في قائمة المخدرات

ومنذئذ أصبح احراز الكوكايين يواجه نفس العقوبات التي تطبق على احراز المخدرات الاخرى كالافيون والهيروين والمورفين .

وفي الأربعين سنة التالية قل الاقبال على تعاطى الكوكايين وخف الطلب عليه

عود على بدء :

ولكن حدث خلال السبعينيات في القرن العشرين أن عاد الكوكايين الى شارع الاستهلاك ، وأصبح من أكثر المخدرات شيوعا وكانت الظواهر التي تدل على ذلك هي كثرة كمية الكوكايين التي تضبطها أجهزة مكافحة التهريب والتقارير الطبية عن أحوال المدمنين ومتعاطي المخدرات ونوعية المخدر

واليوم فان الكوكايين يباع بأسعار فادحة باهظة لأنه نادر باهظ الثمن،فقد أصبح يطلق عليه كما أسلفنا شامبانيا المخدرات كما يعرف هذا المخدر في أوساط التهريب والمخدرات باسم « مخدر الرجل الغني » وإن ندرته وشبكة توزيعه المعقدة تضاف جميعاً الى سعره الباهظ

ويأتي الكوكايين في ثلاثة أشكال ؛ الشكل الصخري ثم الشكل القشري أي في صورة قشور ، أما الشكل الشائع فهو البودرة

وغالبا ما يتم اضافة مواد أخرى تصنع في المعمل ومن هذه المواد مادة البروكين ، ومادة البنزوكين ومادة السبيد .

ويكون الكوكايين النقي في صورة مسحوق بلوري أبيض أشبه بالسكر ومن هنا كانت تسميته بالجليد



المخدرات بواسطة الحقن ، النوع الأكثر شيوعا

آثار الكوكايين على من يتعاطاه :

إن الكوكايين مخدر فائق القوة يمكنه أن يحدث تغييرا واضحا في الحالة « السيكوفسيولوجية » لمن يتعاطاه ، أي في حالته النفسية وفي وظائف أعضاء جسمه ، وهو بطبيعة الحال تغيير وتأثير الى الأسوأ

وخلال التاريخ كانت أوراق الكوكا وهو النبات الذي يستخرج منه الكوكايين كما أسلفنا ، تستخدم كأحد المعطيات الطبيعية للطاقة ، فقدرة النبات على تقليل الاحساس بالجوع والتعب وحفز النشاط العضلي كانت شيئا معروفا،وهو تأثير يعتقد البعض أنه يرجع الى ما يصاحب تعاطى الكوكايين من زيادة الحامضية في الدم وتنشيط عملية تحويل المواد الكربوهيدراتية في الجسم الى الطاقة

ومع ذلك فان البحوث التي أجريت في هذا الصدد لم تصل الى علاقة مباشرة توضح أثر الكوكايين على أعصاب الحركة والعضلات

إن الكوكايين كعقار مخدر ينتج عنه أثران مختلفان وغير متصلان . أما الأثر الأول فهو أنه يعمل كمخدر موضعي فيتسبب في ايقاف توصيل الاشارات الكهربائية والنبضات في الألياف العصبية لفترة قد تتراوح بين عشرين دقيقة الى أربعين دقيقة ، وذلك لقدرته على التدخل في حركة ايونات الصوديوم خلال الخلية العصبية

أما الأثر الثاني أو الفعل الثاني فهو أنه منبه ومنشط قوي للجهاز العصبي المركزي ، وهذا التأثير على الجهاز العصبي المركزي هو الذي يخلق الانتعاش الوقتي والشعور بالاثارة ، ويمثل الحافز الأساسي والدافع الرئيسي لتعاطي مخدر الكوكايين

الآثار العضوية والجرعة المميتة !!!

واذا نظرنا الى أثر الكوكايين على المتعاطي من الناحية الفسيولوجية أي من ناحية وظائف أعضاء الجسم ، فاننا نجد أن له أثراً سيئا جداً بل شديد السوء

إن الكوكايين يسبب زيادة في سرعة التنفس وسرعة النبض ، وعدم انتظام دقات القلب ، وانقباض الأوعية الدموية وانكماشها ، وارتفاع ضغط الدم ، وارتفاعاً في درجة حرارة الجسم ، وتصبب العرق ، واتساع انسان العين وانبساطه وتمدده ، وارتعاش اليدين ورجفة الساقين .

ونظرا لأن مفعول الكوكايين قصير الأجل فان تعاطى المخدر يتكرر عدة مرات في اليوم الواحد ، وبذا يمكن أن تصل الكمية التي يتعاطاها الفرد في مجموعها الى عشرة جرامات في اليوم الواحد

وجرعة الكوكايين المميتة أي التي تؤدي الى الموت هي جرام وربع تقريبا من المخدر ، وذلك اذا تم تعاطي الكمية كلها مرة واحدة ، والموت في هذه الحالة يرجع سببه الى القصور الشديد في عملية التنفس

القلق والهلوسة ومرض العظمة الكاذبة

غالبا ما يؤدي تعاطي كميات كبيرة من الكوكايين وتأصل عادة تعاطيه الى القلق والهلوسة والأرق والسهاد ، والى الشعور الكاذب بالقوة والتفوق ، وإن هذا الشعور بالقوة وهذه الهلوسات الحسية والسمعية والبصرية التي يؤدي اليها الافراط في تعاطي الكوكايين تكون نتيجتها أن يصاب المتعاطون لهذا السم وخاصة من يتعاطونه عن طريق الحقن بمرض يطلق عليه اسم مرض « العظمة الكاذبة »

إنهم يصبحون غير اجتماعيين وخطرين على من حولهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويتواجدون في رحابه إن قدرتهم في الحكم على الأشياء وتقديراتهم تختل، كما تحدث في بصيرتهم ، وإدراكهم الحسي تغيرات سريعة الى الأسوأ
إن شخصيات المتعاطين للكوكايين تهتز بشدة ، ويبرز الى السطح كل ما لديهم من صور الكبت وكل المحزون والمدفون في حنايا نفوسهم من طباع مكبوتة ممنوعة لا يرضى عنها المجتمع

اما من ناحية السلوك الاجتماعي والسلوك مع الأقران والزملاء ، فإنه يتميز بالعدوانية والتهجم كما تتصف تصرفاتهم بعدم الثبات والخلل ويستولي عليهم الفزع والهلع لغير ما سبب معقول .

وفي النهاية يكون الشعور العام لمتعاطي الكوكايين هو انقباض النفس والقلق والاضطراب والكآبة والركود النفسي وانحطاط الروح المعنوية

أعمال العنف :

إن الكوكايين عقار شديد السمية وخاصة على المخ الذي يصبح من تأثير هذا السم مزدحما بالأوهام والترهات ، فمتعاطي الكوكايين ينشأ لديه شعور بأن الحشرات تزحف على جسمه ، وبأن الناس يتحدثون عنه ، وبأنه مراقب من الجميع ، وأن هناك عيوناً ترصد حركاته وتحركاته وتتعقب خطواته ، بل يعتقد أن هناك من يدبر لقتله .



مراهق يدخن الكوكايين

وعادة ما يحمل مدمن الكوكايين سلاحا ، وتحت تأثير الوهم الذي يملأ رأسه ويسيطر عليه يصبح قادرا على استخدامه وان التقارير الطبية وتقارير رجال الامن ومكافحة المخدرات توضح وتتضمن الكثير من أعمال العنف التي ارتكبها ويرتكبها المتعاطون للكوكايين وخاصة من يفرطون في تعاطيه .

الكوكايين والادمان :

والآن نأتي الى نقطة هامة والى سؤال مهم مطروح

هل يسبب الكوكايين الإدمان لدي متعاطيه ؟؟
هل يسبب الكوكايين الاعتماد الطبيعي على المخدر ؟؟

وفي الإجابة على هذا نقول إنه على الرغم من أن

المتعاطي للكوكايين يتكون لديه اعتماد نفسي قوي على الكوكايين إلا أن استخدام العقار لا ينتج عنه اعتماد طبيعي كما يحدث في حالة من يتعاطون الأفيون والهيروين والمورفين ، ولا يتعرض المتعاطي لأعراض جانبية خاصة لدى الامتناع عن تعاطيه

ومعنى الادمان،أي الاعتماد الطبيعي على المخدر أن المدمن يصبح أسيرا للمخدر فلا يمكنه أن يستغني عنه ، أو يعيش بدونه ، واذا لم يجده وإذا لم يتعاطاه يتعرض لآلام مبرحة وأعراض مفجعة تؤدي به الى الموت

ونظرا الى سرعة تمثيل الكوكايين في الجسم فان كميات كبيرة منه يمكن تعاطيها في وقت قصير نسبياً ، وليس هذا دليلا أو اشارة الى الاعتماد الطبيعي على المخدر وعلى الرغم مما يبدو من أن تعاطى الكوكايين لا ينجم عنه اعتماد طبيعي ، إلا أن هذا المخدر يتميز باتجاه قوي من جانب المتعاطين للاستمرارية في استخدامه وتعاطيه ، فهو يتسبب في ايجاد مستوى عال من الاعتماد النفسي لدى المتعاطي ، وعادة ما ينتج عنه نوع من أنواع الافراط المدمر

وهذه الصورة غالبا ما يصعب فهمها حيث أن كثيراً من الذين لا يسرفون في تعاطي المخدر ويتعاطونه بين حين وحين يقررون أنه لا تتكون لديهم عادة الإدمان ومع ذلك فهناك تقارير لا حصر لها عن الافراط في استخدام الكوكايين ما هو التفسير اذن ؟؟

الذي يحدث أنه بعد تعاطي العقار بفترة قصيرة تنتج حالة من فقدان الحساسية في فراغ الفم ، وغالبا شعور بأن اللسان غير موجود،ويتبع ذلك احساس بالدفء في الجسم كله ثم إحساس بدرجة عالية من الإثارة ويشعر المتعاطي بأنه قوي مبتهج يمكنه أن يقوم بأي عمل وأن يفعل أي شيء ، ويتقلص شعوره بالتعب كما ينتابه شعور بالقوة والعمى

هذا الاحساس بالابتهاج والفرحة يستمر من حوالي خمس وأربعين دقيقة الى ساعتين تبعا لنوعية الكوكايين الذي يتم تعاطيه وعندما تضمحل الآثار الاولى للمخدر تبدأ آثار الهبوط والكآبة والتعب والانقباض النفسي في الظهور على المتعاطي ويتسبب الصداع والشعور بعدم الراحة والركود النفسي في رغبة قوية في الصعود مرة أخرى الى قمة البهجة

وبذلك وعلى الرغم من أنه لا ينشأ اعتماد. فسيولوجي على المخدر إلا أنه ليس من الصعب أن ندرك الرغبة في استمرارية التعاطي للمخدر التي توضحها هذه الصورة التحليلية والتي جاءت في احدى الدراسات النفسية التي نشرتها المجلة الأمريكية لعلم النفس

معالجة التسمم بالكوكايين :

إن معالجة التسمم بالكوكايين تتم على أساس وصف العلاج المناسب لحالة المريض فالقلق الزائد من تأثير تعاطى العقار يمكن علاجه بإعطاء المريض المهدئات مثل الفاليوم

وفي حالة تعاطي الجرعات الزائدة وما تسببه من آثار صعبة قاسية مؤلمة ، وضيق شديد في التنفس يعالج المريض في المستشفى الخاص مع عناية مركزة من ناحية التنفس وبعد العلاج العضوي يتم العلاج النفسي . □

□ المعرفة تؤدى إلى الصداقة ، والحقيقة تؤدى إلى النور .

(حوليوكورى)

□ لاقيام للفن الحقيقى إلا إذا كان بشيرا بحياة أفضل يتمتع بها جميع البشر .

(فاخر)



حكايات .. في الأدب والفن والتاريخ

بقلم : الدكتور عبدالحميد يونس

يعد الدكتور عبدالحميد يونس الذي فقدناه منذ شهرين واحدا من رواد الادب الشعبي ، وأول من أدخل دراسة علم الفلكلور وفق مناهج البحث العلمي في الجامعات المصرية والعربية الأحرى . ولقد خلف للمكتبة العربية عددا من الكتب والدراسات عن الحكايات والفنون الشعبية ، بالإضافة إلى موسوعة الأدب والفنون الشعبية .

و « العربي » التي كانت واحدة من المجلات العربية التي تلقت انتاجه ، تنشر اخر مقالاته لها ، عن حكايات في الأدب والفن والتاريخ .

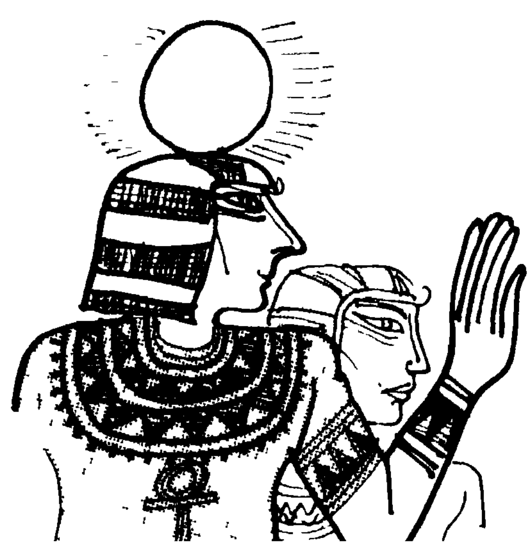
لايزال الذهب هو المعيار الأساسي في وسيلة التعامل بين الناس في المجال الاقتصادي ، وهو الركيزة الأساسية لقدرة دولة ، او مجتمع على التعامل في المجال الدولي ولا يقوم ذلك على حصيلة التجربة الانسانية الواقعية في المجال الحضاري ، وإنما يقوم أولا وقبل كل شيء ، على ارتباطه ، منذ أقدم العصور ، بالاساطير ومن الضروري أن نفيد من الدراسات الميثولوجية الحديثة التي لا تعد الأسطورة مجرد خرافة ، ولكنها كانت المرحلة الاولى في الفكر الانساني ، وهي التي فسر بها الانسان مظاهر الحياة والطبيعة والكون ، ولذلك وجدنا ان الذهب ارتبط ، منذ القدم ، ارتباطا وثيقا بالعقائد الدينية ، ومايتصل بها من طقوس

وكان الذهب من أقدس ماي الارض من معادن ، ولذلك نجد مكانته في تراث الشعوب ، على اختلاف أوطانها ، ومعتقداتها ، ومراحل ثقافتها ، ومن الشواهد على ذلك أن بعض القبائل ، في جزر الهند الغربية وامريكا الوسطى ، تعتقد أن للذهب روحا ، ولذلك فرضوا على انفسهم كثيرا من المحظورات ، حتى لا تغضب عليهم تلك الروح وسجل بعض الدارسين أن العاملين في مناجم الذهب في بعض المناطق يحرصون على تلاوة دعاء خاص قبل استخراج هذا المعدن النفيس . ومن المعتقدات السائدة قديما أن الشمس هي التي وهبت الذهب لونه الجميل ، وبريقه الخلاب ، ومن ثم فإنه يستمد بريقه من نور الشمس ، ويعد مصدرا للحياة والخصب والنماء

وسجل المؤرخون أن الذهب لم يكن مجرد معدن نفيس ، له قداسته ، ولكنه كان عنصرا حيا عند الفراعنة ، ومن هنا ساد الاعتقاد بأن الذهب هو سائل الشمس المضيء ، الذي يجري في عروقهم وبالغوا في استعمال الذهب ، لأنهم رأوا أن عودة الحياة اليهم بعد الموت وخلودهم يقتضي إعداد الوسائل المادية التي تحقق لهم هذا الهدف .

ومن أهم الأساطير القديمة ، التي تدل على ارتباط الذهب بالحياة ، أسطورة ميداس ملك فريجيا بآسيا الصغرى ، فقد كان هذا الملك يعشق الذهب اكثر من أي شيء آخر ، وكان يقتنيه ، ويختزنه في الطابق الاسفل من قصره ، ولقد اعتاد ان يقضي ساعات طويلة كل يوم ، يتطلع فيها الى ذهبه ، ويتغزل فيه ، كما يتغزل العاشق في محبوبته

وتسجل الأسطورة أن ميداس تمنى أن تمنحه الآلهة القدرة على تحويل أي شيء يلمسه إلى ذهب ، وتحققت أمنيته ، وفرح عندما وجد أن كل شيء يلمسه في قصره يتحول إلى ذهب وما لبث أن اكتشف أن طعامه وشرابه قد تحولا الى ذهب خالص ، وأدرك أنه سوف يموت لا محالة وكانت المفاجأة الكبرى عندما زارته ابنته ، تشكو إليه أن ازهار الحديقة كلها قد صارت ذهبا ولما انحنى عليها ليسري عنها ويقبلها تحولت إلى تمثال بارد من الذهب وتقول الاسطورة إن الملك ميداس استطاع أن يتخلص من هذه اللعنة باستحمامه في مياه ينبوع يقع عند مصب احد الانهار وحمل معه بعض الماء وصبه على ابنته ، فعادت اليها الحياة ، وادرك الملك ميداس أن هناك اشياء أثمن بكثير من الذهب



الامارات البغدادية

اتسعت رقعة العالم الاسلامي ، وازدهرت حضارته ، واشتهر كثير من عواصمه ومدنه ، بيد ان بغداد اتخذت لها مكانا بارزا بين هذه العواصم ، حتى اصبحت في مخيلة المسلمين والعرب رمزا للصقل الحضارى في قمة تاريخنا الوسيط وكلما تذكرنا العصر الذهبي ، وجدنا بغداد هي التى ترمز إلى تلك المرحلة المزدهرة.ومن اسم هذه المدينة وجدنا لفظا يعبر عن الفخر بانتساب الانسان اليها ، وفي معاجمنا لفظ تبغدد فلان أي انتسب الى بغداد وتشبه بأهلها ، وعليه زها وتكبر ، لأن الانتساب الى هذه المدينة ظل مزية ، يفاخر بها صاحبها ، ويتصور أنه ارقى وأصقل من الناحية الحضارية ، التي جعلت بغداد هي المعلم الأول في العصر الذهبي في الوطن العربي والعالم الاسلامي

والدارسون احتفلوا بعراقة هذه المدينة واصولها وأطلق الخليفة العباسي المنصور على المدينة التي أنشأها اسم مدينة السلام تيمنا بجنة الخلد ، وكان هذا هو الاسم الرسمي ، الذي يكتب به في الوثائق والسكة والاوزان ، إلخ واستعملت من الاسم صيغ مختلفة ، وبخاصة بغدان ، وتسميات مثل مدينة ابي جعفر ، ومدينة المنصور ،ومدينة الخلفاء، والزوراء والاقتناع بأن بغداد هي قصبة العصر الذهبي هو الذي دفع الخليفة المنصور إلى أن يشيد قصرا على نهر دجلة ، تحيط به بساتين فسيحة ، وأطلق عليه اسم قصر الخلد تيمنا بجنة الخلد ، ودفع الخليفة هارون الرشيد أيضا إلى تشييد قصر الرصافة . واتسعت رقعة بغداد بسرعة ، فكثرت مبانيها ونشطت فيها الحركة التجارية ، وازدادت ثروة وسكانا ، وتكالب الناس على السكنى في شرقي بغداد ، إذ اجتذبتهم هبات المهدي ، ثم عطايا البرامكة الذين كان لهم حي خاص في بغداد .

وتغنى الشعراء ـ وهم لا يزالون يتغنون إلى الآن ـ بجمال بغداد ، ووصفوها بأنها جنة الله في أرضه . وقد اشتهرت ببساتينها الرائعة وريفها النضير ، وقصورها الفخمة الشامخة المزينة بزخارف فاخرة على الابواب وفي القاعات ورياشها البديعة الثمينة .

وأصبحت بغداد مدينة دولية ، لأن سكانها كانوا أخلاطا من شتى الامم والالوان والنحل ، ممن وفدوا إليها من أحل العمل والتجارة ومن المجندين والارقاء ، أو ممن جاءوا لممارسة مهن أخرى ، واستمرت بغداد من اعظم مراكز الفن والعلم والادب على مدى التاريخ ، وأدى ذلك ، إلى أن يحتفل بها التراث الشعبي ، وأن نجد ذكرها في هذا التراث على احتلاف مجالاته والدارسون المتخصصون استطاعوا ، وهم يحللون « الف ليلة وليلة » ، أن يضعوا أصابعهم على الامارات البغدادية في الكثير من تلك الليالي ، وأن يجدوا القصاص الشعبي يتخذ من الخليفة هارون الرشيد بطلا ممتازا ، يتجاور الواقع التاريخي إلى الخيال الشعبي



الرشيد في الخيال الشعبي

يذكر الزركلي في معجم « الأعلام» أن هارون الرشيد (١٤٩ ـ ١٩٣ هـ) (٧٦٦ ـ ٨٠٩م)ابن محمد المهدي ابن المنصور العباسي ، أبو جعفر خامس خلفاءالدولة العباسية في العراق ، واشهرهم ولد بالري ، لما كان ابوه اميرا عليها وعلى خراسان ، ونشأ في دار الخلافة ببغداد ، وولاه ابوه غزو الروم في القسطنطينية ، فصالحته الملكة ايريي وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار،تبعث بها الى خزانة الخليفة في كل عام وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ ، فقام باعبائها ، وازدهرت الدولة في ايامه واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان ،فكانا يتهاديان التحف وكان الرشيد عالما بالادب ، وأخبار العرب ، والحديث ، والفقه ، فصيحا ، له مشعر ، وله محاضرات مع علماء عصره ،شجاعا كثير الغزوات ، يلقب بجبار بني العباس ، حازما كريما متواضعا ، يحج سنة ويغزو سنة ، لم ير خليفة أجود منه ، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب والندماء وكان يطوف أكثر الليالي متنكرا قال ابن دحية : « وفي ايامه كملت الخلافة بكرمه وعدله وتواضعه وزياراته العلماء في ديارهم » وهو أول خليفة لعب بالكرة والصولجان له وقائع كثيرة مع ملوك الروم ، ولم تزل جزيتهم تحمل إليه من القسطنطينية طوال حياته وهو صاحب وقعة البرامكة ، وهم من اصل فارسي ، وكانوا قد استولوا على شؤون الدولة ، فقلق من تحكمهم ، فأوقع بهم في ليلة واحدة واخباره كثيرة جدا ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام

توفي في سناباد من قرى طوسي ،وبها قبره وأهم ملامح شخصية هارون الرشيد إحساسه بالملك ، فقد ولد في قمة الكيان الاجتماعي ، ولد أميرا ، وقدر عليه أن يكون مجاهدا في سبيل الدولة ، ووليا للعهد ، ثم خليفة للمسلمين . ومع أنه من بني العباس الذين قضوا على البيت الاموي ، فقد ورث تقاليد الملك وكان المحيط الذي يدرج فيه ، إنما يصدر عن ذلك الصراع التقليدي بين الأخوة ، وما يمكن أن ينشب من خصومات بين الاعمام وأبناء اخوتهم . ولا فرق هناك بين ملك اقترب من القيصرية في دمشق ، وآخر كادت تظلله الكسروية

في بغداد ، كلاهما شرف موروث ، يتناحر عليه أبناء الأسرة الواحدة ، ويتحارب دونه الاخوة وبنو الاعمام ولقد أفاد هارون من هذا الجو ساطره أخوه ابن أمه وأبيه ، واحتمل خوفه وحرصه ، ووحد النصراء الذين يمكنون له ، حتى انقادت له المقادير ، وكان التحول من الاسم « هارون » إلى اللقب «الرشيد» بمثابة التحول من الخلافة إلى الملك، وجمعت شخصيته ، بصورة متناقضة حينا ومتكاملة احيانا أخلاقيات شيخ القبيلة ، والخليفة الرشيد والملك الذي يستند إلى الحق الالهي والشرف الوراثي

واذا كان الوجدان الشعبي قد انتخب هارون الرشيد دون غيره ، فذلك لما أدركه فيه من الفضائل التي اراد تجسيمها وتصعيد الافراد إليها ومهما اختلف أصحاب المذاهب حول شخصه وفعاله ، فإنه كان نموذجا يصلح للانتخاب والتمثيل ولقد اختلف في الحكم عليه بعض ، فوجدنا من ينقده ويجرحه ، ولكنه علم ، سجلت عليه فضائل الفكر العربي والحضارة الاسلامية كان بمثابة القمة من التاريخ الاسلامي ، وكان الممثل لما أسهم به العرب والمسلمون في بناء حضارة الانسان ،وكان الشرق في ايامه هو الذي انتهى إليه السلطان ومن هنا اقترن اسم الرشيد بالشرق وسحره وفتنته . واختيار هذا اللقب كان له اثره في الحكم على سلوك هذا الخليفة ، واشتهاره بغلبة الحكمة والتعقل والاتزان . وظلت هذه الشخصية محفورة في ذاكرة الشعب العربي ، يتخذها نموذجا في السلوك، كما يجعلها مثالاً للانسان العربي ، وأسبغ الشعب عليه ما يطمح إليه من حكمة وعدالة ومجد والرشيد من أهم الروائع التي لاتزال حية ومؤثرة في المأثورات الشعبية

الأدب والشخصية العربية

تلك مجرد التفاتة إلى مسار الحضارة في الشرق الاسلامي ، وهذه الالتفاتة فيها من سعة الأفق ما يستوعب جانبا من التقدم الانساني الزاهر ، ومساحة كبيرة من العالم الانساني في فجر العصور الوسطى

والمؤرخون يضعون أصابعهم على التقدم الفكري في مجال الفلسفة والفكر ، وهو على قدر كبير من الوضوح بيد أن الشخصية العربية إنما تبرز ملامحها في الأدب ، بصفة عامة ، وفي الشعر ، بصفة خاصة وللشعر العربي أصالته في الاحتفال بالجانب الموسيقي للكلمة ، ولذلك يجمع مؤرخو الأدب على أن اللغة العربية هي أولى اللغات التي كانت تصر على اعتبار القافية الصحيحة عنصرا أساسيا في صوغ الشعر كانت كل قصيدة من قصائده لابد أن تبدأ بالبكاء لفراق محبوب أثارت ذكراه نظرة إلى مابقي بعده من أطلال ودمن

ولما رحل الشعر العربي إلى المدن ، نبتت دعائم الحب أكثر من قبل ، واكتسب الشعر رقة جديدة ، حلت محل صراحة البادية في إظهار الحب ، كما حلت محل القصائد الشعرية المطولة مقطوعات غنائية قصيرة ، يعبر فيها الشاعر عن عواطفه ، ويظهر فيها شخصيته

ونجد في الشعر الشعبي ما يشبه الطفرة التي أثمرت جنسا ادبيا في مجال الغناء وهو الموال ونحن جميعا نعلم أن الموال ضرب من الأغاني الشعبية وتقول الرواية إن هذا النوع من الشعر ابتكره أهالي



واسط ، ولكن أهالي بغداد هم الذين طوروه ويقال إن هارون الرشيد لما نكب البرامكة حرم البكاء عليهم أو رثاءهم ، ولكن الوفاء حمل حارية لجعفر على أن تنظم في كل يوم مرثية لمولاها ، وكانت في نهاية كل موشح تصيح « ياموواليا » ومن هنا أطلق اسم مواليا على هذا النوع من الشعر والموال سمي من المواليا

وتطور الموال ، وانقسم إلى ضربين ، هما الموال الأحمر ، ويتناول موضوعات الحرب ، والموال الأخضر ، ويتناول موصوعات الحب وفي جميع الحالات يجب أن يكون الموال باللهجة العامية الدارجة

جحا . والألغاز والأحاجي

هناك شخصية عربية بارزة ، ظهرت في عصر هارون الرشيد ، وهي شخصية جحا وبلغ من عالمية هذه الشخصية أن العلماء كثيرا مايخلطون بين شخصيتين قوميتين بين جحا العربي الذي ينسب إلى قبيلة فزارة ، والذي قيل إنه عاش في عصر هارون الرشيد ، والذي أثرت عنه أقوال أصبحت على ألسنة الناس أمثالا سائرة ، والذي اشتهر بمواقف وتصرفات ، سجلت على انها من النوادر والملح

وبين جحا الرومي الذي قيل إن اسمه نصر الدين خوجة ، وعاش في عصر السلاجقة ومن اليسير أن يضع الدارس حطا فاصلا بين هاتين الشخصيتين ونحن نعلم أن جحا العربي يحتفظ في جميع أقواله وتصرفاته بمقومات المزاح العربي ، وانه معروف في البيئات العربية كلها بالاسم نفسه ، لا يصيبه من التحريف إلا قليل ، يتمثل به المتعلمون وغير المتعلمين في الحواضر والبوادي على السواء

ومن اهم أجناس الأدب الشعبي « الألغاز والأحاجي » ومن روائعها ماورد في « ألف ليلة وليلة » ، وهي أيضا فيها يذكر الرواة ، وفيها تسجل الحكايات رائعة عالمية هي حكاية تودد الجارية وتروى الحكاية أنها كانت جارية لتاجر ضاع ماله ، فطلبت منه أن يعرضها على هارون الرشيد ليشتريها ، لأنها تجمع بين الجمال والذكاء ، وقبل الخليفة أن يشتريها بالثمن العالي الذي طلبه اذا ثبت

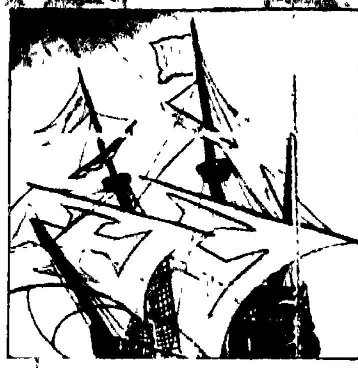


له صحة ما ادعاه من رجاحة عقلها ، وتعدد مواهبها وقام باختبارها نفر من العلماء ، فأجابت على جميع ما وجهوه إليها من اسئلة في علوم الدين والنجوم والطب واللغة ، واستطاعت أن تحل جميع الأحاجي التى طرحت عليها ، وأظهرت براعة تامة في لعبتي الشطرنج والنرد ، وأبدت مهارة فائقة في العزف على العود ثم وجهت إليهم بدورها أسئلة كثيرة ، عجزوا عن الرد عليها وعند ذلك طلب منها الخليفة أن تتمنى عليه ، فتمنت أن يردها لسيدها ، ففعل ، وخلع عليها خلعة ، واتخذ سيدها نديما له

ومهما ردد الباحث في غلبة الاختيار والمغالاة فيما سجل ، أو روي عن أسطورة العصر الذهبي ، كما شخصها هارون الرشيد فان الاهتمام بالتراث الشعبي الحي المتطور ، وبالعراقة فيما يحتفظ به الشعب في ذاكرته من معرفة وفن وأدب يستتبع بالضرورة أن نضيف إلى التاريخ ، بمنهجه التقليدي ، ما بهر الشعب العربي من ناحية ، والعالم من ناحية أخرى ، وما جعل هذه الأسطورة تتسم بالسحر والروعة وتثبت في الوقت نفسه تبادل التأثر والتأثير بين مختلف القوميات والعصور □

افـق المعرفـة

الجغرافيـة عند العرب في العصور الوسطى



بقلم : الدكتور محمّد علي الفرا

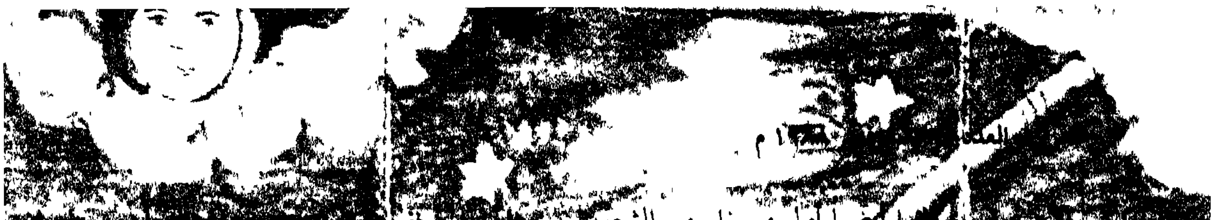
إن من يطلع على التراث الجغرافي العربي يدرك الاتساع الكبير لأفق المعرفة الجغرافية بشكل لم يسبق له مثيل . وقد ظلت الجغرافية العربية مصدرا مهما لا يستغنى عنه لكل من يريد البحث والاطلاع ، عن مناطق العالم وبلدانه وأقطاره ، لأنها حوت معلومات وبيانات غزيرة ، جديدة ، شاملة عن مناطق لم تكن معروفة عند اليونان والرومان .

ولاشك في أن الفتوحات الإسلامية ، والأنشطة التجارية ، والرحلات الجغرافية كانت من أهم العوامل التي أسهمت بشكل رئيسي في إثراء الجغرافية الإقليمية العربية واتساع أفقها . وقد بلغت الفتوحات أوجها في عصر الدولة الأموية حتى أصبحت الدولة الإسلامية تمتد من الصحراء الكبرى والسودان في افريقية جنوبا حتى حدود فرنسا شمالا ، والمحيط الأطلسي غربا إلى حدود الصين شرقا .

وقد نشطت الحركة التجارية فتاجر العرب مع الأقطار الأفريقية الواقعة على سواحلها الشرقية والغربية ، وكذلك مع البلدان الآسيوية حتى مدينة « كانتون » وقد أنشأ العرب المراكز والموانىء التجارية ، مثل ميناء « قلا » في شبه جزيرة الملايو (ماليزيا حالياً) ، وميناء الديبل عند مصب نهر السند ، بالقرب من كراتشي الحالية أما موانىء الخليج العربي فأهمها مسقط وصحار وسيراف أما فيما يختص بالرحلات الجغرافية وحركات الارتياد فقد نشط الرحالة العرب في كل الاتجاهات في آسيا وأفريقية وأوروبا وسنعرض في هذه المقالة لأهم الرحلات العربية في القارة الآسيوية

آسيا تستحوذ اهتمام الجغرافيين

لقد اهتم الرحالة العرب بالشرق في المقام الأول وبخاصة وسط القارة الآسيوية وشرقها وشمالها ، والهند والصين وبلاد التتار ، وبناء عليه [illegible] أول من قدر الحجم الحقيقي للقارة



... أيضا أول من زار من الشعوب ... أراضي ... آسيا فيما وراء نهر الجانج (الكنج)

وتذكر كتب التراث بأن هنالك نفرا من التجار والرحالة والجغرافيين الذين تجولوا في مناطق واسعة من القارة الأسيوية ، وأمدونا بمعلومات غزيرة ، وبيانات وافية عن طبيعة تلك المناطق ومعالمها الجغرافية ومظاهرها الطبيعية ، وحياة سكانها ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وأعمالهم وأنشطتهم ، وغير ذلك من معلومات مفيدة . وكان من أهم هذه الرحلات تلك التي قام بها « سلام الترجمان » بتكليف من الخليفة العباسي الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ ٨٤٢ - ٨٤٧م) للكشف عن أقاليم عديدة شمالي الدولة الإسلامية ، وبصفة خاصة للبحث عن يأجوج ومأجوج . وسد ذي القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم . وقد تعرضت هذه الرحلة بالدراسة والتحليل نفر من المستشرقين ، أمثال « باير » و « اشبرنجر » و « مينورسكي » و « توماشك » و « فاسيليف » و « كراتشكوفسكي » ، كما ذكرها « بيرلي » في كتابه « فجر الجغرافية الحديثة » و « بيكر » في كتابه « تاريخ الارتياد والكشف الجغرافي » ومن الجغرافيين العرب الذين أشاروا إليها ابن خرداذبة ، وابن رسته ، وياقوت الحموي وغيرهم

وعلى أي حال فإن « سلام الترجمان » غادر بغداد متجها صوب أرمينيا وبلاد الكرج (جورجيا حاليا) ، وعبر القوقاز ، ووصل بحر الخزر (قزوين حاليا) ، وطاف حوله ، وزار بحيرة « بلكاش » ، وسار مع نهر الفولجا ، وكشف قسما كبيرا من جبال « أورال » وسلاسل « التاي » ، غربي منغوليا ، ثم عاد إلى العراق عبر بخاري وخراسان

وفي السنوات الأخيرة من القرن التاسع الميلادي بلغ اتصال العرب بالصين أوجه ، وبخاصة عشية ثورة ٨٧٨م . فقد قام كل من « سليمان التاجر » و « أبي زيد السيرافي » و « ابن وهب القرشي » بزيارة للصين ، وقد جاء ذكرها في كتب الأدب الجغرافي ... التاجر من مواطنه « سيراف » على الساحل الايراني للخليج العربي إلى ساحل مليبار بالهند (الساحل العربي) ، فسيلان (سريلانكا حالياً) ، فخليج البنغال حتى جزر « نيكوبار » ، ومنها إلى « قلا » ، فمضيق ملقا ، فساحل « سايجون » (هوشي منه حاليا) ، فجزيرة « هيناد » حتى وصل خانفو (كانتون)

ويبدو أن أبا زيد السيرافي قام برحلة مماثلة ويذكر لنا سليمان التاجر وصفا للسواحل والبحار المختلفة والمدن والموانيء وسكانها ، ومحاصيل البلدان ، والسلع التجارية لتلك الجهات ، والمسالك فيما بينها ، ويطلعنا على علاقة العرب بالتجار الصينيين والأجانب على طول الخط التجاري الممتد من الخليج العربي والبصرة غربا حتى البحر الأصفر وجابو شرقا .

ويروي أبو زيد السيرافي رحلة صديقه ابن وهب الذي يمم شطره إلى « مرشي » ، ووصوله إلى الصين ، وزيارته لبلاط امبراطورها ، ومثوله بين يديه ، وحواره معه عن العرب والمسلمين ونبيهم ، وأحوالهم قبل الإسلام وبعده ، وحواره معه عن ملوك ذلك الزمان وأممه وشعوبه . وقد سجل أبو الفداء في كتابه المسمى « تقويم البلدان » ذلك الحوار المثير بين ابن وهب وامبراطور الصين

لقد غادر ابن وهب البصرة على إثر ثورة الزنج المشهورة في عام ٢٥٧هـ إلى سيراف ومنها إلى الصين

وتسجل لنا هذه الرحلات معلومات كثيرة وهثيرة عن الصين والجزر الواقعة في البحار التي عبرتها تلك الرحلات ، ومن أهم هذه المعلومات ما يتعلق بوصف العادات والمعتقدات الدينية ، والحياة الاجتماعية والسياسية لأهل الهند والصين ، وملابسهم وفنونهم ، وإقبالهم على شرب الشاي ، ومنقوع الأرز ، ووصف لشجرة الشاي ، وما يفرض عليهم من ضرائب ، مثل ضريبة الرؤوس ، وشهرة بلادهم بصنع الخزف الصيني ، وعادة حرق

كل امرأة يتوفى عنها زوجها ، وتعنيهم ... ونظام الطبقات الذي يقسم المجتمع إلى منبوذين وغير منبوذين

رحلة ابن خرداذبة

وعلاوة على الرحالة سابقي الذكر ، فإن الجغرافي الشهير « أبا القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه » الفارسي الأصل المتوفي في عام ٣٠٠هـ = ٩١٢م كان أول جغرافي قدم للجغرافية العربية معلومات جديدة وقيمة عن مناطق واسعة في القارة الاسيوية ، وذلك بحكم عمله في البريد إبان حكم الخليفة العباسي المعتمد . وكان والده من قبل واليا على طبرستان جنوبي بحر قزوين

ويصف لنا « ابن خرداذبة » في كتابه « المسالك والممالك » بالتفصيل الطريق البحري من عدن ، وموانيء الخليج العربي حتى البحر الأصفر بالصين ، حيث يصف ميناء « خانفو » العظيم ، ومحاصلات الصين ، وأنهارها وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن بلاد تقع خارج الصين ، مثل « كوريا » وجزر « الواق واق » التي من الجائز أن تكون هي جزر اليابان ، بينما يعتقد بعض بأنها زنجبار ، وكذلك أورد معلومات مثيرة عن جزر المحيط الهندي ، مثل « سيلان » التي كانوا يسمونها « سرنديب » ، وسجل لنا عما شاهده وسمعه من الغرائب والعجائب ، مثل الأسماك الطائرة ، والحيتان التي يبلغ طولها مئات القامات ، ووحيد القرن والفيل وتحدث عن البوذيين وعاداتهم ومعتقداتهم وقد تخلل ذلك كثير من الخرافات التي تقلل من قيمة الكتاب

لكن أكثر الطرق أهمية من حيث الوصف الطريق الممتد من بغداد إلى وسط آسيا ، وقد أعطانا « ابن خرداذبة » معلومات مهمة عن الأمم والشعوب الأسيوية التي تقطن تلك المناطق ، كالأتراك والتتار والمغول والقبائل التي تعيش في البلاد الممتدة بين الصين وبحر قزوين مثل القرغيز . وقال بأن هذه الجهات تشتهر بالمسك . وبذلك يكون « ابن خرداذبة » أول جغرافي عربي كتب عن المظاهر ... الأقصى ووسط آسيا

فالجغرافيون ... تعد ... وسط آسيا حتى حدود ... السند

ومن الذين زودونا بمعلومات جغرافية قيمة عن وسط آسيا في نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الميلاديين نذكر « الجيهاني » ، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر ، وينسب إلى « جيهان » في بلاد ماوراء النهر ، وكان وزيراً في بلاط السامانيين ويصف « الجيهاني » بصفة خاصة سكان « هندستان » بشكل مفصل

ومن الجغرافيين الرحالة الذين ساهموا في اتساع أفق الجغرافية العربية نذكر « الاصطخري » الذي تكلم في كتابه المشهور « المسالك والممالك » أو « كتاب الأقاليم » عن التركستان والسهوب الأوروبية . هذا وقد أمدنا معاصره « ابن حوقل » في كتابه « صورة الأرض » بمعلومات قيمة عن إقليم سمرقند ، ونهر سيحون ، والمنطقة الممتدة من جبال طوروس حتى هضبة البامير . ويصف بإعجاب شديد إقليم « الصغد » الذي يقع جنوب شرق بحر « أرال » . وهو يستغرق - كما يقول - مسيرة ثمانية أيام ، ويتميز بحدائق وبساتين وحقول الذرة ، وأنهاره وخزاناته ونافوراته ، وقراه ومساكنه

ولعل المسعودي كان أكثر الجغرافيين العرب الذين كتبوا عن مناطق واسعة في آسيا ، وبخاصة الأراضي الممتدة من فرغانة حتى بحر قزوين وبحر أرال وقد اعتمد في معظم كتاباته عن تلك المناطق على رحلاته ومشاهداته لمعالم تلك المناطق وأحوالها وأوضاعها

رحلة ابن فضلان إلى روسيا

ربما كان من أهم الرحلات العربية إثارة في القارة الآسيوية تلك التي قام بها « ابن فضلان » ، وسجلها في مؤلفه الذي أطلق عليه اسم « الرسالة » ففي عام ٣٠٩هـ = ٩٢١م أرسل الخليفة العباسي المقتدر بالله سفارة إلى الروس ، وكان يطلق عليها اسم

« البلغار » وهم يسكنون على ضفاف نهر الفولجا ، وكانوا قد دخلوا حديثاً في الإسلام ، ولذلك طلبوا من الخليفة أن يرسل لهم من يفقههم في الدين وقد ضم الوفد « أحمد بن فصلان » الذي قام بتسجيل خط السير ابتداء ببغداد ومرورا بهمذان والري ونيسابور ومرو وبخارى ، ثم بمحاذاة نهر جيحون (أموداريا حاليا) إلى خوارزم عند بحر أرال الذي كان يطلق عليه اسم بحيرة خوارزم ثم عبر « ابن فصلان » هضبة « اوست أورت » بين بحري قزوين وأرال حتى حوض نهر الفولجا

وترجع أهمية رسالة ابن فصلان لأنها تعطينا أول صورة يمكن الاعتماد عليها عن روسيا في العصور الوسطى لقد استطاع « ابن فصلان » أن يصف لنا بدقة - من واقع اهتمامه وإحساسه الجيد - الاستبس الواسعة التي قطعها أثناء الرحلة ، وقال عن سكانها بأنهم أكثر خلق الله جهلا ، وهم على عكس جيرانهم من البلغار ، فقد ظلوا على الوثنية ، وهم سفاكون للدماء ، مولعون بالحروب ، سرعان ما تنشب بينهم الحروب والنزعات الدموية ، وتتفشى فيهم السرقة ، ويكثر القتل ، حتى أصبح عادة شائعة عندهم . وفي عرفهم أن الحكم النهائي للقوة ، فاذا احتكموا إلى ملكهم ولم يقتنعوا بحكمه يطلب منهم المبارزة بالسيوف ومنذ ولادتهم يدربون على القتال ، فحينما يولد الطفل يضع والده سيفا في يده قائلا له هذا السيف لك ، فبه تستطيع أن تنتصر لنفسك

ووصف ابن فصلان طقوس الوفاة عندهم ، فقال بأن الروس - سواء كانوا فقراء أو أغنياء - يحرقون موتاهم وقد جرت العادة أن يموت الرجل بمحض إرادته حالما تموت زوجته هذا وقد انكب بعض المستشرقين الروس على دراسة المؤلفات العربية عن البلاد التي تقع حاليا في جنوب الاتحاد السوفييتي ، وبخاصة المستشرقين « فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد » مؤلف كتاب « تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي » الذي ترجمه إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، ونشره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت سنة ١٩٨١

ابن بطوطة وحديثه عن الهنود

ولعل رحلة ابن بطوطة وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي - نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر - (٧٠٤ - ٧٧٩هـ - ١٣٠٤ - ١٣٧٧م) كانت أكثر الرحلات شمولا ، لأنها زودتنا بمعلومات قيمة ، وبيانات غزيرة عن أقطار اسيوية كثيرة وقد روى ابن بطوطة مشاهداته وملاحظاته وانطباعاته في كتابه المسمى « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » الذي يعرف برحلة ابن بطوطة

بدأ ابن بطوطة رحلته قاصدا الحج ، فهو يقول « كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة (١٣٢٤م) معتمدا حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام » لكن ابن بطوطة ما لبث أن انساق بحبه إلى الأسفار والتجوال في أقطار العالم المعروف في أيامه ، فتجول في مصر والشام ، وشبه جزيرة العرب ، وشرق أفريقية ، وآسيا الصغرى ، والبلاد التي تسمى اليوم « جنوب الاتحاد السوفييتي » ، والهند ، والصين ، والأندلس ، والسودان وقد استغرقت رحلات ابن بطوطة زهاء تسع وعشرين سنة وكان أكبر رحالة عرفه التاريخ آنذاك ، حتى قيل بأنه قطع ما يزيد على مائة وخمسة وسبعين ألف ميل ، مما جعله أكبر منافس للرحالة البندقي « ماركوبولو » الذي كان معاصرا له

وقد انكب كثير من الدارسين والباحثين في الشرق والغرب على دراسة رحلات ابن بطوطة لما حوته من معلومات وبيانات قيمة ، وحقائق جغرافية مهمة عن سكان الأقطار التي زارها ، وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، ونظم الحكم عندهم لقد وصف ابن بطوطة سكان الهند والصين وشعوب وسط آسيا وجزر المحيط الهندي وكان أمينا في سرد أقواله ، وقد تميزت رواياته بالطرافة ، وبخاصة حينما يصف أخلاق الشعوب وعاداتها وتقاليدها الغريبة ، مثل عادة إقدام المرأة في الهند على حرق نفسها اذا مات زوجها ، وفي ذلك يقول :

« ولما تعاهدت النسوة الثلاث [ممن فقدن أرواحهن] على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب ، كأنهن يودعن الدنيا ، وتأتي إليهن النساء من كل جهة وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس ،

فركبته وهي متزينة متعطرة ، وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها ، وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها ، والبراهمة يحفون بها ، وأقاربها معها ، وبين يديها الأطبال والأبواق والأنفار ، وكل إنسان من الكفار يقول لها أبلغي السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي ، وهي تقول نعم ! وتضحك لهم »

ويصف ابن بطوطة بعد ذلك عملية الإحراق فيقول

« وانتهينا إلى موضع مظلم كثير المياه والأشجار ، متكاثف الظلال ، وبين أشجاره أربع قباب ، وفي كل قبة صنم من الحجارة ، وبين القباب

صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال ، وتزاحمت الأشجار ، فلا تخللها الشمس ، فكان ذلك الموضع بقعة من جهنم أعاذنا الله منها ولما وصلن إلى تلك القباب نزلن إلى الصهريج ، وانغمسن فيه ، وجردن ما عليهن من ثياب وحلي ، فتصدقن به ، وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط ، فربط بعضه على وسطها ، وبعضه على رأسها وكتفيها ، والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض ، وصب عليها زيت الجلجلان [حب السمسم] فزاد في اشتعالها ، وهنالك نحو خمسة عشر رجلاً بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار وأهل الأطبال والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة ، وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم ، لئلا يدهشها النظر إليها فرأيت إحداهن لما وصلت إلى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف ، وقالت لهم : أبالنار تخوفونني ؟ أنا أعلم أنها نار محرقة ، ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار ورمت بنفسها فيها . وعند ذلك ضربت الأطبال والأنفار والأبواق ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها ، وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلا تتحرك ، وارتفعت الأصوات ، وكثر الضجيج » .

بعض أحوال أهل الصين

وقد حرص ابن بطوطة على وصف أهل البلاد التي زارها نقتطف هنا شيئاً من وصفه لأهل الصين ، ليقف القارىء الكريم على أسلوبه ومنهجه

« وأهل الصين كفار يعبدون الأصنام ، ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود ، وتلك الصين تتري من ذرية تنكيز خان وفي مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم ، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون ،

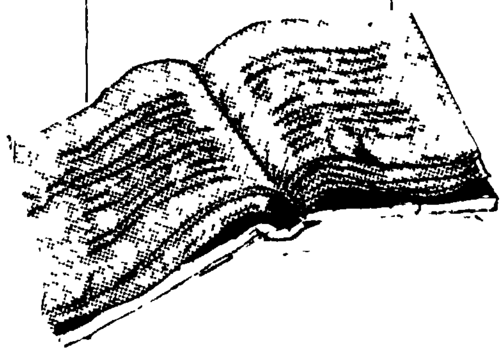
وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ، ويبيعونها في أسواقهم ، وهم أهل رفاهية وسعة عيش إلا أنهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس

وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصى أمواله كثرة ، وعليه جبة قطن خشنة

وجميع أهل الصين إنما يحتفلون في أواني الذهب والفضة ، ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي ، ويقولون هو الرّحل الثالثة . والحرير عندهم كثير جدا لأن الدود تتعلق بالثمار وتأكل منه ، فلا تحتاج إلى كثير مؤنة ، ولذلك كثر ، وهو لباس الفقراء والمساكين بها ، ولولا التجار لما كانت له قيمة ، ويباع الثوب الواحد من القطن عندهم بالأثواب الكثيرة من الحرير

وعادتهم أن يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً تكون القطعة منها من قنطار مما فوقه وما دونه ، ويجعل ذلك على باب داره ، ومن كان له خمس قطع منها جعل في أصبعه خاتماً ، ومن كانت له عشر جعل خاتمين ، ومن كان له خمس عشرة سموه الستي ، وهو بمعنى الكارمي بمصر ، ويسمون القطعة الواحدة منها بركالة » . □

حكايات من دفتر الوطن



مصرع مأمور البداري

بقلم : صلاح عيسى*

« في تاريخ كل وطن . . وفي ثنايا دفاتره . توجد قصص وحكايات أبطالها مغمورون لم يسمع بهم أحد . . أو أسقط الاعلام أسماءهم من ذاكرة شعوبهم عن عمد . . فليس مطلوبا أن يحفظ الناس قصص أناس عاديين مثلهم لايتمتعون بأى فوارق أو معجزات ولكنهم وقفوا ضد الظلم والقهر والقمع . . في دفاتر الوطن أحداث يومية انتصر فيها افراد من عامة الشعب للحق والكرامة والكبرياء . . وهذه صفحة من دفاتر الوطن . . واقعة من تاريخ مصر الحديث . . وعلى الرغم من ان وقائعها ملأت الدنيا ، الا أن المؤرخين والاعلاميين أغفلوا ذكرها كثيرا . على الرغم من أن ذيولها ووقائعها تفوق كل ما يتصور الخيال » .

لم يكن الشيخ « جميدى حسين عبدالحق » يتخيل حين رزق بأكبر أبنائه ، « أحمد » ـ في عام ١٩٠٨ ـ أن يوما سوف يأتي ، تشتبك فيه خيوط هذا الابن ، بخيوط « اسماعيل صدقي باشا » ـ رئيس وزراء مصر ووزير الداخلية ورئيس « حزب الشعب » ـ وتتداخل قصته البسيطة مع الرواية الضخمة التي كان الباشا الديكتاتور يمثلها على مسرح السياسة المصرية ، والعالمية !

أسباب كثيرة كانت تحول دون هذا الاشتباك بير الرجلين ، ليس التفاوت الطبقى الشاسع سوى واح منها ، لكنه أساس معظمها فقد سبق « اسماعيل صدقى » « أحمد جميدى » في الوجود ، بأكثر من ثلاثير عاما ، وكان الأول قد ولد عام ١٨٧٥ ؤ الاسكندرية ، وهي مدينة ـ كانت آنذاك ـ نصف أوروب

* كاتب وصحافي من القطر المصري

معمارا وسكانا وسلوكا اجتماعيا ، وولد الشاب في « الداري » إحدى المدن الصغيرة التابعة لمحافظة اسيوط في منتصف الجنوب ، حيث الحياة أكثر جهامة ، وأصعب مما لايقاس ، فشتان بين الاسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط ، وتلك المدينة الصغيرة التي كانت قريتين كبيرتين ، تلاحمت حدودهما ، فأصبحتا مشروع مدينة

كان محتما إذن على كل من الرجلين بحكم المنشأ أن يختط طريقاً موازيا لطريق الآخر في الحياة ، وألا يصطدم أحدهما بالآخر ، فبعكس أسرة « حميدى » التي لم يسبق لأحد منها أن اقترب من السادة ، أو احتك بهم كانت أسرة « اسماعيل صدقى » تحتفظ بذكريات عن علاقات الود التي جمعتها بعدد من ولاة الأسرة العلوية التي تتوارث عرش مصر فقد كان والده « احمد شكرى باشا » من كبار رجال الحكومة في عهد « الخديوى اسماعيل » وابنه « الخديوى توفيق » وكانت والدته « فاطمة هانم » ، كريمة « محمد سيد احمد باشا » رئيس ديوان الأمير « محمد سعيد باشا » ـ ابن الأمير محمد على الكبير ـ وثالث ولاة الأسرة العلوية ـ وحين ارسل الأمير أول بعثة تعليمية الى فرنسا للتخصص في العلوم السياسية ، كان طبيعيا أن تضم زوج ابنة رئيس ديوانه الذي عاد من البعثة ، ليتقلب في وظائف الحكومة ، حتى شغل منصب وكيل وزارة الداخلية في السنوات العشر الأخيرة من عمره ، قبل أن تدركه الوفاة في عام ١٨٩٥

وكان منطقيا أن يجد « اسماعيل صدقى » الفرصة ميسرة ليتعلم ويترقى فالتحق بالمدارس الفرنسية بمصر وانتقل منها وهو في سن مبكرة للالتحاق « بمدرسة الحقوق » ـ معمل تفريخ الوزراء ورجال الادارة في ذلك العهد - وما أن انهى دراسته العالية ، حتى بدأ رحلة سريعة للصعود إلى المناصب العليا ، وقد بدأها وكيلا للنائب العام ، ثم عمل مدة عشر سنوات متواصلة سكرتيراً إداريا لمجلس بلدية الاسكندرية ، ورئيسا للقسم القضايا بها !

الصعود

وفي العام الذي رزق فيه الشيخ « جيدى عبدالحق » بابنه « احمد » ـ ١٩٠٨ ـ كان « اسماعيل صدقى » في الثالثة والثلاثين من عمره . وكانت اقدامه قد رسخت في

الطريق الى القمة ، فأصبح ـ وهو ما زال في مقتبل رجولته ـ سكرتيرا عاما لوزارة الداخلية : أهم الوزارات المصرية ، ثم قفز في عام ١٩١٤ فأصبح وزيرا للزراعة ، ثم للاوقاف ، وفي ٢٠ مايو عام ١٩١٥ تخلى عن الحقائب الوزارية ، عقب فضيحة اخلاقية ، مع ابنة أحد زملائه الوزراء ، كان لها دوى أي دوى في ظلام الحرب الاولى !

وانتهت الحرب ، فظهر « اسماعيل صدقى » على خريطة « الوفد المصرى » الذي شكل آنذاك ليطالب باستقلال مصر ، ثمنا لما قدمته للحلفاء في الحرب من معونة وتأييد ، وكانت البداية مذكرة عن ديون مصر ، كلفه « الوفد » بكتابتها ، كواحد من المشتغلين بشئون المال والاقتصاد ثم اقترح بعض اعضاء « الوفد » ضمه الى عضويته ، فعارض « سعد زغلول » ، وقال إن وضع « اسماعيل صدقى » في القيادة يعطى مثلا سيئا للناس ، لانه خرج من الوزارة بفضيحة اخلاقية مدوية ، ثم اضطر « سعد زغلول » للخضوع لرأى زملائه ، فانضم « صدقي » الى « الوفد » ، وكان أحد الباشوات الأربعة الذين نفوا الى مالطة ـ بين ٨ مارس (آذار) و٧ ابريل (نيسان) ١٩١٩ ـ سافروا بعدها الى باريس لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح وهناك كشف عن نوعه ، فهو ـ كما يقول في مذكراته ـ لا يميل الى تحكيم العواطف ، ولا يثق كثيرا بما يسمى بالشعب ، لذلك كان من أوائل الذين دعوا الى التعامل مع الأمر الواقع وبمجرد أن اعترف مؤتمر الصلح ـ في معاهدات فرساى ـ بالحماية البريطانية على مصر ، طالب « اسماعيل صدقي » بأن يتجه « الوفد » للتفاهم مع انجلترا وأن يقبل التفاوض مع « لجنة ملنر » ، وهى لجنة تحقيق كانت بريطانيا قد اعلنت عن تشكيلها للاستماع إلى أسباب شكاوى المصريين التي ادت الى ثورتهم ، ولوضع نظام للحكم الذاتي في اطار استمرار الحماية البريطانية على مصر وفي ٢٤ يوليو ١٩١٩ فصله « الوفد » هو زميله « محمود ابو النصر » ، فعاد الى مصر ، وخفتت الأضواء التي لمعت حوله كواحد من قادة الحركة الوطنية ، وانضم الى جناح « المعتدلين » من ساسة ذلك الزمان ، وفي عام ١٩٢٢ نجح مع زميله « عبدالخالق ثروت » في استصدار تصريح ٢٨ فبراير الذي ألغى الحماية البريطانية ، ومنح مصر استقلالا ذاتيا مقيدا بعدم التصرف بعيدا عن بريطانيا في أربع مسائل أساسية هي السودان والديون ، والامتيازات الاجنبية ، وحقوق الأقليات

وهكذا فرض « اسماعيل صدقي » نفسه على خريطة

السياسة المصرية ، كواحد من المتساهلين الدين يرون التشدد في الوطنية ممالأة لتلك الحشود الكبيرة من « الغوغاء » التي لم يكن - بحكم تربيته في وسط ارستقراطى شبه أجنبي - يكن لها كبير احترام ، فهي تتحرك - في رأيه - بغرائزها لا بعقلها ، وبعواطفها وليس بمنطقها

باشا تحت الطلب

وفي عام ١٩٢٥ أثبت « اسماعيل صدقى » انه سياسى موهوب في بعض المهام ، فهو قادر على البطش بخصومه ، وعلى اسكاتهم ، يملك جلدا على المقاومة ، ولا يستنكف في صراعه السياسى من شيء ، فحين قصت الظروف السياسية التي اعقبت مقتل « السير لى ستاك » - سردار الجيش المصرى وحاكم السودان - بإقالة الوزارة الدستورية الأولى التي كان يرأسها « سعد زغلول » وحل مجلس النواب الأول - وكانت أغلبيته وفدية - وتطلب الانقلاب الدستورى الذي تلا دلك ، وزيرا للداخلية ، يستطيع شل مقاومة « الوفد » ، وسيطرته المطلقة على الشارع المصرى ، وقادر - وهو الأهم - على اجراء انتخابات مضمون سلفا أنها لن تعيد « سعد زغلول » وانصاره من الافندية المتشددين الغوغائيين إلى الحكم ، حتى يستريح الانجليز ، ويستريح القصر من شعبه وتشدده ، هنالك تقدم « اسماعيل صدقى باشا » ليبرز مواهبه الممتازة فاستخدم كل الأسلحة المشروعة وغير المشروعة ، ووضع كل الخطط التي استخدمت فيما بعد لتقنين عملية تزوير أى انتخابات ، فتلاعب في القوائم ، وأمر بتزوير كشوف الناخبين ، ومحاولة شراء ضمائر انصار « سعد زغلول » بالمال ورسم خريطة لتوزيع قوات الأمن حول لجان الانتخابات التي تضم أنصارا له ، طبقا لعدد هؤلاء الانصار . كانت المعركة صراعا بين مكر « اسماعيل صدقى » ودهائه السياسى ، ومكر هذه الجموع من الدهماء والصعاليك الدين يسمون بالشعب وانتهت المعركة بهزيمة « صدقى » هزيمة منكرة تظاهر كثيرون من انصار « سعد زغلول » انهم يؤيدون الحكومة ، فانضموا الى حزبها ، واستفادوا من امكانياتها ، وحين فازوا بمقاعد مجلس النواب ، كشفوا عن وجههم الحقيقى ، وانتخبوا « سعد زغلول » رئيسا لمجلسهم ، واسقطوا مرشح الحكومة ، وهكذا خدع الدهماء « صدقى » للمرة الثانية فكشف عن وجهه « الديمقراطى » بلا حياء وعلى الرغم من أن الدستور يحظر حل مجلس النواب لنفس السبب مرتين ، فقد استصدر قراراً بحل المجلس الجديد وشارك في الحكم بلا برلمان ، سواء كان مزورا أو غير مزور ، واستبدل البرلمان بمواكب من المؤيدين ، كان يأمر حكام الأقاليم ، ومديرى الأمن بحشدهم في الشوارع ، أو في الطرق العمومية ، ليهتفوا للحكومة ، ويعلنوا تأييدهم لها وهي مواكب كانت تضم عادة فريقاً من المتشردين ، والمسجونين ، والحصراء ، ومن اكرههم رجال الشرطة بالوعيد أو بالاغراء ، على الخروج والهتاف

كان « اسماعيل صدقى » قد انتهى الى أن الديمقراطية ، هي مجرد تمثيلية ، وأن الشعب هو زحام من العقول الفارغة التي تتميز بالغباء ، وأن يداً باطشة كفيلة بأن تحركه حيث تريد ، وأن توقفه عند الحد الذي تريد ، وفي صيف ذلك العام ، وضع « اسماعيل صدقى » بصمته الثانية الكبيرة على طابع السلطة في مصر ، حين أعاد إحياء احد اساليب الحكم التي كانت شائعة في العصور الوسطى ، والتي طبقها المحتلون في محاولتهم لاخماد الثورة ، وهو « العقوبات الجماعية »

قص شوارب الرجال

ففى قرية « إخطاب » - احدى قرى وسط الدلتا - طبق الملازم « احمد فريد التهامى » - ملاحظ نقطة الشرطة - التعليمات التي أصدرها وزير الداخلية « صدقى باشا » ، فطلب من أهالى القرية أن يحتشدوا جميعا ، لتحية فريق من وزراء العهد ، كانوا سيمرون بظاهر القرية ، في طريقهم الى عاصمة الاقليم لافتتاح بعض المشروعات وكانت « إخطاب » وما يجاورها من القرى ، من مناطق نفوذ « محمود الاتربى باشا » أحد انصار « سعد زغلول » وكان إكراههم على الخروج لتحية وزراء الانقلاب ، ورفع لافتات تحمل عبارة تعيش ((وزارة جلالة الملك)) ، هو نوع من الادلال المقصود ، تعمده ملاحظ النقطة ، فأشرف بنفسه على التنبيه على أهالى القرية بالخروج لتحية الحكومة !

وخرج أهالى « إخْطاب » الى الطريق الزراعى بلافتاتهم وحميرهم ووقفوا ينتظرون مرور موكب الوزراء ، وقبل دقائق من مروره ، علق الأهالى اللافتات على حميرهم ، ثم بدأوا يتسربون بخفة الى الحقول المحيطة بالطريق الزراعى ، وعبر الموكب ودهش الوزراء ،



● صورة من الزمن السعيد تجمع بين سعد زغلول واسماعيل صدقي ومحمد محمود وحمد الباسل الباشاوات الأربع الذين نفوا إلى مالطة في مارس ١٩١٩

حين لم يجدوا بشراً يستقبلونهم ، بل وجدوا صفا من « الحمير » يحمل كل منها لافتة تقول « تعيش حكومة حلالة الملك » بينما كانت ضحكات مكتومة تتصاعد من أهالي « إخطاب » المحتفين في الحقول !

واستشاط « صدقي » عصبا وأمر بتأديب القرية المشاغبة والإلتمرد الفلاحون ورفضوا الاشتراك في مواكب التأييد المرتبة ، فقاد ملاحظ الشرطة « أحمد فريد التهامي » حملة تأديبية من ٢٠ جنديا مسلحا ، أمرت بفرض حظر التجول على القرية ، وضرب كل من يغادر منزله واعتقاله ، وتعرض ٣٠٠ من الفلاحين لضرب مبرح ، اثبت الطب الشرعي - فيما بعد - آثاره على أجساد مائة منهم وجمع ملاحظ الشرطة عشرات الرجال وأمر جنوده بأن يقصّوا شوارهم بمقصات الحمير على مشهد من نسائهم ، وأجبر كل منهم تحت الضرب بالسياط على أن يختار لنفسه اسم امرأة ، ثم يجيب النداء حين ينادى بهذا الاسم على مسمع من الناس وأكرههم على أن يمرغوا أنفسهم في الوحل ومنع أذان الفجر حتى لا يكون ذلك دعوة لكسر قرار حظر التجول وامتد « العقاب الجماعي » من « اخطاب » الى قرى تجاورها من مناطق نفوذ « محمود الاترى باشا »

وأثارت العودة الى هذه الطريقة من طرق ممارسة السلطة ثائرة الجميع ، فقد كانت مصر - من الناحية الشكلية المحضة - بلدا دستوريا ، ينص دستوره على أنه لا عقوبة دون قانون ، ويشدد على أن « العقوبة شخصية » لا تتعدى شخص من يرتكب الجريمة إلى أقربائه أو أهل قريته ، أو حتى المنتمين لطائفته أو جماعته السياسية .

وهكذا فشل « صدقي » في أن يتكتم على الفضيحة ، أو يحول دون محاكمة « احمد فريد التهامي » ، فعاقبته محكمة جنايات المنصورة بالسجن مع الاشغال الشاقة مدة خمس سنوات وقضت على آخرين من رجال الشرطة بعقوبات أخف . وقالت في حيثيات حكمها الذى صدر في ١٥ يناير ١٩٣٠ - اي بعد خمس سنوات من وقوع الحادث إن « صدقي » قد استخدم السلطة التنفيذية آلة عذاب وانتقام وإكراه وتعذيب ، واستعرض الحكم القضائي آثار ذلك ، فقال « إنه متى انتهكت الحرمات على هذه الصورة ، لم يَقُم للنظام في أمة قائمة . . وأن في هذه الاعمال الشنعاء احتقار للشعب بتمامه وتعويد للناس على الاستخفاف بسلطة القانون »

تمرد الفتى أحمد

وربما في تلك السنة نفسها التي فشل فيها « صدقي » في تزوير الانتخابات ، وانتقل الى الحكم بالتعذيب والعقوبات الجماعية بدا للشيخ « حميدي حسين » أن حياة ابنه « أحمد » الدراسية لا تعدُ بمستقبل مشرق ، فقد أثبت الفتى المولود في « البداري » تمرده على قيود الدراسة ، وكشف عن أنه شغوف بالحياة لا بالكتب

وكان أبوه قد اختار له « مدرسة الفنون والصنائع » في أسيوط ، ولم يكن هدفه الوحيد من ذلك أن يجد ابنه عملا أرقى من الفلاحة ، بل كان يطمح لأن يكون أحد أبنائه « افنديا » من المتعلمين وكان للتعليم ـ انذاك ـ بريق يخطف عيون كثيرين من أعيان الريف ، ويدعم مكانتهم ، ويعلو بثرائهم ويضيف الى جاههم

ومع أن « الفنون والصنائع » كانت مدرسة متوسطة تخرج عمالا مهرة الا أن الفلاحين كانوا يمنحون خريجيها لقب « المهندس » على سبيل الجهل والكرم لكن أكبر الأبناء خيب آماله وبدأ يتعثر في دراسته ثم ما لبث أن غادر المدرسة دون أن يفوز بشهادتها أو حتى علومها ليجد نفسه يعيش في « البداري » كمن رقص على السلم ذلك أنه لم يعد طالبا ولم يصبح أفنديا أو موظفا ، كما أنه لم يتعلم أن يكون فلاحا

ولم تكن « البداري » هي أكثر قرى المركز التي تحمل اسمه أهلية لأن تشغل مكانة المركز ـ أو العاصمة ـ اذ لم تكن أكثرها تقدما أو حضارة ، أو اتصالا بما يسعها من قرى ، ولم يكن مستواها يختلف كثيرا عن مستوى القرى التابعة لها فالبدر وقراه ، هو أحد مراكز « محافظة أسيوط » الواقعة شرق النيل ، حيث يسود الفقر والجدب والتخلف ، بعكس المراكز الواقعة غرب النيل التي كانت في وضع اقتصادي واجتماعي أفضل نسبيا ، حيث توجد الطرق ومزارع قصب السكر ومصانعه . لذلك كانت « البداري » ، بندراً بلا خدمات ، ومدينة بلا مرافق ، فلا منازل للسكنى بالايجار ولا مطاعم ولا فنادق

وكانت سنوات الدراسة في « أسيوط » ، قد كشفت أمام « أحمد حميدي » عالماً من المباهج المحرمة التي تعود عليها فأحبها فبدت « البداري » ـ حين عاد ليقيم فيها ـ سجنا لا يعد بتسلية ، ولا يرفه عن نفس ، ولا يجد فيه صاحباً يغري بالصداقة ، بين هؤلاء الفلاحين الذين لم يعودوا أنداداً له فاتخذ من زميل له في مثل ظروفه هو « حسن عاشور » صاحبا وصديقا ورفيقا في جولات التسكع ، ومعاقرات الليل ، وعاشا في القرية نموذجا لعاطلَين ليسا في حاجة ملحة الى العمل ، يمارسان ألوانا من « الشقاوة » لم تكن جميعها محظورة قانونا أو عرفا ، لكنها يمكن أن توقعه تحت طائلة القانون في أي طرف !

واحد من تلك القوانين التي كان يمكن أن تطول شقاوة « أحمد حميدي » ، هو قانون « المشبوهين والمتشردين » وهو قانون يجيز للسلطة الادارية ـ اي الشرطة ـ أن تضع الذين لا عمل معروف لهم ، ولا مورد رزق محدد تحت رقابتها فيكون من حق الشرطة أن تأمرهم بالمبيت في دورها ، من مغرب الشمس إلى مشرقها ، واحتجازهم كاحراء وقائي

وبالقطع فان « أحمد حميدي » الذي كان قد هجر المدرسة ليمارس البطالة لم يهتم بهذا القانون حين صدر ، ولم يهتم بقانون آخر ، اصدره بلدياته وبلديات « البداري » وما يحيط بها ، « محمد محمود باشا » عام ١٩٢٩ ، هو قانون « حماية الموظفين » الذي يمنع رفع دعاوى الجنح على الموظفين أو المستخدمين أو أحد رجال الضبط إلا عن طريق النيابة العمومية ، وهو قانون صدر ليطمئن الذين يتجاوزون اختصاصاتهم القانونية من الموظفين ، بأنهم لن يحاكموا دون إذن رؤسائهم ، بعد أن سلب من المواطنين حق اللجوء الى القضاء مباشرة لاختصام هؤلاء الموظفين

ولم يكن للبداري اهتمام كبير بالسياسة وشئونها وأحوالها ، وكانت أوضاعها الخاصة قد اقتضت أن تتوزع السلطة المحلية فيها بين الحزبين الكبيرين اللذين كانا يتداولان السلطة انذاك ، فاصبح لها عمدتان أحدهما يمثل « الأحرار الدستوريين » وينتمي لعائلة « همام » والآخر يمثل « الوفديين » وينتمي لعائلة « نصار » ومع ذلك فقد كانت بعيدة الى حد ما ، عن الصراع الحزبي الذي كان مصطرما في تلك السنوات ، بين « حزب الوفد » ـ صاحب الأغلبية الشعبية ـ وبين عدد من أحزاب الأقليات السياسية على صلة وثيقة بدار المندوب السامي البريطاني ، أو بالقصر الملكي ، أو بالاثنين ، تبذل جهدها لاقصاء « الوفد » عن الساحة السياسة كان الارتباط بين القضية الديمقراطية أي حق الأمة في ان تحكم نفسها بنفسها ، وبين القضية الوطنية ، أي تحرير إرادتها من كل تدخل أجنبي ، قد وصل إلى مداه وخلال السنوات العشر التي تلت إصدار دستور ١٩٢٣ أدرك

المحتلون أن الانتخابات الحرة تأتي إلى الحكم بحكومات متشددة مع الاحتلال ، ترفض تسليم البضاعة ، وتصر على ما كانت تسميه « الاستقلال التام » ، فقرروا مساندة كل انقلاب دستوري ، يبعد هؤلاء المتطرفين عن مقاعد الوزراء والنواب !

ثلاثون شهراً من القهر

ذلك صراع لم يكن فيه « أحمد حمدي » محايدا ، ولم يكن مستقلا ، فقد كان يجهله جملة وتفصيلا ، لكن « اسماعيل صدقي » كان يعرفه جيدا ، ومع أنه كان يقف موضعيا حيث تقف أحزاب الاقلية المكروهة من الشعب ، فقد اختار أن يظل مستقلا عن الاحزاب ، ربما لانه كان شديد الثقة في مواهبه ، والاغترار بقوته وذكائه ، مما جعله لا يقبل أن يكون فردا في جماعة ، ولعله - وهذا هو الأرجح - رأى أن المعركة مستمرة ، وأن احتمال الخسارة فيها وارد ، فآثر أن يكون « ورقة اللعب » التي تصلح لكي تحل محل كل ورقة اخرى !

وهكذا جاءته الفرصة التي كان ينتظرها ضاق الانجليز بوزارة « مصطفى النحاس » الثالثة ، لانه رفض توقيع مشروع المعاهدة التي كان قد توصل اليها خلال مفاوضاته مع وزير خارجيتهم « هندرسن » ، بسبب تشدده في موضوع السودان ، وتوقع « الأحرار الدستوريون » - كما يقول د. هيكل في مذكراته : ان ترحل الوزارة ، شأنها شأن كل وزارة تتولى المفاوضة ولا تصل فيها الى نتيجة ، فبدأوا يدسون لها الدسائس ، وبدأ رجال القصر يعطلون توقيع المراسيم التي ترفعها للتوقيع ، وانتهى الأمر بأن أجبرت الوزارة على الاستقالة لكن الثمرة لم تقع في يد « الاحرار الدستوريين » كان الذين يلعبون بخيوط السياسة المصرية ، قد قرروا المراهنة هذه المرة ، على « ورقة اللعب » التي لم تحرب بعد المجازف الجسور ، والقوى القادر على ادخال الغوغاء الى الشقوق « اسماعيل صدقي » !

حتى أول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٢ ، كان « اسماعيل صدقي باشا » قد بلغ ذروة النجاح !

ثلاثون شهرا توشك أن تنقضي على النظام الذي أنشأه ، فوق أنقاض دستور ١٩٢٣ ، وأسس به دستورا جديدا ، واصطنع له حزبا حصل - بالتزوير - على اغلبية في البرلمان ، وصحيفة يومية تنطق باسمه . وتحمل - أيضا - اسمه ، ويجلس ورراء يرأسه هو لأنه زعيم لحزب الاغلبية البرلمانية « حزب الشعب »

وليس مهما - في موازين النجاح كما كان يراها « اسماعيل صدقي » - أن المصريين قد تدافعوا جميعا يتصدون لنظامه منذ اللحظة الاولى ، ويقاومونه



● اسماعيل صدقي باشا



● الشاعر حافظ ابراهيم

بالتظاهرات الطلابية والعمالية ، ومشاغبات الفلاحين ومقالات الصحف وسخريات الشعراء وائتلاف الاحزاب المعارضة ، وحتى بالقنابل والرصاص ، فالرجل لم يكن ممن يعنيهم رضاء الناس عنهم ، فايمانه الثابت الذي لم تزعزعه الحوادث ، أن الشعب طفل قاصر جاهل ، تجمعه زفة ، وتفرقه عصا ، فهو ـ عنده ـ ليس أكثر من زحام من الغوغاء يحركه مهيِّجون محترفون ، إذا تصدى لهم بعصا السلطة الغليظة ، وأرهبهم بسياطها وحشودها ، قضى على رأس الأفعى فسكن جسدها ، واستنامت لما يريده لها من صلاح الأحوال واستقامة الامور

ألا يحق له أن يشعر بالفخر والرضى ، بعد أن نجح اخيرا في البرهنة على صحة نظريته عن الشعب ، فقد خمدت المقاومة أو كادت دون أن تتطلب سوى بعض الاجراءات « العنيفة » ، وكان أهونها فرص الغرامات الباهظة على عمد ـ مختاري ـ القرى الذين استقالوا من مناصبهم جماعة إثر جماعة ، احتجاجا على الغاء دستور ١٩٢٣ ، واصدار دستور جديد يعلي سلطة الحكومة على سلطة الامة ، حتى اضطر كثيرون منهم لرهن أو بيع ممتلكاتهم ليسددوا الغرامة ، وكف الباقون عن الشغب وعن الاستقالات المسببة

أما الصحف المشاغبة التي اطلقت على دستور « صدقي » وصف دستور الحكومة ، وتمسكت بوصف دستور ١٩٢٣ ـ الذي الغاه ـ بانه « دستورالامة » وروجت للمصطلحين حتى اصبحا على كل لسان في مصر ، فقد عطلها وسحب رخص اصدارها ، وتعقب كل صحيفة أخرى تتخذها ستارا للتحايل على قرار التعطيل ، فسحب رخصها هي أيضا !

ودعا عليك الله

ثلاثون شهرا ونظام « صدقي » باق رغم المقاومة ، مستمر على الرغم من محاولات اغتيال صاحبه ومؤسسه ببلطة حادة مرة ، وبمسدس سريع الطلقات مرتين ، وبقنابل وضعت مرة في فناء داره ، واستهدفت نسف القطار الذي يستقله مرة أخرى ، فضلا عن الرصاص الذي أطلق على « محمد توفيق رفعت » ـ رئيس مجلس النواب ـ والقنابل التي ألقيت على الكثير من دور الحكومة ، والمقرات التابعة لدار المندوب السامي البريطاني ، وعلى دار « محمد علام باشا » ، وكيل مجلس النواب ، ووكيل حزب الشعب الحاكم ، والرجل الثاني في الحزب والحكومة بعد صدقي .

ثلاثون شهرا و « صدقي » يرزح على قلب مصر ، على الرغم من مقاومة المقاومين ، ودعاء الداعين ، وأهاجي الشعراء والمتكلمين

استقبل شاعر النيل « حافظ ابراهيم » ذلك العام ـ ١٩٣٢ ـ بميمية في هجاء « صدقي » ، كانت من أواخر قصائده ، لذلك ضاعت ، ولم يبق منها سوى ابيات قليلة منها

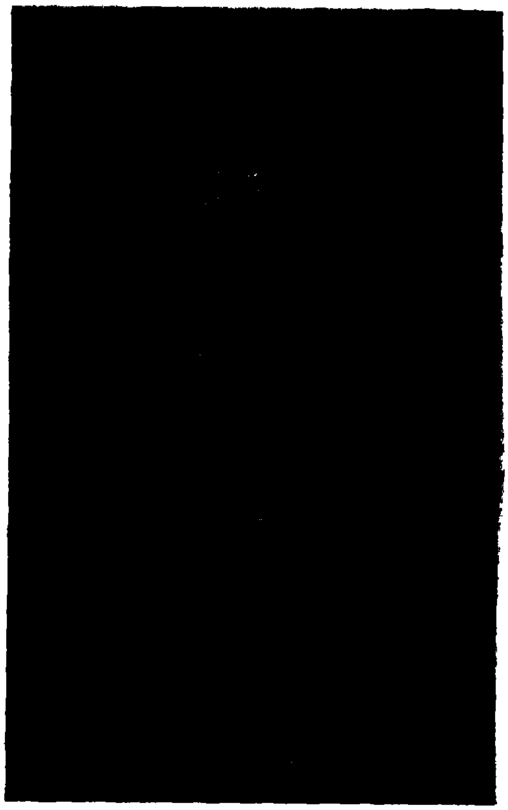
قد مرَّ عام يا سعاد وعام
وابن الكنانة في حماه يضام
صبّوا البلاء على العباد فنصفهم
يجبى البلاد ونصفهم حُكّام
اشكوا الى قصر الدوبارة ما جنى
« صدقي » الوزير وما جنى « علاّم »

وبقي منها ـ ايضا ـ قوله مخاطبا « صدقي باشا »

ودعا عليك الله في محرابه
الشيخ والقسيس والحاخام
لاهم احيي ضميره ليذوقها
غصصا وتنسه نفسه الآلام

وحين كان الناس يتبادلون سراً نسخ قصيدة « حافظ ابراهيم » ، والشاعر الكبير يخشى أن يصل نبأ القصيدة الى الطاغية ، فيفصله من عمله في « دار الكتب » ، لم يكن يتوقع أن ينهار « صدقي » قبل نهاية العام نفسه ، ولم يتح له أن يعيش ليرى انهياره ، فقد رحل الشاعر الكبير بعد دعائه على « صدقي » بشهور قليلة !

كيف ينهار نظام لا يسنده القصر الملكي فحسب ، بل ويتغاضى المندوب السامي البريطاني في مصر ، « السير برسي لورين » عن التدخل في شأنه ، معلنا أنه من أمور السياسة الداخلية المصرية التي تحرص بريطانيا العظمى على عدم التدخل فيها ، صونا لاستقلال مصر ، طالما أنها لا تمس أحد التحفظات الأربع التي وردت في تصريح ٢٨ فبراير (شباط) من عام ١٩٢٢ ولأن المندوب السامي البريطاني ـ أيا كان اسمه ـ لم يتعفف يوما عن التدخل في شئون مصر الداخلية بصرف النظر عن استقلال تصريح فبراير ، فإن هذا الحياد الظاهري المزيف كان مظهراً لتأييد باطني ودعم غير منكور ، تقدمه الحكومة البريطانية لصدقي ودستوره ونظامه ، آملة أن يصمد ويقوى ، فيستتب النظام في مصر ، ويبتعد شبح المتهورين من الوفديين ، ويختفي في الشقوق مثيرو البغضاء ضد



● السيد برسي لورين المندوب السامى البريطانى ١٩٣٢ م

انجلترا ، ليتقدم الحكماء والعقلاء - بقيادة « صدقى » - ويصل البَلَدان إلى تسوية للمشاكل بينهما وكان الرضا البريطانى على « صدقى » قد صعد إلى دروته في خريف عام ١٩٣٢ بعد أن التقى في « جنيف » مع وزير الخارجية البريطانى السير « جون سيمون » الذي أعرب لصدقى عن سروره بالتعرف عليه ، وألمح إلى أن تقارير « السير برسى لورين » ، تمدح في صفاته كرجل ادارى صاحب الفضل في توطيد النظام في مصر واضاف

- إن بريطانيا تعرف الآن الرجل الذي تتعامل معه ويسرها أن ترى امضاءكم على اتفاقية تنهى المشاكل بين البلدين !

في تلك الشهور من صيف وخريف ١٩٣٢ كان « صدقى » قد وصل إلى ذروة المجد ، وكان « احمد حعيدى عبدالحق » يرتدى بدلة الاعدام الحمراء ، ويعيش في زنزانة منفردة بسجن اسيوط في انتظار بت محكمة لنقض في الطعن الذي قدمه محاموه ضد الحكم .. ولم كن كبير الامل في أنه سيغير من وضعه !

أما صدقى ، فان الظروف الحزبية كانت تتهيأ لمصلحته فقد سرب المندوب السامى البريطانى خبراً لأحراب المعارضة ، بأن حكومته مستعدة للتفاوض مع حكومة مصرية قومية تضم كل الأحزاب ، على أن تتم المفاوضة على الأسس التي انتهت اليها مفاوضات « النحاس/ هندرسن » ، وأنها سوف تشير في هذه الحالة على الملك بأن يعيد دستور ١٩٢٣ ومع أن المشروع في البداية قد أزعج « صدقى باشا » إلاّ أن الفكرة سرعان ما أثارت خلافا بين المتحالفين على معارضته ، فقبلها « الأحرار الدستوريون » ، وثمانية من قادة « الوفد » ، بينما رفضها « النحاس » ، وانتهى الخلاف بفصل المعارضين الثمانية ، وبانشقاق في صفوف « الوفد » وفي جبهة المعارضة ضد « صدقى » !

كان « صدقى » قد وصل إلى قمة المجد .

وكان قضاؤه « احمد جعيدى عبدالحق » الذي يَجِد في أثره « أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة »

طغاة بلا قلب

كانت « البدارى » قد أصبحت منفى لأسوأ الموظفين في الجهاز الحكومى ، هؤلاء الذين يريد رؤساؤهم فصلهم أو نفيهم أو تأديبهم ، فيصدِّرونهم إليها ليتحالفوا مع الفقر والجدب والظلام على تحويل حياة أهلها إلى جحيم ، وينفِّسوا مشاعر الغيظ والقهر وعقد السلطة في أبدانهم النحيلة ، المكشوفة دون دفاع !

ولم يكن البكباشى « يوسف الشافعى » - مأمور « البدارى » - يختلف عن كثيرين من زملائه ضباط الشرطة الذين يتولون مثل منصبه ، ويتوزعون على خريطة مصر في تلك السنوات كان - كمعظمهم - يملك احساسا عاليا بالتفوق والتعالي - وربما الازدراء - على هؤلاء الفلاحين الذين كان يحكمهم ، ويتصرف - دون حساب - في القسم الأكبر من شئون حياتهم إنه لم يكن - فحسب - ابنا للزوجة الفرنسية لأحد أعيان الدقهلية ، بل كان ايضا ضابطا كبيرا في جهاز الشرطة الذي يسود أفراده ، إحساس بأنهم السلطة الثابتة والدائمة في الوطن .. فالوزراء يأتون ويذهبون .. والأحزاب تحكم ثم تقال حكوماتها أو تستقيل .. والمحافظون ومن في حُكمهم من المديرين في الاقاليم - يغيرون ويتبدلون .. أما الثابت والدائم ، بعد - أو مع - الملك ، فهم تلك الشبكة من مأمورى الشرطة وضباطها التى تنتشر

كخيوط العنكبوت فوق خريطة الوطن

كانت سلطة « مأمور البداري » تتجاوز نطاق « بندره » - أي مدينة « البداري » ، لتشمل أيضا نطاق « مركز البداري » ، أي القرى التابعة له ولم تكن هذه السلطة قاصرة على حفظ النظام والأمن ، وصيانة الضبط والربط ، وغيرها من الأعمال الشرطية المخصصة ، كمطاردة اللصوص والقتلة وتجار المخدرات ، والتفتيش على السلاح غير المرخص ، والبحث عن الغائبين والهاربين من تنفيذ الأحكام القضائية ، بل كانت تمتد بلا انتهاء ، لتجعل من « مأمورية الشرطة » ، حكومة مستقلة أو شبه مستقلة ، تنوب عن كل الوزارات في الاشراف على أداء مهامها في هذا المكان النائي من الصعيد

وكان العهد قد طبع الكل بطابعه ، فأعطى الاذن لحكام الاقاليم في أن يكونوا مثله ، طغاة بلا قلب وبلا ضمير ، لا يعتصمون بحلق ، ولا يخافون من حساب ، ولا يقيمون وزنا لدستور أو قانون ولم لا ؟ ، وهم الأداة الباطشة التي استخدمتها حكومة « صدقي » في تزوير الانتخابات من أولها إلى آخرها وكلفتها بمطاردة خصومها السياسيين في أرزاقهم وموارد معاشهم ، وإجبارهم على الذل والاستكانة والكفّ عن المعارضة والاحتجاج بل وكافأتهم على هذا العسف وذاك التنكيل ، فطلبت لمن تميزوا في التزوير ، وتفوقوا في التلفيق ألقاب « الباشوية » ، « والبيكوية » ثم إن هناك القانون الذي يحميهم من القضاء ، ويسلب المواطنين حق رفع الدعاوى ضدهم إلا عن طريق النيابة العمومية !

وكان « يوسف الشافعي » - كوريره « اسمعيل صدقي » - حريصا على أن يبدو أمام الجميع نموذجا للحاكم المخيف الذي يرهبه الجميع ، ويعملون له ألف حساب ، ويعترفون بأنه السلطة الوحيدة في البندر والمركز وكان من ذلك النوع الذي يؤمن بأن السلطة هيبة وسمعة وثقة بالنفس وجسارة لا تتردد ولا تهتم بعرف أو قانون وكان مما يثيره فيخرجه عن طوره ، أن يرى فلاحا « شايف نفسه » - أي معتزا بها - أو « منجعصا » - أي يختال واثقا من نفسه . إذ كان من رأيه أن من أصول الضبط والربط أن يظهر الجميع إمارات الخضوع والتوقير ، ويعتقد أن الاعتداد بالنفس ، أو التخايل بها ، قد يوحي بأن هناك من لا يخاف الشرطة ، أو لا يحترم هيبة الحكومة

البداية

ومن سوء حظ « أحمد حميدى » أنه لم يكن يستطيع إلاّ أن يكون « مِنْجِعانيا » ، فهو افندى متعلم ، قضى عامين بأسيوط ، فاختلط بأهلها وطاف بمقاهيها ومباغيها وعرف أن الدنيا أوسع حدوداً وآفاقا من « البداري » إنه الأعور الذي لا بد أن يكون ملكا في بلد من العميان ، هم هؤلاء الفلاحين الذين لا يقرأون ولا يكتبون ولم يذهبوا إلى « أسيوط » كان لا بد أن يكون منجعانيا ، ليغطي فشله في الدراسة ، وهكذا اندفع يجوب شوارع القرية ويتسكع في أنحائها ، حرصاً على مظهره ، يتنقل من المقاهي والعصر ، وتلتف حوله شلة من أصدقاء الفراغ والشباب ، كان أقربهم إليه صديقه « حسن عاشور » أو « حسونة »

ولم يكن ممكنا ألا يلفت سلوك « أحمد حميدى » ذاك نظر « الشافعي افندى » ، فقد كانت شلة الافندية العاطلين موضوع شبهاته وشبهات أهل القرية ، كلما وقعت سرقة ، صحيح أنهم من أسر مستورة ، ولكنهم شبان طائشون ، ولا بد أن مواردهم تقصر عن إشباع أمزجتهم الفاسدة وكان العمدة « محمد همّام » هو الذي عقد الصلة بين الاثنين وأتاح لهما اللقاء فما كاد يلي العمودية - في بداية عهد « صدقي » - حتى دس اسم « أحمد حميدى » وصديقه « حسن عاشور » بين الذين يرشحهم للخضوع لقانون المشبوهين والمتشردين باعتبارهما عاطلين وبلا عمل معروف

استدعى المأمور الشابين ، فوجدهما من النوع « المنجعان » الذي يستفز عصبه فهما يطلان شعر رأسيهما ويترك كل منهما خصلة من شعر تتدلى على جبهته من تحت الطاقية ثم إن طريقتهما في الوقوف أمامه ، وأسلوبهما في الرد على أسئلته قد برهن له على أنهما في حاجة إلى مزيد من التأديب ، يخضعهما لهيبة الحكومة ويعيدهما بأدوار في ملكيهما المغناطيسي ، وهكذا أمر بقص شاربيهما بمقص الحمير ، وإدراج اسميهما ضمن الذين تراقبهم الشرطة ، لأنهما من مشبوهي « البداري » وبذلك ارتفع عدد المشبوهين المقيدين بدائرة البندر إلى ٣٦ مشبوها

كان وضع « أحمد حميدى » و « حسونة » على قائمة المشبوهين يعني إخضاعهما لمراقبة الشرطة ، فلا يغادر أي منهما داره بعد الغروب ، ولا يغادر البلدة دون أخذ إذن من « المأمور » وإلاّ جاز له القبض عليهما وتكليفه

بالمبيت في مقر الشرطة ، ومن حق المأمور أن يقبض عليهما ويحتجزهما في حالة وقوع أي جريمة في المدينة ، دون أن يستأذن النيابة ، وحين كانا يهربان من المراقبة ، كانا يقادان إلى مبنى المركز ، ليتولى الكونستابل « أحمد خالد الجبرتي » - تحت اشراف المأمور - عملية التأديب ، فيضربان بالسياط ومؤخرات البنادق ، ويجبر كل منهما على أن يقول : أنا مره . ويختار المأمور لهما اسماء نسائية ، فيطلق على « حسونة » اسم « حُسنه » ، ويربطان في مرابط الخيل . ويوضع امامهما التبن ، ويؤمران بأكله ومضغه ، ويمتطي الجنود ظهريهما كما لو كانا فرسين ، ثم توضع عصوان في دبريهما (١١)

كانت أشكال التعذيب التي يمارسها المأمور ومعاونوه ، تنتمي إلى النوع نفسه الذي مارسته الادارة من قبل ، ومن بعد : خلط الانواع والاجناس ، بتحويل الانسان إلى حيوان ، والذكر إلى أنثى . والهدف هو تحطيم اعتداد المتمردين بأنفسهم ، وكسر شوكتهم . والانتقاص من كرامتهم أمام من قد يعجبون بهذا الاعتداد ، وخاصة في الصعيد الذي تسود فيه مفاهيم خاصة للرجولة تجعل حتى الدموع أو الشكوى أو الأنين من علامات الأنوثة التي لا تليق بالرجل

القصاص

وقع مأمور « البداري » في المحظور ، واستنفد احتمال الناس على الصبر ، وان أن يدفع الثمن . قرر « أحمد حعيدي عبدالحق » أن يثأر لكرامته المهدورة ،ورجولته المهيصة ، وأن يثبت للناس انه لم يسكت على الاهانة ، ولم يرض بالادلال . فقرر انهاء حياة المأمور . وفاتح صديقه « حسونة » في المشروع ، فوافقه عليه . وقضيا عدة أيام يراقبان « الهدف » ، حتى عرفا أن المأمور تعود أن يخرج بعد غروب كل يوم لنتنزه مع صديقه « فهيم افندى نصيف » - مهندس الري - وأنه لا يصطحب معه حراسة ، بل ولا يحمل سلاحا . كان يتوهم أنه غرس هيبته في كل القلوب ، وأن أحداً لن يجسر على التعرض له ، فالكل خائفون ومستذلون ومهانون !

السبت ١٩ مارس ١٩٣٢

غادر « البكباشي (العقيد) يوسف الشافعي » - مأمور البداري - منزل صديقه المهندس « فهيم نصيف » بعد الغروب . ليتنزها على الاقدام . وسارا يتجاذبان أطراف الحديث ، إلى أن بلغا دار المدرسة الابتدائية بالبلدة ، فأصبحا في مرمى نيران بندقيتين مشرعتين للثأر ، تستتران وراء دغل من البوص . وانطلق وابل من الرصاص يشق ظلام الليل بوهجه ، ويخدش صمته بأزيزه !

وبقلب بارد تماما تقدم « احمد حعيدي » و « حسونه » من مكمنهما بين عيدان البوص ، إلى حيث سقطت الجثتين ، فوجدا مهندس الري ما يزال على قيد الحياة ، ولكن ذلك لا يعنيهما ، اذ لم يكن هو الهدف المطلوب وعندما اطمأنا الى أن المأمور قد فارق الحياة ، غادرا مكان الحادث مسرعين ، وعاد كل منهما الى بيته ، وأبدل ملابسه . وجلس يتناول العشاء مع اسرته . وكأن شيئا لم يكن ! وكانا ما يزالان حول طبلية العشاء . حين اندلعت الزغاريد تشق أجواء الفضاء ، من كل بيوت « البداري » ، وحين خرجا يستطلعان الخبر ، كان الناس يتبادلون التهاني وكل منهم يقول للآخر

- مبروك « الشافعي افندي » قُتل ! وانفلتت الدنيا !

فهمت الدولة معنى الرصاصات التي اطلقت على مأمور « البداري » والزغاريد التي انطلقت في شوارع المدينة - عقب شيوع الخبر - فهما صحيحا ، فالرصاصات تتوجه اليها ، والقتيل هو « النظام » وليس « يوسف الشافعي » والزغاريد تلعلع تشفيا فيها . وتحذيرا لها : طال رصاص المستذَلين المهانين صدر أعمدة النظام الحقيقية ، وقطع أحد أذرعته الصارمة . وأنذر الآخرين ، بأن يلتزموا بالقانون ، ويمارسوا سلطاتهم وفقا له ، وأن يكونوا هيئة نظامية تتبع حكومة نظامية . وإلاّ فالجزاء من جنس العمل . وكان الصمت على ما حدث في « البداري » يعني أن يقاوم الناس محاولة « صدقي » لادخالهم الى الشقوق !

« من هذه النقطة ، بدأت الخيوط تشتبك بين اسماعيل صدقي باشا وبين أحمد حعيدي حسين عبدالحق . فلم تظل طرق حياة كل منهما متوازية . لاتلتقى أبدا . فتقاطعت وتداخلت وامتزجت

ولم تصبح القضية بعدئذ مجرد قضية قتل بل صارت قضية وطن ، أثارت وفجرت وهزت وأسمعت ، ولذا فالقصة لم تنته ولكنها بدأت فصل جديد من دفاتر الوطن سنقرؤه معا في رحلة أخرى □

في الصميم

- النساء لايصدقن كل ما نرويه لهن ، لكن هـذا لايمنعهـن من روايته للآخرين .

« جان كلود باسكال »

- الفقر جريمة والدليل أن عقابـه الأشغال الشاقة .

« مارسيل جوهاندو »

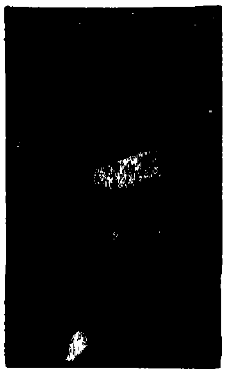
- منحنا الله الذاكـرة لكي نتمكن من شم عبير الـورود في شهــر « ديسمبر » . .

« أوسكار وايلد »



ظرفـاء العَرب

إلي أين ؟



نجيب الريحاني

كـان نجيب الـريحـاني يسير مهرولا في طريقه إلى المسـرح ، فحـاول أحـد المـارة أن يستـوقفـه ، فقال : أرجوك ياعم ، إلى أين يذهب هذا الشارع ؟ فقـال الـريحـاني وهـوَ مستمر في سيره : « طول عـمـرى أعـرف هــذا الشـارع ثابتـاً ولا يذهب إلى أي مكان »

ضحكات عَربيّة

بعير باثنين

شرد لهبنقة القيسي بعير ، فجعل بعيرين لمن دل عليه . فقيل له : أتجعل بعيـرين في بعير ؟ فقال : إنكم لاتعرفون فرحة من وجد ضالته .

لو . إذا

قال أحدهم لآخر : لومت أنا ماكنت تفعل ؟ قـال : كنت أكفنك وأدفنـك . قال : فـاكسني الساعة ما تكفنني به . وإذا مت فادفني عريانا .

الخبير

سأل أبو عون رجلا في مسألة ، فقال له : على الخبير بها سقطت .

لقد سألت عنها أبي ، فقال لي : سألت عنها جدك ، فقال : لا أدري .

ضحكات عالميّة

وأنا كذلك

أرادت إحدى الممثلات أن تدعو برنارد شو بطريقة مبتكرة، فكتبت إليه: «سأكون في منزلي في الساعة السابعة مساء يوم السبت القادم»، فرد عليها «أنا كذلك»

* * *

وأنا كذلك أيضا

دعي الموسيقي الفرنسي سان صان إلى سهرة طلب فيها من فتاة أن تغني تكريما له مقطعا من أوبرا شمشون ودليلة، فتقدمت منه وقالت بصوت خافت

- لكم أنا حائمة ياسيدي

فقال لها وأنا كذلك

* * *

أعرف ذلك

في الجلسة التي تعرّف بها الصحافي اوريليان شول بالفيلسوف فيكتور كوازان قال الثاني للأول:

- أنا ياسيد شول لأحب الظرف والذكاء فأجابه شول على الفور

- أعرف ذلك، لقد قرأت مؤلفاتك.

الضحك موزون ومقفى

تهوى خلافي

إن التي عذبتني في محبتها
كلّ العذاب فما أبقت ولا تركت
عاتبتُها فبكتْ، فاستعبرتْ جزعاً
عيني، فلما رأتني باكياً ضحكتْ
فعدتُ أضحكُ مسروراً بضحكتها
مني فلماً رأتني قد ضحكتُ بكتْ
تهوى خلافي كما خُثَتْ براكبها
يوماً قَلُوصٌ* فلمّا حثّها بَركتْ

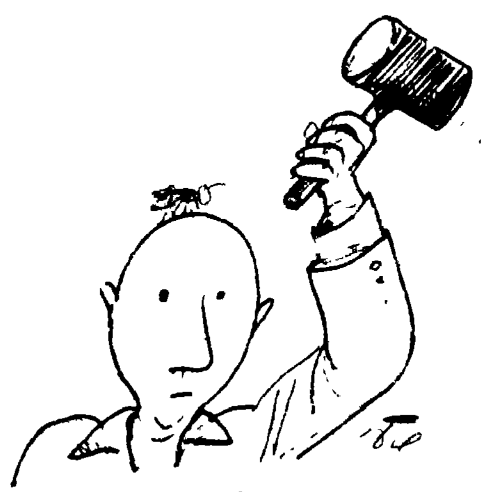
* قلوص الناقة الشابة

قاموس الظرفاء

الحظ . جدي مجهول ينسب إليه الناس الأخطاء التي يقعون فيها .

المتفائل هو الذي يترك محرك سيارته يعمل وهو ينتظر زوجته عند دخولها أحد المتاجر لشراء بعض الحاجيات

النصيحة هدية رخيصة



بعد ربع قرن على الثورة

ردفان..

العودة إلى "الجهاد" الأكبر!



استطلاع :
سليمان الشيخ
تصوير :
فهـد الكوح







معظم مساحة مديرية ردفان في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية تتكون من جبال . وجبالها مسننة وعرة . نادرة الأشجار ، مع ذلك فإنها احتضنت المجموعات الأولى التي أعلنت الثورة على الانكليز . بعد أن استعمروا البلاد منذ عام ١٨٣٩م وجعلوا ميناء عدن محطة مهمة تزودهم بالوقود والغذاء لمواصلة رحلتهم إلى مستعمراتهم في الهند أو العكس

في مثل هذه الأيام منذ ربع قرن مضى ، انطلقت الرصاصات الأولى للثورة على الانكليز من قمم جبال ردفان ، فكيف هي حياة الناس الآن . بعد مضي هذا الزمن ؟ وما هي ذكريات الرعيل الذي واجه غطرسة المستعمرين ودباباتهم . وطيراتهم . وأسلحتهم المتقدمة . وهو لا يملك إلا أسلحة الإيمان بقضيته . والإصرار على تحرير بلاده . وبضع بنادق قديمة ؟

قبل الدخول في تفصيلات عن الزمن الذي كان، ووقائع الحاضر . فإنه يجدر بنا تسجيل مجموعة من الحقائق عن المنطقة

ـ إن مديرية ردفان تتبع الآن محافظة لحج ، أي المحافظة الثانية كما كانت تسمى من قبل ، وهي تقع شمال مدينة عدن وتبعد عنها حوالي مائة كيلومتر ، وعندما وصلناها فإننا اكتشفنا أنه لا يوجد قرية أو بلدة ، أو جبل محدد اسمه ردفان بل إنه اسم يطلق على منطقة بأكملها بما فيها من جبال ووديان وقرى وسهول ، وأعلى ارتفاع سجل لاحدى قمم جبالها وصل الى ١٨٦٢ مترا

ـ يبلغ عدد سكان المنطقة حوالي مائة ألف نسمة . وكان يغلب عليهم الطابع القبلي وأهم القبائل التي تسكنها هي المطيبي ، العبدلي ، البكري ، الحجيلي ، الصبري ، وغيرها

وقد كانت هذه القبائل تتنافس وتتنازع فيما بينها ، ونتج عن ذلك مع غيره من أسباب حرمان المنطقة من كثير من مظاهر التقدم

مع ذلك فإن هذه المنطقة نفسها كانت مهد الثورة التي انطلقت في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٦٣ !

ـ إن منطقة ردفان لا تحادي حدود الشطر الشمالي من القطر اليمني ، الذي قامت فيه ثورة ضد الملكية في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وأصبح يمثل سنداً حقيقياً لأي عمل ثوري في الجنوب ، وتفصل ردفان عن حدود اليمن الشمالي مناطق وأراضي الضالع والعلوي والحواشب من ناحية الغرب ، كما ويفصلها الحالمين والشعيب والمفلحي شمالا . وكلها مناطق جبلية وعرة مع ذلك فإن الثورة انطلقت من منطقة ردفان بالذات وليس من غيرها .

ـ عند قيام الثورة في اليمن الشمالي سنة ١٩٦٢ وتعرضها لبعض المؤامرات والمواجهات . فإن الآلاف الأفراد انطلقوا من جنوب اليمن للمشاركة في حماية الثورة في الشمال والدفاع عنها ، وكان من بينهم المئات من ابناء ردفان الذين « تسللوا » سيرا على الاقدام وقطعوا مئات الكيلومترات من خلال الجبال الوعرة وقد لعبت القوات المصرية دورا مهما في حماية ثورة الشمال ومساعدة الثورة في الجنوب

ـ لقد كان بين أفراد النواة الأولى التي أشعلت فتيل الثورة في منطقة ردفان مجموعة من الشبان الذين عملوا في الكويت ، وسكنوا في منطقة « عشيرج » التي تحول اسمها الى الدوحة الآن ، وشاركوا في رصف الطرق والعمل في شركات النفط ، ومارسوا بعض الاعمال الاخرى . وقد عايشوا النهضة في الكويت وتشربوا الأجواء الثورية التي كانت تسود المنطقة العربية كلها ، وتأسيس نواة الدولة الوحدوية الحديثة بين مصر وسوريا ١٩٥٨

وقد انتظم الكثير منهم في حركة القوميين العرب وغيرها من تنظيمات وأخذ بعضهم يعود الى المنطقة ويسهم بجهوده في توفير الأرضية المناسبة لانطلاق الثورة .

هذه بعض الحقائق التي تتعلق بالمنطقة وأبنائها فكيف هي الآن ؟ وما هي حكايتها مع « الجهاد » الأكبر ؟

أرض الجبال العالية

نغادر عدن ونتجه شمالا فنمر على ضواحي خور مكسر ، والمنصورة ، والشيخ عثمان نرى حقولا تعترضها مرتفعات نيستهوي المنظر زميلي المصور ويأخذ بالتقاط الصور المناسبة ، ثم نمر بدار سعد القرية التي تفصل بين محافظتي عدن ولحج ، ثم نصل الى الحوطة عاصمة محافظة لحج ، فنجد مزارع وبساتين خصبات وسور ونخيل وخضراوات تحيط بالبلدة . قيل لنا إن بعضها يسقى بواسطة الآبار ، وبعضها يسقى من وادي تبن الذي كان جافا ويشكو الظمأ كغيره من الصحارى المحيطة به (في شهر يناير - كانون الثاني) ثم نمر بالقرب من قرية الشقعة يليها قرية العند ، وبعدها نصل الى مفرق الطريق الذي يتجه الى «كرش» حيث نقطة الحدود بين شطري اليمن

يبدأ ارتفاع التلال يتزايد تدريجيا . الطريق ممهدة ويكثر السير فيها على جانبيها بعض شجيرات الاثل . والأراك - تستعمل أعوادها كمساويك - والسومر وغيرها تظهر على جوانب الطريق بدأ الطريق ينحصر بين التلال المتقابلة

قال مرافقنا هذا المكان يسمى « سيلة بله » وهذه بعض الفجاج والمغارات التي كان الثوار يتحصنون فيها في بعض الأحيان لقد كانت الطريق صعبة من قبل وكان يمكن التحكم بها من خلال بعض المواقع في هذه التلال

بدأت الجبال بقممها الشامخة تظهر وتسد أفق النظر . هبات منعشة من الهواء بدأت تتسرب بين الفينة والأخرى . بعض غيوم بيضاء وسوداء لاحت على وجه السماء ، وطبيعة الجبال الصخرية المدببة بدأت تبرز بين تلال كثيرة

نخفف سرعة السيارة عند حاجز لرجال الشرطة ، ثم نمر بين مجموعة من الدكاكين ، ألمح مجموعة من الرجال يمضغون القات ثم يعلق مرافقنا

إن زراعة القات وتعاطيه مسموح بهما في هذه المناطق لأنها هي التي تزرعه ، لكن المناطق التي مررنا بها من قبل فإن تعاطي القات مقنن فيها ليومين في الأسبوع (الخميس والجمعة فقط) .

ثم استدرك . نسيت أن أذكر بأننا نمر الآن من قلب قرية الملاح ، وهي كما يقال عنها مشهورة بنسائها ورجالها الملاح



- موقع مديرية ردفان في محافظة لحج
بجمهورية اليمن الديموقراطية

ثم مررنا بقرية الرويد . وشعب الديوان ثم جدعة فالحمراء ، وكلها قرى صغيرة عدد بيوتها قليل ربما لا يصل الى خمسين بيتا

سألت أين ردفان ؟

أجاب مرافقنا هي كل هذه المنطقة التي نحن فيها

علقت ألا يوجد مكان معين يسمى بهذا الاسم ؟

أجاب بل هي المنطقة كلها

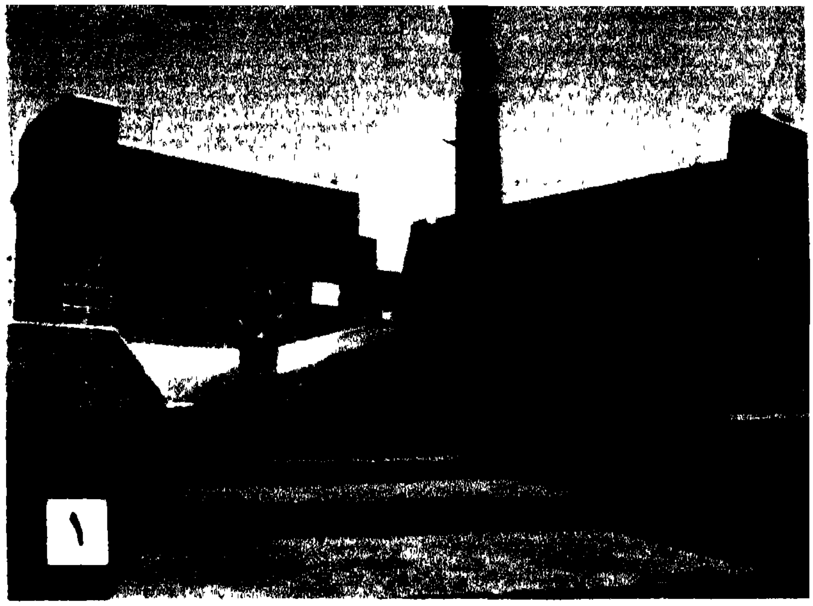
بيوت القرى موزعة على رؤوس الجبال والتلال . هكذا دأب اليمني على بناء بيته . إنه يبحث عن ما يمكنه أن يوفر له الحماية . وكشف تحركات أعدائه وما يحيط به

في الحبيلين

نصل الى مشارف بلدة . الأنصبة بيضاء تحتل جانباً من الطريق ثم ندخلها ، معظم بيوتها مبنية من طابق أو طابقين ، ولا يوجد ما هو ضخم أو كبير هنا ، الطريق الرئيسي « مسفلت » وما عداه ما زال على حاله من تراب

قال مرافقنا : إنها بلدة الحبيلين عاصمة المديرية ، ويصل عدد سكانها الى حوالى ١٨ الف نسمة ، والحبيل هو الأرض المنبسطة كما ترون ، والحبيلين هو





١

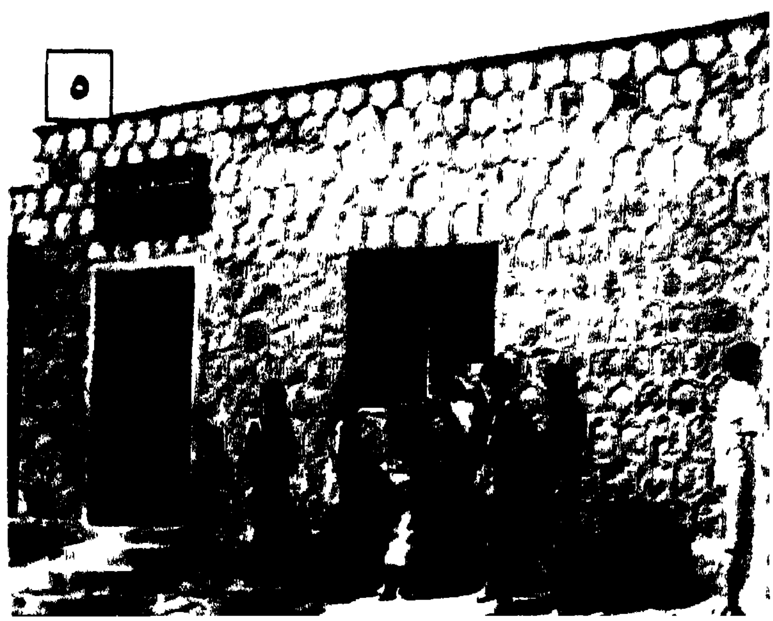


٢



٣





١ ـ متحف ردفان يحاكي الحال التي تحيط به

٢ ـ من أسلحة الثورة في متحف ردفان

٣ ـ وأيضا سد سا في ردفان !

٤ ـ المسم عندما يدرس في الحبيلين .

٥ ـ بدون تعليق انه المصرف أو « البنك » .

مثنى حبيل . تقع البلدة في سهل تحيطه الوديان والتلال . بعض الاشجار والزراعات القليلة تظهر بين الوديان . محطة بنزين ومقاهي ومطاعم ودكاكين متواصعة تحادي الطريق

وصلنا الى بناء مكون من ثلاثة أدوار ربما هو اعلى بناء في البلدة . استقبلنا مضيفونا على باب احدى شقق البناء التى تستعمل كمكتب ومضافة لاعضاء الحزب وزوار المنطقة

ارتحنا قليلا واستأنفنا الحديث عن المنطقة وأوضاعها والمستجدات فيها . والذكريات . ذكريات من شاركوا في الثورة وحاصوا عمارها

وفد الى البيت قائد صالح حسين رئيس المكتب التنفيذى لمجلس الشعب المحلي في مديرية ردفان والسيد سلام أحمد علي مدير التربية والتعليم في المديرية والسيد قاسم ثابت سعيد سكرتير المكتب التنفيذي لمجلس الشعب المحلي ومسؤول الحزب في المديرية . ونائبه وأفراد آخرون

السيد/ قائد من مواليد سنه ١٩٣٩ . شارك في الثورة منذ بدايتها وكان راعيا ثم انضم الى الرعيل الذى عمل في الكويت . وتطم هناك في حركة القوميين العرب . والتقى بعلي عنتر أحد القادة التاريخيين للثورة وعاد واياه مع مجموعة من أبناء ردفان والضالع في نهاية الخمسينيات . وتزودوا بالسلاح من شمال الوطن وعادوا الى قراهم في الجنوب وبدأوا مع غيرهم بالعمل السرى وعقد المصالحات بين القبائل المتنافرة والمتنازعة

علق أحد الحاضرين دعنا نعرفك بالمكان ثم نصل الى الناس والتاريخ

لقد تم ضم ردفان بالقوة الى إمارة الضالع في الخمسينيات وبذلك فإن التمردات والثورات قامت لهذا السبب او لأسباب عديدة أخرى أهمها وجود المستعمر الانكليزي ووجود مظالم كثيرة . لذلك فإن المستعمر بنى معسكراً ومطاراً على هذه الأرض أى أرض هذا المبنى وما يحيط به . كي يواجه التمردات

لقد كان المعسكر يستوعب ١٣ ألفا من جنود العدو . أى إنه كان المعسكر الثاني بعد معسكرات عدن من حيث كبر المساحة وعدد أفراد جنوده

إن منطقتنا كما ترى جبلية والمساحات السهلية أو القابلة للزراعة فيها قليلة ربما لا تزيد على ١٥ ٪ من مساحة المنطقة التي تصل الى حوالى ٢٥٠٠ كيلومتر مربع . تحتوى على حوالى ١٣٥ قرية . ربما لا يصل عدد أفراد بعض القرى الى ٢٠ أو ٣٠ فرداً .

وبالرغم من ان المساحة القابلة للزراعة قليلة . إلا أن فلاحينا استطاعوا استثمارها وانبات الحبوب والخضراوات فيها . واستصلحوا بعض التلال والجبال من خلال المدرجات التى اقاموها عليها . هكذا فإن حياتنا متقشفة تعتمد على بعض الزراعات التى تقيم أود الناس وأود الماشية التى يملكونها

ولأننا قبائل ولأن بعض العنعنات والمشاكل كانت تقوم بيننا في بعض الأحيان . لذلك فإن السلاح كان دائم الحضور بين أيدي الأفراد . وكانت تتوجه هذه البنادق أحيانا الى غير العدو الحقيقي . أى المستعمر .

مجلس شعب محلي

● لقد ذكرتم أن السيد قائد صالح حسين هو رئيس المكتب التنفيذى في مجلس الشعب المحلي هل تعطوننا فكرة عن كيفية قيام هذا المجلس ؟

- لقد صدر قرار عن مجلس الشعب الأعلى في مارس سنه ١٩٨٧ بإنشاء مجلس محلي في ردفان وسيئون

وفعلا فإن ترتيبات اجراء انتخابات في المنطقة قد تم اتخاذها بين (٢٥ و ٢٧ نوفمبر ١٩٨٧) وتم ترشيح ٤٣ مرشحا كان المطلوب انتخاب ٣٠ عضوا من بينهم . وترك للمرشح حرية الاتصال بالناس والاعلان . ووضع برنامجه وصوره . ويمكن ان تشاهد بقايا ذلك على جدران بعض الدكاكين في السوق (رأيت ذلك في اليوم التالي)

● هل كان المرشحون جميعهم من الحزب (الحزب الاشتراكي اليمني هو الحزب الوحيد في اليمن الديمقراطية بعد أن اندمجت فيه ثلاثة تنظيمات)

- سمعت أكثر من صوت ينفي ذلك ثم جاء التوضيح لا إن الأمر ليس كذلك . إن القانون (قانون قيام المجلس) فصل في هذا الامر وجاء فيه ان عدد الحزبيين يجب أن يكون ١٣ نائبا في حين أن عدد غير الحزبيين يجب أن يكون ١٧ نائبا وقد تم انتخاب مكتب تنفيذى من بين الثلاثين نائبا . ورئيس المكتب يصبح عضواً في مجلس الشعب الأعلى في المحافظة

● سألت هل تم تعميم هذه التجربة في بقية المحافظات ؟

سمعت جواباً إن الامر ما زال في طور التجربة . وربما يلى ذلك خطوات أوسع في بقية المحافظات

من يحصر السوق يتسوق

توجهنا الى سوق البلدة ، صور بعض المرشحين ما زالت معلقة على بعض الحيطان تحاذيها بعض الشعارات والتعاميم الحزبية ، طريق السوق ممهدة لكنها من تراب ، والحوانيت متواضعة البناء ومتواضعة في المواد التي تعرضها ، حوانيت الحضراوات تحاذي حوانيت اخرى تبيع القهوة والهيل والحبوب (قمح ، سمسم ، عدس ، برغل ، شعير ، دره ، الخ) ثم تليها حوانيت اخرى تبيع بعض الحلويات وغيرها

وبعض الحوانيت كانت تتكون من جزأين ، جزء تتم الصناعة فيه ، وآخر للعرض والبيع ، منها الحلاوة المطبوخة ، أو حلاوة اللبن أو السمسمية والمضروب والكعك وغير ذلك

لفت نظرنا مجموعة من الشبان كانوا يتراكضون ويتبعون احدى السيارات (واست) وصلت السيارة الى مكان كان قد تجمع حوله مجموعة من الرجال والشبان بدات اللفائف والحزم الخضراء تتناقل بين الأيدي لحظات ولم يبق منها أية حزمة ، لقد تم كل شيء بسرعة غريبة انه القات يقبلون عليه كأنه ترياق الحياة !

تابعنا جولتنا في السوق عجوز تشوي أكواز الذرة الشامية على حطب وتبيعها ، مكتبة صغيرة معروضها قليل من كتب وصحف كانت موجودة في قلب السوق طالبنا صاحبها بزيادة كمية أعداده العربي التي تصله وذكر أنها تباع في نفس ساعة وصولها

نسمع هديراً فنهرب ، كان صوت آلات مطحنة تطحن القمح والذرة والدخن ثم تحاذيها معصرة خاصة بالسمسم السيد/ محسن صالح حسن ذكر لنا انه اقام المعصرة منذ بداية السبعينيات ، وهو يعصر السمسم ويبيعه كطحينة للناس أو يأتي اليه الناس بمحصولهم ويدرسه لهم (يعتبر السمسم احد محاصيل مزارع البلدة والقرى المحيطة بها)

وطريقة الدرس ما زالت بدائية يقوم بها جمل تربط رقبته بلجام يكون موصولا بثقل خشبي ويوضع السمسم تحت الثقل ومن خلال دورات الجمل المتواصلة ينَدرس السمسم ويسيل زيته لينتقل الى الوعاء المطلوب .

● سألت السيد/ احمد جابر صالح صاحب احدى المطاحن القائمة منذ ١٣ سنة .

● هل تعرف القراءة والكتابة ؟

- أجاب لم يكن في البلاد (يقصد ردفان) أية مدارس زمن الانكليز الا محاولات بعض الشيوخ (شيوخ الدين) ولذلك فإنني لم اتعلم في تلك الايام لكن بعد انتصار الثورة فإنني التحقت بمدارس محو الامية سنة ١٩٧٥ وحصلت على ما فاتني ، إني أقرأ الصحيفة الان ، واكتب الرسائل وغير ذلك

السيد محمد صلاح صاحب مطحنة قريبة من المطحنة السابقة ذكر لنا ان الحوانيت والمطاحن مملوكة للافراد ، ويدفعون ضرائب للدولة عليها .

لكل بضاعة سوق

على بعد امتار قليلة من سوق الخضراوات والحبوب . كان سوق آخر يتم فيه البيع والشراء وبعض بالناس والحيوانات ، إنه سوق بيع المواشي (بقر ، غنم ، ماعز) إنه يقام ايام الأحد والثلاثاء والاربعاء ولا يقتصر على المشاركين من أبناء البلدة أو أبناء المديرية بل يشارك فيه آخرون من مديريات اخرى ، وبعضهم يبيع ماشيته ويشتري بثمنها حبوباً أو غيرها .

ذكر لنا مأمور الضرائب السيد/ أحمد هيثم إنهم يتقاضون ٣٪ ضريبة من البائع و ٢٪ من المشتري ، وذكر إنهم أربعة موظفين يعملون في السوق مأموري ضرائب كما وذكر أن معدل سعر الخروف يصل الى حوالى ١٥ ديناراً فيما يتراوح سعر البقرة بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ دينار ، وذكر ان البقر الذي له سنام كالجمل هو من الفصائل المألوفة في ردفان ، كما وأكد انه لم يصادف احداً يتهرب من دفع الضريبة المقررة عليه

السيد/ ناصر احمد ثابت ، كان يتزنر برنار ويعلق جنبيته (خنجر معقوف) فيه قال أنا أعمل دلالا في السوق ، وأعمل بنفس الوقت سكرتيراً لاتحاد الفلاحين في البلدة ، وذكر نحن همزة وصل بين البائع والمشتري ، ونتقاضى دينارا على كل رأس يباع

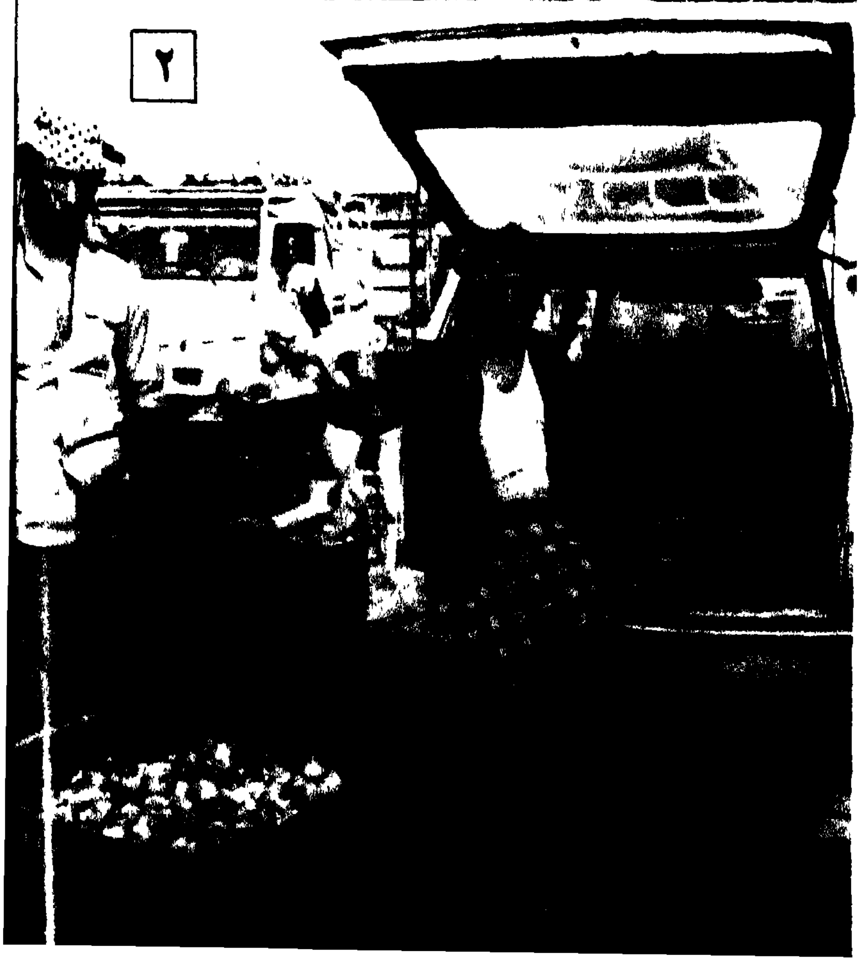
لفت نظره الى بعض العجائز اللواتي يشاركن في البيع والشراء فذكر

إن أغلب رعاة الماشية هن من النساء ، في حين ان الزوج يعمل في الأرض أو في أحد الاعمال الحكومية

في طريقها للتطور والنمو

تابعنا جولتنا في البلدة صوت ماكينات « بوابير » المطاحن وآبار الماء تسمع بوضوح ، بيوت





١ ـ سوق بيع المواشي له أيـامـه وقـوانيـنـه في الحبيلين .

٢ ـ بائـع حصـار عـلى سيارة متنقلة لم يس عادة مضغ القات


السيد قائد صالح حسين


السيد سلام احمد علي


السيد مهدي علي مثنى

القرية موزعة على مساحات متباعدة متفرقة والتنقل بينها يتم بواسطة الحمير أو مشياً على الاقدام أو بالسيارات   لاحظت بعض البيوت المتشابهة تتألف من دور واحد ، ومدهونة باللون الاصفر تحاذى الطريق العام   قال مرافقونا .

انها بيوت بنتها الحكومة وعددها ٢٤ بيتاً يدفع ساكنها مبلغاً شهرياً كقسط من ثمنها وبعد السداد تصبح ملكية خاصة (ربما بعد ١٥ أو ٢٠ سنة)

● وبقية البيوت ؟

ـ انها ملكية خاصة بناها الناس وسكنوها

● أرى بيتاً واسعاً على تلة   انه يشبه « الفيلا » لمن هذا البيت ؟

ـ انه مقر الحزب ، فيه مكتبة وقاعة محاضرات تستعمل احياناً للعروض المسرحية

● على ذكر العروض المسرحية   هل هناك مبنى خاص للعروض المسرحية او دار للسينما ؟

ـ لا يوجد دار خاصة بالعروض المسرحية ، انما يمكن أن يتم ذلك في قاعات المدارس ، ولا يوجد دار خاصة للعروض السينمائية انما تعرض الوحدات السينمائية المتنقلة بعض الافلام الوثائقية ، وتزورنا أحيانا بعض الفرق المسرحية من الحوطة أو من عدن ، ويوجد في البلدة ناد رياضي واحد وهو في نفس الوقت ناد ثقافي

● أرى مبنى واسعاً بالقرب من « الفيلا » والاحظ تمثالا عليه فماذا يكون ؟

ـ انه متحف ردفان   متحف الثورة ، وقد تم افتتاحه في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٧٨م   انتقلنا اليه المبنى واسع فيه خمسة اجنحة وصالة خارجية تعرض وثائق تتعلق بإنطلاق الثورة سنة ١٩٦٣ وما تلاها من احداث ، في اعلى المكان ينتصب نصب رجل يحمل بيده بندقية ويتمنطق بحزام رصاص ويلبس الملابس اليمنية التقليدية (المتزر أي الفوطة ، ومشدة ـ ربطة على الرأس تسمى « كشيدة » أيضاً)

على يسار المكان كانت مروحة طائرة معروضة وموضوعة على الارض . علق مرافقنا : انها مروحة طائرة « بيرفلى » صغيرة كانت جاثمة مع غيرها في المطار الصغير الذى اقامه الانكليز على ارض البلدة ، وهى طائرة قاذفة الا أن الثوار تسللوا الى المطار ، ووضعوا لغماً تحت الطائرة فتفجر فيها في احد ايام سنة ١٩٦٥

سلسلة من المعارك والشهداء

على الحوائط الخارجية للمبنى تم تسجيل اسماء الشهداء من ابناء المنطقة الذين شاركوا في الانتفاضات والمعارك ضد الانكليز وضد حكم الامام في الشمال الذي كان يضم بعض المناطق الجنوبية الى سلطانه في بعض الاحيان ، من بينها ردفان والضالع وغيرها ، وضد الاتراك قبل ذلك   يتوالى تنقلنا بين اللوحات التي تحتوي على اسماء الشهداء بينهم (١٣) شهيدا سقطوا في الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التي قامت في شمال اليمن ، ثم اسماء شهداء معركة الحمراء وشهداء معارك حرب التحرير .

قاعات المتحف كانت تحتوى على وثائق الثورات والأسلحة التى استعملت فيها ، والأسلحة الفردية لبعض القادة ، بينهم راجح بن غالب لبوزة اول شهيد لمعارك التحرير في ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ ، ثم ملابسهم وبعض اللوحات الفنية التى رسمها فنانون تشكيليون واهدوها للمتحف

● سألت   لقد تكرر اسم الحمراء كثيراً فهل تأخذوننا اليها ؟

ـ جاءت الاجابة . إنها ليست بعيدة من هنا ، خمس دقائق بالسيارة ونكون فيها .

● هل هى قرية ؟

ـ لقد كانت وما زالت ، وفيها او بالقرب منها قامت معركة الحمراء .تراب الطريق الممهدة ابيض

خرجنا من بلدة الحبيلين ودخلنا في واد تحفه الاشجار واعواد القصب . ثم وصلنا الى بضعة بيوت وبعدها واجهنا عدة شواهد بيضاء قيل لنا انها شواهد شهداء معركة الحمراء التي قامت سنة ١٩٤٠ جاء في كتاب « صفحات مشرقة من تاريخ المقاومة الوطنية في ردفان » الذي اشرف على كتابته سعيد صالح سالم احد قادة جبهة ردفان ، عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ما يلي

كان مركزا « الحمراء » و « سليك » هما اول مركزين اقامهما الاستعمار في منطقة ردفان وذلك في «اكتوبر» تشرين أول سنة ١٩٤٠، وعندما عرف ابناء ردفان بوجود المركزين ووجود قوة عسكرية فيهما دعوا جميع أبناء ردفان الى عقد لقاء موسع في سوق « الثلوث » في وادي مسك ، وقد حضر هذا الاجتماع الموسع مجاميع كبيرة من ابناء ردفان ممثلين لمختلف القبائل ، واتخذ قرار في هذا اللقاء الكبير يقضي بالقيام بهجوم على المركز الاستعماري وفي ليلة ٢٢ اكتوبر ١٩٤٠ قام أبناء ردفان بشن هجوم كبير على الجنود المتمركزين في هذين الموقعين ، وكانت معركة حامية استخدمت فيها مختلف الاسلحة ، بما في ذلك السلاح الابيض . وتم تصفية كافة الجنود المتمركزين حيث قتل وجرح منهم العديد من الجنود وهرب الباقون واستشهد العديد من ابناء ردفان (بلغوا ١٢ شهيدا)

● سألت مرافقنا ما هي حكاية مجموعة الشواهد القائمة على يسار الداخل الى البلدة ؟

- انهم شهداء الحركة الاخيرة ١٩٨٦ (الصراع الداخلي) من ابناء ردفان وقد بلغوا حوالي مائة وخمسين شهيدا . قرأنا الفاتحة على ارواح الشهداء جميعهم وتوجهنا الى بعض الأراضي المستصلحة التي تقع خلف قرية الحمراء . جاءنا عامل في مشروع استصلاح الاراضي فعرفونا عليه ، إنه احمد مقبل

شاعر وثائر شارك في الثورة التي انطلقت سنة ١٩٦٣ قال . عمري ٦٧ سنة وشاركت في الثورة وانطلق يقول شعرا من تأليفه

نعزم ونتوكل بساعة مرضية
ومن عزم فيها نجا من كل شر
الارض هدى كلها جمهورية
يا سارى الليلة على ضو القمر
ردفان ملصي (سار) مش نارها طافية
ونحن (نهاجم) عالدولة (الاستعمارية) كما ساد

الصقر

تابع احمد مقبل القاء شعره الشعبي وانتقل من الشعر الوطني الى شعر الغزل ومما جاء في احدى غزلياته

عيونه مثل الصواريخ عابرة القارات
والانف مثل الألف وخدات مثل الجنيهات
الصدر بستان فيه فواكه الجنات
وشعور مثل الليل ظاهر وأيضا بيات

سدود وجسور

جسور وسدود صغيرة تظهر في الطريق ، وبعض زراعات الذرة ، المياه تتدفق من أحد الآبار ، وصبية يتسلون ويتقاذفون بالماء، تلة عالية على يمين الطريق مررنا بمحاذاتها، قال مرافقونا إنها جبل حمل . توجد فيها آثار قديمة ، وقلعة في اعلى المكان من الجبل

● سألت . إن الوادي كما تقولون اسمه وادي سبأ . فهل له علاقة بالآثار التي وجدت وتعود الى عرش مملكة سبأ ؟

- اجابوا . ربما كان ذلك

● سألت . هل جاءت بعثات اثرية للتنقيب عن الآثار في هذا الجبل ؟

- نظروا في وجوه بعضهم البعض واجابوا لا ندري !

● ومشروع وادي سبا متى بدأ العمل به . وماذا تحقق منه ؟

- اجابوا . لقد بدأ استصلاح الاراضي في هذه المنطقة اعتبارا من سنة ١٩٧٣ وهو مشروع سوفيتي يمني مشترك وتم استصلاح ٧٥٠ هكتارا . وزعت على الفلاحين بواقع ٥ الى ٨ فدادين للاسرة الواحدة ، وبقيت مجموعة من الهكتارات تقوم باستغلالها التعاونية الزراعية وهي تخضع لاشراف الدولة ولخطة وزارة الزراعة من ناحية نوعية ما يزرع فيها

واشهر المزروعات التي تزرع في المنطقة الذرة الشامية ، الدخن ، الأعلاف ، البرسيم - البطاطا والبصل والبطيخ والفلفل والبامية والبندورة والقطن وغيرها

● هل يمكن اعتبار مساحة الارض من ٥ الى ٨ هكتار هي سقف الملكية الخاصة للأرض في هذه المنطقة ؟

- اجابوا . من المعروف أن الاراضي ليست متشابهة من حيث الخصوبة أو وفرة المياه فيها ، أو قربها من المراكز المهمة ، لذلك فإن حيازة الملكيات

خاصة تختلف بين ارض وأخرى ، مع ذلك فإن سقف الملكية الخاصة في مطقتنا هو الرقم المذكور

مسيرة التعليم

عدنا الى البلدة فألقيت نظرة الى جوار المبنى الذى نقيم فيه ، فوجدت مدرسة كبيرة مدهونة مبانيها باللون الاصفر ، يليها مبان اخرى كبيرة ايضا ، قال لنا السيد/ سلام احمد علي مدير التربية والتعليم في المديرية إن المباني القريبة من مكان اقامتنا ما هى الا المدرسة الثانوية الوحيدة في المديرية ودار المعلمين فيها وأضاف إنها هدية من الشعب الكويتي الى شقيقه الشعب اليمني . وقد تم تشغيلها اعتبارا من السنة الدراسية ٧٩ - ٨٠ ، وهي تستوعب حوالى ٧٥٠ طالباً وطالبة ويدرس فيها الآن ٦١٦ وبينهم ١٦ طالبة ، في حين أن دار المعلمين الملحقة بها تم تشغيلها اعتباراً من السنة الدراسية ٨٢ - ٨٣م وتستوعب حوالي ٢٠٠ طالب يدرس فيها الآن ١٦١ بينهم ٣٢ طالبة والدراسة فيها لأربع سنوات تبدأ بعد الانتهاء من مرحلة التعليم المتوسط

● هل التعليم مجاني كالتطبيب وغيره من خدمات اجتماعية ؟

- ان التعليم مجاني كغيره من الخدمات الاجتماعية ، وحتى الكتب والوسائل التعليمية فإنها تقدم بالمجان ، وما على الطالب إلا ان يحضر معه حقيبته والدفاتر والاقلام

● هل يمكن اعطاءنا فكرة عن مسيرة التعليم في المديرية ؟

- لاشك أنه توجد بعض النواقص الان ، وهذا ربما يعود الى قلة الامكانات ، لكن وضعنا الان أفضل مئات المرات مما كنا عليه قبل انطلاق الثورة ، لقد كانت أمية المرأة ١٠٠٪ في الماضي ، وحظ الرجل لم يكن أفضل كثيراً ، فقد كانت نسبة اميته حوالى ٩٩٪ ، أما نسبة الامية فقد انخفضت الى حوالى ٣٠٪ في هذه المرحلة .

● ألاحظ أن نسبة اقبال الفتيات على التعليم قليلة قياساً بالفتيان ؟

- إن ذلك يعود لأسباب اجتماعية واقتصادية بينها التقاليد ، وبينها اعتماد بعض العائلات على الفتيات في العمل بالحقول أو في البيت ، وبينها بُعد بعض القرى عن مراكز التعليم (التعليم الثانوى الزامى للفتاة في المدينة في حين أن الريف له خصوصيته)

في وادى المصراح

في صباح اليوم التالي كان زملاؤنا في القيادة المحلية قد جهزوا « جيب » خاصا لمهمتنا ، فانطلق بنا في قلب وادى المصراح . أشجار العلب والدوم والزعرور تحيط بالطريق المملوءة حصى ورمال داخل الوادى ، بعض البيوت تلوح على جانبي الطريق وهوائيات اجهزة التلفاز تظهر فيها على أعلى مكان بعض زراعات الذرة الصفراء تظهر في مكان قريب ، على بُعد يظهر راكب لحمار يطلق لصوت عاليه العنان ، فتاة تظهر بين الاشجار غطاء رأسها يغطى نصف شعرها صوت « مواتير » المياه يتردد بين فترة وأخرى ، حقل من شجر « الباباى » يظهر على جانب الطريق عاملان يوجهان المياه نحو الحوض المطلوب

برز بجانب الطريق عامل يصنع « معوله » على كتفه سلمنا عليه وقدم لنا بعض حبات الزعرور التى كان يحملها انه قال

أنا مهدي علي مثنى من منطقة بجير بجانب الحبيلين ومن مواليد سنة ١٩٤١ واعمل كأجير في الحقول

● هل شاركت في حمل السلاح ضد المستعمر البريطاني ؟

- ستجد في طريقك العشرات من الاشخاص الذين شاركوا في الثورة ، انكم في البلاد التى انطلقت منها الثورة وانا كفرد شاركت في الثورة طبعا

نمر على حقل ملىء بنبات القات ، عاملان كانا يغرسان ويسقيان بعض النباتات ، وامرأة من بعيد تنكش جانباً منه

ذكر مرافقنا راشد مساعد امين عام الحزب في المنطقة أنهم « يأرسون » بعض النباتات ؟

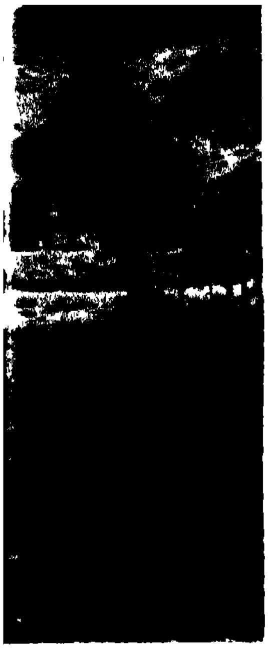
سألت ما معنى الكلمة ؟

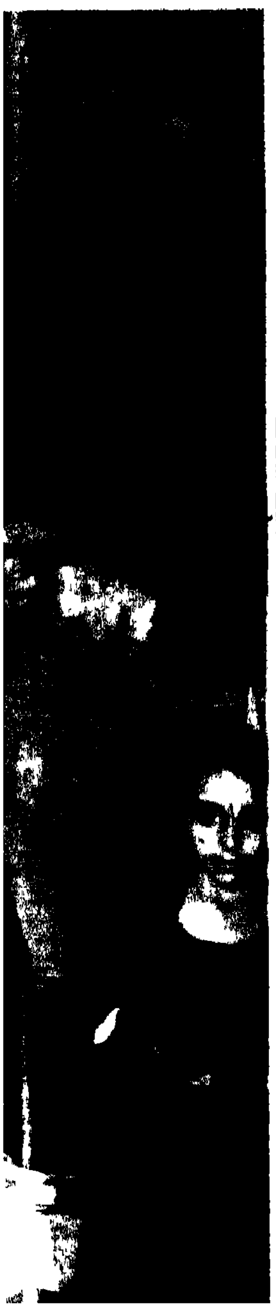
قال إن لهجتنا في هذه المنطقة تحول الغين الى الف فهم يغرسون ولكننا في لهجتنا نقولها « يأرسون »

علقت . انها لهجة من لهجات العرب

عسل وتجارة

بدأ الوادى يضيق وتكاثفت الاشجار فظهرت حفرة ماء بالقرب من شجرة كثيفة من شجر الدوم ، لقد كانت كسبيل ماء عذب للعابرين ، ذكر مرافقنا إن شجر الدوم هو الانسب لتربية مناحل العسل عليه ، وعسله نقي وطيب . طلبنا شراء عدة كيلوات منه ، إلا ان صاحب البيت كان غير موجود

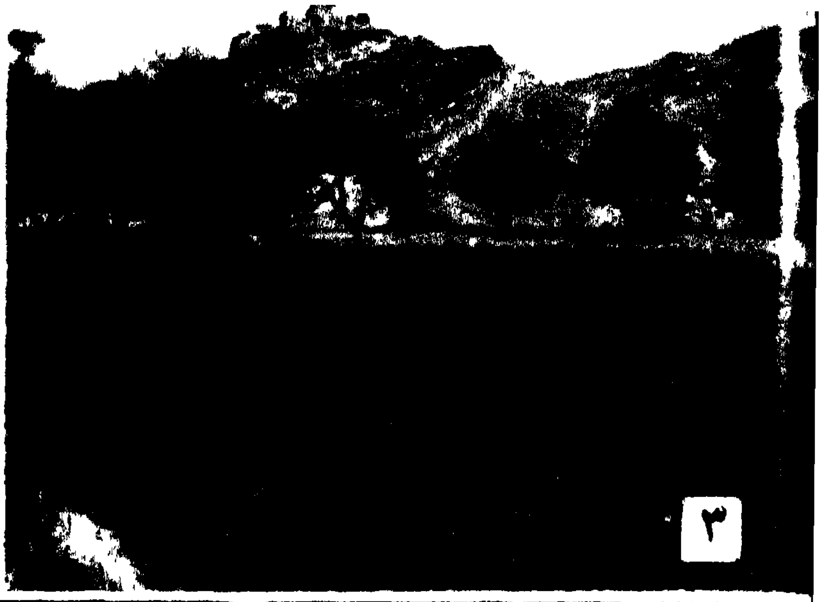


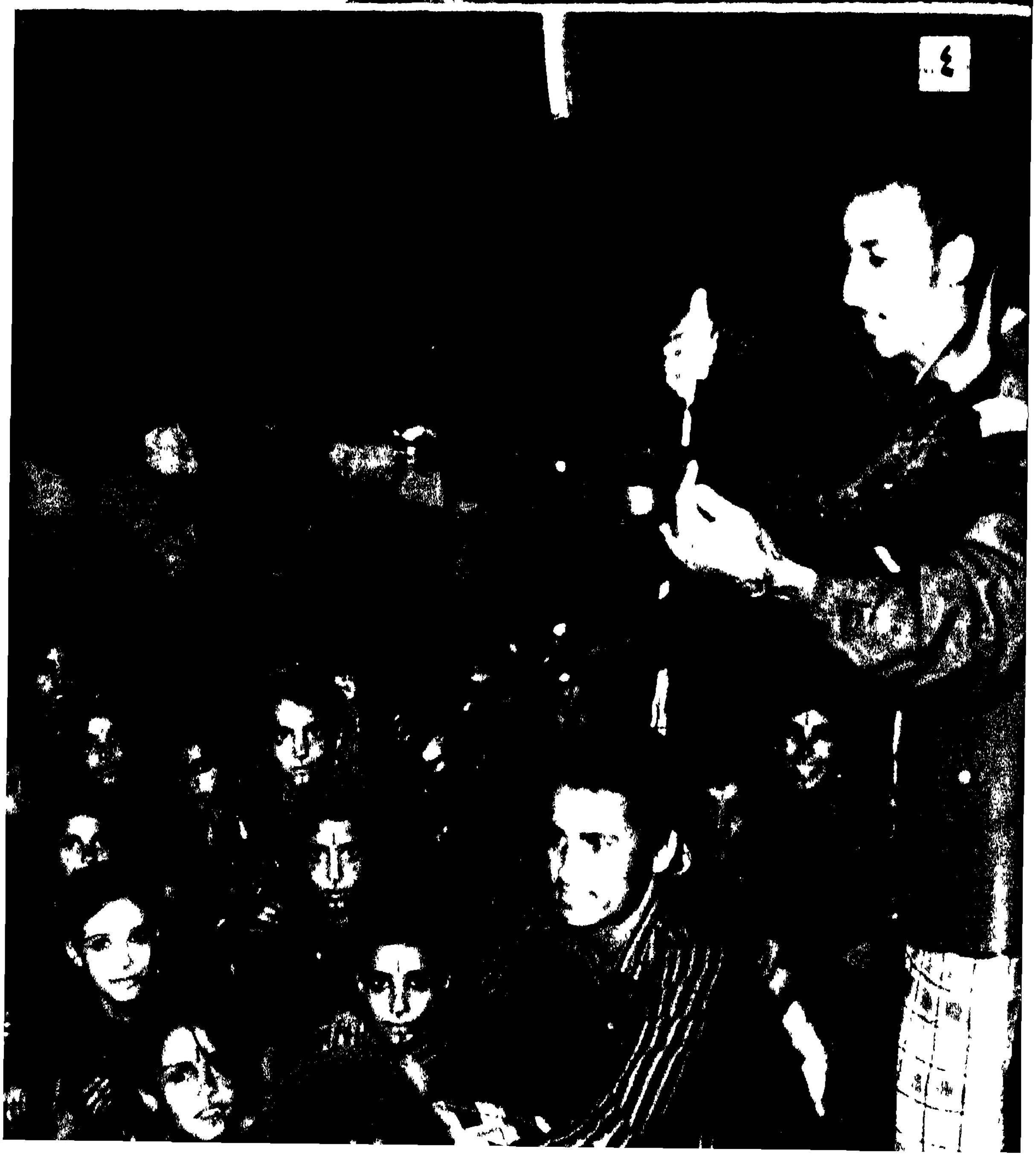



١


٢

١ ـ ري تقليـدي وحوار لابجلوس طراقة في السوق
٢ ـ رقص شعبي يمني مميز في عرس بحيل حمر
٣ ـ انـه سـات القـات في السهـول النادرة التي تحـادي حبال ردمان
٤ ـ افـتـداء الـعـريس بكبش عـادة من عادات القرى في حبال ردمان





فضاعت علينا فرصة رؤية مناحل النحل وتصويرها

وعلى ذكر العسل والنحل فإننا قبل مغادرتنا لبلدة الحبيلين دهبنا الى السوق للتزود ببعض الكيلوات من العسل . فدخلنا في مساومة مع أحد البائعين الذي اصر على أحد مبلغ يريد دينارين عما أعطانا إياه حاره . الا ان نفاد الكمية من عند حاره الجأنا الى الشراء منه ناقشه مرافقنا راشد ولفت نظره لغلاء السعر وأن جيرانه قد باعوه لنا بأقل مما تطلب مع دلك فإنه أصر على ما تطلب

علق راشد لقد عدت نتوك من المسجد يارجل ومع دلك تصر على رفع السعر اكثر مما يفعل جيرانك !

علق الرجل السيبي إنها التجارة ، أنا حر في تحديد سعر ما أملك وانت حُر في أن تشتري أو لا تشتري

صخرية ووعرة لكنها بلادنا !

تابعنا سيرنا في الوادي الدي احدث بعض أحواض الماء تظهر فيه..مما يعني أن علينا النزول من السيارة لنسير على أقدامنا

سرنا عدة أمتار لنجد مجموعة من الرجال يبنون بيتاً على حافة الوادي استقبلونا بترحاب (هكذا كان دأب من قابلناهم في الطريق) وبدأ قاسم صالح مالك البيت يحدثنا عن نفسه فقال أنا لست من مواليد الحبيلين أو المصراح . بل أنا من عُقيبة إحدى قرى جبال ردفان ، لكنني أملك هده الارض ، وها أنا ابني فيها هده الدار ، ونحن من بلاد واحدة وقبلة واحدة

● لكن طبيعة الارض صحرية ووعرة

أجاب ومتى كانت ارض ردفان غير ذلك مع دلك فهي بلادنا

ظهرت بعض البيوت على الجانب الأحمر من الجبل فسألت مرافقنا عنها

علق راشد هل تصدق أن تلك البيوت العشرة هي لقريتين منفصلتين هما الصلب ، والقريع . هكذا هي قرانا مورعة ومتباعدة وطبيعة الوصول اليها صعبة

● هل وصلتها خدمات الكهرباء ؟

- لم تصلها بعد إن الكثير من قرانا تعاني من هدا الأمر ، وبعضها يعاني من عدم وصول مياه الشفة اليه ، فيلجأ الى الابار للتزود بالمياه

● سألت السيد قاسم صالح هل شاركت في حمل السلاح ضد الانكليز ؟

- أجاب بل حملته ضد الأمراء السابقين وضد الانكليز أيضاً ، ودهبت مع المجموعات التي انطلقت من هده البلاد وغيرها للدفاع عن ثورة الشمال . وهناك تدربنا وحصلنا بعض المعارك وعندما عدنا طلب شيخ المنطقة محمود حسن تسليم انفسنا واسلحتنا ، ودفع غرامة مالية . ورفضنا دلك

جاء في كتاب (النجم الاحمر فوق اليمن) للدكتور احمد عطية المصري ما يلي « وكانت الأسباب الحقيقية لثورة ابناء ردفان في ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ هي استمرار أوضاع الاستغلال والطغيان الاستعماري السلاطيني أما السبب المباشر ، فهو ضغط الاخير على أبناء المنطقة لتسليم سلاحهم عند عودتهم من الشمال . وضم ردفان الى سلطة أمير الضالع المتعاون مع الاستعمار »

ويضيف السيد قاسم لقد كان راجح بن غالب لبوزة مع المجموعات التي دهبت الى شمال الوطن ، وشهدوا هناك قيام الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني (أعلنت في اغسطس سنة ١٩٦٣ من خلال اندماج سبعة تنظيمات) .

وعندما عدنا من الشمال واجهنا الشيخ محمود حسن بمطالبه الجائرة ، فتجمعنا وحملنا السلاح وانطلقنا الى الجبال

● هل كانت هناك تنظيمات تعمل داخل البلاد قبل وبعد عودتكم الى ردفان ؟

- أعتقد أن الأمر كان يتم بسرية ، وربما كانت حركة القوميين العرب قد نشطت في دلك الوقت من خلال إنشاء بعض الخلايا السرية

البدوي والمعركة الاولى

حضر شاب وبيده ماعون ملىء باللبن ويطفو على وجهه الفلفل الاحمر المطحون،عرفنا السيد قاسم على الشاب فقال إنه ابني ثابت

عندما عرف الشاب اننا محررون من مجلة (العربي) فإنه زاد من ترحيبه لنا وذكر أنه يتابعها بل وعندما دقق في ملامحي فإنه ذكر إسمي وعلق لقد قرأت مواجهتك مع شاعر الجبال العالية في داغستان رسول حمزاتوف إن جباله تشبه جبالنا وعندما يكتب عن جباله فإنني أجد ان اشياء كثيرة مشتركة بيننا وأضاف أنني جندي في الجيش . وها أنا مازلت في هدا العمل منذ ٤ سنوات بعد أن تخرجت من الثانوية العامة

تابع السند قاسم رواية ذكرياته عن ايام الثورة فقال إن هذا الجبل جبل البدوي ، شهد المعركة الاولى في مسيرة الثورة سنة ١٩٦٣ ولو ملكتم رؤية حادة فإنكم يمكن أن تروا النصب الذي أقيم للشهيد راجح بن غالب لبوزة أول شهيد للثورة ، ويمكن أن تروا القبة البيضاء ، قبة مزار الشيخ أحمد البدوي .

لم تظهر لنا الا نقاط بيضاء صغيرة على قمة الجبل فحاول رميلي توجيه « آلة التصوير » لالتقاط الصورة فلم يظهر امامه إلا الجبل

قلت : لقد قررنا الصعود الى حيث نصب الشهيد الاول للثورة

ساد التعجب على وجوه مرافقينا ومضيفينا وعلقوا : ان الصعود الى هناك والنزول سيستغرق منكم حوالى خمس ساعات ، والجبل كما ترون ليس هيناً ، فيه الصخور الحادة والشعاب الصعبة والاشواك ومفاجآت قد لا تقدرونها

أجبنا أنا ورميلي المصور لقد تم قرارنا بالصعود مهما كانت الصعاب

سمعنا تعليقاً إن الامر أصعب مما تتصورون ، انكم تخوضون مغامرة عبر مأمونة العواقب ، ننصحكم بالاكتفاء بتصوير الجبل والوادي وهذا يكفي ، ان كثيراً من الصحافيين الذين جاءوا قبلكم أخذوا المعلومات في الحبيلين وعادوا ولم يتجاوزوها

علقنا ان عملنا في « العربي » يقوم على المساواة بين الكلمة والصورة

تخلى عنا مرافقونا وتركونا للشاب ثابت الذي تبرع بمرافقتنا مع مرافقنا العدني سعيد محمد راشد

لم يحمل ثابت معه إلا ابريق ماء ، ثم كان وداع على أمل اللقاء مع مرافقينا الردفانيين في الوادي المقابل للجبل من الناحية الاخرى بعد خمس ساعات (كانت الساعة تشير الى الثانية عشرة صباحاً)

رحلة الصعود

بدأنا بالسير نشطاء يدفعنا التحدي والتشوق للوصول الى المكان المطلوب تكررت محاولاتنا للنفاد من خلال الشعاب والصخور بين هبوط وصعود . وجدنا آثار أقدام كثيرة تولت تمهيد شبه طريق

ثغاء الماعز كان يرافقنا،وكان يظهر بعضها على الحواف المائلة من الجبل ربما كان ثغاؤها احتجاجاً على الغرباء الذين اقتحموا « عرينها » ، بعض النباتات كانت تظهر في الشق الطولي الذي كان يمتد من رأس الجبل حتى اسفله ، ويبدو أن الماء هو الذي ساهم في شق المنحدر وكون طريقه الخاص

بدأ العرق ينز من أجسامنا وبدأ التعب يظهر علينا خصوصاً نحن القادمين من الكويت البلاد الصحراوية التي قلما يوجد بها جبال

حفت على دفتر ملاحظاتي من بلل العرق ، فخلعت قميصي ووضعته فيه وتابعنا المسير بعد استراحة دقائق معدودة

تابع نظري شقوق الصخور . والتواءات الشعاب علّي أرى ما يزحف أو يقفز من حيات أو حيوانات غريبة ، فلم أر إلا الماعز ، ولم أسمع إلا صوت ثغاءها ، وصدى أصوات بشرية تأتي من بعيد بعيد أو صدى أصواتنا التي بدأنا نطلقها كنوع من التخفيف على مشاق ماأخذ يصادفنا

حاصرني مرافقنا العدني سعيد بعد ان تدحرجت عدة مرات ، لكن بدون وقوع ، وأصبح يمسك بي ، ثم تبعه ثابت ، استكثرت ذلك ووجهتهم نحو زميلي المصور الذي كان يباريهم قفزا وتخطياً للصخور الحادة أصر سعيد على ملازمتي تماماً فلعنت سمنتي وتابعنا المسير

غطى الغيم على اشعة الشمس الحارقة ، فأعطانا دفعاً لمواصلة رحلتنا بأقل ما يمكن من الجهد والعنت

شقوق هنا صخر حاد هناك ، هذا الصخر ابيض ، ذاك أسود وآخر برتقالي أو بني ، تذكرت المواويل والحداء وحالا واراص حلمت وأحلم فيها منذ الصغر تذكرت « الأوف » الممدودة بامتداد سنوات القهر الذي يتوزع هنا أو هناك في الجسد العربي جرحت « الاوف » كأنها ليست مني ، فتوزع صداها بين الشعاب والصخور ، وحسست أنها كانت في أبهى صورها اللحنية

سمعت إطراء ومطالبة بالمزيد ، فانتبهت لما أنا فيه فطلبت الماء الذي أصبح أكثر من ضروري للحال الذي نحن فيه

ارتقينا صخرة عالية فبان الجبل المقابل فعلق مرافقنا من رأس ذلك الجبل أطلقت دانات المدافع الانكليزية على الثوار

تابعنا المسير بعد أن أخذ الجهد منا ما أخذ (اتكلم عن نفسي) تمعنت بثابت كان عرقه قليل ولم يظهر التعب عليه بشكل واضح التفت اليّ وعلق اعرف ما تفكر به . نحن أبناء جبال وقد سرت في



ـ سبيل ماء في وادي المصراح بالقرب من الحبيلين

هذا الطريق آلاف المرات نهاراً وليلاً فلا تستغرب حالتي

سألت : وأنت ياسعيد ؟ علق . وأنا أيضاً انا ابن الجبال ، بانت حجارة مصفوفة فوق بعضها البعض على رأس منحدر من الصخور . سمعت تعليقاً . ذلك هو المكان

ضاعفنا جهدنا بالرغم من بوابات مسام العرق التى انفتحت وبللت ملابسنا نظرنا في ساعاتنا لقد وصلنا المكان خلال ساعتين وربع وليس نصف ففرحنا لهذه النتيجة .

طول النصب المكون من حجارة الجبل المصفوفة فوق بعضها البعض حوالى متر ونصف دهنت بلون أبيض وكتب عليها بدهان أحمر نصب الشهيد راجح ابن غالب لبوزة استشهد في ١٤/ ١٠/ ١٩٦٣ ، يلي النصب شق في الجبل يكون نصف مغارة ، لقد كان محمياً حماية طبيعية واضحة ، وقد اختاره الثوار ليكمنوا فيه ، ويبدو أن الثائر راجح خرج للاستكشاف أو لأى غرض آخر فرصدته المراصد الانكليزية على الجبل المقابل فتم قصفه . . وأصيب فعلا واستشهد،فاعتبر يوم استشهاده هو اليوم الأول لانطلاق الثورة الحديثة في اليمن الديمقراطية ، قرأنا الفاتحة على روح أول شهيد للثورة ، وتجولت انظارنا ترصد تفاصيل محتويات المكان .

ثم تابعنا المسير الى مزار البدوي

البدوى . . من يكون ؟

وصلنا الى رأس الجبل ، لم نعد ندخل في تعاريج والتواءات الشعاب ، بل أصبحنا نسير في طريق مستوية الى حد ما . بانت القبة واضحة بيضاء تلمع تحت خيوط الشمس حثثنا المسير اليها ، حقل خال من الزراعة محاط بعدة اشجار من الزعرور ، بعض الحبات كانت قد تساقطت بعد أن نضجت ، أسكتنا جانباً من جوعنا من بعض حبيباتها ، لاح بيت بجانب مقام البدوي . دخلنا المقام فوجدنا جدثا كتب عليه الشيخ احمد بدوى وبقايا شمع ، ولا شيء غير ذلك ، كان يوجد في الخارج بقايا عظام وجلود وبركة ماء صغيرة ،سألت ثابت: ما هى حكاية الشيخ البدوى ؟

علق : ان المقام كما قرأت هو للشيخ أحمد البدوى ، وما اعرفه أن بعض الناس يأتون هنا للتبرك وقراءة القرآن ، ويجتمع بعضهم في أيام محددة فينحرون الذبائح ويقدمونها نذوراً ثم أضاف ربما كان شيخاً صوفيا . وله اتباعه وأنصاره .

علقت ما أعرفه أن هناك شيخاً آخر للصوفية اسمه البدوى أيضاً فى مصر .



- حوار البائع والمشتري   ممن هو الغالب   ومن هو المغلوب ؟!

قال ربما كان لكل بلد شيخه ، او ربما كان هو نفسه وعاش هنا وهناك.

مررنا من جانب البيت، خرجت امرأة منه وتمعنتنا ، ثم قالت بضع كلمات فهمت منها « فزعتمونا » كدليل على أن مرتادي المكان قلائل مررنا بالقرب من بيت مهدم ولاح على بعد عدة أمتار منه بيت آخر خرج منه رجل مسن عندما رآنا ، رحب بنا وأصر على استقبالنا في بيته فاعتذرنا إلا انه كرر الطلب عدة مرات سألناه عن اسمه وعمله وكيف يعيش في هذا الجبل الوعر ؟

قال · انا طالب محمد الهدوى وعمرى حوالي ٦٥ سنة ، . نعم لقد ساهمت بقسطي في الثورة ولذلك فإن الطيران البريطاني قصف بيتي الذى مررتم به قبل لحظات ، فابتنيت هذا البيت ، اننا نعيش على بعض الزراعات في الحقول محدودة المساحة كما ترون ، ونزرعها حبوباً ولنا ماشية نرعاها ونعيش على بعض خيراتها

● سألت الشيخ · ماهى حكاية الشيخ البدوى ومقامه ؟

- لقد سُمي كل هذا الجبل باسم الشيخ . وهو رجل دين له مريدوه الذين يأتون في اوقات معينة لقراءة القرآن والدعاء ، وإقامة طقوس معينة لا أعرفها

على بعد عدة امتار من بيت السيد طالب برزت صخرة كبيرة فيها شق مستطيل الشكل

● سألت . وما هى حكاية تلك الصخرة . والشق الذى فيها ؟

- علق السيد طالب · يقال ان مُحدث هذا الشق في هذه الصخرة هو سيف الإمام على بن ابى طالب رضى الله عنه ، اذ انه عندما جاء الى هنا واعترضته هذه الصخرة فإنه شقها بسيفه

علقت لكن ياشيخنا ان المصادر التاريخيه لا تذكر بأن الامام قد جاء الى اليمن والى ردفان بالذات ؟

علق · هكذا يقولون وهكذا سمعت ، جاء ابن ابنه باللبن الممزوج بالفلفل الاحمر المطحون ، فشربنا وشكرناه وحاول الرجل استضافتنا في بيته فاعتذرنا وبدأنا بالنزول

النزول الأصعب !

اعتقدنا ان الصعود هو الأصعب في الرحلة ، لكننا اكتشفنا إن النزول ليس سهلاً أيضاً ، إن الصخور في هذا الجانب من الجبل كانت أكثر حدة وتعرجات ، ولا يوجد ممر إلا ان يتدلى الانسان ويستعمل يديه ورجليه حتى يمر والأهم هو استعمال عقله ، لأن اى خطأ غير محسوب أو سرعة أوقفزة غير

محسوبة فإنها تودي بالانسان الى التحطم بين الصخور

وصلنا بعد ساعتين ونصف من مسيرنا من رأس الجبل كان الانهاك قد اصابنا ، لكننا مع ذلك حققنا ما كنا نصبو اليه ، تعانقنا مع زملائنا الذين كانوا بانتظارنا ، لقد أحضروا لنا غداء جاء في ساعات المساء من بعض البيوت القريبة من المكان وكان أشهى طعام لأنه جاء بعد جوع وتعب حقيقيين

عُرس في جبيل جبر

كان موعدنا في اليوم التالي هو زيارة قريه جبيل جبر وحضور عرس أحد شبابها والوقوف على مظاهر العادات والتقاليد في هذا المجال

للوصول الى جبيل جبر مضينا في الطريق المؤدي الى منطقة يافع ثم صادفتنا قرية الربوة على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من بلدة الحبيلين ، بعض المزارعين يعملون في حقولهم وبعض الصبية يتشاقون في احدى الساحات ، ثم مررنا بالقرب من قرى النقيفة وحيران ثم قرية جبيل جبر على مبعدة حوالي ١٥ كيلومتر من الحبيلين ، الطريق بينهما ممهدة ومسفلتة بشكل جيد ، والتلال والجبال تحف بالطريق من جانبيه

نشاهد وحدة لتوفير الطاقة الكهربائية بوساطة أشعة الشمس ، ثم ندخل الى يمين الطريق الرئيسي في طريق ترابية كثيرة المطبات ، نسير حوالي ربع ساعة بالسيارة ثم نصل قرب خيمة كبيرة مليئة بالرجال والشبان ومضاءة بالكهرباء عن طريق مولد

يستقبلنا افراد من أهل العريس ، ثم ندخل الخيمة ، ونسلم على الجميع فرشت الخيمة بالبسط والحصر والفرشات ، نجلس بين الرجال فنلاحظ أن أغلبية الرجال والشبان يخزنون القات ، ويضعون حزمه الخضراء التي تشبه أوراقها أوراق نبتة الملوخية أمامهم أو بجانبهم مرفوقة برجاجات المشروبات الغازية او « ترامس » الشاي زيارتنا كانت مساء يوم الخميس . القات كما أفهمنا بعض الاخوان « والسكاير » يأتي بها كل فرد يحضر للمشاركة ، في حين أن اهل العريس يوفرون الشاي والمشروبات الغازية والأكل

الخيمة كبيرة ومليئة بما يزيد على مائة رجل وشاب أصوات أغاني النساء وزغاريدهن تسمع من مكان قريب ، معزول عن الرجال استجابة لطلبنا فإن بعض الرجال بدأوا بممارسة الرقص الشعبي على صوت المزمار والطبل وغنوا أغنية

مرحبا بك ياعريس
مرحباً بضيوف أخونا « جاؤنا »

بعضهم كان يحمل « جنبيات » وبعضهم بدونها ، عندما تحدثنا وجلسنا بين الرجال فإن بعض الشبان أفهمونا بأنهم غير راضين بأن يقتصر نصيب جبيل جبر من استطلاع زملائي في مجلة العربي على تسجيل وقائع العُرس فقط ، إذ أن جبيل جبر كما أفادوا شاركت مشاركة اساسية في الثورة ،علقت اننا بحاجة الى من يعطينا فكرة عن العادات السائدة بالنسبة للزواج في المنطقة ، وتفسير بعض العادات والتقاليد فتبرع مجموعة منهم وجلسوا بجانبنا واخذوا بالرد على استفساراتنا وقد جاء فيما ذكروه

ـ يتم وضع الحناء على كفي ورجلي وشعر العروس يوم الاربعاء من قبل صديقاتها وقريباتها وهي في بيتها

ـ في حين أن قريبات العريس يتولين وضع الحناء على يدي ورجلي العريس يوم الخميس (اي الليلة التي كنا فيها في البلدة)

● سألت وهل العريس « يحنى » أيضاً

ـ أجابوا نعم إن ذلك يحصل وستشهده بنفسك الليلة

● وبعد ذلك ؟

ـ يذهب العريس مع أهله وأصحابه فيحضرون العروس مساء يوم الجمعة وتأتي معها بعض قريباتها ويتم هذا الامر بالسيارة في هذه الأيام ، في حين انه كان يتم من قبل بواسطة الجمال أو الخيول ، يرافق ذلك الاغاني والرقص والأهازيج ، ويبقى العريس مع عروسته وسط أهله وخلانه لمدة زمنية وسط مظاهر الفرحة والغناء ، ثم ينفض سامر العرس ويدخل العريس والعروس الى غرفتها الخاصة أخيراً

ويأتي أهل العروس في صباح اليوم التالي الى بيت أهل العريس ومعهم الهدايا العينية ، فيتابعون أفراحهم وأهازيجهم ورقصاتهم المشتركة مع أهل العريس ، ويبقون حتى المساء ثم يعودون الى بيوتهم بعد ذلك

● هل من فكرة عن اجراءات الخطبة والأيام التي تسبق الزواج ؟

كأي بلد اسلامي فإن كتب الكتاب أي العقد يتم عند القاضي ، ويشترط موافقة الفتاة على الزواج ، يمكن أن يأخذ والد العروس مبلغا من مهر العروس يصل المهر احيانا الى مائة دينار) والبعض يصرفونه على تجهيز العروس ويقدم العريس ايضا « شبكة » مكونة من ساعة وخاتم ، وكان المهر يدفع من قبل بصورة عينية ، كأن يتم الاتفاق على تقاضي مجموعة من البقر أو الخراف او الماعز ، أما الآن فإن قانون الاسرة حدد ٢٠٠٠ درهم كحد أقصى للمهر ويقوم العريس بكسوة عروسه ويمكن للمقتدر أن يزودها ببعض قطع الذهب ، وحينا يتولى ذلك والد العروس إن كان مقتدرا

● ما هو حال الزواج بامرأة ثانية حسب قانون الاسرة الان ؟

- كان الامر متروكا حسب رغبة الزوج من قبل ، اما الان فإن الامر يجب أن يتم بعد موافقة الزوجة الاولى . وبعتقد أن كل أب أو أخ لا يحب لابنته أو حته بأن تعيش مع « ضرة »

● هل يتلقى العريس او العروس بعض المساعدات المالية من اصدقائهما ؟

- إن هذه العادة يقال لها « الرفد » في بلادنا . وهي مازالت قائمة حتى الان

● هل عادة « الخطف » مازالت قائمة في بلادكم ؟

- بعد انتصار الثورة وسن قانون الاسرة ، فإن المنطقة لم تشهد أية حالة خطف أبدا

● لقد رأيت أن بعض الرجال يقبلون أيدي بعضهم البعض فماذا يعني ذلك ؟

- ان ذلك يتم في الأعياد والاعراس والمناسبات السعيدة أو حتى في الأيام العادية ولا يوجد اى دلالة إلا دلالة الاحترام والشوق ويمكن ان يتم ذلك بين رجل وامرأة أيضاً

● أرى بعض الاشخاص اذا ما قرفصوا للحديث مع اشخاص آخرين فإنهم يربطون ظهورهم الى ارجلهم برباط خاص فماذا يعني ذلك ؟

- ان هذه العادة تسمى عندنا « بالحبية » والقصد منها حماية الظهر وتوفير الحال المناسب والوضع المناسب لحديث ربما يطول

● والقات كيف تنظرون اليه ودوره ؟

- ان تعاطي القات هو احد العادات الاجتماعية المنتشرة في البلاد ، صحيح إنه يمثل عبأ ماديا ، وأحياناً صحياً ، ومع ذلك فإن القوانين حدت من مخاطره

فداء للعريس

دعانا بعض الرجال الى حيث كان العرس بين شقيقاته وقريباته استعدادا لمراسم الحناء ويتم ذلك بعد منتصف الليل يترافق ذلك مع الاغاني والرقص والموسيقا

اسم العريس عادل ، وهو طالب في كلية الطيران . كان يجلس بين قريباته ومظاهر الخجل بادية عليه أصوات الزغاريد والموسيقا تطغى على الاصوات البشرية جاء شقيق العريس بتيس ماعز وأداره عدة مرات فوق رأس العريس ثم تم ذبحه مباشرة . وعندما سألنا عن معنى ذلك ؟

- أجاب . إن ذلك هو من صلب العادات ، والقصد هو أن يكون التيس أو الكبش فداء للعريس بعد ذلك تأخذ شقيقة او قريبة للعريس بحنية يديه ورجليه ويبقى العريس بين قريباته فيما الرجال يبقون في الخيمة ويخزنون - القات - ويسمعون الموسيقا والغناء ، وبعضهم يرقص الرقص الشعبي المميز

تبارك للعريس وأهله بعرسهم ، ونودع الرجال كان الليل يوشك ان ينتصف فتوجهنا الى الحبيلين لنغادرها في الصباح

أفقنا على اصوات الديوك وهي تبشر بصباح وليد اختلطت فيه أصوات الحيوانات بالديوك بأصوات ماكينات الطحن والماء ، بدأنا نعد انفسنا لمغادرة المكان بعد أن ودعنا وشكرنا جميع الذين وفروا لنا زيارة موفقة .

عندما نادى المنادي

عندما اقتربنا من مشارف البلدة تمعنت في المكان فوجدت يافطة كتب عليها هذين البيتين

ردفان نادى أن اذود
وأن أحيل الصعب سهلا
فحملت رأسي في يدي
كي لاتصير الكف رجلا

كان الشعر هو من ابداع الشاعر اليمنى عبد الله البردوني . أعدت قراءة البيتين عدة مرات ، ومسحت نظرات عيناى المكان والبيوت والجبال والسهول والبشر ، وكل ماإستطاعت الوصول اليه ثم تنهدت وقلت وداعاً ردفان وداعاً أيتها البلاد التى اشعلت فتيل ثورة الاستقلال ، وها أنت في حمأة « الجهاد » الأكبر ، لصنع الحياة الأفضل ، والتغلب على صعوباتها . □

قصـــــة قصــــيرة

سؤال الأم ؟؟؟

بقلم : بيســــــشوار كو
ترجمة : ابراهيم احمد الشه

كانت « تشونـدرا كومـاري » قلقة منـزعجة وهي في طـريقهـا إلى بيـت صــديقـتهــا « اندراامايا » ، وما أن فتحت الصديقة الباب لها حتى ألقت تشوندرا بنفسها بين ذراعيها حزينة مستسلمة

أخذتها اندرامايا إلى أريكة قريبة ، وأجلستها عليها ثم سألتها متعجبة تشوندراءما الذي أوصلك إلى هذه الحالة ؟ ماذا حدث لك يا عزيزتي ؟ ولماذا أنت مضطربة إلى هذا الحد ؟

أخذت تشونـدرا نفسا عميقـا ، ورفعت عينيها الـدامعتين نحـو صديقتهـا قائلة « آه يـا صديقتي العزيزة ، لقـد مررت بتجـربة مثيـرة نغصت على عيشتي ، ومنعتني من زيـارتك طـول الاسبـوعـين الماضيين أرجو المعذرة يا عزيزتي ، فقد كنت في دوامة ظلت تلف بي طول هذه المدة حتى أصبت بدوار شديد كما ترين حالتي »

أمسكت اندرامايا بيد صديقتها تشوندرا وصارت تربت عليها وتهدىء خاطرها وتطلب م عما بها لعلها تستطيع مساعدتها

هدأت تشونـدرا قليلا ، ثم أكملت كيـف أبدأ حكايتي ؟ ومن أين ؟ سامحيني كنت غير متسلسلة أو غير متمـاسكة ، واستمعي لي حتى النهاية ، وسـوف أ شيء ، كل شيء

اعتدلت تشوندرا في جلستها بجا وتنهدت بحسرة ثم قالت · قبل مدة ج واستأجر غرفة في منزلنا لقد جاء إلى « عمل يستغرق أسبوعين لا تسأليني كي هـذا خلال أسبـوعـين فقط . كيف إ وأصف لك شخصيته ؟ كـان من المم ريحـا قويـة أو عاصفـة ، نعم ، كان اجتذب زوجي إليه فـأحبه واطمأن إ وصار الشـاب يزورنا في غرفتنا المجاو حتى أني قلت لزوجي ذات مرة · « ا

---

* بيسشوار براساد كويرالا ، كان من أبرز السياسيين في مملكة نيبال مدافعا عنيدا عن الحرية والد الهملايا وكان إلى جانب ذلك ، كاتب قصة ، وربما كان هذا من الأسباب التي أعانته على تحمل و لسنوات طويلة وهذه القصة كتبها في أيام محنته التي امتدت نحو ثمانية أعوام في سجن كاتمندو



ندخل حجرتنا بدون كلمة ؟ إنني أشعر بارتباك ، كما إنني لا أحب نظرة هذا الرجل نحوي ! »

لم يصغ روجي اليّ . وفي ذلك اليوم نفسه بدأت تجربتي المثيرة هذه !

كان بين غرفتنا وغرفة الشاب فاصل خشبي وفي تلك الليلة ، في العاشرة ، لم يستطع روجي النوم وكان هناك نور في غرفة الشاب ، فقام روجي إليه ليسمر معه قليلا ، ولأمر ما لا أدري ما هو وضعت اذني على الفاصل الخشبي في محاولة لمعرفة ما يتحدثان عنه . أرادا التدخين . فصاح روجي مناديني - من غرفة الشاب - لاحضر لهم علبة السجائر . ظن الشاب أنني ربما اكون نائمة فقال : « سأذهب وأحضرها بنفسي . »

امتلأت بالخوف ، لم يكن لدي الوقت لأتظاهر بأنني غارقة في النوم . ولما دخل الشاب وسأل « أين علبة السجاير ؟ » تناولتها من تحت الوسادة ومددتها نحوه بشيء من القلق

اه يا عزيزي ، لا ادري لماذا كانت يدي ترتجف . راها،وبدلا من أن يأخذ العلبة تناول يدي المرتجفة بين يديه . ما أغباني ! قلت له في الحال « ماهذا ؟ ما الذي تفعله ؟ ماذا لو رآنا ؟ »

بدا وكأن هذه الكلمة أثارته فقال مخترقا « من فضلك ، اعطني قبلة ! » ارتبكت ، وبجهد كبير قلت متوسلة « أرجوك اتركني ، أتوسل إليك . ليس الآن من فضلك . في وقت آخر » . كنت مضطرة لذلك حتى يتركني

وقف كتمثال لحظة من الزمن ثم ابتسم قائلا « لا بأس » وترك الغرفة

عاد إلى غرفته ، وأخذ هو وروجي في الحديث والتدخين . كنت أرتجف من البرد ، ولما عاد روجي إلي سألته « متى سيرحل ؟ »

أجاب روجي « لماذا تسألين ؟ »

قلت لروجي دون ان ابصّره بالعواقب « إنه يبدو شريرا »

سألني وقد أخذه الشك « كيف ؟ »

حاولت تهدئة الموقف ، بقدر الإمكان ، فقلت « ألا ترى انه يدخل غرفتنا ونحن معا بدون استئذان ، شيء مربك حقا ، كان هنا قبل لحظة ليأخذ علبة السجائر ! »

هدأت نفس روجي ، وقال : « أنت امرأة كثيرة الشك ! كل الذي يريده أن يكون قريبا منا فقط فأحدث أنت تشكين في سلوكه ! »

في اليوم التالي كنت نازلة على السلم الخشبي ، ومعي جرة صغيرة أريد احضار بعض الماء لروجي فوجدت الشاب صاعدا على السلم ، فاعترضني وقد مد كفّه نحوه ، وهو يقول : « والآن أريد قبلتي ، أم تعدينني بها القبلة الماضية ؟ » فأجبت بارتباك : هل تريد تعويضي بيبي ؟

تساءل مدهشا « تعويض بنتك ! » وأضاف « يتعوض بنتك مجرد قبله ، ماذا تقولين ؟ »

- « اسمح لي ، لقد تأخرت ، يجب أن أحضر الماء لروجي ، من فضلك ! »

- « لن يأخذ الأمر طويلا ، أليس كذلك ؟ إنها قبلة فقط »

- فجأة شعرت نحوه بكراهية شديدة وقلت له محذرة

- « أرجوك خل سبيلي ، أم تراك تريدني أن أصرخ ؟! »

بدا واضحا انه أصيب بدهشة كبيرة فقال مستفسرا

- « هل أنت غاضبة ؟ »

شعرت وكأنني قد سحقت . وسمعت نفسي أقول مهمهمة

- « ليس الآن ، في وقت آخر ! » ونزلت نحوه لوحه الحوض ، ياعزيزتي ، اعترف بأنه على الرغم من وقاحته ، لم يحاول إجباري ، فمجرد أن قلت « في وقت آخر » تركني أمضي في حال سبيلي

تخيلي يا عزيزتي لو أنه أجبرني على أخذ ما كان يرجوه مني بالاصرار ؟ وللحق ، مرة أخرى ، اعترف بأنني تأثرت بهذا الأسلوب من تصرفه لدرجة انني لا أستطيع وصفه اطلاقا بأنه شخص سيء .

بعد ذلك بيومين ، وبينما كان روجي خارج المنـ

لبعض شأنه ، كان جارنا الشاب يكتب في غرفته ، لا أدري ماذا كنت أفعل من ناحيتي ، أروح وأجيء بين غرفة نومنا والمطبخ ، مارة بغرفته التي تقع بينهما كان علي أن افعل ذلك مرات عديدة ، وأنت تعرفين يا عزيزتي كيف تكون حال المرأة وهي مشغولة في بيتها ، تلاقت أعيننا مصادفة ، فتوقف عن الكتابة حالا وسألني « هل انت جاهزة الآن ؟ »

لم أرد عليه ، عدت إلى حجرتي وألقيت بنفسي على الفراش ، شعرت بارتخاء مفاجيء في قوتي ، لم أدر لماذا أحسست بأنني أريد أن أكتب رسالة وبيد مرتجفة كتبت على قصاصة من الورق « سمعت بأنك ستغادرنا قريبا ، فلماذا تهتم بقبلة ، مجرد قبلة ؟ ثم ماذا هناك في القبلة ؟ »

قذفت بتلك القصاصة في غرفته ، ومع انه لم يكن هناك أي داع للنوم ، أغمضت عينيّ وبقيت مضطجعة في الفراش كان قلبي يخفق بسرعة ، وكان حلقي جافا

ثم فجأة تغيرت حالته تغيرا كاملا ، بقي في غرفته مع كتبه لم يتحرك . كان سلوكه مثيرا للسخط ، وليس للغضب فقط ، وصرخ قلبي في جوفي مجيبا « وأي حق له ؟ وكيف يجرؤ ؟ » لكنه ظل مشتغلا في كتبه ، مكبا عليها بشكل عجيب ، وبدون أن يتأثر بشيء مما حوله

مرة أو مرتين تجرأت على دخول غرفته ، كان يرفع عينيه عن الكتاب ، ينظر إليّ نظرة مبهمة ثم يعاود المطالعة ، لقد أغضبني سلوكه هذا كثيرا ، ملأني بالغيظ والاحتقار ، وكأنه يسعى إلى إذلالي

وذات يوم ، وجدته مشغولا كعادته في كتبه ودراسته ، دخلت عليه غرفته ، نظر إليّ بشرود كما لو كنت تمثالا جامدا ، وعاد إلى مطالعته ، انقضضت على الكتاب بين يديه ، اختطفته من فوق الطاولة ، ورحت أمزقه وأرميه قصاصات ، دهش للأمر وأخذ يردد « ما الذي تفعلين ؟ ما الذي تفعلين ؟ »

كنت أمزق الكتاب وأنا ابكي وأقول « خذ هذا ، وهذا ، وهذا ، أيها الشرير ، الوغد ، المخادع المحتال »

وعدت إلى غرفتي ، وأخذت أبكي وأبكي ، وأقذف باللعنات لأصبها عليه من فوق الفاصل الخشبي ، لقد بكيت كثيرا ، كثيرا جدا حتى شعرت بأنني أحدثت أنهارا ، وأنني لا أقدر على التنفس

دخل إلى غرفتي ، نظر إلي مندهشا وهو يقول « ما الذي حدث لك ؟ أخبريني ، أرجوك »

وبكل ما بقي لدي من قوة صرخت في وجهه مشيرة بإصبعي إلى الباب « اخرج من هنا » أدار ظهره وترك الغرفة ، وعدت أبكي بمرارة لوقت طويل ، طويل جدا

عندما عاد روحي للبيت في ذلك اليوم سألته « متى سيغادر هذا الشاب الغرفة بجوارنا ؟ أرجوك ، اطلب منه أن يترك المنزل »

سألني روحي إن كان قد أساء التصرف معي ، ولكن ماذا عساي أن اقول له يا عزيزتي اندرامايا ؟ أجبته ببساطة « إنك تطيل البقاء خارج المنزل ، فأشعر بالحرج وأن فيه مع رجل غريب ! »

في تلك الليلة شعرت بحب جارف نحو روحي ، بحب دافيء جديد ، غمر جوانحي وحواسي ، لم أشعر بمثله من قبل ، كانت تجربة عجيبة ، معجزة ، أحسست بعدها بسعادة تامة

وحتى أكون صادقة معك ، ياعزيزتي ، أقول بأن حبي لروحي قد بدأ فعلا في تلك الليلة . أما من ناحية الشاب ، فأنا لا اشعر بأي كراهية الآن نحوه ، وبصراحة فإنني شاكرة له . لقد غادرنا هذا اليوم ، وطول الوقت وأنا قلقة مرتبكة ، روحي في الخارج ، وفي قلبي فراغ كبير

إنني محتارة جدا الآن يا عزيزتي ، وهناك سؤال يدور في خاطري : كيف أصف ذلك الشاب الغريب ؟ هل كان حسنا أم سيئا ؟ إنه لغز كبير . وهذا ما يقلقني ! ؟

هنا توقفت نشوندرا كوماري عن الحديث ونظرت مستطلعة الى وجه صديقتها اندرامايا التي كانت تنصت لها بدهشة وتعجب ، وفي خاطرها كذلك سؤال يتردد « حسن ، ولماذا بعد كل ما حدث ، لا تزال نشوندرا قلقة ؟ » □



أبو جعل..
خنفساء عُبِدَتْ !

بقلم : الدكتورة وسمية الحوطي

لم تحظ حشرة باهتمام الانسان مثل حشرة الخنفساء ، فقد استخدمها في أساطيره ودياناته القديمة ، والمصريون القدماء ألهوا أبو جعل (الجعران) وعبدوه ، وبعض الشعوب تتفاءل بالخنفساء كمجلبة للحظ السعيد .

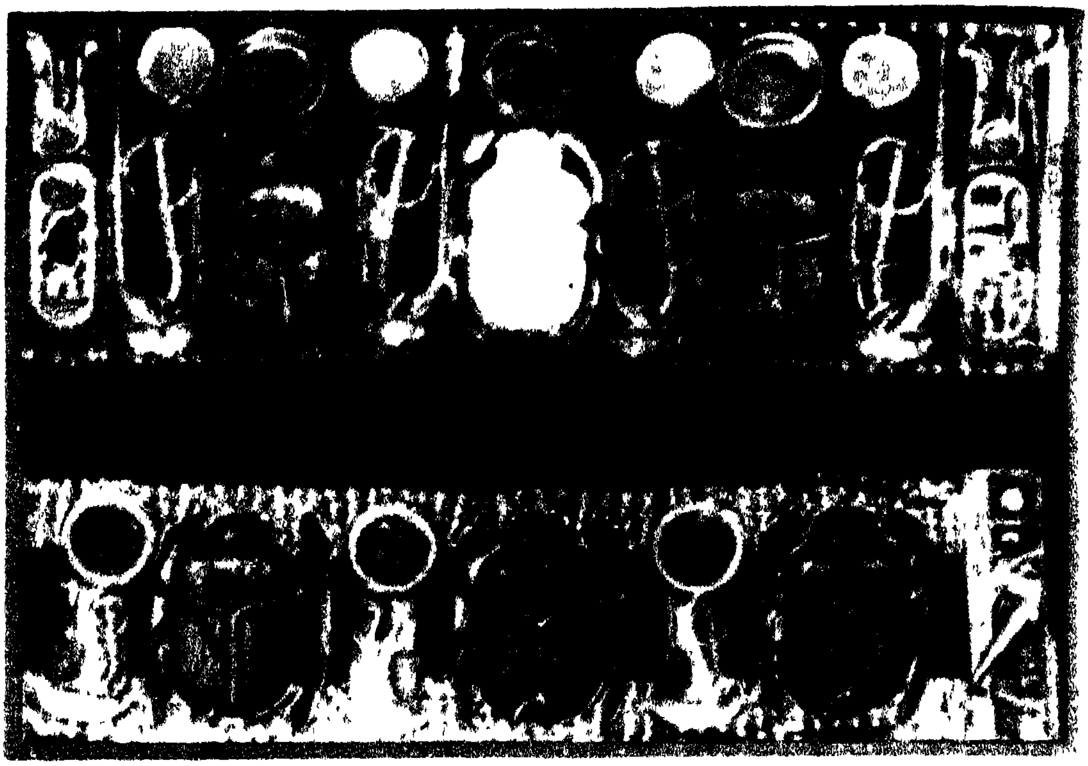
قال شارلز داروين

« كلما سمعت باصطياد خنفساء شعرت بدنو الحرب وتناهى الى مسمعي صوت هرولة الفرسان على حيولهم ، استجابة لصوت البوق الذي يعلن بدء المعركة »

تعتبر الخنافس من أكثر فصائل الحشرات عددا ، فهي تفوق الفراشات والنمل والنحل والذباب ، فهناك حوالي ٣٠٠,٠٠٠ نوع من الخنافس في مقابل ٤,٥٠٠ نوع من الثدييات التي ينتسب اليها الانسان وسبب شيوع الخنافس تواجدها في جميع أنواع البيئات مثل الغابات والحقول والصحارى والكهوف والبيئات المائية العذبة والمالحة والبحرية وكذلك تناولها لأنواع مختلفة من الغذاء ، فمنها النباتية والحيوانية والمتطفلة والمفترسة

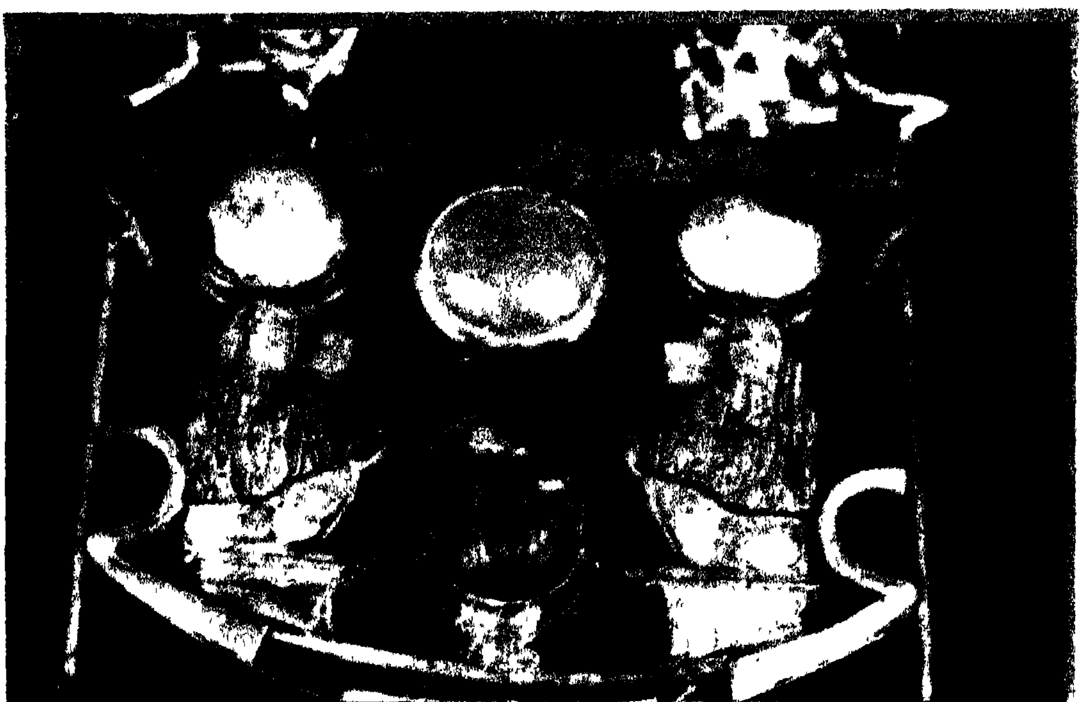
الخنافس والأسطورة

عرف الانسان الخنافس منذ قديم الأزل ، وارتبطت بمخيلته عن طريقين ، أولهما مباشر وهو



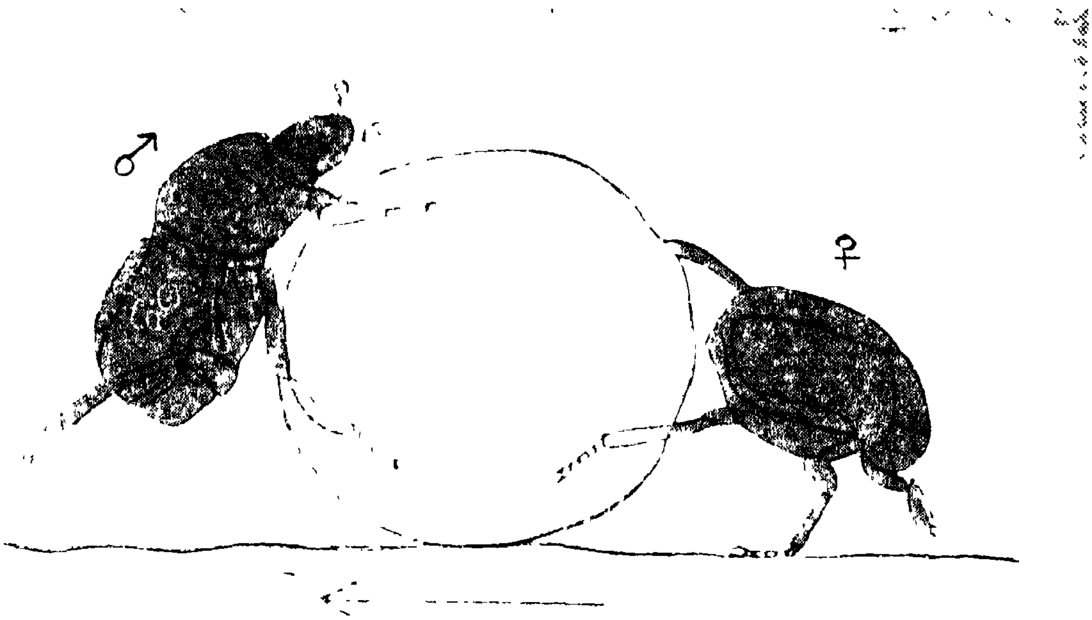
● أساور من الذهب من احد القبور الفرعونية ، مرسوم على الأساور خنفساء الروث والشمس بين يديها ، ومحاطة بالثعابين من الجانبين

صورة (١)



● بعض الكنوز الذهبية التي وجدت في قبر توت عنخ آمون ، وتظهر فيها خنفساء الروث مع حيوانات أخرى مثل البابون (نوع من القردة).

صورة (٢)



● ذكر وانثى خنفساء السكراب يتعاونان على دحرجة كرة الروث . لاحظ الانثى عن اليمين تدفع والذكر على الشمال يتعلق

تأثيرها كآفات زراعية تأكل غذائه . وبعث فساد في أثاثه وسجاده واستخداماتها في مجالات الطب الشعبي كمراهم لازالة كثير من الاعتلالات الجسدية والأمراض الجلدية كالبثور .

وثانيهما غير مباشر وذلك من خلال الفولكلور والأساطير القديمة التي دخلت الخنفساء في مكوناتها . ولعل أساطير مصر القديمة الفرعونية منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد خير نموذج لذلك . فقد اهتم فراعنة مصر بخنفساء السكراب (أبو جعل) حيث رأوها تمثل نسخة مصغرة جدا للحياة حولهم ، لقد علموا ان خنفساء السكراب تدحرج أمامها كرة كبيرة من الروث تدفعها تحت الأرض ، وبعد ذلك ، وفي كل سنة تظهر خنافس كثيرة في العدد تمشي على الأرض وتشبه الأم التي دفنت تحتها الروث ، ولقد رأى الفراعنة اله الشمس « خبري » على هيئة خنفساء السكراب الكبيرة يدحرج الشمس بين يديه في طبقات السماء العليا أثناء حلول الليل ، ثم يعيد دحرجتها مرة ثانية حتى تشرق في صباح اليوم التالي ، فخنفساء الروث لديهم دلالة على اعادة الحياة والخلود بعد الموت ، لذلك وضعت منحوتات على شكل تلك الخنفساء في مقابر السلالات الفرعونية لضمان حفظ أرواحهم بعد الموت كما استخدمت خنفساء الروث كرمز في الكتابة الهيروغليفية (اللغة المصرية القديمة) لتعني لديهم « يصبح » « يمثل » وجدت نسخة من تلك الكتابة على قبر اخناتون وتعني كما هو ظاهر في الرسم المصاحب للمقطع (يصبح - شمس - جميل) كما استعملت خنافس السكراب في عمل الأساور الذهبية في عهد الفراعنة . وقد وجدت كثير من هذه الكور في مقبرة توت عنخ آمون كما هو واضح في الصورة رقم (١ ، ٢)

كما يؤمن الجنود الرومان ايمانا راسخا بمقدرة تلك الخنافس على حمايتهم أثناء الحروب ، لذلك يلبسونها كتعويذات قبل البدء في أي معركة حربية ، كما تأخذ الخنافس مكانة مرموقة في أساطير أمريكا اللاتينية . حيث تعتقد احدى قبائل جنوب أمريكا بأن هناك خنفساء خلقت العالم بأرضه وسماءه ، وخلقت الرجال والنساء من حبات جمعتها من تربة الأرض وفي أوروبا العصور الوسطى ، دخلت الخنافس الفولكلور الشعبي ، حيث يرى بعض الأوروبيين

أن خنافس شبيهة بخنافس السكراب تجلب الشقاء وسوء الطالع،وبمجرد قتل تلك الخنفساء تحل العواصف والأعاصير التي تدمر الأرض وماعليها . ولكن يمكن للفلاح أن ينقذ نفسه وبيته ومحصوله من تلك العواصف بمجرد أن يقوم بمساعدة خنفساء تجثو على ظهرها بضعف في مزرعته . ويعتقد الأيرلنديون بأن الخنافس يمكن أن تقتل بمجرد النظر . أو أن تكون سببا لحلول النقمة بمجرد رفع ذيلها . وبعض الخنافس لديهم تسبب الحرائق التي تأتي على اليابس والاخضر . لأنها تطير على سقف المنزل حاملة بين فكيها قطعة من الفحم المشتعل ترميها على ذلك المنزل . ليحترق بمن فيه . لذلك يستعملوا رأس وفكوك هذه الخنافس كتعويذة تجلب الحظ السعيد في البيت ولاتزال هذه القلائد تباع في اسطنبول الى وقتنا الحاضر ، وفي استراليا والمانيا الغربية والسويد يرى الخنافس كساحرات ومربيات للشياطين

مجلبة للحظ السعيد

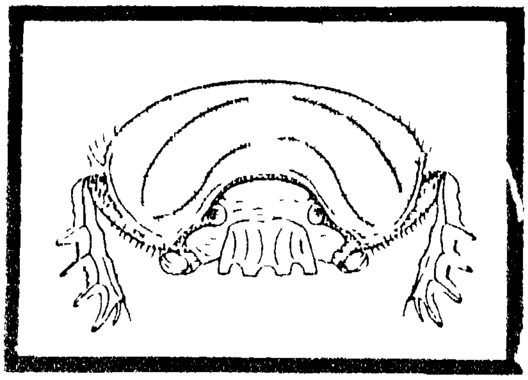
وليس كل الخنافس لها سمعة شريرة . فهناك بعض الخنافس التي تجلب الحظ السعيد وتكون مصاحبة للسيدة العذراء عند المسيحيين وليس للشيطان مثل خنفساء الدعسوقة . وهي خنفساء صغيرة مستديرة برتقالية اللون مرقطة الجناحين باللون الأسود احيانا . تقول الأم الانجليزية عندما تضع طفلها في المهد لينام ، « يادعسوقه يادعسوقه طيري الى بيتك يادعسوقة ان بيتك مصطرمة فيه النار وأولادك ستحترق يادعسوقه » ومنشأ هذه الاغنية أن الفلاح الانجليزي يحرق محصوله بعد الحصاد وتكون الدعسوقة ويرقاتها (اولادها) مازالوا على تلك المحاصيل يتفاءل الناس بالدعسوقة خصوصا عندما تحط عليهم ، وتسمى في بعض المناطق بخنفساء الرب ، وفي ايطاليا براعية الرب ، وفي الهند براعية آندرا،والتسميتان الأخريتان تبينان مدى العلاقة بين الدعسوقة وحشرة المن ، فحشرة المن هي التي وفرت لبني اسرائيل وهم في التيه ـ كما ورد في سورة البقرة آية ٥٧ ـ الندوة العسلية وهي مادة سكرية تفرزها حشرة المن على الاشجار ، وعندما تكثر حشرات المن تكثر معها الدعسوقة لأن الأخيرة تفترس الأولى . فكأن الخراف ترعى الكلأ والعشب . والدعسوقة ترى المن وتتغذى عليه والمن من الرب كما ورد في الآيات

خنفسة الجبون وحصن الداء

وفي الكويت . هناك انواع مختلفة من الخنافس منها « الجبوب » وهي خنافس سوداء ذات رجل طويلة براها تجري في الصحراء بسرعة كبيرة . وكان اولاد الكويت قديما يصطادونها وكل واحد منهم يصبغ جبوبه بلون معين ثم يصنعون خط على الأرض تقف عنده الخنافس،ويبدأ السباق بينهم والذي يفوز جبوبه يأخذ الجائزة وفي الكويت أيضا « حصين الدباب » وهي الخنفساء الكبيرة السوداء المنقطة بالأبيض وتسمى في بعض الأحيان بخنفساء الدوميو . كما توجد « ام ريد » وهي حشرة سوداء لها خطوط بيضاء كان الأطفال يغنون لها « أم ريد فتحي جناحك » ويمسونها فتطير بعد أن تخرج جناحها الأبيض . والأم الكويتية عندما تريد لطفلها ان ينام تقص عليه قصة الخنفساء الجميلة التي زارت المدينة . وخطبها كثير من الخطاب الذين كانت تردهم بدلال،وتقول القصة « خنفسه خنفسه شنوا حالك على درب المدينة بنحسنا » فرد الخنفساء « انا الشمعة وانا الدمعة وانا سراج البيت ليلة الجمعة »

يسمي الكويتيون الخنفساء بالخيفسنة وهو تصغير لاسم الخنفساء . ويعتقد الكويتيون ان من يلمس الخنفساء يشم رائحة كريهة تنبعث منها . ولذلك فهم لا يلمسونها ويبعدونها عن مجالسهم . ويلتقطونها بالملقط او بالعصا . اما منشأ أنها الشمعة التي تضيء البيت ليلة الجمعة فلأن العلماء أثبتوا أن كثيرا من الخنافس الليلية تضيء اثناء الليل . وهذه طريقة للتخاطب والتفاهم بين تلك الخنافس.

ويستعمل الكويتيون يرقات الخنافس لصيد الطيور ، وتسمى « الفيي » والجمع « غبابي » وتوضع في الفخاخ حية ليراها الطير تتحرك فينقض عليها وتطبق عليه المصيدة حينئذ



● رأس خنفساء السكراب من الأمام لتوضيح الرأس والأرجل المسننة



● الحفر التي تحفرها خنافس السكراب لدفن البيض في الروث الذي تجمعه (البيض باللون الأسود والروث باللون المنقط)

خنفساء أبو جعل

كما أسلفنا من قبل ، فخنفساء أبو جعل تقوم بتكوير الروث أو براز الانسان ثم تدفنه في أنفاق تعدها تحت الارض لتكون سمادا طبيعيا فيما بعد

والاسم الشائع لخنفساء أبو جعل هو خنفساء السكراب التي تشتهر بجمع السكراب أو الروث وهي البقايا على شكل كرة تقوم بدحرجتها لمسافات قد تطول لتدفنها في الأرض وتتغذى عليها اليرقات عندما تفقس من البيض .

عندما تصل الخنفساء الى روث الحيوانات تأخذ منه غرفة بمساعدة رأسها وأرجلها الامامية المسننة ثم تكور الروث بأرجلها الوسطى والخلفية على هيئة كرة قد تصل في حجمها الى حجم التفاحة وهي تقوم بتكويره على هذا الشكل حتى تسهل دحرجته لمسافات طويلة لتدفنه في الحفرة التي تقوم بحفرها تحت الارض ، واذا كانت الحفرة غير بعيدة عن الروث فلا تحمله على شكل كرة ، ولكنها تحمله على دفعات صغيرة

عندما تنتهي الأنثى من تكوير الروث تقوم بحمله بين الارجل الخلفية مع رأسها الى أسفل ، فحركة الأرجل الخلفية تدحرج الروث أما الأرجل الامامية فتستعمل للمشي ، وعندما تكون الأرض غير مستوية تكون عملية المشي كسباق الماراثون من حيث الجهد الذي تبذله الحشرة وفي بعض الحالات تتعاون حشرتان في هذا العمل كما في الصورة ، وتكون الخنفساء الثانية منجذبة لرائحة الروث الذي جلبته الاولى وقد تكون الخنفساء الثانية هي الذكر الذي قد يساعد الانثى في حمل ودحرجة الروث بالارجل الخلفية ، أما الذكر فيكون رأسه الى الأعلى ويدحرج الروث بأرجله الامامية ، وفي هذه الحالة قد تتدحرج كرة الروث في حلقة مستديرة وليس للأمام . وقد لاتساعد الخنفساء الثانية ولكن تؤخذ الدحرجة أو المساعدة كفرصة للعب حيث تقفز الى الأعلى وتكون عبئا اضافيا على الخنفساء الأولى

وعندما يصل الروث الى الحفرة ـ التي عادة ماتكون في مكان ظليل ـ تكمن فيه خنفساء الروث بعد غلق الباب عليه ، ويتعاون أحيانا الذكر والانثى من أبو جعل بعمل تلك الحفرة ، فتحفر الانثى خندقا بعمق ١٨ بوصة ـ ٢ قدم وتخصص غرفا خاصة لتربية البيض ، ويقوم الذكر بمناولة الروث للأنثى التي تقوم بدورها بعجنه وتقطيعه على شكل كتل صغيرة الحجم على شكل النقانق تضعها في غرف التربية ، وتضع كل قطعة في حجرة مستقلة ثم تقوم بوضع بيضة واحدة مع كل قطعة ، ثم تغطي البيض بالروث ويبقى الأبوان مع البيض حتى يفقس الى يرقات ، ويكون دورهما حينئذ مقتصرا على اصلاح ما يتعرض للتلف في حفرتهم ومنع ظهور الفطر على الروث بتنظيفه □

وجهاً لوجه





د. علي الوردي ⊝ د. جليل العطية

■ للأعراف الشعبيّة سطوة على العقول!

■ "الطبيعة البشريّة" من أعقد الموضوعات وأصعبها!

■ العقل البشري .. عقل متحيز!

■ الانسان - بوجهٍ عامٍ - "أنَوِيٌّ" وليس أنانيًّا.

■ دعوة الى الغاء ثلاثة أرباع النحو العربي!!

الدكتور علي الوردي مفكر وعالم اجتماع بارز ، بدأ نشاطه الفكري منذ بواكير الثلاثينيات ، ولايزال حتى اليوم يواصل الابداع والتبشير بطرياته التي تعتمد على تحليل بنية المجتمع العربي عامة والعراقي خاصة ، تقوم فلسفته على التبسيط والموضوعية ، فقد أولع مند صغره بعلم النفس الاجتماعي ، وهو يرى أن علم الاجتماع مازال عاجزا عن فهم طبيعة الانسان على حقيقتها .

تثير كتابات الوردي جدلاً واسعاً في الأوساط الثقافية والاجتماعية ، وقد صدر له تسعة مؤلفات أهمها « لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث » ويقع في ثمانية أجزاء ولم يتم بعد ، وقد وجدت هذه الكتب رواجاً شعبياً كبيراً ، وترجم بعضها الى الألمانية والانجليزية والاسبانية والفارسية والبولونية وغيرها .

هو شخصية مثيرة للجدل . يكفي أن نشير الى صدور اثني عشر كتاباً في الرد على آرائه وتحليلاته ، وهذا أمر نادر !

تذكرك شخصيته المتواضعة وتألقه وروحه الشابة بأبي حيان التوحيدي وغيره ممن عاشوا في أزهى عصور الحضارة العربية !

وهو يحمل على كتفيه اليوم هموم خمسة وسبعين عاماً ، وقد أدار هذا الحوار معه الدكتور خليل العطية

- مند نحو عشر سنوت وأنت غائب عن المسرح الفكري . وقد قيل لكثير عن أسباب هذا الغياب . وعلمت أخيراً أنك عاكف مند أمد بعيد على تأليف كتاب جديد يتناول « طبيعة البشر » ولمعرفتي بهمك وصبرك على التأليف ، فإني استغرب أن يتأخر كتابك الجديد ، الذي يتشوق له كثير من قرائك والمعجبين بك فهل لك أن تبين لنا أسباب هذ التأخر ؟

* لا أكتمك أني أعمل في تأليف هذا الكتاب منذ أكثر من خمس سنوات ، هناك سببان لتأخير صدوره ، أولهما كبر سني وضعف صحتي . بحيث أصبحت لا أقوى على العمل أكثر من ساعة أو ساعتين في اليوم ، أما السبب الثاني فهو صعوبة موضوعه ، ولا يخفى عليك أن طبيعة البشر هي من أصعب المواضيع النفسية والاجتماعية ، إن لم تكن أصعبها جميعا ، فهي موضوع متشعب ومعقد الى أبعد الحدود . والواقع أني كلما توغلت في دراسته شعرت بأني لا أزال في أول الطريق ، وكلما بحثت في جانب منه ظهرت أمامي جوانب أخرى تحتاج الى بحث

ظهرت في موضوع الطبيعة البشرية نظريات متعددة ، كما نشرت فيه دراسات لا تحصى . وأعترف لك أني أشعر بالعجز تجاه تلك النظريات والدراسات ، فهي في غاية الصعوبة ، بل من المستحيل استيعابها كلها ، أضف الى ذلك أنها قد تتعارض وتتناقض ، ولهذا يقف الباحث حائرا لا يدري ماذا يأخذ منها وماذا يترك

كذلك يجب أن لا ننسى أن العلوم التي تبحث في الطبيعة البشرية ، كعلم النفس وعلم الاجتماع ، هي من العلوم الحديثة جداً ، فهي لم تأخذ بالمنهج العلمي إلا منذ قرن واحد أو أكثر قليلاً ، ويمكن القول إن هذه العلوم مازالت تحت التأسيس ، وذلك لما فيها من نظريات ودراسات مختلفة أو متعارضة

حاولت قدر جهدي أن أدرس النظريات المختلفة في هذا الموضوع ، ولكن طاقتي محدودة ، كما أن اتصالي بالأوساط العلمية في الخارج محدود كذلك

إن الذي دفعني الى الاستمرار في دراسة الطبيعة البشرية هو ما انتشر بيننا من مفاهيم مغلوطة حول هذه الطبيعة ، وهي المفاهيم التي ورثناها

الماضي ، وأضرت بنا كثيرا من الناحية النفسية والاجتماعية ، ولا يزال الكثيرون منا ـ من المثقفين والعوام ـ يتداولون هذه المفاهيم ويتأثرون بها في علاقاتهم الاجتماعية ، دون أن يدركوا مبلغ الخطأ فيها أو فداحة الضرر الناتج عنها .

نماذج من الأخطاء

ـ هل لك أن تقدم لنا نماذج من تلك المفاهيم المغلوطة والضارة وأنت تعلم بأن جيلنا يعيش ظروفا مختلفة ، وبالتالي فإنه يعيش بعقلية أخرى وقيم مختلفة ، فما رأيك ؟

* لا يتسع المجال هنا لتعداد تلك المفاهيم ، وقد يكفي أن أذكر اثنين منها على سبيل المثال

أحد هذين المفهومين هو الذي نسميه « العقلانية » ونعني به اعتبار الانسان حيوانا عاقلاً ، وأنه يجري في تفكيره وسلوكه حسبما يقضي العقل الواعي والمنطق السليم

فإذا أردنا اقناع انسان بتبديل رأي له أو عقيدة ، فليس علينا إلا أن نقدم له الدليل العقلي الواضح الذي سيقتنع به حالا فيغير رأيه أو عقيدته ! أما إذا لم يفعل ذلك فهو لابد أن يكون متعصباً أو معانداً أو مغرضاً ، وهو في هذه الحالة يستحق العقاب أو التوبيخ .

أما المفهوم الثاني ، فهو الذي يتمثل في المبدأ القائل « من جد وجد » ومعناه أن كل انسان قادر على أن يصل الى ما يطمح إليه من نجاح أو عظمة ، بمجرد أن يبذل الجهد ويسعى ويناضل ، فالطريق مفتوح أمامه حسبما جاءت به الأمثال المأثورة نحو « كل من سار على الدرب وصل » و « كل من جال نال » و « من طلب العلا سهر الليالي » و « وهمم الرجال تزعزع الجبال » وغيرها .

العقل البشري متحيز

ـ اسمح لي أن أخالفك في هذين المفهومين : فالعقلانية هي السمة التي تميز الانسان الواعي ، أما مبدأ « من جد وجد » فهو يعني أن على الفرد ـ خاصة الذي ينحدر من الطبقة العاملة أو المحدودة الدخل ـ أن يعمل لكي يتبوأ مكانته في المجتمع ، ولدينا شواهد كثيرة تؤكد أن أبناء فقراء تسلقوا أعلى مراتب المجد والسلطة . .

* إن النظرة الحديثة تعتبر العقل البشري أنه متحيز ومحدود بطبيعته ، وهذه النظرة على النقيض من النظرة الفلسفية القديمة التي كانت تثق بالعقل ثقة مطلقة وتبالغ في تمجيده وتقديره .

نحن لا ننكر أن العقل جهاز عظيم ، وهبه الله للإنسان وهو أهم ما يميزه عن الحيوان ، ولكننا إذ نعترف بذلك يجب أن لا ننسى أن العقل له حدود يقف عندها ، فهو عظيم في نطاق تلك الحدود ، وهو عاجز مشلول اذا خرج منها .

انتشرت بيننا أقاويل عديدة حول العقل وتمجيده ، وهي أقاويل ورثناها من الماضي ، وقد اتسع نطاق تداولها حتى وصلت الى العوام ، فأنت لا تكاد تتحدث الى أحد من العامة حتى تراه يشير الى مخه ويقول . « الله بأي شيء عرفناه ؟ بالعقل » ! أو يقول « الله أعطانا عقلا لكي نميز به الأمور ، أو ما يشبه ذلك »

إن هذا الإنسان البسيط لا يدري أنه عرف الله لأنه نشأ في بيئة اجتماعية تعبد الله ، سبحانه وتعالى ، ولو أنه كان قد نشأ في بيئة تعبد الأوثان لعبدها مثل غيره من أبناء بيئته ، وهذا لا يصدق على العوام فقط بل يصدق على كثير من المثقفين أيضاً !

إن الإنسان حين يفكر يتصور أنه يجري في تفكيره حسبما يقضي به المنطق السليم ، وأنه حر مختار في تفكيره لا تأثير لأي مؤثر آخر عليه ، فهو لا يدري أن هناك عوامل لا شعورية متعددة تلعب دورها في تفكيره

إذا تجادل اثنان حول رأي من الآراء ، فمن النادر أن ينتهي الجدال بينهما الى اتفاق ، فالدليل الذي هو قوي واضح في نظر أحدهما قد يكون واهيا أو غامضا أو غير معقول في نظر الآخر ، فكل منهما ينظر في

الأمور من خلال الإطار الذي وضعته العوامل اللاشعورية حول تفكيره ، فأنت تقول عن دليلك الواضح أنه كالشمس في رابعة النهار ، ولكنك لا تدري أن خصمك قد يكون أعمى أو هو في غرفة مظلمة ، أو أن إطاره الفكري جعله ينظر نحو جهة ليس فيها شمس ، وفي مصداق ما ورد في القرآن في قوله تعالى : « إنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور » أو قوله تعالى : « أكثرهم لا يعقلون » . المائدة (١٠٣)

علينا أن نضع ذلك أمام أعيننا عندما نريد أن نتعامل مع الناس ، أو نحاول اقناعهم برأي من الآراء فإن الذي يتعامل مع الناس بوصفهم عقلاء كثيراً ما يفشل في حياته ، وهو عند فشله قد يلوم الناس على ما فعلوه به ، ولكنه أجدر باللوم منهم

التراث

ـ أنت تقول أن هناك عوامل لا شعورية تؤثر في تفكير الإنسان من حيث لا يدري بها ، فما هي هذه العوامل ، وكيف يؤثر كل واحد منها في التفكير البشري ؟

* العوامل اللاشعورية المؤثرة في تفكير الإنسان متعددة أذكر أهمها :

التراثية ، وأعني بها ما يدل عليه مصطلح (Culture) المعروف في علم الاجتماع ، أي مجموعة المعتقدات والقيم والتقاليد والأعراف والتقنيات والحرف الموجودة في مجتمع معين التي يتميز بها كل مجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى ، فلكل مجتمع تراثه الخاص به ، كما أن لكل فرد شخصيته الخاصة به ، فالإنسان ينشأ منذ طفولته الباكرة في تراث معين ، واذا ظل في كبره قابعا فيه ، فإن تفكيره يكون مصبوبا في قوالبه التقليدية ، فالقبيح قد يكون في نظره حسنا ، والحسن قبيحا تبعا لتراثه وقيمه التي نشأ فيها ، فنحن قد نرى في بعض المجتمعات معتقدات أو تقاليد مستهجنة في نظرنا أو غير معقولة ، ولكنها صالحة ومعقولة في نظر الذين نشأوا فيها .

يقول العالم الاجتماعي سمنر في كتابه « الأعراف الشعبية » إن الأعراف الشعبية تستطيع أن تجعل أي شيء حسناً وأي شيء قبيحاً ، وهذا هو أحد النواميس الاجتماعية التي يجب أن يعرفها كل من يريد معاشرة الناس والتعامل معهم .

يروى عن الاسكيمو الذين يسكنون بالقرب من القطب الشمالي أن من تقاليدهم التراثية أن الضيف الذي ينزل في بيت أحدهم يجب أن ينام مع زوجة المضيف في فراش واحد !

إن هذه عادة اجتماعية نشأ عليها الفرد من هؤلاء القوم ، فلا يجد فيها منقصة أو عاراً ، ولكنها في نظر البدوي أمر لا يمكن تصديقه ، فالبدوي كما هو معروف من أكثر الناس إهتماماً بعفة المرأة وصيانتها ، وقد اعتاد أن يقتل المرأة التي تحوم الشبهة حول سلوكها ، وهو لذلك لا يستطيع أن يصدق ما يقال له عن تقاليد الاسكيمو حول المرأة ، إنه لا يدري أنه لو كان قد تربى وفق تراث الاسكيمو لغضب من الضيف الذي يرفض النوم مع زوجته !

المصلحة الخاصة . . والعاطفة

الانسان اذا كانت لديه مصلحة خاصة في أمر من الأمور أصبح عقله متحيزا نحو ذلك الأمر من حيث يدري أو لا يدري ، وهذا هو ما نلاحظه واضحا في قاعات المحاكم ، فالشخص الذي لديه قضية معروضة أمام احدى المحاكم يكون تفكيره منصبا على نجاح تلك القضية ، وهو يأتي في سبيل ذلك بمختلف الأدلة والبراهين التي تؤيد دعواه ، فإذا أصدر القاضي حكمه في مصلحة صاحب القضية صار في نظره أعظم القضاة في الدنيا وأكثرهم عدلا ونزاهة ! أما إذا أصدر القاضي حكمه بخلاف ذلك فإنه ينقلب حالا الى أسوأ قاضي .

ومن الممكن أن نقول عن العاطفة مثلما قلناه عن المصلحة الخاصة من حيث تأثيرها في تفكير الإنسان ، وكثيرا ما تتوحد المصلحة والعاطفة في الإنسان فتجعله يرى الأبيض أسود ، والأسود أبيض ، فالإنسان يحب الذي يساعده في أمر من الأمور أو يحسن اليه ، ولكنه لا يكاد يراه قد نافسه في

المهنة أو المكانة الاجتماعية حتى يبدل نظرته اليه من الحب الى الكراهية ، وعندها تتحول محاسنه الى مساوىء بعدما كانت عيوبه قد تحولت الى محاسن ، يقول الامام الشافعي في بيت له من الشعر مشهور .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

التجارب المنسية والأنوية

قد تمر بالإنسان تجربة مؤلمة أو سارة تجاه أمر من الأمور ، ثم ينسى الحادثة ، ولكن ذكراها تبقى كامنة في لاشعوره ، فإذا رأى شخصا أو شيئا يذكره بتلك الحادثة شعر بالبغض أو الحب له ، وكثيرا ما يؤثر ذلك على تفكير الإنسان تجاه الآراء أو المبادىء أو الاتجاهات الثقافية أو السياسية

أما الأنوية فهي شعور الإنسان بذاته - أي بالأنا - تجاه الآخرين ، فالأنا محور الشخصية البشرية ، وكل إنسان يسعى دائما نحو رفع مكانة « الأنا » في نظر مجتمعه ، وهو قد يدوس في بعض الأحيان على مصلحته أو عاطفته من أجل الأنا ، وأنت تستطيع أن تجعل منه صديقا مخلصا إذا أجزلت له الاحترام والمديح ، كما تستطيع أن تجعل منه عدوا لدودا إذا احتقرته أو أهنته

وللمعرفة دور مهم ، فالإنسان يكذب الأمور أو يصدق بها حسبما تملي عليه معلوماته التي يملكها تجاه تلك الأمور ، خذ - مثلا - الأمي الذي يعيش في قرية بدائية منعزلة ، فهو يرى الأرض مسطحة ، والشمس تدور حولها ، ومن المستحيل أن تقنعه بخلاف ذلك ، وهو قد يعدك مجنونا أو جاهلا لأنك في نظره تنكر بديهية من البديهيات العقلية التي لا يجوز الشك فيها ، وهذا لا ينطبق على الأمي البدائي فقط ، بل هو يشمل أيضا البشر جميعا حتى العلماء منهم إذا نظرنا الى الأمر نظرة نسبية فكثيرا ما وجدنا العلماء في القرن الماضي يعتبرون بعض الأمور مستحيلة . ثم أصبحت في هذا القرن ممكنة .

الذكاء . . . والجنون

الذكاء على درجات متفاوتة في الأفراد - كما هو معروف - فهناك المتفوقون في ذكائهم ، والمتخلفون فيه ، والمتوسطون ، ولا حاجة بنا الى القول أن الذكي يفهم الأمور بشكل يختلف فيه عن الغبي

وكثيرا ما يشعر المتفوق في ذكائه بأنه غريب بين الناس ، أو أنه غير قادر على إقناع غيره بصواب رأي من الآراء ، وهو قد يجلب نقمة الناس عليه لاختلافه عنهم في التفكير ، وهم قد يحتقرونه أو ينبذونه .

وما يقال عن درجات الذكاء يقال عن درجات الجنون ، فالناس كلهم مجانين ! إنما هم يتفاوتون فيما بينهم في درجة جنونهم ، فليس في البشر عاقل كل العقل ، أو مجنون كل الجنون ، وأكثر الناس لديهم من الجنون درجة ضعيفة ، وفي مقدورهم ترويضها والسيطرة عليها

أما الذين نسميهم « مجانين » فهم الذين بلغ بهم الجنون درجة قوية بحيث لا يستطيعون السيطرة عليها ، وهذا يؤدي بنا الى القول إن الكثيرين من الذين نحسبهم عقلاء هم ليسوا عقلاء تماما ، فكل واحد منهم لابد أن يكون في عقله شيء من الخلل الذي يجعله يفهم الأمور بخلاف ما يفهمه الآخرون قليلا أو كثيرا

يجب أن نضع هذه العوامل أمام بصرنا عندما نريد التعامل مع الناس أو مجادلتهم

فأنت حين تريد أن تقنع شخصا بصحة رأي من الآراء لا يكفي أن تقدم له الدليل العقلي في ذلك ، بل يجب أن تتسلل الى تفكيره عن طريق هذه العوامل ، بعضها أو كلها ، ومعنى هذا أنك يجب أن تتسلل اليه عن طريق تراثه أو مصلحته أو عاطفته وأنويته أو غيرها ، فالدليل لا يكون مقنعا إلا إذا كان منسجما معها على وجه من الوجوه . ويجب أن لا ننسى أن هذه العوامل قد تكون متعارضة في بعض الأفراد ، وليست هي في تناسق دائم ، وهذه ثغرة يمكن التسلل منها الى داخل تفكير الإنسان .

الأنوية والأنا !

- لاحظ أنك تكثر في بعض دراساتك وأحاديثك من ذكر « الأنوية » ، وهذا المصطلح غير معروف في الوطن العربي ، فهل جاءت تسميته من « الأنا » ؟ نعرف أن

النظرية الحديثة لدراسة طبيعة الانسان تذهب الى اعتبار « الأنا » محور الشخصية البشرية .. في هذه الحالة كيف تحلل الفرق بين « الأنا » و « والأنانية » ؟ !

* « الأنوية » « كالأنانية » منسوبة الى الأنا ، ولكن هناك فرقا بينهما في المعنى ، فالمعنى المتداول بين الناس عن الأنانية هو أنها هي التي تجعل الإنسان يهتم بمصلحته ، ولا يهتم بمصلحة الآخرين ، أما « الأنوية » فهي تعطي معنى آخر ، اذ هي تعني شعور الإنسان بذاته ـ أي الأنا ـ تجاه الآخرين ، وهذا الشعور يجعل الإنسان في دأب متواصل نحو رفع مكانة الأنا في نظر المجتمع

إن الإنسان بوجه عام « أنوي » وليس أنانيا ، ونحن لا ننكر وجود أفراد غير أسوياء ، تظهر فيهم الأنانية ، ولكن هؤلاء قلة قياسا الى غيرهم من الناس ، فالإنسان السوي في الواقع كثيرا ما يخدم الآخرين ، ويضحي من أجلهم بغية نيل تقديرهم ، أي بقصد رفع مكانته في نظرهم ، وبعبارة أخرى : إن الإنسان يجد من مصلحته أن يخدم مصلحة الآخرين ، فهو فرد في مجتمع ، يسعى دائما الى رفع مكانته في نظر الآخرين ، وهو يشعر بالسعادة في ذلك ، وكلما ازداد ارتفاع مكانته ازدادت بذلك سعادته .

إن النظرية الحديثة في طبيعة الإنسان هي أن « الأنا » محور الشخصية البشرية ، ويؤسفني أن أقول أن هذه النظرية لم تعرف في اللغة العربية إلا في نطاق محدود ، ولايزال الكثيرون من الكتاب العرب واقعين تحت تأثير مرحلة فرويد ويونغ وأدلر ولم يتجاوزوها ، هذا مع العلم أن نظريات هؤلاء أصبحت من النظريات العتيقة التي عفا عليها الزمن .

ـ ماذا تقصد بقولك إن « الأنا » محور الشخصية البشرية ؟ هل هذا يعني « أننا نرجسيون » بالطبيعة ؟ هل « الأنا » يكتسبها الفرد من أفراد المجتمع أم أنها تنشأ لديه منذ الطفولة .. وهل كانت « الأنوية » معروفة قديما ؟

* إن الإنسان بوجه عام يركز معظم تفكيره حول « الأنا » ، وكيف ينظر الناس اليه ، وهو يشعر بالغبطة حين يرى الناس يقدرونه ويعجبون به ، كما يشعر بالامتعاض حين يرى الناس يحتقرونه أو ينظرون اليه باشمئزاز أو إهمال ، وقد يصح أن أقول إن معظم نشاط الإنسان في حياته يدور حول هذه النقطة ، فهو يسعى دائما من أجل أن يكون موضع فخار لا موضع عار !

يقول المثل البدوي القديم « النار ولا العار » ، ومازال هذا المثل منتشرا وقوى الأثر في المجتمع البدوي حتى الآن ، ومعناه أن البدوي يُفضل دخول النار في الآخرة على كسب العار في الدنيا ، فالعار لا يمكن أن يحتمله البدوي في حياته على أي حال ، والواقع أن هذا ليس هو شأن البدوي وحده بل هو يشمل الناس جميعا على درجات متفاوتة

إن الأنوية تظهر في الإنسان منذ طفولته الباكرة ، ومن علامات ظهورها في الطفل أنه يبتهج ويبدو عليه الزهو حين نمدحه ، كما يبدو عليه الإمتعاض حين نذمه ، ونحن نستطيع أن نجعل الطفل يقوم بأي عمل نطلبه منه بمجرد أن نمدحه إذا قام به ونشجعه عليه

والملاحظ أن الطفل يكون شديد الحساسية تجاه أقرانه من الأطفال ، فنحن لا نكاد نمدح طفلا آخر بحضوره ، أو نحمل ذلك الطفل ونتضاحك له ، حتى يشعر هو بالغيرة الشديدة منه ، وقد يبكي دون أن نعرف السبب الذي دفعه الى ذلك .

إن تجاهلنا « للأنوية » في الطفل كثيراً ما يؤدي الى تكوين العقد النفسية فيه ، فقد اعتاد الناس في مجتمعنا على مداعبة الطفل الصغير أمام أطفال آخرين أكبر منه ، إننا لا ندرك مبلغ الألم العميق الذي يشعر به الطفل من جراء ذلك ، إن أفراد العائلة كثيراً ما يفرحون بولادة طفل جديد لهم ، فيلتفون حوله ويضحكون له في حضور إخوته الذين هم أكبر منه ، غافلين عما يحدثه ذلك من أثر سيء في نفوسهم ، إن الطفل الجديد لم تتكون « أنويته » بعد ، وهو اذن لا يقدر اهتمامهم به ، بينما يشعر الأطفال الآخرون

بالغيرة منه ، وربما انتهزوا الفرصة فيما بعد للإساءة اليه انتقاما منه من حيث لا يقصدون أو لا يشعرون .

كانت التربية القديمة غافلة عن وجود « الأنوية » في الطفل ، فقد كانت تعتمد على العصا في تأديبه من جهة ، وعلى الموعظة الخطابية من الجهة الأخرى . . كان الأطفال عندنا يلعبون في الأزقة ، حيث تنشأ « أنويتهم » على أساس التفاخر بالقيم « الزقاقية » في الغلبة والإعتداء والسَرِقة ، كنا نتركهم ينشأون على هذا النمط ، ثم نأخذ بتوجيه مواعظنا الرنانة اليهم

وهذا هو من عوامل نشوء الشخصية المزدوجة في البعض منهم ، أما « النرجسية » فإنها حُب الذات وهي شيء آخر .

يمكن إلغاء ثلاثة أرباع النحو !

- الحريصون على سلامة اللغة العربية ودعاة التشدد في استخدامها ، يتهمونك بضعف الأسلوب ، وقلة العناية بقواعد اللغة ، وخاصة النحو والإملاء ، وما أشبه ، والمعروف أنك نشأت في مدينة دينية تكثر فيها المدارس التقليدية التي تدرس فيها مختلف العلوم ومنها العربية ونحوها وصرفها . . فلم ابتعدت وخالفت ، وما هو تصورك لوظيفة اللغة ؟

* إن اللغة في مفهومها الحضاري الحديث وسيلة لا غاية ، ولعلني لا أغالي اذا قلت إن الذين يسعون لتجميد لغتهم ، وإبقائها على نحو ما كانت عليه قديما ، إنما هم يسيئون الى أمتهم من حيث لا يشعرون .

قال لي أحد المتحررين من الذين درسوا النحو دراسة مستفيضة : إن ثلاثة أرباع القواعد النحوية التي تدرس في مدارسنا يمكن أن تلغى دون أن يؤدي ذلك الى أي ضرر .

ومن الجدير بالذكر أن هذه القواعد الكثيرة التي تدرس في مدارسنا ، لم تنشأ نشوءا طبيعيا ، فالكثير منها قد اختلقها النحاة في العهد العباسي تحت تأثير المنطق الاغريقي وعوامل أخرى ، فأخرجوها بذلك عن السليقة الفطرية التي كان العرب الأولون يجرون عليها ، وبعبارة أخرى : إن العرب الأولين لم يكونوا يعرفون هذه القواعد المعقدة أو يتبعونها في أحاديثهم اليومية ، فهي قواعد غير طبيعية ، وليس من المعقول أنهم كانوا يعرفونها في الوقت الذي كانوا يتكلمون فيه على فطرتهم من غير تكلف وتصنع ، ولكن النحويين جاءوا بعدهم فصاروا يتنافسون في تطوير القواعد النحوية وتزويقها ، حيث صار ذلك حرفة لهم يرتزقون منها ويتباهون بها .

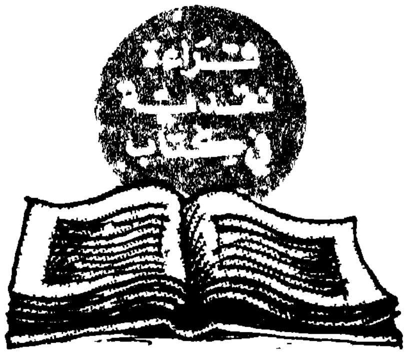
نستطيع أن نشّبه القواعد النحوية التي طورها النحويون بالقواعد الفقهية التي طورها الفقهاء . فنحن نعرف أن النبي (ص) جاء بتعاليم قليلة في شأن الطهارة والوضوء والصلاة والصوم والحج وغيرها ، ولكن الفقهاء جاءوا فطوروا تلك التعاليم وعقدوها بحيث أصبح من الصعب على الإنسان اتباعها بحذافيرها ، ومن يريد اتباعها حرفيا قد يصاب بداء « الوسواس » الذي لا يرجى شفاؤه ، ومن يقرأ المجلدات الضخمة التي كتبها الفقهاء في موضوع الطهارة وحدها يجد بحراً بلا نهاية . . وهذا هو الذي ثار عليه الشيخ محمد عبده في مصر والسيد محسن الأمين في الشام .

لقد دعوت دائما الى وجوب تقليص القواعد النحوية في لغتنا وتبسيطها ، وقد عانيت من هذه الدعوة ما عانيت ، وها أنا في أواخر عمري لا أبالي بما قالوا ويقولون ، وعزائي في ذلك قوله تعالى : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » (١٧) الرعد . □

---

* ان الكثير الذي ربحه العالم بالعقل ، لا يوازى ما خسره بسبب العقل أيضا .

(براتراند رسل)



«المرتجى والمؤجّل»

رواية من تأليف الكاتب العراقي غائب طعمة فرمان

بقلم : صلاح حزين

لا نبالغ إذا قلنا إن تاريخ الرواية العراقية - تقريبا - هو تاريخ روايات غائب طعمة فرمان ، فمنذ أن كتب عمله الأول « النخلة والجيران » حتى روايته الأخيرة « المرتجى والمؤجل » وهو يسيطر على المشهد الروائي العراقي ، ليس من حيث تصويره الفذ للحياة البغدادية الشعبية في تحولاتها منذ الأربعينيات حسب ، بل من حيث إسهامه المتصل في تحويل هذه الحياة بملامحها الأساسية وتجلياتها المختلفة إلى موضوعات روائية لها ذلك السحر الذي يضفيه المؤلف على عوالمها وشخوصها ومسار أحداثها .

إن قارىء غائب يدهش مرتين ، مرة لأنه شاهد قطعة من بغداد الحقيقية تعود فيه نابضة بالحياة بشوارعها وأزقتها وأناسها ، ومرة لأن هذه القطعة من الحياة القديمة اتخذ شكلا آخر ومضمونا آخر ، واتخذ أبطال قصصه مسارات رسمتها منطقة جديدة تمت إلى عالم الأدب المسرح زليس إلى عالم الحقيقة التي بقيت هناك في رحم الماضي الحقيقي للأحداث

هكذا كانت روايته الأولى « النخلة والجيران » التي عبّت إلى الحياة تلك القطعة الحميمة والحاسمة من تاريخ العراق الحديث وتعني بها فترة الحرب العالمية الثانية ، حيث يدخل الجنود الانكليز وجنود المستعمرات البريطانية ليبعثوا في سكان أحياء بغداد الشعبية ليس كراهية المستعمر حسب ، بل يبعثوا أيضا ذلك الحلم الجارف بالثراء السريع ، والتخلص من حياة الفقر والكد والتعب فيبيع الحاج أحمد طولته (زريبة البهائم) ، وتتحول سليمة الخبازة التي تقيم في الحوش الملاصق للطولة إلى بيع الصمون (الخبز الافرنجي) ، ويشرد مرهون السايس ، وحمودة العربنجي ، وتهرب تماضر من زواج لا تقبله ، ويتحول حسين ابن زوج سليمة الخبازة إلى بلطجي لسحي بعد معركة

يتغلب فيها على البلطجي القديم ، وتكتمل دورة التغيير الاجتماعي الذي طرأ على العراق في تلك الفترة من التاريخ بانسحاق هذه الفئات الهامشية التي أعماها بريق الثراء الخادع عن رؤية واقعها البائس وخلال الرواية تتوالى الأحداث على خلفية الوجود الانكليزي ، ليس عبر الجنود والمعسكرات فقط ، بل من خلال تلك الحالة التي يثيرونها في حياة شريحة من سكان بغداد الحالمين بالثراء وفي « خمسة أصوات » يختار غائب بغداد ما قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، حيث ترتسم صورة الرواية على ألسنة خمسة من شخصيات الرواية الأساسية الذين يشكلون عبر أصواتهم صورة العراق المصطربة قبيل الثورة ، ومن خلال هذه الأصوات ترتسم صورة الفساد والفقر والتخلف والعفونة

وفي « المخاص » و « القربان » و « ظلال على النافذة » - وهي أهم رواياته قبل « المرتجى والمؤجل » - يتابع غائب رصده لتحولات الحياة الاجتماعية العراقية ، وهو رصد لا يهمل أبسط التفاصيل ، بل إن صورة التحولات الحقيقية تبدو أكثر ما تبدو في تلك التفاصيل اليومية البسيطة التي لم تعب عن غائب في غربته عن وطنه منذ أكثر من ثلاثين عاما

أشياء الوطن الجميلة

من بين أعماله الأخرى تذكرنا رواية « المرتجى والمؤجل » برواية « خمسة أصوات » ، فالروايتان تنتميان إلى ما يسمى رواية الشخصيات . إذ كما في « خمسة أصوات » ينهض الحدث الروائي في « المرتجى والمؤجل » ، من خلال عدد من الشخصيات أيضا ، ولكن مقابل الخلفية القاتمة للفقر والفساد والانحلال والتهرؤ في « خمسة أصوات » تشكل الأصوات في « المرتجى والمؤجل » بنية الرواية على خلفية من الضجر والقلق والوحدة والحنين إلى أشياء الوطن الجميلة الحميمة . « فالمرتجى والمؤجل » هي أول رواية يكتبها غائب عن الغربة ، وليس عن قلب بغداد الشعبية ، ولكن - وهذه هي المفارقة - تظل بغداد بأحيائها وأزقتها ومعمارها وشخوصها وشطها ونخيلها حاضرة في الرواية كشأنها دائما ، وإن كان حضورها هنا على ألسنة المغتربين وفي أذهانهم ، وفي زيارات الأقارب القادمين من هناك ، وفي أشرطة التسجيل ، وفي الأغنيات ، وفي الليمون الحامض الذي يأتي مع زائرة من العراق فتحمل معها « رائحة الجنوب الريانة » وفي « كرزات مشكلة من



الموصل ، وحبة خضرة ، وسيسي » تعيد إلى ذهن المغترب حاضرة حية ، « أمسيات الشتاء الحلوة حين تقبع قرب المدفأة النفطية كالجرذ في اسطوانات أم الكلب صوت سيده » وكذلك في أناشيد الدراسة الأولى التي تستعاد في غربة تلف خريف العمر بقوة طاغية آسرة لا فكاك من لحنها المميز ذي الايقاع الطفلي البسيط .

عبر أكثر من شكل من أشكال القص يأخذنا غائب إلى عالم المغتربين العراقيين الذين وجدوا أنفسهم بعيدين عن وطنهم الذين غادروه لسبب أو لآخر ، دون أن يكون في استطاعتهم الانتهاء إلى

عالم الغربة ، فهم وإن غادروا وطنهم إلا أن وطنهم لم يغادرهم . أما مكان الاغتراب فهو ببساطة شديدة ليس وطنهم ، وحياة الغربة ليست إلا « انتظاراً لشيء سيحدث دون أن نعرفه على وجه التحديد . الحياة هنا لا تنمو ، بل تستطيل أياما وليالي مؤرقة مملة مملوءة بالكوابيس » هكذا يصف يحيى سليم المغترب القديم أيامه في « المدينة الحجرية الجادة أكثر من اللازم » مستلهما حكمة صديقه ثابت حسين الذي حضر إلى المدينة لعلاج ابنه من إصابة في رأسه ، فيلتقي صديقه الحميم القديم ، وفي هذه الغربة المؤرقة يبدأ بينهما حديث الوطن الذي هو حديث الذكريات والهزائم وخيبات الأمل والمعارك الخاسرة ، لكنه أيضا حديث الطفولة الأولى ، وحديث سنوات التكوين وسنوات العشق الأول والتفتح على حياة ما لبثت أن أسلمته للغربة ، ليجد نفسه دون أن يدرى يواصل فشله وهزائمه وخيبات أمله ومعاركه الخاسرة . ويقضي أيامه في ضجر وملل « مترجماً منزويا بين الأوراق والكتب المفتوحة والقواميس » .

ويحيى سليم واحد من مجموعة المغتربين في تلك المدينة الحجرية التي لا يذكرها غائب بالاسم ، حيث يلتقي هؤلاء « الخرفان » ، كما يسميهم يحيى ، بينهم طالب الدراسات العليا الذي أدمن الدراسة صالح جميل ، وزميله في الدراسات العليا والغربة والفشل أيضا علوان شاكر ، وبينهم الرسام مظهر ، وحازم ذلك المغترب الغريب الأطوار الذي لا يكف عن إقامة الحفلات الوداعية التي يزعم بعدها أنه سيعود إلى الوطن ، لكنه يعدل عن ذلك في اللحظة الأخيرة ولكن من بين أصدقاء الغربة هؤلاء الذين يخففون وطأة غربتهم تلك بالشراب والثرثرة على المقاهي وفي المطاعم والحانات ، هناك تلك العلاقة الخاصة التي تربط يحيى سليم بالقادم من أرض الوطن لعلاج ابنه المعطوب ثابت حسين وخلال لقاءاتهما وحواراتهما التي تستمر طيلة الرواية يقلب الاثنان صفحات كتاب الغربة ، ليكتشفا أن نص الغربة المكتوب على وجه كل صفحة من صفحات الكتاب يحمل على الوجه الآخر نص الوطن ، فالعلاقة بينهما هي شكل آخر من أشكال العلاقة بين الوطن والغربة ، بين اليأس والأمل ، بين الضجر من الحياة والتحايل من أجل استمرارها ، بين التمسك بها واستنفاد فرصها والاستفادة من احتمالاتها المتعددة .

وعلى الرغم من البساطة الظاهرة في بنية « المرتجى والمؤجل » إلا أن القاريء ما يلبث أن يكتشف أن هذه البنية أكثر تعقيدا مما تبدو لأول وهلة ، إذ يقدم غائب شخصياته الروائية ، التي تتحدث وتتواجه وتتحاور وتسكر وتتعارك مثرية أحداث الرواية ، عبر ثلاثة من أشكال السرد الروائي ، الأول هو قصة الفيلم الذي يرويه ثابت حسين لابنه ، وهو يشكل جزءا مهما من بناء الرواية ، والثاني هو تلك الاعترافات المكتوبة بخط يحيى سليم التي يتركها لدى صديقه ثابت حسين ليقرأها ، وتشكل هذه الاعترافات المكتوبة جزءا آخر ليس بالضرورة مكملا للجزء الأول ، لكنه جزء أساسي من البنيان الروائي على أي حال ، أما الشكل الثالث فهو شكل السرد الروائي بضمير الغائب ، وهذه الأشكال الثلاثة تتداخل وتتقاطع وتتضافر لتقيم معمار الرواية ، لكن حتى داخل الشكل الواحد من أشكال السرد المذكورة هناك مستويات للقص ، ففي مستهل الرواية نبدأ مع ضمير المتكلم . « أحدثك يا حسان عن أناس من بلادك ، رحلوا طلبا للعلم أو للرزق أو هروبا من ظروف قاسية ، وقالوا ما هي إلا أعوام ، ونعود موفوري الصحة والعلم ولكن الغربة استطالت ، فراحوا ينسجون على منوالها قصصا لهم وحكايات ، واقعين في حبائل الانتظار » . وينتهي الفصل الأول والراوي هو المتكلم الذي لا نعرف هويته ولا هوية ابنه . وفي الفصل الثاني يتحول المتكلم نفسه إلى موضوع الرواية ، لكنه هنا أيضا مجرد رجل بلا اسم ، يروى لابنه الذي نعرف أنه مريض جاء للعلاج في هذه المدينة المجهولة الاسم قصة فلم تدور أحداثه حول يحيى سليم وأصدقائه

« الخرفان » ، ولا نعرف أسم الرجل ، ونكتشف علاقاته ولا نتعرف على أصدقائه « الخرفان » إلا في الفصل الثالث من الرواية . على هذا النحو من التدرج العفوى تتبدى لنا الشخوص والأحداث لتتضافر بعد ذلك أشكال السرد الأخرى في نسج أحداث الرواية حتى نهايتها .

الأصدقاء المرايا

عبر أشكال القص العديدة هذه تبدو الصورة المركبة للعلاقة بين يحيى سليم وثابت حسين هيكلا للرواية تتمحور حوله الأحداث ، وتتحرك الشخوص ، وتقيم علاقاتها وحواراتها فيحيى وثابت الصديقان الحميمان القديمان مرآتان لبعضهما بعضا، كل منهما مرآة للآخر، لكنهما مثل غيرهما من الأصدقاء المرايا ، يكشفان لبعضهما بعضا أعماق نفسيهما ، ليبدو الواحد منهما أمام الآخر عريانا يحاول أن يغطي عريه بكلمات جميلة منمقة ، لكن دون جدوى ، وكلما أمعن أحدهما النظر في الآخر وجد ذاته هناك في أعماق صديقه ، ولا يتوقف إمعان النظر ، وتستمر الصداقة التي يقدمها غائب على أنها في أحد وجوهها نوع من التنافس الخفي ، وربما نوع حميم من الكراهية التي تتبدى كلما احتدم النقاش بين الصديقين الغريمين .

ففي مستهل الرواية يعمد ثابت إلى رواية قصة فلم لابنه الراقد على سرير المرض ، ليبعث فيه الاهتمام بالحياة بتفاصيلها الصغيرة ، لتنشيط فكره وذاكرته ، فيجد نفسه يتلو على ابنه قصة صديقه يحيى سليم مع مطلقته التي احتفظت بابنهما ، فنشأ الطفل وهو لا يعرف والده ، وعندما يلتقي الاثنان يخاطبه ابنه على أنه عمه وليس أباه . وبروايته تلك لقصة الفلم انما كان يروي حلقة من مسلسل فشل صديقه المغترب يحيى سليم ، وهذا ما يؤلم الأخير ، فيقول حين يعلم أن صديقه القديم قد حكى قصته لابنه المريض .

« كأنك موكل دائما بنشر هزائمي .

قال ثابت متراجعا :

في البداية أردت أن أقص عليه حكايات الذين استطابوا الحياة في الغربة ، ثم وجدت نفسي أنفرد بأخبارك وجعلتك بطل فيلم .

لم يبد الغضب أو الضيق على يحيى ، لكنه ضحك ضحكة مهشمة ، وهم أن يقول شيئا ، إذ حرك صدره إلى الأمام ثم ارتد في اللحظة التالية ، واتكأ على المقعد كالمنهار قائلا :

لم تجد شيئا آخر مسليا تقصه عليه ؟ »

هذا المشهد الذي يفجر السكون الذي تكلس بفعل الغربة تحت السطح الوديع ليحيى سليم هو واحد من سلسلة من المواجهات الكاشفة التي تنشأ وكأنما بتدبير قدرى لتقول ليحيى سليم كم هو فاشل ، وتقنعه بأنه كان دائما كذلك ، لكن هذا الفشل الذي يمكن ليحيى سليم السيطرة عليه واحتواءه بينه وبين نفسه ، يتحول إلى فعل مفضوح عندما يكون ثابت حسين هناك . ومع ذلك فإن يحيى سليم يجد نفسه مساقا وكأنما بقوة قدرية إلى ثابت حسين مرة بعد أخرى ، ليرى نفسه المشروخة في وجه صديقه الذي تحول إلى قرين له منذ ذلك اليوم الذي لا ينسى ، يوم تعاركهما الذي هو نفس يوم ارتباطهما بتلك الصداقة الطويلة المضنية التي تحمل في ثناياها الاطمئنان والحب والإعجاب ، كما تحمل النفور والغيرة والحسد ، وربما نوعا من الكراهية الخفية التي تتيه في شبكة الخيوط المتداخلة لتلك العلاقة المعقدة ، وهو يوم يذكره أيضا ثابت حسين في إحدى ليالي سهاده في المدينة الحجرية ، فيبتسم حين يذكر « يوم أن تشاجر مع يحيى سليم . كانت هذه الصورة راسخة في ذهنه كلما استعاد صفحات من طفولته الباهتة ، في ليالي سهاده ، صورة فتى نحيل متوسط القامة ، له عادة إحوال عينيه عند الغضب ، وفي الظروف الحرجة ، ولم تكن هيئته توحى بأنه معارك : احديداب خفيف في الظهر ، تقوس ملحوظ في الذراعين ، وذلك الحول في ساعة الغضب والشدة » .

ينفر الطفل يحيى من ثابت ، ويتوعد بعراكه ، أما ثابت فقد كان مجبرا على الدخول في تلك المعركة

التي لم يخترها وبعد الدرس الأخير تقابل الخصمان الصغيران بين رهط من التلاميذ الذين تحلقوا حولهما «كان يحيى سليم يسير في جانب من الطريق ، وثابت حسين في الجانب الآخر نزل الأول من الرصيف ونزل الثاني تقدم هذا وتقدم ذاك وعندما كانا على بعد خطوتين رأى ثابت عيني صاحبه تحولان . فعرف أنه في غاية الغضب وحصل ضرب طائش عجول غير موفق . بعصه كالرقص في الهواء ولم ينته إلا بعد أن أنهك الطرفان وتوقفا عن القتال من تلقاء نفسيهما يأسا من محاحزة الأنصار لهما وأسفرت المعركة عن خدوش وكدمات . دون أن يشعر أحدهما أنه أشفى غليله من صاحبه والغريب أنهما صارا . بعد هذا الحادث ، صديقين قريبين»

الكراهية الحميمة

إن عائب يقول هنا إن صداقة ثابت ويحيى مند ذلك اليوم الفاصل ، وحتى أيام اللقاء في الغربة كانت استمرارا للمعركة التي لم يكن فيها منتصر بينهما . والتي لم يشف أي منهما غليله من صاحبه خلالها إنها استمرار للصراع الخفي . غير المسبب ، وغير المبرر بين يحيى وثابت ، لكنه اتخذ شكل الصداقة اللدودة ، أو الكراهية الحميمة بين الاثنين ، صداقة اندلعت بين يحيى وثابت بعد أن فشلا في إنهاء معركتهما الجسدية بانتصار أحدهما

وحين يبدأ ثابت قراءة أوراق كان قد تركها عنده يحيى سليم يفاجئه العنوان الذي كتب بخط يد صديقه «الفروسية المهزومة» ، وبعد تردد يقرأ ثابت «إيه أيها الشبح الذي يطاردني» ويسترسل ثابت في ذكرياته القديمة ، ويتذكر صاحبه وهو يقول له «هل قرأت قصة اسمها الشبيه لديستوفسكي؟ اقرأها ، وستفهم ، الأصل والشبيه كلاهما تتلاطمه أمواج السياسة فآثر أحدهما البقاء في العراق ، ورمت الآخر إحدى الأمواج العاتية ، فألقته خارج الوطن ، يتلمس موردا للرزق» . ويتساءل ثابت . «ما هذه؟ قصة أم اعترافات؟ أم زفرة كانت مخنوقة في الصدر ، لم يجد صاحبها بدا من أن ينفثها وإلا خنقته فروسيته ، ولا فرق أن تكون مهزومة أو موهومة» . وخلال قراءته للأوراق يكتشف ثابت أنها بالفعل زفرات تحكي قصص فشل يحيى التي لم تنته فشل في العمل ، وفشل في اللعب ، وفشل في الحصول على امرأة . وفشل في الخطبة . وفشل في الزواج ، وفشل في الحب . ثم فشل يصل حدود العبث عندما يتعرف على امرأة ويدعوها إلى مطعم . فتفشل المرأة في التآلف مع المكان . وتسرف في الشراب قبل أن تعلن له أن هذا المطعم هو المكان الذي أقيمت فيه حفلة الزفاف مع زوجها الراحل

فشل الغربة

لكن فشل يحيى الأكبر هو في الاستسلام لفكرة الغربة . وفي رفض أن يكون لحياته مردود ، فهو في النهاية رجل بلا تاريخ . بعكس ثابت الذي يستند إلى تاريخ . والذي يحاول أن يقنع يحيى أن «لا تاريخ يمكن أن يكتب خارج الوطن» هذا النوع من الفشل هو الذي يخشاه يحيى وحين لا يجد غضاضة في ذكر قصص فشله في أوراقه أو في أحاديثه العابرة على المقهى أو على الهاتف مع ثابت فإن فشل الغربة هو الذي يحول الحوار إلى مواجهة بين الصديقين القديمين والتي يعلن فيها ثابت أنه «ضد المشاريع الطويلة خارج الوطن» ، ويطالبه بأن «يكون لحياته مردودها» ، ويزداد الحول في عيني صديقه لينفجر قائلا

«كنت أبغض أولئك الذين يشعرونني بأنهم متفوقون علي ، وأنت كنت تبدو كذلك كنت متفوقا علي بسهومك الطويل ، بصمتك القاتل ، وحتى بضعفك الجسدي الذي كنت تبدو وكأنك تتحدى به إنسانا عملاقا مثلي ، بينما تربيت أنا كإنسان مؤهل لأن يقوم بمعجزات لم تبق لي علاقة بها إلا في الانتظار»

غير أن فشل يحيى ما هو إلا الوجه الآخر لفشل ثابت ، وإن كان فشل يحيى أكثر صخبا . فإن فشل

ثابت أكثر إيلاما ، وأكثر غورا في داخله ، وأكثر التصاقا به ، وهو فشل لا يوجهه بعصبية موتورة إلى صديقه ، كما يفعل يحيى ، بل يأتي على شكل حوار داخلي . ومناجاة وهمس حزين للنفس ، فثابت الذي فشل في السياسة ، وحرج من تجربته السياسية مدمى القلب والفؤاد ، ملقى في ركن قطار سائر للموت ، يكتفي بأن يكون له من هذه التجربة تاريخ ، وحين يخلو إلى نفسه بعد إحدى المواجهات مع صديقه ومرآته يحيى يكتشف أن حياته لا تقل خواء وفشلا عن حياة صديقه ، فيقول لنفسه « لا ، لا تسرف في إدانتك لصديقك ، ولتصويره بالصورة المعاكسة لك ، فتثبت بذلك صحة نظريته في الأصل والشبيه (أينا الأصل وأينا الشبيه ؟) ، تلك هي المشكلة تعطه بأن يكون لحياته مردود وأنت هل لحياتك مردود ؟ » وفي إحدى المواجهات يصرخ ثابت لصديقه « ليس هناك شيء مضمون غير أن تشرق الشمس كل صباح » ليصل الفشل لدى ثابت إلى لحظة عدمية ، ربما لم يصل إلى مثلها يحيى نفسه ، وفي حوار مع ابنه الراقد طريح الفراش يقول له : « حدك سماني ثابتا ، على أمل أن أكون ثابتا في حياتي ، وقد حاولت منذ أن وعيت على نفسي ، ولا أعرف هل وفقت في ذلك أم لا ولكن هذه المحاولة كلفتني كثيرا » فهل هناك أكثر من فشل يحيى سوى فشل صديقه وغريمه ثابت ؟

المشاريع المؤجلة

وتمضي المواجهة بين الاثنين ، لتستهلك فصول الرواية ، وينجح يحيى في واحدة من تجاربه ، وهي - للمفارقة - تجربة مواجهة الموت ، حيث يموت والد زوج إحدى صديقاته ، فيضطر إلى الذهاب معها لتجهيز الميت ، ويفعل ذلك بنجاح تقريبي كما يقول لنفسه متذكرا صديقه الحاضر أبدا ، أما ثابت فيخبره « البروفسور » المشرف على علاج ابنه أن باستطاعته العودة إلى وطنه مطمئنا وإلى أنه سيعيش ما كتب له من العمر ويغادر ثابت المدينة الحجرية ، ويبقى فيها يحيى الذي يقول بأسى : « سأفتقده ، سأفتقده . سيسافر » ويقرر ألا يفعل شيئا ، بل أن ينام حتى ما بعد الصباح ، مثل صالح حيل وبقية أصدقاء الغربة أو الخرفان الذين تركهم ثابت أفلاكا تدور حول نفسها . ويقول يحيى « من موقعه هناك يستطيع أن يفعل شيئا ، أما هنا فماذا أستطيع أن أفعل ؟ كلنا مشاريع مؤجلة » .

« المرتجى والمؤجل » رواية عن الغربة ، رواية حنين ، والحنين هنا هو ذلك الشعور الغامض الذي يجمع الحزن والأسى والفرح والحنان والرضا المستسلم لقدر الغربة الذي لا مرد له ، ومكونات الحنين هذه هي في الوقت نفسه مكونات هذه الرواية التي لا مبالغة في القول بأنها واحدة من أجمل روايات الحنين □

□ احذر من تأمن . فإنك حذر ممن تخاف .

(الجاحظ)

□ الوطنية شعور ينمو في النفس ويزداد لهبه في القلوب ، كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه

(مصطفى كامل)

□ لايمكن لقوة تحت الأرض أن تستعبد عقل الانسان وروحه

(محمد علي جناح)



مصطفى كامل



بقلم : الدكتور عبد الستار ابراهيم

يتسم عصرنا الراهن بعدد من الظواهر التي لها تأثيرها الواضح على الصحة النفسية للإنسان ، فالانتقال السريع من وضع إلى آخر بتأثير التقدم التقني الهائل وتطبيقاته ، وعوامل أخرى أدى ببعض البشر إلى الاضطراب النفسي الذي وصل إلى حد المرض . ومن الشائع أن حالات القلق هي نتاج هذا العصر وحده ، مع أنها كانت شائعة منذ فجر التاريخ حتى الآن .

يحلو لكثير من الفلاسفة والشعراء والأدباء أن يصفوا عصرنا هذا بأنه عصر القلق ، لكن الحقائق التاريخية تبين لنا أن القلق شعور قد عرفه الأقدمون كما عرفناه . كذلك اختبر الأقدمون المخاوف المرضية وعانوا منها كما نعاني نحن .

فمفهوم القلق إذن ليس شيئا جديدا من صنع علماء النفس المعاصرين . وما يرتبط بالقلق من مفاهيم كالجزع والخوف والهم والتوجس أشياء سادت أفكار الناس ، وسيطرت على مشاعرهم ، في مختلف عصورهم الحضارية . وحاولوا ـ مثلنا ـ أن يفسروها وأن يجدوا طرقاً لعلاجها . ويؤكد لنا علماء التاريخ أن الكتابات الهيروغليفية التي تركها

المصريون القدامى قد أشارت إلى القلق وشرحته . وأن فكرة الخلود التي ملكت عقول الفراعنة ودفعتهم لبناء الأهرامات والمعابد المهيبة قد قامت على هذا الشعور الأبدى بالقلق من الموت والخوف من الفناء

وفي العصور الوسطى كان القلق

وفي العصور الوسطى نجد الفيلسوف العربي علاء بن حزم القرطبي يؤكد أن القلق حقيقة أبدية ، ويعامله ـ كعلماء النفس المعاصرين ـ على أنه شرط أساسي من شروط الوجود الإنساني ويبدو أن العرب لم يكتفوا بوصف القلق وشرحه ، بل اهتموا أيضا بعلاجه .

وقد تفوق الطبيب الفيلسوف « ابن سينا » على غيره من الأطباء في الشرق والغرب عندما تنبه إلى ما يتركه القلق والانفعالات على الجسم ووظائفه من تغيرات

ولفخر الدين الرازي محاولات مماثلة لتعريف القلق ووصفه وما يتركه من آثار على النفس والسلوك ، ضمنها في كثير من كتبه ، خاصة كتابه المعروف « المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات » .

وفي سنة ١٦٢١ م صدر كتاب « تحليل الحداد » لبيرتون في أوروبا وفيه تحدث عن القلق بإسهاب، ووصفه كما يصفه علماء النفس المرضى المعاصرون من حيث ما يتركه من آثار على النفس والبدن

كذلك يكشف لنا تاريخ الطب النفسي عن حقائق تبين أن القلق لم يميز بين العظماء والصعاليك . وهناك ما يثبت أن حياة كثير من العظماء والمشاهير لم تنج من مشاعر القلق وضراوته . فالقيصر « أغسطس » كان يجزع من الظلام ، ولم يكن يجرؤ على البقاء في مكان مظلم بمفرده .

الصفوة المعاصرة والقلق

ويسجل لنا رونالد فييف ، وهو طبيب نفسي معاصر معروف ، بسبب اكتشافه لعقار (الليثيوم) المعروف بتأثيره الايجابي في علاج حالات التقلب الانفعالي ، أن الرئيس الأمريكي « تيودور روزفلت » كان فضلا عن إصابته بمرض الهوس والاكتئاب يعاني من حالات شديدة من القلق ، فكان لا ينام إلا لماما ، ويغرق نفسه في اتصالات هاتفية دائمة ، وكتابات تافهة مستمرة . كان يبدو أنها محاولة منه لتجنب مشاعر القلق الحادة والاكتئاب الداخلي المتأصل فيه منذ الصبا .

والكاتب الايطالي « ماتروبي » كان يخاف أن يغادر منزله بمفرده خوفا من الإغماء ، ولهذا كان يحمل معه زجاجة « خل » صغيرة ، يتنقل بها إذا ما كانت هناك ضرورة لخروجه ومن المعروف عن الشاعر العربي « ابن الرومي » أنه كان مسرفا في تشاؤمه وتخوفه لدرجة المرض ، وأنه كان يرفض أن يخرج من داره إذا ما تلمس أي علامة من علامات التطير ويصف لنا طه حسين أن أبا العلاء المعري قد سجن نفسه في منزله هروبا من الناس ، لدرجة أنه لقب برهين المحبسين . العمى البصري ، والخوف من الناس

ومن الغريب أن « سجموند فرويد » الذي يعتبر من أكثر العلماء اهتماما بوصف القلق وعلاجه ، قد عانى أيضا من أعراض القلق ، بما في ذلك الخوف الشديد من السفر عندما كان في الثلاثينيات

والخلاصة أن القلق يمكن أن نراه كما كان يراه الفيلسوف العربي « ابن حزم » على أنه حقيقة أبدية ، وأنه حدث ويحدث في مختلف الأوقات والعصور ، ويصيب الناس على مختلف ألوانهم ومذاهبهم

الوضع المعاصر للقلق :

تتفاوت المجتمعات الإنسانية المعاصرة فيما بينها من حيث درجة التصنيع والتمدن . وهناك زعم يشيع بين بعض علماء الاجتماع ، يرى أن المجتمعات الصناعية أكثر استهدافا للقلق والاضطرابات الانفعالية من المجتمعات النامية ، بسبب ما يثيره التقدم الحضاري من ضغوط نفسية .

إن نتائج البحوث التي أجراها العلماء الغربيون ، ونتائج البحوث في الأقطار العربية تتناقض مع الزعم الشائع بأن القلق ظاهرة تخص المجتمعات

الصناعية

وتعد دراسة العالم الانجليزي الامريكي المعروف « كاتل » وزملائه من أهم الدراسات التي أجريت لمقارنة مستويات القلق بين ستة مجتمعات إنسانية . تتفاوت فيما بينها ، من حيث مستوى التحضر والتقدم الصناعي ، هي الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وايطاليا وبولندا والهند

لقد كان من المتوقع أن يصل مستوى القلق في المجتمعات الأنجلو امريكية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا إلى أعلى درجاته ، وذلك انطلاقا من التصور التقليدي بأن المجتمعات الغربية تتميز بالتنافس ، والنشاط الشديد ، والايقاع السريع . وبالتالي تعمل على إثارة القلق والتوتر ، إلا أن النتائج سارت على عكس هذا التوقع ، وترتبت المجتمعات الستة من حيث ارتفاع مستوى القلق على النحو الآتي . بولندا ـ الهند ـ ايطاليا ـ فرنسا ـ بريطانيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية أي أن بولندا كانت من أكثر المجتمعات الستة ارتفاعا في مستوى القلق ، والولايات المتحدة من أقلها ، ولهذا نجد أن « كاتل » ينصح بأن ننظر للقلق والعصابية على أنهما

١ ـ يتزايدان في المجتمعات النامية ، والمجتمعات الفقيرة أكثر من المجتمعات المتقدمة ، بسبب الضغوط التي تخلقها ظروف التكيف لواقع اقتصادي قاس

٢ ـ ان المجتمعات التي تتجه فيها النظم الاجتماعية والسياسية نحو التسلط ، تعمل على كف تلقائية الأفراد ، وتحد من نموهم النفسي والفردي . ويصحب ذلك شيوع في المظاهر العصابية والتوتر النفسي والقلق

٣ ـ يتزايد القلق في المجتمعات التي يتجه أفرادها نحو الخضوع الشديد والمجاراة ، ويتضاءل في المجتمعات التي تشجع على المناقشة والتعبير الحر

ونعتقد ـ من جانبنا ـ أن هذه التفسيرات صحيحة بناء على ما تجمع لنا من نتائج في دراسة الشخصية في المجتمعات العربية

المجتمعات العربية والقلق

تعد المجتمعات العربية في عرف أهل السياسة والاجتماع من المجتمعات النامية ، أي المجتمعات التي لم تبلغ بعد شأن المجتمعات الغربية من حيث التقدم المادي الصناعي والتعقد الحضاري وقد أشرنا إلى أن البعض قد يظن نتيجة لهذا بأن القلق والاضطراب النفسي لا يشيع في الأقطار العربية بكثرة ، لبساطة هذه المجتمعات من ناحية ، ولأنها ليست في مستوى التعقد الحضاري الغربي من ناحية أخرى ولقد قمت شخصياً ـ خلال الزيارات المتعددة لكثير من أقطار الوطن العربي ـ بإجراء عدد من الدراسات عن شيوع القلق في مصر . والسعودية ، وليبيا ، والكويت وقد أمكن لنا خلال هذه الدراسات من الإجابة عن عدد متنوع من الأسئلة في هذا الموضوع منها

ـ هل نحن فعلا أقل قلقا ، وأقل تعرضا للاضطرابات النفسية المرتبطة بالقلق ؟

ـ ما هي أنواع القلق الشائعة بيننا ؟ وما هي مصادر الاضطراب فينا ؟

ـ ما هي جوانب التشابه والاختلاف بيننا وبين غيرنا من المجتمعات الأخرى فيما يتعلق بمظاهر القلق وأشكاله ؟

وكانت نتائج هذه الدراسات في المجتمعات العربية كما يلي

في مصر ـ مثلا ـ تبين لنا في دراسة أجريناها على ثلاث مجموعات من الطلاب في أمريكا وبريطانيا ومصر أن نسبة القلق ومستويات العصاب تزداد بين المصريين ، يتلوهم الامريكيون ، ثم الانجليز بعبارة أخرى عبر أفراد العينة المصرية أكثر من أفراد العينتين الإنجليزية والأمريكية عن علامات دالة على التقلب الانفعالي ، والتطرف والانزعاج ، فضلا عن تزايد المشكلات المرتبطة بصعوبات في النوم ، والمعاناة من الأرق ، وخفقان القلب ، والتنميل ، والآلام العضلية وكلها مظاهر يراها العلماء معبرة عن القلق وتميز المتسمين بالعصاب .

وإذا كان القلق في الدول الغربية يأخذ شكل

نصراع الداخلي والتعبير عن مشاعر الضغط ، والهروب إلى العقاقير والخمور ، والعجز عن لحسم والتوجس،فانه يظهر لدى المصريين ـ كما تبين دراسة اخرى ـ بصورة مختلفة : شكاوى جسمية ، وآلام في المفاصل ، وآلام في الظهر ، وحمقان القلب ، وتعب سريع ، وتنميل ، وضيق « النفس » .

ان الشخص القلق في مصر عادة ما يشكو ـ من الآلام والمظاهر الجسمية المرتبطة بالقلق . ويوضح لنا « راك » أن الشكاوى الجسمية تكون هي الطابع الغالب على المرضى بالاكتئاب والقلق في المجتمعات النامية كالهند والباكستان وجنوب شرقي آسيا ونتائج دراسنا المصرية تؤيد ذلك ، وتثبت ان المصرى بسبب عدم اتاحة الخدمات النفسية من جهة ، والخجل من التعبير عن الاضطراب النفسي من جهة أخرى ، سستجنب الشكاوى ذات الطابع النفسي المرتبطة بالقلق مثل الخوف والذنب والتوجس . وسيكتفي بالتعبير عن الألم الجسماني بمظاهره المختلفة .

وإذا صح ما يقال من أن المخاوف العصابية تنتشر بنسبة تتراوح بين ٣٠٪ و٣٥٪ من أفراد المجتمع في الدول الصناعية ، فإن دراساتنا تبين أن انتشاره في المجتمعات العربية يصل إلى نفس النسبة ، أو أعلى من ذلك بكثير في بعض الأعراض المحددة ويتأكد ذلك في دراسة قمنا بها في ليبيا عن انتشار مظاهر القلق الاجتماعي في عدم الثقة بالنفس في مواجهة الآخرين ، أو الخوف من التعبير عن الانفعالات والحاجات النفسية عند التعامل مع أفراد المجتمع والأسرة ، فتبين لنا أن ما يقرب من ٥٢٪ من أفراد العينة الليبية عبروا عن مشكلات متعلقة بانخفاض الثقة بالنفس ، وتأكيد الذات

التغيرات الاجتماعية والقلق

أما في المملكة العربية السعودية فإن النتائج التي توصلت إليها كانت بالتعاون مع « الزميل الدكتور عبدالله النافع » وقد اعتمدت على دراسة ٢٨٠ طالبا بجامعة الملك سعود بالرياض كان هدفنا من هذه الدراسة أن نحدد أنواع المخاوف وحالات القلق والاكتئاب الشائعة بين طلاب هذه الجامعة ، وإلى أي مدى يرتبط ظهور هذه الاضطرابات بالتغيرات الاجتماعية الشديدة التي يمر بها المجتمع السعودي .

وتعطي النتائج صورة مماثلة لدراستنا المصرية والليبية . فمن ناحية الاضطرابات الدالة على القلق والعصابية عبر ٥٢٪ من أفراد العينة السعودية عن العجز عن التركيز جيدا في موضوع واحد ، وذكر ٥٣٪ منهم بأنهم يعانون من الخجل ، و ٤٦٪ قالوا إن من الصعب عليهم المحافظة على الانتباه لموضوع واحد دون التجول الفكري والسرحان ، و ٤٢٪ عانوا من الرعشة والانتفاض عندما استثارهم أحد ، بينما عبر ٣٥٪ عن مخاوف مرضية مرتبطة بالحيوانات ، و ٣٣٪ عن مشكلات ومخاوف متعلقة بالدراسة والمستقبل

أما من ناحية الاكتئاب ، وهو من أحد الأعراض التي تصاحب في أحيان كثيرة حالات القلق ، فلم تختلف نتائج دراستنا للطلاب السعوديين عن نتائج الدراسات السعودية للمرضى السعوديين التي تبين أن حالات الاكتئاب تفوق مثيلاتها في الغرب . أما بين الطلاب فقد عبرت نسبة مرتفعة منهم عن لوم النفس عندما تسوء الأمور (٦٤٪) ، وأنهم يشعرون بالعجز (٥٢٪) ، وأن شهيتهم للطعام ضعيفة (٤٩٪) ، وأن المجتمع لا يبالي بهم (٤٥٪) ، وأن حياتهم لا تثير اهتمامهم (٤٢٪) ، وأنهم يعانون من صعوبات متعلقة بالنوم (٣٨٪) ، وأنهم فقدوا شعورهم ببهجة الحياة وملذاتها (٣٣٪) .

وفي الكويت درس الباحثون مدى شيوع القلق ، وعدم الاستقرار الانفعالي (غالي، ١٩).وتبين هذه الدراسات أيضا أن حظ الكويتيين لا يقل عن حظ غيرهم من أفراد المجتمع العربي من حيث شيوع المظاهر الدالة على القلق والتوتر النفسي . وقد ازداد شيوع العصاب بينهم أكثر من الانجليز .

وتكشف المقارنة بين الذكور والإناث في المجتمعات العربية عن نتائج أخرى تثير الاهتمام ،

وتستدعي ضرورة تنبهنا لمصادر الخطر ، ففي كل الدراسات التي قمنا بها تبين دائما أن الإناث أكثر تعرضا للقلق وللتوتر النفسي من الذكور ، كما أنهن أكثر ميلا لتطرف الانفعالات والتقلب الوجداني والاكتئاب من زملائهن الذكور العرب . هذا الارتفاع الملحوظ في مستويات القلق بين الإناث العربيات مقارنة بالذكور العرب وجدناه في دراستنا المصرية والليبية ، ووجده الدكتور غالي في العينات الكويتية ، ووجده « هلاوات » في الأردن في مقارنة الأطفال الأردنيين الذكور بالإناث ونتائجنا العربية في هذا الصدد لا تختلف عن كثير من الدراسات العالمية الأخرى التي بينت أن الإناث دائما يرتفعن عن الذكور في مستويات التوتر النفسي والقلق ، ربما نتيجة للتوتر البيئي والضغط الاجتماعي الشديد على المرأة بسبب الأدوار المختلفة ومتطلبات التوافق لواقع اجتماعي يتعارض مع التلقائية والتعبير عن المشاعر بحرية

الخلاصة :

إن النتائج تبين في عمومها أن القلق والتوترات النفسية ترتفع في المجتمعات العربية أو تتعادل ـ في أحسن الأحوال ـ مع درجة شيوعها في المجتمعات الصناعية . وتثبت أن هناك أنماطا من القلق تنتشر أكثر من الأنماط الأخرى في المجتمعات العربية .

إن مجتمعاتنا العربية تعيش فيما يبدو في فترة حادة من فترات الشد بين تيارات متعارضة ، يدفع بعضها للمحافظة والتقبل لما هو سائد أو ما كان سائدا من القيم والاتجاهات ، ويدفع بعضها الآخر للتطلع نحو النماذج الحضارية الغربية بتركيزها الشديد على الاستهلاك المادي والثروة ومن شأن هذا الشد أن يستثير تطلعات متضاربة تثير كثيرا من جوانب القلق وعدم الاستقرار في شخصيات أفراد هذا المجتمع .

ويمكن القول بأن العلاقات الاجتماعية في الأقطار العربية تدفع للخضوع الشديد والمجاراة على المستويات الاجتماعية المختلفة ، بدءا من الأسرة بتشجيعها على التقبل الأعمى لسلطة الأبوين ، والمدرسة بتشجيعها للسلطة المدرسية ، والعمل بتشجيعه على الخضوع للنظام الهرمي الذي يجلس على قمته مدير العمل أو الرئيس ، وانتهاء بالنظم الاجتماعية والسياسة العامة التي تأخذ غالبا وصفا معارضا لحرية التعبير والتلقائية . ومن شأن هذه الضغوط وهذا التسلط أن يستثير كثيرا من جوانب الصراع النفسي والقلق .

ومهما كان السبب فإن من الضروري مواجهة الاضطرابات النفسية وما تشيعه من نتائج سلبية بين الأفراد والنظم الاجتماعية في داخل هذا الوطن .

فمن هذه النتائج يجب أن نقلق ، ومن هذه النتائج يجب أن ننطلق بجدية نحو الإصلاح والتوجيه التربوي والصحي . وقلقنا من هذه النتائج مثال جيد للقلق المحمود الذي يدفع لمواجهة الخطر والتحفز الذكي لما تطرحه الحياة من مشكلات . □

□ العبقرية هى القدرة على تحمل المشاق .

(كارليل)

□ الحرية تنمو فى أحضان العلم ، كما يتسلق النبات الجديد على العصى الخشبية .

(روجيه جارودى)

□ إذا ابتسم المهزوم فقد المنتصر لذة النصر ! (شكسبير)



روجيه جارودى

في الأسواق

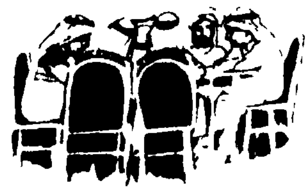
كتاب العربي

الحادي والعشرون

ماذا في العلم والطب من جديد؟

بقلم مجموعة من الكتاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي



منتدى العربي

قضية

مأزق الإبداع الأدبي: أو «الروح الأسيرة»

بقلم : غالب هلسا*

كيف يرى الأديب الواقع من حوله ؟ ما العوائق التي قد تزيف رؤيته ، أو تحد من أن تكون رؤيته مبدعة ؟ أحد هذه العوائق ما يدعوه الكاتب « الروح الأسيرة » . فماذا يعني بهذا المصطلح الذي يستعيره من علم الاجتماع ليشخص به سمة في موقف المبدع ؟ .
بين الأديب والواقع حواجز تمنع الرؤية أو تحدها . وأعجب العجب أن أيا من علم الجمال ، أو علم النقد لم يطرح هذه المسألة البالغة الأهمية الا بشكل عابر . علمان آخران طرحاها ـ وفي سياق آخر مختلف ـ وهما علم الاجتماع وعلم النفس .

تتجسد هذه العوائق التي تقف بين الأديب والواقع في مجموعة من المسائل ، نذكر منها : العلاقات التي يقيمها الأديب بين الواقع والأخلاق ، بين الأدب والفكرة ، بين العمل الفني والسياسة ، وأخيرا ـ وهو موضوع بحثنا ـ اشكالية الروح الأسيرة .

* روائي وناقد عربي من القطر الأردني

ـروح الأسيرة

« الروح الأسيرة » مصطلح في علم الاجتماع تم طلاقه على حالة من حالات المثقفين في الشرق عندما تتفاعلون مع الحضارة الغربية وهي حالة اضطراب وعنانة في الوعي لأنه لم يتم استيعاب الأفكار والرؤى العربية بشكل حدثي وخلاق ، أي أنه تكوّن انفصام عميق بين الأفكار الواردة بكل طرحها وبكل الدعم الحضاري الذي يسندها وبين الحياة الواقعية بتخلفها واستنادها الى منظومة متخلفة من القيم

يصف أحد علماء الاجتماع الـروح الأسيـرة بقوله

« تعتبر الانتقائية ، التوليفية (التلفيقية) وغياب النظرة النقدية الابداعيـة للوعي ، والاغتراب (أو على الأصح الغربة) عن القضايا الفعلية للمجتمع السمات الرئيسية للروح الأسيرة ، وشكلت هـذه الحالة الناجمة عن النقل المتعسف الميكانيكي لأنظمة التعميم الأوروبي ومناهجه الى الـواقـع الأفـرو - آسيوي احدى العقبات الجدية على طـريق التطور السليم للمسيرة الثقافية

سـوف نرى في هـذا البحث أن تعليـل الـروح الأسيـرة لا يقتصر عـلى التفاعـل غير المتكـافيء مع المجتمع الغربي ، ونرى أيضاً أن العنانة الابـداعية التي يعيشهـا المبدع العـربي تعود أيضـا الى تسرب ايديولوجية المجتمع الأبوي الى مجالات لن تتفتح دون الغاء ، أو على الأقل تعقيل هـذه الأيديـولوجيـة الكابحة للابداع .

وإذا مـا نقلنا مفهـوم الروح الأسيـرة الى مجـال الابداع الأدبي ، وخاصة القصة القصيرة والرواية ، فاننا سنجد الكثير من الأفكار الجديدة التي ستساهم في إغنام المفهوم الوارد في علم الاجتماع

فكيف يتجلى هذا المفهوم في الابداع الأدبي ؟

ظل لأديب آخر !

بداية كل أديب أن يكون ظلاً لأديب آخر إن تأثرات دستويفسكي بجوجول استمرت حتى آخر حياته ولا يقتصر هذا التأثير على استعارة الشكل الأدبي من الأديب المعلم ، ولا على الرؤية ، بل يمتد الى استعارة الشخصيات أو السياق الذي تتدرج فيه الأحداث وتتسلسل

هذا أمر طبيعي ومفهوم ولكن ذلك لا يعني أن ذلك الأديب يتسم بامتلاك الروح الأسيرة ، إلا في حالات معينة ستكون موضوع حديثنا .

تبعية الأديب لأديب آخر ضرورة حيوية لتمكين الكاتب الناشيء من امتـلاك الشكل الفني بداية الامتلاك تكون تقليداً أو اتباعا ، يليها مرحلة ابتداع الشكل الفني الخاص بالكاتب نفسه ، يجب ان نشير هنا الى ان استعارة الشكل الفني تشكل حاجزا بين الأديب والواقع فالحياة لا تمنح نفسها الا عبر اطر ذهنية واخلاقية مشحونة بمجموعة من القيم

التجـاور الأول للأديب يتم من خـلال استعارة الشكل الأدبي من آخرين سبقوه ، فمن خلال عملية الاستعارة هذه تتخلخل أو قد تسقط الأطر القديمة يعود ذلك - في مجال الرواية على الأقل - الى انه منذ نشأة هذا النوع الأدبي وهو يرتبط بمجموعة من القيم والمفـاهيم المعارضة ، أو حتى المناقضـة للمفـاهيم السائدة،كان ذلك يظهر بـوضوح سـواء في الشكل الروائي أو في مضمونه الفكري

منذ نشأة الرواية وبناؤها الفني يقوم على افتراض وجود عالمين . عالم ظاهري وعالم سري وكان العالم السري بقيمه ومفـاهيمه هـو العالم الحقيقي كـان ذلـك ، بالـطبع ، تعبيـرا عن نشوء البـورجوازيـة الأوروبيـة في قلب المجتمـع الاقـطاعي ، اي قيـام منظومتين متعارضتين في قلب البلد ، احدهما تحكم والأخرى تحلم بالسلطة

لهذا ، فمنذ البداية ، والشكـل الروائي يحمـل مضمونه الفكري والأخلاقي المتجاور . هنالك قيم سرية حقيقية واخرى ظـاهريـة زائفة لهـذا يمكن القول ان استعارة الشكل الأدبي هي خطوة اولى نحو النفاذ الى حقيقة الواقع . ولكن الابداع ، بالـطبع يفترض ان يمتلك الأديب شكله ورؤيته الخـاصتين

به هنا ، فقط ، يمكننا ان نتحدث عن الأديب المبدع

من هنا ، ومما تقدم ، نستطيع تعريف الابداع بأنه يبتديء بتقمص الشكل الأدبي ، ورؤية الواقع من خلاله ، ويصبح ابداعا حقيقيا عندما تتكون للأديب رؤيته وشكله الخاصان به ، أي عندما يستطيع تطويع الأشكال المستعارة للتعبير عن الواقع من هنا نستطيع ان ندرك اهمية ما قاله (فوكنر) من أنه أصبح كاتبا بحق عندما تبين له أنه يستطيع أن يكتب عن قريته ولا يتوقف أبدا

متى نكتب عن قريتنا ؟

مأزق المبدع العربي أنه لا يستطيع أن يكتب عن قريته ، وأنا هنا أتحدث عن المشرق العربي مازلنا نستعير الاشكال الابداعية الغربية ومضامينها وهذا ما سنفصل الحديث عنه بعد قليل بمثال بالغ الوضوح يستند الى رواية « قدر يلهو » للروائي السوري المعروف شكيب الجابري

كتبت هذه الرواية كتابة اولى عام ١٩٣٨ ، ثم اعاد المؤلف كتابتها في عام ١٩٨٠ ، ولهذا وضع على الغلاف عبارة « صياغة جديدة » وقد اخترنا هذه الرواية ليس لقيمتها الفنية ، وهي قيمة متدنية ، بل لأنها مثال تدليلي فائق الوضوح للروح الأسيرة من اتجاهين : اتجاه التكوين النفسي الذي ثبت هذه الروح ، واتجاه « النقل الميكانيكي المتعسف » للأشكال الأوروبية الغربية هنا تصبح الروح الأسيرة تكوينا اجتماعيا ـ نفسيا راسخا يصعب تجاوزه أو التخلص منه

كيف يتعامل الرجل العربي ، وارث تقاليد وقيم المجتمع الأبوي مع المرأة الأوروبية المتحررة ؟

ما يفعله المؤلف هنا هو أن يخلق ـ أو بالأصح يختلق ـ الظروف التي تجعل المرأة الأوروبية امرأة من نساء الحريم

تبدأ الرواية بلقائه بفتاة المانية في احدى مدن المانيا ، وكانت . « الريح تنفخ قارصة ، ورذاذ المطر يطاير على غير هدى ، ويرشي باسراب من لآلئه الندية » يلتقيها فيندفع في ثرثرة عاطفية لا نهائية

« احب شيء الي أن انطلق في الليل الكبير
تحت شلالات المطر
في دوامة الروابع ،
عبر دهاليز الظلام ،
يقود حطاي فحيح افاعي البرق ،
ويملأ سمعي هزيم معامع الكون الهائج »

يقول هذا لفتاة « ظهر الكلال على ذراعيها ، فوقعتا بغير حول على جانبيها » ونكتشف انه مضى على الفتاة ثلاثة أيام لم تنم ، ولم تأكل شيئا ، وان الراوي حين صادفها كانت ذاهبة لتنتحر الراوي . اذا انقذها من الموت جوعا ، ومن الموت انتحارا ، ومن التشرد ، فهي لهذا تقول له دون تردد

ـ « انه الواقع ألم أقل لك اني قد ولدت من جديد منذ لقيتك ؟ منذ لقيتك »

الواقع أن المؤلف هنا قال أكثر مما ينبغي أراد القول أن المرأة المتحررة قد ماتت وولدت بدلا منها امرأة الحريم تلك المرأة التي تدين بحياتها ووجودها نفسه للرجل فها هي الفتاة تجد من ينقذها من الموت ويطعمها ويؤويها في بيته . فعليها ان تدفع المقابل ، أن تبيع حريتها وروحها له

والراوي يتصرف ، دون شعور بالذنب أو إدانة من المؤلف . وكأنه يمتلك روح الفتاة فهي الخادمة التي تعني ببيته وطعامه ، وهي التي تمنحه جسدها كلما رغب في ذلك ، وعندما يشتهي امرأة اخرى فعليها ان تتسكع في الشوارع حتى ينتهي وعلى الرغم من هذا كله فهو من تحب طيلة حياتها حتى آخر لحظة من أجله تقبل اي شيء

هل هي هذه الفتاة النموذجية التي يفرزها المجتمع الأوروبي ؟ بالطبع لا . اذا من الذي أفرزها ؟

لقد أفرزها المؤلف نفسه ، فهو لم ير اوروبا الحقيقية ، بل رأى قيمه نفسها ،قيم ومفاهيم المجتمع الأبوي وبهذا تصبح تجربة الحياة في اوروبا اعادة انتاج لمفاهيم شرقية وليست تجربة معاشة .

ومن هنا نستطيع ان نكتشف الجذر الحقيقي لظاهرة الروح الأسيرة ان مفاهيم وقيم المجتمع الأبوي تقف حائلا بين الأديب ومعرفة الواقع ولهذا هو لا يصوغ معايشته للواقع بل يصوغ الأفكار التي يحملها عن الواقع ، ويفرضها عليه هنا يتوقف الابداع حيث تصاب القدرة على فهم واقع جديد وتجارب جديدة بالعنانة، فلا يفعل الأديب شيئا سوى اعادة انتاج مفاهيمه

أما الجانب الآخر من المسألة فهو استعارة الأشكال الأدبية وتطبيقها بشكل ميكانيكي متعسّف ، وهو السمة المثالية للروح الأسيرة وهذا ما تطرحه علينا هذه الرواية بوضوح

سيطرة « سيدة الكاميليا » !

تنقطع علاقة الراوي بالفتاة لأسباب غير مقنعة ولكن الراوي أصبح حلم حياتها فما تكاد تنتهي الحرب العالمية حتى تذهب للبحث عنه كل ما تعرفه عنه انه طبيب في دمشق . فكيف تصل اليه وهي الفتاة الالمانية ذات الروح العملية ؟

انها تذهب الى بيروت لتصبح راقصة ومغنية في احد ملاهيها تذهب الى بيروت تأكيدا لقولها في قصيدتها التي تبث فيها الراوي حبها : « اني ذهبت - واني نظرت - فشيء منك يا حبيبي - وفي الفؤاد حسرة - آه - هل من معين ! »

وبعد مضي سنتين يلتقيها الراوي في الملهى البيروتي ، تتعرف عليه ويتعرف عليها . تكشف له أنها جاءت الى بيروت وعملت في ذلك الملهى حتى تلتقي به فيتزوجان ولكن الفتاة مصابة بالسل فتموت في النهاية .

إننا أمام اسئلة لن تستطيع الرواية وحدها ان تجيب عليها . فهل اضمن الوسائل للاتصال بطبيب في دمشق ان ترقص وتغني الفتاة في احد ملاهي بيروت لمدة سنتين ؟

إن الرواية لا تقول لنا ، لماذا لم تذهب الفتاة رأسا الى دمشق ، وتتصل بالطبيب ؟ هناك وسائل عديدة ومضمونة للوصول اليه الاستعانة بدليل الهاتف ، سؤال نقابة الأطباء او وزارة الصحة عنه ، الدخول الى عيادة اي طبيب وسؤاله عنه الخ فلماذا لم تلجأ الى هذه الوسائل ؟

ثم ما الذي جعل الطبيب يتزوجها وهي مصابة بالسل ، وعلى شفا الموت ، في حين انه رفض الزواج بها وهي صحيحة معافاة ؟

لن نجد في الرواية نفسها اجوبة على هذه الاسئلة الاجابة نجدها في رواية اخرى نعني بها رواية « سيدة الكاميليا » لالكساندر دوماس (الصغير) الحكاية فيها ان فتى من عائلة ارستقراطية احب محظية ، وعاش معها ، فاعترضت عائلته بقوة كما شعرت المرأة بورطته وبأن علاقتها به سوف تسيء الى مستقبله ، فتتظاهر انها تحب رجلا آخر في النهاية يوافق اهله على رواجه بها ، ويذهب هو ووالده الى بيتها ليعلنا النبأ ، فيكتشف انها ، - بسبب اصابتها بالسل - تعيش آخر لحظات حياتها

ان سيطرة هذا النموذج من الرواية على الأدب العربي جعلتها مثلا يحتذى من هذا فقط نستطيع الاجابة على الاسئلة التي طرحناها منذ قليل فلماذا اختارت المرأة ان ترى حبيبها من خلال عملها في ملاهي بيروت ؟

السبب يعود الى ان النموذج العربي للفتاة التي تحب شابا ، وتموت من اجله تكون عادة راقصة في ملهى ليلي لهذا السبب تم اختلاق العمل في الملهى كوسيلة للاتصال بحبيبها .

أما عن السبب الذي جعل الراوي يتزوجها وهي محكوم عليها بالموت فهو اعادة انتاج للفتاة ، كما تظهر في الافلام المصرية التي تضحي بنفسها من اجل مستقبل حبيبها .

وبكلمة مختصرة ان منطق هذا الجزء الأخير من الرواية يجب ان يحال الى النسخة العربية من « سيدة الكاميليا » حتى يتسنى لنا فهمه . اي ان الشكل الفني ومضمونه هو الذي يعيد انتاج الواقع ، لا العكس ، ويصبح مصير الشخصيات ، وتكوينها النفسي والاجتماعي. وكذلك منطق الأحداث محدداً بالشكل

والقيم والمفاهيم المستعارة

هل نستطيع اقامة علاقة منطقية بين محاولة الكاتب اعادة صياغة المجتمع الاوروبي وفقا لمفاهيم المجتمع الأبوي ، وبين اعادة صياغة المجتمع العربي وفقا لقيم شكل اجنبي مستعار ؟

إن الربط بين الموقفين يتم حين نتأمل في علاقة الشكل الاجنبي بالرواية ، لقد وضع المؤلف المرأة منذ لقائه الاول معها ، في سياق النص العربي لسيدة الكاميليا ، وهي ترجمة المنفلوطي لها تحت عنوان « العبرات » جاء في الرواية

« حين بلغت ابدا هذا الحد من حديثها كنت اقلب في خيالي صفحات للمنفلوطي

ان وضع الفتاة منذ اللحظة الأولى في اطار « العبرات » أنبأ ، كما اتضح فيما بعد ، بأن هنالك سلطة تتحكم في رؤية الكاتب ، وتفرض عليه طاعتها ، الى حد الغاء الواقع الخارجي . ان هذه الرؤية المتصلبة ، الطاغية ، هي سلطة المجتمع الأبوي . ان تجاوز هذه السلطة لا يعني الضياع فقط ، بل يعني ايضا اثارة مشاعر القلق والخوف والاحباط الخ

ان الشكل المستعار يأخذ بالنسبة للمبدع العربي ، خاصة في المشرق ، طابع السلطة الأبوية من هنا نستطيع ان نكتشف الجذور الحقيقية للروح الأسير .

هنالك سؤال لم نجب عليه بعد ، وهو : ما الذي جعل السلطة الأبوية عائقا للابداع ؟

الموسر الفاصلة

قبل ان اجيب على هذا السؤال اود أن أرد على اعتراض متوقع ، وهو اني اخترت رواية غير ناجحة فنيا ، وحكمت من خلالها على الابداع العربي . هذا ـ كما قد يقول الاعتراض المتوقع ـ يتنافى مع أبسط قواعد البحث العلمي الجاد والمنصف

لقد اخترت بالفعل هذه الرواية ، رغم معرفتي بقيمتها الفنية لأنها تشير بوضوح شديد الى القضايا التي طرحتها ، ولكن هذا لا يعني ان الابداع العربي بريئا من هذه المعطيات . فمنذ عام ١٩٢٧ كتب يحيى حقي يشكو من طغيان الموسر الفاصلة على القصة والرواية في عصره ، وتساءل : ألا توجد نماذج نسائية اخرى في مجتمعنا ؟ وكبر دور الموسر الفاصلة في ادبنا وفي افلامنا حتى كاد ان يلغي كل النساء الأخريات ، أو يهمشهن على اقل تقدير

ويصح القول نفسه حتى على كبار روائيينا فرواية نجيب محفوظ « اللص والكلاب » تقوم على علاقة اللص الشريف بالموسر الفاضلة . وهما شخصيتان مستعارتان من الأدب العربي . كما ان حماسه لا يفتر من الموسر في أدبه حتى يرفعها الى مستوى القداسة . هذه امثلة قليلة . يمكن التوسع فيها كثيرا ، ولكنها تثبت انا نحتاج رواية تشكل شذوذا عن القاعدة

نعود الآن لسؤالنا حول السبب الذي جعل سلطة المجتمع الأبوي عائقا عن الابداع الروائي خاصة . ومنذ نشوئها الاولى ، كانت نتاج بروز الفرد والفردية ، كنمط متمايز عن مطلقات المجتمع ، لم تتشكل تماما في مشرقنا العربي و المرات القليلة التي نشأ فيها نمط انساني متمايز عن الروح الجمعي فان الأمر ينتهي به الى التصفية الجسدية ، أو الروحية

ولكن علينا ان نحدد العلاقة بين سلطة المجتمع الابوي ونشوء الفرد

فمنذ عصر النهضة حتى بداية القرن العشرين نشأت الفردية ثم ألغاها المجتمع الاستهلاكي

يترافق نشوء الفرد بوعي الانسان بجسده الأدب الذي يبدعه الانسان المتسم بالفردية يتصف بشعور حاد بالجسد . وأول ما تقمعه سلطة المجتمع الابوي ان تقمع احساس الطفل بجسده ، يبلغ ذلك حدا من القسوة . ان يصبح استعادة الانسان الاحساس بجسده معناها الدخول في حالة هستيرية »

نتوقف هنا حتى لا يطول الحديث طولا مفرطا ويكفينا هنا ان نقرر أن سلطة المجتمع الابوي هي التي تقمع قدرة العقل العربي ، والأديب العربي على الابداع ...

قصة



أجنحة الروح

بقلم : محمد سمارة

كانت القنابل تأتي الى المدينة كعربان مذعورة ، تنفجر في مكان ما ، فترتفع سحابة نارية ماتلبث أن تتلاشى ، ولبرهة يعم السكون ، ولم يكن البيت الذي استأجرت إحدى غرفه - نعده نصف بيتنا القديم - يعرف ضوضاء البيوت الآهلة فباستثناء الدوي الذي يحدثه انفجار القنابل ، كان البيت صامتا كمغارة ، وكانت غرفه الثلاث تتوزع في حوش دائري قديم ، أسكن أنا إحداها ويسكن صاحب البيت المحور الاخرى ، أما الثالثة فهي عبارة عن مخزن مهجور كنت أرى الرجل دائم الحركة في حوش البيت كسلطان مخلوع ، يجلجل بعقابه الخشبي متفقدا شؤون البيت او صاعدا الى السطح يرعى مجموعة من الطيور ترفرف في الحوش الصامت وفي المساء يفاجئني بجلسته المعتادة أمام غرفته التي تحاذي غرفتي ، مفترشا بطانية مطوية بضع طيات ، متسربلا بأخرى ، تتهدل حول كتفين عجفاوين ، حانيا هامته ، مستغرقا بالنظر في كتاب أو يستمع إلى المذياع أو يعبث بشيء ما وكنت أغادر الى الجبهة وأعود ولايزال الرجل يتحرك نافخا من سيجارته قبضة دخانية كثيفة مغمغما بشيء ما ، أنا وهو دائما كائنان متوحدان ، ولم يكن ثمة مايربطنا غير التحية المقتضبة لكن ثمة ما كنت أحسه في عينيه وهو يرقبني من طرف خفي ، فأقرأ في وجهه رغبة دفينة لمحادثتي

قلت له ذات مساء أنا ضجر ، أود أن أتحادث معك أطراف الحديث ، تهلل وجه الرجل ، وحاول

أن ينهض لمصافحتي قال . على الرحب والسعة ، اجلس . شيء رائع أن أتحدث الى رجل أشم في ثيابه رائحة البارود

وضحك عن أسنان صدئة وأردف · مع أنه يدخل في رئتي كل يوم .

قلت هل تعني البارود ؟

ـ آه . ومن سواه ؟ أما القنابل فيا للمضحك ، ثلاث قنابل سقطت قرب المستشفى التعليمي وأخرى قرب مدرسة الزبير دون أن تنفجر ، لو كنت هناك لرفستها بقدمي كخفافيش عمياء ، أحيانا أتساءل وأنا أراها تأتي في المساء مضيئة كعين فسفورية : ترى ما الذي تقوله هذه الكتلة الحديدية اللعينة ؟

ذات يوم قرأت قصيدة عن قنبلة تتحدث مع نفسها وهي تثقب صدر الريح وقلت : أحقا أن القنابل تتحدث ؟ يا للعجب ! كيف استطاع خيال الشاعر أن يجمح كفرس ، ويصنع هذا العالم الغريب ؟ فحين اقرأ قصيدة جميلة يخيل اليّ أن صاحبها أمسك الفرشاة ـ لاالقلم ـ ورسم لوحة فيها دهشة وانبهار كخيط من الضوء إنه الضوء الذي يسقط على الغابة الموحشة ، فيضيء بقعة صغيرة هي أقرب الى الفيروز فأقول هو ضوء الروح لاغير

وتمنيت أن أكتب شعرا ، وقلت ما الذي يملكه الشعراء غير بياض الروح الباهر ؟ وعندما أمسكت القلم ارتعشت الاصابع وسقط القلم فبكيت .

أحنى الرجل رأسا متعبة وتخيلته ينكمش تحت الغطاء ويختفي قلت :

ـ وهل يهمك أن تكون شاعرا ؟

ـ ليس تماما . ربما هي حالة من الانبهار الوقتي ، لكن لماذا ارتعشت الاصابع في الوقت الذي استسلمت الافكار لرأسي ، إن الافكار تأتي هادئة كصبية خجول ، تطرق الباب فإن لم تجد من يشرع لها الابواب ، ولت هاربة . فهل تطرق الباب ثانية ؟

أدركت أني أمام رجل يزدحم بالافكار ، لم أدر بم اجيب ، غير أنني قلت :

ـ لكنك في صحة جيدة ، أراك تتحرك في حوش البيت كغزال بري .

اغتصب ابتسامة باردة ·

ـ هل قلت غزالا بريا ؟ ما أجمل ذلك ، كلام يصلح لموضوع مدرسي ، لكن ماضير أن يمتلك الغزال رأسا بحجم رأس الديناصور ؟

وضحك عن نواجذ مصفرة وخدين هرمين وأردف : هل رأيت غزالا بريا ؟

ـ مرة واحدة في الجبهة ، رأيته يسقط بفعل رصاصة طائشة فهرعت إليه ، وضمدت جراحه وتركته يهرب

ابتسم الرجل وضرب على ساقه بكف معروقة

ـ ذلك ما فعلته أنا بالضبط ، كنت ـ في شبابي ـ أطارد الثعالب والضباع والدببة وكاد عنقي في إحدى المرات يدق بسبب ثعلب عاندني . لكنني في النهاية اصطدته ، وجلست تحت الشجرة أعالج جراحه ، ثم تركته وانصرفت .

ـ وهل كنت تتسلى ؟

ـ لاأدري ، ربما هي حالة منّ العناد الانساني الغامض لاتلبث أن تغادر الرأس كقبضة من الدخان

ـ يبدو أنك كنت صيادا في وقت ما

ـ أوه . هي واحدة من هوايات كثيرة هل رأيت الحواة اذ يلعبون بعدة أشياء في الهواء ! حسنا كنت متعدد الهوايات شغوفا بذلك الجنون الانساني ـ كما أسميه ـ حتى أنني تصورت أنه سيعيش في الرأس مهما تقادم الزمن

لكن الاختناق الذي اصاب الرئتين تركني مقطوع الانفاس لاأطلب أكثر من نسمة هواء تملأ الرئة المتعبة . ثم وجدت نفسي أقفل على أحلامي المضحكة وأرميها في البحر ألا تراني بهذه الجلسة المضحكة أشبه المومياء المحنطة .

ـ كلا إنك تتسلى بالقراءة وال . . .

ـ عجيب ، في هذا الجو الشتائي والقنابل تهبط كالفاكهة المسمومة .

ضحك وهو يسحب من جيبه شيئا بحجم الاصبع ، دسه في أنفه وسحب نفسا كالشهقة قلت :

ـ قد يضرك البرد .

توقف بصره على وجهي ، ومضت فترة قبل أن تطرف عيناه ويمد يده الى سيجارته المطفأة قال هامسا

ـ تقول يضربني البرد ، البرد ، هه ، والقنابل التي تسمعها الان ألا تضربني هي الأخرى ؟ عجيب ، رحل مثلي خاض حروبا ومظاهرات قديمة هل يخشى البرد ؟ علمتني الحياة أن الحرب دمل في الخاصرة ، وما عليك إلا أن تضع المراهم وأوراق الخروع ليصبح الدمل سهل الازالة ، وهل الحرب غير تجربة يحتملها الرجال ليبعدوا الرصاصة عن القلب ؟

ونظر في وجهي متأملا .

ـ هل أنت في اجازة الآن ؟

ـ ثلاثة أيام

ـ أراك دائما في غرفتك ، ألا تقرف من الجلوس على سريرك ؟

ـ أين أذهب ؟ انتهى كل شيء ، أمي وأبي وثلاث أخوات

ـ يا الهي ما الذي حدث ؟

ـ تحول كل شيء الى كومة عظام بسبب قذيفة سوداء

ـ يا الهي

ـ وهرعت أتلفت كمجنون في كل اتجاه ، وساعدني العشرات من الناس ، وأخرجنا الجثث الخمس أشلاء ممزقة

ـ يا الهي

ـ وفي الجبهة كاد رأسي يتدحرج بين قدمي ، بل كاد يتناثر كنتف صغيرة من اللحم لاتمسكها اليد ، وكنت أنجو في كل مرة باعجوبة ، وفي احدى المرات كنت أمسك الانفاس حين وجدت نفسي محاصرا ، وكنت أقول هي موتة واحدة هبها لمن تعشق ، واجعل لجسدك اجنحة تنطلق في الفضاء ، وكنت أضحك من نكتة الاسر ، ثم صرت في الآخر أبكي ، وأقول هي حالة من الموت المجاني أن تجد نفسك في الاسر بينما الوطن ينتظرك ، وفي النهاية أخذني عشق القراءة ـ في وقت الاستراحة ـ لاسيما كتب الفلسفة ، هل تصدق ذلك ؟

ـ أصدق ، وهل القراءة غير نتاج تلاقح العقل الانساني مع أنفاس الحياة ، علمتني الحياة أن الوجع الذي لاتمسكه اليد سرعان ما يتلاشى كقبضة من الدخان في حالة اضاءة بقعة صغيرة داخل النفس الانسانية . ما هي تلك البقعة الصغيرة ؟ليتني علمت ، في شبابي قرأت في الطب والادب والفلسفة والتاريخ والكيمياء القديمة ، خليط متناقض ، وكنت أحمل دفترا كبيرا أدون فيه ما يخطر في البال ، كان مليئا بالخطوط الجغرافية والمعادلات وبالكلمات التي أود حفرها في الرأس ، كنت أيامها عاشقا للسفر والترحال بشكل جنوني ، تركت زوجة شابة وطفلا في الثانية وقطعت الكرة الارضية مثلما أقطع الطريق الى رأس الشارع ، زرت القطبين الشمالي والجنوبي ، طفت في بلاد الثلج ، ورأيت الدببة البيضاء وهي تتمطى على الجليد كقطع من الاسفنج ، ونمت في لهيب افريقيا نصف عار حتى اسود جلدي وذاب رأسي ، واشتغلت مع بعض القبائل البدائية في جني الصمغ من الاشجار ، وتعلمت بعض الكلمات من عشرين لغة ، لكنني وبعد كل هذا التجوال اكتشفت عبث الاستمرار في لعبة مضحكة بينما الوطن يضرب في الصدر كالمسمار قرأت مرة أن الوجع قد يلد النقيض . شيئا أقرب الى الاحساس الاثيري الهادىء ، ذلك عجيب ، لكني اصدق والا كيف يطوف الفرح الابيض على شفتي الجندي لحظة استشهاده لقد أخبرني أحد المقاتلين أن رفيقه همس له قبل استشهاده أنه يشعر بخدر لذيذ غامض يتمنى لو يدوم ، وظل وجهه يحتفظ بابتسامة سحرية ما برحت مضيئة في رأس الصديق كمصباح ، يومها توقفت أمام العبارة التي تقول كان سعيدا حد الموت ، فحين عدت الى الوطن ـ بعد غيبة سنوات ـ على ظهر إحدى البواخر وجدت نفسي فوق مياه شط العرب ، القيت بجسدي في الماء ، ورحت أسبح كسمكة نهرية ، وضحك الركاب وأدركوا أنهم أمام حالة فريدة ، وقالوا . لقد كنت طوال الرحلة تمتطي ظهر الماء فما الذي حدث ؟ ولم أخبرهم ما طعم الماء في شط

العرب ، وخرجت من الماء مبلولا ، ضاحكا ، فلثمت أول ما لثمت وجه زوجتي التي قالت ضاحكة كنت أعرف أنك ستعود أيها الدرويش ، لكن المسكينة ماتت بعد سنوات قبل أن ترى الابن الذي صار مقاتلا

توقف الرجل عن الحديث أشعل سيجارة جديدة ، وناولني أخرى ، وأرهفنا السمع الى صوت انفجار قريب ، وعلق الرجل انها القنبلة الثانية ، فأين عساها تكون الثالثة ؟

نفض رماد سيجارته في منفضة معدنية صغيرة ورسم على وجهه الاجعد ابتسامة واهنة وقال : في بداية الحرب كان سعيد في الخامسة عشر من عمره ، كان يصعد الى السطح مساء ويرقب العيون الحديدية اللامعة ويهتف من فوق · هذه قذيفتهم ، ياللولد الذكي ، صارت له الخبرة في معرفة مصدر القنبلة من صدى الانفجار ، وكان يمضي جل نهاره على السطح مع مجموعة من الطيور البيض اشتراها من سوق الجمعة ، وصنع لها قفصا جميلا من الخيزران ، وعندما التحق بالجبهة ظلت الطيور تهدل بغيابه بطريقة شجية . وكان في كل اجازة يندفع الى أحضاني لدى الباب معانقا ، وما يلبث أن يسحب ذراعيه ويندفع ثانية الى السطح ولا يهبط الا بعد المغيب ، وكنت أعجب لهذا العشق « الكرنفالي » ، وكان يجيب على دهشتي . هل ثمة أجمل من أن تغفو بين أنغام لاتصنعها الانامل البشرية ؟

وفوجئت به مرة نائما بينما الطيور ترفرف حوال، وعلى خوذته وكتفيه ، كان متعبا حين دهمته الاغفا، فهل رأيت شيئا كهذا جنديا بكامل ثياب المعر، ينام مع الطيور ، وغمرني احساس بالنشوة وأنا أر ولدي يرسم في نومته لوحة ، ياالقوة الشعر والفرشـ، أن تصنعا مثلها ، حسنا هل أخبرتك أنه كان يكتب الشعر أيضا ؟

لقد أسمعني ذات ليلة قصيدة رقيقة ، وعندما سألته عنها ، أجاب على خجل أنه مؤلفها وأنه مواظب على كتابة الشعر منذ وحد نفسه وجها لوجه مع الموت ، ياللروعة ولدى يكتب الشعر فيقدر على مالم يقدر عليه أبوه ، فيمنحني احساسا افتقدته حين أمسكت القلم لاكتب الشعر ، وأخبرني أنه يكتب المذكرات أيضا ، يقتنص الكلمات في وقت الاستراحة ويمنحها صوء الروح فتتحول الى كائن كالطير يرفرف في فضاء المعركة ، أخبرني بذلك وهو ينظف رشاشه فنهضت مقبلا ، فيا للولد الاسمر ، ونشر بعضها في صحيفة محلية ، وعندما قرأته بكيت ، وتذكرت ما كتبته وأنا في مثل سنه ، وقلت لسخف ما كنت أنا أكتبه . وكان يبعث الرسائل من



هة في كل شهر بانتظام ، رسالتين في الشهر
ديلها دائما بأسئلة طريفة عن دقني التي يجب الا
مل حلاقتها ، والطيور التي يحذرني من رغبة طارئة
بيبي فأشوي واحدا منها   أو يقول ضاحكا   هل
د كتابة الشعر يا أبي ؟ تعال هنا . وانظر كيف
صنع الشعر بأسنان البندقية

وجاءني يوما وقد ومضت في رأسه فكرة عجيبة .
رر أن يأخذ معه طيرين الى الجبهة فهو سيجد لهما
هناك ملجأ أمينا . وفعلا أخذ الطيرين وغاب ثلاثة
شهور دونما اجازة ، وفي اليوم الاول من الشهر
لرابع عاد أحد الطيرين وحيدا ، وحط على قفصه
سكون وما لبث أن هبط الى الداخل . وانكمش في
لزاوية يهدل بصوت كالطعنة . وبعد أيام جاءوا
بولدي شهيدا ، ووجدت نفسي أبوح باسرار روحي
للجدران ، وتنازعتني رغبة خفية لابحث عن
مذكراته ، وإذ عثرت عليها تلمستها بخشوع ،
فادهشتني النفس المضيئة في كل سطر ، وكدت
صرخ مع نفسي إنها الشعلة المضيئة في الغابة
موحشة   إنه الضوء الذي يسقط في الظلمة فتمسكه
مشاعر ونبضات القلب ، وبلا أدنى تردد خطوت الى
حيث كنت أحتفظ بمذكراتي في صندوق قديم ،
مسكتها ورحت أمزقها صفحة صفحة والقي بها في
كل مكان . فأين ما كتبته أنا مما كتبه ولدي في لهيب
لنار ؟ وبعد أسبوع قرع الباب ووقفت أمامي فتاة
شابة لم أكن رأيتها من قبل . وقدمت لي مرتبكة رزمة
من الرسائل . وقالت بخجل هادىء   إنها من
سعيد ، كان يراسلني منذ شهور   واحمرّ وجهها
حمرة التفاح . وأردفت كالبكاء   هل تراني قادرة
على الاحتفاظ بها وهي تميتني كل يوم

توقف كل شيء في رأسي مرة واحدة . وجدتني
مصابا بدوار كأني سمكة خرجت من الماء ، ماذا
يعني أن أجد نفسي خاصة بقصة تلهب الرأس
تتفجر في الداخل كقنبلة موقوتة ؟ كيف يستيقظ
ضوء في النفس الانسانة على موضوع صغير
ينحصر في بضع كلمات ؟ وهل الحياة ـ يا للحياة
ـ ... ـ سوى كتاب ببضع كلمات ؟ وأيقنت أنا
الجندي الذي أمضى في الحرب ثلاث سنوات ، أن
الاشياء العظيمة هي ما يتلخص بأصغر المفردات ،
والا بم أوجز السنوات الثلاث التي أمضيتها محاربا
بينما الموت والحياة يسيران جنبا الى جنب توأم
لايفترقان ؟ وأنا في الخندق أحاول ابعاد شبح الموت
والخراب بأظافري ، وبقيت في غرفتي ـ مستيقظا ـ
منشغلا باستعادة عبارات الرجل العجوز وربط
أحرافها من جديد ، أحاول في آخر الليل هضمها
على مهل ، ماذا يعني الليل ؟ إنه الدوي والانهيار
الذي يعقبه صمت مقلق حين تستيقظ صباحا لترى
البيت الذي كان بجوارك قد أصبح فراغا مجرد هياكل
طابوقية ، ونثارا من اللحم والدم ، وأصواتا كانت
تحاورك ذات يوم ، فلقد عودتنا الكتل النارية اللاهبة
أن لاموعد للموت القادم . وهل كنت أتوقع وأنا
أعود من الجبهة الى بيتنا القديم ، هل كنت أتوقع أن
كتلة لامرئية ستتجه الى البيت فيستحيل كل شيء الى
دخان ؟ في الواقع أن ثمة شيئا أبيض ، ربما هو فيض
من ضباب لاأعرف ماهيته غلف رأسي فلم أعد أرى
شيئا ، لكنني استطعت أن أميز عشرة أذرع لخمسة
أجساد بخمسين أصبعا تبرز من باطن الارض
كعروق لاهبة وتمسك السماء

وفي الجبهة ظل الفيض الضبابي يغلف رأسي وأنا
أحدق الى الامام قابضا على رشاشي بأسناني ،
وأهمس بغضب مكتوم   لن تنفجر قنبلة أخرى ، لن
أرى الشوارع تمتلىء بالحفر السود ، لن تقف البيوت
على هياكل طابوقية   وكان الرجل العجوز عالما
جديدا أطل عليه إذ يأخذني التعب والدوي
فنتحاور ، ويمتد الحوار ، وتساءلت لماذا لم يلتق
الرأسان من قبل وقد مضى على وجودي معه
شهران ؟ وكان ولده الغائب وفتاته المصرية ثالثنا في
الحديث ، كائنان يتوسطان جلستنا ويتحركان في
فضاء الحوش كضباب سحري ازرق ، وكانت
القنابل تتخلل الحديث ، وفي الجبهة أسرق الوقت
لاقرأ رسالة وصلتني من الرجل فأتشرب الكلمات
بهدوء هادىء ، فها هو يحدثني عن الطيور وعن آخر
كلام قرأه ، ويعيد لي مقاطع من قصيدة كتبها

سعيد ، ويسألني رأيي في طبع ما كتبه ذلك الشاعر الصغير ، وقال في نهاية رسالته إن الفتاة البصرية قد جاءته ثانية فأذهله قدومها المفاجيء قالت انها تريد استعادة رسائل سعيد ، واعترفت حزينة أنها نادمة اد أعادتها أول مرة ، فهي أحق بها حتى لو كانت نزيفا في القلب

وأعطاها الرحل الرسائل فاحتضنتها بحرص وغادرته دون أن يعرف من تكون وفي رسالة لاحقة كتب لي أن الفتاة جاءته مرة ثالثة وطلبت أن ترى طيور سعيد لطالما حدثها سعيد عنها ، ودخلت الفتاة البيت ، وصعدت الى السطح ، واطعمت الطيور وداعبتها بمرح ، ثم خرجت وهي أكثر مرحا

وقال الرحل في ذيل الرسالة في اجازتك القادمة سأضع بين يديك مذكرات سعيد ، لقد أخرجتها من مخبئها ونفضت عنها تراب الزمن ، أنا واثق أنك ستجد فيها شيئا فربما الهمتك ـ على الاقل ـ أن تكتب المذكرات

وفي الاجازة كنت أجلس في البيت وبين يدي مذكرات سعيد ، مبهورا بالخط الجميل والكلمات التي تشبه حبات اللؤلؤ ، وفيها يقول أنا حائر أمام هاجس الشعر ، إنه يطوقني كالقيد حتى وأنا في مواجهة العدو ، إنه السيد المطاع وأنا العبد ، ولكن لماذا أعبد ذلك السيد الجميل ؟

ويقول في مكان آخر لقد علمتني الحرب أن الشهداء لايقدمون التحية لأحد ، إن الآخرين هم الذين يلقون التحية ، إذاءعلى القرن الحادي والعشرين أن يرفع قبعته بمجرد أن يقترب من قبري

وفي صفحة أخرى حبيبتي ليس الحب أن ينظر بعضنا الى بعض ، وإنما أن ننظر سوية في اتجاه واحد

ويختتم إحدى الصفحات قائلا لقد قرأت هذا الاسبوع ثلاثة كتب مرة واحدة ، فتعلمت الكثير ، وأدركت أننا نتعلم من احتكاك الافكار في الهواء الطلق ، ولكن لماذا تريد الرصاصة أن تقتل هذه الافكار ؟

اعترف أنني التهمت المذكرات ، قرأتها كلمة كلمة ، فأيقنت أن ذلك المقاتل كان يمتلك موهبة التحرك في جميع الاتجاهات بطريقة مدهشة وإلا كيف وجد الوقت للحرب والحب والكتابة ، وتمنيت لو أقرأ ما كتبه لابيه ولحبيبته ، تمنيت أن أقرأ كل ما خطه الرأس المضيء ، وهممت أن أطلب الى الرحل ذلك عبر أنني ترددت ووجدت قدمي تقودني ذات يوم الى السطح حيث الطيور والفضاء الابيض والشط الذي لاح من بعد كبيرا وهادرا ، أصغيت الى الهديل الذي يلمس القلب فكيف لم أر الطيور من قبل وهي فوق رأسي دائما ؟

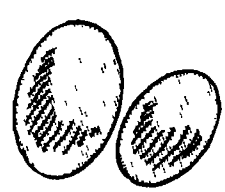
تقدمت مراقبا حركاتها الهادئة ، وعيونها الحررية اللامعة ، وغمرتني نشوة أثيرية وأنا أرى أفراخا رغبية تصوصو في الزاوية ، وفي الزاوية الاخرى ثمة بيض على كومة من قش ينتظر التفقيس مددت يدي ولمست مداعبا الاجنحة اللحمية والزغب الاصفر الناعم ومضت فترة من الوقت لا أعلم مداها حين دهمتني الاغفاءة لمس النعاس جفني كنسمة هادئة ، فاتكأت بين اليقظة والمنام على القفص ورفرفت الطيور حولي ، شعرت بخفق أجنحتها وبهواء منعش يلمس وجهي ، ولم انتبه إلا على دوي انفجار قنبلة سقطت على المدينة ، وانهار شيء ما ، وارتفعت سحابة غبارية ، ولبرهة انفجرت قنبلة أخرى ، ورفرفت الطيور مذعورة ، وحطت على القفص من جديد كنت لاهيا عن كل ماعدا الطيور ، متكئا على القفص ، تسحبني الاغفاءة الهادئة ، ولم أكن أكترث أن تأتي القنبلة السوداء المذعورة . □

ـ قيل لعمر رضي الله عنه ما العاجز ؟ فقال من عجز عن سياسة نفسه

الجديد في العلم والطبّ

إعداد : يوسف زعبلاوي

بيض دجاج خالٍ من الكولسترول



● استمع المؤتمر السنوي الذي عقده اتحاد الجمعيات الامريكية للبيولوجيا التجريبية في لاس فيجاس في الولايات المتحدة ، وذلك في اوائل شهر مايو من السنة الحالية (١٩٨٨) استمع الى بحثين علميين هامين ، تناول أحدهما بيض الدجاج المعدل الذي نجحوا في تطويره حيث يستطيع المرء تناوله دون أن يخشى من ارتفاع نسبة الكولسترول في دمه ، وركز البحث الثاني على الكيماويات الغذائية الكفيلة بخفض نسبة الكولسترول في الدم

وذكر البحث الأول فيما ذكر أن التجارب التي أجريت في جامعة يوتاه قامت أساسا على ادخال زيت السمك في الطعام الذي قدم الى الدجاج موضع التجربة ، وبعد ثمانية اسابيع من هذه التغذية قدم بيض الدجاج المذكور الى ١٢ رجلا ، وأثبتت الفحوص انخفاض ضغط الدم ونقصان نسبة الكولسترول في دم أولئك الرجال جميعا ، أما رائحة السمك ونكهته التي غلبت على ذلك البيض فليس من الصعب التخلص منها ، ففي الامكان القضاء على رائحة زيت السمك الذي يعطى الى الدجاج بالمعالجة المعروفة بـ (Deodorization) وذكر البحث الثاني أن زيت احد التوابل الشائعة في تايلند كفيل بخفض نسبة الكولسترول في الدم ، والزيت المذكور هو زيت عشبة يسمونها حشيش الليمون (Lemongrass) وقد صنعوا منه كبسولات بتركيز ١٤٠ ملغراما ، وأعطوا هذه الكبسولات (واحدة في اليوم) لجماعة من الذين يعانون ارتفاعا غير سوى في نسبة الكولسترول ، فهبطت هذه النسبة بمعدل ١٠٪ أو يزيد في أكثر من ثلث تلك الجماعة

■■■

حذار تدفئة الرضّع

● نشرت المجلة الطبية البريطانية في أحد أعدادها الصادرة في شهر يونيه الماضي بحثا خطيرا حول تدفئة الأطفال الرضع ، واعتمد البحث على قصة طفل يبلغ من العمر أربعة شهور اضطر أهله لادخاله المستشفى ثم مالبث أن مات ، واحتار الأطباء في سبب الوفاة ، واعتقدوا في بادىء الامر أن الطفل تعرض لجلطة لسبب أو الآخر ، وأن تلك الجلطة هي التي أدت الى موته .

وما أسرع ماتبين للأطباء أن سبب وفاة الطفل انما كان التدفئة البالغة ، فقد

درجت امه على وضعه في السرير المتنقل (Carrrycot) وعمدت الى لفه بغطاءين . من صوف بحيث تجاوزت درجة حرارته الأربعين مئوية ، وارتفعت أحيانا الى ٤٢ درجة أو يزيد ، وهي الدرجة التي كان عليها حين دخل المستشفى .

من هنا جاء تحذير الأطباء للامهات بألا يضمن ثقتهن العمياء في التدفئة ، وأن يحرصن على قياس حرارة أطفالهن بالميزان عند الاشتباه بارتفاع تلك الحرارة أكثر مما ينبغي ، والتحذير موجه لسكان المناطق الباردة الذين يخشون على أطفالهم الموت من شدة البرودة ، فما بالك في سكان المناطق الدافئة والحارة ؟ فهم يخشون على أطفالهم من البرد وكأنهم من سكان الأصقاع الباردة ، والأولى بهم أن يكونوا أشد حذرا من التدفئة وهي مقترنة بحرارة الطقس في بلادهم



■ ■ ■

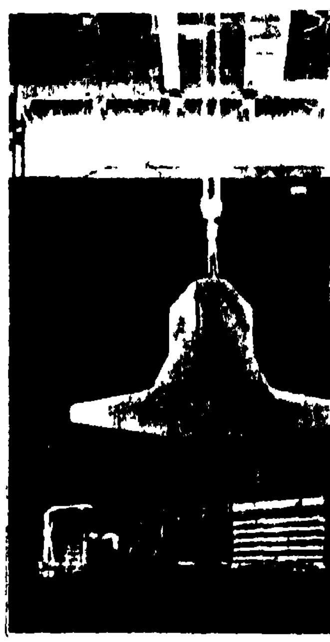
طائرة الهليكوبتر متخلفة نسبيا

شهد شهر يناير الماضي استكمال أعمال الانشاء في مجمع لأنفاق الريح ، ويعد أضخم مجمع لهذه الأنفاق في العالم كله ، وذلك في مركز « آمس » لأبحاث « ناسا » في كاليفورنيا

والغاية من هذه الأنفاق انما هي اجراء التجارب على نماذج الطائرات بدلا من اجرائها على الطائرات نفسها في أعالي الجو ، ويكون ذلك باطلاق الطائرة الأنموذج في نفق الريح حيث تتعرض لتيارات هوائية موجهة ، وفيما يمضي المهندس في مراقبة الطائرات الأنموذج على شاشة التلفاز ، يمضي جهاز « الكمبيوتر » في فحص الهواء المحيط بالأنموذج ، ويتحسس مواطن الضعف والقوة فيه ، لكي يصار الى اجراء التعديلات المناسبة ان كان ثمة حاجة لمثل تلك التعديلات .

ويغطي النفق الأكبر في المجمع رقعة واسعة تبلغ مساحتها ١٢ فدانا وتعمل في محطته ٦ محركات صخمة تحتاج الى ١٠٠ ميجاواط ، أي مايكفي لاصاءة ٧٠٠٠ منزل ، أما مراوحه العملاقة فتستطيع أن تشفط في الثانية الواحدة (٦٣) طنا من الهواء وذلك عبر محطة تجميع تبلغ مساحتها مثل مساحة ملعب لكرة القدم

ومع أن هذا النفق يستطيع أن يستوعب طائرة بوينغ (٧٣٧) الا أن التجارب التي تجرى فيه تجرى في الغالب على طائرة الهليكوبتر التي مازالت متخلفة بالمقارنة مع الطائرات ذات الأجنحة الثابتة ، وذلك حسبما يؤكد الخبراء والغريب أن النفق لا يعد صالحا لاجراء التجارب على الطائرات المقاتلة النفاثة ولا على تلك المصممة للانطلاق الى الفضاء ، هذا على الرغم من السرعة الفائقة التي يبلغها الهواء في داخله ، وهي لاتقل عن ١١٥ ميلا في الساعة،والى جانب النفق الأكبر الذي ذكرناه يشمل المجمع عشرة أنفاق أخرى أصغر حجما ومعدة لاجراء التجارب على نماذج الطائرات كما سبقت الاشارة



والجدير بالذكر أن أنفاق المجمع كلها محجورة لصالح الشركة التي تصنع الطائرات ، ولصالح جهات أخرى حكومية أو غير حكومية ، على مدى السنتين القادمتين ، وعلى نحو متواصل

براءات بحيوانات جديدة مخلقة



● من المعروف أن الاختراعات تسجل ، وبراءاتها تمنح في الحالات التي تكون المبتكرات فيها سلعا أو منتجات أو أساليب ، وقد أضيفت الى هذه وتلك في المدة الاخيرة المبتكرات التي تمخضت عنها الهندسة البيولوجية في مجال النبات ، ومجال الحشرات ، فحصلت شركات شتى على براءات تشمل أشجارا طورتها أو بكتيريا خلقتها ، الا أن هذه البراءات حظرت حظرا تاما فيما يتصل بالحيوانات المخلقة كالأرانب والدجاج والخيول والثيران وما الى ذلك حتى كان شهر ابريل الماضي ١٩٨٨ فقد خرجت دائرة الاختراعات والبراءات الامريكية على هذه القاعدة ، ومنحت جامعة هارفرد الشهيرة براءة اختراع على فأر جديد نجح في تخليقه علماء تلك الجامعة . .

وتتميز الفئران الجديدة بقابلية فائقة للاصابة بسرطان الثدي وقد تميزت مواليدها بمثل تلك القابلية مع الفارق أن قابلية هذه المواليد وراثية ، وهذا هو بيت القصيد .

اذ أن مايسعى اليه علماء جامعة هارفرد هو المقارنة بين العوامل الوراثية كالقابلية التي ذكرنا والعوامل البيئية ، بل وتحديد التفاعل بين الفئتين من العوامل في حالات الاصابة بسرطان الثدي ، الامر الذي يؤدي الى مزيد من الدقة والاحكام في تشخيص سرطان الثدي في بني الانسان ، وبالتالي في معالجته . وما أسرع ما أقدمت جامعة هارفرد على حصر حق انتاج أو تخليق الفئران الجديدة في شركة دي بونت الشهيرة ، ولكن البراءة التي ظفرت بها جامعة هارفرد لم تمر بسلام ، فقد أثارت موجة غضب واحتجاج ترددت أصداؤها في طول البلاد وعرضها ، وبلغت الموجة ذروتها في الكونجرس الأمريكي ، وقد سارع الى فرض حظر شامل على منح البراءات على الحيوانات المخلقة كلها دون استثناء ، وذلك ريثما يتسنى له استكمال التدقيق في المشاكل والمخاطر المترتبة على تخليق الحيوانات أصلا ، فالحيوان المخلق قد يسلك خارج جدران المختبر سلوكا مغايرا لسلوكه داخلها ، فيصبح بمثابة المستر هايد بعد أن كان كالدكتور جيكل ويتسبب - بالتالي - بأضرار للانسانية ككل ، تفوق كل المنافع التي قصد اليها العلماء من تخليقه .

ولو أطلق العنان لتخليق الحيوانات دون قيد أو شرط لوجد بين الشركات الصناعية الجشعة من لايعبأ بالأضرار التي يمكن أن تترتب على ماتخلق منها ، مادامت تضمن للشركات ماتسعى اليه من ارباح .

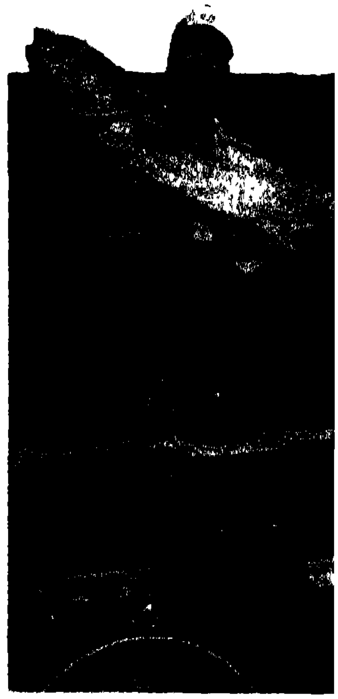
ويرد انصار الاستمرار في تخليق الحيوانات وفي منح البراءات على مثل الفأر الذي خلقته جامعة هارفرد ، ويؤكدون أن الحظر الذى فرضه الكونجرس الأمريكي خطأ كبير ، ولامعنى له الا شل التقدم العلمي في أمريكا وافساح المجال لليابان وغيرها للمنافسة ، ولربما السبق أيضا في مجال حيوي بالغ الخطورة ، وهم يطالبون برفع الحظر المشار اليه دون تأخير . □

صيد السمك بالسنارة يهدّد الثروة السمكية

قد لايكون صيد السمك بالسنارةهواية واسعة الانتشار في بلادنا لكنه كذلك في أمريكا دون أدنى ريب ،فقد بلغ عدد الذين يمارسون هذه الهواية ٥٤ مليون نسمة في الولايات المتحدة وحدها ، تراهم وقد انتشروا على ضفاف الأنهار وشواطىء البحيرات والخلجان ، وترى أنهم يتغيرون ويتبدلون بأسرع مما فعلوا في الماضي حين كان الصياد يقضي ساعات بطولها في مكان واحد قبل أن يعود الى بيته يجر أذيال الفشل ، أو يحمل ماسمحت له الصدفة بصيده ، كثيرا كان أم قليلا

على أن صيد السمك بالسنارة دخل مؤخرا العصر « الالكتروني » ولم يعد يعتمد على الصدفة كما كان في عصور ماقبل التاريخ لقد دخل العصر « الالكتروني » من أوسع أبوابه وذلك تبعا للأجهزة المنمقة العديدة التي ابتكرتها التقنية الحديثة لصالح هذه الهواية

نذكر من تلك الأجهزة ساعة حرارة الأعماق التي توجه الصياد الى بقاع في أعماق البحر دات برودة فائقة نسبيا لاتلبث أن تجتذب السمك اليها في أيام الصيف الحارة ، ونذكر أيضا ساعات أخرى تساعد على تحديد الحموضة فتوجه الصياد الى مواطنها حيث يتجمع السمك طلبا للغذاء ، ونذكر كذلك الأجهزة التي تتحرى مواطن الضوء وتقرر أي الالوان أكثر جذبا للأسماك في دلك اليوم ، وفي تلك المواطن على الأخص ، فتعمد الى الافادة منه وتبقى الأجهزة الأبعث على العجب ، والأكثر رواجا بين الصيادين ، تلك التي تعتمد سبر الأعماق أساسا لاكتشاف الأسماك وقوام هده الأجهزة صندوق تحكم يرسل نبضات « الكترونية » الى محول مركب على مقدمة القارب (أو مؤخرته) ولايلبث هدا المحول أن يحول تلك النبضات الى موجات صوتية عالية الدبذبة ، ثم يرسل هده الموجات الى أسفل حتى اذا ارتطمت الموجة بالقاع أو بالسمكة ارتدت من حيث أتت ، ويلتقط المحول هده الأصداء ويرسلها الى صندوق التحكم ، وتظهر النتائج على ورق وتدل الخطوط المتواصلة على قاع البحر وتدل الأقواس أو ما اليها على الأسماك ، ويمثل عمق القوس طول السمكة الموجودة وقد لايزيد طول هذه السمكة على ١,٥ بوصة ، ومع ذلك فان بعض أجهزة السبرهذه تستطيع تحديد موقعها بضبط ودقة كما أن بعض هده الأجهزة يحدث صوتا مميزا لدى العثور على السمكة ، وبعضها الآخر يعطي ألوانا مختلفة ، ترمز الى صفوف السمك المختلفة فالأحمر للدولفين مثلا ، والأخضر للسلمون وهكدا بقي أن نذكر بأن هـذه الأجهزة التي نقلت هواية صيد السمك من العصور الحجرية الى القرن العشرين دفعة واحدة باتت تهدد الثروة السمكية في المناطق التي انتشر استعمالها فيها





النحل القاتل ثانية

● ثمة تشابه بين منطقة الشرق الأوسط وبين قارة أمريكا الشمالية ، فالاولى يهددها الجراد الصحراوي بينما الثانية يهددها النحل القاتل الفتاك وتعود قصة هذا النحل المتوحش الى ماقبل ثلاثين عاما سنة ١٩٥٧ بالتحديد ، حين استوردت البرازيل أسرابا من ذلك النحل من بعض البلدان الافريقية ، واتفق لبعض هذه الأسراب أن أفلتت ، فمضت تهاجر الى الشمال بسرعة تزيد على ٣٠٠ ميل في السنة ، وراحت تتكاثر وتزداد أثناء تقدمها في أمريكا الوسطى فأمريكا الشمالية حتى أصبحت حشودها تقدر بالملايين .

والغريب أن سم هذا النحل ليس أشد فتكا من سم النحل المسالم لكن الفرق بين الصنفين انما هو بالروح العدوانية التي يتميز بها النحل القاتل ، فهو لايكاد يشعر بخطر يتهدد خلاياه حتى يقدم على مهاجمة ذلك الخطر حيوانا كان أم انسانا ، وتمضي حشوده في الانقضاض على ذلك الانسان أو الحيوان ، والمضي في لسعه حتى تضمن استبعاد خطره ، وكثيرا ما ينتهي ذلك بالموت ، وتؤكد الاحصاءات أن الذين ماتوا بسبب لسع النحل القاتل منذ سنة ١٩٥٧ حتى الان يعدون بالمئات ومن طريف مايذكر أن صفارات الانذار في مدينة هوستون في تكساس أطلقت صفيرها في شهر مايو الماضي بسبب ظهور أسراب كبيرة من النحل قدمت الى الولاية عبر حدودها الجنوبية ، وعم الهرج والمرج ولاية تكساس ، وانطلقت فرق المكافحة لتقوم بالمهمة التي أعدت نفسها لها منذ سنوات ، ومالبث التكساسيون أن اكتشفوا خطأهم ، فقد كانت الأسراب التي اجتاحت حدود ولايتهم الجنوبية أسراب نحل مسالم وليس القاتل

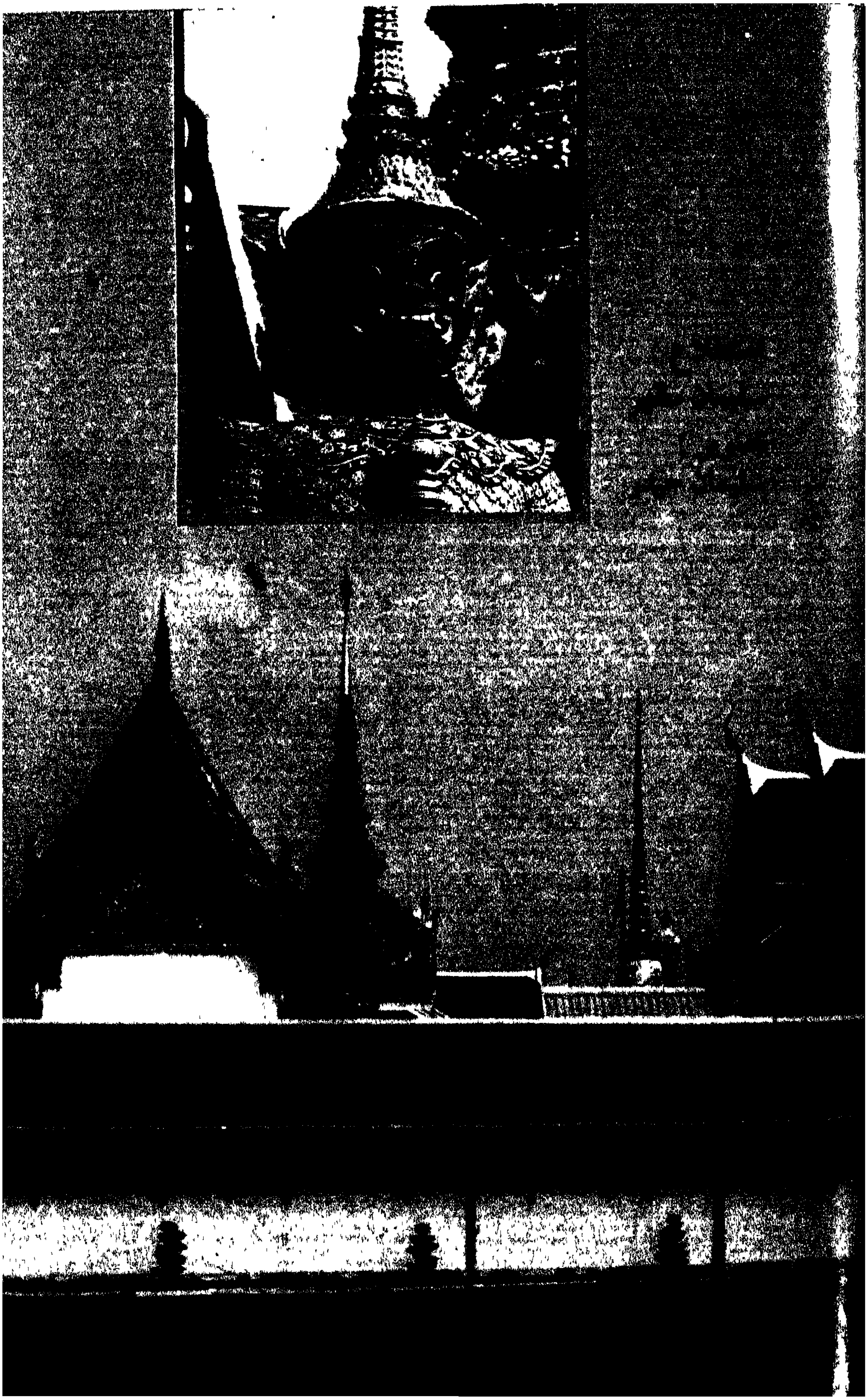
ومهما يكن فان الاجراءات التي اتخذها الأمريكيون لمكافحة النحل القاتل كثيرة ومتنوعة ومحكمة بحيث يستبعد المرء امكانية وصول النحل الى حدود المكسيك ـ تكساس ، ناهيك بتخطيها من تلك الاجراءات شافطات تلقط النحل من الجو (على ارتفاع نحو ٣٠٠٠ قدم) ثم تقذفه الى ممرات معدة للقضاء عليه .

■■■

عودة الى التخوف من الانفجار السكاني

● تبلغ نسبة الزيادة السكانية في العالم ككل ١,٧ ٪ في السنة ، وهذه نسبة تفوق توقعات علماء الديمغرافيا جميعا ، ومعنى هذا أن مجموع سكان العالم سيصبح بعد عشر سنوات ستة آلاف مليون نسمة ، علما بأنه يبلغ حاليا (شهر مايو ١٩٨٨) ٥,١ مليار نسمة ، وأنه سيتضاعف ضعفين في غضون ٤٠ عاما والجدير بالذكر أن الزيادة السكانية لاتزيد على ٠,٦ ٪ سنويا في البلدان المتقدمة ، وهي لاتقل عن ٢,١ ٪ سنويا في البلدان المتخلفة ، فنسبة زيادة المواليد لم تهبط في البلدان الفقيرة كما توقع خبراء الامم المتحدة ولعلها توشك على الارتفاع في بعض تلك البلدان لاسيما الافريقية ، منها ، قبل أن تأخذ سبيلها الى الهبوط وحسبك أن نصف عدد الافريقيين تقريبا يبلغون من العمر أقل من ١٥ سنة ، وسيبلغون مرحلة الانجاب عما قريب ، ومعنى هذا أن القول بأن عهد التكاثر أو الزيادة السكانية الفائقة قد انتهى ، قول بعيد عن حقيقة الواقع .


تايلند
أرض الأسرار
تبيع كل شيء
حتى الإنسان
!



- « ألا أونا » « ألا دوي » . . هل من مزايد ؟ هـل من يدفـع اكثر ؟ انظروا اليه . . إنه صبي رائع قادر على صنع كل شيء . من يـزيد عـلى الدولارات العشرة ؟ لا أحد . . لا أحد ؟ . . إذن « ألا ترى » . . !

ويرسو المزاد على الصغير ، ويمد المشتري يده ليسوق الصبي أمامه بعد أن يدفع الثمن ، تماما كما يساق الآف مثله يتم بيعهم كل أسبوع في سوق الرقيق بالعاصمة بانجوك ، وفي مختلف مدن وقرى تايلند . . وكلهم تتراوح أعمارهم بين السادسة والخامسة عشرة . . !

سوق النخاسة القديم الجديد لا يتوقف أبداً رغم جهود الحكومة التايلندية لوقفه ، وزبائنه يتزايدون كل يوم ، وبيع الاطفال أصبح تجارة رائجة مثل كل أعمال البيع والشراء في البلد الذي يتاجر في كل شيء حتى الانسان والسماسرة بارعون في إقناع الأهالي المعوزين الفقراء - وخاصة في مناطق الشمال الشرقي - ببيع أبنائهم ليتيحوا لهم حياة أفضل ! والمشترون ، وخاصة السواح والزوار ، يتسابقون الى الشراء والمساومة ودفع الرشاوي للحصول على عمال أو خدم أو عبيد ، دون وازع من ضمير يمنعهم من أن يحرموا الأبناء من آبائهم لينطلقوا بهم إلى بلادهم فرحين كأنهم قد فاروا بصفقة العمر ، وهم الذين يدعون أن انسان بلادهم قد بلغ أعلى مراحل التطور والتقدم والمدنية !

ومع ذلك فإن الاطفال الذين يباعون للملاك والسادة من أهل البلاد ، قد يكونون أسعد حظاً ، فهم على الأقل يستطيعون أن يتمتعوا برضا المالك الجديد إذا أثبتوا أنهم - خدماً وعبيداً وعمالاً - قادرون على تحمل العمل المستمر دون توقف أو حدود ، مستعدون لتحمل أقصى الاهانات وأقسى المعاملات . . فعندئذ يسمح لهم السيد برؤية ذويهم وأهليهم مرة كل بضع سنوات . . !

مدينة الملائكة

مع ذلك فالشعب التايلندي يبتسم دائما وهو يسمى عاصمته بانجوك . « مدينة الملائكة » . والملائكة فيها يتصور التائيون الحديثون هم الرهبان البوذيون الذين ينطلقون من المعابد في أثوابهم الزعفرانية ورءوسهم المحلوقة ، حاملين صحافاً فارغة ليملأها لهم الناس ، إنهم يطرقون الأبواب صامتين ، ينتظرون أن تملأ تلك الأواني بقليل من الأرز أو بعض الفاكهة ، وحين لا تمتلىء الصحاف في الوقت المناسب ، فإن الرهبان الكبار يتوقفون في ورع وتأمل بانتظار من يحضر من المتبرعين بالطعام والهدايا ويأتي المتبرعون بصحبة أطفالهم أحياناً ويقدمون الأرز الساخن والمأكولات الأخرى لتقديمها للرهبان المنتظرين . وبعد بزوغ الشمس بساعة يعود الجميع الى معابدهم لتناول وجبة طعامهم الأولى ، ويتركون ما يتبقى لوجبة ما قبل الظهر ثم لا يأكلون بعد ذلك بقية النهار

هؤلاء الرهبان هم « الملائكة المحدثون » . أما الملائكة الذين انتسب اليهم اسم المدينة وهو « كرانجثب » ، فهم خدم الآلهة والاسم مستمد من اللغة السنسكريتية لغة البلاط الملكي وكلمة « ثب » معناها الملائكة التي تخدم الآلهة في الطقوس البراهمية القديمة . وقد استبقيت هذه الآلهة والملائكة لتتبع العقيدة البوذية ولكنها ليست ضرورية لها ، وقد قبل بوذا نفسه وجود هذا التقليد ولم يغيره ، ولكنه لم يعترف به . !

بانجوك أو « كرانجثب » كانت قبل مئات السنين مجرد نقطة حصينة على منحنى النهر لحماية العاصمة السابقة « أيوثايا » . وتعني كلمة بانجوك نفسها المكان الذي ينمو فيه الزيتون البري

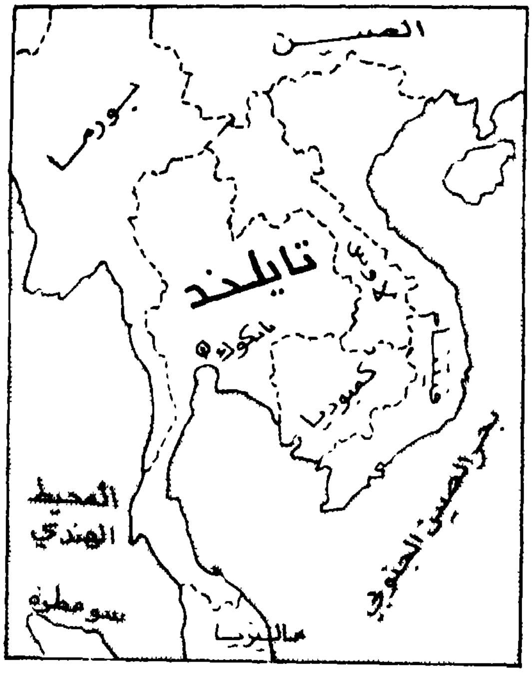
وقد استمدت « أيوثايا » اسمها من « أيودايا » المدينة الخرافية في شمالي الهند التي شن منها الإله راما حملته لغزو سيلان التي كانت تسمى عند الرحالة العرب « سرنديب » وهي الآن سريلانكا . وقد

ظلت بانجوك على حالها وعرفت هكذا لدى التجار الاوربيين ولكن أيوثايا سقطت في أيدي البورميين بعد حصار طويل في منتصف القرن الثاني عشر ، وقد دمرت تدميراً تاماً . ونقل السكان الأسرى إلى بورما تمشياً مع تقاليد تلك الأيام ، ولكن جزءاً من جيش « تاي » بقيادة الجنرال نصف الصيني « تاك سين » هرب قبل سقوط المدينة ولجأ تاك سين الى الشرق بالقرب من كمبوديا ، وحشد جيشاً هزم به البورميين وطردهم من البلاد فلم يعودوا إليها ثانية

وأصبح تاك سين ملكاً ، واتخذ من « تونبيوري » عاصمة له عبر نهر تشاونابا أمام بانجوك وبعد السنوات الأولى من حكمه استطاع أن يوقف البورميين من ناحية والكمبوديين من الناحية الأخرى إلا أنه أصيب في أخريات أيامه بالخبل وبدأ يتخيل نفسه إلهاً . وحينئذ خلفه قائده جنرال شاكري وتولى الحكم ، فنقل العاصمة الى بانجوك عام ١٧٨٢ ونصب نفسه ملكاً ، وأقام قصره الكبير الذي أصبح مركزاً للعاصمة الجديدة ، إذ جاء الأهالي فأقاموا حوله بيوتهم التي ظلت تتزايد حتى أصبحت مدينة كبيرة رائعة أما الملك تاك سين فقد قتله الملك الجديد على الطريقة الملكية التائية . حوكم وهو موضوع داخل « جوال » ، وضرب بهراوات من خشب الصندل حتى لا يسكب دمه الملكي على الأرض إذا ذبح أو جرح . وفيما بعد أطلق على « شاكري » أول ملوك الأسرة الملكية الحالية لقب « راما » ، وتبعه خلفاؤه في حمل نفس اللقب حتى الملك الحالي « بهوميبول اديوليديج » الذي اتخذ اسم « راما التاسع » وذلك تبركاً بإسم الإله « راما » الذي نشهد تفاصيل قصته المأخوذة عن « رامايانا » على لوحات متتابعة مرسومة على جدران المدخل الشرقي لمجموعة القصر الملكي الكبير ومعبده الرئيسي . . وهي القصة التي انتهت بانتصار راما على ملك الشياطين « رافانا » بمساعدة القرد « هانومان »

أرض الاحرار

إذا كان للعاصمة قصة فان لتايلند نفسها قصة أخرى . فهذ الاسم لم يطلق عليها إلا في عام ١٩٣٩ قبل خمسين عاماً فقط ، حين قرر المسئولون تحويل



● خريطة تبين موقع تايلند والدول المحيطة بها

اسمها الاصلي من « سيام » الى « موانج تاي » التي تعني باللغة السيامية « أرض الأحرار » ومن ثم أصبح الاسم الرسمي للمملكة يتكون من شقين هما « تاي » و « لاند » . وسيام (أو تايلند) إحدى الدول التي تشكل شبه جزيرة الهند الصينية في جنوب شرقي آسيا والتي تضم فيتنام وكمبوديا ولاوس وبورما وماليزيا ، وهي كلها تشترك في الحدود مع تايلند ماعدا فيتنام .

بدأ اتصال سيام بأوروبا عن طريق البرتغاليين في أوائل القرن السادس عشر ، وعن طريق التجار الهولنديين والانجليز والفرنسيين بعد ذلك بقرن ، وقد سعى الفرنسيون الى مزيد من التوسع في سيام ولكن مجازفتهم في سيام انتهت بكارثة

المهم هنا أنه مع توالي أحداث التاريخ استطاع ملوك أسرة شاكري وأولهم راما الأول عام ١٧٨٢ وتاسعهم الملك بهو ميبول راما التاسع الحالي - أن يقيموا حضارة جديدة للبلاد ، وكان أبرز عصورها في فترة حكم راما الخامس (١٨٦٨ - ١٩١٠) وهي تعتبر فترة تغيير جذري واتجاهاً نحو أعلى مستويات التقدم . أمام الفترة المهمة الثانية فهي فترة تغيير نظام







ثلاثة مشاهد لا تستطيع أن تراها إلا إذا دخلت القصر الملكي الكبير وأنت في ملابس تتميز بالحشمة .. الاولى لمدخل « معبد زمردة بودا » على جانبيه تمثالان لحارسين أسطوريين .. والثانية لمدخل جناح الاستقبال الملكي بزخارفه التقليدية التي تمثل الفن الهندسي التايلي القديم ... والثالثة لأتباع بوذا يتعبدون ويقدمون الولاء والتبجيل للتمثال الذهبي .



الحكم من نظام ملكي مطلق الى نظام ديمقراطي في عام ١٩٣٢ في عهد الملك السابع حين قام بتغيير النظام جماعة أرادوا الحصول على نظام ديمقراطي أيده الملك نفسه وقبل ذلك التغيير بالتسليم ، ووقع على الدستور المؤقت في يونيو ١٩٣٢ ، وهو تاريخ بداية نظام الحكم الديمقراطي في مملكة تايلند ، حيث أصبح الملك يملك ولا يحكم ، وإن ظل يتمتع بقدسية واحترام كبيرين بإعتباره مازال تحسيداً لبودا المستقبل في أنظار الشعب ، الذي تدين أغلبيته بالبوذية بنسبة ٩٣٪ من عدد السكان البالغ ٥١ مليون نسمة بينما يمثل المسلمون نسبة ٤٪ والمسيحيون نسبة ٢,٦٪ والباقي من الهندوكيين

القصر الكبير

زيارة بانجوك تبدأ دائما من قلب المدينة حيث ساحة القصر الملكي الكبير والمعابد البودية المحيطة به التي تعرف باسم « وات »

القصر آية في الفن التقليدي التايلندي ، أقامه الجنرال فايا شاكري (راما الاول) عام ١٧٨٣ على الضفة الشرقية لنهر « تشاونابا » على مساحة ٢١٨ ألف متر مربع ، وأحاطه بجدران أربعة صحمة طولها ١٩٠٠ متر ، تضم بداخلها مقر إقامة الملك وجناح الحريم والمكاتب الرسمية للحكم ورحال البلاط ، بالاضافة الى المعابد الملكية وأهمها معبد بوذا الزمردي (زمردة بوذا)

حين وقفنا نتأمل القصر الكبير بعد أن اجترنا البوابة المزدوجة ، تذكرنا تلك الصورة الباذخة التي شهدناها في فيلم « أنا وملك سيام » ، ودار بنا الزمن في عودة سريعة لتتابع « يول بريز » يدور بين زوجات الملك الاربعين وأبنائه المائة وهو يؤدي دور الملك مونجكوت (راما الرابع) في أيامه الأخيرة عام ١٨٦٨ ، قبل أن يموت تاركاً الحكم لابنه الملك شولا لونجكورن الذي حكم من بعده أربعين سنة على عرش مملكة سيام

في ذلك الوقت كان الملك يحكم حكما مطلقا باعتبار أن الملوك هم « بوذا المستقبل » الذين حققوا بسموهم الخلاص لأنفسهم وللبشرية عامة ! وكما يحكمون على الارض فإنهم يحكمون في السماء بحالتهم المقدسة وهم يسيرون في ذلك حريا على مذهب « الملك الإله » الذي يحكم من فوق عرش بالقصر الملكي

قال لنا مرافقنا ونحن نجتاز باب القصر الحديدي :

في هذا القصر شهدت سيام مسيرة الاصلاح التي وضع أسسها راما الرابع ، الذي كان من الحكمة بحيث فطن إلى الحاجة للاصلاح مع تمتعه بالحكم المطلق وكان حصيفاً بحيث استخدم المعونة الأجنبية بنجاح دون أن يتورط في الحكم الاستعماري الذي يقترن عادة بوجود المستشارين الأجانب

كان الملك « مونجكورت » قد بدأ حياته راهباً لمدة سبعة وعشرين عاماً قبل أن يرتقي العرش ، ودرس اللغة الانجليزية على يد المبشرين الامريكيين واللاتينية والرياضيات والفلك على يد الاسقف باليجوا وقد عمل بهذه العقلية المتطورة على وضع خطوط الإصلاح ، كما لقي حليفته ابنه « شولا لونجكورن » مساعدة جدية فعالة في المهمة الاصلاحية الكبيرة التي اصطلع بها ، وصبغ البلاد بالصبغة العصرية مع احتفاظه بالاستقلال ، وقام بتغيير النظام الاداري القديم ، وأنشأ الوزارات والادارات ، ووضع أسس التربية والتعليم بإقامة المدارس ، كما أقام المستشفيات والمشاريع العامة ووضع القوانين التي تساير العصر الحديث وقد ألغى راما الخامس الرق والسحرة في البلاد ، وألغى عادة الركوع والسجود أمامه تخفيفاً على الأجانب ، كما حرم تقليد الانبطاح على الأرض أمام الملك .

ونتذكر ما قالته المعلمة « أنا » في مذكراتها « عندما كان الشخص مهما بلغ مركزه يمثل أمام الملك . فإنه ما يكاد يراه حتى ينبطح أمامه ويرفع يديه ملتصقتين فوق رأسه ويميل بجسمه إلى الأمام ثم يجلس وساقاه من خلفه ويبدأ في الكلام فيقول . إني ذرة من التراب تحت قدميك المقدستين . . وإني طوع أمرك أتلقى أوامرك ايها السيد المقدس . أما الموظفون والحاشية فيزحفون بجوار الزائرين ورءوسهم محنية ويقدمون لهم الطعام وهم راكعون ، ولا يستثنى من ذلك زوجات الملك وأبناؤه » . وقد انتهى كل ذلك بصورة معقولة في عهد راما الخامس .

الآن . . ندخل القصر الملكي دون أن نزحف أو نركع أو ننبطح على الأرض . الشرط الوحيد الذي

يطلب من الزائرين هو أن يكونوا في أزياء محتشمة وملابس محترمة كاملة وأن يمتنعوا عن التدخين وإثارة الضجيج فالقصر ما يزال له قدسيته بالرغم من أن الملك الحالي بوميبول قد انتقل منه الى قصر آخر في أعقاب توليه الملك بعد مقتل أخيه الأكبر الملك أناندا عام ١٩٤٦ بشكل مأساوي لم يعرف معه هل كان الحادث مصادفة أم انتحاراً أم جريمة قتل ومنذ ذلك التاريخ لم يعد القصر مقراً لإقامة الملك ، واكتفى بأن تقام فيه بعض الاحتفالات الرسمية التى يحضرها الملك ، أو ليتلقى أوراق اعتماد سفراء الدول

ويسمح لنا فقط بدخول جناح الاستقبال الملكى الذى أنشأه الملك راما الخامس ، وحصص قاعاته لإحياء الذكرى السنوية لملوك أسرة شاكرى الجناح يمثل مزيجاً من الفن الهندسى التايلندى والغربى ، والأسقف تتميز بالطراز الفنى التائي بينما الجدران وزخارفها تتفق مع الطراز الفيكتورى الانجليزى وفى وسط كل قاعة عمود يحمل صندوقاً ذهبياً يحتفظ فيه برماد ملوك شاكرى السابقين ، أما القاعات الرئيسية فتضم بالإضافة إلى لوحات لأبرز الفنانين العالميين صوراً زيتية ملونة لملوك أسرة شاكرى وصوراً لرؤساء وملوك الدول الدين استقبلهم الملك راما الخامس والتقى بهم في رحلاته خلال عهده الذى استمر حوالى أربعين سنة ويتوسط المبنى الرئيسي قاعة العرش حيث يستقبل الملك سفراء الدول الاجنبية وهو جالس على عرشه الذهبي الذي تظلله تسع مظلات بيضاء مزخرفة صنعت خصيصاً للملك شولا لونجكورن الى الغرب من جناح الاستقبال الملكي يقوم الجناح الأقدم الذي أنشأه أول ملوك شاكري عام ١٧٨٩ المبنى نموذج رائع للفن التقليدي السيامي بأفاريزه الأربعة الخارجية التي يعلو بعضها البعض فوق تسع طبقات متراكبة أسطحها موشاة بالذهب مشكلة على هيئة الأفعى الملكية أما الشرفة الخارجية فيتوسطها العرش الذي كان يجلس عليه الملك راما الاول خلال الاستقبالات الرسمية المفتوحة

في القسم الخلفي من الجناح الملكي يوجد باب يقود الى الأقسام الممنوعة . ويضم جناح الحريم مقر إقامة زوجات الملك ولم يكن يسمح لغير الملك باجتياز هذا الباب الذي يخفي وراءه حدائق وأشجاراً ومقاصير رائعة الجمال وحتى الآن فليس متاحاً لأحد زيارة جناح الحريم الحالي إلا مرة واحدة في السنة حين يستقبل الملك الدبلوماسيين الأجانب في احتفال للزهور بمناسبة ذكرى مولده

زمردة بوذا

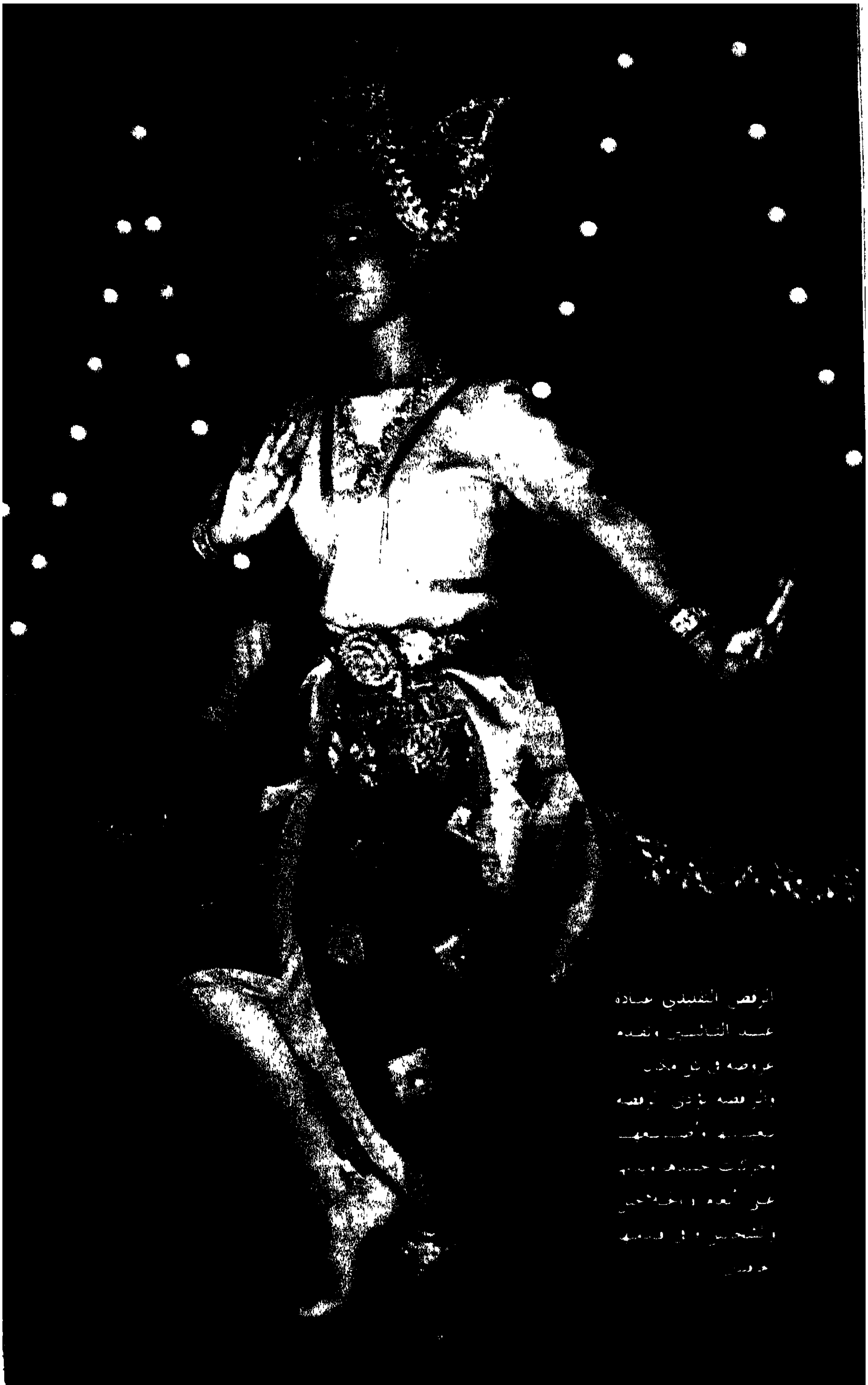
ونتنقل الى المعبد الملكي الرسمي ـ معبد وات براكيو ـ أو معبد بوذا الزمردي حيث يؤدي الملك طقوس عباداته . المعبد يشكل قصراً منيفا تحيط به جدران عالية مثل أديرة التبت البوذية ، يستقر فيه تمثال بوذا الزمردي أو « زمردة بوذا » . المشهد داخل المعبد مثير غريب

تمثال زمردة بوذا أحضر الى بانجوك بعد سلسلة من المغامرات الاعجازية ، وهو أشهر تمثال من نوعه في الوقت الحالي والقسم به معناه أقدس قسم والتمثال نفسه صغير مصنوع من قطعة واحدة من حجر الزمرد (اليشبي) وهو مستقر في مؤخرة المعبد ، وقد ركب فوق قاعدة ذهبية عالية تحيط به تماثيل ذهبية لبوذا وهو واقف ، في حين تمثل المظلات الصغيرة التي وصعت إحداها فوق الأخرى مع صغر حجم كل طبقة علوية عن الطبقات السفلى وأمام المظلات توحد أشجار ذهبية وفضية صغيرة في علب رجاجية مقدمة من أمراء لاوس تكريما لملوك تاي ، أما هدايا الاسر الحاكمة الاخرى التذكارية فهي متناثرة بلا نظام هنا وهناك .

على إطارات نوافذ المعبد الداخلية نتابع قصة حياة بوذا منذ مولده حتى صعوده الى (النيرفانا) وهو السمو الأعظم وهو الذي يرمز اليه تمثال بوذا في وضع اللوتس ، على حين تشير يده الأخرى إلى الأرض ، وزهرة اللوتس هي أجمل الزهور تفتح بتلاتها فوق الماء وتعني النقاء النابع من العالم المادي ويجلس بوذا على عرش من اللوتس وعلى وجهه تعبير الرصانة والرحمة والسلام .

المعابد والرهبان

ليس معبد بوذا الزمردي إلا واحداً من حوالي ثلاثمائة معبد موجودة في بانجوك ومن خلال مشاهدتنا لكثير من المعابد لاحظنا أن مبانيها الرئيسية عبارة عن أسقف من ثلاث أو أربع طبقات متراكبة ،



الرقص الهندي عبادة
عند الهندوس وتقدم
عروضه في [illegible]
والراقصة تؤدي الرقصة
بعينيها وأصابعها
وحركات جسدها وتنم
عن [illegible]
[illegible]
[illegible]

وأفاريز أسطحها الموشاة بالذهب مشكلة على هيئة تاجا وهي الافعى الملكية ، في حين تتولى تماثيل الاسود حراسة مدخل المعبد .

وتنتمي الروعة الخارجية والفخامة التي تتصف بها أبنية المعابد وزخارفها إلى عالم خيالي .. ففي أحد الجوانب نشهد تمثال « الجارودا » الذهبي الذي يرمز الى أسطورة فشنو وهو نصف رجل ونصف طائر . وفي الجانب الآخر نرى تماثيل عمالقة ارتفاعها لا يقل عن ثمانية أمتار مطلية بألوان زاهية لها وجوه عابسة متوحشة وأنيابها بارزة . ويرتفع برج ذهبي رئيسي في الهواء على أبراج موشاة بالذهب مدرجة تضيق كلما ازداد الارتفاع ، في حين تقرع نواقيس المعبد مع حركة الهواء .

في « وات أرون » أي معبد الفجر نلاحظ أنه ذو طابع معماري تقليدي بأبراجه المدرجة المرتفعة ، وارتفاع أعلى أبراجه لا يقل عن ثمانين متراً أما « وات بو » وهو معبد بوذا المضطجع فنجد تمثاله ضخماً من الطوب والاسمنت المسلح ومغطى بطبقة من الذهب ويبلغ طوله ١٥٠ مترا وارتفاعه نحو ٤٠ قدما . ونلاحظ أن زخارف المعبد الرخامية صنعت على شكل أشخاص ومناظر من أسطورة رامايانا وكنا نرى الصبية الصغار وهم منهمكون في إعداد دهانات من أوراق الأرز والزيت يبيعونها بسعر رخيص للزائرين الذين تشغلهم تماثيل الحراس الصينيين ، والاسود وغيرها من الوحوش في مختلف جوانب المعبد .

وفي « وات بنكاما بوتت » وهو معبد الملك شولا لانجكورن نعرف أنه بني في السنوات الأولى من هذا القرن . وهو مهيب المنظر مشيد من المرمر الأبيض وأسقفه مصنوعة من البلاط المزجج .. ونجد تماثيل لبعض الفنانين داكنة اللون مركبة على أفاريز الأسطح ، وقد وضعها البناءون الصينيون الذين لم يستطيعوا مقاومة الاغراء بإضافة ما يدل على إسهامهم في العمل ، على حين تنسجم النوافذ المزخرفة باللونين الذهبي والأحمر مع المرمر الأبيض الذي يزين الجدران

ولا نستطيع أن نتجاوز معبد « وات سوتات » الذي كان يستخدم ملاذاً للناس عند ضرب المدافع لبانجوك خلال الحرب الاخيرة .. فالمثير هنا أن وراء جدران المعبد تقام مهرجانات للالعاب السحرية والبهلوانية في موسم أعياد الحصاد التقليدية ، وتجري الألعاب من حول تماثيل بوذا الرائعة المتناثرة بمختلف الأحجام والمواد ، بينما الرهبان الدارسون يروحون ويجيئون وهم يتذاكرون القواعد والتعليمات التي يبلغ مجموعها أكثر من مائتين ، وأهمها « الفقر والعزوبة وعدم استخدام العنف » .. ويقول لنا مرافقنا أن هؤلاء الدارسين من الرهبان يدركون أن كل راهب يستطيع العودة الى العالم إذا شاء حيث لا كهنوت أو كنيسة بالمعنى المفهوم في المسيحية وكل رجل يلقى تشجيعاً ليصبح راهباً لمدة ثلاثة أشهر عادة ولمرة واحدة على الأقل في أثناء حياته ، ويكون ذلك عادة في شبابه قبل أن يتزوج . وتمنح الحكومة والقوات المسلحة رجالها أجازة بمرتب ليدخلوا « الدير » حيث يحظى الرهبان الدارسون باحترام كبير ويعرفون باسم « بهارا » وهو تعبير يدل على الانتماء للملكية أو التقديس

ويضيف مرافقنا : هناك رهبان أشرار وآخرون أخيار بالطبع ، بين ذلك العدد الكبير الذي يتجاوز ربع مليون ، يقيمون في حوالي ٢١ ألف دير قائمة في تايلند وبعض الرهبان كسالى وبعضهم الآخر يشترك في التآمر وإن كانوا ليسوا رهباناً سياسيين كالحال في بورما وسيرلانكا . وهناك فريق منهم جهلاء يؤمنون بالخرافات ويملأون عقول الناس بالمخاوف غير العادية حول الأرواح والأشباح . وهم يستغلون المعتقدات الشعبية بأن البلاد مملوءة بأشباح القتلى أو الذين افترستهم الحيوانات الضارية أو النساء اللاتي أسلمن الروح وهن يلدن ، أو الرجال الذين ماتوا بعيداً عن الوطن .. وكذلك ضحايا الكوليرا والأمراض المميتة .. وهذه الاشباح الشريرة يصعب إرضاؤها . وهم يتصورون أن بعض الأرواح أو ما تحدثه من خدوش يمكن أن تسبب المرض الذي يكون مميتا في بعض الاحيان (ويجري الآن إبادة هذه الأرواح بإستخدام مادة ال د.د.ت) وتقود بعض الأرواح المسافرين الى طريق الحيوانات الضارية ، أو تستدرجهم الى المهاوي ، وبعضها تسحر الرجال الشديدي الحساسية بجمالها الأخاذ ثم تفتك بهم فيما بعد ، والبعض الثاني يقتل ويصيب بالمرض كل من يسرق نفائس الكهوف أو المعابد . كما أن هناك فريقا

ثالثا يخيف الاطفال في الظلام وقد لاحظنا أنه في معظم البيوت هياكل مبنية على شكل معابد صغيرة مطلية بالالوان الزاهية ومركبة على عمود وبداخله تمثال منحوت لاله وحوله تماثيل من الجص لجياد أو ماشية أو عبيد وهبوا للاله مقابل خدمات أو أمنيات تحققت ، تحيطها الزهور وأعواد البحور والفاكهة والأرز . ومع أن سكان بانجوك لا ينظرون الى هذه الهياكل نظرة جدية إلا انهم ما زالوا يتبعون هذا التقليد وذلك لتجنب المجازفة بإغضاب الآلهة والارواح !

المدينة ذات المائة وجه

الجولة في شوارع بانجوك لا تخلو من متعة مادمت تعرف أنك تتجول في المدينة ذات المائة وجه الزاخرة بالمتناقضات

في البداية ، نقف عند حجر الأساس لمدينة بانجوك بالقرب من مبنى وزارة الدفاع ، الحجر عبارة عن عمود قائم داخل نصب على هيئة هيكل يسمى « لاكموانج » أقامه الملك راما الأول عند تأسيسه لعاصمته الجديدة ندخل الى الهيكل وسط زحام من الزائرين الذين جاءوا يغمرون النصب بالأزهار والورود وقرابين الارز والطعام والفواكه ، وهم يشعلون الشموع والبحور وباقي مستلزمات الطقوس البوذية والاعتقاد السائد بين هؤلاء هو أن من يزور هذا الهيكل تتحقق له رغباته وأمنياته ، وبخاصة الفوز بجائزة اليانصيب الوطني أو على الأقل الانعام بالانجاب على الزوجة العقيم وينفتح الهيكل على غرفة جانبية تقدم فيها عروض موسيقية تقليدية راقصة تؤديها فرق شعبية أو رسمية يستأجرها من تحققت لهم أمنياتهم فيجيئون لتقديم الشكر لروح « لاكموانج » . ولا نكاد نغادر الهيكل حتى نفاجأ بمجموعات من الأطفال تحمل أقفاصا بها عصافير ملونة للبيع ، ولكن المشترى لا يدفع الثمن مقابل الحصول على الطائر ، إنما لفتح باب القفص وإطلاق العصفور في الجو بين تهليل الناس وإظهارهم البهجة بتحرير الطائر السجين حسب المعتقد البوذي !

غير بعيد من النصب التأسيسي نجد أنفسنا وسط السوق الكبير الفسيح المسمى « سانام لوانج » في هذا السوق تستطيع أن تشتري أي شيء يخطر على بالك خليط غريب من البضائع رخيصة الثمن ملابس وبلوزات وجينزات أمريكية وهدايا وعطور وحقائب من جلد الثعبان وأجهزة تسجيل ، كلها تباع على عربات يد أو مفروشة على الأرصفة الى جانب ذلك نجد باعة الأرز الحار والتوابل ، بجوار بائعة البط والدجاج والفئران الملونة ، جنباً الى جنب مع باعة السيوف والسكاكين والأواني المنزلية غير بعيد منهم نجد بائعة القطط السيامية الشهيرة تحيط بها السائحات المغرمات بهذا النوع للفرجة أو للشراء ، ونطل الى حلقات من الشباب تصيح وتهتف فإذا بهم يتحلقون لمشاهدة مباراة في الملاكمة بالأرجل أو قتال للديوك او الأسماك أو الصراصير !

الشوارع المحيطة بالسوق تضم المراكز التجارية النشطة المتخمة بالبضائع المعروضة بشكل أكثر تشويقاً ، وأغلبها يبيع الأوعية الفضية والحلى وعلب السجائر الفضية والمجوهرات والتحف التقليدية التايلندية وجلود التماسيح وأنياب الفيلة والتماثيل المصنوعة من خشب الساج في شارع تشادفونين أطول وأقدم شارع في المدينة ـ وكان من قبل طريقاً للفيلة ـ نشهد خليطاً عجيباً من الدكاكين ذات الشرفات الصفراء والبيضاء تبرز منها مظلات مصنوعة من التيل أو القماش القطني ، تحمل إعلانات ذهبية اللون هذه المظلات تفصل الحوانيت عن المنازل التي تعلوها في الطابق العلوي ، وتتخلل محلات البضائع حوانيت للحائكين الذين يفصلون ملابسك فورا وحسب الطلب وبأرخص الاسعار وتتناثر المطاعم والنوادي الليلية وهي في أغلبها صينية الى جانب حوانيت العقاقير المصنوع بعضها من طحين قرون الخرتيت والثعابين والضفادع المجففة والأعشاب البرية والمساحيق الغريبة والسموم الخطرة التي تصرف بدون تذكرة طبية مثلها مثل الأدوية المقلدة بلا تصريح

بين القديم والحديث

الصورة البارزة أن حركة التطور واسعة في المدينة فكلما زرت بانجوك بين فترة وأخرى على مدى سنوات ، تستطيع أن تشهد تغيرات كبيرة في معالمها ومبانيها وتطورها والذي شهدناه في بانجوك قبل سنوات أحسسنا كأنه قد اختفى في الأيام

الأخيرة ، حيث تبدلت الصورة وبخاصة من ناحية العمران . كانت المعابد البوذية أبرز المعالم المميزة ترتفع بأبراجها الجميلة المزخرفة وأفاريزها المذهبة ويمكن مشاهدتها من أي مكان هذه المعابد وأبراجها أخذت تختفي عن العيون وراء المباني الخرسانية والأبراج العمرانية بجدرانها الزجاجية التي ازداد عددها في السنوات الاخيرة فالنمو الاقتصادي السريع وانخفاض أسعار الفائدة وعدم الاستقرار في سوق الأوراق المالية المحلية وانهيار العديد من المشروعات الاستثمارية شجع رجال الأعمال حديثي الثراء على الاتجاه الى الاستثمار العقاري ، وانتشرت المباني الحديثة بسرعة مذهلة

ولكن هذا العمران الحديث إذا كان واضحا في وسط المدينة بالمباني العصرية العالية والطرقات المرصوفة الواسعة ، إلا أن المدينة القديمة وشوارعها الخلفية تبدو في صورة مناقضة تماماً فالطرقات في أغلبها غير ممهدة ، والمرصوف منها مليء بالفجوات والحفر ، والبيوت مقامة من حشب الساج الذي كان ذات يوم جميلًا برحارفه ، ولكنه أصبح الآن كئيب المنظر متآكلا مع مر الزمن وأغلب البيوت وخاصة المطلة على القنوات وجوانب الأنهار وحول خطوط السكك الحديدية والطرقات التجارية مقامة على أعمدة ترتفع حوالي مترين من الأرض ومسقفة بأعواد البامبو وأوراق الشجر وسعف النخيل الجاف وعند مداخل البيوت درجات غير زوجية العدد لمنع الأرواح الشريرة من دخول المنزل ويؤدي السلم الى الشرفة أو الى الطرق الرئيسية مباشرة وتجلس النساء والاطفال عند مدخل المنزل أطول فترة من النهار للمراقبة والانتظار ، بينما تعيش الخنازير والدجاج تحت المنزل ، أما البيوت الأخرى فترتفع فوق قوائم من الاسمنت المسلح أو الطين

هنا في هذه الأحياء الفقيرة تماما كما في القرى تتم التجارة في كل شيء . الملابس القديمة والأحذية العسكرية البالية والأواني المستهلكة ، جنبا الى جنب مع المنتجات التقليدية والملابس المطرزة والأقمشة ذات الألوان الصارخة ، ثم أنواع الفاكهة والخضراوات والأرز المطبوخ ومن هنا أيضا يخرج الاطفال المشردون والهائمون على وجوههم يعرضون خدماتهم في الشوارع التي يرتادها السياح ويبيعونهم عطورات الياسمين والزهور ، وينطلق بعضهم الآخر مع السماسرة الذين يسوقونهم إلى سوق الرقيق حيث يباع الإنسان بأبخس الأثمان !

حمى المنافسة

اللافت للنظر في بانجوك أن الصينيين أو التائيين من ذوي الأصل الصيني يكادون يشكلون أكثر من نصف سكان المدينة بل إن جميع سكان منطقة الاعمال تقريبا من الصينيين والواقع أن عدد الصينيين في تايلند يزيد عن عدد الذين نجدهم في أي دولة اخرى في جنوب شرق آسيا وهم إلى جانب الهجرات المتتالية التي انطلقوا خلالها من الصين الأم الى هذه المناطق ، كان الطلب يزداد عليهم في مجالات البناء والإنشاء وكعمال للموانيء ورراع للارز ومضاربه ، كما اشتد الطلب أيضاً على زملائهم عمال الطرق وعمال المتاجر والمكاتب نظراً للنقص المستمر في العمال التائيين المتخصصين ، لأن هؤلاء يفضلون الاستمرار في الفلاحة على الاعمال الاخرى . ولكن مع ظهور القومية التائية خلال الخمسين سنة الماضية ، اتخذت الاجراءات الحازمة ضد الصينيين الوافدين وضد التعليم الصيني ، وأغلقت مدارسهم الثانوية وقيد تعليم اللغة الصينية في المدرسة الأولية ، واستبعد الصينيون من بعض الاعمال التي خصصت للتائيين الاصليين مثل أعمال صناعة الطلاء والعمل في الغابات وبيع الفحم الحجري وقص الشعر وقيادة مركبات الساملور وسيارات الاجرة والاوتوبيس ومن زراعة الارز وصناعة الملح كما حرم على الصينيين منافسة التائيين في صناعة مذابح بوذا وتصنيع الأوعية التي يستخدمها الرهبان

ومع ذلك فإن الصينيين أو التائيين ذوي الأصول الصينية هم الأكثر بروزا في شوارع وأسواق بانجوك . وهم يقومون بمعظم عمليات البيع من شارع لآخر بأسعار رخيصة . ومع ذلك فإن التائيين يعملون على منافستهم وخاصة في ميدان بيع الأطعمة الخفيفة ومستحضرات اللحوم والتمر هندي المحلى بالسكر وجوز الهند والكعك والموز المقلي وعجة البيض وغيرها

وبمناسبة الطعام فإن كلمتي الأرز والطعام مترادفتان عند التائيين . وكما يقولون من خلال ترديد







في حديقة الرهور تقدم ألوان متباينة من الصون التقليدية التائية أبررها عروص الرقص التي تمثل محتلف القوميات التي يتشكل منها سكان تايلند كما تبدو في الصورة الاولى أما الصورة الثانية فلعرص الفيلة وهي تتنافس وتثبت قدرتها في المصارعة وحمل الاثقال وتحطيم الحواجر بينما الصورة الثالثة لرقصة البامو التي يمارسونها خلال أعياد الحصاد .



الشوارع واسعة في مدينة الملائكة ، حيث تتداخل السيارات وتتسابق بغير روية أو حذر من جانب سائقيها .. ومع هذا فإن مسلة « تمثال النصر » في وسط الميدان الرئيسي تذكر الجميع [illegible] على القوات الفرنسية في الهند الصينية عام ١٩٤١ .

الأفكار البوذية « إن سعادة الناس تتوقف على أربع مواد : منزل يسكنون فيه ، وثياب يرتدونها ، وأدوية يعالجون بها عند المرض وطعام يأكلونه ليتمكنوا من مواجهة المواد الثلاث السابقة وأبرزه الارز »

فالارز هو الطعام الأساسي ولهذا يحرص الفلاحون على زراعته كمحصول رئيسي والى جانب الأرز هناك أطعمة عادية مساعدة أبرزها السمك الى جانب صلصة الشيلاي وهي فاكهة ساحنة والجرجير والموز أما الفاكهة الأخرى فهي إما غالية جدا أو غير موجودة في متناول الفقراء وتضيف صلصة السمك التي يسمونها « نام بلا » قوة وطعما للغذاء التافه بالنسبة للتائيين ، بينما الصينيون شرهون وبالاخص بالنسبة للحوم وأنواع كثيرة من السمك التي لا يستسيغها التائيون

جندول البندقية

كل هذه الصور من حياة الناس لخصتها لنا جولة نهرية في بانجوك ففي قارب يشبه جندول البندقية قمنا مع الصباح الباكر بجولتنا النهرية الصورة مثيرة حقاً عشرات الآلاف من السكان يمارسون حياتهم في القوارب والمنازل العائمة أو المنازل المحمولة على قوائم على طول شواطيء الأنهار والقنوات . وتشكل الأنهار وروافدها شبكة من الطرق المائية الصالحة للملاحة طوال العام وعلى جوانب الشوارع المائية تقوم البيوت كما يتصل بعضها بالبعض بقناطر خشبية مقوسة ووقفنا عند سوق صغير عند أحد أركان النهر واشترينا من البائعة العجوز موزاً مقلياً جربناه فوجدناه لذيذ الطعم وكان هدفنا أن نصور المرأة بقبعتها المصنوعة من القش . والغريب أنها رفضت أن تأخذ ثمن الموز المقلي بإعتبار أنها قانعة بأن صورتها ستنتشر في العالم كله وتكون دعاية تجتذب السائحين لقاربها بالاضافة الى نشوتها بفلاشات آلات التصوير بينما جاراتها في القوارب الاخرى كن يطلبن البقشيش مقابل السماح بالتصوير

على امتداد شواطيء القنوات كانت القوارب مختلفة الأشكال والالوان والمظلات أيضا تصطف وفي كل قارب امرأة تعرض ما لديها من بضاعة ، فواكه وخضراوات وأدوات منزلية ، بينما القنوات الرئيسية والانهار تتسع لجميع أنواع اللنشات وقوارب الركاب و « السامبنس » التي تسير بالمجاديف وهي محملة بالفحم الحجري أو المواد المنزلية أو الفاكهة وغالباً ما تطل الخضرة على حوانب القنوات فتكسبها منظراً رائعاً لأن الأشجار والحشائش توجد عادة حيثما يوجد الماء ، على حين تؤدي القناطر الخشبية الضيقة الى المنازل على الحانب الآخر

مزرعة الافاعي

ونواصل جولتنا بين معالم بانجوك .

على مدخل مزرعة الأفاعي الواقعة في شارع الملك راما الرابع في نطاق معهد باستير ، نجد مجموعة من النساء جالسات في انتظار حروج أرواجهن أو أخواتهن من المبنى الذي تقع فيه المزرعة ونسأل إحداهن عن سبب الانتظار فتقول أنها ترفض مشاهدة الثعابين والحيات وهي تنفث السموم وتقول أخرى أنها تخشى أن تلدغها الكوبرا فتموت كما ماتت الملكة كليوباترا منتحرة وتقول ثالثة من يدري فربما ثارت الأفاعي لتقذف سمومها التي يسبب بعضها الصمم ،ويتسبب بعضها الاخر في سقوط شعر الملسوع . فماذا أفعل لو سقط شعري خلال ثوانٍ إذا لدغتني إحدى الحيات ذات الرأسين ؟!

يقول لنا مرافقنا ونحن في مزرعة الأفاعي أن الحكومة لم تقم هذه المزرعة وتهتم بها ليشاهدها السياح ولكن الهدف الرئيسي منها هو تربية الافاعي والحيات للحصول على سمومها التي تستخرج من أنيابها وفق طريقة معينة ، ثم تعالج لتصبح أمصالا ولقاحات تستعمل في مجالات عديدة ويرسل أغلبها الى المناطق الريفية حيث حقول الارز التي تكثر فيها لدغات الأفاعي والثعابين . مزرعة الأفاعي تحتل مساحة تقع أسفل مجموعة كبيرة من أشجار الظل الضخمة ، حيث حفرت ثلاث حفر واسعة عميقة تضم مئات من الأفاعي السامة . وأبرز أنواع الأفاعي الموجودة في المزرعة « ملكة الكوبرا » التي يزيد طول بعضها عن أربعة أمتار ، بالاضافة الى أنواع أخرى من حيات الكوبرا والافاعي المتسلقة العصارة والحيات الخبيثة. وتستخرج السموم من

معى بطريقة كانت لافتة لأنظارنا ، فقد أحضرت
ماعي « لحليها » كما يقولون بواسطة اثنين من
عاملين المدربين ، ينزلان الى الحفرة وكأنهما يذهبان
لجلوس على مقهى للتسلية ، يلتقطان الأفعى من
نوع المطلوب استخلاص سمه ويمسك أحد
رجلين بكأس زجاجي فيقربه من فم الافعى أسفل
النابين ، بينما يمسك الآخر برأس الافعى ويضغط
على الجيوب السمية خلف العينين ، فعندئذ يخرج من
النابين سائل أصفر يسيل داخل الكوب الزجاجي هو
الذي يتم تحويله بعد ذلك الى مصل مضاد للدغات
الأفاعي المهمة في الحقيقة ليست سهلة ويقول لنا
أحد العاملين أن أحد ملوك الكوبرا ثار في أحد
المرات لكثرة ما استخلص من سمه واستطاع أن
يلدغ أحد العمال الذي أمكن إنقاذه من الموت
بإعجوبة أما كيف تتم المحافظة على المصل فإن
السم فور استخراجه تحقن به جياد مخصصة لذلك من
حظيرة قريبة من المزرعة وعندما يجرى السم في
دماء الجياد يتم الحصول على دمها بشكل دوري بعد
أن تختبر فعاليتها وبعد أن يتم التأكد من مدى
فعالية السم المطلوب يجري فصل السم من دم
الحصان ويتم تجفيفه وتجميده وإرساله الى
المستشفيات المخصصة لعلاج لدغات الافاعي

حديقة الزهور

على جانب نهر تاشان على مسافة ٣٢ كم بالسيارة
الى الغرب من بانجوك نزور حديقة الزهور
الحديقة أقامها على نمط ديزني لاند أحد كبار محافظي
العاصمة تغطى الحديقة مساحة تفوق ٢٠٠ الف
متر مربع ، وهي مليئة بالورود والزهور ،
ويتوسطها فندق حديث مقام على الطريقة التقليدية
التائية يضم حوض سباحة وملاعب للجولف وساحة
للتجديف وتسهيلات للانزلاق على الماء ، بالاضافة
الى قرية تقليدية تقدم فيها بعد ظهر كل يوم عروض
الفلولكور التقليدية للسياح تتميز بالجمال وحسن
الاداء

مما يثير الانتباه في العرض التقليدي عرض
« التاكرو » وهو نوع من الألعاب تشترك فيه مجاميع
من الصغار والكبار يصطفون في حلقة دائرية
يتقاذفون فيما بينهم كرة يجب ألا تسقط على الأرض
ويسمح لكل من اللاعبين أن يستقبلها بأي جزء من
جسمه أو رأسه أو قدمه ولكن دون استخدام يديه

ولكن العرض العنيف الذي يشد الانتباه هو
عرض الملاكمة التايلندية ، فليس هناك ضربات
ممنوعة إطلاقاً ، ويستخدم الملاكم قبضته ويوجه
لكمته الى قمة رأس خصمه او على مناطق منخفضة
تحت البطن ، كما يمكن استخدام الرأس للنطح
والأرجل للرفس والحلبة تشبه حلبات الملاكمة
العادية ، والملاكمون حماة نحاف الاجسام ذوو
مستوى عالٍ جداً من اللياقة البدنية وفي البداية
يحيون الجماهير بالانحناء أمامهم بكل احترام ثم
ينسحب كل ملاكم الى زاويته وهو يتمتم بدعاء
ديني ، ثم يركعان ويسجدان بحيث يمس رأس
الملاكم الارض ويكرران ذلك في الاتجاهات
الأربعة بعد ذلك تبدأ تمرينات الإحماء ، كل ملاكم
في زاويته يلاكم أو يرفس خصماً وهمياً وبعد أن
تعزف فرقة موسيقية مقطوعة صغيرة تبدأ المباراة ،
ويشهد المتفرجون حركات غاية في الرشاقة والسرعة
في الهجوم والدفاع والرد على الضربات بقسوة
ووحشية وتأتي الضربة القاضية عندما يتمكن أحد
الملاكمين من رفس خصمه في مكان حساس فيسقطه
أرضا ويتابعه بالضربات على رقبته بكعب قدمه
الحافية ويظل الخصم المهزوم فاقداً وعيه لعدة
دقائق . هذه اللعبة ذات شعبية كبيرة خاصة في
الريف حيث أنها الوسيلة الممتعة لقضاء سهرة جميلة
بعديوم شاق من العمل في الحقول . !

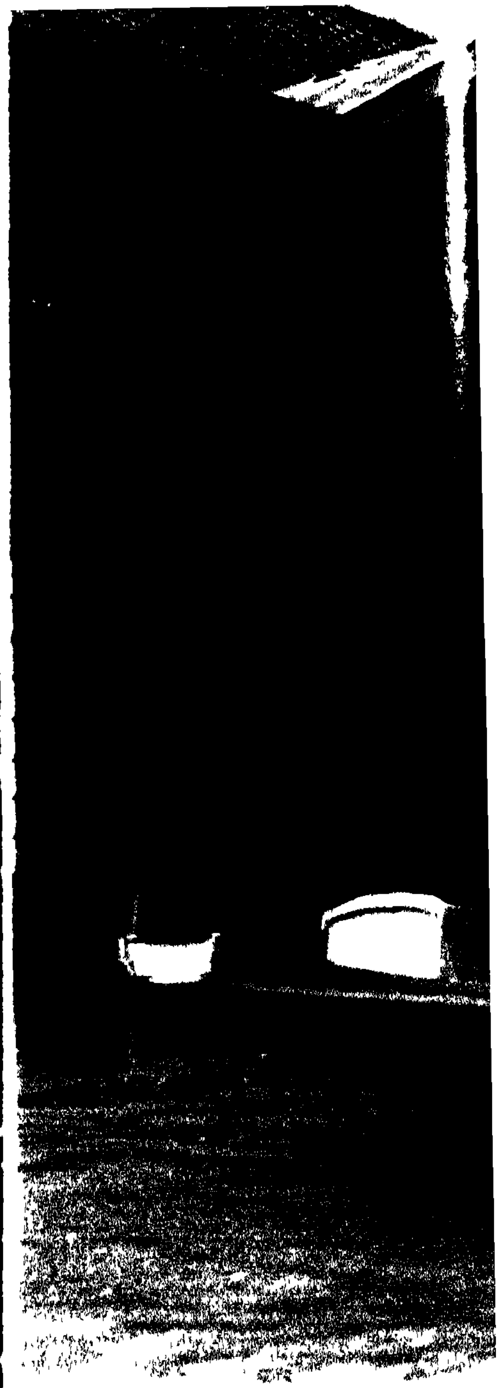
هناك عرض آخر مثير يسمونه « لوتشينج تشا »
فيتم نصب أربع أرجوحات بإرتفاع حوالي خمسة
عشر متراً ، وكل أرجوحة عبارة عن عمود من
الخشب موضوع بشكل أفقي ومعلق من وسطه
بحيث يتأرجح صعوداً وهبوطاً كالميزان . ويشترك في
اللعبة ثمانية رجال فيجلس كل لاعبين في أرجوحة
كل منهما عند أحد طرفيها وعلى هؤلاء اللاعبين أن
يرتفعوا في الهواء وأن يلتقطوا محفظة مملوءة بالنقود
معلقة فوق رءوسهم بخيط وقضيب من الخيزران .
وعلى اللاعب عند ارتفاعه الى أعلى أن يستخدم
أسنانه فقط في اقتلاع المحفظة من مكانها لتكون له لا
ينازعه فيها أحد . وبالطبع يتعرض اللاعبون لخطر
السقوط من ارتفاع كبير وإذا سقط أحد اللاعبين

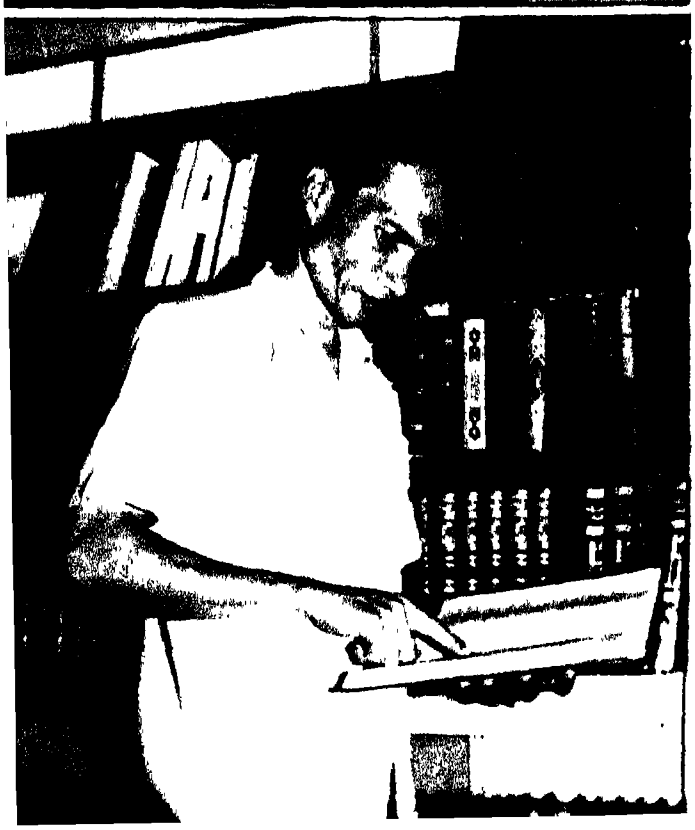












البندقية الجديدة (الى أعلى) بطرقها المائية التي تخترق المدينة وقوارب الخضراوات والفاكهة وبائعاتها من النساء (والى اليمين) يبدو مبنى معهد باستير حيث مزرعة الأفاعي وسمومها . التي ترفض النساء الدخول اليها (والى اليسار) مسجد بانكوك ومئذنته أمام مقر المركز الاسلامي والمسئول عن الشئون الثقافية يتابع كتب التفسير والحديث في المكتبة الرئيسية للمركز .

من طرف العمود فإن اللاعب الآخر على العمود نفسه يفقد توازنه ويسقط أرضاً هذه اللعبة ترتبط بموسم حصاد الأرز

العرض في حديقة الزهور يستمر أكثر من ساعتين تتخلله رقصات تقليدية تمثل مختلف القوميات التي يتشكل منها سكان تايلند وأبدع هذه العروض مشاهد حفلات الزواج التقليدي ومع نهاية العرض نتجه الى حيث تقوم الفيلة بعرض آخر تثبت فيه قدرتها على حمل الأثقال على ظهرها ، ومقدرتها على جر هذه الاثقال وقلع الأشجار وتحطيم بعض الحواجز وهذا العرض يعتبر بسيطاً الى جانب ما يجري في سباقات الفيلة حيث يشترك في السباق عشرة من الفيلة في المباراة ، ويقف على ظهر كل فيل سائسه وقد أمسك حبلاً في يد وسوطاً في اليد الاخرى ومع بدء السباق تجري الفيلة في تثاقل ثم تسرع في جريها تحت ضربات السياط التي تثيرها فتجعلها تقتتل مع بعضها البعض ، ويحاول كل فيل إسقاط الفيل المجاور له ويطيح به أرضا مستخدماً خرطومه للاخلال بتوازنه . ويتم في النهاية توزيع الجوائز على الفائزين من السياس كما نشاهد القردة وهي تقطف جوز الهند من الاشجار وعادة ما تكون قد دربت بشكل جيد على ذلك بتقليد صاحبها ، فعندما يقذف المدرب القرد بجوزة هند من على الأرض يفعل القرد ذلك ولكن من فوق الشجر

عروض فنية رائعة أخرى نشهدها في مختلف الفنادق والملاهي في بانجوك لا يخلو فندق من الفنادق الكبيرة من قاعة رئيسية تقدم فيها الرقصات التقليدية والموسيقا ومباريات الملاكمة بالأرجل وأبرز هذه العروض تقدم في المطاعم الكبيرة وبخاصة مطعم شهير يعد من أكبر مطاعم العالم بمساحته الممتدة على أربعة هكتارات ويبلغ عدد مقاعده ثلاثة آلاف مقعد موزعة في أرجائه الواسعة بين أحواض الزهور والمساقط المائية والأشجار المورقة ، ويقوم على خدمة الرواد عمال وعاملات يتحركون على زلاقات لسرعة إحضار الطلبات .

أثار استغرابنا في احدى زوايا الحديقة الرئيسية زحام شديد لم نكد نقترب منه حتى عرفنا أن المشاهدين يتابعون مسابقة قتال الأسماك ، حيث ترتفع أصوات المراهنين والمضاربين تماما كما شهدنا من قبل في حلبات صراع الديوك حلبة قتال الاسماك تقـ حول مائدة يبلغ طولها ستة أمتار يتحلق حو المتفرجون وقد جلسوا على مقاعد منخفضة عـ المائدة عدة أوان زجاجية مخروطية الشكل ، في آنية منها وضعت سمكة صغيرة من النوع الصيني الذيل المشرشر المشهور بروحه العدوانية و للقتال . وعندما تبدأ المباراة يقوم الحكم باغترا سمكة من آنيتها بأداة تشبه الملعقة الكبيرة ويسقطها الآنية التي تسبح فيها سمكة أخرى من نفس النوع

وفي لحظة يضطرب الماء وتنقض كل من السمكتين على منافستها تريد عصها وانتزاع زعانفها ، وكل استمر القتال وبدء الاجهاد على السمكتين توقف لهدنة مؤقتة ليعود القتال بعدها أشد عنفا بين الصيحات والتصفيق يرتفع من المشاهدين ولا يقل زمن المعركة المستعرة عن خمس دقائق وتنتهي بموت احدى السمكتين وعندما تهبط السمكة المهزومة الى القاع تتابعها المنتصرة وتقتلع زعانفها وذيلها ثم تبدأ في نهش لحمها ، وتكافأ السمكة المنتصرة بإطعامها ببعض الديدان يقدمها لها صاحبها بعد أن يكون قد فاز بالرهان

المسلمون بين مد وجزر

كل هذه الجولات لا تغني عن لقاء مع المسلمين في بانجوك ونبدأ اللقاء مع الإمام المسئول عن الشئون الدينية شافعي عبدالقادر في مقر المركز الاسلامي الذي يحدثنا عن مسيرة الاسلام في تايلند ونشاط المركز في بانجوك في نشر الثقافة الاسلامية وتعليم الطلاب والطالبات وخاصة انهم في الايام الاخيرة بدأوا يتعلمون لغة القرآن والتفسير السليم لـ الدين الاسلامي انتشاره أولاً في شبه جزيرة الملايو ثم جاء الى بلاد سيام عن طريق التجار العرب الذين جاءوا للتجارة ونشر الاسلام معاً ، وفي عهد دولة « ايوتيا » حوالى عام ١٥٩٠ جاء تاجر مسلم اسمه الشيخ أحمد واستوطن البلاد وأقام مركزاً للتجارة في مدينة أيوديا حيث تمتع بتكريم الملك له بمنصب المسؤول العالي (وهو منصب رئيس الوزراء ويعتبر الشيخ أحمد الجد الاول لبعض عائلات تايلندية الان

أما المسلمون في جنوب تايلند فهم مواطـ ـو

..يون ولم يتصل نسبهم الى التجار أو الاجانب ..ن هاجروا اليها ويثبت التاريخ أنهم مواطنون ..ون مقيمون في هذه البقعة قبل الميلاد وبعدة ..سنوات ، وأقاموا دولتهم باسم « مملكة ..كاشوكا » ، وفي سنة ١٦٧٥ أقاموا دولتهم ..جديدة باسم « مملكة سرى ويشاى » ، واستمرت ..دولة صاحبة نفوذ إسلامى قوى حتى أوائل القرن ..التاسع حيث غرست الديانة الاسلامية جذورها ..احل مملكة فطانى التى أسسها « برياتوانكو »الذى عالجه طبيب مسلم اسمه الشيخ سعيد من مرض مميت أصيب به وكان شرطه لمواصلة العلاج هو أن يعتنق الملك الاسلام بعد شفائه

ونكث الملك ثلاث مرات عن وعده بعد الشفاء ، فكان المرض يعاوده ثانية حتى شفى تماماً في المرة الثالثة ، فأسلم هو وزوجته وأولاده وبناته وتبعه شعبه في اعتناق الاسلام ، وأصبحت مملكة فطانى مملكة إسلامية منذ ذلك الوقت ، وتوسعت حتى شملت الولايات الجنوبية كلها وهى « حالا ، وفطانى ، وناريتواسى ، وستول »

يؤكد الشيخ شافعى أن عدد المسلمين في تايلند يبلغ حوالى مليونى نسمة ثلاثة أرباعهم في مناطق الجنوب ويقول إنهم يتمتعون بمساواة كاملة وبحرية مكفولة في ممارسة شئونهم الدينية والسياسية والتعليمية ويمارس عدد كبير منهم المناصب الهامة في مختلف المحافظات إن فى بانجوك وحدها حوالى ٢٠٠ مسجد من بين حوالى ٢٠٠٠ مسجد في تايلند كلها تدعم إقامتها الحكومة وبعض الدول الاسلامية التى تقدم منحاً دراسية كثيرة لأبناء المسلمين ولكن هناك حاجة الى المزيد من المعونات

ولكننا نقرأ ونسمع أشياء أخرى ، من المسلمين أنفسهم ، سواء في مناطق الجنوب أو ممن زاروهم وتحدثوا عنهم ، فعدد المسلمين يتجاوز خمسة ملايين نسمة منهم أربعة ملايين في الجنوب وحده ولكنهم يلقون أسوأ المعاملات وبخاصة بعد أن أعلنت تايلند عام ١٩٠٢ ـ بعد حروب وغزوات ضد فطانى استمرت .. سنة ـ ضم فطانى واعتبارها جزءاً من المملكة ، ..لغيت جميع حقوق سيادة السلاطين الفطانيين ..سلمين وآخرهم تنكو عبدالقادر ومنذ ذلك ..قت أصبحت فطانى منطقة تابعة لمملكة تايلند الكبرى وحكمت الولايات الفطانية بشكل مباشر وعينت الحكومة حكاما بوذيين يحكمون الجنوب المسلم وبعد أحداث ١٩٣٢ ازداد الموقف سوءاً وفرضت عليها يد من حديد وأهملت مصالح الشعب ، ولجأت الدولة الى استخدام سياسة الدمج ، وعوقت مشاريع التنمية وبرامج تطوير الثقافة الاسلامية وأدى كل ذلك الى قيام حركة الكفاح الشعبى من أجل الاستقلال بقيادة أحد علماء فطانى « حاج سولونج تؤمينا » وحدثت اشتباكات خلال عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٨ وقبض على الزعيم المجاهد وزملائه ، وهاجمت القوات التايلندية قرية « دوسون بور » وقتلت أربعمائة من الرجال والنساء ، وأحرقت مساكنهم ، وشردت ٢٥ عائلة في قرية بلوكر ، وأغلقت المدارس الاسلامية وقبض على بعض المسئولين فيها وخلال السنوات التالية ازداد التعسف ضد المسلمين ، ومنع الشعب الفطانى من استخدام اللغة الملاوية مع وجوب التعامل باللغة التايلندية ، وجرى تهجير عدد كبير من البوذيين من الشمال وتوطينهم في الجنوب . وكان أغلب هؤلاء من الجنود الذين خاضوا حرب فيتنام

قال لنا أحد شباب المسلمين في عام ١٩٧٥ قامت فرقة من المشاه البحرية بالقبض على خمسة أفراد من طلبة المدارس الاسلامية وأجبروهم على الركوع أمام تمثال بوذا ، ولما أبوا قتلوهم ورموهم في النهر ، وقام أهالى فطانى بمظاهرات شعبية ضخمة استمرت ٤٤ يوماً احتجاجاً على تلك الجريمة ، وطلباً للعدالة والحرية واضطرت الحكومة لبذل الوعود ولكن أخلفتها فيما بعد ولكن الاضطهاد استمر حتى بلغ عدد الضحايا من المسلمين الأبرياء الذين قتلتهم القوات التايلندية ٣٦ ألف ضحية ، وبلغ عدد المهاجرين الفطانيين الذين لجأوا الى ماليزيا وحدها حوالى ٥٠ ألف شخص .

يقول محدثنا : برغم كل ما يقولون في النشرات الاعلامية عن المعاملة الطيبة والمساواة التى يتمتع بها المسلمون ، الا أن الاضطهاد ما زال يحيط بالشعب الفطانى ، ولا يمكن لهذا الشعب المسلم أن يقبل مواصلة العيش بلا معنى في وطن أجدادهم ، وهم يفتقرون الى الاستقلال والحرية ، في بلاد تستعمرهم وتسمى نفسها « أرض الاحرار » □

أسواق القاهرة القديمة

د . قاسم عبده قاسم *

التسوق متعة للكثيرين ، والأسواق ملتقى اجتماعي يمكن التعرف من تكويناتها على الملامح الاجتماعية للشعوب ، وهذه رحلة سريعة ، ومشوقة ، لأسواق القاهرة في الحقبة المملوكية ، تثير مقارنة ممتعة فيما كان وما هو كائن ، وتفصح عن ملامح الحياة اليومية والاجتماعية للمصريين في عصر المماليك .

شهدت مصر مع بداية عصر سلاطين المماليك نموا سكانيا كبيرا ويمكن تفسير ذلك النمو السكاني في ضوء حقيقة مؤداها أن القرن الأول في حكم سلاطين المماليك كان يمثل فترة سلام واستقرار الى حد كبير ففي عصر المماليك البحرية الذي يمثل خط الصعود في تاريخ سلطنة المماليك ، كان النظام السياسي راسخا ، وكانت القوة العسكرية للدولة توفر لها الهيبة في الخارج

ومنذ بداية ذلك العصر الزاهر بالاحداث تمكنت مصر من صد الهجوم التتاري الشرس قبل أن تستطيع هذه الجحافل الظالمة المدمرة اختراق الحدود المصرية وكان معنى هذا نجاة جماهير المصريين من المذابح المرعبة التي اقترنت بغزوات التتار وبعبارة اخرى احتفظت مصر بمعدل ثابت للنمو السكاني

كذلك فان غزوات التتار دفعت بالكثيرين من سكان العراق والشام الى الهجرة والاستقرار في مصر ومن الغرب جاءت هجرات اخرى ، اقل عدداً ، بسبب الظروف السياسية في بلاد المغرب الاسلامي ، وتدهور الموقف العسكري في الاندلس كما تشير مصادر تلك الفترة الى بعض الهجرات المغولية والكردية والتركمانية الى مصر

هذه الهجرات كان لها تأثيرها ، بطبيعة الحا على معدل النمو السكاني وتدور تقديرات الباحـ لعدد السكان في مصر كلها آنذاك حول الثلاثة ملا نسمة ، بينما يقدر عدد سكان القاهرة فقط ستم ألف نسمة في الفترة نفسها وقد ذكر المقريزي عدد قرى مصر آنذاك كان حوالي الفين وخمسـ قرية ، فاذا افترضنا ان عدد سكان القرية يتراوح بين الف وخمسمائة والفين من السكان لبدا الأمر معقولا .

ابهى ما يشاهد في القاهرة :

على اية حال ، فان النمو السكاني انعكس نتائجه واضحة في أسواق البلاد المصرية عامة والقاهرة خاصة وتميزت هذه الأسواق بكثـ عددها من ناحية ، ووفرة البضائع والحركة والنشـ فيها من ناحية اخرى

والواقع الذي تكشف عنه مصادرنا التاريخية يـ لنا أن أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليـ عرفت نوعا من التخصص في نوع البضاعة الـ

* استاد التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة الكويت ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب ، جامعة الزقازيق .



القاهرة المملوكية من أعمال
الرسام (ألين كارتر)

يبيعها كل سوق وهو ما يبدو متسقا مع طبيعة الحياة الاجتماعية في مصر انذاك فقد كان التقسيم الاداري لسكان القاهرة تقسيما يقوم على أساس النشاط الاقتصادي للسكان الى حد بعيد، اذ كان أبناء كل طائفة حرفية يسكنون حيا، عرف في عصر المماليك بالحارة، ينسب اليهم مثل حارة المعرلين، والصنادقية وغيرهم

ويجدر بنا أن نلاحظ أن أسواق المواد الغذائية كانت منتشرة في جميع انحاء العاصمة، وهو أمر يتمشى بالضرورة مع توزيع التجمعات السكانية وقد لفت انتباه الرحالة الاسباني «بيروتافور»، الذي زار مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، هذا الرواج الذي تعكسه أسواق القاهرة فقال «إن أحسن وأبهى وأروع شيء يراه المرء في القاهرة سوقها الذي تعرض فيه اكداس هائلة وكميات ضخمة من شتى البضائع الواردة من الهند »

تخصص الاسواق

وكان سوق باب الفتوح واحدا من أشهر أسواق القاهرة، إذ كان الناس يقصدونه « من أقطار الارض لشراء انواع اللحم الضأن والبقر وشراء أصناف الخضراوات» كما يذكر المقريزي كذلك عدد لنا المؤرخ ابن الصيرفي اصناف اللحوم والخبز التي كان المصريون يستهلكونها، ويبدو من عددها الكبير مدى حال الرفاهية التى عاش المصريون في ظلها في بداية ذلك العصر

أما الطيور والدواجن فكانت تباع في «سوق الدجاجين» الذي كانت تباع به طيور الزينة ايضا كذلك كان بالقاهرة سوق مركزي للفاكهة هو «دار التفاح» او «دار الفاكهة» التي كانت الفاكهة المنتجة محليا والمستوردة من بلاد الشام ترد اليها، لكي يتم توزيعها بعد ذلك على أسواق الأحياء والضواحي

اما أسواق الملابس ولوازمها فقد تنوعت أسماؤها حسب تخصصها «سوق الشرابشيين» مثلا تخصص في بيع ملابس الامراء والوزراء والقضاة، وكان تجار هذا السوق يشترون الخلع والتشاريف من الصناع ويبيعونها لديوان الخاص السلطاني وللدواوين الامراء كذلك تخصص «سو[ق] الحوائصيين» في بيع الحوائص، او الاحزمة التي كا[ن] الفرسان يلفونها حول خصورهم لوضع اسلحته[م] فيها وكانت هناك اسواق للفقراء مثل «سو[ق] الخلعيين» الذي كانت تباع فيه الملابس المستعملة

وفي القاهرة كانت هناك اسواق خاصة بلوا[زم] القتال مثل «سوق السلاح» الذي تم انشاؤه [في] العصر الايوبي وكان قريبا منه «سوق المهامزيين» الذي كانت حوانيته تبيع المهامير المستخدمة [في] الركوب، و«سوق اللجميين» الذي كانت تباع [به] المعدات الجلدية مثل اللجام، وكان مجاورا للسوق[ين] السابقين وكان به عدد من صناع السروج وغيرها

وكان هناك عدد من أسواق لوازم السفر [في] القاهرة آنذاك، مثل «سوق المرحليين» الذي كا[ن] يزدهر ايام موسم الحج وكانت تباع به ادوا[ت] تجهيز الجمال التي كانت وسيلة المواصلات البر[ية] الوحيدة للمسافات الطويلة وكان هذا السوق م[ن] الضخامة بحيث كان يمكن تجهيز مائة جمل في يو[م] واحد منه وكان هناك سوق مشابه هو «سوق المحايريين» الذي كانت تباع فيه المحاير التى كا[ن] الناس يسافرون فيها الى الحجاز وبيت المقدس

أما الاسواق التي كانت تباع بها حاجات النا[س] اليومية فكثيرة متنوعة ومن أهمها «سوق الصادقيين» الذي كانت تباع به شتى انواع الاثاث المنزلي مثل الصناديق والخزائن والأسرة كذلك كان «سوق الشماعيين» من الاسواق التي اتخذها القاهريون مكانا للنزهة المسائية على ضوء الشموع الكثيرة التي كانت تتوهج في أرجاء السوق الذي كانت حوانيته تظل مفتوحة الى ما بعد منتصف الليل

وللأمكنة أسواقها :

ومن الملاحظ أن التطور السكاني لمدينة القاهرة [في] عصر سلاطين المماليك كان يقتضي حدوث تغير[ات] نوعية ومكانية، بحيث تندثر بعض الأسواق القد[يمة] وتنشأ أسواق جديدة، كما ينبغي أن نلاحظ أن ا[سما]ء الأسواق لم تكن على الدوام مشتقة من نوع ا[لنشا]ط

ـسوق ، بل كانت هناك اسواق اشتقت اسماؤها من
ـاكن وجودها ، مثل « سوق جامع ابن طولون » ، و
سوق الخانقاه » ، و « سوق حارة برجوان » كما
ـان لبعض الاسواق أسماء اشتقت من اسماء بعض
لجاليات التي سكنت القاهرة في ذلك الزمان مثل
سويقة العراقيين » ، و « سويقة المغاربة » و
سويقة اليهود » وقد حملت بعض الأسواق أسماء
شخاص مثل « سويقة معتوق » و « سويقة ابن
لعجمية » و « سوق وردان » التي تنسب الى وردان
مولى عمرو بن العاص وقد ذكرها المؤرخ « ابن
دقماق » ضمن أسواق الفسطاط وكانت لبعض
الأسواق اسماء ريفية مثل « سوق البراغيث » ، و
« سوق الخاف » ، و « سوق العياطين »

ويبدو من كلام ابن دقماق والمقريزي عن أسواق عصر سلاطين المماليك أن هذه الاسواق كانت تقام في أماكن تسمح للسوق بمنافذ متعددة بحيث يسهل على رواد السوق الدخول والخروج كما يتضح أيضا انه كانت لبعض الأسواق في القاهرة مخازن خاصة بها وقد عرفت اسواق القاهرة ايضا نظام الصيارفة الذين كانت مهمتهم استبدال العملات وتغييرها لرواد الاسواق

أسواق ارباب المقاعد .

والى جانب الاسواق التي انتشرت في ارجاء القاهرة عرف القاهريون الباعة الجائلين الذين كان بعضهم يفترش الارض في السوق ببضاعته ، على حين كان بعضهم الآخر يتجول بما يحمله من بضائع في شوارع القاهرة وأزقتها

أما الباعة الذين كانوا يفترشون أرض الأسواق ببضاعتهم فقد عرفتهم مصادر تلك الفترة باسم « أرباب المقاعد » وكان اولئك يبيعون مختلف البضائع من المأكولات والمشروبات والفواكهة والخضراوات ، او الخواتم والاساور وغيرها من زينة النساء ففي سوق السلاح كان اولئك الباعة من ارباب المقاعد يفترشون الارض امام حوانيت السوق ، فاذا اقبل الليل اشعلوا المشاعل التي تضفي على المكان جوا بديعا كان يغري الناس باتخاذ هذا المكان متنزها في امسيات الصيف وفي القصبة - الشارع التجاري الرئيسي في القاهرة آنذاك - كان « أرباب المقاعد » يجلسون على امتداد الشارع « باطباق الخبز واصناف المعايش » على حد تعبير المقريزي

وقد وجد بالقاهرة سوق باكمله لبيع ادوات الزينة النسائية ، وهو « سوق القفيصات » الذي كان الباعة يجلسون فيه ، تجاه القبة المنصورية ، وأمامهم تخوت عليها أقفاص صغيرة (قفيصات) من الحديد ، وقد شبكت عليها الخواتم والفصوص وأساور النساء وخلاخيلهن ، وما الى ذلك وكان اولئك الباعة يستأجرون الارض التي يجلسون عليها ببضاعتهم من المشرف على البيمارستان (المستشفى) المنصوري الذي كان هذا السوق من أوقافه

ويبدو من كلام المؤرخ « تقي الدين المقريزي » أن المنافسة كانت تشتد بين الباعة من « أصحاب المقاعد » الذين يفترشون أرض الاسواق من ناحية ، واصحاب الحوانيت من ناحية اخرى وكانت تتصاعد احيانا الى حد الاشتباك الذي يوجب تدخل الدولة

أما النوع الثاني من الباعة الجائلين ، فكانوا يطوفون شوارع القاهرة وأزقتها (وهو مايزال من الامور المعتادة في القاهرة حتى اليوم) ، وكان هؤلاء ينادون على بضاعتهم باصوات عالية ، وبأغنيات وأهازيج في بعض الاحيان ، ويطوفون الاماكن البعيدة عن الأسواق فتخرج اليهم النسوة من بيوتهن للشراء كذلك كان بائعو الاقمشة والدلالات يدخلن البيوت لعرض البضائع على ربات البيوت

مرآة لحياة القاهرة الاجتماعية .

وكان من الطبيعي أن تخضع الأسواق لرقابة الدولة التي اتخذت عدة اشكال ، منها وجود الموظفين المسئولين عن رقابة الاسواق ، ومنها الضرائب التي كانت تفرض على ارباب السوق ، كما كانت تتدخل الدولة من آن لآخر لتنظيم الأسواق وتخطيطها

من ناحية اخرى ، ارتبطت أسواق القاهرة بالكثير من عادات المصريين وتقاليدهم كما كانت



ـ شارع من شوارع القاهرة
المملوكية من أعمال الرسام
(أوين كارتر)

ت..را عن جوانب هامة من الحياة اليومية في المجتمع ال..هري آنذاك

ففي داخل كل سوق من هذه الاسواق كانت تقام ..وعة من الحوانيت ، بيد ان صغر مساحة الحانوت ك.. يستدعي بناء مصطبة امام كل حانوت يجلس ال..ائع عليها لمساومة المشترين ، او لتبادل الحديث مع ز..اره . ولذلك كانت الاسواق القاهرية من أهم مراكز الاخبار وصياغة الراي العام تجاة الاحداث الجارية

وفي ذلك العصر جرت العادة ـ عموما ـ على أن تشتري النساء حاجاتها من الأسواق ، وغالبا ما كانت النساء تمثل غالبية رواد الاسواق في بعض المواسم التي اعتاد المصريون الاحتفال بها والجدير بالذكر أن بعض المعاصرين لتلك الحقبة كانوا يرون في خروج النساء الى الاسواق أمرا منكرا ، وكثيرا ما ثارت المناقشات في الدوائر الحاكمة ، بحضور الفقهاء والقضاة لمنع النساء من ارتياد الاسواق ، خصوصا في اوقات الازمات الاقتصادية والأوبئة

ومن مظاهر ارتباط الاسواق بعادات القاهريين وتقاليدهم الاجتماعية ، « سوق الحلاويين » الذي كانت تباع به التماثيل من السكر والتي اعتاد القاهريون (والمصريون عامة) أن يشتروها لاطفالهم في مواسم اول رجب ، ونصف شعبان ، وعيد الفطر ، كذلك كان الناس يهدون هذه الحلوى لاصهارهم ، وخاصة اذا كانت المصاهرة حديثة او اذا لم يكن الرجل قد دخل بعروسه بعد كما أن « سوق الشماعين » ارتبطت بالاحتفالات القاهرية بليالي شهر رمضان ، كما كانت تتلألأ بالاضواء في عيد غطاس النصاري .

وتكشف دراسة الاسواق ايضا عن أنه لم يكن من عادة القاهريين ـ بشكل عام ـ أن يعدوا الطعام في بيوتهم . بل إن العامة كانوا يتناولون الطعام خارج منا..لهم التي كانت متواضعة للغاية ، وانتشرت في القاهرة آلاف المطاعم التي تحدث عنها الأجانب الذين زاروا القاهرة في ذلك العصر . وقد عرفت القاهرة نوعين من المطاعم ، اولهما « المطابخ » التي كان الناس يتناولون فيها الطعام الجاهز وحوانيت « الشرائحية » التي كان سكان القاهرة من الشرائح الاجتماعية المتوسطة يرسلون اليهم مايريدون طهيه من لحوم وخضراوات وغيرها ، ويقوم « الشرائحية » بطهيها بعد خلطها بالتوابل ، ثم ترسل مع الصبيان في قدور معطاة الى المنازل لقاء أجر معروف

تدهور الاسواق المملوكية :

هذه الصورة الزاهية للحياة في القاهرة كما تعكسها حركة الأسواق خلال الشطر الاول من عصر سلاطين المماليك لم تلبث أن تلاشت بفعل عوامل التدهور التي عانى منها المجتمع المصري في اواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي

والواقع أن هبوط معدل النمو السكاني ثم تدهور أعداد السكان في مصر منذ منتصف هذا القرن بسبب « الوباء الكبير » او « الموت الاسود » (الذي انتشر في ارجاء العالم المعروف آنذاك) كان من أهم أسباب تقلص الأسواق القاهرية من حيث عددها وحركة البيع والشراء فيها كما أن زيادة النظام الاقطاعي العسكري الذي قامت عليه بنية الدولة ، كان من أهم عوامل التدهور الاقتصادي الذي ترك آثاره الوبيلة على حركة الاسواق

والواقع أننا لا نستطيع أن نحصر العوامل التي أدت الى تدهور أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليك في اطار واحد بعينه ، سياسيا كان ام اقتصاديا ، واجتماعيا كان ام طبيعيا فالحقيقة أن هذه العوامل كلها تداخلت وتشابكت في حركتها بحيث يصعب تحديد دور كل منها ، وعلى ايه حال ، فان تدهور الاسواق في القاهرة كان واحدا من المؤشرات العديدة على أن دولة سلاطين المماليك قد بدأت رحلتها الطويلة نحو الغروب . □

في ذكرى مرور ٧٥ عاماً على رواية

«البحث عن الزمن المفقود»

للأديب الفرنسي مارسيل بروست

بقلم الدكتورة : زينب عبدالعزيز

في تاريخ الابداع الروائي العالمي تنتصب ملحمة « البحث عن الزمن المفقود » رائعة مارسيل بروست كواحدة من أهم الأعمال التي تركت تأثيرات ضخمة في المسار الروائي الحديث

ولذلك يهتم بها المبدعون ونقاد الأدب ومؤرخوه والمتذوقون له

في الثانى عشر من شهر نوفمبر عام ١٩١٣ اعلنت جريدة « لى طان » الفرنسية عن ظهور رواية « عند ناحية سوان » لدى دار نشر برنارد جراسيه إلا أن كاتب المقال لم يذكر أن كافة دور النشر الأخرى كانت قد رفضت هذه الرواية !

ولم يدر بخلد رافضي ذلك النص أنه سيصبح من أهم روايات القرن العشرين ، بل حجر الأساس الذى قامت عليه الرواية الحديثة في فرنسا

لذلك يعد مارسيل بروست واحدا من أهم الكتاب الذين مازالت آثارهم تمتد على مجريات الرواية الحديثة ومسارها حتى يومنا هذا ، بفضل ما أضافه في مجال التعبير والحلم وتوارد الخواطر وتتلخص أهمية المكانة التي يحتلها في أنه استطاع أن يفرض على القارىء عالما خياليا أكثر واقعية من الواقع، وتعبيراً جديداً عن الزمن التحميمى في ذهن الانسان

سنوات النضوج

تعد أهم فترات حياة بروست الإجتماعية وأعمقها صراعا تلك السنوات التى واكبت قضية الإفراج عن الفريد درايفوس ، ذلك الضابط الفرنسى اليهودى الأصل الذي حوكم وسجن خمسة أعوام ثم أفرج عنه بفضل حملة اعلامية سياسية ودينية صاخبة ، شغلت الرأى العام الفرنسى وقسمته حتى التمزق

وكان مارسيل بروست قد انضم مؤيدا لهذه الحملة فيما بين عامى ١٨٩٨ و ١٨٩٩ ، ثم سافر إلى فينيسيا ليدرس مذاهب القيم الجمالية هناك وما أن عاد من ايطاليا حتى بدأت أحزانه بوفاة والده وتوغلت الأحزان اكثر بوفاة والدته ـ تلك الأم التى سألوه ذات يوم ، وكان في الثالثة عشرة من عمره « ماهو ابشع شيء يمكن أن يحدث لك وتعده قمة البؤس ؟ » فقال مندفعا « أن أفقد أمى ! »

لإنعزال والعمل :

وبفقدانه أمه ومعايشته لأبشع مايمكن أن يحدث له سددت آماله وأحاط نفسه بستار من العزلة لتنصهر الامه في بوتقة دلك البؤس انعرل ليكتب ويعبر عن جحيم الحياة ، ذلك الجحيم الذى ترتبط فيه الكوميديا الإنسانية العامة بالمأساة الذاتية لكل فرد ، واستكان الى عالم الذكريات والذكرى ليكتب ملحمته المعروفة باسمها الشامل « البحث عن الزمن المفقود ، وهي ملحمة تقع في سبعة أجزاء ، لكل منها عنوانها الفرعى المستقل

إنعزل بروست في غرفة مكتبه المبطنة بالفلين ، لتحجب عنه ضوضاء العالم الخارجي ، وليتمكن من الإستماع الى نبضات أصداء ذلك الزمن الضائع الذي حاول التعبير عنه ، ولا تحيط به سوى حشرجة أنفاسه وهي تنتزع رشفات الحياة ، وقد زادت حدة اصابته بالربو ولقد شبه غرفته هذه بسفينة نوح التي « سمحت له برؤية العالم وفهمه بفصل غلقها المحكم والسواد الدامس المحيط بها » - على حد قوله

وفي عام ١٩١٩ حصل على جائزة جونكور الأدبية عن الجزء الذى يحمل عنوان « في ظل الفتيات المزدهرات » بينما اشتدت وطأة المرض عليه ، وفي الثامن عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٢٢ خبت أنفاسه وانطفأت بينما ارتسمت على محياه عطور تلك الزهور التي أجاد التعبير عن عبيرها الأثيرى انتقل تاركا مخطوطات ثلاثة أجزاء من ملحمته تم طبعها تباعا .

ملحمة « البحث عن الزمن المفقود » :

تتضمن هذه الملحمة أو هذه المجموعة الروائية سبعة أجزاء هي

■ « عند ناحية سوان » (١٩١٣) ويحكى فيها المؤلف ذكريات الطفولة التي تبادرت الى ذهنه بينما كان يغمس قطعة من الكعك الجاف في قدح من الشاي ، ومن خلال توارد الخواطر هذه قام بتقديم أفراد اسرته أو شخصيات الرواية بالإضافة الى أولى خطواته في كل من عالم الادب وعالم الحب

■ « في ظل الفتيات المزدهرات » (١٩١٨) ويعبر الأديب في هذا الجزء عن المجال الفنى والموسيقى والأدبي من خلال مجتمع الأرستقراطية الفرنسية وتملق طبقة البورجوازية

■ « ناحية جيرمانت » (١٩٢٠) يتعرض الأديب في هذا الجزء للمجال العاطفي والنفوذ الاجتماعي لتلك الشخصيات

■ « سودوم وجومور » (١٩٢٢) وهنا يتوغل الأديب اكثر في أعماق شخصياته ليعكس اخلاقيات ذلك المجتمع وما ينطوى عليه من فساد وانحراف وشذوذ

■ « السجينة » (١٩٢٣) يتناول الاديب في هذا الجزء مشاعر الغيرة التى تدفع حامليها الى تصرفات غير سوية حتى تأتي عليها

■ « الهاربة » (١٩٢٥) ويتضمن هذا الجزء آراء الكاتب في قضية الموت وآثاره عبر ملكة عالم النسيان

■ « العثور على الزمن المفقود » (١٩٢٧) اما في هذا الجزء الأخير من الملحمة فيبوح الكاتب بآرائه الأساسية حول التناقض وصراع الاضداد وخلاصة فكره عن الفن الذى يمثل الخلاص الحقيقى من تفاعيل الزمن ، فالفن - في نظره - هو « الشيء الوحيد الصادق في هذا الوجود واللحظات التي تبلورها الذاكرة عبر الزمان والمكان ، تمثل أصدق ماعشناه »

تمثل هذه الملحمة تاريخ حقبة معينة من حياة المجتمع الفرنسى وتاريخ ذاكرة كاتبها ، فهي تعكس في آن واحد العالم الخارجى برمة أحداثه وأصداء تلك الأحداث في أعماق راويها ، وإن كان البطل الحقيقى فيها هو الزمن الذى يمتد ويتنوع التعبير عنه طوال هذا النص من جزيئات دقيقة الى مالا نهاية الدهر ذلك الزمن الذى يحاصر الإنسان ويطارده ضاغطا وجوده في لحظات محدودة مابين مشرق ومغيب !

وتعتمد فكرة البناء الدرامى لهذه الرواية الطويلة على قاعدة اللبنة الأولى في البناء الضخم وعلى أهمية تلك اللبنة التي تلتف حولها بقية اللبنات بترتيب معمارى بارع ، متماسك ، قائم على الترابط وكثيرا

ماشبهه الأديب نفسه ببناء الكاتدرائية التي ترتفع ببنيانها الشاهق حتى القمة ، بفضل عدة دعامات أساسية،تمثلها هو في صراع مشاعر الإنسان والموت والذاكرة عبر الزمن . .

لذلك أجمع النقاد على أن بروست ليس واحداً من أساتذة الفلسفة العامة فحسب ، وانما واحد من اكبر فلاسفة علم الحياة ، اذ يكشف عن سعة درايته بأعماق الانسان وبغياهب تلك الغابة المتداخلة المشاعر ، معتمدا على ديناميكية صراع الاضداد

وتكمن عظمة مارسيل بروست في تشييد هذا لبناء الدرامي الضخم في تعبيره عن عملية تحويل أحداث الحياة الاجتماعية والذاتية الى خلاصة فهو يقوم



بلورة وتخليد تلك اللحظات التي افلتت من طغيان الزمن والنسيان .

المجتمع والشخصيات :

وسواء كان البناء موسيقيا كالسمفونية أو معماريا كالكاتدرائية فان ترابط العمل وتجانسه يبدو مذهلا ، ويرجع هذا الترابط الى قوة الخيال ، والى شدة الملاحظة التي يربط بها اختيارات توارد الخواطر ، إلا أن المناخ العام الذي تدور فيه أحداث هذه الملحمة يقتصر على شريحة اجتماعية معينة ، أما الطبقات الدنيا أو الكادحون فهم غير ممثلين إلا من خلال طبقة الحاشية أو الخدم الذين يقومون بخدمة هذه الارستقراطية .

ورغم الزيف الذي يتألق به بريق ذلك المجتمع والذي اجاد الكاتب التعبير عنه فهو يجعل الكاتب اشبه مايكون بالتأثيريين القائلين بألا قيمة للموضوع مهما كان تافهاً إلا بفضل الضوء الذي يسلط عليه وبالأسلوب الذي يعالج به

أما الشخصيات فهي تتسم بذلك التواحد الدائم الذي لا ينسى ، انها شخصيات مستقلة الوضوح والتميز ، حتى الشخصيات الثانوية منها فهي مصورة بنفس التركيز والبلورة وذلك ليس من خلال وضعها الاجتماعي فحسب وانما من خلال مختلف مكوناتها النفسية عبر الزمان المكان

الذاكرة والزمن :

ويعتمد المؤلف في كتابته على بلورة لحظة زمنية معينة ، ولتلك اللحظة التي مضت واستكانت أهمية كبرى ، والانسان الذي يستطيع إحياءها من جديد ومعايشة أبعادها في لحظة أخرى يصبح في نفس ذلك الوقت خارج الزمن الذي يعيش فيه بالفعل ، لذلك يفرق بين الذاكرة العادية التقليدية في الحياة اليومية ، والذاكرة الإنفعالية التي تلتقط تلك اللحظات القابعة في استكانة ، والتي يمثل الكشف عنها نفس تأثير الهزات الأرضية التي تشق سطح الكرة الأرضية . فتلوح مقتنيات العالم الزمنية التي تمثل خلاصة صادقة لما عاشه الإنسان

وهنا يتبلور مفهوم الأديب بين الزمن الواقعي الذي تدور فيه الأحداث في الحياة اليومية ـ وقد تستغرق السنين،وذلك الزمن الخاطف كالومضات الذي يستغرقه استرجاع معايشتها في الذاكرة

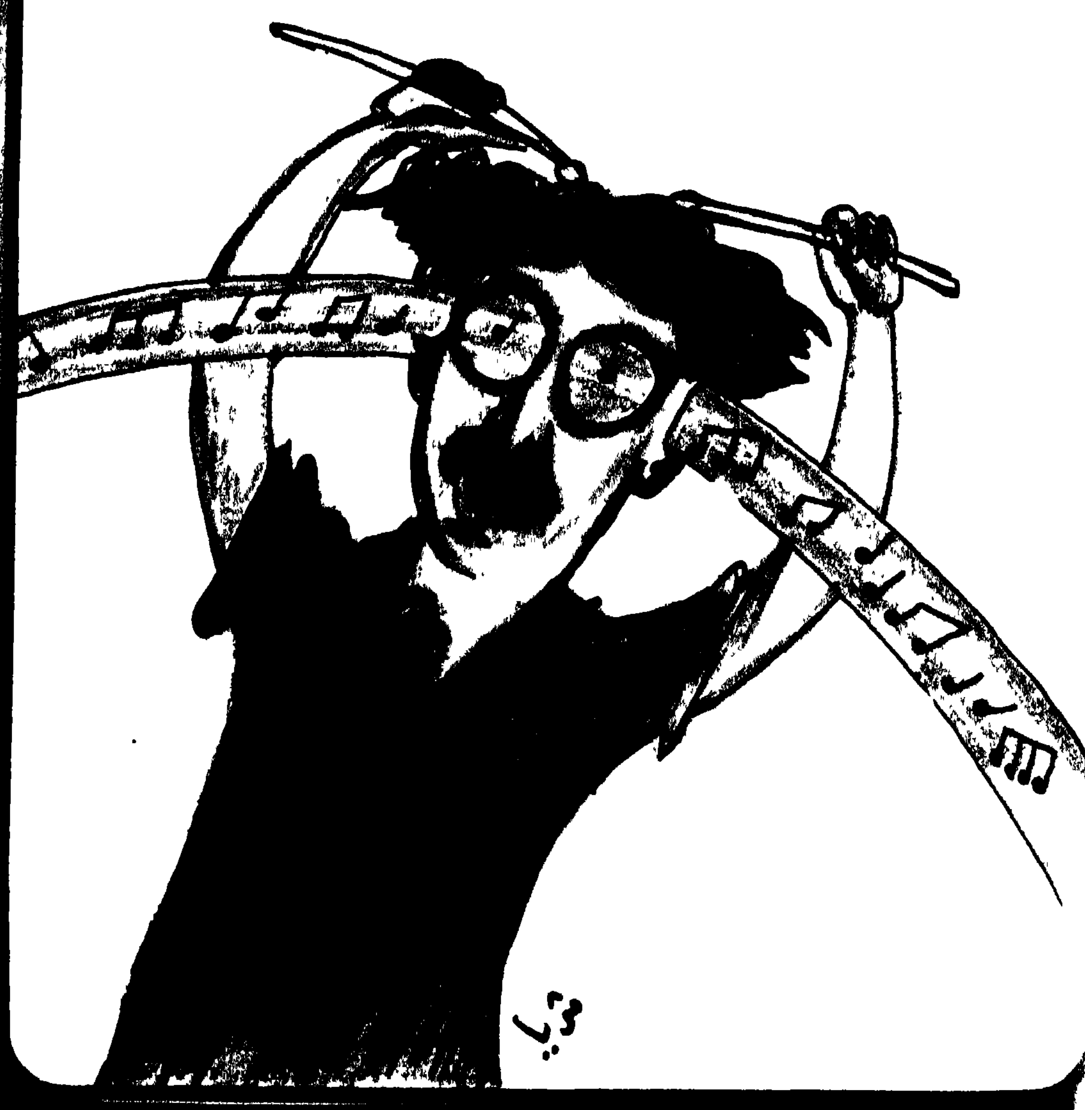
في عام ١٩٢٣ كتب الأديب الفرنسي بول فاليري في مقال بعنوان : « تحية الى مارسيل بروست ، يقول : « يمكننا أن نفتح روايته في أي جزء نشاء ونستمتع بالقراءة إذ أن حيويتها لاتعتمد على ماسبق من نص ، وإنما تكمن في حيوية نسيج النص نفسه الذي يمكننا أن نقرأه من أي مكان » . □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ أصوات مميزة يحدثها جسم الإنسان

■ الطفح الجلدي الحادّ لدى الأطفال



الطفح الجلدي الحادّ لدى الأطفال

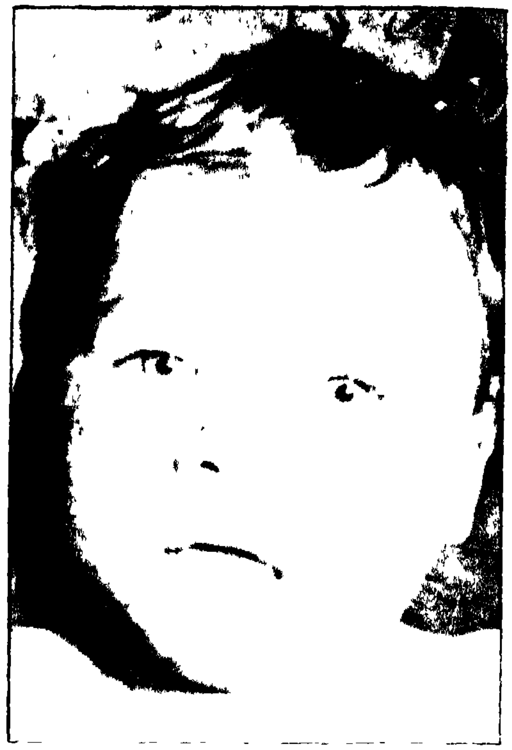
بقلم : الدكتور صباح السامرائي

مع تقدم العلوم الطبية قد نكتشف أن كثيرا من الأمراض هي أقل خطورة مما نظن ، وأن الأمر أبسط مما نعتقد ، إلا أننا مع ذلك نزداد إيمانا بتلك النصيحة الطبية الثمينة « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

أربعة أمراض شائعة بين الأطفال تعد السبب الرئيسي لظهور الطفح الجلدي الحاد وهي ، الحصبة ، والحصبة الألمانية ، والحُماق أو جديري الماء ، والحمى القرمزية وأول ثلاثة من هذه الأمراض تنشأ عن غزو « الحمات » للجسم ، والحمات ـ جمع حمة أي فيروس ـ كائنات صغيرة جدا ، لا ترى إلا بالمجهر الالكتروني ، أما رابع هذه الأمراض ـ الحمى القرمزية ـ فينشأ عن الإصابة بنوع من الجراثيم أي « البكتيريا » ، يسمى بالمكّورات السُبحية المقيحة وعلى الرغم من عدم خطورة الطفح الجلدي فانه يثير التوحس في نفوس الآباء والأمهات وكأنه جرس انذار يدوي في داخلهم « إن وراء الأكمة ماوراءها » ؛ جميع هذه الأمراض معدية تنتقل من الشخص المصاب إلى الشخص السليم بالتلامس أو استعمال أدوات مشتركة ، أو مع الرذاذ المتطاير من فم المريض وأنفه « أثناء الكلام أو السعال مثلا » ونتحدث في السطور التالية عن كل مرض من هذه الأمراض بصورة موجزة

الحصبة

بعد فترة حضانة تبلغ نحو عشرة أيام ، تظهر أعراض المرض بهيئة سعال والتهاب في اللوزتين أو الأذن الوسطى كما تلتهب ملتحمة العين ، ويبدو الطفل عكر المزاج كثير البكاء ، ومن العلامات الخاصة بالحصبة التي تظهر قبل الطفح الجلدي وتساعد كثيراً في التشخيص ، بقع بيض صغار في بطانة الفم نستطيع رؤيتها في اللثة والجزء الأمامي من



يبدأ طفح الحصبة بالظهور خلف الأذنين ، ثم ينتشر إلى الوجه



يتركز الطفح الجلدي الناشئ عن الحماق أو جديري الماء في الجذع

بطانة الفم ، وخير مكان لرؤيتها بوضوح هو بطانة الخد قرب الرحى العلوية الثانية

ويعتقد أن هذه البقع تنشأ عن نخر أو تلف بعض خلايا بطانة الفم ، وتسمى « بقع كوبلك » نسبة إلى الطبيب الأمريكي « هنري كوبلك » « ١٨٥٨ - ١٩٢٧م » الذي وصفها وذكر أهميتها التشخيصية

بعد ذلك يظهر الطفح الجلدي ، وأول ظهوره يكون خلف الأذنين ، ثم ينتشر في الوجه (صورة رقم ١) ، ثم ينتشر في الجذع خاصة الظهر ويكون لون الطفح أحمر غامقا ، ويستمر نحو خمسة أيام ثم يزول وفي العادة يزول المرض تلقائيا ، غير أنه في بعض الحالات يؤدي إلى ظهور مضاعفات كذات الرئة القصبية ، والخانوق « croup » ، والإسهال ، وفي حالات نادرة يؤدي إلى التهاب الدماغ

ولا ضرورة لاستعمال المضادات الحيوية « لأن المرض ينشأ عن الحمات وهي كائنات لا تؤثر فيها المضادات الحيوية » ، وقد نلجأ إلى هذه المضادات عند ظهور مضاعفات جرثومية ، ويستعمل لهذا الغرض المضاد الحيوي « ارثرومايسين » أما الوقاية فممكنة باستعمال اللقاح الذي يتكون من حمات الحصبة الحية المضعفة ، ويعطى جرعة واحدة تحت الجلد في مطلع السنة الثانية من عمر الطفل ومن الجدير بالذكر أن الأطفال الذين يولدون لأمهات أصبن سابقا بالحصبة يكونون محصنين ضدها على

مدى ٦ - ٩ شهور بعد الولادة ، وذلك نتيجة لانتقال الأضداد « Antibodies » من الأم للطفل عبر السحد « placenta »

الحصبة الألمانية

لم يكن هذا المرض يثير أى اهتمام لدى الأطباء حتى عام ١٩٤١ حينما اكتشف الدكتور « ن م عريع « N.M.Gregg » في استراليا ظاهرة مرعبة ، فلقد وجد أن اصابة النساء الحوامل بهذا المرض في الشهور الأربعة الأولى من الحمل تؤدي إلى ظهور مضاعفات خطيرة على الأطفال ومن هذه المضاعفات ، العمى ، الصمم ، تشوهات القلب ، وغيرها وقد يموت الجنين داخل الرحم أو يولد ميتا فيريح ويستريح ، أما إذا أصيبت الحامل بعد الشهر الرابع من الحمل فليس هناك خطر داهم

إن أعراض المرض تظهر بعد فترة حصانة تتراوح ما بين ٢ - ٣ أسابيع ، وتكون بهيئة التهاب في البلعوم وفي ملتحمة العين ، وتتضخم العقد اللمفاوية في أسفل المنطقة القفوية من الرأس ، ولا وجود لبقع كوبلك ثم يظهر الطفح الجلدي الذي يكون أفتح لونا من طفح الحصبة ومن مضاعفات الحصبة الألمانية التهاب المفاصل وهو شائع لدى البالغين وأقل شيوعا لدى الأطفال ، وقد يستمر هذا الالتهاب فترة طويلة أكبر من فترة أعراض ومضاعفات المرض الأخرى ، وقد يعاود المصاب مرة اخرى بعد عدة شهور من الشفاء ، وأكثر المفاصل عرضة للالتهاب هي مفاصل اليدين والقدمين إن بعض حالات الحصبة الالمانية لايرافقها ظهور طفح جلدى ، لهذا يجب أن نضع هذا المرض في الحسبان عند شكوى أى شخص - خاصة الاطفال والبالغين - من مفاصله دون سبب ظاهر ، ومن المضاعفات الأخرى النادرة قلة الصفيحات والتهاب الدماغ

إن هذا المرض لايحتاج أى علاج إلا عند ظهور مضاعفات ، وإذا وجدت الحامل مصابة في وقت مبكر من الحمل وجب الاجهاض

ولابد من التأكيد على أهمية وقاية النساء من هذا المرض ، وذلك باللقاح المكون من الحمات الحية المضعفة ، ويجب إعطاء هذا اللقاح لجميع الفتيات في عمر ١٢ - ١٣ عاما إن الفترة الوقائية التى يمنحها اللقاح غير معروفة على وجه التحديد ، ولهذا يجب اعطاء اللقاح لكل امرأة لا تحمل أضداد المرض - حتى إن كانت قد اعطيت اللقاح سابقا - ، وذلك بعد الولادة شريطة ألا تحمل مرة أخرى إلا بعد أكثر من ثلاثة شهور من اعطاء اللقاح

الحماق أو جديرى الماء

فترة الحضانة كفترة حضانة الحصبة الألمانية ، بعدها تظهر الأعراض بهيئة حمىً وألم في البلعوم والبطن ، ويكون ألم البطن في بعض الحالات شديدا يشبه الألم الناشىء عن التهاب الزائدة الدودية بعد يوم واحد من هذه الأعراض يظهر الطفح الجلدى بهيئة بقع حمراء في وسطها حويصلات صغيرة تحوى سائلا كالماء « وقد يتقيح هذا السائل فيغدو عكرا » ، ثم يتحول الطفح إلى قشور بعد جفافه ، وفي العادة يكون الطفح مركزي الانتشار ، أي يظهر على الجذع أكثر من الأطراف « صورة رقم (٢) » إن الطفح يظهر على دفعات واحدة تلو الأخرى ، ولهذا ترى مختلف مراحله لدى المريض « البقع والحويصلات ، والقشور »

ومن المعروف أن هذا المرض يكون شديدا حينما يصيب البالغين ، وقد يؤدى إلى بعض المضاعفات كغزو الجراثيم للطفح ، وذات الرئة وفي حالات نادرة يؤدى إلى التهاب الدماغ فيؤثر بشكل خاص على « المخيخ » المسؤول عن توازن الجسم ، ولهذا

تصطرب حركة المريص ويختل توازنه ، أما لدى الأطفال فقلما ترافقه أية مضاعفات إلا إدا كان الطفل ناقص المناعة « نتيجة للاصابة باللوكيميا أو ابيصاض الدم ، أو عير دلك من الأمراض السرطانية ، أو نقص المناعة المكتسبة الايدر » ففى هده الحالات يكون المرص عنيفا قاتلا

ولا صرورة للوقاية من هذا المرص ، إلا في حالة كون الشخص ناقص المناعة ، وعندئذ يعطى « الكلوبيولين البشرى » المصاد للمرص

أما العلاج فهو علاج تحفظي « أي علاج أعراض المرص » ، وينصح ـ لهدا المرص ـ بالاستحمام يوميا بماء يحوى مواد مطهرة لمنع تقيح الطفح الحلدى أو عروه من قبل الجراثيم ، ويفضل دلك الحلد بالمحاليل الملطفة علاجا للحكة ، وإذا كانت الحكة شديدة مسببة اضطراب النوم فيجب اعطاء المصاب العقاقير المصادة لها

الحمى القرمزية

بعد فترة حصانة تتراوح ما بين ١ ـ ٥ أيام تظهر أعراض المرص بهيئة ألم عند البلع نتيجة لالتهاب اللورتين ، كما ترتفع حرارة الحسم وفي اليوم التالى يظهر الطفح الحلدى بهيئة احمرار يشمل الحدع والأطراف ولا يظهر على الوجه ، ويتصف هدا الطفح بشحوب اللون عند الصغط عليه بالأصابع ومن علاماته الأحرى شحوب حول الفم نتيجة احتقان الوجنتين بسبب الحمى ، وبعد أربعة أيام يبدأ الطفح بالتوسّف « Desquamation » ، أي أنه يسلخ بصورة طبقة رقيقة ، ويكون اللسان مكسوا بطبقة رقيقة بيصاء

وقد يؤدى هذا المرص إلى التهاب الأدن الوسطى ، وحراج حول اللورتين وأحيانا يؤدى إلى الحمى الرثوية والتهاب كبيبات الكلية وعلى الرعم من عدم وجود وسيلة فعالة تقى من الحمى القرمزية ، فإنها سهلة العلاج بالمصاد الحيوى المعروف « بنسلين »

وإذا تركنا المصاعفات النادرة حانبا ، فإن الحمى القرمزية تعد من الأمراض البسيطة ، عكس ما كان ينطر إليها في السابق حينما كان المريص ينقل بسيارة اسعاف « سوداء » إلى مستشفيات معرولة ، وتمنع زيارته منعا باتا ، ولا داعى لكل هذا العناء يا أطباء الماصى عليكم رحمة الله !! □


شارلى شابلن

* أحسن المصلحين ، هم الدين يبدأون بأنفسهم

(برنارد شو)

* أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء

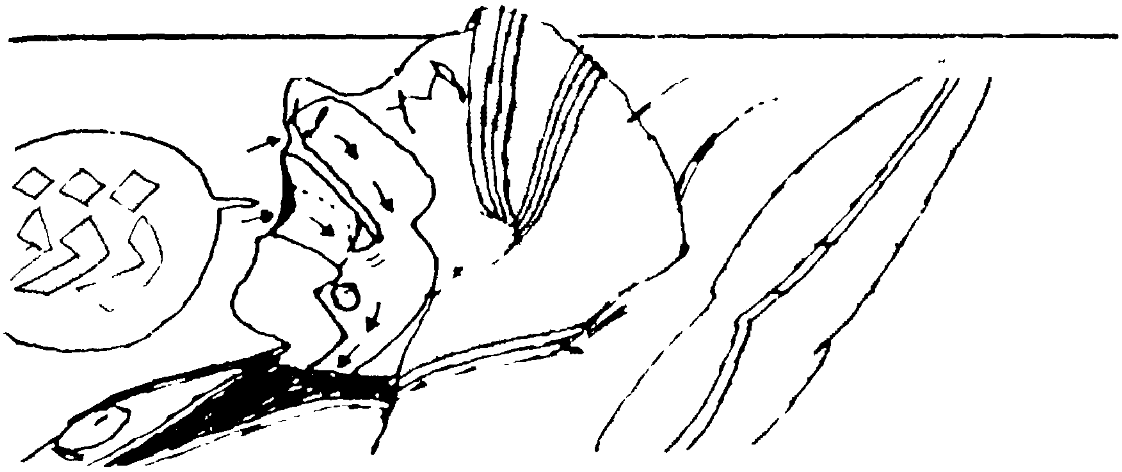
(أحمد شوقي)

* الرحل الذي لا يعرف نواحي القوة هدف سهل للمرأة التي تعرف نواحى الصعف فيه

(شارلى شابلن)

* لا ينبغى أن تقول كل ما تعرف ، ولكن ينبغى أن تعرف كل ما تقول

(كلوديوس)



أصوات محيّرة
يحدثها جسم الإنسان

اعداد د عامر خالد*

من ما لا يضايقه سماع الأصوات العالية التي تصدر من نائم معه في نفس الغرفة ، أو يزعجه عطاس ملازم له ولا يملك رده بالسيطرة الذاتية أو العلاج . إن السعال وقرقرة البطن وطقطقة عظام الجسم ، كلها أصوات تصدر عن جسم الانسان فما سببها . ؟ وهل لها علاج ؟

كل أجسام بني الانسان تصدر أصواتا مختلفة ، ومتنوعة المصدر والنغمة من حيث تنظيمها إراديا أو لا إراديا ، فمنها ما يكون مصدره الحبال الصوتية للتعبير وتوضيح ما يجول في الذهن من أفكار ، ومنها ما يكون هضم الغذاء سببه ، ومنها ما يدلل على أن شيئا ما اخترق حجابات الجسم الدفاعية عبر الأنف أو الحنجرة ، ورغم عدم سيطرة الجسم على مختلف هذه الأصوات ، إلا أنه احيانا تكون له معرفة بقرب حدوثها ، ولن نتطرق في موضوعنا إلى كيفية حدوث الكلام البشري ـ لأنها باتت معروفة للجميع ـ ولا لتأثير العوامل المرضية على هذه الأصوات

السعال :

عند دخول أشياء معينة الى الحنجرة ، كدقائق الغبار ، أو سماكة من اللعاب ، أو قطعة من الغذاء ، فإنها تدخل خطأ للمجرى التنفسي ، فيحدث صوتٌ وحركة معينان يسعى بهما الجسم

* مدرس بكلية طب الاسنان ـ جامعة بغداد

للتخلص منها وطردها وهما ما يعرفان لنا بالسعال

وهو عملية مفيدة للجسم ، يقوم بها لتنقية وتصفية القصبات الهوائية والمجاري التنفسية تماما كالتي نجريها عندما ننفخ في انبوب مطاطي لتنظيف داخله ، كذلك يزيل من داخل القصبات ما علق بها من لعاب سميك او فتات غذاء ، إلا أنه في حالات الاصابة الحمجية Infection ، لا يزيلها ، ولهذا تستمر حينذاك نوبات السعال ، وقد تتألم منها عضلات المعدة والصدر ، ويصبح اللجوء الى استعمال العقاقير الطبية لعلاج المتسبب وازالته أمرا ضروريا وطبيعيا

وعموما فان السعال يحدث بصورة واحدة فبعدما تستنشق الهواء ليصل رئتيك وتنغلق المجاري التنفسية ، وتتقلص عضلات الصدر والبطن استعدادا لدفعه بقوة ، فان الهواء يندفع من الرئة وبقوة هائلة محدثة « انفجارا » هو السعال ، نتيجة لمروره السريع والقوي عبر الحبال الصوتية في الحنجرة ، وتعتمد قوة صوت السعال على كمية ما اندفع من هواء ، وعلى حالة الحبال الصوتية مريضة كانت أو متعافية

العطاس :

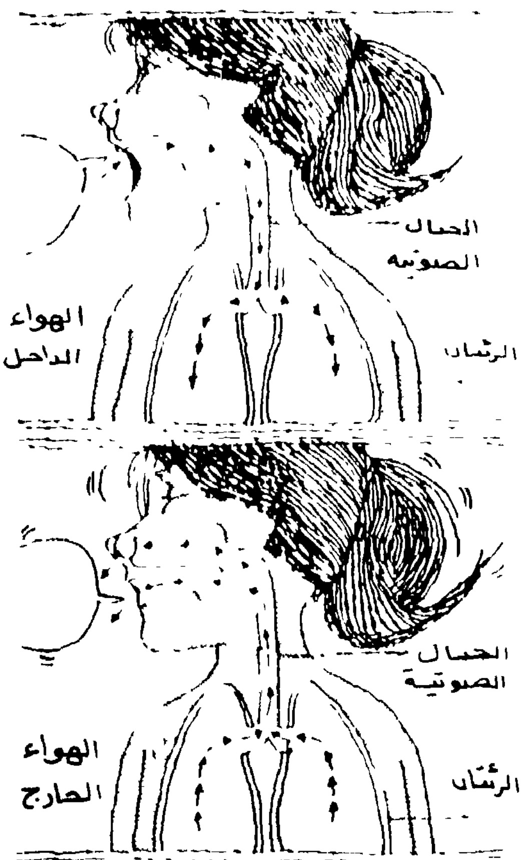
ان العطاس يشبه السعال في أوجه كثيرة ، إلا أنه أكثر منه علوا ، ويكمن مصدره في الأنف ، نتيجة لتخرشه بمادة معينة ، كدخول دقائق من الغبار اليه ، او استنشاق روائح معينة ، أو زيادة الافراز المخاطي بفعل عامل مرضي

وتتم عملية العطاس بسحب كمية من الهواء عبر الحبال الصوتية وهو ما نسمعه من صوت بشكل (آآه) ، بينما تأتي تكملة العطس (تشو) عند خروج الهواء مندفعا عبر الانف والفم ، وقد قاس العلماء سرعة اندفاع الهواء في العطسة الواحدة فكانت مئة ميل في الساعة

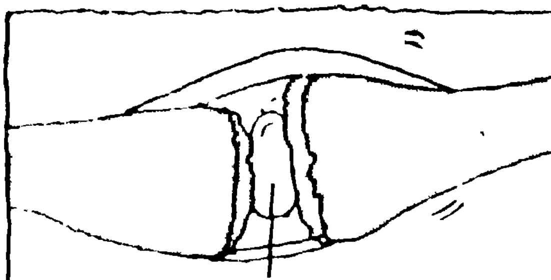
ويختلف الناس في طرق عطسهم ، فمنهم من يعطس عبر الأنف ، وآخرون عبر أفواههم ويختلفون في الأصوات التي يصدرونها ، فمنهم من يعطس مدويا ، وآخر بنعومة واضحة ويختلفون أيضا في عددها ، فمنهم من يعطس عطسة مفردة ، وآخرون مزدوجة ، وغيرهم بشكل نوبة من العطاس ، كل ذلك حسب ما تعود عليه بنو الإنسان

الشخير :

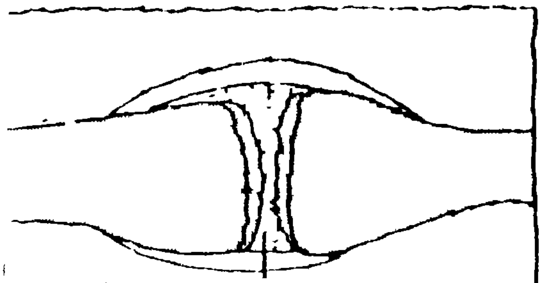
يعد الشخير من الأصوات المألوفة في مضاجعنا ، ولا أحسبنا نجونا منه ، فجميعنا يشخر حتى الرضيع منا ، في أحيان معينة ، وهو يحدث أثناء النوم ، عندما يعمد النائم الى التنفس عبر الفم ، ونتيجة اهتزاز الحبال الصوتية ، اثناء مرور الهواء وخروجه خلال عملية التنفس ، يساعدها في ذلك سقف الفم الرخو والمرن وأحيانا الشفاه والخدود ، حيث تكون عضلات هذه الأجزاء جميعاً مرتخية ومنبسطة في حالة



العطاس



فقاعات هوائية داخل مناطق المفصل العظمي



سائل خاص (SyNovial Fluid) لتسهيل حركة الأطراف

للعظام أصوات أيضا

النوم ، مما يسهل تحريكها بمرور الهواء عبرها

ويختلف الناس في شخيرهم ، فمنهم من يشخر دوما ، ومنهم من يشخر عندما يصاب بانغلاق في الأنف ، فيجبر على التنفس عبر الفم ، ويختلفون أيضا فيما يصدرون من نغمات صوتية ، إلا أن الأصوات الصادرة جميعا تعتمد على مقدار الهواء المتحرك وعلى وضع النائم في فراشه ، فأعلى الأصوات هي تلك التي تنتج عند النوم على الظهر نتيجة ازدياد عدد الأجزاء المرتخية والمتحركة .

التثاؤب :

يحدث التثاؤب عادة عندما نكون متعبين أو ضجرين أو عندما يلم بنا الجوع او بفعل انعكاسي نتيجة تثاؤب من يجاورنا ولم يتوصل العلماء الى المعرفة الكاملة والمفصلة لأسرار هذه العملية ، وإلى فعل « العدوى » الكامن فيها حتى الآن ، ويعتقد أنها تحدث نتيجة حاجة الجسم الى كميات اكبر من غاز الاكسجين ، فالتثاؤب الاعلى يجلب للجسم كمية أكبر من الأوكسجين ، وتسهم في اداء هذه العملية عضلات الوجه والحنجرة والخدود ، وأحيانا عضلات الجفون فيتسبب من ذلك ذرف دموع قليلة نتيجة الضغط على الغدد الدمعية القريبة .

الزغطة :

تحدث الزغطة لجميع بني الانسان ، نتيجة احتلال في توافق حركة الحجاب الحاجز المستمرة ، التي عبرها تتم العمليات التنفسية ، لسبب لم يستطع العلماء كشفه فعند تقلص الحجاب يندفع الهواء نحو الرئتين عبر المجاري التنفسية ، الا انه عند تشنج الحجاب الحاجز ولو لهنيهة لا تزيد عن أجزاء من الثانية ، فان عملية أخرى تحدث ، إذ يصطدم الهواء الخارج من الرئة بلسان المزمار ـ وهو امتداد عضلي يحكم مجرى القصبة الهوائية ـ مانعا الهواء من المرور للخارج ومحدثا صوت « هيك » المعروف للزغطة يعود بعدها الحجاب لوضعه الطبيعي ، إلا أنه سرعان ما يعاود التشنج ، تتكرر العملية حتى زوالها مسببة الازعاج لصاحبها

ولم يعرف للآن سبب تشنج الحجاب الحاجز هذا ، إلا أنه يعتقد أنه ناتج عن تناول سريع للغذاء ، او نتيجة للضحك بصوت عال ، او لإصابة الحجاب بندبة

أصوات العظام :

وللعظام أصوات أيضا ، مصدرها المفاصل عادة ، وبالأخص مفاصل الساعد والقدم والساق والأصابع ، وهي تحدث عادة باحدى طريقتين ، الاولى وتتم بفعل الأنسجة الرابطة للعظام . وتتموضع عند مناطق التمفصل العظمي ، وتحدث الأصوات نتيجة سحب هذه الانسجة ، وارتطامها بالقريب منها من تراكيب فسحب أصبع مثلا يعني انزلاق أليافه الرابطة ، أو عظامه واصطدامها بعظام اليد ، محدثة صوتا خاصا يشبه (الطقطقة)

والطريقة الثانية وتحدث عند ليّ الأصابع أو الأطراف بقوة وبزوايا كبيرة ، وتكون أصواتاً ملحوظة تعرف (بالطرقعة) ، وهي تحدث نتيجة (انفجار) فقاعات هوائية داخل مناطق التمفصل العظمي

فمن المعروف أن جميع المفاصل المتحركة في الجسم تحتوي على سائل خاص(synovial fluid) لتسهيل عملية انزلاق ، وحركة الأطراف المتمفصلة بشكل سهل وناعم ، وتتواجد في هذا السائل عادة فقاعات هوائية دقيقة جداً ، ونتيجة لحركة المفصل الدائبة فإنها تبقى دقيقة وثابتة في مكمنها ، إلا انه عند ابتعاد عظمتين عن بعضهما بالسحب تخرج الفقاعات الى ما تُرك وكبر من فراغ بينهما ، وتتحد مع بعضها مكونة فقاعة واحدة ، تكبر تدريجيا الى أن تنفجر محدثة صوت « الطرقعة » كما يعرفه الناس ، ويحتاج الهواء المنفجر الى مدة من الزمن كي يذوب ثانية في السائل المفصلي ليعود فقاعات دقيقة ، قدّرها العلماء بحوالي عشرين دقيقة ، لذلك يكون حدوث الصوت لمرة واحدة في الأغلب طول تلك المدة

أصوات قناة الهضم :

ولقناة الهضم - بأجزائها المختلفة والمتعددة - أصوات خاصة بها تبدأ بصوت عملية « التجشؤ » ERUCTATION ، التي مصدرها المعدة والأمعاء ، والتي تبدأ بتشكيل فقاعات هوائية دقيقة داخل المعدة ، نتيجة اندفاع الهواء مع هضم الغذاء ، فنحن عندما نأكل ندفع مع ما نتناول من غذاء أو شراب عبر الفم كميات من الهواء ، وقد تزيد أحيانا عن مقدار ما نتناوله من غذاء ، وبشكل هواء حر او هواء يدخل في تركيب المواد المتناولة ، وعند وصول هذه الفقاعات الى المعدة ، فانها تتمركز في الطبقات العليا من المعدة ، وبازديادها يزداد الضغط الجوي للهواء داخل المعدة عن خارجها ، مما يؤدي الى اندفاعه من المعدة الى خارج الجسم ، وعبر المريء والفم محدثا صوتا عند مروره بنهاية المريء

ويكون إما عاليا أو خافتا حسبما تعود عليه الفرد ، وقد يزيد من ظهور هذه الأصوات تناول أغذية معينة ، تعين على حدوثها كسوائل الصودا وغيرها .

وتعد عملية التجشؤ هذه مهمة للفرد ، للتخلص من الهواء المعيق لعملية الهضم ، وخاصة للأطفال الرضع الذين يصبح لزاما على امهاتهم وضعهم عموديا لفترة من الزمن بعد الرضاعة ودون إنامتهم ، كي يسهل حدوث هذه العملية ، وإلا أدت إنامته أفقيا الى انغلاق الممر المؤدي من المعدة الى المريء بسوائل المعدة عند منطقة اتصال الأخيرين ، وهذا يؤدي الى تراكم الهواء في المعدة ، مسببا الآلام وعدم الراحة للرضيع

ويختلف الناس في اعتباراتهم لهذه العملية ، فمنهم من يعتبرها إثما يجب الاعتذار عنه ، ومنهم من يعتبرها مديحا لما تم تناوله من غذاء

تعد المعدة من أقوى التراكيب المفصلية في الجسم الإنساني ، فبفضل قوتها المفصلية تلك ، تستطيع هضم وسحق أصلب غذاء نتناوله ، ودفعه باتجاه الأمعاء وهي مستمرة في عملها هذا وحركتها تلك ، سواء كانت تحتوي على الغذاء أو بدونه ، وفي الحالة الأخيرة ، ولوجود كميات من السوائل الهاضمة والعصارات ، وكمية أكبر من الهواء فإنها تدور داخل المعدة ، أثناء حركتها الماصفة ، مصدرة أصواتا تعرف للعامة « بالقرقرة » وأحيانا « زقزقة البطن » ، وأحيانا قد يكون مصدرها الأمعاء ، وليس المعدة ، وبنفس الأسلوب ، بقي أن تعرف أن هذه الأصوات لا تصدر في حالة الجوع فقط بل في كل الأوقات .

- والرياح FIATUS نوع آخر من أصوات الجهاز الهضمي ، وهو ناتج من ابتلاع كميات من الهواء ومرورها عبر قناة الهضم ، وازديادها كما ونوعا بفعل امتزاجها مع ما ينتج من غازات أثناء عمليات التمثيل الغذائي ، ويصدر الصوت نتيجة سرعة مرورها عبر فتحة المخرج القوية التكوين □

هو .. هي

هَل يموتُ الحبّ ؟

لم أشغل نفسي يوما بالتفكير بالثنائيات الكثيرة التي تملأ حياتنا ، كنت أعتقد أن الحب والكراهية من هذه الثنائيات الكثيرة المختلفة شأنها شأن الليل والنهار ، والنور والظلام ، والعقل والجنون ، والنجاح والفشل ، لم أفكر كثيرا في تلك الثنائيات حتى اكتشفت بعد تأمل معذب أنه قد يكون هناك ظلام في النهار ، وأن الليل حين يخيم فإنه يحمل في رحمه شيئاً من النهار ، وأن النجاح رهن بالفشل ، وأن نقيض العقل قد لا يكون الجنون بل العاطفة ، أما الحب فليس عكسه الكراهية بل العدم ، الموت ، موت الحب ، انتهاؤه ووصوله مرحلة لايكون فيها سوى ذكرى على الرغم من أن الرجل الذي كان هو العاشق مازال يعيش وفي نفس المنزل مع المرأة التي أحبها ، معي أنا ، وتلك هي قضيتي التي لا أجرؤ على البوح بها إلا لنفسي

لقد مضى على زواجي أكثر من خمسة عشر عاما ، تزوجت عن حب لم أتصور يوماً أنه سينتهي ، وخلال سنوات الزواج الخمس عشرة هذه تغلبنا ـ زوجي وأنا ـ على كثير من الصعاب والعقبات التي اعترضتنا ، واستطعنا أن نعطي لحياتنا معنى من خلال نجاح زوجي في عمله ، ومن خلال دوري في دفعه إلى هذا النجاح ، وتضحيتي بالكثير من أجله ، وهي تضحية بدأت مع بداية قصتنا معاً ثم زواجنا فقد كان والداي رافضين للزواج في البداية ، إلا أنهما نزلا عند إصراري وتم الزواج ، وانتهت مشاكلنا مع عائلتي لتبدأ مع الحياة التي انطلقنا فيها من الصفر ، ولم يكن سهلا أن يبدأ اثنان معركة الحياة من الصفر

وانتصرنا في معركة الحياة ونجحنا ، زوجي وأنا ، في تحدي الحياة ، لكنني انتبهت فجأة لأجد نفسي وحيدة بعيدة عن زوجي الذي كان يتابع معركته مع الحياة ، ومع كل نجاح له كنت أشعر أن حبه لي لم يعد كما كان ، فأبتعد منزوية في ركن ذاتي ، أراقب نجاحه بإعجاب لكن دون حماس ، بتقدير ولكن دون شغف .

ففي غمرة الحياة كان حبنا الذي مضى يتحول إلى عدم ، سهرات الأصدقاء واجبات اجتماعية جافة ، نزهتنا تفتقد البريق القديم ، وهدايا زوجي التي يحضرها لي بين حين وآخر خالية من تلك اللمسة الحميمة القديمة

إن حبنا القديم لم يتحول إلى كراهية ، وكثيرا ماتمنيت لو أنه أصبح كذلك ، إذن لفعلت شيئا ، لوجدت مشكلة أحلها ، ولقابلت الكراهية بكراهية أكبر ، أو بحب أكبر ربما ، ولانتصرت عليها الكراهية ليست نقيض الحب ، بل هي عاطفة مثله . وربما كانت إحدى صوره ، لقد تحول حبنا إلى عدم . عدم أراقبه وهو يتشكل أمام عيني ، وأرى حبنا وهو يموت . فهل يموت الحب ؟

.. هي

● الست العرى



ليسَ بالحبِّ وَحدَه

● سألتني زوجتي مرة عن نقيض الحب ، فقلت لها إنه الحياة ، وعندما انتبهت إلى وجه زوجتي وهي تستمع إلى الإجابة شبه ذاهلة أصمت موضحاً ، إنني أعني الحياة بمشاغلها ومشاكلها وشؤونها ومتطلباتها التي لاتنتهي ولم أفكر بعد ذلك كثيراً بسؤالها المفاجيء ذاك ، لكنني بدأت أنتبه إلى شيء ما ، غريب في سلوك زوجتي ، فهي لم تعد تقبل على سهراتنا العائلية مع أصدقائنا القدماء منهم والجدد ، ولم تعد تتحمس للخروج إلى أماكن التنزه العامة ، أو للقاء بعض صديقاتها القديمات ، ولم تعد تستقبل الهدايا التي أقدمها لها في المناسبات العزيزة عليها كعيد زواجنا وعيد ميلادها بنفس الحرارة التي كانت تستقبلها بها في السابق

لكن سؤال زوجتي عن الحب ونقيضه عاد إلى ذهني بقوة ، عندما استمرت حالة السهوم والتقوقع والبرود العاطفي الذي لاحظته عليها فما معنى أن تسأل زوجة زوجها مثل هذا السؤال بعد خمس عشرة سنة من الزواج ، وبعد قصة حب طويلة لم تخل من توترات بيني وبين أهلها ، كانت هي خلالها وعلى الدوام في جانبي حتى لو أغضب ذلك أهلها ؟ وما معنى أن تسأل زوجة زوجها مثل هذا السؤال بعد الصمود والنجاح في اختبار الحياة القاسي الذي لايرحم المحبين ، ولايقدم للمكافحين معاملة خاصة ؟

إن مشكلة زوجتي هي أننا لم نستطع تجاوز مرحلة الحب في حياتنا ، فالحب في طي مرحلة من مراحل الحياة ليس أكثر ، إنه يعطي الإنسان قوة في معاركه الكثيرة التي يخوضها في الحياة ، التي تحتاج إلى العمل أكثر مما تحتاج إلى الحب ، الحب يعطي الحياة معنى ، لكن الحياة ليست حبا فقط ، بل هي قبل كل شيء آخر معركة يجب أن نخوضها ونكسبها ، وهي تحد يجب أن نقبله وننجح فيه ، وما الحب سوى دافع وحافز من حوافز عديدة من أجل النجاح في معركة الحياة الصعبة

هذه بعض من خلاصات عديدة توصلت إليها بيني وبين نفسي ، بعد أن اكتشفت مقدار الأسى الذي يحتويه سؤال زوجتي ، فقد كانت هي وليس غيرها وراء نجاحي ، ووراء وصولي إلى ما أنا ـ نحن ـ عليه ، وقبل ذلك كانت هي وليس غيرها من ضحى بالكثير من أجل إنجاح زواجنا وبيني وبين نفسي فقط أدرك كم هي الحياة جافة دون حب ، وأدرك كم أن زوجتي حزينة لما وصلنا إليه من نجاح يفتقد حرارة العاطفة وجفاف الروح ، الحياة هي النقيض الحقيقي للحب . الحياة بمشاغلها ومشاكلها وسرعة إيقاعها إنها حقيقة قاسية حزينة مرعبة دون شك ، لكن ليس بالحب وحده يحيا الإنسان

.. هو



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

في البيت حامل مريضة بالسكر

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

مرض السكر أمره قديم شائع ، لهذا نجد له في تاريخ الطب عند كل الشعوب ذكراً وإشارة ، فالاعريق مثلا سموه الديابيطس ، وتعني ملعتهم النافورة ، ويبدو أن ابن سينا لم يجد لها بديلا عربيا فقال : « الديانيطس » (أبدل الباء بالنون) أما الهنود فسموا مرض السكر قديما «« بول العسل » لما فيه من حلاوة الطعم وتكالب الذباب عليه

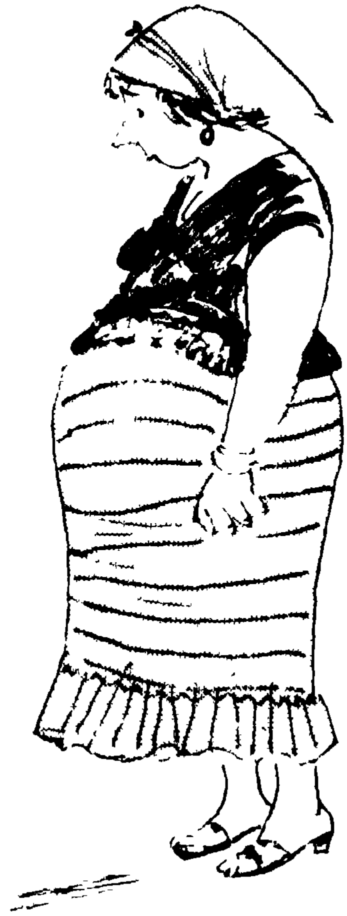
غير أن مرض السكر لم يلزم حدوده العتيقة ، بل استشرى وانتشر ، وقد ساعده على هذا اكتشاف علاج الأنسولين الذى أعطى الفرصة لمريض السكر أن يعيش طويلا حياة طبيعية منتجة ، وأن ينجب خلالها من بعده أجيالا تحمل بذور وراثة المرض في خلايا أحسامها ، وبهذا أصبح مرضى السكر يعيشون طويلا ويتكاثرون .

كان هذا عقب عام١٩٢١ بعد أن توصل العالمان الكنديان بانتنج وبست إلى استحلاص الأنسولين من بنكرياس الحيوانات وحقنه في أحسام المصابين

وقبل دلك التاريخ كان مرض السكر وبالا على صاحبه ، لايمهله سوى سنوات معدودات يعيشها المصاب في معاناة وشقاء وهو يذوى وينحل يوما بعد يوم . وربما كانت المرأة الحامل أكثر الفئات المصابة معاناة وأكثرها شقاء وأتعسها مصيرا وأوخمها نتيجة وربما كانت نسبة مرض السكر بين النساء عموما و عصرنا هذا لاتتعدى خمسة بين كل ألف مهن لكنها ترتفع إلى حدود ١٢٠ بين كل ألف في أحوال الحمل

قديما كانت الغيبوبة تلاحق ثلث النساء الحوامل المريضات وكانت الوفاة بانتظار ٤٠/ - ٥٠/ من الأمهات والمواليد ، غير أن الصورة في عصر الأنسولين تبدلت وتغيرت وأمكن للطب أن يقلم أظفار وحش السكر . وأن يكبح جماح سطوته

لكن الحمل عامل مثير لمرض السكر فقد قيل إن المشيمة تطلق هرمونا أقرب مايكون شبها بهرمون النمو الذى تطلقه الغدة النخامية ، ومن شأن هذا الهرمون المشيمى أن يعارض مفعول هرمون الأنسولين ، لهذا قد يظهر لدى الحوامل السكر في البول على الرغم من سلامتهن الظاهرية قبل الحمل ، وماهذا إلا لضعف كامن في البنكرياس عندهن ، عجز معه عن مواجهة هذا التحدى الجديد ، ولهذا يعتبر الحمل عند النساء عاملا مثيرا للسكر وعبئا على البنكرياس يكشف ضعفه الموروث الكامن إذا ماكان لدى المرأة الاستعداد وكانت تحمل بذرة المرض



أثر مرض السكر على الحمل والحامل والجنين

العناية بالمرأة الحامل المصابة بمرض السكر يجب أن يحتل مرتبة العناية القصوى قبل أن تحمل ، إذا كان لها تاريخ مرضي سابق ، أوتكون العناية فور ظهور علامات السكر أثناء فترة الحمل المتميزة بالعطش الشديد وكثرة مرات التبول ، ووجود السكر في البول عند التحليل

وهنا لامكان لعلاج الحامل إلا بحقن الأنسولين فقط ، ولا موضع للأقراص إطلاقا وحقن الانسولين التى تؤخذ تحت الجلد أنواع شتى ، يختار منها الطبيب المعالج مايناسب المريضة حسب حالتها ، لكن أبرزها نوعان أحدهما الانسولين السريع المفعول العاجل الأثر ، وثانيهما البطىء المفعول الآجل الأثر

ولعل السائد المفضل هو مزج النوعين في حقنة واحدة بنسب يقررها الطبيب المعالج لتحقن بهما مرتين يوميا ، الأولى قبل الافطار ، والثانية قبل العشاء بنصف ساعة على الأقل أو ساعة على الأكثر

غير أن اتجاها حديدا في الطب يميل إلى حقن المريضة بأربع جرعات .

الأولى : حقنة من أنسولين سريع المفعول قبل الإفطار

الثانية حقنة من أنسولين سريع المفعول قبل الغداء

الثالثة حقنة من أنسولين سريع المفعول قبل العشاء

الرابعة حقنة من أنسولين بطيء المفعول قبل النوم

وقد قيل في تبرير هذا أنه يكفل لهرمون الأنسولين مستوى في الدم يقارب مستواه الطبيعي عند الناس الاسوياء

فبهذا الأسلوب قد نتفادى المضاعفات الخطيرة التى تتربص بالنساء الحوامل المريضات بالسكر المهملات للعناية بأمور العلاج والوقاية . وهذه المضاعفات غالباً ما تتركز في إحدى الصور التالية

أولا · حدوث تشوهات خلقية للجنين ، وتلك احتمالات قائمة لأسباب شتى في كل الأحمال ، غير أنها في حال مرض السكر قد تصل إلى ثلاثة أضعاف المعدلات المعتادة

ثانيا ولادة طفل كبير الحجم زائد الوزن ، وسبب هذه الظاهرة كما يعللها الأطباء هو تسرب سكر الجلوكوز (أو سكر العنب) من دم الأم الحامل إلى دم جنينها ، مما يثير بنكرياس الجنين وينبه إفرازه

هرمون الأنسولين ، فيزداد الجنين حجما ووزنا ولو اعتبرنا أن معدل وزن المولود الطبيعي ثلاثة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام لوجدنا أن وزن مولود مريضة السكر يتجاوز أربعة كيلوغرامات ، وهذا أمر قد يتطلب ولادة مبكرة قبل أوانها ، أو ربما إجراء عملية توليد قيصرية لتعسر الولادة الطبيعية

ثالثا . حدوث الالتهابات . تؤكد الاحصاءات أن الحوامل المريضات بالسكر هن أكثر عرضة من الحوامل الطبيعيات للاصابة بالالتهابات عامة وحدوث الالتهابات الكلوية لديهن على الأحص ، وربما التهابات الفرج والمهبل ، وهذا أمر يفرض على هؤلاء الحوامل أن يبذلن أقصى جهو دهن في الحرص على النظافة والمراجعة الطبية والالتزام بقواعد الصحة والعلاج

رابعا ارتفاع ضغط الدم في الأحمال أمر مألوف ، وهو معاناة الحوامل من ارتفاع ضغط دمهن ، غير أن مريضات السكر أكثر عرصة لهذه المعاناة ، وهذا أمر يتطلب موالاة الاستشارة الطبية وقياس ضغط الدم على وجه الخصوص

خامسا الإصابة بتسمم الحمل تسمم الحمل وتلك ظاهرة تصيب الحوامل ، وتتميز بحدوث قيء واستسقاء وارتفاع ضغط الدم ، وتلك معاناة فيها خطر شديد عليهن ، مما يوجب رعايتهن في المستشفى والحوامل المريضات بالسكر أكثر تعرضا للاصابة بهذه الظاهرة المرضية

مراجعة الطبيب :

مراجعة الطبيب بالنسبة لمريضة السكر أمر واجب كل أسبوعين عقب المراجعة الأولية الشاملة ، إلى أن يمضى على الحمل ٢٨ أسبوعا ، وبعد ذلك تكون المراجعة أسبوعيا حتى يوم الولادة .

ولادة الحامل :

الحمل الطبيعي للمرأة السوية يكتمل في الأسبوع الأربعين ، غير أن المريضة بالسكر قد تحتاج إلى ولادة مبكرة وعلى أي حال فالأصلح إدخال الحامل المريضة في أسبوع الحمل الخامس والثلاثين ليتم توليدها في الأسبوع الثامن والثلاثين إذا ماوجب ذلك في تقدير الطبيب المعالج ، غير أن هذا أمر يمكن تفاديه ، كما يمكن تفادى العملية القيصرية أيضا إذا ماتمت السيطرة على الحالة المرضية والتزمت المرأة بالعلاج بصورة سليمة دقيقة

الاب المريض بالسكر :

الاب المريض بالسكر قد يورث الاستعداد للإصابة بالمرض لبعض أبنائه ، لكن دوره في فترة الحمل معدوم لاموقع له إطلاقا ، فالأثر كله في هذه الفترة الحرجة للأم المريضة بالسكر

أما عن الأم المريضة وتوريثها المرض لأبنائها فهناك احتمال قائم بنسبة واحد بين كل مائة ، بينما لاتتعدى نسبة هذا الاحتمال عند النساء السويات الطبيعيات واحد بين كل ألف ولادة فقط □

ألف درهم لمدرس الطفل

احتفل الامام أبو حنيفة بولده يوم حفظ سورة الفاتحة ، وأعطى معلمه ألف درهم . فاستكثر المعلم هذا المبلغ من المال ، لأنه لم يعلم الطفل من القرآن سوى سورة الفاتحة . فقال له أبو حنيفة لاتستحقر ما علمت ولدي ، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعنا [illegible] تعطيما للقرآن

مساحة ود..

الاستثناء والقاعدة

قبل أن تحل لحظة الرحيل بأيام يشعر بظلها الكئيب يمتد إلى كل شيء . تمتد يد ذات أصابع نحاسية باردة ، فتقبض على صدره ، يتراخى كل شيء من حوله ، وعوده لابنته الصغرى بأن يذهب معها وحدها إلى مدينة الملاهي لتنفرد به بعض الوقت ، رغبته في أن يكمل مع ابنه الذي على وشك التخرج حديثا مابدأه منذ أسبوع ولم يكمله ! حماسه لأن يوضح لابنته الكبرى بأن ما يريده بالتحديد هو أن تسيطر على حماسها وتلقائيتها لا أن تفقدهما !!

وتمتد الظلال الكئيبة إلى من حوله ، فيكفون فجأة عن تذكيره بوعوده . يتعاملون مع لحظة سفره حين تقترب بصورة طبيعية ، وكأنها لاتختلف في شيء عن لحظات خروجهم للعمل كل يوم ، مع أن عمله في قطر آخر ، مع أن يوم عمله يمتد أحيانا عاما أو بعض عام ! يشعر بأن كل ما يفعلونه من أجل أن تمضي هذه اللحظة كشيء طبيعي أو غير طبيعي ، وأنهم بهذا يكشفون عن قلقهم أكثر مما يخفونه !

وفجأة يتذكر لحظة لقائه بهم التي لم يمض عليها سوى أسابيع ، إجازته كانت تحفل بأشياء غير طبيعية أيضا على الرغم من الفرح الطفولي الذي يغرق فيه الجميع ، على الرغم من عناق الأيدي والوجوه ، يدرك في قلب هذه اللحظة أن الفرح كالحزن ، كلاهما يستر أجزاء من الحقيقة ، وأنه في حاجة إلى بعض الوقت ، ليلتقي حقا بأولاده ،ليعرف أحزانهم المستورة ، ومخاوفهم الكامنة ، ويتسمع نبض تساؤلاتهم الحائرة !! ولايكاد يبدأ التواصل حتى تأزف ساعة الرحيل . منذ أكثر من اثني عشر عاما وهو يعيش هذه اللحظات ، يعيش تكرر هذه اللحظات في البداية كان يتعامل معها كلحظات استثنائية ، يغالبها بقوة استثنائية ، وبكلمات حكيمة عن ضرورة التعايش بين ما هو طبيعي وماهو ضروري ، بين حاجة أبنائه إلى وجوده بينهم ، وبين حاجتهم إلى عمله بعيدا عنهم أيضا ، وهاهو الآن يرى الاستثناء يصبح قاعدة ، والضروري يطغى على الطبيعي ، والكلمات الحكيمة تفسح مكانها لصمت أكثر حكمة !

الآن يشعر بأن للزمان صلابة تفوق صلابة المكان ، وإذا كان الإنسان قدنجح في اختراق جاذبية المكان فإنه ما يزال عاجزا عن تغيير عاداته التي يصنعها الزمان ، وانت لاتروى القصة كاملة لمن لايمكنه أن يكون بجوارك في ساعة الجد ، ولم يعد يبصر في وضوح ما الذي يختبيء وراء الصمت الأكثر حكمة ، هل هو الاتفاق الكامل أم التواطؤ الكامل ؟ هل هو الخوف على مشاعره أم الخوف منها ،من أن يضعف الممثل عن أداء دوره ، فيتوقف العرض قبل وقته الذي لايجرؤ أحد على تحديده !! لايجرؤ أو لايريد ؟ حتى هو نفسه لايملك إجابة لهذا السؤال ، فبعض ما يخيفه بشأن مايجري في داخل أولاده ويستره صمتهم الأكثر حكمة ، شعوره ببعض مايجري في داخله ، ويهرب منه بالصمت نفسه !! قبل أن يحل الصمت ، كان يحدثهم عما كتبه « الفن توفلر » عن صدمة المستقبل ، عما يمكن أن يحل بمعنى الأسرة والصداقة والحب ، فهل هذا الصمت جزء من هذه الصدمة بعد أن أصبح المستقبل حاضرا والاستثناء قاعدة ؟ ! □

أبو المعاطي أبو النجا

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : الدكتور حسن عباس

دَعَسَ ، وَدَهَسَ

كنا قد أشرنا في العدد الماضي إلى بعض من جناية الصحافة على اللغة ، وهي جناية لا نظن أنها تقصد قصدا ، بل تأتي عرضا ، يكون السبب فيها تعجل العاملين في الصحافة ، وجهل بعضهم بقواعد اللغة وأساليبها ، وبالفصيح من كلام العرب يخطر لأحدهم استعمال كلمة للدلالة على حدث ، فيأخذ الكلمة دون أن يتحقق من صدق مدلولها أو مطابقتها للحالة التي يريد وصفها ، فإذا لم تكن مطابقة عثرنا على فعل مثل « دهس » للدلالة على حادث لا يمكن له أن يوصف بالدهس ، وإلا اختلف المعنى اختلافا بينا دعنا نبحث فيما تعنيه كلمة « دهس » في مصادر اللغة ، ثم نبحث في معاني الأفعال الصحيحة البديلة التي يمكن لها أن تعبر عن هذا الحادث تعبيرا صحيحا

جاء في اللسان . دهس · الليث الدهسة لون كلون الرمال والوان المعزى .

ابن سيده · الدهسةُ لون يعلوه أدنى سواد يكون في الرمال والمعز ورمل أدهسَ بيِّن الدهس ، والدهاس من الرمل . ما كان كذلك ، لا ينبت شجرا ، وتغيب فيه القوائم وقيل : هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا ، وليس بتراب ولا طين ، وقال الأصمعي · الدهاس كل لين جدا وقيل الدهس الأرض السهلة يثقل فيها المشي وقيل هي التي لا يغلب عليها لون الأرض ولا لون النبات وأدهس القوم: ساروا في الدهس ، أوعثوا ساروا في الوعث ، والدهساء من الضأن التي على لون الدهس ، والدهساء من المعز كالصدآء (أي السوداء المشربة حمرة) ، إلا أنها أقل منها حمرة . والدهس والدهاس مثل اللُّبث واللباث المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملا ، وليس هو بتراب ولا طين وفي الحديث · « أقبل من الحديبية فنزل دهاسا من الأرض ومنه حديث دريد بن الصمّة » لا حَزْنٌ ضَرِس ولا سَهْلٌ دَهِس ورجل دهاس الخلق أي سهل الخلق دمثه

هذه هي دلالات كلمة « دهس » ، وهي إما أنها تشير إلى لون معين ، وإما إلى صفة في الأرض ، وهي اللين والسهولة ، فأين هذه المعاني من دلالة الحادث الذي يذهب ضحيته إنسان نتيجة ارتطام جسده بسيارة ؟

إن هناك أفعالا أخرى تبين دلالة الحادث وتصفه وصفا صحيحا مقاربا ومن هذه الأفعال داس.جاء في اللسان في معنى هذا الفعل · داس الناس الحب وأداسوه . درسوه ، عن أبي حنيفة وفي حديث أم زرع . « ودَائِسٍ ومُنَقٍ » . الدا...

لذي يدوس الطعام ويدقّه ليحرج الحب منه ، وهو لـديـاس ، وقلبت الـواو يـاء لكسـرة الـدال الدوائس البقر العوامل في الدوس يقال ألقوا لدوائس في بيدرهم ، والـدوس شدة وطء الشيء الأقدام حتى يتفتت كما يتفتت قصب السنابـل ، يصير تبناً ، ومن هذا يقال طريق مدروس أي كثر عليه الوطء بالأقدام ـ والخيل تدوس القتلى بحوافرها إذا وطئتهم

يتصح من المعاني التي يدور حولها الفعل « داس » أنه أولى بأن يدحل لعة الكتابة ، ويشيع فيها كما هو شـائع في لغـة الحديث ولا ينـال شيوعـه في لعة الحديث من فصاحته شيئا

وهنـاك فعـل آخـر يؤدي المعنى نفســه وهــو المعل دعس وقد جاء في معنى هذا المعل دعس وَطَأَ وطأً شديدا فالدعس . شدة الوطء ، ودعست الإبل الطريق تدعسه دعسا وطئته وطأ شـديدا وطـريق دعْس ومدعـاس ومـدعـوس دعسته القـوائم ووطئتــه وكثـرت فيــه الأثـار والمدعوس من الأرضين الذي قد كثر به الناس ، ورعـاه المال حتى أفسـده ، وكثـرت فيـه آثـاره والمـدعاس الـطريق الـذي لَيَّنَتْـهُ المـارة يقـول الدكتور مصطفى جواد في « قـل ولا تقل » وإذا وطئت السيارة الإنسان وطأً شديدا قتلته أو كسرت بعض أعضائه فصار عَائِهاً · أي ذا عاهة

وممـا يضحـك في استعمــالهم « دهســه » بمعنى داسه ، ودعسه ، أنه لو حسبنا أن « دهس » موجود وأنه متعد ، أو أنه موجود وعديناه بالهمـزة وقلنا « دهسته السيارة أو أدهسته إدهاساً » لكان ذلك بمعنى « لينته وأزالت خشونته » ، فانـظر بعد ذلـك كيف يكون تليين الإنسان وإزالة خشونته . فهل يحق بعد هذا لأولئك المتحذلقين اتهام اللغويين بالتحذلق وهم يعمدون إلى ما لا وجود لمعناه في لغة العرب ؟!

والأمر متصل ، والإساءة إلى اللغة العربية قائمة متجددة ، ومن الأمثلة القريبة العهد على ذلك محاولة البعض إشاعة كلمـات أجنبية ـ عن جهـل أو فساد ذوق ـ وإلحاقها بلغة الكتابة ، فضلا عن الرطن بها في لغة الحديث الثقيلة السمجة ومن تلك الكلمات ـ وهي كثيرة ـ كلمة « كـونفرنس » الأعجميـة فقد وردت في عنـوان رئيس في إحـدى الصحـف ، ثم جاءت في سياق الحديث التفصيلي ، دون أن توضع بين هلالين ، بل دون أن يكون لاستعمالها ضرورة ملحة أو غير ملحة قيل « اجتمـع الكونفـرنس التاسع عشر للحزب . » وقيل . « وفي جلسة أمس من جلسات الكونفرس التاسع عشر . » !

وكلمة « كونفرنس » انجليزيـة تعني . مؤتمر أو اجتماع ، وكلا المعنيـين يفيدان في اللفـظين اللقاء الحاشد الذي يقصد به تدارس قضية أو قضايا عامة أو خاصة ، وهما كلمتان عربيتان فصيحتان ، يعرفهما كل العرب على اختلاف حظوظهم من التعليم فما الذي جعل كاتب الخبر يشيح بوجهه عنهما ويعمد إلى كلمـة أعجمية لا يعرف معناها عدد كبير من قـراء جريدته ؟ هل هي الرغبة في التـظاهر بمعـرفة لغـة أجنبية ؟ أم هو الداء العضال الذي أصاب بعض المثقفين أو أدعياء الثقافة ممن يـرطنون بلغـة لا هي عربية ولا هي أعجمية ؟□

الصحبة والأصحاب :

قيل لابراهيم بن أدهم : لم لا تصاحب الناس ؟ قال . « إن صاحبت من هو دون آذاي بجهله ، وإن صاحبت من هو فوقي آذاي بكبريائه ، وإن صاحبت من هو مثلي آذاي بحسده » .

مرحى غيلان

للشاعر بدر شاكر السياب

بدر شاكر السياب واحد من رواد الشعر العربي المعاصر، خرج - وآخرون غيره - على عمود الشعر، وهجر القصيدة التقليدية في جانب كبير من شعره، وشق لنفسه - متأثرا بالشعر الانجليزي - طريقا تمثل فيما يعرف الآن بالشعر الحديث، على اختلاف في تحديد المدى الذي توحي به هذه التسمية. على أننا نعني بها حركة الشعر الحر الذي خرج على شكل القصيدة العربية الموروثة، في ثورة عارمة، ما زالت أصداؤها تتردد منذ الأربعيات حتى يومنا هذا. أما السياب نفسه فيرجع إسهامه في تلك الثورة إلى عام ١٩٤٦، حين نظم قصيدة «هل كان حبا؟»، حيث عُدّت واحدة من التجارب الرائدة في هذا المجال.

ولد السياب في عام ١٩٢٦ في قرية تدعى جيكور في جنوب العراق. وهي قرية كانت خاملة الذكر، شأنها في ذلك شأن كثير من القرى المنسية في الريف العربي، ولكنها بعد ولادة السياب ونبوغ شاعريته غدت من أكثر القرى العربية ذكرا في أوساط المثقفين بعامة، وقراء شعر السياب بخاصة، ذلك أنه اتخذ منها رمزا غنيا للريف مثقلا بالدلالات والإيحاء. لقد عانى بدر من حياة اليتم إثر وفاة والدته في عام ١٩٣٢، ولم يكن قد جاوز السادسة من عمره، فعهدت به جدته لأمه، وقامت على تربيته.

دخل أكثر من مدرسة ابتدائية في جنوب العراق. وفي عام ١٩٣٨ التحق بمدرسة البصرة الثانوية، وكانت جدته هي التي ترعى شؤونه. وما أن فرغ من دراسته الثانوية في عام ١٩٤٣ حتى التحق بدار المعلمين العالية في بغداد، وكانت كلية جامعية مرموقة في ذلك الوقت، ولم تكن جامعة بغداد قد أسست. لم يبتعد السياب عن أحداث العراق المهمة التي عاصرها، فقد قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في عام ١٩٤١، فأيدها وتأثر بروحها، وعندما أخفقت وأعدم عدد من قادتها رثاهم بدر. على أن دراسته في دار المعلمين العالية قد فتحت أمامه - وهو المحب للثقافة والمعرفة - آفاقا واسعة. التحق أول الأمر بقسم اللغة العربية وآدابها، ثم ما لبثت أن تحول عن دراسة الأدب العربي إلى دراسة الأدب الانجليزي، وفي القسم الأخير عرف السياب الشاعرين الانجليزيين ت. اس. اليوت، وأديث سيتويل، وقد قدر لهذين الشاعرين أن يتركا أثرا على شعر السياب لا يستهان به.

لقد فصل السياب من دار المعلمين العالية في عام ١٩٤٦ بعد أن تزعم حركة إضراب في الكلية وقف

في وجه قرار إداري يقضي بإضافة سنة رابعة إلى عدد سنوات الدراسة فيها ، ولم يقتصر نشاطه العام على ذلك ، بل كان يسهم مع أقرانه من الشباب الثائر في المظاهرات التي كانت تعم بغداد استنكارا للصهيونية وأعمالها في فلسطين قبيل قيام « اسرائيل » وللسياسة الاستعمارية الانجليزية في العراق وكان من جراء ذلك أن دخل السجن في بلدة بعقوبة القريبة من بغداد .

ثم أعيد إلى دار المعلمين في خريف عام ١٩٤٦ ، وقد تخرج فيها ليعمل مدرسا للغة الانجليزية في إحدى المدارس الثانوية في غرب العراق ولكنه ظل على ولائه للحركة الوطنية ، يستجيب لدواعيها ، ويشارك في أحداثها ما وسعه الجهد ، فاضطر بسبب نشاطه الفرار إلى البصرة ، ومنها إلى إيران ، وفي عام ١٩٥٣ جاء الكويت ، وعمل في شركة الكهرباء ، ثم عاد إلى بغداد ، وعمل في الصحافة وقد توفى السياب في المستشفى الأميري بالكويت إثر مرض عضال ، ظل يؤرقه طيلة ثلاث سنوات وقد حلف من الدواوين « أزهار ذابلة » ، « والمعبد الغريق » ، « ومنزل الاقنان » ، و « أنشودة المطر » ، و « شناشيل ابنة الجلبي واقبال »

مرحى غيلان

- « بابا . بابا . »
ينساب صوتُكَ في الظلام ، إليّ ، كالمطر الغضير ،
ينساب من خلل النُعاس وأنت ترقد في السرير .
من أيِّ رؤيا جاء ؟ أي سماوةٍ ؟ أيِّ انطلاقِ ؟
وأظلُّ أسبح في رشاشٍ منه ، أسبح في عبير .
فكأنَّ أوديةَ العراقِ
فتحتْ نوافذَ من رؤاكَ على سهادي : كلُّ وادِ
وهبتْه عشتار الأزاهر والثمار . كأنَّ روحي
في تربةِ الظلماءِ حبَّةُ حنطة وصداكَ ماءُ .
أعلنتِ بعثي يا سماءُ .
هذا خلودي في الحياة تكنُّ معناه الدماءُ .

« بابا . . » كأنَّ يد المسيح
فيها ، كأنَّ جماجم الموتى تُبر عمُ في الضريحِ
تموز عاد بكل سنبلةٍ تُعابث كلَّ ريحِ .

« بابا . . . بابا . . . . »
أنا في قرار بُوَيْبَ أرقد ، في فراشٍ من رمالِهْ ،
من طينه المعطور ، والدمُ من عروقي في زلاله
ينثال كي يهبَ الحياة لكل أعراق النخيلِ
أنا بَعْلُ . أخطر في الجليل . .
على المياه ، أنثُّ في الورقاتِ روحي والثمارِ
والماء يهمس بالخرير ، يصلُّ حولي بالمحار
وأنا بُوَيْبَ أذوب في فرحي وأرقد في قراري

« بابا . بابا »
يا سُلَّم الأنغام ، أيَّةُ رغبةٍ هي في قرارِكْ ؟
« سيزيف » يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارك
يا سُلَّمَ الدم وانرسْ : من المياه الى السماءِ
غيلانُ يصعد فيه نحوي ، من تراب أبي وجدي
ويداه تلتمسان ، ثَمَّ ، يدي وتحتضنان خدِّي
فأرى ابتدائي في انتهائي

« بابا . . . بابا . . »
جيكور من شفتيك تولَد ، من دمائِكَ ، في دمائي
فتُحيل أعمدةَ المدينة
أشجار توت في الربيع ومن شوارعها الحزينة
تتفجَّرُ الأنهار ، أسمع من شوارعها الحزينة
وَرَقَ البراعِم وهو يكبر أو يمصُّ ندى الصباح
والنُسْغَ في الشجرات يهمس ، والسنابلَ في الرياح
تَعِدُ الرَّحى بطعامهنّ .
كأن أوردة السماءِ
تتنفَّسُ الدمَ في عروقي والكواكبَ في دمائي .
يا ظلِّيَ الممتد حين أموت ، يا ميلاد عمري من جديدِ :
الأرضُ ، يا قفصا من الدم والأظافر والحديدِ
حيث المسيح يظلُّ ليس يموت أو يحيا . كظلِّ ،
كيدٍ بلا عَصَبٍ ، كهيكل ميتٍ ، كضُحى الجليد ،
النور ، الظلماءُ فيه متاهتان بلا حدودِ
عشتار فيها دون بَعْلِ

والموت يركض في شوارعها ويهتف : يا نيامُ
هبّوا ، فقد وُلِدَ الظلامُ
وأنا المسيح ، أنا السلامُ .
والنار تصرخ : ياورود تفتّحي، وُلِدَ الربيعُ
وأنا الفُرات ، ويا شموعُ
رشّي ضريحَ البَعْل بالدم والهُباب وبالشحوب
والشمس تَعُول في الدروب
بردانة أنا والسماء تنوء بالسُحُب الجليد
« بابا بابا »
من أيِّ شمس جاء دفؤُك أيِّ نجمٍ في السماء ؟
ينسلُّ للقَفَص الحديدِ ، فيوُرِقَ الغدُ في دمائي ؟

أول ما توحى به هذه القصيدة هو أنها قصيدة مناسبة ، فقد نظمها الشاعر بعد أن رزق طفلا أسماه غيلان ، وهذا صحيح ، ولكنها ليست ككل قصائد المناسبات من حيث دلالاتها ورموزها والأساطير التي تحفل بها . إنها قصيدة انتصار الحياة على الموت ، والبعث على الفناء ، والتجدد على الزوال . لقد بدأت شأنا خاصا ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى شأن عام . فغيلان ، ذلك الطفل الذى لم يكن يلفظ غير كلمة « بابا » ، صار - عبر سلسلة من التداعيات - رمزا لبعث الحياة وتجددها .

والطفل والمطر في القصيدة شيئان متطابقان ، كلاهما يحمل البشرى ، هذا يبشر باستمرار النوع ، وذاك يبعث في بذور الأرض القدرة على التولد والتجدد والخصب والنماء ، بل إن روح الشاعر الإنسان قد تحولت في التربة المظلمة إلى حبة حنطة ، يفعل فيها المطر ما يفعله صوت غيلان في أبيه : تفتح جديد ، وتوكيد لديمومة الحياة . ولطالما صارع الإنسان الفناء والعدم ، فيأتي الميلاد الجديد كأنه يد المسيح التي تحمل للإنسان الشفاء من علته الأزلية . ويوغل الشاعر في الحلم ، فيرى نفسه راقدا في قاع نهر بويب ، هناك حيث يتم الاتحاد بالطبيعة ، فيختلط دمه بالماء الذي يهب الحياة لكل أعراق النخيل ، بل يتحد المعقول باللامعقول بالاسطورة ، حين يرى الشاعر في نفسه بعلا يخطر على المياه في الجليل . على هذا النحو تجلّى فرح الشاعر بالميلاد ، فقد رأى فيه بعثه وخلوده ، ورأى فيه انتصا[ر] الإنسان على الفناء .

كان للميلاد هذا الأثر في السياب ، وقد استدع[ى] كل هذه التداعيات . فما هو الأثر الذى تركه [في] جيكور القرية ؟

ولدت جيكور من جديد من شفتي غيلان وتحولت أعمدة المدينة إلى أشجار توت مورقة وتفجرت من شوارعها الحزينة أنهار تشيع الحياة [في] الجدب ، فإذا بأوراق البراعم تهمس وهي تكبر [و] تمص ندى الصباح ، ويعلو صوت السنابل في الربيع وهي تعد الرحى بالطعام . إذا صار الحال بعد الميلا[د] على النحو الذي تقدم فكيف كان حال الأرض قبـ[ـل] الميلاد ؟ الأرض قفص من أظافر ودم وحديد ، فيها المسيح معلّق كالظل ، لا هو حي ولا هو ميت ، انه كهيكل فاقد للحياة ، وفيها تتداخل حدود النور والظلام ، فتعدوان متاهة : والموت - لا الحياة - هو الذي يجوب الشوارع ويهتف : « هبوا ، فقد ولد الظلام » ، والنار ترعم أنها هي الفرات ، وتعلن عن ميلاد الربيع ، والصقيع يملأ الأرض جمودا ، حتى أن الشمس تعول في الدروب قائلة : بردانة أنا والسماء تنوء بالسحب الجليد ! فأين واقع الأرض هذا من حلم الشاعر الجميل ؟ وما المعنى الذي تحمله النقائض في القصيدة ؟ يجيب الدكتور إحسان عباس في كتابه عن السياب بأن صورة النقيضين في دفء وبرد كما رسمها الشاعر « تتصل بوجود تموز و بعل والمسيح أو عدم وجودهم ، فعند غيابهم يصبح الكون في قبضة الأضداد الذين ينتحلون غير حقيقتهم ، حتى ليدّعي الموت أنه المسيح والسلام ، وتدّعي النار أنها الماء الذي يسقي الورود لتتفتح ، والشموع ترش ضريح بعل بالشحوب بدلا من الماء ، والشمس ، مصدر الدفء ، تقفقف من البرد ، وعشتار مصدر الخصب تصبح رمزا للعقم لأن « بعل » غائب عنها . إن انتصار جيكور كان عودة لبعل وتموز والمسيح ، للخصب والدفء والسلام ، كان بعثا للدفء الذي يستطيع أن يطرد قشعريرة الأرض ، ورمـ[illegible] الجليدي ، وكان ذلك كله معناه الخلو[د] [illegible] ينتقص منه الموت الجميل أي شيء

قصيدتان

١

[illegible]



٢ يا أرحم الراحمين

أتقيُّلُ باسمكَ وَعْثَ السفرْ
في ظلام المفاوز . . في حدرات الحُفَرْ
وباسمك يا بارئي أتقرّى الأمانْ
على عسف هذا الزمانْ
أحاور ذَاتِيَ ، أقاومُ حدّ الترفُّعِ، كلِّ قرارٍ مُدانْ
أمدُّ اليقينَ
معابِر . . للضفتين
وباسمكَ أقفل راجعةً . .
من لهاث المواسمِ . . للموت
يا أرحم الراحمين .

صدر العدد الجديد

العربي الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

نوفمبر
١٩٨٨



رئيس التحرير : د. محمد الرميحي



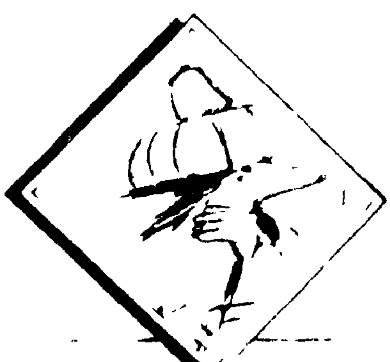
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين

في هذا العدد

- النادي العلمي في الكويت.
- همام "مسلسل بالألوان".
- مراكش "مدن لها تاريخ".
- ابن الهيثم "مسلسل تاريخي".
- حكاية من ألف ليلة وليلة.
- استطلاع عن الرسوم المتحركة.

إضافة للأبواب الثابتة

- اسلاميات
- كمبيوتر
- ٨ صفحات لأخيك الصغير واختك الصغيرة
- دائرة معارف العربي الصغير

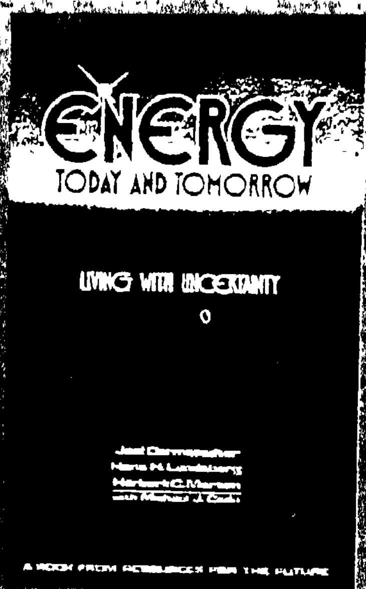


[illegible] العدد ٣٢



مكتبة العربي

كتاب الشهر



الطاقة اليوم وغدا

يبدأ المؤلف كتابه الصادر في الولايات المتحدة عام ١٩٨٤ بالحديث عن حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بين العرب « واسرائيل » ، تلك الحرب التي حدت بكثير من الأقطار العربية المنتجة للنفط الى حظر تصديره الى الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا ، وكانت تلك عاصفة مفاجئة لم يتوقع حدوثها الأصدقاء والأعداء ، بيد أن العاصفة هدأت وكادت الأمور تعود الى طبيعتها ، وقد فند المؤلف كثيرا من الأسباب التي دعت كثيرا من الدول الصناعية الكبرى الى الاهتمام بالبحث عن بدائل جديدة للطاقة ، ومن هذه الأسباب زيادة الطلب على النفط الخام على الرغم من الارتفاع المتزايد في الانتاج العالمي منه (فقد تزايد اجمالي الانتاج العالمي من النفط من ٣,٨ ثلاثة بلايين وثمانية أعشار البليون برميل عام ١٩٥٠ الى ٢٠,٤ بليون برميل عام ١٩٦٥) وقد بين المؤلف أن الصراع العربي « الاسرائيلي » عام ١٩٧٣ كان من أهم العوامل الرئيسية التي قلبت ميزان الأسعار في سوق النفط رأسا على عقب ، كما أثر هذا الصراع على الاقتصاد العالمي بشكل واضح

وتحت عنوان هامشي هو « تحديات وحقائق » يتحدث المؤلف عن الظروف السياسية التي طرأت على منطقة الشرق الأوسط بعد نشوب الحرب العراقية الايرانية ، فيورد حقائق مهمة ، هي أن منطقة الشرق الأوسط تعد من أهم المناطق التي سيظل يعتمد عليها العالم أمدا طويلا في امداده بالنفط ، وذلك لجودة خاماته ، كما يورد المؤلف حقيقة أخرى هي أننا لانستطيع -حتى الآن- أن نحد من التكاليف المطردة الارتفاع في استخراج مصادر الطاقة واستخدامها ، ثم يورد حقيقة أخرى هي أننا لا يجب أن نتجاهل التأثيرات السيئة لاستخدامات الطاقة على البيئة ، كما أنه من الصعب التعامل التام مع هذه التأثيرات ، ثم يذكر المؤلف حقيقة أخيرة هي أننا يجب أن نتوقع حدوث كثير من المفاجآت والصدمات العنيفة في ميدان الطاقة ، وأكبر برهان على تلك الحقيقة هي تلك الأسعار الخيالية التي وصلت اليها أسعار النفط الخام إبان حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بين العرب « واسرائيل »

ولايخفي المؤلف اعتقاده بأن منطقة الشرق الأوسط وقد شهدت مفاجآت وتغيرات أسعار النفط عام ١٩٧٣ لن تشهد بعد ذلك مثل هذه التغيرات مرة أخرى

من الانتاج الى الاستخدام

ويتحدث عن الطاقة من مرحلة الانتاج حتى مرحلة الاستخدام ، فيذكر الفحم مثالا على ذلك ، فاحتراق الفحم يولد طاقة بحارية تستطيع أن تدير « توربينا » يولد الكهرباء وهكذا

ثم يقارن بين الدول في مجال استخدام الطاقة المختلفة ، ثم يتحدث عن الارتفاع المتزايد في استخدام هذه الطاقات المختلفة ، وعن العلاقة بين استخدام الطاقة والاقتصاد ، ثم يتحدث عن العلاقة بين استخدام الطاقة وبين اجمالي الانتاج القومي لكل دولة من دول العالم ، اذ تضاعف كل منهما ، وذلك نتيجة لاستحداث الكثير من الصناعات والخدمات الجديدة التي تستخدم فيها الطاقة على نطاق واسع ، مثل كهربة المصانع وآلاتها ، واستخدام مصادر الطاقة في الميكنة الزراعية الحديثة ، واستخدام الديزل في السكك الحديدية وعلى هذا نستطيع أن نتبين ذلك التحول

الحلي في استخدام الطاقة على مدى العصور السابقة من استخدام الخشب الى الفحم الى النفط الى الغاز الطبيعي الى آخر هذه التحولات والاكتشافات التي تمخض عنها العقل البشري خلال العصور السابقة حتى وقتنا الحالي

في حديثه عن الفحم يذكر أن جودة الفحم تتوقف على نسبة احتوائه على عنصر الكبريت ، كما تتوقف على القيمة الحرارية التي تتولد عنه عند احتراقه ، ولذا نجد أنه كلما زادت كمية الكبريت في الفحم الخام قلت جودته ، ويعد الفحم الذي تنتجه معظم الدول العربية ذا قيمة حرارية أقل من مثيله في سائر دول العالم ، ثم يتحدث المؤلف عن استخدامات الفحم على المستوى العالمي ، وبخاصة في مجال انتاج الحديد من خاماته الأولية ، تلك الصناعة التي مازال يقف فيها الفحم وقفة العملاق

ثم يتحدث عن النفط ، فيذكر أن الاحتياطي العالمي منه يقدر حتى الآن بنحو ٦٥٠ مليون برميل ، أما الاحتياطي منه في المناطق التي لم تكتشف بعد من العالم فيقدر بنحو ضعف هذا الرقم وفي أوائل الثمانينيات أعلن العلماء أنه اذا ما ظل استهلاك العالم للنفط على ماهو عليه الآن فان جملة الاحتياطي العالمي منه لن تكفي العالم أكثر من ثلاثين عاما ، ولذا قال بعضهم ان عصر النفط قد أوشك على الانتهاء ، لكن تلك المقولة لم تدم طويلا بعد الاكتشافات النفطية الهائلة في بحر الشمال والمكسيك ، اذ يبلغ معدل الانتاج اليومي لهاتين المنطقتين مايقرب من خمسة ملايين برميل

ويتناول الغاز الطبيعي الذي يتم اكتشافه منفردا في بعض الأحيان ، أو يتم اكتشافه مع النفط في أحيان أخرى ،وتكمن أهمية هذا الغاز في امكانية نقله عبر الأنابيب بسهولة ويسر ، ثم يتحدث عن تناقص احتياطي الولايات المتحدة من الغاز الطبيعي بصورة مطردة ، بيد أن البحث الدائب عن هذا الغاز في شتى أنحاء الولايات المتحدة على أعماق تتجاوز ١٥,٠٠٠ قدم أو أكثر من ذلك ربما يجعل هذا النقص المطرد أمرا بعيد الحدوث

النفط الصخري

ويتحدث المؤلف أيضا عن اليورانيوم ، فيذكر أنه على الرغم من اكتشاف هذا العنصر منذ فترة طويلة الا أن استخداماته قد ظلت محدودة مدة كبيرة ، وعلى نطاق ضيق ، حتى أتى عصر الذرة في عام ١٩٤٢ ، حين أجرى العلماء أول تفاعلات انشطارية للذرة في جامعة شيكاغو ، فمنذ ذلك الحين اعتقد العلماء أنهم وجدوا ضالتهم المنشودة لحل مشاكل الطاقة ، اذ يستطيع الطن الواحد من اليورانيوم توليد طاقة تعادل مايتولد من احتراق ٣٥٠٠ طن من الفحم وتعتبر الولايات المتحدة وكندا في طليعة الدول التي تمتلك أكبر احتياطي من هذه المادة المهمة ، ويليهما في ذلك جنوب افريقيا ، وأستراليا ، وزامبيا ، والبرازيل وقد استدعت حاجة الدول الكبرى الى اليورانيوم لاستخدامه في الأغراض العسكرية والسلمية الى زيادة الطلب عليه ، وأدت تلك الحاجة بدولة مثل الولايات المتحدة الى الجد للكشف عن وجوده لأنه عنصر استراتيجي،حتى اكتشف في العديد من المناطق مثل جبال روكي وفي موضع آخر يتحدث المؤلف عن البدائل الأخرى التي يحاول العلماء استحداثها في الآونة الأخيرة للوقوف بحزم أمام العقبات التي أوجدها منتجو الطاقة السائلة مثل النفط ، ومن هذه البدائل النفط الصخري ويوجد هذا النوع من النفط في أنحاء عديدة على سطح الكرة الأرضية ، ويقدر عدد الأماكن التي يوجد بها هذا النوع من النفط مايقرب من مائة وخمسين مرة قدر الأماكن التي يوجد بها النفط العادي ، كما تفوق تكلفة استخراج البرميل الواحد من هذا النوع مايقرب من ٢٥ سنتا أكثر من تكلفة استخراج البرميل الواحد من النفط العادي ، ومن ثم فقد تأخر هذا النوع في دخول مجال المنافسة مع النفط

العادي ، الا بعد التحولات المفاجئة التي حدثت في الأونة الأخيرة في أسعار النفط العالمية

وينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن رمال القار التي تستخدم وقودا بعد فصل الهيدروكربونات منها بطريقة علمية معقدة ، وتتركز هذه المادة الجديدة في كندا والولايات المتحدة وفنزويلا وزائير وغيرها ويتناول في حديثه الزيت الثقيل وهو نوع من النفط ذو لزوجة كبيرة لاتمكن من استخراجه بسهولة ويسر من الآبار التي يكتشف فيها ، ومن ثم يصعب نقله عبر الأنابيب مثل زيت النفط العادي ، ولذا يحتاج الى ضخ بخار ساخن لدفعه من أماكن وجوده في باطن الأرض أما عن مصادر الطاقة الجديدة والمستحدثة فانها تشمل العديد من المواد يذكر المؤلف منها البيوماس والطاقة الشمسية ويقصد بالبيوماس تلك المادة الجديدة التي استطاع العلماء انتاجها من المواد العضوية ، مثل بقايا الأشجار ، ومخلفات الغابات ، وقصب السكر ، وقشر الأرز ، وهي بديل الطاقة المستقبلي لمواجهة التزايد المطرد في أسعار النفط

طاقة الريح

تعد الطاقة الشمسية من أرخص الطاقات المتاحة ، ويمكن تحويلها الى طاقة حرارية مباشرة ، لاستخدامها في أغراض عديدة ، مثل توليد الكهرباء بالخلايا الشمسية ، وقد أجريت أول تجربة لتوليد الكهرباء من الشمس عام ١٩٥٨ في الولايات المتحدة الامريكية وتمتاز هذه الطريقة بعدم اعتمادها على وجود التوربينات أو المولدات أو المساقط المائية ، لكن برزت في الأفق مشكلتان رئيسيتان في توليد الكهرباء بهذه الطريقة وهما أن الخلايا الشمسية التي يقع على عاتقها دور التجميع لأشعة الشمس لا تزال حتى الآن باهظة التكاليف ، كما أنها لاتحول كل أشعة الشمس التي تسقط عليها الى طاقة كهربية ويحاول العلماء جاهدين انتاج خلايا شمسية أقل تكلفة وأكثر جودة إذ لانستطيع أكفأ خلية شمسية ـ حتى الآن ـ تحويل أكثر من ٢٠٪ من الأشعة الشمسية الساقطة عليها الى طاقة كهربية ثم يتحدث المؤلف بعد ذلك عن طاقة الرياح واستخداماتها ، كما يتحدث عن الطاقة الجيوحرارية ، وهي الطاقة المتولدة عن البراكين التي تستخدم منذ أكثر من ثمانين عاما لتوليد الكهرباء في ايطاليا ، كما توجد مراكز عديدة للاستفادة من تلك الطاقة في كل من الولايات المتحدة ، ونيوزيلاندا ، وأيسلندا ، واليابان ، والمكسيك

وينهي المؤلف فصله الثالث فيذكر أحدث الاتجاهات في مجال انتاج الطاقة ، كإنتاج مادة البيوماس من المخلفات العضوية على نطاق واسع وقد خطت البرازيل خطوات جادة في هذا المجال ، فأنتجت الجازولين بنجاح من تخمر قصب السكر ثم يبدأ المؤلف بالحديث عن البحث والتطور لتوسيع مجال الطاقة

فيؤكد على أهمية البحث العلمي في شتى مجالات الحياة الانسانية ، ومن ثم فإن علماء الطاقة مازالوا يبحثون ويحللون لايجاد مصادر جديدة للطاقة ، وهم يضعون نصب أعينهم تحقيق أقل تكلفة ممكنة لانتاج الطاقة التي تتزايد باطراد ، ثم يؤكد المؤلف على ضرورة دعم الدول والحكومات للبحث العلمي ، ليحقق أهدافه المرجوة ، ففي فترة السبعينيات (١٩٧٠ ـ ١٩٨٠) تزايد الاهتمام بالبحث عن بدائل أخرى للنفط لكبح جماح تزايد الأسعار المفاجىء ، ومن ثم أنتج العلماء الكثير من البدائل التي ورد ذكرها في الكتاب

كما يحاول العلماء إنتاج أكفأ الأنواع من الخلايا الشمسية وأرخصها يقول بعض العلماء (اذا كانت الطاقة الشمسية غير مكلفة متاحة دون مقابل فلماذا يظل استغلال هذه الطاقة باهظا الى هذا الحد ؟) ويأمل المؤلف أن يستطيع البحث العلمي حل هذه المعادلة الصعبة في القريب العاجل ، وذلك بالتعاون مع الأجهزة الحكومية في شتى الدول المعنية بمجال انتاج الطاقة الشمسية واستخداماتها

سوق الطاقة

ويتناول المؤلف بالبحث مفهوم (سوق الطاقة) ، ودوره الفاعل في اقتصاديات الكثير من الدول ، وبخاصة الدول المنتجة لمصادر الطاقة المختلفة

ثم يتحدث المؤلف عن منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) وتأثيرها المباشر على أسعار النفط العالمية ، ويقرر حقيقة مهمة ، وهي أن دول الأوبك تسيطر الآن بطريقة مباشرة على ٨٠٪ من حقول النفط الموجودة في أراضيها ، وذلك بعد التأميم الذي تم انجازه في معظم أراضي كبرى الدول المنتجة للنفط ، ولنأخذ مثالا على ذلك المملكة العربية السعودية التي أنشأت الشركة العربية الامريكية للبترول ، تلك الشركة التي تضم كبريات شركات النفط الأمريكية ، ويملك السعوديون القرار في تحديد عدد البراميل التي يجب انتاجها في اليوم الواحد ، كما يحددون أسعار بيع هذه الكميات بأنفسهم.وهكذا نجد أن دول الأوبك استطاعت في الآونة الأخيرة أن تقرر مصائرها بأيديها ، أما في مجال صناعة الفحم فيذكر المؤلف أن هذه الصناعة عادة تتأثر بأسعار النفط العالمية ، كما تتأثر كذلك بالتوزيع الجغرافي لأماكن الانتاج ، اذ يعد الفحم من مصادر الطاقة التي تحتاج الى وسائل عديدة لنقله من أماكن الانتاج الى مناطق استخدامه ويضيف المؤلف أن الاهتمام بالفحم قد قل في الآونة الأخيرة في عديد من مناطق العالم ، وذلك لقلة الاهتمام بالمناجم الأرضية لأخطارها العديدة ، لكن الانسان مازال يحاول أن يفي باحتياجاته من الفحم على الرغم من خطورة استخراجه ، لاستخدامه في عديد من الصناعات المهمة التي لابديل عن الفحم فيها ، مثل صناعة الحديد والصلب ثم ينتقل المؤلف الى الحديث عن الطاقة الكهربية ، فيقرر أن استهلاك الكهرباء قد تزايد بدرجة كبيرة في شتى أنحاء العالم ، وقد ارتفعت تكلفة الحصول على تلك الطاقة المهمة بصورة مطردة ، أما عن الطاقة النووية فيذكر المؤلف أنه على الرغم من أن هذه الطاقة حديثة نسبيا اذا ماقورنت بأنواع الطاقات الأخرى ، فانها مازال أكثر الطاقات تكلفة حتى الآن ، كما أنها مازال تحمل في حنباتها كثيرا من الأخطار المحتمل وقوعها بين حين وآخر ، ولذا فإن شيوع استخدامها لم يعد حتى الآن شيئا مقبولا الا في أغراض محددة ، ومن ثم يقترح المؤلف على العلماء وضع استراتيجيات عديدة ، تضمن أقل التكاليف وأكثر السبل أمانا في استخدام هذه الطاقة التي استحدثها البشر في القرن الحالي

الانحلال البيئي

في الباب السادس يتحدث المؤلف عن الطاقة والبيئة وتلوث البيئة في ثلاث نقاط :

أولها أنه من الصعب ، بل ليس من الضروري ، أن نزيل مصادر التلوث الناتجة عن استخدامات الطاقة ، فالنظام البيئي الطبيعي جدير بامتصاص معظم هذه الملوثات

ثانيا : أننا لانستطيع ـ حتى الآن ـ تحديد خطورة التلوث البيئي ، لكننا نستطيع أن نلمح بعضا من (الانحلال البيئي) فقط مثل الهواء الملوث أو الماء الملوث أو البحيرات التي تغيرت طبيعتها المائية من الجيد الى الأسوأ وهكذا ويضيف المؤلف قائلا : اني لا أريد أن أؤكد أن الكثير من الملوثات البيئية الخطيرة ربما توجد في البيئة المحيطة بنا دون أن نلمح لها أثرا يدل على وجودها

ثالثا يجب ألا تغيب عن أدهاننا حقيقة مهمة هي أن التلوث البيئي في هدا العلم قد ترايد بسبب بسيط حدا هو أن التخلص من المواد الملوثة الى البيئة المحيطة بنا يعتبر أقل تكلفة من معالجة هده الملوثات قبل صرفها ، ومن ثم فكثير من المصانع يلجأ الى التخلص من مخلفاتها الى البيئة المحيطة ، فتريد تلوثها بدلا من معالجة هذه النواتج والمخلفات. وفي حديث المؤلف عن الفحم يذكر أن علماء البيئة يتوقعون زيادة درجة حرارة سطح الأرض ثلاث أو أربع درجات مئوية في منتصف القرن الحادي والعشرين المقبل ، وذلك نتيجة طبيعية لترايد احتراق الفحم المستخدم في الحصول على الطاقة ، وبالتالي سوف يترايد سمك غاز ثاني اكسيد الكربون في الجو ، فتمنع هده الطبقة نفاذ الحرارة من سطح الأرض الى الفضاء الخارجي ، فتريد تبعا لذلك درجة حرارة سطح الأرض ، وفي حديثه عن النفط يذكر أن أكثر من ٦٠٪ من جملة الانتاج العالمي من النفط يتم نقله عبر البحار والمحيطات ، لذا فإن أخطار تلوث هده البحار ليست صعبة الحدوث ، ولاينبغي أن نتناسى ذلك التلوث الرهيب الذي أحدثته ناقلة النفط آموكو كاديز عام ١٩٧٨ في القنال الانجليزي

وينتقل المؤلف الى الحديث عن الطاقة النووية فيذكر أن الجدل مازال قائما حول هده الطاقة أكثر من أي نوع من أنواع الطاقات الأخرى ، ولعلنا نذكر حادثة المفاعل النووي في (جزيرة ثرى مايل) في ٢٨ مارس ١٩٧٩ ، وقد بينت هده الحادثة أننا مازلنا لانعلم كثيرا عن الأخطار المحتملة داخل العديد من المفاعلات النووية ، ولذا يجب علينا توحيد الجهود الدولية لمواجهة مثل هده الأخطار ولقد تصور كثير من العلماء قبل هذا الحادث أن الطاقة النووية ينتظرها مستقبل وردي ، وظلوا يحلمون بهدا حتى غطى الضباب تلك الأحلام والأمال الوردية ، بعد وقوع هذا الحادث وهكذا يمضي المؤلف محللا ومقارنا بين طاقة وأخرى ، ومدى ماتحمله من أخطار وكوارث للبشرية

الطاقة في عالم غير مستقر

في الباب الأخير من الكتاب وعنوانه « الطاقة في عالم غير مستقر » يتحدث المؤلف عن الصدمات العنيفة التي منيت بها أسواق الطاقة خلال فترة السبعينيات ، وبخاصة بين عامي ٧٣ ـ ١٩٧٤ ، وكذلك بين عامي ٧٩ ــ ١٩٨٠ ، تلك الصدمات التي أدت الى ازدياد معدلات البطالة ومديونيات عديد من دول العالم الثالث ، وفي حديثه عن السياسات الدولية للنفط يقرر المؤلف أن استخدام سلاح النفط كأوراق للعب على موائد السياسة لم يكن بالشيء الجديد ، حتى قبل قيام منظمة الأوبك عام ١٩٦٠ ، لكن ظهور هذا الشكل من اللعب السياسي لم يأخذ وضعا ذا أهمية كبيرة الا ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين العرب و « اسرائيل » ، وأكبر دليل على ذلك أن الأعضاء العرب في منظمة الأوبك لم يستطيعوا أن يعيدوا فرض نفس الخطر النفطي السابق حينما غزت « اسرائيل » الأراضي اللبنانية عام ١٩٨٢ ، وعلى الرغم من كل هذا يحذر المؤلف من يرددون في الدول الغربية المقولة السخيفة (ماذا سيفعل العرب بالنفط ؟ هل سيشربونه ؟ فليشربوه ان استطاعوا !) ويعقب المؤلف على هده المقولة بقوله ان سقوط شاه ايران ونشوب حرب الخليج ليسا الا حدثين تمخضت عنهما الأيام في تلك المنطقة المهمة من العالم ، ومن يدري لعل الغد يحمل في جعبته موجة جديدة كفيلة بقلب أسواق النفط العالمية رأسا على عقب ، وحينئذ يندم المتفوهون بهده المقولة حين لاينفع الندم □

بنية العقل العربي

تاليف : الدكتور محمد عابد الجابري / عرض : رافع عبدالرحمن

منذ صدور كتابه الشهير « نحن والتراث » والمفكر محمد عابد الجابري يثير جدلاً واسعا في مجال الدراسات التراثية ، وهو جدل اتسع وتشعب مع مشروع الجابري الكبير في « نقد العقل العربي » وفيما يلي عرض للجزء الثاني من هذا المشروع

« بنية العقل العربي » هو الجزء الثاني من مشروع تراثي كبير عنوانه « نقد العقل العربي » للدكتور محمد عابد الجابري ، وكان المؤلف قد سلط الضوء في الجزء الأول ـ « تكوين العقل العربي » ـ على تشكل العقل العربي ومكوناته ، وانتهى إلى التمييز بين ثلاثة نظم معرفية البيان والعرفان والبرهان

وفي هذا الجزء يحلل الجابري هذه النظم المعرفية ، مسلطا الضوء على كيان العقل العربي من داخله ، محدداً العوائق « الابيستيمولوجية » التي تعوقه من داخله

يقوم الجابري بمهمته هذه متسلحاً بمعرفة واسعة بتراثنا الفكري ، بمنهجية حديثة ، ومزايا عديدة يلمسها القارىء ونأمل أن يكون هذا العرض للكتاب دعوة لقراءته أو إعادة لقراءته

البيـــان

للوصول إلى تحديد أهم السلطات المرجعية التي تقود التفكير في الحقل البياني العربي ، بل في العقل البياني ، يسعى المؤلف في مدخل القسم الأول من الكتاب إلى التعريف بالكيفية التي انتقل بها « البيان » كنظام معرفي ، من حالة اللاوعي إلى حالة الوعي

يقرأ ماجاء في « لسان العرب » مادة (ب ى ن) ويخلص إلى أن البيان في إطاره اللغوي يفيد الفصل والانفصال ، والظهور والاظهار .

وينتقل إلى الأبحاث البيانية ، فيرصد جانبين أساسيين في « البيان » كما حدده الشافعي « أصول » تتشعب عنها فروع ، و « قوانين » وقواعد لتفسير الخطاب . ومن قراءته شروط إنتاج الخطاب البياني عند الجاحظ يخلص إلى أنها تتلخص في تحقيق التوافق والانسجام في اللفظ والمعنى

ويجد عند ابن وهب نظرية في المعرفة ، يحتل فيها « الخبر » مركزاً رئيسياً أوليا يوازن « النظر » إن لم يكن أقوى منه ، وذلك على مستوى اكتساب المعرفة

ويصل الجابري من كل ذلك إلى أن أزواجا من المفاهيم تشكل العناصر الرئيسية في البنية العامة للنظرية البيانية في المعرفة العربية ، وهذه الأزواج هي اللفظ والمعنى ، الأصل والفرع ، الخبر والقياس

ويخلص من تحليله لإشكالية اللفظ والمعنى إلى أن التعامل معها قد رسّخ لدى البيانيين النظرة التي تتعامل مع اللفظ والمعنى ، وكأن لكل منهما كيانه الخاص ، وقد نتج عن ذلك الفصل بين اللغة والفكر وان البيانيين نظروا إلى النص كألفاظ وعبارات لغوية ونظام خطاب ، ولم ينظروا إليه كمعان ومقاصد ، ومن نتائج ذلك على العقل البياني ونتاجه المعرفي مايلي

في مجال النحو خلط النحاة بين النحو والمنطق ، وجعلوا كثيرا من القواعد النحوية قواعد للفكر ، فصارت اللغة وعاء يؤطر الفكر ضمن قوالب ومقولات لغوية

وفي مجال الفقه أهمل الفقهاء مقاصد الشريعة ، وأصبحت « مقاصد اللغة » هي المتحكمة ، وكان لابد أن يتقوقع التشريع ، مما جعل انغلاق باب الاجتهاد نتيجة حتمية

وفي علم الكلام أدى الانسياق مع متاهات إشكالية اللفظ والمعنى والخضوع لمنطقها إلى خنق العقل وتحجيم دوره

أما في مجال البلاغة فقد صار المعيار البلاغي واحدا ثابتا وهو التزام طريقة القدماء في الشكل والمضمون ، وعندما استنفد المضمون امكانيات الاستعادة والاجترار صارت السلطة كلها للشكل ، للفظ ، والمحسنات اللفظية

وفي تحليله لزوجية الأصل والفرع يشير الجابري إلى أن الشافعي حدد أصول الفقه في أربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وجاء الأصوليون من بعده فصنفوها إلى النص (القرآن والسنة) والاجماع والقياس ، ويلاحظ أن لعملية التعبير عن القرآن والسنة معا بـ « النص » أهمية عظيمة جداً على الصعيد « الابيستيمولوجي » ، لأنها حولت الأصول الأربعة من أصول للفقه وحده إلى أصول يمكن أخذها في صورتها المجردة (نص ، اجماع ، قياس) ، وتأسيس أنواع من المعارف عليها

ويؤكد أن عملية التفكير في العقل البياني محكومة دوما بـ « أصل » ، فالمعرفة العقلية في الحقل البياني تقوم كلها إما انطلاقا من أصل « الاستنباط » ، وإما انتهاء إلى أصل « القياس » ، وإما بتوجيه من أصل « ضوابط منهجية »

ويتناول « نظرية الخبر » البيانية ، فيجد أن السلطة التي تؤسس خبر الآحاد وخبر التواتر هي سلطة « إجماع الصحابة » فما الذي يؤسس سلطة « الاجماع » ؟ إنها « سلطة السلف » ، سلطة الماضي (فكان الاستبداد الذي عانى منه العقل البياني استبدادين استبداد الحكام بالسياسة ، واستبداد السلف بالمعرفة)

ويحلل المؤلف القياس البياني وإشكالية التحليل مبينا أن هذا القياس لايعني استخراج نتيجة تلزم ضرورة عن مقدمتين أو اكثر ، بل يعني إضافة أمر إلى آخر بنوع من المساواة ، فهو مقايسة ومقاربة بين أصل وفرع ، بين شاهد وغائب وأن القائس لايصدر حكما من عنده ، بل يمدد حكم الأصل إلى الفرع اعتمادا على مايجد من شبه يبرر القياس ، والحكم الذي يصدره المجتهد يقوم على الظن لا على اليقين.

ومن دراسته لمبحث العلة يستنتج أن الاستدلال في العلوم البيانية الاستدلالية واقع تحت وطأة إشكالية تبرير الأحكام ، وأن التعليل في الفقه وعلم الكلام

النحو إنما يقوم على الحوار لا على الوجوب ، وظيفته لاتتعدى المقاربة ، وأن اللزوم البياني يقوم على أحسن الأحوال على الترجيح ، ولا علاقة له بالضرورة المنطقية

العرفـــان

أما العرفان كفعل معرفي فهو ،ما يسميه أصحابه « الكشف » أو « العيان » وكحقل معرفي هو عبارة عن خليط من هواجس وعقائد وأساطير تتلون بلون الدين الذي تقوم على هامشه ، لتقدم له مايعتقد العرفانيون أنه « الحقيقة » الكامنة وراء ظاهر نصوصه

ويلقي المؤلف الضوء على الموقف العرفاني الذي كان دائما موقف هروب من العالم إلى عالم « العقل المستقيل » كلما اشتدت وطأة الواقع على الفرد الذي لايعرف كيف يتجاوز فرديته

ثم يتناول العرفان في بيئته الإسلامية على محورين رئيسيين يتمثلان في الزوجين (الظاهر والباطن ، النبوة والولاية) ، ويخصص فصلين لقراءة تحليلية نقدية تتركز على المنهج أساسا في المحور الأول وعلى الرؤية في الثاني

يحتل الزوج (الظاهر والباطن) في الحقل المعرفي العرفاني موقعا يماثل الموقع الذي يحتله الزوج (اللفظ والمعنى) في الحقل المعرفي البياني ، وقد تم توظيف ذلك الزوج على ثلاثة مستويات مستوى تأويل الخطاب ، ومستوى انتاجه ، ومستوى التنظيم الاجتماعي . والجابري يعنى بالمستويين الأول والثاني ، فيتناولهما بالتشريح ، ومما يبينه أن « الحقيقة » العرفانية ليست عامة كلية ، بل ذاتية ظرفية ، تخص الشخص الواحد ، وإذا كانت هذه «الحقيقه» خاطرا يخطر بالنفس لمناسبة فإن العلاقة بينها وبين المناسبة التي تثيرها ليست علاقة ضرورية ولا حتى منتظمة .

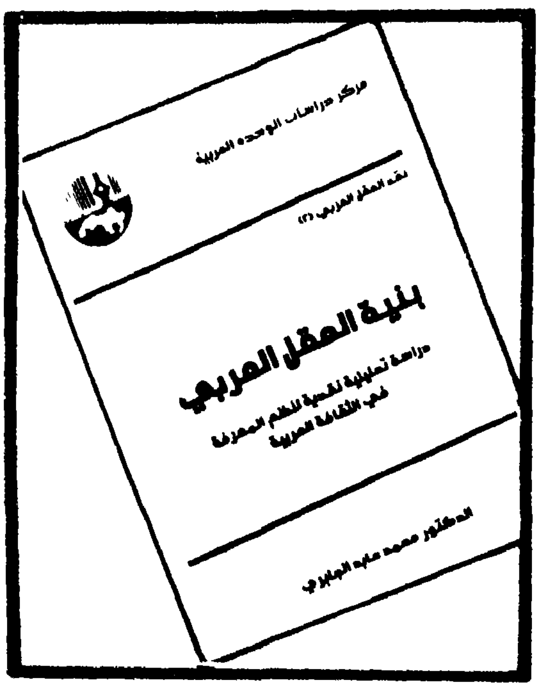
ثم يضع « الكشف » موضع المساءلة ، ويقرر أن العرفانيين يعتمدون المماثلة في تأويل الخطاب القرآني ، المماثلة بين معان وآراء جاهزة لديهم وبين المعنى الظاهر الذي تعطيه عبارة النص ويبين أن القياس العرفاني قياس دون جامع ، دون حد أوسط ، دون رقابة عقلية ، إنه انزلاق بالمماثلة بوصفها مشابهة في العلاقة بين بنيتين إلى المطابقة بينهما بصورة تجعل الواحدة منهما مرآة للاخرى

والجابري يحلل نظرية النبوة والولاية عند الشيعة « اثنا عشرية واسماعيلية » ، بعد أن يلفت انتباه القاريء إلى أن الزوج (النبوة والولاية) في الفكر العرفاني يماثل ويوازن الزوج (الأصل والفرع) في الفكر البياني ، لكن اتجاه الفكر هنا يكون بالعكس ، فالولاية هي الأصل ، والنبوة هي الفرع

ويجد النظرية المذكورة تعرض رؤية متكاملة للكون والإنسان ، منسوجة حول محورين رئيسين: شخصية الإمام وقصة المبدأ والمعاد شخصية الإمام محور لنظرية في المعرفة ، وقصة المبدأ والمعاد إطار لنظرية في الوجود الطبيعي والروحاني ، والنظريتان تقومان بإلغاء العقل وإحلال عرفان الإمام محله

ويقدم الجابري في خاتمة القسم الثاني من الكتاب خلاصات تجمع شتات ملاحظاته .

فالعرفانية الهرمسية هي البنية الأم للفكر العرفاني



في الإسلام ، والتأويل العرفاني للقرآن هو تضمين ألفاظ القرآن أفكارا مستقاة من الموروث العرفاني القديم وقد كرس العرفانيون الإسلاميون في الحقل المعرفي العربي الإسلامي لا عقلانية صميمة ، على صعيد المنهج وعلى صعيد الرؤية

و « الكشف » العرفاني هو أدنى درجات الفاعلية العقلية ، والعرفانيون يوظفون الأساطير توظيفا دينيا ، فيجعلون الحقيقة وراء « الشريعة » و « الباطن » وراء « الظاهر » ، والحقيقة عندهم ليست الحقيقة الدينية أو العلمية أو الفلسفية ، بل هي الرؤية السحرية للعالم التي تكرسها الأسطورة

البرهان :

البرهان يعتمد قوى الإنسان المعرفية الطبيعية من حس وتجربة ومحاكمة عقلية ، وحدها دون غيرها في اكتساب المعرفة بالكون لتشييد رؤية للعالم ، يكون فيها من التماسك والانسجام مايلبي طموح العقل إلى إضفاء الوحدة والنظام على شتات الظواهر

وقد تأسس البيان والعرفان باعتماد القرآن والحديث أولا وقبل كل شيء ، أما بالنسبة للبرهان فالأمر يختلف تماماً ، فمن جهة أولى يتعلق الأمر بمنهج في التفكير ، وبتصور للعالم ، يختلفان تماما عن المنهج والتصور اللذين تم إرساؤهما في الثقافة العربية الإسلامية بمعطياتها الخاصة اللغة والدين ، ومن جهة ثانية يتعلق الأمر بعالم من المعرفة يكفي نفسه بنفسه ، وتأسس بوسائله الخاصة التي هي العقل ومايضعه من أصول

إذن فتأسيس البرهان داخل الثقافة العربية الإسلامية سيكون عبارة عن ترتيب معين للعلاقة بينه وبين « البيان » فقط ، وهذا ماحصل فعلا

في مدخل هذا القسم يقدم الجابري صورة مجملة عن « البرهان » الأرسطي منهجاً ورؤية ، مبرزاً مايميزه عن كل من « البيان » و « العرفان » ، ومبرزاً الاتجاه العام في الفكر الأرسطي ثم يحدد مهمته في هذا القسم (سيكون علينا أن نتبين كيف تمت تبيئة هذا النظام المعرفي « البرهاني » في الثقافة العربية التي كان لها نظامها الخاص ، مع بيان الكيفية التي تم بها ترتيب العلاقة بين النظامين من جهة ، كما سيكون علينا ، من جهة أخرى ، رصد التعديلات التي سيتعرض لها هذا النظام المعرفي البرهاني ، سواء على صعيد المنهج أو على صعيد الرؤية من خلال عملية التبيئة تلك)

وينتهي في الفصل الأول إلى أن البرهان كمنهج قد انتهى به الأمر في الثقافة العربية الإسلامية إلى أن أصبح مع الغزالي مجرد آلية ذهنية شكلية يراد منها أن تحل محل آلية ذهنية شكلية أخرى هي آلية الاستدلال بالشاهد على الغائب ، مما أفقده وظيفته الأصلية التي أرادها له أرسطو ، وظيفة « التحليل » و « البرهان »

وفي الفصل الثاني يبين الجابري من خلال قراءة مدهشة لـ « السينوية » أن البرهان كرؤية قد انتهى به الأمر مع ابن سينا إلى الانخراط في إشكاليات المتكلمين من جهة ، وتبنى منتجات « العقل المستقيل » من جهة ثانية ، مما أفقد الرؤية البرهانية الأرسطية طابعها العقلاني « العلمي »

(لقد تداخل هذا الموروث الأرسطي المفكك مع الخليط الهرمسي المقوم للعرفانيات الإسلامية ، مع الموروث البياني الذي كان قد توقف عن النمو بعد أن استنفد كل امكانياته تداخلت هذه النظم المعرفية بعد أن انحلت ، فاختلطت المفاهيم ، واشتبكت المسائل ، وتصادمت الرؤى والاستشرافات داخل الثقافة العربية الإسلامية ، مما جعل الحاجة إلى إعادة التأسيس والبنية ضرورة ملحة)

تفكك النظم :

إذا كان الغزالي يجسم لحظة الأزمة في الثقافة العربية الإسلامية ، فإن ابن رشد يجسم لحظة التجديد ، وإذا كانت لحظة الغزالي تجد نقطة بدئها في ابن سينا فإن لحظة ابن رشد تجد نقطة انطلاقتها في ابن حزم

(وإذا كان البيان قد وجد مستقبله انطلاقا ، من لحظة الغزالي في « طريقة المتأخرين » التي نضجت مع

ـراري ، والمحدث قالبها النهائي المتكلس مع
`يحى ، فإن الطموح إلى إعادة تأسيس البيان بصورة
ـحاور بها أزمته الداخلية قد ظهر قبل الغزالي مع ابن
ـرم ، ليبلغ قمته على مستوى أصول الدين مع ابن
ـشد وخطابه الجديد حول « مناهج الأدلة » وعلى
ـستوى أصول الفقه مع الشاطبي وخطابه الجديد ،
ـكل الجدة ، حول « مقاصد الشريعة » كان هذا في
لمغرب والأندلس ، أما في المشرق العربي فقد ناصل
من أجل إعادة تأسيس البيان تأسيسا سلفيا جديدا ،
باستلهام ابن رشد خاصة ، الفقيه الحنبلي الشهير ابن
تيمية)

يعرض الجابري في الفصل الأول من هذا القسم صورة اجمالية عن عملية التداخل كما تمت في علم الكلام خاصة ، مشيرا إلى أن التداخل إنما حصل على ساحة البيان ، الساحة التي أصبحت منذ لحظة الغزالي تمثل « العقل العربي » الذي انتهى إلينا عبر « طريقة المتأخرين » وروافدها وامتداداتها ، والذي ظل منذ لحظة الغزالي ومازال مسرحا لصراع المقولات واختلاط المفاهيم

ويبين أن انهيارا أصاب العقل والمعرفة نتيجة « طريقة المتأخرين » إذ تم النزول بالعلم الطبيعي الأرسطي إلى مستوى الفيزياء الكلامية ، وصارت كل فاعلية العقل أن يحفظ ويتذكر ، لا أن يفكر ويستدل

وفي الفصل الثاني يتناول الجابري المشروع الثقافي الأندلسي ، مبرزا جوانب من تراثنا الفكري والاجتهادي ، مؤكدا أنها ماتبقى من تراثنا قابلا لأن ننتظم فيه في عملية التجديد والتحديث المطلوبة ، إنه يدعو إلى استعادة نقدية ابن حزم وعقلانية ابن رشد واصولية الشاطبي وتاريخية ابن خلدون

وفي خاتمة عامة للكتاب بعنوان (من أجل « عصر تدوين » جديد) يحصر أهم سلطات المرجعية التراثية في ثلاث سلطة اللفظ ، سلطة الأصل بقسميها (سلطة القياس وسلطة السلف) ، سلطة التجويز)

ويؤكد أنه (بالانتظام الواعي في فكر ابن حزم والشاطبي من أجل ممارسة التجديد في تراثنا الفقهي ، وفي إطار معارك فكرية حادة ، ينفتح المجال لزعزعة ثلاث من السلطات التي تحكم العقل العربي لا شعوريا سلطة اللفظ ، وسلطة السلف ، وسلطة القياس)

أما سلطة التجويز فيلتمس سبيلا لزعزعتها لدى ابن رشد في الانطلاق من النظام والترتيب اللذين في العالم بوصفهما تجليات للحكمة والعناية الإلهيتين ودليلا عليهما ، وبالتالي دليلا على وجود الله ، ثم يضيف إلى ذلك مفهوم « طبائع العمران » الخلدوني

إن الجابري الذي أوضح أن العقل العربي قد تكوّن أساسا من خلال التعامل مع النص ، يرى أن الشيء الذي يجب أن يكون موضوعا للفحص والنقد هو ذلك المسلك الذي سلكه الأقدمون في فهم النصوص ، و (شبكة الآثار التي خلفتها فينا سيرورتنا العامة الطويلة منذ « انبثاق » العقل العربي ، أي منذ « عصر التدوين ») وهو يرى أن الحاجة تدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تدشين « عصر تدوين » جديد ، تكون نقطة البداية فيه نقد السلاح ، نقد العقل العربي .□



□ أكثر الناس قلقا في السجن ، هو السجان

(برنارد شو)

□ ما من شي يثير الشجاعة في الشعب العظيم كاستهدافه للمخاطر

(نابليون)

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب التطور العمراني في الكويت
المؤلف د ابراهيم ماجد الشاهين
الناشر سلسلة دراسات في التخطيط والعمارة
عدد الصفحات ١٢٣ قطع متوسط
سنة النشر ١٩٨٨

خلال سنوات التحضر الكبرى التي شهدتها الكويت تم تنفيذ كثير من المشروعات العمرانية الضخمة ، وقد تمت هذه المشروعات وفق القواعد والنظم الغربية وللمؤلف وجهة نظر يعرضها في كتابه من خلال التركيز على هوية العمارة في الكويت ، وخصائصها وملاءمتها للبيئة ، وكيف أن الشكل المعماري لمدينة ما هو الا تعبير عن ظروفها وثقافتها الاجتماعية وظروفها الطبيعية ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب ، الباب الأول يختص بوضع الأسس العامة ، والبحث عن جذور العمارة المحلية ، والباب الثاني يتضمن اقتراحا بتخطيط منطقة داخل المدينة القديمة وتصميمها ، وتطبيق الأسس المحلية للعمارة والتخطيط ، مع استخدام التقنية الحديثة ، وفي الباب الثالث الأخير اقتراح باتباع أسلوب جديد للتنمية العمرانية

■ ■ ■

الكتاب الفنان التشكيلي بدر جاسم القطامي
الموزع : الربيعان للنشر والتوزيع
عدد الصفحات ٥٠ صفحة قطع كبير
سنة النشر ١٩٨٨

كتاب جديد من نوعه في المكتبة العربية ، يضم صورا « فوتوغرافية » لأعمال فنان تشكيلي ، ترصد تطوره ومراحل أعماله المختلفة والفنان بدر القطامي من أهم الفنانين التشكيليين في الكويت ومنطقة الخليج العربي وبادرة تقديم أعماله في كتاب تتيح له الانتشار بين قاعدة أكثر اتساعا من رواد معارضه ، وتتيح للقارىء العربي الرؤية والاستمتاع وهو جالس في مكتبته

■ ■ ■

الكتاب وحدة العرب في الشعر العربي
المؤلف عبد اللطيف شرارة
الناشر . مركز دراسات الوحدة العربية ـ سلسلة الثقافة القومية
عدد الصفحات ٤٥٦ قطع صغير
سنة النشر ١٩٨٨

يقدم الكاتب في هذا الكتاب دراسة أدبية ، ونصوصاً شعرية للتدليل على وجود الشعور بالوحدة العربية في الثقافة العربية منذ أقدم العصور وتعاظمه ، وعلى الرغم من أن الثقافة تنمو مع الزمن وتتكون وتتكامل وتتطور وتضيف وتعدل حسب الظروف الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فإن الثقافة العربية ظلت تحتفظ داخلها بهذه النزعة الواضحة نحو وحدة العرب ، وقد كان الشعر أبا للفنون العربية ، وأحد أدوات التعبير عن الثقافة العربية ومضمونها ، ومن خلاله ووفق نصوصه كانت الوحدة هي الهم والهاجس والحلم والأمل والخلاص

نكتاب السياسة والحيلة عند العرب
تحقيق: رنيه حوام
الناشر دار الساقي ـ لندن
عدد الصفحات ٢٣٤ قطع متوسط
سنة النشر ١٩٨٨

هذا الكتاب إعادة نشر للمخطوطة العربية المجهولة المؤلف المسماة « رقائق الحلل في دقائق الحيل » ، وهي مخطوطة مكونة من ١٥٢ ورقة ، يعود استنساخها إلى عام ١٠٦١ هـ/١٦٥١ م ، وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس وقد قام المؤلف ـ المجهول ـ في مخطوطته بجمع طرائف الحيل ونوادرها ، وقد عكف على جمعها من بطون كتب معاصريه وسابقيه ، باذلا جهدا ضخما في القراءة والتجميع ، وقد قسم المؤلف كتابه إلى عدة أبواب ، اختص كل باب بحيل طائفة أو فئة من الناس ، بدءا من حيل الملائكة والجن ، وحيل الأنبياء والملوك والسلاطين ، والوزراء والقضاة والفقهاء والأطباء والنساء

وقد بذل محقق الكتاب ـ رنيه حوام ـ جهدا واضحا في نقل المخطوطة ، ثم عنونتها ، ووضع العناوين المناسبة لها ، ومقارنة الحكايات على ما هو متاح من كتب

■ ■ ■

الكتاب الاثراء الثقافي للأطفال
المؤلف د كافية رمضان ، ود فيولا السلاوي
الناشر سلسلة الدراسة العلمية لثقافة الطفل / مطابع حكومة الكويت
عدد الصفحات ٢٨٤ قطع متوسط
سنة النشر ١٩٨٧

هذا الكتاب إضافة مهمة في مجال تربية الطفل ، قامت بها المؤلفتان في محاولتهما لوضع استراتيجية لتنمية ثقافة الطفل في الخليج العربي وقد تناول الكتاب في جزء منه الاطار النظري لمفهوم الاستراتيجية وأساسياتها ، وضرورة التكامل بين الاستراتيجيات المختلفة في القطاعات المتباينة في المجتمع ، ثم تعرض لمفهوم الاثراء الثقافي للطفل ومراكزه ووسائطه ، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن بناء استراتيجية تنمية ثقافة الطفل العربي ، بدءا من واقع ثقافته الحالي إلى مقومات بناء الاستراتيجية في أهدافها ومبادئها وخططها .

■ ■ ■

الكتاب الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد القيسي
المؤلف محمد القيسي
الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت
عدد الصفحات . ٦٤٣
سنة النشر ١٩٨٧ .

يضم الكتاب الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد القيسي ، بدءا من ديوانه الأول « راية في الريح ١٩٦٨ » ، حتى « منازل في الأفق » الصادر في ١٩٨٥ والقيسي واحد من الأصوات الشعرية الشديدة التمايز في وطننا العربي ، وعلامة جديدة بعد مرحلة رجال الحرس القديم وفرسان الساحة الإعلامية الآن ، وهو شاعر صاحب رؤية وموقف ، وله قاموسه الشعري الخاص به جدا ، وهو شاعر لم يكن الشعر بالنسبة له ترفا أو لعبا بالكلمات ، ولا وظيفة ونجومية ، لكنه كان هما وأداة وحيدة في مواجهة مناخ القسوة والظلام وغياب العدالة .

أربعة

قال عثمان بن عفان وحدت الخير مجموعا في أربعة · التحبب الى الله بالنوافل ، والصبر على أحكام الله ، والرضا بتقدير الله ، والحياء من نظر الله عز وجل

العربي - العدد ٣٦٠ - نوفمبر ١٩٨٨ م

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٦٠
نوفمبر ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٦٠ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ ديسمبر ١٩٨٨

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي

العدد ٣٦٠

١ حـــل افـرست في عـى عـر التعريف ، ترى ماالاسم الدى يطلقه على هـدا الحل سكان المطقـة الواقعـة على الحدود بين نيبال والتبت علما بأن الاسم (افـرست) هـو الـدى أطلقه عليـه الانكليـز ، واشتهـر بـه الجبـل خـارج المنطقة ؟

٢ أى الجبال التالية يحظى بأكبر عدد من المتسلقين سنويا ؟

* جبل فوجى (او فوجياما) في اليابان
* كلمنجارو في تانزانيا
* جبل ماك كنلي في الاسكا

٣ ترى لو قسنا ارتفاع الجبال اعتبارا من مركز الكرة الأرضية - في باطن الارض - فأى جبال العالم يكون أعلاها ؟

* افرست * موناكيا * كمبرازو في الأنديز

٤ تـرى كم عدد الـذين نجحوا في بلوغ قمة جبل افـرست من جمهور المتسلقين الذين حـاولوا بلوغهـا ؟ وكم عدد الذين فشلوا في بلوغها لأنهم ماتـوا اثناء المحاولة ؟

* ١٣٠ متسلقا بلغوا القمة و(٥٠) متسلقا ماتوا
* ٥٠ متسلقا بلغوا القمة و (٥٠

متسلقا ماتوا
* ١٥ متسلقا بلغوا القمة و(٢٥)
متسلقا ماتوا

٥ اى الجبال التالية يمكن أن نسميه جبل الرجال أو الذكور المحظور صعوده على الإناث . ولا يسمح بزيارته للنساء ولا حتى لإناث الحيوان
* جبل آتوش في مقدونيا في اليونان
* جبل اولمبوس قرب اثينا في اليونان
* جبل ارارات في تركيا

٦ من المعروف ان الجبال لاتتكون بين عشية وضحاها . وانها تحتاج الى ملايين السنين لكى تظهر فوق سطح الأرض على أن هذه القاعدة ليست بلا استثناء . فهناك صنف من الجبال لايحتاج لظهوره الى زمن طويل . وقد يتكون فجأة ويظهر بين عشية وضحاها ترى أى صنف هذا ؟
* الجبال البركانية * الجبال الجليدية * الجبال المرجانية

٧ أيها أكبر سنا أو أقدم عهدا الجبال المرتفعة أم الجبال المنخفضة ؟

٨ أى الجبال التالية يمكن أن نسميه جبل المراصد !

* جبل موناكيا في هواى * جبل افرست * جبل الكنيسة

٩ من المسلم به أن حرارة الجو تنخفض في أعالى الجبال عما هى عليه على سفوحها ، ولو كنت من متسلقى الجبال لشعرت بانخفاضها أثناء صعود الجبل ، ترى كم درجة تهبط حرارة الجو بالمتوسط في كل ١٠٠٠ متر من الارتفاع
* درجة مئوية واحدة * ٣ درجات مئوية * ٥ درجات مئوية

١٠ لعلك لاتدرى أن لك أوزانا مختلفة لا وزنا واحداً ، فوزنك على مستوى سطح البحر يختلف عن وزنك على قمة جبل يقع في القطب الجنوبي ، ووزنك في هذين الموقعين يختلف كذلك عن وزنك على قمة جبل آخر يبلغ نفس الارتفاع ، ولكنه يقع على خط الاستواء ، ففى أى هذه المواقع الثلاثة يكون وزنك أكثر وفي أيها يكون أقل ؟

١١ اى الجبلين التاليين اكثر ارتفاعا من الآخر جبل حرمون أم جبل الشيخ ؟

١٢ ماهو أعلى جبل في اوروبا
* الجبل الأبيض في سلسلة جبال الالب
* جبل البرور في جبال القفقاس

حلّ مسابقة العدد ٣٥٧ أغسطس ١٩٨٨

١ إنها جبال أطلس التي تقع في المملكة المغربية والجزائر وتونس ايضا وهي تبلغ من الارتفاع في أعلى قممها ١٣٦٦٤ قدما

٢ الأور ، ولطالما شاهدوه يطير ويحلق على قمم يزيد ارتفاعها على ٨٨٠٠ متر وذلك في الهند وفي بلدة دهراداں على الأخص أما النسور فقد وجدوها متجمدة على ارتفاع ٨٠٠٠ متر على سفوح جبل افرست الجنوبية

٣ تبلغ الجبال الجليدية من الضخامة أكثر مما تبلغه جبال اليابسة وقد بلغت مساحة أضخم جبل جليدي ـ وهو الذى اكتشفوه سنة ١٩٥٦ في جنوب المحيط الهادى ـ (٣١٠٠٠) كم٢ ، أي مايزيد على مساحة بلجيكا

٤ سلسلة جبال همالايا تستأثر بأكثر القمم الشاهقة في العالم ، تلك التي يتجاوز ارتفاعها ٢٤٠٠٠ قدم ، فمن مجموع ١٠٩ قمة في العالم ككل تستأثر جبال همالايا ب ٩٦ قمة ، ولا عجب إن سميت هذه الجبال بهذا الإسم السنسكريتي المكون من لفظين (هِمْ) وتعني الثلوج ، و(لا يا) وتعني موطن ، اذن همالايا موطن الثلوج

٥ يقع جبل افرست على الحدود بين التبت ونيبال . وتجدر الإشارة إلى أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى السير جورج افرست (١٧٩٠ ـ ١٨٦٦) الانكليزي الذي شغل منصب كبير المساحين في الهند

٦ تبلغ أطوال سلاسل الجبال الثلاثة كالتالي ، سلسلة جبال الأنديز ٧٢٠٠كم ، وهي أطول سلاسل الجبال في العالم بلا نزاع ، وسلسلة جبال روكي ٦٠٠٠ كم ، وسلسلة جبال همالايا ٣٨٠٠ كم على أن سلسلة همالايا هذه تتميز بارتفاعها وبكثرة القمم الشاهقة فيها وإن لم تتميز بطولها

٧ تقع قمة آدم في جزيرة سيلان على بعد نحو ٤٥ ميلا من كولمبو ، ويقع جبل آدم في جزر فوكلاند في أقصى جنوب المحيط الهادى ، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل ٢٣١٥ قدما أى أقل من نحو ثلث ارتفاع قمة آدم البالغ ٧٣٦٠ قدما

٨ أول رجل تسلق الجبال في التاريخ رجل فرنسي اسمه « انطوان دى فيل » كان ذلك سنة ١٤٩٢ وبأمر من الملك شارلز الثامن ، أما الجبل الذى تسلقه فكان جبل (ايجويل) الواقع قرب مدينة جرينوبل والبالغ ارتفاعه (٢٠٩٧) مترا

وتجدر الاشارة إلى أن الجبل الأبيض أعلى جبال الالب قد تأخر تسلقه

حتى سنة ١٧٨٦ ، وقد قام بتسلقه عالم الجيولوجيا جاك بالمات والطبيب ميشيل بكارد في ان واحد معا

٩ إنه جبل (ك٢ k 2) الذي قامت البعثة الأمريكية بقياسه في ربيع عام ١٩٨٧ . وسميت بعثة ك٢ نسبة إليه ، ويعرف هذا الجبل باسم آخر هو شوجوري ، وقد سموه سابقا جولدن اوستن يقع في باكستان ويبلغ ارتفاعه الذي جرى قياسه من قبل البعثة بأحدث الأجهزة وبالاعتماد على الأقمار الصناعية ما بين ٢٩٠٦٤ - ٢٩٢٢٨ قدما ، علما بأن ارتفاع افرست لا يزيد على ٢٩٠٢٩ قدما وذلك وفق آخر قياس له سنة ١٩٧٣

١٠ في البلدان الجبلية يزيد عدد المسنين المعمرين على عددهم في سائر البلدان الواقعة على السواحل أو في السهول أو في الوديان

١١ جبل سنجار ، وهو يقع على الحدود بين العراق وسوريا ، ويمتد من الغرب إلى الشرق ، ويبلغ ارتفاع أعلى قممه ١٤٦٠ مترا ، ويسكن هذا الجبل فيمن يسكنه ملة تولي الشيطان مزيدا من احترامها أو تقديسها ، هم لا يطيقون سماع أحد يلعن الشيطان وإذا اتفق وأن سمعوه تشاجروا معه أو ولوا الأدبار

١٢ غناء الأطفال ، ناهيك عن صراخهم قد يتسبب بانهيارات ثلجية هائلة ويعرف السويسريون ذلك حق المعرفة ، من ثم كان حظر الغناء والصراخ على أطفالهم وحرصهم على المحافظة على السكون ما أمكن

الفائزون في مسابقة

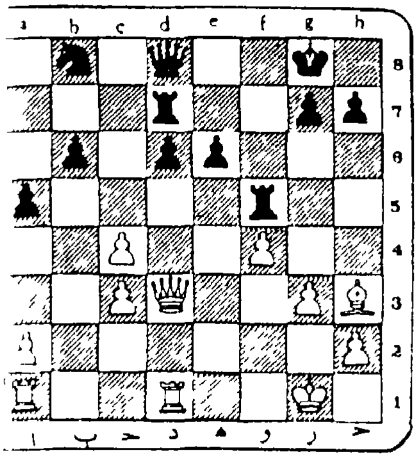
العدد ٣٥٧

أغسطس ١٩٨٨

الجائزة الأولى : المنصف السالمي / القيروان / الجمهورية التونسية .
الجائزة الثانية : مازن أمين / كفر سوسة / دمشق / الجمهورية العربية السورية .
الجائزة الثالثة . محمد قاسم حمودة البنا / المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - آسيا علي سليمان / القاهرة / جمهورية مصر العربية .
٢ - رشا محمد عبدالرحمن مجذوب / الخرطوم / جمهورية السودان الديمقراطية .
٣ - مجد مروان جميل / مدرسة أم حبيبة المتوسطة للبنات / دولة الكويت .
٤ - فتحية عبدالقادر صالح / إربد / المملكة الأردنية الهاشمية .
٥ - أحمد عارف الفاني / بيروت / الجمهورية اللبنانية .
٦ - صالح صبري حمزة / واسط / الجمهورية العراقية .
٧ - أقلوس العربي / حي البطحاء / الدار البيضاء / المملكة المغربية .
٨ - عبدالله خميس سالم العبري / محلة الخطوة / سلطنة عمان .



معركة بلا سلاح



من المباريات الشطرنجية الكبرى التي اقيمت في العام الماضي دورة لينغراد الدولية في الشطرنج والتي امتدت من الثاني والعشرين من شهر مايو إلى السابع من شهر يونيو . وقد أجريت الدورة التي شارك فيها ثلاثة عشر استاذا دوليا كبيرا وفق طريقة الدوري من جولة واحدة . وصنفت الدورة وفق لوائح الاتحاد الدولي للشطرنج في الفئة ١٤ ، مما يجعلها واحدة من أكبر مباريات العام المنصرم وأكثرها إثارة وتشويقا

وقد حفلت هذه الدورة بالمفاجآت غير المتوقعة ، ولعل أغربها فوز اللاعب السوفييتي الكبير رافائيل فاجانيان بالمركز الأول على الرغم من مشاركة العديد من أبطال العالم الذين يتقدمون عليه في هذه الدورة ، ومنهم على سبيل المثال البطلان السوفييتيان اندريه سوكولوف وارتور يوسوبوف اللذان يحتلان المركزين الثالث والرابع بعد بطل العالم الحالي جاري كاساروف وبطل العالم الأسبق أناتولي كاربوف واللذان جاءت نتائجهما في هذه الدورة مخيبة لتوقعات جميع المعلقين والمحللين الحاضرين في المباراة ، إذ جاء أولهما في المرتبة السابعة بعد أن مني بثلاث هزائم متلاحقة ، وجاء ثانيهما الذي لم يحقق سوى انتصار واحد في الجولات الاثنى عشر التي لعبها في المرتبة الثامنة برصيد للأول قدره ست نقاط وللثاني قدره ٥,٥ نقطة فقط

ويعتبر البطل رافائيل فاجانيان الفائز في هذه الدورة من أبرز اللاعبين السوفييت المعاصرين وهو من أصل أرمني ويحتل حاليًا المركز الأول بين اللاعبين الأرمن بعد وفاة بطل العالم الأسبق تيجران بتروسيان (١٩٦٣ - ١٩٦٩) وقد حقق فاجانيان في هذه الدورة أربعة انتصارات وتعادل في ثمان من المباريات فاصبح رصيده ثمان نقاط

والجدير بالذكر أن فاجانيان وكاربوف من مواليد نفس السنة وقد شاركه بطولة العالم للناشئين في عام ١٩٦٩ . واحتل المركز الأول بلا منازع في بطولة هاستنجز البريطانية في عام ١٩٨٣ بعد أن تفوق على أقرب منافسيه بنقطتين ونصف النقطة ، كما أنه احتل المرتبة الأولى كذلك في مباراة بييل بين المناطق عام ١٩٨٥ التي شارك فيها ١٨ من كبار أساتذة العالم الكبار

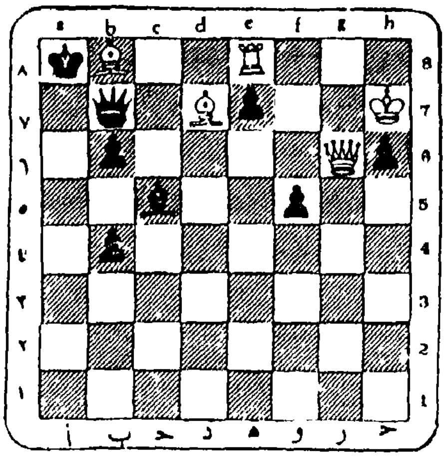
وقد لعب فاجانيان في مطلع عام ١٩٨٦ المباراة نصف النهائية للتأهيل لملاقاة بطل العالم أمام مواطنه اندريه سوكولوف (٢٧ سنة) ومني فيها بأربع هزائم متلاحقة مما يجعل من انتصاره الحالي على سوكولوف ردا لاعتباره بعد تلك الهزيمة النكراء . والدور التالي من الافتتاحية المعروفة باسم « هدجهوج » بينه وبين البطل البريطاني « هوبنر » مثال على أسلوبه الهجومي المتميز

	□ ر فاجانيان	■ ر هوبنر
١	ح - و ٣	ح - و ٦
٢	جـ ٤	جـ ٥

	ر ٣	ب ٦
	ف ـ ر ٢	ف ـ ب ٧

ـعرف القلتان الأخيرتان بـالفيانشيتـو وتهدفـان
ـطرة على الوسط عن بعد

	ت	هـ ٦
	ح ـ حـ ٣	ف ـ هـ ٧
	د ٤	حـ × د ٤
١	و × د ٤	د ٦
٩	ف ـ ر ٥	أ ٦
١٠	ف × و ٦	ف × و ٦
١١	و ـ د ٣	ت
١٢	ر و ـ د ١	ف ـ هـ ٧
١٣	ح ـ ر ٥ ! (بديعة)	ف × ر ٥ (مصطرا)
١٤	ف × ب ٧	ر ـ أ ٧
١٥	ف ـ هـ ٤	و ٥
١٦	ف ـ ر ٢	ر ـ د ٧
١٧	و ٤	ف ـ و ٦
١٨	هـ ٤	ف × ج ٣
١٩	ب × ج ٣	أ ٥ (لماذا ؟)
٢٠	هـ × و ٥	ر × و ٥ (خطأ فاحش)
٢١	ف ـ حـ ٣	يستسلم (أنظر الشكل)



مسألة العدد رقم (٣٦٠) نوفمبر ٨٨

مات (٣)

مهداة من القاريء وانيس يعقوبيان (حلب)

حل مسألة عدد رقم ٣٥٨

سبتمبر ٨٨

١ ح (أ) ـ ب ٦ + م ـ أ٧
٢ ح ـ حـ ٨+ م ـ أ٨
٣ ح (د) ـ ب٦ + م ـ ب٨
٤ ف ـ د٦ + مات

الفـائـزون في حـل مسـابقـة الشطرنج العدد ٣٥٧ (أغسطس ١٩٨٨)

*** الفائزون باشتراك سنة كاملة .**

١ـمحمـد فتحي الشـرقـاوى / شبـين الكوم / ج م ع
٢ـأحمد خالد الحسين / دمشق / سوريا
٣ـعدنان سعيد الجبش / الخالدية / الكويت
٤ـمحمد علي صالح / الأنبار / العراق
٥ـفينانة توفيق العبد / عمان / الاردن

*** الفائزون باشتراك ستة أشهر .**

١ـثامر منير / الشعيبة / الكويت
٢ـفاطمة الكوش / فاس / المغرب
٣ـمحمدعبدالرحمن بن مالك / حضرموت / اليمن الديمقراطية
٤ـرضوان بن جماعة / صفاقس / تونس
٥ـمحمـد صالح حسن قوجقار / جدة / السعودية

حوار القراء

العربي - ص. ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

الموصلات الكهربائية

نشرت « العربي » في العدد ٣٥٣ (ابريل ١٩٨٨) مقالا للدكتور سعود عياش بعنوان « الموصّلات الكهربائية الفائقة تخرج من الصقيع » وقد تسلمنا رسالة من السيد (ايلاف عبدالكريم المصري) ضمّنها نص حديث اذاعي حول نفس الموضوع ، أذيع في اواخر عام ١٩٨٧ من اذاعة المانيا باللغة العربية من كولونيا (المانيا الاتحادية) وطرح السيد المصري الملاحظات التالية في رسالته

(١) أنه بالمقارنة بين الحديث الاذاعي ومقال الدكتور عياش نجد إما تشابها يكاد يكون حرفيا أو تباعدا رهيبا ، مما يحمل على الاعتقاد بأن يكون الدكتور عياش قد قام بالاقتباس من الحديث الاذاعي الألماني

(٢) مدى دقة وصحة المعلومات الواردة في مقالة الدكتور عياش ، وبخاصة فيما يتعلق بتحقق ظاهرة الموصلية الفائقة على درجة ٢٤٠ كلفن (٣٣ درجة تحت الصفر المئوي) ، ويتساءل إن كانت مثل هذه القفزة الكبيرة قد حصلت حقا

(٣) طلب نشر مقال حول العناصر نصف الناقلة (الاسم الشائع في معظم الأدبيات العلمية العربية والمعاجم هو أشباه الموصلات) المستخدمة في صناعة الأجهزة الالكترونية

العربي

نشكركم على رسالتكم وما حوته من مشاعر طيبة ، ونشكر لكم جهودكم في استنساخ نص الحديث الاذاعي المشار اليه وردا على ملاحظاتكم نذكر ما يلي

(١) استلمت « العربي » مقال الدكتور عياش في أكتوبر ١٩٨٧ ، أي قبل شهرين أو أكثر من إذاعة الحديث العلمي في إذاعة المانيا ، وهذا لا يترك مجالا للاعتقاد أو الشك بأن يكون مقال الدكتور عياش قد تضمن مقتبسات من الحديث الاذاعي الذي تشير إليه ومن الواضح أن مقال الدكتور عياش كتب قبل ظهور نتائج جائزة نوبل في الفيرياء لعام ١٩٨٧ التي منحت للباحثين مولر وبدنورز لجهودهما في مجال الموصلية الفائقة ، بينما كتب الحديث الاذاعي عقب الاعلان عن النتائج

(٢) هناك دون شك عدد من الحقائق والمعلومات العلمية والتاريخية المتشابهة قد وردت في مقال الدكتور عياش والحديث الاذاعي ، والأمر هنا لا يتجاوز حد أن الكاتبين قد استعانا بنفس الحقائق والمعلومات . وإذا أتيح لك الاطلاع ...

من المقالات الأخرى المنشورة ذات الطابع التعريفي بهذه الظاهرة العلمية الجديدة فستجد نفس الحقائق والمعلومات تتكرر بصورة أو بأخرى

(٣) أما فيما يتعلق بدقة وصحة المعلومات الخاصة بدرجة الحرارة التي تحققت عندها ظاهرة الموصلية الفائقة فقد ورد في مقال الدكتور عياش « ثم جاء التطور المثير في مارس ١٩٨٧ حين أعلن عن تطوير مادة تحتفظ بظاهرة الموصلية الفائقة حتى درجة ٩٤ كلفن ، ثم توالت أخبار الاكتشافات والتطورات المثيرة ، وجاءت أنباء غير مؤكدة عن تحقيق الظاهرة عند درجة ٢٤٠ كلفن ، أو ٣٣ تحت الصفر المئوي » وعلى الرغم من أن أنباء تحقيق الظاهرة لم تكن قد تحققت إلا أن الأخبار التي توالت فيما بعد تعد أكثر إثارة نحيلك هنا على تقريرين نشرا في نفس الدورية العلمية « سيتمك اميركان » (تصدر المجلة مترجمة للعربية باسم « مجلة العلوم » عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي) . ففي عدد أكتوبر ١٩٨٧ ورد في إحدى المراجعات العلمية في النسخة الانجليزية ما يشير إلى تحقيق بعض سمات الموصلية الفائقة في إحدى المواد المطورة عند ٣٢٥ درجة كلفن أو ٥٢ درجة مئوية فوق الصفر ، وفي فبراير ١٩٨٨ ورد في نفس المجلة أن بعض سمات الموصلية الفائقة قد اكتشفت في إحدى المواد عند ٥٠٠ درجة كلفن ، أو ٢٢٧ درجة مئوية

(٤) نأمل أن نتمكن من تحقيق رغبتك في نشر مقال حول أشباه الموصلات في أحد الأعداد القادمة

■■■

لماذا احتل نابليون مصر؟

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

في العدد / ٣٥٣ / ابريل ١٩٨٨ من مجلة العربي

نفى الدكتور سعد مصلوح عند نقده كتاب « رسالة في الطريق الى ثقافتنا » للعلامة محمود محمد شاكر أن يكون لغزو نابليون لمصر أي علاقة بالكنيسة والصليبيين ، ورده إلى الصراع الدنيوى الجشع ،

يقول الدكتور مصلوح ص ٤٦ : « ويستبين من ذلك أن نابليون لم يكن رسول الكنيسة والصليبيين إلى مصر بالأصالة ، ولكنه الصراع الدنيوي الجشع ، وأحلام التسلط والغزو ، وغطرسة المستعمر وغروره »

ومعلوم أن نابليون بعد احتلاله مصر زحف إلى فلسطين لغزوها أيضا ، وحاصر

حوار القراء

مدينة عكا شهرين كاملين ، لكنه فشل في تحطيم أسوارها المنيعة ، ورد على ا
ينفض غبار الذل والانكسار عن جبينه

وهذه الحقيقة - مع أهميتها - أهملها الدكتور مصلوح ، ولم يلتفت اليها
ولعل السبب في تركها ظنّه بأن احتلال مصر ومحاولة احتلال فلسطين أمران لا
لأحدهما بالآخر ومهما يكن السبب فإني أعتقد أن محاولة احتلال نابليون لفل
جزء من مؤامرة خطيرة حيكت خيوطها في فرنسا بين نابليون واليهود

ولن نلقي القول جزافا بغير دليل ، بل سأنقل نصّ وعد نابليون لليهود لد
ألقاه في أثناء حصاره لمدينة عكا ، ولعله يؤيد ما نقول ، وهذا هو نص الوعد
العناية الإلهية أرسلتني الى هنا على رأس جيشي هذا ، وقد جعلت هذه العناية لأ
نشر العدل وتحقيقه مطلبي ، وتكفلت بظفري المستمر ، وجعلت من القدس مقر
العام وبعد قليل سوف تجعل مقري في دمشق ، وسوف أكون جارا لبلد داود

يتبين لنا من هذا الوعد أنّ نابليون لم يأت إلى مصر لجشع وطمع دنيوي
الدكتور مصلوح ، إنما جاء - لونجح - ليجعل مقرّه في دمشق ، وليكون مجاور
داود ، ومعيدا لمجد أجدادهم الذين كانت محالفتهم تشرف أسرطة وروما !!
لكن العناية الالهية ردته خائبا ، وجعلت حلمه هشيما تذروه الرياح

أحمد محمد القاص
معهد الفتح الاسلا
دمشق - سو

■ ■ ■

استطلاعات عربية

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

لولا ما ألمسه من رحابة صدر المجلة أمام ما يوجه اليها من ملاحظات فنية و
فنية لما بعثت بهذه السطور ، فأنا واحد من قرائكم ، أعشق هذه المجلة وأتابع
بشغف ، ومن هذا المنطلق آمل تقبل اقتراحي أو تصويب وجهة نظري فيه ،
أتابع العربي منذ ثلاث سنوات ، واستطلاعات المجلة معظمها محلية وعالمية ، وقليلا
بالمدن العربية وعاداتها ، والأماكن الأثرية بها،ومعرفة القراء بالتطورات فيها

القارىء رابح كمال حم
دمياط - جمهورية مصر العر

العربي

- نشكرك على رسالتك ، ونود أن نطمئنك بأن المجلة حريصة جدا على أن يتضمن
عدد منها استطلاعا ينقل للقارىء الصورة الحقيقية عن قطر عربي شقيق والتنوع
الاستطلاعات أيضا مهم حتى يعطي الجميع على اختلاف أذواقهم ومشاربهم نفس
يحبون على الأقل

"العربي" في العراق

وصلت للمجلة رسالة لطيفة من القارىء الدكتور فاضل حسن أحمد من قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة بجامعة صلاح الدين بأربيل بالجمهورية العراقية، يتساءل عن سر احتفاء مجلة «العربي» بسرعة من المكتبات في أنحاء القطر، ولكونها مجلته الأولى المفضلة يطالب بزيادة كمية المرسل منها إلى العراق. ونود الافادة بأن المجلة ستعود إلى ما كانت عليه وبالكمية التي تكفي لتكون بين يدي الجميع إن شاء الله في أقرب فرصة ممكنة. وهذا وعد من المجلة.

***

أعداد زائدة من "العربي" للأهداء

القاريء زين السيد علي الرفاعي من محافظة الدقهلية - مركز دكرنس - ميت محاهد بجمهورية مصر العربية، لديه مجموعة من أعداد العربي زائدة عن حاجته، ويرغب في إهدائها لمن تنقصه هذه الأعداد، وهي ١٥٢، ١٥٨، ١٦٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٣١٠، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٥

ويمكن لمن يود الحصول على عدد منها أو أكثر مراسلة القاريء على عنوانه مباشرة. وشكرا للقاريء زين السيد علي الرفاعي.

***

اقتراحات

* القاريء محمد خفاجي - الوحه القبلي - محافظة قنا - ورشوط - جمهورية مصر العربية. **يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن محافظات صعيد مصر؛ مثل محافظة قنا، وأسوان، وسوهاج.**

* القاريء عبدالحكم الجوبي من صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية،

يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع مصور عن الجمهورية العربية اليمنية لتعريف القراء على النهضة الشاملة التي تشهدها اليمن في جميع المجالات، وأن يتم تناول شخصية، (محمد محمود الزبيدي) في باب (تاريخ وتراث وأشخاص) بصفته ثائرا عربيا قضى حياته في النضال والجهاد.

* القاريء شاكر العمار - جامعة دمشق - سوريا

يقترح فتح باب يسمح للقراء بطرح الأسئلة العلمية في المجلة في مختلف العلوم كالطب والعلوم والأدب وغير ذلك.

***

"العربي" في أفريقيا

إن مما يميز استطلاعات «العربي» اظهارها الوجه الآخر للمنطقة المعنية وإنصافها، والكشف عن جمالها المدفون. وقد حدثني صديق فقال: إنه لم يكن يعلم عن كينيا شيئا سوى نيروبي ووحيد القرن، حتى قرأ عنها في «العربي». فقلت له: صبرا وسوف يأتي المزيد عن قارة أفريقيا السوداء. إن شاء الله.

القاريء. محمد ثاني عبدالكريم

الرياض - المملكة العربية السعودية

حوار القراء

ردود قصيرة

تصلنا بين فترة وأخرى رسائل من القراء الأعزاء ، يطلبون تزويدهم ... البريد التي تصل المجلة ، ومنهم القارىء هشام علي الطوحي من محافظة كفر ... جمهورية مصر العربية ، والقارىء الرايس عبدالرزاق من القنيطرة ـ بالمملكة ... ونحن نأسف لعدم تمكننا من تلبية رغبتهم نظرا للصعوبات الفنية في ذل...

* القارىء يسار علي شعبان ـ وادي العيون ـ حماة ـ سوريا ، يطلب من المجلة ... عن ظاهرة الأطباق الطائرة أو الأجسام الطائرة المجهولة الهوية

* القارىء أمين سلمان ـ بيروت ـ لبنان ـ يحمد الله أنه منذ بداية صدور « العربي » ... مستمر على قراءتها ، وأنه لاحظ تطور المجلة في الأعداد الأخيرة من حيث ... والأبواب الثابتة وغير الثابتة . لكم جزيل الشكر

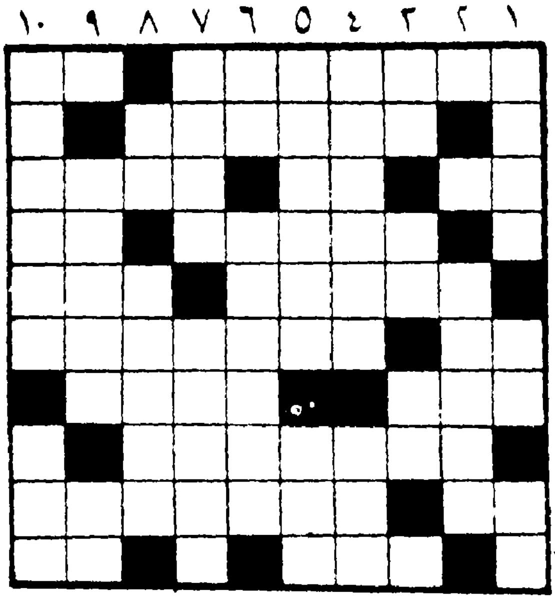
* القارىء عامر أبو زيد ـ الخرطوم ـ السودان . يشكو من قلة الأعداد التي تصل ... السودان ، وأن السعر الذي تباع به غير السعر الموجود على المجلة . ونحن نقول ... نعمل الآن على زيادة كمية نسخ « العربي » التي ترسل إلى السودان ، أما ... الرسمي فهو الموجود على المجلة

نشكر القارئة عشرة سلطان محمد ـ شبرا ـ القاهرة ـ على اقتراحها ... للإفادة بأننا نعمل به . ولكن في بعض الأحيان يتحتم نشر مثل هذه الـ ...

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة

والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم



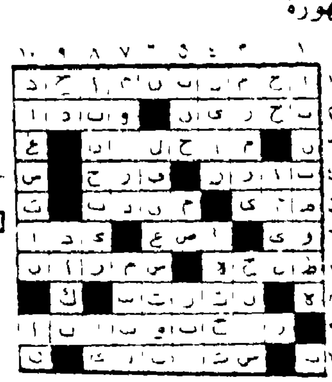
كلمات أفقية

١ من أئمة النحو واللغة . مسّ باليد
٢ عار نادر خفيف تمج به المناطيد
٣ ثني . كلمة تحدث صوتا انفجاريا . حيوان لبون تتخذ من جلده الفراء
٤ مخفيات . ثار وهاج
٥ نقلة مزدوجة لإبعاد الملك عن الأخطار في لعبة الشطرنج . جاهل بالقراءة والكتابة
٦ قائد قرطاجي جتاز جبال الألب
٧ شجر يكثر قرب الماء . أمة في صيغة الجمع
٨ النور والضياء
٩ تاه . الخيل تتصاعد منه الحمم
١٠ ملح يستخدم في الصباغ . الاسم الأول لأديبة لبنانية مشهورة

كلمات رأسية

١ أندي أو خالد . نجدها في شارع . جمع
٢ صورة مصورة تصنع بشبيها لخلق الله
٣ كهل منقوصة،صرع أو قلب . حرفان متشابهان
٤ أعلم النحويين وامام مذهب البصرة . حرف تفتح به الابجدية مكرر
٥ قبائل من الهنود الحمر استوطنت أمريكا الوسطى . يدخل
٦ أعيي . وصف للتيار الكهربائي غير المتصل
٧ يتأكد . يجادل ويبارع
٨ من نعم الله التي كفر بها بنو اسرائيل . أعلن موافقتي وتأييدي
٩ رعاع الناس . صلّى بالناس إماما
١٠ ماء عذب . من الألوان الداكنة

● حل مسابقة العدد الماضي - اكتوبر ١٩٨٨ م



عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة كو

نوفمبر ١٩٨٨ م

مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام

تأليف

د. أحمد سليم السعيدان

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٣١

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكوي

ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ – ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٨

العربي



طه حسين في ميزان النقد



• المرأة ال... •

• جورجيا السوفيتية .. الولاء قديم!

• ما بعد مصرع مأمور البداري!


لاتزال هذه الساعة محفوظة في متحف ساعات رولكس
في جنيف وهي تعرف باسم "هلال كامل من اللآلئ"
وهي من عصر النهضة.
الحركة من و. ج. انجون - لندن والزخرفة من جنيف
وهذه واحدة من مجموعة هانز ويلزدورف
مؤسس شركة ساعات رولكس
رولكس
والوَقت من ذهَب.
ساعة رولكس داي ديت ذاتية الملء
من الذهب عيار ١٨ قيراطا
مَع سوار بشكل لحائي
ساعة رولكس ديت جس
ذاتية الملء متوسطة الحج
من الذهب عيار ١٨ قي
ROLEX
رولكس

العدد ٣٦١ السنة الحادية والثلاثون ديسمبر ١٩٨٨

العربي

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمّد الرميحي

عنوان المجلة
ص.ب : ٧٤٨ ـ الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ ـ ٢٤٦٨٢٤٢ ـ ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MITR.44041KT
تلفون فكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI
Issue No. 361 Dec. 1988. P.O. Box. 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات ـ المكتب الفني
وزارة الإعلام ـ ص.ب : ١٩٣ ـ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشا	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

[illegible]

طب وعلوم :



جورجيا السوفيتية .. الولاء قديم ... ص٦٨



منتدى العربي :



وجها لوجه
د. رمزي زكي
ص ٩٧

المجلة
غير ملزمة
بإعادة أي مادة
تتلقاها للنشر
والوزارة
غير مسؤولة
عما ينشر
فيها من آراء



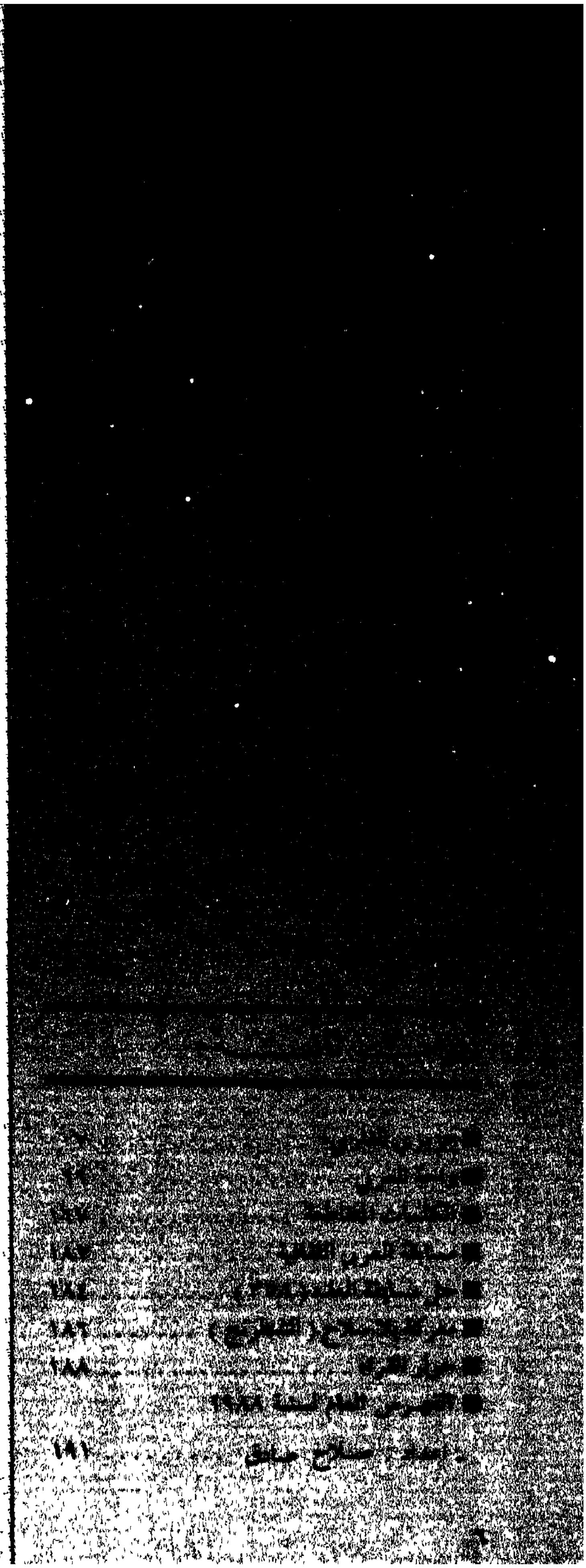
صورة الغلاف

المرأة الطوارقية بالجزائر تتمتع عن غيرها بمكانة متميزة داخل قبيلة الطوارق وفا حقوقها التي تحسدها عليها اكثر المجتمعات تقدما .

[طالع التفاصيل ص ١٥٠]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



[illegible]

عزيزي القارئ

إن الخلفية الحضارية التي أرساها العرب والمسلمون من قبل لا يمكن إلا أن تنتج ثماراً يانعة هكذا نفهم حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للأدب في هذا العام ، ومنح الجائزة مهما قيل فيه ، ومهما كانت دوافعه ، فإن ذلك لا يمنع من القول بأن محفوظ وأدبه قيمة وقمة أدبية وفكرية عالية المستوى

ويمكن الاشارة أيضاً ، ما دمنا في صدد ايراد إشارات التفات الغرب لآدابنا وفنوننا ، إلى حصول المبدع العربي المغربي الطاهر بن جلون على جائزة « الغونكور » الفرنسية ، في مطلع هذا العام وهي جائزة رفيعة ، نالها عن روايته الأخيرة « الليلة العظيمة »، وقد ترجمت للعربية باسم « ليلة القدر ».

كما أن منح السيدة فيروز ، صاحبة الصوت الذهبي ، وسام الاستحقاق الفرنسي من قبل وزير الثقافة الفرنسي ، ما هو إلا اعتراف أيضاً بقيمة وجمال ما تؤديه هذه السيدة التي لم تتورع عن الرد بلغة عربية بسيطة شاكرة ما أسبغ عليها الوزير الفرنسي من تقريظ

إن الأسماء السابقة ، ولنقل القمم ، ليست إلا نماذج لما هو متوافر في حياتنا الابداعية ، وفي كل مجال ونشاط في حياتنا يمكن الاشارة الى عشرات الأسماء المبدعة الخلاقة التي تصل الى المستوى العالمي ، دون ادعاء أو غرور وقد كانت « العربي » من الواثقين بقيمة أدبنا المعاصر ، فقد نوهت في حديث نشر في مايو من العام الماضي عن ترشيح نجيب محفوظ لجائزة نوبل

ومن محاسن الصدف أن يأتي هذا الفرح الثقافي العربي في وقت تدخل فيه مجلة « العربي » عامها الثاني والثلاثين ، حاملة جهداً ثقافيا واضحاً على أكتافها لخدمة هذه الأمة

ومن بين ما قامت به « العربي » على سبيل المثال وليس الحصر ، تلك الزيارات والاستطلاعات الفريدة من نوعها ، والتي وصلت إلى مناطق في العالم بعيدة وجديدة ، لم تصل إليها أي مطبوعة عربية من قبل

وفي رسالة وصلتنا من مُتابع في الولايات المتحدة الامريكية ذكر فيها أنه يغبط « العربي » على وصولها الى سيبيريا ، لأن مطبوعة أخرى تصدر منذ مائة عام ، وهي « المجلة القومية الجغرافية » الامريكية ، لم تستطع الوصول إلى تلك المنطقة ذلك مثال ، وهناك مثال آخر تجسد بصدور كتاب في دولة الإمارات العربية المتحدة ، احتوى على ما نشرته « العربي » من استطلاعات عن ذلك القطر العربي ، فجاء الكتاب وثيقة تاريخية إنسانية

وفي موسكو ، فإن وكالة نوفوستي للصحافة تعد كتاباً يحتوي على ما نشرته « العربي » من استطلاعات عن الاتحاد السوفيتي في السنوات الأخيرة

كما تشارك « العربي » في معارض للصور كثيرة ، تعرض فيها ما التقطه مصوروها من صور ولقطات فريدة ، ومن المعلوم أن « العربي » تصدر مجلة متخصصة للاطفال ، هي مجلة « العربي الصغير » الشهرية التي يقرؤها الآن حوالي مائة ألف طفل ، وتصدر أيضا كتاباً فصلياً يتلقاه المثقفون العرب في كل أقطارهم بحفاوة وترحاب كل ذلك جهد ثقافي تقدمه الكويت لخدمة الثقافة العربية وهو جهد غير ممنون ؟!

هذا بعض ما أحببنا لفت نظرك اليه ـ عزيزي القارىء ـ وهمنا دائماً وأبدا نشر ثقافتنا وتأصيلها وكل عام والمبدعون العرب وأنت عزيزي القارىء بخير ، وأمتنا بخير □

« المحرر »

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

عن الحُبّ والحَرام يسألون !

لو سألك سائل : ما هي أهم المبتكرات الصحفية في القرن العشرين ؟ لربما أجبت بسلسلة طويلة أو قصيرة عن أهم تلك المبتكرات التي تراها والتي قد تبدأ بالتقنية الطباعية الفائقة ، وتنتهي ربما بسرعة التوزيع والوصول الى القاريء . إلا أن السؤال نفسه سوف أجيب عنه بالآتي :

إن أهم مبتكرات الصحافة في القرن العشرين هو عمود المشاكل ، أو صفحة اسألوني أو مشكلتك لها حل ، أو قلوب حائرة ، ومهما اختلفت تسمية ذاك العمود أو تلك الصفحة فإن هدفها واحد وهو الاجابة عن مشكلات القراء .

تلك أهم مبتكرات الصحافة في القرن العشرين في نظري ، وهي كذلك أهم ما يقرأ في الصحف من الغالبية العظمى من القراء ، ذاك البا

كون من عشرات الاسئلة الصادرة إما من قلوب حزينة ، أو عقول ائرة ، أو ضمائر بدأت تصحو .

هذه الرسائل توجه يوميا الى محرري تلك الزوايا لشرح مشكلات خاصة أو أسرية ، ثم يطلب كاتبها المعونة والارشاد ، هؤلاء المحررون في مقابل أناس غرباء تماماً عن مرسلي تلك الرسائل ، ومع ذلك يكتب لهم المرسل أدق خصوصياته ، وتصل هذه الرسائل تباعاً بأسماء وعناوين واضحة أو مستعارة أو مغفلة ، ولكنها تستمر في الوصول ، لأن مثل هذا الباب شعبي وقراءه كثيرون ، لذلك يحرص كثيرٌ من الصحف والمجلات على وجوده في صفحاتها من أجل زيادة التوزيع تحقيقاً للقانون الاجتماعي العام الصحيح حتى الآن ، وهو أن الناس تحب أن تطلع على مشاكل غيرها ، هكذا يقول لك الناشر في معظم الأوقات .

ولكن هذه النصائح التي تطلب بإلحاح ، تكشف لمن يأخذها مأخذ الجد ، عن مشكلات أخلاقية وقيمية ونفسية يعيشها المجتمع ، وهي بالغة الأهمية لذلك الانسان الذي تجشم عناء الكتابة لشخص غريب عنه .

لمـاذا يتجشـم الإنسـان عنـاء الكتابة إلى الغرباء؟

كشف الأسرار الشخصية للغرباء :

ربما اعتقد بعضٌ أن مشكلات القراء في صحيفة أو مجلة هي لزيادة التوزيع ، واعتقد آخرون أنها ربما للتسلية وإضاعة الوقت ، أو لاثارة الابتسام أو الضحك ، وربما اعتقد بعضٌ أنها مشكلاتٌ تافهة ، ولكنها في الحقيقة تقول مالا يمكن قوله ، وتكشف مالا يحبذ كشفه ، وعند تجميعها وتحليلها يمكن أن تكشف لنا الواقع النفسي والعاطفي لآلاف من البشر يشاركوننا المجتمع نفسه ، نعيش متجاورين معهم أو نعمل معهم تحت سقف واحد ، بل قد يكون بعضهم أحد أفراد عائلتنا القريبين !

حين يشرع أناس في كشف أسرار حياتهم الشخصية ـ مهما كانت محدودة ـ لآخرين لا يعرفونهم ، فإن ذلك يعني أن هؤلاء الناس لم يجدوا من يلجأون اليه ويحفظ سرهم في محيطهم الأقرب كالعائلة والأقارب والاصدقاء أو الأساتذة ، فتضع بنت الثامنة عشرة مشكلتها على ورق وفي رسالة غفل من التوقيع ، ثم يتولى ساعي البريد توصيلها ، وبعده يشرع مسئول صفحة المشكلات في تقديم حلول لمشكلات تعانيها .

لقد قلت : فتاة في الثامنة عشرة ، وأضيف : وقد تكون سيدة في



رسائل القراء نافذة للإطلال على مشكلات المجتمع

الأربعين أو فتى يافعا أو رجلا عجوزا ، لا فرق بين كبير وصغير ، ع
الثقافة أو متدنيها .

قد يقول بعض إنّ جزءاً من هذه المشاكل التي نقرؤها في الصحـ
قصصٌ قد اخترعها الكاتب المشرف على تلك الصفحة ودبجها بطريقته
وقد لا يستطيع أحد أن ينكر هذا الاحتمال ، ولكن بعد أن قلنا ذاك نرى
الدراسات العلمية التي تمت على مثل هذا النوع من الرسائل والزو
الصحفية في الغرب تثبت لنا بما لا يتطرق إليه الشك أن الناس يكتبو
مشاكلهم للغرباء انطلاقاً من احتياجهم الحقيقي لسماع رأي ونصيحة
المشكلة التي يواجهونها . واحد من الكتاب الغربيين المعروفين الذ
تخصص في الرد عن مثل تلك الرسائل سنوات طويلة أحصى اثنتى عشـ
ألف رسالة في المتوسط ترد للمجلة الاسبوعية التي يعمل بها .

وعندما نحول أنظارنا الى الوطن العربي نجد أن هناك أسماء محترمة
سمعة راسخة ، تتناول الرد عن مثل تلك الرسائل ، وهذا يكفي لكي يبعـ
الشك الذي يساورنا بأن معظم أمثال هؤلاء الكتاب لن يلجأوا إلى مثل هـ
الحيلة لكتابة قضايا مزورة . ودليل آخر يجعلنا شبه متأكدين من صحة تلك
الرسائل ، وهو ذاك التنوع الكبير في المشكلات المعروضة ، الذي يفوق
حقيقته المرة أكثر الخيالات جموحاً وتطرفاً .

تحليل مثل هذه الرسائل وتنميطها ودراستها دراسة عميقة
مستفيضة ، يمكن أن يظهر لنا أزمة القيم العربية المعاصرة ، ويبين ما هو عـ
السطح وما هو مختف خلف الجدران العالية . ويمكن أن يظهر لنا أيـ
إشكالية العلاقات الاجتماعية وتطورها بين جيل وآخر ، وبين منطقة عر
وأخرى . ولكن معظم الناس يكتبون إلى محرري تلك الصفحات
الدرجة الأولى عن الحب والجنس ، وفي الدرجة الثانية عن الصحة ،
تأتي مشكلات التكيف ومشكلات الوظيفة والزملاء في العمل ، الى آ
الهموم المتنوعة تنوع الحياة الاجتماعية نفسها .

أصوات تشق السكون :

تعالوا نقرأ بعض العينات المنشورة باختصار :

« أنا كما يراني الناس في الخارج فتاة عادية في التاسعة عشرة
مرحة ، منطلقة ، أحببت منذ ثلاث سنوات وكان حباً أكبر من عمري
كان هو في الثلاثين . وقد علمني كل شيء ، كنت كتاباً مقفلا موضوعاً ع

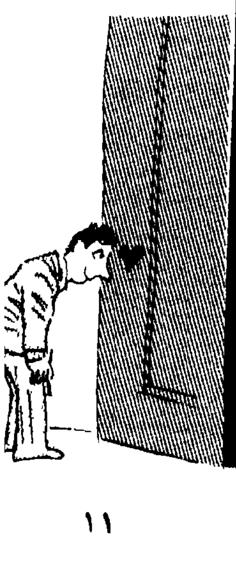


الرف فجاء هو وفتحه وقرأ كل سطر فيه . . كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا ، ولكنه في آخر لحظة هجرني الى غير رجعة وقال : إنه لا يستطيع أن يعصى والدته ، فقد اختارت له ابنة أختها اليتيمة وخطبتها له . . المشكلة أنني حامل . . » !!

ونقرأ :

« أنا شاب في الثالثة والعشرين ، تبدأ مشكلتي بعد حصولي على الثانوية العامة ، كان أملي أن أدخل كلية علمية ولكن درجاتي ألقت بي إلى إحدى الكليات النظرية بعيداً عن مدينتي ، فانتقلت إلى المدينة الجديدة وشاركني في سكني زميل من بلدي .

وفي الاسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلي يدخل البيت ومعه مجموعة من الشباب الذين لا أعرفهم وبعد فترة بدءوا يتعاطون المشروبات ويدخنون المحرمات . وتشاجرت معه . حاولت أن أطرد أصدقاءه فلم أوفق ، فغضبت ، وأغلقت باب حجرتي علي ، وجلست أغلي من الغيظ . ثم مرت ساعة وبدأت أسمع الاصوات المنبعثة من حجرته ، وقمت بعد ذلك وأنا أتصبب عرقاً وطرقت الباب ثم دخلت وطالبت بنصيبي . ومنذ ذلك اليوم تغيرت حياتي » .



ونقرأ :

« نحن عائلة تتكون من اثنى عشر فرداً ، وحالتنا المادية جيدة . وقد تزوجت ثلاث أخوات وأخ ، وانفصلوا عنا . كنا نحيا حياة سعيدة ، ولكن



القدر حرمنا من هذه السعادة ، فقد تغير والدي فجأة ، وتزوج أخرى ، ووالدتي قد عاشت معه عِشرة دامت خمسا وعشرين عاماً ، تحملت خلالها كثيراً من العذاب ومشقة الفقر ، وبعد أن كون الثروة ذهب فتزوج فتاة في سن أصغر بناته ، وأصبح والدي يقضي معظم أوقاته مع زوجته الجديدة . وهناك شيء أخطر من هذا هو أن زوجة والدي قد انجبت طفلة في الوقت الذي شارف هو على الخامسة والستين ، وصحته كما علمت من والدتي لا تسمح بالانجاب . فهل نعد هذه البنت طفلة شرعية لوالدي ؟ وهل يمكن للطب أن ينجح ليساعد رجلا مثله في استعادة قدرته ، بعد كل هذه السنوات ، أم أن ما حدث كان بدافع الطمع في المال » ؟! .

ونقرأ :

« نحن أسرة متوسطة الحال ، الأب يعمل ، ونحن ندرس ، والأخ الأكبر في المرحلة الجامعية ، محبوب من كل الاسرة ، فهو صاحب عقل راجح وتفكير سليم ، يهتم بكل أفراد الأسرة . وذات يوم انفردت بي والدتي ، وأعلمتني بأمر نزل كالصاعقة علي ، كانت أمي تتكلم والدمع ينهمر من عينيها ، ذلك أن أخي الأكبر بدأ يتصرف بشكل شاذ غريب ، فقد بدأ يضايق شقيقاته ، وعندما يختلي بإحداهن يضمها أو يدعها تنوء تحت وطأة جسمه ، متحججاً بأنه يمازحها . .أمي واخواتي ساورهن الشك في تصرفاته . أمي تريد أن تخبر والدي ، لكنها في عذاب دائم ، فإن صدق والدي طرده من المنزل ، وان لم يصدق قد يتمادى . أرجو منك أن تأتيني بالحل . . » .

ونقرأ . .

« أنا شاب في الثامنة عشرة من عمري ، أعيش مع أخوين وأخت مع والدنا ووالدتنا عيشة سعيدة ، يخدمنا مجموعة كبيرة من الخدم في البيت . ذات مرة في عطلة نهاية الاسبوع حضرت مبكراً من رحلة مع أصدقائي ، وكان المنزل خالياً الا من بعض الخدم ، ودخلت الحمام لأغتسل قبل أن تحضر العائلة ، ودخلت الخادمة علي في الحمام ، ولم أتمالك نفسي أمام اغرائها ، فقمت بارتكاب فعل خاطيء غير متعمد ، أصبح بعد ذلك متعمدا ومخططا له . . »

في عرض المشكلات تبدو القضايا الاجتماعية عالمية الصدى

تلك عينة لبعض القصص المنتقاة والمختصرة أيضا ، المنشورة متناثرة في صحفنا ومجلاتنا العربية ، ومن قراءتي مجموعة أخرى من هذه المواضيع التي نشرت في كتب كثيرة متوافرة في مكتباتنا أجد أن القضايا الاجتماعية

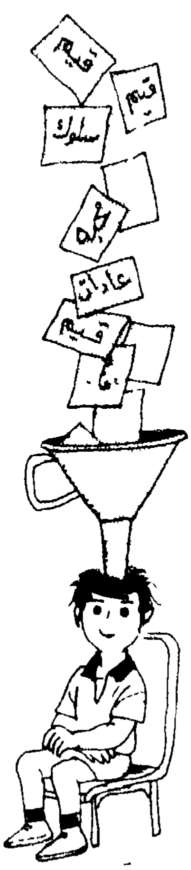
التواصل الاجتماعي في الوطن العربي جزر منعزلة تحتاج الى جسور

التي تتكرر كثيراً في مثل هذه الشكاوى شديدة الصدى ، منها على سبيل المثال لا الحصر الاغتصاب ، وبخاصة الاغتصاب المصاحب لأوضاع اجتماعية لايطالها القانون ، كصغر سن المغتصبة ، وعلاقات القربى بين المجني عليها والجاني ، والظروف التي يتم فيها هذا الفعل الشائن في الغالب هو خوف المعتدى عليها من البوح بما حدث . وهناك المشكلات التقليدية ، كزوج الأم المتسلط ، وفي بعض الأحيان الخارج عن كل سلوك بشري سوي ، أو زوجة الأب المتسلطة ، وهناك وجود الخدم في الأسرة ، والمشكلات السلوكية الناتجة عن ذلك ، خاصة في بعض المجتمعات العربية الميسورة اقتصادياً ، ثم مشكلات الزواج من خارج البيئة أو المجتمع ، كأن يتزوج شخص أجنبية ، أو تتزوج فتاة عربية أجنبيا .

ليست المشكلات الاجتماعية والسلوكية بحد ذاتها جديدة ، فهي قديمة قدم قصة امرأة العزيز مع سيدنا يوسف ، الا أن انتشارها في الصحف والمجلات هو الجديد .

فأمام رغبة الافراد للتحكم في حياتهم والسعي للاستغلال في عالم استطاع بالصدفة أو بالتهديد أو بالجهل ، حرمانهم من ذلك الاستقلال ، تظهر المشاكل الاجتماعية التي لا يطالها القانون بوضع الحلول لها ، ولا توجد في المجتمع ميكانيكية واضحة ومعترف بها لحل مثل هذه المشاكل ، فيلجأ من يقع فيها للكتابة الى الغرباء ، ليس لايجاد حلول تنقذهم من مشكلاتهم ، وإنما قد يكون فقط لفض مكنون القلب ، والتعبير عن مشاعر حبيسة مخنوقة تحت الضلوع .

الشكوى العامة من نقص العدل الاجتماعي :



في عالم النشر العربي هناك كتابات كثيرة ، جمع مؤلفوها ما وصل اليهم من رسائل وردودهم عنها في كتب ، وقد نشرت هذه الكتب أكثر من مرة ، وأعتقد أنه بسبب الاقبال الشعبي على هذا النوع من القراءة نشرت هذه الكتب المرة تلو الأخرى ، حيث تجد من يشتريها في سوق القراء . لقد وقعت في يدي مثل هذه الكتب التي سجل عليها الطبعة الخامسة ، بل السابعة ، وهذا دليل ، إن صح ما كتبه الناشر ، على ذلك الدافع الخفي للاطلاع على مشاكل الآخرين ورواج مثل هذه الكتب بين فئة كبيرة من القراء ، وأحسب أن معظمهم من المراهقين .

ماذا وراء الشكاوى التي يرسلها الناس إلى ضريح الإمام الشافعي؟

لا يتسع المجال لذكر كل الكُتب ، والكُتاب الذين تناولوا هذا الموضوع ، ولكن هناك كاتبين عربيين لكتابيهما في هذا الموضوع دلالة خاصة ، أحدهما هو الدكتور سيد عويس من مصر أمد الله في عمره ، وثانيهما هو المرحوم عبد الله النوري ، وهو شيخ علم جليل من الكويت ، انتقل إلى رحمة الله .

الدكتور سيد عويس أصدر كتاباً في منتصف الستينيات (١٩٦٥)* وكان من المفترض أن يكون لهذا الكتاب صدى عظيم في دراستنا الاجتماعية العربية ، ولكن مع الأسف لم يحظ بذلك ، ففي مرحلة التحول الاجتماعي في مصر أصدر استاذ الاجتماع هذا دراسته الواقعية عن بعض ملامح المجتمع المصري ، وهو تحليل اجتماعي لظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الامام الشافعي في القاهرة عن طريق البريد ، ولقد سعى الكاتب إلى الحصول على تلك الرسائل التي يحملها سعاة البريد من كل مكان في مصر إلى ضريح الامام في القاهرة . وعلى الرغم من أن بعضها قد عثت بها الأيدي ـ كما جرب هو نفسه ـ الا أنه من خلال ما حصل عليه من تلك الرسائل وبعد تحليلها ، وجد أن هناك العشرات من الناس يشكون الى الامام الشافعي مما ألم بهم من مكروه في حياتهم اليومية ، ومما يواجهونه من عنت وظلم ، بل ويطلبون من الامام الشافعي قضاء بعض حاجاتهم التي استحال قضاؤ ها بالطرق التي يعرفونها .

لقد كان قصد الكاتب من دراسته كشف مصادر جديدة من الجرائم غير المنظورة أي أن هناك جرائم لا يستطيع المجني عليه أن يشكو فيها الجاني لسبب قهر السلطة ، أو المكانة الاجتماعية للفاعل ، أو الخوف ، أو الاعتقاد بعدم الحزم من جانب المسئولين ، فيلجأ الى الورقة والقلم ويشكو ذوي المكانة العالية أو ابناءهم أو ذويهم . ونقرأ هذا المثال على هذا النوع من الشكوى : « اعتدى علي (فلان) ، وهددني بالضرب ، فأنا أزرع فدانين من الأرض ، وقد فرض علي أتاوة مع رجاله ، ويوجه بعض الناس كي يسرقوا غلة الأرض ، ويأخذوا كفايتهم منها في الحرام ، ويدعون أنهم من عائلات كبيرة . . »

لقد حلل الكاتب مائة وستة وثلاثين خطاباً وصلت إلى ضريح الامام الشافعي يشكو فيها أصحابها من قضايا شخصية ، أو حاجة لا يستطيعون

* من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الإمام الشافعي ـ القاهرة ـ دار مطابع الشعب ١٩٦٥



دفع ضررها إلا من خلال الكتابة ، بل إن بعضهم قد طلب في هذه الرسائل مسح « اسرائيل » من الوجود ! كما قدم بعضهم طلبات شخصية يريدها أن تتحقق .

أما الشيخ عبد الله النوري فقد جمع ما جاءه من رسائل في* عدة كتب ، يطلب مرسلوها النصح والارشاد ، ليس فقط في المسائل الأسرية ، ولكن في المسائل الفقهية أيضاً . وفي الوقت الذي يعترف فيه الشيخ المرحوم النوري بأن بعض الرسائل (ربما لا أساس لها لأنها مختلقة) لا يساور أحد الشك بأن هذه الرسائل حتى لو كانت مختلقة قد وصلت إلى الكاتب ، وأن بعض مرسليها قد طلبوا الاجابات الشخصية المباشرة في البريد لمشاكلهم ، لذلك فإن المادة التي بين أيدينا في كتب الشيخ النوري مادة حقيقية ، لا يتطرق إليها الاختلاق من جانب مؤلف الكتاب على الأقل .

فهذه رسالة يقول صاحبها أنه اكتشف أنه تزوج ابنة أخته دون أن يعلم إلا متأخراً ، وذاك آخر يصف حالته منذ الطفولة إلى الرجولة وهو مصاب « بهواية السرقة » ، وذاك السجين الذي سجن خطأ وتقبل العقوبة على أساس أنه لا بد قد ارتكب ذنباً لا يعرفه فجازاه الله بهذه السجن ! أما معظم الرسائل التي نشرها الشيخ النوري فتقع ضمن رسائل الناس الذين يسألون عما غمض عليهم من دينهم الاسلامي ، وفي كثير منها ما يدعوبا الى التفكير في اعادة تثقيف الناس في شؤون دينهم .

ضربنا هذين المثالين دون أن نتجاوز الى عشرات الكتب وعشرات الكتاب الذي تناولوا وما زالوا يتناولون مثل هذه الموضوعات يومياً ، الأمر الذي يقودنا الى القول بأن هذه الظاهرة ـ وهي الكتابة الى غرباء في مشكلات أسرية وخاصة ومعيشية ودينية أو التعبير عن شكوى من نقص في العدالة يظن كتابها أنها قد أُغفلت ـ منتشرة ، ولها أبعاد اجتماعية ونفسية تتجاوز بضعة أسطر يكتبها المُرسلون .

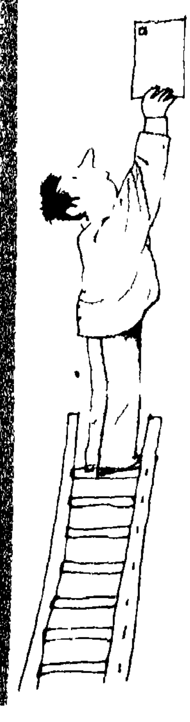
على الرغم من أهمية الموضوع وحيويته ، وعلى الرغم من أن كثيراً من القراء ربما يبدأ قراءة جريدته أو مجلته التي تنشر مثل هذه الموضوعات بقراءة باب المشاكل أو الاسئلة ، على الرغم من كل ذلك فإن كثيرين منا لا يأخذون هذه القضية أو الظاهرة على محمل الجد الذي يجب أن تؤخذ عليه ، فنرى كثيراً من وسائل الاعلام تنوط هذا الباب لأشخاص قليلي

* احدها « من عريب ما سألوني » ـ الكويت ١٩٧٩ ـ من منشورات جريدة القبس



الخبرة لا يعرفون القيمة النفسية والمعنوية للخطابات التي تصلهم ، كما أنهم لا يستطيعون أن يقدموا نتيجة لضعف مستواهم المهني والثقافي إلا الكلام العام المعسول لا أكثر ، وذلك ضعف في التواصل الانساني ، لم ننتبه إليه حتى الآن في مجتمعنا العربي ، الذي يتغير بسرعة ، ويتجه من مجتمع بسيط صغير الى مجتمع معقد متشابك . إن معظم هذه الرسائل التي يطلب مرسلوها بإلحاح نصائح روحية وأخلاقية هي تعبيرات حقيقية عن صراع حقيقي يعاني منه الأفراد ، وتجبر الجاد ممن يطلع على هذه الرسائل أويتعامل معها على اختبار القيم التي يعيش فيها ، فإن لم يكن على قدرة حقيقية للتفاعل مع تلك الرسائل بالعمق والحرارة والانفعال التي يستشعرها نفس الشخص الذي يخوض تجربة مباشرة ، تصبح القضية ممارسة انسانية بالغة السوء .

وعندما يفقد الانسان العلاقة الحميمة مع أهله أو معلميه أو اصدقائه ، تلك العلاقة التي تجعله يلجأ إليهم عندما تصادفه مشكلة ، فإنه يلجأ الى الآخرين . وفي المجتمعات التي تشهد تحولا اجتماعيا أكبر تجد قاعدة مرسلي تلك الرسائل التي تحتاج الى نصح وارشاد تكبر وتزداد .



دوافع الكتابة :

ليس من السهل البحث عن أسباب واضحة ومباشرة تجعل أيا من المرأة أو المراهق أو الشاب يكتب رسالة لغريب عنه يستعين به في حل مشكلة خاصة به ، فإن ذلك خاضع لقيم ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه كل من المرسل والمرسل اليه ، إلا ان تفشي هذه الظاهرة يجعلنا نتساءل عن تلك

هناك مستويان من القيم الاجتماعية أحدهما ظاهر والآخر باطن

القيم السائدة في المجتمع ، وهل هي قيم واحدة أم أن هناك مستويين من القيم الاجتماعية أحدهما ظاهر والآخر باطن .

باديء ذي بدء لا يستطيع الانسان أن ينسجم مع جماعة ، ولا أن ينسجم الأفراد بعضهم مع بعض إن لم يتوافقوا ويتآلفوا ، وهذا التوافق لن يحدث ما لم يكن بينهم اتفاق عام على قيم اجتماعية مشتركة . ولأن المجتمع حين يقر طائفة معينة من قواعد السلوك فإنه يكون قد حدد ـ من وجهة نظره ـ ما هو الصواب وما هو الخطأ ، ما هو سليم وما هو غير سليم ، ما هو صحيح وما هو باطل ، ما هو مستحب وما هو مستهجن . ويتعرض من ينتهك هذه القيم لتوقيع الجزاءات الاجتماعية عليه بنوعيها المتصل بالثواب والمتصل بالعقاب القانوني أو الاجتماعي ، ولكن الثواب والعقاب هنا ليس مادياً في معظمه ، بل بعضه معنوي ، ولكنه قهري في الوقت نفسه . وهناك في الوقت عينه فروق قد تكون جوهرية أو جانبية في قيم جماعة من أخرى ، وهناك فروق أيضاً في طريقة غرس القيم الاجتماعية بين شعب وآخر ، إلا أن الملاحظ أن تلك الرسائل التي تصل الى الأبواب الدائمة التي تعالج المشاكل في الصحف والمجلات ، في كثير منها ابتعاد عن القيم الثابتة في المجتمع ، هذا الابتعاد يظهر بدرجات متفاوتة ، وجوهره هو مشكلات تكيف مع القيم الاجتماعية السائدة .

والأسئلة التي يجب أن يطرحها من يتصدى لدراسة مثل هذا الموضوع بشكل أعمق وأوسع هي أولاً : هل المشكلة في السلوك نفسه المتجاوز للقيم المتفق عليها ؟ ثانياً : إن كان ذلك صحيحاً فهل هناك معوقات في طريقة غرس القيم لدى الأفراد ، أطفالاً في العائلة أو مراهقين في المدرسة أو شباناً في المجتمع بتأثيراته المختلفة الاعلامية والسلوكية ؟ ثالثا : بمنظور آخر ، هل المشكلة هي أن تلك القيم لم تعد تناسب العصر ، ولا بد من تغير معظمها حتى ينسجم الباطن والظاهر ؟

أسئلة ليست الاجابة عنها سهلة ، وحتى نصل الى إجابات وافية ستظل رسائل القراء تصل الى من يهمهم الأمر ، تحمل قضايا الاغتصاب والادمان والحب الفاشل ، وقضايا الاعتداء والميراث والظلم الواقع على الأفراد ومشاكل الأسرة والأولاد والجيران والأقارب ، رسائل تشكو من خلل في السلوك الانساني وتبحث عن الحكمة الضائعة ، ولكنها تبقى مشكلات تجد حلولها على الورق بينما تتفاقم في واقع الحال لتخلف لنا بشرا تعساء . ■

محمد الرميحي

والتحديات المعاصرة

بقلم : الدكتور رضوان السيد

منذ بداية الصدام العنيف والمتواصل بين أوروبا الاستعمارية المعتمدة على الانجازات التقنية المبهرة للحضارة الغربية بآفاقها الفلسفية والعلمية وبين دول العالم الثالث ـ ومن بينها دول العالم الاسلامي ـ من قرنين خليا ، والعقل الاسلامي مازال يبحث عن إجابات وحلول للأسئلة والاشكاليات التي فرضها هذا الصدام المحتوم مستندا على تراث غني ومتعدد المجالات .

فالى أي مدى نجحت الصفوة الاسلامية في تجاوز دائرة البحث والحوار . . ؟

مثّل أحمد فارس الشدياق في نقده الجذري لأوروبا وتجربتها النهضوية نشازا وسط الاندفاع الاسلامي الشامل في الشرق الاسلاميّ كله منذ مطالع القرن التاسع عشر للتلاقي مع الغرب بأشكال مختلفة فقد كانت هناك حركات اسلامية بالهند ، كما كان هناك السنوسيون ، ثم المهديون والعرابيون ـ ما يزالون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يواجهون الغرب عسكريا ـ ثم ان البيئة الثقافية والسياسية التي أسهم في صنعها جمال الدين الأفغاني في شتى انحاء العالم الاسلامي ، كانت تواجه الغرب في السياسة والثقافة والاجتماع بطرح بدائل تنظيمية لكن هذه الحركات جميعا كانت تواجه الغرب على أرضيته هو ، وبمنظوره هو . وتمثّل عبارة خير الدين التونسي في هذا المجال الفلسفة السائدة آنذاك لكيفية التعامل مع الغرب الزاحف فقد اعتبر خير الدين تقدّم الغرب سيلاً لا يمكن دفعه لذلك كان المطلوب اذا أريد للمسلمين أن يبقوا الانضمام الى مجرى هذا السيل ، والمشاركة فيه بدلا

من اضاعة الوقت والجهد والحياة في التصدّي لنموذجه الغرب كان قد أصبح بالنسبة لرحالات الثقافة والسياسة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بل وقبل ذلك . التقدّم والحضارة ـ ليس له فقط بل لسائر البشر ـ صحيح أنّ ذاك الغرب كان عدوانيا تجاه الاسلام والمسلمين ، لكّن مواجهته لم تكن ممكنة أو فعّالة الاّ بأساليبه هو ، وبهجه هو وقد سيطرت مسلّمتان اثنتان على عقول كلّ المثقفين والسياسيين المسلمين آنذاك المسلّمة القائلة ان الغرب هو التقدم والحضارة ، والمسلّمة الناتجة عن ذلك والقائلة بأنّ الوسيلة المتبقية للتعامل معه ايجابا أو سلبا تكون بأن يتخذ المسلمون من هذه الحضارة الحديدة أداة للحاق بركبه ، وسلاحا ماضيا لمواجهته عندما يتعذر التواصل أو الحوار

الفكر الاسلامي يواجه الغرب

انطلاقاً من هاتين المسلّمتين حرت إعادة النظر في الثقافة الاسلامية الموروثة ، كما حرت إعادة ترتيب مسائلها وأولوياتها فلم يكن معنى التسليم للعرب بالحضارة والتقدم والغلبة ، والانطلاق للتعلّم منه وتقليده اسقاط الاسلام وثقافته من الحساب ، بل محاولة بيان التوافق بين القيم الأساسية للإسلام وقيم التقدم الحديد الأساسية ففي مجال السياسة ونظم الحكم حرت المماثلة بين الشورى الاسلامية ، والديمقراطية العربية وفي مجال العلوم التطبيقية البحتة جرى التركيز على الازدهار العلمي في عصور الاسلام الزاهرة ، ومدى ما أفادته أوروبا من الازدهار الاسلامي في عصورها الوسطى . وبعد هذا وذلك فان الاسلام يملك نظاما أخلاقيا صارما ونظيفا يتميز على المنظومات الأخلاقية الغربية الرجراحة وهكذا فان الاسلام يملك مقومات للتقدم تمثّل أحسن ما يملكه الغرب الحضاريّ المتقدم ، وبمفاهيمه هو للحضارة والتقدم . أمّا سبب تخلّف المسلمين ، وتقدم الغربيين ، فيعود الى أنّ المسلمين أهملوا الأخذ بالقيم والمبادىء العظيمة التي يتضمنها دينهم ، وما عليهم إلا أن يعودوا للتمسك بما أهملوه فيصلح حالهم ، ويعلو شأنهم ، وتستقيم أمورهم

وكان لهذه الصورة عن العرب والاسلام وجهان آخران يتعلقان برؤية الغرب للاسلام ، ورؤية المسلمين لتاريخ التقدم الغربي ، فقد كان الاستشراق في بدايات ازدهاره ، وكانت رؤاه للاسلام والمشرق قد بدأت تبرز وتتكامل ولم تكن تلك الرؤى على ما يرغبه رجالات النخب الاسلامية فنشأ أدب دفاعيّ عن الاسلام يردّ على العربيين أفكارهم السلبية تجاهه وتجاه المسلمين وهكذا ظهرت مؤلّفات في الدفاع عن فكرة القَدر في الاسلام ، وكتابات في ايضاح موقف الاسلام من الرّق والرقيق ، وجدليات في ايضاح عدم الارتباط بين تخلّف المسلمين وقيم الاسلام الخالدة وفي هذا السياق تأتي ردود جمال الدين على الدهريين والتطوريين ، وردود محمد عبده على هانوتو ورينان وفرح حبران ، ومؤلّفات أحمد شفيق وأحمد فتحي زغلول وقاسم أمين في مسائل الرق والتقدم والمرأة ، وشذرات حسين الجسر والكواكبي والعظم ورشيد رضا في ايضاح موقف الاسلام من قضايا الحكم والفلسفة والعلم والتقدم

إنّ مؤدّى ذلك كلّه في مجال الفكر الاسلامي حتى نهايات الحرب العالمية الأولى أنّ الاسلام داعية حضارة وتقدم مماثلين لحضارة اوروبا تماما وليست هناك مشكلة بين المسلمين والعرب الاّ في المجال السياسي ـ العسكري المتمثّل في استعمار الأوروبيين للمسلمين فاذا خرج العسكريون الغربيون من ديار المسلمين ، فان المسلمين سيطبّقون الحضارة الغربية بكل جوانبها في ديارهم لأنها هي في الحقيقة مقتضى الاسلام ، وجوهره الحقيقي

إعادة تشكيل العالم الاسلامي

وبدت عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته البيئة الثقافية والسياسية الصالحة لتطبيق هذه الرؤى والافكار دونما تناقضات فكرية ظاهرة فقد سقط الشكل التقليدي الباقي للكيان الاسلامي الشامل بسقوط الدولة العثمانية ، ثم سقط الرمز

الأيديولوّجي التاريخي بالغاء الخلافة رسميا على يد مصطفى كمال عام ١٩٢٤ . وترافق ذلك مع سواد فكـرة الـرئيس الأمـريكي وودرو نلسـون عن التشكيلات القومية على المستوى العالمي بالدعوة الى حقّ الشعوب في تقريـر مصيرهـا . فبدأت أجـزاء الامبـراطوريـة العثمانيـة السـابقـة ، تحت رعـايـة الغرب ، تتشكّل دولا وطنية وقومية ، أو تناضل من أجل ذلك في مواجهة المحتلين الغربيين ظاهرا ، وفي توافق مع النظام الدولي الجديد في الحقيقة كانت حدود قديمة تحيا ، وطوائف ومجموعات بشرية تتلبّس لبوسا قوميا بحدود جديدة دعوات لانشاء قوميات وأمم وشعوب تتماهى مع حدود ، وتنظيمات داخلية هـذه المستجـدات قـائمـة عـلى مـواثيق ودسـاتـير ومعـاهدات وقـوانين ، مثلهـا الأعـلى في الحـالتـين (القومية والدستورية) من فرنسـا أو سويسـرا أو انـجـلتــرا أو خـليط مـن ذلـك كـلّه إنّ هـذا التماهي السياسي التامّ مع الغرب وبه ساوقته حركة فكرية صحمة لتحديث الاسلام وتأنيسه ، وابراز قابليته للتطابق مع السيـاسات الجـديدة والثقـافات الوافدة

البحث عن التطابق

وكـان القرن التـاسع عشر قد شهـد تساؤلات (ظلّت جانبية على اي حال) حول امكانيـة تطبيق النمـوذج الحضـاري الغـربي في ديـار المسلمـين وحيواتهم أما وقد صارت الحضارة الغربيـة دولا ونظما ومؤسسات لدينا بعد الحرب الأولى ، فان هذه التساؤلات اختفت تماما تقريبا ، وازدادت محاولات ابراز الاسلام متماهيا مع الحضارة الغـربية في كـل شيء . جرت مقارنات بين نـظام الخلافـة والملكية الدستوريـة ، فاذا لا فـرق بين الاثنـين وكثرت المؤلّفات المتحدثة عن الديمقراطية في الاسلام كما جرت مقارنات بين الشريعة الاسلامية ، والقانون الـروماني وقـانون نـابليون ، فإذا هذه الشـريعة متطابقة مع ذلك كلّه الى حدّ بعيد ولم يمكن انكار الاختلافات أو الفروق أحيانا فقيل انها موجودة لكن الاسـلام قابـل للتطور والتجـديد فـلا ضـير في تجاوز النقاط العالقة من قبيل الاجتهاد والتجد والعصرنة مما يثبت المقولة القائلة إن الاسلام صالح لكلّ زمان ومكان أماّ الجهاد الذى بدأ التحديثيو الاسلاميون منذ مطالع القرن يقـولون إنـه حرب دفاعية ، فقد صار كذلك في كلّ الكتابات ، وظهرت مؤلّفات تعـد الفقه الاسلامي أول منظومة عـرفت القانون الدولي ، ودعت اليه ، واعترفت به .

ولكـي يكـون واضحا تمـاما مـا أعنيه بـاستئناس الاسلام وتغريبه والايمان بعالمية الحضارة الغربية لدى النخب العربية والاسلامية يمكن التعرض هنا لبعض ظـواهـر التشكّـل الفكـرى والاقليمي العـربي والاسـلامي في الأربعينيات ومـا بعد فقـد قامت جامعة الـدول العربيـة باعتبـارها منـظمة للتعـاون الاقليمي بين دول متقاربة قوميا وجغرافيا ، ولم تقم باعتبارها خطوة ، نحو الوحدة الاسلامية أو بديلا وخلفا للخلافة الاسلامية . وناضل المسلمون بالهند طويلا في اطار الرابطة الاسلامية لانشاء دولة خاصة بهم ، فلمّا قـامت كانت ومـا تزال أدنى الى الـدولة القومية منها الى الاطار الاسـلامي الجامع وهذه الخلفية القومية لباكستان كانت سببا مهما بين أسباب انقسـامها مـرة ثـانيـة بخـروج البنغـاليـين منهـا أو اخـراجهم وانشاء دولـة بنغـلادش وهكذا فإنه في منتصف الخمسينيـات كانت الثقـافة الاسـلاميـة بفضل النخب الاسلامية المثقفة التي ناضلت طوال قرن من الزمان ، قد صارت جزءا من الثقافة العالمية الحديثة ، وفي أسوأ الحالات جزءا من المجال الثقافي السـائد في العـالم الثالث ، وهـو مجـال ـ في أحسن حـالاته ـ يشكّـل حديقـة خلفيـة لحضـارة الغـرب وثقافته .

بداية التمايز والإنفصال

قـال أبـو الأعـلى المـودودى في الاربعينيـات إن الاسلام متميز دينا ، ومستقْل ، وناسخٌ شريعةً ، وفريدٌ حضارةً إنه لا مجال لإنشاء نظام مزيج في شبه القارة الهندية . فإمّا أن يعود المسلمون فيسيطروا على الهنـد ، وإمّا أن ينشئـوا دولة خـاصة بهم . إنّ الله

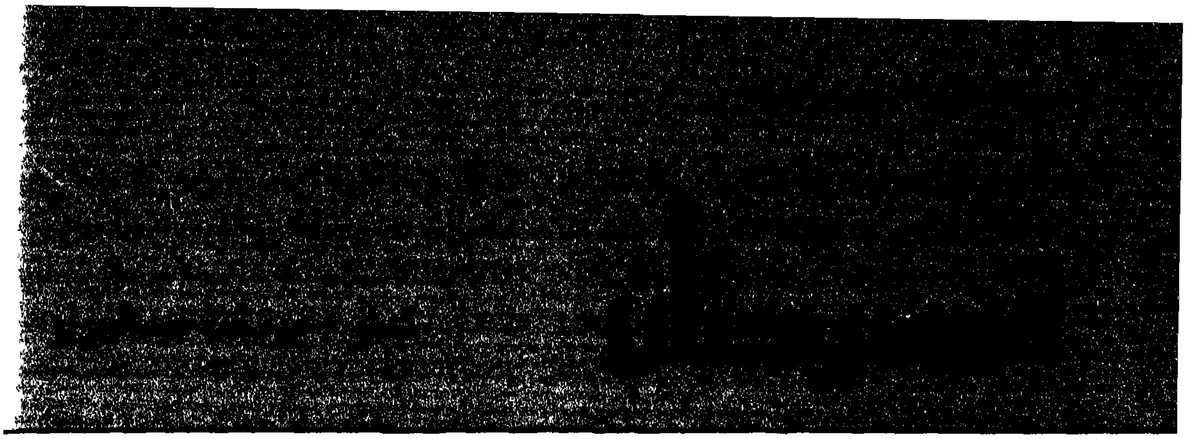
سبحانه وتعالى يقول : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . فالمسألة تعود الى الأصل : من هو الحاكم ؟ من هو المسيطر ؟ من هو صاحب النموذج ؟ من هو صاحب القرار ؟ إمّا أن يكون الله ، وذلك هو نظام الله ونظام الاسلام والايمان ، وإمّا أن يكون حكم الطاغوت ، ونظام الطاغوت ، ونظام الفسق والضلال والكفر إنّ الاسلام - في نظر المودودى - جاء ناسخا لما قبله وما بعده ومهيمنا عليه . وله إحدى حالتين : إمّا أن يتمكن في الأرض ويسيطر ، وإمّا أن يتأسّس ويسود في بقعة وعليها ، ويتحفز للانطلاق والاستيعاب والسيطرة ، ولا وسط بينهما إن الاسلام ليس ديمقراطيًا ، وليس ليبراليا ، وليس نوموقراطيا ، وليس دستوريا ، وليس قوميا ، إنه الاسلام وحسب ، وعلى المسلمين أن يقرروا : إمّا أن يكونوا مسلمين خلّصا لا يشركون بالله شيئا ، وإمّا أن يجبنوا عن مواجهة العالم بخصوصية اسلامهم ، ومقتضى ايمانهم فيكونوا بين بين ، لا هم بالمسلمين المخلصين ، ولا هم بالفجّار الطاغوتيين إنّ الطاغوت كلّه في حضارة العصر ، في حضارة الغرب التي استولت بفتونها وفنونها على الانسان هناك واستعبدته .

كان أبو الأعلى المودودى يكتب بالأوردية ، ولم تترجم مؤلفاته الى الانجليزية الاّ في أواخر الاربعينيات ، وربما عرف سيّد قطب بعضها آنذاك عندما كان في الولايات المتحدة لكنها ترجمت الى العربية جميعا في النصف الثاني من الخمسينيات ، والستينيات . بيد أنّ هذا التصدّى الشامل للحضارة الغربية باسم الاسلام لم يبدأ في المجال الثقافي العربي الاسلامي الاّ بعد عقدين من الزمان . فكما عرف المثقفون الاسلاميون العرب المودوديّ في الخمسينيات ، عرفوا بالقاهرة وسورية المناضل الايرانيّ نوّاب صفوي الذي كان قد بدأ في الأربعينيات يواجه الغرب والمتغربين بالعنف والاغتيال والحرب الشعبية . كما عرفوا في سورية والقاهرة والأردن أبا الحسن الندوى الاسلاميّ الهنديّ الأصل الذى كان يدعو لثقافة اسلامية خالصة وشاملة لا تحبّذ العنف ، لكنها تريد الاستيلاء على السلطة بأيّ أسلوب لمواجهة ليبرالية الغرب التي كان يعدها بالنسبة للمسلمين سمّا في الدسم رأى الندوي في كتاب له صدر عام ١٩٥٧ بالعربية أنّ هناك « فكرة غربية » هي في سبيلها للسيطرة على العالم ومن ضمنه العالم الاسلاميّ ، ولا بدّ من قيام « فكرة اسلامية » تواجه تلك الفكرة الغربية المستعلية والمسيطرة والزاحفة . وفي تلك الحقبة المأزقية صدر كتابا هاملتون جب وولفريد كانتويل سميث · الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، والاسلام في العالم المعاصر ، وهما كتابان يسجّلان قلقا متزايدا من جانب الاستشراق الغربي على مصائر تحديث الاسلام ، والتجربة الغربية في المشرق الاسلامي

مخاوف وشكوك متبادلة

وما كانت مخاوف جب وسميث استقراءً لكتابات المسلمين أو اتجاهات جماهيرهم ، بل لمصائر النظم السياسية التي قامت في العالم الاسلامي مع نهايات الحرب العالمية الثانية فقد عصفت بكل محاولات التطويع والتغريب ، المذابح ضد المسلمين على يد الهندوس بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ ، وقيام الدولة الصهيونية على أرض فلسطين وتهجير وسحق مئات الألوف من أبناء الشعب الفلسطيني ، واشتداد الحرب الباردة بين الجبّارين التي عادت فانفجرت صراعا مسلّحا في الحرب الكورية بالهند الصينية

أمّا المثقفون المسلمون ، ومن بينهم عرب كثيرون سبق أن أسهموا في نشر كتابات وأفكار عن ليبرالية الاسلام ، ومساوقته لحضارة العصر ، فقد انصرفوا لانشاء اتجاه نقدىّ لنظم العصر وحضارته ، وابراز تميّز الاسلام عليه وعليها . وكان الزاد الثقافي لهذه الموجة التي بدأت في النصف الثاني من الخمسينيات ، واستشرت في النصف الاول من الستينيات كتابات غربية ظهرت ابّان الحرب العالمية الثانية تنعى على تلك الحضارة ماديتها ولا انسانيتها وآليتها التي تسببت في حربين عالميتين ضروسين أفنتا عشرات الملايين من البشر ، ونشرتا البؤس في كلّ انحاء العالم ، وانتجتا في النهاية القنبلة الذرية التي تتهدد البشرية كلها كما



القسطل (١)

(مهداة إلى روح الشهيد الفلسطيني عبدالقادر الحسيني)

حصانٌ على قِمَّةٍ عَاليهْ
سَيَصْهَلُ بَعْدَ قليلٍ فَتَنْكَسِرُ الشَّمسُ
نَسرٌ مِن القَمْحِ سَوفَ يَهزُّ جَنَاحَيهِ
حِين يَطِيرُ
فَنملأُ برمِيلَنا بالطَّحِين
أساورُ مِنْ زَعْترٍ
بَيْنَ أيدى الصُّخورِ
وَبُرجُ كَواكبْ
وَقَدْ تَلْعَبُ الرِّيحُ بالقلبِ
حِينَ تَراهُ
فَيسقُطُ قَلْبُكَ بين يدي الأميرِ
المُحَارِبْ
أمير بمرتينةٍ و (سلحلك) (٢)
وَصَدرٍ بلا أوسِمهْ
وَتَنْظرُ حَوْلَكْ
فَيَرْتَجِفُ الرَّملُ أشقرَ مِثْلَ بطونِ
العذارى
وَيَلْتَمِعُ البَحرُ في الغربِ
مِثْلَ خَناجِرَ في سَاحةِ الرَّقصِ
أهذي وأتبعُهُ
ثمّ أهذى
وَأَشْرَبُ صُورَتَهُ كالنبيذِ الْمُقدسِ
كانَ الأميرُ الْمُحَارِبُ
يَلْوِي بِكفيهِ عُنُقَ الحديدِ الذي يتَقدمُ
والطَّائراتُ تُغيرُ عليهِ
فَيَنْفضُ سُتْرتَهُ مِنْ رَمادِ الْقَنَابِلِ
أهذي وأتبعُهُ
ثمَّ أهذي
فَيَخْلَعُ بَابَ الترابِ وَيَنْهَضُ
متشحاً بالعلَمِ
قِبابٌ على القِمّةِ العَاليةِ
تتلألأُ مِثْلَ قَلائِدَ مِنْ فضَّةٍ
فَوقَ صدرِ السّماء
حريرُ دَمٍ في الحقولِ
عينُ صَقرٍ تُراقِبُ

بَيت

بَيتٌ على ماءِ السَّماء
يَطفو كَرِيشةِ طَائرٍ ،

(١) القسطل : هي القرية التي استشهد فيها القائد الفلسطيني عبدالقادر الحسيني ، وتقع إلى الشمال من مدينة القدس



ووراءَه عَرشُ الغمامْ
بَيْتٌ لأفراخِ الحَمام
بَيْتٌ لأبناءِ الثعالبِ
والأرانِبِ
وَالظِّباءْ

بَيْتٌ لجدَّتنا العجوز الكينْياء
بَيْتٌ لجارَتِنا النحيلة شَتلة الليمونِ
قالتَ لي : صَباحُ الخَير فارتَبَكَ الهواءْ
لِطفْلَةِ اللوزِ الخَجولةِ

حِينَ يَقْرصُ خَدَّها مطرُ الشتاءْ
بَيْتٌ لأرملةِ الترابِ الحية الرَّقطاءَ
بَيْتٌ لأحفادِ السحالي
لمليكةِ النَّحلِ الجميلةِ وَهْي تَرْفَعُ رَأسَها العالي

بَيْتٌ لَهُ في الليلِ مصباحٌ ونافِذتانْ
تَتَنهدان وَتَسْمعَانْ
هَمسَ الدَّوالي
غَادرتُه في الحربِ مِنْ عشرينَ عاما . .
يَومَها قَبَّلتهُ وَمَضَيت
لكِنه قَطَعَ المسافَةَ خَلْفَا
حتى (أريحا)
وَظَل يَمْشِي حَافياً للجِسْرِ

(٣) السلحلك : هو حزام الرصاص الذى يتوشح به المحارب وهي كلمة تركية .



طه حسين في ميـــزان النقـد العـلميّ

بقلم : الدكتور أحمد علبي

من بين رواد النهضة العربية المعـاصرة في الفكـر والأدب ، يبرز طـه حسين بخصوبته ، وتنوع إسهاماته ، وعمق تأثيره ، وكذلك باختلاف الرأى حوله ما بين الاعجاب المفرط به أو شدة الخصومة له ، وكلا الموقفين يتناقض مع المنهج العلمي الذي يجب أن يحكم رؤ يتنا لتراثنا ، وواقعنا ، ومستقبلنا .

وهذه مقاربة تسعى لرؤ ية علمية لطه حسين ودوره .

هذا رجل وُجّهت إليه سهام الـطعن دائماً ، والطريف أن أحد المصّنِفين وضع كتاباً ضخماً ومجلداً في نحو سبعمائة صفحة من الحجم الكبير ، وقد حشد فيه مجموعة من الردود التي انهالت عـلى عميـد الأدب العربي شتـماً ، وتجريحـاً ، وتلفيقـاً . وختم عمله بأن ادّعى أن طه مات ، وأن آراءه ماتت معه ! فإن كان الأمر حقاً على هذا المنوال ، فلماذا تجشّم هذا المصّنِف عناء إعداد هذا المؤلّف الواسع ؟ هل ليبعث الـمَيْت من رقدة العدم الذي يدّعيه له ، أم ليقرأ على روحه الفاتحة تأدّباً وترحّماً ؟ الواقع أن طه حسين أضحى جزءاً حيّاً من تاريخنا الثقافي ، ثم إن الكثير من آرائه ما زال ناصعاً فاعلاً وذلك لأن هذه الآراء المستمرة هي أجوبة على اسئلة ما انفك العقل العربي يطرحها على نفسه إنها أزمة مجتمع يعار موانع وكوابح ضاغطة ، بحيث إن الفكر يجد نفسه مكبّلاً ، يمشي بين الألغام في ميادين معيّنة ، تبدو شب محرّمة . وما هكذا ينمو الفكر ويبدع

إسلاميّات طه

ههنا يتجلى فضل طه وريادته ، فهو وَسَط سيادة الركود والتقليد والغيبيات عمد إلى كتابة إسلاميّاته ، وذلك بنَفَس جديد ، وبأسلوب منلقّح بالعلم والجرأة والحق أن هذا الأسلوب يبدو تجديداً في البيئة العربية ، في حين أن المستشرقين الذين درسوا الحضارة الإسلامية قطعوا أشواطاً في فهم هده الحضارة على هدى المنهج والتحقيق والموضوعية ، والمحبة أيضاً ، إذ كيف تحفل بتراث إسلامي هذا الاحتفال الشائق كله إذا لم تكن متعاطفاً معه ، مشغوفاً ؟ ولا عبرة ببعض الضالين المغرضين ، فهؤلاء نعثر عليهم في صفوف المستشرقين ، كما نجدهم بين ظَهْرَانينا فالعلم واحد حيثما وحد ، كما أن التزييف هو هو حيثما نبت ومع هذا فطه يبدو جسوراً ، لأنه يواجه رأياً عاماً خامداً ، مستسلماً في حين أن المستشرقين كتبوا أبحاثهم في جو طليق ، مشبع بالعَلْمانية والديمقراطية ، حيث لا محرّمات ولا تهويل ولا إثارة إن مَنْ يقرأ الردود التي انصبّت على رأس طه ، وتولّدت عن إسلاميّاته ، يدرك أيّ جو خانق كان طه يعاصر فهو جو يضيق بأيّ اجتهاد أو تفسير أو تعليل ، كما يدمج بين العقيدة الدينية والتاريخ الإسلامي ، بحيث يسبغ على هذا التاريخ هالة قدسيّة لا تتفق والطبيعة الإنسانية للحاكمين الذين توالَوْا على مسرحه المضطرب

لقد ترك لنا طه حسين نوعين متميزين من الكتب الإسلامية . هناك الكتاب القيّم بأجزائه الثلاثة وهو « على هامش السيرة » (١٩٣٣ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣) ، وهناك « الوعد الحق » (١٩٥٠) وهذان العملان يدخلان في صِنْف الرواية التاريخية فطه فيهما لا يدرس ويحلل ويعلل ، وإنما يسوق الأحداث في قالَب قَصَصي جميل . ولهذا وجب النظر إليهما من هذه الزاوية الروائية التي أملت على طه أن يأخذ بما لم يأخذ به في بقية كُتُبه الإسلامية ، لأن العمل القَصَصي يقوم على التشويق والمتعة ، وللخيال فيه نصيب ، وترفده الأسطورة بالوهج الأخّاذ . وبالتالي فإن ما تنبذه في الدراسة العلمية المتشددة ، حيث تتفحّص المرويّات وتُخضعها للتحقيق والتشكيك والنقد الصارم ، تتقبله ، وربما تسعى اليه في الصنيع القَصَصي ، لأنه يسعفك على أن تنسج الحبكة الروائية الجذّابة التاريخ ههنا ، مادة خاضعة لضرورات الفن ، وللصياغة الأدبية . في حين أن التاريخ كعلم ، شيء آخر تماماً لذا ينبغي التفريق بين هذين النوعين الرواية التاريخية والتاريخ لدى طه حسين ، لأن الخلط بينهما يؤدي بنا الى أن نؤاخذ طه على آراء أملتها عليه الضرورة الفنية ، ولو لا ذلك لكان له منها موقف مغاير وفي السياق التاريخي العلمي كتب طه « الفتنة الكبرى » ، بجزءيه عثمان (١٩٤٧) ، وعلي وبنوه (١٩٥٣) وله أيضاً « مِرآة الإسلام » (١٩٥٩) ، و « الشيخان » (١٩٦٠) وهذا الرصيد الإسلامي عند طه ، المنشعب الى شِقّين ، يرمي فوق عاتق الباحث جهداً مضاعَفاً فهو يدعوه من جهة إلى دراسة الرواية التاريخية ، في ضوء ما عرف الأدب العربي الحديث من نتاج يدخل في هذا النوع الأدبي ثم يتوجب عليه من جهة أخرى ، أن يلتفت إلى السيرة النبويّة ، وكيف وقف عندها الكتّاب بأقلامهم ، بحيث تتبين مزايا عمل طه في « على هامش السيرة » ولا يساورنا ريب أنه من الكتب الباقية في تراث هذا الرائد العربي الجليل ، وكثيرون جداً هم الذين قرءوه واستمتعوا به ، وكثيرون جداً هم الذين سيقرأونه في المستقبل ويستمتعون به أما الشِقّ الثاني في رصيد طه الإسلامي فيتطلب جهداً آخر نقدياً ، دراسياً ، مختلفاً ، لأننا ههنا ننتقل الى حِضْن علم كان وما برح يثير الجدل حول منهجيته وهو التاريخ

في ميدان التاريخ

في ميدان التاريخ اصطدم طه حسين بوضع ما زلنا نعاني من آثاره ، وإن كان حالنا مغايراً طبعاً لحاله . يكفي أن نذكر تدليلاً على الجو العام السائد عهد ذاك ، أن طه عندما شرع في تدريس التاريخ اليوناني ، عقِب عودته من فرنسا ، جوبه بالاستهجان بادىء الأمر ، فهذه المادة الجديدة

مرفوضة، لأنها غير معروفة وغير مألوفة في المحيط التعليمي ! ألم يكن الأدب نفسه مستنكراً في أروقة الأزهر ؟ فكيف يكون الموقف من طه وهو ينقل المعركة الى عُقْر التاريخ الإسلامي ، ويلقي أنواراً مستحدثة عليه ، تخرج به عن النمط المكرور ؟ لقد كان قميناً بأن تنصبّ على رأسه التُهَم ، وأن تساق إليه النعوت المتنوعة ، لأن الفئة المحافظة تعتبر أن هذا التاريخ حكَراً عليها ، وهي صاحبة الوصاية والقيمة على كتابته . يكفي طه فخراً أنه أراد مقاربة التاريخ الإسلامي بواسطة المنهج ، آخذاً من القُدَامى قواعد الشك القائمة على التعديل والتجريح والتصديق والتكذيب والترجيح والإسقاط ، وآخذاً من المحدثين الأساليب العلمية الغربية التي طبّقوها على تواريخهم ، ولا حَرَج في نظره من الإفادة منها والاعتبار . فهناك ابن خَلْدون كما أن هناك ديكارت ، وكلاهما نافع مُجد في العملية التحقيقية والتقييمية وهناك أيضاً ماركس ودوركايم وفرويد . وطه فيما نرى لم يقف عند منهج لا يعدوه لقد تلقّح بالمناهج ، وعند أمثاله يكون التأثر حراً ، يندمج فيه الذاتي بالموضوعي ، ويحدث التجاذب والتفاعل ما بين ثقافته الخاصة والثقافة الجديدة التي يحتك بها طه حسين عندما كتب في التاريخ الإسلامي أراد أن يعالجه معالجة إنسانية ينهض بها دارس وعالِم ، لا أن يصدر في هذه المحاولة عن مؤمن يأخذه الهوى والرهبة والخشوع . إن تفاسيره في الغالب تغوص في لُجّة الصراعات الاجتماعية ، فهذه الصراعات هي عِماد التاريخ ومحرّكه .

طه والسياسة

وكان من مظاهر تميّز طه كمثقف عربي ، أنه كان حميم الارتباط بما يجري في بلده . وإنّ غرقه إبّان بعض مراحل حياته في السياسة خلال ظروف عصيبة مرت بها مصر ، هو في نظره واجب لا محيص عنه ، لأن الحياد في هذه الظروف إثم وجُبْن ونفاق . وبالتالي كانت السياسة جزءاً من موقف طه العام . ولقد عرف دائماً الالتزام الحزبي على نحو حر بعض الشيء ، وانخرط في صفوف الأحزاب المصرية الفاعلة فعلاً فكرياً أو سياسياً . لم يضع طه خطاً وهـ[illegible] مفتَعَلاً زائفاً بين الأدب والسياسة فهذا الزَّيْف المصطنع يتبدّى عند عدد غفير من المثقفين العرب با[illegible] خلقياً للهروب والتنصّل من المسؤولية الاجتماعية لم يكن طه سياسياً محترفاً ، وإنما كانت السياسة له كم[illegible] هي لكل مواطن واع ، الوجبة اليومية والارتباط الذي يعلو الى مرتبة الواجب والى مغزى الوطنية . فكيف اذا كان أديباً نابهاً ومفكراً ساخطاً ؟ لم يكن ارتباط طه بالاحزاب ارتباطاً طبقياً مصلحياً كما تقتضي طبيعة الأمور ، بل إنه وجد فيها منابر يعلن من فوقها أفكاره التجديدية التي قد تتفق إلى هذا الحد أو ذاك مع الحزب المعني « حزب الأمة » الذي عرفه طه في بواكير حياته وهو في نحو العشرين من عمره ، كان رجعياً محافظاً ، في حين أن طه ابن بيئة شعبية أُمَيل الى الفقر ، وظل طوال حياته صاحب هوى شعبي . لكن حزب الأمة كان يضم أرستقراطية فكرية عصرية متميزة ، يقف على رأسها أحمد لطفي السيّد « الحزب الوطني » الذي اقترب منه طه ونشر في صحافته الكثير من شعره ونثره ، عند بداياته الكتابية ، كان بعيداً عن العَلْمانية والمفاهيم الغربية ، لكنه متّقد الحماسة لمعاني الحرية والاستقلال ومناوىء بِلا هوادة للإنكليز المحتلين وعقب عودة طه من فرنسا مزوّداً بالثقافة الجديدة ، انتسب الى « حزب الأحرار الدستوريين» . وكانوا في الواقع امتداداً متطوراً لحزب الأمة المنقرض ، وشكّل الأحرار حِضْناً حامياً ومتفهّماً لعقل طه المتمرد ، الشّاك . ولا غَرْوَ ، فهم نخبة ساطعة من المثقفين ، مناصرة للقيم الفكرية و [illegible]رية الرأي ، وكان يرأس تحرير صحيفتهم « السياسة » محمد حسين هيكل

ولا أدلّ أن حزب الأحرار الدستوريين وقف بحزم إلى جانب طه حسين ، خلال معركة كتابه « في الشعر الجاهلي » ، حتى أن رئيس الوزارة عبد الخالق ثروت ، هدّد بالاستقالة . في حين أن حـ[illegible] الوفد الذي كان يتزعمه سعد زغلول سفّه الكتاب وصاحبه تسفيهاً مهيناً ، لكن طه حسين كان يزد[illegible] التصاقاً بقضايا الجماهير المصرية من خلال دعو[illegible] شعبوية

لجهيرة إلى تعليم الشعب . فالعلم حق لـه ، شأن لماء والهواء . ولقد بلور طه صيحته الطليعية هذه في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » (١٩٣٨) الصادر في جزئين . وعندما اضطهد الطاغية الرجعي سماعيل صدقي طه ، وأخرجه من عمادة كلية الآداب عام ١٩٣٢ ، كانت الحشود الطلابية الغاضبة على هذا التصرف التعسفي التي ذهبت الى بيت طه وحملته على الأكتاف هاتفة بحياته ، تتكون من الشباب الوفدي . وفي هذه المرحلة التي اكتوت فيها مِصْر بالاستبداد والجهل اقترب طه حسين بسرعة من مواقع حزب الوفد ، وغدا كاتباً وفدياً لامعاً وبقي في موقعه هذا طَوَال عَقْدين من الزمن ، امتدّا من ١٩٣٣ الى ١٩٥٢ ، عندما قامت ثورة يوليو وأطاحت بالأحزاب وبالحياة الحزبية . إن وفديّة طه حتّمتها ظروف تطوره الفكري ، وقد تلازمت مع تطور سياسي موازٍ له فمن يدعو إلى العدالة الاجتماعية ويبصرها ، سواء في الماضي ، كما تتجلى في الإسلام عَبْرَ العبيد وصراعهم مع السّادة ، أو في الحاضر ، كما تتجلى عبر نماذجه التحريضية من خلال كتابه المصادَر « المعذّبون في الأرض » (١٩٤٩) ، إن كاتباً كهذا لم يكن من الميسور أن يظل أسير الأحزاب المحافظة اجتماعياً والمتحررة فكرياً وفي هذا الجمع الغريب بين المحافظة والتحرر يكمن تناقض بُنيويّ ، هو من المظاهر الخاصة ببلدان العالم الثالث وبأحوالها التطوريّة غير المنسجمة .

طه قاصّاً وروائياً

لو أن الحياة منحت طه حسين عينين يديرهما ، مستطلعاً أحوال البشر ، متأملاً شجونهم ومفارقاتهم ، لربما كان عندها يستغرقه العمل القَصَصي ، ينصرف اليه في كثير من جهده الأدبي . فطه ذو نفس قصصي ، في غالبية ما كتب . نلحظه بشكل بيّن في الجزء الأول والثاني من « الأيام » (١٩٢٩ ، ١٩) ، وكذلك في « أديب » (١٩٣٥) ، وطغى النَفَس القَصَصي في كتابه الجميل « على هامش السيرة » وحتى في مقالاته النقدية ، فلكم كان يستغويه هذا الهوى القَصَصي ، فيستسلم له على هذا النحو أو ذاك . ولك أن تقلّب صفحات بعض كُتُبه ، شأن « جنّة الحيوان » (١٩٥٠) ، « بين بين » (١٩٥٢) ، « أحاديث » (١٩٥٧) ، « من لغو الصيف » (١٩٥٩) ، « من لغو الصيف الى حدّ الشتاء » (١٩٦١) ، وغيرها من مؤلفاته النقدية الطابَع ، لتعثر عندها على الميل القَصَصي فاشياً سارياً في المطالع ، وعَبْرَ المعالجة وفي الخواتيم ولا يتيسّر للكاتب أن يجيد هذا النوع الأدبي الا اذا خاض غمار الحياة ، وخبر شؤونها ، وامتلأت عيناه بمشاهدها وهذا لم يكن متوافراً لطه ، بالنظر الى وضعه الخاص ولكن الهوى غلّاب ، لهذا لم يفت طه أن يعالج الرواية والقِصّة في أعمال مستقلة ولقد ظهر له « دعاء الكروان » (١٩٣٤) ، « القصر المسحور » (١٩٣٧) وذلك بالاشتراك مع توفيق الحكيم ، « أحلام شهرزاد » (١٩٤٣) ، « شجرة البؤس » (١٩٤٤) ، « المعذّبون في الأرض » (١٩٤٩) ، « الحب الضائع » (١٩٥١) ، وصدر له بعد وفاته « ما وراء النهر » (١٩٧٥)

كل كبير في عالم الآداب والفنون يفرض سطوته على العقول ، ويمارس نوعاً من الضغط أو الرهبة أو « الكاريزما » على الجمهور العريض . بحيث يغدو انتقاده على نحو سليم أمراً مستعصياً بعض الشيء ، أو غير وارد ، لأن الثناء على دوره الريادي يطغى على ما عداه بيد أننا نطمح الى دراسة علمية صادقة ، لذا فإن تناولنا لعميد الأدب العربي مفعم بالحب والاكبار ، إذ لا سبيل الى أن تنقّب في نتاج أديب من غير أن تكون معجباً به ومحبّاً له . لكن هذا التناول النقدي لا يصرفه التقدير الوجداني عن النظر الموضوعي ، وإلا فما معنى الدراسة العلمية ؟ ومن نافل القول أن نذكر أن أمرنا مع طه ليس طبعاً أمر الذين يتسلقون أكتاف المشاهير طلباً للشهرة ، فهذا ليس حالنا من أيّ الجهات أتيته ، ثم لسنا في طور الشباب المفتون المستخف . والطريف أنه سبق لطه أن عرف أمراً كهذا الذي نتبرأ منه ، وذلك في شبابه الغض ، عندما هاجم المنفلوطي على نحو مغرض

مسفّ وكان طه من الصفاء والصدق بحيث اعترف بعدها بزمن ، أن دافعه الى دلك الهجوم على صاحب « النظرات » و « العبرات » إنما كان نشدان الشهرة ، من طريق مقارعة أديب ذائع الصيت لعهده وسبق لنا أن عرضنا لطه حسين شاعراً في المجلد الذي نشرناه تحت عنوان « طه حسين ، رجل وفكر وعصر » (دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥) ، فأوضحنا حلال أحد فصوله أن طه لم يكن شاعراً يؤبه له ، وأنه لم يكن من الشاعرية في شيء يستحق أن نتوقف عنده كذلك فنحن نقف اليوم من طه ، قاصّاً وروائياً ، موقفاً أمْيل الى السلبية ، وخصوصاً اذا أحدنا في الاعتبار ما يسوقه فريق من النقّاد الدي يكتب عنه ، وهو مستظل بعظمته وشهرته الطنّانة ، فيكيل لطه المدائح ، ويعقد المقارنات بين آثار طه القَصصية والآثار العالمية وفي هدا كله اصطناع وغلوّ ، وحروج عن جادّة الفكر ، وولوج الى فن قديم جنى كثيراً على التراث الشعري العربي وهو فن المدح

الحبكة القصصية

وليس الأوان ، ههنا ، للعرض والتفصيل في طه قاصّاً ، وإنما هي ملامح سطّرها وصُوى نمهّدها كبوارق أفكار وعلى هذا نذكر أن طه لم تكن تتوافر عنده حبكة قصصية حذّابة ، فقد طغت السّذاحة على مضمون قصصه ، لأن المادة القَصصية لا يحصّلها الكاتب من قراءاته ، فهي ابنة الخيال المبدع أحياناً ، ولكن الخيال نفسه ينطلق بالأصل من معرفة وطيدة عيانيّة بالمجتمع ثم لماذا ننسى أن الأمر قائم على موهبة فطرية بالأساس ، وتنّميها التجارب والثقافة وعوامل النضج ؟ أن يكون كاتب ما شاعراً وليس روائياً ، أو أن يكون ناقدا وليس مترجماً ، هذه خِيارات تمليها في الغالب الاستعدادات الطبيعية الكامنة في النفوس وطه بالتأكيد ذو موهبة قَصصية ، لكنها موهبة مجهَضَة ، اعترصها عاملان وحالا دون أن تأخذ مداها الإبداعي كتب طه محاولاته القَصصية في زمن لم تكن بعدُ القِصّة ـ سواء القصيرة أو دات النّسَق الروائي ـ قد توطدت أدبنا العربي الحديث ، ولم تكن قد أدركت بعدُ مرحـ الروائع لقد عاصر طه من القِصّة مرحلة الإطلا على فن جديد مستحدث ، يجرّبه الكتّاب عند متأثرين بالآداب الأجنبية ولهذا فأعمال طه في هد الميدان هي من النوع التجريبي ، وله من الفضـ « التاريخي » ما لسواه ممن حاصوا التجربة في طورها الحنيني أما العامل الثاني المعطّل فهو أسلوب طه حسين نفسه وقد يبدو هدا التفسير غريباً ، للوهلة الأولى ، إذ أخصّ ما اشتهر به طه أسلوبه المتميز الجميل لكن هدا الأسلوب الخاص بصاحبه الدي كان بلا ريب فتحاً في الصياغة الحديدة للعربية ، عبْر حملة رشيقة ، محبّبة ، قد نضتْ عنها الأثقال البيانية ، هدا الأسلوب الدي توسّل به طه في طرح أفكاره النقدية والاجتماعية ، لم يكن الأسلوب الملائم للقصّة ، على النقيض من ذلك كان هـدا الأسلوب عند طه عقبة دون السرد القصصي الطبيعي ولكن شعرنا في أعمال طه القصصية أن اللغة عنده تطغى على المصمون ، وتنتصب أحيانا حداراً سميكا يحول بين القارىء والمتعة القصصية المأمولة ولعل « الحب الضائع » نموذج ساطع على فحوى الرأي الذي عرضنا له ، إذ لكأن طه يصيبنا شيء من الدّوَار ، من فرط دورانه بالجملة ، ولعبه بمفاصلها ، وتقليبه لها متوسّلاً بالمترادفات ولا بد للقارىء العربي أن يجد مفارقة إضافية ، وهي أن هذا الأسلوب شبه الجاحظي ـ وكان طه من أشدّهم حماسة لعمرو بن بحر ـ لا يأتلف البتّة مع رواية تجري أحداثها في فرنسا ، وأبطالها من هناك أيضاً ثم إن طه يقحم نفسه على النص القَصصي ، فيكسر السياق ويضيع عملية الإيهام الفني ، وذلك ليعلّق ، أو ينقد ، أو يبدي رأياً ، أو ليناقش في فكرة فنية أو أنه يتبادل والقرّاء الجدل يطرحه عليهم حول المسار الذي اختاره لقِصّته ، لأنهم في رأيه شركاء في العمل الأدبي . وقد يعرض الوصف على القرّاء في بعض الحالات من غير تفصيل ، إذ ليس من الذوق ـ كما يعتقد ـ ولا من الرعاية أن يستأثر به دونهم ! □



صحّة البشر وتحديات الغد

بقلم : الدكتور رمسيس عبدالعليم جمعة *

بتطور المجتمعات ، وتقدم وسائل الحياة وأساليبها ، سيطر الإنسان على بعض الأمراض بالعلاجات الناجحة التي تمكن من اكتشافها ، لكن في الوقت نفسه ، وثمرة لهذا التطور ظهرت أمراض جديدة ، مما خلق تحديات أمام البشرية ، عليها أن تسعى لمواجهتها .

* خبير التخطيط بوزارة الصحة العامة ـ دولة الكويت .

أصبح لعلم « المستقبليات » مكان مستقل على خريطة العلوم الإنسانية ، وهو أحد الروافد التي يعتمد عليها السياسيون والمخططون لتحديد نظرتهم المستقبلية في القضايا والمشاكل العامة ، وتعبئة الطاقات لمواجهتها ، وصولا إلى الغايات والأهداف المرجوة في الأمد القريب والبعيد . ويبدو أن مستقبل البشرية في مجال الصحة سوف يكون مليئا بالتحديات والمخاطر ، منها ما هو امتداد لما تواجهه البشرية اليوم ، ومنها ما هو مستجد نتيجة لما تفرزه الحياة من تغيرات وأحداث ذات آثار وانعكاسات مستقبلية على الصحة

فما هي طبيعة تلك التحديات ؟ وما ثقل وطئها على صحة الفرد والمجتمع ؟ وهل يجدي التعامل معها بنفس الطرق والأساليب المعاصرة ، أم لابد من التصدي لها بفكر ونهج جديد يلائم طبيعتها ، ويغالب عنفها وضراوتها ؟

ولا شك أن فقدان الاستقرار الاقتصادي في العالم سوف تمتد آثاره على الأوضاع المعيشية والاجتماعية والثقافية ، ومنها تفاقم مشاكل نقص الغذاء والكساء والمسكن ، والتعليم وفرص العمل ، وهي من المسببات المباشرة للمشاكل الصحية ، خاصة في المجتمعات ذات التزايد السكاني غير المتوازن مع معدلات التنمية .

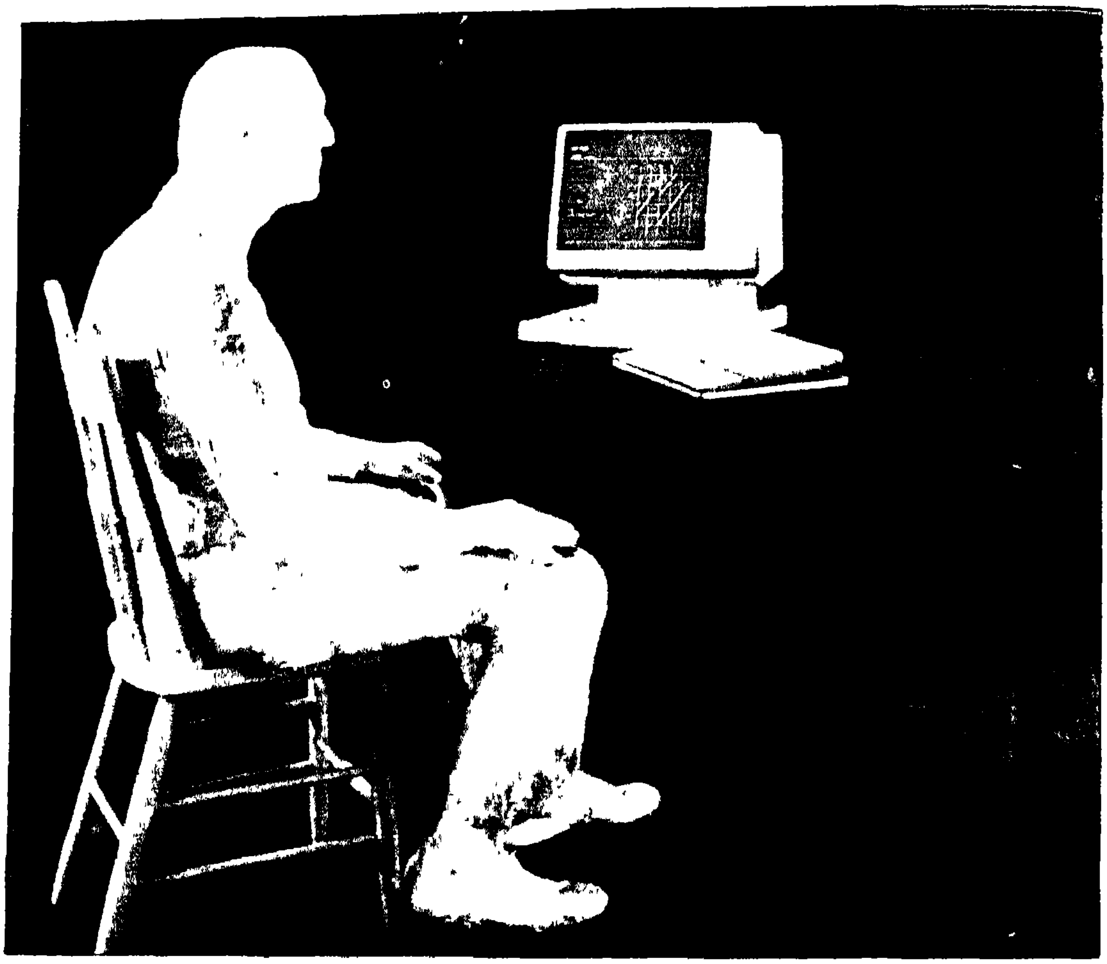
تغير خريطة الأمراض :

لقد كانت الأمراض السارية (المعدية) تتصدر المشاكل الصحية في الماضي ، لكنها بفضل جهود التمنيع (التحصين) والأساليب المتقدمة في الرقابة الوبائية انحسرت موجاتها ، ونجح العالم عام ١٩٧٧ في استئصال أحطرها وهو الجدري ، وكان ذلك بفضل التقدم في اكتشاف اللقاحات المضادة ، والتوسع في استخدامها ، وما زال أمام العلم والعلماء شوط طويل لتحقيق مزيد من النجاح في مكافحة أمراض مثل التهاب سنجابية النخاع ، والتهاب الكبد الوبائي ، والانفلونزا ، بطريق التمنيع باللقاحات ومن سوء حظ البشرية أن ظهر في الأفق لأول مرة عام ١٩٨١ مرض جديد ، هو مرض الايدز (متلازمة العوز المناعي المكتسب) ، وأصبح يمثل مشكلة جديدة من مشكلات الصحة العامة ، وفيروس هذا المرض فريد في طبيعة تكوينه ، وأساليب عدواه ، وظروف انتشاره ، وفريد في شدة ضراوته ، وخبث خصاله ، والمعركة ضده لا تعتمد على سلاح واحد ، بل على أسلحة متعددة ، طبية وسلوكية واجتماعية ، لابد فيها من التعاون والتنسيق للبحوث والتجارب على صعيد العالم أجمع

كما احتاحت العالم خاصة في الأوساط الشبابية موجات التحيرر والانفلات والهروب من أرض الواقع ، فانتشرت الاضطرابات العقلية والنفسية والعصبية ، نتيجة إدمان الكحوليات والعقاقير المخدرة وعلى الرغم من وعى الحكومات بجسامة المشكلة وطبيعتها ، فإن معالجتها لن تنجح إلا بالوسائل التي ترفع الضغوط عن الشباب ، المتمثلة في عواقب الحروب ، والعوز ، وتفكك المجتمعات ، وانهيار الأسرة نتيجة للتحضر الجامح ، والركود الاقتصادي

العوامل البيئية :

بسبب عدم اليقظة والحكمة في الاستخدام الأمثل للعلم والتقنية اندفع الإنسان في ميدان التصنيع والزراعة والطاقة والمواصلات والتسلح دون اهتمام كاف بتوحي آثارها السلبية على صحته وتسمع كل يوم دقات الخطر منذرة بتفاقم مشكلة تلوث البيئة وآثارها الضارة على الصحة ، فنفايات الصناعة تتزايد عناصرها السامة سنة بعد أخرى ، بعضها كيماوي ، والآخر بيولوجي أو فطري ، وبعضها مشع ، كما تتعدد سموم المبيدات الحشرية لمكافحة الآفات الزراعية والقوارض ولا سبيل لوقف زحف هذه الأخطار إلا بمزيد من البحث العلمي والتجارب ، وصولا إلى اكتشافات جديدة للسيطرة على مناعة الحشرات ضد المبيدات ، واختيارها من المواد قليلة السمية للإنسان والنبات والحيوان ، مع ترشيد استخدامها . كما يتحتم أن يكون المبدأ الرائد



العلم أداة الانسان لمواجهة مشاكله الصحية

مستقبلا هو العمل المشترك بين القطاعات وعلى السياسيين أن يأخذوا في حسبانهم التأثير على صحة الناس ، الناتج عن تغيرات في قطاعات الزراعة والبيئة والتعليم والصناعة والإسكان ، ومراعاة العلاقة الوثيقة المتبادلة بين الصحة وصيانة السلم .

وبسبب تسابق العالم في صناعة الأسلحة النووية ، وعلى الرغم من محاولات التخلص من بعضها ، فما زال الشر مستطيرا ، يهدد الصحة العامة بالتسرطن البيئي علاوة على الآثار البيولوجية للتشعيع في فترة الحمل ، والجوانب النفسية والاجتماعية للتهديد النووي . ومواجهة مشكلة السرطان بصفة عامة لن تقربنا من الحل إلا باتقاء حدوث السرطانات الشائعة ، كالرئة والكبد والرحم والفم ، بأسلوب الوقاية ذات الصبغة المجتمعية من خلال أساليب العيش الصحية التي تُغرس في المجتمع ، وبخاصة لدى النشء والأمهات . وذلك يحتاج جهودا مبرمجة للتثقيف الصحي الواعي ، وكشف دور التغذية والبيئة في إيجاد أسباب السرطان واتقائه

السلوكيات الاجتماعية :

لقد امتدت موجة التحضر ، فشملت المرأة ، وهي نصف المجتمع ، وأصبح لها دورها المؤثر في العمل والإنتاج ، فكان أن واجهت الطفولة تهديدا لحقّها في الرضاعة الطبيعية والرعاية الأسرية والنفسية من الأم وراج الحليب الصناعي بديلا لحليب الأم ، وشاعت موجة استخدام المربيات وخدم المنازل،مما

ساعد على زيادة أمراض سوء التغذية ، والهضم ، وضعف المناعة عند الأطفال ، والأمراض النفسية ، والسلوكية في سنهم المبكرة . وكل هذه السلبيات سوف تتطلب مناهج جديدة للحفاظ على التوازن بين حقوق الطفل وحقوق الأم في مجتمع تضطر فيه المرأة أحيانا للعمل إلى جانب الرجل ، عن طريق تنظيم أوقات العمل والإجازات ، وتشجيع الرضاعة الطبيعية والفطام السليم ، وعد ذلك جزءا من رسالة تنظيم الأسرة ورعاية الأمومة والطفولة .

ولعل من يتمعن في طبيعة كثير من المنتجات الحديثة التي استخدمت فيها آخر مبتكرات العلم والتقنية يلاحظ تأثيرها على وظائف أعضاء الجسم الطبيعية ، حيث صارت الآلة تقوم له بكل شيء ، وحدّت من حركة أعضائه وأجهزته . ولن ندهش إذن لو توقعنا مزيدا من أمراض السمنة والقلب والشرايين والمفاصل والغضاريف ، إلى آخر تلك السلسلة من مخلفات الكسل والركود الوظيفي للجسم . ومن مظاهر التقدم الصحي المعاصر زيادة متوسطات الأعمار بين الناس ، وسوف ترتفع نسب المسنين بين السكان ، وتصبح مشكلة أمراض الشيخوخة ضمن أولويات الرعاية الصحية ، وتفرض أسلوبا جديدا في الرعاية ، بالخروج بها عن أسوار المستشفيات إلى المنازل ودور المسنين .

من ناحية أخرى اتسعت دائرة استخدام الطب التقليدي (الشعبي) ، واتخذ مسميات ومناهج مختلفة حسب تراث البلد ، والتحدي المستقبلي لهذا النوع من التطبيب هو حاجته الدائمة إلى التقنية من الممارسات الضارة ، وتشجيع ما فيه من ممارسات مفيدة ، تتلاءم مع معتقدات الناس دون تناقض مع معطيات العلم الحديث ، وذلك بإخضاعه للبحوث والدراسات الهادفة إلى تقصي سلامة العلاجات التي يستخدمها وفاعليتها ، وطبقا للنظريات والحقائق الثابتة في علوم النبات والبشريات وعلم الأدوية التجريبي والبحوث السريرية . ولا بد أن تكون هناك مؤشرات صحية جيدة التصميم ، لكي يتسنى تقويم النجاح والفشل للأنظمة الطبية المطبقة .



المعادلة الصعبة :

يشير الواقع إلى أن الظاهرة العالمية للارتفاع المتنامي لتكاليف الرعاية الصحية سوف تزداد وطأتها على الدول والأفراد . ومواجهة ذلك تتطلب أمرين أساسيين : الأول هو اتباع نظم الضمان أو التأمين الصحي ، فهو الحل السليم للمعادلة الصعبة لتلبية احتياجات العلاج والوقاية المتزايدة بالإمكانات المحدودة المتناقصة . كما أن التأمين يحقق التكافل والتضامن بين الغني والفقير ، وبين السليم والمريض ، وبين العامل ورب العمل ، وبه تستطيع المجتمعات أن تضمن أكبر قدر من اليسر والكفاءة ، لتوفر على الأقل الرعاية الصحية الأساسية لأفرادها ، وتحقق شعار الصحة للجميع بحلول عام ٢٠٠٠ ، الذي يعتمد إلى حد كبير على مبدأ المساواة بين البشر في عائد التنمية لجميع البرامج القطاعية .

والأمر الثاني للتغلب على عقبة ارتفاع تكاليف الصحة باتباع الحكمة المعروفة « الوقاية خير من العلاج » ، فالأولوية في الإنفاق الصحي يجدر أن تتجه نحو تعزيز سبل اتقاء المرض بالتثقيف الصحي الجاد المستمر ، حتى تتغير سلوكيات الناس

رعقائدهم إلى ما يحفظ عليهم صحتهم ، وتوفير كل وسائل تحسين الصحة من إصحاح للبيئة ورياضة للجسم وتغذية سليمة وتوعية دينية وأخلاقية ، تبعد الفرد عن اتيان ما يعرض صحته لخطر المرض . ولا بد أن يتسم الغد بالترشيد للإنفاق الصحي بتعزيز وسائل التشخيص المبكر للأمراض ، وتعميم الفحوص الدورية والرعاية المنزلية والتأهيلية ، وبذلك تتناقص الحاجة إلى أسرّة المستشفيات ، وهي التي تبتلع النصيب الأكبر من ميزانيات الخدمة الصحية في جميع البلدان . ولا شك أن سياسات الاصلاح الاقتصادي التي ترفع شعاراتها بين الحين والحين لن تكون مؤثرة إلا بتضييق الفجوة بين الأقوال والأفعال ، وبتحقيق العدالة والحماية الصحية للمجموعات السكانية الأكثر حرمانا وتعرضا للخطر .

ويجدر في هذا المقام الاشارة الى الدور الذي ستلعبه ثورة المعلومات في المجال الطبي ، سواء في التخطيط أو الممارسة أو التعليم أو التدريب أو البحوث باستخدام المعلوماتية « والتلماتية » ، وبخاصة الحواسيب الصغيرة والمصغرة عند الرصد والتقويم للأنشطة .

والأمل ألا يمر زمن طويل حتى تغطي شبكات المعلومات ذات الحواسيب الآلية جميع المؤسسات الطبية والبحثية داخل البلدان وخارجها لنقل المعلومات الطبية بينها واستطراقها في أقصر زمن وبأقل تكلفة

السلاح ذو الحدين

وسوف يشهد الغد عديدا من مستحدثات العلم والتقنية الطبية التي يثير بعضها تحفظات أخلاقية تجاه استخدامها في ممارسة المهنة . ومن امثلة ذلك جراحات نقل الأعضاء البشرية والتجميل ، وأطفال الأنابيب ، وتحديد النسل ، وجراحات تغيير الجنس والخصائص الوراثية . وجميع هذه الممارسات الطبية ما لم يوضع لها ميثاق وتشريع أخلاقي يلتزم به الأطباء ، ويحفظ لكل إنسان حقوقه وكرامته ، وللأنساب نقاءها وشرعيتها ، فسوف تكون العواقب وخيمة ، والأضرار فادحة

وبعد ، فإذا أريد للانسان أن ينعم بالصحة والعافية في غده فعليه من الآن أن يعقد العزم لمواجهة القرن الواحد والعشرين ، بنظرة متطورة ، وفكر ثاقب ، للتغلب على ما فيه من تحديات ، وأن تتحلى الدول والأفراد بفضيلة التعاون والتآخي والسلام من أجل غد أفضل لكل البشر

□ لنعمل على أن نفكر جيدا ، فهذا هو مبدأ الاخلاق

(بسكال)

□ اننا نشعر بالحرج عندما نرفل في السعادة إلى جانب بعض مشاهد البؤس

(لابرويار)

□ لاتكمل أخلاق المرء إلا إذا استوى عنده مدح الناس وذمهم إياه

(قاسم امين)

□ من يؤمن بالسلام ، فمثله الأعلى المحبة

(هويتمان)



قاسم امين

أرقام

بقلم : محمود المراغي

نساء.. ورجال

ماذا يحدث لو اختل التوازن بين عدد الرجال والنساء في العالم ؟ ماذا يحدث لو أن هناك فائضا ضخما من النساء الباحثات عن الرجال لتكوين أسر وحياة عائلية ، أو أن هناك فائضا من الرجال الباحثين عن الجنس الآخر ؟

الأكيد أن قانون العرض والطلب لن يحكم هذه المعادلة الانسانية ، فللوفرة والندرة هنا معانٍ وآثار أخرى

على أي حال ، فإن العالم وباستثناءات محدودة ، مثلما يحدث في أوقات الحروب ، لم يتعرض لهذا المأزق ، مأزق العرض الزائد من النساء أو الرجال ، فلقد كانت حكمة الله دائما أن تتوازن الأعداد وتتقارب نسبتها في المجتمع . كما يحدث التوازن في عوامل البيئة الأخرى التي تجعل للحياة امكانية للاستمرار

التوازن إذن هو الأساس ، ومع ذلك فإن هناك بعض الفروق في صالح الرجل ، حيث تسجل الأرقام أن الذكور أكثر بصفة عامة ، على الرغم من أن نسبة النساء في طول العمر أكثر .

بالأرقام ، يسجل آخر تقرير للبنك الدولي عن (التنمية في العالم سنة ١٩٨٨) ملامح الخريطة التي نتحدث عنها .

وقد تعادلت نسب النساء في الدول المتوسطة والمرتفعة في الدخل في الأرقام عن عام ١٩٨٥ ، بينما انخفضت النسبة فأصبحت (٩٥٪) فقط في الدول المنخفضة الدخل ، وارتفعت وزاد عدد النساء فأصبح (١٠٤) من النساء لكل مائة رجل في الدول الصناعية المتقدمة ، و(١١٠) من النساء في الدول الاشتراكية

هل يرتبط ذلك بالفقر والثراء ، وبالتقدم والتخلف ؟

البنك الدولي يرجح ذلك ، ويقول . إن انخفاض نسبة الاناث في سكان الدول الفقيرة وراءه نوع من التحيز ضد المرأة ، ففي هذه البلدان تحصل البنات الصغيرات على غذاء أقل ، وتحصل المرأة الحامل على رعاية طبية أقل ، وعندما تصل المرأة إلى الشيخوخة تعاني من الأمرين معا نقص الغذاء ونقص الرعاية الطبية

ووفقا لاحصاءات عام (١٩٨٠) كانت نسبة النساء اللاتي يفارقن الحياة أثناء عملية الوضع نسبة مرتفعة كثيرا

في الدول الصناعية وبين كل مائة ألف أمّ كانت تموت إحدى عشرة أمّا فقط ، بينما يرتفع المؤشر في هذه الدول التي يسميها البنك الدولي منخفضة الدخل ، ففي التاريخ ولنفس السبب كان عدد اللاتي يفارقن الحياة أثناء الوضع يتراوح بين (٣٢٩) و (٦٠٧) من النساء من كل مائة ألف .

البون الشاسع ، والعامل الاقتصادي سواء تعلق بالتغذية أو الرعاية الطبية أو طريقة الولادة والاشراف عليها ، هذا العامل حاسم كما يبدو على الأقل بينما يتعلق بحالات الوضع والتعرض للمخاطر

خلالها .

ولكن هل يمكن الاطمئنان لهذا التفسير بشكل عام ؟ ألا يوجد استثناء في هذا المجال ؟

الاجابة غير مؤكدة ، فعلى الرغم من أن تقرير البنك الدولي قد استند للأرقام والملاحظات العامة ، إلا أن الأرقام أيضا تقول إنه في أفقر مناطق العالم ، وهي جنوب الصحراء في أفريقيا يزيد عدد النساء على الرجال حتى بات لكل مائة من الذكور (١٠٢) من الاناث !

أين القاعدة ؟ وأين الاستثناء ؟ الأمر يحتاج الى دراسة أكبر .

وهذا التفاوت الكبير

الأرقام بعد ذلك تلفت النظر ، فبين الدول النامية يوجد ذلك التفاوت الكبير بين الاناث والذكور

في اليمن هناك (١١٠) من الاناث مقابل كل مائة من الذكور !

في بتسوانا (١١١) أنثى لكل مائة رجل !

وعلى العكس فإن نسبة الرجال في بلدان النفط مرتفعة الدخل (أقطار الخليج وليبيا) تفوق نسبة النساء إذ أن هناك ثمانين امرأة لكل مائة رجل ويزداد الاختلال وضوحا في بعض البلاد ، مثل الامارات ، حيث توجد (٤٧) امرأة لكل مائة رجل .

والتفسير هنا أمر سهل ، فإن عامل الهجرة يلعب دوره ، أي أن الخلل ليس طبيعيا ، لكنه بفعل فاعل ، وإن كانت له علاقة أيضا بالعنصر الاقتصادي .

في حالات الحرب يموت الرجال في ساحات القتال ، وقد تختل النسبة بين الجنسين نتيجة لذلك .

لكن في حالتنا تلك الهجرة هي السبب حيث يغيب الرجال (على الأرجح) عن الوطن . وحالة اليمن العربية (صنعاء) شاهد على ذلك .

ويحدث العكس في الدول التي تستقبل المهاجرين ، حيث تستقبل في كثير من الحالات الرجال وحدهم ، لأنهم عماد القوة العاملة ، وبالطبع تختلف النسبة ، ويتفاوت الخلل من مجتمع إلى آخر فبينما تهبط نسبة النساء في ليبيا إلى رقم معقول هو (٨٥) امرأة لكل مائة رجل ، فإن النسبة كما ذكرنا تهبط إلى مادون النصف في بلد آخر هو الإمارات ، وربما يكون التفسير أيضا في عمالة عربية أو أوروبية مهاجرة إلى ليبيا ، وعمالة آسيوية مهاجرة إلى الخليج ، معظمها من الرجال على الأرجح

أوروبا شيء آخر

في الدول المتقدمة يختلف الأمر ، فالنساء دائما أكثر ، وخاصة في الدول الاشتراكية

ففي الاتحاد السوفيتي يبلغ العدد(١١٢)امرأة لكل مائة رجل

وفي ألمانيا الاتحادية (١٠٠) من الاناث ، وفي فنلندا (١٠٧) ، وايطاليا (١٠٥) لكل مائة رجل

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ نسبة النساء (١٠٥) بالمائة من الرجال ، وهكذا

والتفسير أيضا ليس صعبا ، فمع الوفرة الاقتصادية والرعاية الطبية تعود المرأة لطبيعتها وتصبح أطول عمرا

والأرقام أيضا واضحة حيث يزيد متوسط عمر المرأة عن عمر الرجل

إذن فالتقدم والتخلف يلعبان دورهما والاقتصاد والمجتمع لهما دور في تلك اللعبة ، لعبة النساء والرجال ، ومن يسود العالم عدديا ، لكن أليس من حقنا أن نتساءل حول مجتمعات اللاتوازن ؟ والسؤال مازال مطروحا : ماذا يحدث عندما تزيد نسبة النساء ، ويطول طابور الباحثات عن أسرة ورجل وبيت سعيد ؟ أو يحدث الوضع العكسي حيث يزيد عدد الرجال ؟ الأسئلة والنتائج الاجتماعية كثيرة ، ومع ذلك فالحكمة عند الله أنه وحده يحدد الأجناس ، فيجعل لكل رجل امرأة عند الميلاد ، أو هكذا على وجه التقريب ، ومنذ بداية الخليقة حين بدأت بزوجين اثنين لا أكثر آدم وحواء ، والبقية تأتي على نفس المنوال .□

الموشحات والقدود

حلبية أم حمصية؟

بقلم : الدكتور عمر موسى باشا *

هنـاك كثيرون من العلماء والشعـراء ظلوا مغمورين وهم ممـن كـانوا مبدعين في آثارهم الأدبية والشعرية . والغريب أن نجد كثيرا من المحدثين قد استمدوا أفضل ما عندهم من التراث الذي خلفه هؤلاء الاعلام ، ولم يكلفوا أنفسهم عناء الاشارة اليه بشكل من الأشكال تلميحا او تصريحا . ويبدو أن السرقات الأدبية والفكرية ولاسيما لـدى الناشئـة من الشعراء والكتـاب قد انتشرت انتشارا كبيرا في وطننا العربي فاختلط الصالح بالطالح ، وغام الحق في الباطل ، وهكذا ضاع الحق وسلب الفكر والابداع من اصحابه ليدعيه غيرهم ممن استولوا على حقوق هؤلاء المدعين ، ذلك لأنهم قصروا عنهم فلم يجدوا امامهم غير الاقتباس والتقليد دون أن يشيروا الى هذه المصادر التراثية التي استقوا منها .

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ جامعة دمشق



حفزني الى الاشارة الى هذا الأمر الخطير مالاحظته في ديوان الشاعر الحمصي أمين الجندي وكان آخر الشعراء الذين اهتممت بهم وترجمته كعلم متميز من أعلام الشعراء في العصر العثماني وقد توفي سنة (١٢٥٧هـ/ ١٨٤١ م) .

وأبرز ما لاحظته أنه كان شاعرا متصوفا كبيرا ، وقد نظم في بعض الاغراض من النبويات والنسيب والغزل والخمريات ، وخص الغنائيات بأكثر من نصف الديوان الذي يتجاوز خمسمائة صفحة ، وعقد بابا فيه بعنوان : « القدود اللطيفة والاناشيد الظريفة » وهو الباب الثالث.والملاحظ أن الموشحات قد تطورت عند الشاعر فكان محددا لها بتطوير حديد يتناول أوزانها وشكلها ومضمونها ، وسماها القدود ويؤكد هذا كله أن الشاعر الحمصي أمين الجندي كان الرائد الأول في نظم القدود ، فبلغ عددها أكثر من نصف الديوان ، وهي تتميز بأسلوب خاص بالشاعر لم نعرفه لدى أى شاعر آخر مشرقي أو مغربي ، وتطورت هذه القدود الحمصية حين انتقل الشاعر الى دمشق ، فأخذت منها رقة طبيعتها وثراء صوفيتها ، فأصبحت القدود الحمصية هي القدود الشامية ، والطريف أن الشاعر الجندي كان يكرر ذكر الشال السليمي نسبة إلى سلمية وهي بلدة سورية قريبة من حمص وفوجئت حين اطلعت على هذه القدود ، واتضح لي انها هي الاصل والينبوع الذى استمد منه شعراء القدود المعاصرون ، وأخذها منهم المغنون والمطربون الذين لم يؤدوا الامانة كما يجب أن تؤدى ، ولم يشيروا الى هؤلاء المبدعين المبتكرين الذين سبقوهم اليها .



والغريب حقا ان نجد النصوص كاملة مأخوذة بألفاظها واوزانها ورويها ولحنها الغنائي المسجل بجانب كل قدّية من قدود الجندي .

شواهد من ديوان الجندي

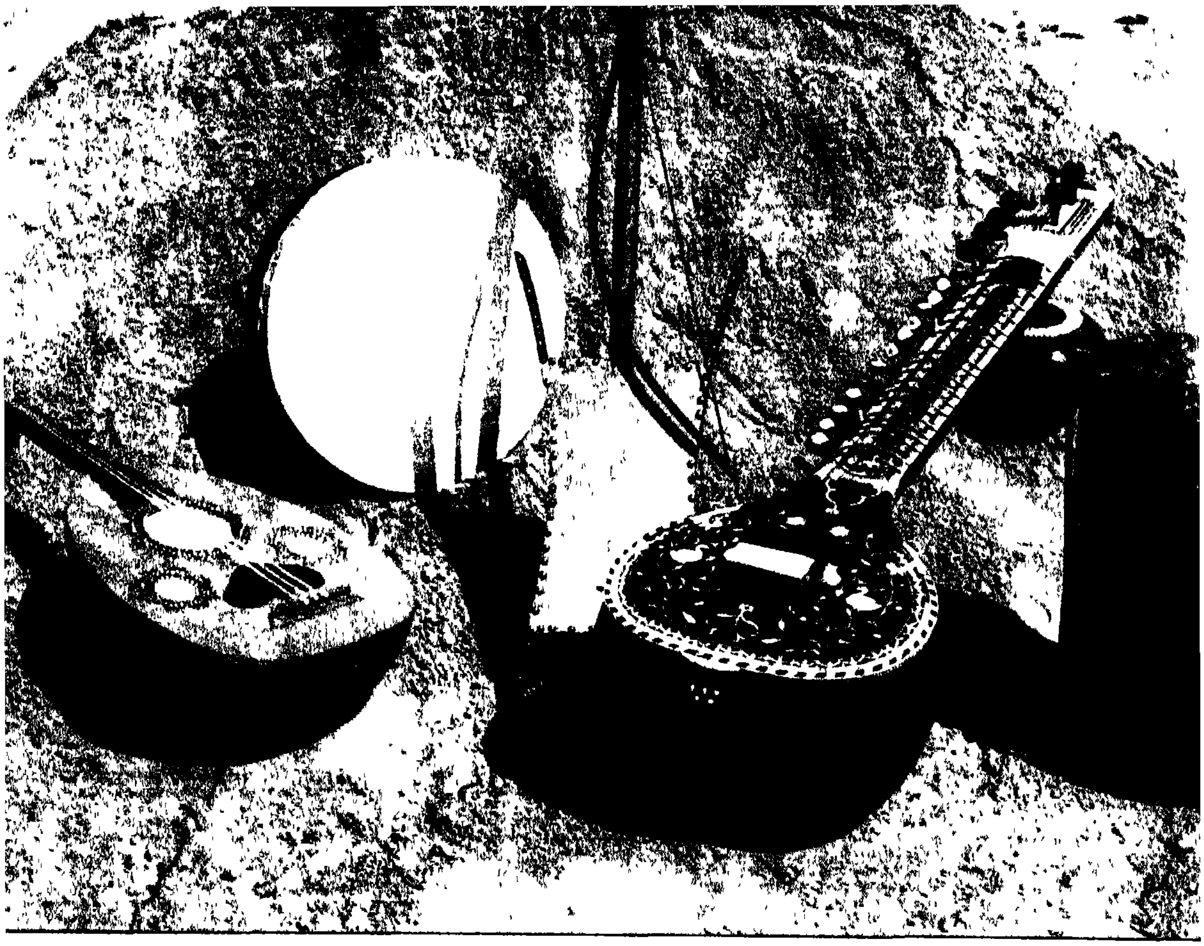
ونرى توضيحا لما قدمنا أن نشفع ذلك كله بالشواهد من ديوان الجندي ، وهي نفسها التى نسمعها في كل وقت على لسان هؤلاء المطربين ، ونجهل أنها من ابداع الشاعر الحمصي أمين الجندي الذى انتهكت قدوده وسرقت موشحاته

ليس منا من يجهل المطرب العراقي ، ناظم الغزالي ومقطوعته المشهورة التى ينشدها كل انسان اشتعل الرأس منه شيبا ، وهي قوله :

عيرتني بالشيب وهو وقار
ليتها عيرت بما هو عار
إن تكن شابت الذوائب مني
فالليالي تزينها الأقمار

هذان البيتان اللذان يترددان من أقصى المشارق الى أقصى المغارب للغزالي لايدري احد أنهما بعض أشعار الجندي الحمصي . وهذا قليل من كثيرولابد لنا من الوقفة مطولا عند القدود الحلبية أو القدود المنسوبة الى حلب ، وهي اسطورة غير صحيحة ، إذ اتضح لنا أن معظم مالحنه مطربنا الحلبي إنما هو للجندي نفسه نظما ولحنا كما هو وارد في الديوان ، وذلك لأن الطبيعة الحلبية لاتولد قدودا تحاكي القدود الشامية ، وتسميتها من بعض من سطوا على قدود الجندي لايسمح لنا أن ننسبها الى غير مبتكريها ومبدعيها .

إن العاملين الزماني والمكاني غيرمتوافرين لنشوء الموشحات والقدود فيما ينسب اليه الان . ولسنا ضد نشوء موشحات حلبية تنسجم مع طبيعة حلب ، ولكننا لانقبل أن نأخذ الموشحات الحمصية الشامية



آلات موسيقية مصاحبة لأداء الموشحات والقدود

التى نظمها الشاعر المبدع الجندى وتغنىّ بالشالات السليمية وتنسب لغيره

وجدير بالذكر أن القدود والأناشيد تؤلف معظم ما في الديوان ، اذ بلغ عددها قريبا من مئتي قُدّية ، ولم نعرف فى تاريخنا الأدبي تطوراً شمل الموشحات الأندلسية كهذا التطور .

لقد ازدهرت القدود في بلاد الشام كغرض جديد يتميز من الموشحات المعروفة في العصور السابقة ، وهذا التجديد في أنماط الشعر العربي في العصر العثماني المتأخر يعطينا أبعاداً جديدة جهلها مؤرخو الأدب ، ولسنا في معرض مناقشة هذا الموضوع . . وإنما نريد أن نوضح أهمية الشاعر الجندى شاعرا رائدا فى هذا العصر ، وهو مبدع القدود نظما ونهجا ولحنا وغناء ، ذلك لان المتصوفة كانوا يعتمدون عليها في سلوكهم ومواجدهم . وغريب حقا أن نستمع الى هذه القدود منسوبة إلى مغنيها نظما ولحنا دون اشارة الى هذا المبدع الحمصي الذى نظمها ولحنها وأنشدها في حلقات المتصوفة فى حمص ودمشق ولابد لنا ، توضيحا لما نقول ، وتوكيدا لما نذهب اليه ، أن نشير الى القدود التالية .

القدّية الاولى

تتألف هذه القدّية من لازمة أحادية وخمسة ادوار مزدوجة ، مطلعها :

يـاصـاح الـصبـر وهـى مني
وشـقـيـق الـروح نـأى عـني

وهي ، كما ذكر في الديوان « عروض (يام الشّال) نوى »

القدّية الثانية

تتألف هذه القدّية من لازمة مزدوجة وعشرة أدوار زوجية ومطلعها :

قول الجندي :

هيمتني تيمتي عن سواها أشغلتني
عاتبي مادا عليها سالقا لو أتحفتي »

وهي كما ذكر في الديوان « عروص (جو حجتني مرجحتني) رهاوى » ويتضمن هدا الموشح القدى ذكر الشال ، وهو مذكور في قدود الجندى . ودلك قوله في القدّية نفسها :

تسدل الشال السليمي فوق أعطاف شجتني

ومنها

حبذا وادي حماة لي بها أسّد حمتني
يابي حيلان ذكرى حدكم قد اطربتني

واختتم هده القدية ذاكرا اسمه كعادته في قصائده وقدوده

ما امين الحب نادى هيمتي تيمتي

والمؤسف ان اسم الشاعر قد صاع ، أو قد ضيعه من عنوا قدوده ناسين فضله . زد على دلك هده الاشارة الى بيئة القدود . وهي حمص . وحماة . وسلمية

القدّية الثالثة

تتألف هده القدية من لازمة أحادية وأربعة أدوار ثنائية ، ومطلعها قول الجندى

ياغرالي كيف عني أبعدوك ؟
شتتوا شملي وهجرى عودوك

وهي كما ذكر في الديوان « عروص اصبهان » وفيها يتحدث الشاعر عن ريم الفلا قائلا

قلت رفقا ياحبيبي قال لا
قلت راع الود ياريم الفلا

القدّية الرابعة

تتألف هذه القدية من لازمة رباعية ودورين رباعيين ومطلعها قول الجندى

بين قيصوم وربوة
قد ربي هذا الغزال

وقد غني هذا القدّ في مسلسل للفنان صباح فخرى ، وهو مذكور في الديوان ، ولحنه « سماعى اقصبق » كما هو الامر نفسه في سائر القدود ، ولم يقتصر الأمر على الفنان الحلبي . وإنما سار على سننه المطربون المحدثون ، فأخذوا من الديوان عشرات القدود ، وغنوها في الحفلات دون الاشارة الى المصدر الذى استقى منه

لم يقتصر الأمر على الفنانين المطربين وإنما تجاوزهم الى المنشدين الدينيين في الاحتفالات والمناسات ، نذكر على سبيل المثال المنشد توفيق المنجد فقد استمد من نبوياته قوله في نبويته الرائية

رب إني قصدت بابك فاشهد
بمقامي ومن اليه يصير
يا عطيما يرجى لكل عطيم
وعلى كل ما يشاء قدير
يا مجيب المضطر مهما دعاه
يا الهي انت اللطيف الخبير

الى آخر القصيدة النبوية

الرائد والاقتباس

مهما يكن من امر هدا كله . فلابد من الإشارة الى أن الشاعر الجندى كان رائد القدود ومبدعها في العصر العثماني ولا يضيره أن يقتبسها المحدثون ، وهدا - في الواقع - يدلنا على أهمية هده الأناشيد الغنائية

ومن الوفاء أن نحفظ للسابقين حقوقهم وأن نعترف بفضلهم ، لا أن نسطو على آثارهم وأشعارهم وألحانهم

وهكذا يتضح مما تقدم معنا أنه لا وجود للقدود الحلبية . وإنما هي قدود حمصية مطبوعة بالطابع الشامي ، ومتشحة بالوشاح الصوفي ، والشال السليمي،فهي ابنته وليدة هذه البيئة على ضفاف العاصي ، وهي التي اعطتها رقتها وجرسها وعذوبتها

أما تسميتها بالقدود الحلبية فهذا جور كبير . وظلم نلحقه بالشاعر المبدع الحمصي لانه الرائد الذى أبدع ذلك في بيئة جميلة صوفية ساعدت على ذلك .□

طفولة

شعر :
جمال القصاص*



دعوني أغني لكم أغنياتي
وأكتبُ ما شئتُ مِنْ كلماتي
دعوني أغني
دعوني وحلمي الكبيرْ
فبينَ الضُلوعِ غرامٌ أسيرْ
وقلبٌ رقيقٌ كما النسماتِ

* *

دعوني أُراقِصُ عُشْبَ الحديقةْ
وأرسمُ في دفترِ الليلِ
شمسَ الحقيقةْ
لتنهضَ دلُ الشُموعِ الغريقةْ

* *

دعوني أكُنْ ما أشاءْ
فما زلتُ أهْوى اشتعالَ الضِّياءْ
وأخفقُ للطيرِ فوقَ الغصونِ
وبينَ كفوفِ الهواءْ
أُريدكَ يا حبّنا أنْ تكونْ
دويًا يهزُّ السُكونْ
ويملأ بالأغنيات فراغاً نما في سواد العيونْ
أُريدكَ سيفاً وفأساً بكلِّ المواقعْ
وسوطاً مِنَ النَّارِ عنَّا يدافعْ
أُريدكَ أسمى كتابٍ يقولُ الحقيقةَ
رغمَ القيودِ ورغم الموانعْ
أُريدكَ روضاً وفُلّهْ
أُريدكَ طفلاً وطفلهْ
طليقين
لا يعرفانِ الأسَى والمذلهْ



* شاعر من القطر العربى المصرى

يصدر في ١٥ يناير ١٩٨[illegible]

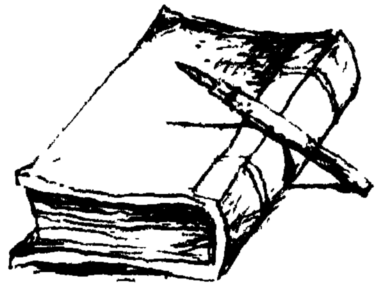
كتاب العربي

الثاني والعشرون

الإسلام والعروبة
في عالم متغير

بقلم الدكتور عبد العزيز كامل

كتاب العربي مرآة العقل العربي



حكايات من دفتر الوطن

ما بعد مصرع مأمور البداري

بقلم : صلاح عيسى

« لقد فضح الحكم في قصية الداري شيئا قليلا من أوزار هدا الزمان ، ولو افتضحت كل أوزاره لعحب الناس في هذه الأمة كيف نقيت في نفوس الناس سورة للعدل ، ونحوة للغضب الشريف » .

« عباس محمود العقاد » الجهاد/ ١٩ ديسمبر ١٩٣٢

كان اسماعيل صدقي رئيسا لوزراء مصر ، يحكم بالقهر والقمع ، وكانت ضحاياه في كل المدن والقرى . امتدت يد الادارة بالتعذيب الجماعي لقرى بأكملها ، وفي قرية صغيرة في أقصى جنوب مصر هب شابان فاض بهما الكيل من تعذيب المأمور فأطلقا عليه رصاصات أودت بحياته .

وأطلق عليهما اسماعيل صدقي رئيس الوزراء كل رجال الإدارة ، لتبدأ فصول قصة من أفدح قصص القهر والثورة في تاريخ مصر الحديث .

بدأ التحقيق هادئا : قبضت النيابة على عدد من شبان « البداري » وعلى رأسهم المقيدون في قائمة المشبوهين . وبينهم « احمد جميدي » و «حسونه » ، واستدعى بعض الاعيان ، وانكر الجميع أن لهم علاقة بالحادث ، وحددوا اماكن تواجدهم ساعة وقوعه ، واستشهدوا على ذلك بآخرين أيّدوهم على صحة ما قالوه ، واعتصم الجميع بالمكر الريفي التقليدي ، فتأسفوا لوقوع الجريمة ، وذكروا أن « المرحوم » كان ماهرا في

اكتساب العداوات ، ولا بد أن أحد « أولاد الحرام » من غير أهل « البداري » هو الذي اطلق الرصاص ولم يجد المحقق مبررا قانونيا لاحتجازهم ، فأطلق سراحهم ، وأوشك أن يغلق الملف !

لكن هذه الأنباء لم تكد تصل إلى القاهرة ، حتى ثار وزير الداخلية « اسماعيل صدقي » وأصدر تعليماته الى حكمدار اسيوط - أعلى قيادة شرطية في المحافظة - بأن يتولى بنفسه العثور على القاتل والاشراف على جمع الأدلة ضده ، وأصدر وزير العدل - « علي ماهر باشا » - تعليمات لرئيس نيابة اسيوط بالاشراف على التحقيق وليشعر الجميع بأن دماء المأمور عزيزة على النظام ، بل إنها دماؤه هو نفسه ، فقد عبر « صدقي باشا » بنفسه في تصريح لجريدة « الاهرام » عن اسمه لمقتل « يوسف الشافعي » ، وقال إنه كان مثالاً للكفاءة والحزم ، وأعلن أن الوزارة ستصرف للاسرة معونة عاجلة قدرها الف جنيه وانها أعدت مذكرة لعرضها على مجلس الوزراء لتقرير معاش استثنائي لها

أدرك « صدقي » ، وأدرك حكمدار اسيوط ، وأدرك كل من له خبرة بالعلاقة بين الحكومة والفلاحين ، أن أهالي « البداري » يعرفون القاتل ويتهامسون باسمه ، لكنهم لا يرون فيما فعل القاتل جريمة ، بل ينظرون اليها على أنها ارادتهم، لذلك تدافعوا يحمون الذي نفذها ، ويسمون بمكر الفلاحين لكي تشيع التهمة بين كثيرين ، فيضيع دم المأمور هدرا ، وتضيع معه هيبة الحكم بهذا المهم غزا حكمدار اسيوط مدينة « البداري » الصغيرة ، ليؤدب الشامتين في الحكومة ، ويعثر على القاتل فوزع قواته الى ثلاثة أقسام ، حاصر الأول مداخل المدينة ليمنع الدخول إليها والخروج منها وانتشر الثاني - وكان من جنود الهجّانة الذين ينتمون الى جنوب السودان - في شوارعها وطرقاتها فأعملوا في الناس سياطهم ، وأخلوا شوارع المدينة تنفيذا لقرار بحظر التجول اما الفريق الثالث فكان مكلفا بالتحقيق « على الطريقة الصدّقيّة » الضرب بالسياط ومقابض البنادق ، والإجبار على شرب بول الخيل وأكل التبْن

بحكم ما بينها من مشاكل قديمة ، وجه « العمدة همام » شبهات الحكمدار وقادها لتتركز حول « احمد جعيدي » و « حسونه » فحاصرت قوات الهجانة منزليهما، وألقت القبض عليهما ، وعلى بقية المشبوهين ، وربطتهم بالحبال إلى ذيول الخيول ، وسحبتهم على أرض الشوارع الواقعة بين منازلهم ومبنى المركز ، وهم يضربون بالسياط لإحاطة أهل « البداري » علما بالطريقة التي سيجري بها التحقيق !

ولان « احمد جعيدي » كان يدرك أن أحداً لا يملك دليلا ضده ، فقد أصر على الانكار ، على الرغم من التعذيب البشع الذي تعرض له ، والذي تواصل ليل نهار ، وسانده « حسونه » فأنكر هو الآخر ، آنذاك لجأ الحكمدار الى وسيلة كان يعلم أنها لن تخيب ، وسوف تحمله على الاعتراف فورا أمر قوات الهجانة فحاصرت بيت « آل جعيدي » ، وألقت القبض على كل من يسكنه - الجد الذي كان عمره أيامها قد ناهز المائة عام - والاب والام وشقيقة احمد الصغرى والأعمام والعمّات وسيق الجميع في موكب علني ، شق شوارع المدينة الصغيرة من بيتهم إلى مركز الشرطة - ليجدوا « آل عاشور » قد سبقوهم الى هناك في موكب مشابه بينما كان المنادي يصاحب الموكب ليعلن في الشوارع ، أن نساء « آل عبدالحق » و « عاشور » سوف تخرج من مركز الشرطة عاريات ملطخات الوجوه مربوطات بالحبال الى ذيول الخيول كالسبايا !

واستدعى الحكمدار المتهميْن وطالبهما - لآخر مرة - بأن يعترفا بما ارتكبا ، ولما أصرا على الإنكار ، أمر بعض الجنود فبدأوا في طلاء وجوه النساء باللون الابيض ، وأمر آخرين بنزع ملابسهن وقبل أن تنزع الأيادي ملابس الأمهات والشقيقات ، كان « احمد جعيدي » يصرخ ، معلناً أنه سيتكلم ، بشرط أن تغادر النساء مبنى المركز ، ويسمح لهن بمغادرة المدينة كلها ووافق الحكمدار ، واعترف « احمد جعيدي » بأنه الذي اطلق النار على المأمور ، وقال إنه لم يقصد قتله ، ولكن أراد فقط تخويفه ليكف عن تعذيب أهالي المدينة وإهانة كرامتهم وهدأ الموقف وخف توتر الحكمدار ، فخفف من الاجراءات الصارمة التي كان قد طبقها على المدينة وما أن اطمأن « جعيدي » الى أن نساء الاسرة قد غادرن « البداري » حتى عدل عن اعترافه ، وقال للمحقق ببساطة .

- لقد عذبتموني ، وكنت مستعدا أن اعترف بأنني الذي ارتكبت كل جرائم القتل في مصر كلها لتتوقفوا عن تعذيبي !

في هذه المرة انهال الجميع على « أحمد جعيدي » يركلونه بالأقدام ، ويضربونه بالسياط ويحشون فمه بالتبن ، ويدفعون رأسه في آنية مليئة ببول الخيل، ويضعون العه

في دبره ، ويجبرونه على أن يصيح انا مرة وهو يواصل انكاره للإعتراف ، و « حسونه » يسانده في انكاره . وارتفعت صرخات الشابين ، حتى أنها ـ كما قال « الشيخ حعيدي » والد « أحمد » في رسالة أرسلها للصحف فيما بعد ـ كانت تخترق الجدران من هول العذاب فيسمعها الناس على مسافات بعيدة واشتد التعذيب بعد أن تقدم أحد الأعيان ، باحدى البندقيتين اللتين ارتُكب بها الحادث وذكر أن خادمة لديه شاهدت حعيدي وهو يخفيها في أحد أكوام القش ليلة الحادث وكان لابد أن تأتي اللحظة التي لا مفر منها اعترف الشابان بأنهما القاتلان ونقلا من المركز الى سجن اسيوط ، وغادر الحكمدار المدينة ، لكنه ترك جانبا من قواته ليواصل تطبيق الأحكام العرفية ، واكتشف قبل أن يغادر مبنى المركز ، طفلة صغيرة ، تبين أنها أصغر شقيقات « أحمد » ، كانت أمه قد نسيتها في السجن من فرط الهول الذي شاهدته !

وحكمت المحكمة

في ١٠ ابريل ١٩٣٢ ـ أي بعد الحادث ثلاثة اسابيع فقط ـ قرر قاضي الإحالة ، احالة المتهمين الى محكمة جنايات اسيوط لمحاكمتهما بتهمة قتل المأمور عمدا مع سبق الاصرار والترصد ، والشروع في قتل مهندس الري وانضم والد القتيل وهو « الشافعي حمي افندي » الى الدعوى مطالبا بتعويض مؤقت قدره جنيه واحد وفي ٢١ يونيو ١٩٣٢ اصدرت المحكمة حكما باعدام « أحمد حعيدي عبدالحق » وبمعاقبة « حسن أحمد أبي عاشور » ، الشهير بـ « حسونه » بالأشغال الشاقة المؤبدة وتعويض اسرة المأمور القتيل بجنيه واحد مع المصاريف . وعشرة جنيهات أتعاب محاماه وطعن دفاع المتهمين في الحكم بالنقض في يوم صدوره

وفسرت محكمة جنايات أسيوط أسباب تغليظها للعقوبة ، ورفضها لمعاملة المتهمين بالرأفة ، بسببين

■■الأول إن المأمور القتيل كان « يؤدي واجبه بمطاردة هذين الشقيين اللذين عاثا في الارض فساداً، فاقدم هذا الآثم على قتله ، مما يدعو المحكمة الى أخذه بالشدة ، ودون رحمة ولا شفقة »

■■الثاني : إن جريمة القتل اقترنت بحالة « سبق الاصرار » ، فهي لم تتم في فَوْرة انفعال ، أو نتيجة غضب وقت ، بل سبقها تروّ وتبصر وتفكير مطمئن في



* على ماهر باشا وزير الحقانية

ارتكابها ، واقترن هذا الاصرار المُنسق بحالة « ترصُّد » ، إذ كمن القاتلان للمأمور ، أكثر من مرة ، قبل أن يتاح لهما تنفيذ جريمتهما وهاتان الحالتان أي « سبق الاصرار » و « الترصد » من مبررات التشدد وعدم الشفقة ، لما تدلان عليه من نذالة الجاني وإمعانه في استخدام الوسائل التي يضمن بها تنفيذ جريمته ، ولما تثيره من اضطراب في الأنفس التي يأتيها الهلاك من حيث لا تشعر

واستدلت محكمة الجنايات على توفر هاتين الحالتين بأن المتهمين كانا يحقدان على المأمور القتيل ، لأ-

طبقا لما ورد في شهادة « محمد بك نصار » احد عمدتي « البداري » أمام المحكمة - كان يطلب نومهما في مركز الشرطة ، وفي نومهما كانت تحصل لهما إهانات « حامدة » من العساكر ، ، لسيرهما الرديئة فتألما من هذه الاهانات ، اذ كان المأمور يأمر بقص شواربهما ، ويجيب لهما « رشمة ليف » ويعملها لهما زيّ لجام الجحش

وكان يكلفهما بأن يقولا أنا مَرَه وحصل أن دق العصى في دبريهما ، ولما سألته المحكمة عن المظاهر الاخرى التي تجعل المتهمين يمثلان غلا على المأمور ، فيقتلانه - بعد سبق اصرار وترصد - قال

- هوّا فيه أكثر من دق العصا في « . » وقصّ شنبه وقُصّته وإلجامه ؟ !!

فساد التعليل

لم يكن أحد قد عرف شيئا عما جرى في « البداري » منذ نُشِر خبر مصرع المأمور ولم تنشر الصحف كلمة عن ما فعله حكمدار اسيوط بأهلها ، كانت الخلافات المكتومة داخل احزاب المعارضة قد فتت في عضدها ، وفرقت بين صفوفها ، لخمد نشاطها أوكاد ، وفي شهور الصيف سافر الزعماء والقادة إلى أوروبا ليستريحوا من الصراع ، اما ملف قضية مصرع مأمور البداري ، فكان بين يدي « عبدالعزيز فهمي باشا » رئيس محكمة النقض !

وأيامها كانت « محكمة النقض والابرام » هي احدث مؤسسات القضاء المصري ، وأعلى مراتبه . . إذ لم يكن قد مضى على تشكيلها إلاّ أقل من عام ، وهي ليست درجة من درجات التقاضي ، ولا محكمة للفصل في موضوع الخصومة ، لأن مهمتها هي الحكم على عمل القاضي الذي فصل في الخصومة ، أي أن وظيفتها هي « الحكم على الحكم » وقد أضفى على مكانتها مهابة ، أن أول رئيس لها كان « عبدالعزيز فهمي باشا » ، أحد الثلاثة الذين قابلوا المندوب السامي البريطاني في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، ليطلبوا إذنا بالسفر لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح ، وقطب « الوفد المصري » ، ووكيل حرب الأحرار الدستوريين ثم رئيسه، ووزير الحقانية ورئيس محكمة الاستئناف الذي عضب لكرامة منصبه ، فاستقال منه لمجرد أن أحد النواب قدم سؤالا لوزير العدل عن المرتب الذي يتقاضاه !

في بداية ديسمبر ١٩٣٢ ، كان « صدقي » يستعد للاتصال بالمندوب السامي البريطاني ليدخل معه في محادثات تمهيدية ، تنتهي باسعاد بريطانيا برؤية توقيعه على معاهدة بينها وبين مصر كما قال له « السير جون سيمون » ، وفي اليوم الخامس منه ، اصدرت محكمة النقض - برئاسة « عبدالعزيز فهمي باشا » وعضوية « محمد لبيب عطيه بك » ، و « زكي برزي بك » و « محمد فهمي حسين بك » و « أحمد امين بك » - حكمها في الطعن بالنقض على الحكم الصادر باعدام « احمد جعيدي » وسجن « حسونه » مدى الحياة فاذا بها ترفض الطعن « على مضض » ، وتعبر عن دهشتها لان محكمة جنايات اسيوط قد اعتبرت ان ما كان يفعله المأمور القتيل بالمتهمين ، هو من قبيل أداء الواجب ، وتستند إلى هذا في تشديد العقوبة عليهما وهو ما وصمته محكمة النقض بانه « تعليل فاسد يقوم على أساس مرتبك غير صحيح » ، لأن المحكمة « اعتبرت شذوذ المأمور القتيل الاجرامي من قبيل قيام الموظف باداء واجبه مع أن البداهة تقضي بانه شذوذ يُحْفِظ كل انسان ، ولو كان مجرما ، ويدعو الى معذرته والتحميف من مسئوليته ، اذا هو سلك سبل الانتقام » !

وانطلاقا من هذا الفهم المختلف للموضوع ، هدمت « محكمة النقض » الركن الثاني الذي دفع محكمة اسيوط لتغليظ العقوبة على المتهمين ، وهو ركن « سبق الاصرار » « والترصد » ، فلم تقتنع بأنهما ارتكبا الجريمة بإصرار مُسبق ، رغم أن الظواهر توحي بانهما قد خططا لها ، ولم يرتكباها في لحظة استفزاز أو غضب مفاجىء وقالت « إن المعاملة التي كان المجني عليه يعامل بها المتهمان هي اجرام في اجرام ، ومن وقائعها جناية هتك عرض يعاقب عليها القانون بالاشغال الشاقة ، وكلها من أشد المحاري اثارة للنفس واهتياجا لها ، ودفعا بها للانتقام » ، واستنتجت من ذلك انهما كانا في حالة اهتياج دائم ينتفي معه القول بسبق الاصرار

اما لماذا لم تلغ « محكمة النقض » الحكم وتقبل الطعن الذي رفضته « على مضض » ؟ فلأن المحكمة التي أصدرت الحكم لم تخرج في تقدير العقوبة عن النص القانوني ، وإن كانت قد اخطأت في تبرير أسباب تغليظها لهذه العقوبة ، والقانون صريح في أن المحكمة غير ملزمة ببيان اسباب الرأفة بالمتهم او الغلظة عليه ، « اذ الرأفة شعور نفسي تثيره علل مختلفة لا يستطيع المرء غالبا أن يحددها حتى يصورها بالقلم او اللسان ، ولهذا لم يكلف القانون القاضي ببيانها » . .

لم يكن تخفيف الحكم اذن من سلطة « محكمة



* زكى الابراشي باشا عاد صدقي ليجده يدير الوزارة من مكتبه

النقض » ولذلك لم تخففه ، واذا كانت من الوجهة القانونية قد احترمت الحكم ، فقد أصرت على أن تنص في حكمها أنها « وجدت من الواجب عليها من جهة العدل وراحة لضمائر اعضائها ، أن تلفت نظر اولى الامر الى وجوب تلافي هذا الخطأ القضائي الذي لا حيلة قانونية لها فيه ، ولو كان الأمر بيدها ، وكانت هي التي تقدر العقوبة ، لما وسعها أن تعاقب المتهمين كليهما بمثل تلك الشدة ، بل لعاملتهما بما توجبه ظروف الدعوى من الرأفة والتخفيف » !!

اختلاف الشركاء يكشف الجريمة

بعد اسبوعين من صدور حكم « محكمة النقض » ، بدأت الانباء تتسرب عن أن هناك خلافاً بين وزير العدل « علي ماهر باشا » ووزير الداخلية ورئيس الوزراء « اسماعيل صدقي باشا » حول الطريقة التي تتعامل بها الحكومة مع الحكم . . وكان من رأي وزير العدل انه لا يستطيع أن يتجاهل حيثيات حكم صادر من محكمة رفيعة المستوى ، ولا أن يصم آذانه عن المطالبة الصريحة التي وجهتها له بالسعي لتخفيف الحكم عن المتهمين ، عن الطريق الوحيد المتاح ، وهو أن يستصدر امرا ملكيا بتخفيف العقوبة وقال رئيس الوزراء ، إن محكمة النقض لم تجد على الحكم مأخذاً من الناحية القانونية ، وأن توصيتها بتخفيف العقوبة ليست ملزمة للحكومة

وفي يوم ١٨ ديسمبر ١٩٣٢ ، عقد « علي ماهر » اجتماعا بمكتبه في « وزارة الحقانية » ، حضره « عبدالعزيز فهمي باشا » رئيس محكمة النقض وكبير المستشارين القانونيين للحكومة ، والنائب العام ، حيث تداولوا في حيثيات الحكم . وفي اليوم التالي نشرت جريدة « الجهاد » - كبرى صحف « الوفد » - وفي صدر صفحتها الأولى النص الكامل لحيثيات حكم « محكمة النقض » ، وقد ابرزت في عناوينه العبارات التي تصم الحكم بانه يتبع اساليب هي اجرام في اجرام ، بينما بدأ كاتب الوفد الجبار ، « عباس محمود العقاد » ، سلسلة مقالات عنيفة ، عن دلالات حكم النقض ، كان أولها بعنوان « فظائع القرون الوسطى اين نحن ؟ واين أعداء الموصى في الادارة المصرية ؟ » ختمه قائلا « لقد فضح الحكم في قضية البداري شيئا قليلا من اوزار هذا الزمان ، ولو افتضحت كل اوزاره لعجب الناس في عمر هذه الامة ، كيف بقيت في نفوس المصريين سورة للعدل ونخوة للغضب الشريف » وعلى امتداد الاسبوع التالي ، كتب « العقاد » ثمانية من اعنف المقالات التي كتبها في حياته السياسية ، حولت الحكم في قضية البداري الى قضية قومية ، تتحدث عنها الصحف والمنتديات ، وتصدر بشأنها القرارات والبيانات ، وتعقد من أجلها الاجتماعات والمؤتمرات ، وتجري المفاوضات والمشاورات ، وتتفجر خلال كل ذلك قضايا في الفكر السياسي والفقه الدستوري ، تكشف العلاقة بين الاستبداد الداخلي وبين القهر القومي !

ولا احد يدري على وجه القطع ، السبب الذي من أجله تشدد « علي ماهر » كل هذا التشدد ، وأصر على أن يدفع بالأمور الى طريق الأزمة صحيح أنه من رجال القضاء القدماء وانه كان عميداً لكلية الحقوق ، وعضوا في اللجنة التي وضعت الدستور إلاّ أنه ايضا من أبطال الانقلابات الدستورية ، وكانت وزارة « صدقي » هي الانقلاب الثالث الذي يشارك فيه . ثم إنه كان وزيرا معه عام ١٩٢٥ حين وقع « حادث إخطاب » فلم يحتج ولم يثر أزمة ! والاهم من هذا وذاك ، انه كان وكيلا لحزب « الاتحاد » - الحزب الذي اسسه القصر - وممثلا له في الوزارة الائتلافية التي يرأسها « صدقي » فهل كان

« حزب الاتحاد » يخطط لنسف ائتلافه مع « صدقي » ؟ وأن يظهر له مدى قدرته على تأزيم الأوضاع أمامه ؟ أم ان الأمر كله هو أن « علي ماهر » - وهو من ألغاز التاريخ السياسي المصري - شعر بأن السفينة توشك أن تغرق ، فآثر أن يفر منها ليطرح إسمه كرئيس مقبول للوزارة القومية التي كان يدور جدل حول تأليفها آنذاك على انقاض نظام « صدقي » ؟ !

ربما يكون دافعه أحد هذه الأسباب وقد تكون كلها أما المؤكد فهو أن « علي ماهر » اتفق مع رئيس محكمة النقض على أن يرفع التماساً باسمه - كوزير للعدل - إلى جلالة الملك بطلب ابدال عقوبة الاعدام الى الاشغال الشاقة ، ووافق على أن يأمر بإجراء تحقيق عن كل ملابسات القضية ، يشمل الذين تولوا تحقيقها ، ومن كان لهم صلة بوقائعها من رجال النيابة او الادارة ، وأفراد عائلتي المتهمين لتحديد المسئولية الادارية والجنائية على الذين تثبت ضدهم تهمة التعذيب او تهمة الاهمال في تحقيق شكاوي المتهمين

وعلى الفور بدأ « الأفوكاتو » العمومي « سيد بك مصطفى » التحقيق ، فاستمع الى اقوال « حسني ريان » - وكيل نيابة البداري - حول الشكاوي التي قدمها المتهمان وأهاليهما عن تعذيبهما بواسطة المأمور القتيل ، واستمع الى اقوال العمدة « محمد نصار » ، والحكمدار وطبيب المركز والكونستابل « احمد خالد الهجرسي » ، وعدد كثير من اهالي القرية وتشكك كثيرون في جدوى التحقيق وهدف الحكومة منه ، ولاحظ « عباس العقاد » أن الموظفين الذين يجري التحقيق معهم لم يوقفوا عن العمل ، وبذلك اصبح من الصعب « التوصل الى ادلة تدينهم ، وهم مسيطرون على مراكزهم ، قادرون على ارهاب الشهود وتحوير الحقائق » وابدى دهشته لان « عبداللطيف محمود » - رئيس نيابة اسيوط - قد مثل امام اللجنة ، ومن بين اعضائها شقيقه « محمد محمود بك »

ولم يكن « العقاد » مبالغا حين قال « ان وزير الداخلية يريد تحقيقا يبرئه ويبيح له ان يصبح بعد اعلانه بريئا » ، فقد جرى التحقيق وسط ضغوط مكثفة بذلها « صدقي » لكي يحتوي الازمة . ولأن اطرافا كثيرة من الادارة المحلية في اسيوط كانت قد تواطأت على ما جرى ، فقد اسرعت تخفي الاوراق وتستبدلها وتحشد الشهود ولم يكن لدى احد ثقة في ان التحقيق سيصل للحقيقة ، حتى ان « الشيخ جميدي عبدالحق » أرسل رسالة لجريدة « الجهاد » ، خاطب فيها وزيري الداخلية والحقانية قائلا « هل تريدا تحقيقا جديا ؟ هل تريدان الوصول الى الحقيقة ؟ هل تريدان أن تقفا على حوادث مزرية يعاقب عليها القانون ؟ . إذن أصدرا الأمر بوقف عُمدتي « البداري وحكمدار اسيوط واتركا الحرية للناس ثم اسمعا ما يقوله سكان « البداري » جميعا تحدا المسئول الاول » !

وربما لأن النظام هو المتهم وهو المحقق ، فان « اسماعيل صدقي » كان واثقا أن الازمة ستمر ، وان المسرحية ستعرض كما أخرجها ، لذلك دفع نائبا من انصاره - هو « عبدالحليم البيلي » - ليتقدم بسؤال لوزير الحقانية حول ما سوف يتخذه من اجراءات على ضوء ما ورد بحكم محكمة النقض في قضية البداري ليكون ذلك تمهيداً ليوقف وزير الحقانية على منصة مجلس النواب ، فيلقي بيانا يعلن فيه أنّ الادارة بريئة من شبهة التعذيب وأن الذي قام به كونستابل صغير دون علم رؤسائه !

فتح ملف التعذيب

وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان فقد انهالت شكاوى الناس على مكتب وزير الحقانية من كل انحاء البلاد ، تروى وقائع عما تعرضوا له من عسف السلطة وعنف الشرطة وخروج الحكم عن الأساليب النظامية في التعامل مع رعاياه وارتفع عدد الشكاوي الى ٤٠٠



* الملك احمد فؤاد

شكوى فاحالها الوزير الى النائب العام وطلب التحقيق فيها وأرسل النائب العام الى وكلائه في جميع انحاء البلاد يسألهم عن عدد الشكاوي المقدمة ضد جهاز الشرطة ، فاذا بها ٢٥٤٣ شكوى في أقل من عام واذا بينها ٢٢٢٠ شكوى ضد صف ضُبّاط وعساكر وخفراء و ٣٢٣ شكوى من أعمال عنف قام بها مأمورون وضباط بوليس ومعاونو ادارة !

وقلق « اسماعيل صدقي » من فتح ملف التعذيب وعارض اجراء اي تحقيق مع رجال الادارة في أية حادثة الا اذا كانت متصلة بموضوع البداري وقال إن بدء التحقيق في الشكاوي سيؤدي إلى اتساع هذا الباب بصورة خطيرة

وبرزت على السطح ثلاثة حوادث كانت ذات دلالة خاصة على الطريقة التي تحكم بها إدارة « صدقي » ، بعد أن اطمأن افرادها إلى أنهم قد اصبحوا بعيدين عن رقابة النيابة والقضاء وحتى مجلس النواب ، وأن لديهم تصريحا بأن يقروا النظام دون النظر الى اي اعتبار آخر

■■ففي قرية « المطيعة » و « وبني حسين » المجاورة لها في محافظة اسيوط عذّب ضابطا النقطتين بعض المشبوهين تعذيباً وحشياً بأساليب مبتكرة في التعذيب ، ولم يقدما الى المحاكمة إذ حماهما رؤساؤهما استنادا الى قانون حماية الموظفين واكتفت وزارة الداخلية بنقل كل منهما من النقطة التي كان يعمل بها الى مكان آخر !

وكان « العقاد » على حق حين قال إن سلوك مأمور البداري « هو السلوك الذي جرى عليه كثير من الموظفين في عهد « صدقي باشا » من يوم أن تولى وزارة الداخلية (١٩٢٥) الى يوم أن تولى رئاسة الوزارة » لكنه استشعر هو وغيره ، أن هناك محاولة تقوم بها الدوائر الانجليزية في مصر ، للقول بان المصريين عاجزون عن حكم انفسهم ، وان الاستقلال الذي حققه تصريح فبراير ١٩٢٢ ، قد أعاد الحكم المصري الى الاساليب الشرقية التي كانت سائدة في عهد « الخديوي اسماعيل » والتي يفخر المحتلون بأنهم قد اوقفوها فأنقذوا المصريين من الحكم بالسياط ، والقتل بفناجين القهوة المسمومة ، والسُخرة ، وكل مظاهر الحكم غير النظامي وهي فكرة تعاطفت معها الجاليات الأوروبية التي كانت تقيم في مصر وتتمتع بالامتيازات الأجنبية ، فتحاكم بقوانين بلادها وأمام محاكم مختلطة لتوفير ضمانات المحاكمة أمامها وقد الححت جريدة « الريفورم » ـ وكانت تصدر في مصر باللغة الفرنسية وتعبر عن رأي الجالية الفرنسية في مصر ـ في معرض تعليقها على قضية البداري إلى الامتيازات الاجنبية ، فقالت إن وقائعها تفرض التريث في الإستجابة لمطلب مصر بالغاء الامتيازات الأجنبية ، حتى تظل ضمانات المحاكمة العادلة للأجانب قائمة

وقد وصف « العقاد » هذا الاستنتاج الفرنسي من وقائع القضية بانه « مخزن ومصر يفرع الضمائر ويجرح في القلوب » ، وأنكر ـ بحسم ـ مسئولية المصريين ، عن مثل هذه الحوادث ، وقال « انهم ضحاياها والشاكون منها » ، وفرق « العقاد » بين نوعين من الحكومات المصرية

■■حكومة ديمقراطية تأتي بها انتخابات حرة ونزيهة ، فتستند الى اغلبيتها الشعبية ، ومثل هذا النوع من الحكومات ، تتهم عادة في صحف الاحتلال ، بأنها حكومات تتسم بفوضى الادارة واضطراب النظام ، وقلة الكفاءة في رعاية القوانين ، مع أنها تقوم بصيانة الحقوق وحراسة الحريات واقرار الأمن ، وهي لا تدفع رجال الادارة لاكراه الناس على القبول بها ، أو حشدهم لتأييدها بالمسيرات والعرائض ، لأنها تحوز رضى الناس فعلا

■■وحكومة ديكتاتورية جاءت بانقلاب دستوري أو بانتخابات مزورة أو بالاثنين معا ، فهي لا تعبر عن الناس ، ولا تستند الى ثقتهم ، بل تعتمد على ثقة المندوب السامي البريطاني ، وهذا النوع من الحكومات هو الذي يفسد الادارة ، فهو في حاجة لموظفيها للترويج للدعاية السياسية ، واكراه الناس على تعديل ارائهم ، والخروج على عقائدهم ، فلا يتفرغ موظف الادارة للعمل النافع ، ولا يؤدي عمله بما يفرضه عليه القانون وتحتمه عليه النزاهة والانصاف

وحمل « العقاد » النفوذ الاستعماري مسئولية هذه الادارات الحكومية الفاسدة ، إذ « أن الاستعمار صاحب مصلحة في تسليط الفساد والخلل على الادارة المصرية ، لانه من جهة يسيء الى سمعة مصر ، وسمعة حكوماتها الوطنية ويتخذ من ذلك حجة في البقاء والاشراف على شئون الحكومة الداخلية ولانه من جهة اخرى يحسب أن هذه المساوىء تفرغ صبر المصريين ، فلا يلبثوا أن يطيعوه ويمتثلوا لمطالبه » ويفرطوا في حقوق الوطن

وسخر « العقاد » من الفكرة التي تقول ان الانجليز لن يفاوضوا « صدقي » ونظامه موصوم بأحداث البداري فقال انه « لا حادثة البداري ولا ألف حادثة مثلها ، بمكن

أن تمنع الانجليز من اغتنام الفرصة ووضع أيديهم على الفريسة » . أما حديث الانجليز عن الحضارة وتمدين الادارة المصرية ، فهو مجرد كلام لا معنى له . « انما تحبون من الوزارة ان تجيب مطالبكم ، وتشبع نهمكم ، ثم لها أن تسيء بعد ذلك ما شاءت الاساءة ، وتختل في أعمالها ما طاب لها الاختلال وهذه هي الحضارة التي شوهتم وجهها في أعيننا »

لو كنت مكان جعيدي

انتقلت الأزمة الوزارية المكتومة ، من بين جدران المكاتب الحكومية الى المتنديات ثم الى صفحات الصحف كان « اسماعيل صدقي » يعترض على فتح وزير الحقانية لملف التعذيب والتحقيق مع رجال الادارة ، ويعلن أنها من مسائل السياسة العامة للحكومة ، وانه ليس من حق الوزير أن يتصرف فيها وحده ، لأنها من سلطة مجلس الوزراء ، أما « علي ماهر » فقد تمسك بانه هو المسئول ـ مباشرة ـ عن أعمال وزارته ، حسب نص الدستور ، ومن حقه أن يكون مستقلا في ادارة أعمالها وتوجيهها ، ومن ذلك أن يحقق في كل ما يصل اليه من بلاغات من المواطنين

ولم يكن صدقي راغبا في أن تحدث قصية « احمد جعيدي عبدالحق » شرخا في جدار نظامه ، ولم يكن يريد أن يمهد الأرض ليخرج الوزير بطلا مستقيلاً او مُقَالاً ولم يكن سهلا عليه أن يعترف رسميا ـ وعلى لسان بيان يلقيه أحد وزرائه ـ بأنه يشرف على إدارة حكومية فاسدة وظالمة ، ولا تليق بحكومة متمدينة

وهكذا ما كاد يقرأ مشروع البيان الذي أعده « علي ماهر » ليتلوه في مجلس النواب ردّاً على سؤال « النائب عبدالحليم البيلي » حتى أصرّ على تعديله لم يوافق على اعلان الوزير انه سيتقدم بمشروع قانون لإلغاء قانون حماية الموظفين ونقل تبعية رجال الشرطة الذين يحققون القضايا في مراحلها الابتدائية من وزارة الداخلية الى النيابة العامة واعترض على عبارات العطف على المتهمين التي تضمنها مشروع البيان ، واعترض على الاشارة الى تصرفات بعض رجال الادارة ، وعلى امتداح الوزير لحكم محكمة النقض ، وعلى اعلانه انه سيستصدر عفوا ملكيا عن المتهمين . وكان من رأي « صدقي » أن تقديم كل الترضيات لشخص اسمه « احمد جعيدي » تراجع كبير يهز هيبة الحكم !

وتوسط عدد من الوزراء ، ووكيل الديوان الملكي « زكي الابراشي » ، بين « علي ماهر » و « اسماعيل صدقي » وقبل وزير الحقانية أن يعدل بيانه فيستبدل ما ورد به من المقترحات بالغاء قوانين قائمة أو استحداث اخرى ، بعبارة عامة يقول فيها إن الحكومة تفكر في تشريعات لزيادة طمأنينة الناس ، واشترط مقابل هذا التعديل ، أن يكتب خطابا إلى رئيس الوزراء ، يبلغه فيه ما وصل إليه التحقيق في بعض حوادث التعذيب في مديرية اسيوط ، ويطلب منه محاكمة بعض كبار موظفيها الاداريين ، وان يتلقى من رئيس الوزراء ردا بموافقته على ذلك ورفض « صدقي » شروط « علي ماهر » وقابل « الملك فؤاد » وعرض عليه المشكله ، فلم يبد حماسا للتدخل وإن كان قد وعده بأن يقابل « علي ماهر » وقد قابله بالعمل وحاول إثنائه عن تشدده مع رئيس الوزراء فقال له « علي ماهر »

ـ اني لو كنت مكان « احمد جعيدي » وفعل بي المأمور ما فعله فيه ، لقتلته انا ايضا !

وأخيرا نجحت الوساطة بين الرجلين ، واقتنع « علي ماهر » بتعديل بيانه لتفادي كل ما يعكر الجو في وقت تبدأ فيه المفاوضات بين رئيس الوزراء والمندوب السامي البريطاني ولكنه تمسك بألا يلقي البيان في حالة تعديله ، وأصر على إحالة التحقيقات التي تمت مع رجال الادارةفي حوادث التعذيب التي وقعت في « البدارى » ـ غير الحادثة التي فجرت الأزمة ـ والتي وقعت في « المطيعة » و « بني حسين » الى القضاء . وطلب « صدقي » منه أن يؤجل ذلك بعض الوقت فوعد « علي ماهر » بسؤال النائب العام ، لأن الأمر يتعلق به . كما أصر على تخفيف العقوبة عن « احمد جعيدي » و « حسن عاشور »

وخلال اليومين اللذين فصلا بين اجتماع مجلس الوزراء ، واجتماع مجلس النواب ، تحركت الحوادث بسرعة شديدة ، . علم « صدقي » أن النيابة العامة شرعت في اتخاذ الاجراءات التي طلب تأجيلها واعلنت قرار الاتهام في قضيتي « المطيعة » و «بني حسين » وسلمته الى المختص باعلان المتهمين به ، وأزعج ذلك كبار رجال الادارة في محافظة اسيوط فأبلغوا رئاستهم في وزارة الداخلية . واعتذر « علي ماهر » بأن النائب العام ، لم يقبل بفكرة تأجيل قرارات إحالة المتهمين في هذه القضايا الى المحاكم . وطلب « صدقي » من النائب العام ايقاف اعلان القرارات ، فاعتذر بانه يأخذ تعليماته من وزير



* سعد زغلول

الحقانية ، فاتصل الوسطاء بـ « علي ماهر » الذي قال انه ما دامت النيابة قد تصرفت في القضية ، فهو لا يستطيع التدخل . وغضب « صدقي » لأن « علي ماهر » حرج عن الاتفاق وأخل بهيبة الادارة ، وقدم للمحاكمة موظفين يعملون تحت رئاسته في وزارة الداخلية دون استئذانه أو اخطاره على الرغم من علمه باعتراضه ، وازداد غضبه اشتعالا حين عرف أن « علي ماهر » اصدر تعليماته لمعاونيه في الوزارة باعداد مشروعات القوانين التي كان قد اقترحها في مسودة بيانه ، وقبل رفعها منه ، وهو ما يعني - في رأي « صدقي » - اصراره على احراج الوزارة !

عدل الظالمين

وفي اللحظة التي كان « صدقي » اثناءها يدلف الى قاعة مجلس النواب - في الثامنة من مساء يوم ٢ يناير ١٩٣٣ - كانت الأزمة قد بلغت ذروتها . وتركزت أعين الجميع على صف الوزراء الذين دخلوا خلف « صدقي » ليأخذوا مكانهم في قاعة الجلسة ، وحين لم يجدوا من بينهم « علي ماهر باشا » تصاعدت الهمهمات ، وغطت على هتاف - نواب « حزب الشعب » بحياة الملك والحكومة ورئيسها . وعندما تقدم « محمد حلمي عيسى باشا » - وزير المعارف - لالقاء البيان نيابة عن وزير الحقانية . ثار النواب ، وقالوا إن الأمر غير عادي وذو خطورة ، وان الجلسة تاريخية ، ولذلك اقترحوا تأجيلها الى أن يأتي « علي ماهر » . وكظم « صدقي » غيظه ، وهوّن من الأمر ، مؤكدا أن التقاليد البرلمانية تجيز أن ينوب وزير عن آخر ، وأن الرد الذي سيلقيه وزير المعارف - نيابة عن زميله وزير الحقانية - هو رد رضيَ به الأخير وأذنَ بالقائه . وأضاف : إن المهم هو الاستماع الى الرد أياً كان قائله . واعترض على اقتراح التأجيل مشيراً الى أن النواب يستعجلون معرفة الحقيقة .

وتقدم « حلمي عيسى » ليلقي البيان الذي جاء نموذجا لعدل الظالمين الذين يحترفون تزوير المستندات ، واخفاء الحقائق . فقد ثبت من التحقيق أن « احمد جميدي » وزميله « حسن عاشور » لم يسبق لهما قبل قتل المأمور أن تقدما بأي شكوى للنيابة ، عن قسوة او تعذيب ، إلا مجرد عبارات عابرة في أحد الشكاوى ، وأن « جميدي » ادعى بعد القبض عليه بتهمة قتل المأمور ، أنه تعرض للتعذيب ، ولكن الطبيب الشرعي لم يجد سوى ثلاث إصابات لا تحتاج الى علاج ، وقد نشأت عن ضرب الجنود له ، بسبب انفعالهم الشديد بعد رؤيتهم جثة رئيسهم مضرجة في دمائها .

ونفى البيان أن يكون المأمور القتيل قد قام بتعذيب أي من المتهمين . وانتهى الى أن كل ما هو منسوب للمأمور هو أنه أمر بقص شعر « جميدي » المسترسل . . وأن الذي قام بتعذيب « حسونه » - دون علم المأمور - هو الكونستابل « احمد خالد المجرسي » ، وهكذا اتخذ البيان من « المجرسي » كبش فداء للعسف الاداري ، فحكم بان « المسئولية في هذه القضية لم تثبت على احد سواه » ، وقال « ان ذلك كاف لالتماس العفو عن المتهمين بتخفيف العقوبة » ، مع انهما قتلا المأمور لا الكونستابل ، وللخروج من هذا المأزق قال البيان إنّ حسن عاشور معذور حين يتشابه عليه الامر ، فيحمّل المأمور المسئولية عما ارتكبه الكونستابل . وان جميدي معذور حين خاف

ان يرتكب تجاهه « الكونستابل » ما فعله مع « عاشور » . وعلى ذلك طلب تخفيف العقوبة عنهما (!!)

واستكمالا - وختاما - للمسرحية عقب النائب «عبد الحليم البيلي» مقدم السؤال وهو من نواب «حزب الشعب » - فتمنى لو كان وزير الحقانية موجودا ، ليشهد مبلغ حرص النواب على واجبهم ، وتقديرهم لوظيفتهم النيابية ، وانهم يحاسبون السلطة التنفيذية (!!) وقال إن الحادثة التي حدثت حول ما اسمى « مأساة البداري » لا نصيب لها من الصحة ، وأن المعارضة هي التي استغلتها فأضرت بمصر وسمعتها ، وبرّر مركز المأمور القتيل وذكر مبلغ ما يتعرض له رجال الادارة من خطر ، وشكر الوزارة وانتقل المجلس بعد ذلك الى النظر في اعماله العادية !

إختلاف النهايات

انفض سامر البداري في مجلس النواب ، لكنه لم ينفض في انحاء الوطن ففي الليلة نفسها عدل « صدقي » وزارته ليخرج منها « علي ماهر » و « عبدالفتاح يحيى » وزير الخارجية الذي كان قد أيد علي ماهر في موقفه ، وعند عرض مراسيم التشكيل الجديد على مجلس النواب خطب فقال « ان وزارة اليوم ، ان تكن غير وزارة الامس ، فان سياسة اليوم هي سياسة الأمس بلا تغيير ولا تبديل ففي الخارج عمل متواصل لاكمال استقلال بلادنا ، وفي الداخل مثل لحسن الادارة في مختلف الفروع ، واستمرار في العمل على إبادة جراثيم الفوضى ، واقرار النظام والحكم الصالح »

واقرت صحيفة « الجهاد » « صدقي باشا » على أن الرواية انتهت كما بدأت دون تغيير ، فـ « سيظل قانون حماية الموظفين نيرا على رؤوس المضطهدين ، وقلعة يتحصن بها الظالمون من رجال الادارة ، وسيبقى قانون المشبوهين وسيلة للكيد لكثير من الأبرياء وسيستمر المحققون من رجال الادارة والبوليس بعيدا عن رقابة النائب العام ووزير الحقانية وسيبقى « صدقي باشا » ما شاءت له المقادير » !

لكن المقادير كانت قد شاءت أن يذهب « صدقي باشا » !

فبعد الأزمة بأسابيع قليلة - فبراير ١٩٣٣ - وقع « صدقي » الجبار صريع شلل أصاب نصفه الأيمن ، بسبب المجهود العنيف الذي بذله في تثبيت أركان نظامه - وخاصة خلال ازمة البداري - في مواجهة الأعاصير التي تحيط بـه من كل جانب ، والتي انتهت بتفجره من الداخل !

وسافر « صدقي » إلى الخارج للعلاج فظل هناك سبعة أشهر ، وما كاد يعود في اغسطس ١٩٣٣ - وقد استرد صحته - حتى وجد « زكي الابراشي باشا » ناظر الخاصة الملكية يدير الوزارة من مكتبه بالقصر الملكي فاستقال في ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ وانهار النظام الجبار الذي انشأه ليعيش عشر سنوات فمات بعد ثلاث

وأمضى « احمد حميدي عبدالحق » ثمانية عشر عاما في « ليمان ابو زعبل » وغادره في عام ١٩٥٠ وهي السنة نفسها التي غادر فيها « اسماعيل صدقي » الدنيا ! دنيا !□

- اذا فعلت كل شيء ، فكن كمن لم يفعل شيئا (الامام علي)
- التعزز على الاغنياء تواضع (عبد الله بن المبارك)
- السياسة فن يمنع الناس عن التدخل بما يعنيهم . (فاليري)
- كيف يمكنني أن أقود جيشا اذا كنت لا أعرف على وجه الدقة المواقف الحربية التي تتقيها الجيوش الاخرى (أتاتورك)
- دعوا حركم على عتبة كهوفكم للجائعين ، واتركوا بعض الثمار على غصونها لعابري الطرق (بوذا)
- عساه أن يتذكر ولاينسى عندما يرتفع يوما الى عرشه السامي ، ان أسمى الألقاب وأقدسها طرا هو لقب : الانسان (فاسيلي زركوفسكي)

«إسرائيل»

تتجسس في الفضاء

بقلم : سعد شعبان

أطلقت « اسرائيل » منذ أيام قليلة قمرا اصطناعيا للاستطلاع والتجسس ، فدخلت نادى الدول الفضائية المكون من سبع دول هى الاتحاد السوفييتي ، وأمريكا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، واليابان ، والصين ، والهند وأضافت إلى التحديات التي يواجهها الوطن العربي تحديا أعمق وأخطر . فكيف نواجه هذا التحدي ؟ ومتى ؟

نشرت مجلة « تايم » الأمريكية فى عددها الصادر فى ٢٩ أغسطس ١٩٨٨ خبرا مطولا عن الصاروخ الاسرائيلى « شافيت » الذى يعنى المذنب ، وقالت إن مجلس الوزراء « الاسرائيلى » قد شكل لجنة لتقرير موعد إطلاق هذا الصاروخ حاملا أول قمر اصطناعي « اسرائيلى » هو (أوفيك ١) أو (أفق ١) والحقيقة أن هذا الخبر عن القمر « الاسرائيلى » يمثل مرحلة من مراحل التحدى الحضارى المحتدم بين الاقطار العربية و « اسرائيل » الذى دخل فى مراحل تجاوزت التصريحات والتهديدات ، وأخذت فيها خطوات ايجابية ، فمنذ عام ١٩٨٤ ، وبعدما اعلن العرب عن عزمهم على اطلاق قمرهم الصناعي العربي الأول « عربسات ـ ١ ».ليكون فاتحة لسلسلة أقمار عربية أخرى انتابت الحمى السلطات في « اسرائيل » ، وأعلنوا عن عزمهم إطلاق قمر للاتصالات فى مرحلة لاحقة لإطلاق القمر العربي الأول

وعلى الرغم من أن موعد اطلاق القمر العربي قد تأجل أكثر من مرة ، حتى قيض له أن يصبح حقيقة واقعة في فبراير ١٩٨٦ ثم أطلق القمر العربي الثانى فى يونيو من العام نفسه إلا أن قمر « اسرائيل » للاتصالات ظل قابعا على الأرض ولم تتسرب أخبار عن حقيقته أو موعد إطلاقه الذى كان محددا له بصفة ابتدائية أن يكون في أواخر عام ١٩٨٦ .

وانقضى عام ١٩٨٧ ، وأغلب عام ١٩٨٨ ثم فاجأت « اسرائيل » العالم بإطلاق قمرها أوفيك ١

الذي يعني باللغة العربية (أفق ١)

وحقيقة الأمر أن أقمار الاستطلاع والإنذار المبكر تعني بلفظ مهذب أنها أقمار للتجسس

وغير خاف أن « اسرائيل » كانت ترمق بعين الحذر تطورات الحرب الايرانية العراقية ، وكان عمادها من قبل فى هذا المضمار هو استقبال المعلومات من أقمار الاستطلاع الأمريكية

ولعل كل ذلك مبعثه أنها تريد ألا تفاجأ بمثل ما فوجئت به فى حرب رمضان - أكتوبر ١٩٧٣ ولذلك فضلت أن تبكر بإطلاق قمرها للاستطلاع ، لتتبعه بعد ذلك بقمرين للاتصالات ومن أجل ذلك فقد بادرت فى مطلع عام ١٩٨٧ الى تجربة اطلاق صاروخ متوسط المدى ، يستطيع قطع مسافة ١٦٠٠ كيلومتر ليكون مطية لحمل الأقمار الصناعية إلى مداراتها

وبذلك انضمت إلى نادى الدول الفضائية التى تملك صواريخ من صنعها ، تستطيع حمل الأقمار الصناعية إلى الفضاء وأصبحت الدولة الثامنة فى هذا النادى بعد روسيا وامريكا وفرنسا وانجلترا واليابان والصين والهند

عيون التجسس ليلا ونهارا

الأرتال المتوالية من أقمار الإنذار المبكر أو الاستطلاع أو الاستشعار عن بعد تقوم بالتقاط الصور لسطح الأرض فى ظلام الليل الدامس

وتستخدم في ذلك أنواعا من آلات التصوير ذات عدسات قوية ، تستطيع أن تهتك كل أسرار ما هو مرئي فوق سطح الأرض

وتستخدم أيضا تقنية متقدمة لسبر غور بعض ما هو تحت سطح التربة بعمق عدة أمتار بآلات تصوير حساسة للاشعة تحت الحمراء التي تصدر من الأجسام بعد اختزانها أقدارا مختلفة من الحرارة التي تكتسبها من أشعة الشمس أثناء النهار . ونظرا لاختلاف جودة توصيل الأجسام للحرارة ، فإن ما يصدر عنها من الأشعة تحت الحمراء يتناسب مع هذه الجودة .

وبالتالي فإن استقبال هذه الأشعة بآلات التصوير يمكن أن يرسم صورة للمعالم الأرضية التي [illegible] الظلام ، تبعا لتفاوت ما يصدر عن المعالم الأرضية من حرارة ، وبالتالي تبعا لما يصدر عنها من الأشعة تحت الحمراء

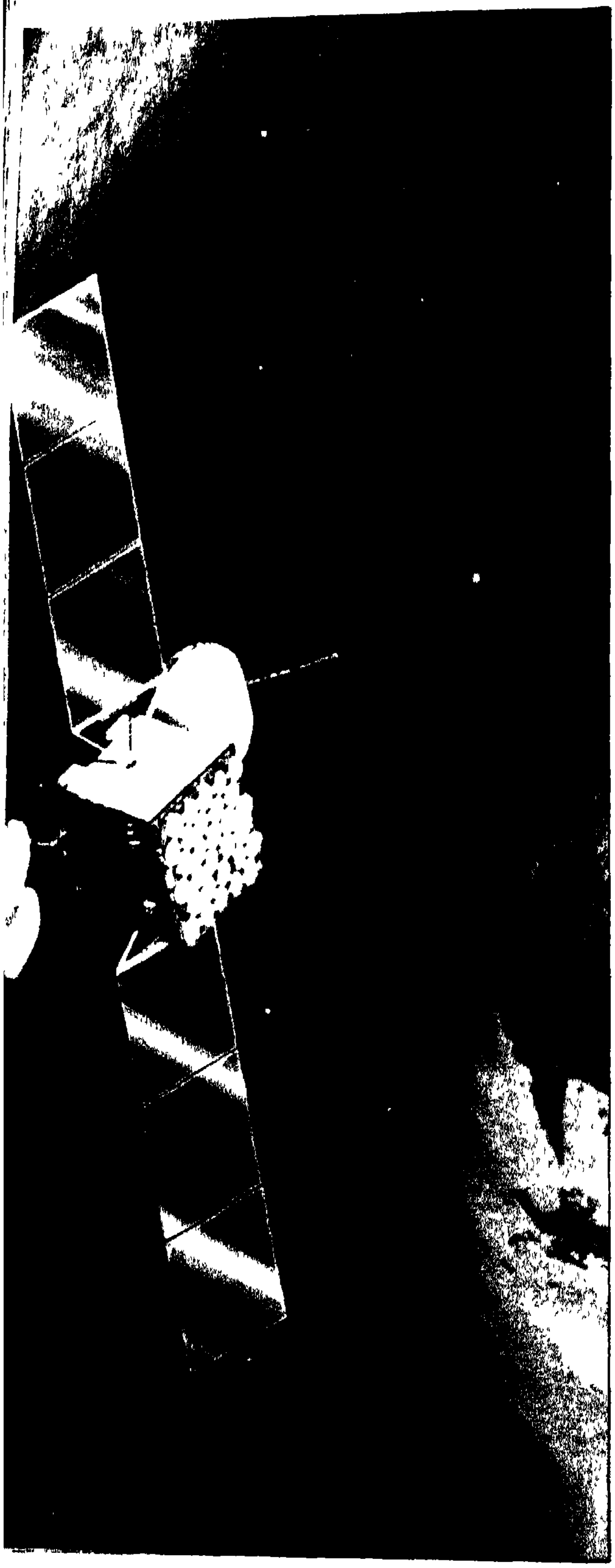
فتظهر في الصور البحار أو البحيرات أو الأنهار مختلفة ومتباينة عن الأراضي القاحلة أو الصحراوية ، كما تظهر المناطق العامرة بالمباني التي يشيع فيها استخدام الخرسانة المسلحة والأجسام المعدنية ، بطريقة مختلفة عن المناطق الزراعية المشبعة بكثير من المياه

ولذلك فانه تحت جنح الظلام ، يمكن أن تظهر معالم المطارات وقواعد الصواريخ ، وأماكن انتشار الدبابات ، ووسط مياه البحار أو المحيطات يمكن أن تظهر البوارج والقطع البحرية ، لأن أعلى أجزائها تصنع من المعادن الجيدة التوصيل للحرارة التي تنبعث منها كميات كبيرة من الأشعة تحت الحمراء ، فتجعلها واضحة في الصور ، على الرغم من ظلام الليل

وعندما فكرت الدول الكبرى في اخفاء قواعد صواريخها تحت الأرض تطور فن الاستطلاع الفضائي ، وتيسر كشف الآبار المحصنة لهذه القواعد على الرغم من كونها تحت الأرض ، لأنها لا بد من أن تقام بالخرسانة المسلحة

وحقيقة الأمر أن الأقمار الصناعية أصبحت قادرة على سبر غور بعض ما هو مخبأ تحت الأرض بعمق عدة أمتار ، سواء في ذلك الرواسب المعدنية ، أو الآثار المطمورة ، أو روافد الأنهار القديمة المختفية تحت كثبان الرمال أو الأتربة ، أو المياه الجوفية القريبة من السطح .

ومن ثم فقد أصبح كل ما فوق سطح الأرض ، وكثير مما تحتها مهتوك الأستار ، يصعب اخفاؤه ، ولا يجدي الإخفاء والتمويه الذي كان معروفا في الحرب العالمية الثانية فيه ، لأن فن الاخفاء والتمويه قد عفا عليه الزمن ، وأصبحت له أبعاد جديدة فلا يعتمد على الرؤية البصرية ، بل على الكشف


الأقمار الصناعية في السلم والحرب

.عدسات الحساسة للأجسام ، وعلى الكشف بما
.نعكس على هذه الأجسام من إشعاعات اليكترونية
أ نبضات رادارية توجه إليها فتكشف عن طبيعة
.تكوينها

لذلك لا عجب أن نجد أن معطيات صور الأقمار الصناعية قد دخلت مجالات تطبيقية ، كان يصعب تصديق جدواها منذ عدة سنوات فقد أصبحت هذه العدسات قادرة على التمييز بين مساحات النباتات المصابة بآفات زراعية وبين المساحات التي لم تنتشر فيها هذه الآفات كما أصبحت أيضا قادرة على متابعة أسرار الأسماك في المحيطات ، وأرتال الحيوانات المهاجرة عبر الغابات أو الصحاري

وأصبحت أيضا قادرة على متابعة زحف الرمال في الصحارى ، وتوضيح ما يمكن أن يحدث من نحت على شواطىء الأنهار ، أو شواطىء البحار كل هذه التطبيقات الدقيقة قد حلقت تقنية حديدة تلعب أقمار الاستطلاع الدور الرئيسي فيها ومن حصيلة كل ذلك يمكن أن تتجمع صور مرئية واضحة المعالم ، لتكون في مجملها خرائط دقيقة المعالم ، تغني الواحدة منها عن عشرات الخرائط ، بل عن مئات الخرائط التقليدية

ويساند هذه التقنية على الأرض ما توصل إليه فن تكبير الصور وتجسيمها لتوضيح المعالم فإذا أضفنا إلى ذلك كله إمكان تخزين معالم هذه الصور في الحواسب الاليكترونية ، يتضح لنا أن فن تفسير الصور أصبح أكثر يسرا من الوسائل التقليدية التى كانت تستخدم منذ سنوات وبذلك أصبحت المعالم الأرضية أكثر وضوحا ، وطوع بنان من يطلبها .

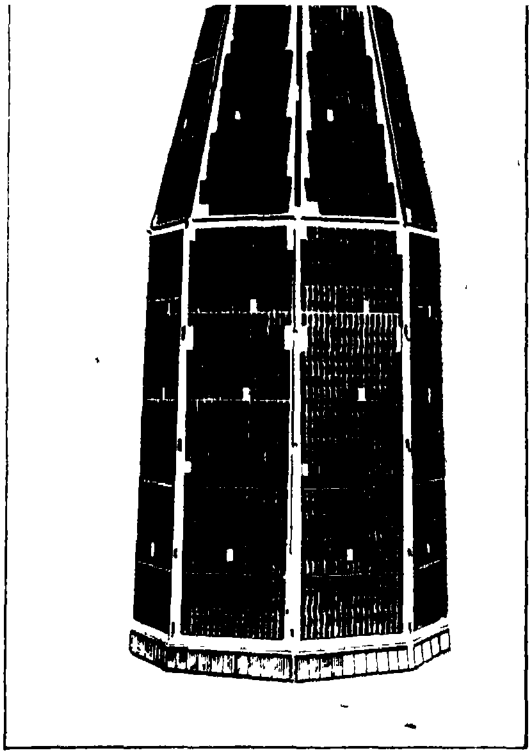
وليس خافيا أن عنصر السرعة يلعب دورا أساسيا في عمليات الاستطلاع ومتابعة قراءة الصور ، ساعة بعد أخرى ، لمعرفة مدى التغيير ، وبخاصة فى المواقف العسكرية ، ولذلك فإن التصوير الفضائي يمكن أن يكون أكثر جدوى لملاحظة الفروق التى تحدث فى الصور التى تؤخذ فى

تتابع رمي يناسب العمليات العسكرية

إن صور الأقمار الصناعية ترسل للأرض لاسلكيا ، وقد يقتضي إرسالها ثم تحميضها وتكبيرها وتفسيرها كثيراً من الوقت لذلك فإنه بالنسبة لبعض المناطق التي قد يصعب فيها استقبال الصور ، فقد لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى طريقة مبتكرة ، وهي إسقاط الأفلام من الأقمار الصناعية بواسطة قذيفة تنطلق بها بتحكم من الأرض ، حتى تدخل الغلاف الجوى للأرض ، فتبدأ في التهاوى لأسفل ، معلقة في مظلة (براشوت) ، وتوجه إحدى الطائرات المقاتلة لالتقاطها ، وهي معلقة في المظلة بواسطة خطاف ، فتوفر بذلك كثيرا من الوقت ، وتستطيع الإسراع بتفسير معطيات هذه الصور الفضائية

المعونات الامريكية

خلال السنوات الأخيرة تصاعدت أقوال كثيرة عن قدرة « اسرائيل » النووية سواء من قبيل التهديد أو بث الذعر في نفوس العرب وأيا كانت الحقيقة فقد وضح أن هذه القدرة لا مراء في وجودها ، وأنها تنمو عاما بعد آخر ، إلا أن الحقيقة المرة هي أن هناك معونات خفية تقدم « لاسرائيل » في هذا المضمار قد تصل إلى حد غض الطرف عن سرقة المواد النووية ، وكثير من أسرار التقنية النووية ، سواء من بعض الدول الأوروبية أو بعض الشركات الأمريكية ، وتجلى ذلك بوضوح في قضية الجاسوس الامريكي « بولارد » الذى زود « اسرائيل » مؤخرا بوثائق غاية في السرية ، وذات أهمية نووية خاصة ، وعلى غرار ما تم في نقل التقنية النووية بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، فقد تم نفس الأمر بالنسبة لتقنية الفضاء ، حتى وصل الأمر « باسرائيل » إلى تصنيع الصواريخ الحاملة للأقمار الصناعية وبعض أنواع الصواريخ العسكرية وتوج هذه الأمور أنها اصبحت مقرا للبحوث الاليكترونية الخاصة بتوجيه الصاروخ المضاد للصواريخ وهي تقنية معقدة ، فشلت في



للعلم أم للتحسس أم لكليهما أطلق القمر الاصطناعي الاسرائيلي !؟

الولايات المتحدة نفسها ، بعد أن بدأت بأعوام قليلة في حقبة الستينيات ، وتوقفت لصعوبتها ، وبعد أن مضت الولايات المتحدة في صناعة صاروخ من هذا النوع ، أطلق عليه وقتها اسم « نيك زيوس » توقف مشروعه لتعذر تصنيع مجموعة توجيهه التي تستطيع أن توجه إلى الصاروخ المعادى ومن عجب أن تحيى هذه الصناعة في « إسرائيل » نفسها وقد يكون المبرر لهذا أن هناك تقدما في الصناعات الاليكترونية « الاسرائيلية » ، تتبين في صناعة رادارات ذات أنواع متقدمة ، وفي صناعة بعض الأجهزة الاليكترونية الدقيقة التي استخدم بعضها في صناعة بعض أجهزة مكوك الفضاء ثم تجلى ذلك بوضوح بانضمام « إسرائيل » رسميا منذ عامين إلى البحوث الاليكترونية المتعلقة ببرنامج « حرب النجوم » الأمريكي .

ولاشك أن مبعث ذلك هو الاستفادة الكاملة من البحوث الفضائية المتقدمة والاطلاع على أسرارها

الحل العربي البديل

لعل السؤال الذى يجول في خواطر كثير من القراء هو : أو ليس هناك حل بديل ، مادام

سرارنا ستصبح في متناول عدسات قمر اسرائيل » ؟ والحقيقة المرة يمكن أن ندخل اليها

ـ بأن أكثر ايجابية من التصريحات التي شجبت لى هذه الأعمال ، واكثر حدية من قصائد الشعر تي تلعن « اسرائيل » واعمالها ، وذلك بان نقول

بالعار إن كل فعل لابد أن يكون له رد فعل . ن الحديد لايفله إلا الحديد .

ولذلك فان القول الصريح بان الخطوة « الاسرائيلية » ... تعتمد على شراء التقنية . بل نقلت التقنية لأراضيها ، حتى تمكنت من تصنيع قمرها وصاروخ دفعه فهل لنا ان نسأل أنفسنا هل بدأنا نحو خطوة مماثلة ؟ ولو كان امامنا عشرات السنوات حتى نصل إلى تقنية التصنيع حتى نفلت من نير التبعية

ويجب ان ترتسم أمامنا الحقيقة بأن شريعة الغاب تحكم المجتمع الدولي في المجالات الفضائية التي تفتقر إلى قانون ينظم التقاط المعلومات عن الدول بغير رضاها ، لأن استئثار الدول الكبرى بإطلاق أقمار الاستطلاع قد جعل اغتصاب هذه المعلومات شائعة بالأمر المشروع

ومازالت المؤتمرات الدولية المتوالية تبحث عن صيغة تحدّ من سرقة أسرار الدول الأخرى بالصور الفضائية

لكن عجز كثير من الدول الكبرى . وكل دول العالم الثالث عن التباري في هذا المجال جعل هذه الدول في موقف سلبي ، وجعل الأسرار الفضائية مستباحة للدول التي تطلق الأقمار الصناعية لاستراق السمع ، ولتصوير كل تحرك أو تجهيز عسكري ، وكل بناء عمراني

ومازالت آلاف الاقمار الصناعية يتوالى إطلاقها إلى الفضاء تحت أسماء مختلفة . وبعضها لا يعلن عن هويته ولا عن الغرض منه ، وبعضها يطلق في جلسة من الزمن . فيتأكد العلماء أن هذه الاغراض عسكرية خاصة . تعني الاستطلاع . أي التجسس □

■ إن تحقيق السلام وترتيبه أشهر كثيرا من كسب الحروب والانتصار فيها

أرسطو

■ إذا خلت الحياة من الحكمة فلا مناص من أن تستمع الى الهذيان

حكيم

■ ينبغي أن يسمع الانسان كل يوم قليلا من الموسيقا ، ويقرأ قصيدة جيدة ، ويرى صورة جميلة ويقول ـ إذا أمكن ـ كلمات قليلة معقولة

جوته

■ من أسرار النجاح أن تأكل ما تحب وان تترك للطعام مهمة شق طريقه في الداخل .

مارك توين



أرسطو

حكايات طبية

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

النشر أو الهلاك :

من الأقوال المعروفة لدى الأطباء العاملين في الجامعات والمراكز الطبية في أميركا مقولة « النشر أو الهلاك » ، ويقصد بها أن الطبيب إما أن يقوم بأبحاث ودراسات علمية ثم ينشرها في المجلات المتخصصة ، أو أن يعد نفسه من الهالكين من الناحية العلمية ، فلا تقدم له في المجال الأكاديمي

وفي الجامعة التي كنت أتابع اختصاصي فيها ، كانت الادارة ترسل سنويا استمارة إلى كل من رؤساء الأقسام كي يذكروا فيها ما هي الأبحاث التي نشرها أطباء أقسامهم وفي أي مجلة من المجلات قد نشرت ، ولا شك أن هذا كان واحدا من عوامل الضغط على الأطباء كي يكتبوا المقالات ، علما بأن النشر غير مضمون ، إذ يتعلق ـ إضافة لجودة المقالة وحسن كتابتها ـ بحدة التنافس وكثرة المقالات المرسلة

وعندما اكتشفنا مرة حالة متميزة لمرض نادر ، وجدها أستاذي فرصة سانحة كي نكتب مقالة عنها ، وسارعت لأطمئن القارىء الذي خمن أن عبء ذلك سيقع عليّ وحدي إنه قد أصاب في حدسه

وعندما جلست مع أستاذي وبقية أطباء القسم كي نحضر عناصر البحث ، ونفتش عن المراجع والمصادر ، انتهينا إلى حوالي أربعين مصدرا ومرجعا ، وكان أولها يعود إلى خمسين عاما تقريبا ، عندما وصف أحد الاطباء الحالة الأولى من هذا المرض

وبما أن « ارشيف » استاذي ـ الذي لا ريب أنه يحوى كثيرا من تلك المقالاتَ ـ كان على درجة كبيرة من الفوضى وعدم الترتيب ، كان لا بد لي من البحث عنها في مكتبة الجامعة ، ثم تصويرها ، وقراءتها ، وترتيبها ، تمهيدا لكتابة المقالة المنشودة .

وفي مكتبة الجامعة كنا نعامل كما يعامل الطلاب ، فليست لنا تلك الميزات وذلك الاحترام اللذان تعودنا عليهما في مكتبة المستشفى أخذت قائمة المراجع في يدى ونزلت إلى أقبية المكتبة ، وهي طوابق أربعة تحت مستوى سطح الأرض ، بالغة الاتساع ، سيئة الإضاءة ، وبعض أنحائها مغطى بالغبار ، لم يدخلها انس ولا جان منذ فترة من الزمن . وهناك قضيت عدة أيام ، باحثا منقبا ، حتى استطعت في النهاية العثور على جميع المقالات إلا واحدة أو اثنتين .



وكأنه لم يكفني ما أصابني من التراب والغبار ، وما بذلت من جهد عضلي في حمل المجلات والكتب ، وهي كما هو معلوم ثقيلة وزنا ومضمونا ، فدفعت من جيبي كلفة تصويرها في المكتبة ، على أن استرد ذلك المبلغ فيما بعد من محاسب المستشفى ، خلافا لما جرت عليه العادة من التصوير المجاني في مكتبة المستشفى .

وكان أكثر ما حز في نفسي أن كثيرا من تلك المجلات العلمية والمقالات التي جهدت في البحث عنها ، لو رأيتها في الأحوال العادية ملقاة في الطريق ما كلفت نفسي عناء الانحناء لالتقاطها ، بل إنني لو كنت أتصفح بعض تلك المجلات وعثرت عرضا على مقالة منها ما حاولت مطالعتها

وأخذت أشتم سراً الحالة النادرة،ومن وصفها ، وأضم إليهما استاذي الذي لو كان رتب « أرشيفه » لأراحني من البحث الطويل المضني

وعندما عدت منتصرا إلى هذا الاستاذ ، نظر إلى تلك المقالات بعدم اكتراث ، و قلة حماس ، ثم عزل بعضها لأنها ليست ذات علاقة مهمة بموضوعنا ، ثم انتقى بكسل بعضها الآخر كأساس للبحث

وعندما أنهيت كتابة المقالة بعد طول دراسة ومراجعة وتمحيص ، قام الاستاذ بتصحيح بضع كلمات ، ثم تنازل فوضع اسمه على أنه مؤلف أول ثم اسمي كمساعد ، معللا ذلك بأنه لو أرسلنا المقالة باسمي على أني مؤلف أول فلن تجد طريقها للنشر ، بينما سيفتح اسمه الكبير مجال النشر واسعا أمامها

ومرت الأيام ، وقبلت المقالة ثم نشرت

بعض قراء تلك المجلة المتخصصة قرءوا المقالة ، منهم من أعجبته ومنهم من لم يهتم بها ، وبعض القراء لم يقرأها أصلا ، ومعظمهم ، بل كلهم ، نسوها الآن

لكنني لا يمكن أن أنسى تلك الأيام التي قضيتها في أقبية مكتبة الجامعة وحيدا مع الكتب (التي أعد رائحتها في الاحوال العادية أطيب من ريح المسك)

وأنا أنفض الغبار عن المجلات والكتب وذلك كله كي ننشر موضوعا في مجلة

ففي الحياة الأكاديمية هنالك التنافس الحاد ، وهنالك تسيطر المقولة المعروفة « النشر أو الهلاك » □



قصة قصيرة

الغريب العربي

بقلم : حسب الله يحيى

حائر ، لم يسبق له من قبل أن وقع في مثل هذه الحيرة .كل شيء يمكن تداركه ، والوصول إلى وضع حل له ، إلا هذه المسألة ، فمن قبل كان يستأنس برأى صديق أو قريب ، ثم يشاور عقله ويصل إلى نتيجة ، إلا أنه في هذه المرة بدا قلقا ، متوترا ، حائرا ، لا يعرف كيف يتصرف ، وإلى أين يتجه ، وإلى من يقول ، وبمن يسترشد ؟

لا يأمن أحدا فى مثل هذه القضية ، ذلك أن السر فيها عميق ، والبوح به قد يؤدي به إلى التهلكة

سأل نفسه : هل يعقل أن يتحول بيته إلى مكان آمن ؟ وتذكر بيت أبي سفيان ، فمن دخله بات آمنا ، كما تذكر تلك الحمامات التى تحوم فى إحدى ساحات لندن ، والتي تآلفت مع الناس ، والطيور الآمنة في مكة المكرمة مصحوبة بالسلام والمحبة والاحلال

لكن من يكون هو حتى يتحذ قرارا مثل هدا ، وفي موقف صعب تقود علانيته إلى موت محتم ؟

تصور نفسه ذلك الشخص الذى دق بابه وسلم أمره بين يديه ، قال له :

إنني أريد أن أعيش في سلام حسب ، لا أريد أن أموت مجانا

ـ لكن بلدك يحارب ، وأنت تختار أمنك وسلامتك في بلد آخر !

ـ تستطيع أن تقتلني ، وتكون بطلا ، أو أن تسلمني إلى السلطة فيكرموا إخلاصك ، ويكبروا شهامتك وببساطة تؤكد على أنك مواطن صالح ووطني غيور

قال في سره كيف أستطيع أن أصدقه ، فربما يكون جاسوسا ، جاء يستقي المعلومات ثم يهرب بها الى بلاده ؟

سأله ـ وعائلتك ؟

ـ لا عائلة لي ، كلهم ماتوا في حرب المدن

ـ هل أنت جندى ؟

ـ كلا ! لكنني مهدد بأن أحمل السلاح وأقاتل في أي لحظة

ـ هل أنت خائف ؟



ـ لا أريد أن أموت فقط ، لذلك اجتزت الحدود ، وهربت إلى حيث تجدني هنا ، ولم يكن أمامي من خيار سوى أن أهرب من الموت .

ـ لكنك هنا مهدد بالأسر ، وبأن تكون تحت الرقابة المشددة .

ـ معناه أن أكون في سجن ، أن أحاصر ،شيء واحد إما أن أموت أو أن أكون محاصرا ، سأدع الخيار لك ، بإمكانك أن تدعني أعود إلى حدود بلدي ، وبإمكانك أن تسلمني إلى حكومة بلدك ، موت واحد ، اختر لي أحدهما !

كيف يستطيع أن يصدق هذا القادم المجهول ؟ كيف يكشف الأسرار التي في داخله ؟

كيف يتخلص من المأزق الذي وقع فيه ؟ كيف ينجو من قدره ، ويجعل سلوكه وأمنه في توافق تام ؟

ماذا كان سيفعل به هذا القادم المجهول لو كان قصده ، ودق بابه ودخل وشرح له ظروف حياته وعبوره الحدود وتسلله إلى منزله ؟

وجه إلى الغريب هذا السؤال قال ·

صدقني أنا مثلك لا أعرف ماذا كنت سأفعل ، إنني أحترم حيرتك وأريد أن أقدم لك مساعدة وأنقذك من حيرتك ، لكنني أحسُّ بالعجز .

صمت الغريب قليلا ، ثم قال

اتخذ قرارا ، اجعلني أطمئن إلى موتي برصاصة أو موتي بالعبودية . وجد نفسه في أقصى مواقع الحيرة ، فقد كان هو أيضا يخشى أن يموت أو يتهم بالخيانة العظمى ويحكم عليه بالموت

ـ هل أدعه يموت ، أم أدع رقبتي للموت ؟

طيور مكة ، وحمامات لندن ، وبيت أبي سفيان في ذاكرته يقظة ، حية ، لكن الأمر يختلف ، والظروف متغيرة ، وتبرير موقفه ضعيف أمام صرامة الأسئلة التي ستوجه إليه لو عرفوا أمره .

دعاه إلى الطعام ، فاطمأن الغريب ، وصار يأكل بنهم .

كان يحدق إليه بإمعان ، يعريه بصمت ، خشية أن يكون حاملا أجهزة انصات ، كانت به رغبة في



تفتيشه ، لكنه أحس بأنه ليس من حسن الأدب أن يفتش ضيفه .

ماذا يفعل بهذا الغريب إذن ؟ من جاء به إليه ؟ من أقلق راحة باله وجعله في هذا الموقف الحرج ؟

قد يكون من أبناء بلده ، وقد جاء يمتحنه ، ذلك أن بيته قريب إلى حدود العدو ، ومن الممكن أن يتسلل إليه العدو على الرغم من صعوبة الأمر ، عندئذ ستكون إدانته واضحة وقاسية

كان الغريب يملأ عليه الزمان والمكان ، القلب والعقل ، والحواس جميعا يحس بها معطلة ، ولا سبيل إلى الاطمئنان إليها ،وإلى القبول بقراراتها

فلقد افتقد توازنه ، وبات أسير ضميره وقراره ، والغريب هادىء بين يديه ، وقد ترك الأمر ليفعل به ما يشاء

سأله في محاولة للخلاص منه .

ـ نحن هنا مهددون بالموت أيضا .

ـ سأكون مطمئنا لومت هنا .

ـ و لماذا ؟

ـ سأحس بداخلي بأنني قد بذلت جهدا للخلاص من الموت الى أن حل قدرى .

هـذا الغـريب ذكي ، يجيب بـطريقـة مقنعـة سأله
ـ ما هو عملك ؟
ـ كنت معلما فى مدرسة مات عدد من تـلاميذهـا ، والبقية في الأسر ، والقلة يحاربون
ـ ومعلمهم يهرب ! ؟
سكت طال صمته ، وأحس الرجل بـأنه قـد أهان الغريب وطعنه
بعد قليل وقف الغريب ، ومد يديه إلى الرجل قال
ـ هيا خذني إلى حكومة بلدك ، قل إنك قد أسرتني حين كنت أعبر الحدود .
كان محرجا وهو يسلط نظرة انتباه إلى الغريب
ـ هيا ! تحول بواسطتي إلى بطل
انتبـه الـرجـل إلى حـدة لغـة الغـريب ، إلى شجاعته ، وصراحته وقدرته على أن يحارب خوفه لم يكن الغريب يحس بالخـوف بقدر مـا كان يسعى للخلاص من موت مجاني
هذا ما وصـل إلى قناعـة الرجـل ، وشعر بـأنه ضعيف أمام منطق هذا الغريب الذى دق بابه وجلس إلى جانبه يحادثه عن غربته وعزلته ، وعزمه على أن يحارب موته وأن يكون أليفا معه ، عن غير موعد ، وغير معرفة سابقة
لم يكن محور حديثهما السياسة أو الحرب ، كان همهما الآن قد توحد في كيف ينقذ أحدهما صاحبه من الموت .
الغريب لا يريد أن يتجنى بالخطيئة على الرحل ، فيما كان الآخر لا يريد أن يزج بضيفه في حدود الموت والأسر والعزلة
اطمأن أحدهما للآخر سريعا ، والاطمئنان قادهما للتفكـير في كيفيـة الخـلاص من الموت ، ونقـل الاطمئنان كان ينوء به الغريب ، فقد انتابه إحساس بالتجني على الرجل وخروجه الآن من شـأنه أن يجعل الرجل يفقد اطمئنانه وثقته به ، والبقـاء في الدار خطر على كليهما
أسـرار كـانت تتـداخـل فى أعمـاقهما ، والليلة مؤرقة ، خائفة وحلة
تظاهر كل منهما بالنوم
الغـريب أشفق على الـرحل ، وفكـر بأن يسلم نفسه لحرس الحدود
بينما كان الرحل يفكـر بمكان يحفظ بـه أمن هذا الغريب الذي ناشده حب السـلام ، وخاطب فيـه انسانيته
نهض الغريب بهدوء ، فتح باب الغرفة بهدوء ، بهدوء تام ، فيما كان الرجل يلاحقه بأنظاره ، ويحاول أن يكتشف بنفسه ماذا يريد أن يعمل هذا الغريب به . فقد يقتله ، وقد يكون مرشدا لجماعة أخرى تريد أن تتسلل إلى الحدود .
حمل الرجل سلاحه ، وصوبه إليه ، لكنه لم يعجل بإطلاق الرصاصة الأولى ، ذلك أن الغريب لم يترك لديه ما يثير الشبهات إلا في موقفه الأخير
لاحقه بصمت ، وقبل أن يكون قريبا منه ، كانت هناك طلقة تدوي فى عتمة الليل ، انطلقت من مكان غير مرئي ، فسقط الغريب بصمت
من بعيـد نظر الـرجل إلى جثـة الغريب ، وانتـابه إحساس بالاطمئنان و الحزن معا □

●

□ كل ذى رغبة دنت أم تسامت سوف يمضى يوما بلا رغباته !

(ايليا أبو ماضى)

□ هكذا العمر : الأربعون سنة الأولى هى النصوص ، والثلاثون سنة التى تليها هى التعليق .

(شوبنهور)



ايليا أبو ماضي

واحة العربي

ضحكات عربية

طلبا للثواب

● مر رحل بقوم قد اجتمعوا على رحل يضربونه ، فقال لأحد الضاربين ما حال هذا الرجل ؟ قال : والله ما أدري حاله ، لكني رأيتهم يضربونه ، فضربته معهم طلبا للثواب من الله عز وجل

☆☆☆

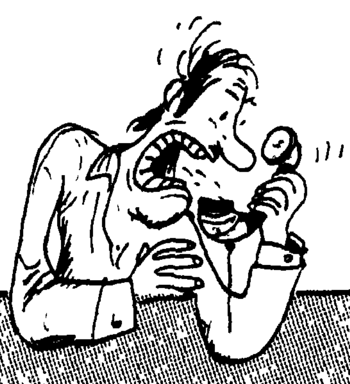
النحوي والكنّاس

● وقع نحوي في حفرة ، فجاءه كنّاس ليحرحه ، فصاح به الكنّاس ليعلم أهو حي أم لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا ، وشدني شدا وثيقا ، واجذبني جذبا رفيقا فقال له الكنّاس امرأتي طالق إن أحرحتك منها ، ثم تركه وانصرف

ظرفاء العرب

استعمل الهاتف

● كان حفني محمود وزيرا للمواصلات فسمع صوتا عاليا يرتفع من الغرفة المجاورة لغرفته ، فاستدعى الساعي وسأله عن السبب فقال إن السكرتير يتكلم مع الاسكندرية فقال له حفني محمود قل له « بدلا من صياحك بهذا الشكل ، استعمل الهاتف »



قـــاموس الظرفـــاء

التملق	كلام لطيف يقوله لك شخص عن نفسك ، تتمنى أن يكون صحيحا
التاريخ	ما ترغب كل أمة في أن تجعل الأمم الأخرى تعتقده حول ماضيها
الغزل	صورة صوتية لأفكار المرأة عن نفسها يقوم بإذاعتها الرجل

ضحكات عالميـــة

اصمت

● كان الأديب الفرنسي فونتنيل قد بلغ السابعة والتسعين عندما قال أحدهم . لابد أن الموت قد نسيك يا سيد فونتنيل

فرفع أصبعه إلى شفتيه قائلا . اصمت

☆☆☆

بحاجة إلى رأسك

● عندما تجمعت لدى الملك لويس الحادي عشر البراهين على خيانة الفارس سان بول له ، عزم على التضحية به ليأمن جانبه ، إلا أن هذا الفارس في تلك الفترة كان بعيدا عن متناول يده ، فأرسل له رسالة قال فيها « صديقي العزيز ، تعال بسرعة ، فأنا بأمس الحاجة إلى رأس كرأسك »

من القلب

غريق

● التقت سفينة في عرض البحر انجليزيا على قطعة خشب عائمة ، وكان من عرقى إحدى السفن . فناداه القبطان من أعلى السفينة أأنت غريق ؟

فرفع الانجليزي رأسه وأجاب نعم ، لماذا ؟

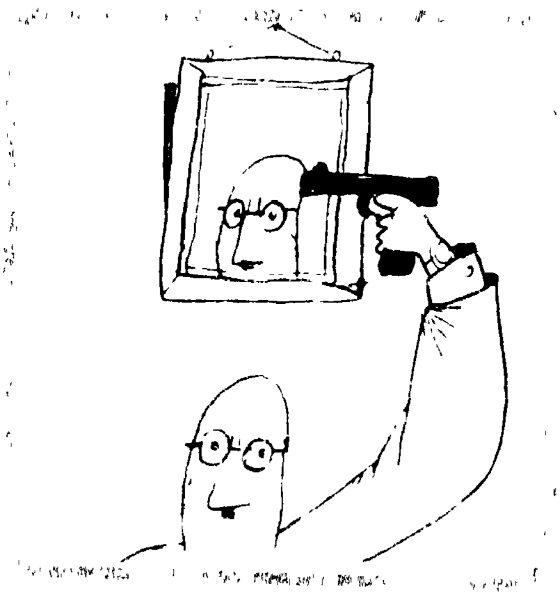
☆☆☆

البداية

● بعد حفلة العرس التي تزوج بها الفلاح عروسه وضعها في عربته وانطلق بها إلى بيته وفي الطريق توقف الحصان الذي يجر العربة عن السير ، ورفض أن يتابع سيره إلا بعد عدة محاولات ، وعندما عاود السير قال العريس للحصان هذه واحدة ، وبعد دقائق توقف الحصان مرة أخرى . فقال له وهذه الثانية وفي المرة الثالثة قال اه ! وهذه الثالثة ! ثم تناول بندقيته وأطلق عليه النار فأرداه قتيلا

فقالت له العروس وهي تبكي يا لقلبك ما أقساه .

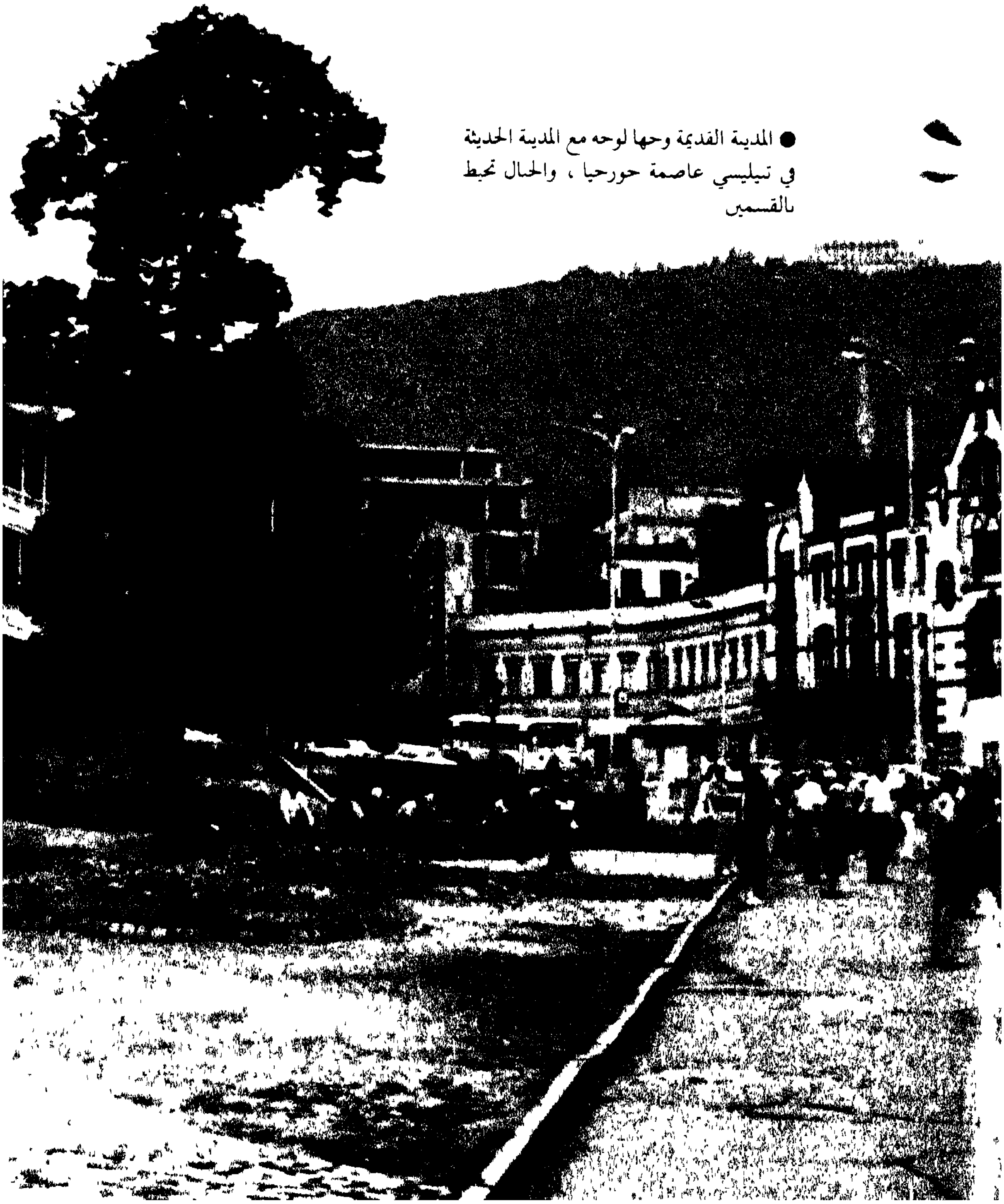
فحدق بها العريس ثم قال هذه واحدة







استطلاع : سليمان الشيخ
تصـــوير : سليمان حيدر



● المدينة القديمة وجها لوجه مع المدينة الحديثة في تبليسي عاصمة جورجيا ، والجبال تحيط بالقسمين

حاضر في المناقشات ، حاضر في الساحات والميادين ، حاضر في السياسة ، كما هو حاضر في الاقتصاد والمعمار والاجتماع

حاضر في الماضي ، كما هو حاضر في الحاضر ، وربما المستقبل أيضا

لقد كان رجل الاتحاد السوفيتي الأول لما يزيد على ربع قرن ، وفي المرحلة الخطيرة التي تلت الحرب العالمية الأولى وتجاورت الثانية تم ترسيخ اركان الدولة الاشتراكية الأولى ، على الرغم من جميع المواجهات والمؤامرات والحروب الداخلية والخارجية ، وعلى الرغم من الخطايا والأخطاء الكثيرة .. إنه ستالين

وستالين ابن جورجيا ، هذه البلاد الجبلية القفقاسية التي تقع في جنوب روسيا ، تنصب عليه الآن ومند ما بعد منتصف الخمسينيات لعنات كثيرة ، ولم تترك فيه أجهزة الإعلام والأفراد نقيصة إلا ودكرتها ، ومع ذلك فقد شاهدت بأم عيني سيارات كثيرة في تبيليسي ، عاصمة جورجيا ، تضع صوره عليها ، بل في موسكو نفسها يمكن أن ترى المشهد نفسه ، وشاهدت تمثالا له منحوتا على واجهة مدرسة الكوادر الحزبية في أهم شوارع العاصمة الجورجية ، وعلى أنصبة الشهداء كانت صورته منحوتة أيضا ، ومازالت صورته المرسومة بالزيت وهو يرتدي الزي العسكري موضوعة على بوابة محطة القطارات في مدينة غوري التي ولد فيها ، والتي تبعد عن تبيليسي مائة كيلومتر ، بل إن أجمل المباني وأفخمها في كثير من مدن الاتحاد السوفيتي قد بنيت في عهده ، وبصماته مازالت موجودة عليها

عن جورجيا ، المكان والناس والحياة ، يدور استطلاعنا هذا

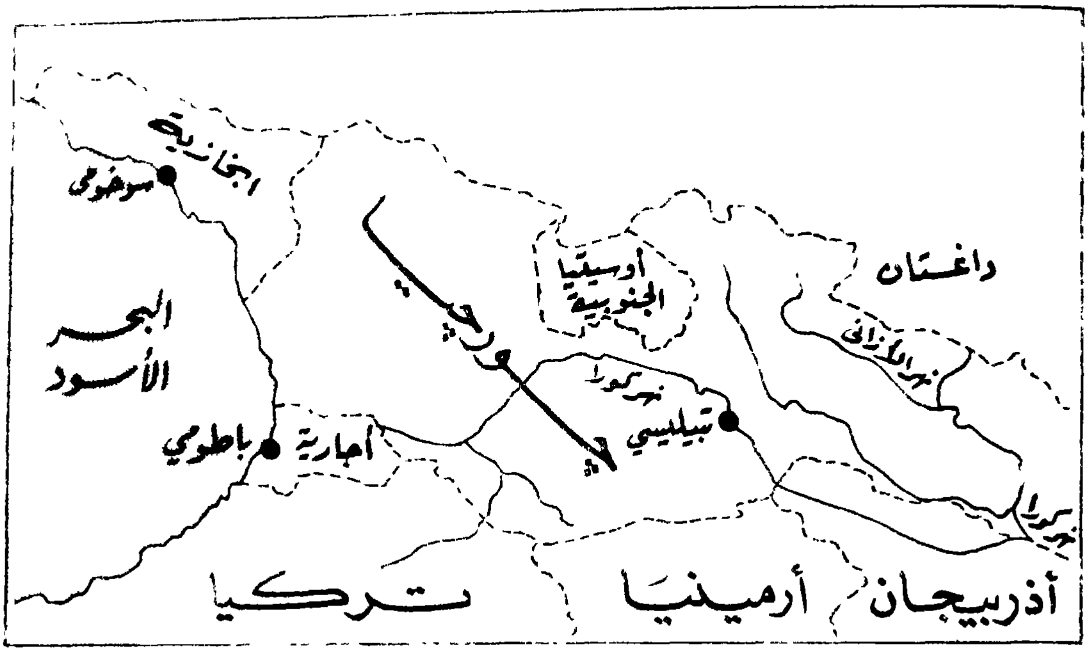
على السفوح الغربية من جبال القفقاس ـ القوقاز أو القبق كما سماها العرب قديماً ـ تقع جمهورية جورجيا الاتحادية السوفيتية التي سماها العرب قديما بلاد الكرج أو كرجستان

يحدها من الشمال والشمال الشرقي جمهوريات ومناطق ذات حكم ذاتي ، تابعة لجمهورية روسيا الاتحادية ، ومن الجنوب الشرقي جمهورية أذربيجان السوفيتية ، ومن الجنوب جمهورية أرمينيا السوفيتية ، والجمهورية التركية ، أما من ناحية الغرب فإن حدودها تقع على البحر الأسود مساحتها حوالي ٧٠,٠٠٠ ألف كيلومتر مربع ، ٨٠٪ من هذه المساحة جبال ، وأعلى قمة في هذه الجبال هي قمة جبل شخارا القوقازية ، ويصل ارتفاعها إلى ٥٠٦٨ مترا فوق سطح البحر ، وأكثر من ثلث هذه المساحة مكسو بالغابات يصل عدد سكانها إلى حوالي خمسة ملايين ونصف مليون نسمة ، نصفهم تقريباً يعيشون في المدن ، ومايزيد على ٥٠٪ من دخلها يأتي بطريق الصناعة والبناء والنقل ، وحوالي ٣٥٪ منه يأتي بطريق الزراعة ، والباقي بطريق التجارة وغيرها من الخدمات

عاصمتها مدينة تبيليسي (تبيلي باللغة الجورجية تعني المياه الدافئة) ، أو تفليس كما سماها العرب إبان أيام فتوحاتهم في القرن السابع الميلادي (تم فتحها زمن الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٩ م) ، يعيش فيها الآن حوالي مليون ونصف مليون من السكان ، وهي مدينة طولية ، تقع في وادٍ تحيطه الجبال والتلال من جهات عديدة ، ويمر بها نهر كورا وهو في طريقه نحو مصبه في بحر قزوين وجورجيا كغيرها من بلاد القفقاس كانت ضحية موقعها المهم الاستراتيجي لأنه يمثل بوابة لآسيا على أوربا أو العكس

لذلك فإن الدولة الأقوى في العالم القديم وفي عالم القرون الوسطى كانت تستولي على جورجيا وماعداها من مساحات في القفقاس ، كي تنفذ إلى الجهات الأوربية أو إلى الجهات الآسيوية هكذا كان وضعها زمن الممالك القديمة من يونان ورومان وبيزنطيين وعرب وفرس ومغول وتتار وأتراك وسلاجقة ـ أتراك ـ وغيرهم .

تارة تخضع لهذه القوة أو لتلك ، أو تقوم



● جورجيا بمناطقها وجيرانها

إمارات ودويلات مستقلة عندما تقع الواقعة بين القوى الكبرى ، إلى أن أخذ الروس بالتمدد جنوبا ، محاولين الوصول إلى المياه الدافئة ، وكانت جورجيا في تلك الفترة واقعة بين ناري الأتراك والفرس

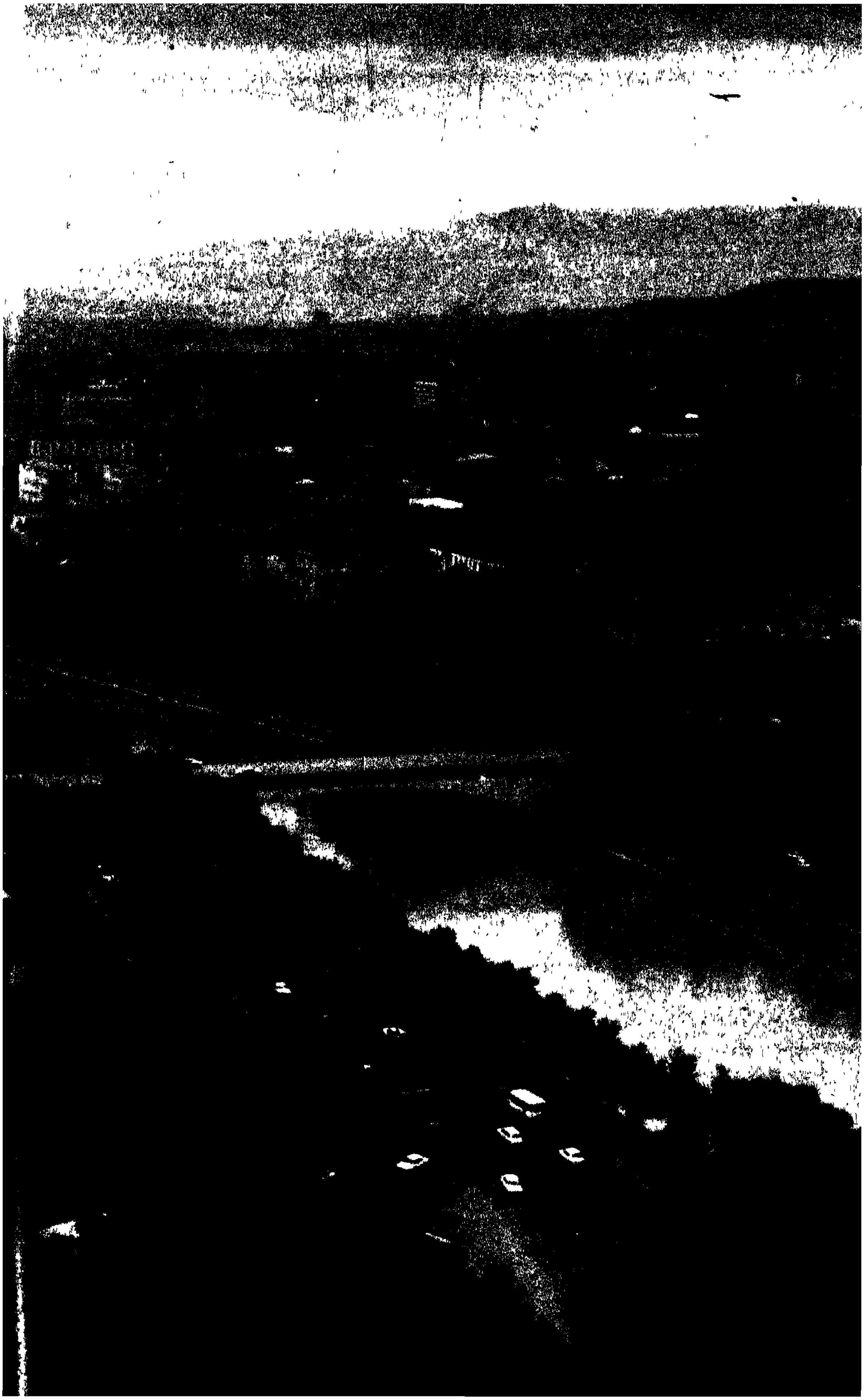
وكي تتخلص من هذه النار ، وخاصة أن الجورجيين كانوا مسيحيين أرثوذكس ، في حين أن الفرس والأتراك مسلمون ، لذلك قرر الملك هيراكلي الثاني ملك جورجيا الشرقية الالتحاق بالروس . فالتقت المصالح ، وعرض الجورجيون إقامة معاهدة تحالف بينهم وبين الروس وقد عقدت المعاهدة سنة ١٧٨٣ بين جورجيا الشرقية وروسيا ، ثم ألغيت هذه المعاهدة ، وتم الاحتلال الكامل لكل جورجيا من قبل الروس ابتداء من سنة ١٨٠١ ، وحقق الروس حلمهم بالوصول إلى المياه الدافئة ـ البحر الأسود وبحر قزوين ـ في تلك المرحلة ومنذ ذلك التاريخ لم تحتلها أي قوة اخرى غير الروس إلا في سنة ١٩١٨ ، عندما قامت فيها حكومة محلية معادية للسوفييت ، بمساعدة الانكليز ، واستمرت حتى سنة ١٩٢١ ، حيث أعيدت السلطة السوفيتية ، وتم الإعلان عن قيام جمهورية جورجيا اتحادية كجزء من الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٣٦ .

مدينة شرقية

عندما تنظر من نافذة الطائرة وترى المدينة القديمة في تبيليسي ، أو تنظر إليها من مكان مرتفع . وبخاصة عندما تتمشى في أزقتها المرصوفة ببلاط البازلت أو الصوان الأبيض وتنظر إلى مبانيها وسككها فإنك لن تتردد بالقول انها مدينة شرقية

القرميد الأحمر يغطي المباني ، وشرفات واسعة تطل من جانبي البيت ، فيها نقوش وتخريمات وتوريقات وشناشيل شرقيه الطابع ، تعتمد على الأشكال الهندسية المعروفة بعض النوافذ مقببة بالجص الأبيض ، ومدهونة باللون الأزرق أو الأخضر أو الأصفر أجزاء من سور القلعة التي تحيط بالمدينة تم ترميمها ، وظهرت البيوت القديمة بمحاذاتها لتبيت ساحة داخلية ، وفيه حديقة ، تصعد إلى طوابقه العليا بواسطة سلم خشبي أو حجري ، تتوالى فيه التشكيلات الفنية الهندسية المنحوتة على الخشب أو على الأحجار . قناديل قديمة تحتل زوايا بعض السكك الضيقة تخريمات ونقوش شرقية على بعض الأبواب

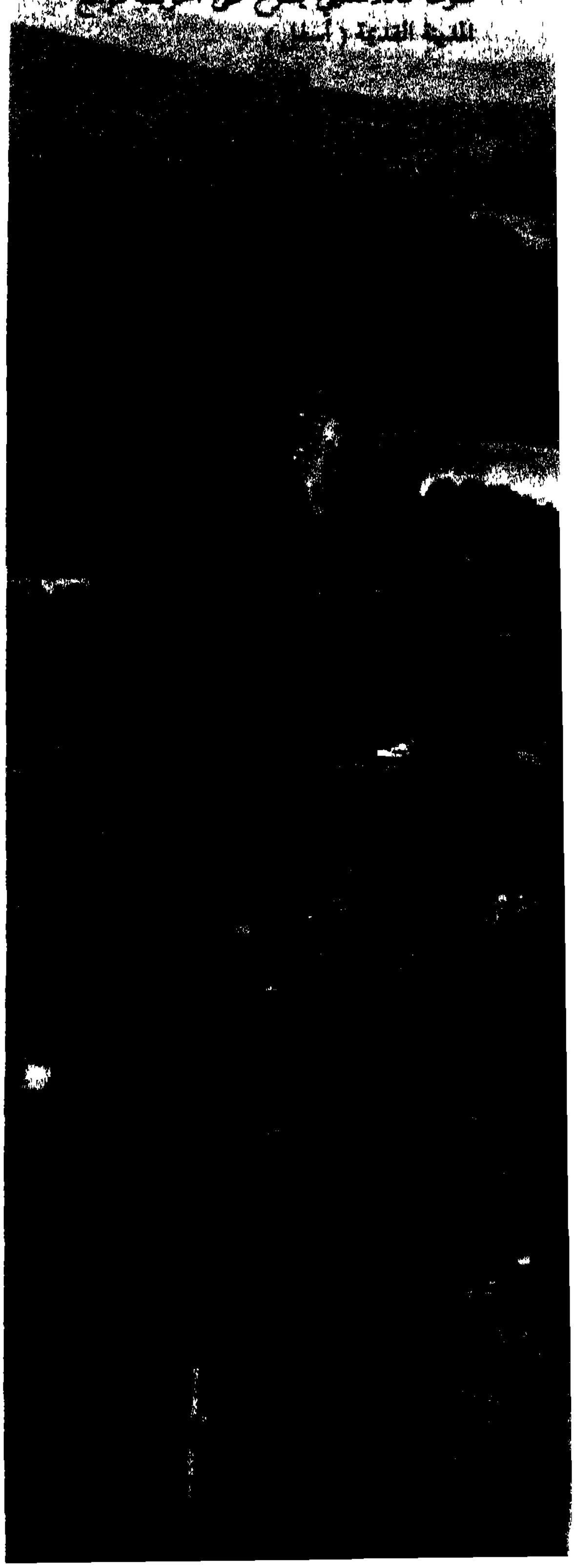
هذا حمام تركي ، وآخر حمام كبريتي (تشتهر تبيليسي بحماماتها الكبيرة المصاوية المشتى والدائرية) وذاك مسجد ، وبعده كنيسة ...







● نهر كورا : أعطاه الطين من لونه كثيراً ، إنه يقسم مدينة تبيليسي الى قسمين . وتمثال الأم الجورجية : السيف بيد والكأس بيد أخرى ، وكلا الأمرين له معناه ومغزاه ـ (أعلى الى اليسار) وكبير المهندسين في مدينة تبيليسي شوطا كافلاشفيلي يشرح على الخريطة مواقع المدينة القديمة (أسفل)



تعمل ، وأخرى تحولت إلى متحف ، وذاك مصنع ومعرض للمصنوعات الشعبية ، وآخر مرسم أو مسرح للأطفال أو بيت للدمى ، وغيره مقهى ، أو مطعم ، أو بيت رفض سكانه مغادرته بعد أن ورثوه ابا عن جد ، فتم تجديده مع الاحتفاظ بطابعه القديم ، وذاك فندق أو خان قديم ، وهذه ساحات ملأى بالتماثيل ، منها مجموعات ترقص ، ورجل بملابسه الجورجية التقليدية يحتل زاوية أحد الشوارع الطرق ضيقة كأي مدينة شرقية حقيقية ، والشرفات متقاربة ، يكاد بعضها أن يلتصق ببعض

القديم الجميل

سألت كبير مهندسي مدينة تبليسي . المهندس شوطا كافلاشفيلي

* كيف استطعتم انتزاع المدينة القديمة من براثن التدمير ، وحافظتم عليها بهذا الشكل القديم الجميل ؟

- قال لذلك قصة طويلة ، إن مدينة تبليسي تمت نموا متسارعا ، فقد كان عدد سكانها سنة ١٩٣٩ حوالى نصف مليون نسمة ، وكان يمكن للمدينة القديمة أن تستوعب هذا العدد ، لكن سكان المدينة تزايدوا كثيرا ، ووصل مجمل أعدادهم سنة ١٩٧٩ الى حوالى مليون نسمة ، وقفز العدد في هذه الأيام إلى ما يقرب المليون ونصف المليون

إن المدينة قد شهدت في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية نموا متسارعا في قطاع الصناعة ، وبناء المؤسسات ، فتطلب ذلك نموا في عدد السكان ، وهؤلاء كانوا يحتاجون إلى بيوت ، لذلك حصل التمدد خارج المدينة القديمة

ثم إن بعض بيوت المدينة القديمة قد أصابه الهرم والقدم ، وأخذ ينهار ويمكن القول ان بعض المباني والكنائس يعود تاريخ بنائها إلى القرن الخامس الميلادى ومع أن المدينة قد تم تدميرها حوالي ٤٠ مرة من قبل قوى عديدة بعد ذلك ، إلا أنها كانت تعود للانبعاث من جديد ، وقد سادها الاستقرار في القرن الثامن عشر ويمكن القول بأن البيوت قد تم تجديدها حسبما كانت عليه قديماً ، ومع ذلك فان بعض السكان أخذ يميل إلى العصرنة ، فأخذ يجدد على هواه ، لذلك فإننا خشينا على المدينة من أن تفقد طابعها الجورجي التقليدي ، فطالبنا بالمحافظة على طابعها القديم بعد الترميم والتصليح وقد اتخذ قرار من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجورجي ومجلس الوزراء فيها سنة ١٩٧٠ بالحفاظ على الطابع التاريخي للمدينة ، فقامت ورشة كبيرة للترميم والتجميل ابتداء من سنة ١٩٧٥ ، وعاد للمدينة القديمة طابعها المميز

ومنذ ذلك التاريخ والمدينة تحتفل بيوم صدور القرار (الأحد الأخير من شهر أكتوبر) عيداً قوميا للمدينة ، تقام فيه الاحتفالات والرقص الشعبي ، خصوصا بعد جني محصول العنب ، ويرتدي الناس الملابس القومية المميزة ، وتعرض المسرحيات والتمثيليات المناسبة

* هل يمكن إيجاد توازن بين الاستجابة لطلبات السكن المتصاعدة وبين المحافظة على الطابع التراثي القومي للبناء الحديث ؟

- إن ذلك من أصعب الأمور التي تواجهنا . إننا نبني الآن على مساحة تصل إلى حوالى ٦٠٠ ألف متر مربع للسكن سنويا ، وكما تعرف فإن البناء الحديث يتجه رأسيا ، في حين أن البناء القديم كان يتجه أفقيا ، ويحتل مساحة واسعة ، ونحن مطالبون بتلبية المطالب الملحة للسكان ، وهذه المطالب لاتعطينا وقتا كي نتأنى ، ونقدم مساكن فيها مواصفات التقليدي القديم إضافة إلى أن ما هو تقليدي قديم يحتاج إلى إمكانيات مادية أكثر لذلك فنحن نتجه مرغمين إلى تلبية المطالب الملحة ، على حساب التقليدي المميز

* من خلال مارأيت من مبان في المدينة القديمة وحتى في شارع روستافيلي الحديث (روستافيلي أشهر شعراء جورجيا) فإنني أرى أن المباني تشبه في كثير من أشكالها ومواصفاتها أي مدينة شرقية ، فهل ما هو موجود من مواصفات يعتبر تراثا قوميا جورجيا خالصا ؟

- أجاب المهندس . إن ما هو موجود من مبان قديمة ، وحتى المبانى الحديثة مثل دار الأوبرا أو دار البلدية ، ما هو إلا نتاج تفاعل جورجيا مع الحضارة الإسلامية (العرب ، والأتراك ، والفرس وغيرهم) ، كما توجد تأثيرات « كلاسيكية » روسية وأوربية (الباروك والروكوكو) ، وتأثيرات عصرية حديثة

تتمعن بالمدينة بعد أن تألفها فتجدها مليئة بالمنحوتات الملونة ، المنفذة بالسيراميك التي تمثل

نشاطات العمل أو التي تمثل أشخاصا ، فتجد أن مستواها متقدم دقيق ، وأنها تضفي جمالا أحادا على محيطها وكذلك هي وكثير من المدن السوفيتية التي زرناها

تنظر حولك أكثر فتجد أن التلال والجبال المغطاة بأشجار الغابة تحيط بالمدينة ، وأن تمددات البناء فيها قد اتجهت نحو المساحات الفارعة طوليا ، في عرب المدينة تقف في الساحة الرئيسية للمدينة ، ساحة لينين ، فيستهويك المنظر الذي يقع على يسارك ، إنه تمثال الأم الجورجية التي تقع في نهاية طريق الكومسمول في الناحية الجنوبية الشرقية بالقرب من (نارا قلعة) أي قلعة نارا القديمة التي تم ترميمها

طول التمثال يزيد على عشرة أمتار ، وقد صنع من الالمنيوم الأبيض تلبس المرأة الملابس الجورجية التقليدية الفضفاضة ، وتحمل بيدها سيفا هو كما ذكر مرافقنا لمواجهة من يريد شرا بالمدينة ، وفي اليد الأخرى ترفع كأسا من الشراب ، هو لمن أتى المدينة قاصدا الخير والصداقة ثم يلفت نظرك في الجهة الغربية المقابلة لك برج « التلفزيون » الذي بني على أعلى جبل يشرف على المدينة (متاتسميندا) ، وارتفاعه حوالي ٧٥٠ مترا فوق سطح البحر ، ويقع على يسار الطريق الصاعد إليه منتزه ستالين للثقافة والترويح

وفي منتصف الطريق الصاعد إليه بالمركبات التي تسير على سكة كهربائية توجد كنيسة سانت ديفيد التي بنيت سنة ١٨٥٥ . وقد تحولت المساحة التي تحيط بها إلى مقبرة للفنانين والكتاب المدعين الجورجيين ، وعلى كل قبر وضع نصب كتب عليه اسم المتوفى ودوره والغريب أننا وجدنا بين تلك الأنصاب واحدا خاصا بوالدة ستالين ، منحوتا من رخام أسود وأبيض (الأسود للحزن والأبيض يمثل الخلود كما تم شرح ذلك لنا) ، وقد كتب على هذا النصب (كاترينا جوكاشميلي ١٨٥٦ - ١٩٣٧ م)

وتابعنا الصعود لنصل إلى المحطة العليا للمركبات فاطللنا على المدينة التي ظهرت تضاريسها وطبيعتها الجميلة ومناطقها المختلفة التي يشقها نهر كورا إلى نصفين ولولا الضباب والمطر لكنا قد التقطنا منظرا فريدا من نوعه هكذا حصل معنا أيضا عندما ارتقينا التلة عند تمثال الأم الجورجية

ومع أننا قمنا بالزيارة في شهر آب (اغسطس) لكن المطر لم يعتقنا ولم يعتق المدينة من انصبابه الغزير ، مع أن درجة الحرارة كانت في اليوم الأول لوصولنا ٣٢ ، ووصل معدل الرطوبة إلى حوالي ١٠٠٪ حتى أن الشجر كان ينتح الماء وينقطه على رؤوس المارة وقد انخفضت درجة الحرارة بعد نزول المطر إلى ٢٨ م ، مع بقاء الرطوبة مرتفعة

ماتذكره كتب المناخ

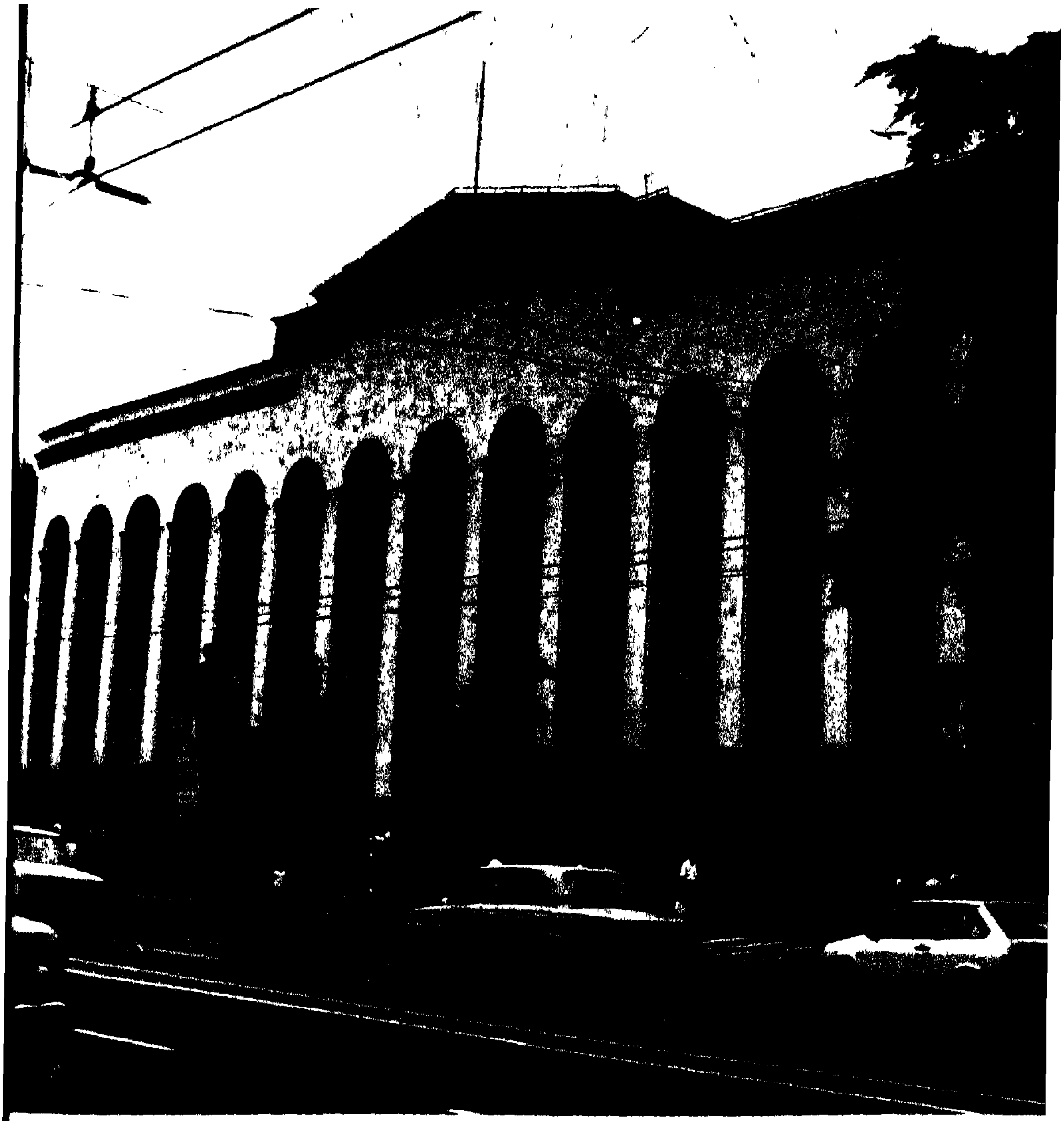
ولتفسير الحرارة المرتفعة والرطوبة العالية تذكر كتب المناخ عن المناخ السائد في جورجيا ما يلي :-

مناخ جورجيا عموما انتقالي من المناخ شبه المداري إلى المناخ المعتدل ، ويلاحظ فيها المناطق المناخية التالية

- القسم الغربي ، أي سهل كولخيدا ، ويصل أعلى ارتفاع فيه الى حوالي ٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، وهو ذو مناخ شبه مداري ، رطب دافيء شتاء ، نادرا ماتهبط فيه درجة الحرارة إلى الصفر ، لأنه محمي من الرياح القطبية الباردة بجبال القفقاس العالية ويبلغ معدل الحرارة اليومي في تموز « يوليو » ٢٤ درجة ، وأمطاره غزيرة تتفاوت مابين ١٢٠٠ - ١٨٠٠ ملم في السنة ، وهذه الظروف تساعد على زراعة النباتات المدارية كالشاي والحمضيات وغيرها ، ومن مدنه المهمة برجومي ، وتسخولتوبو المشهورة بمياهها المعدنية ومصحاتها ، (وقد كان الرئيس المصري الراحل عبد الناصر يقصدها للعلاج)

- القسم الشرقي ، اي وادي كورا ، ذو مناخ شبه مداري قاري ، نصف جاف ، معدل درجة حرارته في الصيف ٢٥ ، وفي الشتاء صفر ، ومعدل المطر فيه يتراوح بين ٣٠٠ و٨٠٠ ملم سنويا ، وتزرع فيه أشجار الكرمة والحبوب والبنجر ، وهو القسم الذي تقع فيه العاصمة تبليسي ، ويوجد أيضا قسم الجبال الذي يتلقى أكثر نسبة من سقوط الأمطار ، ثم قسم النجد الجنوبي ذو المناخ القاري نصف الجاف

ومادمنا قد ذكرنا الشرق والغرب الجورجي فإنه يجدر بنا الإشارة إلى أن لفظي (نادزة) و (شفيلي) المتداولين في جورجيا يعنيان (ابن) ، تماما كما هي الواو والفاء في نهاية الأسماء الروسية التي تعني ابن أيضا (شيبلوف) و(خروشوف) و(انتونوف) الخ والأولى « نادزة » تطلق في غرب جورجيا في حين أن (شفيلي) مستعملة في الشرق ووسط جورجيا





● مبى الحكومة في تبليسي فيه كثير من ملامح العمارة الاسلامية العربية ـ (اعلى) (والى أسفل) مبنى العروض الموسيقية في مدينة تبليسي ، إنه مصمم على الطراز الأندلسي ـ (واقصى اليسار) واجهة قاعة الموسيقا كل ما يظهر فيها يوحي بطراز العمارة الشرقي



هيئة التخطيط

في هيئة التخطيط التي تقع في مبنى مجلس الوزراء الجورجي الفخم الضخم القائم على أعمدة طويلة ضخمة مقوسة والذي بني زمن الحقبة الستالينية التقينا بالسيد تالام بيرتزا رئيس القسم الاستشاري بالهيئة ومساعده.

ومثل هذه الهيئة قائمة في جميع الجمهوريات السوفييتية، وهي من الهيئات المساعدة للهيئات والوزارات القائمة، و للتخطيط للتطور الاقتصادي والاجتماعي.

ذكر السيد بيرتزا أنه توجد ثلاث مناطق تتبع جورجيا، هي جمهوريتا ابخازيا واجاريا ذاتيتا الحكم (أغلبية السكان في الجمهورية الثانية مسلمون، مساحتها ٣ آلاف كلم٢، وعدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة، وعاصمتها باطومي، وهي من أشهر موانيء البحر الأسود)، ومنطقة أوسيتيا الجنوبية. وتصل نسبة الجورجيين في الجمهورية كلها إلى حوالي ٦٩٪ من السكان، في حين أن الأرمن يصلون إلى ١٠٪، ويليهم الروس، ويليهم الأذربيجانيون، حيث أن نسبتهم تصل إلى حوالي ٧٪، وهناك أقليات أخرى من اليونانيين والأكراد والآشوريين وغيرهم. ثم تكلم عن المواد الخام في الجمهورية. وذكر أن أهمها المنجنيز، والفحم الحجري، والحديد والنحاس، والتوتياء وغيرها. وتعد ثروة المياه والغابات من أشهر ثرواتها.

وذكر أن أهم الصناعات هي قاطرات السكك الحديدية. وأن انتاج ٣٠٪ من قاطرات الاتحاد السوفييتي كله يتم في جمهورية جورجيا. كما تصنع فيها الماكينات والحاصدات الزراعية. وتصنع فيها حتى الطائرات. وصناعة الالكترونيات، كما أن ٩٤٪ من انتاج الشاي في الاتحاد السوفييتي من انتاج جورجيا، هذا عدا عن انتاج المشروبات الكحولية بأنواعها المختلفة.

ثم ذكر بأن التعليم الثانوي إجباري في الجمهورية، وأنه توجد جامعتان في الجمهورية، الأولى في تبيليسي وقد تأسست سنة ١٩١٨، والثانية في سوخومي، عاصمة ابخازيا، وقد تأسست سنة ١٩٧٨ م. ويوجد ١٩ كلية للتعليم العالي، وكليتان تقنيتان، وكليتان للزراعة، ومدارس عليا للمعلمين، وأكاديمية للفنون،



● السيد تالام بيرتزا

وأكاديمية للعلوم، وغير ذلك.

ويذكر أنهم في هيئة التخطيط يضعون خططا بعيدة المدى، قد تصل إلى ١٥ سنة، وخططا قصيرة المدى تصل إلى سنة.

وهذه الهيئة تعمل تحت إشراف مجلس الوزراء الجورجي. وهي عضو في لجنة التخطيط السوفييتي المركزية.

أما من حيث طبيعة عمل اللجنة في الماضي وفي الحاضر خاصة بعد رفع شعارات إعادة البناء والعلنية فقد قال السيد بيرتزا: لقد كنا من قبل نخطط لكل شيء، وكان يتم الالتزام بمركزية التخطيط حتى لأصغر المصانع، بل حتى لتغيير نوعية مسمار أو شكله، وكان ذلك يخضع لموافقة لجنة التخطيط المركزية في موسكو.

وقد أدى ذلك إلى كثير من الارباكات وعدم سوية بعض التصرفات، لأن الرقم في الانتاج أصبح أهم من النوع أو جدوى مايتم صناعته، وهكذا كان يتم استعمال خامات أكثر، لإنتاج سلع كثيرة، لكنها رديئة، ولايوجد عليها إقبال

لمزيد من الحريات

عندما سألناه عن حال الانتاج الآن فإنه اجاب حسب قانون المؤسسات الانتاجية الجديد يوجد للمؤسسات حرية أوسع في التحطيط . إذ أصبحت ادارة المصنع هي التي تخطط لإنتاج موادها . وعقد اتفاقات تصريفها ، مع وجود ضوابط خاصة بالنسبة لانتاج المواد الاستراتيجية . وتوفير حق الدولة من المواد الأساسية

وقد بدأت كثير من المؤسسات والمصانع في جمهوريتنا تدير عملها حسب الربح والخسارة

* سألت : المعروف أن منطقة بلاد القفقاس يجمع العديد من القوميات والشعوب الصغيرة ، فلا توجد مشاكل قومية في جورجيا ، تشبه مشكلة كاراباخ بين جمهوريتي اذربيجان وارمينيا ؟

اجاب السيد بيرنزا : أستطيع القول بثقة أنه لاتوجد مشكلات قومية في جورجيا تشبه مشكلة كاراباخ ... تري انه توجد جمهوريات ومناطق ذات حكم ذاتي داخل الجمهورية الجورجية . وهذا يسهل لنا مواجهة بعض المشاكل وحلها بالصور المناسبة

حوادث ابخازيا

* لقد قامت في جمهورية ابخازيا ـ ذات الحكم الذاتي الآن ـ حوادث سنة ١٩١٨ تشبه الاحداث التي قامت في كاراباخ فهل كان العامل الديني أو القومي هو الذي حرك الأحداث ؟

ـ فوجيء السيد بيرنزا بالسؤال . وبالمعلومة التي نطرحها ، فتشاور مع مساعده ، وتوثق من سنة الأحداث ، وأجاب يصل عدد السكان الابخازيون الأصليون إلى حوالي ٢٠٪ من عدد سكان الجمهورية (مساحة الجمهورية ٨٫٦٠٠ كم مربع ويتجاوز عدد سكانها نصف مليون نسمة ، وتقع في شمال غرب جورجيا ، وعاصمتها سوخومي التي تعد من أهم موانيء البحر الأسود) ، ويوجد بينهم مسلمون ومسيحيون (الأغلبية من المسيحيين ارثوذكس مثل أغلبية سكان جورجيا وروسيا) . أما بقية السكان فهم جورجيون ، وروس ، وأرمن وغيرهم ، وقد قامت أحداث في الجمهورية عام ١٩٧٨ ، وتمت المطالبة بالحاق ابخازيا بموسكو مباشرة وليس عبر جورجيا ، وجاء هذا الطلب عبر المتظاهرين ، ... نص رسمي من السوفييت المحلي ، ممثلي الشعب المحليين)

ويعود أسباب الأحداث إلى العبث بقوانين الدولة السوفيتية ، وعدم تطبيقها بشكل عادل منصف ، كالنقص في الخدمات وغيرها

وأقول واثقا إن العامل المحرك لم يكن دينيا أو حتى قوميا . وإثر الأحداث تم اتخاذ قرارات حاسمة لتطوير المنطقة في جميع جوانب الحياة . وتم إنشاء جامعة ابخازيا في العاصمة سوخومي . وتم اعتماد اللغة الابخازية لتدريسها في المدارس والجامعة ، وأقيم مركز للبث « التلفزيوني » باللغة الابخازية إضافة إلى الروسية ، وتم تطوير مؤسسات الخدمات ، وقد تم كل ذلك بإشراف هيئة التخطيط مباشرة ، وقد أدى ذلك إلى تقدم الوضع الآن ، وأصبح يضاهي أي وضع متقدم آخر في الاتحاد السوفيتي

« سوليكو » . . « سوليكو » !

الوقت ، وقت غروب ، حمرة الشفق تتسلل من بين الغيوم التي أحدثت بدر مطرا خفيفا ، ومازال نهر كورا يحمل مياها معكرة ، لونها لون الطمي الموزع بين الأصفر والأبيض ، وأوراق أشجار الأسر والحور والصوبر ترتعش وتتمايل مع هبات الرياح والمدينة القديمة تمايلها المرتمة أمامنا ، وفوقنا تلال تمثل الجانب الآخر من المدينة . وقد تم ترميم الكثير من المباني المقامة عليها ، فظهرت في أبهى صورها

المكان كنيسة نيكولاس الجورجية القديمة (بنيت في بداية القرن التاسع عشر الميلادي) ، سقفها المخروطي المغطى بمادة التنك والالمنيوم يلمع بسبب انعكاس ألوان الشفق المغموسة بحبات المطر التي سقطت عليه

عشرات المقاعد مصفوفة في الداخل ، وعشرات الأشخاص ـ خصوصا من السياح ـ يحتلونها ، لقد تحولت الكنيسة الى قاعة للعروض الفولكلورية . وفرقة شاوري للرقص الشعبي تحتل الخشبة الصغيرة ، وتطلق العنان لأصوات أعضائها مطعمة بالأنغام ، وموقعة معها ضربات الأرجل العنيفة على الخشبة . ورجل يقفز بل يطير راقصا بعنف ، بشكل دائري شامخ سريع يحاكي النغم ، أو ربما يحاكي سمو الجبل وعلوه وشموخه ، وترق الموسيقا ، وتحضر امرأة لها جديلتان مسدلتان









● إلى اليسار محصول
وفير من العنب . نحو
اسكرمه . أشهر
المزارات في جورجيا
وبوابة تسور أبي نيس
في القرون الوسطى .
وتم ترميمها حديثاً
ـ (أعلى) قرية حديثة في
سهل الآراك . إلى
حربوسوحي ـ (وسط)
مقاهي الرصيف .
إحدى الأماكن المقصودة
في مدينة تبليسي
القديمة (أسفل)

ترتاحان على ثوب طويل وأكمام فضفاضة وغطاء رأس محكم له حواف ، وتتحرك برشاقة ، ثم تقف على رؤوس الأصابع ، ويدق الطبل بعنف ، ويقفز راقص آخر يتحدى سابقه ، ثم يأتي جمع من الراقصين ، فتلمع الخناجر والسيوف ، ويبدأ استعراض التنافس بالحركات الأرشق والأعنف والأسرع ، يرتفع صوت الاكورديون والطبل وآلة تشبه الكمان .

ثم يدق الجميع عندما يحضر الناي ، ويأتي صوت رقيق ناعم سلس معنيا « سوليكو » « سوليكو » ، ويستمر الاحتفال ، ويهمس مرافقي في أذني قائلا : سولكو هو اسم امرأة ، وكانت هذه الأغنية من الأغاني المحببة لستالين !

سألت السيد عمر ششنادزة مدير الفرقة عن تشابه الملابس التقليدية الجورجية الرجالية والنسائية بالملابس الشركسية فعلق :

ـ لا شك أن طبيعة بلاد القفقاس تركت آثارها على الكثير من مناحي حياتنا ، وهي مشتركة بين شعوب المنطقة ، ويمكن أن يكون الاسم الاشهر بين شعوب القفقاس هو الشركس في هذا المجال . وملابس الرجل التقليدية يقال لها « الشركسا » ، وهي تختلف قليلا بين هذا الشعب أو ذاك .

ـ ثم سألته عن الألحان والموسيقا والكلمات والرقصات ، وهل يقدمونها كما استمعوا إليها ونقلوها عن الأجداد ، فعلق : إننا نحاول تقديم التراث كما هو ، مع تعديلات بسيطة في الالحان أو الكلمات أو الحركات .

غذاء أساسي

من المعروف أن السينمائيين الجورجيين متطورون ، وقد حصدوا جوائز مهمة في بعض المهرجانات العالمية ، كما حصل مع المخرج ابولادزة الذي فاز بالجائزة الأولى على فيلمه « التوبة » في مهرجان كان السينمائي صيف هذا العام ، وفازت مخرجة جورجية أيضا بجائزة في نفس المهرجان .

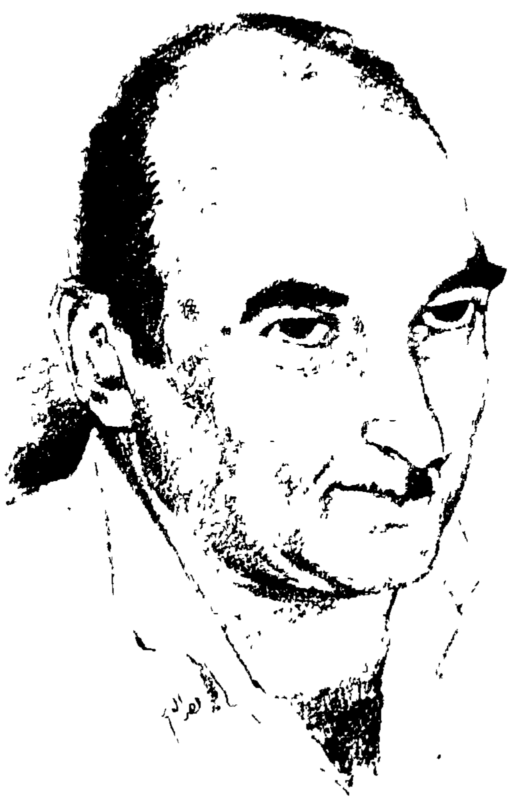
عندما سألت السيد أياجري كيلي النائب الأول لوزير الثقافة في جمهورية جورجيا عن كيفية تعاملهم مع السينمائيين وما يوفرونه لهم من إمكانات أجاب :

ـ ستندهش لو قلت لك إنه ليست لنا علاقة مباشرة بصناعة « الفيلم » السينمائي ، وما نقوم به هو توفير الجو الصحي للابداع ، إذ يوجد في البلاد عشرات النوادي السينمائية للمهنيين والهواة ، وفيها تعرض الافلام ، وتناقش ، كما أن اتحاد السينمائيين في جورجيا ينظم برامج سنوية لعرض الأفلام الأكثر شهرة في العالم ، سواء للحرفيين أو للهواة ، وليس هذا هو كل ما نفعله بالنسبة للمهتمين بفن السينما . فإن توفير جو ثقافي مناسب في جميع الفروع دعم ومساعدة للمبدعين في شتى المجالات ، ومع ذلك فاننا سنقوم باستيعاب النشاطات السينمائية الحرفية ابتداء من العام القادم .

أما ما عنيته بأجواء ثقافية مساعدة فهو وجود ٣٢ مسرحا تابعا للدولة في جورجيا بينها ثلاثة مسارح للاوبرا والاوبريت وخمسة مسارح للأطفال ، والباقي مسارح درامية ، بينها مسرح روسي وآخر ارمني ، وثالث ابخازي .

ويوجد خمس فرق سيمفونية ، و ٣٢ فرقة موسيقية صغيرة ، و ١١ فرقة فولكلورية معتمدة .

ويوجد في بلادنا حوالي ٢٠٠ مدرسة للموسيقى بأنواعها ومستوياتها المختلفة ، و ٢٣ كلية فنية (رسم ، نحت ، رقص ، موسيقا ... إلخ) . وكليات أخرى لإعداد « الكوادر » الإدارية لنوادي



● السيد اياجري كيلي

الثقافة المنتشرة في المدن والقرى الجورجية ، و ٣ مؤسسات للتعليم العالي هي أكاديمية فنون ، وكونسرفاتوار . وكلية للمسرح وقد شاركت فرقنا وفنانونا في كثير من المهرجانات العالمية ونالت جوائز عدة

ومما يجب ذكره أن الصحف تصدر في جورجيا بخمس لغات هي الجورجية ، والروسية ، والأرمنية ، والاذربيجانية والابخازية . كما أن الإذاعة تتعامل رسميا بهذه اللغات .

* إذن كيف تتعاملون مع التراث ، أعني التراث الفني والموسيقي وغيره ؟

- إننا نعتمد أسلوبين في هذا المجال

الأول اتجاه لتقديم التراث كما هو ، وكما هو متداول بين الناس ، وتقدم ذلك كثير من فرق الهواة ، ويخضع لضوابط اللجان العلمية الخبيرة

الثاني اتجاه يقوم على تطوير « الفولكلور » وهذا الأمر لا يترك للأفراد حسب أذواقهم ، بل يتم الأمر ضمن معايير ودراسات متأنية ، يقوم بها متخصصون علميون لهم خبرتهم الطويلة في هذا المجال

ونحن نشجع الموهوبين في شتى مجالات الإبداع الفني . ونحتفظ بتسجيلات للفولكلور - الفني - لأنه يمثل قاعدة الحركة الفولكلورية

في أرض الكرمة

يعد الناتج الزراعي الثروة الأساسية الثانية بعد الصناعة في جورجيا ، وأهم الزراعات الجورجية الشاي والحمضيات والحبوب والتبغ والسكر والخضار والعنب

- وتشتهر منطقة شرقي جورجيا بزراعة الكرمة وقد قصدنا المنطقة التي تقع شمال شرق العاصمة تبليسي التي يقع فيها مجمع سيغناغي الزراعي وسهل الآراني الذي يسقيه نهر الآراني (أحد فروع نهر كورا)، وهي منطقة تبعد حوالي مائة كيلومتر عن العاصمة

ساعدنا الحظ فلم يسقط المطر ذلك اليوم ، فاتجهنا شمال شرق العاصمة ، وهو نفس الطريق الذي يتجه إلى باكو عاصمة ادربيجان (تبعد حوالي ٥٧٠ كيلومترا عن العاصمة الجورجية)، وإلى يريفان العاصمة الأرمنية (تبعد حوالي ٢٣٠ كيلومترا)

يحف بالطريق تلال وجبال مكسوة بغابات السرو والشربين والخور والحور مررنا قرب المقبرة فرأينا تمثالا لامرأة تحمل الشمس بيديها ، يرتفع ... حوالي ١٥ مترا ، كأنها سيدة الطريق

مزارع كثيرة وقرى قليلة كانت تحادي الطريق أبقار ترعى بجانب الطرق قطعان الغنم والماعز نراها من بعيد ترعى في الحقول الخضراء ... يرفرف بأجنحته قرب القرى ، ودجاج وأفراخ تصيح ويتابع بعضها بعضا

بعض البيوت الصغيرة التي تسمى « داشب » . وهي بيوت استراحة الأفراد ، تظهر في هذا الجانب أو ذاك خارج المدينة وهي مملوكة للأفراد لقضاء أيام العطل في أحضان الطبيعة

حقول مزروعة بالذرة ، تحاذيها حقول أخرى مزروعة بنبات دوار الشمس ، وبعضها مزروع بكروم العنب التي ظهرت عناقيدها خضراء تلمع (تنضج عناقيد العنب في بداية سبتمبر - أيلول - وينتهي موسم الجني في نهاية هذا الشهر)

طرق القرى التي نمر بها مرصوفة ، وتربة أرض بعض الحقول سوداء ، وتظهر بعض القلاع المرممة على جانبي الطريق في أماكن مرتفعة على التلال والجبال

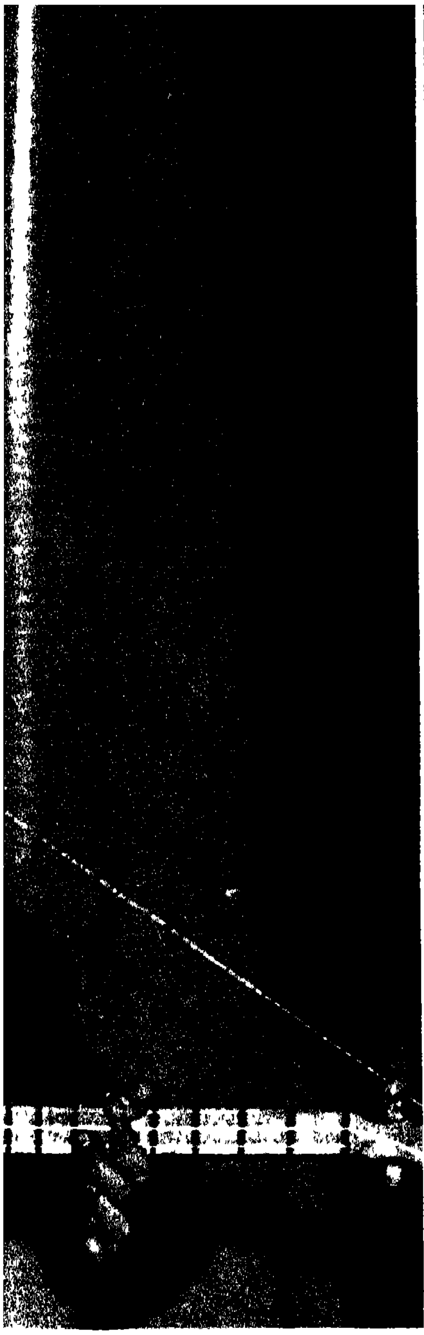
نرى مجموعة من الأشجار الخضراء (١٨ شجرة) معلق عليها ثلاثة أجراس ، وتحتها خمسة أنصبة ، على أحدها نحتت صورة ستالين بشاربه الكث ، وكتب تحت النحت لأجل مجد الوطن والنضال ضد الفاشية سقط الشهداء وكانت تلوح قلعة على مقربة من المكان

نقطع حقولا زراعاتها الأساسية أشجار كرمة ، فنعرف أننا أصبحنا نقترب من المكان الذي نقصده

متوافر لكنه ليس بالضرورة جيدا !

سيغناغي مجمع زراعي ، نزرع ٤٥ ألف هكتار من مساحته قمحا وشعيرا وذرة وأعلافا ، ونزرع في ستة الاف هكتار منه اشجار عنب

هكذا حدثنا السيد داويد الله دفشيلي رئيس المجمع ، وأضاف نعمل في الحقول ٦٥٠٠ عامل وعاملة ، في حوالي ١٥ كولخوزا (مزارع الدولة)، وخمسة سوفخوزات (مزارع تعاونية)، نربي فيها السمك النهري والدجاج والنحل والماعز والغنم والخنازير ويوجد سبعة معامل للمشروبات الروحية ، ومعمل للحنطة والذرة ، ويوجد ؟





● أدت دورها ، فكرمها الجمهور باقة ورد لاحظ اللباس الجورجي التقليدي ، إنه شرقي حتما (يمين) أدوات الموسيقا الشعبية التقليدية ، وملابس شعبية قوقازية تقليدية أيضا (اعلى) حركة رقص رشيقة وتوقيعات بالأكف لايجاد الجو المناسب (أسفل)





كوحورات لصناعة الزيت من نبات عباد الشمس وقد قال كلمة ريت بالعربية (وهي نفس الكلمة الجورجية)، وأضاف هناك عدة كلمات جورجية هي نفسها بالعربية

علقت إن التفاعل بين شعبينا قديم

* سألت إن مشكلة السكن مشكلة معروفة منتشرة في جميع أنحاء العالم بما فيها جورجيا فهل هناك مشكلة من هذا النوع في منطقتكم ؟

- علق السيد دافيد لا يوجد مشكلة سكن في منطقتنا . إن البيوت في القرى والبلدات المحيطة بنا ملك لأصحابها ، وفي كل قرية مدرسة ثانوية ونادي ثقافي ، وعيادة طبية ، وصيدلية ، والكهرباء متوفرة ، والمياه تصل بالأنابيب إلى البيوت . وكذلك الغاز عدا هناك أربع قرى في المنطقة لم يصل لها الغاز بالأنابيب حتى الآن

ولا توجد أمية في المنطقة ، فقد تم القضاء عليها منذ عشرات السنين لا ريد التبجح وقول دعايات لا أساس لها ، وإذا ما أردت قول الحقيقة فإني أقول إن كل شيء متوافر ، لكنه ليس بالضرورة جيدا

وأضاف بدأنا العمل حسب برنامج الربح والخسارة في بعض مزارع وسيتم تعميم هذا البرنامج اعتبارا من بداية سنة ١٩٨٩

* هل هناك مزارع تخسر

- نعم هناك مزارع تخسر

* وكيف تحلون مشكلتها ؟

- يتم بيعها لمزرعة أخرى تربح ، أو يتم توزيع الأراضي والمواشي على المزارعين ضمن اتفاقات سنة معروفة وطريقة استئجار المزارع أو العناية بالمواشي سائدة في منطقتنا . وتتم الاتفاقات لسنوات معدودة وحتى لسنة واحدة

الغائب الحاضر !

* حدثنا عن أغلبية السكان في المنطقة ؟

- ٩٥٪ من السكان جورجيون ، والباقي روس وادربيجانيون وأرمن

* هل حدثت مشاكل معينة بين الأرمن والادربيجانيين في المنطقة ؟

- لا ، لم تحصل . والكثير من أفراد القوميات الأخرى ولدوا هنا ، وبعضهم لا يعرف حتى لغته القومية ، لقد أصبحوا جورجيين

* ما رأيك في مشكلة كاراباخ ؟

- ابتسم الرجل ، وعلق كان الأرمن والادربيجانيون يسكنون المنطقة منذ زمن قديم . وكانت تتبع هذا الجانب أحيانا وذاك الجانب في حين آخر . صحيح أن الأرمن أكثرية في المنطقة ، لكن هذا لا يعني بأن يلتحقوا بالجمهورية الأرمنية . فالجميع سوفييت في النهاية

وصحيح أن الجانب الادربيجاني قد غبن حقوق الأرمن ، ولم يراع خصوصياتهم القومية ، وهو الذي يتحمل مسؤولية الأحداث ، لكن الدستور لا يبيح لممثلي المنطقة ذات الحكم الذاتي اتخاذ قرارات تتعلق بالسيادة والالتحاق

* هل عندك استعداد لإبداء رأي مما يقال عن ستالين في هذه الأيام ؟

- إن ستالين أصبح ابنا للشعوب السوفيتية . وليس للجورجيين فقط ، وإذا ما أردنا أن نحاكم أي مرحلة فإن علينا استعمال مقاييس ومعايير تلك المرحلة . لذلك فإني أجد ظلما للمرحلة ولستالين في طروحات هذه الأيام

* هل تتكلم هكذا بصفتك جورجيا يدافع عن ابن بلده الجورجي . أم أنك تتكلم مما تعتقد أنه الحقيقة ؟

* إني أتكلم مما أعتقد أنه الحقيقة

- هل كل ما تم في الحقبة الستالينية صحيح وحيد ومصلحة الشعوب السوفيتية ؟

- أعتقد أن الظروف كانت صعبة جدا في تلك المرحلة . والكثير من الأحداث لها مبرراتها

* لكل حقبة سلبياتها وإيجابياتها

- نعم لكن الظروف حتمت الكثير من التصرفات

خرنوبوجي جديدة !

غادرنا المكان بعد أن رافقنا مساعد السيد دافيد متوجهين إلى حقول العنب في سهل الأزان . أشجار الجوز والكرمة تحف بالطريق . وغابات تمتد على مد النظر في الجبال بدأت معالم السهل تتضح أمامنا . ومررنا ببلدة تسنوري التي يصل عدد سكانها ١٢ ألف نسمة ، فوجدنا أن سورها القديم ما زال قائما . وقد تم ترميم ٤ كيلومترات ونصف كيلومتر منه ، وقد بني زمن الملكة تامارا ، إحدى الملكات الجورجية القوية في القرون الوسطى التي حكمت أجزاء من شرق جورجيا وظهرت لنا عربات هوائية معلقة (تلفريك)، فذكر مرافقنا أن طول الخط الذي تقطعه يصل إلى حوالي ٥

لومترات ، ويذكر أن درجة الحرارة في المنطقة تصل إلى ٣٥ درجة مئوية في الصيف ، في حين أنها تصل إلى ١٠ درجات مئوية في الشتاء ، ويسقط الثلج في بعض الأحيان

مزارع العنب تحف بالطريق على الجانبين ومررنا قرب مصنع للنبيذ اسمه جرساه ، يقع وسط مزرعة العنب الملحقة به ، واطلعنا على طرق جمع المحصول الذي ما زال يتم يدويا . وتابعنا طريقنا إلى قرية جرنوبوجي ، تلك القرية التي أنشئت سنة ١٩٨١ ، وست الحكومة فيها ٢٠ بيتا . وهي بصدد بناء المزيد من البيوت لاحتضان السكان للعمل في الزراعة ، خاصة أن السكان في سهل الاراد قلائل . ويذكر السيد دافيد المشرف على المزارع في المنطقة

ويذكر السيد دافيد أيضا بعد أن أطلعنا على بقايا حجرة قديمة من المنطقة كانت مسكونة من قبل ، وأنه كان فيها حاضرة اسمها جرنوبوجي ، إلا أنها دمرت من قبل الفرس في زمن الشاه عباس ، في القرن السابع عشر ، وتم إطلاق اسم القرية القديم على القرية الجديدة في المنطقة

ويقوم السيد جمال حشيدفلي (ينتشر الكثير من الأسماء العربية الإسلامية بين سكان جورجيا) بمهام مدير المزارع بالقرية ، وقد استضافنا في بيته ، ويذكر بأنه من أوائل الذين سكنوا القرية ، وقد جاء من قرية مجاورة ، وهو متخرج من معهد تبيطره ، ويعد من العمال في الزراعة ، ويوجد في المزرعة التي يديرها العمال بها ١٦ ألف رأس من الماشية ، و ١٠٠ هكتار تزرع كرمة

أما البيوت التي وزعت على المزارعين فمساحتها حوالي ١٥٠٠ متر مربع لكل بيت ، وللمزارع ٢٥٠٠ متر مربع في حقول العنب أيضا

ويذكر أنه لم يتم بعد فتح مدرسة في القرية ، وأن الطلبة يدرسون في مدارس القرى المجاورة ، لكن الكهرباء والغاز والمياه تتم تأمينها بسهولة

شكرنا السيد جمال على استضافته لنا وعلى طعامه الشرقي اللذيذ ، وتوجهنا نحو تبليسي بعد ان أخذ قرص الشمس يميل نحو الغروب

ايبيريا الجورجية

نزل المطر بغزارة في اليوم التالي ، وهو اليوم الذي وطدنا العزم فيه على مغادرة مدينة تبليسي بالقطار إلى مدينة سوتشي الساحلية التابعة لمنطقة كراسنودار التابعة لجمهورية روسيا الاتحادية

ذكر السائق التبليسي الذي أقلنا إلى محطة القطار أن مدة سقوط المطر ستطول ، وأن أشد حالات الصحو التي ستحدث قليلة ، وكان اليوم هو اليوم الثالث من أغسطس - آب ، ومع ذلك فإن نعمة المطر جاءت مبكرة

بعد أن أنهينا زيارتنا لمدينة سوتشي الواقعة على البحر الأسود توجهنا بالقطار أيضا إلى مدينة سيرال بوغوس (شاه المعدنية) الواقعة في شمال جبال القفقاس ، التابعة لمنطقة ستافروبول ، وفي القطار التقينا بالدكتور زوراب ابسكيري ، الأستاذ المساعد لمادة التاريخ في جامعة ابخازيا في مدينة سوخومي ، وشعب حديث بيننا وبين الدكتور زوراب ، وشؤون التاريخ والجغرافيا والحاضر والمستقبل

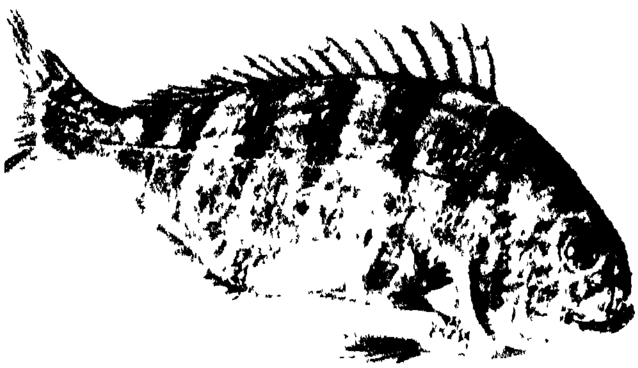
... سألت الدكتور ... يوجد علاقة ... بقرابة الموجودة بين لغة الباسك في اسبانيا الواقعة في شبه جزيرة ايبيريا وبين لغة الجورجية - حسب نظرية بعض العلماء - أو أسم بلاد القديم ايبريا (اسم حضارة قبل الميلاد في جورجيا عرفت باسم الحضارة الايبيرية) ، وهل جاء اسم الفندق الذي نزلنا به في تبليسي (ايفيريا) تسلطا؟

اجاب الدكتور زوراب (ومعناه الحجر الأحمر بالجورجية) لا شك أن هناك نظرية عند بعض العلماء بصدد القرابة بين جورجيا وشبه جزيرة ايبيريا ، خاصة شعب الباسك ، وإذا هو معروف فإن شعب الباسك يعيش في شبه عزلة عن جماعة المحيط ، فالشعب الجورجي تماما ، واللغويون أو على الأصح بعض اللغويين ، يعتقدون أن هناك تشابها في الجذر اللغوي بينهما ، ومع ذلك فإن كل ذلك لم يتم التثبت منه تماما ، ولم يتم الخروج منه بنظرية متكاملة حتى الآن ، إنما العمل جار من قبل بعض العلماء للتوصل إلى ما يثبت نظرية النسب والعلاقة

استمر القطار يهدر بصوته الرتيب . واستمرت المياه تهدر في الأنهار من حولنا . ولا ندري إلى أي مصب تسير . وخطرت لي الفكرة فقلت كان رأي الشعوب من قبل الغزو والتنقل والبحث عن الأمان والكلأ والماء ، وربما بفعل عوامل الغزو وطول المسير ، وربما بفعل التهجير ، وصل هذا الشعب الى هذه الأرض ، أو أن الآخر انتقل إلى تلك الأرض فاختلط وتناسل واستقر ! ( )







مشروع استزراع الأسماك في الكويت خطوة نحو الاكتفاء الذاتي

استطلاع : ريم الكيلاني/تصوير : طالب الحسيني

الزيادة المتعاظمة في عدد السكان ، وقلة مصادر الغذاء ، تفرضان التفكير المسبق في مشاريع مستقبلية تتفادى النقص ، فضلاً عن أنها تسعى للاكتفاء الذاتي .

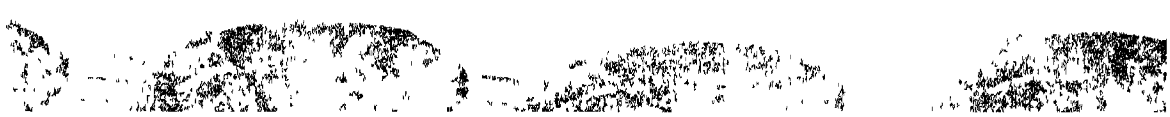
ما مدى الشوط الذي قطعته الكويت في مجال من مجالات توفير الغذاء وهو . استزراع الأسماك ؟

تشكل الزيادة الكبيرة في عدد السكان في دول العالم الثالث عبئا ليس سهلا على علماء الاقتصاد والتغذية ، خاصة أن مصادر الغذاء المحدودة في هذه البقعة من العالم باتت تهدد بمشكلة غذائية لا سبيل لنحد منها إلا بتوافر المزيد من الموارد الغذائية

ولما كان يتوافر للكويت - كما يتوافر لغيرها من الدول الساحلية - مصدر غذائي مجز من الانتاج الحيواني البحري فقد استطاعت أن تحقق قدراً ضئيلا من الاكتفاء الذاتي يسهم في تحقيق توازن اقتصادي بين الصادر والوارد ، في هذا النوع من الانتاج عل[ى] أقل تقدير

وقد بدأت تتضح معالم هذه السياسة شيئا فشيئ[ا] منذ عام ١٩٧٢ ، حين بدأت دائرة الزراعة البحر[ية] والثروة السمكية التابعة لمعهد الكويت للأبحاث العلمية بالقيام بأول مشروع لزراعة الربي[ان] وتربيته

وقد حقق هذا المشروع نجاحا كبيرا في المجال الفني والعلمي، وإن لم يبلغ النجاح الكبير في المج[ال] الاقتصادي بسبب التكاليف الباهظة التي كانت ترص[د]



ـ من مرحلة البص إلى أن يصل إلى مرحلة الحجم تجارى الملائم للبيع . وقد رأت الدائرة صرورة حويل اهتماماتها من الربيان إلى أنواع الأسماك لمطلوبة في السوق المحلي

الخليج العربي ثروة

يعد الخليج العربي إحدى المحطات المائية المهمة في اقتصاديات أقطار المنطقة العربية ، وقد بينت الدراسات التى قامت بها دائرة الزراعة البحرية والثروة السمكية التى أجريت على مياه الخليج العربي أن المخزون السمكي في مياهه بلغ حوالى مليوني طن ، مما يجعله في المرتبة الثانية بعد المياه العربية في المحيط الاطلسي التى قدر مخزونها بحوالى أربعة ملايين طن ونصف طن . إلا أن هذه الثروة لم تستعمل بالصورة المثلى التى تتلاءم مع الحاجة المتزايدة إلى البروتين السمكي نتيجة للزيادة في أعداد السكان ، ويعزى ذلك إلى الوسائل القديمة المستخدمة في الصيد ، وعدم استغلال الصيد الجانبي من مصائد الربيان كغذاء أو استغلاله صناعيا إلا على نطاق ضيق جدا ، إلى جانب عدم الاستفادة من بعض أنواع الأسماك السطحية الصغيرة والكبيرة مثل السردين وأسماك القرش

وقد كانت هذه الأسباب كافية لجعل الحاجة إلى البروتين الحيواني لدى هذه الأقطار تتجه نحو الاستيراد الخارجي لسد ما تعانيه من نقص في هذا المصدر الحيوى . أما فيما يتعلق بالدراسات العلمية والمخبرية التي أجريت على مختلف أنواع الثروة السمكية في مياه الخليج العربي وخليج عُمان ، فقد ثبت أن المخزون السمكي في هذه المياه يمثل إحدى دعائم الدخل القومى لأقطار المنطقة ، بالإضافة إلى تلبية احتياجات السكان من البروتين الحيوانى ، وهذا يوجب قيام تعاون مشترك بين هذه الأقطار

لحماية مصادر الثروة السمكية من سرق الصيد القديمة التى قد تؤثر على تكاثرها ومن ثم على وفرتها

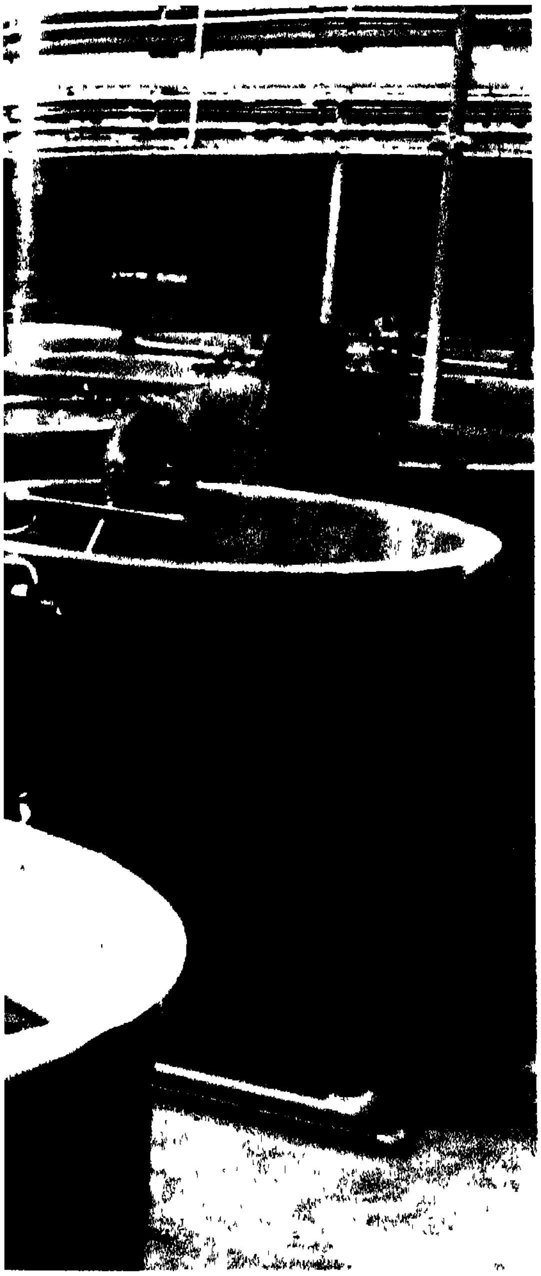
وبناء على مجموعة الدراسات هذه قامت دائرة استزراع الثروة السمكية بتطبيق أهدافها عن طريق برامج إدارة المصائد-والأحياء البحرية وبرامج الزراعة البحرية

حفاظا على الربيان

كان لابد من زيارة فعلية للدائرة . للتعرف على كل ما يتعلق باستزراع الأسماك ، وتربية إناثها والعناية بالبيض ، وإيجاد المناخ الملائم والغذاء المناسب لتنمو وتكبر بالشكل الطبيعى

كان الدكتور محمد سيف مدير دائرة الزراعة البحرية والثروة السمكية في استقبالنا ، وقد صحبنا في جولة داخل الدائرة ، حيث أحواض الأسماك الاسمنتية الضخمة ، ومصححات المياه المتعددة الأشكال والأحجام والاستعمالات . وقد تحدث الدكتور سيف عن نشاط الدائرة قائلا : اقتصر نشاط الدائرة في البداية على تربية الربيان في أحواض اسمنتية كبيرة ، متبعين بذلك الاسلوب الياباني في استزراع الربيان ، ويعتمد هذا الاسلوب على احضار أمهات الربيان في موسم التكاثر لإجراء عملية التبييض داخل الأحواض ، وتربية اليرقات حتى تبلغ من العمر شهراً ثم نطلقها في البحر بهدف زيادة المخزون ، وقد عملنا على تطوير تقنيات يعتمد عليها لإنتاج أعداد كبيرة من اليرقات ، كما تم اطلاق مايزيد عن ١٢١ مليون ربيانة في مرحلة مابعد اليرقة في الفترة من عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٩ وذلك في محاولة جادة لاثراء المخزون الطبيعى من هذه الثروة

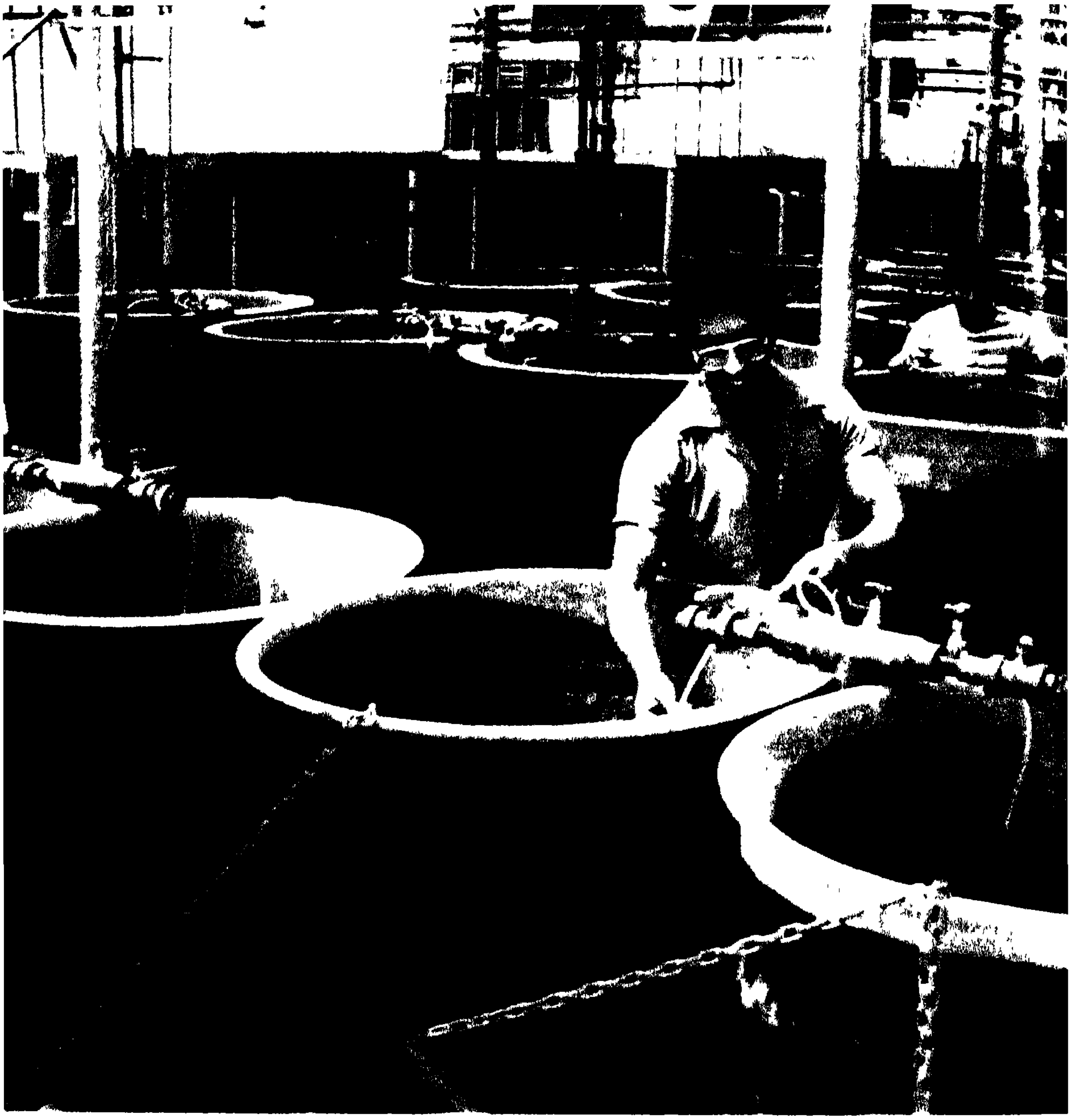
لكننا قررنا بعد اجتماع كبير حضره متخصصون في مجال زراعة الربيان في العالم ، بحثنا فيه الجدوى

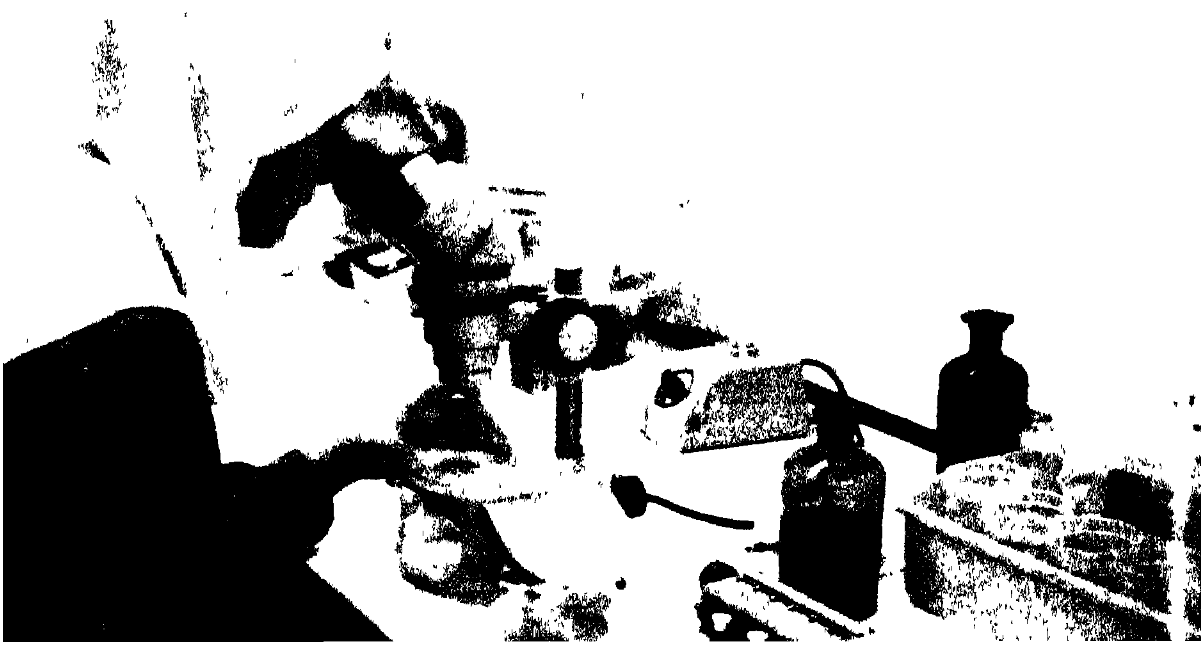






●(أعلى) عامل في دائرة الزراعة البحرية يقوم باستخراج البيض من أفـواه سمـك البلطي إلى (اليسار) أحواض تربية يرقات الأسماك ، حيث يتابع العاملون تطور نموهـا حتى تستكمل دورة حياتها كاملة و(أسفل) في مختبر دائـرة الزراعـة البحـريـة يقـوم المخبـريـون بإجـراء التحـاليـل المخبـريـة للتـأكـد من سـلامـة الأسمـاك في جميـع مـراحـل تطورها





العملية من هذه الزراعة ، وقد أوصت اللجنة بضرورة ايقاف برنامج اطلاق اليرقات ، باعتباره مشروعاً مكلفاً ، وعادت أبحاث برنامج إدارة المصائد والأحياء البحرية لتركز مرة أخرى في الفترة من عام ١٩٧٨ ـ ١٩٨١ على انشاء أساليب حديثة للزراعة الموسعة والمكثفة للأسماك والربيان باستخدام عدة طرق ، منها الأحواض ذات القاع المزدوج ، والأحواض الرملية الطبيعية التي تعتمد على حركة المد والجزر في منطقة الحيران . وأخيرا على القنوات المائية السريعة ، ويمكن تحقيق نجاح في انتاج الربيان باستخدام الأحواض الرملية الساحلية

ويضيف الدكتور سيف « قمنا بتطبيق حظر على الربيان في الفترة من فبراير إلى نهاية يونيو من كل عام ، وذلك لحماية أمهات الربيان اثناء فترة وضع البيض التي تتم عادة في أوائل الربيع ، وحماية صغار الربيان الذي يدخل إلى مناطق الصيد ، وبخاصة في أوائل الصيف لكي ينمو ويصبح أكبر حجما ، وقد أدت هذه الدراسات الى اتباع أسلوب جديد في إدارة مصائد الربيان ، بحيث ربط تطبيق موسم حظر صيد الربيان بمعدلات التفاوت السنوية في معدلات دخول صغار الربيان إلى المصائد »

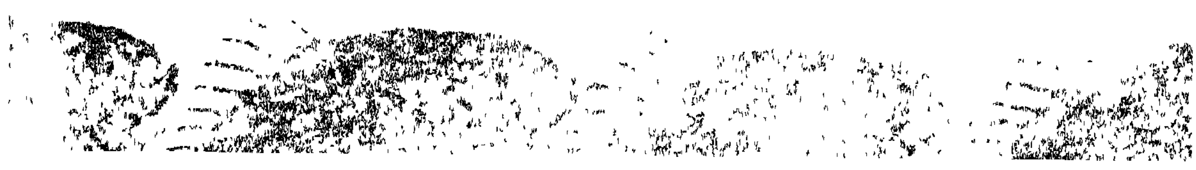
برنامج الزراعة البحرية

وقد شاهدنا أحواض أمهات أسماك السبيطي والبلطي والهامور التي تجلب من البحر في موسم التزاوج ، وتربى في بيئة مشابهة للبيئة البحرية ، وهذه الأحواض إما اسمنتية أو من الألياف الزجاجية المسلحة ، وينقسم العمل في هذا البرنامج إلى ثلاثة مشاريع ، أولها مشروع زراعة السبيطي ، وقد نجحت عملية التبييض الأولى لهذا النوع في الأحواض عام ١٩٧٩ ، ومنذ ذلك الوقت يتم المحافظة على الأسماك البالغة للتبييض ، ويجمع البيض باستخدام أنواع من الأحواض الاسمنتية ، وأحواض من الألياف الزجاجية المسلحة ، وأصبح بالامكان اختيار المخزون بعد أن استكملت هذه الاسماك دورة حياتها من البيضة إلى البلوغ في هذه الأحواض . وفي المرتبة الثانية مشروع زراعة الهامور الذي بدأ عام ١٩٧٥ والذي يعد انجازا ضخما حيث أنها المرة الأولى في العالم التي يتم فيها تبييض هذا النوع من الأسماك ، ومنذ ذلك الوقت بدأت الأبحاث لتربية الهامور وقد استكمل هذا النوع من الأسماك دورة حياته من البيضة إلى البلوغ داخل الأحواض ، وتستخدم اليوم كذلك الاسماك البالغة في انتاج البيض ، ثم ينقل البيض ـ بواسطة شباك خاصة تتولى حفظه ـ من أحواض الأمهات إلى أحواض مختلفة الحجم ، تتراوح درجة حرارتها بين ٢٣ ـ ٢٥م° ، ويفقس البيض في هذه الأحواض خلال ٢٤ ساعة ، وتتغذى اليرقات في الأيام الثلاثة الأولى على كيس المح الموجود في داخلها ، وتبدأ في اليوم الثالث بفتح فمها لتتغذى على الكائنات الدقيقة التي يتم انتاجها في أحواض خاصة ، ثم تنقل بعد ذلك صغار الأسماك كل يوم إلى حوض جديد حسب عمرها ، كما تقوم وحدة انتاج الغذاء بتوفير الكائنات الحية الدقيقة ذات الحجم المناسب والقيمة الغذائية لتغذية الاسماك والربيان في مراحل نموها المختلفة

البلطي في المياه المالحة

الى جانب الاهتمام بتربية أفضل أنواع الأسماك المحلية من السبيطي والهامور نجحت الإدارة في استزراع أسماك البلطي واقلمتها للعيش في المياه المالحة .

وقد بدأت الأبحاث الأولية على هذا النوع عام ١٩٧٧ بهدف دراسة الجدوى الاقتصادية من زراعة البلطي في مياه البحر ، وقد تم اختيار ثلاثة أنواع من البلطي لإجراء التجارب عليها ، ودراسة الجدوى الاقتصادية والفنية للزراعة المكثفة للبلطي في المياه





● الدكتور محمد سيف

ومن رأس السالمية انتقلنا بواسطة قارب بحري صغير إلى مزرعة الأسماك الواقعة على بعد كيلومترين من دائرة الزراعة البحرية الواقعة في شمال شرق الكويت، حيث ثبتت شباك عائمة سهلة التحريك لتربية صغار أسماك الهامور والسبيطي والبلطي

لايزيد حجم الأسماك الموجودة في هذه الشباك عن حجم الاصبع، ويقدم لها الطعام المناسب من الطحالب والدولابيات، وتستمر عمليات المراقبة وتنظيف الشباك، وقياس درجة حرارة المياه طوال ٢٤ ساعة ويتم تغيير الشباك حسب حجم السمكة، فكلما كبر حجم الاسماك كلما كبرت فتحات الشباك حجما، ويجرى بعد نهاية كل شهر وزن السمك وقياس طوله لمعرفة حجمه وكيفية سير نموه وعن سبب اختيار هذه المنطقة لتكون منطقة تجارب، قال السيد / وان أحد الباحثين في الدائرة «لقد قمنا باجراء دراسات مكثفة على كثير من المناطق، وكانت هذه المنطقة من أنسب الأماكن، وذلك بسبب عمقها المتوسط، وقلة التيارات المائية فيها»

يبلغ طول هذه المزرعة ٥٠ مترا وعرضها ١٥ مترا وهي مقسمة على عدة أحواض كل حوض منها خاص بنوع معين من السمك

نظرة مستقبلية

ثم عدنا للدكتور محمد سيف فحدثنا عن كمية الانتاج ومدى كفايته للمنطقة فقال «إن الطاقة الانتاجية للمياه الكويتية محدودة وعلى الرغم من أن السمك يعد غذاء رئيسا لأهل الكويت، إلا أنه مع تزايد عدد السكان لم يعد البحر قادرا على تغطية أكثر من ٢٥٪ من حاجة السوق، فأصبحنا نلجأ الى استيراد الكميات المطلوبة من السوق الخارجي، وقد كان لابد من الاتجاه الى الاستزراع المائي لتوفير حاجة السوق والمستهلكين من السمك

ذات الملوحة القليلة عن طريق اعادة دورة المياه ودمج مزرعة أسماك البلطي مع المزارع العادية للحد من استخدام المياه، ومن خلال هذه الأبحاث توصل العاملون في هذا المشروع إلى الحجم واللون المفضلين للمستهلك

وقد انتقلنا من احواض يرقات السبيطي والهامور، وتابعنا مع العاملين في حقل استزراع الاسماك كيفية استخلاص بيض البلطي الذي تختزنه اسماك البلطي في فمها، وبعد الحصول على البيض ينقل الى أحواض التربية بواسطة شباك خاصة وقد لاحظنا أن بيض البلطي أكبر حجما، وأن عدده أقل بكثير من عدد بيض الهامور، فبينما يعطي الهامور حوالي ٤٠٠٠٠٠ بيضة يطرح البلطي في حدود ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ بيضة، ولبيض البلطي فرصة أكبر للعيش بسبب حجمه الكبير

وقد وصلت تجاربنا الى مرحلة متقدمة جدا وأنشئت شركة بوبيان للأسماك لتقوم بعمليا، تطبيق تقنيات زراعة الاسماك المطورة في المعهد لتطبيقها في المستقبل للانتاج التجارى ويضيف الدكتور سيف « إن تحقيق مبدأ الاكتفاء الذا، وتسهيل انسيابية المنتجات السمكية بين أقطار المنطق، سوف يلبى الحاجة المتزايدة لأقطار المنطقة من البروتين السمكى ، مما يعمل على تدني مستوى الاستيراد الخارجى من هذه المنتجات ، وكذلك تخفيض الضغط على الأنواع الأخرى من مصادر البروتين الحيوانى ، واستغلال الطاقة الانتاجية لمخزون الأسماك المختلفة في مياه المنطقة ، وما يصاحب ذلك من تطوير لوسائل الصيد وطرقه والاهتمام بالثروة الربيانية ، وذلك بزيادة مستوى الانتاج والتصدير ، مما يعود بالنفع العام على الجميع ، كما يمثل الاستزراع السمكي أحد المصادر المتوقعة لتلبيةالحاجة المستقبلية لأقطار المنطقة . خاصة من بعض الأنواع التى تطلب محليا ، أو ادخال بعض الأنواع ذات المردود الاقتصادى التى يتقبلها سكان المنطقة ، وهذا يتطلب ضرورة إجراء عمليات مسح مشتركة لمصادر الثروة السمكية في مياه الخليج بصورة عامة من حيث العلاقة بين المجموعات السمكية المهمة وحركتها ومناطق توالدها ، ثم الحاجة إلى وجود إدارة مشتركة للثروة السمكية في المنطقة بشكل عام ، ويتطلب ذلك التنسيق بين مختلف أقطار المنطقة لاستغلال المخزون السمكى بالصورة المثلى بإدارة موحدة لتقليل الحاجة إلى الاستيراد الخارجى كذلك لابد من استغلال الكميات التى تهدر في الصيد الجانبي في مصائد الربيان ، وذلك إما بالتجفيف على هيئة مسحوق سمك أو فى صناعة الأسمدة أو على هيئة علائق حيوانية ، وهذا يتطلب تعاونا بين هذه الاقطار لتسويق الانتاج الصناعى داخليا أو تصديره إلى الدول الأخرى عربية أو أجنبية .

وتبقى الآمال معلقة ، فهل نصل يوما وبعد هذه الجهود المكثفة لتحقيق الاكتفاء الذاتى في مجال وفرة الأسماك الطازجة ؟ □





● في مزرعة الأسماك الواقعة قرب رأس السالمية التى تعد محطة تجارب لمشروع استزراع الثروة السمكية ، يقوم العاملون يوميا بتنظيف الشباك ، وقياس درجة حرارة المياه ، وتغيير الشباك

وجهاً لوجه





د. رمزي زكي — علي عثمان

■ الإنسان أثمن رأسمال، والتنمية نتاج عمله، وثمارها يجب أن تعود إليه

■ التنمية المستقلة لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت معادية للإمبريالية والصهيونية

■ تكوين الصندوق العربي المشترك لمجابهة طوارئ الديون الخارجية محك للتضامن العربي

■ اقتراح سمو أمير دولة الكويت بإسقاط الديون العالمية هو اقتراح جريء

■ سبب استمرار الأزمة الاقتصادية الراهنة هو تعاظم الدرجة الاحتكارية في النظام الرأسمالي

في نهاية العام الماضي ، أصيبت الدوائر الاقتصادية العالمية بالذعر ، عندما حملت برقيات وكالات الأنباء أخبار انهيار بورصة نيويورك . وأخذ الجميع ـ مسئولون وخبراء وأفراد ـ في أركان العالم الأربعة يتابعون أولا بأول التفاصيل والنتائج ، لأن العلاقات الاقتصادية العالمية اصبحت على درجة كبيرة من التعقيد والتشابك ، بحيث لا يمكن لأي دولة ان تنجو من تأثيرات الاختلال الاقتصادي في مكان ما ، وخاصة الاختلالات التي تصيب النظام الرأسمالي الذي ما تزال له ـ رغم كل محاولات الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث في الاستقلال عنه ـ قدرة التأثير العميق في العلاقات الاقتصادية الدولية .

وحول الأزمة الاقتصادية العالمية التي خط ملامحها وتأثيراتها على البشرية كلها دار الحوار مع الدكتور رمزي زكي مستشار معهد التخطيط بالقاهرة والمعهد العربي للتخطيط بالكويت وهو واحد من الاقتصاديين العرب البارزين ، والمشهود له بالجدية والابتكار والتنوع في دراساته الاقتصادية وهو من المهتمين بدراسة الوجوه المختلفة للأزمة الاقتصادية وانعكاساتها على العالم الثالث . وله دراسات رائدة نذكر منها ، أزمة الديون الخارجية ، مشكلة التضخم في مصر ، مأزق النظام الرأسمالي ، المشكلة السكانية ، التاريخ النقدي للتخلف ، الديون والتنمية .

وأدار الحوار معه الزميل علي عثمان .

* يسود العالم في العقدين الأخيرين مناخ مشبع بالقلق الناجم عن إحساس كثيف بالأزمة الاقتصادية ، المخيمة على دول العالم كله ، بحكم الارتباط الوثيق ـ بآلياته المختلفة ـ بين اقتصاديات الدول الرأسمالية واقتصاديات دول العالم وتوحي كثير من دراسات هذه الأزمة بالتشاؤم ـ لاعتبارات عديدة ـ من أهمها أن الازمة في جوهرها أزمة هيكلية في صميم الاقتصاد الرأسمالي الذي ما تزال له السيطرة على العلاقات الاقتصادية الدولية . فما رأيك ؟

ـ بادىء ذي بدء ، يجب أن نقرر أن الاقتصاد الرأسمالي العالمي يشهد منذ بداية السبعينيات مرحلة تاريخية جديدة ، تشكل منعطفا حادا في مسيرته حيث يلحظ المرء ان السمات والمتغيرات التي سادت هذا النظام في السبعينيات وحتى الأن ، تختلف كلية عما كان عليه النظام في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ ـ ١٩٧٠) ولتفسير وفهم هذه الأزمة التي ليست من طبيعة دورية متكررة ، فإنني سأستخدم نظرية « الافراط في التراكم » التي تقول باختصار شديد انه في ضوء تنامي الرأسمالية الاحتكارية يوجد دائما ميل أو نزعة قوية لدى الاحتكارات لتحقيق أعلى فائض ـ ربح ـ ممكن لكل استثمار جديد ، وعلى المدى البعيد لا بد ان يتجه معدل الربح أو « الفائض » نحو التناقص .

وهذا أمر تجمع عليه جميع المدارس الاقتصادية الشهيرة بدءا من المدرسة الكلاسيكية ، مرورا

بالماركسية ، وانتهاءً بالكينزية ولأن جوهر الأزمة الحالية يتمحور أساسا حول نـزوع هذا الـربح أو الفائض نحو التناقص ، ـ كما تؤكـد الاحصائيـات الدولية الرسمية ـ لذا لا بد ان يجر هذا التناقص معه مـظاهر الأزمـة المعروفـة : انخفاض معـدل النمو الاقتصادي ، وتدهور معدلات نمو الدخـل والناتـج والتـوظف ، وتزايـد البطالـة ، وتعطل الـطاقـات الانتاجية . وكل ذلك يشير الى تواجد ازمة مستمرة في تراكم رأس المال

والسبب الجـوهـري الـذي جعـل هـذه الأزمـة مستمرة ، وذات طبيعة هيكلية ، هو تعاظم الدرجة الاحتكارية في النظام الرأسمالي ، وخاصة بعد تنامي درجـة التدويـل للنشاط الاقتصـادى الـذي تقـوده الشركات الاحتكارية دولية النشاط التي تتحكم الآن في مجمل حركة النشاط الـرأسمالي العـالمي ونعني بتعاظم الدرجة الاحتكارية زيادة تركز وتمركز رأس المال ، وهو ميل متأصل في طبيعة النظام الرأسمالي على ان هذا الميل بدأ يظهر جليا منذ الحرب العالمية الأولى ، واستمر في قوته إلى أن بلغ عنفوانه في الآونة الراهنة ، وقد أثبتت كثير من الدراسات التي تمت في عالم ما بعد الحرب ، أنه كلما زادت درجة الاحتكارية في النظام ، كلما تعاظم ميل النظام للتعرض للركود الذي سيشكل مسارا طبيعيا لهذا النظام عـلى المدى البعيـد . ولقد كـانت أزمة الكسـاد الكبير (٢٩ - ١٩٣٣) هي بداية هذا المسار ، وما حدث بعد ذلك منـذ انتهـاء الحـرب العـالميـة الثـانيـة وحتى أوائـل السبعينيات ، كان بمثابة الموجة التـوسعية التي تلت هذا الركود الطويل للثلاثينيات ، وبلغت مداها في أواخر الستينيات ويمكن القول اننا الآن إزاء موجة ركودية طويلة المدى .

الأزمة في النظام الاشتراكي

* اذا كان وصول النظام الرأسمالي الى الدرجة الاحتكارية التي أدخلته في عمق الأزمة الحالية ، فإننا نلاحظ أن النماذج الاشتـراكية المختلفـة ـ التي كـانت تعـد البديل للرأسمـالية ـ تعـاني من مشاكـل حادة تحملها ـ هي ايضا ـ تدخل في نفق الأزمـة التي أوجبت على قيـاداتها البحث عن أساليب بديلة في إدارة اقتصادياتها ـ سمـاها البعض إجـراءات إصـلاحيـة ، ورآهـا آخرون تـراجعات عن الـنظريـة الاشتراكية ـ على الرغم من انها لا تأخذ بسياسة السوق في التوزيـع ولا بالملكيـة الخـاصة لـوسائـل الانتاج وهمـا عامـلان أساسيان في تـطور النظام الـرأسمالي الى الدرجة الاحتكارية

ـ لا أعتقد ان ما يحدث الآن في العالم الاشتراكي هو أزمة بالمعنى الذي نفهمه لكلمة « أزمة » ، فالنظام الاشتـراكي كـما قاـ انت ، لا يقـوم عـلى الملكيـة الخاصة لوسائـل الانتاج ، ولا عـلى آليات السـوق البحتة التي تؤدي للأزمات . ان ما حدث من نمو كبير في العالم الاشتراكي في الفترة ما بـين ١٩٤٥ وحتى بداية السبعينيات ، كان يقوم أساسا على فكرة أو مبدأ التـوسع الأفقي لـوسائـل الانتاج ، أي عـلى زيادة الاستثمار والتوسع في استخدام قوى الانتاج ، من أرض ، ومـوارد طبيعية ، وقـوى عـاملة وهـذه السياسة بلغت ذروة نتائجها من حيث زيادة معدلات النمو والناتج في منتصف السبعينيات

وأصبحت المشكلة التي تواجه العالم الاشتراكي ، هي في كيفية رفع كفاءة وسائل الانتاج ، أي زيادة معدلات الانتاجية لكن ينبغي الاشارة هنا الى أن العالم الاشتراكي ليس عالما معـزولا بذاتـه ، فهناك علاقات اقتصادية دولية تربطه بالاقتصاد الرأسمالي الدولي وعلى الرغم من أن هذه العلاقات محدودة ، لكنها في نمو مستمر لهذا فإن المشكلات التي بدأت تظهر في الاقتصاد العالمي مثل انهيار نظام النقد الدولي وفـوضى أسعار الصـرف ، ونمو نـزعة الحمـايـة ، وظهور مشكلة الدين العالمي ، وتقلبات أسعار المواد الأولية والسلع الصناعيـة ، كل ذلـك انعكس على دول العالم الاشتراكي بدرجات مختلفة لكن حجم هذه التأثيرات عليه لا تصل الى حجم تأثيراتها على

دول العالم الثالث ، لأن الاقتصاديات الاشتراكية اقتصاديات صناعية متقدمة ، وتتعامل مع الاقتصاديات الرأسمالية الصناعية من موقع الندية ، كما أن قدرتها على إدارة أزماتها ومشكلاتها تفوق كثيرا قدرة دول العالم الثالث على ذلك

ودعني أشير هنا الى أن فكرة الأزمة الدورية أو الهيكلية التي تتعرض لها الاقتصاديات الرأسمالية لا تعرفها الدول الاشتراكية . وانما هناك مشكلات مرحلية تظهر بين مرحلة وأخرى كنتاج لمشكلات التطور نفسه .

جوهر البيروسترويكا

* ولكن بعض دارسي التجربة السوفيتية ـ خاصة المدارس العربية ـ يرون أن المشكلة الرئيسية التي دفعت « غورباتشوف » لاتباع سياسته الاصلاحية ، هي عجز الاقتصاد السوفيتي ـ وهو النموذج لمعظم الاقتصاديات الاشتراكية ـ بهياكله الانتاجية ، وكوادره ، ونمطه في التوزيع ، عن استيعاب الأساليب والوسائل التقنية المتقدمة التي أفرزها التطور العلمي في العقود الأخيرة ، والتي دفعت بالانتاج في النظام الرأسمالي الى مستويات مكنته من إشباع احتياجات السكان الى حد التخمة أحيانا ـ وبعض النظر عن استغلاله لموارد العالم الثالث واسواقه ـ مما زاد من اتساع الفجوة بين النظامين في الوقت الذي يفرض التقدم المذهل في وسائل الاتصال ضرورة المقارنة فيما بين مستوى المعيشة في كل من النظامين ، ونتيجة المقارنة قد لا تكون في صالح النظام الاشتراكي .

ـ دعني أولا أكمل التعليق على مداخلتك السابقة . فيما يتعلق بالتطورات الجارية الآن في الاتحاد السوفيتي . وفي الدول الاشتراكية الاخرى . فهي لا تعني بأي حال من الأحوال بأنها تراجع عن الاشتراكية أو اقتراب من الرأسمالية . وجوهر الأمر يتمثل ـ فيما أعتقد ـ بأن لكل مرحلة تاريخية من التطور مشكلاتها الخاصة التي ينبغي مواجهتها بحسم وفاعلية لكي تستمر عجلة التطور . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن ثمة مشكلات تعوق الاقتصاد الاشتراكي في وضعه الراهن ، مثل مشكلات البيروقراطية ، وبطء نمو الانتاجية ، وضعف الحوافز ، وتكلس مصالح بعض الفئات حول استمرار جمود الأوضاع . وكل ذلك يتطلب مواجهة حاسمة حتى تنطلق قوى الانتاج في نموها ، وهذا في تصوري هو جوهر « البيروسترويكا »

اما عن اختلاف مستويات المعيشة في كلا المعسكرين ، فلا شك أن رموز الاستهلاك الترفي (السيارة الخاصة ، الفيديو ، والسلع الكمالية عموما) موجودة في الدول الاشتراكية لكن بحجم اقل بكثير من الدول الرأسمالية الصناعية ، مما قد يوحي للبعض أن مستوى المعيشة في الدول الرأسمالية الصناعية أعلى منه في الدول الاشتراكية

وهنا تنبغي الاشارة ، الى أننا عندما نحكم على مستوى المعيشة كمقولة اقتصادية واجتماعية ، يجب ألا نعتمد على متوسطات الاستهلاك الترفي فقط ، وانما ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار المكونات الأحرى الأكثر أهمية للدلالة على مستوى المعيشة ، مثل مستوى الخدمات العامة (التعليم ، الصحة ، المواصلات ، الثقافة وغيرها) ، وضمان التوظف ، فضلا عن نفقات المعيشة الضرورية ـ أي أسعار ضرورات الحياة كالغذاء والسكن وغيرها ـ في ضوء ذلك لا اعتقد أن مؤشر نوعية الحياة في الدول الاشتراكية أقل منه في الدول الرأسمالية . وفي اعتقادي أن نقص الاستهلاك الترفي في الدول الاشتراكية يعود الى سببين ، أولها هو فارق العمر الزمني ما بين التجربة الرأسمالية والتجربة الاشتراكية ، والثاني هو كلفة الانتاج الحربي الذي هو خصم على ممكنات النمو وزيادة مستوى المعيشة في

الدول الاشتراكية ، في حين أن صناعة السلاح في الدول الرأسمالية ، صناعة رأسمالية تسعى دائما للربح . ولعل هذا يفسر لنا ميل الدول الاشتراكية الآن لتخفيف سباق التسلح ، والسعي لحل مشكلات العالم بأساليب سلمية .

تكوين ناد للمدينين ضرورة

* في تعدادك للمشكلات التي تؤثر في مسار الاقتصاد العالمي بالسلب أشرت الى أزمة الديون العالمية . ولقد ضمنت أعمالك الرائدة في هذا المضمار عددا من المقترحات لحل هذه الأزمة ، مثل دعوتك للدول المدينة بتكوين ناد للمدينين يواجهون به تكتل الدائنين المتمثل في نادي باريس ، وهيمنة صندوق النقد الدولي وكذلك دعوتك لانشاء صندوق طوارىء عربي لمجابهة الديون الخارجية ، وهذه المقترحات ايجابية في اطارها النظري ، ولكني اراها صعبة التنفيذ لظروف الدول المدينة ، وضغوط الدول الدائنة .

- إن الأزمة الاقتصادية العالمية انعكست بلا شك ، على دول العالم الثالث بشكل سيىء جدا ، وأهم هذه الانعكاسات ، نمو العجز الخارجي نموا كبيرا ومتواصلا ، بسبب انخفاض وتقلب حصيلة الصادرات من المواد الأولية وزيادة أسعار الواردات ، وعدم استقرار أسعار الصرف الاجنبي ، وهي أمور انعكست كلها فيما عرف بأزمة الدين الخارجي لهذه الدول .

وقد سارت الدول المتخلفة على طريق الاستدانة المفرطة خلال السبعينيات نظرا لسهولة الاقتراض وانخفاض سعر الفائدة الحقيقي ، وقد ساعدتها هذه الاستدانة على ان تواجه مشكلة هذا العجز دون الحاجة الى وضع سياسات فاعلة لمواجهة خطر العجز الخارجي الزاحف . وتوهمت أنه طالما أن نظام الائتمان الدولي يمدها باستمرار بالكميات المطلوبة من الديون ، فانه بامكانها أن تستمر في التنمية ، حتى وصلت الاستدانة الى أزمتها الحالية وهنا نؤكد على ان جانبا كبيرا من هذه الديون ذهب لتمويل استهلاك ترفي غير ضروري ولتمويل شراء المعدات العسكرية .

وكثير من هذه البلدان ومنها الأقطار العربية ، تواجه هذا المأزق وهي في حالة عجز عن التغلب على تناقضاته ، وأهم هذه التناقضات هي وجود تعارض شديد بين الاستمرار في الوفاء بعبء الدين ، وبين امكانيات رفع مستوى المعيشة ، والمحافظة عليه مع مواصلة عملية التنمية

ولقد عكفتُ منذ عشر سنوات على دراسة أزمة الديون من منظور غير تقليدي يفسرها في ضوء عواملها الذاتية والموضوعية ، ولقد توصلت حسب رؤيتي إلى كثير من الرؤى والحلول آنذاك التي تطرح الآن على الساحة ومنها إلغاء الديون الخارجية

* أتلك التي ضمنتها دراستك الضخمة أزمة الديون الخارجية رؤية من العالم الثالث التي صدرت عام ١٩٧٨ ؟

- نعم . . ودعني أقول لك ، انني لم أعد اعتقد بفعالية اسلوب الأماني والمطالب التي تتوجه بها البلاد المدينة على خجل واستحياء للدائنين ، مثل تخفيف شروط نادي باريس ، وقواعد اعادة الجدولة ، وتخفيض أسعار الفائدة ، وتجميد دفع الدين لمدة معينة . . الخ . . . فهذه مرحلة انتهت ، وقد جربتها البلاد المدينة ، وثبت فشلها لأن الدائنين رفضوا ذلك على الرغم من أن المسئولية مشتركة بين الطرفين في حل هذه الأزمة .

وما أعتقده هاما في إطار الظروف الراهنة هو ضرورة أن تسرع البلاد المدينة بتكوين « كارتل » دولي (ناد للمَدينين) يواجه قوة نادي باريس (نادي الدائنين) وتكون مهمة هذا النادي هي تكوين جبهة متحدة تتفق على قواعد واجراءات لحل أزمة المدينين وتدافع عن مصالحهم . وعندئذ يمكن للأماني التي ما فتئنا نسمعها من حين لآخر ان تتحقق لو واجه

المدينون حلفائهم كتلة واحدة وبعد تكوين هذا النادي ـ وندري انها مهمة صعبة ومعقدة ـ يمكن المطالبة بعقد مؤتمر دولي تحت مظلة الامم المتحدة ، تناقش فيه أزمة المديونية برمتها ، وسبل تسهيل حلها .

صندوق عربي للطوارىء

* وماذا عن الصندوق العربي المشترك لمجابهة طوارىء الديون الخارجية ؟

ـ الفكرة الأساسية في اقتراحنا تتمثل في تكوين صندوق متخصص تكون مهمته الاسراع في الوقوف مع أي بلد عربي تتعرض مدفوعاته الخارجية لأزمة سيولة حادة تعرضه لأخطار عملية إعادة جدولة الديون . ويمكن لهذا الصندوق ان ينشأ في حضن صندوق النقد العربي أو إحدى المؤسسات المالية العربية الأخرى ورأسمال الصندوق يمكن تكوينه من عدة مصادر منها .

ـ أن تقوم الأقطار العربية بإيداع جزء أو نسبة من احتياطاتها النقدية كي يستثمرها الصندوق المقترح

ـ تخصيص جزء من موارد صندوق النقد العربي لكي تستخدم في أغراض هذا الصندوق

ـ مساهمات من الأقطار العربية النفطية ، ومساهمات من الصناديق العربية للتنمية ، وأية قروض او منح تقدمها الأقطار العربية

وعند تشغيل الصندوق ، يمكن أن تستثمر هذه الموارد المجمعة ويستخدم ريعها في تقديم قروض الطوارىء للبلاد المذكورة ، وينبغي أن تكون قروضا ميسرة ، ويرتبط تسديدها بتجاوز البلد المدين لأزمته واستعادة قدرته على السداد وتكوين هذا الصندوق أعتبره محكا للتضامن العربي ، خاصة أن صندوق النقد الدولي قام بتكوين مثل هذا الصندوق لمواجهة طوارىء المدينين المعسرين .

اقتـــراح جريء

* اقترح سمو أمير دولة الكويت في خطابه أمام الدورة الثالثة والأربعين للأمم المتحدة إسقاط فوائد الديون عن دو العالم الثالث ، وإلغاء جزء من أصولها وبخاصة عن الدول الفقيرة ، ودعا لعقـ مؤتمر دولي للدائنين لمناقشة هـ الاقتراح

ما هي إمكانات استجابة الدول الدائـ لهذا الاقتراح ، وتأثيراته على الأوضا الاقتصادية العالمية في رأيك ؟

ـ دعني أولاً أشير إلى أن مجموعة الدول النامية المدينة قد دفعت في العام الماضي (١٩٨٧) حوالي ١٢٠ بليوناً لخدمة أعباء ديونها ، منها ٥٥ بليون دولار فوائد على هذه الديون ، وهذا مبلغ مرعب نظراً للظروف الصعبة لهذه الدول وطبقا لبيانات البنك الدولي من المتوقع أن يصل حجم ما تدفعه هذه البلاد من فوائد على ديونها الخارجية حوالي ٢٤٠ بليون دولار في السنوات الست القادمة (١٩٨٨ ـ ١٩٩٤) . وهذا النمو في أرقام الفوائد يعود إلى ارتفاع أسعار الفائدة الحقيقية من ناحية ، وإلى ارتفاع حجم الديون (١٢٥٠ بليون دولار) من ناحية أخرى ونظراً لأنه ليس من المتوقع أن يطرأ تحسن حقيقي على الأوضاع الاقتصادية لهذه البلاد في غضون تلك السنوات ، فإن هناك شبه مستحيل أن تتمكن من الوفاء بهذه الفوائد (ناهيك من الأقساط) ولهذا فإن الإصرار على دفع خدمات الديون لن يعني إلا المزيد من البطالة والغلاء وتدهور مستوى المعيشة ، وإيقاف النمو ، وهي أمور لا يمكن أن تتحملها شعوب هذه البلدان .

ولا شك أن إسقاط الفوائد عن الديون تخفيف كبير لوطأة الأزمة . ولو تخيلنا أن الدائنين سوف يقبلون هذا الاقتراح ـ وأنا أشك في ذلك ـ فإن الترجمة العملية لهذا الإسقاط سوف تتمثل في دعم قدرة البلاد المدينة على مواجهة مشكلاتها الراهنة .

لكن السؤال المهم هو : من سيمول تكلفة إلغاء هذه الفوائد ، وخاصة أن جزءاً لا بأس به منه

مستحق لبنوك ومؤسسات خاصة ؟ وبادىء ذي بدء ، أسارع بالقول أن إلغاء هذه الفوائد أمر ممكن ، ولن يكون فيه إرهاق للدائنين .

وعلى أي حال يمكن تدبير تكلفة إسقاط فوائد الديون من المصادر التالية ·

١ ـ إحداث خفض في نفقات التسليح بالبلاد الدائنة

٢ ـ قيام الحكومات في البلاد الدائنة بتعويض الجهات الخاصة الدائنة بمبالغ الفوائد التي ستسقط عن المدينين ، وعدّ ذلك منحة للبلاد المدينة لا تسترد

٣ ـ تعديل التشريعات المصرفية التي تنظم قواعد التعامل مع البنوك والضرائب المفروضة عليها ، بتشجيعها على تخصيص أرصدة كافية لتغطية الخسائر التي تنجم عن القروض الخارجية ، وتطوير قواعد المحاسبة والرقابة على نحو يكفل للبنوك إمكانية تكوين احتياطيات سرية ، غير خاضعة للضرائب ، تسمح لها بمواجهة احتمالات التوقف عن الدفع وإسقاط بعض الديون

ومهما يكن من أمر ، فإن إلغاء فوائد الديون ، وإلغاء جزء من أصولها يمكن عدّه تخفيفاً للمشكلة ، وليس حلاً جذرياً لها ، ذلك أن مشكلة الديون العالمية جزء من أزمة أكبر ، وهي أزمة الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

وليس من المتصور أن يوجد حل جذري لهذه المشكلة إلا إذا تغيرت بيئة الاقتصاد العالمي ، وتعدلت فيه العلاقات الجائرة بين الشمال والجنوب وهي علاقات لن تتغير إلا عبر تعديلات جذرية في النمط الراهن لتقسيم العمل الدولي ، وخلق أنموذج تنموي مستقل لبلاد العالم الثالث على النحو الذي يحطم قيود التبعية التي تربط البلاد المدينة بالبلاد الدائنة

حلم التنمية المستقلة

* اذا كانت المديونية المفرطة قد أودت ـ مع أسباب اخرى ـ بمعظم مشاريع التنمية المستقلة لدول العالم الثالث : التعثر ، ومن ثم الاحتواء في السطاء الرأسمالي بآلياته المختلفة ، فمعنى ذلك أن حلم التنمية المستقلة ـ المعتمدة على الذات ـ قد أصبح أقرب للوهم منه لامكانية التحقق في الواقع وأن معاناة شعوب هذه الدول ستتفاقم

ـ ان الخروج من مأزق المديونية ، وفك الحصار عن قوى التنمية ، وتحقيق طموحات إنسان العالم الثالث ، في مستوى معيشي لائق إنسانيا ، سوف يتطلب ـ على العكس مما تقول ـ انتهاج ما يسمى باستراتيجية الاعتماد على الذات ، التي تعني ـ في رأيي ـ نفي التبعية ومن ثم القضاء على علاقات الاستغلال والتبادل اللامتكافيء التي ترسف في أغلالها البلاد المتخلفة في علاقاتها بالنظام الرأسمالي العالمي . والتنمية المستقلة المعتمدة على الذات ليست تنمية اقتصادية فحسب ، بل هي ـ في الحقيقة ـ تعني صياغة مشروع حضاري شامل ، يهدف الى استغلال كل الموارد المتاحة والممكنة ، ووضعها في خدمة بناء هيكل اقتصادي متقدم تتحقق فيه شروط التراكم الذاتي ، وتتوزع فيه ثمار العمل الاقتصادي بعدالة فيما بين الطبقات والفئات الاجتماعية التي قامت بإنضاج هذه الثمار · والتنمية المستقلة المعتمدة على الذات التي هي شيء مختلف عن عمليات التكييف الشائعة الآن ، وهي تتطلب توافر مجموعة من الشروط الموضوعية كي نضمن استمرارها وهي :

ـ السيطرة على الموارد والثروات الطبيعية في البلاد ، مما يعني توافر القرار الوطني في حق استخدام وتوزيع تلك الموارد والثروات ، بما يتفق ومتطلبات النمو الاقتصادي والاحتياجات الاجتماعية .

ـ ضرورة توافر النمط الانتاجي القائد والمؤهل لتحقيق هذه الاستراتيجية وهذا النمط في رأينا هو الدولة الوطنية .

ـ التعبئة القصوى للفائض الاقتصادي ومركزته عن طريق إحداث التغييرات الجذرية المطلوبة لتعبئة

المدخرات الضائعة ، وضمان وضعها لتمويل خطة التنمية .

ـ التصنيع من أجل إشباع الحاجات الأساسية للسكان .

ـ تحقيق الثورة الزراعية التي تهدف الى فائض اقتصادي زراعي يسمح بتمويل التراكم ، وتوفير فائض للتصدير ، ونقل فائض القوى العاملة من الزراعة الى القطاعات الاخرى .

ـ اختيار التقنية الملائمة .

ـ المشاركة الشعبية ـ وأعني الديمقراطية .

على أن التنمية بهذا المعنى قد تكون أمرا يفوق امكانيات كل دولة نامية منفردة ، خاصة اذا كانت هذه الدولة صغيرة الحجم في سكانها ومساحتها ، وفي قدرتها على مواجهة التحديات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية العالمية .

ومن هنا تبرز أهمية البعد الجماعي في الاعتماد على الذات ونقصد بها وجود اشكال جديدة من التعاون والترابط بين مجموعة دول العالم الثالث ، وبخاصة دول الجوار الجغرافي التي يربطها تاريخ وتراث ومصلحة مشتركة كأقطار الوطن العربي

كما انه لا يمكن للتنمية المستقلة بهذا المعنى أن تتحقق الا اذا كانت معادية للامبريالية والصهيونية

الانسان أثمن رأسمال

* ولكن لنفترض أن دول العالم الثالث نجحت في تحقيق الشروط التي أوردتها لتحقيق التنمية المستقلة ، على الرغم من كم المشاكل والصعوبات الهائلة التي ستواجهها ، ألا ترى ان الزيادة السكانية المتنامية بنسبة عالية ـ بالاضافة الى عوامل أخرى ـ ستأتي على أي ثمار للتنمية مما سيجعل هذه الدول تقف دائما عند نقطة البداية ان لم تتخلف عنها . ؟

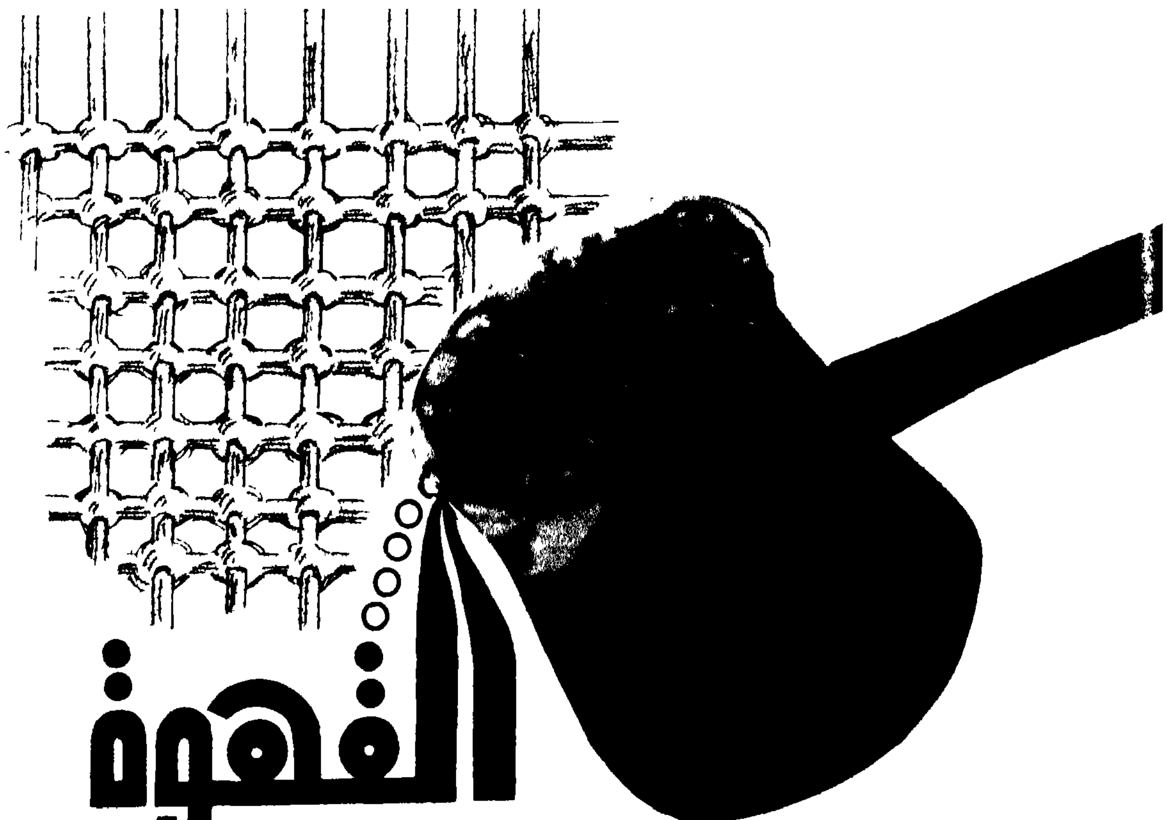
ـ انني أتفق معك في أن المشاكل والصعوبات التي تواجه دول العالم الثالث كثيرة وخطيرة ، وتحتاج الى عمل جماعي وكثيف لمواجهتها .

وانني ممن يعتقدون أن المشكلة السكانية ليست سببا للتخلف ولكنها نتيجة له . ومنظورنا للمشكلة السكانية يختلف عن المنظور المالتوسي (نسبة الى روبرت مالتوس) الذي يهبط بها ، إلى كونها مشكلة تناقض بين حجم السكان وحجم الموارد الطبيعية المتاحة . وانما هي تناقض قائم بين السكان وبين النظام الاجتماعي السائد ، عندما يعجز هذا النظام عن توفير متطلبات الحياة للسكان كالغذاء ، والكساء والمأوى والتعليم ، والعمل والدخل . . . الخ

والمشكلة السكانية ، بهذا المعنى ، لا تتحكم فيها قوانين بيولوجية طبيعية مجردة لا علاقة لها بالنظام الاجتماعي الذي يعيش في كنفه الناس ، لأن لكل نظام اجتماعي قوانينه السكانية الخاصة التى تتناسب مع هدف النظام السائد ، وتتفق مع آليات تسييره . والمشكلة السكانية بهذا المعنى ذات طابع نسبي وتاريخي ، وهي تتفاوت من نظام اجتماعي إلى نظام آخر ، ومن مرحلة لاخرى داخل النظام نفسه . ورأيي أن تجاوز المشكلة السكانية يرتبط بتحقيق التنمية المستقلة لانها هي الكفيلة بالغاء التناقض بين حجم السكان وسرعة التطور الاقتصادي والاجتماعي

ومحور العدالة الاجتماعية الذي تنطوي عليه التنمية المستقلة من أهم المحاور الفاعلة في حل المشكلة السكانية ، لأن نظاما به قدر كبير من العدالة الاجتماعية مع قدر صغير من الموارد يستطيع أن يتحمل عدداً اكبر من السكان عن تلك الأعداد التي يتحملها نظام آخر به موارد أكبر ولكن لا تتوافر فيه العدالة الاجتماعية ، والمشكلة إذاً ليست تعبيرا عن سباق غير متكافيء ، نمو السكان من ناحية ونمو الموارد المحدودة من ناحية اخرى كما يرى المالتوسيون ، بل هي سباق بين النمو السكاني المرتفع (لأسباب معروفة) وبين جمود وتخلف التشكيلات الاجتماعية المهيمنة بالبلاد المتخلفة وما بها من ظلم اجتماعي .

ولا يجوز ان ننسى ـ ولو للحظة واحدة ـ ان الانسان هو أثمن رأسمال ، وانه ما من ثروة تضاهي الانسان ، وأن التنمية في النهاية نتاج عمل الانسان وثمارها يجب أن تعود اليه . □



القهوة التي نشربها في قفص الاتهام

إعداد / دكتور سامى عزيز

للقهوه في المجتمع العربى مكانه مهمة ،ولها فى بعض الأحيان قداسة وطقوس احتماعية لأنها من أقدم المشروبات التى عرفها العرب ، وللمنبهات التى تحتويها ، يقبل عليها من يقوم بأعمال مهمة تحتاج إلى التركيز ، ولأنه تنعقد حولها مجالس مختلفة الغايات والمناسبات

فالكثيرون يقبلون عليها ، ولكن القليلين هم الذين تعرفوا على مضارها .

أثناء انعقاد الجمعية الأمريكية لأطباء القلب بواشنطن - فى شهر فبراير سنه ٨٦ - قدم الدكتور « توماس بيرسون » دراسة قيمة على أكثر من ١٠٠٠ أمريكى من عشاق شرب القهوة ، واستمر فى متابعتهم أكثر من خمس سنوات تقول نتائج الدراسة إن شرب خمسة فناجين قهوة يوميا أو أكثر يزيد من معدلات الإصابة بأمراض الشرايين التاجية ثلاث مرات

والواقع أن دراسة « بيرسون » ليست أول علامات الحرب على القهوة فالمشكلة قائمة منذ أكثر

من عشرين عاملا تقريبا . والعديد من الدراسات أشارت إلى أن القهوة وخاصة أحد مكوناتها (الكافيين) مسئول عن العديد من الأمراض ، وعلى رأسها أمراض الشرايين التاجية ، والعيوب الخلقية في المواليد ، وأورام الثدي الحميدة ، وبعض أنواع السرطانات وعلى الرغم من أن مادة الكافيين موجودة أيضا في الشاى ، والشيكولاتة ، والبيبسى كولا ، وغيرها ، إلا أن القهوة تمتلك نصيب الأسد ، ولهذا السبب كانت الحرب على القهوة وحدها

وعلى الرغم من التناقض الحادث بين الأبحاث والدراسات المختلفة التى أجريت على القهوة ، فإن اتفاقاً عاماً على أن القهوة - ولو بمعدلات قليلة - ليست مأمونة ، وأنه من المستحسن عدم شربها أثناء الحمل ، ومع الشعور بآلام ماقبل الطمث ، وفي مرضى قرحة المعدة ، ومع اضطراب نظم القلب ، وفي حالات الصداع ، وارتفاع ضغط الدم ، وحتى أثناء الرضاعة

القهوة كيميائيا :

من أهم المواد التى تحتويها القهوة مادة « الكافيين » وهذه المادة تنتمى إلى مجموعة « الميثيل زانثرين » المعروفة بتأثيرها المنبه على الجهاز العصبي والمعروف أن مجموعة « الزانثرين » تشتمل على الكافيين ، والثيوفيللين ، والثيوبرومين

هذه المواد لها تقريبا نفس التأثير الفارماكولوجى لكن بدرجات متفاوتة الفرق بين الشاى والقهوة والبيبسى والشيكولاتة من الناحية الكيميائية ، هو أن المواد الفعالة في الشاى هى الكافيين والثيوفيللين (٤٠ ملليجرام كافيين في الكوب الواحد) والقهوة تحتوى على الكافيين (١٠٠ ملليجرام كافيين في الفنجان الواحد) ، ومركبات البيبسى كولا تحتوى على الكافيين . أما الشيكولاتة فتحتوى على الثيوبرومين ، وهذه المادة ضعيفة التأثير ولا قيمة لها

مادة الثيوفيللين من المواد الهامة من الناحية الفارماكولوجية (علم تحضير العقاقير) ، ومنها يتم تحضير عقار الأمينوفيللين الذى يستخدم في علاج أزمات الربو

والملاحظ أنك عندما تشرب القهوة ، أو الشاى ، أو البيبسى كولا ، فإن جسمك يقوم بامتصاص كل كمية الكافيين الموجودة بها تقريبا ويرتفع مستوى الكافيين بالدم بعد ١٥ - ٤٥ دقيقة من شربك لها أما تخلص الجسم من الكافيين فيعرف بفترة نصف العمر وتعرف مدة نصف العمر بأنها الوقت الذى يلزم كى يتخلص الجسم من نصف كمية الدواء التى استهلكها

وفي حالة الكافيين تقدر فترة نصف العمر بنحو خمس ساعات في البالغين أما الأطفال ، والحوامل ، فغالبا ماتكون فترة نصف العمر أطول من خمس ساعات وتمتد في الأطفال المولودين حديثا إلى ساعات طويلة - أكثر من المعقول - ومن هنا تأتى خطورة شرب القهوة أثناء الحمل والرضاعة ، وبين السيدات اللاتى يتناولن حبوب منع الحمل

تأثير القهوة على الجسم

تشير الأبحاث التى أجريت مؤخرا في الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى أن كمية الكافيين التى تم عزلها من حليب الأم المرضعة ، كانت أعلى بكثير من مستوى الكافيين بالدم ، مما يؤكد مدى خطورة شرب القهوة أثناء الرضاعة ، ومدى الضرر الذى قد تسببه الأم لطفلها من وراء شربها للقهوة في هذه الفترة الحرجة . ويؤكد العلماء أن الاضطرابات العصبية ، والصراخ ، وعدم النوم ، والتوتر الشديد الذى قد يصيب الأطفال حديثى الولادة غالبا مايرجع إلى كثرة تناول الأم للقهوة

ولكن ماهى التغيرات التى تحدث في الجسم إثر تناول فنجانين من القهوة ؟ تقول الدراسات إن عدداً

من التغيرات الفسيولوجية تحدث في الجسم في حالة ما إذا كان الشخص لم يتعود على تناول القهوة من قبل ، أما الشخص الذى اعتاد تناولها يوميا ، فإن هذه التغيرات تبدو غير ملحوظة أو معدومة ، نظرا لتعود الجسم عليها وأهمها

ارتفاع بسيط في ضغط الدم بعد ساعة من تناول القهوة ، زيادة ضربات القلب ، زيادة حركات التنفس ، زيادة كمية البول ، زيادة مستوى الادرينالين بالدم وانقباض الأوعية الدموية بالمخ ، اتساع الأوعية الدموية الطرفية ، القلق ، وربما عدم الرغبة في النوم عند المسنين وزيادة القدرة على التركيز ، والشعور بالبهجة ، والحيوية ، والنشاط ، زيادة افراز المعدة ـ الشعور بالحموضة

وتشير الدراسات التى تجرى حاليا إلى أن القهوة تزيد من العمليات الإيضية (إفراز العرق) ، وحرق الطاقة بصورة أسرع ، ولكن لا يوجد لدينا للآن دليل قوى على أن القهوة تساعد على خفض الوزن

القهوة وقرحة المعدة

من النصائح الهامة التى يقدمها الطبيب لمريض القرحة الابتعاد تماما عن التدخين ، فالتدخين يعيق التآم القرحة ، ويؤخر تحسن المريض واستجابته للعلاج اما القهوة فقد ثبت لنا مؤخرا أنها لاتقل اهمية عن التدخين في هذا الشأن فماذا تفعل القهوة بمريض القرحة ؟

تزيد من افراز العصير المعدى وانزيمات الهضم ، وتعمل على تهيج الغشاء المخاطى للمعدة ، وتحد من قدرة الجهاز الدفاعي للمعدة ، وربما تزيد من تقلصات عضلات المعدة

وفي وقت من الأوقات نصح الاطباء مرضى القرحة بتناول القهوة المنزوعة الكافيين ، ولكن الثابت لنا الآن أنها هى أيضا تعيق التآم القرحة ، وتزيد من السائل المعدى ، وأنزيمات المعدة ولايوجد تفسير واضح لهذه الظاهرة للآن

من الأشياء المعروفة أن القهوة لها تأثير منبه على جهازنا العصبى ، لأنها تزيد من نشاط الشخص



المتعب المكدود ، وتجعله أكثر قدرة على التركيز ، والاستيعاب ، وأقل قابلية للنوم ، فكاتب الآلة الطابعة مثلا يصبح اكثر سرعة في عمله مع أقل عدد من الاخطاء فكيف تؤثر القهوة على جهازنا العصبى ؟

هذا السؤال ، كان من ضمن الموضوعات التى قامت بدراستها كلية الطب بجون هوبكنز بالولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٨١ والمعروف منذ أكثر من عشر سنوات أن مادة الكافيين تعيق عمل « الادينوزين » وهذه المادة لها الكثير من الخصائص ، وأهمها التأثير المثبط على الجهاز العصبى « فالادينوزين » عندما يتحد مع مستقبلات الخلايا العصبية تبدأ هذه الخلايا في الخمود ، وقلة النشاط

وقد تبين للدارسين في كلية الطب بجون هوبكنز ، أن مادة « الكافيين » تشابه في تركيبها الكيميائي مادة « الادينوزين » لذلك عندما تدخل تيار الدم ، وتصل إلى المستقبلات العصبية ، فإنها تتحد مع المستقبلات وتطرد « الأدينوزين » بعيدا عنها ، وبالتالى تستمر الخلايا العصبية في نشاطها الأول

تبين أيضا أن مستقبلات « الادينوزين » هذه توجد على أنواع ، وأنها ليست كلها نفس

الخصائص ، وأن « الكافيين » وحده له القدرة على الارتباط بمختلف هذه المستقبلات ، وطرد « الادينوزين » بعيدا عنها من هنا يمكن تفسير كيفية تأثير « الكافيين » على اجهزة الجسم المختلفة ، ولماذا تختلف فعالية الكافيين والثيوفيللين والثيوبرمين

إن « الكافيين » وحده يؤثر على مستقبلات « الادينوزين » (adenosine) المختلفة ، وبالتالى على أجهزة الجسم المختلفة

وبأن القدرة على الاتحاد بمستقبلات « الادينوزين » تختلف من مادة لأخرى من هذه المواد الثلاث

ويعكف العلماء حاليا على دراسة مادة حديدة تشابه « الكافيين » كيميائيا ، ولكن بفعالية أكثر ، ولها القدرة على الاتحاد بمستقبلات « الأدينوزين » العصبية دون غيرها ، وبالتالى لايكون عملها فى الجسم موزعا على أجهزة الجسم المختلفة ، بل مركزا على الجهاز العصبى . وبذلك نكون قد توصلنا إلى عقار جديد يحسن بعض الوظائف الحيوية للجهاز العصبى مع أقل عدد ممكن من الأعراض الجانبية وهذا العقار - بدون شك - يصلح لعلاج عته الشيخوخة واضطراب التفكير الذى يحدث عند متقدمى السن

القهوة والصداع .

لقد احتار عالم الأمراض العصبية « ريتشارد ورثمان » ظاهرة حدوث الصداع عند التوقف عن شرب القهوة عنوانا لبحث مطول ، قدمه مؤخرا فى المؤتمر الدولى للأمراض العصبية . يقول ورثمان « إن تناول القهوة بطريقة مستمرة يؤدى إلى ظهور مستقبلات جديدة « للادينوزين » بالأوعية الدموية حتى يرتبط بها « الادينوزين » المطرود من المستقبلات العصبية ، وعند التوقف عن شرب القهوة بطريقة

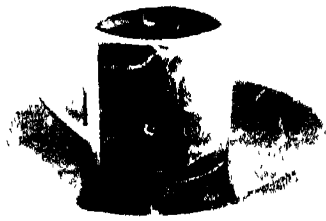


مفاجئة ، فإن « الادينوزين » يترك هذه المستقبلات الموجودة بالأوعية الدموية مفضلا عليها مستقبلات الخلايا العصبية . وتكون النتيجة حدوث اتساع مفاجيء فى الأوعية الدموية بالدماغ مما يسبب الشعور بالصداع .

ويؤكد البروفيسور « نينان ميشو » رئيس وحدة هوستون للصداع ، أن المرضى الذين يعانون من الصداع بصورة مزمنة ، يزيد شعورهم بالصداع بدرجة شديدة عندما يتوقفون عن تناول القهوة التى اعتادوا تناولها يوميا ويضيف « نفس المشكلة تحدث لمن اعتاد تناول الأدوية المحتوية على مادة الكافيين ، فهو فى البداية يحاول علاج الصداع باستخدامها ، وعندما يتوقف عن تناولها ينقص مستوى الكافيين فى الدم عن المعدل الذى اعتاد عليه ، مما يؤدى إلى الشعور بالصداع بدرجة أشد ، فيعود مرة أخرى للأدوية المحتوية على الكافيين ، وهكذا يبدأ المريض فى الاعتماد عليها بصفة دائمة »

والعلاج فى هذه الحالة هو التوقف تماما عن تناول هذه الحبوب ، ويكون التوقف بالتدريج وليس بصورة مفاجئة

بعض الابحاث تؤكد أن للقهوة علاقة فى نشأة سرطان الكلية ، والمثانة البولية ، والبنكرياس ففى سنة ١٩٨٠ نشرت مجلة « نيو انجلاند مديكال » الطبية بحثا مطولا عن سرطان البنكرياس وعلاقته بشرب القهوة ، والواقع أن هذا البحث الذي أشرف عليه « برين ماك ماهون » من جامعة هارفارد أحدث دويا عظيما فى الأوساط العلمية كما تعرض لهجوم شديد من بعض الباحثين المهتمين بسرطان البنكرياس فى مراكز اخرى خارج وداخل الولايات المتحدة الامريكية وفى نهاية المطاف أصدرت الجمعية الامريكية للسرطان فى تقريرها السنوى هذه العبارات : « لايوجد للآن دليل واضح ، يؤكد علاقة القهوة أو الكافيين بالسرطان ، إن الأمر لايرتفع عن مستوى الشك ، ولاتوجد أى مؤشرات للاتهام فى هذا الشأن » .



● القهوة التى نشربها فى مصر الاتهام

والعجيب أن بعض الأبحاث التى ظهرت بعد سنة ١٩٨١ ، تنظر إلى القهوة بصورة مختلفة تماما عن هذه التى تناولها « برين ماك ماهون »

إذ أن هذه الأبحاث تتساءل هل القهوة تصلح لعلاج السرطان ؟

المعروف أن بعض عقاقير علاج السرطان تقوم بوظيفتها ، إما بتكسير كرموسومات الخلايا السرطانية ، أو تتداخل مع عمليات انقسام الخلايا السرطانية المتزايد وقد أثبتت التجارب مؤخرا أن إضافة مادة الكافيين إلى هذه العقاقير تزيد من فعاليتها فى قتل الخلايا السرطانية

وحتى لاتثور تساؤلات حول التناقض بين إتهام القهوة بإحداث السرطان وبين قول بعض الأبحاث أنها تساعد العقاقير المضادة للسرطان فى تأدية عملها ، فإننا نورد بعض الحقائق العلمية

١ ـ الخلايا السرطانية تنقسم بمعدلات أسرع بكثير من خلايا الجسم السليم

٢ ـ العقاقير المضادة للسرطان تحدث تكسيرا لجينات الخلايا السرطانية مما يؤدي إلى بطء انقسامها

٣ ـ بطء انقسام الخلايا السرطانية يصحبه قلة تأثير العقاقير المضادة للسرطان وعدم فعاليتها

٤ ـ عندما تتمكن الخلايا السرطانية من اصلاح الجينات التى أصابها الخلل فانها تعود مرة أخرى إلى الانقسام بنفس المعدلات الأولى وكأن شيئا لم يحدث لها

ويقول « هوارد فينجرد » عالم السرطانات بمراكز أبحاث مستشفى «ماسوشيتس» يبدو أن الكافيين يخدع هذه الخلايا ، إذ أن جزيء الكافيين يشبه إلى حد كبير جزيء مادة البيورين التى تدخل فى تكوين مادة DNA المكونة لجينات الخلايا ، وبالتالى يقوم الكافيين بدور البيورين دون أن تميزه الخلايا السرطانية فتنخدع فيه ، وتستمر فى الإنقسام مما يتيح الفرصة للعقاقير المضادة للسرطان لأن تستمر فى عملها وفتكها بالخلايا السرطانية بدون توقف »

وعلى الرغم من اعتماد التفسير السابق على الأدلة العلمية إلا أن التفسير الكامل لدور مادة الكافيين فى مساعدة العقاقير المضادة للسرطان لايزال موضع البحث والدراسة

الجنين والقهوة :

فى يناير الماضى نشرت مجلة الطب الأمريكية للنساء والتوليد تقريرا خطيرا عن أثر القهوة على الحوامل يقول التقرير « إن تناول المرأة الحامل ٢٠٠ ملليجرام من مادة الكافيين يوميا (أى مايعادل فنجانين من القهوة يوميا) يزيد من احتمالات حدوث الاجهاض ١.٧ مرة بالمقارنة إلى السيدات اللاتى لايشربن القهوة والذى يهمنا هنا أن هذه الدراسة استبعدت العديد من الأسباب الأخرى التى ترتبط بالاجهاض مثل سن الحامل ، والتدخين ، وادمان شرب الخمر ، وغيرها من الأسباب ، مما يؤكد على ارتباط شرب القهوة بارتفاع معدلات الاجهاض فى المرأة الحامل

والواقع أن التفسير العلمى لهذه الظاهرة غير معروف للآن ، إلا أن أبسط تفسير يمكن أن نقوله هنا ، إن مادة الكافيين يمكنها عبور المشيمة لتصل إلى أنسجة الجنين ولما كانت اجهزة الجنين لايمكنها تكسير مادة الكافيين أو التخلص منها مما يؤدى إلى تراكمها فى أنسجته لساعات طويلة ويمكن نتيجة لذلك حدوث انقباض شديد فى الأوعية الدموية بالمشيمة ، ونقص كمية الاوكسجين التى تصل الجنين ، وما يصاحب ذلك من مضاعفات أهمها النقص الشديد فى وزن الجنين ، والتشوهات الخلقية ، وموت الجنين أو الاجهاض هذه المضاعفات ثبت حدوثها فى أجنة حيوانات التجارب ، ولكن ماذا يحدث لأجنة بنى البشر ؟ لا أحد يعلم للآن !! □

جمال العربية

□ صفحة لغة

بقلم : الدكتور حسن عباس

أبوابٌ في النَّحوِ لا نفعَ فيهَا

هناك أبواب في اللغة والنحو أخذت تفقد أهميتها ، وتبتعد عن حيز الاستعمال ، حتى هجرها الناس أو كادوا ، فلم تعد ترد في كتابة ولا في خطاب ، بل ارتفعت أصوات بين الأساتذة الجامعيين وبين أعضاء مجامع اللغة العربية تطالب بإزالتها من كتب النحو ، والتخفف من عبء تدريسها ، وحشو عقول الطلبة بها . ومن تلك الأبواب مثلا باب الترخيم .

يقصد بالترخيم حذف آخر الكلمة عندما تكون منادى ، ولكن ذلك ـ على ثقله وبعده عن الذوق اللغوي السليم ـ يخضع لقواعد وشروط تفيض كتب النحو في شرحها بما يملأ صفحات . يقول ابن هشام في « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » : يجوز ترخيم المنادى ـ أي حذف آخره تخفيفا ـ وذلك بشرط كونه معرفة ، غير مستغاث ، ولا مندوب ، ولاذى إضافة ، ولا ذي اسناد ! وليست هذه الشروط إلا أول الغيث . فلا يرخم المنادى في الأمثلة التالية للسبب الذي يلي كل مثال : « يا إنسانا خذ بيدي » لأن المنادى وهو « إنسانا » نكرة . و « واجعفراه » لأن المنادى مستغاث . « ويا أمير المؤمنين » لأن المنادى مضاف . و « ياتأبط شرا » لأن المنادى ذو اسناد .

ويجوز ترخيم المنادى ان كان منتهيا بتاء التأنيث ، فتقول في هبة إن كان اسم علم : يا هب ، وتقول في فاطمة : يا فاطم . وتزداد الشروط تعقيدا إذا كان الاسم المنادى مجردا من التاء ، حينئذ ينبغي أن يكون علما ، زائدا على ثلاثة مثل « سعاد » و « جعفر » ، فإذا أردت ترخيم واحد من هذين الاسمين قلت « يا سعا » ، و « يا جعف » بالفتح . وما يزال الامر عند هذا الحد مقبولا ، وإن كان من النادر أن تجد من ينادي سعاد بـ « ياسعا » ، وجعفر بـ « ياجعف » وهو جاد وليس هازلا . ولكن الموقف يجاوز حد القبول إن كان المحذوف للترخيم حرفين . ويشترط لإتمام ذلك أن يكون الذي قبل الآخر من أحرف اللين ، ثم أن يكون زائدا وساكنا ، ومكملا أربعة أحرف فصاعدا ، على أن تكون قبله حركة من جنسه لفظاً أو تقديرا مثل : مروان ، وسلمان وأسماء ومنصور . تقول : « يا مَرْوَ إنَّ مَطِيَّتِي محبوسةٌ » . وتعني بها يا مروان ! وتقول : يا أَسْمَ صبراً عَلَى ما كان مِنْ حَدَثٍ . وتعني بها يا أسماء ، فيكون الترخيم قد تم في المثال الأول بحذف حرفي الألف والنون ، ويكون في الثاني قد تم بحذف الألف والهمزة .

وكلا الشاهدين من شواهد سيبويه . ومثلهما أيضا قول الشاعر « يَانُعْمَ هل تحلف لا تدينها » ،وقد أراد « يا نعمان » ، فحذف النون والألف التي قبلها . وجريا على ما تقدم يمكننا أن نرخم عثمان ومنصورا ، فنقول « ياعُثْمَ ، ويامَنْصُ » !

ولايجوز ترخيم أعلام رباعية أخرى مثل

« شمأل » فان زائده وهو الهمزة غير حرف لين . ومثل . « مختار ومنقاد » إذا كانا اسمي علم لأصالة الألف في كل منهما ، ومثل « سعيد وثمود وعماد » لأن السابق على حرف اللين اثنان ، و « فرعون وغُرْنَيْق » إذا كانا علمين لِعدم مجانسة الحركة .

ويجوز الترخيم بحذف كلمة كاملة إذا كان الاسم مركبا من كلمتين ، مثل . « معديكرب » ، فتقول في ترخيمه . « يامعدي » . وعلى الرغم من تحفظنا على عدد من الأسماء التي استشهد بها النحاة - كقولهم هَبَيَّخ وقَنَوَّر - لغرابتها وندرة من يسمون بأمثالها ، ولانظن إلا أنها وضعت للاستشهاد بها على قاعدة نحوية ملتوية بعد أن أعوزهم الاستشهاد بأسماء صحيحة سليمة يصدق بوجودها العقل ويرضى بسماعها الذوق السليم . نقول . على الرغم من ذلك فإن هناك احتمالا - ضئيلا - بأن ترخم مثل تلك الأسماء ، ولكن ما الذي يدعو إلى ترخيم« اثنا عشر » مثلا ؟ تقول في ترخيمها « يا اثن » لأن عشر في موضع النون ، فتنزلت هي والألف منزلة الزيادة في « اثنان » علما . أليس هذا تمحكا؟

ومن القواعد اللاحقة أيضا فى هذا الباب القول بالإبقاء على ما بقي كما هو دون تغيير إن كنت عقدت النية على المحذوف فتقول : « ياجَعْفَ » بالفتح ، وفي حارث تقول « ياحَارِ » بالكسر ، وفي منصور تقول : « يامَنْصُ » بالضم ، وفي هرقل « ياهِرَقْ » بالسكون . وفي ثمود وعلاوة وكروان تقول : ياثَمُو ، وياعلاوَ ، وياكَرَوَ » على التوالى .

وإذا لم تكن قد نويت الحذف فتجعل ما تبقى من الاسم آخرا في أصل الوضع ، فتقول : يا جَعْفُ ، ويا حَارُ ويا هِرَقُ » بالضم .

أما علا فتقول فيها « علاءُ » بإبدال الواو همزة لتطرفها بعد الف زائدة كما في كساء وتقول « يا كَرَا » (واصلها كروان قبل الترخيم) بابدال الواو في « كَرَوَ » ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها

وقيل انه يجوز ترخيم غير المنادى بثلاثة شروط ، احدها . ان يكون ذلك في الضرورة ، الثاني ان يصلح الاسم للنداء ، فلا يجوز الترخيم في مثل كلمة « الغلام » والثالث : ان يكون إما زائدا على الثلاثة ، أو بتاء التأنيث كقول القائل

لَنِعْمَ الفَتَى تَعْشُــو إلى ضَـوْءِ نَــارِهِ
طريف بنِ مال ليلة الجوع والخصرِ

والشاهد في هدا البيت قوله « بن مالِ » حيث رخم الاسم غير المنادى ، وأصله « ابن مالك » أليس كل ما ذكرنا - وهو مختصر - حمجمة ولا طحن ؟ ألم يفرط النحاة فيما لم يكن ينبغي لهم أن يفرطوا فيه ؟

قيل إن الترخيم في الشعر لا يجاوزه إلا قليلا ، ونقول إنه في الشعر القديم القديم ، وقد هجره الشعراء والكتاب والمتكلمون ، فهل يعقل أن يظل حيا بيننا تتداوله كتب النحو في حين أنه قد باد واندثر وعفا عليه الزمن ؟ وفي هذا الصدد يشكو الدكتور ابراهيم السامرائى من إسراف النحاة فيما لا جدوى منه فيقول

هـذه الأحوال في ترخيم المنادي تجعل من الموضوع شيئا كبيرا ، والذي نعرفه أن العربية خلت من « مجي ، أي مجيد ، ومنص ، أي منصور ، وثمي أى ثمود » ، وقد رأينا أن ما جاء مرخما ورد في الشعر ، وهذا يقوي الرأي أن للشعر لغة خاصة بسبب فن الوزن والقيود الشعرية الأخرى .

---

* الأسد الميت يرفسه حتى الحمار . (مثل هنغاري)
* دعنا نميز بين آلات المدنيَّة والآلات التي تقضي على المدنية . (أوسكار وايلد)

جمال العربية

□ صفحة شعر
□ هكذا غنى الأدباء

وَقفاتٌ جريئةٌ أمامَ الموْتِ

هي جريئة لأنها أتت على غير المألوف في مثل ذلك الموقف ، فإن الإحساس بدنو الأجل وبوَشْكِ فراق الحياة فراقا ليس بعده عودة يسلم المرء إلى اليأس كله ـ إلا من رحمه الله ـ والقنوط الذي لا رجاء بعده وكثيرا ما ينهار رجال ويتهالكون أسى وحزنا أو خوفا ورعبا وقديما تساءل المفكرون لماذا نخاف الموت ؟ وقد أجاب عن هذا التساؤل عدد غير قليل من مفكري العالم وأدبائه ، قال سوفوكليس الشاعر المسرحي اليوناني « ليس الموت أسوأ شرور الحياة ، فشر منه أن نتمناه ولا نلقاه » وفي هذه الإجابة يتضح أن سوفوكليس لا يخشى الموت خشيته من الحياة التي تبلغ حدا من السوء يطلب معه المرء الموت فلا يلقاه ، أي أن هناك ما هو أسوأ من الموت !

ويقول الفيلسوف ارسطو · لا فرق بين الحياة والموت ، فإذا بادره أحد بالسؤال ولماذا تحيا ؟ قال : لأنه لا فرق بين الموت والحياة وهو موقف عقلي ليس به شبهة عاطفة

ويقول العقاد . أما ما نؤمن به نحن فهو أن الخوف من الموت غريزة حية لا معابة فيها ، وإنما العيب أن يتغلب هذا الخوف علينا ولا نتغلب عليه

ولكن هل يصعب على المرء عادة التخلي عن الحياة إذا طال به العمر لطول ألفها وصحبتها ؟ بهذا توحي إجابة الفيلسوف الفرنسي « رينوفيه » وهو يعلل الخوف من الموت إن الإنسان عندما يكون شيخا وقد اعتاد الحياة يصعب عليه كثيرا أن يموت ، وإن الشاب كما يرى أكثر خضوعا للموت من الشيوخ »

وفي كتب الأدب ودواوين الشعراء مواقف متباينة من الموت ، ولكننا رصدنا أربعة مواقف تميزت بالجرأة لأسباب تختلف باختلاف أصحابها ، واختلاف مواقعهم ودوافعهم وأول من يذكر في هذا المجال قطريّ بن الفجاءة

فقد كان فارسا شجاعا ، وكان خطيبا وشاعرا وقد اشتهر قطري بن الفجاءة بهذه المقطوعة التي يحث فيها نفسه على الصبر في مجال الموت ، وكان يصدر فيها عن إيمان عميق

أقولُ لها وقد طارَتْ شعاعا
من الأبطالِ وَيْحَكِ ، لا تراعي
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ
على الأجلِ الذي لكِ لَمْ تطاعي
فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً
فما نيلُ الخلودِ بمستطاعِ !
وَمَنْ لاَ يغتبِطْ يسأمْ ويَهْرَمْ
وتسلمه المنون إلى انقطاع

ومنهم من واتته الشجاعة بعد يأس واستسلام كتميم بن جميل ، قال أحمد بن أبي دؤاد القاضي ما

رأينا رجلا عاين الموت فما هاله ولا أدهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فإنه أوتي به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم موكب حين يجلس للعامة ودخل عليه ، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع(٢) والسيف فأحضرا ، فجعل تميم ينظر إليهما ولا يقول شيئا ، وجعل المعتصم يصعّد النظر فيه ويصوّبه ، وكان جسيما وسيما ورأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره ، فقال : يا تميم إن كان لك عذر فأت به ، فقال : اما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول : يا أمير المؤمنين إن الذنوب تخرس الألسنة الفصيحة ، وتعيي الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وكبر الذنب ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليّ ، أولاهما بامتنانك ، وأشبههما بخلافتك ، ثم قال :

أرى الموت بين السّيْف والنّطْع كامناً
يلاحظني منْ حيثما أتلفّتُ
وأكْبَرُ ظنّي أنك اليوم قاتلي
وأي امرئٍ مما قضى الله يُفْلِتُ؟
وَمَنْ ذا الذي يُدْلي بعذرٍ وحجة
وسيف المنايا بين عَيْنَيْه مُصْلَتُ؟
يعزُّ عَلى الأوسِ بنِ تَغْلب موقفٌ
يُسلُّ عليَّ السَّيْفُ فيه وأسْكُتُ
وما جَزَعِي منْ أنْ أموتَ وإنني
لأعلمُ أنَّ الموت شيءٌ مُوقَّتُ
ولكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةٌ قد تَركْتُهُمْ
وأكبادهم من حسرةٍ تتفتَّتُ

فتبسم المعتصم وقال : كاد ـ والله يا تميم ـ أن يسبق السيف العذل ، اذهب فقد غفرت لك الصَّبْوَة (جهلة الفتوة) ووهبتك للصبية . ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له بشاطيء الفرات .

ومنهم من تذكر الحبيب وهو يرى الموت رؤية العين ، فهيجته الذكرى ، وألهته عما هو فيه ، وكان موقفه الذي اتخذه سببا في الفرج بعد الشدة .

قال ياقوت : روي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي الشاعر ، أمر به أن يشد إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام ، وأن يقف إنسان خلف شجرة يسجل ما يصدر عن الطغرائي في لحظاته الأخيرة ، وقال لأصحاب السهام لا ترموا حتى أشير إليكم فوقفوا والسهام مفوقة لرميه ، فأنشد الطغرائي في تلك الحال :

ولقد أقولُ لمنْ يسددُ سهْمَهُ
نحوي وأطراف المنايا شُرَّعُ
والموت في لحظات أحور طرفه
دوني وقلبي دونه يتقطّعُ
بالله فتش عن فؤادي هل ترى
فيه لغير هوى الأحبة موْضعُ ؟
أهون به لو لم يكن في طيه
عهدُ الحبيب وسِرُّهُ المُسْتوْدعُ

وعندما سمع السلطان ما قاله الطغرائي رق له وأمر بإطلاقه . وفي العصر الحديث ألهبت الحماسة الوطنية مشاعر الشعراء ، فاستعذب بعضهم طعم الاستشهاد كما هو الحال مع الشاعر الفلسطيني عبدالرحيم محمود الذي كان قد نذر نفسه للثورة وقتال العدو المغتصب ، واستشهد في معركة الشجرة في يوليو (تموز) من عام ١٩٤٨ ، وترك مجموعة شعرية تدل على البسالة والشجاعة والروح الوطنية المتوقدة . ولا يذكر عبدالرحيم محمود إلا وتذكر مقطوعته التي يقول فيها :

سأحْمِلُ روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الرَّدى
فإمَّا حياةٌ تسُرُّ الصديق
وإمَّا مماتٌ يغيظُ العدا
ونفسُ الشريف لها غايتان
بلوغُ المنايا ، ونيلُ المُنى
لعمرك إني أرى مصرعي
ولكنْ أغُذُّ إليه الخُطا
أرى مقتلي دونَ حقّي السليب
ودونَ بلادي هو المُبْتغى

وهي أبيات تفيض رجولة وشجاعة وشهامة يهون الموت إزاءها ويعذب الاستشهاد □

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى (يُوصيكُم اللَّهُ فِي أَوْلادكُمْ للذَّكَر مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ، فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ، فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) « النساء ١١ و ١٢ »

اتفق المفسّرون على أن هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات التي تحكم نظام المواريث في سورة النساء قد نزلت عقب موقعة أحد بفترة قصيرة ، غير أنهم اختلفوا اختلافا يسيرا بصدد مناسبة النزول

قال الواحدي . « إن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كُجَّة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيّاه ، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير ، وإن كان ذكرا ، وإنما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى إلا من قاتل على ظهر الخيل وحاز الغنيمة فجاءت أم كُجّة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك عليّ بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا ، وهو عند ابني عمه لم يعطياني ولا بناته من المال شيئا ، وهن في حجري ، ولا يطعماني ولا يسقياني ولا يرفعان لهن رأسا ، فدعاهما رسول الله فقالا يا رسول الله ، ولدها لا يركب فرسا ، ولا يُنْكى عدوّاً فقال النبي (ص) انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن ، فانصرفوا فأنزل الله تعالى هذه الآيات »

أما الواقدي فيذكر في كتابه « المغازي » أنه لما قتل سعد بن الربيع في وقعة أحد ، جاء أخوه فأخذ تركته وفق ما جرى عليه العرف الجاهلي وكان لسعد ابنتان وامرأته حامل ، فلم ينلن مما ترك سعد شيئا فصنعت امرأة سعد ـ وهي امرأة حازمة جَلْدة ـ خبزا ولحما ودعت النبي عليه الصلاة والسلام وعشرين من أصحابه إلى الطعام عندها ، وفرشت للقوم خوصا

بين النحيل يجلسون عليه وجعل النبي يتحدث عن سعد ويترحم عليه ، والنسوة يبكين ، وعينا الرسول تـدمعان لبكـائهن فلما أكلوا اللحم والخبز أتتهم المرأة برطب في طبق فقال النبي لأصحابه « كلوا » فأكلوا حتى شبعوا ، واستمر القوم في الحديث حتى جاء العصر فأتت النسوة ببقية الطعام يُتشبعُ به فلما فرغوا قامت امرأة سعد فقالت

« يا رسول الله ، إن سعدا قتل بأحد ، فجاء أخوه فأخذ ما ترك ، وترك ابنتين ولا مال لهما ، وإنما ينكح النساء يا رسول الله على المال » فقال النبي

« اللهم أحسن الخلافة على تركته لم ينزل عليّ في ذلك شيء ، عودي إليّ إذا رجعتُ »

فلما رجع إلى بيته ، جلس عـلى بابـه ، وجلس أصحابه معه فأخذه بُرحَاء حتى ظنوا أنه أنزل عليه ، فلما سُرى عنه قال -

عليّ بامرأة سعد !

وجاءت المرأة ، فقال لها النبي أين عم ولدك ؟

قالت في منزله

فبعث رجلا يعدو إليه ، وقال للمرأة اجلسي فجلست . وأتى أخو سعد فقال له النبي ادفع إلى بنات أخيك ثلثى ما ترك اخوك ، وادفع إلى زوجة أخيك الثُّمن ، وشأنك وسائر ما بيدك »

فكبرت المرأة تكبيرة سمعها أهل المسجد

لقد أبقى القرآن الكريم على بعض مظاهر العرف الجاهلي الخاص بالزواج والمواريث ، غير أنه في نفس الوقت أدخل على هذا العرف من التعبيرات ما كان من شأنه أن يحسِّن من وضع المرأة فالمعروف أن نظام المواريث في الجاهلية كـان خاضعا لمقتضيات التنظيم القبلي للعرب وإذ كانت القبائل في أغلب الأحوال متناحرة متعادية ، فقد كانت تختار ساداتها من أقدر أفرادها على الانفاق من اجل حشد أكبر عدد ممكن من المقـاتلين للدفـاع عن مصـالـح القبيلة وكانت هذه القدرة في الإنفاق تتطلب نظام مواريث يمالىء الذكور دون الإناث، فاستبعدت النساء منه ، بل واستبعد الصغار على حد قول الواحدي ، وإن كانوا ذكورا وقد كان في مثل هذا النظام اجحاف بـالغ بـالأرامل وبنـات المتوفى ، فجـاءت الآيـات المـذكورة من سـورة النسـاء تخفف من وطـأة هـذا الاجحاف ، وتعطي للإناث حقوقا في تركة الزوج والأب وإن كانت قد نصّت على أن حظ الذكر من التركة مثـل حظ الأنثيين ، مراعية بـذلك مـا كان الرجل يتحمله دون الأنثى من أعباء مالية

□ اللهم ارزقنى فإن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة

(عمر بن الخطاب)

□ فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشر شر منه

(على بن ابى طالب)

□ لاخير في السرف ، ولا سرف في الخير

(المأمون)



منتدى العربي

قضية

المرأة في قواعد النحو والصرف

بقلم : محمد حسن الصوري*

صار مستقراً لدى الكثيرين أن أشكال العلاقات الاجتماعية المتمثلة في القيم والمفاهيم والعادات تقف وراء ابداع المجتمعات لآدابها ، ولغتها ، وقوانين أخلاقها وكل نتاجها الثقافي

هذه قضية يفجرها شيخ من باحثي اللغة ، وكيف تحكمت هذه الأشكال الاجتماعية في المجتمع العربي القديم في قواعد اللغة العربية .

ليس من الميسور لنا أن ننعم بأسرار اللغة العربية ببساطة إذ لابد لنا من بذل جهود كبيرة حتى نستطيع أن نصل الى هدف حيوي منها ، فهناك مثلا (البلاغة والفصاحة والبديع) التي نبعت من أساليب لغة القرآن الكريم ، ومن الأدب العربي الأصيل فَأَلَّفَ فيها العلماء كتباً متعددة وبذلوا في سبيلها ما لا يحصى من الأتعاب الفكرية ، وهناك أسرارٌ أخرى قد تظهر لنا بعد التعمق في علوم النحو والصرف واللغة والأدب

وأنا بعد أن بذلتُ دراساتٍ متواصلة طوال ربع قرن في تتبع لسان العرب وحدتُ في أساليبهم التي وُضِعَ النحو والصرف على أساسها أَنَّهمْ أهانوا المرأة

* كاتب و باحث لغوي من القطر العراقي

فيها ورفعوا شأن الرجل ، ويبدو أن العرب ماكانت تضع للمرأة مركزاً عالياً كمركز الرجل ، وما كانت تجعل لها تقديراً اجتماعيا كما للرجل حتى جاء الإسلام فأعطى للمرأة حقوقاً كما للرجل وحقوقُ المرأة في الاسلام لها جوانب عديدة مقدسة في القرآن الكريم وفي كتب الفقهاء ، ومن موضوعنا « المرأة في النحو والصرف » نعرف شيئاً جديداً عن مقام المرأة عند العرب وهو موضوع لم يسبق له نظير في أي كتاب أُلِّف في مواضيع الأبحاث اللغوية فهو إذن بحث جديد وفريد . والموضوع الذي أقدمه الآن هو جزء من عشرات المواضيع التي اشتمل عليها مؤلف « المرأة في قواعد النحو والصرف » وهو معد للطبع وسبق أن نشرتُ منه في صحف عربية مختلفة بعض المواضيع ، وأذعت قسما منها ونَقَلَتْ بعض الصحف العربية ما أذعته وهذا البحث قد يجد القارىء فيه نموذجا لما أشرتُ إليه من مقام المرأة عند العرب

مما يلاحظ في جميع الاستعمالات اللفظية العربية التي وُضِعَ النحو والصرف على أساسها أنها تضع المؤنث العاقل وغير العاقل دون المذكر العاقل وغير العاقل ، وأن المذكر عندهم مقدم على المؤنث في كثير من أساليبهم فمن ذلك نجدهم في المثنيات التي اصطلحوا عليها قد اختاروا لفظ المذكر دون المؤنث فجعلوا لفظ المثنى مذكراً ، وقد علل النحويون هذه الظاهرة بتعاليل واهية منها قولهم « المثنى على التغليب » ، وذكروا لهذا شواهد مختلفة ، وكلها أدخلوها في قاعدة التغليب ، وهذه القاعدة لم تكن إلا من صنع أفكار النحاة ولكن الحقيقة في المثنيات التي اشتملت على مذكر ومؤنث واختيار لفظ المذكر فيها دون المؤنث انما هو لشرف المذكر عندهم ، وتقدمه على المؤنث وليس للتغليب شأن في تقدم المذكر على المؤنث ، ولماذا كان التغليب في جانب المذكر ، ولم يكن في جانب المؤنث أي لماذا لم يختاروا في تغليبهم تلك الظاهرة أن يكون المؤنث متغلباً على المذكر ؟

المثنيات الاصطلاحية

من تلك المثنيات

تثنية (الشمس والقمر) فقد قالوا « قمران » ولم يقولوا « شمسان» والقمر هو جزء من الشمس . والقوة والنور والحرارة وغيرها كلها من الشمس والقمر صخور وأحجار لا ماء ولا هواء ولا جو فالاختيار انما هو بسبب تأنيث الشمس ، وقالوا عن الشمس والقمر « الأزهران » والأزهر لفظ مذكر . وقالوا عنهما الدائبان « والدائب » مذكر، وقالوا في تثنية (دجلة والفرات) « فراتان » ولم يقولوا دجلتان وذلك لمراعاة التذكير والاهتمام به دون التأنيث ، وقالوا للزوج والزوجة « زوجان » ولم يقولوا « زوجتان » لطرد المؤنث واختيار المذكر وقالوا « الاسمران » للماء والحنطة فاختاروا للتثنية اسما مذكرا وهو (اسمر) ، وقالوا « العراقان » للكوفة والبصرة وقالوا « البلدان » للكوفة والبصرة أيضا ، وقالوا « الأبوان » للأب والأم ولم يقولوا (أمان) والام صاحبة الحمل والتربية ، والخدمات المختلفة وتركوها لمجرد التأنيث ، وقالوا « الطرفان » للأب والام ، وقالوا « الظئران » للأب والأم ايضا يقال « امرأة ظئر » وهي التي تعطف على الولد ، ويقال « رجل ظئر » أي . يتخذ ولد غيره لنفسه ، وقالوا « الحرمان » لمكة والمدينة ففضلوا أن يكون المثنى بلفظ مذكر غيرهما ، وقالوا « المتحابان » للمحب والمحبة ولم يقولوا المتحابتان ، وقالوا « متعاشقان »، ولم يقولوا متعاشقتان وقالوا « عشيقان » للعشيق والعشيقة ، وقالوا « حبيبان » ولم يقولوا حبيبتان ، وقالوا « المصران » للكوفة والبصرة فاختاروا لفظا مذكرا للمثنى ، وتركوا الاسمين المؤنثين وقالوا في مسجد مكة ومسجد المدينة « المسجدان » فاختاروا الاسم المذكر « مسجد » وتركوا المضاف اليه « مكة والمدينة » ولا لمحوا اليها ، وقالوا « الأذانان للأذان والاقامة ، وقالوا « الأمرّان » لمرارة الفقر ومرارة الهموم وكلمة « مرارة » المؤنثة تركوها واختاروا للمثنى « أمرّ » وهو مذكر ، وقالوا « دواليك » في تثنية مداولة ومداولة ويريدون مداولة بعد مداولة ، وقالوا « الاحمقان » تثنية حنظلة بن عامر وربيعة وكلا الاسمين مؤنثان تأنيثا لفظيا وكان هذا في

الجاهلية وقالوا : « الأسودان » للحية والعقرب ، وقالوا : « الحجران » للذهب والفضة ، وقالوا « النقدان »للذهب والفضة ايضاً وقالوا : « العصران » للغداة والعشي ، وقالوا عن الغداة والعشي ايضا « الابردان » وقالوا : « الصرعان » للغداة والعشي أيضا وقالوا عن الموصل والجزيرة . « الموصلان » وقالوا . « الحُسْنَيَان » للظفر والشهادة فاختاروا في جميع ذلك المذكر وتركوا المؤنث .

هذا نموذج من ألفاظ المثنى التى اختير فيها المذكر واهمل المؤنث ولا معنى « للتغليب » الذى علل النحاة به هذه المثنيات ، وما ذكرناه من اختيار المذكر لمكانته المقدمة على المؤنث هو واقع الأسلوب الكلامي عندهم في تقديرهم المذكر واحتقارهم المؤنث

ومما يلاحظ في تقديم المذكر على المؤنث أن علامة جمع المذكر العاقل المرفوع الواو والنون في مثل محمد نقول « محمدون » مرفوعا وصفة جمع المذكر العاقل الواو والنون أيضا مثل « فاضل وفاضلون » وهذه العلامة « الواو والنون » لايجمع بها الا المذكر العاقل أو صفته فلا يقال لكلمة (ديك) مثلا ديكون او (اسد) أسدون أو أى مذكر آخر بينما نجد أن علامة جمع المؤنث السالم العاقل هي « الالف والتاء » ففي مثل : « هند » تجمع على هندات و « فاضلة » فاضلات ولكن هذه العلامة التي تخص جمع المؤنث يمكن أن يجمع فيها غير المؤنث العاقل مثل « دجاجة » فانها تجمع على دجاجات (وشاهق شاهقات) (وورقة ورقات) و (حمارة حمارات) وهكذا فنرى هنا أن علامة المذكر العاقل لاتكون إلا للمذكر العاقل وعلامة المؤنث العاقل تكون للعاقل وغير العاقل من مختلف الأنواع والأجناس أليس هذا ابتذالاً في تقدير المؤنث العاقل ؟

وفي « نون إلنسوة وياء المخاطبة » نجد « نون النسوة » علامة للجمع المؤنث في الأفعال مثل (البناتُ يَدْرُسْنَ)و (النساءُ سافَرْنَ) (ويا ايتها الجاهلات تَعَلّمْنَ) وهذه النون التي أطلقَ عليها « نون النسوة » ليست مختصة بالنسوة اي بالمؤنثات العاقلات بل تأتي لغير العقلاء من الحيوان وغير الحيوان مثل . (الحمامات طرن) وكما جاء في قول المتنبي

لَيـالِيَّ بَعـدَ الظاعِنينَ شُكُولُ
طِوالٌ ولَيْلُ العاشِقينَ طَوِيلُ
يُبِنَّ لِيَ الْبَدْرَ الذِي لا أُرِيدُهُ
وَيُخْفِينَ بَدراً ما إلَيْهِ سَبِيلُ

فالنون التي يسمونها نون النسوة أو نون الاناث في فعلي « يُبِنّ » و « يُخْفِينَ » تعود على غير العاقل وهي « الليالي » فكان الأجدر بهذه النون أن تُسمّى « ضمير المؤنث » لا ضمير النسوة اما ياء المحاطبة التي يخاطب بها المؤنث العاقل مثل اعلمي واكتبي وافهمي فانها تكون أيضاً لخطاب غير العاقل كقوله تعالى « وَأَوْحَى رَبُّكَ إلَى النَّحْلِ أن اتَّخذِيْ مِنَ الجِبَال بُيُوْتَا » فالمؤنث العاقل لا ينفرد وحده بعلامته بل يشترك فيها غير العاقل المؤنث

ومما هو معروف بين النحويين أن التنوين ويسمونه « الصرف » يختص بالذكر أي مذكر كان عاقلاً أو غير عاقل ، وفيه دلالة على قوة الكلمة ومتانتها فنقول مثلا في كلمة (محمد) (محمدٌ و محمداً و محمدٍ) وفي كلمة كتاب « كتابٌ وكتاباً وكتابٍ » ولكن هذا التنوين الذى يدل على القوة والاعراب الكامل في الكلمة قد أُبعْدَ عن المؤنث العاقل وحُرِم منه فالعرب كانت لا تنون الاسم المؤنث العاقل مثل . « فاطمة » و « افتخار » و « اسماء » فالعلم العاقل المؤنث عندهم ضعيف هزيل لا يستحق ما يستحقه المذكر من علامة القوة والمتانة أما تعليل النحويين بأنه داخل في باب الممنوع من الصرف فهو خلاف الواقع ، ومما يضاف الى حرمان المؤنث العاقل من التنوين أن العرب جعلوا إعراب المؤنث العاقل غير كامل ، فنطقوا به مضموما ومفتوحا فحسب ، ولم ينطقوا به مكسورا فيقولون مثلا حضرتْ عواطِفُ بالضم دون تنوين وشاهدت عواطفَ بالفتح دون تنوين وسلمت على عواطفَ بالفتح دون تنوين وهنا يمكن أن نقول لمّا كانت المرأة في مركز ثانوى فقد جردوا أسْماء الأعلام المؤنثة من العقلاء عن

ا. وين ونقَّصُوْا فيها حركات الاعراب فجعلوها حركتين ، واختاروا الفتح دون الكسر لتخفيف وطأة الاسم الثقيل على الرجل ذلك لأن المرأة ثقيلة في نظرهم والكسر ثقيل وثقيل واحد خير من ثقيلين ثم انهم فصلوا المؤنث الحيوان مثل « دجاجة » على المؤنث الانسان فنونوه وقالوا « دجاجةٌ » بالتنوين ولكن إذا سميت امرأة باسم « دجاجة » فانها تُمْنَعُ من الصرف لأنها أصبحت اسم علم لمؤنث عاقل فانتحقت بانطباق الحكم عليها

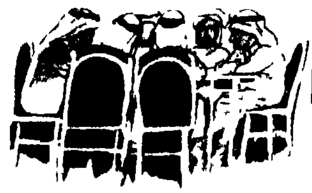
فلو قيل لماذا لا يكون التنوين الذي تمتع به المذكر العاقل قد اشتركت معه الحيوانات والجمادات وغيرها والمرأة امتازت وحدها بهذا الحكم دون غيرها فهلا يكون ذلك الامتياز فخرا للمرأة ؟ ويقال في الجواب إنَّ حرمان المرأة من التنوين الذي هو دليل القوة والانطلاق لا فخر لها فيه ، وتبقى كما هي محتقرة عند الرجل اما اشتراك غير العاقل من الحيوانات والجمادات بالتنوين فهذا ليس فخرا للمرأة ، ولا نقصاً بالرجل فالعرب لكرههم المؤنث العاقل فضلوا عليه المذكر العاقل وغير العاقل فأعطوه التنوين ، وحرموه من المؤنث العاقل وبقا صاحب أقرب الموارد قال عن أبي زيد قال « سمعت الكلابيين يقولون « رجل شجاع » ولاتوصف به المرأة وقالوا للنجم « كوكب » وليس هناك كوكبة وقالوا في مفرد نجوم « نجم » لا نجمة ولاتوجد « نجمة » بمعنى كوكب وقال الشرتوني في (أقرب الموارد) يقول العرب « ثوب جديد » وجنّة جديد ولا يجوز جديدة ولو كان (فعيل) كما يقولون يسوي فيه المذكر والمؤنث لما قال « ولا يجوز جديدة » ، وهناك أمثلة كثيرة في الكتاب منها ما تقدم ذكره والله سبحانه وتعالى وليُّ الصواب □

لكي تدوم
سعادتكم الزوجية

هذه نصائح حكيمة،يقدمها فيلسوف قديم للمتزوجين حديثا للتمتع بالسعادة والوئام وهناء الحياة العائلية -



* لاتغضبا معا في وقت واحد
* لاتتكلما بحق بعضكما لاعلى انفراد،ولافي المجمع
* لاترفعا صوتيكما عاليا مالم يكن الحريق - لاسمح الله - قد شب في البيت
* ليتعود أحدكما أن يخضع لإرادة الآخر في أغلب الاحيان . وليكن انكار الذات هدف كل منكما اليومي ومحاولته عمليا
* لاتجعلا خطأ سابقا ارتكبه أحدكما موضوعا للتعيير والتعنيف
* اهملا العالم كافة ولايهمل أحدكما الآخر
* لاتدعا يوما يمر بدون أن يسمع أحدكما للآخر عبارات الود والمحبة للتذكر
* لايقدم أحدكما عبارة انتقاد على حساب الاخر
* لاتدعا ساعات الملتقى بينكما تمر دون مودة أو ترحيب حار
* لاتدعا الشمس تغرب على أي غيظ أو حزن أو غضب حدث بينكما



منتدى العربي

تعقيب

الثقافة العربية وقداسة التراث

بين الجابري والتيزيني

إنني أقف مع الدكتور الجابري في أطروحاته ، بل بالأحرى أتفق معه ، ولكن في ماذا؟ أولا في أسلوب البحث الذي تميز بالتناول الجذري والالتماس الجاد ، وهو يبحث في التراث العربي ، للعوامل التي أسهمت في تكوين العقل العربي منذ أن تكوّن . وإني لأكاد أقول . إن تلك الموضوعية التي غلبت على بحثه حين قرر البحث في موضوع خطير ـ التراث ـ قد تمايز بها الجابري أيضا بين المفكرين العرب ، بهذا الشكل العميق . ولقد سبق الجابري غيره من الباحثين بهذا الطرح الشامل العميق ، وبذلك فهو لا شك قد وضع نموذجا جديدا ، ونال شرف الريادة وكسر دوائر الإيهام بعد أن كان ينظر إلى موضوع التراث بقدسية تفتقد في واقع الأمر الكثير من المبررات ، فهي لا تستمد « شرعيتها » من أية ناحية ، كما نعتقد .

إن الدكتور الجابري كان أكثر جرأة من غيره حين تعامل مع التراث من موقع مختلف ، فقد استطاع أن يخرج على إطار البحث التقليدي الشائع ، كما تمكن من أن يتحرر من تلك القيود التي تفرض نفسها في هذا المجال عادة ، ليكشف عما سماه ـ بحق ـ « نظامين معرفيين مختلفين يقرآن نفس العقيدة » .

وما قول الدكتور الجابري « بلا تاريخية الثقافة العربية » و« بوحدانية زمنها » إلا من منطلق واقع الثقافة العربية التي لا يجانب الدكتور الجابري الحقيقة حين يعبّر عن الحضور الكثيف الحي للتراث في حياة الإنسان العربي اليوم .

إن حالة الجمود واللاحركة في الثقافة العربية لابد من البحث عن أسبابها ، وقبل ذلك لابد من الإقرار بوجود هذه الحالة كخطوة أولى ضمن مشروع نهضوي متكامل . ولا ينبغي أن تقف أمامنا ، ونحن نقوم بعملية مراجعة ونقد للذات حواجز مصطنعة ، أو نستسلم لعقد نفسية تشكلت عبر هجوم مرير تعرضت له الشخصية العربية من قبل أعدائها ، بدءا بالشعوبية ، وانتهاء بما يعرف اليوم بالاستشراق ، ذي الأقنعة المتعددة . إنه يجب علينا أن ننطلق بثقة عالية بالنفس ، وأن نمتلك صدقا مع الذات كضمانات لعملية بحث موضوعي شامل فيما يتعلق بالتراث ، على ألا نغفل لحظة واحدة عن مخاطر فرط الموضوعية الذي يقود إلى التشكيك في كل شيء .

ومن هذا الجانب نستطيع أن نتفهّم ما يصبو إليه الدكتور محمد عابد الجابري في دراسته ، ونفهمه أكثر حين نقرأ معه : « مشروعنا هادف إذن ، فنحن لا نمارس النقد من أجل النقد ، بل من أجل التحرر مما هو ميت أو متخشب في كياننا العقلي وإرثنا الثقافي ، والهدف : فسح المجال للحياة ، كي تستأنف فينا دورتها ، وتعيد فينا زرعها » □

ابراهيم بن صالح



سعد نديم
رائد السينما التسجيلية

تأليف : كمال رمزى

بقلم : على أبو شادى*

نادرة تلك الكتب التي تتناول السينما المصرية بالدراسة والبحث والنقد والتحليل والتقييم ، وفقيرة بشكل يثير الأسى ، المكتبة السينمائية باللغة العربية ، المترجم منها والمؤلف ومع أن هناك ، على مستوى الوطن العربى حاليا ، مئات ممن يكتبون عن السينما فإن حصاد ذلك كله لا يزيد عن مائة كتاب كثيراً .

هناك أسباب عديدة لعزوف النقاد عن الترجمة أو التأليف ، أهمها عدم اهتمام دور النشر الحكومية والأهلية بنشر كتاب حاد عن السينما ، فنا أو صناعة أو تجارة ، وقد يعود دلك إلى عزوف القراء أيضاً عن قراءة مثل هذه الكتب الحادة ، واهتمامهم بما هو مثير وهريل في عالم السينما ، وهو الحياة الخاصة والحكايات الرديئة عن النجوم ، وهو نوع من الصحافة الفنية الرديئة كرسته ضمن منظومة القيم التي كرستها هوليوود في تاريخ السينما العالمية

وادا كانت السينما الروائية ، بما لها من سطوة واهتمام لدى القارىء والناقد ، تعاني من الاهمال ، وقد يكون بعصها يستأهل دلك فما بالنا بنوع آخر من السينما ، ولد وهو يحمل قدره ، على الرعم من أنه الأقدم وقد يكون الأهم ، وكان قدره أن يعيش مند ولادته مطلوما منسياً ، مقهوراً ، يعاني من التجاهل هو وصانعوه ، دلك هو الفيلم التسجيلي ، على الرغم من أهمية هدا النوع من السينما في العالم كله

فالفيلم التسجيلى له لغته وجمالياته ، ومدارسه

* ناقد سينمائي ، رئيس تحرير مجلة الثقافة الجديدة « ومجلة سينما » ، من القطر العربي المصري

الفنية ، ومناهجه ودراساته ، بل وجمهوره أيضا ، ذلك أن مفهوم السينما التسجيلية قد يتسع ليشمل كل ما هو «صور متحركة» باستثناء الأفلام الروائية وأفلام التحريك

وفي مصر على الرغم من أن الفيلم التسجيلي بمعناه الواسع أقدم من نظيره الروائي ، وعلى الرغم من المحاولات المستميتة لرواده لوضعه على خريطة الفن في مصر ، إلا أنه مازال ضيفا ثقيلا على السينمائيين والجمهور معا ، فما بالك بالحديث عن صنّاعه ورواد حركته على مدى العقود الستة الماضية

لذلك فإن المرء يشعر بالسعادة لصدور دراسة جادة عن رائد من رواد السينما التسجيلية المصرية ، عاش لها ، وبها ، وهو الفنان الراحل سعد نديم .

اختار المؤلف صيف عام ١٩٤٤ بداية للحديث عن سعد نديم ، وهي الفترة التي تسلم فيها سعد نديم عمله في استوديو مصر ، مساعدا في قسم المونتاج ، مع صلاح أبو سيف ،

كان سعد نديم في الرابعة والعشرين من عمره حين بدأ رحلته مع الفن السينمائي ، وسنوات عمله السينمائي ستة وثلاثون عاما ، قدم فيها تسعة وسبعين فيلما تسجيليا ، وعشرات المقالات النقدية ، ومارس دوره الريادي ، حيث كان أول رئيس لقسم الأفلام القصيرة في استوديو مصر عام ١٩٤٦ الذي عمل به هو والمصور اليوناني كوستا - تيودوريدس

وقد لخص المؤلف حياة سعد نديم في خمس محطات رئيسية ، وهي «صيف ١٩٤٤» ، ثم «لندن ١٩٥٠» ، و«بورسعيد ١٩٥٦» ، و«المساء ١٩٥٧» ، ثم «الانطلاق ١٩٦٠» ، باعتبار أن كل محطة من هذه المحطات تمثل ركيزة ونقطة انطلاق إلى آفاق أرحب في قطار حياة سعد نديم ، وكانت لندن - المحطة الثانية - التي وصلها عام ١٩٥٠ لدراسة فن السينما التسجيلية هي حلم حياة شاب في الثلاثين ، فمكث فيها أربع سنوات يدرس ويشاهد ويلتقي ويناقش ويتعرف على الفن في أرقى صوره ويقترب من أساتذة الـ... التسجيلية وصناعها ، وروادها الكبار

فليشهد العالم

عاد سعد نديم إلى مصر عام ١٩٥٤ ليجد ... الصورة التي قامت في يوليو ١٩٥٢ أثناء ... تطمح الى تغيير الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي

والتحق بمراقبة السينما بوزارة الارشاد ، ... أول أفلامه بها «كشوف أثرية» (١٩٥٤) ... وشارك أيضا بالعمل في وحدة الانتاج السينمائي في القوات المسلحة ، وهي وحدة أخرى أنشأتها الثورة ، ثم أنشأت أيضا إدارة السينما بمصلحة الاستعلامات التي قدم سعد نديم من خلالها عشرة أفلام ، من أهمها فيلم «فليشهد العالم» (١٩٥٦) الذي يصفه المؤلف بأنه «أحد الكلاسيكيات في تاريخ السينما التسجيلية المصرية» ، وأنه أيضا من الأعمال التي رفعت من شأن السينما التسجيلية



جعلت الجميع يدركون أهميتها كخط دفاع بكرى ، وطنى ، بالغ القوة ، بل كقوة هجومية بضاً(ص ٢٠) .

ويعتبر المؤلف « فليشهد العالم » المحطة الثالثة لمهمة فى حياة سعد نديم ، ويفرد لها عنواناً خاصاً بورسعيد ١٩٥٦ .

واذا كان صيف ١٩٤٤ قد شهد تعيين سعد نديم فى استوديو مصر ، ووطأت قدمه مطار لندن عام ١٩٥٠ ، فإن بورسعيد لم تر سعد نديم ، وانما رأت حسن التلمساني ، ذلك المصور العبقري الذي رحل عن عالمنا فى عام ١٩٨٧ ، وصاحب الفضل الأول فى فيلم « فليشهد العالم » ، حيث انطلق الى بورسعيد وسط الحصار والدمار ، ومن بين براثن قوات الاحتلال استطاع حسن التلمسانى أن يعود الى القاهرة محملاً بكنز فنى وسياسى ، وهو قوام مادة « فليشهد العالم » ، وحين عاد الى القاهرة هو ومساعداه متسللين عبر بحيرة المنزلة منهكين ملتهبة عيونهم ذهبوا رأساً الى بيت سعد نديم الذى استقبلهم بالأحضان (ص ٢٢) ، وأخذ منهم المادة الوثائقية الهائلة واتجه الى الاستديو فمكث داخل معامله يومين كاملين (فى أمان كامل) بلا نوم أو راحة ، وخرج ومعه « فليشهد العالم » صالحا للعرض .

إن تحليل الفيلم ، كما أورده المؤلف ، يؤكد فى كل لقطة ، وكل مشهد دور الفنان المرحوم حسن التلمسانى في اخراج هذا الفيلم ، وما الاخراج إذن ، إذا لم يكن ما فعله حسن التلمسانى ، هو الاخراج ؟ !!

إن هذا الفيلم الكبير يؤكد قدرة سعد نديم كأستاذ فى فن المونتاج كما يقول كمال رمزى (ص ٢٢) ، لذا فان نسبة الفيلم إلى سعد نديم وحده تحتاج الى المراجعة أو على الأقل ، تحتاج إلى المناقشة ، كى يحسم أمر مثل هذه النوعية من الأفلام التسجيلية ، وهل يعتبر الجالس الى الموفيولا ، أو بجوار المونتير هو المخرج على الرغم من غيابه عند التصوير ، وحيث لم يوجه مصورا ، أو يختار كادراً واحداً ؟ !

ان هذا الفيلم الكبير قد استطاع ، كما أورد المؤلف ، أن يجعل الصحف البريطانية تكتب حين عرض بالتجمعات السياسية والاعلامية فى بريطانيا - « عبد الناصر فتح جبهة أخرى بهذا الفيلم » - « امنعوا رائحة العار عن بريطانيا » (ص ٢٣)

سعد نديم ناقدا

وفى المحطة الرابعة (المساء ١٩٥٧) يشير المؤلف إلى أن سعد نديم قرر ممارسة الكتابة في النقد السينمائى ، بعد فصله من مصلحة الاستعلامات ، لأسباب بيروقراطية ، وكانت صفحات جريدة المساء القاهرية ، خلال ثلاثة أعوام (٥٧ و٥٨ و١٩٥٩) ساحة خصبة كتب فيها سعد نديم عشرات المقالات التي يرى المؤلف أنها « من أكثر المقالات النقدية عمقاً واكتمالاً »

وهذا الفصل - سعد نديم والنقد - من أجمل وأعمق فصول الكتاب ، حيث تابع المؤلف ، كتابات سعد نديم ، بالدراسة والتحليل ، بعمق ، ووعى شديدين ، ورصد خريطة الثقافة السينمائية في هذه الفترة ،وموقع جريدة المساء وسعد نديم من حركة الثقافة بعامة

إن سعد نديم ناقد يتألق فى هذا الفصل من خلال كتابات كمال رمزى - ناقداً ، وإن هذا التقييم الذى يستحقه نديم ، سبقتنا وسبقت المؤلف إليه صحف تلك الفترة ، وكذلك الدولة حين اعترفت بدوره فى تطوير النقد السينمائى ، فمنحته جائزة النقد عام ١٩٦٠ ، وكان بحق أميراً للنقاد

وهذا الفصل يعد لؤلؤة الكتاب ، حيث غاص المؤلف في لجة التاريخ الفني ، واستخرج من حياة نديم فصلاً مجهولاً ، وجانباً ثريا كان من الممكن ، لواستمر فى مزاولته ، لأعطى الثقافة السينمائية مذاقاً وعمقاً مختلفين ، وهذا الجانب هو اكتشاف خاص وكامل ينسب لكمال رمزي ولقدرته على استخلاص

المنهج والمعايير التى حكمت كتابات نديم ، والتى وصفها بقوله تتمتع كتابات سعد نديم بالقدرة على تمكيك العمل الفني ، ثم تركيبه مرة أخرى ، أى أن العملية النقدية عنده تقوم في المرحلة الأولى على التفسير والتحليل ، فهو شرح آراء الفيلم ويحددها ، غالبا ، من خلال لغة الفيلم السينمائية ، ثم تأتى مرحلة التقييم لرؤية الفيلم - مصمونه وبناؤه ، الفني - مبينا ايجابياته ، وصحة أفكاره أو صلالها ، وسلامة لغته أو ركاكتها ، ثم تأتى أخيرا ، مرحلة التوجيه التي قد يرفض فيها الفيلم ، وقلما يفعل ، أو يعيد بناءه ، من داخله ، مع تصويب المعوج من ارائه ، وترميم أية شروحات في بنائه الفني (ص ٢٨)

وينبه الباحث إلى أن سعد نديم هو أول من استخدم تعبير « الفيلم التسجيلى » بدلا من الفيلم القصير ، وان كان الناقد السينمائى سمير فريد ينسب هذا التعبير للمرحوم فريد المزاوى فى كتابه « مبادىء الفنون والعلوم السينمائية » عام ١٩٥٩ ، وكذلك كان سعد نديم أول من استخدم تعبير « الفيلم الاستعمارى » وقد قصد به أنه الفيلم الذى قد يبهر المتفرج بإتقان الصناعة واستعمال المخترعات ، لكنه يقدم صورة رائعة مضللة لروعة الحياة الأمريكية ، ويجعلها تحتل عقل الجماهير والبلدان التي تشق طريقها إلى المستقبل

ويتضح من هذا الفصل ، ومما كتبه المؤلف عن سعد نديم ناقدا ، أن تأثر نديم الواضح بمؤلفات آرنست لندجرن عن « فن الفيلم » وكتابات حون هوارد لوسون عن « الفيلم في معركة الأفكار » الذى ترجمه شقيقه أسعد نديم الى اللغة العربية ، واحلاصه لأفكار « جماعة الثقافة والفراغ » التي كونها في الأربعينيات مع صلاح أبوسيف ومحمد عودة وأسعد حليم ، وشارك في ندواتها لويس عوض وفتحى الرملى وكامل التلمسانى ، وغيرهم من مثقفى اليسار المصري في هذه الفترة والغريب ، أنه على الرغم من استيعاب نديم لكل هذا التراث النقدى والفني والثقافي والسياسى والاحتماعى ، ووعيه بظروف أمته وشعبه ، وإدراكه لعوامل التغيير ، وقد تجلى كل هذا في كتاباته النقدية ، فإن صدى هذه الأفكار جاء باهتا في أعماله السينمائية .

في موقع المسئولية

وفي الجزء الأخير من الكتاب « الانطلاق ١٩٦٠ » يحمل الكاتب العشرين عاما الأخيرة في حياة نديم ، حيث كان فيها مخرجا ومسئولا اداريا عن النشاط التسجيلي ، وأحد رواد السينما التسجيلية في « التليفزيون » بعد افتتاحه عام ١٩٦٠ .

ومن خلال « التليفزيون » حقق سعد نديم مجموعتيه المهمتين فى تاريخ السينما التسجيلية التوثيقية ، مجموعة « متحف الحضارة » ومجموعة « فن بلادنا » ، والمجموعتان تهدفان إلى تعريف المتفرج بجوانب عديدة من تاريخه وثقافته ، وحضارته وموروثه الشعبي بشكل عام ، وينتمي معظمها الى نوع أفلام المعرفة ، وهي أيضا كما يرى الباحث « كانت تنتهي بالاشادة بدور الدولة - الثورة - في رعاية هذه الفنون ، ويعيب عليها أيضا أنها لم يسمع فيها صوت أصحاب الأيدي العاملة إلا كجزء من الخلفية عادة ، بلا صوت بلا متاعب أو آمال» (ص٢٣) ، وهي ملاحظة تكمل الصورة السابقة لأفلام الأربعينيات ، على الرغم من تغير المناخ والظروف ، بل إن صوت الحركة العمالية قد علا قليلا ، وأصبح مسموعا ، ووصل في لحظة تاريخية إلى حد التصادم مع رجال الثورة في كفر الدوار .

وكما تعلق الفنان صلاح التهامى بالسد العالى ، وقدم لنا وثائق نادرة عن ملحمة البناء الكبرى في تاريخ الشعب المصرى ، بعد بناء الأهرامات . تعلق سعد نديم بالنوبة ، الناس ، والأرض ، والعادات والتقاليد ، والمعابد ، وظل منذ عام ١٩٦١ - بدءاً بمجموعة أفلام بعنوان « رحلة الى النوبة » - وحتى وفاته يتابع معابد فيلة ، إلى أن تم

قاذها ، بل إنه ترك فيلما عن « فيلة » لم يكمله ، وفقاً لمعلوماتي ، لم يكتمل الفيلم حتى الآن ، على رغم من مرور أكثر من ثماني سنوات

ويقف المؤلف في حب شديد ، عند فيلم حكاية من النوبة » الذي قدمه سعد نديم عام ١٩٦٣ ، ويعده « في إنتاج سعد نديم » وربما في انتاج السينما التسجيلية عموماً ، يتلألأ ، ويشع صياؤه الأصيل ، كجوهرة من المستبعد أن تفقد سحرها مع مر الأيام (ص ٣٣)

والفيلم يقوم على مجموعة من اللوحات التي رسمتها كتيبة من أفضل الفنانين المصريين ، ذهبت إلى النوبة لتسجل كل جوانب حياتهم قبل أن ينتقلوا إلى مساكنهم الجديدة في كوم امبو ، وقد استطاع الفيلم كما يقول المؤلف « بفضل السيناريو الذى شارك فيه صلاح عز الدين مع سعد نديم ، وبفضل تصوير حسن التلمسانى ، استطاع أن يصهر هذه الأساليب (يقصد أساليب الفنانين المختلفة المتباينة) في روح واحدة ، متوهجة تنتمي في خصوبتها إلى صناع الفيلم أكثر من انتمائها الى أى من الفنانين التشكيليين » (ص ٣٣) ، وقد حصل نديم بهذا الفيلم على جائزتى السيناريو والاخراج من وزارة الثقافة عام ١٩٦٤ ، وشهادة تقدير من مهرجان ليبزج بعد ذلك

لقد كان عالم الفن التشكيلي ، عالماً أثيراً لدى سعد نديم فيلم « الأجنحة الملونة » في نهاية الأربعينات (١٩٤٩) ، وقدم فيه عدداً مهما من الأفلام التي تتناول أعمال الفنانين التشكيليين المصريين وحياتهم ، مثل راغب عياد (١٩٦٥) وأنور عبد المولى (١٩٧٠) والفن المصرى المعاصر (١٩٦٩) وبعض أجزاء أكتوبر* والثقافة (١٩٧٥) والمصرية في خمسين عاماً (١٩٧٥)

ويحقق سعد نديم ، في ظل أجواء الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ ، ثلاثة أفلام مهمة فى مجال الفيلم السياسى ، هى « العار لأمريكا » بالاشتراك مع أحمد راشد (١٩٦٧) ، ثم « لسنا وحدنا » (١٩٦٧) ، وثالثها « عدوان على الوطن العربي » (١٩٦٨) وهو أهمها ، حيث يعتمد على مادة واقعية ، حية قام بتصويرها المبدع حسن التلمسانى ، في مصر ، وسوريا ، والأردن ، وبصحبة سعد نديم ، هذه المرة ويؤكد نديم في هذا الفيلم أن الوطن العربي لن يركع أبدا إذ لم يستسلم.ويقدم كما يرى المؤلف ، فعلا عشرات الوجوه الشابة ، المصرية والفلسطينية ، والأردنية والسورية ، وقد شوهها النابالم مما يؤكد التآخي العربي ، ويؤمن بأن الهزيمة ليست قدراً ، لكنها مجرد عدوان شرس ، سيأتى الوقت حتماً ، مهما طال لتصفيته والقضاء عليه ومواصلة البناء (ص ٣٨)

ثمة ملاحظات :

ركز الأستاذ كمال رمزى على الجوانب التاريخية والفكرية وتتابع مراحل العمل عند سعد نديم ، ولم يقدم دراسة كاملة عن الجوانب الفنية الأخرى في أعماله ، وأسلوبه في الاخراج ، وطريقته في المونتاج ، والصورة السينمائية في أفلامه ، والبناء الفيلمي ، وتطوره الفنى من فيلمه الأول « الخيول العربية » (١٩٤٧) ، وحتى آخر أفلامه « من فيلة إلى إيجيليكا »(١٩٧٩)

كذلك فإن البحث لم يحدد موقع سعد نديم على خريطة السينما التسجيلية في مصر ، فهو وإن كان وحده تقريباً ، فى نهاية الاربعينيات ، إلا أن العقود الثلاثة التالية ، شهدت تطوراً كبيراً فى مجال صناعة الفيلم التسجيلى ، وظهرت أسماء عديدة ، أثرت الحركة التسجيلية المصرية ، منها صلاح التهامى ، وعبد القادر التلمساني ، وأحمد راشد ، وهاشم النحاس ، وعطيات الأبنودى ، ثم جيل كامل من السينمائيين التسجيليين في عقد السبعينيات ، وظهرت أيضاً إدارات ووحدات سينمائية ، وهياكل تنظيمية ، بأماكن متعددة ، تقدم أنواعاً مختلفة من الفيلم التسجيلى

كذلك ، لم يرد في البحث أيضاً أية إشارة إلى دور سعد نديم الادارى في الهياكل المختلفة الادارية

والفنية والتنظيمية التي وصل فيها سعد نديم إلى أعلى درجاتها الوظيفية وأعلى درجات المسئولية ،

ففي ، مدة تسعة أعوام متصلة (١٩٧١ ـ ١٩٨٠) كان هو المسئول الأول عن السينما التسجيلية في مصر بكونه رئيسا للمركز القومي للأفلام التسجيلية ، وبعد أن خلف الفنان حسن فؤاد الذى تولى مسئولية المركز عند انشائه ، ولأن السينما التسجيلية في السبعينيات خرج معظمها من عباءة سعد نديم ـ المركز ـ فكان لابد من تقييم دوره في توجيه حركة السينما التسجيلية في السبعينيات ، وهى ذروة نجاحها ، أو ما يمكن أن نسميه العقد الذهبي ، أو السبعينيات الذهبية للفيلم التسجيلي في مصر .

إن معظم الأعمال المهمة التى تحقق ، مفهوم الفيلم التسجيلى ، كما وعاه وفهمه سعد نديم ، ظهرت فى السبعينيات ، وعليها توقيعه مشرفاً أو منتجاً فنياً ، أو بصفته مديراً للمركز القومى ، ولقد أعطى نديم الفرصة كاملة تقريباً لهذا الجيل الجديد ، لأنه يعبر عن نفسه ، وعن وطنه ، هموماً وأشواقاً وحلماً وأملاً ، وواقعاً ومستقبلاً ، فالسينما التسجيلية هى فى جوهرها دعوة دائمة للتغيير إلى الأفضل والأكمل ، ومن هنا كان لابد للسؤال أن يطرح،لماذا لم يحقق سعد نديم بنفسه ما استطاع أن يحققه من خلال الآخرين ؟ !! .

إن عزل سعد نديم واقتطاعه ، وبحثه كظاهرة خاصة بمعزل عن الواقع العام والواقع السينمائي ، أفقد البحث فاعليته الجدلية الناتجة عن الاحت[illegible] والتأثير والتأثر ، فهو في النهاية حصاد جهد [illegible] سبقوه ، محمد بيومي ، ومحمد كريم ، ونيا[illegible] مصطفى ، وغيرهم ، وجهود زملائه الذين أكم[illegible] الرحلة أثناء غيابه فى لندن مدة أربع سنوات ، م[illegible] صلاح التهامى ومحمد نبيه وأميل بحرى وك[illegible] مجموعة العاملين بوحدة انتاج شركة شل ، وهو أيضاً نتاج الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي صاحبت ثورة ٢٣ يوليو وتوجيهاتها الاعلامية والثقافية ، وهو المؤثر بعلمه وخبرته في الدفعات التالية للمعهد العالي للسينما بعد منتصف الستينيات .ـ

كذلك جاء البحث خالياً من جانب مهم ، هو جانب المعلومات التي تعد ضرورية في كتاب عن أحد المخرجين الكبار ، فلم ترد به قائمة كاملة محققة موثقة بأفلام سعد نديم ، وفاته أيضاً أن يذكر تاريخ وفاته (١١ مارس ١٩٨٠) ، ولم يعتن دائماً بذكر تاريخ انتاج الأفلام التي تعرض لها ، إلا فيما ندر . وبالمناسبة فإن الأفلام التى تعرض لها البحث لا تتعدى ربع إنتاج سعد نديم الذى بلغ تسعة وسبعين فيلماً خلال اثنين وثلاثين عاما (١٩٤٧ ـ ١٩٧٩) ، ولم يورد البحث قائمة الجوائز التى حصل عليها فى المهرجانات المحلية أو الدولية ، أو مشاركاته فى تلك المهرجانات ، وكل هذه معلومات وثائقية أعتقد أنها ضرورية .

□ كل امرىء سيارة عامة يركب فيها جميعُ أسلافه .

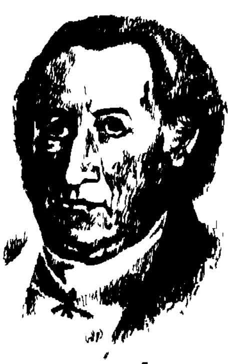
(اولفروندل هومز)

□ يعتبر الرجل غنيا بنسبة الأشياء التى يستطيع الاستغناء عنها .

(ثورو)

□ العمل سهل والتفكير صعب .

(جوته)

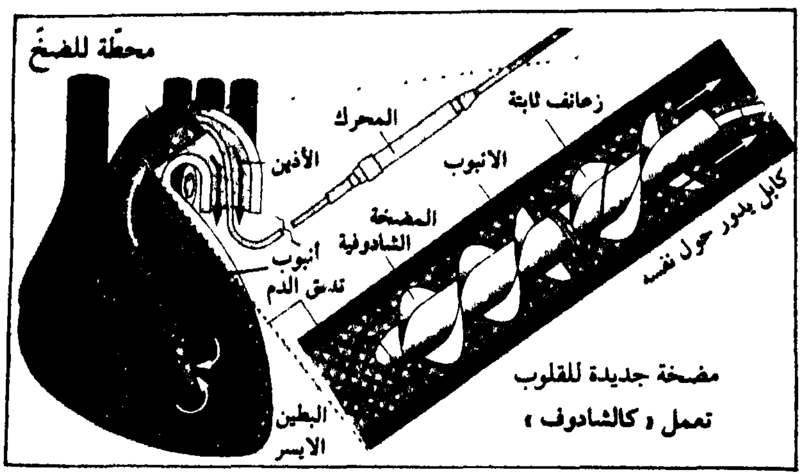


جوته

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

مضخة جديدة للقلب



شهدت بلدة رينو في الولايات المتحدة مؤتمرا طبيا جامعا في منتصف شهر مايو الماضي (١٩٨٨) . وكان بين المحدثين هوارد فرازيير ، مدير برنامج الزراعة (الجراحية) في معهد القلوب ، في هيوستون ، بتكساس ، وقد تركز حديثه على اختراع جديد ، استأثر باهتمام الجميع ، أطباء وجراحين . ولم يكن هذا الاختراع سوى مضخة صغيرة ، ابتكرها وطورها ريتشارد وامبلر ، الطبيب الشاب في كاليفورنيا ، وذلك من أجل مساعدة القلوب المزروعة أو المرهقة أو التالفة التي قد تكون عرضة للموت اثر العمليات الجراحية ، وعقب النوبات القلبية لتسترد حيويتها بفعل هذه المضخة الصغيرة

ومن طريف ما يذكر أن هذه المضخة الصغيرة المبتكرة تعمل « كالشادوف » المستعمل للري في مصر منذ ايام أرخميدس ، ووفقا لجهازه الشهير المعروف باسم (ARCHMIDES SCREW) ، ذلك ان المخترع الأمريكي استوحى فكرة مضخته من عمل « الشادوف » أثناء وجوده في مصر قبل نحو عشر سنوات ـ على أن أهم ما يذكر عن المضخة الجديدة أن وكالة الغذاء والدواء في واشنطن قد أقرت استعمالها لأغراض التجربة على بني الانسان ، في شهر مارس الماضي (١٩٨٨)

وتجدر الاشارة الى الاعتقاد السائد بين الأطباء بأن القلب المزروع المرهق التالف بسبب نوبة قلبية أو عملية جراحية

أتيحت له الراحة الكافية من هنا كانت فكرة المضخة التي لاتهدف الى أكثر من توفير تلك الراحة المطلوبة ، وكانت المضخات الخمس أو الست التي قد تم تطويرها على مدى عشرين سنة ماضية وقد كانت تلك المضخات القديمة - مع الأسف - مخيبة للآمال ، فهي كبيرة الحجم جدا ، ويستوجب زرعها اجراء عملية فتح للقلب ، وهي عملية خطيرة كما لايخفى ولهذا كان الاهتمام البالغ الذي حظيت به المضخة الجديدة الصغيرة في المؤتمر الطبي السالف الذكر

وتتميز المضخة الجديدة واسمها « هيموبمب »(Hemopump) بصغرها ، $\frac{1}{2}$ بوصة × $\frac{1}{4}$ بوصة ، وبأنها تزرع في الجسم بسهولة ، وبدون جراحة تذكر ، وهي مصنوعة من فولاذ لايصدأ ، ومعدة للاستعمال المؤقت ، فاذا أدت مهمتها في غضون ٢٠ دقيقة أو نحو ذلك انتزعت من الجسم بمثل تلك السهولة التي زرعت فيها ، وألقيت في سلة النفايات هي إذن معدة للاستعمال مرة واحدة

يقوم الجراح بادخال المضخة عبر الشرايين ، ويزرعها في البطين الأيسر ، وهو مركز الضخ الرئيسي في القلب ، ثم يدير المحرك الذي يبقى خارج الجسم ، فتمضي المضخة في ضخ الدم الى خارج البطين - الى الأدين بالتحديد - وهذا الأدين هو الوعاء الرئيسي لنقل الدم من القلب الى سائر أنحاء الجسم وهكذا تنوب المضخة عن القلب المعتل في أداء مهمته فتتيح له الراحة الضرورية ، ولو لمدة عشرين دقيقة فقط ، وتتيح له بالتالي فرصة الشفاء التلقائي

والجدير بالذكر ان للمضخة الجديدة شفرات تعمل « كدفاش » السفينة ، تدور بسرعة كبيرة جدا تبلغ (٢٥٠٠٠) دورة في الدقيقة ، أي مايعادل أربعة أضعاف سرعة محرك سيارات السباق ويعقب ، عمل « الدفاش » هذا عمل « الشادوف » السالف الذكر (انظر الرسم) ، فلا تلبث المضخة أن تؤدي مهمتها ، ثم تنزع من الجسم ، ولايلبث القلب أن يستجم ويسترد عافيته ، ويعود الى الخفقان بنشاط وانتظام في غضون بضعة أيام

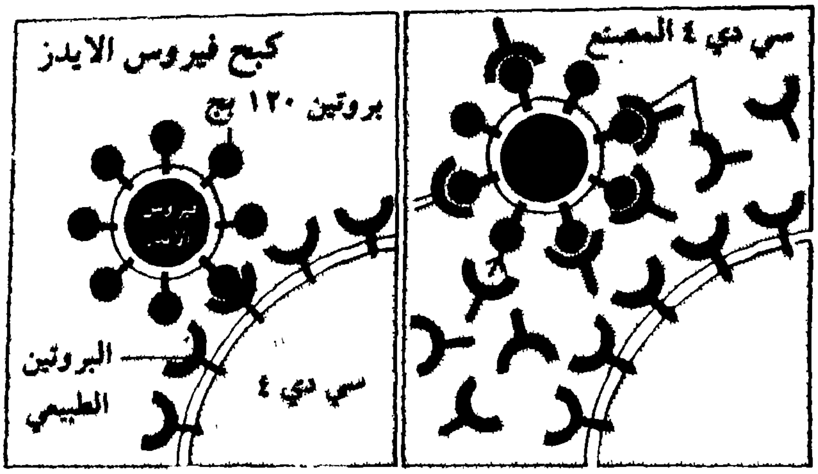
بقي أن نشير الى الفارق الأساسي بين عمل المضخة الجديدة وعمل المضخة القديمة ، فالمضخات القديمة تقوم على أساس محاكاة نبض القلب ، لاعلى محاكاة « الشادوف » كالمضخة الجديدة

■■■

عقار جديد يكبح فيروس الايدز

● مازال مرض الايدز ماضيا في استفحاله واستشرائه ، ومازال الطب ماضيا في البحث عن العلاج الناجع واللقاح الواقي من هذا المرض ، الذي يرى فيه كثير من العلماء تهديدا لمصير البشرية ، اكبر بكثير من التهديد الذي تنطوي عليه الأسلحة النووية على أن الطب لم يحرز كثيرا في المعركة التي يخوضها للقضاء على هذا المرض ، فقد مضت عدة سنوات على هذه المعركة دون ان يعثر الأطباء الا على عقار واحد ضد مرض الايدز ، هو (ازت AZT) ، وهو الوحيد الذي رخصت استعماله وكالة الغذاء والدواء حتى الآن ، لذلك كان النجاح في تطوير عقار آخر ، صمم خصيصا لمحاربة فيروس الايدز ، باعثا على الاهتمام

أول مايقال عن العقار الجديد (واسمه CD4) هو أنه لايحطم فيروس



المرض ، لكنه يمنعه عن اقتحام الخلايا السليمة ويحول بينه وبين الفتك بها ، فهو يختلف اذن من حيث الفاعلية عن عقار « الأرت » الذي لايحطم فيروس الايدز ، بل يعرقل أو يكبح نمو هذا الفيروس داخل الخلية

وتجدر الاشارة هنا الى أن خلايا (ليمفوسيت ت ٤ T.4 Lymphocites) هي عماد جهاز المناعة ، لكنها في الوقت نفسه هي الهدف الذي يندفع اليه فيروس الايدز ، وذلك من أجل الاتحاد بهذه الخلايا ، وتحطيمها ، واتلاف جهاز المناعة نفسه تبعا لذلك ويتم هذا الاتحاد بفعل التجاذب القائم بين جزيء موجود على سطح الفيروس (يعرف باسم 9P120) ، وبين بروتين طبيعي موجود على سطح خلايا جهاز المناعة (يعرف باسم (CD4) الطبيعي)

وهكذا تتضح مهمة العقار الجديد ، فهو نسخة طبق الأصل عن البروتين الطبيعي السالف الذكر ، وخاصة أنه يحمل اسمه نفسه (CD4) ، ويقوم بدور الطعم في أعمال صيد السمك ، فيندفع فيروس الايدز الى البروتين المصنع (عقار CD4) ، فيتحد به بدلا من الاتحاد ببروتين الخلايا الطبيعي ، ويؤدي هذا الاتحاد بين الفيروس والعقار الى تحييد الفيروس أو جعله غير قادر على مهاجمة خلايا جهاز المناعة (الليمفوسيت ت ٤)

ولقد كان هذا العقار الجديد الذي تصنعه احدى الشركات الامريكية موضع بحث ونقاش في مؤتمر الايدز الدولي الرابع الذي عقد في استوكهولم في شهر حزيران ١٩٨٨ ، وكان بين المتحدثين وليم هاسلتاين ، أحد كبار الباحثين في هذا المجال ، وقد ذكر هذا العالم أن احتمال تكون أجسام مضادة تهاجم جهاز المناعة (خلايا T4) تبعا لاستعمال العقار الجديد (CD4) احتمال ضعيف ، لايتجاوز ١٠٪ ، علما بأن التجارب التي أجريت على الحيوان قد أثبتت خلو العقار من الآثار الجانبية

وخلاصة القول ان العقار الجديد ، وان لم يكن الدواء الناجع الشافي من مرض الايدز ، فانه ـ على الاقل ـ سلاح فاعل ضده ، ولعل الجمع بينه وبين العقار الآخر (ازت) هو خير علاج متوافر لمرضى الايدز في الوقت الحاضر

لا حاجة للتحطيب بعد اليوم !

● يحتل التحطيب كما هو معروف ، مكانا بارزا بين مشاكل البيئة جميعها ، فتقطيع الأشجار لاستعمال خشبها وقودا ، للطبخ والتدفئة ، هو الذي يقضي على غابات العالم وأحراجه الاستوائية ، وغير الاستوائية ، فيؤدي إلى التصحر من جهة ، وإلى تلف الاوزون من جهة أخرى ، وهو الذي يتسبب بتعرية التربة ، بحيث تفقد القدرة على الاحتفاظ بمياه الأمطار ، فتندفع هذه المياه في سيول هادرة ، وتعيث في الأرض دمارا. وهذا هو بالضبط ما أدى إلى كارثة بنجلادش الأخيرة (صيف ٨٨) .

لقد استفحل التحطيب في التبت ونيبال وشمال الهند والمناطق المجاورة على مدى السنوات الماضية ، وقد أشرنا إلى ذلك في هذا الباب في حينه ، وتعالت التحذيرات التي أطلقتها هيئات البيئة في كل مكان ، لكن أهل الريف لم يسمعوا تلك التحذيرات ، ولو سمعوها لما استجابوا لها ، ذلك أن التحطيب هو السلاح الوحيد المتاح للفلاحين في أواسط آسيا وفي الأمزون وغيرهما ، لمواجهة البرد القارص ، وهو وسيلتهم الوحيدة لطبخ طعامهم ، ولأنهم لم يجدوا البديل فلا لوم عليهم إذا ضربوا عرض الحائط بشتى النصائح البيئية والارشادات ، ولا عجب إن مضوا في التحطيب كما فعل آباؤهم وأجدادهم

لقد أثبتت الاحصاءات أن العائلة الواحدة ذات الخمسة أفراد تحتاج إلى نحو (١٠٠) كيلوجرام من الحطب في الأسبوع ، لاستعماله وقودا للطبخ والتدفئة ، ومعنى هذا أن العالم مهدد بفقدان كل ما فيه من غابات وأحراج في مستقبل غير بعيد ، ما لم تحل مشكلة التحطيب حلا جذريا .

من هنا كان السخان الجديد موضع اهتمام كثيرين ، فهو محاولة متواضعة للاسهام في حل مشكلة التحطيب .

أهم ما يذكر عن السخان الجديد الذي اخترعه فلاح اسمه إيان هودجن ، والذي استكملوا تطويره وبدءوا إنتاجه على نطاق تجاري سنة ١٩٨٦ ، هو أن وقوده ليس خشبا ، بل نفايات ، وثمة ٦٧ نوعا من النفايات تصلح لهذا السخان ، نذكر منها الحشيش ونفايات الورق ، والقش ، وزبل الحيوان ، وبقايا التبغ ، وقشور الفستق ، ونشارة الخشب ، والقطن ، لكن أهم ما في الأمر أن الحطب لا يصلح وقودا لهذا السخان .

ويذكر عن السخان الجديد أيضا تعدد الأغراض التي يمكن استعماله من أجلها ، فهو سخان (موقد) للمطبخ ، يخبز به الخبز ويقلى به الطعام أو يسلق أو يطهى بشتى الطرق المألوفة ، وهو مدفأة للمنزل ، وسخان للحمام .



هذا هو الطّباخ ـ المدفئة ـ السخّان ـ المجفف في آن معاً .

مــــدن في اليــابان تحــت المــدن !

● اكتمل العمل في نفق سايكان في اليابان سنة ١٩٨٣ ، وذلك بعد (١٩) عاما من الأعمال الانشائية المتواصلة ، وهو نفق يمتد على مسافة ٥٣,٣ كيلومترا ، ويصل بين جزيرة هونشو وجزيرة هوكايدو . فهو نفق بحري إذن أقاموه في الأعماق ، أعماق قاع البحر ، أي في باطن اليابسة التي يغمرها ماء البحر . ولا عجب إذن إن عدّ نفق سايكان بدعة هندسية ، تدل على مدى تفوق اليابان في الأعمال الانشائية ، فضلا عن تفوقها في الأعمال الصناعية والتجارية

ولقد أقام نفق سايكان دليلا آخر يهم كثيرين وبخاصة أهل اليابان ، فقد أثبت أن المنشآت المقامة تحت سطح الأرض تكون في مأمن من خطر الزلازل إلى حد بعيد ، ذلك أن زلزالا بقوة ٧,٧ بمقياس رختر قد ضرب منطقة النفق ، لكن منشآته ـ محطات وسكك حديد وقطارات وأجهزة وبيوت ـ لم تتأثر بذلك الزلزال ، لا من قريب ولا من بعيد ، لهذا بدأ أهل اليابان يفكرون : لماذا لا نقيم مدنا تحت سطح الأرض ، فنأمن شر الزلازل التي دمرت ، ومازالت تدمر مدن اليابان وقراها ، وتخرب بيوتها ومبانيها وتشرد الكثيرين من أهلها ؟!

وفطن أهل اليابان إلى أن مدن باطن الأرض لا تحل مشكلة الزلازل فحسب ، لكنها تحل مشكلة أكبر منها وأخطر ، مشكلة ضيق المساحة ، تلك المشكلة الحيوية التي دفعت اليابان في الماضي القريب ـ كما دفعت المانية النازية ـ إلى الحرب والاعتداء على الدول المجاورة واحتلال أراضيها ، بقصد التوسع

فعمد اليابانيون إلى استغلال الجو والبحر ، وراحوا يقيمون ناطحات السحاب في الجو ، وينشئون الجزر الصناعية في عرض البحر ، حتى إذا فرغوا من نفق سايكان ، ومضوا في التفكير في إقامة مدن تحت سطح الأرض ، اتضح لهم أن هذه المدن تحل لهم حلا جذريا مشكلتهم الحيوية الكبرى ، فالمساحة التي يتيحها باطن الأرض للبناء والتعمير ، لا تقل عن المساحة التي يتيحها سطحها

وانطلقت الشركات العملاقة في إجراء الدراسات الوافية ، ووضع المشاريع الفخمة لإعمار باطن الأرض ، وإنشاء المدن المتكاملة تحت سطحها

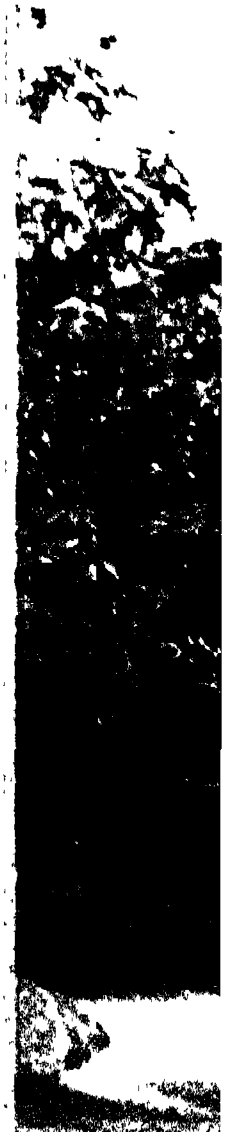
ونذكر من هذه المشاريع مشروع شركة شميزو الذي يتألف من وحدات سكن ومحطات مترو وأسواق مركزية ومكاتب وحمامات ووسائل للرياضة ومراكز للعلاج والعناية الصحية ، على أن تصل بين هذه وتلك خطوط مترو . ولم تغفل الشركة عن ضوء الشمس ، بل اتخذت الاجراءات الكفيلة بنقل الضوء عبر أنابيب طويلة ووفق تقنية خاصة . تبلغ تكاليف هذه المدينة (٨٠٠٠٠) مليون دولار .

ونذكر ايضا مشروع شركة كاجيما (Kajima) الذي يتميز بأنه معّد للانشاء تحت المباني القائمة ـ بالتحديد تحت سوق السمك في طوكيو ـ وستبلغ تكاليفه (٦١٥,٠٠٠) مليون دولار .

وهكذا تطرق الحديث في اليابان الى بلدة باطن الأرض الأنموذجية ، وقد قدّروا مساحتها المناسبة بحوالي ٥٠٠ ميل مربع ، وسكانها بنحو نصف مليون نسمة . وقد ثبت لهم أن عمق ١٦٧ قدما هو العمق الانموذجي للبلدة الانموذجية ، فهو الذي يضمن أقصى حماية ممكنة من شر الزلازل



الاتحـــاد الدولي لتنظيم الأسرة



استطلاع : محمود عبدالوهاب

تصـوير : فهـد الكــوح



● مقر الاتحاد الدولي بتوس



● منازل للبسطاء تبنيها الحكومة في تونس ضمن مشروعات التنمية الريفية للناس الذين ترهقهم ظروفهم الاقتصادية فلا يستطيعون أن يقتنوا مسكنا !

إن تعبير « تنظيم الأسرة » ليس شديد الجاذبية ، فقد صار يلح علينا من خلال كثير من وسائل الإعلام والملصقات . والخوض فيه يمكن تشبيهه بمس يسير في حقل ألغام . فما أكثر الذين يقولون إن هذه الفكرة فكرة يروج لها أعداؤ نا ، ومازال بعض يقول إنها حرام ، ولأن العقل قبل النقل ، وأن وطننا العربي يزيد عدد سكانه بمعدل يفوق زيادة إنتاجه للغذاء ، ولاننا في عام واحد استوردنا غذاء فقط قيمته ٤٥ مليار دولار ، ولأننا ببساطة مهددون بأن لانجد ما نأكله لو استمرت معدلات الانجاب والانتاج على ماهي عليه ، لهذا كانت رحلة « العربي » الى تونس وسوريا لترصد تجربتين عربيتين ، تحاولان ان توقفا خطر الانفجار السكاني ، قبل أن يفوت الأوان ! .

في الوقت الذي تقرأ فيه الأسطر السابقة ـ عريزى القارىء ـ يأتي إلى الدنيا مولود حديد ، وقبل أن تصل إلى نهاية هده الصفحة سيحل على هذه الأرض ثلاثة مواليد حدد على الأقل ، وفي وطننا العربي يتوقع الخبراء أن يقفر عدد السكان من قرابة ١٨٠ مليون نسمة الآن إلى مايربو على مئتين وسبعين مليوناً في عام ٢٠٠٠ ، أي بعد أحد عشر عاماً فقط

ولأن الأعوام الماضية شهدت نشاطاً إعلامياً مكثفاً ، يدعو إلى ضبط النسل ، وارتفعت شعارات كثيرة مختلفة على امتداد وطننا العربي تحبد وتدعو وتنبه ، لذلك كان الإغراء شديداً لكي نحاول أن نعرف ونجد احابات عن تساؤلات كثيرة حول هذا الاتجاه . وحول هده الدعوة ، وكان الاختيار بين قطرين عربيين كلاهما له خصوصيته وتمايزه وظروفه الخاصة المختلفة إلى تونس الخضراء كانت وجهتنا ، ومحطتنا الأولى

صورة من قريب

تتميز تونس وسط الأقطار العربية بتجربتها المميزة في مجال الرعاية الاجتماعية والأمومة وحفظ حقوق المرأة ، وهي تجربة تثير أكثر من وجهة نظر حولها ، إلا أن المهم أنها ساهمت في ايجاد مناخ اجتماعي عام ، غير معاد لأفكار التنمية والتطوير ، وتغيير العادات والمفاهيم

في مقر الجمعية التونسية لتنظيم الأسرة التي تأسست منذ عشرين عاماً (في ابريل ١٩٦٨) ، كان لقاؤنا بالمنصف سلامة ، رئيس اقليم الوطن العربي في الإتحاد الدولي لتنظيم الأسرة ، وأحد مؤسسي الجمعية التونسية للتنظيم العائلي ، يقول د منصف سلامة

« كانت بداية اشتغالي بالحياة العامة من خلال عملي السياسي أثناء الدراسة الثانوية والجامعية ، وكان ذلك أثناء الاحتلال الفرنسي لتونس ، وبعد الاستقلال كانت قناعتي ان العمل العام من الممكن أن يؤتي بثمار متميزة من خلال الأنشطة الإجتماعية ، واعترافا بالفضل كان هناك تيار داخل أوساط المشتغلين بالعمل الإجتماعي ، لم أكن أنا رائده ، ولكنه تيار كان يتساءل عن الكيفية التي نرفع بها مستوى دخل المواطن التونسي ومعيشته ؟ خاصة أننا بلد صغير المساحة ، محدود الإمكانيات ، وبدأنا في هذا الوقت ـ أوائل الستينيات ـ حملة اجتماعية تنادي بضرورة الموازنة بين الموارد وعدد الأطفال ، وهذه الموازنة كما تصورناها موازنة للأسرة وللدولة ، أي يجب أن تعرف الأسرة والدولة حجم مواردهما المتوقعة ، وعدد سكانها الأفضل ، لكي يستمتعا بهذه الموارد وبدأنا نشاطا تطوعيا ، لأننا اكتشفنا أن كثيرا من الأسر لديها الرغبة ، لكنهم لايعرفون الوسيلة . ومن خلال هذه البدايات ولدت الجمعية التونسية للتنظيم العائلي » .



● د. الهادي مهني
مدير عام الديوان القومي للسكان بتونس

الحياة تدفع الى الموت

توقعات الاقتصاديين تقول إنه بحلول مطلع القرن الجديد ، أي بعد أحد عشر عاماً فقط ، سوف يتسع حزام الفقر والجوع في افريقيا وآسيا ، ويمتد ليشمل بلداناً كثيرة وسيقترب عدد السكان الواقعين في نطاق هذا الحزام من ملياري نسمة ، وسيصبح الصراع داخل هذه المنطقة الأكثر فقرا في العالم أشد ضراوة ومرارة ، ولن يكون صراعا على رغيف الخبز ، بل سيصبح صراعا على الطين والعشب ، وهو صراع حتى الموت

وعلى الرغم من أن هذه التوقعات كانت في بداية الثمانينيات ، إلا أن نهاية العقد حملت مؤشرات زادت من المخاوف ، فقد شهدت مناطق كثيرة من العالم الثالث موجات جفاف ، وأصبح الجفاف يهدد بلدانا كان المفترض أنها خارج حزام الفقر والجوع وفي الوقت نفسه لم يتحسن مستوى انتاج الغذاء ، ومازال معدل النمو سواء في الناتج القومي أو في انتاج الغذاء أقل من معدلات زيادة السكان ومع الوقت بدأ يتضح حجم الهوة بين عدد السكان وقدرة العالم النامي على انتاج مايكفي من طعام

مشكلة قديمة دائمة

إدراك خطر الإنفجار السكاني ليس وليد اليوم ، لكنه مشكلة أدركها المجتمع الدولي منذ سنوات عديدة ، منذ أن أطلق القسيس الانجليزي ت روبرت مالتس (١٧٦٦ ـ ١٨٣٤) مقولته الذائعة الصيت « أن عدد السكان في العالم يزيد بمعدل أكثر من معدل الزيادة في المواد الغذائية » ، ثم ظهرت بعد ذلك نظرية « كانان » التي تقول « إن الزيادة والنقصان » كلاهما يمثل خطرا وأن الحل يكمن في أن هناك حجما أمثل للسكان ، يتحدد وفق العلاقة بين العدد من جهة وموارد الثورة من جهة أخرى

منذ ذلك الوقت والعالم يولي قضية السكان اهتماما شديداً ، وكانت الحروب والأوبئة وسيلة غير ارادية لتخفيض عدد سكان العالم بين حين وآخر ، ومع التقدم العلمي وارتفاع المستوى الصحي وازدياد الوعي قلت نسب الوفيات ، وتباعدت أزمنة الاوبئة ، ومع جهود العالم الحثيثة لضبط النسل ومنع الحروب الكبرى ، فإن الحروب الاقليمية الصغيرة لم تكن كفيلة بحل مشكلة الزيادة المستمرة في عدد السكان بمعدلات عالية وفي أواخر الاربعينيات بدأت تظهر في العالم الجمعيات الاجتماعية التي تهدف الى زيادة وعي الناس بخطورة الاستمرار في الانجاب دون مراعاة للظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وأقامت هذه الجمعيات نوعا من الاتصال فيما بينها لتبادل الخبرات ، وبدأت تعقد الاجتماعات لمناقشة كيفية العمل وكيف تكثف نشاطها ، وتتغلب على الصعوبات التي تواجهها،وفي مؤتمرها الثالث الذي عقد في مدينة بومبي بالهند عام ١٩٥٢ أعلن عن تأسيس الاتحاد الدولي للوالدية الذي تغير اسمه بعد ذلك الى الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة



● (الصورة العليا) تعليم الحياكة ضمن انشطة الجمعية السورية بالتعاون مع الاتحاد النسائي و (الصورة السفلى) وحدة أبحاث علاج العقم . في مركز تنظيم الأسرة بتونس وحدة حي أريانا . (وإلى اليسار) مندوبات التوعية في زيارة منزلية لأسرة تونسية





متطوعون لانقاذ العالم

ويعد الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة أكبر منظمة تطوعية دولية ، في مجال تنظيم الأسرة، فقد تأسس ومازال يعمل بالجهود التطوعية ، وقد كان تأسيسه من قبل القادة المتطوعين للجمعيات الوطنية لتنظيم الأسرة ، ويضم الاتحاد حاليا ١٠٤ جمعيات وطنية موزعة على خريطة العالم

وميزانية الاتحاد من منح ومساعدات تقدمها ثلاثون حكومة من حكومات الدول المتقدمة والنامية ، ليست الولايات المتحدة منها ، فقد توقفت عن سداد الجزء الخاص بها في تمويل الاتحاد عام ١٩٨٥ وتبلغ ميزانية الاتحاد حوالي ٦٠ مليون دولار ، وللاتحاد عدد من المكاتب الاقليمية ، لكل إقليم جغرافي مكتب يتابع نشاط الجمعيات الوطنية فيه ، وينسق العمل مع بقية الجمعيات ، ويتخذ اقليم الشرق الاوسط وشمال افريقيا من تونس مقرا له منذ عام ١٩٧٣

لأن الحياة أصبحت صعبة

لان تونس ـ كما قلنا ـ ذات تجربة متميزة في مجال العمل الاجتماعي ، فانها سبقت غيرها من أقطار الوطن العربي في إقامة المؤسسات التي تتولى الإشراف على تنفيذ السياسات الاجتماعية التي تتبناها، ويعد الديوان القومي للأسرة والعمران البشري بمثابة جهاز تخطيط ومتابعة عالي المستوى ، يتابع ويشارك في كل الأنشطة الموجودة بالدولة من أجل ضمان تنفيذ سياسات العمران والسكان

يقول د . الهادي مهنى مدير عام الديوان : تبلور الديوان القومي للأسرة والعمران في مارس ١٩٧٣ كتطوير للادارة التي وجدت قبل ذلك منذ عام ١٩٦٤ لتطبيق سياسات التنظيم العائلي بعدما كانت تونس قد تنبهت الى خطورة الوضع الديمغرافي منذ عام ١٩٦٢ . والديوان بجانب القيام بالدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية يقوم بعرض الاجراءات المطلوب اتباعها في مجال السكان ، على الجهات التشريعية والتنفيذية وفي الوقت نفسه يقوم الديوان بإعداد برامج عمل للنهوض بالاسرة ، ومتابعة عمل الجمعيات والهيئات التي تمارس نشاطا يتعلق بالوضع الديغرافي ، والاسهام في وضع خطط الدولة التقوية والتعليمية والاعلامية ، لكي تكتمل جوانب الصورة التي ينبغي نقلها الى المواطن خاصة فيما يتعلق بالسياسة السكانية ويستطرد الدكتور الهادى مهنى قائلا . يقدم ابحاثه ودراساته للمسؤولين عن وضع الخطط التنموية ، ويشارك في النشاط الاعلامي ، وله وجهة نظر فيما يبث اذاعيا وتلفازيا ويشارك في وضع المنهج الدراسي للمدارس وتصنيف الكتب بحيث يصبح الأداء في المجتمع كله واحدا متوافقاً مع استراتيجية الدولة

ولكي اوضح الامر دعى أقول إن الحياة أصبحت اليوم صعبة بالنسبة للمواطن التونسي ، ومهما كانت خطط التنمية موفقة في نتائجها فإن معدل الزيادة ٢,٥٪ سنويا سيبتلع كل عائد التنمية ، ووفق الاحصاءات المتاحة لدينا، وبافتراض أفضل النتائج المثالية لخطط التنمية ، فإن معدل الزيادة السكانية لو استمر على ماهو عليه فإنه بعد عشرين عاما سيكون هناك مليون تونسي عاطلين عن العمل ، ولو استمر معدل الزيادة السكانية كما هو عليه فإنه يتوجب على الحكومة بعد ٢٨ سنة فقط أن تضاعف كل مافي تونس من إمكانيات وموارد للحفاظ على مستوى المعيشة على وضعه الحالي ، وهو فرض وجهد مستحيل ، ولذلك ولإدراكنا المبكر لهذه الأزمة ، وصعوبة الحياة كان خيارنا في تونس أنه لابديل لتنظيم الأسرة

تنظيم ورعاية وليس تحديدا

ويوضح الاتحاد الدولى لتنظيم الأسرة مفهومه لتنظيم الاسرة الذي تلتزم به كل الجمعيات الوطنية العاملة في هذا الميدان ان التنظيم لايعني التحديد ، لكنه تنظيم بمعنى أنه عامل مساعد لعمليات التنمية ، فبينما تتبنى الجمعيات الوطنية لتنظيم الأسرة سياسة الحد من زيادة السكان في بلد كمصر أو سوريا ، فإنها تحث على زيادة عدد السكان في قطر كالعراق ، ومن هنا فإن الاتحاد يتبنى سياسة الحجم الأمثل من السكان .



● د مصطفى سلامة
مدير المكتب الاقليمي لاتحاد تنظيم الأسرة

وكما يقول د التيجاني شاش المدير التنفيذي بإقليم الوطن العربي في الاتحاد الدولي فإن الاتحاد يهدف الى تجميل الحياة ، وجعلها ممكنة يسيرة ولذلك فإن نشاطات الاتحاد لا تقتصر على خدمات ضبط المواليد ، لكنها تقدم الرعاية الصحية اللازمة للحفاظ على الصحة العامة ، فتقدم عيادات الجمعيات الوطنية لتنظيم الأسرة خدمات الكشف المبكر لأمراض مثل (سرطان عنق الرحم ، وسرطان الثدي) لدى النساء ، وتقدم خدمات علاج العقم للجنسين ، ويخطط الاتحاد لانشاء وحدات في بعض الأقطار لإنشاء مراكز طفل الأنابيب ، وهذه الأنشطة لايمكن تصنيفها الا في اطار فهم الإتحاد لقضية تنظيم السكان ، وهو مفهوم يعتمد ـ كما أوضحت ـ على أهمية العنصر البشري في عملية التنمية ، ولذلك فإن

● منطوعون لكي تصبح حياتنا ممكنة

برامج الاتحاد من خلال الجمعيات والعيادات تحث النساء على المباعدة بين الولادات ، وتحث النساء على اتباع نظام الرضاعة الطبيعية ، لضمان صحة أفضل للمولود ، وصحة أفضل للأم . وتوفر قدر من الرعاية الكاملة الصحية والنفسية للأطفال

لأن النساء قوة إنتاج داخل المجتمع فإن تنظيم الولادة ، والمباعدة بين الولادات يحفظ للنساء طاقاتهن من الاستنزاف مبكرا ، ويحفظ للمجتمع جزءا من قوته العاملة

العقل قبل النقل

مازالت ـ للأسف ـ داخل الثقافة اليومية العربية اتجاهات ترى أن تنظيم الأسرة فكرة استعمارية ، يروجها أعداء وطننا العربي ، وللأسف فإن هذا التيار يتصور ان « الصهاينة » يروجون هذه الفكرة ليتمكنوا من القضاء على العرب والمسلمين ، ومنطق هذا التيار لايصمد أمام التطور العلمي ولغة العصر ، وإن كان هذا المنطق صحيحا وقت ان كانت حسابات القوة تتم وفق العدد البشري ، ووقت ان كانت الجيوش تلتقي محارب لمحارب ، لكن في عصر التقنية ، عندما أصبحت الطائرة والقذيفة والاليكترون والدبابة تدار بأزرار دون حاجة ملحة لوفرة عنصر بشري ، فإن مقياس القوة ومعيارها اختلف ، ولم يعد مايراه أصحاب هذا التيار يخضع لمنطق

التيار الثاني داخل الثقافة اليومية العربية اتجاه يرى أن تنظيم الاسرة حرام ، وان التدخل في تحديد عدد الاطفال وفقا لموارد الأسرة وقدرتها على حسن رعاية أبنائها وتربيتهم أمر غير مقبول دينيا

ولان القضية شائكة ، تفتح باب القيل والقال ، فإن الإحالة على مايقوله من يشهد لهم بالعلم والتقى وحسن السيرة ، ينهي جدالا من الممكن ألا ينتهي ، ويقدم منطقا أكثر قربا للعقل والفهم

يقول الدكتور الشيخ أحمد الشرباصي في ورقة علمية له عن الاسلام وتنظيم الأسرة قدمها في مؤتمر تنظيم الأسرة الذي عقد بالرباط عام ١٩٧٢ « إن



● الكشف الصحي العام خطوة أولية
لاحتيار الوسيلة المناسبة لتنظيم الأسرة

الحكم الشرعي الإسلامي في موضوع تنظيم الأسرة من ناحية قلة الذرية أو كثرتها ينهض على الاستنباط والاجتهاد أكثر مما ينهض على إيراد النصوص ، وهي خاضعة للاجتهاد الذي ينبغي أن يكون مراعيا لظروف المسلمين ، فالشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور ومن الرحمة الى ضدها ومن المصلحة الى المفسدة ومس الحكمة الى العبث فليست من الشريعة في شيء ، وان أدخلت فيها بالتأويل » .

ويقول الدكتور الشرباصي في مبحثه « وعلى الرغم من أن المجتمع الاسلامي لم يعرف مشكلات زيادة عدد السكان ، الا أن حث الرسول عليه الصلاة والسلام على اتمام الرضاعة الطبيعية وعدم الحمل أثناء الرضاعة أمر فيه قدر من المحافظة على صحة المرأة وصحة الأبناء ، فقد روى ابو داود عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله قال . «لا تقتلوا أولادكم سرا ، فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره » والغيل هو ان يعاشر الرجل زوجته معاشرة جنسية وهي ترضع ولدا لها بحيث تحمل وهي مازالت ترضعه »

أما الاستاذ الدكتور سيد طنطاوي مفتي الديار المصرية فيقول صراحة في حديث مسجل منشور له في احدى الدوريات العربية . مسألة تنظيم النسل مسألة يقرها الدين ، بل ويدعو اليها اذا كانت هناك ضرورة تدعو الى ذلك ، وقد تكون هذه الضرورة صحية او اجتماعية أو اقتصادية ، وهذا موقف لايتعارض اطلاقا مع الايمان بالقضاء والقدر ، ولا مع التسليم بأن الله وحده هو الرازق ، وانما هو مباشرة للأسباب السليمة للحياة الفاضلة ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتعسف البعض في تفسيره ليوافق هواهم « تناكحوا ، تناسلوا ، تكاثروا ، فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة » حديث يدعو الى العفاف ، وحض الشباب على الزواج وحسن رعاية الأبناء وتنشئتهم ، والا فأي مباهاة يتباهى بها الرسول بأمة وأفرادها يأخذون حاجاتهم الضرورية من غيرهم ؟! وأي مباهاة لأمة تستورد



● كل المترددات يخضعن لاستفسار الباحثة الاجتماعية للاستفادة من بيانات الدخل وعدد الأولاد ، ومستوى المعيشة عند اجراء عمليات المتابعة

رغيف الخبز ؟! وأي مباهاة بأمة ضعيفة وهو نفسه عليه أفضل الصلاة والسلام القائل « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ؟!

نجاحات مشرقة

بعيدا عن العاصمة حيث تتركز الخدمات تابعنا أنشطة الجمعية التونسية للتنظيم العائلي ، وفي طريقنا الى مدينة سوسة توقفنا في معتمدية « سيدي بو علي » فحدثنا معتمد المعتمدية محسن بلخيريه فقال « معتمدية سيدي بو علي تبلغ مساحتها ٢٥ الف هكتار ويسكنها ١٢ ألف نسمة ، والمعتمدية مقسمة الى سبع مناطق كل منطقة بها مدرسة ابتدائية ، وفي وسط المعتمدية معهد ثانوي ، والنشاط الاقتصادي الرئيسي يعتمد على النشاط الزراعي لاسيما الأشجار المثمرة »

حدثنا معتمد المعتمدية عن نشاط الجمعية التونسية لتنظيم الأسرة الذي يتوافق مع أنشطة التنمية داخل تونس كلها فقال مستطردا : « نظرا لان المستوى الثقافي لغالبية السكان دون المتوسط ، فإن النشاط التثقيفي أمر بالغ الاهمية ، فقد قمنا بتجربة للتوعية والعناية بالطفل ، وهي متابعة تبدأ منذ الحمل حتى دخول الطفل المدرسة الابتدائية ، وكانت نتيجة هذه التجربة انخفاض نسبة وفيات الأطفال بمعدل واضح ، ولأن عمل الجمعية مرتبط بأجهزة وزارة الصحة والديوان العائلي لتنظيم الأسرة وخطط التنمية ، فإن الجمعية تمارس نشاطها من خلال متطوعين يتم تنسيق عملهم مع هذه الجهات الحكومية ، فإن المتطوعات بعد أن يتلقين التوجيهات والإعداد المناسب من خلال الجمعية يقمن بتوظيف جهدهن وفق النشاط المطلوب »

وفي مقر جمعية تنظيم الأسرة بسوسة قال لنا الدكتور المنصف بن ابراهيم ، طبيب المركز الطبي التابع للجمعية : لان سوسة مدينة ساحلية ومنطقة اصطياف فإن المدينة بها أحياء شعبية ، سكانها من محدودي الدخل والعمال وصغار الموظفين ، وفي وسط هذه الأحياء اخترنا موقع العيادة ، وهي عيادة تقدم وسائل منع الحمل ، وتشرح كيفية استخدامها ، وهي خدمة مجانية لكن ليس هذا هو النشاط الوحيد ، فالجمعية تقوم بعمل متابعة دقيقة

كاملة للنساء قبل الحمل وأثنائه وبعد الحمل ، وهي متابعة تستند الى التوعية والتثقيف ، وفي الوقت نفسه تتبنى الجمعية اسلوب الحملات فقامت بالمشاركة في اسبوع التلقيح كنوع من حث النساء على العناية بصحتهن العامة ، كما تشارك الجمعية في بعض مشروعات التنمية المندمجة ، مثل (تربية الدواجن أو تعليم الحياكة الخ) كما تشارك الجمعية من خلال الاتحاد النسائي ، ومنظمة الفتيات وتجمعات الشباب في بث الوعي واثارة الاهتمام بتقنية زيادة عدد السكان ، وقد كان من نتائج ذلك انخفاض عدد معدل المواليد خلال العشر سنوات الماضية في محافظة سوسة ، وكان من جراء اتباع سياسات التباعد بين الولادات والرضاعة الطبيعية ، والعناية بالنسوة ، أن وفر هذا فرصة أفضل للأبناء فبلغت نسبة التعليم بالسبة للأطفال في محافظة سوسة ١٠٠٪ للأطفال الواقعين في سن التعليم

ويضيف الدكتور المنصف بن ابراهيم الذي يترك عيادته الخاصة صباحا ليتفرغ للعمل كمتطوع في الجمعية الواقع أن صعوبة الحياة قد دفعت كثيرا من الناس للإقدام على اتباع سياسات تنظيم الأسرة لذلك فاننا نجد ان ٥٢٪ من النساء المتزوجات وفي سن الانجاب يستعملن طريقة من طرق التنظيم

وهذا بالتأكيد ناتج عن اهتمام بالمشكلة السكانية على مستوى تونس كلها ، فعلى امتداد تونس توجد ١٢٠٠ نقطة توعية وتقديم خدمات ، موزع عليها ١٢٠ مثقفة يتولين إعداد الكوادر وتربيتهن وتوجيههن ليتحرك وسط النساء ، ويتولين مهمة التوعية والتثقيف

رحلة الألف ميل

من تونس الى دمشق من البلد المقر للاتحاد ، والجمعية الأقدم الى جمعية اخرى من جمعيات تنظيم الأسرة في الوطن العربي ، الى سوريا التي كانت المحطة الثانية ، سوريا شأنها شأن كل الوطن العربي تشهد ازديادا في معدل السكان بشكل كبير ، وتكفي للمقارنة أن يعرف أن سكان سوريا في عام ١٩٤٥ كانوا ٣ ملايين نسمة فقط ، وفي عام ١٩٦٩ اصبح عدد السكان ستة ملايين نسمة ، وفي عام ١٩٨٩ سيصبح عددهم ١٢ مليون نسمة وقد تأسست جمعية تنظيم الأسرة السورية عام ١٩٧٤ وهي كبقية الجمعيات تعتمد أساسا على النشاط التطوعي

وتطور الخدمات التي تقدمها جمعية تنظيم الأسرة يتضح من خلال زيادة عدد المترددات،فبعد أن بدأت الجمعية نشاطها كان عدد الزائرات الجدد لها ٩٧٣ زائرة عام ١٩٧٦ ، وقفز ذلك العدد الى ٢٠ الف زائرة في عام ١٩٨٦ ، وزيادة العدد في الساعيات بأنفسهن الى مقار الجمعية للاستفادة من حدماتها لايعود فقط الى تعدد نقاط تقديم الخدمات ، لكن يعود ايضا للقبول الطوعي والاحساس بأهمية تنظيم الأسرة،فمما لاشك فيه ان الظروف الاقتصادية للأسر العربية قد باتت تدفع أفرادها الى الايمان بتنظيم الأسرة والاكتفاء بعدد مناسب من الأبناء [illegible]مان حياة أفضل لهم

عن نشاط الجمعية حدثنا د أسعد اسطواني نائب رئيس الجمعية فقال تركز الجمعية السورية جزءا كبيرا من نشاطها في التوعية والمحاضرات لجماهير النساء وفي التجمعات والقرى والمصانع ، ومؤخرا امتد نشاطنا الى الجامعات وقد بدأنا بجامعة دمشق ، ثم جامعة اللاذقية ، وأخيرا جامعة حلب كما تتم التوعية من خلال التعاون مع المنظمات الحزبية والطلابية وأوساط الشباب

وتنتشر عيادات الخدمة الطبية التي تقدمها الجمعية من خلال عشر عيادات موزعة على بعض مدن القطر ، فيوجد ثلاث منها في حلب ، واثنتان في اللاذقية ودمشق ، وواحدة في كل من الحسكة ودير الزور وطرطوس ، وتقيم الجمعية كل فترة اسبوعا لتنظيم الأسرة ، تنتقي له مدينة من مدن القطر ، وتحدث تظاهرة لإثارة الاهتمام بهذه القضية ، والعيادات تقدم خدماتها مجانية للمتزوجين فقط ، ويلزم أن تقدم كل مراجعة بطاقة العائلة للاستفادة من الخدمات التي تقدمها العيادة .

واستئناسا بالدعم الذي تحصل عليه الجمعية السورية لتنظيم الأسرة من الدولة المتمثل في موافقة



● أحمد عبدالناطر
المندوب الجهوي لتنظيم الاسرة

الحكومة على نشاط الجمعية داخل التجمعات العمالية ، واحتساب ساعات حضور دورات التوعية ساعات عمل مدفوعة الأجر ، فإن الجمعية تخطط لبدء مشروع جديد ، يمثل نقلة نوعية بالنسبة لها ، وهو مشروع تنمية الاسرة الريفية ، وكانت الجمعية قد بدأت مشروعا مشابها في بعض القرى خلال الأعوام الماضية ، ولكن عند تقييم آثار المشروع وجمع آراء الأهالي المستفيدين منه كانت الملاحظة أن مدة المشروع غير كافية ، وتتلخص فكرة المشروع في تقديم نشاط اعلامي وتربوي وتثقيفي ومحو أمية وخدمات طبية في قرية محددة فترة محددة ، والجديد أن الجمعية ستمارس هذا النشاط في عشر قرى متقاربة مدة عام كامل ، ثم ستنتقل بعد ذلك الى عشر قرى اخرى ، بحيث تتمكن الجمعية في نهاية الخطة الخمسية لها أن تغطي معظم قرى القطر السوري

للبسطاء نعمل

وعيادات الجمعية السورية تنتقي الأحياء الأكثر شعبية ، لانها أكثر اكتظاظا بالسكان ، وأكثر حاجة للخدمات الطبية المجانية وعلى الرغم من ان الدولة تهيء رعاية طبية شاملة من خلال مراكز رعاية الطفولة والامومة في عموم القطر ، فإن التردد على عيادات تنظيم الأسرة يشهد إقبالا ملحوظا ، فالجمعية تقدم الاستشارة والتوعية والمتابعة حتى مابعد الولادة كما تقوم الجمعية من خلال الاتحاد النسائي بمد خدماتها للمترددين على الاتحاد القاطنين بالمنطقة نفسها ، والاستفادة من أنشطة الاتحاد المختلفة لزيادة الوعي بأهمية المشكلة وضرورة السيطرة عليها

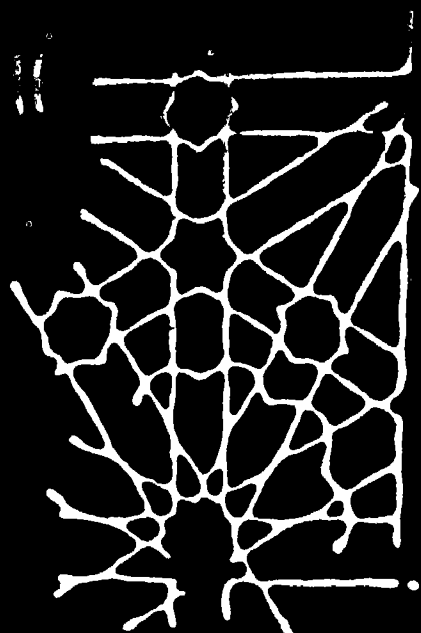
استعرناها من أبنائنا

أوطاننا استعرناها من آبائنا ، ونحرص على ان نسلمها لأبنائنا عزيزة حرة فلماذا لا نحرص على أن نسلمها لهم غير مكبلة بالقيود ، وغير مكبلة بعدد من السكان ، يلتهم كل ماتنتج ، ويحتاج المزيد ؟ ولماذا نضيق حياتنا ونحن يمكننا أن نجعلها أيسر ، حتى تصبح أحلامنا فيها ممكنة ؟ فإن مانريده لأبنائنا متاحا ولماذا لا ندرك أن طفلا جديدا هو خصم من فرص يمكن أن تتاح لطفل موجود فعلا ، وأن معيار القوة ليس بعدد الأفراد ولكن بمجتمع صحي ، قادر على ان يشبع نفسه ، ويحقق رفاهية ، ويمتلك أسباب المتعة ؟ لهذه التساؤلات يعمل فريق من المتطوعين منتشرين على خريطة العالم ، وعلى خريطة وطننا العربي يحلمون بالنيابة عنا ، ويعملون بالنيابة عنا نحن جميعا غارقون في مشكلات كثيرة ، غير مدركين حجم هذا الخطر ، وحجم هذه الفجوة التي تتسع بين السكان والغذاء في وطننا العربي □

الآثار الإسلامية في شمال إسبانيا

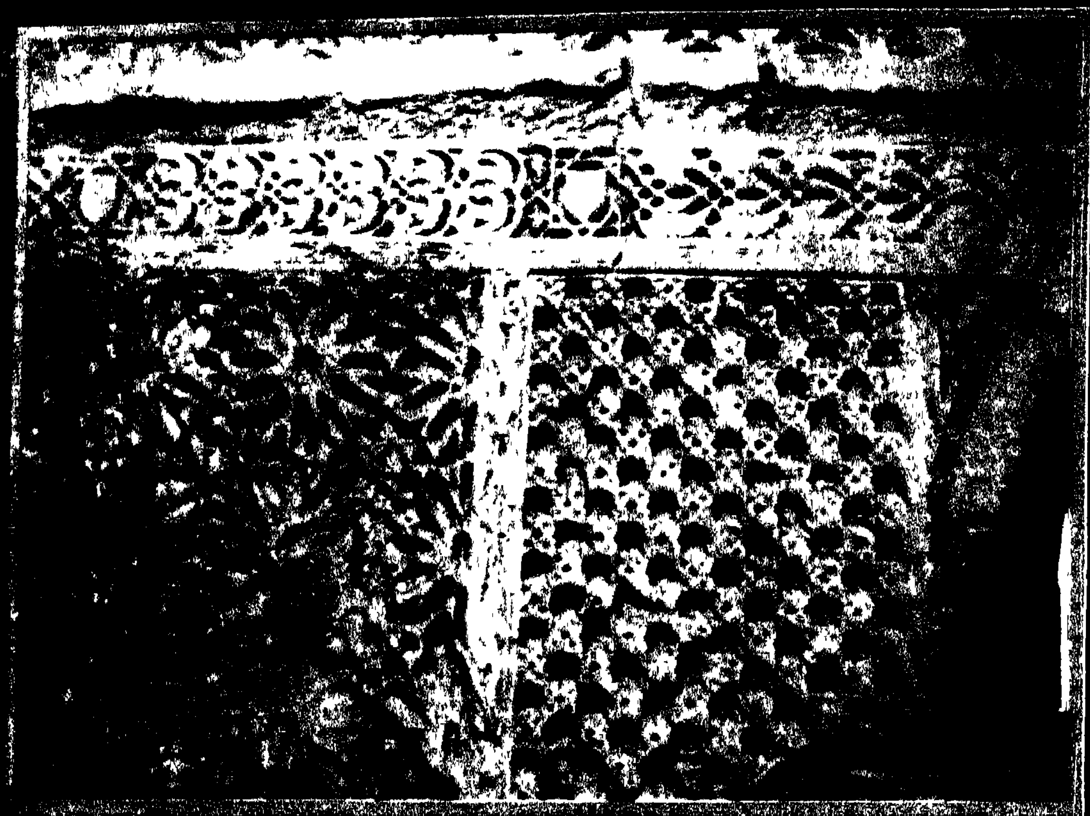
بقلم : الدكتورة
ماريا ميلاجروس *



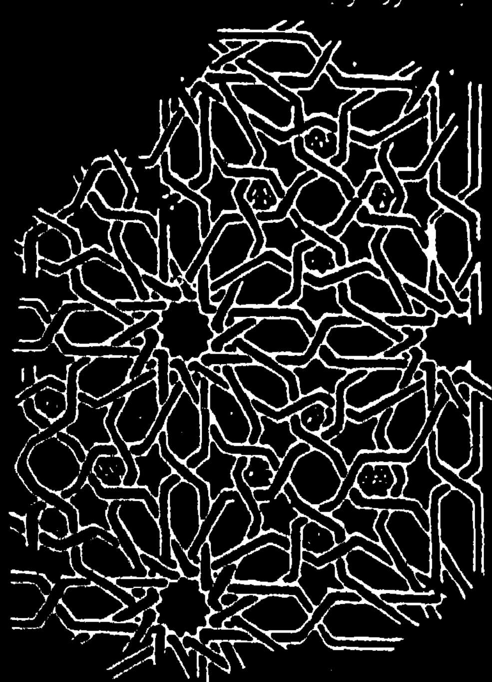


في عام ١١١٩ وقعت مدينة تطيلة تحت يدي الملك الفونس الأول ، ملك أراغون ، بعد سقوط مدينة سرقسطة بعام واحد ، وقد انتهز الملك النصراني فرصة الخلافات الواقعة بين ملك طائفة سرقسطة والغزاة المرابطين ليستولي على تلك الأراضي الغنية . فما النتائج التي ترتبت على ذلك ؟

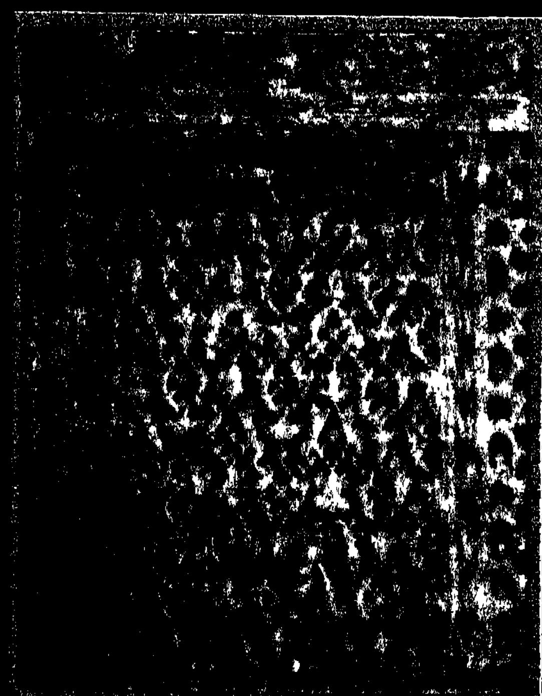
* معهد الألسن ـ قسم اللغة العربية ـ مدريد ـ أسبانيا



تشكيل عقدة بثمانية أطراف مع عقدة بأربعة للاتصال . شبكة مكرّرة مركّبة .



تشكيل عقدة باثني عشر طرفا مع ثماني نجوم حولها . مصدرها اشبيلية وغرناطة .



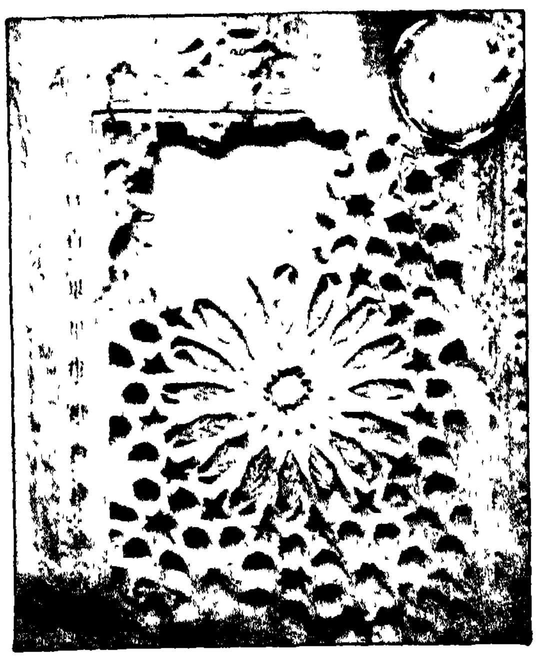
تشكيل زخارف نباتية على شبكة مربعة وزخارف نباتية مدورة على شكل ورق مسلسل

من المعروف أن هاتين المدينتين اللتين تبعدان عن بعضهما ٦٥ كم فقطكانتا مهمتين جدا بالنسبة للأندلس الشمالية أسست تطيلة في القرن الثامن الميلادي بعد الفتح الاسلامي مباشرة ، وكانت فترتها في أعظم أيام دولة بني قاسي في القرن التاسع أما سرقسطة ، وتأسيسها روماني ، فكانت مدة ازدهارها أثناء القرن الحادي عشر ، في فترة ملوك الطوائف وهي مدة انتهت لسوء الحظ بغزوة المرابطين .

وقد بقي قليل من الآثار الاسلامية المنسوبة إلى هذه الفترة في مدينة تطيلة ، لكنها لا تحصى في سرقسطة وفيها قصر الجعفرية ، تلك الجوهرة المعمارية

هجرة جماعية

فرض الموقف الجديد بعض التغيرات على الحالة الكبيرة من المسلمين الذين كانوا يسكنون على تلك الأراضي ، فبعضهم ـ وربما الصفوة منهم ـ هاجر إلى الجنوب ، بحثا عن الحماية في اشبيلية أو في أي مدينة أخرى من المدن الجنوبية رحلت معهم أسرة



تشكيل عقدة بستة عشر طرفا وثمانية أطراف موجودة في قصر الحمراء في غرناطة وفي « المدخل » الطليطلي

شاعرنا العظيم أبي جعفر أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة ، الملقب بالأعمى التطيلي الذي كان مازال طفلا صغيرا في تلك الأيام بلا شك وفيما بعد أوحى لهذا الشاعر ألم الانفصال عن مسقط رأسه بتلك القصيدة التي مطلعها

يا نازح الدار سل حالك
ينبيك أن صرت كالخال

وبكل تأكيد ـ كما يقول محقق « توشيع التوشيح » ، وهو البير مطلق ـ لو لم يسجل الصفدي موشحة الأعمى التطيلي هذه ، لضاعت منا إلى أبد الآبدين

مكث معظم السكان المسلمين في مكانهم عند وادي الابرو ، ملتجئين إلى الامتيازات التي منحها لهم الملك الفونس الأول ولو لم يكونوا هم الذين يزرعون بساتين وادي الابرو الخصبة فمن كان سيحل محلهم ؟

على أي حال ، أراد الملك تشجيع استمرار الفلاحين الذين كانوا يدفعون الضرائب نفسها كما كان في الفترة السابقة بالضبط وهي العشر وكذلك كانوا يحتفظون بمساجدهم وقضاتهم وقوانينهم الخاصة

أما السكان الذين كانو يمارسون حرفا ، وخاصة في الفن المعماري ، فقد كانوا يلبون طلبات سادتهم الجدد ، لكنهم احتفظوا على مر السنين والقرون بالوفاء للفنون والأساليب الفنية الموروثة عن اسلافهم وهكذا ظهر الفن « المدجن » الاسباني ، وهو أسلوب فني ، احتفظ بمعظم العناصر العربية ، وتطور في الأراضي النصرانية

قصر نفارّه

في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر بني قصر ملوك نفارّة في مدينة أليتي على بعد ٥٠ كم من تطيلة ، بطلب من الملك النفارّي كارلوس الثالث « النبيل » . وفي هذا العمل اشترك بنشاط الفنّانون المسلمون الذين كانوا يعيشون في تطيلة وسرقسطة أو الذين جاءوا من بلنسية



زخرفة بتشكيلات عربية تقليدية

وقد صنع هؤلاء الفنانون جميع بطائن السقوف التي كانت تغطي حجر القصر كما تذكر لنا المخطوطات ، وكان رئيس العمال في ذلك الحين سلامة السرقسطي ، ثم لوبي بربكانو الذي كان له معمله في تطيلة ثم نقله فيما بعد إلى أليتي ومن جهة أخرى ، عيّنت الملكة ليونور العامل يوسف لتغطية سقف حجرتها البلنسيون وقد جاء محمد ، وأمير وعصمت الباني أيضا ليصنعوا آلافا من القيشاني للمصلى الملكي

وفي عام ١٤١٣م انتقل المسلمان لوبي شيديت وابراهيم أبوتاي من تطيلة الى أليتي ، لبناء فرن لصناعة القيشاني للقصر . وفي عام ١٤٠٥ عيّنت الملكة ليونور المسلم التطيلي عز ليصنع حصائر أسل للبلاط وقد كلف التطيلي لوبي المرابط باحضار شجر الاترج من سرقسطة لحديقة الملك وقد أدخل أيضا بعض المزروعات الجديدة مثل الزعفران

كما بني جبّا وقنوات من الرصاص لتوزيع المياه موجودة حتى الآن ، وكذلك ساقية لرفع المياه من النهر إلى الجب ثم صنع العامل عوض الله بعض القنوات من الفخّار لري حديقة الملك في عام ١٤١٠ .

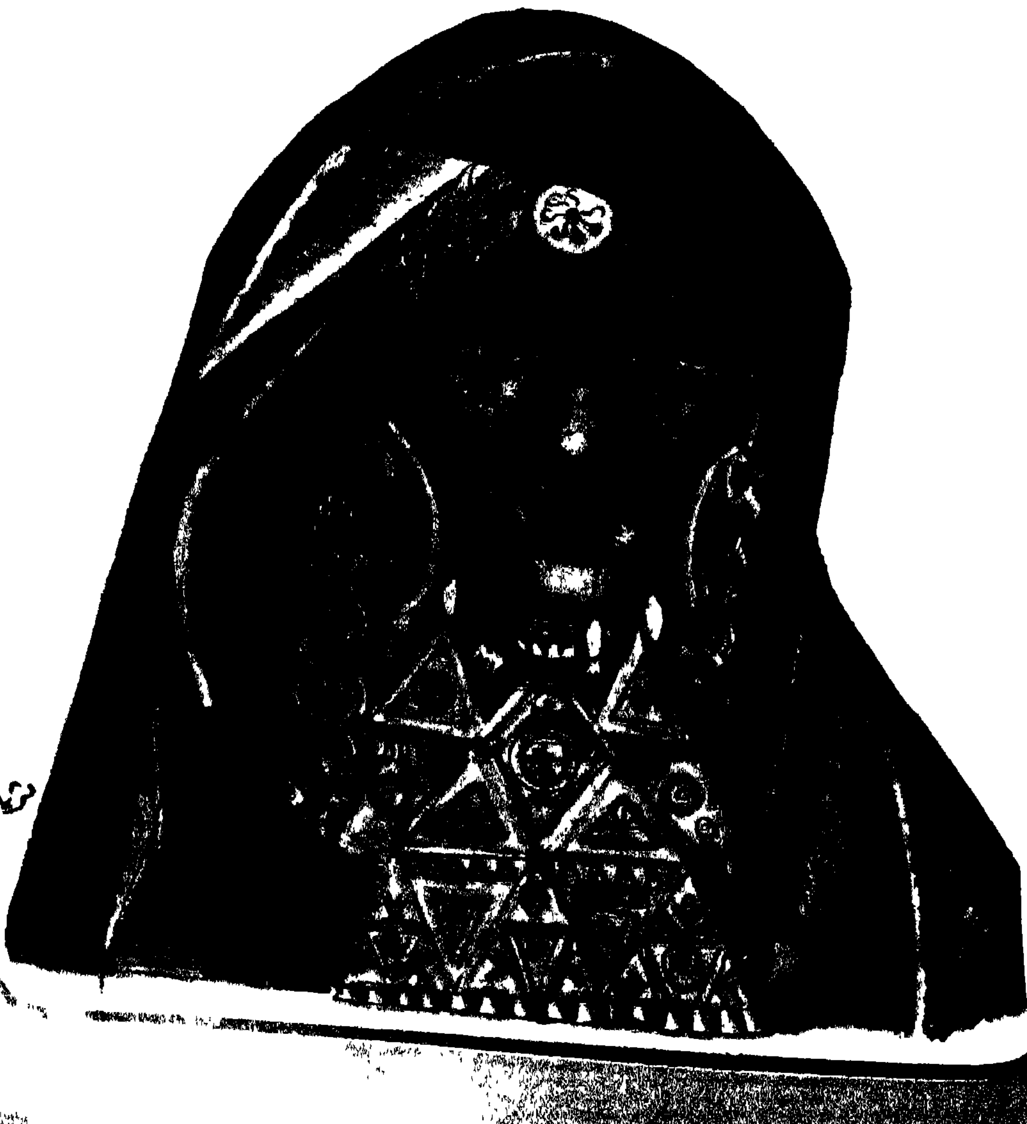
في بداية القرن التاسع عشر ، في أيام الغزو الفرنسي ، احترق هذا القصر ، فضاع كل ذلك الغنى الفنيّ التراثي ، وبقي جزء منه ، وهو بعض اللوحات المزخرفة التي تزيّن جدران حجرة صغيرة - « كغرفة السفراء » - في الطابق الأول من القصر [٦]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

المرأة الطوارقية

العراقة والأصالة



المرأة الطوارقية

العـراقـة والأصـالة

بقلم . الدكتورة بثينة شعبان

قبيلة الطوارق التي تتركز غالبيتها في جنوب الجزائر ، لها شهرة تاريخية في نشر الاسلام بأفريقيا ، وفي حفاظها على عاداتها ، وقيمها ، وأنماط حياتها والمرأة في هذه القبيلة تتمتع بمكانة متميزة تحسدها عليها الكثيرات من نساء المجتمعات الأخرى الأكثر تقدما . فكيف حصلت عليها ، وعلى أي قيم تستند في ممارسة حقوقها داخل القبيلة ؟

كنت أعيش في الجزائر حين رأيت فلمين وثائقيين عن قبيلة الطوارق ، واسترعى انتباهي احتفاظ هذه القبيلة بعادات اجتماعية ، وتقاليد قانونية تعتبر أكثر تقدما ومنطقية من العادات التي تسود المجتمع الأكثر حداثة في شمال وشرق الجزائر ، ومما لفت انتباهي ، أن المرأة في هذه القبيلة تتمتع بمكانة مرموقة ، حيث تعتبر الأنوثة والأمومة ميزة انسانية رائعة تحسد عليها الأنثى ، والجدير بالذكر أن قبيلة الطوارق تنتشر في الجزائر والنيجر ومالي ولكن العدد الأكبر من هذه القبيلة يتركز في جنوب الصحراء الجزائرية ، بمنطقة تمنراغست ، كما أن سلاطين وحكام هذه القبيلة اتخذوا دائما من جبال « الهقار » ـ جنوب الجزائر ـ مقرا لهم ، إضافة إلى هذا فإن الشرائح الاجتماعية العليا من هذه القبيلة المتمثلة بقبائل كل غلا ودك غالي اللتين تتمتعان بمركز مرموق بين الطوارق ، وتعتبران من أشرف وأغنى قبائلهم ، تتموضع في الجزائر ، ولهذا فان الحديث عن الطوارق في الجزائر يعطي الوجه الأصفى والنظرة الأشمل عن هذه القبيلة ككل .

منذ رأيت الفلمين الوثائقيين المذكورين آنفا عن الطوارق ، وأنا أخطط لزيارة المنطقة ، ولكن ولاية « تمنراغست » بعيدة حيث تقع في أقصى جنوب الجزائر ، ويفصل بينها وبين « قسنطينة » حيث كنت أعيش آلاف الأميال . واستمرت الرغبة قائمة والعجز عن تنفيذها مستمراً ، إلى أن قدّر لي أن أزور المنطقة في مطلع عام ١٩٨٧ بدعوة من اتحاد الكتاب

الجزائريين وأعيش مع الطوارق لمدة اسبوعين أتعرف على نظام حياتهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

امرأة في قبيلة مختلفة

حين حطت الطائرة بنا في مطار «تمنراغست» كانت الشمس ـ ملكة الصحراء ـ تلقي نظرة الوداع الأخيرة على جبال «الهقار» الصخرية ، التي يتماوج عليها اللونان الأزرق والزهر في تناسق بديع كما ظهر جبل كبير بين الجبال الصغيرة والغيوم تاركا العالم كله خلف هذا العالم الصحراوي السحري ، الذي بدا لي في ذلك الوقت من النهار نقيا صافيا قادرا على تنقية الروح البشرية وكشف جوهر الحياة لها

في صباح نفس اليوم كنت قد غادرت مطار قسنطينة وتركت النساء هناك يلبسن الشادر الأسود ، ويغطين وجوهن بقطع بيضاء تاركات فقط أعينهن تنجو من تلك القطعة الثلاثية البيضاء ، وفي عصر اليوم ذاته وجدت نفسي أقف في مطار «تمنراغست» ـ مازلت في الجزائر طبعا ـ لأجد الرجال بدلا من النساء ملثمين ، لم تك تلك لوحة من الجنوب الساحر ، ولا رسمة من العالم القديم ، ولكنه رجل بلحمه ودمه يقترب مني ، وقد غطى شعره ووجهه بشاش أبيض كبير تاركا عينيه فقط دون غطاء . وكانت تمشي الى جانبه امرأة تركت وجهها الأسمر الجميل يتنفس عطر الصحراء ، وهواء سمائها العليل . كانت هذه المفاجأة الأولى ، فاتحة مفاجآت شتى حملتها لي صحراء «تمنراغست» في تلك الزيارة القصيرة ، والغنية لجبال «الهقار» الوطن التاريخي لقبائل الطوارق

ولشدة شوقي أن أبدأ الحديث مع هؤلاء النساء الطوارقيات اللواتي أثرن فضولي ، وجدت نفسي أختار السؤال الذي أكره سماعه موجهاً لأية امرأة كانت ، سواء كانت النساء مهندسات ، أو طبيبات ، أو مدرسات ، فإنهن يصنفن حسب حالتهن العائلية ـ متزوجات أو غير متزوجات . أمهات أو عاقرات ، وهناك وجدت نفسي أتبنى هذا الموقف الشوفيني ، ربما لشعوري بأنه السؤال المتوقع ، وأسأل «تينا» ذات الستة والعشرين ربيعا ، هل أنت متزوجة ؟

لا ، ليس الآن ، أجابت «تينا» في لهجة لا مبالية ، ولكني تزوجت أربع مرات شعرت بالدهشة الكبيرة من لهجتها العادية ، وابتسامتها الساخرة التي رافقت جوابها ، وأخذني انفعال داخلي حين فكرت بعناء الزواج والطلاق من أربعة أشخاص ، وما يترتب على ذلك من آلام وحنقة مشاعر وكأنها سبرت أعماقي وقدّرت ما يجول بخاطري ، فاستأنفت قائلة ، معظم النساء الطوارقيات يتزوجن أربع أو خمس مرات ، نحن لا نرى شيئا غريبا في ذلك وبعدئذ باشرت برواية قصتها التي تعد أنموذجا لحياة المرأة الطوارقية

«تركت أمي المنزل وأنا في سن الرابعة لأنها أحبت رجلاً غير والدي ، تركتني مع أختين صغيرتين ، تحت رعاية أبي . ومع أن أمي استمرت تزورنا بانتظام ، إلا أنني افتقدتها كثيرا أصبح أبي تعسا جدا لأنه افتقدها ايضا ، وكان يحبها ولكنه لم يمنعها



الرجال ،
بدلا عن



من فعل ما تريد . لقد قالت له بكل بساطة . إني أحب رجلا آخر ، فهل تقبل أن أعيش معك وقلبي مع غيرك ؟ كان عليه أن يجيب بلا في نفس الوقت كان على والدي أن يتركنا لفترات طويلة أثناء سفره مع قوافل الصحراء للمتاجرة مع النيجر ومالي ، حيث كانوا يستبدلون الشيح والملح بالبشنة (نوع من القمح) والثياب ولهذا كان قلقا علينا وقرر أن يزوجنا ويريح نفسه من مسؤوليتنا . وهكذا حين أصبحت في سن الرابعة عشرة بدأ يقنعني بالزواج من شاب يحبه ، لم أرد ذلك ومع أن والدي لم يجبرني ، إلا أنه استمر في محاولة اقناعي حتى استطاع أن يحصل على « نعم مكرهة » مني وعلى كل حال فقد قضيت ليلة واحدة مع هذا الزوج ، وبطبيعة الحال لم أغادر بيت أبي . فنحن النساء في قبيلة الطوارق ، نقضي العام الأول من زواجنا في بيوت امهاتنا (وقالت امهاتنا وليس آباءنا) ، ليكون لدينا الوقت الكافي لصنع الخيام والجلد والصوف ، ولنعدّ انفسنا بشكل كامل من اجل الحياة الزوجية كل النساء الطوارقيات تقريبا يلدن مولودهن الاول في بيت امهاتهن ، ونسبة كبيرة منهن لا تغادر بيت الأم لأنها غالبا تحصل على طلاق قبل انقضاء العام الأول والسبب الرئيسي لذلك ، هو أن الأب والأم يتدخلان في الزواج الأول ، ولكن ليس لهما حق التدخل في الزواج الثاني أو الثالث . يبرر الأهلون هذا ، بأن الفتاة العازبة لا تمتلك الخبرة والحنكة في اختيار الزوج ، وليس لديها التجربة ، ولكن بعد زواجها الاول بإمكانها اختيار زوجها بنفسها ولهذا فان معظم النساء الطوارقيات ، يعتبرن الزواج الأول ضروريا للتخلص من سلطة العائلة ومن ثم اختيار الزوج الذي يبتغين في زواجهن الثاني

إن اجراءات الزواج والطلاق سهلة جدا ، قالت احداهن « نحن لا نسجل زيجاتنا في مكاتب حكومية كل ماعليك فعله هو أخذ أربعة شهود وزيارة الطالب (شيخ القبيلة المحلي) وان تعلني في حضوره زواجك لفلان أو طلاقك من فلان » .

عندما تدخل الفتاة عالم الكبار

في اليوم التالي سافرت مع زوجين أنيقين جميلين جمالا بدويا أصيلا ، إلى قرية طوارقية تضم - كما قيل لي - أعرق وأشرف قبائل الطوارق ، « كل غلا ودك غالي » توقفت السيارة بنا في القرية التي ضمت حوالي ٢٠ بيتا من القش ، ٢٠ من الطين ، وبضعة بيوت من الاسمنت المسلح وحالما نزلت ومرافقيّ من السيارة ، تدفق كل رجال ونساء وأطفال القرية إلى البقعة التي وقفنا بها . اتخذت المبادرة امرأة عجوز ودعتنا إلى بيتها ، والجميع سار وراءنا ، متفقين على اختيار بيت هذه المرأة العجوز لاستضافتنا لم نكن وحدنا المدعوين ، اذ تبعتنا القرية بأكملها كان البيت مصنوعا من الاسمنت ، ولكن الغرف مفروشة بالرمل ، تناولت مضيفتنا السجاد الأحمر الملفوف في ركن الغرفة ، فرشته على الأرض ودعتنا للجلوس . ولكني لاحظت أن معظم الحضور أزاحوا السجادة جانبا وجلسوا على الرمل يمسدون أقدامهم بالرمل الحار الناعم انقسم الرجال والنساء إلى دوائر ثلاث ، حددها تقارب السن ، احمد مرافقنا من « تمنراغست » والذي بدا صديقا جيدا للعائلة ، احضر عدة الشاى ، أشعل الغاز الصغير في زاوية من زوايا الغرفة وبدأ يعد الشاى لنا . بعد حوالي عشر دقائق من وصولنا ، أحضر رجل متوسط العمر إناءً نحاسيا بديعاً ومعه ابريق نحاسي جميل ، ودعانا لغسل أيدينا فوق هذا الاناء المصنوع خصيصا لهذا الغرض وبعد حوالي ساعة ، أدخلت امرأة متوسطة السن صينية من التمر وسطلا من لبن العيران ، ودعت الجميع لأكل التمر وشرب اللبن .

كانت مضيفتنا امرأة كبيرة السن ، رشيقة الجسم ، منتصبة القوام ، يفصح مرحها وابتسامتها عن ثقة بالنفس كانت من قبيلة مثقفة ومحترمة « كل غلا » - وتكلمت العربية بفصاحة وحين بدأت بمخاطبتها - سيدتي العجوز - وطلبت منها أن تروي

لي قصة حياتها ، قالت دعينا نتفق أولا أنني لست عجوزا - كانت في السبعين - لأني أشعر الآن بقوة شبابي ، وآمل أن أعيش سنين كثيرة ، بينما قالت ذلك أمسكت كلتا يدي بين يديها بود وحنان ، وأضافت وهذا يدعك في مصاف الأطفال فلا تحزني واستمتعي بهذه الحياة قدر امكانك لقد شعرت بالحسد والغيرة من حماسها وحيويتها ثم استأنفت . أيتها الفتاة الشابة ، إن أول يوم أتذكره بحب وحنان في حياتي هو يوم بلوغي كان ذلك دون شك أسعد أيام حياتي حرت العادة بين قبائل الطوارق على الاحتفال ببلوغ الفتيات وهكذا حين احبرت امي ببلوغي ، ارسلت رسائل سريعة إلى زعيمات القبيلة ترف لهن الخبر السعيد وتحدد موعدا لإقامة حفلة « التندى » (التندى عبارة عن حفلة كبيرة حيث تظهر النساء الطوارقيات في أجمل لباسهن وحليهن يغنين ويعرفن الموسيقا ، ويشكلن دائرة تجلس في وسطها فتاتان تدقان على الطبل وتغنيان وكل النساء الأحريات يُصفقن ويُرددن وراءهما ، بينما يعتلي الرحال جمالهم وهم في أجمل ملابسهم ، ويرقصون رقصة الجمل) . في ذلك اليوم السعيد لبست أجمل ملابسي ، وفضتي ، وكنت نجمة حفلة تندى كبيرة ، حيث أهداني الرحال الثياب والحلد والفضة ، لا أزال أتذكركم شعرت بالسعادة لكوني ولدت امرأة واستمتعت بالحب والاهتمام الذي أولاه المجتمع لي لكوني وصلت سن البلوغ انظري إلى تلك الفتاة على سبيل المثال ، لم تصل سن البلوغ لأنها لا تلبس الحلي والزينة ، إن نساء الطوارق يتزيّنّ ويلبسن الحلى فقط بعد وصولهن سن البلوغ

إن وصول المرأة سن البلوغ في قبيلة الطوارق يعتبر مناسبة سعيدة لها علقت - بتساؤل مشوب ببعض الاستغراب - ، ولكنها مناسبة أسعد للرجال ، أجابت المرأة العجوز الذكية ، لأن امرأة أخرى اضيفت إلى قائمة النساء المؤهلات للزواج وبعد الحفلة شعرت انني دخلت عالم الكبار الساحر .

كان من الجميل أن أشعر أن قلبي يكبر ، وأنه بامكاني احتضان قلب آحر وشخص آخر وقبل مضي وقت طويل بدأت علاقة حب مع زوجي ، الذي ترينه هناك (اشارت إلى رجل في السبعين تبدو على تقاسيمه الراحة والاطمئنان) واستمرت علاقتنا هذه سبع سنوات ختمناها بالزواج والعيش السعيد معا منذ ذلك اليوم ليس من النادر أن تحدي مثل هذه العلاقة في قبائل الطوارق ، بل إن مثل هذه العلاقة هي القاعدة ، وليست الاستثناء معظم الشبان يعيشون علاقات غرامية تستمر سنوات قبل أن تتوج بالزواج

كل القلوب الشابة تقع في المصيدة

وجدت نفسي أسألها وهل يعلم الآباء عادة بمثل هذه العلاقة ؟

- بالطبع خاصة الأم التي تخبرها ابنتها بآخر التطورات دائما والحب شيء لايمكن اخفاؤه ، القبيلة كلها تعلم بمثل هذه العلاقة ، التي تعتبر عادية وطبيعية تماما ، كما يعتبر الزواج عاديا وطبيعيا كل



القلوب الشابة تقع في المصيدة ، فإما أن يكون الحب أبديا ودائما ، وإما أن يكون عابرا

وسألتها . وهل ينطبق هذا على علاقتك الشخصية التي عشتها مع زوجك ؟

بالتأكيد ، لقد كنت سعيدة جدا خلال علاقتي بزوجي قبل الزواج منه والتي استمرت سبع سنوات وإلى الآن ، وأنا في عمر السبعين ، ما زلت أعشقه بنفس الحرارة التي شعرت بها خلال تلك الفترة الغالية من حياتنا

في هذه اللحظة أدخلت احدى النسوة ثلاثة صحون كبيرة من السودا المشوية (الكبدة) كان عليّ أن آكل واحدة على الأقل وإلا أكون تجاوزت حدود الأدب والتصرف الاجتماعي اللائق ، تناولت واحدة ، كانت كل القطع مشكوكة بعيدان صغيرة مقتطعة من سعف النخل ، وكل قطعة سودا ملفوفة بطبقة رقيقة من الدهن ، حفظت (السودا) من الجفاف وبهذا بدت السودا رطبة ومشوية جيدا ولذيذة وحين تذوقتها وجدتها أطيب سودا تذوقتها في حياتي وأكلت منها كلما قدمت لي خلال زياراتي لقبائل الطوارق المختلفة

بينما جلس معظم الناس يأكلون رأيت امرأة عجوزا تجلس في احدى زوايا الغرفة وتعزف الموسيقا على « الامزاد » ـ آلة موسيقية طوارقية تشبه العود ـ ، تعزف عليها النساء الطوارقيات فقط . وسط هذا الجو المرح والحميم ، استمرت مضيفتي تخبرني عن تعطشها للحب والحياة وانها كامرأة طوارقية لا تشكو من أي شيء في حياتها ولا يمكن لها أن تتخيل رغبتها في أن تكون في اي مكان آخر ، أو أن تنتمي لأية قبيلة أخرى . لاتريد أن تكون أى شيء سوى امرأة طوارقية .

بعد السودا ، أحضرت النسوة ثلاث صوان كبيرة من العيش (يشبه البرغل لكنه أنعم وأطيب وأخف) ، وثلاث صوان أعمق من اللحمة والخضر ، كوجبة أساسية . استدار الجميع حول مراكز الطعام الثلاثة ، وغرس كل ملعقته أمامه ، كما أخذ كل قطعة لحم وقطعة خضر وحا... غذاءه اسرع « أحمد » إلى العار الصغير وبد... الشاي وبينما كانت النسوة تعدّ العداء ك... مضيفتي تتحدث الي ولم تذهب وتلق نظرة على ما يطبخن ، أو يعددن في بيتها ، وكان البيت للجميع ، إذ لم يكن هناك صيف ومصيف لم أسمعها تدعو أحداً للبقاء وتناول طعام العداء ، ولكن أحدا لم يغادر وكأن تناول العداء في هذا البيت هو الشيء الطبيعي للجميع ولكن ما أذهلي هو قلة طعام الجميع ، إذ لم يأكل أي منهم اكثر من بضع لقيمات ، حينئذ فقط اكتشفت كيف استطاع رجال الطوارق المحافظة على أجسامهم الرشيقة النحيفة ، إذ أن السمنة غير معروفة اطلاقا بين رجال الطوارق ، فكلهم نحاف الجسم رشيقو القد منتصبو القوام من الممكن أن نجد امرأة طوارقية ممتلئة ، ولكن من الصعب جدا رؤية رجل طوارقي يميل الى البدانة حين سألت مضيفتي عن نظامهم الغذائي ، قالت . « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » وبالنسبة لرشاقة الرجال ، فان الطوارق يعتقدون أن البدانة سيئة جدا للرجال ، حيث يمكن لجسم المرأة التعامل مع الشحوم ولكن الشحوم تؤذي الرجل ، وتؤثر سلبيا على صحته ، ولهذا فان جميع رجالنا يحافظون على رشاقة أجسامهم .

من يجرؤ على ضرب المرأة ؟

في قرية « اوتول » ـ قرية طوارقية اخرى ـ خرجت النساء لاستقبالنا مرتديات أفضل ثيابهن وفضتهن ، والماكياج التقليدي ، ذو اللون الأزرق ، حيث تستخدم النساء الطوارقيات اللون الأزرق لصباغة شفاههن ، وخدودهن ، وفوق أعينهن

وهذا الصباغ مصنوع من النباتات الطبيعية ، وحين استرعى انتباهي امرأة خارقة الجمال ، حاولت التودد إليها وسؤالها بضعة أسئلة عامة . حين بدأت تحدثني بدت لي أكثر روعة وجمالا من ذي قبل،وبعد تناول

الرجال يرقصون رقصة الجمل
في حفل بلوغ فتاة



اللبن والتمر انسحبت وإياها إلى زاوية واستمعت إلى قصة حياتها .

بدأت باطلاق زفرة من الأعماق . كانت حياتي قاسية حقا ، ومع أني لا أبدو كبيرة في السن ، أشعر وكأني عشت مائة سنة ، لقد مات والدي وأنا في السنة الاولى من عمري تاركا أمي ، وأختي الكبرى ، وأنا . وحين بلغنا ، وتبين أننا فتاتان جميلتان ، بدا على أمي القلق وبدأت محاولاتها لـزجنا في زيجات مبكرة والتخلص من مسؤوليتنا . وهكذا زوجتني لرجل يكبرني بثلاثين عاما وأنا في الرابعة عشرة من عمري . لم تكن لدى أية فكرة ، ماذا كان يعتري حياتي . كل ما عرفته هو أنني كرهت الرجل جدا . عشت معه سنتين بائستين ، ما زلت أحلم بكوابيس تلك الفترة . أتساءل أحيانا ، لماذا بقيت معه كل تلك الفترة والطلاق في قبيلتنا على ما هو عليه من السهولة كنت صغيرة جداً وببساطة لم أعلم ماذا كنت أفعل ، فجأة غادرت المنزل مع طفل عمره أربعون يوما ولم أنظر في ذلك الاتجاه ثانية .

ـ لماذا كرهتيه لهذه الدرجة ، هل كان عنيفا معك ؟

قط ، مطلقا ، ولكني لم أتحمل رؤية وجهه مرتين في اليوم الواحد ، كان أنانيا سكيرا غير مبال اطلاقا بحاجاتي وحياتي ، وكانت الحياة معه مجرد جحيم .

ـ هل كان يضربك ؟

ـ يضربني ، وصرخت صرخة استنكار ، يا الهي طبعا لا ، وكيف يضربني ؟ وقاطعتها امرأة عجوز كانت تجلس قربها تسترق السمع الى محادثتنا : لا يوجد أي رجل طوارقي يضرب زوجته ، لقد سمعت مرة برجل طوارقي اجتاحته موجة غضب حارة وضرب زوجته كفا على خدها ، فشكته إلى الطالب ـ شيخ القبيلة المحلي ـ الذي جعله يدفع لها عنزة كتعويض ويوقع تعهداً بأنه إذا وضع يدا عليها ثانية سيكون الطلاق النتيجة الفورية لتصرفه . لا تتحمل المرأة الطوارقية الإهانة أو الضرب اطلاقا ، هذا شيء غير معروف في قبائلنا . وقد سمعنا بذلك



فقط حين بدأنا الاحتكاك بالحضر وأهل المدن ، ولو حدث وضرب أي رجل طوارقي زوجته لأى سبب كان فإن القبيلة بأكملها ستحتقره إلى درجة يضطر معها للهجرة وإيجاد موطن آخر لا يعرفه

حقوق للمرأة الطوارقية

واستأنفت المرأة العجوز « كانت أمي تحدثني بأنها إذا اعدت الغذاء لوالدي كان لها الحق أن تطالبه بتعويض أما إذا طالبها هو بإعداد غذائه فلها الحق أن تشكيه للطالب ومرة فعلت ذلك فأحضر الطالب والدي ونبهه بأنها زوجته وليست خادمته وليس من واجبها اعداد الطعام له والآن على كل حال يتقاسم الرجال والنساء الطبخ والعمل في الحقل والاهتمام بالإبل ، فالرجل يعجن ويخبز الكسرى ، ويعد الشاى دائما ، بينما تعد المرأة الحليب واللبن والخضر وعلّقت المرأة الشابة الجميلة « بأن جداتنا وأمهاتنا استمتعن بموقع أفضل من الموقع الذي نتمتع نحن به اليوم نتيجة احتكاكنا بالحضر الذين يتركون أثرا سيئا على رجالنا »

استأذنت من فاطمة والمرأة العجوز واستدرت إلى امرأة أخرى اسألها ما إذا كان تعدد الزوجات معروفا عند الطوارق

مع أن تعدد الزوجات مسموح به في القرآن الكريم ، ومع أننا مسلمون نؤمن بالقرآن كتاب الله فاني لا أعتقد بوجود امرأة طوارقية تقبل الزواج من رجل متزوج ولا توجد لمرأة طوارقية تقبل العيش مع زوجها إذا علمت أنه يعشق غيرها وفي الحقيقة فان



تعمل المرأة الطوارقية أن تجوع لتوفر مبلغا من النقود تشترى به الملابس المزخرفة والحلي

القبائل المحترمة مثل قبيلتي « كل غلا » ، « ودك غالي » لا تعرفان تعدد الزوجات مطلقا وربما وجدت بشكل نادر في القبائل الأقل مركزا وسمعة ولكني شخصيا لم أر في حياتي رجلا طوارقيا متزوجا من امرأتين ، حتى الرجال الذين تصاب نساؤهم بأمراض مزمنة أو الذين لا يرزقون اطفالا من نسائهم ، فلهم الخيار أن يطلقوا نساءهم أو يستمروا في حياتهم معهن ولكن من غير المعقول الاحتفاظ بالمرأة الأولى ، والزواج بثانية في نفس الوقت وبالفعل فقد رأيت رجالا طاعنين في السن لم يرزقوا اولادا من زوجاتهم ولم يطلبوا الطلاق أو الزواج من امرأة أخرى .

ـ وهل تعتبر إجراءات الطلاق سهلة ؟

ـ جدا ، اذا لم تحبي الرجل فكل ما عليك هو أن تلبسي نعالك وتغادري وبعدئذ بامكانك أخذ الشهود معك واخبار الطالب بقرارك وهنا رجعت الينا فاطمة لتروي لي قصة طلاقها حين طلقت زوجي ، اقامت لي والدتي حفلة تندى تعادل حفلة زفافي اذ أن العادة بين الطوارق تقضي بالاحتفال بطلاق المرأة تماما كما يحتفل بزفافها أرسلت والدتي الأخبار لجميع النساء المسؤولات في القبائل المجاورة تخبرهن بطلاقي من زوجي ، وتعين موعدا للاحتفال بهذا الطلاق . وفي اليوم المحدد لبست أجمل ملابسي وأزهى فضتي ، وكنت نجمة حفلة تندى كبيرة تضاهي أي حفل زفاف ، وقدمت لي الهدايا والفضة ـ والعادة بين الطوارق تقضي بألا تأخذ المرأة المطلقة أيا من هذه الهدايا معها إلى بيتها ، بل يجب أن توزعها على الفقراء معظم الهدايا تقدم من الرجال الذين يرغبون بالزواج من هذه المرأة المطلقة . وفي حفلة طلاقي احضر لي الرجال أثمن الهدايا ، فقد أحضروا لي جملين ، أعطيت أحدهما للحرفيين الذين لا يملكون الارض أو الجمال ، وأعطيت الثاني إلى عائلة محتاجة . في هذه الحفلة يتودد الرجال من المطلقة ثم يتقدمون لخطبتها فيما بعد كل ما هنالك أن التعاليم الدينية تقضي بأن تنتظر المرأة المطلقة مائة يوم قبل الزواج ثانية وذلك كي يتم تحديد أب الطفل في حال كون المرأة حاملا

بعد تلك الحفلة تقدم لخطبتي اربعة رجال وطلبوا مني أن اختار احدهم ، واخترت الرجل الذي كنت آلفه اكثر من غيره في ذلك الوقت ، وأنا سعيدة باختياري ذاك انه روحي الحالي ، وقد احتفلنا منذ فترة قصيرة بعيد زواجنا الخامس عشر لقد قضيت وقتا سعيدا معه وأسفي الوحيد أنني لم أنجب له أطفالا مع أنني أنجبت طفلا لزوجي السابق ، ولكنه لا يذكر الأولاد ابدا ، ويحاول أن لا يتحدث بالموضوع اطلاقا

رفيقات درب

كنا نتابع معا برامج التلفزيون الجزائري حين سألت احداهن عن رغبتها في استبدال حياتها بحياة امرأة عصرية فقالت « انني سعيدة جدا كامرأة طوارقية ولكن حين أرى النساء مدرسات وطبيبات ومهندسات ، أتمنى لو أن حياتي منحتني نفس الفرصة لأختبر طاقاتي وقدراتي إني آسفة لأني لم أذهب إلى المدرسة حيث لم يكن هناك مدارس على الاطلاق في ولاية « تمنراعست » قبل استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ علمتنا امهاتنا أن نكتب (التيفينار) ـ اللغة المكتوبة للطوارق ـ ، وأن نتكلم الطوارقية ، ولكن هذه ليست اللغة القومية ، وليست لغة الثقافة ، إذ لا توجد كتب مكتوبة بلغة « التيفينار » فقط نراها مكتوبة على الحجارة ومعظم ما كتب عبارة عن رسائل حب بين العشاق المتباعدين ، ولهذا فإن تعلم « التفينار » لن يوصلنا إلى أي موقع هام

وهكذا فاني أتمنى أن تحتفظ المرأة الطوارقية بتراثها وعاداتها وتقاليدها وتذهب إلى المدرسة والجامعة وتصبح صاحبة مهنة

سألتها كيف تقارنين موقعك كامرأة مع موقع المرأة الاوربية ؟

قالت : في العشرين سنة الاخيرة أصبحت منطقتنا « تمنراغست » منطقة سياحية حيث يأتي


بأزيائهن

سياح من فرنسا والمانيا لقضاء عطلهم السنوية هنا ، كما أن أخي متزوج من امرأة فرنسية ، وأنا شخصيا قضيت ثلاثة أشهر في باريس أتعالج من أجل قضية الانجاب . لقد صعقت فعلا حين اكتشفت الذعر الذي تعيشه النساء الاوربيات من « الاغتصاب » وحين عرفت كم من النساء فعلا يعتدى عليهن وكم من هؤلاء يحاولن الانتحار . كل ذلك كان مخيفا جدا بالنسبة لي ، لأنه في جوهره تعبير عن نظرة دونية للمرأة أو اعتبارها جسدا ضعيفا لا حول له ولا قوة . لا تشعر النساء في قبيلتي بأنهن جسد فقط ، ولكنهن يملكن احترام الرجال كرفيقات درب وشريكات حياة . إن الاغتصاب غير معروف أو مسموح به قطعا في قبيلتنا . إنه معيب ومخيف ولا أعلم كيف يتحمل أي مجتمع في العالم مثل هذه الخزي ، خاصة المجتمعات التي تدعي أنها متقدمة ومتحضرة .

وكذلك اكتشفت خلال اقامتي في باريس بأن هناك أمكنة ومجتمعات للنساء اللواتي يضربن من قبل رجالهن ، كيف يمكن لي أن أصدق أنه في باريس « العاصمة الاوربية » يضرب الرجل زوجته ، رغم التقدم الكبير الذي أحرزته المرأة في مجالات اخرى كم تتحمل النساء هناك ، وما أبسط ما أنجزته بالنسبة لانتزاع حقوقهن الأساسية أعتقد أن أهم حق للمرأة هو أن تشعر أنها انسانة حرة ، مساوية للرجل في كل ميدان من ميادين الحياة دون أن تكون أنوثتها لعنة أو ميزة .

جدتنا العظيمة

إن المرأة الطوارقية تتميز عن الرجل بكثير من الحقوق ، ولكن هذا التميز ليس نتيجة النظرة للمرأة كجنس بل نتيجة تراث راسخ ، واحترام عميق لدور المرأة الأم في المجتمع . إن الأمومة شيء مقدس في مجتمعنا ، وقد بدأت قبيلة الطوارق من جدتنا العظيمة « تين هينان » التي يعتقد انها المؤسسة الاولى لقبائل الطوارق ، يعتقد الطوارق أن الامهات يجسدن التاريخ ، الثقافة والقيم والاخلاق . لدينا مثل يقول « اذا أردت أن تعرف حضارة قوم ... تتعرف على موقع المرأة هناك » وهكذا فموقعنا في هذه القبيلة ينبع من كوننا نتمتع بالحقوق الكاملة والمساواة وليس من كوننا « إناثاً » فقط وفي قبائلنا أيضا نعطي الأهمية الاولى لأصل الأم وليس لأصل الاب . فالرجل الذي تنتمي أمه إلى قبيلة محترمة على سبيل المثال ، يمكن له احراز موقع هام في حكم جبال « الهقار » حتى وان كان والده غير معروف الأصل ، ولكن الرجل الذي لا يعرف أصل أمه لا يمكن له أن يتقلد زمام السلطة في هذه القبيلة حتى وإن كان والده ينتمي إلى أشرف العوائل الطوارقية ولهذا فاني ـ كامرأة طوارقية ـ لا أطمح إلى استبدال موقعي مع أية امرأة اخرى ، ولكني أتمنى أن أرى الفتيات الطوارقيات الشابات يلتحقن بالمدارس ويصبحن مثقفات ومهنيات دون أن يتخلين عما ورثنه من حقوق ومزايا وعادات تضعهن على قدم المساواة مع الرجال أو في مواقع متقدمة على الرجال احيانا

والحق يقال فقد وجدت في المجتمع الطوارقي أنموذجا متميزا لتحرر النساء الذي وان استمد منطقه ودوافعه بشكل مباشر من الاسلام ، من القرآن والسنة ، فانه لم يبهر هذه المفاهيم الاسلامية الحقة بنظرة ذكورية تضع المرأة في موقع دوني . وجدت مجتمعا مسلما لا تعتبر المرأة فيه أقل من الرجال على الاطلاق ، وحيث يعتبر الانجاب انجازا تحسد عليه المرأة بدلا من اعتباره عائقا في طريق تطورها وابداعها ، وحيث تعتبر الأمومة مجدا بدلاً من اعتبارها مسببا للعجز والاهانة . إن الحب الانساني الحقيقي والقيم الاخلاقية العالية التي يتحلى بها بدو الطوارق الذين يعيشون في خيام وبيوت من الطين دفعتني أن اكون أكثر كرها للتمييز العنصري العرقي والجنسي مما كنت عليه من قبل . إن الطوارق بسطاء وبدائيون في معظم أوجه حياتهم ، ولكنهم فيما يخص شأن المرأة وشؤوناً أخرى كثيرة ، يتمتعون بموقف حضاري راق يمكن للعالم الذي يدعي الحضارة أن يتعلم منه أشياء جد مفيدة . □

هو.. هي

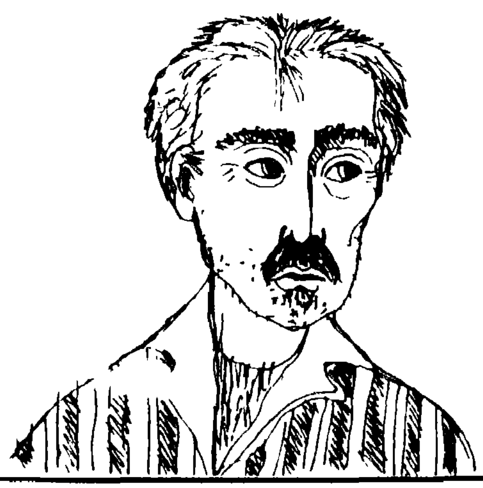
مساواة

● نصحته كثيرا ، ولفت نظره أكثر إلى أهمية مراعاة الظهور بمظهر لائق أمامي وأمام الأولاد في البيت ، وخاصة أثناء أيام العطل والاجازات والأعياد انه يتصرف في البيت وكأنني أصبحت « شيئا » من الأشياء فيه

عندما لمست الاصرار والتعنت في تصرفاته انفجرت بوجهه قائلة : مثلما للآخرين حق المظهر فيك ، فإن لنا نفس الحق ، إنك بذلك تحيل حياتنا إلى رتابة قاتلة ، وإلى صورة متكررة غير متغيرة ، وإلى قدوة غير مناسبة

لا تنس أن اولادك وبناتك قد أخذوا يكبرون ، وعليك أن تكون دائما قدوتهم ومثلهم الأعلى .

كان يجيب ببرود أعصاب وهل مظهري في البيت هو أساس هذه القدوة ؟ إني أعطيهم مثل جوهر القدوة وليس مظهره .



وكنت أجيبه حانقة هل هي لعبة جديدة تشبه ما يسمى في الأدب « الشكل والمضمون » ؟ إن لنا حقوقا عليك يارجل ، فلا « تفلسف » الأمور كثيراً

وكان يجيب وهل قصرت في شيء ؟ إنني منذ أن تزوجتك وأنا أقوم بواجباتي على أكمل وجه ، وإن قصرت في شيء فإن ذلك لأمر خارج عن إرادتي

كان يغيظني جوابه وبروده أيضاً ، فأضطر الى « بق البحصة » وأتحدث بصراحة فأقول هل ترى من العدل والإنصاف أن تكون في أبهى مظهرك في الخارج ، بين الآخرين والأخريات ، وأن تكون غير ذلك في بيتك يا رجل ؟ إن زواجنا الذى مضى عليه ما يزيد على العشر سنوات لا يعطيك حقاً في أن تهملنا وتهمل مظهرك وهندامك

إلا أنه كان يصيح حتى أنت لا ترحمينى ؟ إنني أمارس في بيتي بعض ما أفتقر إليه خارجه ، إنك لا تدركين أهمية أن يتصرف الانسان على سجيته دون افتعال أو إجبار .

كنت أقطع عليه كلامه واسطوانته المتكررة ، فأقول : وهل حرمناك من كل ذلك يارجل ؟ نحن نطالب بالمساواة فقط ، مساواة مظهرك لدينا بما يكون عليه في الخارج ، والا فإن الشكوك ستثور في نفسي ، وسيلعب الفأر في « عبي » كما يقولون !

..هي



واحــة صَغــيْرة

● يركب رأسها الاصرار في كثير من الأحيان بأن عدم حلاقتي ذقني أو تغيير ملابسي ، والبقاء بالملابس البيتية والارتخاء والتمدد أثناء أيام العطلة الأسبوعية ، هي أمور القصد منها إهانتها ، وعدم الاهتمام بها !

كانت تقول . إنك تقصد عدم الظهور بمظهر لائق ، أو على الأصح عدم الاهتمام بمظهرك كما يجب ، كما أراك تفعل وتتزيا عندما تكون مهيئا نفسك للذهاب إلى العمل !

بل كانت تخرج عن طورها وتصيح ألا أستحق منك مظهراً لائقاً ، وثياباً جديدة أثناء عطلتك ؟ وهل الذين تقابلهم في الخارج أفضل مني وأهم ؟

كنت أهدىء غضبها ، وأشرح بهدوء . لا يذهب بك الظن بعيداً يا ابنة الحلال ، إنني أحتاج إلى واحة التقاط أنفاس من حمأة العمل الاسبوعي ، إنني أعيد لنفسي سجيتها وحريتها وتصرفها العفوي غير المجبر أثناء ساعات العطل الاسبوعية وأيامها ، إن الوظيفة والعالم الخارجي يفرضان علينا مظهراً معيناً ، ويمارسان علينا الاجبار المادى ، والمعنوى . تصورى ياابنة الحلال موظفاً غير لائق الهندام في وظيفته ، أو أن ذقنه غير مهذب أو مشذب

فتردّ عليّ : إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا تبيح لنفسك هذه الأمور في البيت عندي أنا ؟ ألا أستحق أنا ما تستحقه الوظيفة وموظفو الوظيفة وموظفاتها ؟

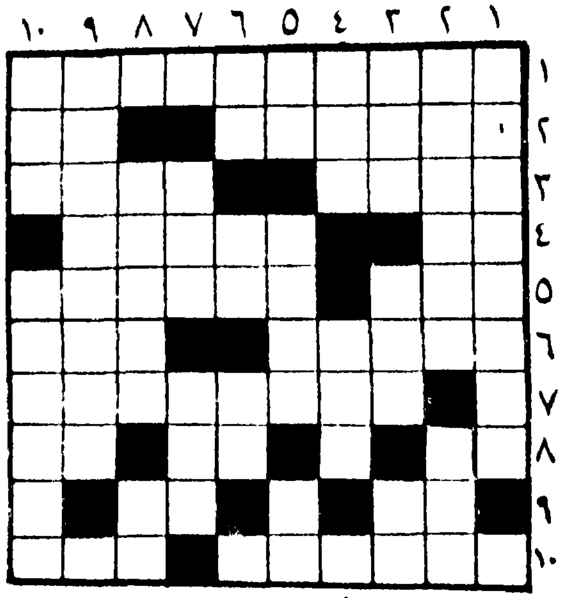
وكنت أرد كابتا غضبي وحنقي : لماذا الغمز واللمز ياابنة الحلال ؟ إن ما تغمزين به غير وارد أبداً في تفكيري ، فالبيت واحة الأمان ، ومساحة الحرية الصغيرة ، وأنت الحارس ، أنت الشريكة التي أطلعك على خفاياي ، أنت بيت أسراري ، لذلك فإنني لا أحتاج في هذا البيت إلى قناع أو مساحيق

كانت تقتنع ـ أحيانا ـ بما أقول وأبرر ، وفي أحيان أخرى كانت تعيد الاسطوانة مرة أخرى ، فأستعين بصبري وجلدي ـ أو ببقاياهما ـ مرة أخرى لأدافع عن المساحة الصغيرة التي أجد أن من حقي التصرف فيها على سجيتي وانطلاقي ، وأن أظهر فيها بأي مظهر أو أي شكل عليه أكون . □

..هو

مساحة ود..

الكلمات المتقاطعة



يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

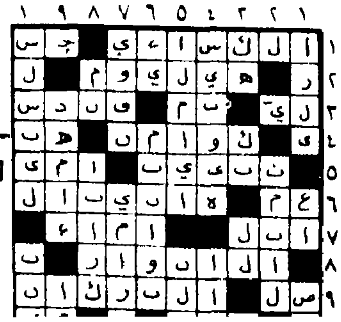
كلمات أفقية

١ ـ رسام ونحات ايطالي من مشاهير فناني عصر النهضة .
٢ ـ الاسم الثاني لمسرحي أمريكي صاحب المسرحية « عربة اسمها اللذة » ، حرفان من طير
٣ ـ معدن تصنع منه التماثيل ، مركز الدوران
٤ ـ أدب ناقصة ، رسام فرنسي انطباعي من تلاميذ الفنان بيسارو
٥ ـ المرّة من لوى ، رسام فرنسي تأثيرى وصاحب لوحة « المتحممات »
٦ ـ حواري حائن سلّم السيد المسيح لاعدائه ، تجدها في رحال .
٧ ـ من كبار نوابغ الفنانين الهولنديين
٨ ـ تألم ، صعوبة في النطق ، طن طنيناً عالياً
٩ ـ شَرَّع ، غير ناضج
١٠ ـ أشهر نحاتي اليونان القدماء وصاحب تماثيل افريز البارثينون

كلمات رأسية

١ ـ من روائع اللوحات الرينية وتعرف أيضا بالجيوكندا
٢ ـ حق الأفراد في التعبير عن دواتهم في الفن وغيره ، خانته الذاكرة .
٣ ـ تجدها في أول الأبجدية وآخرها ، جمعها أهوار ، مكافيء
٤ ـ يهدى للفائز في الرياضة والفن ، من أمن على ماله وعرصه بدفع الجزية
٥ ـ حرف نفي وجزم ، يضرب فيه المثل في الكذب والخداع
٦ ـ أصدر صوتا حاداً ، حرفان متشابهان ، إله فرعوني .
٧ ـ سحاب محمل بالماء ، ظرف يسأل به عن المكان
٨ ـ جَرّبن ، بحر .
٩ ـ فنان ايطالي متعدد المواهب وصاحب « العشاء الأخير » .
١٠ ـ غَرَض ، متعلق عادة ملتهبة تنضحها بعض الأشجار كالصنوبر مثلاً

● حل مسابقة العدد الماضي نوفمبر ١٩٨٨





الوردة العميقة

شعر/ محمد علي شمس الدين *

خيطان من مطرٍ على شجر الكلام
خيطان من رؤيا . لأكمل قصتي
وأعيد ترتيب العذاب كما يرام
فأنا ارتحالي خالص في الليل هدا صاحبي أعمى
وتلك حمامتي سوداء من كدر الطلام
والورد أعمق ما يكون ، رأيته
في القاع مبتدأ
ووجهك في الركام
وصرحت أدركني ، ولم أسمع
وظل الصوت مرتحلا كطفل ضائع في الليل
حتى استوحش الراوي
وأسدل دون قصته الختام
خيطان من حمى على جسد الكلام
هذا
ولست بناشر يأسي على أحد
غابت منازلهم وأوغل صمتها حتى الأبد
لكأنَّ أربعة مس الطير انتهت في صمتها العالي
وأقفلت الزمان
لكأنَّ أربعة مس الطير انطوت مثل الدخان
عبثا أهز جذوع أحزاني
وأنتظر المدد
عبثا أهز البحر
هذا البحر أبعد من يدي
وعلى الزبد
عينان مغلقتان
لا تلمسهما
ودع الأبد
يجري
ويجرف هذه الأسماك مثلك يا ولد
واخرسْ عذابك للأبد

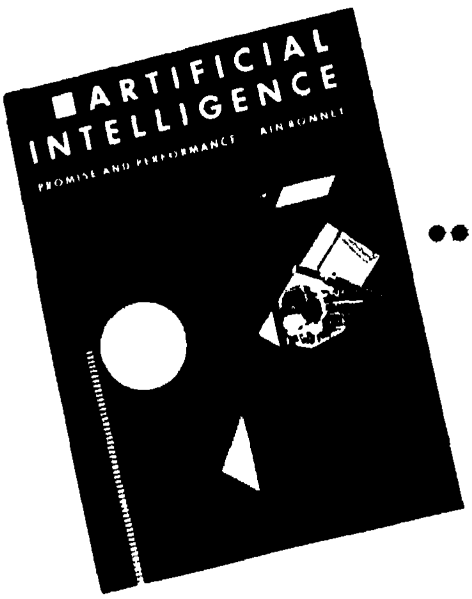
* شاعر من القطر اللبناني



مكتبة العربي

كتاب الشهر

الذكاء الاصطناعي.. الواقع والمنشود



تأليف : الان بونند / مراجعة : الدكتور علي صبري فرغلي

ما زال عمل الحاسب الآلي يؤخذ على أنه صدى جامد للنشاط الانساني ، لكن الاجيال الجديدة من هذا الجهاز الخطير اكتسبت أخطر ميزات العقل البشري وهو الذكاء ، عن هذا النوع من الذكاء يتحدث الكتاب .

* عضو هيئة التدريس بكلية الآداب ـ جامعة الكويت .

كتاب الشهر

يتميز كتاب « الذكاء الاصطناعي : الواقع والمنشود » بأنه لا يفترض في القارىء خلفية علمية في الرياضيات ، أو برمجة الحاسب الآلي ، وهو يخاطب القارىء المثقف الراغب في بذل الجهد اللازم لفهم مثل هذا الموضوع والكتاب يعرض لمختلف القضايا الأساسية لعلم الذكاء الاصطناعي بدرجة كافية من العمق ، بحيث يجد المتخصص فيه متعة ذهنية ، وفي نفس الوقت يبتعد المؤلف عن التفصيلات الدقيقة الخاصة ببناء أنظمة الذكاء الاصطناعي التي لا تهم سوى الممارسين لهذا العلم لهذا وعلى الرغم من كثرة ما نشر بالانجليزية عن الذكاء الاصطناعي فقد ترجم هذا الكتاب على الفور الى الانجليزية ليسد حاجة القراء لمثل هذه الحقائق نشرت الطبعة الأصلية لهذا الكتاب باللغة الفرنسية عام ١٩٨٤ ، أما الطبعة الانجليزية فقد ظهرت عام ١٩٨٥ وأصدرتها دار Prentice-Hall بالمملكة المتحدة

يحتوى الكتاب على عشرين فصلا مقسمة الى خمسة أقسام ·

يتناول المؤلف في القسم الأول من الكتاب علم الذكاء الاصطناعي باعتباره يهدف الى فهم الذكاء الانساني عن طريق وضع برمجات للحاسب الآلي لها القدرة على محاكاة السلوك الانساني المتسم بالذكاء ويؤكد المؤلف صعوبة تعريف الذكاء الانساني بشكل عام إلا أنه يحدد عددا من المعايير التي يمكن الحكم بوجوده من خلالها ، ومن بينها القدرة على التعميم والتجريد ، والتعرف على أوجه الشبه في المواقف المختلفة ، والتعامل مع المواقف المستجدة ، واكتشاف وتصحيح الأخطاء لتحسين الأداء . . إلخ .

وتعتمد برمجيات الذكاء الاصطناعي على نظم التعبير الرمزي للواقع،وتستخدم لغات برمجة غير تقليدية مثل لغات ليسب وبرولوج ويستخدم عالم الذكاء الاصطناعي هذه اللغات لخلق نموذج للعالم داخل الحاسب ، ويتعامل مع هذا النموذج كما نتعامل نحن مع الواقع من حولنا ، ويقارن بين سلوك النموذج وسلوك الواقع ليعدل ويطور من نموذجه ، وكلما تطابق السلوكان دل ذلك على صحة المحاكاة ولما كانت برمجيات الذكاء الاصطناعي تهدف الى محاكاة قدرة الانسان على الاستقراء والاستدلال فقد أصبحت المعالجة المنطقية عنصرا أساسيا في هذه البرمجات

وتعنى برمجيات الذكاء الاصطناعي بالمسائل التي ليس لها حل حوارزمي معروف ، ونعني بذلك عدم وجود سلسلة من الخطوات المتتابعة التي يؤدي اتباعها الى ضمان الوصول الى حل للمسألة وطالما أنه لا يوجد حل معروف للمسألة فلابد اذاً من اللجوء الى الاجتهاد ولذلك لا تعد البرمجيات التي تحل المعادلات التربيعية ضمن برمجيات الذكاء الاصطناعي ، لأن لها حلا حوارزميا معروفا وتعد برمجيات الشطرنج مجالا خصبا للذكاء الاصطناعي لأنه لا توجد طريقة معروفة لتحديد أفضل حركة ممكنة في مرحلة معينة من دور الشطرنج وذلك لسببين أولهما أن عدد الاحتمالات كبير جدا لدرجة يستحيل معها اجراء بحث كامل عليها ، والسبب الآخر أننا لا نعرف سوى القليل عن المنطق الذي يبني عليه اللاعبون المهرة تحركات قطعهم ، إما لأنهم ليسوا مدركين له بشكل واع أو لأنهم لا يريدون أن يفصحوا عنه . وقد حقق علماء الذكاء الاصطناعي تقدما كبيرا في تطوير برمجيات الشطرنج في السنوات الأخيرة وتستطيع الآن البرمجات الممتازة أن تهزم جميع اللاعبين باستثناء

مئات قليلة منهم

معالجة اللغات الطبيعية هو عنوان الفصل الثاني من الكتاب ، ويقول المؤلف إن هذه المعالجة تشكل أساسا هاما لتطور الذكاء الاصطناعي فمن أهداف الذكاء الاصطناعي جعل الحوار بين الحاسب والانسان ممكنا باللغات الانسانية ولا شك أن السلوك اللغوي للانسان يتطلب قدرا من الذكاء وبما أن من أهداف الذكاء الاصطناعي محاكاة القدرات الانسانية العقلية . فلابد له أن يحاكي عملية التفاهم باللغات الطبيعية التي تتمثل في مقدرة الانسان على التعبير عن آماله وآلامه وعواطفه وفكره ، وعن ماصيه وحاضره ومستقبله ، وغير ذلك باستخدام عدد محدود من الرموز اللغوية (الأصوات في حالة الكلام المنطوق والحروف في حالة اللغة المكتوبة) ، كما تتمثل في قدرته على فهم ما يقال حوله بلغته أما الحاسب فلا يعرف سوى لغات البرمجة التي تختلف كيفيا عن اللغات الانسانية المرتبطة بحضارات وقيم وتراث الانسان ويضطر الانسان الى تعلم لغات البرمجة هذه حتى يستخدم الحاسب

ويستعرض المؤلف في هذا القسم تطور برمجيات معالجة اللغات الطبيعية مند الخمسينيات وحتى الوقت الحاضر . ويتناول المحاولات الأولى لتصميم برامج الترجمة الآلية التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على سرعة الحاسب الفائقة ، في البحث عن الكلمات في القاموس الالكتروني ثنائي اللغة ، وترجمة النص كلمة بكلمة دون « فهم » معاني الجمل والفقرات مما أدى الى فشل هذه البرامج وتوقف البحث في هذا المجال ، ثم عاد الاهتمام بها في نهاية السبعينيات بعد نجاح برامج الاعراب Parsing وبرامج تفاعل الانسان مع الآلة

وتعنى برمجيات الذكاء الاصطناعي بتمثيل المعرفة البدهية فنحن نستخدم كثيرا من البدهيات في تفكيرنا واستنتاجاتنا ، حيث نعرف مثلا أنه يستحيل على الشخص أن يوجد في مكانين في وقت واحد ، وأن الحيوان ذو أربع أرجل ، ونعرف الفرق بين معاني كلمة « في » المختلفة في الجمل أ ، ب ، ج

أ ـ قتل زيد عمرا في حالة غضب

ب ـ قابل زيد عمرا في نادي الجامعة

ج ـ سرق زيد عمرا في ثوان معدودة

يتناول المؤلف في القسم الخامس من الكتاب الأنظمة الخبيرة Expert Systems وهي برمجيات تسعى لتمثيل المعرفة والخبرة التي تجعل الانسان خبيرا في مجال ما ، ويوضح المؤلف أنه قد ثبت فشل المحاولات الأولى التي كانت تسعى لبناء برمجات عامة تصلح لمحاكاة عمل الخبراء من كافة التخصصات ، إذ كان التصور أن عمليات المنطقة واحدة في جميع الأحوال ، والأنظمة الخبيرة التي تبنى حاليا هي أنظمة متخصصة ، فكل منها يهدف لمحاكاة خبرة معينة ، فمن أشهرها مثلا MYCIN الذي يمكن استخدامه لتشخيص بعض الأمراض السارية وخاصة أمراض الدم كما يقوم باقتراح العلاج اللازم للمريض ، أو طلب المزيد من نتائج التحليلات التي تمكنه من التوصل الى التشخيص السليم

وتتكون برمجيات الأنظمة الخبيرة عادة من جزأين رئيسين هما قاعدة المعرفة ويتضمن المعرفة التي يمكن استخلاصها من الخبير الانساني ، ومفسر المعرفة ويضم القوانين وعمليات المنطقة التي تتوصل الى اصدار الأحكام بالاعتماد على قاعدة المعرفة والعلاقة جدلية بين الاثنين

ومن أهم مشاكل بناء الأنظمة الخبيرة كيفية تمثيل أنواع المعرفة المختلفة ـ وهي في الحقيقة مشكلة علم الذكاء الاصطناعي ولهذا أفرد لها المؤلف القسم الثالث من كتابه ـ فالتعبير عن الحقائق الثابتة يختلف عن التعبير عن الاحتمالات المختلفة ، وهناك المعرفة التي يصعب تعريفها مثل الخبرة المكتسبة فالخبير يكتسب صفته من علمه الواسع في مجاله ودرايته التامة بكافة المصادر المعرفية التي يمكن أن يلجأ اليها لحل قضية ما ، كما يكتسب صفته من خلال خبرته الطويلة وحكمته وقدرته على وزن الاحتمالات المختلفة للموقف واكتشاف أرجحها ، كما يستطيع

الأنيق في «المناجنيق»

تأليف : ابن ارنبغا الزردكاش

عرض وتعليق : جمال الغيطاني

المنجنيق آلة حربية قديمة تعادل المدفعية في أيامنا هـذه ، لم تكن أداة للتدمير حسب ، بل كانت اختراعا آليا متطورا في العصور الاسلامية الاولى ، فاستحق تأليف الكتاب الذي نقدمه لك بعد تحقيقه واعادة طباعته .

من هو ؟

هل اسمه « ابن ارنبغا الزردكـاش ؟ » ، أو اسنبغا الزردكـاش ؟ من هو مؤلف هـذا المخطوط النادر الذي وصل إلى عصرنا ، واستقر الآن في مكتبة أحمد الثالث باستانبول ؟

الدكتور إحسان الهندي محقق المخطوط الذي نشر في حلب منـذ ثلاثـة أعوام لم يقـطع وإنما رجـح ، فالمصادر المعاصرة مثـل « النجوم الـزاهرة في ملوك مصـر والقاهـرة » لابن تغري بـردي ، و « الضوء اللامع في اعيـان القـرن التـاسـع » للسخـاوي ، « السلوك » للمقريزي ، لاتمدنا بمعلومات وافية عن المؤلف الـذي طمس اسمه من عنـوان المخطوط ، وبقـي لنا اسـم والـده « ارنبغـا الـزردكـاش » . و« ارنبغا » اسم يطالعنا كثيرا في المصادر المملوكية ، « بغا » تعني الفحل ، اما الزردكاش فهو اسم مركب أعجمي الأصل ، ومعناه صانع الزرد .

وصلنا مؤلف ابن أرنبغا العلمي الذي يبرز لنـا الفن الحربي العربي ،وأصوله الهندسية ، ومـا كتبه أرنبغا في بداية القرن التاسع الهجري محصلة موروث علمي خاص بالعرب . كان المنجنيق بمثابة المدفع في الجيوش القديمة ، يقذف بالحجارة الثقيلة ، وبرميل النفط ، وسـلال العقارب والثعـابـين . المخـطوط قصـير ، لكنه مـزود بلوحات تفصيليـة ، هندسيـة عديدة .

العروس

يدلل الدكتور إحسان الهندي على الأصل العربي للمنجنيق ، ويؤكد أن العرب قد عرفوا هذا السلاح منذ العصر الجاهلي ، فهناك أكثر من مصدر تاريخي

يؤكد أن جزية الأبرش ، مؤسس دولة التنوخيين (١٣٨ ـ ٢٦٨) كان أول من استخدم المنجنيق من العرب قبل الاسلام ، كما تؤكد دراسة حديثة للدكتور صلاح العبيدي أن عرب العراق عرفوا هذا السلاح منذ القدم .

كما ورد في تاريخ الطبري أن عروة بن مسعود ، وغيلان بن سلمة ، لم يشهدا مع الرسول وقعة حنين ، لأنهما كانا يتعلمان صناعة الدبابات والمجانيق في بلدة « جرش » وهذا يدل على أن العرب الغساسنة الذين كانوا يقطنون في هذه المدينة وماجاورها منذ عهود ما قبل الاسلام ، قد عرفوا هذا السلاح ، وبرعوا في استخدامه ، كما ذكر صاحب « البداية والنهاية » أن المسلمين استخدموا المنجنيق لأول مرة في حصار الطائف ، أما الخليفة عمر بن الخطاب فقد عني أفضل عناية باستخدام المنجنيق ، حتى أصبح لدى جيش المسلمين الذي فتح بلاد فارس عشرين منها ، استخدمها في فتح مدينة بهرسير (المدائن) . وطبقا لرواية الواقدي نجد أن جيش ابن الوليد استخدم السلاح نفسه ، وفي العصر الأموي اهتم الخلفاء بتطويره ، وعندما حاصر الحجاج الثقفي عبدالله بن الزبير بمكة ، قام بنصب منجنيق ضخم على جبل قبيس ، وينسب إليه أيضا أنه أمر بصناعة منجنيق ضخم ، يحتاج إلى خمسمائة رجل لتحريكه ، وكان يسمى « العروس » ، ويقال إنه سلمه إلى محمد بن القاسم الثقفي لما وجهه لفتح السند ، واستخدمه أيضا في فتح مدينة الديبل (كراتشي حاليا) ، وغيرها من مدن السند ، سنة ٨٩ هـ ، ويقال إن كبير الرماة الموكل بالرمي على « العروس » ، كان اسمه « جؤبة » ، وأنه لمهارته كان يرمي على صارية علم بقطعة الحجر فيمزقها في الرمية الثالثة على الأكثر .

مع بداية القرن الثاني الهجري أصبح المنجنيق شائعا ، خاصة في حصار المدن ، ويروى ابن الأثير أن مروان بن محمد حاصر سعيد بن هشام وأنصاره في مدينة حمص مدة عشرة أشهر ، ليلا ونهارا ، ونصب عليهم نيفا وثمانين منجنيقا ، وقد نقل أمويو الأندلس معهم هذا السلاح إلى هناك في هذه الـ... شاع استخدام المنجنيق عند العرب ، وبدأ يظهر في الشعر .

يلقي الزلازل أقوام دلفت لهم
بالمنجنيق وصكا بالملاطيس

والملاطيس هي الحجارة التي يرميها المنجنيق .

في جيوش العباسيين أصبح سلاحا رئيسيا ، وأصبح له صنف خاص ، هو « المهندسين » ، يرأسه قائد يلقب بالمنجنيقي ، وخلال الفتنة بين الأمين والمأمون عام ١٩٧ هـ (٨١٣م) استخدم المنجنيق بكثرة .

وفي العصر المملوكي ، جرى اهتمام عام بالصناعة الحربية ، وبالمنجنيق خاصة ، وكان هذا يتم في خزائن السلاح المسماة « الزردخاناه » . يصفها المؤرخ ابن تغري بردي بقوله .

« وكانت تحوي اشياء كثيرة محملة على العجل ، تجرها الأبقار ، وعليها آلات الحصار ، ومن مكاحل النفط الكبار ، ومدافع النفط المهولة والمناجيق العظيمة ، ونحو ذلك . » .

ويصف لنا أبو الفداء في « المختصر في تاريخ البشر » المنجنيق الذي استخدمه المسلمون في حصار الصليبيين في عكا ـ ٦٦٠ هـ (١٢٦١م) ـ يقول :

« أمر السلطان الملك الأشرف بجر المناجنيق وآلات الحصار من جميع الحصون إليها ، فاجتمع على عكا من المناجنيق الكبار والصغار ما لم يجتمع على غيرها » .

أما المؤرخ ابن تغري بردي فيصف حصار قلعة صلخد ٨١٢ هـ قائلا :

« ثم طلب السلطان مكاحل النفط والمدافع من قلعة الصبيبة وصفد ودمشق ، ونصبها حول القلعة ، وكان فيها ما يرمي بحجر زنته ستون رطلا شاميا ، وتمادى الحصار ليلا ونهارا ، حتى قدم المنجنيق من دمشق على مائتي جمل ، فلما تكامل نصبه ، لم يبق الا أن يرمي بحجره ، وزنة حجره

تسعون رطلا بالدمشقي » . (يساوي ٢٥٠٠ جرام) .

وقبل الانتقال مع مقدمة المحقق إلى أنواع المجانيق ، نعود إلى مخطوط ابن ارنبغا الزردكاش

منكلي بغا

من تقاليد المؤلفات القديمة ، أن يهدي المؤلف كتابه الى صاحب له ، أو إلى سلطان ، أو أمير ، له به وثيق الصلة ، أو تلقى منه منة ، ونجد هذا في معظم المؤلفات العربية

وغريب اننا لانعرف على وجه الدقة اسم صاحبنا ، أو نحيط بحياته، ولكننا نعرف شخصية من أهدى إليه كتابه ، لننظر الى النص

« أتابك العساكر الاسلامية ، مؤيد الملة المحمدية ، هو المقر الأشرفي ، السيفي ، شمس العلا منكلي بغا الشمسي ، لازالت الأقدار قاصية بهلاك أعدائه ، متكفلة باسعاد أحبائه ، وأودائه ، ممن أخذ من كل فن بأوفر نصيب ، وأضحى كل بعيد المتناول وهو منه قريب ، وجمع بين فنى الحكَم والحِكَم ، والسيف والقلم ، ورأيت أعظم مساعيه ، وأكثر دواعيه ، إلى إمعان النظر فيما يحفظ نظام الممالك ، وتنجلي به الخطوب الحوالك ، من أنواع جيد الحروب ، ورمي أعداء الدين بمتمميات الخطوب ، والتوصل إلى أخذ معاقلهم ، والحصون ، وزلزلة أركانهم ، وهتك سرهم المصون »

والأمير منكلي بغا الذي أهدى إليه المؤلف كتابه ، هو أتابك العساكر الاسلامية ، منكلي بغا ، الصالحي ، الظاهر برقوق ، ويعرف بالعجمي ، صيره الناصر ابن أستاذه، وأرسله رسولا إلى تيمور ـ لنك سنة خمس وثمانمائة (هجرية) ، ثم رجع وتولى الحسبة في زمن السلطان المؤيد شيخ ، تزوج من الأميرة خوند فاطمة ابنة الملك أشرف شعبان ، ثم أصبح أتابك قائدا للجيوش عام ٨٣٠ هجرية ، ومات عام ٨٣٦ هجرية ، وهذا يعني أن ابن أرنبغا الزردكاش قد وضع مؤلفه قبل عام ٨٣٠ هجرية

بعد أن يفرغ المؤلف من الاهداء ، يذكر مضمون الكتاب ، فيقول إنه وضعه في أنواع المجانيق ، والزيارات (نوع من مجانيق السهام) ، والسلالم التي تستخدم في حصار القلاع ، والزحافات التي يجلس فيها المحاربون بينما يقوم رفاقهم بدحرجتها باتجاه أسوار القلعة المحاصرة ، والجسور التي تمد لعبور الموانع المائية ، ورمي المكاحل (المدافع) ، والقوارير المعبأة بالنفط

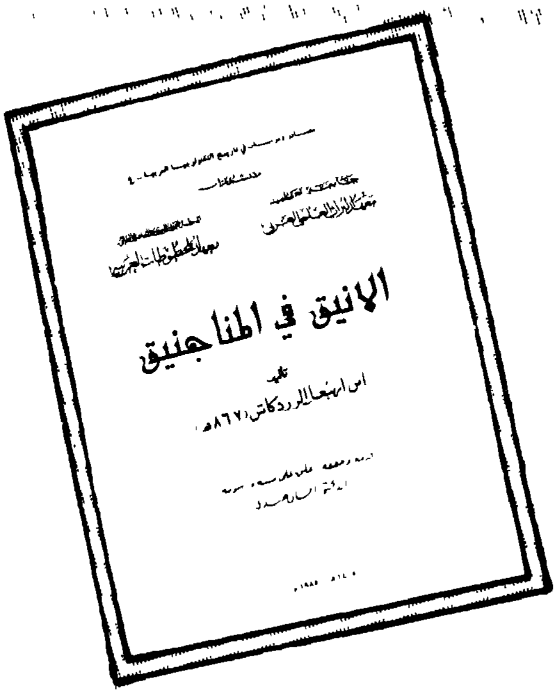
وماشاكل ذلك من مخترعات التدابير ، وجعلته كتابا ، ورتبته فصولا وأبوابا ، وخدمت به الحضرة العالية ، لازالت سعودها متوالية ، ولست في ذلك الا كما قيل

كالْبحْر تمطرُه السحابُ ومالهُ
فضلٌ عليه لأنّه مِنْ مائِه

ثم انتقل ابن ارنبغا إلى وصف المنجنيق ، وأسلوب الرمي به

« إذا أردت أن ترمي بعيدا فانك تضع الحجر في المنجنيق ، وترمي به إلى مطلوبك ، فإن أردت أبعد منه فإنك تدهن في الثانية أصبع المنجنيق بالزيت ، (دهن أصبع المنجنيق بالزيت يجعل انزلاقه أسهل ، ويزيد مدى الرمي) ، فإن رميت به ، وبلغت ما تطلب ، وأردت أبعد من ذلك فإنك تضع بين حلقة سواعد المقلاع ، وبين الأصبع الحديدقطعة من المشاق (ما يبقى من الكتان بعد المشق) وترمي به ، فان بلغت مقصودك فحسن ، وأن أردت أبعد منه فإنك تدخل في أصبع المنجنيق كعكة من حبل ، وترمي به ، فإنك تبلغ مقصودك ، وإن أردت أبعد منه فإنك تضع فيه كعكة أخرى ، فإنك تبلغ الذي تطلبه إن شاء الله تعالى ، وان أردت أبعد منه تضع كعكة أخرى ، تفعل ذلك ثلاث مرات ، فإنك تبلغ الذي تطلبه »

ويمضي ابن ارنبغا في تفصيل طرق الرمي إلى مسافات أبعد ، والعالمون بالفن العسكري



الحديث ، سيجدون أن القواعد التي وصمها تماثل في خطوطها العريضة نفس قواعد إطلاق الصواريخ الحديثة ، مع مراعاة التعقيد وفارق العلم ، والعصر ، وينطبق هذا على ما قاله ايضا بحصوص الرمي عن قرب

« وإن أردت القرب ، فإنك تضع الحجر وترمي به إلى حيث تريد ، فإن أردت أقرب من ذلك فإنك تدهن ثلث أصبع المنجنيق وترمي به ، وان أردت أقرب منه فإنك تدهن ثلثي الأصبع وترمي ، فإنك تبلغ المقصود . وإن أردت أقرب من ذلك فادهن جميع الأصبع وترمي ، فانك تبلغ ما تريد '

وإن أردت أقرب منه فإنك تشيل رأس المزريب (ينصح المؤلف هنا برفع المنجنيق إلى أعلى ، مما يزيد في انحناء زاوية الرمي ، وهذا مما ينقص المدى حسب مبدأ الرمي بالأسلحة المنحنية مثل الهاون حاليا) إلى فوق ذراع واحد ، فإن أردت أقرب منه فإنك تشيله ذراعاً آخر وترمي فإنك تبلغ ما تريد ، وإن أردت أقرب من ذلك فإنك توسع المزريب وترمي به ، وإن أردت أقرب من ذلك فإنك تنزع حسر الدولاب وترمي به فانك تبلغ المقصود وان أردت أقرب منه فإنك تغير الساعد بأغلظ منه ، وإن أردت أقرب فإنك تزيد الحجر رطلا واحدا وترمي به ، فانك تبلغ المقصود إن شاء الله تعالى »

ويمضي ابن ارنبغا في شرح وسائل تقريب الرمي ، والضرب على مسافات قليلة ، ولا يفوته التأكيد بعد شرح كل خطوة أن تنفيذ ما قاله يبلغ صاحبه المقصود بإذن الله تعالى

وفي نهاية شرحه يقول

« وهذا الذي ذكرناه تمام العمل بالمنجنيق الذي يسمى ، « قرا بعزى » »

« وقرا بعزى » ، نوع خاص من المجانيق ، خاص برمي الحجارة ، ويعمل طبقا لمبدأ الثقل المعاكس ، وهو النوع الذي ركز عليه ابن ارنبغا في بحثه ، سواء فيما يتعلق بالنص ، أو الرسوم التفصيلية ، ولا يفوته أن يشرح تركيبه في نهاية القسم الأول من المخطوط

« ولابد من ذكر وضع هذا المنجنيق ، فنقول كيفية وضعه (تركيبه) ، حتى يصير الرامي به مستأنسا ، فنذكر ما يحتاج إليه من الأخشاب ، وهي ثمانية وعشرون قطعة من الخشب ، وفيها ما يزيد وما ينقص ، فاذا أردت وضعه فتنظر إلى ما قد وصفته من الأخشاب في هذا الكتاب ، فتعمل أمثالها وأعدادها والصندوق المرسوم فيه ، فلا تخرج عن عمله ، وأنظر أيضا إلى طول النشاب وما هوعليه ، فاعمل هيأته وسفله وأعلاه وبخوش (ثقوب) الخنزيرات (الجزء من الدولاب الذي يدخل فيه عمود السهم) ، وغير ذلك من الأعمال ، ثم جمع المنجنيق وما يحتاج إليه . »

وهنا نعود إلى دراسة الدكتور سامي الدهان لنقف منها على أنواع المجانيق :

من الحجر إلى الثعابين

المجانيق بشكل عام عبارة عن عدد من القوائم الخشبية ، يتصل أعلاها بعارضة ، يركب عليها عمود خشبي طويل ، يقال له « السهم » ، يكون

قصيرا من جهة ، وطويلا من جهة أخرى ، ويحمل هذا السهم من جهتّه القصيرة ثقلا معاكسا ، يسمى « الصندوق »

إذا كانت كتلة واحدة و « القواعد » إذا كان جملة أثقال ، كما يحمل من جهته الطويلة « الكفة » التي تحمل المقذوف ، سواء كان هذا الأخير حجرا أو برميل نفط ، ويتصل « السهم » من جهته الطويلة بحبل من الشعر ، يسمى « زيار » ، يمكن شده بواسطة « دولاب » ، كان يطلق عليه احيانا اسم القوس ، لأنه كان يتصل بقوس يزيد انحناء كلما دار الدولاب في حالة الشد .

كانت المجانيق أنواعا ، فمنها مجانيق قذف الحجارة ، وهي أشد الآلات الحربية القديمة تأثيرا ، لاسيما في الحصار ، ويتم الرمي بوضع قطعة الحجر في الكفة التي يحملها السهم ، وكلما زاد اتساع الكفة كلما امكن رمي قطع أكبر من الحجارة

أما مجانيق قذف السهام ، وتسمى ايضا قسي الزيار ، فكانت عبارة عن أقواس كبيرة ، ترمي سهاما هائلة الحجم ، يتراوح طولها بين ٦٠ و ١٨٠ سم ، وتزن من اثنين إلى ثلاثة كيلو غرامات ، ويصف ابن خلدون في تاريخه قوسا ضخما من قسي الزيار صنع عام ١٣٩٨م ، ويقول انه كان يلزمه أحد عشر بغلا لنقله . كانت هناك أيضا مجانيق قذف النفط وكرات اللهب ، والقنابل ، وكانت انواعا ومنها القنابل المضيئة ، وكانوا يصنعونها على شكل كرات من الكبريت الأسود ، والصمغ والزرنيخ ، وكانوا إذا رموا هذه الكرات بعد إشعال النار فيها تبقى مشتعلة ، سواء أثناء اطلاقها أو بعد سقوطها ، ولا ينفع الماء في إطفائها .

أما القنابل الخانقة فكانوا يصنعونها من الكبريت والزرنيخ والأفيون والبنج الأزرق ، وكانوا يدخنونها على مهب الريح حتى يفسد الهواء الذي يستنشقه جنود العدو . وابن ارنبغا يخصص قسما لوصف تركيب هذه القنابل ، ويسمى كلا منها قدرة ، ويورد رسما تفصيليا لكل منها .

يصف خمساً واربعين طريقة لصناعة هذه القنابل أو القدور بلغة عصره ، منها على سبيل المثال « قدر خاسفة مضرس » ، وهذا نوع من القنابل التي تنفجر ذاتيا يقول في طريقة العمل :

« يأخذ قدرا مدورا فخارا ، يحط فيه فتاتيش (فتاش أي سهم ناري) ، وصفاريخ (صواريخ) ، في سفل كل فتاش ضرس وهو حد (اي حارق) ، وفي سفل كل فتاش ثلاث كواكب (أجهزة إشعال) ، وتملأ الصواريخ والفتاتيش ، وتملأ معهم دواحد (كرات صغيرة من المعدن) ، وتختم رأس القدرة ، وتنزل في رأس القدرة أكريخ عراقي (الاكريخ هو حهاز لاشعال القدرة) »

طبعا يبدو بوضوح صعوبة النص ، والمصطلحات المستخدمة ، من هنا يبرز أيضا مدى جهد المحقق في تفسير معمياته ، وفيما يلي النص الخاص بتركيب قنابل الغازات .

« تأخذ ستين قنا ، وستين عنزروت (نبات يستخرج منه صمغ) ، وستين شامبي (نبات غير معروف) وستين وشق (صمغ يعطي حرارة للمكان الذي يلصق عليه يسميه عوام الشام ويشه) ، وستين حصالبان ، وستين علك صنوبر ، وستين حلتيت (أنواع من الصمغ) ، وتحله ويطعم بالنفط ، وبالبياض (مستحضر سريع الاشتعال) وتخدم على الرخامة ، وينعلق بأربعين سندروس مخرمش ، وتأخذ حافر الفرس ، وتبرده ويعمله ، وتأخذ من برادته ماية وخمسين ، وأفيون خمسة وعشرين ، ومن الزرنيخ خمسين ، ومن البنج الأزرق خمسين . وتعلف الكل في اللزاقات ، على الرخامات ، وتبيض القدر ، وتنزل الكل في القدرة . »

أما قنبلة الجير فيصفها كما يلي :

« يأخذ قدرة مدورة ، ويحط فيه كلس مطفى ، ويسد رأس القدرة ، ويكسره في الثقب ، وأما في الشوافي (فوهات المراقبة في القلاع) يطلع غبار الكلس إلى مناخيرهم ، وإلى أعينهم ، مايقشعوا (لايميزون) القتال ، فتنزل وتمسكهم قبض اليد (بدون مقاومة) » .

وأغرب ما يصفه قنبلة الحيات والثعابين .

« تأخذ القدر الفخار ، أكبر ما يكون ، وتحط فيها حيات (أفاعي) وأحماس (نوع من الزواحف) ونواشيد (نوع من الأفاعي ذات الصلال) ، وتسقطها في الثقوب في المركب ، فأي من لسعته قتلته ، والله أعلم . »

كانوا يرمون قنابل الأفاعي والعقارب هذه على مراكب العدو ، أو القلاع المحاصرة ، والأماكن المحدودة المساحة ، فاذا قذفت وتهشمت حرحت الأفاعي ، والعقارب ، فتؤذي جنود العدو ، أو تثير فيهم الذعر ، وكان هذا الرمي ، لايتم إلا على أهداف محاصرة ، أو سفن العدو في عرض البحر ، فأي من لسعته قتلته والله أعلم

سقاية السيوف

القسم الأخير من المخطوط مخصص لسقاية السيوف ، اي نقعها في سائل معين بعد تسحينها على النار ، حتى تكون أشد حدة وأكثر قدرة على القطع ، ويذكر ابن ارنبغا مواد عديدة لسقي السيوف منها دماء الفراخ ، وقشر الرمان اليابس ، وأكسيد الحديد ، وعرق الفرس والحمار ، وقرن الإبل المطحون

أما صمغ الصنوبر ، والمصطكي واللبان ، وبزر الكتان ، وبرادة الحديد ، فمواد تمنع صدأ السيوف

أما السقاية الشريفة ، عالية المستوى ، فمن المواد المستخدمة فيها ، الجير ، وملح البول (أي ما يتبقى منه بعد تبخره) ، ومواد كيماوية أخرى ، وتبل فيها السيوف ، وتترك مدة ثلاثة أيام ، بعد ذلك

« اضرب به عمود الحديد ، زنته عشرة أرطال فانه يقطعه إن شاء الله تعالى » .

لكي يكتسي السيف لونا أحمر ، يوضع مستخرحة من كبريتات الحديد ،وتوضع هذه الم في جراب من الحلد ، يدخل فيه السيف ، ويوضع تحت التبن ، بعد مدة يحرج أحمر قاطعا

ولكي يصبح لونه أصفر تؤحد مواد من حشب الورس الذي ينبت في اليمن أو الحبشة ، والعصفر ، ويوضع السيف تحت ثقل بعد دهانه

« ثم يحرج فإنه يكون ما أردت إن شاء الله تعالى ، والله أعلم »

(والله اعلم) هكذا يختتم ابن أرنبغا الرردكاش مخطوطه أو مؤلفه النادر .

وصع ابن أرنبغا حوالي مائة رسم توصيحي ، لأدوات المجانيق ، وطرق استحدامها وأنواعها ، وأساليب الحصار ، وتركيب القنابل ، وسقاية السيوف ، قام الدكتور سامي الدهان بشرحها ، وتوضيح عوامضها وهكذا يلقي هدا المؤلف النادر الضوء على حوانب مهمة من أصول الفن الحربي العربي

النص صعب ، إلا أن التحقيق العلمي الممتار الذي قام به المحقق ، إضافة إلى شروحه وتوضيحاته ، حملته ميسرا ، متاحا ، مقروءا بسهولة . ومن أهم ما تضمنه الفهارس ، حاصة ذلك الحزء الخاص بأهم المؤلفات الحربية والعسكرية في التراث العربي ، معظمها مازال مخطوطا ، متناثرا في مكتبات العالم المختلفة .

يبقى لنا بعد تقديم هذا المخطوط في فن الحرب عند العرب ، أن نردد مع مؤلفه في ختام عرضنا ما ردده هو في مفتتح مؤلفه :

« وضع العبد الفقير المعترف بذنبه ، الراجي عفو ربه ، ابن أرنبغا الزردكاش » □

□ أخلاقك تتكون مما تؤمن به وتقف مدافعا عنه ، وشهرتك تأتي مما تسقط وأنت تدافع عنه

(روبرت كيلي)

مكتبة العربي

مختـــارات

اسم الكتاب . قمر المدبحة يمامة الوطن
اسم المؤلف : محمد الطاهر
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر
عدد الصفحات : ١٥١ قطع متوسط
سنة النشر · ١٩٨٨

ديوان شعر للشاعر محمد الظاهر ، يحاول فيه أن يقدم شكلا ومناخا جديدين للقصيدة ، تجربته في كتابة القصيدة على شكل سيناريو سينمائي ، مستخدما طرق كتابة السيناريو ، وصناعة السينما ، في القطع والنقل ، واللقطات المكبرة ، واللقطات البعيدة ، والقريبة واستغراق الشاعر في الشكل لم يؤثر على مضمون قصائده ، ولم يكن استغراقا في الشكل من قبيل التجديد ، بل من قبيل التوظيف ، لكي يوصل الشاعر رسالته الشعرية بجمال وعذوبة وقوة .

* *

اسم الكتاب : المرأة اليهودية الماضي ، الحاضر ، والمستقبل
المؤلف : ناتالي رين . تعريب · د . سهام منصور
الناشر : مكتبة مدبولي ـ القاهرة
عدد الصفحات : ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٧

يعرض الكتاب لتاريخ الحركة النسائية اليهودية ، ويمهد لهذا العرض بجزء كامل ، يبدأ فيه بمناقشة المسألة اليهودية ، والهجرة إلى فلسطين ، وبداية الصراعات داخل الكيان الصهيوني ، والتقسيمات التي قامت داخله ، ثم يوضح الكتاب كيف بزغت النزعة العسكرية الصهيونية ، وقد كان رد فعلها تجاهل كل الحقوق الإنسانية بما فيها حق المساواة الذي كانت تنادي به المرأة ، وكان استمرار الأداء العسكري للمجتمع الصهيوني سببا في أن يعطي المجتمع دورا أكبر للرجال ، فيظل المجتمع مجتمعا رجاليا حتى حرب ١٩٧٣ وقد بدأت المرأة تطرح تساؤلا عن جدوى مجتمع رجالي ينكسر في ست ساعات ، وبدأت منذ ذلك الوقت تتبلور حركة نسائية ، تتبنى حقوق المرأة ، وتدافع عنها داخل مجتمع امتدت عنصريته حتى طالت أفراده

* *

اسم الكتاب · أزمات الحقيقة والحرية في التربية العربية المعاصرة
المؤلف : د . محمد جواد رضا
الناشر : ذات السلاسل ـ الكويت
عدد الصفحات : ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧

يطرح الكاتب رؤيته للأزمة التربوية المعاصرة في الوطن العربي ، ويرى أن هذه الأزمة مستمرة على امتداد سبعين عاما ماضية ، ونتائجها البالغة الوضوح في نتائج العملية التربوية ، ويذهب الكاتب إلى أن هناك فهما غير دقيق داخل المجتمع العربي للوظيفة الاجتماعية للتربية ، واستمرار هذه الأزمة هو دليل على فقدان الرؤية الصحيحة للعملية التربوية ، وهو الأمر الذي يهدد المجتمع العربي .

ويجمل الكاتب في الكتاب سبع أزمات يرى أنها تمثل إشكالية حقيقية ، وهي أزمة القهر ، وغياب الإبداع ، وأزمة تربية المبدعين ، وأزمة القصور المعرفي في فهم الطفل ، والأزمة الرابعة هي معضلة القصور اللغوي في المجتمع العربي ، وأزمة تحديد الوعي بطبيعة اللغة ، وأزمة الطفولة العربية ، وأخيرا أزمة التخطيط التربوي العربي

■■

اسم الكتاب الاستيطان الصهيوني والمقاومة الفلسطينية
المؤلف . د طلال ناجي
الناشر : الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار
عدد الصفحات ٣٧٧ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٧

يتناول المؤلف في كتابه استراتيجية الاستيطان الصهيوني في الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، موضحا الأهداف التي ترمي إليها الصهيونية من إقامة هذه المستوطنات ، كما يعرض سبل المقاومة الفلسطينية وبرامجها في مواجهة عمليات الاستيطان هذه ، موضحا كتابه برسوم وخرائط توضح تسلسل الموقفين وتطور إقامة المستوطنات

■■

اسم الكتاب . الأبناء ـ مسرحية
المؤلف : د . أحمد سحسوح
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
عدد الصفحات ١٥٧ قطع صغير
سنة النشر ١٩٨٨

عمل مسرحي للمؤلف ، يتكون من مجموعة مشاهد درامية ، في ثلاثة أجزاء ، تدور حول آثار الظروف الاقتصادية والاجتماعية على التركيبة الاجتماعية والإنسانية في المجتمع العربي المصري وقد عالج المؤلف فكرته من خلال بناء درامي جديد على المسرح المصري ، وهو البناء الدرامي المفتوح الذي بدأه جورج بوشنر في ثلاثينيات القرن الماضي بألمانيا

■■

اسم الكتاب التطور العمراني في دول الخليج العربي
المؤلف . د ابراهيم ماجد الشاهين
الناشر . سلسلة دراسات في التخطيط والعمارة ـ الكويت
عدد الصفحات ١٣١ قطع متوسط
سنة النشر . ١٩٨٧

تمكنت دول الخليج العربي من القفز قفزات هائلة في مجال التطور العمراني ، وذلك خلال السنوات القليلة الماضية وفي هذا الكتاب يقوم الكاتب ـ بحكم تخصصه ـ برصد للتطور العمراني في دول الخليج العربي ، وإلقاء الضوء على مفاهيم النهضة العمرانية ومعايير تطورها ، ويطرح بعد ذلك تصورا للتخطيط العمراني نابعا من تاريخ العمران في المدينة العربية الإسلامية □

مسابقة العربي الثقافية

العــــدد ٣٦١

ديســمبر ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي **13008** الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٦١ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يناير ١٩٨٩

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العــــدد ٣٦١

١ * من المعروف أن الملاكم الشهير محمد علي كلاي يعاني مرضا معروفا من أعراضه ارتعاش اليدين والذراعين ، وجمود حركة الوجه وصعوبة البلع والنطق ترى ما اسم هذا المرض ؟

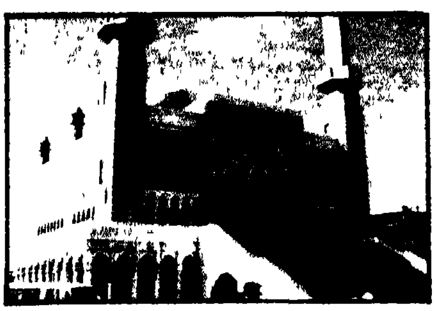
* التهاب السحايا
* الشلل النصفي
* باركنسون



٢ * من هما الفتاتان اللتان تظهران في الصورة ؟ وأي نهر هذا الذي تراه وراءهما ؟



٣ * يظهر في الصورة رجل صيني ومعه ابنته الوحيدة ، ترى لم هي وحيدة ؟



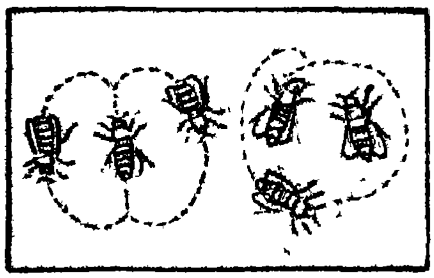
٤ * صورة المسجد الجامع في سيول ، عاصمة كوريا ترى متى دُشّن هذا المسجد ؟ وما عدد المسلمين في كوريا الجنوبية ؟



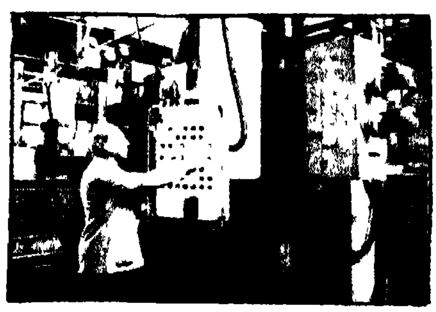
٥ * تبين الصورة كيف يصهر الحديد في أحد مصانع الحديد والصلب أين يوجد هـذا المصنع ؟ وكم يبلغ إنتاجه وعـدد عماله ؟



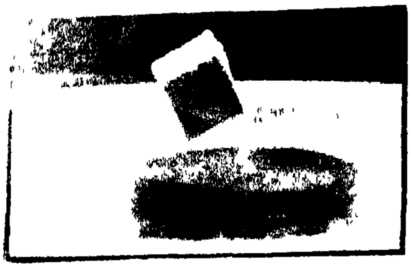
٦ * استاد رياضي ضخم كما لا يخفى ترى أي استاد هذا ؟ وما عدد المتفرجين الذين يستطيعون الجلوس على مدرجاته ؟



٧ * رسمـان متشابهـان ، ورقصتان من رقصـات النحـل مختلفتـان ، إذ تـرمـز إحداهما إلى وجود غذاء قريب ، وترمز الأخرى إلى وجود غذاء بعيد فأيهما هذه ؟ وأيهما تلك ؟



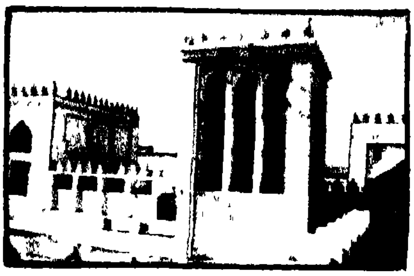
٨ * إنها صورة مصنع دون شك ترى ماذا يصنع في هذا المصنع ؟ وأين يوجد ؟



٩ * صوره عربية حقا ترى ما الذي تمثله ؟ وكيف أمكن لهـذا الجسم الذي يظهر في الصورة أن يرتفع إلى أعلى ؟



١٠ * صورة من هذه ؟ ومتى عـاش هذا الـرجـل ؟ ومـا هـو مجـال اختصـاصـه ونبوغه ؟



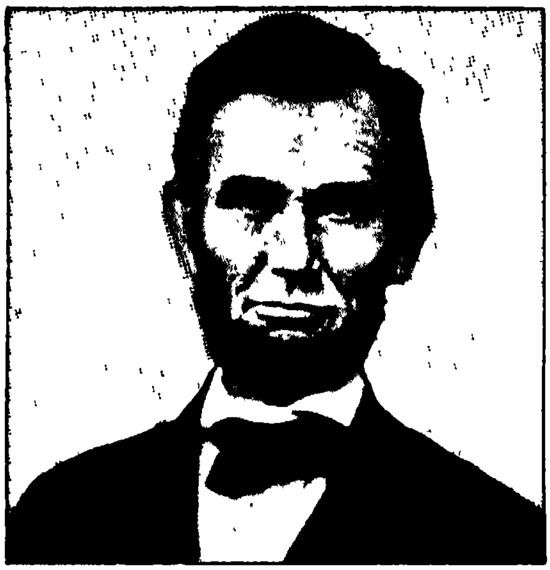
١١ * من القائل ؟ وما المقصود ؟

ونفحْـة بادهـجٍ أسكْـرتْـا
وَحـدْثَ بـروحهـا بـرْد النعيم



١٢ * هـل هو مسجد أم جامعة ؟ وأين يوجد هذا المبنى الذي يظهر في الصورة

حلّ مسابقة العدد ٣٥٨ سبتمبر ١٩٨٨



ابراهام لنكولن

١ للمتنبي ، ملغزا في الحمّى

٢ تنسب العبارة الى ابراهام لنكولن ، وقد وردت في خطاب له ألقاه في ٨ سبتمبر سنة ١٨٥٨ .

٣ المسافة التي مشاها ميل واحد ، والمسافة التي قطعها راكباً ٧ أميال . ولأن طول القطار ميل واحد فإن المسافة التي يقطعها هذا القطار ٧ أميال ، أي ٨ - ١ = ٧

٤ في نيوزيلندة ، فالمأورى هم سكان نيوزيلندة الاصليون ، لكنهم لا يشكلون سوى ٨ ٪ من مجموع سكان نيوزيلندة في الوقت الحاضر

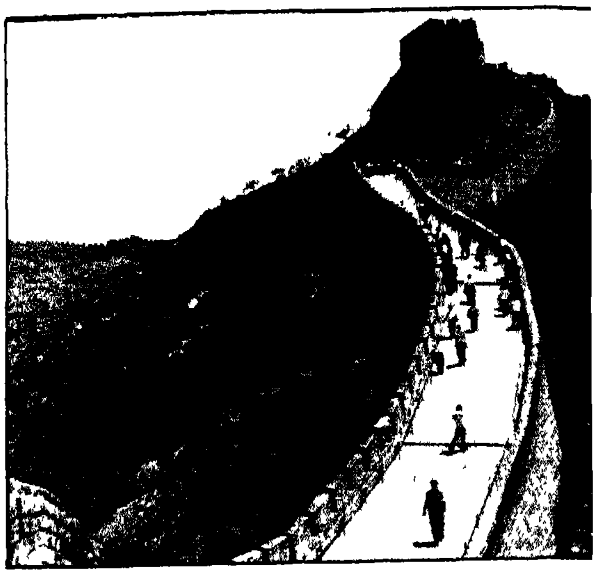
٥ سور الصين العظيم

٦ نرمز إلى الدويلات الأصلية التي تكونت منها الولايات المتحدة ، والتي كانت خاضعة للاستعمار البريطاني ، وعددها ١٣ دويلة أو مستعمرة

٧ يحتاجان إلى ساعة وأربعين دقيقة لحرث الحقل كله .

٨ اسم البلدة الأخرى التي طمرها ودمرها بركان فيزوف سنة ٧٩ ق.م. هركولانيوم .

٩ ابن المعتز ملغزا في شمعة .



سور الصين العظيم

١٠ الكاتبة إلاّ ويلر ولْكوكس وهي قائلة عبارة : « اضحك يضحك العالم معك » ، وقد وردت هذه العبارة في قصيدة لها نشرتها أول مرة في صحيفة (نيويورك صن) بتاريخ ١٨٨٢/٢/٢٥ ، وعنوان القصيدة « العزلة » .

١١ مقامات الحريري ، المقامة الكرجية .

١٢ صاحب الصورة والرجل الذي ينظر إلى الصورة واحد ، فصاحب الصورة هو ابن والد المتكلم ، كما يخبرنا الرجل صراحة ، وهو ابنه الوحيد ، وقد حرم الإخوة والاخوات ، فمن يكون ابن أبيه الوحيد سواه !

الفائزون في مسابقة العدد ٣٥٨ سبتمبر ١٩٨٨

الجائزة الأولى : عبدالمنعم العجيمي/ الصماة - دولة الكويت .

الجائزة الثانية : أكرم طه عبدالسلام/ المنوفية - الباحور - جمهورية مصر العربية .

الجائزة الثالثة : يمن فائز مغربي/ طرابلس - الجمهورية اللبنانية

الفائزون بالجوائز التشجيعيّة

١ - ملك الحاج حامد/ كندا - مونتريال .

٢ - سعيد الجليدي/ قابس - الجمهورية التونسية .

٣ - نجيب عبدالأحد ديزه/ بغداد - الجمهورية العراقية .

٤ - حرب خليل القصيري/ جامعة اليرموك - اربد - المملكة الأردنية الهاشمية .

٥ - مشاعر عبدالوهاب البدري/ البرادي - جمهورية السودان الديمقراطية .

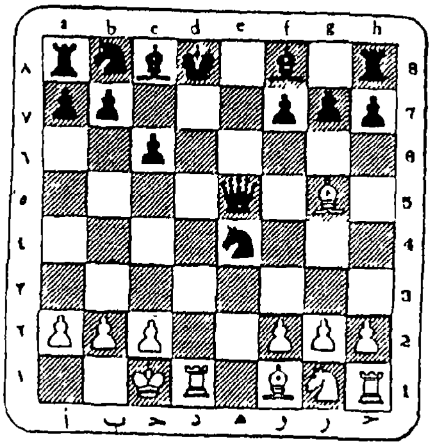
٦ - علي سعيد المنتصر/ ممبسا - كينيا .

٧ - يرحو خالد/ القنيطرة - المملكة المغربية .

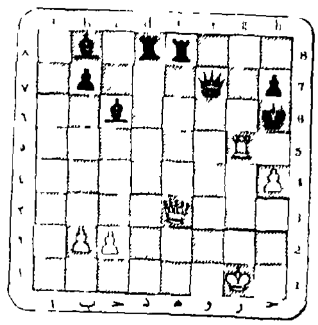
٨ - سيدات بن أحمد/ نواكشوط - موريتانيا

معركة بلا سلاح





من أمضى أسلحة الشطرنج وأشدها فتكاً ما يعرف بالكش بالكشف والكشة المزدوجة ، إذ ليس هناك ما يصمد أمام بطشهما وقوتها التدميرية الفتّاكة فالكشة المضاعفة إذا حاز لنا التشبيه هي القنبلة الهيدروجينية التي لا تبقي ولا تذَر ، ولا تخلّف وراءها سوى الموت والدّمار ، ويتصح مدى خطورة هذه الكشة من اللوحة التالية التي يموت فيها ملك الأسود في نقلتين على الرغم مما يتمتع به من تفوق مادي وما يحيط به من أسباب القوة والمنعة (١) ر - ز ٦ + بالكشف م × ز ٦ (٢) و - ز ٥ (مات)



ويرجع الفوز في غالبية الأدوار القصيرة التي تنتهي بكش مات مبكر إما إلى الكشة المزدوجة ، أو الكش بالكشف ، ومن الأمثلة الجميلة على ذلك الدور التالي من مباراة فيينا (١٩٠٨) بين اللاعبين الكبيرين ريتي بالأبيض والدكتور تارتاكوفر بالأسود :

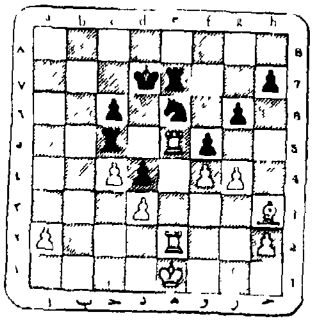
١) هـ ٤	حـ ٦
٢) د ٤	د ٥
٣) ح - جـ ٣	د × هـ ٤
٤) ح × هـ ٤	ح - و ٦
٥) و - د ٣	هـ ٥
٦) د × هـ ٥	و - أ ٥ +
٧) ف - د ٢	و × هـ ٥
٨) ت ت ! (مضحياً بالحصان)	ح × هـ ٤
٩) و - د ٨ + ! ! (مضحياً بالوزير)	م × د ٨

١٠) ف - ز ٥ (كشة مزدوجة) ويموت بالنقلة التالية مهما لعب (انظر الشكل في أعلى الصفحة)

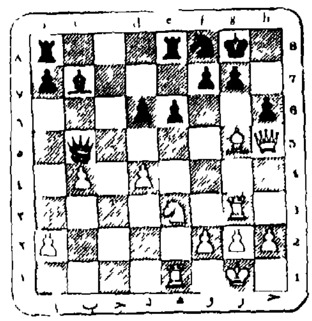
والكش بالكشف كثيراً ما يؤدي الى كسب مادي بطرق متعددة ، ففي اللوحة التالية يضطر الأسود للاستسلام بعد نقلتين بسبب الكش بالكشف

١) ز × و ٥	ر × هـ ٥
٢) ر × هـ ٥	يستسلم

لأنه لو أخذ البيدق و ٤ بالحصان لفاز الأبيض بالفرق عن طريق الكش بالكشف .

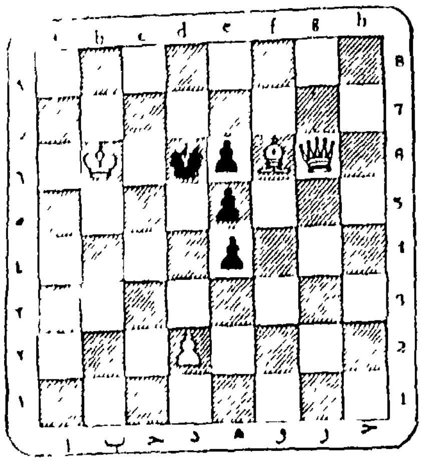


والقـدرة التـدميـريـة لهـذا السـلاح الفتـاك من الشـدّة ، بحيث يمكن التضحية حتى بـالـوزيـر للحصول على سلسلة من الكشات بالكشف كما هو الحال في نهاية الدور التالي بين اللاعب الكبير توري واللاعب الألماني عمـانويـل لاسكر (أسـود) بطل العالم ما بين (١٨٩٤ ـ ١٩٢١) والذي جرى الدور في موسكو (١٩٢٥) .



٢٥) ف - و ٦	و × حـ ٥
٢٦) ر × ز ٧ +	م - حـ ٨
٢٧) ر × و ٧ + بالكشف	م - ز ٨
٢٨) ر - ز ٧ +	م - حـ ٨
٢٩) ر × ب ٧ + بالكشف	م - ز ٨
٣٠) ر - ز ٧ +	م - حـ ٨
٣١) ر - ز ٥ + بالكشف	م - حـ ٧
٣٢) ر × حـ ٥	م - ز ٦
٣٣) ر - حـ ٣	م × و ٦
٣٤) ر × حـ ٦	ويفوز بالدور

مسألة العدد (٣٦١)
ديسمبر ١٩٨٨



مات ٢

مهداة من القارىء محمد عقيل (سوريا)

حل مسألة العدد ٣٥٩
اكتوبر ١٩٨٨

١) ر - ز ١ +	م - و ٨
٢) ح - د ٧ +	ر × د ٧
٣) ر - هـ ٨ +	م × هـ ٨
٤) ر - ز ٨ + (مات)	

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٥٨ ـ سبتمبر ١٩٨٨

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ . فراس جعفر كريم ـ بغداد / العراق
٢ . أحمد الصالح بن أحميد ـ نواكشوط / موريتانيا
٣ . أبوبكر محمد زعيبة ـ مصراتة / ليبيا
٤ . لمى عبدالعزيز السيالي ـ الرياض / السعودية
٥ . محمد أحمد عزام ـ القاهرة/ ج . م . ع

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . روز فرح سالم ـ الشعيبة / الكويت
٢ . محمد رابح ـ دويسبرغ / ألمانيا العربية
٣ . جمال عبدالرحمن حسين ـ عمان / الأردن
٤ . نعمة هاشم وادي ـ الوكرة / قطر
٥ . هفيف مالي ـ سوسة / تونس

حوار القراء

العربي - ص. ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

آمال السلام ووحدة العرب

● وردت الى المجلة رسائل عديدة تشيد بحديث الشهر الذي كتبه رئيس التحرير في العدد (٣٥٨) سبتمبر ١٩٨٨ وموضوعه « بعد أهوال الحرب تنعش آمال السلام » ويذكر مرسلوها أنه قد أثار الغيرة فيهم على الدين الاسلامي الحنيف ووحدة العرب والمسلمين في هذه الأيام الحرجة من تاريخنا

وقد ركزوا على النقطة الجوهرية التي أثارها حديث الشهر حول موضوع الخلافات العربية ، وأن الخاسر فيها هو المواطن العربي ، وأن هذا شيء مهم يجب أن يعرفه كل انسان يحاول أن يوجد مثل هذه الخلافات ، وأن المستفيد الأول من هذه الخلافات هم أعداء العرب والدين

ختم معظم هذه الرسائل بعبارة : « نحن سعداء جدا بهذا التوجه الموضوعي الذي أثاره الدكتور رئيس التحرير ، فإلى الأمام دائما في تطوير المجلة وجعلها تتصدى لقضايا العرب المصيرية »

القراء · ياسر محمد سيد أحمد - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - مصر
عبدالله محمد عبدالله المنديل - الرياض - السعودية .
محمد محمد المطاع - عضو مجلس الشورى - صنعاء - اليمن الشمالي .
خالد ابراهيم محمد هبة - القاهرة - مصر
أحمد سعد موسى الصياد - القليوبية - جمهورية مصر العربية

■■■

سريلانكا تطلب العربي

● اطلعت على بعض الأعداد من « العربي » التي أحضرها معه صديق من السعودية ، فوجدت فيها فوائد عديدة ومواد ثقافية ممتازة ذات مستوى عال . أنا أدرس العلوم العليا في كلية الدراسات العربية في سريلانكا . ومن اطلاعي على بعض أعداد مجلتكم بدأت أعرف أخبار المسلمين في جميع أنحاء العالم فهي - حقا - نافعة ، وتقدم خدمة جليلة لإشاعة الاسلام ، لكن حينما بحثت عنها في الأسواق لم أجدها . فلماذا لا تعملون على إيصال نسخ من أعدادها إلينا مع جزيل الشكر ؟

القارىء / أمير حسين - سريلانكا

- نود الافادة بأن بلادكم مدرجة ضمن خطة المجلة عند توسيع مناطق التوزيع ونأمل أن يكون ذلك في المستقبل القريب .

العربي

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي" بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

التمارين البدنية

● قرأت في عدد سبتمبر ١٩٨٨ (رقم ٣٥٨) مقالا ممتعا مفيدا بعنوان « أثر الحركة على صحة الإنسان » للدكتور عصام سامي الخالدي ، وأريد أن أسأل عن الأمراض التي نستطيع معالجتها بالتمارين البدنية إن كان ثمة أمراض من هذا القبيل ، فقد أشار الدكتور عصام إلى مثل هذه الأمراض في أواخر مقاله ، كذلك أرجو افادتي عن هيرودوتس الكاتب اليوناني المعروف (٤٨٤ ـ ٤٢٥) ، فقد ذكر الكاتب في مطلع مقاله أن هيرودوتس هذا كان طبيبا ، فضلا عن كونه مؤرخا ، وأن له كتابا في الطب بعنوان « قانون الطب » ، وأنه قد ذكر في هذا الكتاب أنه استخدم التمرين البدني بنجاح في العلاج ، فأنا لا أعرف أن هيرودوتس المؤرخ كان طبيبا في الوقت نفسه ، ولا أذكر أن بين الأطباء اليونان من كان يسمى باسم المؤرخ هيرودوتس

سالم الطيب ـ طرابلس ـ ليبيا

العربي

ـ نحيل سؤالك الى الدكتور عصام سامي الخالدي ، ونرجو أن يصلنا رده الوافي عن سؤالك في مستقبل قريب .

■■■

الجزائر تطلب العربي

● إنني مهتم بالعربي وبرأيي أنها من أفضل المجلات العربية ، وكثيرا ما نقرأ فيها معلومات مهمة عن الكويت وغيرها من أقطار الوطن العربي وكذلك عن أقطار العالم الأخرى ، كما نقرأ آخر المعلومات العلمية والقصص الهادفة ، لكن منذ فترة لم تصلنا العربي في القسنطينة بالجزائر نرجو أن يكون المانع خيرا ، فالمجلة لها قراؤها هنا ، وغيابها يجعلنا في مأزق فهل ذلك بسبب توقفها أم أن هناك أسبابا أخرى ؟

مصباح حمودي

ساقية سيدي يوسف ـ قسنطينة ـ الجزائر

العربي

ـ نشكرك على اهتمامك الفائق بالمجلة ، ومتابعتك لموادها ، أما بخصوص عدم وصول المجلة للقطر الشقيق الجزائر فإن من أهم أهدافنا الأساسية إيصالها إلى كل قارىء في كل بقعة من البقاع ، لكن تواجهنا في بعض الأحيان معوقات خارجة عن إرادتنا ـ كمشكلة وصول المجلة الى القراء في الجزائر التي ليس لنا أي تقصير فيها ، بل إنها راجعة للموزع المسئول في الجزائر ، وهي جار حلها هذه الأيام ، وعليه فإننا نأمل أن تكون « العربي » بين أيديكم في أقرب فرصة

حوار القراء

أندلسيات العربي

الأستاذ الدكور رئيس التحرير

● اطلعت على كتاب العربي (أندلسيات) للكاتب محمد عبدالله عنان الصادر في تموز يوليو ١٩٨٨ وهو رقم ٢٠ في سلسلة كتاب العربي التي تعد مفخرة ثقافية تضاف الى رصيد المجلة والقائمين عليها ، فهذه مائدة العربي ـ زادها الله عافية ، وأغناها ـ تقدم لنا زادا تنار به العقول ، وتطمئن إليه النفوس في تناغم إيقاعي أرق من نسمة باردة في صيفنا القائظ

الأستاد / طاهر حاسم التميمي

بغداد / الجمهورية العراقية

■ ■ ■

العربي في الدانمرك

● مركز الدراسات الاسلامية بالدانمرك يتطلع دائما لوصول مجلة العربي ومطبوعاتها ، ولكن منذ شهر فبراير نجد صعوبة في الحصول عليها ولقد تابعنا حادثة الطائرة الكويتية المخطوفة بالصلاة والدعاء لفك كربة المسلمين ، ونحمد الله أن حفظ شعبكم الحبيب وبلدكم العزيز مع المسلمين جميعا

مدير المركز / حسين رين

مركز الدراسات الاسلامية ـ الدانمرك

■ ■ ■

ردود قصيرة

* القاريء محمد علي جنيد من مدينة حماة بالجمهورية العربية السورية بعث إلينا يقترح تخصيص باب لبعض العلماء العرب في مجالات متعددة ، ونحن نقول إننا نرحب باقتراحه ، ونشكره عليه ونقول له إننا لم نتردد في نشر نتاج العلماء العرب ومساهماتهم في المواضيع المختلفة

* القارىء محمد محمود حسن من الاسماعيلية بجمهورية مصر العربية يشيد بالدور الثقافي الذي تقوم به « العربي » ، ويقترح تخصيص باب تعليمي عن « الكمبيوتر » ، ونقول له · اننا في المجلة اذا ما وجدنا أن هناك حاجة الى ايجاد باب خاص بعلوم « الكمبيوتر » فلن نتردد في ذلك ، أما في الوقت الحاضر فإننا ننشر مقالات متنوعة ثقافية في مجال دراسات « الكمبيوتر » ، نرجو أن تكون قد اطلعت عليها

* القارىء المهندس الزراعي كامل السيد تويبح بعث برسالة يعبر فيها عن إعجابه الشديد بالمجلة ، وبالمعلومات التي وردت في الاستطلاع عن نبات الجينسيغ الذي نشر في عدد سبتمبر ١٩٨٨ ، كما أرسل بعض المعلومات عن هذه النبتة وقصة اكتشافها فنشكره على ذلك .

فهرس سنة

١٩٨٨

من العدد ٣٥٠ إلى العدد ٣٦١

السنة الحادية والثلاثون

حديث الشهر بقلم : رئيس التحرير / الدكتور محمد الرميحي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
سنوات إعادة النظر	١	٨٨	٣٥٠	٨
الدحائر والتحف	٢	٨٨	٣٥١	٨
عقد التنمية الثقافية أفكار وتساؤلات !	٣	٨٨	٣٥٢	٨
اغلاق العقل الامريكي !	٤	٨٨	٣٥٣	٨
وعلى أرض فلسطين السلام .	٥	٨٨	٣٥٤	٨
حين تختفي الأوهام ! البيرويسترويكا أو إعادة بناء إحدى القوتين العظميين	٦	٨٨	٣٥٥	٨
لعبة الخبراء	٧	٨٨	٣٥٦	٨
للبيت رب يحميه	٨	٨٨	٣٥٧	٨
بعد أهوال الحرب تنتعش آمال السلام	٩	٨٨	٣٥٨	٨
مستقبل المشاهدة وثورة الترفيه	١٠	٨٨	٣٥٩	١
تعلم كيف تفاوض !	١١	٨٨	٣٦٠	٨
عن الحب والحرام يسألون . !	١٢	٨٨	٣٦١	٨

دين

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المسلمون وعبور الفجوة	د احمد كمال ابو المجد	١	٨٨	٣٥٠	١٨
البيان في أسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	١	٨٨	٣٥٠	٢٨
للمناقشة: التمذهب والتعصب والتخلف !	فهمي هويدى	١	٨٨	٣٥٠	٩٠
للمناقشة. فص الاشتباك الفكرى بين المسلمين	فهمي هويدى	٢	٨٨	٣٥١	٨٤
البيان في أسباب نزول القرآن	حسين احمد أمين	٢	٨٨	٣٥١	١٥٤
العلمانية والدين بين الشمال والجنوب نماذج من التطبيقات	د عبدالعزيز كامل	٣	٨٨	٣٥٢	١٨
للمناقشة «لافتة» حزب الله !	فهمي هويدى	٣	٨٨	٣٥٢	٤٢
البيان في أسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	٣	٨٨	٣٥٢	٦٢
أبناؤنا في رمضان	د عبدالعزيز كامل	٤	٨٨	٣٥٣	٢٥
للمناقشة التعددية السياسية وشبح الفتنة	فهمي هويدى	٤	٨٨	٣٥٣	٤٩
الاسلام والتوازن الاجتماعي	د عبدالرحمن زكى ابراهيم	٥	٨٨	٣٥٤	٢٤
للمناقشة/التعددية والمعارضة في الاسلام	فهمي هويدى	٥	٨٨	٣٥٤	٣٠
مجلة اسمها «الاسلام»	د عبدالعزيز كامل	٦	٨٨	٣٥٥	٣١
للمناقشة/من يملك حقوق نشر القرآن الكريم ؟	فهمي هويدى	٦	٨٨	٣٥٥	٤٨
منهج التجديد في الفكر الاسلامي	د محمد فاروق النبهان	٧	٨٨	٣٥٦	١٩
حقيقة موقف الاسلام من الشعر	د مصطفى رحب	٨	٨٨	٣٥٧	٢٣
الاسلام واشكالية الفكر الحضاري	د محمد ابراهيم الفيومي	٨	٨٨	٣٥٧	٤٩
مع اطلالة العام الهجري الاسلام والاستقامة الفكرية	د عبدالعزيز كامل	٩	٨٨	٣٥٨	١٩
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	١٠	٨٨	٣٥٩	٣٦
من صور الجذوة والخمود في فكر المسلمين	د راشد المبارك	١٠	٨٨	٣٥٩	١١٤
الاسلام بين الاخاء والدماء	د عبدالعزيز كامل	١١	٨٨	٣٦٠	١٨
الثقافة الاسلامية وتحديات العصر	د رضوان السيد	١٢	٨٨	٣٦١	١٨
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	١٢	٨٨	٣٦١	١١٤

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
مستقبل الاقتصاد العالمي هل يعود الكساد الكبير مرة اخرى ؟	د رمزى زكي	١	٨٨	٣٥٠	٢٣
التنمية وقانون الجهد الاقل	د . مطانيوس حبيب	٢	٨٨	٣٥١	٢٦
الايدز وافريقيا العنصرية	د علي الدين هلال	٤	٨٨	٣٥٣	٣٢

عروبة

استطلاعات الكويت المصورة

الاستطلاعات العربية والخارجية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
مالطة لسان عربي وقلب اوروبي !	صلاح حرين تصوير سليمان حيدر	١	٨٨	٣٥٠	٣٦
أم سعيد مدينة الصناعات الواعدة في قطر	صادق يلي تصوير فهد الكوح	١	٨٨	٣٥٠	١٠٠
التجربة الكورية وهم أم معجزة ؟	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٢	٨٨	٣٥١	٣٦
معهد العالم العربي في باريس قصر للثقافة العربية على صفاف السين	صلاح حرين	٢	٨٨	٣٥١	١٠٠
مغامر يكتشف قارة في الشرق الأقصى السوفيتي !	سليمان الشيخ تصوير طالب الحسيني	٣	٨٨	٣٥٢	٦٨
الإمارات العربية المتحدة عودة الى المعمار الاسلامي	صادق يلي تصوير فهد الكوح	٣	٨٨	٣٥٢	١٣٢
سيول عروس الاولمبياد	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٤	٨٨	٣٥٣	٦٨
ماربيا لؤلؤة الشاطيء الاندلسي	سلمى الحمار الكربرى	٤	٨٨	٣٥٣	١٣٢
تايوان الجميلة لم تعد عذراء	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٥	٨٨	٣٥٤	٦٨
اليونسكو «عطاء الثقافة والعلم والتربية»	صلاح حرين	٥	٨٨	٣٥٤	١٣٢
«كريتر» من هنا دخل الانكليز ومن هنا خرجوا !	سليمان الشيخ تصوير فهد الكوح	٦	٨٨	٣٥٥	٦٨
كينيا الوجه الأحمر لافريقيا	محمود عبدالوهاب تصوير طالب الحسيني	٦	٨٨	٣٥٥	١٣٢
بكين المدينة المحرمة تنفتح على العالم	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٧	٨٨	٣٥٦	٦٨
جيبوتي حيرة اللسان والمكان !	سليمان الشيخ تصوير فهد الكوح	٧	٨٨	٣٥٦	١٣٢
الحرمان الشريفان يسعان جميع المسلمين	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٨	٨٨	٣٥٧	٦٨
ناخودكا السوفيتية . الصدفة التي أنقذت امريكا !	سليمان الشيخ تصوير طالب الحسيني	٨	٨٨	٣٥٧	١٣٢
السويد بلاد الشمس الباردة	د حسن عباس تصوير طالب الحسيني	٩	٨٨	٣٥٨	٦٨
حيوانات نادرة في الخليج العربي !	انور الياسين تصوير طالب الحسيني	٩	٨٨	٣٥٨	١٣٢

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
يكاد المريب يقول حدوني !	شريف الراس	٦	٨٨	٣٥٥	٣٦
قراءة نقدية لكتاب مساء البلورات	ابو المعاطي ابو النجا	٦	٨٨	٣٥٥	٤٢
حقيقة القصيدة اللامية	عبدالرزاق البصير	٦	٨٨	٣٥٥	٦٢
قراءة نقدية لكتاب الموت يصحك	ابو المعاطي ابو النجا	٧	٨٨	٣٥٦	٤٦
قراءة نقدية لكتاب «ليلة القدر»	ابو المعاطي ابو النجا	٨	٨٨	٣٥٧	٤٢
حوار في باريس داء كل رمان !	د عبدالسلام العحيلي	٨	٨٨	٣٥٧	٦٠
قراءة نقدية لكتاب «الحنان الصيمي»	د حامد ابو احمد	٩	٨٨	٣٥٨	١٠٤
س طرائف النقد والنقاد	عبدالرراق البصير	٩	٨٨	٣٥٨	١١١
قراءة نقدية لكتاب «وسمية تخرج س البحر»	سمر روحي الفيصل	١٠	٨٨	٣٥٩	٣٩
حكايات في الأدب والفن والتاريخ	د عبدالحميد يونس	١١	٨٨	٣٦٠	٤٦
قراءة نقدية لكتاب «المرتحى والمؤحل»	صلاح حرين	١١	٨٨	٣٦٠	١٠٤
البحث عن الرمز المفقود	د رينب عبدالعريز	١١	٨٨	٣٦٠	١٥٨
طه حسين في ميران النقد العلمي	د أحمد علبى	١٢	٨٨	٣٦١	٢٦
الموشحات والقدود حلبية أم حمصية؟	د عمر موسى باشا	١٢	٨٨	٣٦١	٣٩
قراءة نقدية لكتاب سعد نديم رائد السينما التسجيلية	علي أبو شادي	١٢	٨٨	٣٦١	١٢١

جمال العربية : صفحة لغة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
التنازع في العمل باب في النحو ينبغي حذفه	محمد حليفة التونسي	١	٨٨	٣٥٠	٢١٠
أسئلة وأجوبة	محمد حليفة التونسي	٢	٨٨	٣٥١	٢١٠
«الحاسوب» و «الحيسوب»	محمد خليفة التونسي	٣	٨٨	٣٥٢	١٨٠
في افعال المطاوعة	يوسف العياشي	٤	٨٨	٣٥٣	١٨٠
الفاظ معربة	د حسن عباس	٥	٨٨	٣٥٤	١٧٦
تعابير يقرها المجمعيون	د حسن عباس	٦	٨٨	٣٥٥	١٧٦
أسئلة وأجوبة	د حسن عباس	٧	٨٨	٣٥٦	١٧٦
جابر والرتيلاء	د . حسن عباس	٨	٨٨	٣٥٧	١٧٦
ليس !	د حسن عباس	٩	٨٨	٣٥٨	١٧٦
جدب لاشجب	د حسن عباس	١٠	٨٨	٣٥٩	١٧٦
دعس ، ودهس	د حسن عباس	١١	٨٨	٣٦٠	١٧٦
ابواب في النحو لا نفع فيها	د حسن عباس	١٢	٨٨	٣٦١	١١٠

قصص

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الخواء هواجس ليلية لبائع محنك (مترجمة)	دلال حاتم	٧	٨٨	٣٥٦	٦٠
	سمير مينا	٧	٨٨	٣٥٦	١٨١
الضحية (مترجمة)	الشريف حاطر	٨	٨٨	٣٥٧	٥٣
الصرخة	قصي الشيخ عسكر	٨	٨٨	٣٥٧	١١٣
في يوم بارد	ملك حاج عبيد	٩	٨٨	[illegible]	٥٨
طريق الخيول (مترجمة)	يوسف حلاق	٩	٨٨	[illegible]	١٢٢
الاحتفال القديم (مترجمة)	د محمد برادة	١٠	٨٨	٣٥٩	[illegible]
سر اللغز (مترجمة)	ابراهيم احمد الشنطي	١١	٨٨	٣٦٠	٨٨
أجنحة الروح	محمد سمارة	١١	٨٨	٣٦٠	١٢١
الغريب	حسب الله يحيى	١٢	٨٨	٣٦١	٦٢

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الكمبيوتر والحاجة الماسة الى نحو عربي جديد	د نبيل علي	١	٨٨	٣٥٠	٣٠
البيريليوم معدن العصر	د محمد ابو بكر	١	٨٨	٣٥٠	٥٨
اضطرابات الجهاز العصبي اللاارادى	د. انيس فهمي	١	٨٨	٣٥٠	١٣٨
اهم يزرعون خلايا المخ	د محمد نبهان سويلم	٢	٨٨	٣٥١	٥٩
البيوتكنولوجيا ومشاكل العصر	د سمير رضوان	٢	٨٨	٣٥١	٧٨
تكييف الأحواء عند العرب ، مكيف الهواء «بادهنج» ابتكره العرب قبل العالم بسنين	احسان جعفر	٢	٨٨	٣٥١	٩٦
اللغة الراقصة	د حسين العروسي	٢	٨٨	٣٥١	١٢٠
الانفلونزا مرض الشتاء العنيد	د صباح السامرائي	٢	٨٨	٣٥١	١٢٩
الوطواط · الرؤية سماعا	نبيل الجهمي	٢	٨٨	٣٥١	١٨٠
الفحص الطبي الدورى	د قاسم طه الساره	٢	٨٨	٣٥١	١٩٨
غدة البروستاتا تلتهب !	د محمد عبدالله المشارى	٢	٨٨	٣٥١	٢٠٢
كيف مات صخر ؟	د غسان حتاحت	٢	٨٨	٣٥١	٢٠٨
نحو بناء آلة ذكية	د علم الهدى حماد	٣	٨٨	٣٥٢	٤٧
العناكب كائنات مبدعة !	د وسمية الحوطي	٣	٨٨	٣٥٢	٨٨
الاسهال بين هجوم الجراثيم ودفاع الجهاز الهضمي	د. صباح السامرائي	٣	٨٨	[illegible]	١٠٩
لقاح الايدز طموحات وعقبات	سمير صلاح الدين شعبان	٣	٨٨	٣٥٢	١٤٧

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الموصلات الكهربائية الفائقة تخرج من الصقيع	د سعود عياش	٤	٨٨	٣٥٣	٥٨
انذار للمدخنين قبل فوات الأوان	د صباح السامرائي	٤	٨٨	٣٥٣	٩٠
الطلاء الايوني قفزة واسعة في تقنية الطلاء	د نادر عبدالغفور احمد	٤	٨٨	٣٥٣	١٥٦
علماء عربيان في سماء الطب	د علي مبارك	٥	٨٨	٣٥٤	٦٤
ثلاثة مشاريع اوربية لغزو الفضاء	سعد شعبان	٥	٨٨	٣٥٤	٩٠
معارك الاستنزاف بين البيئة والانسان	د سمير رضوان	٥	٨٨	٣٥٤	١١٤
كهربائية الجسم والأمراض النفسية	د امل علي المحرومي	٥	٨٨	٣٥٤	١٤٦
كوكب الأرض على الارض !	د محمد نبهان سويلم	٦	٨٨	٣٥٥	٥٣
الحديد في علاج الأرق	د امل علي المحرومي	٦	٨٨	٣٥٥	٩٠
الصداع النصفي أو الشقيقة	د انيس فهمي	٦	٨٨	٣٥٥	١٠٠
الاستشعار عن بعد العلم والتطبيقات	د مأمون ملكاني	٦	٨٨	٣٥٥	١٠٤
تكنولوجيا للعالم الثالث !	د سمير رضوان	٧	٨٨	٣٥٦	٥٢
هل نقول للعجر الحسابي وداعا ؟	د سامي محمود علي	٧	٨٨	٣٥٦	٩٠
نموذج تعاون طبي دولي خلاق	د عباس الحميدى	٧	٨٨	٣٥٦	١٢٢
النباتات الطبية والعطرية في الوطن العربي	د شكرى ابراهيم سعد	٧	٨٨	٣٥٦	١٥٢
قصة قرحتين المعدة والاثناعشر	د صباح السامرائي	٨	٨٨	٣٥٧	٣٦
حكايات طبية	د غسان حتاحت	٨	٨٨	٣٥٧	٦٣
دون المناقير ماذا كانت ستفعل الطيور ؟	عبدالرحمن الحريتاني	٨	٨٨	٣٥٧	٨٨
الاتصال اللغوى عن طريق الجلد	د احمد مختار عمر	٨	٨٨	٣٥٧	١٠٦
«الكمبيوتر» في جيله الخامس	علي زين العابدين	٨	٨٨	٣٥٧	١٢١
حرب الظواهر الخارقة	محمد حسن بيرقدار	٩	٨٨	٣٥٨	٣٠
اثر الحركة على صحة الانسان	د عصام سامي الخالدي	٩	٨٨	٣٥٨	٣٦
الرحلات في عالم الحشرات	د كارم غنيم	٩	٨٨	٣٥٨	٥١
هل أصاب المناخ جنون العصر ؟	مجدى نصيف	٩	٨٨	٣٥٨	١٥٨
لحوم صناعية من الأوراق النباتية	فوزي عبدالقادر الفيشاوي	١٠	٨٨	٣٥٩	٣٢
الصدفة والعلم !	د محمد عبدالرحمن	١٠	٨٨	٣٥٩	٥٦
أمراض نسائية غامضة/آلام الحوض عند المرأة	د علي مبارك	١٠	٨٨	٣٥٩	١٠٣
خطأ الحساب وتدمير العالم	بسام اسخيطة	١٠	٨٨	٣٥٩	١٥٢
الكوكايين شمبانيا المخدرات	د جمال الدين موسى	١١	٨٨	٣٦٠	٤٠
أبوجعل حنفساء عبدت !	د . وسمية الحوطي	١١	٨٨	٣٦٠	٩٢
صحة البشر وتحديات الغد	د رمسيس عبدالعليم جمعة	١٢	٨٨	٣٦١	٣١
« اسرائيل » تتجسس في الفضاء	سعد شعبان	١٢	٨٨	٣٦١	٥٥
حكايات طبية	د . غسان حتاحت	١٢	٨٨	٣٦١	٦٠
القهوة التي نشربها في قفص الاتهام	د سامي عزيز	١٢	٨٨	٣٦١	١٠٥

● الفهر

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	ص
مخابز منزلية حديثة - وحبات صينية للغذاء والدواء في وقت واحد - مرض الايدز هل من أمل جديد ؟	١	٨٨	٣٥٠	١٥٩
طريقة حديدة لتشخيص الجلطات وتصلب الشرايين - مستودعات خردة في الفضاء - حذار من السمن البلدي - استنشاق الأنسولين	٢	٨٨	٣٥١	١٥٩
أمل جديد للذين يعانون من السكر وأمراض الشيحوخة - الماء سر الحياة وسر الشفاء من الامراض - على أبواب طائفة حديدة من المصادات الحيوية - حذار من نوعية الاكل لا من كميته	٣	٨٨	٥٢	١٢
السيارات الشمسية باتت وشيكة - جهار حديد للقضاء على سرطان المخ دون حراحة - بالونات فولاذية للشرايين - علم جديد يتحاوز علم الالكترونيات	٤	٨٨	٣٥٣	١٢٩
هل في الامكان رحوع الشيخ الى صباه - حهار حديد لعمليات القلب - لماذا تطرف العيون ؟		٨٨	٣٥٤	١٢٧
الأسرين هل هو أنفع العقاقير حميعا ؟ - الانترفرون والحوامل - هل نتوقع اكتشاف شريعة حموراني ثانية - لقاح ضد التهاب السحايا.	٦	٨٨	٣٥٥	١٢٧
ميزان حديد لقياس الحرارة - كاميرات حديدة للتصوير بلا افلام - عقار جديد يذيب الجلطات - حذار اذا كبرت (الشامة) او تغير لونها - المنزل الالكتروني	٧	٨٨	٣٥٦	١٢٧
فيروس سرطان الثدي يكتشفه عالم عربي - مجهر انتقائي حديد - محرة درب اللبانة موضع دراسة حديدة ضخمة.	٨	٨٨	٣٥٧	١٢٧
الزنك وحسم الانسان - لقاح فعال ضد داء الكلب - جهاز حديد لقياس حساسية الجلد - طبيب عربي يجري عملية جراحية رائدة - كعكة من خشب	٩	٨٨	٣٥٨	١٢٧
لم لا تكثر من اكل القرنبيط ؟ - الهندسة الوراثية والامراض العصبية المستعصية - واسطة حديدة لمنع الحمل - عقار الاكيوتين بين التشجيع والتحذير.	١٠	٨٨	٣٥٩	١٢٨
بيض دجاج خال من الكولسترول - حذار تدفئة الرضع - طائرة الهليوكوبتر متحلفة نسبيا - براءات بحيوانات جديدة محلقة	١١	٨٨	٣٦٠	١٢٧
مضخة جديدة للقلب - عقار جديد يكبح فيروس الايدز	١٢	٨٨	٣٦١	١٢٧

سلامة البشرية في سلامة البيئة

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
جهاز بسيط يقي من التسمم والحرائق - يسددون الديون وينقذون الغابات الاستوائية المهددة	١	٨٨	٣٥٠	١٦٢

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
أول اتفاقية بيئة شاملة ـ بادرة طيبة لكنها لا تعفي من المسؤولية.	٢	٨٨	٣٥١	١٦٢
الشمس هل المسؤولة ـ المعلبات كانت نعمة فأصبحت نقمة	٣	٨٨	٣٥٢	١٣٠
الادمان على الكحول في الولايات المتحدة ـ الجراد وشبكة الانذار المبكر ـ كيف يحمون البيئة في الاتحاد السوفيتي ؟ ـ التعاون من احل حماية البيئة	٤	٨٨	٣٥٣	١٣٠
الموز المثالي .	٥	٨٨	٣٥٤	١٣٠
الهنود الحمر ورعاة البقر ـ الادمان على الخمور في امريكا هل بدأ يتقلص ؟	٦	٨٨	٣٥٥	١٣٠
طماطم حديدة لكل الفصول ـ ثورة زراعية على الابواب	٧	٨٨	٣٥٦	١٣٠
احدروا اجهزة الرطوبة ـ ٩٠٪ من الحيتان تموت ! . التلوث والتناسل ـ بكتريا محلقة جديدة في مكامس النفط ـ واخيرا ري المرروعات « بالكمبيوتر » ـ الطاقة الشمسية الى متى ؟	٨	٨٨	٣٥٧	١٢٩
تعقيم الحليب بتعقيم ابقاره ـ كانت نقمة فأصبحت نعمة ـ للوقاية من السرطان ـ اكياس للقمامة حديدة	٩	٨٨	٣٥٨	١٣٠
اشجار عملاقة يستنبتونها في الانابيب ـ وعي بيئي شعبي ورسمي	١٠	٨٨	٣٥٩	١٣٠
صيد السمك بالسنارة يهدد الثروة السمكية ـ النحل القاتل ثانية ـ عودة الى التحوف من الانفجار السكاني	١١	٨٨	٣٦٠	١٣٠
لا حاجة للتحطيب بعد اليوم ! ـ مدن في اليابان تحت المدن	١٢	٨٨	٣٦١	١٣٠

طبيب الأسرة بقلم : د . حسن فريد أبو غزالة

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
صيدلية المنزل أم خزانة إسعاف ؟	١	٨٨	٣٥٠	٢٠٤
قضية الصداع	٢	٨٨	٣٥١	٢٠٤
أطفالنا يحبون الشيكولاتة	٣	٨٨	٣٥٢	١٧٢
الطفل الأعسر	٤	٨٨	٣٥٣	١٧٤
أخطر ما نسيناه من الطعام « الألياف »	٥	٨٨	٣٥٤	١٧٢
رياضة المشي	٦	٨٨	٣٥٥	١٧٢
حمى مالطا أو البروسيلا	٧	٨٨	٣٥٦	١٧٢
التسمم الغذائي اجتهادات متباينة	٨	٨٨	٣٥٧	١٧٢
في البيت مصاب فاقد الوعي « الإغماء »	٩	٨٨	٣٥٨	١٧٢
طهي الطعام في حساب الربح والخسارة	١٠	٨٨	٣٥٩	١٧٢
في البيت حامل مريضة بالسكر	١١	٨٨	٣٦٠	١٧٢
البيض في ميزان التغذية	١٢	٨٨	٣٦١	١٦٤

تاريخ وتراث

تاريخ أشخاص

وجها لوجه

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
د يس عبدالعفار	نجاح عمر	١	٨٨	٣٥٠	٦٥
فتحي رضوان	أمينة النقاش	٢	٨٨	٣٥١	٦٥
د محمود المسعدي	د محمود طرشونة	٣	٨٨	٣٥٢	٩٧
د حسين نصار	د أحمد مرسي	٤	٨٨	٣٥٣	٩٧
الجنرال دافيد دراعونسكي	سليمان الشيح	٥	٨٨	٣٥٤	٩٧
انجي أفلاطون	نجاح عمر	٦	٨٨	٣٥٥	٩٣
علي فررات	حسن محمد يوسف	٧	٨٨	٣٥٦	٩٦
د سعد الدين ابراهيم	د محمد حافظ دياب	٨	٨٨	٣٥٧	٩٧
د هشام حعيط	ماحد السامرائي	٩	٨٨	٣٥٨	٩٧
توفيق يوسف عواد	جهاد فاضل	١٠	٨٨	٣٥٩	٩٧
د علي الوردي	د حليل العطية	١١	٨٨	٣٦٠	٩٧
د رمري ركي	علي عثمان	١٢	٨٨	٣٦١	٩٧

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
رحلة استكشافية التنويم المغناطيسي في الطب النفسي	د محمد المحرنجي	١	٨٨	٣٥٠	٨٤
التربية هل هي الدواء لكل أدواء المجتمع ؟	د سعيد اسماعيل علي	٣	٨٨	٣٥٢	٥٦
صحتك النفسية والألوان	د دري حسن عرت	٤	٨٨	٣٥٣	١٤٨
الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس	د عبدالوهاب حومد	٧	٨٨	٣٥٦	٣٠
الفكاهة طب نفسي	د عبدالحميد يونس	٨	٨٨	٣٥٧	٣٠
مواقف انسانية وشر البلية ما يضحك !	د عبدالوهاب حومد	٩	٨٨	٣٥٨	٢٤
التعليم عن بعد لتعميم التربية في سنة ٢٠٠٠	د . مصطفى المصمودي	١٠	٨٨	٣٥٩	٤٣
الوسواس القهري له علاج	د دري حسن عزت	١٠	٨٨	٣٥٩	٦٢
عصور إنسانية عرفت القلق	د عبدالستار ابراهيم	١١	٨٨	٣٦٠	١١٠

فلسفــــة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المراهقة الثقافية !	د . فؤاد زكريا	٢	٨٨	٣٥١	١٩
لماذا نكتب ؟	د حامد طاهر	١٠	٨٨	٣٥٩	٢٦

اجتمـــاع

الموضوع	الكاتب	ج	م	العدد	الصفحة
الجوانب الاجتماعية للمعرفة العلمية	د ادريس سالم الحسن	١	٨٨	٣٥٠	٥٤
الصراع « الديمقراطي » بين الشمال والجنوب	د عبدالإله أبو عياش	٢	٨٨	٣٥١	٧١
ظاهرة الفردية في المجتمع الأمريكي	د محمود الدوادي	٢	٨٨	٣٥١	٧٥
تعليم اللغات الأجنبية في الوطن العربي ، نظرة على الأبعاد الاجتماعية والحضارية	د عبده عبود	٣	٨٨	٣٥٢	٢٦
المؤشرات الاجتماعية من ضرورات العصر	د محمد الجوهري	٣	٨٨	٣٥٢	٣١
دور المرأة العربية في التنشئة الوطنية	د أسعد عبدالرحمن	٣	٨٨	٥٢	١٠٣

منتدى العربي

الموضوع	الكاتب	ج	م	العدد	الصفحة
قضية من الاستشراق العربي إلى الاستغراب الشرقي	د طيب تيزيني	١	٨٨	٣٥٠	١٤٧
تعقيب على مقال هل كان الرحل المريض مريضا ؟	قسطنطين حمار	١	٨٨	٣٥٠	١٥٢
قضية اشكالية التراث والمعاصرة والتقدم	د هشام بوقمرة	٢	٨٨	٣٥١	١٤٤
تعقيب على مقال هل كان الرحل المريض مريضا ؟	هراح ساهاكيان	٢	٨٨	٣٥١	١٤٦
قضية عصر السرقات الأدبية	مصطفى سليمان	٣	٨٨	٣٥٢	١١٣
تعقيب على مقال الطيران حول العالم دون توقف	سليمان أحمد الهيماوي	٣	٨٨	٣٥٢	١١٥
قضية الأفكار الميتة والأفكار القاتلة	د علي القريشي	٤	٨٨	٣٥٣	١١٦
تعقيب على مقال أرقام الحساب عربية أم هندية؟	السيد يوسف عبدالحميد	٤	٨٨	٣٥٣	١٢٠
قضية نحن لا نزرع الشك !	فوري عبدالقادر الفيشاوي	٥	٨٨	٣٥٤	١٢٢
قضية في مفهوم الشعر رؤية الشعراء الجاهليين	د عبدالمجيد رراقط	٦	٨٨	٣٥٥	١١٦
تعقيب براءات الاختراع وتنمية الابتكارات	د محمود يوسف سعادة	٦	٨٨	٣٥٥	١٢٠
قضية حرب النجوم بين وليم جيمس وكلاوزفيتز	إيهاب محمد مهدلي	٧	٨٨	٣٥٦	١١٦
تعقيب الانفتاح العربي على الحضارات	محمد فؤاد علي	٧	٨٨	٣٥٦	١٢٠
قضية زحف العرب على المدينة خصائصه ومستقبله	د مصطفى عمر التير	٨	٨٨	٣[illegible]	١١٦
تعقيب قياس الغائب على الشاهد	عمر نجاري	٨	٨٨	٣٥٧	[illegible]

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
قصية اطلاق العنان للقطاع الخاص والمبادرات الفردية	د عبدالرحمن زكي ابراهيم	٩	٨٨	٣٥٨	١١٦
تعقيب التربية هي الدواء لكل أدواء المجتمع	د أنور طاهر رضا	٩	٨٨	٣٥٨	١١٩
قصية فكر السادة وثقافة التابعين	د مصطفى النشار	١٠	٨٨	٣٥٩	١٠٩
تعقيب كيف نتعامل مع الطفل بطيء التعلم	حيدر عمر	١٠	٨٨	٣٥٩	١١٢
قصية مأزق الإبداع الأدبي أو « الروح الأسيرة »	غالب هلسا	١١	٨٨	٣٦٠	١١٦
قصية المرأة في قواعد النحو والصرف	محمد حسن الصوري	١٢	٨٨	٣٦١	١١٦
تعقيب الثقافة العربية وقداسة التراث ا بين الجابري والتيريني	ابراهيم بن صالح	١٢	٨٨	٣٦١	١٢٠

أرقام بقلم : محمود المراغي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
رسائل القرن الواحد والعشرين	١	٨٨	٣٥٠	٧٨
الحكومة العربية	٢	٨٨	٣٥١	١٣٢
للرحال تقريبا	٣	٨٨	٣٥٢	٥٤
المهاجرون	٥	٨٨	٣٥٤	١٢٠
الربون رقم (١)	٦	٨٨	٣٥٥	٤٠
سكرتيرتك « كمبيوتر »!	٧	٨٨	٣٥٦	٤٠
من يدفع أكثر ؟	٨	٨٨	٣٥٧	٤٠
الانسان وعالمه المتراجع	٩	٨٨	٣٥٨	٣٤
الفقر في عيون الاغنياء	١١	٨٨	٣٦٠	٣٢
نساء ورحال	١٢	٨٨	٣٦١	٣٦

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الكساد الكبير عام ١٩٩٠م	د عبدالإله أبوعياش	١	٨٨	٣٥٠	٢١٥
آلة المعرفة ، الذكاء الإصطناعي ومستقبل الإنسان	بهاء الدين محمود	٢	٨٨	٣٥١	٢١٥
عقول الأطفال	د عادل عبدالكريم	٣	٨٨	٣٥٢	١٨٥
« الإرهاب » من الكفاح الشعبي الى الإثارة الإعلامية	جمال وردة	٤	٨٨	٣٥٣	٨٥

من المكتبة العربية

الفنون واللوحات ال[illegible]ية

البيت العربي (الأسرة والمجتمع)

عالم المعرفة

... ١٩٨٨ م

أوروبا والتخلف في أفريقيا

تأليف

الدكتور والتر رودني

ترجمة الدكتور أحمد القصير

مراجعة د. إبراهيم عثمان

الكتاب ١٣٢

٥٠٠ فلس

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب — ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢٣١ أول ديسمبر ١٩٨٨

١ - الجمعية الأدبية

تأليف: هنري أفوري

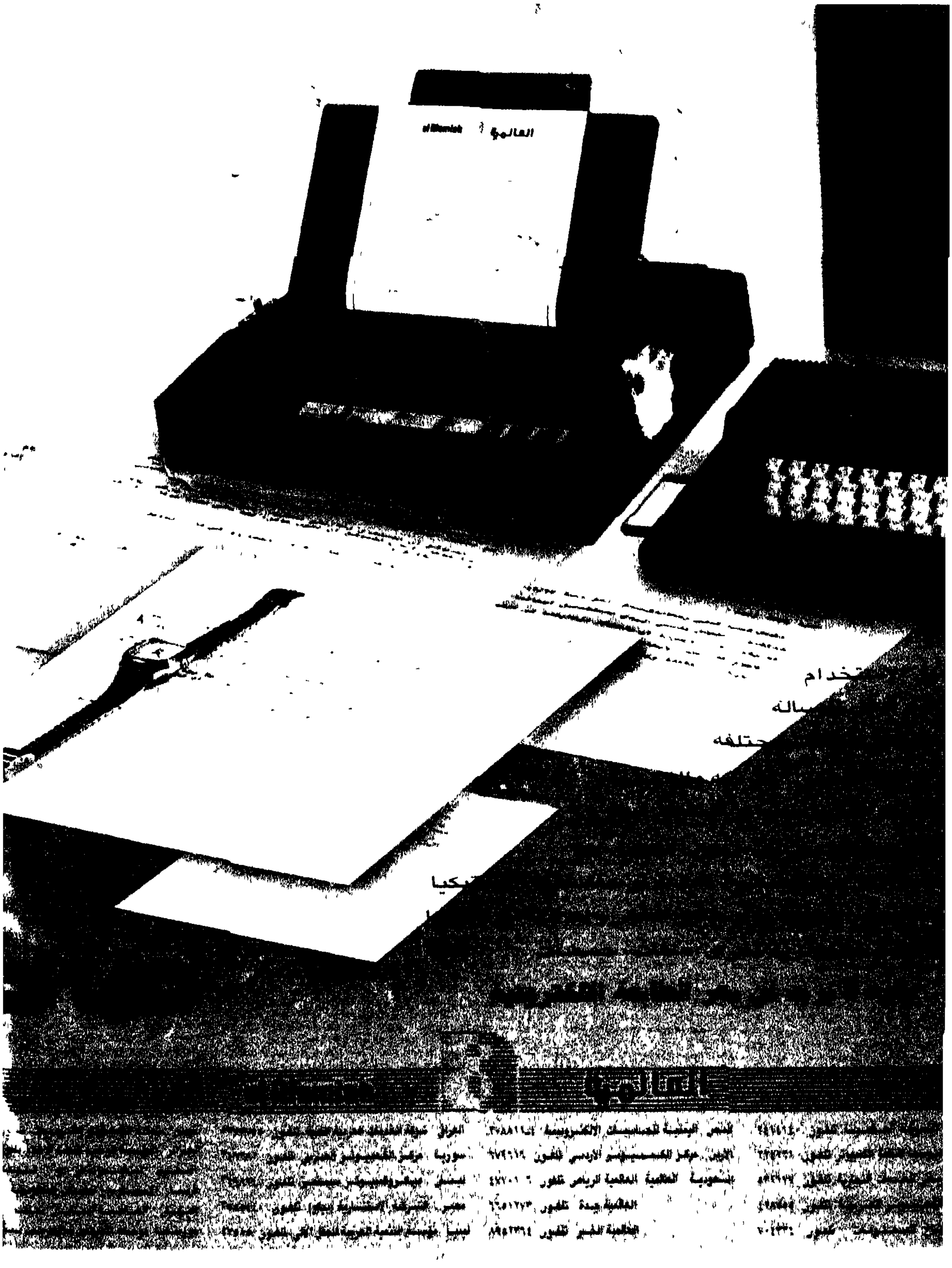
٢ - جواهر المعبد

تأليف: جيمس إني هنشو

تقديم: يوريس سيلانيكس

ترجمة: د. نايف خرما

مراجعة: د. طارق عبد الله


العالمية